
الهلال
أهم ماقرأه المفكرون عام ١٩٨٦
البابا شنوده شاعرًا
مصر والمسيحية
العذراء والطفل
أيقونة عصرية بمناسبة عيد الميلاد



من روائع الفن الإسلامي

مقطع من لوحة كبيرة من الفن الإسلامي الذى انتشر فى إيران ، تعبر عن الملاك الطيب ، الذى يقوم بحماية جويحار أول شاه يحكم إيران ، من شرور إبليس المعروف باسم أهريمان .

رسم اللوحة الفنان الإيرانى سلطان محمد ، الذى حرص على استخدام كل الألوان الفضفاضة التى تحيط بالملاك ، بينما يرتدى الملاك اللون الأبيض ، وفى الخلفية يبرز الأصفر الذهبى .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ أول يناير سنة ١٩٨٧ م - ١ جمادى الأول ١٤٠٧ هـ



الغلاف بريشة الفنان
حلمـــى التـــونـــى



● فكـــــر وفـــــن ●

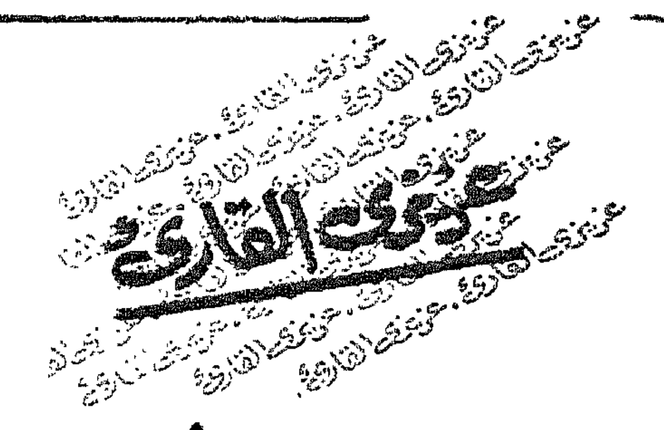
● قضايا ومواقف ●

● قصص ●

● فن تشكيلى ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●



صباح الخير أيها العام الجديد

نُقرئك السلام والتحية ياعزيزى القارىء ، ونقول لك : كل عام وأنتم بخير !.. ثم نتحدث ببساطة فلا نقول للعام الجديد : ماذا وراءك أيهاالعام الوليد ؟!.. ولا نسألهَ : بأية حال عدت الينا ايها الوافد الطريف التليد ؟!..

بل نقول متفائلين : عام سعيد إن شاء الله .. لمصر والعرب والمسلمين والعالم الثالث ، والثانى ، والأول .. والأصدقاء ، والاعداء أيضا .. عسى أن تنقشع العداوة ، ويرفرف السلام والصداقة بين بنى آدم وحواء أجمعين ، فوق أديم هذه الكرة الأرضية الذى ارتوى من الدماء ، واختنق بالبغضاء !..

ونتقدم بين يدى عامنا الجديد وهو فى زهو ثوبه القشيب بأمنيات طيبة للثقافة العربية التى هى مرآة أمتنا فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ..

وعلى ضوء الشموع نَسْبحُ مع أول دقة تبعثها ساعة العام الجديد ، فى عالم الأحلام والمنى المعسولة ، فقديماً قال شاعرنا :

مُنَى إنْ تكن حقا تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

نتمنى أن يتغير الكثير فى صورة الأمة العربية خلال العام

الجديد السعيد فتختفى أو تخف الأزمة الاقتصادية التى تأخذ بخناق الوطن العربى كله من المحيط الى الخليج وتهدده بأن يصبح عاجزا حتى عن أن يكون ذيلا ـ مجر ذيل ـ للاقتصاد الرأسمالى العالمى !..

ونتمنى أن تنقشع الأزمة السياسية فى العالم العربى ، فتتفق عواصمنا على الحد الأدنى من التضامن حيال القضايا الجوهرية : قضية فلسطين ، وقضية لبنان ، وقضية حرب الخليج .. ثم القضايا الفرعية التى توشك أن تتحول الى جوهرية كقضايا جنوب السودان والبوليساريو وسبتة ومليلة .

وأخيرا وليس آخرا تجىء الأمنية الثالثة ، أمنية الديمقراطية السياسية والعدالة الاجتماعية على الأرض العربية ..

إن أمنياتنا هذه ليست تبسيطا لأهداف الأمة العربية ، ولكنها "بساطة" فى عرضها لأن التهويل فى أهداف الأمة العربية صار بمرور الزمان من أسباب خيبتها وسقوطها !..

نحن نتمنى لأمتنا الحد الضرورى من الأهداف الحيوية الواجبة التحقيق ، لأنها بدون تحقيقها لا تستطيع أن تواجه عالما يتغير ويتطور بسرعة البرق ، ويتجه الى القرن الواحد والعشرين بأعمال وأفكار وخطط ومشروعات ، تتخلف الأمة العربية عنها مائة عام على الأقل !..

فالاستقلال الاقتصادى ، بمعنى عدم الذيلية المالية ، أو الطفيلية الاقتصادية للغرب أو الشرق ...

والاستقلال السياسى ، بمعنى استقلال القرار ، لمصلحة الأمة لا لمصلحة الأغيار ..

والبناء فى الداخل على أساس الديمقراطية والعدالة الاجتماعية لا على أساس الاستبداد والظلم الاجتماعى ...

تلك هى الأمنيات "البسيطة" التى إن تحققت بلغنا القرن الواحد والعشرين فى بدايته أو فى وسطه ، ولم نبلغه بعد أن يتجاوزه المتقدمون الى القرن الثالث والعشرين !..

عزيزي القارئ

وهي امنيات لا نستطيع بدون تحقيقها أن نتمنى شيئا للثقافة العربية ، في العلم والأدب والفن ، وفي كل مايتصل بتقدم الانسان العربي فكريا ، وروحيا ..

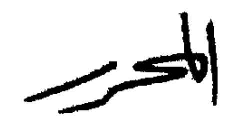
إن المثقف العربي ـ في مطلع العام الجديد ـ لا يتمنى لنفسه شيئا بمعزل عن التطور العام لكل المجتمع ، لأن المثقف والثقافة لا ينهضان في مجتمع تنخر في أساسه عوامل الانهيار والتخلف !..

ولهذا يشعر المثقف العربي انه مسئول عن تقدم بلاده في السياسة والاقتصاد والاجتماع مسئولية مباشرة ، وإن كان يعبر عنها بأدبه أو فنه تعبيراً غير مباشر ، ولا يستطيع المثقف العربي أن يقف متفرجا على مجتمعه وبلاده ، يرسم أو ينظم شعرا أو يكتب قصصاً ومقالات بعيداً عن هموم أمته ..

ويستقبل المثقفون العام الجديد وهم ينظرون الى الصورة العربية على اتساعها لأن رسالتهم تشمل جميع اركان هذه الصورة ، وهم يعلمون أن السؤال الآن هو ـ على حد تعبير شيكسبير في احدى مسرحياته : نكون أو لا نكون !..

ولكن أزمات الأمة العربية في جميع أطوارها منذ الحروب الصليبية والتتارية حتى اليوم كانت ومازالت تندرج تحت هذا السؤال الخطير . وقد خرجت أمتنا من كل أزمة وهي تجيب عن هذا السؤال قائلة : بل نكون دائما والى الأبد ، وتنقضي جميع الازمات !..

فياعزيزي القارىء ، قل معنا : صباح الخير أيها العام الجديد !..



مصر والمسيحية
السيد المسيح فى مصر

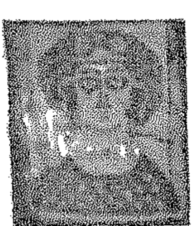
بقلم: توفيق حنا



من قديم الزمان كانت مصر هي الملجأ الأمين لكل من قصدها هربا من الظلم والطغيان ومن كل صور القهر والاستبداد ، كما كانت مركزا علميا وفنيا وحضاريا جاء إليها الحكماء والفلاسفة والفنانون للبحث والدراسة .. ومن هنا يمكننا أن نفهم سر هذه العبارة "مصر ام الدنيا" ..

استقبلت مصر من الانبياء ابراهيم ويعقوب ويوسف وغيرهم من انبياء العهد القديم ..

مصر والمسيحية



وكان موسى طفلا عندما عثرت عليه ابنة فرعون - او زوجته - فى السلة .. واسمه الفرعونى مشتق من الماء ، وذلك فى المكان الذى يقوم فيه الآن معبد بن عزراء فى مصر القديمة ، هذا المعبد اليهودى الذى يقع بالقرب من كنيسة أبى سرجه حيث اقامت العذراء مريم ومعها الطفل يسوع ويوسف النجار عدة ايام ، وفى هذا المكان كان يجرى نهر النيل الذى تحول مجراه بعد ذلك ، وبنى معبد ابن عزرا فى المكان الذى عثر فيه على موسى الطفل ، الذى نشأ وتربى على حكمة مصر .. وتأثر بعقيدة التوحيد التى بشر بها اخناتون (المخلص لآتون) قبل ظهور موسى .

ونحن نعرف ان افلاطون جاء الى مصر وتتلمذ على حكماء جامعة اون (عين شمس) ، وقرأ تاريخ هيرودوت ودرس نظم وقوانين مصر الفرعونية ، وتأثر بحكمة اخناتون وعقيدته ، واستفاد بكل هذا التراث المصرى فى ابداع جمهوريته وفى انشاء قوانينه .. وهنا أتساءل : **لماذا لا ندرس الآثار الاخناتونية فى المسيحية والاسلام بدلا من دراسة الآثار الافلاطونية ؟.. أليس من الغريب ان نتجاهل الاستاذ المصرى ونهتم بالتلميذ اليونانى ؟!** كما رحبت مصر بالسيد المسيح والعذراء مريم ويوسف النجار عندما رحلوا اليها هربا من تهديد هيرودس .. الحاكم الجبار الطاغية .. وذلك بعد ميلاد السيد المسيح بقليل ..

● ميلاد السيد المسيح ●

ولد السيد المسيح فى بيت لحم الذى يقع جنوب أورشليم ويبعد عنها ستة اميال . ولد فى مزود محاطا بالقش الذى تفترشه البهائم وتأكل منه . ولد بعد رحلة شاقة قامت بها العذراء مريم ومعها يوسف النجار ، بمناسبة الإحصاء الذى أمر به اغسطس قيصر . وكان الشتاء فى ذلك الوقت من السنة قاسيا وقارس البرودة .

وعندما أخبر المجوس هيرودس بميلاد طفل سيكون ملك اليهود ، خاف أشد الخوف وأصدر أمره أن يقتل كل أطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون ، وذلك لأن الأمهات فى ذلك الوقت كن يرضعن اطفالهن لمدة سنتين . ولكن ..

نقرأ فى انجيل متى (أول اسفار "العهد الجديد" من "الكتاب المقدس") :

"وبعد ان انصرفوا (المجوس) إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا :

قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لان هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر . وكان هناك إلى وفاة هيرودس ، لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى"

(متى ٢ / ١٣ - ١٥)

ثم نقرأ بعد ذلك فى نهاية الاصحاح الثانى من انجيل متى : "فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا :

"قم وخذ الصبى وامه واذهب الى

ارض اسرائيل ، لانه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى . فقام واخذ الصبى وامه وجاء الى ارض اسرائيل .

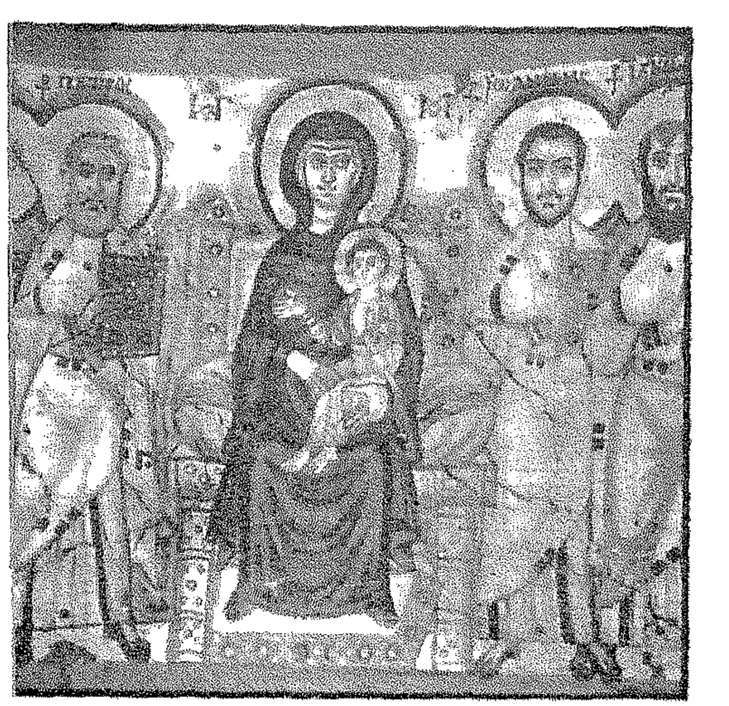
ولكن لما سمع ان ارخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس ابيه خاف ان يذهب الى هناك . واذ اوصى اليه فى حلم انصرف الى نواحى الجليل . واتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة ، لكى يتم ماقيل بالانبياء انه سيدعى ناصريا"

(متى ٢ / ١٩ - ٢٣)

● عيد مجيء السيد المسيح الى مصر ●

يعتبر عيد مجيء السيد المسيح الى مصر (٢٤ بشنس / أول يونيو) من الأعياد السيديه (نسبة الى السيد المسيح) الصغرى السبعة وتحتفل به الكنيسة القبطية والكنيسة الاثيوبية فى ٢٤ بشنس القبطى ، ذكرى لوصول العائلة المقدسة الى ارض مصر ، وتحتفل به الكنيسة اليونانية فى ١٦ ديسمبر ويطلقون عليه عيد هروب العذراء الى مصر ، ويحتفل اللاتين بهذا العيد فى ١٧ فبراير ويسمونه عيد هرب سيدنا يسوع المسيح الى مصر FUGA IN AEGYPTUN .

ونحن نجد سجلا بهذه الاعياد القبطية فى كتاب "سير القديسين" المعروف بـ "السنكسار" الجامع لأخبار الانبياء والرسل والشهداء والقديسين ، المستعمل فى كنائس الكرازة المرقسية (نسبة للقديس مرقس الذى بشر بالمسيحية فى مصر والتى جاء اليها فى عام ٦١ ميلادية) فى أيام وآحاد السنة التوتية (نسبة الى توت اول شهور السنة القبطية ، وتوت هو إله الحكمة فى مصر

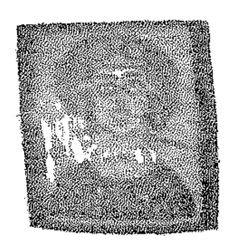


ايقونة للسيدة العذراء
تحمل السيد المسيح

القديمة وهو رب القلم ومخترع الكتابة ، وهو اله العلوم والفنون والاختراعات والإسرار الالهية ، ويرسم على الآثار بصورة طائر البجع ، أو بصورة انسان برأس بجع ..

ويقابل هرس عند اليونان وادريس عند العرب .. وفى هذا الشهر يقال : توت رى ولا فوت .. ذلك لأن هذا الشهر من شهور فصل الزراعة)

وعيد النيروز - رأس السنة القبطية - هو عيد وطنى زراعى بقدر ماهو عيد دينى ، ويقع فى منتصف شهر سبتمبر ، حيث تكون ليلة ارتفاع النيل (او ليلة النقطة .. اذ كان يظن أن فيضان النيل من دموع ايزيس على زوجها اوزيريس) ، ويقضى المصريون - فى العصور القديمة - هذه الليلة فى الصلاة والدعاء والشكر للاله العظيم حاكم النهر .. الرب اوزيريس . **وكان المصريون القدماء يرون فى النيل الها هو حابى ، يدعونه**



عند الحاجة ، ويقيمون له احتفالات دينية خاصة

والتقويم الزراعى – او القبطى (اى المصرى) او الشمسى – تتداخل فيه المواسم الزراعية والاعياد الدينية .

وعندما جاء العرب ، وجدوا هذا التقويم المبنى على خبرة طويلة متصلة بفيضان النيل ، ومواسم الزراعة وظواهر الطبيعة ، ووجدوا الاقباط (المصريين) يعتمدون عليه فساروا مثلهم ، ولهذا نجد عند المصريين المسلمين تقويمين :

١ – التقويم القمرى – الهجرى – للمناسبات الدينية .

٢ – التقويم الشمسى للزراعة ومواسمها وعاداتها وتقاليدها .

● رحلة السيد المسيح الى مصر ●

من بين اناجيل العهد الجديد من الكتاب المقدس الاربعة الاولى وهى اناجيل (جمع انجيل) متى ومرقس ولوقا ويوحنا ينفرد إنجيل متى بذكر وقائع رحلة السيد المسيح الى مصر – كما سبق أن ذكرت – ولا تذكر هذه الرواية تفاصيل هذه الرحلة .. الطريق الذى سارت فيه العائلة المقدسة ، والبلاد التى توقفت عندها أو مرت بها ، والمدة التى قضتها فى مصر ، ومتى بدأت الرحلة ومتى انتهت

ونحن نعتمد فى معرفة كل هذه التفاصيل على رؤيا البابا ثيئو فيلوس بابا الاسكندرية الثالث والعشرين (٣٨٥ – ٤١٢ م) التى رآها فى ليلة السادس من شهر هاتور (١٥ نوفمبر) (وهاتور هو الشهر الثالث من السنة القبطية وينسب إلى الالهة هاتور – حتحور – وهى آلهة الحب والجمال – والمحبة والفرح عند قدماء المصريين ، وتصور على هيئة امرأة برأس بقرة ، وتقابل عند اليونان افروديت .. ويقال : هاتور ابو الدهب المنتور .. والذهب هنا هو القمح .. ويقال أيضا : إن فاتك زرع هاتور اصبر لما السنة تدور) .. وسجل "السنكسار" (سيد القديسين) هذه الرؤيا التى ظهرت فيها السيدة العذراء للبابا ثيئو فيلوس (باليونانية THEOPHILOS اى حبيب الله) وروت له – بناء على طلبه وصلاته – تفاصيل هذه الرحلة .

● الرحلــــة ●

كان لابد ان تسلك العائلة المقدسة – أثناء هروبها من مطاردة هيرودس – طريقا غير الطريق المعروف

خرجت العائلة المقدسة من بيت لحم ليلا ، ودخلت مصر عن طريق صحراء سيناء من جهة الفرما – بين العريش وبورسعيد .

وصلت أولا الى مدينة بسطه بالقرب من الزقازيق ، وكان الوقت ظهرا ، وارشدها رجل طيب من اهالى بسطه الى احدى ضواحى المدينة حيث وجدت شجرة عاشت فى ظلها عدة ايام ، وفى هذا المكان استحم السيد المسيح ، وسمى المكان المحمّه ، ويطلق عليه الآن مسطرد ، ومن المحمه اتجهت الى بلبيس حيث وجدت شجرة استظلت بها ، ويطلق عليها الآن شجرة مريم – وترتبط هذه

الرحلة بالشجرة ارتباطا رمزيا عميق الدلالة .

وقد ذكرت الشجرة فى سورة مريم فى القرآن الكريم ـ ثم اتجهت العائلة المقدسة بعد ذلك الى " منية سمنود " ومنها ـ عن طريق النهر ـ الى سمنود .. ثم واصلت اسير الى البرلس ثم عبرت النهر عند " المطلع " غربا الى سخا ايوس .. ويقال ان السيد المسيح وضع قدمه على أحد الاحجار فترك اثر قدمه عليه وسمى المكان " كعب يسوع " ـ سخا ـ ثم سارت العائلة المقدسة غربا مقابل وادى النطرون ، ثم اتجهت الى عين شمس ، حيث كانت تقوم مدينة اون (هليوبوليس) المعروفة فى " العهد القديم " ش " الكتاب المقدس "

وفى هذه المدينة كانت تقوم أشهر جامعة فى التاريخ القديم ، وهى جامعة اون (عين شمس) ، ويعرف هذا المكان الآن بالمطرية ، واستظلت تحت شجرة تعرف الآن بشجرة مريم ثم اتجهت جنوبا الى الفسطاط ـ بابليون ـ فى مصر القديمة (يقول ديودور الصقلى "ان الاسرى البابليين الذى اسرهم رمسيس الاكبر (الثانى) احتلوا قلعة على الشاطىء تجاه منف وبنوا هناك مدينة دعوها بابيلون وهى عاصمة بلادهم") ، وهناك سكنت العائلة المقدسة المغارة ، التى توجد الآن بكنيسة القديس سرجيوس المشهورة بأبى سرجه ، وبقيت بها اسبوعا ، ثم واصلت سيرها الى منف (التى ذكرت فى "الكتاب المقدس" باسم نوف واسمها بالهيروغليفية "من نفر" ومعناها الميناء الجميل .. وتسمى الآن "ميت رهينة") .

وفى مركب شراعى فى البقعة التى تقوم عليها الآن كنيسة العذراء مريم بالمعادى اتجهت العائلة المقدسة الى الصعيد ـ الوجه القبلى ـ حتى البهنسا فى مكان يدعى "اياى ايسوس" ـ "بيت يسوع" ـ حيث اقامت اربعة ايام . ثم اتجهت الى جبل الطير ـ شمال سمالوط ـ (ويقال إن صخرة كبيرة من الجبل كادت تسقط على العائلة المقدسة فمد يسوع يده ومنع الصخرة من السقوط ، وانطبعت كف يسوع على الصخرة ، وصار الجبل يعرف بجبل الكف ، والكنيسة التى اقامتها الملكة هيلانة باسم العذراء مريم تدعى "كنيسة سيدة الكفة") ، ومن هذا المكان سارت العائلة المقدسة حتى وصلت الى الاشمونين بمركز ملوى (خمنو بالمصرية القديمة تعنى ثمانية (٨) لأن عدد آلهة المدينة ثمانية ، ومعناها أشمون الثانية ، لأن الاولى كانت قد اندثرت) .. ثم اتجهت الى ديروط الشريف ، وبعد أيام واصلت السير الى القوصيه (كانت تدعى قسقام) ثم الى مير ثم الى جبل قسقام حيث يقوم الآن دير السيدة العذراء المعروف الآن بالدير المحرّق . (كتاب "الدير المحرّق" للانبا غريغوريوس)

وفى جبل "قسقام بنى الشيخ البار يوسف النجار بيتا صغيرا من الطوب وغطاه باغصان النخيل . وفى هذا البيت عاشت العائلة المقدسة ستة شهور وعشرة ايام . وكان دير المحرّق او دير جبل قسقام او دير السيدة العذراء هو نهاية رحلة العائلة المقدسة ، ومن هذا الدير بدات رحلة العودة عندما عرف يوسف من ملاك الرب بموت هيرودس .

وتذكر المصادر التاريخية الكنسية ان



يوم ٦ بابه هو اليوم الذى رحلت فيه العائلة المقدسة من جبل قسقام . وجاء فى ميمر (سيرة) البابا ثيئو فيلوس قول السيدة العذراء للبابا :

"... وبعد ذلك أقمنا مدة باتوفيلس الى تمام الستة شهور وعشرة أيام حيث كان دخولنا هذا الموضع المقدس فى السابع من شهر برموده (١٥ / ٤) وقيامنا منه فى السادس من شهر بابه (١٢ اكتوبر)" (وشهر "بابه" هو الشهر القبطى الثانى ، نسبة الى حابى او هابى - اله النيل - ويقال : بابه خش واقفل البوابه ، وذلك لشدة البرد)

ويقول شيخ المؤرخين المصريين (ت ١٤٤١ م) فى خططه : "تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام اقام فى موضعه (جبل قسقام) ستة اشهر واياما ، وله عيد عظيم يجتمع فيه عالم كثير" .

● نهايــة الطاغية ●

ومات هيرودس بعد مذبحة الأطفال بقليل ، وقبل موته حاول الانتحار ، ومات أشنع ميتة بعد سبعين عاما قضاها فى الشر والظلم والاستبداد .

وكما اعتبر يوم ولى د قلديانوس الحكم بداية التاريخ القبطى - المعروف بالشهداء - فقد اعتبر يوم موته عيدا قوميا يحتفل به كل عام ، يوم نهاية سلطان الظلام .

● الرؤيـــا ●

كان الانبا ثيئو فيلوس قد صلى صلاة طويلة حارة عليه مستعينا بشفاعة أم النور مريم ، فظهرت له العذراء القديسة استجابة لصلواته ، وذكرت له انباء الرحلة المباركة التى قامت بها العائلة المقدسة من فلسطين ، وطلبت منه ان يسجل مارأى وما قالت فامتثل لطلبها وكتب هذه الرؤيا ، وأصبح كتاب البابا ثيئو فيلوس أهم وثيقة - أو هى فى الحقيقة الوثيقة الوحيدة - التى يعتمد عليها فى اخبار هذه الرحلة .

ويقول اميلينوAmeleneau ان ميمر الانبا ثيئو فيلوس لا يوجد منه الآن باللغة العربية الا ثلاثة مخطوطات ، احدها بمكتبة الفاتيكان والثانى بالمكتبة الاهلية بباريس والثالث بمكتبة الدير المحرق .

★ ★ ★

اختلف المؤرخون فى تقدير المدة التى أقامتها العائلة المقدسة فى مصر .

ويرى الانبا غريغوريوس ان « المدة تزيد قليلا على ثلاث سنوات ونصف وقد تبلغ نحو أربع سنوات »

أما المدة التى اقامتها العائلة المقدسة فى جبل قسقام حيث يقوم الآن الدير المحرق فقد ذكرت المصادر الكنسية انها ستة أشهر وعشرة ايام -كما جاء فى ميمر الانبا ثيئوفيلوس .

● الدير المحرق ●

يقع هذا الدير الذى بناه الأنبا باخوم ابو الشركة عام ٣٤٢ م - فى سفح الجبل الغربى المعروف بجبل قسقام [قوس (مدفن) قام (نبات الحلفا)] ، على بعد ١٢ كيلو مترا غرب القوصية (محافظة اسيوط) .

وفى الجهة الغربية من هذا الدير العتيق توجد كنيسة السيدة العذراء الاثرية ، هيكلها هو نفس المغارة التى سكنتها العائلة المقدسة ، ومذبح الكنيسة هو الحجر الذى جلس عليه السيد المسيح . وهذه الكنيسة تعتبر أول كنيسة فى العالم كله .

على يمين الهيكل توجد ايقونة ـ صورة ـ للسيدة العذراء تحمل السيد المسيح على يسراها ، وهى نسخة من احدى الصور الثلاث الاصلية التى رسمها القديس لوقا .

وعند باب المدخل توجد ايقونة اخرى للسيدة العذراء تحمل السيد المسيح بيسراها ايضا .

ويرجع تاريخ هذه الكنيسة الى القرن الأول الميلادى .

ولكن لماذا سمى هذا الدير بالدير المحرق ؟

هناك نظريات كثيرة ولكنى اكتفى بذكر هذه النظرية التى تقول ان الدير كان بعيدا عن ماء النيل فى معظم ايام السنة ، وكان الحوض القريب منه تنضب فيه مياه الفيضان وتحصل تحاريق ، فسمى بالحوض المحرق ، وسميت الأرض من حوله بالمحرقة ، وسمى الدير تبعا لذلك بالدير المحرق .. وهذا ماتؤكده الخرائط المساحية .

وقد اشتهر رهبان هذا الدير من قديم الزمان بالعلم والتقوى وامتد أثرهم الكرازى والعلمى خارج مصر ووصل بعض هؤلاء الرهبان الى جنوب أوربا ووسطها وشمالها حتى ايرلندا .

وكلمة راهب من الرهبة ، والكلمة القبطية التى تقابل راهب هى موناخوس ومنها اشتقت الكلمة اللاتينية Monachvs والانجليزية Monk والفرنسية Moine وتعنى جميعا المتوحد ، فالراهب هو المتوحد الذى اعتزل الناس ليحيا منفردا بعيدا عن المجتمع ليتهيأ له الوقت الكافى لينمو باطنيا وروحيا (كتاب "الدير المحرق" للانبا غريغوريوس)

● وختاما ●

لا أدرى لماذا لا تقوم لجنة من وزارات السياحة والثقافة والتعليم والهجرة لوضع خطة لتوفير الوسائل والامكانيات التى تسمح بقيام سياحة داخلية وخارجية لهذه الاماكن التى مرت بها العائلة واقامت فى بعضها فى رحلتها التاريخية من سيناء حتى الدير المحرق حيث تقوم كنيسة العذراء الاثرية التى تبعد ٤٨ كيلو مترا عن مدينة اسيوط .. انها سياحة قومية ودينية وتاريخية وحضارية .

وأسجل هنا فى نهاية كلمتى ماكتبه الدكتور سليمان حزين فى ١٩٦٢/١١/٩ عندما كان مديرا لجامعة اسيوط بعد زيارته للدير المحرق :

« فى أرض وادى النيل بقاع جمعت بين القداسة والقيم الروحية الاصلية ، وهذا الدير العظيم واحد من تلك البقاع . وقد مرت أمامى وانا ازور هذا الدير صفحات جيدة من الكفاح الروحى من اجل حرية الفرد والحفاظ على العقيدة ضد طغيان الرومان والغزاة . وانه لغذاء للروح ان تتاح الفرصة لزيارة هذا الدير العريق" .



شعر: البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية
ريشة: عادل ثابت

غريبا عشتُ فى الدنيا نزيلا مثل ابائى*
غريبا فى أساليبى وأفكارى وأهوائى
غريبا لم أجد سمعا أُفَرِّغ فيه آرائى
يحار الناس فى القى ولا يدرون ما بائى
يموج القومُ فى أرَقٍ وفى صخب وضوضاء
وأقبع ههنا وحدى لقلب الوادع النائى
غريبا لم أجد بيتا ولا ركنا لإيوائى

★ ★ ★

تركتُ مفاتن الدنيا ولم أحفل بناديها
ورحتُ أجرُّ ترحالى بعيدا عن ملاهيها
خلىَّ القلب لا أهفو لشىء من أمانيها
نزيه السمع لا أصغى إلى ضوضاء أهليها
أطوفُ ههنا وحدى سعيدا فى دياجيها
بقيثارى ومزمارى وألحان أغنيها
وساعات مقدسة خلوت لخالقى فيها

★ ★ ★

أسير كأننى شبح يموج لمقلة الرائى
غريبا عشت فى الدنيا نزيلا مثل آبائى



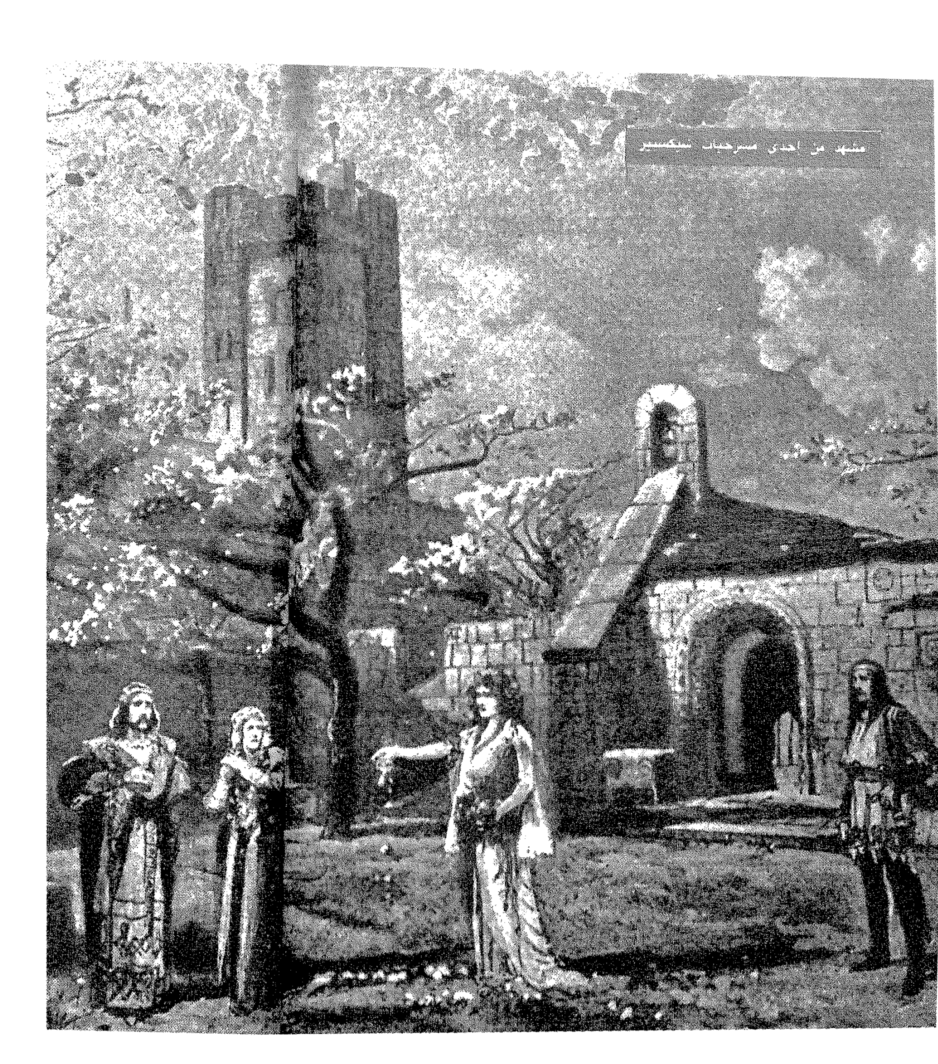
كسبت العمر لا جاه يشاغلنى ولا مال
ولا بيت يعطلنى ولا صحب ولا آل
هنا فى الدير آيات تعزينى وأمثال
هنا الإنجيل مصباح ولا يخفيه مكيال
هنا لا ترهب الرهبان قضبان وأغلال
ولا تلهو بنا الدنيا فإدبار وإقبال
أقول لكل شيطان يريد الآن إغرائى
حذار فإننى أحيا غريبا مثل آبائى

(*) الآباء هم رهبان الكنيسة المرقسية

كريم الراوى

كاتب مصرى فى المسرح الإنجليزى

بقلم: د. صبرى حافظ


مشهد من احدى مسرحيات شيكسبير

لاشك أن ظهور كريم الراوى فى ساحة المسرح الانجليزى المعاصر ظاهرة جديرة بالاهتمام . فمع أن هذه ليست المرة الأولى التى يختار فيها كاتب مصرى أن يكتب أعماله باللغة الانجليزية ، أو بالأحرى تختار له الظروف أن يعبر عن طاقته الابداعية بلغة غير لغته الطبيعية الأم ، فقد سبقه قبل سنوات وجيه غالى الذى نشر رواية جميلة (جعة فى نادى البلياردو) منذ أكثر من عشرين عاما ، ثم أعقبته أهداف سويف التى نشرت هى الأخرى رواية شائقة (عائشة) قبل سنوات قلائل ، فإن هذه هى المرة الأولى التى يعرض فيها مسرح الرويال كورت الشهير عملا مسرحيا لكاتب مصرى . ولا يقل هذا الأمر أهمية بأى حال من الأحوال عن نشر البنجوين لرواية وجيه غالى فى الستينيات . وربما يتجاوزه من حيث الأهمية لأن مسرح الرويال كورت لا يراهن عادة إلا على الجياد المسرحية الواعدة بالعطاء الجاد .

كـــريـــم الـــــراوى

ولايقدم الكتاب الجدد على خشبته الرئيسية ـ حيث إن له خشبة أخرى تجريبية هى « المسرح العلوى » يقدم عليها أعمال الكتاب الناشئين ـ إلا بعد أن تترسخ أقدامهم ، وتتوطد فى عالم المسرح الجاد مكانتهم . وعلاوة على هذا كله ثمة عامل يؤكد أهمية هذا الحدث الأدبى البارز . لأن من الجائز أن يزاحم كاتب أجنبى الانجليز فى مجال الرواية المكتوبة بالانجليزية . ولا غرو فقد أصبح جوزيف كونراد ـ وهو بولندى الأصل أوكرانى المولد ـ واحدا من أهم أعلام الرواية الانجليزية الحديثة ومن أكثرهم ثراء وأهمية . كما أن أحد أبرز كتاب الرواية الانجليزية المعاصرة ، وهو سلمان رشدى ، هندى الأصل والمولد . لكن من الصعب الذى يشارف حدود المستحيل أن يزاحم أجنبى الانجليز فى عالم المسرح : فنهم الأثير . وهناك استثناء فى هذا المجال ، هو الكاتب النيجيرى الكبير وول سوينكا ، الذى برع فى مجالى الرواية والمسرح على السواء . ولكن الأمر بالنسبة لهذا الاستثناء الوحيد مختلف كلية عن حالة كريم الراوى . فوول سوينكا ، برغم جمال مسرحه ، وعذوبة شاعريته الشفيفة ، لايكتب مسرحا انجليزيا ، وإن كانت لغة هذا المسرح هى اللغة الانجليزية . لأن مسرح سوينكا مسرح افريقى حتى النخاع . يضرب بجذوره فى أرض الرؤى الأسطورية للقارة الافريقية العذراء . وينهض منطق البناء فيه على ميراث ثرى من الثقافة السوداء ذات التيارات التحتية العامرة بالرموز البكر ، والتصورات المثقلة بالشعر والحكمة ، أما مسرح كريم الراوى فهو مسرح انجليزى خالص . لا يمكن بأى حال من الأحوال فصله عما يدور فى ساحة المسرح الانجليزى المعاصر . ولاتستطيع سبر أغواره ، وإدراك مغزاه وحقيقة مراميه ، دون وضعه فى مكانه المحدد من خريطة المسرح الانجليزى فى الثمانينيات . فمن هو كريم الراوى ؟ وماهى تفاصيل المشهد المسرحى الانجليزى فى الثمانينيات ؟ وماهو موقعه على خريطته ؟

● واقع جديد ●

ولد كريم الراوى فى مدينة الاسكندرية فى الرابع من مارس عام ١٩٥٢ لأبوين مصريين من الطبقة الوسطى وأمضى كريم طفولته فى ربوع هذه المدينة الساحلية الجميلة التى أنجبت العديد من كتاب المسرح المصرى الموهوبين ، بدءا من عبد الله النديم حتى الفريد فرج . وتلقى تعليمه الابتدائى والاعدادى فى هذه المدينة المتوسطة التى لاتزال ذكرياتها عالقة فى وجدانه . ولكنه مالبث ، وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، أن انتزع من مدينته ذات التراب الزعفرانى . إذ جاء به أبوه الى لندن لأنه كان ـ كما روى لى كريم ـ موظفا فى إحدى الشركات الأجنبية ونقلته الشركة للعمل بمقرها فى لندن . كان هذا عام ١٩٦٦ وكانت المدينة الضبابية قد تخلصت كلية من أزمة تمزقات عام ١٩٥٦ ، التى يعرفها الانجليز باسم حرب السويس . واستردت حكومة العمال الحكم ، بعد أن بقى لعشرة أعوام فى أيدى المحافظين . وأخذت فى تطبيق

برنامجها التعليمى الذى استهدف القضاء على طبقية التعليم ، وفتح الباب على مصراعيه امام القادرين علميا ، مهما كانت أصولهم الطبقية ، وكان من نتائج هذه الاصلاحات إنشاء ماعرف باسم « المدرسة الشاملة » التى ترمى الى القضاء على أرستقراطية التعليم ، وعلى أسلوب « العزل » غير الصحى السقيم الذى كان يؤدى الى فصل الطبقة المتعلمة عمن حكم عليهم النظام التعليمى بالبقاء فى أسر الطبقات العاملة منذ الحادية عشرة من العمر ، لايعرفون غيرها ولايخالطون إلا أترابهم من بنيها .

فى إحدى هذه المدارس الشاملة الجديدة « مدرسة هاكنى الشاملة » بشرق لندن أكمل كريم تعليمه الثانوى وتفتح وعيه على واقع جديد ، مغاير كلية للواقع السكندرى الذى خلفه- وراءه . واقع الجانب الشرقى الفقير من مدينة لندن ، حيث يتزاحم ضحايا الثورة الصناعية من العمال المطحونين ، مع ضحايا المرحلة الاستعمارية ، وما بعد المرحلة الاستعمارية ، من الذين سعوا الى انجلترا جريا وراء وهم الخلاص ، فرارا من ميراث الاستعمار الطاحن ، الذى تنوء بلادهم تحت كلاكله . ولم تتمكن بعد من التحرر من ربقة علاقاته الجائرة . كان هؤلاء هم أبناء البلاد التى استنزفها المستعمر قبل أن يجلو عنها . وترك فى معظمها حكومات لاتقل بطشا واستغلالا عن صنائعه القدامى ، الذين كانوا يديرون البلاد لحسابه وهو قريب ، فأصبحوا يديرونها فى الغالب لحسابه وهو غائب ، أو لحساب انفسهم ، على أحسن الاحوال . وقد هرب معظم هؤلاء المهاجرين من مواضعات القهر والتخلف فى بلادهم ، الى لندن علهم يستطيعون لأنفسهم انقاذا ، فواجهوا فيها واقعا جديدا لايقل قسوة وشراسة عن ذلك الذى خلفوه وراء ظهورهم بين أبناء العمال الفقراء ، وابناء المهاجرين من الملونين ، الذين وجدوا انفسهم هدفا سهل المنال لإحباطات العمال ، ومتنفسا لقهرهم ، وجد ابن الاسكندرية نفسه فى عالم جديد عليه كلية ، مغاير لعالم الطبقة الوسطى الهادىء الذى خلفه وراءه على شواطىء المتوسط الجميلة . عالم مليىء بالحدة والعنف والتوتر ، ولا يستطيع كريم الصبى إزاءه ، غير العمل المستمر على استيعاب كل مايدور حوله بعقل يقظ ، ولا يلتقط اللكنة والمفردات الأجنبية وحدها ، ولكن يستوعب ما وراءها من علاقات وظلال ، ويستكشف ماتخفيه التراكيب اللغوية ، من تركيبات اجتماعية وطبقية معقدة .

● مستودع زاخر ●

وكانت هذه الفترة ــ والتى امتدت لخمسة اعوام ، هى كما سيبدو فيما بعد من كتابات كريم ـ فترة تكوين الموقف النفسى والانفعالى من المجتمع الانجليزى . وهى كذلك فترة تشكيل التيارات التحتية لموقف الكاتب الفكرى والايديولوجى مما يدور فى هذا المجتمع من توترات وصراعات . لأن هذه الفترة ظلت هى المستودع الزاخر ، الذى يستمد منه كريم الكثير من الرؤى والشخصيات ، والذى يؤسس عالمه المسرحى فى قلب مواضعاته ، ويقيمه وفق قوانينه ومنطقه . مع أن كريم سرعان ما ابتعد عن هذا العالم قليلا ، وتعرف على عالم اكثر توازنا

فى تمثيله للمجتمع الانجليزى ، عندما التحق عام ١٩٧٠ بقسم الهندسة المعمارية والانشائية فى « كلية الجامعة » التابعة لجامعة لندن ، وحصل منها فيما بعد على بكالوريوس الهندسة عام ١٩٧٣ . لأن تأثير هذا العالم المتوازن نسبيا ، والذى عرفه فى محيط الجامعة ، لم يظهر بعد فى عالمه المسرحى ، وإن ساهمت معرفته به فى تعميق فهمه للعالم الاول ، واحكام سيطرته على مفرداته ، ومواضعاته معا . وكانت فترة الدراسة الجامعية هى - كالعادة - مرحلة التفتح الادبى ، والمساهمة فى النشاط الجامعى والانفتاح على الابعاد الثقافية المختلفة فى المجتمع . ولذلك كان طبيعيا أن يجرب كريم ، فى هذه الأثناء قلمه فى كتابة الأقاصيص التى نشرها فى مجلات الجامعة .

وبعد أن تخرج كريم فى جامعة لندن ، ذهب الى مانشستر ، حيث واصل الدراسة بها وحصل منها على ماجستير فى الهندسة المعمارية عام ١٩٧٥ . ثم عمل بعدها مهندسا لمدة عامين . اكتشف خلالهما أن عمل المهندس الناشىء لايختلف كثيرا عن عمل « ريس » العمال وإن تميز « ريس » العمال عليه بطول الخبرة ، والحنكة ، والقرب من العمال الذين طلع من بين صفوفهم . ولذلك سرعان ماسئم كريم وظيفته الجديدة ، وقرر العودة الى الدراسة من جديد . فالتحق بكليته القديمة فى جامعة لندن عام ١٩٧٧ للدراسة للدكتوراه فى الهندسة الانشائية وأمضى بالفعل عامين فى هذه الدراسة العليا ، يجهز الابحاث ويعد الرسوم . وبعد هذين العامين غيرت المقادير مجرى حياته . إذ وقع له حادث صغير ما لبث أن اكتشف معه أن الهندسة ليست طريقه ، برغم ماقطعه فيها من شوط صعب وطويل .

كان كريم الراوى قد كتب بعض الأقاصيص ، أثناء رحلة دراسته الجامعية الأولى ، كما ذكرت من قبل . ولكنه وبعد عامين من الدراسة للدكتوراه ، جرب قلمه فى الكتابة للمسرح . وكتب مسرحيته الاولى (شاى بارد) عام ١٩٧٩ ، وهى مسرحية قصيرة على عادة معظم المسرحيات الأولى . وأرسلها كريم بالبريد الى قسم الدراما بهيئة الاذاعة البريطانية ، فقبلتها الاذاعة وانتجتها لواحدة من أهم محطاتها وهى محطة « راديو ٤ » التى تعادل البرنامج العام فى إذاعة القاهرة مثلاً . وليس غريبا أن يقبل البرنامج هذه المسرحية الرقيقة المرهفة . لأنها عبارة عن منولوج طويل متقطع لامرأة اجنبية عجوز ، تزوجت انجليزيا وجاءت الى انجلترا للحياة معه فى بلده . تركت وطنها ، وجعلت الرجل محور حياتها ومدار كل شىء فيها . لكن هذا الرجل ما لبث أن مات ، وتركها وحدها تلف فى بيت خال ، لاتجد من تحادثه فيه غير الجدران وقطع الأثاث . وتقدمها لنا المسرحية وهى تدور فى البيت تنظف الغرف ، وتطعم القطة وتتكلم فى منولوجات متقطعة لا تلبث أن تتخلق منها صورة متكاملة لحياة تلك المرأة المستوحشة المغتربة ويتجسد عبرها عالمها المحدود ، الذى انهار عموده واختل نظامه ، وأخذت جدرانه تطبق عليها بلا أمل فى أى تغيير . وتنهض من بين

كلمات منولوج المسرحية المتقطع ـ صورة متكاملة لشخصية انسانية نابضة بالحياة ، مشحونة بالرؤى والمشاعر . وقادرة ، وهذا هو الأهم ، على تجسيد حالة عامة : حالة اليتم والقطيعة والعزلة التي يجد المهاجر نفسه فيها بالقرب من نهاية الرحلة ، وقد تكشفت أحلامها عن خواء ، وباخ مذاق الحياة فى فمه ، وكأنه « شاى بارد » لم ينتبه الى أنه فاته أن يشربه فى ريعان سخونته إلا بعد فوات الأوان .

● اهتمام نقدي ●

وفى العام التالى ، عام ١٩٨٠ كتب كريم الراوى مسرحية من فصل واحد بعنوان (قبل الفجر) قرأها أولا فى مسرح « المساحة الخالية » وكان من أهم المسارح التجريبية اللندنية فى السبعينيات . ولكن واجهته مجموعة من الصعوبات المالية أدت إلى إغلاقه ، وكان هذا المسرح الطليعى قد اكتفى فى أخريات أيامه بعقد أمسيات لقراءة المسرحيات التى كان يود انتاجها لولا ضيق ذات اليد . وكانت مسرحية كريم تلك بين آخر المسرحيات التى قرأت فى مسرح « المساحة الخالية » الذى أخذ اسمه من تبنيه لفكرة بيتر بروك الشهيرة عن جوهر الظاهرة المسرحية الذى يمكن أن يتحقق فى أية مساحة خالية . والذى تقاسم مع « الرويال كورت » اكتشاف أبرز المواهب المسرحية فى جيل السبعينيات . ثم عرضت هذه المسرحية بعد ذلك على خشبة مسرح « سوهو بولى ثياتر » وهو مسرح تجريبى صغير ، كان من أنشط المسارح الصغيرة فى قلب لندن ، وفى حى « سوهو » المعروف فى « الويست إند » منطقة المسارح التجارية الكبرى بالعاصمة الانجليزية وكان هذا المسرح واحدا من المسارح التجريبية العديدة ، التى تقدم عروضها ظهرا وأثناء فترة الغداء ولذلك فإن معظم عروضها كانت من مسرحيات الفصل الواحد التى ساهمت فى خلق تيار متميز من المسرحيات عرف باسم زمن عرضه « مسرح فترة الغداء » وقد لفتت هذه المسرحية القصيرة نظر الناقد المسرحى لصحيفة (الجارديان) الذى كتب عنها بشكل إيجابى مشجع ، ضمن مراجعاته لهذا التيار الجديد من المسرحيات التجريبية التى تعرض ظهرا .

ولأن الظاهرة النقدية المسرحية فى انجلترا ـ برغم أن بها شيئا من الشللية التى يعانى منها النقد المسرحى العربي ـ لاتزال ظاهرة جدية ولاتعانى من الابتسار والتسطح اللذين أودا بقيمة معظم النقد المسرحى العربى ، وكل مايرتبط بالصحافة منه ، فقد كان لكلمات ناقد (الجارديان) الايجابية دور ملموس فى لفت الانظار الى جهود كريم الراوى المسرحية الشابة . إذ شجع هذا التقريظ النقدى لمسرحيته الاولى نفس المسرح على انتاج مسرحيته القصيرة التالية : (غرباء) بعد شهور . وقد حظيت تلك المسرحية أيضا بما حظيت به سابقتها من اهتمام . مما حدا بمجلس الفنون البريطانى الى الاستجابة لهذا التشجيع النقدى ، وترجمته الى حقيقة مادية ملموسة . فقدم له فى عام ١٩٨١ إحدى منح التفرغ الأدبى التى يشجع بها الكتاب الشبان على التفرغ للكتابة الابداعية . **وهى منح صغيرة فى قيمتها المادية ، لكنها كبيرة فى قيمتها الأدبية**

كـــريـــم الـــــراوى

تذكرنا بمنح التفرغ الأدبى والفنى ، التى عرفتها الحركة الثقافية المصرية ، فى سنوات الازدهار الثقافى فى الستينيات . عندما تولى الدكتور ثروت عكاشة زمام الثقافة فى مصر ، فأحسن تسيير دفته .

● نجاح جماهيرى ●

وكان لهذه المنحة الصغيرة أثرها الحاسم فى حياة كريم الراوى . إذ قرر التخلى كلية عن دراسة الدكتوراه ، وكرس جهوده لكتابة المسرح . وكتب فى هذا العام بالفعل مسرحيته الطويلة الأولى (هجرات) التى تنهض على مسرحيته القصيرة (قبل الفجر) ، وتناوش موضوع مسرحيته الاذاعية الأولى (شاى بارد) والتى ستتريث عندها فيما بعد . وقد عرضت (هجرات) على « المسرح الملكى » بسترادفورد الشرقية فى لندن ، وهى غير سميتها الواقعة فى مقاطعة واريك ، والتى كانت مسقط رأس الشاعر الانجليزى العظيم وليام شكسبير . ومع أن هذه المسرحية تتميز بقليل من الحدة وكثير من الصراحة الصادمة ، فقد لقيت نجاحا نقديا وجماهيريا ملحوظا . وبلغ هذا النجاح ذروته عندما فازت المسرحية بجائزة « جون وايتنج » التى يقدمها مجلس الفنون البريطانى الى أفضل المسرحيات الجديدة الشابة كل عام . وكانت هذه الجائزة مفاجأة حقيقية لكريم . لأن من النادر أن يفوز بهذه الجائزة المرموقة كاتب مسرحى عن مسرحيته الأولى . فلم يفز بها توم ستوبارد إلا بعد مسرحيته الرابعة ، كما نالها دافيد إدجار عن مسرحيته الثالثة . وقد دفع نجاح هذه المسرحية الفنى والنقدى معا « المسرح الملكى » بسترادفورد الشرقية الى تعيين كريم الراوى كاتبا مقيما به فى عام ١٩٨٣ . وبدأ فى هذه الفترة فى كتابة مسرحيته الطويلة الثانية (مناخ أبرد) ولكن أنباء الفوز بالجائزة ، والتى جاءته عقب البدء فى كتابة مسرحيته الطويلة الثانية تلك ، مالبثت أن شلته ، لأكثر من عام ، عن مواصلة العمل فيها . لأنها ضاعفت إحساسه القوى بالمسئولية . وأدت الى تهيبه الكتابة بعدما أصبح مطالبا بالتفوق على نفسه مع كل عمل جديد ، وتأكيد جدارته بالتقدير الذى حظى به من النقد والدولة على السواء .

وكان اتصال فرقة « جوينت ستوك » به فى عام ١٩٨٤ ، هو الأمر الذى انتشله من حالة الجمود التى عانى منها لأكثر من عام . وفرقة « جوينت ستوك » وتعنى « المخزون أو الحصاد المسرحى المشترك » هى فرقة مسرحية تجريبية تعتقد ـ كما يشير اسمها ـ أن التجربة المسرحية هى المخزون أو الحصاد الانسانى المشترك لخلاصة الخبرات البشرية ، بالنسبة لموضوع ما . ولهذا يقوم عملها على مبدأ الابداع الجمعى ، والمعرفة الشخصية الحميمة بالواقع الذى ينبثق عنه الموضوع المسرحى ، وكان العمل فى بوتقة الابداع الجمعى تلك بالنسبة لكاتبنا هو الخلاص من أزمة تهيب الكتابة ، ومطالبة الذات بما فوق طاقتها : الاقتراب من ألق الحلم دون الاجهاز عليه بتحقيقه . وكان الموضوع الذى أرادت

الفرقة اعداد عمل مسرحي عنه وعهدت الى كريم يدور كاتب النص فيه هو موضوع الخطر النووى . وهو موضوع ساخن بحق ، وقادر على إخراج أى كاتب من قوقعة التشكك فى الذات ومقارعة الحلم . وبدأ كريم فى العمل مع هذه الفرقة وفق برنامجها الذى يقوم على بحث الموضوع فى موقعه الطبيعى ، والحياة مع الناس فيه ، واجراء مقابلات مطولة معهم طوال ثلاثة أسابيع يتشبع فيها الكاتب والفرقة بالموضوع والمناخ معاً . ثم إعطاء الكاتب بعد ذلك مدة عشرة أسابيع يكتب فيها مسودة النص الذى تقوم الفرقة أثناء التدريب على العرض بإدخال تعديلات عديدة عليه بالاشتراك مع الكاتب بالطبع .

واختارت الفرقة مع كاتبها منطقة ساليفيلد بشمال انجلترا . وهى منطقة تتجاور فيها المتناقضات المشحونة بالتوترات الدرامية . لأن ساليفيلد تقع فى منطقة البحيرات التى خلد جمالها الطبيعى الساحر شعراء الحركة الرومانسية الانجليزية ، وخاصة تلك المجموعة التى عرفت منهم باسم « شعراء البحيرة » وعلى راسهم وليام وردزورث ، وصامويل كوليريدج ، وروبرت ساوثى . ولكنها مع ذلك المنطقة التى يقع فيها واحد من المفاعلات النووية الكبيرة ، والتى شهدت واحدة من اكبر حوادث تلك المفاعلات فى انجلترا ، حيث تطاير الوقود النووى ، وما أن لمس سطح البحيرة حتى اشتعل . فبدا الأمر وكأن البحيرة نفسها قد شبت فيها النيران . وهذه هى الصورة التى استعارها كريم عنوانا لمسرحيته الثانية (نار فى البحيرة) . وهى ايضا المنطقة التى تصل فيها نسبة لوكيميا « سرطان الدم » الأطفال الى أعلى نسبة لها فى بريطانيا ، وكأن هذا المرض الكريه يحصل من الأطفال ضريبة دخول ذويهم الى العصر النووى . وأصر كريم على أن يصطحب معه ، أثناء فترة الدراسة الميدانية لموضوعه ، محللا نفسيا يستطيع أن يحول به مراقبة الظاهرة من الخارج ، الى عملية غوص دقيقة فى قاع النفس البشرية ، التى تعيش التوتر المستمر بين الجمال الطبيعى المطلق ، والخطر النووى المرعب . وحتى يتمكن بمساعدته من الكشف عن تناقضات حياتهم الباطنية وتجاوز قشرة النفاق والمراءاة والأفكار والصياغات الجاهزة . وكتب كريم النص ، وعملت عليه الفرقة ثم عرضته فى مهرجان إدنبرة عام ١٩٨٥ ، ونالت به جائزة أهم مسرحيات « المعمل المسرحى » فى هذا المهرجان الذى يعد أهم مهرجانات المسرح التجريبى فى العالم .

بعد هذه التجربة استطاع كريم من جديد العودة الى كتابة المسرحية ، فاكمل مسرحيته المتروكة (مناخ أبرد) التى عرضها « الرويال كورت » هذا العام ، والتى أدى نجاحها النسبى ، الى تكليف مسرح « الرويال كورت » له بكتابة مسرحيته التالية له . وهى المسرحية التى سيمزج فيها كريم معرفته الحميمة بالواقع الانجليزى ، بحبه لوطنه الأم مصر ، إذ سيتناول فيها كما قال لى تجربة الانجليز فى مصر ، وخاصة بعدها السويسى .

هذا هو كريم ، وهذه هى قصته . ولكن ماذا قدم مسرحه ؟ وماهو موقعه على خريطة المسرح الانجليزى المعاصر ؟ هذا ما سنجيب عنه فى المقال القادم .

الشتاء

مجلة تصدر شتاءً وتحتجب صيفاً

بقلم : أحمد حسين الطماوى

الشتاء اسم مجلة كانت تصدر فى مصر شتاء وتحتجب صيفا والعلة فى ذلك راجعة الى الطقس وطبيعته فى الفصلين .

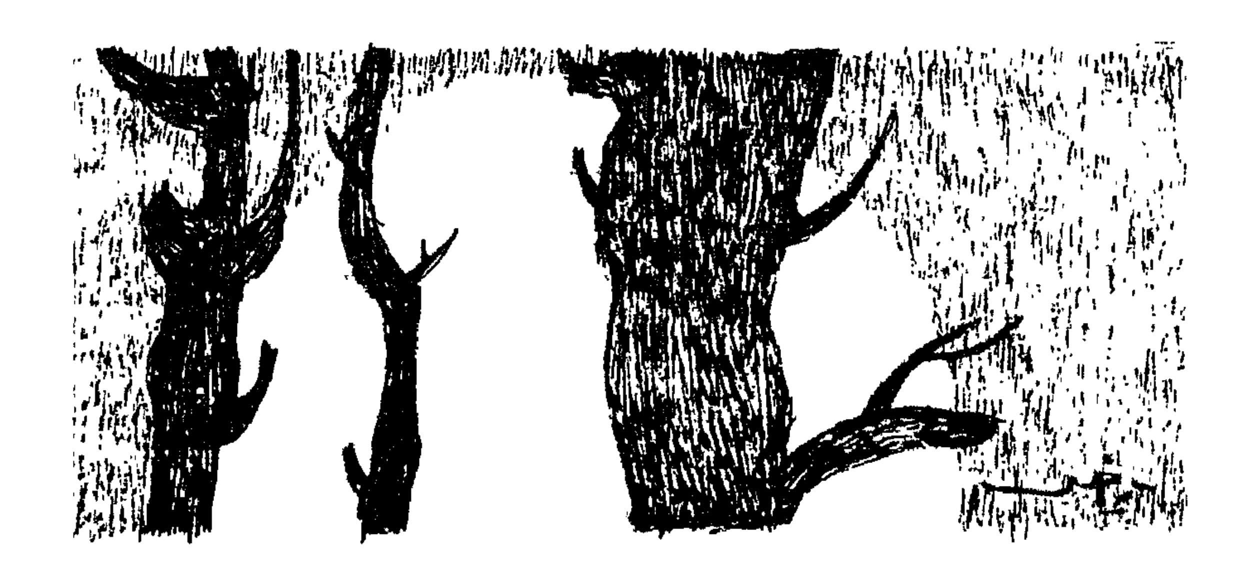
ففى الشتاء حيث البرودة والصقيع ، وسقوط الامطار واشتداد الرياح ، يلوذ الناس ببيوتهم ، ويشعلون مواقدهم ويستدفئون بفراشهم ، وتطول تبعا لذلك اوقات فراغهم ، فيتسلون بالقراءة والنظر فى المجلات وتلاوة ماينور القلوب .

حديثنا هذا ينسحب على زمن مضى فى مطالع القرن العشرين، حيث لم يكن هناك جهاز المذياع ، ولاجهاز المرناة ، فضلا عن ان الخيالة (او السينما) كانت صامتة ، وغير منتشرة فى القطر انتشارها اليوم . فلم تكن امام المرء تسلية او متعة سوى القراءة والمسارح ، واستطلاع اخبار الدنيا والناس والعلم والفكر الا من الكتب والدوريات .

وفى الصيف حيث الهجير والقيظ، ولفح السموم ، وضيق النفوس ، وتصبب العرق ، يرحل الناس من بيوتهم الى حديقة غناء ، او يجلسون قرب جدول نمير او شاطىء بحر كبير والاغنياء منهم يذهبون الى اوربا او لبنان حيث الطقس المعتدل ، والجو اللطيف ، وفى هذه الاحوال تقل الكتب والصحف والمجلات .

لهذا رأى صاحب هذه المجلة ان تصدر شتاء ، وتتوقف صيفا ومسايرة لاحوال المعاش ، وموافقة امزجة الناس .

ولم تكن مجلة « الشتاء بدعا فى هذا المجال وانما كانت تنهج طرائق مجلات أخرى تتوقف فترة الصيف ثم



تعود الى الظهور عند انقضائه فقد كانت مجلة « الهلال » - فى اهم مراحلها - تصدر عشرة شهور، وكان صاحبها جرجى زيدان يدفع الى قرائه برواية من رواياته التاريخيـــة تعويضا لهم عن احتجاب الهلال مدة شهرين • وكانت مجلة « الضياء » لليازجى تتوقف ما بين يوليـو وسبتمبر ، وجارتهما مجلة « انيس الجليس » التى كانت تصـدرها الاميرة الكسندرا افرينوه وبخاصة فى سنواتها الاخيرة ، وكانت هذه السيدة تعمل على تعويض المشتركين فترة توقف مجلتهـا بزيادة عـدد صفحات كل عدد بحيث يكون مجموع صفحات المجلة فى الاعداد العشـرة مساويا لعدد صفحات المجلة حينما كانت تصدر شهرية •

وربما لا يلحظ القراء قلة اقبال الناس على القراءة صيفا ، ولكـن ارباب الصحف ، يدركـون ذلك من ارقام التوزيـع ، على ان توقف ايه مجلة محددة فى العـام من شانه ان يعطى هؤلاء الكتاب الذين اصيبوا بداء الفكر فرصة للاسترواح ،والتقاط الانفاس ، والتفكير فى تجديد المجلة بما يستحدث فيهـا من ابواب ، وما يعد لها من موضوعات تشـحذ الاذهان وتفيد القراء •

● ربيع حافل بالورود ●

« الشتاء » مجلة اصدرها الاديب السورى سليم عنحـورى (١٨٥٦ - ١٩٣٣) فى القاهرة فى اول ينـاير سنة ١٩٠٦ • وصاحبها جواب افاق، كثير الاسفار يقول عن نفسه : « انا الشامى صيفا - المصرى شـتاء » • كان يأتى من وطنه سوريا الى مصر شتاء لان « شتاء مصر ربيع جـوه بسام ، وروضه حافـل بالورود والنرجس النمام » ولا يأتى الرجـل ليستمتع بجو مصـر فقط ، وانما ليحرر مجلة طيلة بقائه فيهـا ، فاذا حل شهر ابريل ونشطت الخماسين ، ولاحت فى الجو نذر الصيف ، اغلق الرجل مجلته ، ورحل الى بلاده ، او الى اى مكان اخر ينشد فيه الراحة، ويخلد الى اوراقه واشعاره •

لا يعجب القارىء من سـهولة استصدار صحيفة او مجلة • فقد كان المـرء فى ذلك الوقت اذا رغب فى اصدار دورية فما عليـه الا ان يعد المادة العلمية ، ويحصل على الورق ويتفق مع المطابع لتكون هذه الاشياء

الشتاء

صحيفة او مجلة يطالعها القراء فى الصباح • لذلك كثرت الصحف والمجلات فى تلك الحقبة حتى ان القارىء يجد اكثر من خمسين دورية تظهر فى وقت واحد •

●●●

قدم سليم عنحورى مجلته الى القراء فى عدد يناير ١٩٠٦ بكلمة خفيفة لطيفة فيها دعابة وفكاهة لتكون مقبولة لديهم قال : « هذه مجلة شتائية او شتوية على هذا تريدون انتم واظن انه لا يغضب علينا سيبوية •• خفيفة المشرب •• ان شئتم تستعملتموها مروحة فى ايام الحراو احرقتموها فاتدفئتكم عنداشتداد القر ، او جلدتموها فكانت كتابا محفوظا فى خزائنكم ابد الدهر وهو الرأى الاصوب فيما ارى •• »

لم تكن مجلة الشتاء فى مستوى « الهلال » او « الضياء » او « الجامعة » مثلا ولكن الموضوعات التى عالجتها لم تقصر فيها • بل كانت تصحح ما كانت تخطىء فيه المجلات الشهيرة ، وسوف نعرض لجهود المجلة فى مجال الشعر والتمثيل والنقد الاجتماعى • وفى هذا النوع الاخير من ميادين الفكر كان عنحورى يكتبه بأسلوب بسيط ساخر ، وعبارة موجزة معبرة فاذا تحدث عن الجنسين ـ الرجل والمراة ـ لم يلجأ الى المقالات الطوال ، والتحليل الممل ، والسرد التاريخى المملوء بالاسماء والوقائع ، وانما يقول فى عبارة او عبارتين ما يقوله غيره فى صفحة او صفحتين مع الاجادة والافادة ، فمن ابواب المجلة « انت » بفتح التاء ، « وانت » بكسرها ، وفيه ينتقد تصرفات الناس وعلى سبيل المثال يوجه النقد الى الرجل على هذا النحو :

ـ انت تنتاب التياترو العربى والافرنجى مرات • زر المكتبة ولو مرة •

ـ الاكل فى السوق عيب ما رأيك فى الشتائم •

ـ انت تنفق الالوف فى سبيل اسرافك وترفك ولا تبذل العشرات فى سبيل الخير او الضيافة •

ويوجه النقد الى الانثى فيقول :

ـ انت ذات بنان ناعم واكف رخصة لطيفة فلماذا تجهدينها بحمل الشنطة ولك جيوب تسع منديلك وزيادة •

ـ انت يا سمراء جذابة ولطيفة المعانى فلماذا تموهين سمرتك الصادقة ببياض كاذب •

ـ انت لسم الله عليك « حاجة فيتو قوى » فلماذا تستحين ان تتكلمى ولا تستحين ان تتحمرى وتتجمرى وتشتمى وتتهاكمى ؟

ـ انت تجردين السواعد وتظهرين الترائب فلا تحتيى اذا دعاءك المشوق وتعدى الواجب بهذه الكلمة القارصة، والعبارات الساخرة ، كان ينتقد تصرفات الخارجين على الاداب العامة من الجنسين •

واوسع عنحورى المراة نقدا ، وافسح لها مطرحا فى مجلته ليصور حياتها فى تلك الفترة التى واكبت الدعوة الى تحريرها وسفورها • فقد وصل حال المراة الى درجة كبيرة من الاستهتار وتقليد الاوربيات فى المظهر فقط ، فانصرف همها الى الجرى وراء الموضة واتلاف المال فى ادوات الزينة ، وراحت تنفق وقتها فى اللهو، وتهمل لغتها القومية وتتعلم لغة اجنبية تتحدث بها فى المجالس ظنا منها ان هذا يرفع من قدرها ويزيدها

رفعة وفضلا · وكانت النتائج اهمال النشء ، وتبديد الكسب ، واهتزاز الفضيلة عند خروج الازياء عن اللائق المقبول · وقد ضجت الصحف من هول هذا بقصد التأثير على المرأة · ولكن هيهات · وفي هذا الجو غير الصحي نظم عنحوري قصيدته التي يقول فيها :

رأيت الغيد تحفل بالعصائب
وتجعيد الغدائر والذوائب
وتجريد السواعد والترائب
وتنويع الملابس والمراكب
ورقص للعقائل غير واجب
ولهو يهد الوقت الثمينا
متى جمع الزمان بها رجالا
زهت تيها وعجبا واختيالا
وزادت في تصنعها الدلالا
وزايلت الرزانة والجلالا
وان حادثتها ابدت ملالا
ومالت نحو صف اللاعبينا
يغادرن المنازل الموصائف
ولوعا بالملاعب والمعازف
يضيعن النهار على الرفارف
بايراد المثالب والسفاسف
ولا يقرأن مما في الصحائف
سوى انباء رهط العاشقينا

والقصيدة طويلة وهي في مجملها تعطي صورة سيئة عن المرأة في مطالع القرن العشرين ·

●●●

المادة الشعرية :

اكتظت « الشتاء » بقصائد الشعر وجميعها باستثناء واحدة من نظم صاحب المجلة · فقد كان عنحوري شاعرا مجددا بمعنى الكلمة . وله عدة دواوين نذكر منها « سحر هاروت » و « بدائع هاروت » «السحر الحلال » « اية العصر » وغيرها ، ولعلنا نلمس تجديدا في عناوين الدواوين ، فقد كانت معظم دواوين الشعراء في تلك الفترة تسمى باسماء اصحابها · فهذا ديوان البارودي ، وذاك ديوان حافظ ·· وهكذا · فاذا تجاوزنا العنوان الى موضوعات الشعر الفينا الرجل ينأى عن المناسبات وبخاصة في مجلة «الشتاء» وكانت قصائده في مجلته تحمل عناوين عصرية او نفسية او غزلية او مستمدة من الحياة الاجتماعية او متعلقة بالفلسفة والطبيعة ، ومن تلك العناوين : الورد العاشق ، المغالطة ، الخيال ، السديم ·

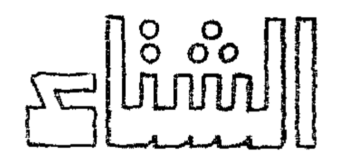
(السديم ضباب ابيض رقيق)مناغاة الى آخره · فاذا انتقلنا من العناوين الى المضامين وقفنا على شعر سلس جميل يثير الخيال ، ويحرك الشعور، ويعلق منه شيء بالاذهان لحلاوته وطرافته ، ومن هذا مقطوعته «زيارة في الغيم » يقول :

اتتني والغيوم قد اكفهرت
فعاد البيت ممتلئا ضياء
وعندي انها سلبت شعاع الـ
شموس وفصلت منه رداء
والا ما لهذا الافق داج
ومال الشمس تحتجب اختفاء
ولولا انها سرقت كلص
لما وافتك مطرقة حياء

ففي هذه الابيات فكرة واحدة ،كل بيت يحمل جزءا منها ، وملخص الفكرة ان الزائرة سرقت النور من الشمس ، « ظلمت الدنيا » · ومجيؤها الا دليل على هذه الفعلة ، والشاعر هنا يرتب خواطره وينظمها في اطار الفكرة الواحدة التي انطلق منها ·

وفي قطعة اخرى يستخدم قوافي اجنبية في ابيات عربية يقول في قصيدته « مناغاة »

وتلمانية عذراء ناغت
يا فرنسية والامل عون
اقول لها فدتك اليوم روحي
وكل عشيرتي فتقول بوتي
اقول لك الجمال تقول سي سي



اقول فواصلی نقفـــــول توتو
والبيت الاخير يذكـرنا بما قاله الشيخ حسن العطـار فى فتى فرنسى اثناء حملة بونابرت على مصر :
اقول وممـــــلا يقــول توتو
اقول هجـــرا يقـــول سى سى
وابيات صاحب الشـتاء تدل على سذاجة الرجال ، فالرجل يعتقد انه اذا اثنى على انثى وامتدح جمالهـا تقع فى شباك غرامه ، وقول شـوقى « والغواني يغرهن الثناء » صحيح ، ولكن المرأة ـ مع ذلك ـ لا تستجيب لثناء الرجـــل الا اذا أعجبت به وتوسمت فيه الصدق • ولو صح ان اطراء المرأة هو السبيل الى قلبها ، لعشقت الانثى كل يوم عشرات •

وقد جاءت المادة الشعرية غزيرة فى المجلة فهل اراد أن يحدث نهضـة شعرية • فينأى بالشعر عن اغراضه التقليدية ؟ أو أن الامر له صلة بفصل الشتاء ؟ أى هل تولد قراءة الشـعر شتاء الانفعالات ، وتبعث الدفء فى الجسد المقرور ؟

●●●

التمثيل

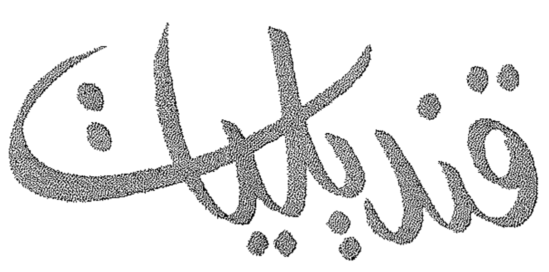
اهتمت « الشتاء » بتصـــحيح ما اخطأت فيه المجلات الشهيرة حول الحركة التمثيلية فى مصر • فقـــد ذهبت مجلة الهلال الى أن ســـليم النقاش « هو أول من مثل الروايات العربية فى القطر المصرى » وهو أول من انتقل من اللبنـــانيين الى ارض الكنانة ليمثل على ملاعبها • ورددت مجلة المقتبس (التى كان يصـدرها كرد على)هذا الكلام نقلا عن الهلال•

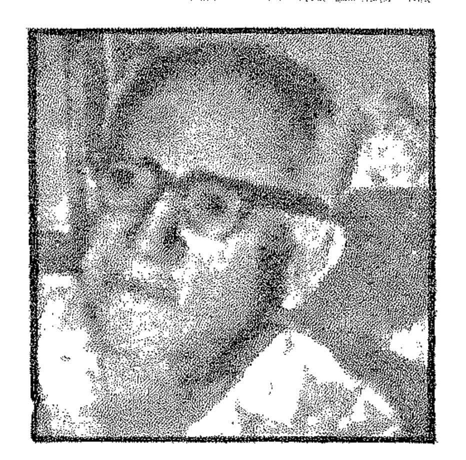
أما « الشتاء » فقد صـــححت القول وأثبتت بالدليـــل ان يوسف خياط جاء الى مصر قبل ســـليم النقاش ومثل على مسارحها روايتى « البخيل » و « المغفل » وهمـا من تأليف مارون النقاش ، ولبث «خياط» يمثل الى مابعد انصراف سـليم عن التمثيل الى الصحافة • ويبين صاحب الشتاء ان ما قاله صاحب الهـلال ماخوذ من « السن اقـوام لم يكونوا شهود ذلك الزمان » وقد اوردتــــا تصحيح عنحورى حتى لا يقع احـد من الباحثين فيما رواه جرجى زيدان ذلك ان الهلال اكثر شهرة ومقصـد الباحثين •

وفى الشتاء نجد مادة عن الممثل العربى « شكرى غانم » وكان شكرى قد الف رواية تمثيلية شــعرية بالفرنسية اودع فيهـــا جملة من اقاصيص عنترة ومثلهـا فى باريس وبين للفرنسيين والاوربيين « أنفـة العرب وشجاعتهم وذكاءهم ممزوجا برقة قلوبهم وحلاوة السنتهم وحسن وفائهم فى محبتهم » فلما جـاء الى القاهرة اعاد تمثيل هذه الرواية فى دار الاوبرا بحضور الخـديو وكان الالقاء بالفرنسية ، فاقيمت له حفلة تكريم فى يناير ١٩٠٦ حضرها علية القوم من امثال وزير المعارف ومعتمد فرنسا ومصطفى كامل •• وهنـاك صفحات فى « الشتاء » عن اسكندر فرح وفرقته وتطور فنه •

وتعتبر هذه المادة التى دونهـــا عنحورى عن الفن التمثيلى فى مصر مصدرا هاما من مصادر البحث عن جذور الحركة التمثيلية فى مصـــر والشام •

وتمضى « الشتاء » فى تنويـــع موضوعاتها ، وتثقيف قرائهـــا ، وتسليتهم ، حتى اذا صدر عـــدد ابريل ، وهل مايو ، ولاح الصـــيف فى الافق ، توقفت « الشتاء ورحـل صاحبها الى بلاد الله الواسعة •





بقلم: يحيى حقى

غلطتان..

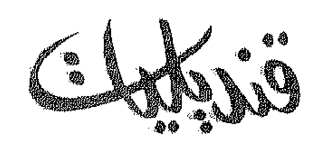
من الحكم المأثورة قولهم ، من ألف فقد استهدف ، وأريد ان اضيف أيضا ومن ترجم فقد خرف .. ما أصعب الترجمة ، لا يقوم اللفظ الواحد بنفسه بل بعلاقته مع بقية الألفاظ ومن استمداده من التراث ، وقد تتشابه لغة وأخرى في الألفاظ ولابد أن تختلف في عبقرية التعبير ،واللغة في نهاية الأمر ما هي إلا رموز ، وقد يظن بعض الناس أن ترجمة المسرحية هى أسهل شيء ، لأن الجمل قصيرة ، وتعبر عن الحياة اليومية بدون فلسفة ، في حين انها من أشق الترجمات لأن الحوار معتمد على حالة مجتمع ما في زمن ما ..

ومن العسير أن ينطبق حال أهل اللغة المترجم عنها واهل اللغة المترجم إليها ..

وقد اشتغلت زمنا بالترجمة واعترف الآن أننى ارتكبت غلطتين جسيمتين ..

الغلطة الأولى تحتاج الى تمهيد تاريخى ..

« سير برسى لورن » نعرفه فى مصر لأنه كان سفير بريطانيا لدينا ثم نقل إلى تركيا ، وهو رجل وسيم أنيق الملبس معتز بنفسه ، وقع ضحية كاتب اختص بمداعبة مشاهير الكتاب والسياسيين بتقليد أسلوبهم فى التعبير عن النفس ، واستعراض عضلاته بأسلوب نطلق عليه بالعامية لفظ « التريقة » ، فنشر نص تقرير زعم أن « برسى لورن » أرسله لوزارة الخارجية البريطانية يصف فيه كيف قابل الغازى مصطفى كمال فى مرض موته ، فاختلى به وافضى إليه بمخاوفه



على تركيا بعد وفاته وطلب اليه أن يحكم تركيا بعده .

كانت تكفى هذه « النتشه » ليدرك القارىء مربط الفرس ، ولكنى وقعت بسذاجة فى حبائل هذا الكاتب ، وترجمت التقرير على أنه وثيقة تاريخية ، ونشرت ترجمتى فى إحدى الصحف التى كنت اراسلها حينئذ ، ثم سرعان ما تبينت حماقتى وكتبت أنبه القارىء إلى الخطأ الذى وقعت فيه ، وقد نشر هذا التصحيح أيضا فى الصحيفة ..

وإذا بى أسمع هذه الايام وان كنت لم اقرأ ان هذا التقرير الوهمى كان من ضمن الحجج التى استند اليها بعض من يريدون التشكيك فى اخلاص تركيا للدين الاسلامى ..

وأقول عن تركيا إننى شهدت وخبرت أثناء اقامتى بها مقدار تمسك الشعب بالدين الاسلامى ، ولهم للرسول عليه الصلاة والسلام إعزاز واجلال ومحبة قلما أحسست بها فى شعوب إسلامية أخرى ، ولكن تركيا إبان الحرب العالمية الأولى وجدت أن العالم الاسلامى حارب ضدها فى الحجاز ومصر ثم احتلتها دول غربية عديدة مثل انجلترا وفرنسا وايطاليا ، ثم انضمت اليونان إليها ووصل الجيش اليونانى الى أبواب أنقره .

لم ينقذ تركيا إلا بطل من أبنائها هو مصطفى كمال الذى حررها من الاحتلال ، فدان له الشعب التركى بالولاء والمحبة ، ولكنه فوجىء بأن هذا البطل يقول له لا علاقة لنا بالتراث العربى » ولا بالتراث الإسلامى » وان لم يقل ذلك صراحة ـ إنما قال : نحن أمة عريقة مكاننا ينبغى ألا يكون بين الدول الإسلامية المتخلفة فى الشرق الاوسط بل مع الدول الغربية رافعة لواء الحضارة الحديثة ، وطلب من الشعب أن يلبس القبعة بدلا من الطربوش ، وان يكتب اللغة التركية بالاحرف اللاتينية لا بالعربية وان يترجم القرآن والآذان إلى التركية ، وأن يطبق القانون السويسرى المدنى بدلا من الشريعة الاسلامية .. والغى الخلافة **ونفضت تركيا يدها من جميع مشاكل البلاد العربية بعد أن كانت عضوا فى لجنة توفيق دولية خاصة بالنزاع العربى ـ الاسرائيلى ،** ولا ينقطع أملى فى أن تعود تركيا الى الاهتمام بمنطقتنا لا للجوار فحسب بل للاشتراك فى التقاليد الدينية ..

كنت أتمثل الشعب التركى كرجل قد عقد ذراعيه وأحنى رأسه امام هذا الزعيم ويقول له لا ننسى فضلك فافعل بنا ما تشاء سنعطيك ولكن سنتمسك فى قلوبنا بالدين الذى نؤمن به .

انحسرت موجة الغلو هذه بعد تلك حينما تولى « عدنان مندرس » حكم

تركيا ، ورغم تبدل الاحكام لايزال الجيش التركى هو صاحب السلطة أحيانا أمام الستار ، وأحيانا وراء الستار ، والجيش من أنصار مصطفى كمال .

هل لقيت تركيا قبولا من دول الحضارة الحديثة ؟ ، كان لهذه الدول حاجة إلى تركيا ، لأن لديها جيشا يزيد على نصف مليون جندى له قدرة فى الصراع الذى بدأ ينشب بين المعسكر الشرقى والغربى ، لكى تضمن إرسال الامدادات الى تركيا فى حالة الأزمة ، كان لابد أن يكون لتركيا مرفأ هام على البحر الابيض المتوسط جنوب جبال الطورس فأهدته الاسكندرونه التى تنازلت فرنسا عنها ، وكانت منتدبة لحكمها من عصبة الامم القديمة ولا يدخل فى صك الانتداب أن تتنازل فرنسا عن أرض لا تملكها ، ولكن حين تم تأليف حلف الأطلسى أبت بلاد الحضارة الحديثة أول الأمر أن تضم تركيا اليها ثم جاء هذا الانضمام بعد ذلك فإذا بإحدى الصحف الانجليزية الكبرى تقول :

من اين لتركيا الشرقية ـ وهى تعنى ايضا الدول الاسلامية ـ أن تقفز لتركب معنا قاربا واحدا ، وهذا القارب خاص بنا وحدنا .

ولم يتغير هذا الموقف اليوم كثيرا ، فالسعى الآن هو تكتل دول أوروبا الغربية بما يسمى بالسوق الأوروبية المشتركة ، تتمتع فيه بامتيازات مشتركة فى ميدان تبادل البضائع والاشخاص ، وتطالب تركيا عضو حلف الأطلسى أن يكون لها نفس هذه الامتيازات فإذا بها تجد ممانعة تذكرنى بممانعة حلف الاطلسى فى قبولها أول الامر بل زعمت إحدى الاذاعات الاجنبية أن من بعض الحجج التى تستند اليها تركيا أنها قالت :

ـ لسنا من العرب ، ولا أضمن صدق هذه الاذاعة فى هذا الزعم ، اليس هذا هو عين التعصب الذى نتهم به .

الغلطة الثانية :

كلنا نعرف فرقة « البيتلز للجاز باند » التى تشكلت من أربعة شبان بدأوا فى مدينة ليفربول ثم ذاع صيتهم ومنحتهم ملكة بريطانيا أرقع الاوسمة ، ثم تفرقوا ، واسم بيتلز هذا يكتب هكذاBeatles ولفظ بيت Beat يعنى دق الطبلة وكان يقال إن شهرتهم هو إبتكارهم لنوع جديد فى الضرب على الطبلة . فترجمت يوما مقالا عنه فإذا بى ربما بسبب خفوت الضوء أقرأ الاسم على انه Beetles فسميت هذه الفرقة باسم فرقة « الخنافس » وقد ذاعت هذه التسمية بعد ذلك عندنا ولست ازعم أننى أول من قال بها ، اتمنى ان يرصد باحث بدء استخدام كلمة الخنافس للتعبير لا عن هذه الفرقة **وحدها بل عن جيل من الشباب تحرر من عاداته وثيابه من كثير من القيود ، وهل هذا البدء نشأ من غلطتى ام هو مستقل عنها .**



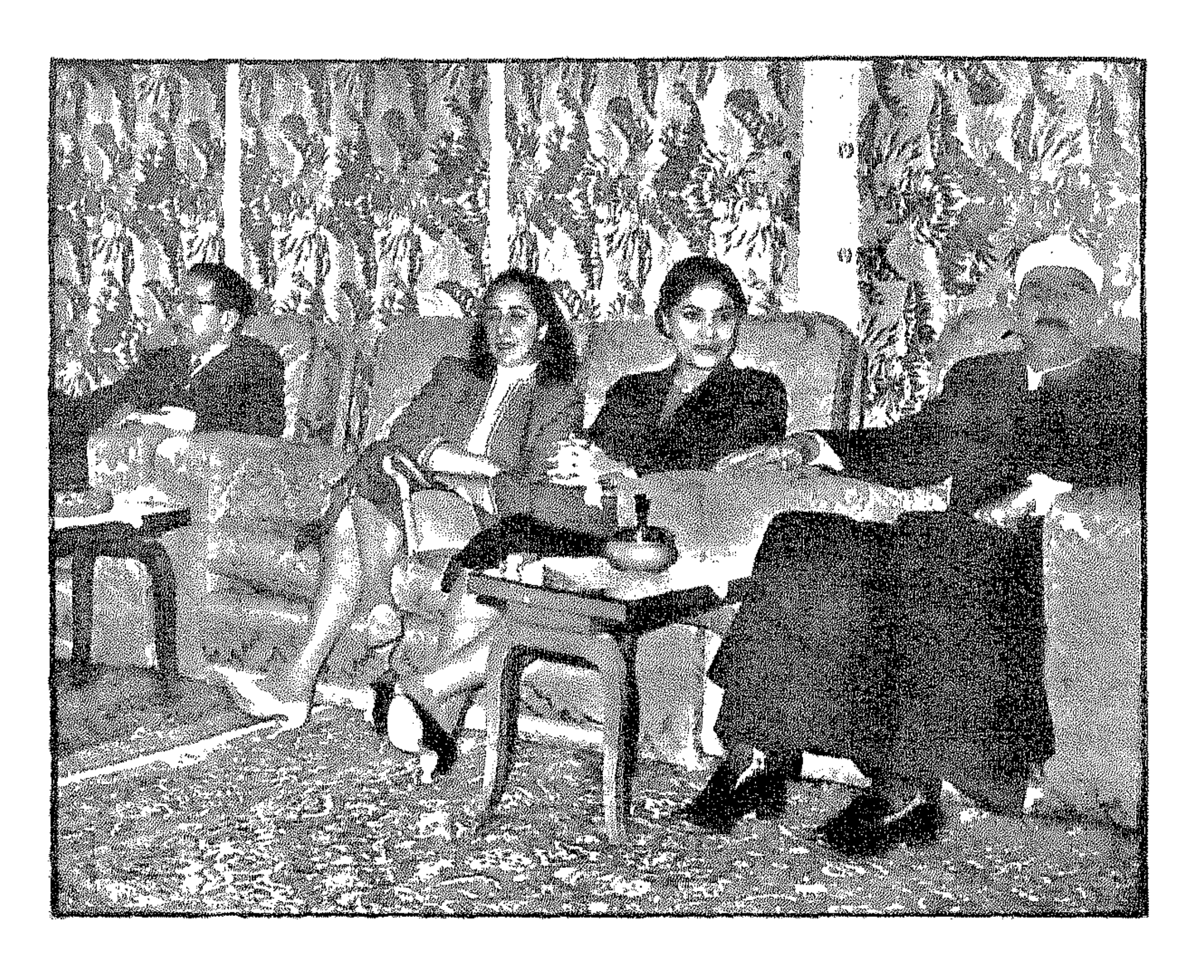
بنت الشاطئ

على الجسر

بقلم: صافى ناز كاظم

حاولت مقابلتها منذ عام ولكنها ردتنى باكتئاب شديد. طلبت منى بجفاء أن نتركها فى حالها لما يشغلها، لأنها لا وقت ولا طاقة لديها لحديث أو مسامرة.

قلت لها بلطف شديد: اننى احبها وأعرف قدرها، وأننى لن أضيع وقتها فمثلى لايعرف الثرثرة ولا يبدد طاقة الآخرين هباء، ولكنى أريد أن أرسم لها صورة من قريب أسجلها لقراء الهلال وهذا حق لذا عليها. فكادت تبكى، او لعلها بكت فعلا وردت غاضبة اننا يجب ان نرحمها ثم رقت قليلا ووعدتنى بموعد لو اتصلت بها يوم الاثنين.



بنت الشاطيء وزوجها الدكتور أمين الخولى الذى تشوقت إلى تلمذته منذ سمعت بمنهجه

واتصلت بها فأنكر المجيب وجودها وقال إنها سافرت البلد . وفى غضب شديد مقابل قلت له : إننى أعرف أنها موجودة وهى تهرب منى وهذا لايليق وأسألك أن تقول لها شكرا لم نكن نبغى منك ولك سوى الخير . وصرفت النظر تماما عن الكتابة عن بنت الشاطيء الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، رغم جيشان المحبة والتقدير الذين كانا دافع توقى الى لقائها خاصة بعد مقالاتها الشجاعة « قراءة فى وثائق البهائية » ، التى كانت تنشر تباعا بجريدة الاهرام فى كل رمضان .

كنت أمنى نفسى بكتابة دراسة عنها مثل تلك التى كتبتها مى زيادة عن باحثة البادية ملك حفنى ناصف عام ١٩١٨ ، وكانت قد قابلتها مرارا ودار بينهما أحاديث ونقاش ومراسلات . ولم أكن بحاجة الى مقابلة د . بنت الشاطيء مرارا ، فلقد قابلتها فى الخمسينيات كثيرا وزرتها وانا طالبة تدرس الصحافة فى مكتبتها بمنزلها وبهرت بالحشد الهائل من الكتب المكدسة . وكانت طيبة وذات أريحية . وقابلتها بعد ذلك وقد اشتهر اسمى قليلا فى الصحافة فى منتصف الستينيات فى مبنى جريدة الأهرام الجديد بعد مصابها فى استاذها وزوجها الاستاذ الدكتور أمين الخولى ، وكانت حزينة جدا وتشير الى واقعة وفاته

على استاذها وحبيبها وزوجها الاستاذ الدكتور امين الخولى .

بنت الشاطئ

على الجسر

بـ« عندما أصابتنى النكسة » ـ حتى اننى فى البداية اختلط علىّ الأمر وتصورت انها تقصد نكسة هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ولكننى من مجرى الكلام عرفت انها تقصد نكسة شخصية وفهمت تماما ماتعنى .

● تنشيط تداعى المعانى ●

بوجه عام هى تعرفنى كإحدى بناتها فى الصحافة والكتابة ، وأنا أعرفها أستاذة وفلتة فذة فى عالم الأدب والبحث والعلم ـ فلتة فذة بين الرجال والنساء ، لكنها إن تكررت بين الرجال فهى لم تتكرر بين النساء منذ قرون . ولذلك كانت محاولتى للقائها بعد كل تلك السنوات ليست الا محاولة لتنشيط تداعى المعانى ومحاولة لتذويب عالمها الفسيح من الكتب التى قرأتها لها فى تواصل إنسانى به وجه من لحم ودم . لكن يظل رد فعل الدكتورة بنت الشاطىء معى جانبا مرشدا إلى ملامح شخصيتها التى أفصحت عنها فى كتابها « على الجسر » ـ الذى صدر ، جزءا ثالثا ، أخيرا ضمن مكتبة « الأعمال الكاملة ، بنت الشاطىء » التى تصدرها الهيئة المصرية للكتاب ـ وهو سيرة ذاتية مختصرة ضمنتها مرحلتين : مرحلة ماقبل « موعدى معه » ومرحلة مابعد « موعدى معه » ـ والهاء ضمير للغائب تعود بالطبع

● سيرة ذاتية ●

فى هذه السيرة الذاتية التى لاتستغرق سوى ١٦٨ صفحة ـ هى فى الواقع ١٣٦ صفحة اذا حذفنا الشعر والمناجاة المتعلقة بآلامها لرحيل زوجها ـ لانشهد فقط خطوات الدكتور عائشة عبد الرحمن على دروب قنوات التعليم المختلفة ، ولكنا نشهد فى الواقع خطوات « مصر » وهى تؤخذ من الاسلام الى التخريب .

ولدت عائشة عبد الرحمن فى ١٩١٣/١١/٦ فى دمياط وقابلته فى ١٩٣٦/١١/٦ ـ وكل هاء ضمير للغائب هنا تعود الى زوجها الأستاذ أمين الخولى ـ وهى تعتبر الموعدين يومى ميلادها الا اننا لو سألناها أيهما ميلادك الحق ؟ لأجابت بلا تردد ١٩٣٦/١١/٦ . تحبه كل الحب ، وتعزى إليه كل الجميل فى وجودها ، ولكن بنظرة محايدة ومن واقع ماسردته من نشأتها الأولى نكتشف ان الرجل الذى حمل على عاتقه باخلاص وصلابةمهمة تأسيس هذا الصرح الفخم من العلم والبلاغة والذكاء والعناد وقوة الاحتمال والدأب والصبر المذهل لبلوغ المراد الذى عرفناه باسم بنت الشاطىء د . عائشة عبد الرحمن ، هذا الرجل وحده هو والدها الذى لم تذكر اسمه كاملا ، لكن لاشك ان اسمه الشيخ عبد الرحمن الذى تقول إن نسبه يمتد الى البيت الحسينى الشريف والذى ولد بقرية شبرا بخوم ، وأمضى طفولته يحفظ القرآن ويجوده ثم نزح الى القاهرة حيث الأزهر فتابع دراسته ونال





د . بنت الشاطىء .. لقطتان نادرتان فى صباها ، الأولى فى بداية دخولها الجامعة والثانية بين مروج ريف بلدها دمياط

شهادته التى عين بها مدرسا بمدرسة دمياط الابتدائية للبنين ، وهذا الذى ذهب به الى دمياط فتزوج منها والدتها حفيدة شيخ الجامع الأزهر الشيخ ابراهيم الدمهوجى .

وأصبحت دمياط مركز الأسرة ، وهى المدينة التى شهدت مولد عائشة الابنة الثانية التى سبقتها بنت اولى ثم لحقتها شقيقات أربع وشقيقان لاتذكر فى سيرتها شيئا عنهم أجمعين . لكنها تذكر بوجد شديد علاقتها الحميمة بأمها وجد أمها ودادة حليمة والبيت الكبير فى دمياط ـ الذى هو بيت عائلة الأم ـ أما بيت عائلة الأب فى « شبرا بخوم » فيتم ذكره فى جفاء وكراهية دفينة لاتخفيها كلمات مخففة عن نزهة فى الحقول هنا وهناك !

● دراسة إسلامية بحتة ●

تعهدها الأب العظيم بتحفيظ القرآن على يد « سيدنا » فى الكتّاب ، فاكتسبت استقامة اللسان وحسن نطق العربية ، وأخذها الى مجالس الشيوخ والعلماء والفقهاء فقرأت ذخائر كتب السلف وأمهات المكتبة العربية الاسلامية ـ اختط لها دراسة إسلامية بحتة بعيدا عن أطر مناهج المدارس الحديثة القاصرة فرتعت فى بحبوحة من تحويجة ، العلم الأصيل واشتد عودها فى ظل تلك الفرصة النادرة وتفاعل ذكاؤها فواحا فوارا فى أرجاء هذه المدرسة التى شكلها لها والدها فى فهم وتقدير عميق لمواهبها واستعداداتها غير العادية . لكن « عائشة » مثل « مصر » ، فى تلك المرحلة ، كانت تتجاذبها إغراءات « الشهادات » « والمدرسة الحديثة » و « العصرية » و« الجامعة على النسق الغربى » إلى آخر تلك اللافتات البراقة : الكاذب منها والصحيح رغم جذورها الثابتة الممتدة فى عمق تربة الاسلام الخصبة .

بنت الشاطئ

على الجسر

لم تدخل برنامجا ينتهي بشهادة الا وتفوقت وكانت على الرأس في المقدمة . أخذت شهادة المعلمات الأولية ، وشهادة الكفاءة ، والشهادة الابتدائية والشهادة الثانوية حتى دخلت الجامعة ، وكلها طرقات كانت متوازية لاتؤدى الواحدة منها الى الأخرى ، فكان عليها كلما انتهت من شوط وطريق ان تبدأ الآخر من أوله حتى نهايته - ووراءها اب عظيم يرى أنه لافائدة من جهودها مادامت قد ذاقت العلم الحق ، وكان يكفى به أن تقر فى بيتها وتطرح ثمارها من هناك . لكنها كانت مشدودة بجاذب الى خارج الاطار الذى أراده لها والدها . لم تكن فى البداية تعرف تماما ماذا تريد ، وعبر بحثها عما تريد مرت بتجارب عمل وخبرات متضاربة ومتنوعة من مدرسة الى اخرى ومن مدينة الى مدينة حتى وصلت العاصمة التى كرهتها وهاجمتها واتهمتها لكنها تمسكت بها الى النهاية .

من وظيفة معلمة بالمدرسة الأولية ، الى وظيفة كاتبة بكلية البنات بالجيزة ثم بالزمالك حيث رأت شريحة اجتماعية لم تكن قد اختلطت بها من قبل : شريحة بنات الذوات المترعرعات تحت هيمنة الأجنبيات واللاتى يتم صبهن فى قوالب نموذج المرأة الغربية تمهيدا لطرحهن فى ارجاء المجتمع المصرى ليكن القدوة التى تحتذى والمثل الأعلى الواجب محاكاته هدما للنموذج الاسلامى العربى المصرى النقى

وامام هذا المجتمع ارتبكت عائشة النابعة من قلب مصر . اشارت الناظرة الأجنبية لمساعدة اخرى - ان لم يكن بالمولد فبالتجنس الحضارى - لكى « توضب » هذه التى جاءت بخيرها ولم تتقولب بعد فى قالب الغربة والاغتراب والتغريب . واستسلمت ابنة الشاطىء الطيب ، وغيرت عائشة عبد الرحمن من هيئتها وثوبها وتصفيف شعرها وسلوكها - على الأقل فى قاعة الطعام الأوروبية النظام المترفة الأدوات - ولم يكن هذا هو الشىء الوحيد الذى استسلمت له ، وبترحيب داخلى ينظر نظرة دونية لمجتمع ، « البكوات والبشوات » الذى تنتقل اليه من مجتمع « الشيوخ والعلماء » ، بل استسلمت لبعض الوقت للسيدة « الحاجة لبيبة أحمد » صاحبة مجلة « النهضة النسائية »

● دور للنموذج الغربى ●

أرسلت اليها قصيدة الحنين الى دمياط « فنشرتها ثم طلبت السيدة الثرية من الشابة الموهوبة أن تعمل معها . ومرة أخرى كانت الشابة هى المليئة بالخير ، وبالعلم وبالفضل وهى التى - للعجب - تنظر نظرة دونية إلى : « هذه السيدة التى تنتمى الى الطبقة الراقية » ... وذلك لأن : « قصارى ماكنا نعتز به ، نسبنا من جهة أبى فى البيت الحسينى الشريف ، ونسب أمى فى سلالة الشيخ ابراهيم الدمهوجى ، شيخ الجامع الأزهر » - على الجسر/ص ٧٨ - الم تكن بنت الشاطىء تعرف أن هذا النسب بالاضافة الى نسبتها للعلم الاسلامى كافيا لأن يرفعها الى قمم الجبال ؟

بلى ، كانت بنت الشاطىء تعرف هذا من الناحيتين النظرية والفكرية ، لكنها - مثل مصر - كانت تخضع شعوريا للنموذج الغربى وتفسح له - طبقيا - مجال السيادة عليها .

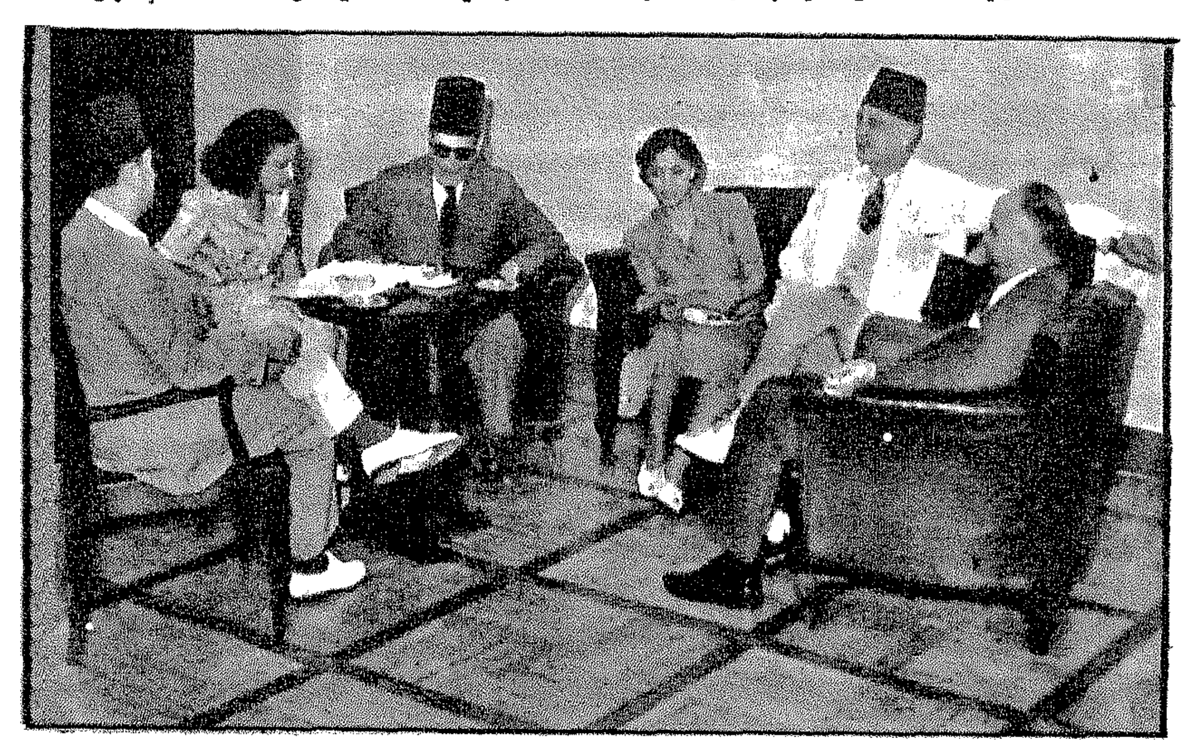
وكمثل القوى الغربية الاستعمارية المستغلة ، استغلت « الثرية المنتمية الى الطبقة الراقية » : السيدة لبيبة أحمد » ، عائشة عبد الرحمن ، « الشابة الموهوبة ابنة الشيوخ » أيما استغلال :

« ... نظير أربعة جنيهات فى الشهر ... كتابة بريد المجلة ، واعداد موادها للطبع ، وتصدير كل عدد منها بمقال افتتاحى أتفنن فى انشائه وأوقعه باسم السيدة الكبيرة صاحبة المجلة ! ثم أحمل المواد كل شهر الى مطبعة حجازى بالجمالية ، لأعود مرة فأصححها ، وأخرى لأتسلم أعدادها - نحو الفين - مطبوعة وانقلها فى عربة خيل الى مقر المجلة فى حى عابدين ، واكتب عناوين المشتركين على غلافها ، ثم احملها على دفعات الى صندوق بريد المطبوعات على ناصية شارعى خيرت والمبتديان ، واتابع حركة البريد وتسديد الاشتراكات ، واحتفظ بما يرد منها حتى تعود السيدة الحاجة من رحلتها السنوية الى الحجاز ، حيث اعتادت ان تقضى هناك نحو ستة أشهر ..... » ! - على الجسر ص ٧٩ ، ٨٠ -

● بنت الشاطىء .. علما !

لكن بنت الشاطىء كانت راضية تمام الرضا عن هذه التجربة التى اعطتها الثقة بقدراتها الأدبية والصحفية وأغرتها بان ترسل قصصها الى مجلة الهلال وصحيفتى البلاغ وكوكب الشرق ، وخشية أن يعلم والدها بأمر ماتنشر تخفت خلف

الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » فى صورة فريدة مع الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد وأمينة السعيد واحمد قاسم جودة



بنت الشاطئ

على الجسر

الاسم المستعار « بنت الشاطىء » الذى صار علما اكثر شهرة من اسمها الحقيقى : « عائشة عبد الرحمن » . ودابت على النشر حتى رسخت قدمها فى جريدة الأهرام منذ صيف ١٩٣٥ وكانت الأهرام تضع مقالاتها عن الريف المصرى وقضية الفلاح فى صفحاتها الأولى ، وقابلها « جبرائيل تكلا » صاحب الجريدة وضمها الى اسرة التحرير بتوصية من « أنطون الجميل » .

● ● ●

فى ٦ / ١١ / ١٩٣٦ كان لقاؤها الأول المصيرى مع الأستاذ الدكتور أمين الخولى . وكانت قد تشوقت الى تلمذته منذ أن سمعت طلابه يتحدثون عن « منهجة » ، وكانت قد لازمت الجامعة عاما باكمله قبل لقائه فلم تجد فيها الا ماخيب املها وأشعرها انها تعطى من زادها القديم اكثر مما تأخذ من علم جديد . وفى الاحتكاك الأول باستاذها امين الخولى ، كانت تضمر رغبة الابهار فلم يعطها الفرصة !

كان يجمع فى ناظريها بين القديم والحديث فى مزج متماسك متوازن مولد للحيوية الفكرية التى افتقدتها فى دراستها القديمة على يد والدها وافتقدتها كذلك فى سطحية دراستها الجديدة الجامعية قبل ان تراه وتتلمذ على يديه لتندمج معه بعد ذلك كلية حتى لتعجب أنهما فى عالم الناس ذاتين ونفسين مع



د . بنت الشاطىء .. وفاء نادر لزوجها الذى جمع فى ناظريها بين القديم والحديث فى مزج متماسك

أنهما ذات واحدة ونفس واحدة كما تقول فى « على الجسر » ص ١٤٠ : « الدنيا لاتعرف الا اننا اثنان » !

والحياة تفرض علينا أن نعانيها بهذه الثنائية العددية ، ورغم هذا ، كنا النفس الواحدة .. »

● ● ●

لم تكف بنت الشاطىء عن العمل والابداع والبحث بعد رحيل من صعبت الدنيا والحياة عليها من بعده ، لكنها تجهمت جدا ، واكتابت جدا ، وغضبت وزهدت فى البشر اجمعين . وفهمنا ذلك ، ووعيناه ، ولانملك الا ان ندعو ان يبارك لها الله سبحانه وتعالى وقفتها الوحيدة « على الجسر » تنتظر فى لهفة لاتمل : اللقاء .

أقوال معاصرة

● « ثمة غصة مريرة فى حلقي هذه الايام » .

رونالد ريجان

● «اذا كانت الحقيقة مؤلمة ، فلتكن كذلك » .

جورج بوش ـ نائب رئيس الولايات المتحـــدة

● « الاصــــلاحات التعليمية لا تستحق حياة انسان » .

تعليق لوزير الصناعة الفرنسي على مقتل طالب جزائرى

● لا اظن ان السينما تستطيع ان تغير المجتمع، فلم اسمع عن فيلم شعل نار ثورة »

المخرج الهندى ساتيا جيـــت راى

● « لا امل فى تقدمنا الفكرى ، الا بالانفتاح على كل التيارات »

د. عاطف العراقى ـ استاذ بجامعة القـــاهرة

● « ارتكبت الخطـــا الكبير ، لم اكن سعيدا »

الاديب الارجنتينى لويس بــــورجيس

● «التكنولوجيا يجب ان تتلاءم مع الثقافة والقيم والمهارات العمالية وطموحات الامة المتلقية للاختراع والابداع » .

توماس هيوز المؤرخ الامريكى

● « انا اكتب لانى اجنح الى الظن بـــانى شخص ذو اهمية »

الاديب الامريكى أ.ل دكتوراو



ريجان



جورج بوش

الجماعات الإسلامية ونموذج الثورة الإيرانية

بقلم: د. محمد عمارة

في سنة ١٩٦٥ م ألقى القبض على المرحوم الأستاذ سيد قطب [١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م] وجماعته الجديدة .. وفي السنة التالية - سنة ١٩٦٦ م - أعدم سيد قطب مع اثنين من قادة الجماعة .. واستمر سجن أو اعتقال أغلب الأعضاء ..

وفي أواخر عقد الستينيات - وبعد هزيمة سنة ١٩٦٧ م - تخلق في صفوف هؤلاء « القطبيين » تنظيم تصاعد بـ « الرفض القطبي » من مستوى « التكفير » و« العزلة الجزئية » عن الواقع والأمة والمجتمع ، إلى « التكفير » و« العزلة الكاملة » عن الواقع والأمة والمجتمع .. فدعا أصحابه إلى هجران المجتمع ، والهجرة منه ، انتظارا لهلاكه ، ثم العودة إلى أرضه لإقامة دولة الإسلام ومجتمعه عليها ! .. وهذا التنظيم الجديد هو [جماعة المسلمين] - الذي اشتهر إعلاميا باسم [التكفير والهجرة] ..

- كذلك تخلقت في صفوف « جيل [معالم في الطريق] ؟ ! » تنظيمات لم تصل إلى الغلو الذي بلغته جماعة [التكفير والهجرة] .. فالبعض لم يحكم بـ « الكفر » على الأمة .. وإنما « توقف حتى يتبين » - فكان تنظيم آخر - ! .. والبعض قد رفض « العزلة الكاملة والمادية » عن المجتمع ، واكتفى بـ « العزلة النفسية والشعورية » - فكان تنظيم ثالث ! ... والبعض وقف بـ « التكفير » عند « المجتمع » و« الدولة » دون « الأمة » ، ورفض « العزلة » و« الهجرة » ، ونادى بـ [الجهاد] ... - فكان تنظيم [الجهاد] ؟ ! ..

ثم توالت الجماعات الغاضبة التي انبثقت - كما رأينا - من « التصور القطبي » ، الذي صاغه سيد قطب في [معالم في الطريق] .. ثم اختلفت بها



سيد قطب تأثرت به الجماعات الغاضبة



أبو الأعلى المودودى منظر تيار الرفض الاسلامى

سبل الغضب ومستوياته كل الاختلاف ! ...(1) .

وهذه الحقيقة التاريخية المعاشة تؤكد لنا عدة أمور ... منها :

١ ـ إن نشأة هذا التيار قد سبقت هزيمة سنة ١٩٦٧ م ... فلقد كتب سيد قطب كتابه [معالم فى الطريق] وكون جماعته فى النصف الأول من عقد الستينيات ـ إبان ازدهار المشروع الناصرى ؟ !

٢ ـ وأن هزيمة سنة ١٩٦٧ م قد لعبت دورا هاما فى « انتشار » هذه الظاهرة .. عندما كثر الحديث عن دلالتها على فشل « الحل العلمانى » ـ قوميا كان أو طبقيا .

٣ ـ وأن هذه الظاهرة ـ إن فى النشأة أو فى الانتشار ـ هى سابقة على قيام الثورة الإيرانية فى سنة ١٩٧٩ م ..

● العلاقة والتميز ●

لكن .. ماهى حدود « العلاقة »و التميز » بين هذه الظاهرة ـ فى الواقع العربى ـ وبين نموذج الثورة الإيرانية ، بعد أن قامت ونجحت فى إسقاط النظام الشاهنشاهى ، وفى حكم إيران ؟ ؟ ..

إننا نستطيع أن نوجز ملامح « العلاقة » و« التميز » بين الجماعات الإسلامية الجديدة ، فى واقعنا العربى ، وبين الثورة الإيرانية ونموذجها ، فى عدد من النقاط ... أهمها :

● أن تيار « الرفض الإسلامى » ، فى المجتمعات العربية ، هو تيار « سنى ـ سلفى » ، فى الجوهر ، والمنطق ، والأساس .. وفكر الإمام السلفى ابن تيمية [٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م] ، له السلطان الغالب على كل فصائل هذا التيار ، وعلى قادته ، وعلى مفكريه .. فالمُنظر الأول لهذا التيار ، وهو الأستاذ المودودى [١٣٢١ ـ ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩ م] سلفى ، يضع ابن تيمية فى مقدمة المجددين الذين حاولوا تجديد الدين فى التاريخ الإسلامى(2) .. وسيد قطب قد انطلق من المودودى وتصاعد بغلوه ، ثم وظف هذا الغلو فى البيئة المصرية والمناخ العربى المسلم ..

الجماعات الإسلامية ونموذج الثورة الإيرانية

و[جماعة المسلمين] - [التكفير والهجرة] - قد انطلقت من سيد قطب، فتصاعدت بالغلو - استنادا إلى مأثورات سلفية - تلك التى تسمى أحاديث آخر الزمان - ووقفت، بسلفيتها النصوصية، عند ظواهر هذه النصوص .. أما تنظيم [الجهاد] - الذى استقطب جمهرة الشباب الإسلامى بمصر - والذى صنع حادث المنصة فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ م - فإن الكتاب الذى يمثل جُماع فكره - كتاب [الفريضة الغائبة] - شاهد على سلفيته، وعلى ما لابن تيمية من سلطان غالب على فكر هذا التنظيم ..

« فالسلفية - السنية » هى فكرية هذه الجماعات و« أيديولوجيتها » ...

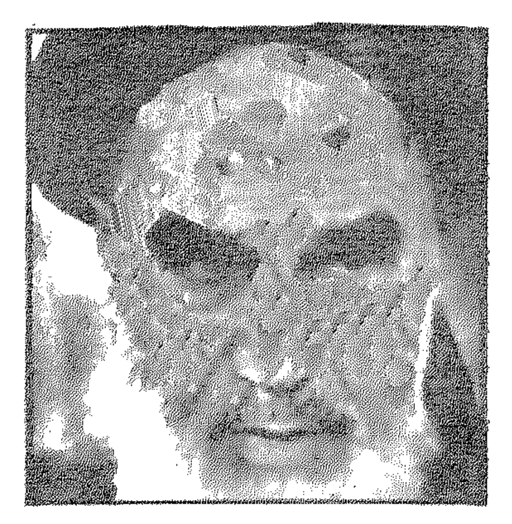
● ولما كانت خصوصية الثورة الإيرانية، وإضافتها فى ذات الوقت، قد تمثلت فى مقولة الإمام الخمينى بـ « عموم ولاية الفقيه » - المستندة إلى نظرية الإمامة الشيعية .. والتى تعنى - ضمن ماتعنى : « عصمة الوالى »، وإعطاءه كل سلطات « الإمام » - فى الفكر السياسى الشيعى - التى هى كل سلطات النبى والرسول .. والتى هى كل سلطات الله سبحانه فى سياسة الدنيا وحفظ الدين ... والتى تعنى كذلك انفراد « المؤسسة الدينية » بالسلطة الحقيقية من دون الناس، الذين يقفون عند حدود « العمال » لدى « الفقيه - السلطان » - كما أوضح الخمينى فى كتابه [الحكومة الإسلامية](٣) ... لما كانت تلك هى « خصوصية » الثورة الإيرانية ... و« إضافة » قيادتها .. فواضح وجلى أن هذه « الخصوصية » مرفوضة تماما من كل المذاهب والمدارس والجماعات السنية - ومن القطاع السلفى منها خاصة - وهو منطلق الجماعات الإسلامية الجديدة ..

● وإذا كان لنموذج الثورة الإيرانية من تأثير على الجماعات الإسلامية الجديدة - وهو تأثير واقع بالفعل - فإنه « تأثير سياسى » .. وليس تأثيرا « فكريا - عقائديا » ... وهو لذلك « تأثير مرحلى » ...

هو « تأثير سياسى »، لأن الثورة الإيرانية قد مثلت، بالنسبة لهذه الجماعات، إمكانية الثورة بالإسلام .. وإمكانية أن تحرك شعارات الإسلام الأمة للثورة على نحو قد عجزت عنه سائر الأيديولوجيات العلمانية ... وإمكانية بناء النموذج الإسلامى الخالص من شوائب التغريب .

وهو « تأثير مرحلى » لأن الخلاف الفكرى والمذهبى يحول دون تبنى هذه الجماعات السلفية للنموذج المذهبى للثورة الإيرانية ... إن « عموم ولاية الفقيه » لاتحظى بالقبول من كل الشيعة ... وهى غريبة عن الفكر السلفى والتراث السنى فى نظرية الخلافة والإمامة ... الأمر الذى يحول بين الجماعات الإسلامية الجديدة وتبنى « مذهبية » الثورة الإيرانية .

ولعل فى موقف هذه الجماعات الإسلامية الجديدة من الثورة الإيرانية مايشهد على صدق هذا التقويم ... فلقد اجتذبت هذه الثورة واكتسبت تأييد هذه الجماعات منذ قيامها - سنة ١٩٧٩ م - فلما صرح الإمام الخمينى بما صرح به



الخمينى ..
انفراد المؤسسة الدينية بالسلطة

عن عقيدة الشيعة فى « المهدى » ... وكيف أن له ، عند الله ، مقاما لايبلغه ملك ولا نبى ولا رسول ! ... ثم لما برز « الوجه الطائفي » لهذه الثورة ... انحسر التأييد لها فى صفوف كثير من هذه الجماعات ... وتراوح الموقف منها مابين « النقد » أو « المعارضة » أو « الصمت » أو « فتور الحماس » ! ...

لكن قلة ضئيلة ـ لها نموذج فى مصر وفى تونس ـ ظلت على حماسها للنموذج الإيرانى فى الثورة ... بل لقد دفعها الحماس ـ كى تتسق مع الذات ـ إلى تبنى المفهوم الشيعى فى « الإمامة » و« ولاية الفقيه » ! ... لكنهم لايعدون ولايتعدون الأفراد ؟ ! ...

تلك هى حدود « العلاقة » و« التميز » بين الجماعات الإسلامية الجديدة وبين نموذج « الثورة الإيرانية » ...

أما العلاقة بين هذه الثورة والنظم العربية المؤيدة لها ، فهى علاقة « سياسية » محضة ـ كما هو حال علاقتها مع ليبيا واليمن الجنوبية ـ .. و« سياسية ـ طائفية » ـ كما هو حال علاقتها مع « النظام ـ النصيرى » ـ [العلوى] ـ فى سوريا ... فالنصيرية ـ كما هو معروف ـ هم من غلاة الشيعة ... والاثنى عشرية لايأنسون لهم ، تاريخيا ، لكن السياسة والتناقضات السياسية قد دفعت الفريقين إلى هذا « اللقاء » ؟ ! ..

★★★

بقى أن نقول :

● إن « ترشيد » المد الإسلامى المعاصر بالاجتهاد الإسلامى المستنير ...

● وإبراز العلاقة العضوية بين « العروبة » و « الإسلام السياسى والحضارى » ..

وكذلك إبراز دور الأمة العربية فى نشر الإسلام والحفاظ عليه ـ تاريخيا ـ ودورها الرائد فى حركة الجامعة الإسلامية ـ حاضرا ومستقبلا ـ .... إن هذين العاملين يتصدران كل العوامل الضامنة أن يصبح المد الإسلامى والصحوة الإسلامية رصيدا للأمة العربية وليس سلاحا ضدها ، لقد كان الإسلام ـ ويجب أن يظل ـ أمضى أسلحة هذه الأمة فى مواجهة التحديات التى فرضها ويفرضها عليها أعداؤها الكثيرون .

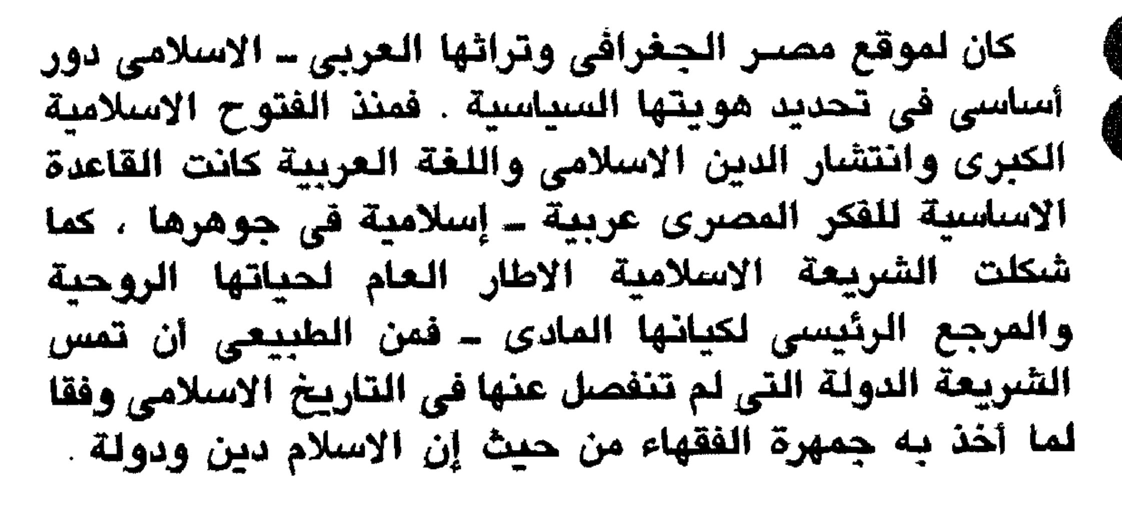
---

(١) انظر الفصل الذى كتبناه عن فكر سيد قطب بكتابنا [الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى] ص ١٤٣ ـ ١٧٢ . طبعة القاهرة ـ دار المستقبل العربى ـ سنة ١٩٨٥ م .

(٢) انظر كتاب المودودى [موجز تاريخ تجديد الدين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٥ م .
(٣) انظر كتابنا [الفكر القائد للثورة الإيرانية] ص ٤٤ ـ ٥٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٢ م .



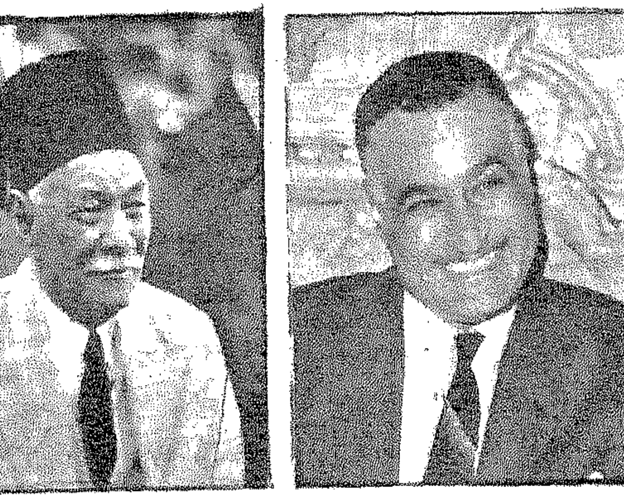
بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى



كان لموقع مصر الجغرافى وتراثها العربى ـ الاسلامى دور أساسى فى تحديد هويتها السياسية . فمنذ الفتوح الاسلامية الكبرى وانتشار الدين الاسلامى واللغة العربية كانت القاعدة الاساسية للفكر المصرى عربية ـ إسلامية فى جوهرها ، كما شكلت الشريعة الاسلامية الاطار العام لحياتها الروحية والمرجع الرئيسى لكيانها المادى ـ فمن الطبيعى أن تمس الشريعة الدولة التى لم تنفصل عنها فى التاريخ الاسلامى وفقا لما أخذ به جمهرة الفقهاء من حيث إن الاسلام دين ودولة .

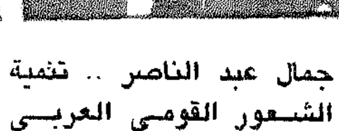
وما لبثت مصر أن اصبحت من المراكز الاسلامية الكبرى : فقد اصبح الجامع الأزهر الذى انشىء فى القرن العاشر الميلادى مركزا لا يضاهى بالنسبة الى الدراسات الاسلامية وكان .. ولايزال ـ يؤمه طلاب العلم من شتى أنحاء العالم الاسلامى . كما لعبت مصر دورا حيويا فى التصدى للأطماع الصليبية واستطاعت ضعضعة المستعمرات الصليبية فى الشام ثم مالبثت أن قضت عليها ثم اوقفت المد المغولى وانتصرت عليه ودفعت خطره عن المشرق الاسلامى .. لما كان هولاكو المغولى قد قضى على الخلافة العباسية ودمر بغداد فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى ، فقد أحيا السلطان بيبرس المملوكى الخلافة وجعل القاهرة قاعدة لها مما زاد فى أهمية مصر : فقد أصبحت القاهرة مركزا رئيسيا من مراكز العلوم الاسلامية إلى جانب كونها مركزا روحيا للعالم الاسلامى .

وكل هذه التطورات التاريخية قد جعلت من الشريعة الاسلامية المرجع









جمال عبد الناصر .. تنمية الشعور القومي العربي

سعد زغلول التاخي بين المسلمين والاقباط

لطفى السيد . عناية بتمصير القيم

الرئيسى لحياة البلاد . فمن الطبيعى أن توفر هذه الشريعة مجموعة من القوالب والنظم شملت كل جوانب الحياة الاسلامية : كالفروض الدينية والقوانين الخاصة بالأسرة والمواريث والهبة والعقود والالتزامات ، هذا بالاضافة الى القانون الجنائي والمالي والدستورى والدولي . وظل الحال على هذا المنوال إلى أن انفتحت مصر على الحضارة الغربية المتفوقة منذ أوائل القرن التاسع عشر وطفقت تقتبس عن الغرب فى النواحى الادارية والثقافية ونظم الحكم . والى جانب انتشار الآداب والأفكار الغربية نما اتجاه الى الاهتمام بتاريخ مصر والعرب كان مرتبطا بظهور القومية الحديثة وازدياد الشعور بالحاجة الى إعادة تفسير الاسلام فى ضوء الظروف المتغيرة . وفى نفس الوقت أدى تدفق النظم والأفكار الغربية إلى زعزعة الأسس التقليدية التى كان يقوم عليها المجتمع المصرى مما أدى الى اضمحلال النظام السياسى القديم وتفكك القوالب الاجتماعية والثقافية القديمة ، هذا برغم أن النظام القديم ظل يستند الى هيكل من الولاءات والمسئوليات التى كانت تربط مختلف الجماعات والطبقات الاجتماعية بعضها ببعض ، ومالبثت مصر ، شأنها فى ذلك شأن مختلف البلاد الاسلامية ، أن واجهت أزمة ارتبطت بالمؤثرات الغربية التى كانت بعض جوانبها تتنافى مع الانظمة والمعتقدات الموروثة . ومما زاد من حدة هذه الأزمة أن أوروبا صاحبة هذه المؤثرات كانت تبدو وكأنها تهدف الى السيطرة على العالم القديم ومنه مصر التى تعرضت للتدخل الأوروبى ثم مالبثت أن وقعت تحت الاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ .

● ثقافة علمانية ●

ونتيجة للغزوين الثقافى والسياسى اللذين تعرضت لهما البلاد فإنها مرت بفترة تحول : فثقافة البلاد الاسلامية الطابع ومعتقداتها النابعة من أصول دينية أخذت تتحول بالتدريج وبشغف ممزوج بالمقاومة الى ثقافة علمانية

دور مصر .... العربى والإسلامى

ذات اتجاه غربي ، ومجتمع ظل يعيش فى حالة توازن فى ظل العزلة اخذ يتعرض للمؤثرات الغربية ويسعى الى استعادة توازنه وإعادة تنظيم كيانه التقليدى .

والنتيجة هى أن اتجاهين رئيسيين قيض لهما ان تكون لهما اثار حاسمة فى تطور البلاد : أحدهما يهتم بالاصلاح الدينى ، والآخر يستلهم مثلا وطنية ارتبطت بها اتجاهات فكرية ليبرالية عقلانية . وفى البداية بدا الاتجاهان كما لو كانا مرتبطين احدهما بالآخر ، ولو انهما لم يلبثا أن شكلا بديلين متعارضين . مرجع ذلك أن جمهرة المسلمين رأوا أن يقروا ويطوروا بعض المظاهر النافعة من الثقافة الغربية على أن يكون التطوير فى إطار النظام القانونى والأخلاقى الذى تتضمنه الشريعة . وبدت صعوبة هذه المشكلة فى أنه لم يسهل تحديد ما يتمشى وما لا يتمشى مع الاطلر القانونى الاسلامى .

وفى ثنايا كل ذلك شهدت مصر عاملا جديدا من عوامل تطورها الحديث . ذلك أن المؤثرات الثقافية الغربية قد جعلت المصريين يشعرون بالانتساب الى وطن له كيانه الخاص وتاريخه الخاص وإن ظلوا يعتبرون بلادهم جزءا من العالم الاسلامى ، ومما ساعد على نمو المشاعر الوطنية اشتداد التدخل الأجنبى فى شئون البلاد خلال السبعينيات ثم وقوعها تحت الاحتلال البريطانى . وهكذا شهدت فترة نمو الاتجاهات الوطنية السيطرة الأجنبية التى لم تخل من الهجمات العنيفة على الاسلام مما جعل المحافظين ينزعون الى ربط الحركة الوطنية بحركة الجامعة الاسلامية التى عبر عنها جمال الدين الأفغانى ورحب بها السلطان العثمانى عبدالحميد الثانى الذى حاول أن يحيى الخلافة الاسلامية فى شخصه وأن يوحد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ليستعين بهم فى دفع الأطماع الأوروبية عن املاكه . وهكذا ظهرت فى مصر حركة دفاع عن الاسلام ارتبطت بردود الفعل المباشرة لزحف المؤثرات الغربية والتهجم على الاسلام .

● كان اتجاه المحافظين التقليديين يختلف عن اتجاه محمد عبده الاصلاحى من حيث ارتباطه بقضية السياسة العملية الخاصة بمقارنة السيطرة الأجنبية ، ومالبث هذا الاتجاه ان أفسح المجال لاصطباغ الحركة الوطنية بقسط أوفر من العلمانية عند مصطفى كامل وحزبه الوطنى والتنظيمات السياسية الأخرى التى ظهرت فى مطلع القرن العشرين .

● مصطفى كامل والوعى الوطنى ●

ومصطفى كامل بلا منازع أول مصرى اكتمل لديه الوعى الوطنى ، وهو اقرب إلى اتجاه مفكرى مصر فى القرن العشرين ، ولو انه جارى الفكر السياسى لدى الأفغانى فرأى فى الاسلام الجذور التى يجب أن تحرك وتدعم القومية المصرية التى أخذت تصطبغ بالأيديولوجيات الغربية ، كما


رآى أن الاسلام يزودها بالدعامات التى تستند إليها . لهذا دعا الى التقارب الوثيق مع الدولة العثمانية ومال الى حركة الجامعة الاسلامية ونقد الاتجاهات العربية التى ظهرت فى المشرق العربى ودعت الى الانفصال عن الدولة العثمانية . فدعاة الاتجاه القومى العربى ، فى رأيه ، منافقون ودخلاؤهم أخطر على الاسلام من أعدائه الصريحين ، وبتأثير مصطفى كامل ظلت المشاعر القومية فى مصر منفصلة عن القومية العربية ، ولما كانت نزعته عثمانية إسلامية فقد لقيت دعوته استجابة كبيرة من الدول والشعوب الاسلامية ولقى الاعزاز والتكريم فى إستانبول حكومة وشعبا .
إلا أن العامل الدينى الذى كان قويا خلال الثورة العرابية لم يكن بمثل هذه القوة فى حركة مصطفى كامل التى يمكن تفسير نجاحها على ضوء تمشيه مع الاتجاه الاسلامى العام ، وتعليل ذلك أن القوة المحركة للوطنية قد ازداد امتزاجها بالطابع الدينى بازدياد تغلغلها فى الجماهير : فحتى فى المجالات التى كان فيها القادة وشكل الحركة وافكارها قومية وفق نمط غربى من نوع أو اخر فإن الاتباع والجوهر والعواطف كانت اسلامية بشكل ملحوظ .

وقد ادى انتشار المؤثرات الغربية إلى اضعاف الأفكار الدينية واهتزاز منزلة المشايخ وشغل المثقفين بثقافة غربية ووقوف رجال الدين موقفا سلبيا من المشاكل التى كانت تواجه البلاد . لهذا اخذ يتغلغل المفهوم العلمانى الخاص بالدولة القومية ويحل محل


مصطفى كامل .. أول مصرى اكتمل لديه الوعى


خليل مطران .. شكوك الوحدة العربية

النظرة الدينية الخاصة بالجماعة ـ أو الأمة فى الاسلام . وعبر عن الاتجاهات العلمانية فى أوائل القرن العشرين عدد لا بأس به من المفكرين المصريين الذين استهوتهم الثقافة الغربية وشكلوا الأساس الأيديولوجى المحدد للقومية المصرية المنطوية على نفسها وهى القومية التى حاولوا حفزها بأسلوبين : فهم من ناحية حاولوا إعادة تفسير التاريخ ليفصلوا ماضى مصر عن ماضى الجماعة الاسلامية : ومن ناحية أخرى حاولوا أن يزودوا مصر المنطوية على نفسها بشخصية ثقافية متميزة خاصة بها فأدخلوا إليها اساطير



قومية تستند الى أمجاد الحضارتين الفرعونية والعربية ـ وكان الهدف من ذلك الحفاظ على ولاء الفرد ضمن الحدود الاقليمية للدولة القومية . وأبرز من عبر عن هذا الاتجاه المصرى الخالص أحمد لطفي السيد الذى كانت مقالاته فى صحيفة «الجريدة» بداية للتبلور الكامل لفكرة القومية المصرية المستندة الى الفهم الصحيح للشعب ومقوماته كمجموع له مثله الخاصة واتجاهه النابع من اصوله الذاهبة أبعد مذهب فى التاريخ دون خلط بين هذه المقومات والدين . وقد عملت «الجريدة» على رفض الفكرة القائلة بأن مصر يمكنها أن تحصل على الاستقلال بمساعدة الدولة العثمانية أو فرنسا .. إذ لا سبيل إلى حرية المصريين إلا بجهودهم وحدهم : ومن هنا سعيها الى إنماء الشخصية المصرية بقدر المستطاع ، والنظر الى الأمور السياسية من زاوية مصر وحدها والرد على مزاعم الانجليز حول الدين الاسلامى والطبيعة المصرية والعمل على النهوض بالحركة العقلية وإفساح المجال للشعبية لكى تظهر مواهبها . وحتى يكتمل الاستقلال المصرى بمضى الزمن ولا يجد المحتل ثغرة ينفذ منها الى بنيان الأمة سعت «الجريدة» إلى إزالة الفرقة فى الرأى بين المصريين والتمهيد لظهور رأى عام مصرى ،

وبالاضافة الى تزويد لطفى السيد للقومية المصرية بأيديولوجية متميزة غرس فى السياسة روحا عملية لم تلبث أن أصبحت من مميزات مدرسة كاملة من الساسة العمليين ، كما جعل الفكر منسلخا من التقاليد التى أحل العقل محلها ، وللطفى السيد الفضل الأول فى تحويل الحركة الوطنية المصرية نحو الوجهة الديمقراطية ذات الطابع العلمى المدروس ، فإلى جانب تعويده قراءه على تعابير الأمة والوطن المصريين وتعريفه بالشخصية المصرية عبر التاريخ عنى بتمصير القيم ، فجعل العادات والأخلاق والمناقب مصرية بعد أن كانت عربية أو إسلامية .

● تاخى المسلمين والأقباط●

وبدت آثار أفكار لطفى السيد ومدرسته السياسية خلال ثورة ١٩١٩ التى تزعمها سعد زغلول الاقرب الى اتجاهات مدرسة «الجريدة» والذى قصر حركته الوطنية على مصر ونجح فى التوصل الى التآخى بين المسلمين والأقباط ، وفى اعقاب الثورة احرز اللبراليون نجاحا سيابيا كان خلوا من المدلول السياسى الذى خلعوه عليه وإن يكن ذا دلالة بالنسبة الى تطور الفكر السياسى فى مصر . فلم يكن نجاحهم يعنى انتصارا للأيديولوجية القومية ـ اللبرالية وإن كان يعنى على الاقل وقوع السلطة فى أيدى مجموعة من الناس تستلهم هذه الفكرة ،

وبالتالى أمكن تسخير أهم أدوات الدولة : كالتشريع والتعليم وغير ذلك

لحفز توطيدها وقبولها العام لدى الجماهير . وبدا قصور هذه الفئة منذ قيام الحياة البرلمانية طبقا لدستور ١٩٢٣ حين خف بريق الحياة النيابية وأخذت تبرز المشاكل العملية المترتبة على عدم تمشى الأسلوب الجديد مع حاجيات البلاد . فنظام سياسى أخذ كما هو ليس فقط من بلد آخر ، بل من حضارة أخرى وفرضه حكام متشبعون بالأفكار الغربية من أعلى ومن الخارج لم يكن باستطاعته أن يتمشى بما فيه الكفاية مع أحوال واتجاهات المجتمع المصرى الذى كان لايزال محصورا فى إطار طبقى وإسلامى بوجه عام .

ومما أمعن فى ضعضعة هيبة النظام الدستورى الذى تمخضت عنه ثورة ١٩١٩ ما كان من تقليل شأن الاسلام ليس فقط باعتباره أساسا للمجتمع ومصدرا للتشريع بل أيضا باعتباره الفيصل بالنسبة الى الشعور والشخصية القوميين .

وقد اعتبر المحافظون كل الانجازات التى حققها الليبراليون « بدعا » جاءت فى ركاب الهجوم على الأفكار والنظم التقليدية واستعدوا لشن هجوم مضاد على الافكار والنظم المستوحاة من الغرب ـ فلم يلبث المد الليبرالى فى مصر أن مر بأزمة شديدة وهو بعد فى المهد . فقد اصطدمت المؤثرات الغربية التى أخذت تتغلغل فى المجتمع المصرى بالارتباط الغريزى بالتقاليد الدينية ، خاصة وقد تأكد المتدينون من استفحال الخطر الذى يتهدد المعتقدات والنظم التقليدية بعد أن اتضح لهم أن المفاهيم الحديثة مناقضة لروح الاسلام . وكانت النتيجة ان ازداد الهجوم على النظم والقيم الغربية مما أدى إلى زعزعة هيبة القيادة السياسية التى تسلمت الحكم فى ظل النظام الدستورى الجديد وظهور حركات راديكالية جديدة منها جماعة الاخوان المسلمين التى استلهمت التفسير الأصولى للاسلام فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية والسياسية ولم تتجه الى الأخذ بالأساليب الحديثة للتنظيم السياسى . وكانت غاية الجماعة القصوى هى إعادة بناء المجتمع فى صورة جامعة إسلامية عصرية تلعب دورها فى تحقيق سلام العالم وبناء الحضارة الانسانية على أساس جديد من التناسق بين المادة والروح بالتأكيد على المبادىء العالمية للاسلام التى تدعو إلى الاخاء وتدل العالم المتعطش الى القيم الروحية على الطريق الواجب سلوكه . وهكذا قدم الاخوان المسلمون أنفسهم باعتبارهم بديلا لحكم الساسة العلمانيين ، وبالتالى للنمط الأوروبى المستورد الخاص بالحكومة والمجتمع ، وهو النمط الذى رفضوه جملة وتفصيلا بما فى ذلك قيمه ونظمه .

● دور للقضية الفلسطينية ●

ورغم كل من الاتجاه المصرى الصرف والاتجاه الاسلامى اللذين لعبا دورهما فى مصر خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين إلا أن الاتجاه الى العروبة ظل كامنا برغم الانفصال السياسى بين مصر وبقية البلدان العربية التى ظل بعضها



خاضعا للحكم العثماني المباشر والبعض الآخر خاضعا للاستعمار الغربي الى أن خضع معظم الوطن العربي - على أثر سقوط الدولة العثمانية - لسلطة هذه الدولة الاستعمارية أو تلك . وفي أواسط الثلاثينيات شهدت البلاد اهتماما متزايدا بالشئون العربية كان مرتبطا بالشعور بالتضامن الديني - ورغم أن عددا كبيرا من المصريين أبدوا حماسة لأن تلعب بلادهم دورا شرقيا أسلاميا ، فإن هذا الاتجاه ظل غامضا ومختلطا بعض الوقت ، وبالتدريج نما اتجاه آخر يهدف الى إقامة اتحاد يضم المسلمين العرب وحدهم بشرط أن تتزعمه مصر ، هذا برغم أن البعض كان يرى أن العروبة مناقضة لروح الاسلام بحكم أنهم أعتبروا الوحدة الاسلامية - لا العربية - هي هدف المسلمين ، إلا أن القضية الفلسطينية ما لبثت أن لعبت دورها في جذب المصريين رويدا رويدا صوب العروبة - ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أن الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩) قد نبهت المصريين الى الخطر الصهيوني الماثل عبر حدودهم مما أدى الى تضامن كثير من الشخصيات المصرية العامة مع الشعب الفلسطيني وتوثيق علاقاتهم مع بعض زعمائهم وبخاصة مع الحاج أمين الحسيني مفتي القدس .

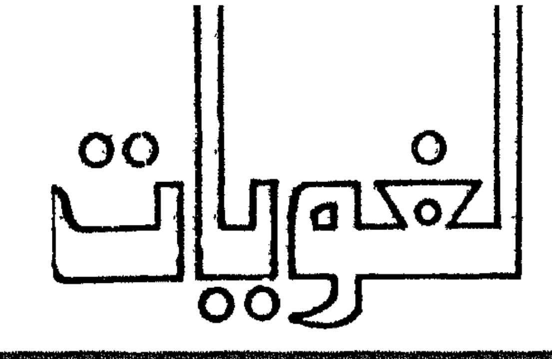
كما تجاوب بعض المصريين مع حركات النضال في المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي ، وكانت من وراء هذا التجاوب ، كما هو الحال بالنسبة الى فلسطين ، دوافع دينية لا شك فيها .

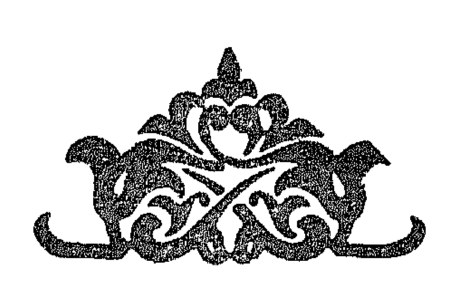
وفي الوقت الذي وقف فيه الاصوليون موقفا مناوئا للقومية العربية فان الرأي العام في مصر أصبح بالتدريج على استعداد لقبول الاتجاه العربي ، خاصة أن مدرسة «المنار» التي تزعمها رشيد رضا أحد تلامذة الشيخ محمد عبده حملت الشعوب غير العربية مسئولية تدهور المسلمين وأن رشيد رضا قدم الاسلام باعتباره نظاما عربيا بالضرورة وجسَّم الدور الذي لعبه العرب في تاريخ الشرق وهكذا وجد المسلمون المحافظون في حركة الجامعة العربية بداية لابد منها لنهضة الاسلام مما بدد مخاوفهم من هذا الاتجاه في الوقت الذي اخذت فيه كبريات المنظمات الدينية تدعو الى توحيد القوى العربية . وهكذا شكل الاسلام القاعدة الصلبة للقومية المصرية التي لم تلبث أن أصبحت عربية ، ولم يبق على رفضه لهذا الاتجاه الجديد سوى دعاة القومية المصرية الضيقة - وحين استطلعت مجلة «الهلال» رأى ثلاثة من كبار المصريين - هم أحمد لطفي السيد وبهي الدين بركات وخليل مطران - في عام ١٩٣٨ بصدد الوحدة العربية ابدوا إزاءها بعض التشكك . ورد انصار العروبة على هذا الاتجاه الانعزالي بالقول بأن العربي هو كل من يتكلم العربية ويحس بإحساس العروبة

ومالبثوا أن قضوا على تردد مصر واخذوا بيدها الى مجال العروبة ، ولقد شن المفكر العربى ساطع الحصرى حملة استهدفت إثبات أن مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية وهاجم طه حسين الذى ذهب الى أن مصر جزء من أوروبا من الناحية الثقافية وفرعونية من حيث تقاليدها وأن المصرى مصرى أولا وقبل كل شىء وقد جاء فى حملة الحصرى أن القومى العربى لا يسعى إلى حرمان المصريين من الشعور بمصريتهم ، إذ العروبة لا تحجب الولاء لمصر ، وإزاء ذلك اصبح على دعاة كل من الاتجاه الاسلامى الشرقى والاتجاه المصرى الصرف أن ينحنوا للاتجاه الجديد الذى سارت فيه مصر بعد أن أدى اشتداد ساعد القومية العربية فى المشرق العربى الى جذبها الى هذا المجال والقضاء على مخاوفها .

ولقد أرادت بريطانيا أن تساير هذا التيار القومى العربى وبخاصة حين أدركت مدى السخط الذى أثاره فى الوطن العربى قضاؤها على حركة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، فى الوقت الذى كانت فيه بحاجة الى مساندة العرب لها اثناء الحرب العالمية الثانية ـ وهكذا دعا وزير الخارجية البريطانية انطونى ايدن الى أن يوحد العرب صفوفهم فكانت الاجتماعات التى انعقدت فى مصر وتمخضت عن قيام جامعة الدول العربية التى تزعمتها مصر ، وكانت بريطانيا تهدف من إقامة الجامعة العربية الى تكتيل المشرق العربى فى منظمة إقليمية تساعد على مقاومة التغلغل الروسى وتعزز الوجود البريطانى وتحافظ على سلامة مواصلات الامبراطورية البريطانية وعلى موارد النفط الوفيرة فى العراق ومنطقة الخليج العربى ، ومالبثت الجامعة العربية أن تصدت لمساندة استقلال سوريا ولبنان وليبيا ، كما ساندت حركات المقاومة فى المغرب العربى وتصدت للأطماع الصهيونية فى فلسطين وأن لم تحرز فى هذا المجال نجاحا كبيرا .

وكان دخول مصر حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ تطورا حاسما فى اتجاهها العربى ، وبعد عام ١٩٥٢ لعبت ـ بزعامة جمال عبدالناصر ـ دورا هاما فى حقل السياسة العربية : فتبنت القضية الفلسطينية وناصرت حركة التحرر فى الوطن العربى ولعبت دورا أساسيا فى إنماء الشعور القومى العربى وقاومت السيطرة الأجنبية وخاضت المعارك ضد الاحلاف والصهيونية ، إلا أن هذا النشاط العربى سار موازيا للاتجاه الاسلامى الذى ورثته عن الماضى فلقد رسم عبدالناصر لنشاطات البلاد دوائر ثلاث هى على التوالى : الدائرة العربية ـ الدائرة الاسلامية ـ الدائرة الافريقية ، هذا فى الوقت الذى أخذت فيه البلاد باتجاه الحياد الايجابى وعدم الانحياز . وهكذا فإن موقع مصر الجغرافى وتراثها التاريخى قد رسما لها اكثر من منطلق لطاقاتها : فهى عربية اللسان أسلامية التراث إفريقية الموقع ، وتاريخها يشهد بإسهاماتها فى كل هذه المجالات لمصلحتها ولمصلحة اخوتها العربيات والمسلمات والافريقيات ولمصلحة السلام العالمى .





● للفعل « برع ـ يبرع » استعمالات .. فتقول : « محمد بَرَعَ أو يبرع فى عمله » .. أى يجيده .. وتقول : « محمدُ بَرَعَ محموداً فى العمل » .. أى تفوق عليه فيه .. وتقول « محمد بَرَعَ على زملائه » ..

● الملحن المعروف محمد الموجى ـ من وجهة النظر اللغوية ـ ليس منسوبا الى "المَوْج" الذى في البحر بفتح الميم وسكون الواو ، بل إلى "المُوج" بضم الميم .. و"المُوج" هو المضطرب الذى لا يستقر ، وهذا فيما نظن شأن هذا الملحن الفنان ..

● تقول العامة : « فلان كشح فلانا » .. أى طرده .. وفى اللغة : « فلان طوى كشحه عن فلان » أى أعرض عنه وقاطعه ! .. والكاشح هو العذول أو العدو ..

● بعض الادباء يسمى شاشة السينما "اللوحة البيضاء" ولا يسميها "الشاشة البيضاء" .. مع أن "الشاش" لفظ فى اللغة ، وكذلك مايؤخذ منه وينسب اليه .. و"الشاشة" أو "الشاشية" ضرب من الثياب الخفيفة ، فلا بأس باستعارتها لشاشة السينما ، قال البحترى يهجو أحدهم :

يَامَن رأى ، الدامر يختالُ فى
شاشِيَّة شوهاء مُغْبَّرةْ

ولو كان البحترى فى مقام المدح لقال : شاشية بيضاء ، ولوجد كلمة أخرى بدلا من "مغبرة" !

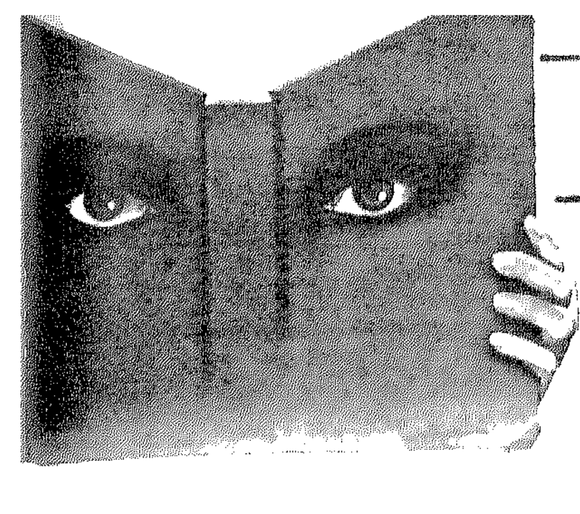
● يتصور بعضنا أن كلمة "الاثير" حديثة الاستعمال ، لم نستعملها الا عند ظهور الراديو والموجات الاثيرية ، ولكنها كلمة قديمة كانت تستعمل فى هذا المعنى نفسه .. قال البحترى أيضا:

رأيتُ المرءَ أَلَّفَ من ضُروب
يؤثّر فىً تزايدها الأثيرُ

فالأثير فى هذا البيت هو المادة الخفية التى تسرى فيها الأصوات من أقصى الأرض الى أقصاها فى أقل من الثانية !..

● بعض المتأدبين يخلط بين كلمة "الغرير" و"الغِرّ" .. أما الغرير فهو الصغير ذو الخلقة الحسنة مثل "الظبى" وقد كان الشعراء قديما يتغزلون بالظبى الغرير .. أما "الغرُّ" فهو الأحمق غير ذى التجربة ..

قبل المعرض ١٩ الدولى للكتاب



القراءة.. غريزة حضارية

هل هى أزمة كتاب..
أم أزمة قراءة.. ؟

بقلم: محمود قاسم

فى الاسبوع الاخير من هذا الشهر يبدأ المعرض الدولى للكتاب التاسع عشر . معنى التاسع عشر هنا ان الدولة ترعى الكتاب وتقدم له معرضا سنويا يؤمه الناس ويشترك فيه مئات الناشرين من كافة انحاء العالم .

ولو ذهبت الى معرض القاهرة الدولى للكتاب او الى أى معرض يقام فى أى عاصمة عربية من بغداد ودمشق والكويت والشارقة وغيرها فسوف يروعك ذلك الازدحام والاقبال الشديدان من قبل جمهور غفير جاء للشراء والفرجة وحضور الندوات . ولابد ان يتبادر الى ذهنك – على

الفور ـ انه لا توجد ازمة قـراءة • وان الكتاب يجد رواجا فى كل مكان مهما ارتفعت اسعاره •

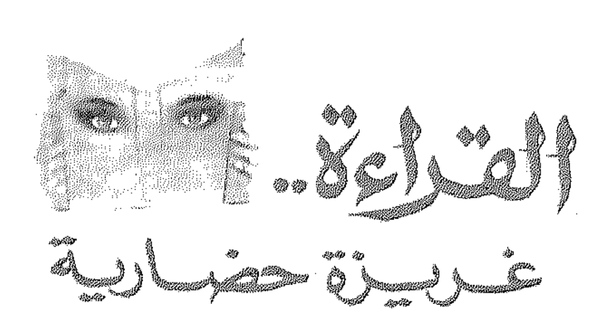
نفس الانطباع يمكن أن يلتصـق بذهن المارة الذين يشاهدون كمـا هائلا من المطبوعـات (الصحف والمجلات والكتب) لدى البـاعة فى الميادين • مئات المطبوعات الجديدة يوميا رغم ما قيل ان انخفـاض اسـعار البترول قد اثر على حركة طبع واصدار مجلات جديدة • التى تشير الى ان كثافة صدور هـذه المطبوعات يعكس حجم توزيعهـا الكبير وازدهار القراءة فى وطننـا العربى •

لكن العارفين بحركة النشـر وسوق الكتاب العربى ، ينبهوننـا بان هذه الظواهر يجب الا تخدعنـا عن الحقائق التى تتحكم اليـوم فى انتشار الكتاب ، وبالتـالى فى الاقبال على اشباع غريزة القـراءة عند الاجيال الجديدة ، خاصـة ان معارض خاصة لكتب الاطفـال بدأت تشهد ازدهارها فى الاعـوام الاخيرة • يقول هؤلاء العـارفون ان هذه ليست معارض كتب كمعـارض الفنون التشكيلية ، بل هى « اسواق» يلتقى فيها البائع والمشترى مثل اى سوق يعرض مختلف السلع • فيهـا يعرض البائع كتبه التى يتوقـع ان يقبل المشترى ـ المفروض انه قارىء على شرائها • فالكتب المعروضـة فى تلك الاسواق هى مجرد «سلعة »• ويختار المشترى منها او يقبل على ما يناسبه • اى اننا امـام نفس قانون العرض والطلب فى سـوق منافسة بين السلع ، ويسمى كل بائع ان يقدم سلعته التى تنـاسب أذواق المشترين • غير ان هناك فرقا أساسيا هو انه فى سوق الكتاب تتغيـر القوانين • فكلما زاد الطلب عـلى سلعة ما ارتفع سعرها وارتفـع المعروض منها • وكلمـا قل الطلب على سلعة قل عرضها رغم ارتفـاع سعرها •

● القراءة فى الزمن الضائع ●

لماذا يذهب الناس لشراء الكتب ؟ وهل يقرأون الكتب التى يشترونها ؟ لا يمكن ان نجزم بالرد عـلى هـذه





الاسئلة لعدم توافر الاحصائيات الدقيقة حول مبيعات الكتب من النوعيات المختلفة • فالهيئات التى تنظم هذه الاسواق ، لا تصدر احصائيات حول مبيعاتها بصفة عامة او حول نوعيات الكتب الاكثر مبيعا• ويعود ذلك فى المقام الاول الى صعوبة السيطرة على دور النشر المشتركة فى السوق الواحدة ناهيك عن الاسواق المتعددة وعن اسباب اخرى مثل التهرب الضريبى • وانتشار تزوير طبعات كتب معينة دون اذن مسبق من المؤلف او الناشر

تقول مجلة « رسالة اليونسكو » فى عددها رقم ١٦٨ حول القراءة فى العالم العربى ان الكتب الدينية تجىء فى مقدمة الكتب المباعة وتليها الكتب السياسية والكتب الجامعية • وكتب التراث •

اما الكتب الادبية ـ عدا الروايات والشعر ـ والكتب المتصلة بالعلوم الانسانية عامة ـ عدا الجامعى منها ـ فتجىء فى مكانة متاخرة فى اسواق المبيعات قياسا الى ما تحققه النوعيات الاخرى • ولذا فكثيرا ما تصادفك ـ في هذه الاسواق ـ اجنحة باكملها خالية من اى كتب ثقافية او ادبية ••

يجب ان نتنبه اولا الى ان هناك فرقا بين ما يسمى بازمة الكتاب • وازمة القراءة • فمن المؤكد انه وسط هذه المبيعات الضخمة للمطبوعات فان الكتاب لا يواجه ازمة مهما ارتفع سعره • لكن الازمة تتعلق بالقراءة وبصفة خاصة مايسمى بالقراءة الحرة التى يقبل فيها المرء على اختيار كتاب وموضوع بعينه اشباعا لحب المعرفة • ولا يمكن ان نقول ان رواج الكتب الجامعية يدل على ازدهار القراءة • لذا فان المعارف الانسانية فى التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعلوم البحتة لا تلقى توزيعها مرموقا فى اسواق الكتب الا اذا كانت هناك علاقة بين تحصيل هذه العلوم والدراسات الجامعية •

المشكلة فى المقام الاول هى ازمة القراءة الحرة • ويجب التسليم بداية ان القارىء فى الوطن العربى ينظر الى هذه القراءة ـ فى اغلب الاحيان ـ على انها نوع من « قضاء وقت الفراغ••فالقارىء غير المحترف ـ وهو الذى يلعب دورا رئيسيا فى الكتاب ـ يردد دائما انه يقرأ « لقتل وقت الفراغ » • وبالتالى فانه لا يقرأ الا عندما يجد امامه بعض الوقت الذى عليه ان « يضيعه » حسبما يرى • اى ان وقت القراءة ضائع •

وعندما وجد هذا القارىء وسائل اخرى يمكن ان « يضيع » بها وقته فانه سرعان ما اتجه اليها • وبدأت قراءاته فى الانحسار بشكل ملحوظ• بدأ ذلك بظهور السينما ثم التلفاز واخيرا الفيديو ، واذا كان هناك

من يدعى ان هذا التحول ظاهرة عالمية ، فعلينا ان نؤكد ان التحول لم يحدث بنفس الحدة فى مناطق اخرى من العالم ، لان القراءة ترضى غريزة اشباع حب المعرفة التى لا تنتهى عند الانسان •

وقد ارتبطت القراءة الحرة فى ذهن القارىء العربى ـ خاصة الشباب ـ بأوقات الاجازات الصيفية، ومن هنا جاء التنافس غير المتكافىء للقارىء الذى انسحب الى الرؤية وفقد سمة التمتع بالقراءة كى يكتسب لذة الفرجة •• وتحول الى المشاهدة الحرة مثلما كان قارئا حرا •• وتغيرت الاسماء تماما وبدأ المرء يشبع حب المعرفة من هذه الاجهزة •• رغم ان الكم المقدم فيها عن حدود المعرفة الانسانية قليل للغاية •

● الجوعى يقراون ببطونهم ●

فيما قبل • التحم القارىء والكاتب فى سنوات لم تكن المنافسة مع وسائل الاعلام الاخرىعلى اشدها لذا عاش الكاتب عصره الذهبى من العطاء والشهرة • وخاصة المبدعين من الروائيين والشعراء والمسرحيين، وعندما انتقلت الروايات الى شاشة السينما ثم التلفاز ، اتجه القارىء اليها مباشرة دون الرجوع الى المكتوب من الروايات • اذن فالقارىء الحر الذى يبحث عن تسلية وقتـه الضائع اشبه بامير شهريار الذى تمدد على اريكة مريحة يسمع حكايات شهر زاد الجذابة التى لا تنتهى • فيطلق لخياله العنان• ويحلم حتى يطلع الفجر ويسمع صياح الديك معلنا انتهاء ليل الحواديت وعليه ان ينتظر ليلة اخرى وحدوته اخرى • •

ونحن نؤكد انه لمثل هذه الاسباب فان الاجهزة الاعلامية لم تؤثر على نسبة القراءة عند شعوب العالم الاكثر تحضرا • والطريف ان برامج الفيديو والاذاعة والتليفزيون فى هذه البلاد اكثر جاذبية وتطورا من مثيلتها فى العالم العربى • واذا كان الفيديو قد اثر على السينما فى ايطاليا وفرنسا مثلا فانه لم يؤثر على نسبة الانقرائية • لان كل الفنون باقية متلازمة معا • تخدم هدفا واحدا هو اشباع حب المعرفة الذى يمارس بالقراءة او الرؤية او الاستماع وتحولت الاجهزة السمعية والبصرية الى مادة درامية بينما ظل الكتاب سيدا • ولا ادل على ذلك من ضخامة حجم الكتب الادبية التى توزع فى الامريكتين واوروبا وارقام المبيعات التى توزعها دور النشر • وهى عامة تحظى باحترام وسمعة طيبة •

ولو تحدثنا عن صحافة الخبر التى انتشرت فى عالمنا العربى ، فسوف تجد انها ساعدت كثيرا فى قتل غريزة القراء لدىالانسان العربى فقد عودت هذه الصحف قارئها ان تحشر صفحاتها باخبار سريعة متنوعة لاهثة مما اثر على المدى الطويل فى امكانية متابعته للمقالات او الموضوعات الطويلة • واذا كان هذا هو قارىء الصحف • فما بال القارىء الحر • خاصة فى وقت اصبحت فيه الصحف هى المصدر الاساسى للمعلومات لدى الملايين مما ساعد على تقليص القراءة الحرة الى اقصى حد ••

وهناك اراء اخرى فى هذا الصدد ترى ان اللوم يقع ايضا على الطابع



القراءة.. غريزة حضارية

« الحضرى » الذى اجتاح الحياة العربية دون تمهيد كاف وعلى نحو شبه فجائى .. الى درجة الهت الانسان العربى بمشاغل يومية كفيلة ان تبعده تماما عن القراءة .. لانه حسبه يقول الموسيقار بيتهوفن ان الجائع يسمع الموسيقى ببطنه فان المعاناة الاقتصادية التى يواجهها بعض ابناء الوطن العربى قد جعلت الجوعى يلتهمون الكتب .. ببطونهم بمعنى ان المرء اصبح يفكر فى المقام الاول فى اشباع مطالبه الاقتصادية قبل ان يشترى كتابا هو فى الاصل مرتفع الثمن .

● نظرة برجماتية ●

لماذا يشترى الكتاب اذن ؟ هل هو حبا فى المعرفة .. لا يطنه أولا

من التفسيرات المطروحة ايضا فى ازمة القراءة الحرة ان الانسان اصبح « برجماتى » النظرة والسلوك لا يعبأ الا بما يعود عليه بالنفع المادى او الفائدة السريعة . وامام هذه النظرة المحدودة بدت له القراءة نشاطا زائدا لا يجد نفسه فى حاجة اليه ، بل وربما تمادى البعض فاعتبرها شاغلا له عن العمل والانتاج الحقيقيين !

وقد أدى هذا الى ما يمكن تسميته ببرجماتية القراءة فالقارىء العربى فى احيان كثيرة - يبحث عن الفائدة التى يمكن ان تعود عليه مباشرة من القراءة . واذا كان الجامعيون - من اساتذة وطلاب - يقرأون بدافع البحث فى فرع من فروع المعرفة ، فان بعض النظم الجامعية تشجع الاقبال على البحث العلمى من اجل الترقى الوظيفى للباحث الذى عليه الحصول على درجة علمية اعلى .

ويميل هؤلاء الباحثون فى الاغلب الاعم - الى قراءة ما يفيدهم فى بحثهم فليست القراءة هنا دافعا غريزيا نحو المعرفة - لاشباع غريزة انسانية . كما انها ليست بدافع حب المعرفة الخالصة مثلما يفعل القارىء الحر . ولكنها قراءة موجهة اما من الباحث او رؤسائه الى ذلك الهدف الذى يدفع الباحث للقراءة فيما يتعلق بالموضوع الذى يهمه هو فى اغلب الاحيان مجال ضيق للغاية ويسعى الباحث لتعميقه ..

اذن ما هو مستقبل القراءة فى العالم العربى

عندما نتكلم عن التوقعات المنتظرة لمستقبل القراءة فى وطننا الكبير . فاننا نعنى - بالطبع - القراءة الحرة غير المرتبطة بالدراسات او البحوث الجامعية او مثيلتها . ومن المؤسف ان نلاحظ ان الاسباب تتجمع يوما بعد يوم فى غير صالح القراءة الحرة رغم عشرات المطبوعات المتناثرة فى المكتبات ومع الباعة . وهى مشكلة تتطلب دراسة وعلاجا من قبل خبراء الاجتماع فى المعظم العربى . لان المشكلة السياسية التى يبحثها رجال السياسة حول مشاكل الكتاب تتعلق فى المقام الاول بقدرة المرء على الاقبال للقراءة الحرة .. تتطلب حل مشكلات عديدة تتعلق بالاقتصاد والمسكن والتعليم ..

تدبير أمور الثقافة

بقلم: د. شكري محمد عياد

سعدت حين قرأت فى هلال الشهر الماضى (ديسمبر ١٩٨٦) حديثا مع الرجل الذى يتولى أهم وزارة فى مصر : أعنى وزارة الثقافة .

والرجل زميل وصديق ، فلن يدهش حين أصف وزارته بهذه الصفة ، ولن يفهم ذلك ـ بكل تأكيد ـ على أنه مجاملة من زميل وصديق ، ولكن الكثيرين ربما فهموه على أنه تعصب من أهل هذه الصناعة بعضهم لبعض ، ودعوى من دعاوى كثيرة يطلقونها ـ وهم أصحاب كلام ـ بينما يتعب غيرهم لتظل المصانع دائرة ، والحقول والبطون ملأى .

والويل للثقافة ، إن أصبحت مجرد كلام ، بل الويل للكلام إن أصبح مجرد كلام ، أى أصوات خارجة مع الزفير ، لا ترسم طريقا ، ولا تصنع واقعاً .

فالمشكلة الأولى للثقافة فى بلادنا ليست مشكلة بين أنصار الثقافة (ولعلهم لا يتجاوزون المشتغلين بها) والبعيدين عن أمور الثقافة (ولا أسميهم خصومها)

ليست مشكلة اعتمادات يجاهد وزير الثقافة لاستخلاصها من بين مطالب الزراعة والصناعة والدفاع والأمن الخ .

ولكنها قبل كل شىء مشكلة فى مفهوم الثقافة نفسها ، أى أنها مشكلة "داخلية" فيما بين المثقفين ، وليست مشكلة "خارجية" بينهم وبين غير المشتغلين بأمور الثقافة ، ولا أقول غير المثقفين ، لا خوفا منهم ، ولا رعاية لخواطرهم ، ولكن لأنه ، فى حقيقة الأمر ، لا يوجد انسان بلا ثقافة !

تدبير أمور الثقافة

وهذا - بالتحديد - هو مايجعل وزارة الثقافة أهم الوزارات .

فإذا كان تقسيم الاختصاصات بين الوزارات قد اقتضى أن تختص وزارة الثقافة بأمور المسرح والسينما والآثار والكتاب فليس فى البلد - ولا فى أى بلد - وزارة واحدة تستغنى عن هذه الجوانب كلها ، بل ولا عن أى واحد منها . ولا يرجع هذا فقط الى المبدأ العلم البسيط القائل بأن الحياة وحدة لا تتجزأ ، ولا ينفصل منها جانب عن جانب ، بل الى أمر يخص الثقافة بالذات ، لأن الثقافة ، فى تعريفها الشامل ، هى كل ما يتعلق بتأثير الانسان فى بيئته ، وإن كانت تنصرف أكثر ما تنصرف الى كيفيات هذا التأثير ، لا الى نتائجه . ففنون الزراعة والصناعة والتعليم والادارة والحرب والسلم كلها ثقافة **ولذلك قلنا أنه لا يوجد انسان بلا ثقافة . أما المسرح والسينما والآثار والكتاب فإذا نسيت مايربطها بهذه الفنون فلابد أن تصبح - كما يراها بعض الناس - مضيعة للوقت والمال ، ومشاغل تافهة لا يقبل عليها الا الفارغون !**

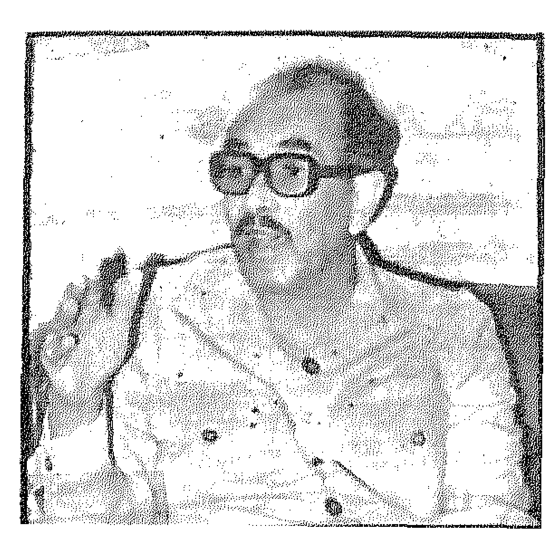
● وماذا عن استقلالية الأدب والفن ؟ ●

إن الذين يتحدثون عن استقلالية الأدب والفن يقدمون مقدمة بديهية ولكنهم يخلصون منها الى نتيجة زائفة .

فمن البديهيات أن القصة ليست ريبورتاجا ، وأن القصيدة ليست خطبة بعبارة أخرى أن الفن لا يحكى الواقع ، ولكنه يفسره ويشكله ، تمام كما تفعل الفلسفة وكما يفعل العلم ، الا أن للفن طريقته الخاصة فى تفسير الواقع وتشكيله . وبديهى أيضا أننا لا يمكننا أن نتكلم عن هذه الطريقة دون أن نتكلم عن الواقع نفسه ، وعن الاثر الذى يحدثه الفن فى الواقع ، والذى يستلزم بالضرورة أن يأخذ الفن من الواقع لكى يعود فيعطيه .

أما الذين يتحدثون عن استقلالية الأدب والفن فيخلصون الى أن كل ما يعنينا من الفن هو طريقته ، هو شكله ، وقليلون منهم فقط هم الذين يعرفون أن قيمة الشكل انما هى فى الدلالة التى يحملها .

هذه هى المشكلة "الداخلية" بين المثقفين : خلاف حول مفهوم الثقافة ، ومكان الأدب والفن منها . **فالذين يتمسكون باستقلالية الأدب والفن قد اختاروا أن يعيشوا فى عالم فكرى خاص بهم . وبذلك ابتعدوا عن هموم الناس** ، مع أنهم ناس من الناس ، يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، أى أنهم يمارسون أمور الحياة اليومية كما يمارسها غيرهم ، فاذا أبو الا أن يكون دورهم فى مجتمعاتهم منبت الصلة بهذه الأمور فلابد أن يرى فيهم غيرهم من الناس فئة متطفلة على المجتمع ، تعيش من خيره وهى تزدريه وتأنف من الانتساب اليه . وربما كان هؤلاء "الاستقلاليون" معذورين ، لأنهم يعتصمون بهذا الاستقلال المزعوم من سيطرة القوى التى تهيمن ماديا على المجتمع ! قوة الدولة أو قوة الحزب أو قوة الطبقة . **فالاذكياء منهم يخدعون هذه القوى بادعاء استقلالية الأدب والفن ،**



د . أحمد هيكل دفاع
عن جهود وزارة الثقافة

لأنهم لا يملكون الدفاع عن حريتهم بغير هذه الطريقة ، أما الأغرار ـ وهم كثيرون ـ فيخدعون أنفسهم ، ليعيشوا فى عالم لا سيد فيه ولا مسود .

والى أن يعرف المجتمع ـ ككل ـ أن الأدب والفن هما عيناه اللتان يبصر بهما حاضره وماضيه ومستقبله ، فسيظل الأدب والفن معتصمين فى برجهما العاجى ، وسيظل المجتمع مضطربا فى سيره العشوائى ، وسيظل "النجاح" الاجتماعى للأديب أو الفنان مغامرة أو مقامرة ، أو بيعاً للفن فى سوق الكساد !

● وفى بلادنا "النامية" مشكـــلات أخـــرى ! ●

إن "اغتصاب" الأدب والفن ، ومحاولة الأدب والفن أن يحميا نفسيهما من هذا الاغتصاب ، مشكلة عالمية . ولكن بلادنا ، كغيرها من البلاد "النامية" لها قبل ذلك وفوق ذلك ودون ذلك مشكلات ثقافية أخرى ، ترجع فى مجملها الى التخلف الذى من أجله سميت بلاداً "نامية" .

وأهم مظاهر التخلف هو الفقر : فقر الأفراد وفقر البيئة **وقد أحسن الوزير الأديب وصف الفقرين حين تحدث عن ثمن الكتاب وثمن رغيف العيش ، وعن صعوبة العثور على محل لـوقف السيارة اذا قرر الواحد منا أن يذهب الى مسرح** . ولا أدرى كيف يمكن أن تعالج وزارة الثقافة مشكلات بهذا الحجم . ولكننى أظن أن اتخاذ موقف واضح من المشكلة الأولى يمكن أن يهدينا الى بعض الحلول للمشكلات الأخرى التى تخرج عن قدرة وزارة الثقافة بما هى وزارة ثقافة ، أو المثقفين بما هم مثقفون . **إن الوزير يصرح ـ وهو أولاً وقبل كل شىء الدكتور أحمد هيكل الاستاذ الجامعى والناقد والشاعر ـ باعتقاده أن الثقافة ضرورة وليست رفاهية . هو يتفق معنا اذاً حول مفهوم الثقافة (ولم نكن نتوقع غير ذلك)** . ولكننا نحب أن نزيد قليلا على هذا المفهوم ، أو أن نوغل فيه ، فنقول إن الثقافة "شرط" للحياة ، وليست مجرد ضرورة . ثمة فرق بين الشرط والضرورة . فالضرورة اعتبارية ، بمعنى أن بعض الضروريات يمكن ، فى ظروف معينة ، أن تعد من الكماليات ، كما أن بعض الكماليات يمكن أن تعد ضروريات . أما الشرط فهو ما لا يتحقق الشىء بدونه . أى ما يوجد الشىء بوجوده وينعدم بعدمه . ومعنى ذلك أننا نزعم أنه لا توجد حياة (والمقصود بالطبع هو الحياة الانسانية / بغير ثقافة ، سواء وجدت وزارة للثقافة أم لم توجد ، بل سواء وجدت طوائف المسـرحيين ، والسينمائيين ، ومؤلفى الكتب وناشريها ، أى باختصار أهل صناعة الثقافة بفروعها المختلفة ، أم لا توجد ولا طائفة منهم . والدكتور أحمد

تدبير أمور الثقافة

هيكل يعرف كما أعرف ، وأحسن مما أعرف ، أن العرب فى الجاهلية كانت لهم ثقافة ولم يكن لديهم مسرح أو سينما ، بل كانت الكتابة نفسها - بمعنى الخطّ على الأحجار أو نحوها - شيئًا على هامش ثقافتهم . وسيجد الناس فى كل زمان ومكان وسيلة ما لتبادل المعلومات والأفكار والمشاعر ، ونقلها من جيل الى جيل ، وهذه هى الثقافة .

● إذن لماذا الانزعاج ؟ ●

إذا ارتفعت تكاليف الكتاب ، وبلغ الأمر ببعض القراء أن يختاروا بين شراء كتاب وشراء خبز للعيال (والواقع أننا مازلنا بعيدين عن ذلك جدا) فلا يجب أن ننزعج .

واذا توقفت المسارح عن تقديم عـروضـهـا ، وأغلقت دور السينمـا أبوابها واشتغل المؤلفون سمكـرية ، والممثلون صانعى أحذية ، والمصورون بائعى روبابيكيا فلا يجب أن ننزعج .

أنا أعلم أن هذه كلها فروض مستحيلة ، عادة إن لم يكن عقلا ، ولكننى أقول : حتى لو فرض أن هذا كله قد حدث فلا يجب أن ننزعج .

إنما يجب أن ننزعج لشىء واحد : أن تتوقف إرادة الحياة .

فالذين تهمهم أمور الثقافة قبل أى شىء آخر ينبغى الا ينسوا أن الحياة ، اى حياة ، تخلق ثقافتها ، لأن الحياة أى حياة لا يمكن أن تقوم بدون ثقافة . وحين توجد ارادة الحياة تخلق الثقافة وتخلق لها وسائلها المناسبة وحين توجد هذه الوسائل يبدأ الفن فى صياغة قوانينه المناسبة لها .

ولكن كلمة "الحياة" كلمة غامضة وأغمض منها "ارادة الحياة" . فأين تكمن هذه الارادة ؟ وكيف تشتعل وكيف تخبو ؟ وهل تبدأ قبل بداية الثقافة أو بعدها أو تبدأ معها ؟ ليس من الضرورى أن نحل أى واحد من هذه الألغاز لنعرف أن إيقاظ الاهتمام بالثقافة (بهذا المعنى الذى شرحناه) يوقظ إرادة الحياة ، مادمنا نسلم بأنهما متلازمان . وإيقاظ الاهتمام بالثقافة لايتحقق الا اذا وجدت ثقافة تتفق مع ظروف حياة الناس . اذا كان فى جسم المجتمع شىء من حياة ، شىء من إرادة الحياة ، ولو كان نبضا يختلج هنا او هناك ، فلابد أن يفرز الثقافة التى هى الصورة الملموسة لهذه الحياة . ربما كان الشعر هو البداية . ولكنه بداية وحسب . والشعر - البداية ليس مجرد كلام منظوم ، ليس مجرد غناء ، ولكنه تعبير كامل عن شوق الكائن الحى لمقابلة العالم ، ففيه كل بذور الفكر والعمل ، كل بذور الفلسفة والعلم .

لندع هذه القضايا المجردة ولننظر الى الواقع . فى نفس العدد من الهلال مقـال لناقـد سينمـائى من خيـرة المشتغلين بالثقافة فى بلادنا (« اثر الفيديو على السينما » بقلم سمير فريد) يوضح بالوقائع كيف يعاد تشكيل الثقافة فى عصرنا . إن اختراع الفيديو كقناة جديدة بعد التليفزيون يخلق فى الوقت الحاضر فنا جديدا له تقنياته

المتميزة ، بينما تلجىء السينما ـ مثلما ألجأت هي المسرح من قبل ـ الى تعديل يشمل تقنيات الفن كما يشمل نظام دور العرض كل هذه التعديلات لاتعدو ان تكون إعادة لترتيب البيت : بيت الثقافة الكبير . ولكن لهذا البيت عمادا :

● وعماد البيت هو الكلمة ! ●

بقدر ماجزعت وانتابني اليأس حين قرأت رأيا لمسئول إعلامي عن الفيديو : أن هذا الفيديو يغني عن تعلم القراءة والكتابة في شعب غالبيته من الأميين ! ـ كانت سعادتي حين قرأت ماكتبه هذا الناقد السينمائي البارز عن ثقافة الصورة وثقافة الكلمة : « سواء في الدول النامية أو الدول المتقدمة فإن تعاظم ثقافة الصورة لاينبغي ان يؤدي الى تدهور ثقافة الكلمات ... » ـ « إن كتب الديانات كلمات وليست صورا ، والقوانين كلمات وليست صورا وتراث الانسانية من العلوم والآداب كلمات وليس صورا ، حتى مفردات لغة الموسيقى حروف وعلامات مكتوبة وليست صورا » .

فليسمح لي الزميل الصديق الدكتور احمد هيكل أن أشير عليه ببعض مايمكن أن يعمله وهو في كرسي وزارة الثقافة نحو إيقاظ الاهتمام بالثقافة الحقيقية في نفوس الملايين من أبناء هذا الشعب :

أولا ـ ينسى قضية ثمن الكتاب ! فكثير ممن يحتاجون الى الكتاب ويودون فعلا ان يقرءوه ، سوف يصعب عليهم أن يدفعوا فيه ثمنا ما ، حتى الاثمان الرخيصة نسبيا التي تباع بها كتب الهيئة . إن وزارة الثقافة تستطيع ان توفر جزءا كبيرا مما تنفقه على دعم الكتاب اذا قدمت الكتاب الى طالبه بالمجان ! وليس في الأمر لغز ، **ولكن فيه مؤسسة صغيرة جدا ومهمة جدا ، نسيناها في غمرة التغيرات ، والتجديدات والشعارات . أعني المكتبة العامة !**

المكتبة العامة في كل مدرسة ، وفي كل حي ، وفي كل قرية . وهذا كله لايكاد يكلف شيئا . فانا اعلم اننا بلد فقير !

في كل قرية الآن (والدكتور أحمد هيكل ريفي مثلي) دار للمناسبات ، أقامها اهل القرية وزودوها بالكراسي « بالجهود الذاتية » كما يقال الآن ، أو « بالعونة » كما كان فلاحونا يقولون ، ولاتحتاج إلا إلى بضعة أصونة لحفظ الكتب يمكن الحصول عليها بالطريقة نفسها ، ومتطوع أو أكثر من أهل القرية لتنظيم الاستعارة الداخلية والخارجية .

وفي كل مدرسة فناء كبير أو صغير . ولكنه مهما يكن صغيرا ففيه متسع لصالة تبنى بتبرعات الأفراد لتكون مكتبة لتلاميذ المدرسة ولسائر أهل الحي . ولا أقول ذلك عن جهل ، فقد مررت عدة مرات بجانب مجمع للمدارس في مدينة الصحفيين ، ورأيت الأطفال يقفزون من فوق السور ، بينما كنت أحدد في خيالي مكان المكتبة وأضع نظامها . وما يقال عن المدارس ينطبق من باب أولى على قصور الثقافة التي يبدو أن المكتبة العامة لاتحتل مكانا مُهمًا بين أنشطتها .

ونواة مكتبة القرية او المدرسة أو الحي موجودة منذ الآن . في مخازن هيئة الكتاب . وينبغي ان يفكر احد في بعث هذه الكتب المخزونة ولاينتظر بها

تدبير أمور الثقافة

حتى يبعث من فى القبور . ولا أظنني بحاجة الى الدخول فى مزيد من التفاصيل لأثبت أن من السهل إنشاء شبكة من المكتبات العامة الصغيرة تغطى مختلف انحاء القطر ليتحول شعبنا إلى شعب قارىء .

أما المكتبة المركزية ، مكتبة البحث ، فلها حديث طويل !

● ولسنا نتعصب للكتاب ! ●

إن كل من يعتد برأيهم من اهل الثقافة والاعلام لاشك يوافقون على أن عماد الثقافة هو الكتاب . فإهمال القراءة الحرة هو المسئول عن « أمية المتعلمين » التى نعانى منها منذ زمن طويل وأطفالنا وشبابنا يمرون بالمرحلة المدرسية والجامعية وأكثرهم لا يعرف من الكتب سوى الكتاب المدرسى والكتاب « المقرر » والنتيجة سوقية فى التفكير والتعبير تصلح للتندر بها (وقد سمعت ، قديما ، بعض هذه النوادر من الدكتور هيكل) . والقلة النادرة بيننا هى التى تعرف ان الثقافة عمل يمتد طول العمر ، ولاينتهى بانتهاء مرحلة التعليم . لهذا تحولت قنوات الاعلام الحديث عندنا الى وسائل للتسلية لاغير (فيما عدا نشرات الأخبار) . وقد أثبتت زيادة ساعات الارسال للبرامج الثقافية أنها علاج غير كاف . فأكثر الناس يغلقون الراديو او التليفزيون حين يصطدمون ببرنامج من هذه البرامج ، ويبحثون عن أغنية ولو سخيفة ، أو حلقة ولو تافهة .

على اننا لانتعصب للكتاب ، بل نقول ان حل مشكلات السينما والمسرح أسهل بكثير . فى صغرنا ، عندما بدأت السينما تنتشر فى مصر ، كانت ادارة الدعاية فى وزارة الصحة تبعث افلاما وأجهزة عرض تطوف بالقرى . وقد شاهدنا وسمعنا ، صغارا وكبارا ، فى مصر وفى خارج مصر ، حفلات تمثيلية وموسيقية تقام فى الهواء الطلق . فماذا يمنع ان ترعى وزارة الثقافة نشاطا كهذا ؟

● و « الرعاية » هى الكلمة ! ●

لقد وضعت كلمة « الرعاية » هنا عن عمد .

فوزارة الثقافة ليست اهم الوزارات ـ على الأقل فى الوقت الحاضر ـ لأنها فقط تهتم بأمر هو بطبيعته جامع لكل الوان النشاط البشرى ، ولا لأنها فقط يجب ان تعمل لايقاظ إرادة الحياة ببعث الحياة فى المناطق التى تخصها مباشرة من النظام الاجتماعى ، وبذلك تصبح الهاما وقدوة لسائر المناطق ولكن لسبب ثالث لايقل أهمية عن هذين : وهو أنها يمكن ان تكون رائدة فى تشكيل علاقة الدولة بالمنتجين ، وهو ماعبرت عنه ، مؤقتا ، بكلمة « الرعاية » .

إن مصر ، مثل سائر بلاد العالم الثالث ـ ولعلها أيضا رائدة فى هذا ـ

مازالت تبحث منذ أن استكملت استقلالها السياسى عن نظام للانتاج يناسب ظروفها . هذا البحث لم ينته بعد ، واغلب الظن انه سيستمر بعض الوقت ، ولكنه يسمى فى معظم بلدان العالم الثالث « اشتراكية » ، ويتمثل فى « قطاع عام » مسيطر على معظم الأنشطة الاقتصادية المهمة . آفة هذا القطاع العام هى انه ملك للدولة ، والدولة فى هذه البلدان الحديثة الاستقلال ، كيان ناشىء وعتيق فى الوقت نفسه ، أى أنها تجمع بين ضعفين : ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة !

وبيان ذلك حسبما أرى أن الدولة فى هذه البلدان تحتفظ بآثار العشائرية من ناحية ، فى حين انها ـ من ناحية أخرى ـ لم تنجح بعد فى تأصيل نظم الادارة الحديثة . واجتماع هذين الأمرين له مردود سيىء على عملية الانتاج التى تقوم بها الدولة بصورة مباشرة . ويضاف اليهما ، فى مصر خاصة ، نظام بيروقراطى راسخ الجذور منذ عهد الكاتب القاعد القرفصاء .

لا أظن اننا يمكن ان نصل الى النظام الاقتصادى الأمثل فى وقت قريب . ولكننى اظن ان وزارة الثقافة يمكن أن تكون رائدة فى اكتشاف هذا النظام ، أو على الأصح ابتكاره ، لأنه ، على قدر علمى غير موجود الآن فى أى مكان

فوزارة الثقافة لديها كغيرها قطاع عام يتمثل فى هيئة الكتاب ومؤسستى المسرح والسينما وإذا كان المسرح الجاد بحاجة دائمة الى دعم من الدولة فإن صناعتى الكتاب والسينما صناعتان رابحتان فى معظم البلدان . وكانتا كذلك فى مصر ـ ولو فى حدود متواضعة ـ قبل لن تتولاهما الدولة . وقد عادت الدولة ففسحت المجال فيهما للقطاع الخاص ، ولكن مع قصر « الدعم » على القطاع العام ، وزيادة القيود على القطاع الخاص . وصناعة الكتاب وصناعة السينما أحوج من غيرهما الى الابتكار الذى يعنى حرية المبادأة الفردية . ولذلك يحسن أن يكون وضع الدولة بالنسبة اليهما هو وضع الرعاية للمنتجين ، لاوضع المنتج المباشر . واذا نجحت وزارة الثقافة ـ ولو على المدى الطويل ـ فى تقرير النظم المناسبة لذلك فسوف تكون ـ كما قلت ـ رائدة فى النظام الاقتصادى أيضا ، لأن الابتكار والمبادأة الفردية لازمان لكل نشاط اقتصادى ، ولو أنهما فى الانتاج الثقافى الزم .

● والمهمة ثقيلة ●

إن مهمة الادارة الحكومية مهمة ثقيلة ، ولاسيما فى بلادنا ، ولاسيما فى هذه الايام بالذات ! ومهمة وزارة الثقافة ـ بالذات أيضا ـ ليست فرجة !

أعان الله وزيرها العالم الأديب . فقد مس قلبى دفاعه عن جهود وزارة الثقافة فى هذا الزمن الصعب . وتراءت أمامى صورة الرجل الريفى المصرى الصميم ، حين ينصب قامته يبتسم فى هدوء ، قائلا : « مستورة والحمد لله ! » مع ان اهل القرية جميعا يعرفون أن « المُحضر » حجز على الزرع والبهائم هذا الصباح !
أعانه الله !

تعقيب

بقلم : د. محمود إسماعيل

الدروز مسلمون.. ولو كره السلفيون

افسحت « الهلال » فى العدد السابق صدرها فنشرت مقالا للدكتور عبد الهادى القزوينى الاستاذ بإحدى الجامعات السعودية بعنوان « الدرزية مستقلة » ردا على مقال لنا نشر فى ذات المجلة تحت عنوان « الدروز عرب موحدون ، أم عجم ملحدون » ؟ فى عدد يونيو ١٩٨٦ .

وبرغم ما ينطوى عليه الرد من اتهام « باللاعلمية والخلط الايديولوجى وتوزيع مفاتيح الجنة مزاجيا وعدم فطنة الكاتب للبديهيات الاولية سواء فى المنهج او فى فهم التراث واخيرا اتباعه الدعاية السياسية الرخيصة » !!

برغم ذلك كله يفسح الباحث صدره ايضا ولا يمانع فى الحوار ايمانا بأن اجراءه فى النهاية انفع واجدى من اسلوب المصادرة على الراى الاخر ..

ودون لجاج ينتهى الدكتور الناقد فى مقاله الى حقيقتين الاولى ان « الدرزية » ديانة مستقلة عن الحركة الاسماعيلية والثانية : ان هذه الديانة كافرة ..

وكانت عدة الناقد فى ذلك استشهادات ببعض المراجع الحديثة السنية التى تتحامل على الدروز بل والاسماعيلية ايضا ، فضلا عن كتابات احد الدروز الذى انشق على طائفته ، كذا الاستشهاد بنصوص درزية وردت فى كتاب مصطفى غالب «الحركات الباطنية فى الاسلام » وذلك بعد تحريفها

وتصحيفها .. واخيرا ذكـــــر بعض المصادر الاصلية الســـنية لابن حـــــزم والشهرســـتانى والقلقشندى ، دون الرجـــوع الى اى منها ...!!

وفضلا عن هذه الاستشـــهادات اعتمد الناقد منهجا « غوغائيـــا » « تكفيريا » « مثيرا » ومقعقعا رغم تشدقه بالعلمية والموضـــوعية .. خاصة اذا ما تعلق الامر بتاريخ الفرق الاسلامية عمومـا والتى هى فى نظر السلفيين القدامى والمحدثين « كفروهرطقة والحاد » ...!!

لم يشر الناقد البتة الى جهد الباحث فى اثبات كون الـــدروز عربا وارجو ان يكون قد اقتنـــع بهذه النتيجة .

اما عن جزمه بان«الدرزيةحركة مستقلة » وليست فرقة اسماعيليـة فحسبى اعترافه بانتمـــائهم الى الحاكم بامر الله « الخليفة ، المفترى عليه » كما ذهب المرحوم عبد الله عنان والدكتور عبد المنعم ماجـــد المتمرس فى التاريخ الفـــاطمى فى كتابين لهما يحملان نفس العنوان الذى يرجع نسبه الى على بن أبى طالب والسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) . والحاكم بامر الله حسب نص الانطاكى »« أظهر من العدل ما لم يســمع به ... وكان نصيرا للعلوم والاداب » . وحسب حكم عبد الله عنان ـ وهو مصرى سنى موحد وليس درزيا ـ«اشتهر بالزهد والورع والتقـــوى » .. وحسب رأى مصطفى غالب ـ الذى استعان الناقد بكتـابه . مؤسس بيت الحكم .. الذى وزع امـوالـه الخاصة على المساجد والفقـــراء ودور العـــلم » .. وحسب نص درزى بعنوان « رسالة مباســـم البشارات » للكرمانى « لم يكـــن الحاكم الها بل هو امام وقته ... وهو بشر خلق من الطين وعـــاش بين الناس » اما ما ورد فى النص من اصطلاحات اسبغت على الحاكم مثل « وجه الله و « يد الله » فتلك رموز اسماعيلية لا يمكن لســلفى ان يفك طلاسمها ولا تفهـــم الا فى اطار المبدأ الاسماعيلى الهـــام « التأويل الباطنى » .

ووفقا لنص اخر صنفه حمـزة ابن على الاسماعيلى فى رســـالة تحمل عنوان « كشف الحقائق »). فان صورة الله عنـد الدروز هى نفس الصورة عند الاســـماعيلية بل المسلمين عموما » فهـــــو سبحانه الواحد الاحد الذى ليس كمثله شيء وليس له صاحبـة ولا ولد وهو الاول والاخر » ... الخ

يكفر الدكتور القزوينى الدروز تاسيسا على تاثرهم بالغنوصيـــة واعتقادهم بالحلول والتجســـد وتناسخ الارواح .. وليعـــلم الدكتور ان الاسماعيلية عمــوما فضلا عن بعض الفلاسفةالمسلمين ـ ومن بينهم الغزالى ـ والمتصوفة تأثروا بالغنوصية بدرجـــــة او باخرى .. وتلك حقيقـــة بديهية لدارس التراث الفكرى الاســلامى .. اتساءل هل كل هـــؤلاء فى نظر الناقد كفارا ؟؟ ... ليعـــلم القارىء ان الســـلفيين يكفرون المتصوفة جريا على مذهب محمد ابن عبد الوهاب .. !! اتساءل : من الذى يوزع مفاتيح الجنـــة والنار ؟ الكاتب ام النـــاقد ؟ وتنسحب ذات المقولة على مبـدأ الحلول والتناسخ الذى لن يفهمه الناقد واترابه بمعزل عن فهـــم مبدا « التسلسل الروحى للامامة» عند الشيعة كذا مبدا « التـاويل الباطنى » الذى لا يستطيع الناقد

ان يشاحح فيه الا « بتكفير معظم فرق الشيعة » ايضا ..

فليعلم الدكتور الفقيه ان اولى تعاليم الاسلام هي عدم تكفير من نطق بالشهادتين ؟ انطلاقا من هذه الحقيقة اقول : « من كفر مسلما فهو كافر » .. « فما هو موقف الدكتور » ؟

وبخصوص النص الذي صحفه الدكتور كقرينة على تكفير الدروز والذي قاله الاخرم ابان صراعه مع بعض الدعاة الاسماعيليين لاسباب شخصية تتعلق بالتنافس على الزعامة حيث قال : « .. من عبد الله من جميع المخلوقين فعبادته لشخص لاروح فيه » فقد اردف : « قد قامت قيامتكم وانقضى دور ستركم » .. بذلك يستقيم النص ويفهم في سياقه الصحيح وهو ما تغاضى عنه الناقد متبعا نهج من قال : « لا تقربوا الصلاة » وتوقف .. !! فهل هذه هي الامانة العلمية لمنظري السلفية ؟ !!

لم يكن الخلاف بين الدعاة ـ كما يذكر مصطفى غالب بحق ـ حول العقيدة بل حول زعامة المذهب . وهي آفة تنسحب على كافة الفرق المذهبية في الاسلام وغير الاسلام . وحسبنا ان الاخرم صاحب القول السابق قد قتل على يد خصومه .. واليك شهادة مؤرخ نصراني حيث قال : « لقد لعن الدعاة بعضهم بعضا وكفر كل فريق منهم الآخر » .. تماما مثل ما فعله الدكتور المسلم حين كفر الدروز المسلمين .. ـ !

اما قول الناقد بتكفير الدروز لعلي بن ابي طالب وذريته فهو لعمري فرية جديدة مضحكة لم ترد حتى عند خصوم الحركة المعاصرين من فقهاء السنة .. اذ كانت التهمة الشائعة التي توجه للاسماعيلية عموما هي « تقديس علي وآل بيته » فكيف بالله يؤله الدروز الحاكم بامر الله ويكفرون جده علي بن ابي طالب ؟

نفس المفارقة نجدها في حكم الدكتور القزويني بان عقيدة الدروز « لاعقلانية » في ذات الوقت الذي يلح فيه على ضرب وانتهاك العقلانية فكرا ومنهجا.. واذا سلمنا بحكمه اتساءل عن موقف مذهبه السلفي من العقلانية الم يقل فقيهكم ابن الصلاح « من تمنطق تزندق » ؟ فلم تتباكون الان على العقلانية ؟

وبنفس المنطق اللامنطقي يقولنا الدكتور مالم نقله حين اتهمنا بتكرر ان « كل الشيعة يعتقدون بتجسيد الخالق في شخص الامام علي او سواه ».. !

ويصل انتهاك المنهج ذروته فيتهم الناقد الكاتب « بالدعاية السياسية الرخيصة » من اجل الدروز الذين يتحامل على مواقفهم السياسية المعاصرة مستشهدا في ذلك بلقاءات وليد جنبلاط بشيمون بيريز ..

ان الانصاف العلمي الموضوعي يحفز الى التأكيد على ان الدروز « عرب موحدون » لا عجم مراطقة ولو كره السلفيون . .

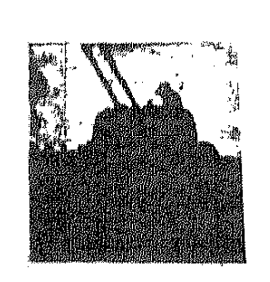
حـــوار ٥ يــونيــو

بقلم : د. جلال أمين

هزيمة ١٩٦٧ .. ومسئولية العوامل الخارجية

كان جمال عبد الناصر ، كما وصفه الشاعر العراقى الجواهرى ((عظيم المجد والاخطاء)) ولانه كان عظيم المجد والاخطاء فقد اغضب الكثيرين . اغضب اليمين بتاميماته وحراساته ، واغضب طائفة كبيرة من اليسار لانه لم يذهب بالاشتراكية الى نهايتها واغضب المتمسكين بتطبيق الشريعة الاسلامية لانه لم يطبقها ووضعهم فى السجون واغضب المتحمسين للديمقراطية لانه لم يكن ديمقراطيا ولكنه اغضب ايضا الاستعمار لانه حاول ان يحقق نوعا من التنمية المستقلة ولانه اشعل الشعور القومى العربى ضد الاستعمار واسرائيل .

كان الوحيد من بين هذه الفئات الخمس القادر على ضرب عبد الناصر وعقابه ووضع حد لتجربته هو الاستعمار ، وكان هو بالفعل الذى فعل ذلك بشن حرب ١٩٦٧ . ولكن ما أن تحققت الهزيمة وانكسر عبد الناصر حتى قام كل من الغاضبين الاربعة الآخرين بزعم أن انكسار عبد الناصر انما يرجع الى خصومته معه هو فاليمين زعم ان الانكسار كان نتيجة الاشتراكية وانشغال عبد الناصر بقضايا العرب دون قضايا مصر الداخلية ، واليسار الماركسي زعم ان انكسار عبد الناصر كان نتيجة انه حاول بناء اشتراكية بدون اشتراكيين وأصحاب الدعوة الاسلامية زعموا انه انكسر بسبب ابتعاده عن تعاليم الدين ، والمتحمسون للديمقراطية زعموا انه انكسر لانه فقد حريات الناس . وفرح المجرم الحقيقى فرحا عظيما بأن الآخرين حاولوا اعفاءه من المسئولية وسايرهم فى دعواهم : فمن اكثر ما يبهج الاستعماريين القول بأن الاشتراكية والديكتاتورية هما السبب فى الهزيمة ،



حوار ٥ يونيو

ومما يبهج اسرائيل القول بأن هزيمة عبد الناصر كانت بسبب انشغاله بقضيته القومية العربية ، وان متاعب مصر الاقتصادية كانت قد استفحلت حتى قبل حرب ١٩٦٧ ٠

وينتمي الدكتور فؤاد زكريا الى ذلك الفريق المتحمس للديمقراطية والذى يهمه أن يبين ان هزيمة ١٩٦٧ لم تحدث الا بسبب غياب المشاركة الشعبية (انظر الهلال أعداد أغسطس وأكتوبر وديسمبر ١٩٨٦) ، بل ويذهب الى حد الزعم بان عبد الناصر ، بتنكره للديمقراطية لم يترك لمصر شيئا يستحق الثناء من أجله ٠ وكل ما حاولت أن انبه اليه فى رد سابق على الدكتور فؤاد زكريا (الهلال : نوفمبر ١٩٨٦) هو أن حب الديمقراطية ليس من الضرورى أن يؤدى بالمرء الى رد كل الكوارث الى غيابها ، والى غض البصر عن كل الحسنات التى قد ينجح فى تحقيقها نظام غير ديمقراطى ، وان عبد الناصر ، رغم ديكتاتوريته ، قد ترك لمصر الكثير مما يتعين الاعتراف له به ، ومما سيبقى على الزمن برغم كل المحاولات التى بذلت فى السبعينيات لتصفية تجربته ولكن الدكتور فؤاد زكريا مصر عـلـ أن فشل التجربة الناصرية كان كاملا ، بدليل ما حدث فى السبعينيات ، ولـو كانت انجازات عبد الناصر حقيقية ومحمية بالمشاركة الشعبية ، ما كان من السهل ، في رأيه ، الانقضاض عليها وضربها كما حدث بعد وفاة عبدالناصر ٠٠ وهو يذهب الى أن الزعم بأن المسئول هو الاستعمار هو موقف استسلامى يرد كل شيء الى القدر المحتوم ، كما لو كنا بصدد مأساة اغريقية ٠

وليس لدى ما أضيفه الى ما سبق لى قوله الا التأكيد على أن كثيرا من انجازات عبد الناصر لم ينجح أحد فى تصفيته ، (بل واكاد أقول ٠ انه لن ينجح أحد فى تصفيته) رغم كل ما ارتكبته السبعينيات ٠ وقد ضربت لذلك أمثلة من قبيل كاطلاق شرائح واسعة من الطبقات المغبونة من عقالها، والسماح لها بالتطلع الى مستقبل أفضل كان يعتبر قبله من قبيل المستحيل ، ووصل الصناعة المصرية بالصناعة الحديثة ، والتوسع فى التعليم واصلاح الاراضى ، الى غير ذلك مما لم يشأ د٠ فؤاد زكريا أن يرد عليه ولا أن يعترف به ٠

كما ان من المشكوك فيه جدا أنه حتى ما تم تصفيته من انجازات عبدالناصر، كتجربة الاستقلال الاقتصادى ،واستقلال السياسة الخارجية وعدم الانحياز ، ورفض الصلح مع اسرائيل ، ودعم مصر لقوى التحرر فى العالم الثالث ، وقيادة مصر لحركة التوحيد العربى ، كان من الممكن حمايته الى الأبد لو كان نظام عبد الناصر ديمقراطيا ، فاستمرار النجاح فى كل هذه المجالات مرهـون ليس فقط بظروف مصر الداخلية ونظام الحكم فيها ، بل مرهون أيضا ، وفى الأساس ، بالظروف الدولية التى تطبق هذه السياسات فى ظلها ، كالتغير الذى يطرأ على موازين القوى فى العالم ، وتغير المصالح الاقتصادية فى الدول الصناعية ، ودرجة الضغوط التى تمارسها الشركات الدولية ٠٠ الخ ومن

الصعب جدا الزعم بأن ما طرأ من تغيرات على العالم خلال السبعينيات، وادى الى تغير صورة العالم بأسره ، من شيلى الى الصين ، كان يمكن أن تتصدى له مصر لو أنها فقط مارست أسلوبا ديمقراطيا فى الحكم •

ان ما يتسم به معظم الكتابات عن تجربة عبد الناصر ، من افراط فى الادانة أو التمجيد على السواء ، يعود فى رأيى الى تجريد هذه التجربة عن الظروف الدولية التى أحاطت بها •

فالافراط فى تمجيد عبد الناصر يتجاهل ان كثيرا من انتصاراته قد سهلته ظروف دولية مواتية (كتأميم قناة السويس فى ظل حرص الولايات المتحدة على وراثة الاستعمار البريطانى والفرنسى، وكقدرته على الحصول على المعونات الخارجية من كلا المعسكرين باقل قدر من الشروط والضغوط السياسية فى ظل اشتداد حدة الحرب الباردة بينهما ، وبخاصة فى اشعال الشعور القومى العربى فى فترة انهيار الاستعمار التقليدى •• الخ) • كما أن الافراط فى الهجوم على عبد الناصر يتجاهل ما حدث من انحسار ، منذ منتصف الستينيات ، لكل هذه الظروف المواتية• ففى نفس الوقت الذى ترك الاتحاد السوفييتى فيه مصر تتعرض لحرب ١٩٦٧ ، لوأد تجربة عبد الناصر دون ان يستخدم ما بيده من وسائل لمنعها، تركت الولايات المتحدة تشيكوسلوفاكيا تتعرض لهجوم الدبابات السوفييتية لوأد تجربة دوبشيك دون ان تستخدم بدورها ما بيدها من وسائل لمنعه • فتصوير عبد الناصر كما لو كان هو الذى جلب الانتصار ، هو تصوير خاطىء من أساسه ، لانه مصور الارادة المصرية وكأنها تتحرك فى فراغ لاتخضع فيه لاى قيد من الظروف الخارجية •

من أين اذن يتأتى القول بأن عبد الناصر كان « عظيم المجد والاخطاء »؟ انما يأتى لعبد الناصر المجد لا لأنه خلق الظروف المواتية خلقا ، وانما لانه بسبب حسه الوطنى القوى ، وحبه الحقيقى لوطنه ، ولان طموحاته كانت طموحات قومية لا طموحات فردية ، حاول ان يستفيد باكبر قدر ممكن من هذه الظروف الدولية المواتية • وأما أخطاؤه فلعلها تكمن ، لا فى انه كان فى استطاعته تجنيب مصر الهزيمة فلم يفعل ، ولا فى أنه دخل معارك كان الاجدر به ان يتجنبها ، وانما فى انه لم يحاول الاستفادة باكبر قدر ممكن من تاييد شعبه له ، الامر الذى ما كان يكفى فى اعتقادى لتجنب الهزيمة وانما ربما كان من شأنه تخفيض حجم الخسائر التى ارتبطت بها •

هل يمثل هذا الرأى بالضرورة موقفا استسلاميا ؟ ويحول القصة بالضرورة الى مأساة اغريقية ؟ لا أظن ذلك • فالتاكيد على مسئولية العوامل الخارجية قد لا يعنى أكثر من محاولة لتوجيه النظر الى العدو الحقيقى ، الذى تستدعى مقابلته جهدا أكبر بكثير من الدعوة الى الديمقراطية ، وقد يستغرق زمنا أطول بكثير مما يتصور الدكتور فؤاد زكريا ، ويتطلب جهدا فى ميادين أخرى كثيرة (بالاضافة الى ميدان الديمقراطية) كالاقتصاد والثقافة والتعليم •• الخ • قد تكون الديمقراطية شرطا للنجاح فى كل هذه الميادين ولكنها على الارجح ليست شرطا كافيا • ومع ذلك ، فايا كان خلافنا مع د• فؤاد زكريا فان مما يجب أن تطيب به نفسه هو انه هو نفسه أحد هؤلاء المناضلين الشرفاء فى أكثر من ميدان من هذه الميادين •

البحث عن الأباضية:
فى الجزر والواحات
والأطراف البعيدة

سرّ الوحدة فى عمان وزنجبار ووادى مزاب ونفوسة وسيوه

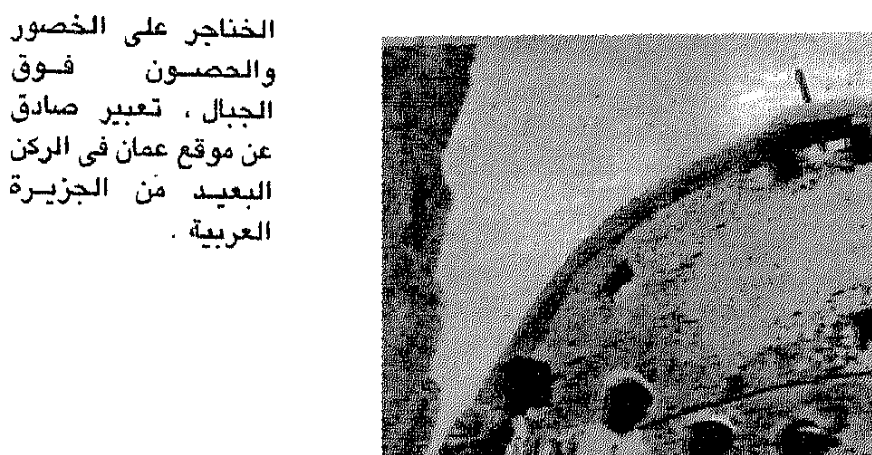
تقديم: مصطفى نبيل

نسعى عند معالجتنا للفرق والمذاهب الاسلامية إلى اكتشاف آفاقها فى عالمنا العربى والاسلامى، باعتبارها دليلا على ثراء الفكر الاسلامى وقدرته على البقاء والتعايش، مدركين أن المنطقة العربية تتجه ـ فى زماننا الراهن ـ نحو التمزق والفرقة ..

وتستهدف محاولتنا إلى رأب الصدع، وتضييق دائرة الخلاف، وتقليل آثار هذا الانقسام، الذى يعود أساسا إلى الجهل بهذه الفرق، أكثر مما يعود إلى مواطن الفرقة والخلاف.

وفى محاولتنا التعرف على الأباضية، تلك الدعوة التى ظلمها التاريخ، فقد شاء قدر المذهب الأباضى أن يظل خارج دائرة الضوء، بسبب كمونه فى المناطق البعيدة ورحيله إلى الجزر والواحات وسط الصحراء ..

المتحف البشرى او التاريخ الحى ، فالبشر بلحاهم وملابسهم وعمائمهم صورة من الماضى .



الخناجر على الخصور والحصون فوق الجبال ، تعبير صادق عن موقع عمان فى الركن البعيد من الجزيرة العربية .

البحث عن الأباضية

ويبرز المذهب الأباضى عبر ١٤ قرنا باعتباره دعوة صريحة للمساواة ، فمن حق أى مسلم أن يتقدم الصفوف وأن يتولى القيادة ، ويدعو المذهب للخروج على الامام الجائر ، وهو بذلك فكر سياسى أكثر منه مذهب فقهى .

سنتنقل بين عمان وحضرموت وزنجبار ووادى مزاب فى الجزائر وجبل نفوسه فى ليبيا ، مستعرضين تاريخ أبناء المذهب راصدين حياتهم وفنونهم ، لا نقتصر على العودة إلى الكتب القديمة التى يمكن أن تحمل آثار معارك الماضى الدامية ، ولن نقتصر على مقولات فقهاء المذهب ، فكثيرا ما تجنح بعض المذاهب إلى الكتمان !

● صور تاريخية فذة ●

والبداية فى عمان ، ذلك المتحف البشرى الذى مازالت قلاعه وجباله وأزياء أهله كأنها قطعة من التاريخ ، ومازالت أبرز معالمها القلاع فوق الجبال وعمارتها المطرزة القديمة التى تغلب على كل محاولات التحديث التى تعيشها ، يجذبك اليها الدور العمانى فى حمل التراث الاسلامى إلى أقصى الأرض ، وتصادف أن كان مدخلى إليها زيارة لجزيرة زنجبار ، وشاهدت آثار الأباضية بعد إسدال الستار على المجد العربى الذى شهدته الجزيرة عندما وصل إليها العمانيون ، بعد أن حملوا الحضارة العربية إلى شواطىء وجزر آسيا وأفريقيا ، وجاب أسطولهم البحار والمحيطات ..

يستوقفنى فى مدن عمان شذرات من الفن العربى ، وعلامات التاريخ الباقية ويستهوينى البشر بلحاهم وملابسهم البيضاء ، وعمائمهم المميزة ، لقد نحتوا بأيديهم كل شىء ، الجبل وواجهات البيوت ، بل والأبواب والنوافذ ، حتى الخناجر والأساور والمكاحل .

وحيثما تجولت فى مسقط أو نزوى أو صحار ترى النقوش الأخاذة التى تصنع من الجبل والقلاع ومياه البحر صورا تاريخية فذة ، وتشعر أنك فى بلد له جذور ضاربة فى أعماق التاريخ ، وترى تأثير موقع عمان فى الركن الجنوبى الشرقى لجزيرة العرب ، فى تلك الحصون فوق الجبال ، وفى الخناجر العمانية التقليدية على الخصور ، وكأن طبيعة الصخور تسللت إلى شخصية كل منهم ، يواجه بها غزوات المعتدين ..

ومع ذلك عندما تتحدث إلى الأهالى ، فكأن الدنيا تعود بك إلى حياة البراءة والسماحة والسلام .

« إن الشخصية الأباضية هى مفتاح شخصية عمان » .. هذا ما ردده عدد من الباحثين ، فعمان تعتبر الوطن الأم للأباضية ، الذين احتموا فيها بمذهبهم ، يفصلهم عن بقية الجزيرة العربية « الربع الخالى » حد عمان الشمالى والغربى والذى يشكل حاجزا طبيعيا ، فهى مثل الجزيرة تتصل بالبحر من جانب وبالصحراء من بقية الجوانب ..

لذلك جاء تاريخها متفردا وبقت دائما بعيدة عن مركز الدولة الاسلامية ، وكثيرا ما انفصلت عن الخلافة الاسلامية ، هذا

ما وقع بعد خلافة « أو بكر » وعمر وعثمان ، ولم تقف الدولة الأموية ومن بعدها الدولة العباسية مكتوفتى الأيدى ، فعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان استخدم الحجاج بن يوسف الثقفى واليا على العراق ، سعى الحجاج لاستعادة عمان ، ولم ينجح إلا بعد إرساله جيشا انتصر على سليمان وسعيد الجلندى ..

وبعد وفاة الوليد بن عبدالملك والحجاج ، عاد أهل عمان يمارسون استقلالهم من جديد .

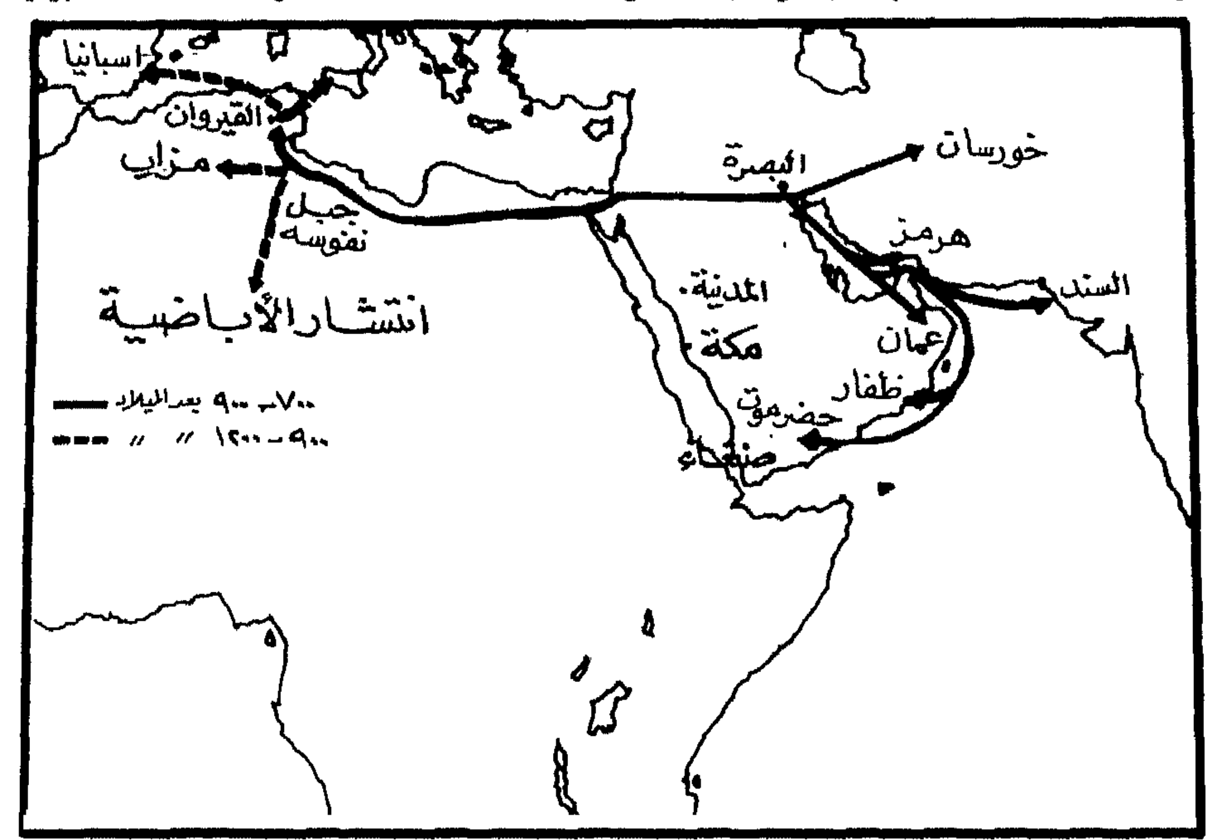
وظلت عمان بعيدة عن الحكم الأموى وبعد قيام الدولة العباسية تولى الجلندى ابن مسعود الأمامة ، وجاهد العباسيون لفرض سلطانهم عليها ، وقامت حروب ضارية بين الجوش العباسية والجلندى بن سعود وجيشه ، انتهت باستشهاد الجلندى وأصحابه .

ويذكر المؤرخون العمانيون .. « أن عمان بقيت ، بعد استشهاده حوالى أربعه وأربعين عاما ، فى يد « الجبابرة » من بنى الجلندى ، منقادين لأمر بنى العباس إلى سنة ١٧٧ هـ ثم رجعت الدولة للمسلمين .. » !

كما يذكرون أنه بعد سقوط الدولة الأموية فى سنة ٧٥٠م . انتخبوا أول إمام لهم عام ٧٥١ م ـ ١٧٧ هـ وظل العمانيون حوالى تسعمائة عام ينتخبون أئمتهم على أساس ما يتمتعون به من مزايا شخصية ، وينالونه من تقرير عام ، بصرف النظر عن أى إعتبار آخر ، ومنذ الجلندى بن مسعود عام ٧٥١م حتى ناصر بن مرشد اليعربى عام ١٦٢٠م ..

واستمر هذا الوضع المتفرد وعندما قامت الدولة العثمانية ، لم يمتد إليها الحكم العثمانى كما امتد إلى غيرها من الأقطار العربية الاسلامية .

خريطة تنقل انتشار المذهب الاباضى عبر التاريخ والبداية من البصرة ثم الى عمان وشمال افريقيا



البحث عن الأباضية

هذه هى الخطوط العريضة لمسار التاريخ العمانى ..

● متى ظهرت الأباضية ؟

وكما تلقى عمان الضوء على المذهب الأباضى ، يلقى المذهب الأباضى بدوره الضوء على مسارها التاريخى ، لقد ظهر المذهب الأباضى مع واقعة التحكيم بين على كرم الله وجهه ومعاوية . وإبتداء من واقعة التحكيم بدأ ظهور نظرية الشيعة فى الإمامة ، وقول الخوارج « لا حكم إلا الله » ..

ورفض الأباضية أنقسام المسلمين حول الخلافة ، ونادوا بانتخاب خليفة عن طريق الشورى دون اعتبار للنسب أو الأصل ، ورفضوا شرط القرشية كأحد شروط الخلافة ، وهو أول صراع سياسى يلبس ثوبا دينيا ..

وتقول الدكتورة سيدة الكاشف .. « يعتبر « جابر بن زيد أبو الشعثاء » مؤسس المذهب والفكر الأباضى ، والذى الف موسوعة « ديوان جابر » .. فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، ونفى الحجاج أبا الشعثاء إلى وطنه عمان ، وكان ذلك من أكبر العوامل التى ساعدت على انتشار علم ومبادىء جابر بن زيد بين العمانيين ، وعند وفاة جابر بن زيد كانت الدعوة الأباضية قد بدأت تزدهر وتجذب اليها العديد من القبائل ، ثم تمتد بعد ذلك إلى اليمن وحضرموت وشمال افريقيا ..

أما الدكتور خليقات فيقول فى كتابه الأصول التاريخية للفرق الأباضية . شهد أبوبلال زعيم هذه الجماعة المعلن ، معركة صفين مع على بن أبى طالب ، وأنكر التحكيم ، واشترك فى معركة النهروان ، وانسحب مع نفر من أصحابه ، وأقام مع أبناء عمومته من قبيلة تميم الذين كانوا يشكلون جزءا هاما من سكان البصرة آنذاك .. »

ويكمل قصة « أبو بلال » « المستشرق يوليوس فلهوزن فى كتابه الخوارج والشيعة ، يقول .. « خرج أبو بلال فى أربعين رجلا إلى الأهواز سنة ٦٠ هـ ، عندما رأى أنه لا يحق له أن يعيش فى البصرة فى ظل سلطان جائر ، ولم يتعرض لاحد بسوء ، ولم يعتد ودافع عن نفسه ضد المعتدين ، ففى آسك موضع بين رامز وأرجان ، قاتل الأربعون رجلا الذين معه جيشا مؤلفا من ألفى رجل اضطروهم الى الفرار ، ولكن هزم بعد ذلك أمام جيش كبير بقيادة عبادة بن الأخضر ، حمل عليهم أبو بلال وأصحابه وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم .. وأثر مقتله أبلغ الأثر على أبناء هذا المذهب ..

● وكان عبدالله بن أباض ممن عاصروا الامام جابر بن زيد ، والذى استطاع أن يدافع عن اراء جماعته علنا ، وجاءت التسمية فى البداية من مخالفيهم ، ثم أخذت تظهر فى كتاباتهم بعد ذلك ..

وتعود الدكتور سيدة الكاشف وتكمل صفحات التاريخ .. « قام أبو عبيدة مسلم ابن كريمة التميمى ـ الذى كان زنجيا أسود اللون أعور ـ باعداد « الدعاة » الذين يقومون بالدعوة وخاصة فى البلاد البعيدة النائية ، الواقعة فى أطراف الدولة الاسلامية ، بعد أن أصبح مرجع الأباضية بعد جابر بن زيد » ..

وتمضى الحلقات ، وتقوم الاباضية فى

حضرموت واليمن على يد عبدالله بن يحيى الكندى المشهور بطالب الحق فى سنة ١٢٩هـ (٧٤٦م) ، بعد أن بذر أباضية البصرة بذورهم فى جنوب الجزيرة العربية ، وكان عبدالله بن يحيى فى حضرموت على صلة وثيقة بهم ، أراد أن ينتفض على جور الحكام وشجعه المقيمون فى البصرة على الخروج ، وأقبل إليه من هناك أعضاء بارزون ، وأظهر لين الجانب فاستطاع أن يمتلك قلوب أهل اليمن ، وأكد أنه لا اختلاف بين مذهبه ومذهب أهل السنة والجماعة فى الجوهر ، وعند نهاية عام ١٢٩هـ بعث إلى مكه بجيش - يتكون من ألف رجل على رءوسهم عمائم سود وحمر ، فى موسم الحج ، ولم يشأ أن يبدأ القتال إلا بعد أن هوجم برمية على أحد رجاله .

وكانت معركة قديد ، مما جعل الطريق مفتوحا بغير قتال إلى المدينة ، وزحف إليه جيش أموى فى مستهل جمادى الأول سنة ١٣٠هـ يبلغ تعداده أربعة آلاف ، وانتظرهم الأباضية فى وادى القرى فهزموا وقتل معظمهم .. »

وقد قام باسم الأباضية عدد من الدول هى :

● عمان ، والتى حملت المذهب إلى زنجبار بشرق أفريقيا عندما كانت مسقط وزنجبار بلدا واحدا .

● دولة قامت فى ليبيا عام ١٤٠هـ ، ولم تعمر طويلا فانتهت بعد نحو ثلاث سنوات ، ومازالت ليبيا تضم عددا من الأباضية فى جبل نقوسه ..

● دولة قامت فى الجزائر سنة ١٦٠هـ ، وبقيت حتى حوالى ١٩٠هـ ، ومازال المذهب الأباضى قائما فى وادى مزاب وجزيرة جربه فى تونس .

● دولة قامت فى الأندلس ولاسيما فى جزيرتى ميورقة وميتورقة ، التى انتهت مع نهاية الأندلس .

● أقوال معاصرة ●

والآن .. كيف يرى المفكرون المعاصرون المذهب الأباضى ..

يقول أحمد أمين عن الأباضية فى كتابه ضحى الاسلام .. « لقد كان فيهم كل العناصر التى تكون عقيدة راسخة ، لا تزعزعها الأحداث ، وتحمس شديد لها تهون بها الأرواح والأموال ، وصراحة فى القول والعمل لا تخشى بأسا ، ولا ترهب أحدا ، وديمقراطية حقة لا ترى الأمير ولا العظيم إلا خادمها ، ويجب أن يسير المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنة لا ينحرفون عنها قيد شعرة .. »

ويقول فلهوزن .. » إن الأباضية ألين عريكة ، لم يكن هدفهم مع طهارتهم وشدة تمسكهم بالدين ، أن ينتصروا على جماعة المسلمين بالقوة ، بل أن يكسبوهم لمذهبهم .. »

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه المذاهب السياسية ..

« الأباضية هم أتباع عبدالله بن أباض ، وهم أكثر الخوارج إعتدالا ، وأقربهم إلى الجماعة الاسلامية تفكيرا فهم أبعدهم عن الشطط والغلو ، ولذلك بقوا ، ولهم فقه جيد ، وفيهم علماء ممتازون ، وتقيم طوائف منهم فى بعض واحات الصحراء الغربية

البحث عن الأباضية

وبعض آخر فى بلاد الزنجبار ، ولهم آراء فقهية ، وقد اقتبست القوانين المصرية فى المواريث بعض آرائهم ، ولهم فقه معروف ، ولهم جهود فى تحرير مذهبهم .

وجملة آراء الأباضية :

ـ إن مخالفيهم من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين ، ويسمونهم كفارا ، ويقولون عنهم إنهم كفار نعمة لا كفار فى الاعتقاد ، وذلك لأنهم لم يكفروا بالله ، ولكنهم فى جنب الله تعالى

ـ دماء مخالفيهم حرام ، ودارهم دار توحيد وإسلام ، إلا معسكر السلطان ، ولكنهم لا يعلنون هذا ، فهم يسرون فى أنفسهم أن دار المخالفين ودماءهم حرام .

ـ لا يحل من غنائم المسلمين الذين يحاربون إلا الخيل والسلاح وكل ما فيه من قوة فى الحروب ويردون الذهب والفضة ..

ـ تجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم والتوارث معهم ، وفى هذا كله يتبين اعتدالهم وإنصافهم لمخالفيهم .. » .

ويلاحظ أن العديد من الكتب الحديثة التى تعالج الموضوع ويكتبها أصحاب المذهب الأباضى ، تستنكر نسبة أبناء المذهب الأباضى إلى الخوارج ، ولعل ذلك لدلالة اللفظ التى يمكن أن تعطى مدلول الخروج على الاسلام ، أو يفهم منها أنهم مثل الخوارج الأزارقة والصفرية الذين يكفرون غيرهم من أبناء المذاهب الأخرى ، والذين أحلوا دماء مخالفيهم ، والذين لا يجمعهم مع الأباضية سوى استنكار التحكيم ورفض شرط القرشية ..

● وادى مزاب ●

وننتقل فى قفزة واحدة من عمان فى المشرق إلى وادى مزاب فى المغرب ، نستكمل التعرف على أبناء المذهب الأباضى ، أولئك الذين فروا بعقيدتهم فى الصحراء ..

لم يكن الوصول إلى وادى مزاب سهلا فهو يبعد عن الجزائر العاصمة بحوالى ٦٠٠ كيلو متر فى قلب الصحراء ، وهناك يمتد أمامك وادى مزاب ، وترى مدنه القائمة فوق التلال التى أقيمت بنظام دقيق ، فى أعلى قمة التل يقوم الجامع بصومعته المربعة بطرازها الخاص ، وهى على نفس طراز أقدم المساجد القائمة فى الجزيرة العربية ، وهو مسجد سيدنا عمر فى منطقة الجوف ، تتحلق حول الجامع بيوت الأهالى ، تهبط التل ، كل حلقة بارتفاع واحد وطراز معمارى خاص ، والعمارة تشبه عمارة شيبان ، وسيئون فى حضرموت ، ويغلب على المدينة المزابية اللونان الأزرق والأبيض ، وعندما تصل المدينة إلى نهاية التل يحيطها سور من

حوله ابراج على مسافات متساوية .. ويحيط بها اللون الأخضر لأشجار النخيل فى خلفية المكان على امتداد الوادى .

وقد ساهم فى إقامة هذا الوادى ومدنه كل من العقيدة والبيئة والتاريخ .

ففى هذا المكان البعيد عن العمران وسط الصحراء وبين الجبال الجرداء الصخرية ، تكونت مع الأيام هذه المدن فى بطء وصبر ، وكأنها خلية نحل فى التنظيم والتنسيق والنظام .

وساهمت عزلته فى تكوين طابعه الخاص ، وقد ساهمت حالة التوجس التى عاشها هذا المجتمع فى دفعه للإيغال فى التمسك بالماضى .وأمده بطاقة تاريخية على الاستمرار ، وشحذ الذاكرة التاريخية لأهل مزاب وجعلها حادة واضحة ..

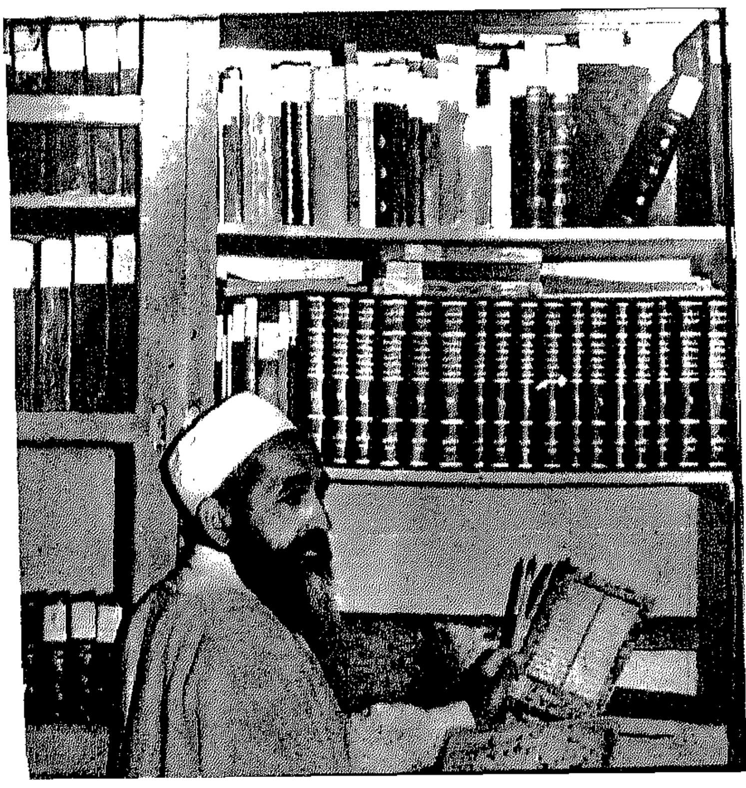
وفى هذا الركن المفقود من الصحراء تتوزع مدن مزاب الخمس وهى غرداية (غار ـ دايه) ومليكه اسم إبنة أحد الحكام ، والعطوف وبنى يزقن وبوتورة في دائرة لايزيد نصف قطرها على سبعة أميال فوق خمسة تلال ، وقد نشأت هذه المدن فى فترات زمنية متتالية .

إن قرى مزاب هى بقايا دولة بنى رستم الأباضية ، والتى تمثل قصة قيامها وانهيارها فى وجدان أبناء الوادى الحلم الضائع والجنة المفقودة .. ! وقد استمرت هذه الدولة حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، يوم كانت « تاهرت » هى عاصمة الدولة الرستمية ، وامتدت لتشمل كل المناطق الداخلية ، وحدودها الأراضى الوعرة والصحراء الشاسعة ، والتى وصلت حتى مشارف طرابلس الغرب .

ترى أمامك قرى بعمارتها ودروبها وأسوارها وأبراجها وعادات أهلها وتقاليدهم ولباسهم المميز ـ العمة والسروال ـ ولحاهم الطويلة ، وكأنهم استمروا هكذا لم يتغيروا منذ ما يقارب التسعمائة عام ، تكاد تختفى المرأة من أزقة هذه القرى ، ولا تجد فى هذا المجتمع أميا واحدا ، ويندر أن تجد فيه ، بخلاف مدن الساحل ، من لا يتحدث اللغة العربية بطلاقة إلى جانب اللغة البربرية المحلية ، مجتمع يأخذ نفسه بالشدة ويتمسك بتعاليم الدين الحنيف .

وساهم الماضى فى أن يتمسك أفراد هذا المجتمع بكل ما فروا من أجله الى الصحراء ، مما يؤكد أن الاضطهاد والملاحقة لم يقضيا يوما على فكرهم ، بل ساهما فى الحفاظ عليه والتمسك به ، وأكثر ما يلفت النظر بعد البشر ونظمهم طراز العمارة التى يؤكد المعماريون أن وادى مزاب يضم المجموعة الاسلامية الهندسية الرئيسية فى الصحراء وأقدمها جميعا ، والتى تتميز بدقة وجمال ، لا فى

مازالت للمخطوطات مكانة عالية عند ابناء المذهب الأباضى ، الشيخ صالح بزملال فى مكتبة الشيخ الطفيش



البحث عن الأباضية

المساكن وحدها بل فى أعمال الرى والدفاع

تبدو عمارتها وكأن المعمارى كان يطوع الحجر ويلاينه ويخرج منه العمل الفنى الذى جمع بين الابداع والبساطة ، فالمبنى على ذات شكل الحجر ويتسق مع البيئة من حوله وترى هنا كيف تمثل الزخرفة الفطرية القديمة جمالا باقيا ، لم تصل إليه بعد التشكيلية المصطنعة الجديدة . ولديهم تقليد فريد بألا يقوم فى المدينة سوى جامع واحد ، يتسع مع اتساع المدينة ، ويأخذون بفكرة القبلة المفتوحة التى تتجه إلى الفضاء الواسع .

ووحدة الجامع تعنى لديهم وحدة المجتمع والعقيدة .

نظام الرى : كان على بقايا الدولة الرستمية اللجوء إلى مكان يصعب على غيرهم الوصول إليه ، ولا تغرى ندرة المياه سواهم من العابرين ، واختاروا قلة المياه مع الشعور بالأمان ، وسرعان ما تطور الأمر بالجهد فى توفير المياه وتخزينها ، وأصبح لديهم نظام فريد لتخزين المياه وتوزيعها ، والسدود القائمة يعود تاريخ بعضها إلى سبعمائة أو ثمانمائة عام ، وتهدف إلى تخزين وتحويل مجرى المياه فى الوادى لرى كروم النخيل ، واحتاج توزيع الكميات المحدودة من المياه الى معرفة جيدة بالأراضى وأساليب متطورة لريها ، ووضع نظام صارم يحقق عدالة توزيعها ، وقد تمكنوا من أن يحفروا فى الوادى ما يزيد على أربعة آلاف بئر .. يتراوح عمقها بين ٢٥و٦٠ مترا ، وغرسوا ١٧٠ ألف نخلة .

وقال أحد أبناء الوادى وهو يقف أمام بئر عتيقة .. « هذه البئر حفرت على مدى ثلاثة قرون ، بدأ العمل الجد وواصله الابن ثم الحفيد وابن الحفيد ، وكانت الآلة المستعملة فى الحفر يومها لاتزيد على قرن غزال » ..

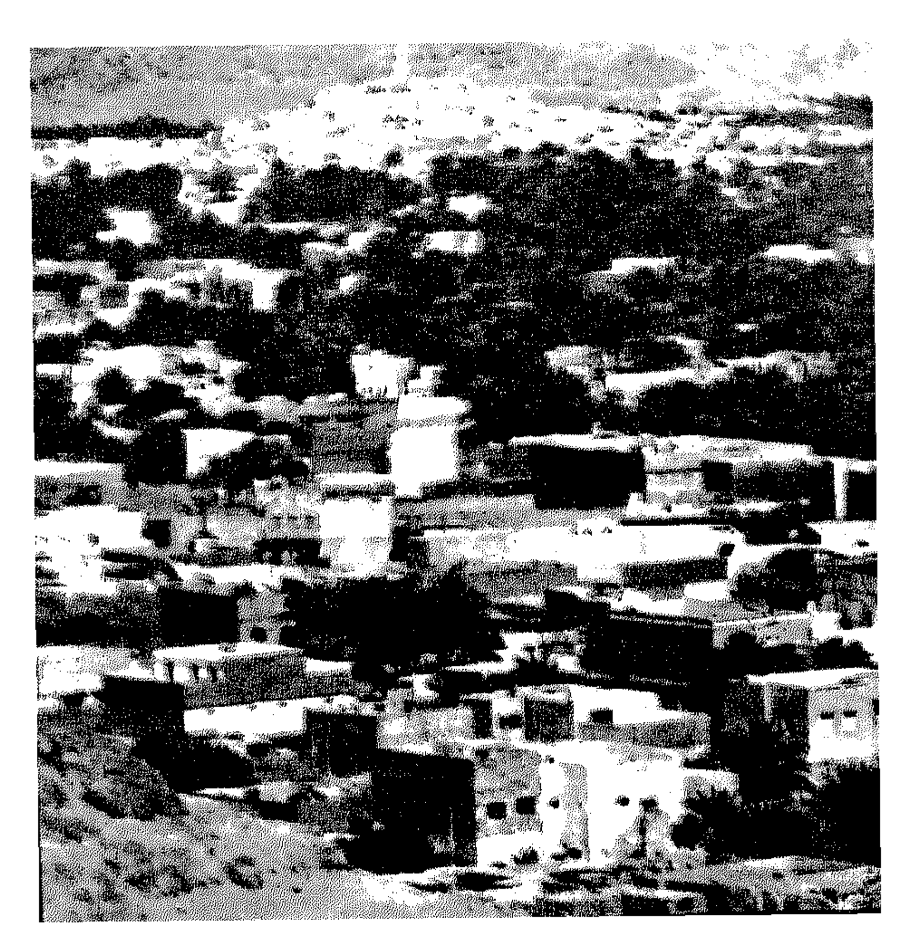
وهنا لا يمكن أن تلاحظ تشابه هذا النظام مع نظام الأفلاج المحكم فى عمان ..

● مدن للانتاج والدفاع ●

تدخل قرية يزقن عبر بوابة يقف أمامها حرس خاص ، يصل لرتفاع السور نحو ثلاثة أمتار .. ويبلغ طول السور ألفين وخمسمائة متر ، أقامته الحاجة الملحة للشعور بالأمن .. وتلحظ الاهتمام الكبير بالاستعدادات الدفاعية ، ليس فى الاسوار والأبراج فحسب ، بل فى تخطيط المدينة ذاتها فالأزقة ملتوية ، والأبراج أقيمت من أربعة أو خمسة طوابق ، أليست هذه مدنا للانتاج والدفاع على السواء ..؟

أول ما تشاهده عند الدخول لافتة تتضمن تحذيرات باللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية تطلب الامتناع عن التدخين والامتناع عن تصوير المارة وعدم دخول منازلهم ، وارتداء ملابس « الحياء » وعدم تقديم الحلويات للأطفال !

وسيلة المواصلات الوحيدة هى الحمير ، التى يمكنها الانتقال فى هذه الأزقة الضيقة ، وفى ساحة كبيرة وسط المدينة يجلس الشيوخ بلحاهم البيضاء



الجامع اعلى التل ومركزه البلدة ، تتحلق حوله بيوت الأهالى ، والسور يلتف حول البلدة

صناعة « الزرابى » وسط الصحراء

البحث عن الأباضية

أمام بيوتهم ، ولا يمكن للأجنبى البقاء فى بنى يزقن بعد الغروب ، وإذا صادف ولمحت أحد نساء مزاب فهن ملتفات بعباءات بيضاء لا يظهر منهن شىء ، والمرأة المزابية تتولى الاشراف على شئون الأسرة فأغلب الرجال يسافرون بعيدا للعمل والتجارة خارج الوادى ، **وتكاد لا تخلو مدينة جزائرية من متجر لأحد المزابين ، وساهمت المرأة إلى جانب الرجل فى مواجهة الظروف التاريخية القاسية ، وهى وحدها التى تصنع تلك المنسوجات الصوفية** وتحظر التقاليد على الرجل المشاركة فى نسجها ، وتنتج مزاب أشكالا فنية بديعة ، كانت تشتريها فى الماضى القوافل ويولع بها اليوم السياح ..

● الدولة الرستمية ●

وحان الوقت لنستعرض معا قصة الدولة الرستمية ..

قامت الدولة الرستمية بعد صراع طويل ، وهى إمتداد لمحاولات شهدها المشرق العربى ، فبعد زوال الدولة الأباضية فى البحرين وحضرموت والطائف واليمن سنه ٧٢هـ ، وبعد أن لجأ أصحاب المذهب الأباضى إلى التنظيم والدعوة كبديل عن أعمال التمرد الفاشلة ، بعث الدعاة إلى المناطق البعيدة النائية عن حاضرة الدولة الاسلامية ، هذا بعد تجارب عديدة ، وبعد أن لجأ أباضية المشرق إلى أساليب الدعوة السرية والتنظيم السياسى بعد فشل حركة عبدالله بن أباض التميمى ، وأخذوا يبعثون من مركزهم فى « البصرة » دعاتهم إلى الأمصار المتطرفة ، كما أشرنا من قبل ، ونجحت هذه الجهود فى جنوب الجزيرة العربية وفى المغرب **وهذا ما يفسر التشابه القائم بين عمارة مزاب وعمارة كل من سيئون وشيبان فى حضرموت .**

انتشر الدعاة فى المغرب وأخذوا يدعون لمبادئهم التى تقوم على العدالة وواجهوا العسف والاضطهاد بعد أن قامت مبادئهم على التحريض على الخروج على الأمام الجائر ، والاجماع على جواز الأمامة لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة ..

« واستقبلت هذه المبادىء بالحفاوة لما تنطوى عليه من تمسك بالشريعة ، وثورية فى قوامها السياسى ، وبساطة فى جوانبها الفكرية ، كما لقيت مناخا مواتيا فى ظروف المغرب الاسلامى وطبيعة سكانه » كما جاء فى كتاب الدكتور محمود اسماعيل » الخوارج فى المغرب »

وتذكر المصادر الأباضية فى كتاب « سير الأئمة واخبارهم ، لمؤلفه « ابو زكريا يحيى بن ابى بكر » والذى نشرته وحققته المكتبة الوطنية فى الجزائر .. « إن أول من جاء يطلب مذهب الأباضية ونحن بقيروان افريقيا سلمة بن سعيد . وأضاف قدم علينا من ارض البصرة ومعه عكرمة بن عباس على بعير .. »

وبعد جهود مضية نجح عبدالرحمن بن رستم فى تاسيس دولة تاهرت سنة ١٦١هـ (٧٧٧ م) ، وامتد نفوذها لتضم اباضية المغرب ، والغريب أنه فى هذا

الماضى البعيد ومع غياب وسائل الأتصال الحديثة ، كان العالم الاسلامى مترابطا ، إذا انطلقت فكرة من البصرة سرعان ما تجد صداها فى اقصى المغرب ..

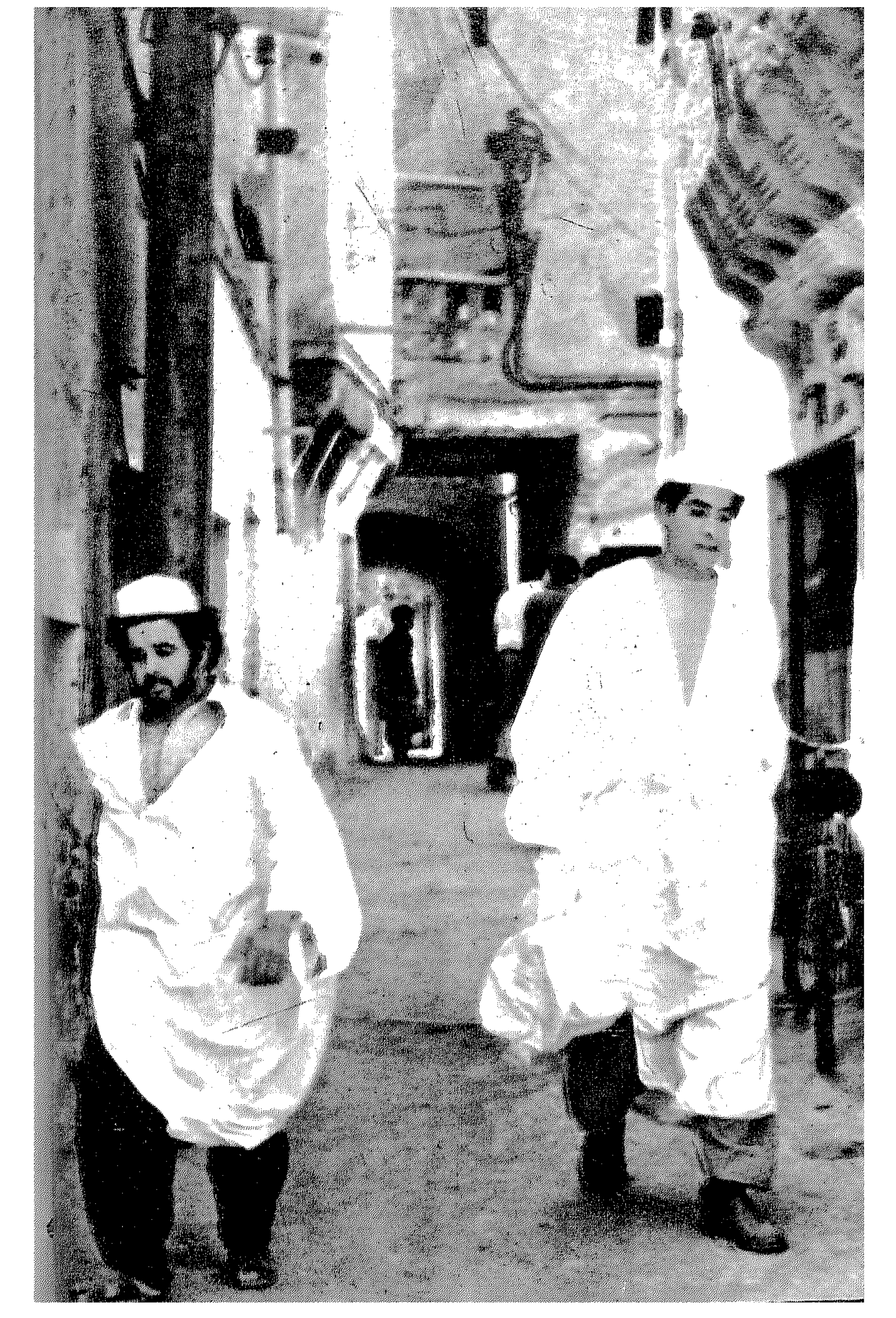
وتروى المصادر الأباضية عن تلك الدولة الحلم وتعدد مزاياها ، ويكفى أنها كانت دولة ليس لديها جيش نظامى أو شرطة يقول أبو زكريا كانت خيول الأباضيين من ممتلكاتهم الخاصة ، فبيت المال ليس تحت تصرفهم ، ويكسبون رزقهم من عملهم ، ولم يكن للامام حرس خاص ، والقاضى يتعرض للاهانة ـ أحيانا ـ من المتقاضين إذا لم يوجد فى القاعة من يتبرع بالدفاع عنه ، كما تروى هذه المصادر باستفاضة تتابع وصول وفود المشاركة من المشرق واعجابهم بحكم الأمام عبدالرحمن وما كان عليه من زهو وعدل وورع ، وحرصه على استشارة أهل الرأى فى كيفية توزيع الأموال التى يحملونها له من الشرق ، والتى كانت تنفق فى ثلاثة أوجه ثلث فى الكراع (الخيل) وثلث فى السلاح ، وثلث توزع على فقراء المسلمين وضعفائهم » .

ومرت تلك الدولة مثل سواها بدورتها الطبيعية ، تبدأ قوية متعافية ويتم التطبيق الكامل للدعوة التى حملها مؤسسوها ، وتنتقل بعد ذلك من مرحلة الشباب إلى الشيخوخة ، ومع الزمن تدب فيها الخلافات ، وتتخلى بالتدريج عن قيمها الرئيسية ، وتحولت الامامة من الانتخاب الى الوراثة ، وفقدت سر قوتها وصلب دعوتها ، وعادت الأمور سيرتها الأولى ، إلى ذات النهج الذى سبق ودفعهم إلى الدعوة والحركة .. فاذا كان صلب الدعوة

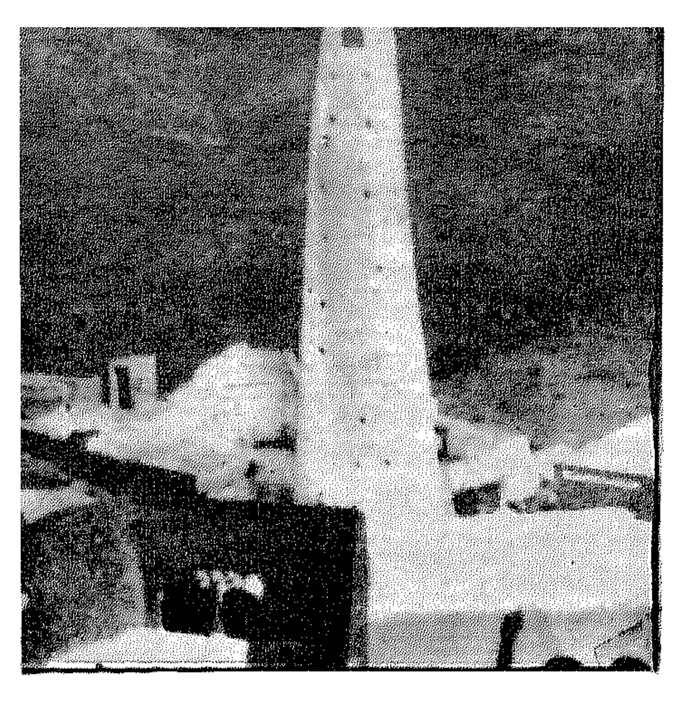
المحظورات ، أول مايلحظه زائر بنى يزقن ، «عليك أن تتجنب دخول بيوت البلدة ، وارتداء ملابس الحياء وعدم تقديم الحلويات للأطفال !»

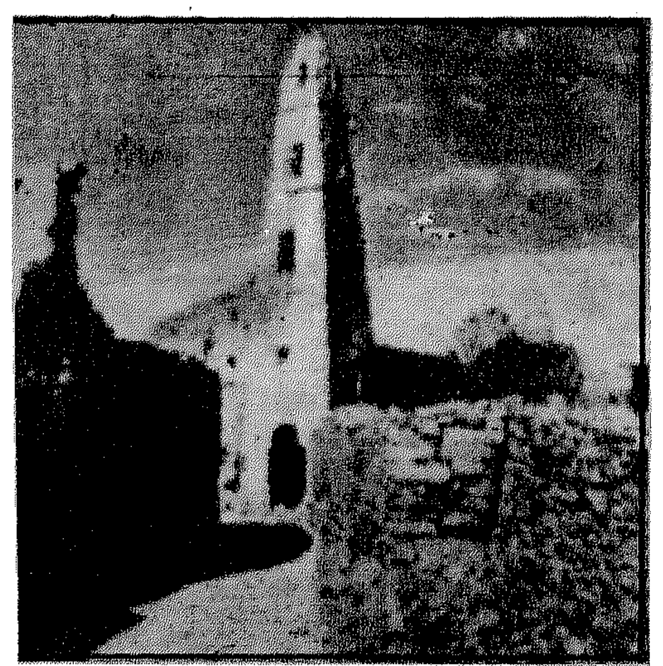
أحقية المسلم الصالح للإمامة بصرف النظر عن أصله ..

نجد فى المرحلة الأولى الأمام عبدالرحمن يوصى قبل وفاته بتعيين مجلس شورى يوكل إليه اختيار الامام الجديد من بين أعضائه ، ولم يمض الوقت حتى تغير الأمر ، ولم تنجح هذه الدولة سوى فترة قصيرة فى التوفيق بين مطالب الحكم وبين الأعراف البدوية فى الصحراء فطمعت القبائل فى تولى السلطة ، ونجح محمد بن سالة الهوارى فى الاستيلاء على الحكم لمدة ثمانية أعوام ، وأخيرا سقطت مملكة تاهرت على يد أبى عبدالله سنة ٢٩٧هـ (ـ ٩٠٩ م) دون قتال بعد أن وصلت إلى ذروة ضعفها ،



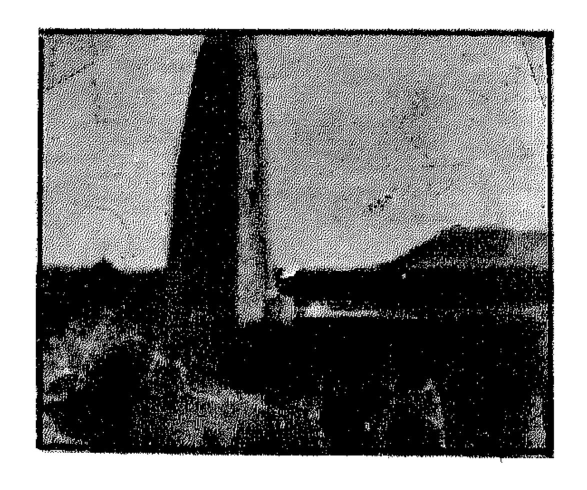
البحث عن الأباضية





وكما جاء على لسان ابن الصغير : « .. وكان البلد قد فسد ، وفسد أهله واتخذوا للسكر أسواقا ، والغلمان أخداتا » .. « وكانت قد تعرضت لضربة قاصمة بسبب ما حل بأباضية جبل نفوسه سنه ٢٨٣هـ في موقعة سانو (قلعة بين قابس تونس وطرابلس ليبيا) ، عندما أجهز الأغالبة على جيوش نفوسه ، وأمر أبو عبدالله بإحراق المكتبة الرستمية ، المعصومة » بعد أن انتقى منها الكتب المتعلقة بالحكم والفنون والرياضيات والصنائع ، وأخيرا أضرم النار فى تاهرت ، لذلك يلاحظ اليوم حرص أصحاب المذهب على المخطوطات والمكتبات التى لايرتادها أحد وتوجد فى مكان غير معلوم للكافة » ..

ورغم اختفاء تاهرت قوى المذهب فى صورة جماعات صغيرة مشردة فى الصحراء ، وانتقلت بعض هذه الجماعات إلى واحة وارجلان (الجزائر) ، وعندما هجم المرابطون على الواحة فروا فى منتصف القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى . إلى سدراته ، وعندما دمرت سدراته كانت صيحتهم **افترقوا ولا تتجمعوا ، فما أجتمع منكم ثلاثة إلا**



لم يفت الرحالة ابن بطوطة ، منذ سبعة قرون ، التشابه بين عمان والمغرب ، وهذه ثلاثة جوامع ، الأول ، جامع عمر فى الجوف . والثانى فى مزاب والثالث فى سيوه ، ويظهر التشابه فى المئذنة المربعة ..

البحث عن الأباضية

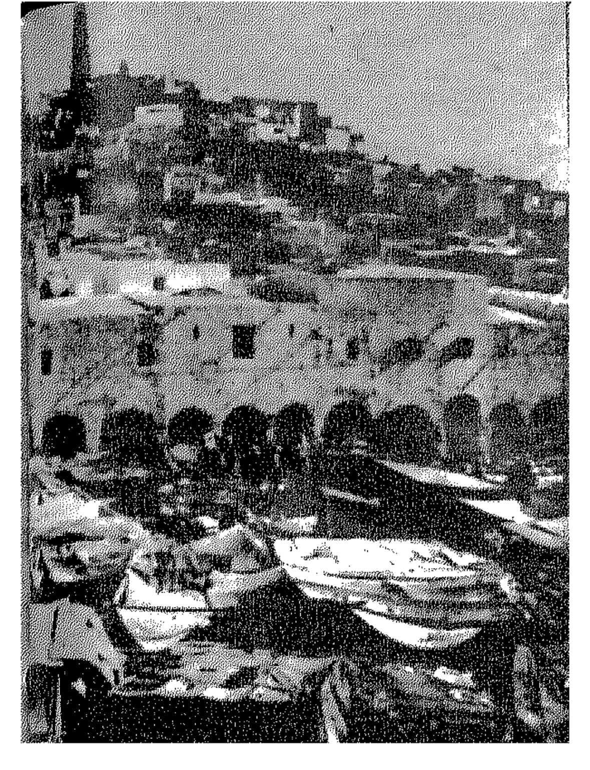
وطلبوا .. » وانتهى بهم الحال إلى وادى مزاب .. وبقيت منهم تجمعات فى كل من جزيرة جربة بتونس ، والساقية الحمراء وتقلالت بالمغرب ، وجبل نفوسه بليبيا » ..

● عرب وبربر ●

ويحلو للعديد من المؤرخين إضافة عامل آخر إلى أسباب الأعتزاز القائم بدولتهم القديمة ، هو انها كانت آخر عواصم البربر ، ومثلما يحاولون ربط المذهب الشيعى بالفرس ، يحاولون ربط المذهب الأباضى فى شمال افريقيا بالبربر ..

يقول الكاتب الفرنسى شارل جوليان فى كتابه تاريخ شمال أفريقيا .. « واجه الحكم العربى فى المغرب تحد من خلال الاسلام ، عندما انحاز البربر فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، إلى شقاق يهدف الى المساواة ، ويدعو إلى اختيار الخليفة من جموع المسلمين بصرف النظر عن أية ميزه عرقية ، ودامت الثورة مايزيد على قرنين ، ولم يتم التغلب عليها سوى بعد عام ٣٧٥هـ ، عندما تشتت البقية الباقية منهم فى صحراء الجزائد وتونس بعد انهيار مملكة تاهرت سنة ٩٠٩م ...

وهذا رغم أن عبدالرحمن بن رستم لم يكن من البربر وهو مؤسس الدولة ، ورغم أنه فى أوقات كثيرة طغت تعاليم المذهب على دوافع العصبية والعنصرية ، حتى لقد أرجع البعض انهيار الدولة « إلى أن



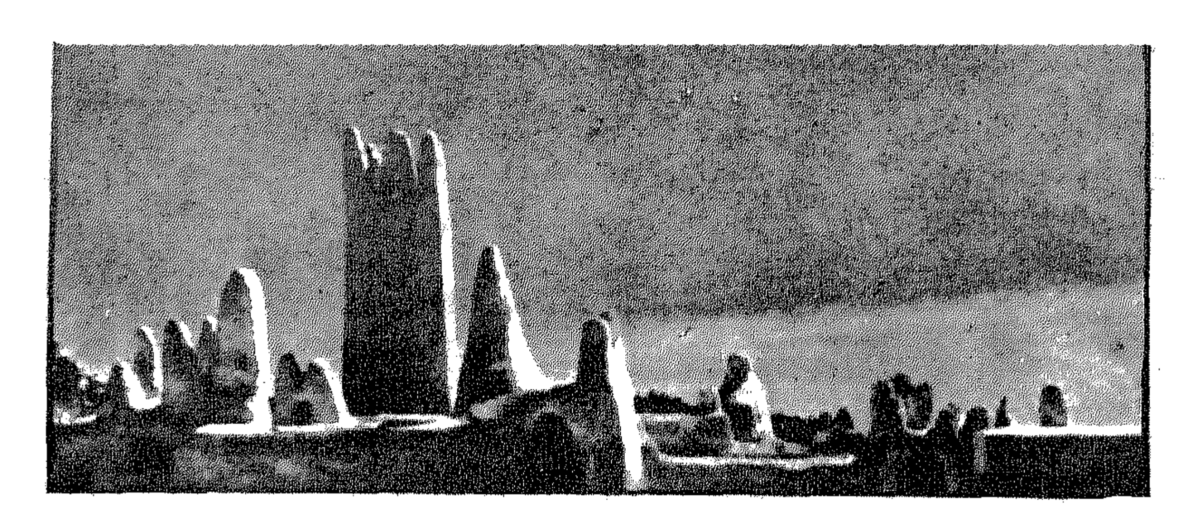
لقطة فريدة للسوق والجامع فى غرداية ، وتظهر خلفية المدينة

سياستهم غير سياسية » .. يجنحون إلى المواقف المثالية سواء عند خوض الحرب أو فى معاملة الخصوم ، فلا يشهرون الحرب إلا بعد اعلان الطرف الآخر وأخذ الحجة عليه ، ولا يتبعون المدبر ، ولا يجهزون على الجرحى ، ولم يخربوا الزرع ، ولم يهدموا سوى الحصون والأسوار ، وتعففوا عن الغنائم من غير السلاح والعتاد ، ولم يقتلوا الأطفال أو يسبوا الزرارى .

● سيوة ومزاب ●

والآن لننتقل بين المكان والزمان ..

ننتقل إلى واحة سيوة فى مصر ، نقف فوق قمة تل يتوسط واحة سيوه فى مدينة شالى القديمة ، والتى تعنى باللغة البربرية ـ البلدة ، وهى جزء من التاريخ تحولت مع الزمن إلى أطلال ، وأصبحت مدينة



لوحة من الفن التشكيلى ، مكوناتها شواهد القبور

أشباح ، وإن كانت لاتزال تعيش فى وجدان الأهالى وبعد أن تركها أهلها وهبطوا ، إلى السهل وأقاموا بيوتهم حول العيون ..

وفى الماضى أقام أبناء سيوة ديارهم أعلى التل فوق الهضبة ، حول الدور أقاموا سورا عالياله باب ضخم من أعجاز النخيل مازال قائما ، يقود الباب الى أزقة ملتوية ضيقة لا تتسع لأكثر من اثنين لسهولة الدفاع عنها واصطياد المهاجمين ، يتوسط البلدة مسجد مازال قائما ، وحوله بقايا المنازل بنوافذها الضيقة ، الذى يختلط عليك هل هى نوافذ أو مزاغل للدفاع ، **ولا يفوتك أن تلحظ طراز الجامع وتشابهه الشديد مع جوامع مزاب ومع جامع عمر فى الجوف .**

أما لماذا تحولت هذه المدينة التاريخية إلى أطلال ؟ فـإن المبانى كانت من القورشيف ، وهو طين طفلى رملى صحراوى ، والسقوف والأبواب والنوافذ والأسوار والأثاث من جذوع وجريد النخيل .. ولكن القورشيف الذى يعزل الحرارة والبرودة ويطرد الحشرات والذباب ، يذوب تحت مياه المطر وهو النادر ، وإذا انهمر المطر طويلا تنهار المبانى وهو ما وقع ، أما جذوع النخيل فهى غنية بغذاء النمل الأبيض ، مما أدى إلى هجر بلدة شالى القديمة وتحولها الى أطلال ..

وتاريخ شالى محفوظ فى مخطوط هام ، كتبه أحد أبناء سيوه هو الطيب مسلم ، يتوارثه أحفاده ، ويرجع هذا المخطوط أصل سكان الواحة الى المصريين القدماء والبربر القادمين من الصحراء والأفريقيين النازحين من أعماق القارة ..

أما النظام الاجتماعى القديم للواحة فهو قريب من النظام الاجتماعى فى مزاب ، ويضيف الدكتور فخرى .. « إن قبائل البربر فى سيوه كانت من قبائل زناتة » ..

ويأتى صوت من مزاب عندما التقيت بالشيخ صالح بن مزلال فى مكتبة الشيخ الطفيش فى بنى يزقن ، قلت له : لقد لاحظت التشابه فى العديد من الجوانب بين واحة سيوه فى مصر ووادى مزاب ...

البحث عن الأباضية



ازقة قرى مزاب ، لوجه من القرون الوسطى

ولم أكمل ، وسارع إلى القول .. « لقد زرت واحة سيوه ، وأهلها يتحدثون لغتنا ، وهم على اتصال بأهالى جبل نفوسه ، وتعود علاقتهم التاريخية إلى أيام الدولة الرستمية .. والتى كانت تمتد فى الداخل من طنجة حتى الاسكندرية ، ومازال أهل سيوه متأثرين بالكثير من نظم وتقاليد هذه الدولة .. » .

ويضيق المقال ، ولا يكفى لنقل مشاهداتى فى جبل نفوسه وجزيرة جربة وزنجبار ، وحضرموت فالموضوع مازال يحتاج إلى الكثير من الجهد ، الذى لا يقتصر على المؤرخين وحدهم ، بل وأساتذة العمارة الذين يحددون معالم تلك العمارة التى احتضنتها الصحراء والجزر ، وأساتذة الاجتماع الذين يدرسون تلك النظم الاجتماعية الخاصة ، وإلى مهندسى الرى الذين يكشفون نظام الرى والأفلاج سواء فى عمان أو فى مزاب ..

عندها تلقى هذه الدراسات الضوء ليس على المذهب الاباضى وحده ، بل وعلى كثير من معالم الحياة العربية .

بينالى القاهرة الدولى الثانى
أول الحوار العربى الأوربى

بقلم : محمود بقشيش

● إشفاقا على القارىء من تكرار الشكوى من الادارة المصرية التى تشرف على مثل هذه التظاهرات الثقافية ، والشكوى من ضآلة الميزانية ، والارتجال ، والتحكيم ذى الطابع العاطفى ، والاغماض عن مستوى لا يرقى إلى مستوى الفن ، والسماح له بالعرض لأسباب سياسية . اشفاقا على القارىء من التكرار الممل أفضّل أن أتحدث فى المفيد : أن أدخل مباشرة إلى رحاب المتاح من الأعمال الفنية التى أجازتها لجنة التحكيم ، والأعمال التى لم تجزها .



نفايات ملونة للفنان التعبيرى زكريا الزينى

بينالى القاهرة الدولى الثانى

أو الحوار العربى الأوربى

لن أتحدث عن كل قسم باعتباره جزيرة مستقلة، ومهجورة، فكل العارضين - بغير سابق اتفاق - يتحدثون لغة معاصرة .. واحدة، فليس بين العارضين من يمثل نموذج عصر النهضة - مثلا - ولكنهم يمثلون بدرجات متفاوتة بعض المفاهيم الشائعة فى المنحوتة، والمصورة، والرسم المطبوع، وإن تداخلت - بطبيعة الحال - موروثات البيئة الثقافية فى الحصاد النهائى للمنتج الفنى، بصورة مباشرة أحيانا، وغير مباشرة معظم الأحيان، فالفنان النمساوى (ايرتش ستتنجر) - والذى لفتت أعماله أنظار لجنة التحكيم، والنقاد، والجمهور العادى - تخرج أعماله من معطف التعبيرية الألمانية، ذات المذاق اللاذع والطابع الفضائحى الكاشف عن أغوار الذات، وهو يقدم مجموعة من المحفورات المطبوعة، ويتعامل مع وسيطه الخشبى تعاملا انفعاليا، تلمسه فى الآثار الحادة . المرتجلة على المسطح الخشبى، مستخرجا مسوخا بشرية، أو، بمعنى أدق، دميا خشبية تتحرك بمفصلات تديرها أيد خفية، وكأنه يقول : هذا هو إنسان القرن العشرين، الذى اغترب عن انسانيته، ولقد وفق الفنان كثيرا فى الاكتفاء باللون الأسود على المسطح الورقى الأبيض، حتى لا تتبدد الدراما بتشتيت الانتباه إلى عناصر أكثر من التى اكتفى بها، وعلى الرغم من أن إنسان (ايرتش) إنسان عام، وأن اغترابه نشأ فى ملابسات ثقافية، وبيئية متقدمة، فقد شعرنا به منتميا إلينا .. فى المذابح المنصوبة فى أرجاء الساحة العربية

على الجانب الآخر من المعرض توجد أعمال اثنين من كبار حفارينا هما : احمد نوار، وحسين الجبالى، يمثلان النقيض الكامل للفنان (إيرتش)، ففى الوقت الذى يعنى فيه الفنان النمساوى (بالتعبير) الانفعالى الصارخ، يتجه، نوار، والجبالى إلى (التجميل) والبناء الرياضى، الذهنى، الهمسى، وهى بعض ملامح المدرسة المصرية، وهى ملامح تضم معظم العارضين فى الجناح المصرى، حتى فى الأعمال التى يُفترض أن تكون ذات طابع احتجاجى كأعمال (زكريا الزينى) نراه قد جنح بها إلى تلطيف الشحنة الانفعالية، فصارت النفايات والصفائح، والعلب الفارغة الملقاة فى الطريق منتظمة فى سياق رياضى محسوب يمتعك ولا يستفزك، وربما دعاك إلى الابتسام . لقد لاذ كل من الفنانين (نوار) . و (الجبالى) بالتراكيب الهندسية، وبالذات المثلث، استخرج منها (الجبالى) شرائطه الخطية الموجية بالحروف العربية ولطّف أشكاله الهندسية



مشهد معمارى للفنان الرومانى ولسون كيليكو

بالأقواس وواجه (نوار) وحداته الهندسية بتراكيب عضوية غير أن صياغات (نوار) ذات الطابع الهندسى . الذهنى . تقربه أكثر من الجناح الاسبانى !

● الجائزة الأولى لأسبانيا ●

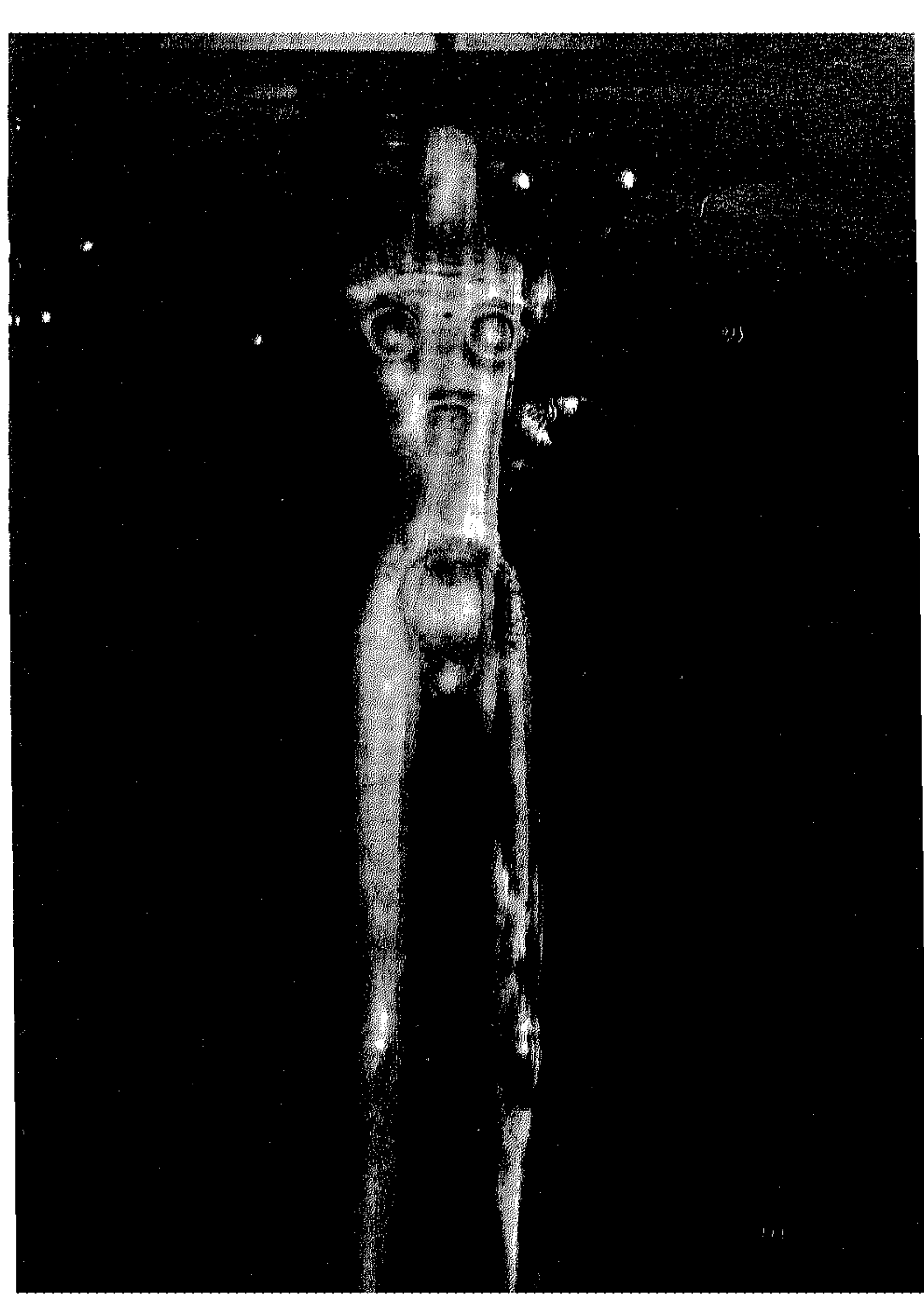
إذن لننتقل الى الجناح الأسبانى ضم هذا الجناح ثلاثة من المصورين فاز أحدهم وهو (البريتو سولسونا) بجائزة التصوير الأولى ، ونحات وهو (جورج آركس) وفاز بالجائزة الثالثة . اتفق الفنانون الأربعة على احترام البناء الهندسى ، واختلفوا فى المزاج الشخصى ، ففى حين تميزت هندسية (جيراردو رويدا) بالصراحة ، تميزت هندسية (سولسونا) بالارتجال ، فى حين وظفها (فيرناندو الميلا) فى تبنى أسس التصميم التقليدى للمنظر الطبيعى وتشابهت هندسية (آركس) بالمنحوتات الافريقية الطوطمية ، واذا كان من الممكن ضم فنان من جناح الى جناح آخر ، بحكم دراسته فى وطن فنانيه ، فمن الممكن أيضا التعرف على المنابع الفطرية التى تأثر

بينالى القاهرة الدولى الثانى

أوالحوار العربى الأوربى

بها الفنان الأوربى ، فتأثر (آركس) الاسبانى ، و (آندى آداموس) - الفائز بالجائزة الأولى فى النحت - بالنحت الافريقى واضح أشد الوضوح ، وإن اختلف الاثنان ، ففى حين تعامل (آركس) مع الفن الافريقى تعاملا نظرياً درس (آداموس) الفن الافريقى دراسة مباشرة فى الجامعة الوطنية بجنوب افريقيا ابتداء من عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٣ ، وعمل بعد ذلك استاذا بنفس الجامعة ، ثم عمل فى المتحف الأركيولوجى فى أولمبيا فى اليونان ، قبل أن يستقر أخيرا بقبرص ، والمنحوتة الفائزة تمثل جذعا

فينوس فطرية للفنان القبرصى آندى آداموس (جائزة اولى فى النحت)



احلام تجريدية للفنان البحرينى عبد اللطيف مفيز



أنثويا .. يذكرنا بتمثال (فينوس دى ميلو) .. لكنها - بالطبع فينوس جديدة ، تستعير ملامح المنحوتة الافريقية . فيها بساطة ، وانصراف عن التفاصيل ، واحتفال بالتنظيم الهندسى ، وترميز بأعضاء الخصوبة غير أنه لا يقف عند حدود التأمل الجمالى ، بل يشارك (ارتش) فى الإدلاء بآراء فى الانسان المعاصر ، كما يظهر فى منحوتة أخرى له تمثل إنسانا يسقط من فوق درجات سلم عمودى ، **والمدهش أن أكثر المشاركين من الفنانين العرب ينفلتون انفلاتا من تلك المواجهات ، ويتمددون فى شرائط الحروف العربية والزخارف ، والأحلام السريالية** إن الانصراف عن ملامسة الواقع هو أحد الملامح الأساسية للفن العربى المعروض فى البينالى ، والذى تمثله ١١ دولة وإن كان هناك بعض الاستثناءات ، منها على سبيل المثال سباعية الفنان العراقى (مخلد المختار) حيث تعتمد كل لوحة من اللوحات السبع على نفس العناصر التى تمثل رموزا للطفولة ، والابداع ، كما تمثل فى الجانب الآخر قناعاً يرمز لاسرائيل ، ويتنامى التخريب ، والتشوه فى وجوه الأطفال ، ووجه بيكاسو ، فى الوقت الذى يزداد الوجه الاسرائيلى شراسة ، إلى أن يصل الدمار إلى منتهاه فى اللوحة الأخيرة

يتحدث الفنان هنا بلغة واضحة شكلا ، ورمزا ، لكى يصل تحذيره إلى أمته ، أو على الأقل .. إلى مرتادى المعرض القليلين !

وإذا كان (مخلد المختار) يحذِّر ، فمعظم الفنانين الفلسطينيين المشاركين لا يكتفون بالتحذير بل يصرخون بالمأساة !

● الفرح بالحياة ●

بين الفنانين المعبّرين عن أزمة الانسان المعاصر فى الغرب والمنفلتين منها إلى غنائيات الخط العربى ، وغيبوية السريالية ، يوجد عشق للحياة فى الجناح الألبانى !.. يمثله ثلاثة مصورين : (سالى شيجاكو) وهو حاصل على لقب فنان الشعب ، و (ولسون كيليكو) ، و (باشكيم أهميتى) أكثرهم أهمية - من وجهة نظرى - لما يتمتع به من براعة وحساسية فائقة وقدرة على تحليل عناصر الشكل والضوء ، وعلى الرغم من الأسلوب التأثرى الذى ينتهجه الثلاثة فإنهم يقدمونه - وبشكل خاص - (أهميتى) بمذاق متميز ، يكشف عن استيعابه للأسلوب التجريدى ، ومن أجمل لوحاته ، لوحة تمثل أسطح منازل فى الشتاء تستوعب معظم مسطح اللوحة . متنوعة . حية .. عبر الأغصان الخالية من الأوراق والثمار .

إن تحليل تداخلات مستويات الأسطح الرمادية ، وتشابكها مع

الأغصان المتنوعة فى الحركة ، وفى الدرجة اللونية تشكل فى مجملها نسيجا تصويريا تجريديا وفى نفس الوقت يضعك أمام حالة شعورية خاصة . بالنسبة لى شعرت بشىء من الانتعاش !...

وهو يتعامل مع لمسات الفرشاة المحملة أحيانا بعجائن كثيفة ببراعة لافتة للنظر . إن مجموعة هذا الفنان ، وبالذات تلك اللوحة تفوق أضعاف المرات اللوحة الفائزة بالجائزة الأولى .

● أعمال متفرقة ●

إن أهم الأعمال النحتية فى البينالى على الاطلاق - من وجهة نظرى - هى منحوتة بعنوان (استشراف) للفنان عبد الهادى الوشاحى . يبهرك بكتلته الطائرة ، واندفاعها الديناميكى ، وهى تكشف عن وعى الفنان وخبرته بالأساليب المعاصرة ، وخاصة الاسلوب التكعيبى ، الذى وظفه فى العمل الفنى لاعطائه حيوية فى الانتقال من وحدة معمارية إلى وحدة أخرى ، حيث تمنح الحدود الحادة تباينا فى النور والظل . لقد اختار (الوشاحى) بكتلته الطائرة طريقا صعبا يستلزم براعة وخبرة لتحقيق التوازن ، وتمثل المنحوتة إمرأة تندفع إلى الأمام ، وتحمى عينيها من وهج الشمس بيديها لتتبين طريقها ، ومنحوتته بحيويتها ، واندفاعها تحرضنا على أن نزيل العوائق ونندفع مثلها إلى المستقبل .

من الأعمال التى تحبها دون أن تشغلك بالتفكير ، لوحة بالألوان المائية للفنان البحرينى (عبد اللطيف مفيز) فعن طريق سيولة الألوان والقدرة على التحكم فيها ، واصطياد شكل ما ، أو طيف ما ، وإدارةالدرجات اللونية إدارة ذكية ، مرهفة .. يتخلق منتج فنى جميل .. غير أنه للأسف لا يبقى فى الذاكرة طويلا !

من اللوحات اللافتة للنظر لوحة الفنان الكويتى (عبد الله القصار) نال عنها الجائزة الثانية فى التصوير .

فنان آخر من الكويت أعجبتنى فيه المتابعة المرهفة للضوء ، ودرجات الألوان الرمادية ، وهو (عبد الرسول سلمان) ، وهو يشارك (القصّار) فى الرؤية السريالية ، وإن اختلف معه فى منهج تكوين الوحدة العضوية للوحة ، ففى حين يربط (القصّار) عناصره عن طريق تحالف خطوط الكتل ، أو تقابلها يقوم (عبد الرسول) بالربط بطريقة أفضل عن طريق الدرجات الضوئية ، واللونية .

إن تأمل بانوراما اللقاء العربى الأوربى يكشف عن حقائق جديرة بالتأمل ، لعل أخطرها هو أننا أخذنا من الفنان الغربى أساليبه ، وتقنياته ، وذهبنا بها إلى غيبوبة التزيين ، والتزويق ، أو غيبوبة الأحلام واسترخاء العقل ، أو على أحسن الفروض التوجه إلى فن خطابى .. لا جدوى منه .. وعند هذا الحد نكون ، على الأقل ، قد عرفنا محنتنا !

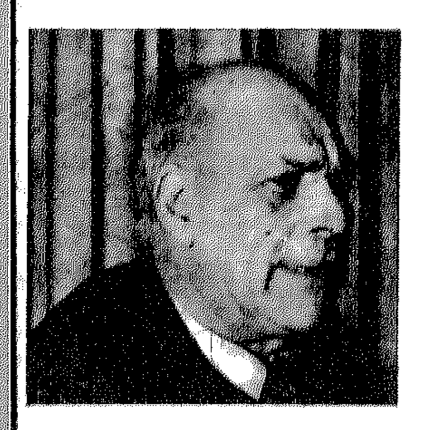


ماذا قرأوا عام ١٩٨٦



● ● مذكرات محمود رياض ، تتمتع بصدق شديد ، ورؤية ثاقبة ، وتكاد تكون أخطر وثيقة عن المخطط الأمريكى فى المنطقة .

أحمد بهاء الدين



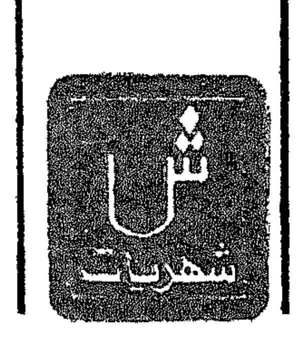
● ● مذكرات حرب السويس للأستاذ محمد حسنين هيكل يكتسب أهميته فى الدراسة السياسية والدبلوماسية التى تصاحب القسم التاريخى وتشرحه وتوضحه .

فتحى رضوان



● ● النقد الفنى دراسة جمالية وفلسفية للدكتور فؤاد زكريا ، والكتاب محاولة لجعل تلقى الفن غير قائم على تذوق الشخص العادى .

د . عبدالقادر القط



● كلمة ●

ضمن مساهمتنا في تقييم الحياة الثقافية في مصر عام ١٩٨٦ يأتي الجزء الثاني من آراء النقاد والكتاب ليقوم كل في مجاله بإبراز الملامح والسمات العامة لبعض أوجه الثقافة ومعطياتها •

وكان لابد للاقتراب من استكمال الصورة ، ونحن هنا لا نقدم الا محاولة متواضعة ، أن نتطرق علاوة على تقييم الانواع الادبية والفنية ، أو رصد ملامحها ، أن نعرف حركة النشر ، فهي المحرك الاول للثقافة ، كما كان لابد لنا من تقييم المنابر الثقافية ، وفي هذا الاطار استعنا برأى الدكتور محمود الشنيطي الذي استغرقت عملية النشر الجهد الاكبر من حياته ووقته ، كما استعنا برأى القاص سليمان فياض الذي عمل هو أيضا في مجلات ، وشارك في صحف سنوات طويلة بجوار ما أبدعه الاثنان من كتابات •

وضمن هذا التقييم ، ولان حصيلة الكتب عام ٨٦ كانت حصيلة كبيرة من جهة ، وبمناسبة معرض الكتاب الدولي الذي سيفتتح بالقاهرة نهاية هذا الشهر كانت هذه الآراء لعددمن الكتاب البارزين عن أهم الكتب التي قرءوها وملامح هذه الاهمية ، كذلك يأتي باب « مكتبة الهلال » الذي اختفى الشهر الماضي ليأخذ مكانه بهذه المناسبة •

ولعلنا نكون بذلك قد ساهمنا بعض الشيء في تحريك حياتنا الثقافية التي تحتاج الى كثير من الجهد والعمل •

عبده جبير

● شعر ●

وعي جديد يفرض نفسه على شعراء الثمانينيات

د. عز الدين اسماعيل :

اعتقد ان الشعر ككل الفنون يتحرك نحو هدف يتعلق به ويتحقق من خلال كل الانجازات التي يؤديها الشعراء جيلا بعد جيل • فالشعر كالفن ليس له حد يتوقف عنده ، وليست له صورة مثالية ونهائية يمكن ان تعد آخر المطاف •

ولا أعتقد ان عاما واحدا يمكن ان يكون فارقا بالنسبة لنتاج شاعر ، او عدة شعراء ، ولكن كل شاعر في جيله يحاول أن يستوعب التجربة السابقة عليه كلها ، لكي يحدد لنفسه موقعها ،



التجربة الجديدة ، ومن خلال هذه الحركة تتكشف طرق جديدة ومجالات جديدة للقصيدة العربية • ولا شك ان اختلاف الزمن وتغير الظروف قد اثر بشكل ملموس فى هذه الكشوف وهذه الاضافات •

وعند ذاك اما يجد لديه ما يستطيع أن يضيفه ، والا كان عليه أخلاقيا أن يسكت ، ومع ذلك فان كثيرا من الشعراء لا يدركون هذه الحقيقة ، ويكتبون شعرا لا يتحرك انش خطوة عن التجارب التى حققها السابقون من الشعراء •

من اجل ذلك تصبح مهمة الشاعر دائما اذا كان ملتزما مع نفسه أن يقدم لقارىء الشعر شيئا جديدا يثرى خبرته وتجربته ، على أن تكون هذه الجدة نابعة من وعى حقيقى بما سبق تحقيقه ، ورغبة واعية ايضا بما ينبغى عمله ، ومن هنا يظهر فى كل جيل قائمة من الشعراء يأخذون على عاتقهم ، مهمة آن يرتادوا الطريق لا ليأتوا بجديد كل الجدة ولكن على الاقل لكى يتحركوا حركة جديدة فى المد الشعرى الذى يدخلون فيه •

وهذا ما يحدث فى وقتنا الراهن بالنسبة لتجربة الشعر الجديد •• فقد فتح روادها الاوائل منذ اواخر الاربعينيات الباب لانطلاقة شعرية حاسمة فى تاريخ الشعر العربى ولعلهم لم يكونوا مدركين فى ذلك الوقت انهم قد بدأوا طريقا طويلا وقادرا على استيعاب تجارب اجيال واجيال ، وهذا شىء طبيعى ، فمنذ تلك البداية حتى اليوم ظهر اكثر من جيل من الشعراء بعد جيل الرواد افاد من تجربتهم ، ولكن كل جيل يتحرك حركة جديدة من أرض هذه

فالجيل التالى لجيل الرواد عمق كثيرا من جوانب التجربة ووسع من أطرافها ، ولكنه كان لايزال مرتبطا بكثير من المضامين والهموم التى اشتغل بها الجيل الاول بصفة خاصة فى الحقبة التى سبقت ٦٧ • ثم كان هذا التاريخ علامة واضحة فى تحول عالم الشعر ، ليس من حقنا الان ان نحاكمه عندما نلاحظ انه عبر عن انكفاء الشاعر على ذاته ، واجترار لعالم باطنى من القلق غريب ووقوع فى جماليات الرمز، واتكاء على الصور السريالية ليعكس هذه الهموم الباطنية ، وفقدان الثقة فى الاشياء ، وكآبة الواقع ، لا نملك ان نحاكمه لان الواقع نفسه خرب هذه الشاعر على شعراء هذه الحقبة بخاصة الاجيال الجديدة •

وقد امتد اثر هذه المرحلة طوال السبعينيات تقريبا ، وفيما يتصل بهذه النزعة يمكننا أن نقول ان بعض الشعراء مازالوا واقعين فى أسرها ولكن المؤكد ايضا أن وعيا جديدا يفرض نفسه على شعراء الثمانينيات ، يعيدهم بشكل ما الى المسار الطبيعى الاول لهذه التجربة حيث يرتبط الشاعر مرة أخرى بواقعه الاجتماعى ، ويحاول أن يستشرف أبعاد هذا الواقع ، وأن يفهم أبعاد هذا الواقع ، وأن يستشرف المستقبل •

قد لا تبرز هذا الشعر نغمة متفائلة كالذى كان فى الستينيات مثلا ولكنها

على كل حال ليست في كآبة ما حدث عقب ٦٧ ٠

وعلى مستوى القيم الفنية والجمالية استطاع الشعر عبر هذه الاجيال المتلاحقة أن يكشف على الدوام لغة طازجة وان يوظف هذه اللغة باقصى طاقاتها التعبيرية بحيث تصبح اللغة والشعر فيها من حيث هو فكر ومضمون شيئا واحدا متلاحما ٠

اصبح ابداع الشعر باللغة معلما جماليا أساسيا لدى شعراء الثمانينيات ٠٠ وهذه مغامرة تحسب لهذا الجيل ، ولكنها ايضا تحمله كثيرا من مسئولية الاغراب ، والبعد عن الصيغ المألوفة ، ولكنني اعتقد ان الزمن وحده كفيل بان يجعل غير المألوف في هذا الشعر مألوفا مادام الشاعر نفسه ينطلق من رؤية ترى غير المألوف في المألوف ٠

المجلات والصحافة الادبية

سليمان فياض

لا اعتقد ان ثمة جديدا قد حدث او اضيف الى مجلاتنا وصحافتنا الادبية والثقافية ، على مستوى التطور في التحرير ، سوى ثلاثة امور :

الاول : تغيير مسئولية التحرير بمجلة « القاهرة » واعادة انشاء مجلة للمسرح ، في هيئة الكتاب ، وثمة مفارقة قد حدثت في رئاسة التحرير لكل من المجلتين ، فقد كان كل من رئيسي التحرير الجديدين لهاتين المجلتين ، اجدر برئاسة تحرير مجلة صاحبه من الاخر ٠ ولا اشعر ان تحرير مجلة القاهرة كمادة ثقافية قد تغير تغيرا ينكر على مستوى الحداثة ، لا فتح الاوراق والموضوعات الادبية القديمة ، شرقية وغربية ٠

الثاني : ان تغيير مسئولية الاشراف على الصفحة الادبية بجريدة الاخبار ، كان له اثره وصداه في الارتفاع بمستوى الصحافة الادبية بالاخبار ، والخروج بها من روح العداء والشللية الثقافية التي سادت وجه الحياة الثقافية ، اكثر من خمس عشرة سنة ،

وتقديم الصفحة اسبوعيا للقارىء بصورة تواكب الاحداث الادبية والثقافية الجارية ، اخبارا وموضوعات ، واثارة للقضايا الادبية العامة ، وتعريفا موجزا بأهم الكتب التي صدرت على مستوى الابداع والنقد والدراسات الادبية ٠

لكن ينيغي التحفظ كثيرا وانصاف التحرير ، الى حد ما ، على الصفحة الثقافية الاسبوعية بالاهرام ٠
وكذلك الامر يقال عن صفحة الفكر الاسبوعية بالاهرام ، والتي يبدو انها اقتصرت على موضوعات الفلسفة والتاريخ والمصطلحات ، بصورة لا تتصل كثيرا بالقارىء العام ، ولا تفيد كثيرا القارىء المتخصص ٠٠ لموادها المحررة عنده من باب القول المعاد ٠

اما مجلة « فصول » المتخصصة في نشر الدراسات الادبية ، وكذلك مجلة « ابداع » المتخصصة في نشر الاعمال الابداعية شعرا ومسرحا وقصة ، فلنا معهما وقفة ٠

مجلة فصول آن لها ان تتحرر كثيرا من الاقتصار على الدراسات الادبية ، وبالمنهج البنيوى ، لتخرج بنا من



دائرة التاريخ الادبى ، الى آفاق النظرات النقديه الاخرى المتكاملة ..

ومجلة ابداع ، وهى مجلة نشر « تشجيعى » للاعمال الابداعية ، واكتشاف المواهب الجديدة ، بين المشجعين بالنشر لهم ، بدلا من صفحات الماستر المدفونة ، والضائعة ، تفتقد بحدة هذه الدراسات النقدية التطبيقية ، لما يصدر من اعمال ابداعية فى مصر والوطن العربى .. وما ينشر منها قليل للغاية وحسب ما يحمله البريد ، واكثره له اغراض شللية ، وجدير بابداع ، أن تلجأ الى التكليف ، بعد أن مضى من عمرها أربع سنوات ، وأن تتسع نظرتها فى التكليف الى نقد الاعمال الابداعية الجيدة ، وان اختلفت وجهة النظر الى مدى أصالة تقليديتها أو حداثتها بين المسئولين عن التحرير .

ولعل هاتين المجلتين : فصول وابداع (مع سلسلة مختارات فصول) هما افضل ما تقدمه هيئة الكتاب للحركة الادبية والثقافية ، والقارىء الادبى .

مجلة « ادب ونقد » ، وقد جاوزت العامين من عمرها ، آن لها ان تكون اكثر جاذبية فى التحرير والاختيار وأن يشرف على تحريرها ، رئاسة وعضوية للتحرير ، ادباء ومثقفون متفرغون لهذه الغاية . ولحرصه على ادب ونقد ، واستمرارها ونجاحها أقول ذلك ، وربما كان مولد عام جديد فرصة لتحقيق هذه الغاية .

هل تسهم الازمة البترودولارية فى العالم العربى الان ، وايقاف عدد من افضل المجلات والصحف فى قطر ومعهما ازمة البتروثقافة ، والبترودولار فى افاقة كتاب مصر ، ليكونوا اكثر اخلاصا لعملهم الادبى المتخصص المقدس ، كمناطق محرمة فى حياتهم لا يجوز العبث بها ، وفى عودة الكتاب المصريين الى جدية افضل فى مستوى ما يكتبونه بالمجلات والصحافة الادبية ، فى مصر والوطن العربى ؟!- ذلك ما اتوقعه وارجوه .

● مشكلات التوزيع ●

د . محمود الشنيطى

تعانى حركة النشر فى مصر عيبا أساسيا يتعلق بافتقادها للتصورالكامل لدور الناشر كموجه لحركة الثقافة ، كما افتقادها الى الرؤية العميقة بالمعرفة الانسانية .

بالاضافة الى أن اغلب المؤسسات الخاصة والعامة ، وباستثناءات قليلة لا تمتلك خطة واضحة ، بمعنى انها لا تعرف متى ولماذا وكيف تنتج، انما الامور تتم فى الغالب حسب الظروف . وهذا ناتج من عدة أسباب .

أولها يتعلق بالاساليب الادارية المتخلفة التى تتسبب فى ضياع فاقد كبير ان يكن فى الطاقةالبشريةالمتوافرة .. او فى استغلال الامكانيات المالية،

علاوة على تبديد الوقت الذى يحس المرء أحيانا أنه غير محسوب أصلا من قبل العاملين وادارتهم .

تخلف وسائل العمل ، فأغلب المؤسسات تعتمد على ماكينات قديمة، أو أنها تستعمل أدوات حديثة لكن بقدرات بشرية قديمة ، وهذه تحاول تطوير الادوات الجديدة لما تعودته الامر الذى ينعكس على جودة الانتاج.

هناك أيضا هجرة الكفاءات للبلدان العربية الامر الذى عنى استبقاء كفاءات لا تتمتع بالكفاءة ، وكان من الممكن أن نستعيض عن ذلك بانشاء مراكز تدريب تخرج اجيالا جديدة .. لكن ما هو موجود غير كاف ، ولا يتبع الاساليب المتطورة .

ان حركة النشر تتاثر بامور اخرى فى صلبها ، مثل عملية التوزيع ، التى تعانى من عدم وجود مكتبات بالمعنى العصرى والحضارى ، واذا تجولنا فى مدينة القاهرة باكملها لا نجد مكتبة بالمعنى الذى اقصده ، انما كلها دكاكين غير منظمة ، ولا تتابع الجديد، وتعتمد على بعض ما هو رائج من الكتب ، أو انها تضع الكتب كركن تابع لسلع اخرى .. والمؤسف ان القاهرة كانت تضج بمكتبات كانت تتابع كل جديد ، ليس فى مصر او فى البلدان العربية ، بل فى انحاء العالم، وقد تحولت كلها الى بوتيكات .

كما تتاثر حركة النشر بالمكتبات العامة ، التى تساهم من جهة فى عملية توزيع المكتبات باقتنائه وتقديمه للجمهور ، كما تساهم باتاحتها لاكبر عدد من الناس للاطلاع على نشر الوعى الثقافى الذى يؤثر على الحركة الثقافية برمتها ويجعل القراءة ، وبالتالى الكتاب ، متداولا وأمرا طبيعيا .

● ماذا قراوا عام ١٩٨٦ ؟

أحمد بهاء الدين

اعتقد ان من اهم ما قرات باللغة العربية عام ٨٦ من الكتب الجديدة الصادرة فى نفس العام ، الجزئين الثانى والثالث من مذكرات محمود رياض وزير خارجية مصر الاسبق ، حيث أحسست بالصدق الشديد فى رواية الاحداث ، والتجرد الا من قول الحقيقة ، علاوة على الرؤية الثاقبة والتحليل العميق للاحداث ، وهذه المذكرات تكاد تكون أخطر وثيقة عن المخطط الامريكى فى مصر والمنطقة العربية .

واكثر اعجابى بكتاب ملفات السويس لمحمد حسنين هيكل الذى يعد عملا متكاملا يكاد يكون فريدا عن موضوع السويس ، لا فقط لانه حوى الوثائق الاهم فى الموضوع بل أيضا للرؤية الثاقبة التى تقف وراء عملية اختيارها ، وتحليلها وعرضها لدرجة انك تحس بانها حية تنطق .

كتاب اخر هو فى منتهى الاهمية وهو كتاب بنية العقل العربى للدكتور محمد عابد الجابرى ، وهو مفكر مغربى بارز وأعتقد انه بدأ يعرف فى مصر ، ولكننى أدعو الى قراءة هذا الكتاب وكتب المؤلف الاخرى فسنجد مفكرا من نوع أصيل وكاتبا ذا أسلوب متميز .

هناك كتب كثيرة أخرى لكننى اكتفى بهذا .



تراث مصر سلسلة متكاملة من الحضارات

عبد الحميد يونس :

● ان ما تعودت أن أقرأه لا يساير التقويم اليومى أو الشهرى ذلك لاننى أبحث عن كتب نشرت من فترة قصيرة او طويلة لانها تعد حلقة أساسية من حلقات الثقافة بصفة عامة ، والتخصص بصفة خاصة ٠

وأذكر اننى فى عام ٨٦ الححت على صديقى الدكتور مجدى وهبة أن ياتى لى بكتاب تراث مصر وهو من سلسلة الكتب التى عنيت بتراث الحضارات وقد سبق أن نشر كتاب تراث الاسلام كما ترجم كتاب تراث اليونان واستطاع الدكتور مجدى أن يقدم لى هذا الكتاب المهم فى نظـــرى لانه يبين مقومات الحضارة المصرية ولا ازال أعكف على ترجمة هذا الكتاب والتعليق عليه ٠٠ مع الموازنة بينه وبين الحلقـــات الاخرى ٠

وهناك كتاب اخر حصلت عليه فى الصيف الماضى وان كان قد نشر منذ سنوات وهو كتاب الفلكلور الامريكى، ويستوعب فصولا مختلفة عن نواحى الفلكلور فى الولايات المتحـدة وهذا الكتاب قام بكتابته اساتذة متخصصون كل فى جانب من جوانب الفلكلور ، ووجدت أن دراستنا لتراثنا الشعبى أيسر من دراسة الفلكلور الامريكى ذلك لان مسار الحياة الشعبية فى مصر عـريق ومتواصل وظواهـر التاثر والتاثير واضحة اما الفلكلور الامريكى فانه يتالف من شعوب مختلفة ٠٠ من أوربيين على اختلاف الربوع ٠٠ من الهنود الامريكيين كما يسمون ٠٠ ومن المهاجرين من افريقيا ومن اسيا ومن المزنوج ٠٠ هذه الـملامح المختلفـة عاونتنى على النظرة الواقعية لتراثنا ٠٠ ودعوتنا الى العمل الميدانى لجمع التراث الشـعبى المصرى أيسر وهى غاية فى الاهمية ، لان لهـا عراقة وتواصلا ٠ ولذلك لنا احاول أن اتخذ منهجا مقارنا فى الدراسة الى جانب المواجهة الواقعية للشعب المصرى فان شعبنا مع عراقته وتواصل حيـاته وتنوع بيئاته من البـداوة والزراعة والمدنية فيه ايضا بصمات من تاثيرات متعددة لا يمكن ان نحددها بخطـوط الطول او العرض ٠

● قراءة جديدة فى بنية العقل العربى ●

السيد ياسين :

يكاد يكون أهم ما قرأت هذا العام باللغة العربية هو كتاب الدكتـور محمد عابد الجابرى تكوين العقـل العربى ، وانا أعتبر هذا الكتاب من اهم الكتب التى تناولت بالبحث مسالة التراث العربى والاسلامى ان لم يكن اهمها على الاطلاق ٠

لقد تناول من قبل الطيـب تيزينى الموضوع فى كتابه من منطلق ماركسى لكنه كان تناولا من الخارج ، وان كـان الجهد فيـه واضحا ، كـذلك تاتى محاولة حسين مروة فى كتابه النزعات

المانية بنفس المنهج وهى أيضا محاولة مشكورة ، وكذلك محاولات حسن حنفى التى تتبنى المنهج الفونومولوجى (الظاهراتى) لكننى أعتقد أن كتاب عابد الجابرى يتناول التراث من داخله بدراية عميقة واستيعاب كبير للمادة التى يتناولها •

لقد قدم عابد الجابرى قراءة جديدة غير مسبوقة فى بنيـة العقل العربى سبقتها محاولاته الاخرى التى تضمنت كتابه نحن والتراث الذى يترجم فيه ترجمة جديدة للمفكرين الاسلاميين ، وتاتى مقدمة هذا الكتاب المنهجية لتبشر بهذا المنهج ، ثم ياتى كتابه عن الخطاب العربى المعاصر الذى وضع فيه تحليلا للخطاب حسب منهج المفكر الفرنسى ميشيل فوكو ، لكن لم يكن بهـذه المحاولات هذا النقل الفكرى الكامل ، أو القراءة الشاملة للفكر العـربى الاسلامى ، حيث يكتشف فى كتابه هذا ثلاثة أنظمة معرفية ، نظام البيان ، ونظام البرهان ، ونظام العرفان ، ومن هذه الانظمة استطاع تكوين منهج كامل عميق ينبع من داخل التراث •

لقد قدمت انا وعدد من المفكرين ندوة خاصة عن هذا الكتاب نشرت فى مجلة المستقبل العربى ، ولكننى اعتقد انه لايزال فى حاجة الى تقديم ومناقشة اكثر استفاضة ومن ممثلين لتيارات مختلفة فاثره سيبقى على مدى أجيال قادمة •

● من اجل لغة معاصرة ●

د. رضوى عاشور :

اهم ما قرات باللغة العربية العام الماضى ، المعجم العربى الجديد للباحث العراقى الكبير هاجى العلوى ، وبالذات مقدمته المنهجية الرائعة ، ويطرح الكتاب التغيير اللغوى فى العربية المعاصرة للنظر الجديد ، وقضايا اللغة العربية المختلفة وعلى راسها العلاقة بين المنطوق والمكتوب ، ويقترح معجما جديدا يقوم على عربية موسعة • كذلك قرات مجموعة شعرية بعنوان : هل ارى ما حولى هل أصف ما حدث ؟ وهى منشورة بالمنسامة للشاعرة البحرانية فوزة السندى •• واقول ان قصائد المجموعة مفاجأة فهنا شاعرة حقيقية قد تكون بعد سنوات قليلة (الاشعر) وليس فقط شاعرة من بين الشاعرات العربيات •

كتاب ثالث هام قراته هو « مدخل الى« لسيميوطيقا» وهو مجموعة مقالات مؤلفة ومترجمة فى انظمة العلامات فى اللغة والادب والثقافة أشرف على ترجمته الدكتورة سيزا قاسم والدكتور نصر حامد أبو زيد ، والكتاب مفيد ويملأ مكانا شاغرا فى المكتبة العربية•

الكتاب الرابع الهـام هو مرافعة احمد نبيل الهلالى ، ويضم نص مرافعة نبيل الهلالى أمام محكمة أمن الدولة العليا فى مصر فى احـدى قضايا الرأى ، وتمثل هذه المرافعة بالاضافة الى صفتها الوثائقية بعدا قيما لارساء تقاليد الديمقراطية فى مصر •

فتحى رضوان ـ حرب السويس ـ محمد حسـنين هيكل

واهمية الكتاب ، ليست فى الواقعة الاساسية فيه ، وانمـا فى الدراسة السياسية والدبلوماسية التى تصاحب القسم التاريخى وتشرحه وتوضحه ، والاطلالة المؤثرة على كواليس السياسة الدولية والصور القلمية التى رسمت فى هذا الكتاب للشخصيات المصرية والعربية •



د. شكرى عياد :

اهم كتاب قرأته عـــام ١٩٨٦ هـو انظمـة العـلاقات فى اللغـة والادب والثقافة ، لسيزا قاسم ونصر حامد ابو زيد وعـــدد اخر من البـاحثين العرب . وهذا الكتاب هام جـدا لانه تعريف جيد وشامل لاحدث الاتجاهات فى العلوم الانسانية .

الدكتور عبد القادر القط :

● النقد الفنى دراسة جمالية وفلسفية ●
للدكتور فؤاد زكريا

والكتاب محاولة لجعل تلقى الفن غير قائم على تذوق الشخص العادى وذلك على معايير فلسفية وجمـــالية بقدر الامكـــان ودون أن يلغى ذوق الشخص بالطبع ونحن فى حاجة الى مثل هذه الكتب الجادة .

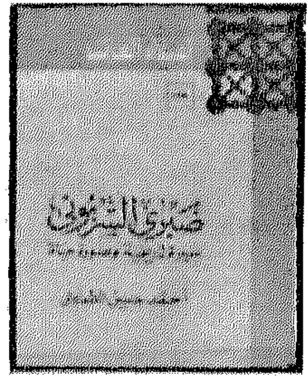
نجيب محفوظ ـ النظم السياسية
الدكتور عبد الحميد متـولى

عـــرض شائق للنظم السياســية الديمقراطية ، وقد ركـــز المؤلف فى كتابه على التجـربة الديمقراطية فى مصر .

● مكتبة الهلال ●

الكتاب : صـــبرى السربونى
سيرة تاريخية وصورة حيـــاة
تاليف : احمد حسين الطماوى
الناشر : الهيئة العامة للكتـــاب
٣٣٢ ص ، ٢٠٠ق٠م

اخيـــــرا تاتى هـــذه الدراسة لتنصف ولـــو قليلا هذا الكاتب الـذى كـان على درجة كبيـرة



من الاحساس بالمسئولية تجاه الادب والتاريخ ، وتجاه قضايا وطنه .

هو من رجال عصـــر النهضة من امثال العقاد وطه حســـين وهيـــكل والرافعى ونعيمة والمازنى وعبد الرحمن شكرى ، من رواد الادب ونقاده ، درس شوامخ الشعراء

ويعرض فى ثنايا مؤلفاته الشعر الجميل ، كمـــا ارخ لحقـــب فى الشرق والغـــرب صـــحح فى موسوعاته التـــاريخية مستندات مدخـــولة ، وامـــورا مخلـــوطة ، واستظهر حقائق مطوية، واستثمر وثائق كثيرة.

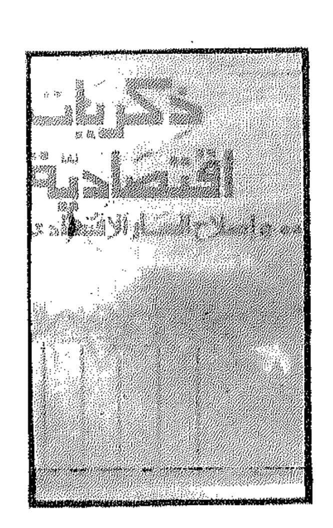
والكتاب يتبع منهـج السيرة الـذى يقـــدم

الشخصية شيئا فشيئا ، ليسهل على القارىء الاحاطة بمعالم حياته ، واطوار فكره ، كما استند على العرض والوصف ، والتحليل والتفسير •

وفي نهاية الكتاب نجد ثبتا بأعمال السريوني ، تلك التي نشرت في كتاب أو مقالات والاعمال التي تجمع بعد ، كما به ثبت بالمقابلات الادبية ، والحوارات التي أجريت معه علاوة على كشف بالمقالات التي كتبت عنه ضمن كتب أخرى او مجلات وصحف متفرقة •

الكتاب : زكريات اقتصادية
تاليف : د • عبد الجليل
الناشر : دار الشروق

يضم هذا الكتاب خلاصة خبرة واحد من اقتصاديينا المخضرمين تولى وزارة التموين في وزارة على ماهر عام ١٩٥٢ وكان أول وزير للمالية بعد قيام الثورة من ٥٢ الى ٥٤ حيث يذكر له انه قد حقق أول فائض في ميزانية



الدولة المصرية ، وقاد وفد المفاوضات لتسوية تعويضات الممتلكات الاجنبية بعد تاميم قناة السويس ، وكان أول محافظ مصري للبنك المركزي ، ثم عمل في البنك الدولي وتدرج في مناصبه حتى أصبح مستشارا لرئيسه للشئون الشرق الاوسط وافريقيا، كما عمل مستشارا لبعض دول ومؤسسات الخليج، واختير عام ١٩٨٢ ليرأس المؤتمر الاقتصادي •

بالاضافة الى ذكرياته الخاصة التي تضمنت رأيه في كل الوقائع التي شاهدها ، يضم الكتاب وثيقة هامة هي الدراسة التي قدمها المؤلف مع الدكتور على الجريتلي للمؤتمر الاقتصادي (ديسمبر ١٩٨١) التي حملت عنوان تقرير عن المشاكل الاقتصادية الكبرى في مصر •

الكتاب : عبد الناصر وثورة ليبيا
تاليف فتحي الديب
الناشر : المستقبل العربي



علاوة على كونه يسجل الاحداث التي صاحبت ثورة ليبيا منذ لحظة قيامها ، وحتى يونيو ١٩٧٢ ، فان هذا الكتاب يعد من قبيل المذكرات السياسية للرجل الذي اسند اليه جمال عبد الناصر مهمة ضابط الاتصال بينه وبين رجال الثورة الليبيين •• والمستشار لهم لينقل ما كانت قد حققته الثورة المصرية منذ قيامها وحتى عام ٦٩ من خبرات عملية ، ومساندة فعلية•

كما يضم الكتاب ملحقا وثائقيا هاما شمل واحدا وعشرين من المحاضر والبيانات والمستندات المتعلقة بعلاقة مصر بليبيا حتى عام ١٩٧٢ •



كيف نتحاور مع المستقبل؟

بقلم : د. محمود عبد الفضيل

د. اسماعيل صبرى عبدالله

د. أسامة الباز

شهدت القاهرة خلال الفترة من ٢٥ الى ٢٧ نوفمبر ندوة هامة نظمها منتدى العالم الثالث بالقاهرة بالاشتراك مع جامعة الأمم المتحدة بطوكيو لمناقشة مشروع المستقبلات العربية البديلة الذى أعده الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله (منسق المشروع) والدكتور ابراهيم سعد الدين عبد الله (المنسق المساعد للمشروع) ، وفيه حصاد وجهد بحثى وتأملى استمر فى صمت على مدى خمسة اعوام ·· وغطى موضوعات اهمها :

عملية صنع القرار فى الوطن العربى ـ اليات التبعية ـ العلاقة بين البنى الاجتماعية والهياكل الطبقية وعملية التنمية ـ حركة الصحوة الاسلامية فى الوطن العربى ـ الحركة التقدمية العربية ـ الآداب والفنون كعنصر وحدة وتنوع فى الوطن العربى ـ التوحد القومى وقضايا الاقليات ـ الآثار غير المدروسة للثروة النفطية ، وغيرها من القضايا الحيوية ·

وقد شارك فى هذه الابحاث نخبة من المفكرين والباحثين وصانعى القرار على امتداد الوطن العربى ، وتم عقد نحو ١٤ ندوة وحلقة نقاشية خلال عمر المشروع ··· وصدر حتى الآن ستة كتب وهناك ١٨ كتابا تحت الاعداد والطبع تشكل فى مجموعها مكتبة المستقبلات العربية البديلة ·

وعلى قدر اهمية المشروع واستنتاجاته جاءت مداولات ومداخلات الندوة غنية وثرية وحافلة بالمناقشات والتعقيبات القيمة · وكيف لا وقد ضمت فى صفوفها نخبة من الوجوه الفكرية البارزة والشخصيات العامة نذكر من بينهم :

د٠ محمد حسنين هيـــكل (مصر) ، د٠ محمد سعيد النابلسى (الأردن) ، أ٠ أحمد بهاء الدين (مصر) ، د٠ برهـــان غليون (سوريا) ، د٠ محمد محمـــود الامام (مصر) ، د٠ خير الدين حسـيب (العراق) ، د٠ أسامة الباز (مصر) ، د٠ سعاد الصباح (الكويت) ، د٠ مصطفى الجبلى (مصر) ، د٠ منذر العنتباوى (فلسطين) ، أ٠ محمد فايق (مصر) ، د٠ على خليفة الكوارى (قطر) ، السفير عـــزت عبد اللطيف (مدير المعهـــد الدبلوماسى بمصر)، د٠ صلاح الشيخلى (العراق) ، د٠ مختـــار هلودة (رئيس الجهاز المركزى للتعبئة والاحصـــاء ـ مصر) ، د٠ جمال الشاعر (الاردن) د٠ مهدى الحافظ (العراق) ، د٠ فـوزى منصور (مصر) ، د٠ زكى شافعى (مصر) د٠ احمد كمال أبو المجد (مصر) ، د٠ أحمد صدقى الدجانى (فلسـطين) ، د٠ عبد العظيم أنيس (مصر) ٠

وقد انصبت المناقشات فى البـــداية على تشخيص واقع الحال المتردى للوطن العربى بهدف توسيع رقعـــة المعـــرفة الواقعية بما يجرى فى المنطقة العربيـــة من تفاعلات ٠٠ وايـــن تقع الرواقـــد والمصبات للأفكار والقوى ، وعنـــاصر السكون والحركة فى النظام القائم ٠

● ابداع وتحرر ●

يمكن تصنيف مجموعة القضايا التى دار حولها النقاش فى القسم الاول من مداولات الندوة على أنها قضايا ورؤى تتعـــلق بحـــاضر المستقبل العربى ممـــا يقتضى طـرح تساؤلات منهجية حول معنى وماهية التقـــدم ؟ ومعنى اليقظة او الصحوة ؟ ومعنى النهضة ؟٠ وعـــرف د٠ أحمد صدقى الدجـــانى (فلسطين) التقدم عـــلى أنه « ابداع وتحرر » ٠

وانتقل النقاش فى محاولة للامســاك بمفاتيح فهم وتحليل الواقع الراهن بمـــا يزخـــر بـــه من تيـــارات وقـــوى ٠ ومحاولة رصد ما أمكن من الاتجاهات ، والتغيرات ، والتحولات التى تعيشـــها المنطقة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى يومنا هذا ٠٠ مع اهتمام خاص بما حدث خلال السنوات العشر الاخيرة التى تواضع الكتاب والباحثون على تسميتها « بالحقبة النفطية » ٠ ويمكن لنا الاشارة منا الى اهم الاتجاهات والتغيرات والتحولات التى أمكن رصدها من خلال النقاش ٠

١ ـ هناك اتجاه ملموس لعمليـــة التراجع من مشـــروعات التوحـــد القومى ، الى التفكك على الصـــعيد القطرى ، بل الى التشـــرذم على مستوى الدويلات الطائفية والعرقيـــة

٢ ـ هناك ثمة اتجـــــاه متزايد لتدويل الحياة الاقتصادية العربيـــة وادماجها فى اطار الشـــبكات الدولية لتدفقات التجاره والمال والتكنولوجيا والاتصالات والمعلومات ٠٠ مما رافقه فقدان متزايد للهوية الحضـــارية فى كافة مجـــالات الفكر والثقـــافة والتكنولوجيا والعمارة وانمـــــاط الاستهلاك ٠

٣ ـ ان التكنولوجيا « الوافدة من الخارج » ، بهدف تحديث المجتمـــع العربى ، ليست وسيطا محايدا ٠٠بل هى حاملة ومحملة بانمـــاط فـــكرية وايديولوجية واستهلاكية وتوزيعيـــة صارخة ٠ واشار الدكتور حسام عيسى (مصر) فى هذا السياق الى اسطورة

كيف نتحاور مع المستقبل؟

ما سمى « بنقل التكنولوجيا للعالم العربى » .. وان المسالة لم تتعد فى معظم الاحوال نقل للعلامات التجارية فقط لا غير .

٤ ـ ان هناك اتجاها متزايدا للاعتداء على البيئة وتخريبها ، ولم يعد المواطن العربى يعيش فى حالة « سلام مع البيئة » .. فقد فقدت « الانساق البيئية » مقومات توازنها فى منطقتنا العربية ، من حيث ارتفاع معدلات التصحر والتلوث ، واهدار القيم والعلاقات الجمالية .

٥ ـ هناك تزايد لمفعول قانون النمو غير المتكافىء فيما بين البلدان العربية ، ليس فقط فيما بين البلدان النفطية وغير النفطية ، بل داخل كل مجموعة على حده .. وقد ادى هذا بدوره الى ازدياد درجة التفكك القومى (الداخلى) وارتفاع درجة التدويل والاندماج مع العالم الخارجى (الراسمالى) ولعل اهم مؤشرات ذلك الارتفاع الهائل لدرجة تدويل العملية الانتاجية وقطاعات المال والتجارة خلال الحقبة النفطية ، وتقلص حجم تدفقات التجارة فيما بين البلدان العربية .

٦ ـ هشاشة البنيان الاقتصادى والاجتماعى الذى تمخضت عنه الحقبة النفطية ، نتيجة تراجع القطاعات السلعية الاساسية من زراعة وصناعة والاعتماد على قطاعات تضخمت بفعل هبوط الاموال النفطية بشكل استثنائى وهى قطاعات البناء والتشييد ، والتجارة والمال ، والخدمات . وقد نتج عن ذلك ان توجهات النمو والتراكم قد غدت محكومه . باعتبارات خارجية ـ وليست بمنطلقات داخلية « متمحورة حول الذات » مما ادى الى افتقاد كامل للسيطرة على توجهات عملية التراكم وشروط اعادة الانتاج فى المجتمع العربى .

٧ ـ ان هناك حالة سيولة طبقية هائلة لم يسبق لها مثيل فى المنطقة العربية ، بفعل هبوط المال النفطى واتساع عمليات هجرة العمالة للخارج ، مما ادى الى تبدلات هامة فى المواقع الطبقية وتوسع مراتب « البورجوازية الصغيرة » فى الريف والمدينة . وقد رافق ذلك انحسار رقعة ودائرة « الانشطة الانتاجية »، وتوسع دائرة « الانشطة الطفيلية والريعية » ، حيث غدت توجد فئات عديدة تتعيش على ريع التوظيفات المالية (البنوك وشركات توظيف الاموال) وريع الشقق المفروشة،وعمليات العمولةوالسمسرة وما شابه ذلك .. وما لذلك من اثار على اختلال موازين القيم وانماط السلوك .

وحول الفجوة بين «صناع القرار» و « صناع الفكر » او « الراى » ، حذر الدكتور اسامة الباز من الموقف الحالى الحالم للمثقفين العرب ، واقتصارهم على مجرد « تسجيل موقف » .. والبعد عن التورط فى « خطيئة » المشاركة فى صنع وترشيد القرار السياسى . ولكن المشكلة تظل

من يد يده لمن ؟ وهل توجد صيغة تساعد على تجسير تلك الفجوة ، دون ان يفقد صانع القرار افضل انواع الرأى والمشوره .. ودون ان يفقد « صناع الفكر » « والرأى » استقلاليتهم وامانتهم الفكرية . وتظل الاشكالية مطروحة بلاشك ضمن اشكاليات المستقبل .

● استضافة المستقبل ●

انتقل القسم الثاني من المناقشات الىهموم وسيناريوهات المستقبل العربى ، واكد الدكتور اسماعيل صبرىمنذ البداية على الاولىأنه:«اذا لم يصنع العرب مستقبلهم بأنفسهم ، فان هناك قوى أخرى (خارجية) سوف تصنع للعرب مستقبلهم » . كذلك حذر الدكتور اسماعيل صبرى من استمرار « النظرة الماضاوية » لقضايا المستقبل ، و « الماضاويه » هنا ليست مرادفه « للسلفيه » ، وانما هى نهج سائد فى الفكر العربى قائم على النظر لقضايا المستقبل بروح مشبعة بالحنين للماضى ... مما يجعل النظره لقضايا المستقبل « غير متحرره » .. بل اسيره لقوالب وصيغ الماضى .. بينما المستقبل يحمل فى طياته وثناياه أشياء وأشكال تبتدع وتتجسد لاول مرة .

وفى هذا السياق ، اكد الدكتور كمال ابو المجد (مصر) على ان من اهم اضافات الندوة أن يتعود الفكر العربى من الان فصاعدا على عملية « استضافة المستقبل » ... رغم أن المستقبل يبدو وكأنه ضيفا ثقيلا يقلق منام ويقض مضاجع العرب ، حكاما ومحكومين . ولعلنا نضيف هنا أن العرب ـ مثلهم مثل بقية بلاد العالم عليهم ان يتعلموا فن الحوار مع المستقبل ومع القضايا المستقبليه على حد التعبير الموفق للاقتصادى الباكستانى ذائع الصيت محبوب الحق .

ولذا فان علم أو منهج « المستقبليات البديله » هو منهج احتمالى بطبيعته، فليس هناك « مسار مستقبلى » وحيد، ميكانيكى أو آلى ، بل هناك عدة مسارات حرجة مشروطة بظروف وقوى تاريخية محلية وعالمية . بل ان درجة اليقين والتأكد فيها لا ترقى حتى الى مستوى « نشرة الارصاد الجوية » ، حيث هناك درجة اكبر من الترجيح الاحتمالى لحالة معينة من حالات الطقس . ولذا عكف الباحثون فى قضايا الدراسات المستقبلية على تصميم وتركيب ما سمى«بسناريوهات المستقبل » وهى أشبه ما تكون « بالمشاهد المسرحية » التى يرفع عنها الستار .. وتحمل فى داخلها ديناميتها الذاتية ، ويكون هدفها استثارة الفكر واعمال الذهن حول قضايا وهموم المستقبل من خلال عدة مشاهد او مسارات احتمالية .

وفى اطار هذه الخلفيه ، تم طرح عدة قضايا تحتل حيزا هاما فى سيناريوهات المستقبل ، ونود ان ننتقى منها ما نعتقد أنها قضايا حاكم ومؤثرة على مسارات المستقبل العربى . فهناك اولا ما اسماه البعض « بالبؤر والخمائر » السياسية ، وعلاقتها بصناعة المستقبل ، وعلى رأسها تيار المد الاسلامى . ولقد صار جدل طويل حول هل هذا التيار يمثل مجرد مظهر

الحركات والقوى التقدمية والحركات التى ينتظمها التيار الاسلامى سواء بسواء .

كيف نتحاور مع المستقبل؟

للازمة أم يطرح حلا ناجحا لازمة المجتمع العربى . وهنا يثور الجدل فورا حول التعددية للرؤى فى اطار التيار الاسلامى ، فهناك تيار اسلام النميرى وضياء الحق ، وهناك تيار الحركة الاسلامية الخومينية وهناك تيار الاخوان المسلمين التقليدى ، وهناك الجماعات الاسلامية الجديدة أو ما يسمون « بالقطبيين »، نسبه الى الاستاذ سيد قطب) ،وهناك تيار التجديد والاصلاح الاسلامى على النهج الذى سار عليه جمال الدين الافغانى ومحمد عبده . فاى تيار اسلامى اذن سيكسب رهان المستقبل ؟ هناك من راهن فى الندوة على صيغة توفيقيه تطرح بوضوح المزيج الامثل بين احتياجات العصر ، من ناحية ، والدين من ناحية اخرى ، فى بناء المجتمع ... فهذا هو « تيار المستقبل»

كذلك من بين القضايا المستقبلية التى شغلت بال « الجميع » هى العلاقة الجدليه بين الديمقراطية وعملية التغيير الاجتماعى . تلك الاشكالية التى لم تجد حلا مرضيا خلال الخمسينيات والستينيات فى عالمنا العربى المعاصر ، وبالتالى فان احد القضايا الهامة المروحة على جدول اعمال المستقبل هى مستقبل « التعددية السياسية » .. وتلك قضية تطرح نفسها بشدة على

● انعكاسات على المستقبل ●

وقد حظى « المتغيــر النفطى » بنصيب وافر من المناقشات لما له من تاثيرات وانعكاسات على مسارات المستقبل العربى ، فكما عاشت المنطقة العربية على موجة من النفط تركت بصماتها الواضحة على كيمياء الاقتصاد والمجتمع . فقد كان هناك نوع من الاجماع فى الرأى على بداية انحسار مفعول المتغير (أو بالاحرى المخدر) النفطى وما يرتبط به من حركة للعمالة وللاموال ورواج لعالم التجارة والمال . بيد ان « الزائر النفطى » سيظل معنا حتى نهاية هذا القرن ، ولكن لن يكون له ذلك الاثر الطاغى على كافة مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على النحو الذى شهدناه خلال السنوات العشر الماضية . وعند نهاية هذا القرن ، قد تلفظ « الحقبة النفطية » ـ ولا نقول « النفط » ـ انفاسها الاخيرة بمعنى استعادة التوازن بين « ما هو نفطى » وما هو « غير نفطى » فى ميزان الحياة العربية ، وسوف تصبح براميل المياه اغلى واعلى قيمة من « براميل النفط » فى حساب الزمن المستقبلى .

وقد توقف الجميع عند رقم هام يتعلق بحجم السكان فى الوطن العربى عام ٢٠١٥ ، اذ قد يتراوح بين ٥٠٠ ـ ٧٠٠ مليون ، حسب الفروض المختلفة للاسقاطات الديموجرافية .

أى بعد ثلاثين عاما من الآن · انه رقم قد يصيب الانسان بالدوار ، ولكن المستقبل يحمل فى طياته عـــلاقة جدلية فريدة بين السكان كأفواه تأكل وبينها كأيد وسواعد تعمل وتنتج وذلك يتوقف بلا شك على مدى كفاءة النظام الاقتصادى ـ الاجتماعى القائم على تعبئة الموارد البشرية المتاحة · ولهذا أنفق المجتمعون فى الجزء من الاخير من مداولاتــهم لمناقشـــة سيناريوهين (أو تصورين) للمستقبل

(١) الســيناريو الاتجــاهى ، او التشاؤمي وهــو سيناريو يركز عــلى صورة المستقبل القائمة « المتوقعة » اذا استمرت الاوضاع فى التطــور فى نفس الاتجاه الذى نعيشه ونشهده هذه الايام أن هذا السيناريو المفــزع لن يكون امتدادا خطيا لما هو قائم بل هو يقود الى مزيد من التدهـــور والتردى للأوضاع البائسة القائمة ·

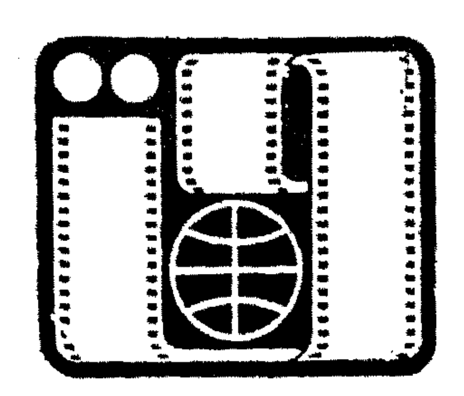
(ب) السيناريو الاستهدافى (أو المعيارى) وهو يمثل نظره مستهدفة للمستقبل المأمول ، لا تخلو من مثالية وطوباوية ، بما يحمله ذلك من تأكيد على التنمية المستقلة ، والمشـــاركة الشعبية ، وحماية البيئة ، الانسلاخ والافلات التدريجى من أسار النظام العالمى ، التأكيد على الهـــوية الثقافية ، والاعتماد الجمــاعى على النفس فى اطار المنطقة العربية ·

وليس هناك من شك فى أن هـذا السيناريو لا يخلـــو من « نبرة تبشيريه » واضحه ، لانه لا يشير الى الاليـــات اللازمة والقوى الخاصة لمشروع التطور والنهضة الذى يقـود لتلك الصورة المستهدفة ·

وهذا القصور يشير الى قصــور عام فى منهجية « بناء السيناريوهات » على النحو الشائع فى الدراســـات المستقبلية ، اذ تمثـل السيناريوهــات مشاهد استاتيكية مقــارنة ، تطرح قضايا واعتبارات مستقبلية أكثر من كونها تطرح اليات ومسارات ديناميكية للوصول للهدف المطلوب بـــدءا من نقطة الاساس و لانطلاق · وهـــذا يقتضى بدوره تطويرا دائما لمنـــاهج وادوات التعامل مع المســتقبل ، أو ما يمكن ان اطلق عليــــه الادوات الدينامية « للاسـتدلال المستقبلى » وذلك سوف يساعد بدوره على طرح « المحتوى البرنامجى » المســتقبل ، للشعارات والسيناريوهات الاستهدافية

بقيت نقطة اخيرة جديرة بالعناية ، فقد جاء فى الكلمة الختامية لمنسق المشروع ، انه قد ان الاوان لـــكسر ثلاثية : « الامير ـ ارباب السيف ـ ارباب العلم » ، وانه يجب ان يكون هناك مكان متميز فى دراســـات وسيناريوهات المستقبل للجمـــاهير الشعبية ولعمة النـــاس ، لانهـــم يضطلعون بدور كبيـــر فى صــناعة التاريخ والمستقبل ·· ولا سـيما فى لحظات التحول والفوران التاريخى ·

ولعلى اضيف ختاما ، بان مبادرة التصميم واعادة البناء والتغيير وعلم صناعة المستقبل تعـــد قاصرة على هؤلاء الذين يجلسون فى المقصـــورة العلوية من البناء الاجتماعى والسياسى يلعبــون النرد ويدخنون الســـيجار ويحيكون المؤامرات والدســـائس · فهناك الجماهير وعامة الناس الذين يقتحمون بعفويه وحس تاريخى مرهف بوابات المستقبل ·· مهمــــا كانت موصدة



مهرجان القاهرة

عنف وحرية ووعى بأهمية السينما

بقلم : مصطفى درويش

عنف على الطريقة الأمريكية

شاءت الأقدار لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى العاشر الذى جرى افتتاحه تحت شعار « الفن يحتاج إلى الحرية ، بقدر ماتحتاج الحرية إلى الفن » ، شاءت له ان تستهل عروضه بنسخة مستهلكة لفيلم قديم له من العمر ثمانية أعوام أو يزيد .

فما هو الفيلم الذى جرى اختياره بالخروج على اصول وتقاليد توجب افتتاح عروض اى مهرجان متصل بالفن السابع ، بفيلم جديد يكون له دوى شديد ؟

انه « صرخة النساء » احد افلام المخرج « چول داسين » زوج وزيرة الثقافة اليونانية فى حكومة باباندريو الحالية ، وضيفة شرف المهرجان « ميلينا ميركورى » ، وفوق هذا بطلة الفيلم حيث تلعب دور ممثلة « مايا » تعانى من العجز عن تقمص شخصية « ميديا » على خشبة المسرح ، تلك الشخصية التى أبدعها خيال الشاعر اليونانى التراچيدى « أوريبيديس » فى النصف الثانى من القرن الخامس السابق على الميلاد ، مستلهما مأساتها من خرافة « چاسون » و« ميديا » فى مسرحية هذا الشاعر الكبير تعيش مع طفليها فى بلاد الغربة « كورينث » مهجورة من زوجها « چاسون » ، هذا الزوج الذى ما ان رأته فى وطنها الموحش البعيد « كلوخيس » ، حتى غمرها إحساس ثائر ، استولت عليها عاطفة جارفة ، لم تستطع معها الا ان تخون اباها ملك « كلوخيس » ، وذلك بان هيأت لمن تسلل حبه الى اعمق اغوار قلبها سبل الاستيلاء على الفروة الذهبية التى ترجح ألف كنز ، ثم الفرار بها مستصحبا اياها الى ارض اليونان فى « كوريث » حيث تجرى احداث المسرحية التى تبدأ بخبر ان « چاسون » قد خان العهد ، مقررا الزواج من ابنة ملك « كوريذث » .

● غرام وانتقام ●

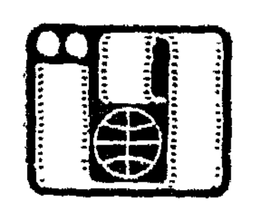
وما يكاد يعلن عن خطبته ، حتى يجن جنون « ميديا » التى اسودت الدنيا فى عينيها ، هالها نكرانه لجميلها .

وبعد طول معاناة وتفكير استقر قرارها على القتل ، فى البداية فكرت فى التخلص من اعدائها الثلاثة المتسببين فى محنتها ، "ثلاثة جثث فى يوم واحد .. الاب ، الخطيبة وزوجى" .

واشتعل الخيال ، رأت نفسها تحرق او تتسلل الى غرفة الزوجين رافعة الحسام .

ومع هذه الخيالات صاحت الجوقة « دقت ساعة انتصار النساء » !!

ولكنها بعد الالتقاء « بچاسون » تكشف لها انه لايؤمن بشىء ، يتكلم لغة



السفسطائيين ، ينطق بأكثر الكلمات قدسية الحب ، الوفاء ، العدالة بغير اكتراث ، وبوقاحة منقطعة النظير .

فهو يبرر زواجه الثانى بالحب الذى يكنه لطفليه منها بما سيجنيان من ثمار المصاهرة الملكيـة .. المال والتعليم الرفيع .

فهذا الرجل الانانى الذى لايحب الا نفسه ، قد زل لسانه بكلمة افصحت عن تعلقه بحب طفليه منها .

وفى هذا الافصاح غير المقصود كان هلاكه ، كان عرقوب أخيله الذى اتاح لميديا ان تطعنه فى مقتل ، أن تتحول بنصره عليها مؤقتا إلى هزيمة نكراء .

فقد عزمت على توجيه ضربة وحيدة فيها القضاء على « چاسون » كل القضاء فكان ان دست الى اميرة « كورنيث » السم الزعاف فى هدايا حمّلتها طفليها اليها ، وعقب ذلك شحذت سكينها ثم اجهزت بها على ولديها منه ، وهى تتوجع وتئن .

● عرقوب اخيل ●

والأهم تكشف لها موطن الضعف فيه ،

● صرخات وهمسات ●

وعلى كل فللخروج فى الفيلم من مأزق

رجل وامراتان فى فيلم اللون ارجوانى

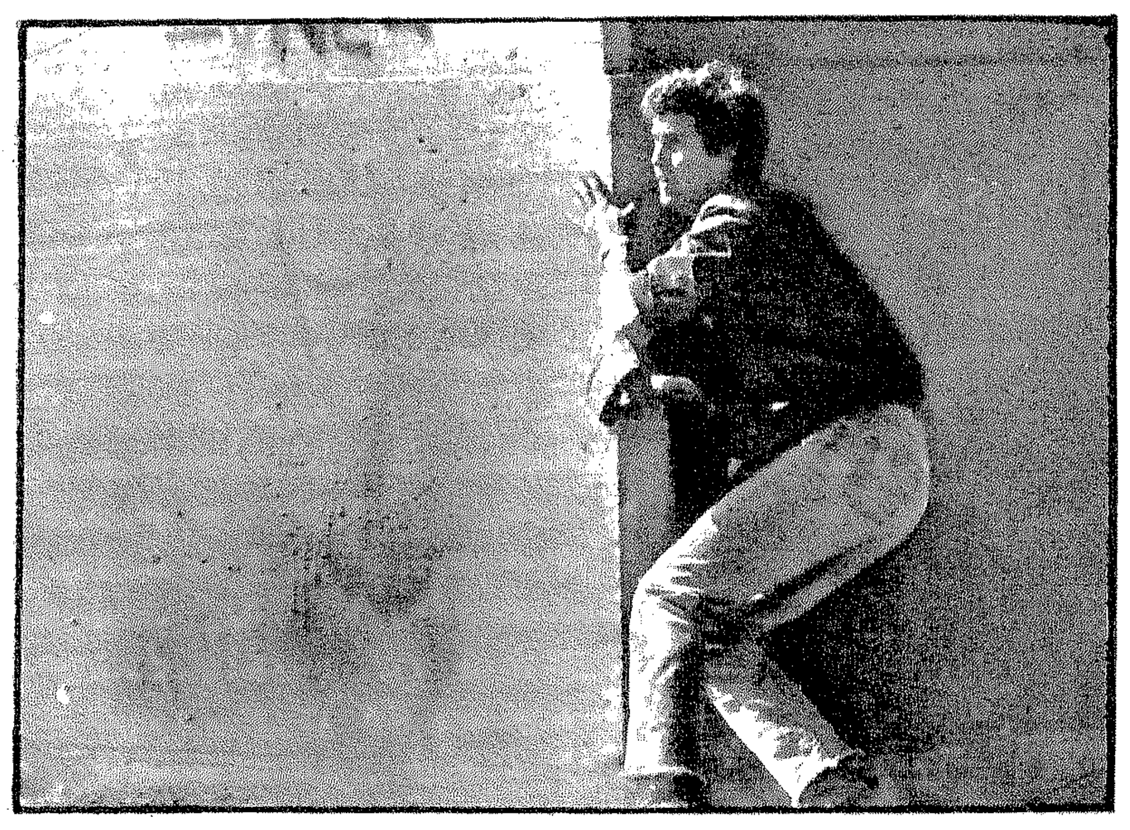
العجز عن تقمص شخصية هذه المرأة التى تغلب فيها شيطان الانتقام على الارادة ... على قلب الام ، ارتأت « مايا » ان من الواجب عليها ، ان تذهب الى السجن حيث توجد امرأة انجليزية « برندا » (ايلين بيرستين الحاصلة على اوسكار احسن ممثلة ١٩٧٤) وراء القضبان متهمة بقتل دفع صحف اليونان الى اطلاق لقب « ميديا جلانيادا » (مكان وقوع الجريمة) عليها ، فى محاولة منها للالتقاء بها كى تعرف منها لماذا ـ بعد ان غدر بها زوجها ـ قتلت اطفالها منه ، ثم حاولت الخلاص من هذا العار بالانتحار .

ولم ترفض « برندا القاتلة » الالتقاء بها ، لانها كانت ـ فى غربتها ـ وحيدة ، فى اشد الاحتياج للتعبير عما يجيش فى صدرها ، وبخاصة انها لاتجيد الحديث الا بالانجليزية فى بلد لايتكلم اهله سوى اليونانية .

وسرعان ما تولد بين المرأتين شىء اشبه بالصداقة « فمايا » قد انجذبت الى براءة هذه المرأة المتهمة ، والتى كان هدوءها الظاهر يخفى نارا حارقة ، تأتى عليها .

وطبعا ، كان لابد من كل فن « بيرستن » ومانتمتع به من قدرة مذهلة على اتقان الاداء ، كيما يستطيع المتلقى ان يتبين ان تلك الانجليزية المنتمية الى الطبقة الوسطى ليست ـ ورغم ملامحها العصرية المألوفة ـ الا « ميديا » بطلة المأساة اليونانية المعروفة .

وطبعا كان هذا الاكتشاف بالنسبة «لمايا» إلهاما ساعدها على تقمص





مهرجان القاهرة

شخصية « ميديا » على خشبة المسرح بنجاح فاق كل التوقعات .

فالتجربة الحية التى مرت بها ـ من خلال لقاءاتها المتكررة مع « برندا » ادت الى تفجير طاقات التعبير الكامنة فيها ، الى انماء ماتحمله بين جوانحها من رومانسية وذكاء ورقة شعور ، على وجه إرتفع بأدائها الى مستوى رفيع فيه كثير من الفهم لمأساة « ميديا »

ومهما يكن من امر هذا البناء الدرامى المعقد بعض الشىء ، فقد اتاح لمخرج الفيلم ـ الذى هو فى نفس الوقت كاتب السيناريو والحوار ـ فرصة العرض لبعض مايواجه المرأة المعاصرة من مشاكل ، من بينها حسب قول صاحب الفيلم « المخاطر التى تركبها المراة عندما تبنى حياتها فى كل صغيرة وكبيرة حول الرجل ، والعنف الذى يمكن ان يتولد عندما تقع خيانة لتلك الثقة العمياء » .

● إغراء العنف ●

وفى الحق فهذا العنف العنيف الذى احسسنا به صارخا فى « صرخة النساء » تراه متكررا فيما تلاه من عروض لأهم افلام المهرجان ، وبالذات ماكان منها متعلقا بالمرأة ومشاكلها ، وما أكثرها « فحدث فى أمريكا » لصاحبه المخرج الايطالى « سيرجى ليونى » يبدأ بمشهد لامرأة تعود الى شقتها حيث تواجه ميتة رهيبة تنحبس لها الأنفاس برصاصات غدارات ثلاثة من عتاة الاجرام .

« ومونااليزا » للمخرج والاديب الانجليزى « نيل چوردان » ينتهى بمشهد « سيمون » (كاتى تيسون) الغانية السمراء ، وهى تطلق الرصاص على نفر من تجار المسحوق والرقيق الابيض ، فاذا بالدماء واجزاء من اجسامهم متناثرة ، ملتصقة بالارض والجدران .

و« بتى بلو » ثالث افلام المخرج الفرنسى غير الواعد « چان چاك بينكس » تتناثر فيه مشاهد العنف بالجنس ، حتى اذا مااقترب من النهاية آثرت بطلته « بتى » (بياتريس دال): ان تقتلع بيدها احدى عينيها ، وآثر بطله « ذورج » (چان موج انجلاد) ان يخلصها من حياة كلها هم وغم ، بقتلها فى المستشفى خنقا بكتم أنفاسها تحت الملاءة على طريقة فيلم « طار فوق عش المجانين » .

« والحياة والموت فى مدينة الملائكة » آخر أفلام المخرج الامريكى « ويليم فريد كين » يستهل بمشهد لارهابى ملغم الجسم ، معلق بحبل خارج الفندق الكبير حيث يقيم رئيس جمهورية الولايات المتحدة .

وفى لحظات تنطلق رصاصات من غدارة أحد حراس الرئيس ، فإذا بالارهابى المعلق منفجرا فى الهواء ، لم يبق منه شىء .

وبعد هذه اللقطات السريعة ، تظهر عناوين الفيلم ثم تعقبها أحداث عنف لاهث ، قاطع للانفاس ، يذهب ضحيته الرجال والنساء على حد سواء .

و« جونزا حامل الرمح » فيلم المخرج اليابانى « ماساهيرو شينودا » المستوحى من احدى مسرحيات « مونزايمون

شيكاماتزو » شكسبير بلاد الشمس المشرقة - وهو واحد من اجمل افلام المهرجان ، بل لعله أجملها ينتهى بمشهد على جسر حيث نرى بطلى الفاجعة الساموراى « جونزا ساسانو » والسيدة المتزوجة « اوزاء » المتهمين زورا وبهتانا بالزنا ، وهما يذبحان ذبح الشاه عقابا وثأرا للشرف المهان .

وأجسام غريبة « للمخرج الأمريكى » « جيمس كاميرون » بطلته رائدة فضاء الحسناء « سيجورنى ويفر » ، تقود الرجال والنساء الى كوكب مسكون بحثا عن كائنات مفترسة كانت سببا فى هلاك كل من كان معها من الزملاء اثناء رحلة سابقة فى الفضاء .

وهى فى رحلتها الثانية اميرة انتقام « رامبوليتا » تنتصر وحدها على الأعداء .

وبعد أهوال قضت على كل رفاقها ، تعود الى الارض مصطحبة طفلة عثرت عليها تائهة بين اطلال الفضاء .

وطبعا كل هذا مرصع بمشاهد عنف يخلع القلوب ، من بينها ذلك المشهد الغريب القريب من نهاية الفيلم حيث ينقسم جسم آخر الرجال الاحياء من طاقم سفينة الفضاء بفعل احدى الكائنات الغريبة التى لانعرف من اين تأتى ، والى اين تذهب ، فاذا به شطران أحدهما الحامل للرأس والصدر والأمعاء يسعى فى أرض السفينة وكأن صاحبه من الاحياء .

ونسور القانون لصاحبه « ايفان ريتمان » المخرج المنحدر من اصل تشيكوسلوفاكى ، يبدأ الفيلم كوميديا اجتماعيا شبيها « بضلع آدم » ذلك الفيلم الراقى الذى مثلته « كاترين هيبورن » مع النجم الراحل « سبنسر تراس » قريبا من نهاية العقد الرابع من القرن العشرين .

وفجأة يتحول فيصبح فيلما زاخرا بمطاردات وانفجارات وحرائق تلتهم الاخضر واليابس ، تهدد تارة حياة بطليه « روبرت ردفورد » و« دبراونجر » وتارة حياة المتهمة الحسناء « داريل حنا » وتارة ثالثة لوحات زيتية تقدر قيمتها بالملايين .

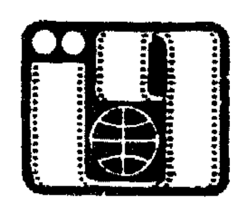
● صقور الصحافة ●

وحتى فيلم جاد « كقلب يحترق » لمخرج المسرح والسينما « مايك نيكولس » صاحب « الخريج » و« من يخاف فيرچينيا وولف » و« سيلكوود » - حتى هذا الفيلم وموضوعه منقطع الصلة بالعنف قد جاء متضمنا مشهدا فيه شىء من العنف .. كيف ؟

من المعروف أن « قلب يحترق » مأخوذ عن قصة حكت فيها « نورا افرون » الصحفية وكاتبة سيناريو الفيلم ملابسات فشل حياتها الزوجية مع « كارل برنشتين » ، ذلك الصحفى الذى كانت تحقيقاته مع زميله « وود ورد » فى « الواشنطن بوست » حول جريمة التنصت على المعارضة بفندق « ووترجيت » سببا فى طرد « نيكسون » من البيت الأبيض بمصير اسود .

وهى فى القصة ، ومن بعدها الفيلم الذى تغير اسمها فيه من « نورا » الى « راشيل » (ميريل ستريب) ، تحكى كيف وقعت فى حب « كارل » الذى تغير اسمه الى « مارك » (چاك نيكولسن) ، كيف تزوجت ، حملت ثم انجبت منه طفلة .

وأخيرا عند اكتشاف خيانته لها ، كيف غضبت عادت ثم اختارت فى النهاية طريق القطيعة والانفصال ، فكان ان تركته مع طفليها منه غير آسفة على شىء .



واضح اذاً ان « قلب يحترق » فيلم ناعم ، يتناول باسلوب رومانسي قصة حب بين رجل وامرأة من صقور الصحافة ، انتهت بعد معاناة مرارة الغيرة والاصطلاء بنارها المحرقة ، في هدوء وسلام ومن هنا استبعاد وجود عنف في فيلم اجتماعي رقيق كهذا يعرض لعلاقات بين زوجين انتهت كما بدأت دون اية مفاجآت مثيرة تستوجب اللجوء الى الغدارات وماشابهها من ادوات الهلاك ومع ذلك لم يستطع صاحب « قلب يحترق » مقاومة اغراء العنف ، حشره حشراً في مشهد للبطلة اثناء وجودها غاضبة في نيويورك بعيدا عن عش الزوجية في واشنطن .

فدون مقدمات يقتحم عليها الشقة وهي في رفقة بعض الاقارب والاصدقاء ، لص شاهرا غدارته ، طالبا من الحاضرين ما قد يكون معهم من اشياء غلى ثمنها ، وخف حملها .

وعلى كل ، ورغم هذا المشهد الدخيل ، فانه مما يحسب « لينوكلس » ان فيلمه — وعلى عكس « بعد ساعات العمل » رائعة « مارتين سكورسيزي » التي عرضت في المهرجان — قد جاء خاليا تماما من دماء حمراء تراق وجثث مبعثرة هنا وهناك — وهذا ولاشك امر محمود في السينما المعاصرة التي ليس لها من غذاء سوى العنف المتصاعد .

والحديث عن نورا او سارة بطلة « قلب يحترق » وزواجها الذي انتهى نهاية غير سعيدة يسحبنا الى الوقوف قليلا عند فيلمين من افلام المهرجان يعرضان لشقاء المرأة ، ولكن من منطلقين مختلفين .

● غادة الكاميليا ●

أولهما « الترافياتا » أو « المرأة الضالة لمبدعهما الموسيقار الايطالي الشهير « جيسبي فيردي » .

والفيلم المستوحى من هذه الاوبرا اخرجه « فرانكو زيفريللي » الذي استطاع ان ينجو به من عبودية المسرح ، فلم يجعله مجرد اوبرا مصورة ، وانما جعله فيلما اوبراليا متحررا من الجمود ، محلقا دون قيود .

فمنذ اللقطات الاولى المصاحبة للعناوين ، وهي لقطات صامتة صمت القبور ، ونحن مع كاميرا حزينة في سماء رمادية كابية تطل على باريس عابسة غضوب ، تنساب بنا فوق كنيسة نوتردام ونهر السين ، تمر بشوارع وبيوت شبه مهجورة حتى تتوقف عند بيت كبير ندخله معها ، وفي رفقة نفر من عمال واشباح كالغربان .

رياش وتحف مبعثرة هنا وهناك في الممرات والقاعات ، لوحات واشياء اخرى ثمينة يحملها عمال تراقبهم عيون محضرين لاتنام .

ومثلما دخلنا البيت تدخل مقدمة فيردي الموسيقية رقيقة متهادية كالحلم حتى تصل بنا الى غرفة حيث نرى « فيوليتا » مريضة مستلقية على اريكة تحارب وحدها الوجع ، تسمع الاصوات ، فتنتفض كمن افاق من كابوس ، تتدثر بثوب وتخرج الى الممر حيث العمال والغربان .

كل ماحولها اشياء جامدة ، بليدة .

مغلفة بظلال زرقة مجهدة تعكس نهاية رحلة عمر .

وماهى الا لحظات حتى تلتقى عيناها بعينى فتى جميل مفتون بها ، يقف امامها مبهورا .

ويبدأ شريط الذكريات .

الآن ، والآن فقط تختفى من امامنا الزرقة الكئيبة ، لنبصر بدلا منها الالوان التى نشتهى . الوان الاحمر والأصفر والبنى تتزاحم من مزيجها خيالات جو اعياد واعراس ومهرجانات .

ثمة حفلة زمنها القرن الماضى فى عهد الامبراطورية الفرنسية ايام العز .

ومع ذلك فثمة لمسة حزن سرعان ماتتحول مع الاحداث الى غمامة تمطر هما .

وهكذا وبفضل لقطة سينمائية من اجمل لقطات استرجاع الماضى « فلاش باك » نرى « فيوليتا » (تي... ستراتس) متوردة الوجنات ، فى حالة استنفار وتوقع .

● نهـــايـــة ●

انها تحس داخلها باحساس غريب يهز كيانها ، يحدث خلخلة فى الاشياء من حولها ، هل هى حمى الحب ؟

انها فى حيرة من امرها ، هل تعيش امرأة وحيدة ضائعة فى تلك الصحراء المزدحمة المعروفة عند الرجال بمدينة النور ؟ ام تودع حياة اللهو واللعب من اجل الحب من أجل « الفريدو » (بلاشيد دومنجور) ؟ انها متوجسة خيفة ، وكيف لا والحب عند مثيلاتها انكسار وسقوط فى هاوية المجهول .

وطبعا ، وكما هو معروف ، تسمع نداء الحب ، تستسلم له وتضحى من اجل

« القلب يحترق » وعش الزوجية ينهار





« الفريدو » بكل شيء ، حتى يحبها له انقاذا منها لاسم اسرته وسمعته .

وغنى عن البيان أن تضحيتها هذه لايكتشفها الحبيب الا بعد فوات الاوان وها هى الزرقة الكئيبة تعود فتغطى المكان و « فيوليتا » كما فى البدء نسمع اصداء الموت في صوتها ونراه على وجهها .

فاذا ما دخل عليها الحبيب ، نهضت ، حاولت الا تظهر له شيئا مما تعانى ، مرددة معه لحنا من نشيد السكينة الابدية ، حتى اذا ما اقترب الموت صحت مع صحوته ، كأنها الحياة تعود .

ومن بعد ان تنطق بالكلمات الاخيرة تتهاوى ، وقد انعتقت روحها من الارض ومتاعبها

● نكبة الفراق ●

أما الفيلم الثانى فهو « اللون ارجوانى » للمخرج المعجزة « سيتفن سبيلبرج » صاحب « الفك المفترس » و « أى تى » و « انديانا جونز » وقد استوحاه من قصة المؤلفة السوداء « اليس ووكر » تلك القصة المتوجة باهم جائزتين للأدب فى الولايات المتحدة « بوليتزر » و« الكتاب الامريكى » (١٩٨٢) .

والفيلم الذى نحن بازائه يعتمد كما القصة على شخصيتى الشقيقتين « سيلى » (ووبى جولد برج) و« نيتى » (اكوساوا بوزيا) .

وهو يبدأ بهما فى الشتاء (١٩٠٥) بين مروج بهية تغطيها زهور ارجوانية فى الجنوب الامريكى حيث يستعلى البيض على السود .

إنهما تلهيان ، تلعبان بين الزهور ، تضحكان ، تنشدان الحب الفريد الذى فى القلوب منذ الطفولة « انا انت .. لن نفترق ابدا ولكن سرعان مايفرق الزمان بينهما ... ولو إلى حين . « فسيلى » يبيعها زوج امها التى ماتت مجنونة الى ارمل غليظ القلب « السيد البرت » (دانى جلوفر) لتكون شريكة حياته بالاكراه بدلا من زوجته التى ماتت مقتولة ، تاركة وراءها اطفالا مشاغبين ..

اما نيتى الاخت الصغرى فهى الاخرى لم تتح لها فرصة الاستقرار طويلا مع زوج امها ، فالقلق والاضطراب ومخافة العار ، كل ذلك اضطرها فى ربيع (١٩٠٩) الى الفرار حيث تعيش اختها « سيلى » اسيرة حياة زوجية ما أكثر التعرض فيها للذلة والهوان وبحكم ان حظها من العلم والحكمة كان اكثر بكثير من خظ اختها الكبرى ، فقد عملت على تعليمها القراءة ، وتحريضها على الثبات لزوجها الفظ ومقاومة الاستبداد .

ورغم ان « سيلى » كانت مبغضة اشد البغض لهذا الزوج ، فإنها كانت مقصوصة الجناحين ، ضعيفة مذعنة لعبث اقدار لامرد لها ، ولامصرف عنها ..

وطبعا ما كان لنيتى ان تطيق هذه الحياة الممتلئة بالخطوب والاستسلام .

لقد صدت « السيد زوج اختها » صانت كرامتها واستمسكت بالاباء ، فكان ان طردها شر طردة ، محدثا بذلك فراقا بين الاختين دامت لوعته نحو عشرين عاما

وفى صيف ١٩١٦ ، ومن كينيا بافريقيا حيث سافرت « نيتى » بعثت برسائل الى اختها التى لم تعرف عنها شيئا لان « السيد » لجأ إلى وسيلة لاتخطر على بال ، احتجز الرسائل ، اخفى امرها عن زوجته .

وهكذا اصبحت « سيلى » ـ وقد انقطعت اخبار اختها تماما ـ مغتربة ، مثقلة القلب بالهموم ، تساورها خيالات موت الاخت ، تكابد الحياة والناس وحيدة ، تشكو ما كان من امرها فى هذه الدنيا الى السماء .

وسط هذا الجو الزاخر بصور رائعة من جمال الطبيعة (ولاية كارولينا الشمالية) ، ومظاهر مؤسية من فساد الازمنة والعلاقات ، انطوت تسعة اعوام من عمر « سيلى » تمثلها خلالها كل من حولها نقية شفافة . شفيقة ، صبورة على الآلام .

ومرت خلالها أحداث لكل منها تأثيره على نمو وعيها فيما هو آت من ايام ، كان من بينها الالتقاء « بشوج » (مارجريت اتيرى) تلك المغنية الشهيرة التى لم يكن يشغلها من شئون الحياة غير ارضاء نزعاتها الفنية .

ورغم ان الاختلاف بين هاتين المرأتين كان بعيدا الى اقصى غايات البعد ، فإنهما التقيتا فى شىء واحد .

فقد بات صوت شوج اعزب الاصوات عند « سيلى » قولا لها فى عينى « شوج » الواسعتين حر بغير قرار من المحبة .

● الكيــد العظيــم ●

وفى ربيع ١٩٣٦ ، تشاء الصدف ان تعثر « شوج » على رسالة موجهة من « نيتى » المقيمة فى افريقيا الى « سيلى » فات على السيد زوجها اخفاؤها وهنا تشترك المرأتان فى تفتيش غرفة « السيد » أثناء غيابه بحثا عن رسائل اخرى .

وينتهى بهما البحث الى العثور على عشرات من الرسائل تحكى فيها « نيتى » اكتشاف القارة السوداء ، وحياتها مع آل « شاموئيل » وطفليهما بالتبنى .

وبعد هذا كله ، فما اريد ان اكشف موقف « سيلى » من زوجها « السيد » اثر اكتشافها واقعة اخفائه رسائل شقيقتها زهاء عشرين عاما من عمر الزمن .

وما اريد ان الخص النهايات والمفاجآت السعيدة التى يزدحم بها الفيلم وهو يقترب من الختام .

كل ما اريد ان اقوله انه ما اسرع الانغماس مع « اللون ارجوانى » فى الحياة الامريكية كما تعيشها الطبقة المتوسطة السوداء ، حتى كأن المتفرج يحياها مع اصحابها ، لا انه يشاهد احداثها ، وصورها اطيافا على شاشة فضية .

وهذا وحده كاف للثناء على اول فيلم جماهيرى جاد « لسبيلبرج » وذلك رغم هنوات النهايات السعيدة .

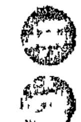
● المهرجان الوليمة ●

وبعد فالاكيد ان المهرجان قد ساهم بما عرض من افلام جاءت القاهرة من القارات الستة .. من الوطن العربي ، من السويد شمالا الى استراليا جنوبا ، من الارجنتين وكندا غربا الى الهند واليابان شرقا ، ساهم فى النهوض بوعينا السينمائي والاكيد .. الاكيد انه دلنا الى اهمية الكلمة البلسم .. الكلمة الوحى والواحة فى الفن ... الحرية



وجه الولايات المتحدة في الصحف.. أيام عبد الناصر والسادات!

عرض : هبه عادل عيد



ما هى صورة الولايات المتحدة فى الصحافة المصرية خلال الستينيات والسبعينيات ؟ .. حول هذا الموضوع الهام قام الباحث حماد ابراهيم حامد بدراسة تغير الافكار السائدة فى الصحافة المصرية ، راصدا ملامح وتصورات كتاب الصحافة حول الولايات المتحدة من جوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية مبينا التصور الصحفى المطروح وعلاقته بصانع القرار المصرى فى فترتى عبد الناصر والسادات ، ومدى التقارب أو التعارض بين راى الكتاب انفسهم وبين الموقف الرسمى بالنسبة للعلاقة بين مصر والولايات المتحدة الامريكية .

الدراسة تناقش هذا الموضوع الهام من خلال قراءتها المتأنية للصحف اليومية الثلاث : الاهرام ، الاخبار ، الجمهورية .. وقد أشرف عليها ــ كرسالة ماجستير ــ الدكتورة عواطف عبدالرحمن ، وشارك فى مناقشتها الدكتور فؤاد زكريا والدكتور محمد سيد محمد رئيس قسم الصحافة بكلية الاعلام .

تبدأ الدراسة بصحيفة الاهرام ، وقد برر الباحث اختياره لذلك بعوامل تتعلق بالصحيفة نفسها ، وبعوامل اخرى تتعلق بشخصية رئيس تحريرها فى ذلك الوقت محمد حسنين هيكل ، مؤكدا على خصوصية وضع الاهرام ، نظرا للعلاقة المتميزة بين رئيس تحريرها والرئيس جمال عبدالناصر الامر الذى جعل منها مركزا فكريا للاراء والاجتهادات المختلفة مما جعلها تصبح « حزبا آخر » يكاد يقف فى مواجهة حزب الدولة المعروف بالاتحاد الاشتراكى .

ومن ناحية العلاقة بين الصحيفة وبين

المتلقين تميزت الاهرام بتوجهها للنخبة فاهتمت بتقديم خدمة صحفية تأخذ في الاعتبار البعدين المحلي والدولي ، الامر الذي جعل الولايات المتحدة موضوعا يحتل مساحة كبيرة من الكتابات ، ويبدو أن ذلك كان بسبب سياسة الجريدة التى رأت أهمية دور النخبة من المثقفين فى التأثير على الرأى العام المصرى فى المواقع المختلفة بالمجتمع .

أما بالنسبة للعوامل المتعلقة بشخصية محمد حسنين هيكل ومكانته المميزة فى صحافة الستينيات (من خلال مقاله بصراحة الذى اعتمد على الخبر الجديد وتحليله وتفسيره) فانه – اى هيكل – اصبح مصدرا يمكن الاعتماد عليه فى التعرف على مسار الاحداث الداخلية علاوة على علاقات مصر الدولية .

هذا بالاضافة الى أن تميز هيكل اعتمد على حرصه على تجاوز مكانته الصحفية « كتابع مباشر » لصانع القرار ، مع التزامه الدائم بان يظل فى حوار مع السلطة ، دون أن يعنى ذلك اختلافه مع صانع القرار فى الاستراتيجية .

ويؤكد الباحث فى رسالته على أن عبد الناصر لم يصادر رأيا عمل من داخل النظام ، وان الحرية التى كانت لهيكل انما جاءت بسبب استبعاده من دائرة الخصوم الاساسيين للنظام ، مستشهدا بما قاله لطفى الخولى من أن الاجراءات القمعية ايام عبد الناصر لم تكن موجهة للفكر او التعبير ، وانما كانت موجهة اساسا الى ما يعتقد أنه تنظيم سياسى مضاد للدولة .

وعندما جاءت فترة السبعينيات تعرض دور هيكل – وبالتالى الاهرام – الى هزات عنيفة ، ويرجع الباحث ذلك الى ملامح شخصية السادات ، ويستشهد بما قاله الصحفى اللبنانى سعيد فريحة : « **مع عبد الناصر كنا نستطيع ان نتناقش ، وهذا الرجل اقفل الباب على الفور** » .

مراحل العلاقة الامريكية المصرية

على اية حال فان الباحث خصص الجزء الاكبر من دراسته للعلاقات المصرية الامريكية التى تراوحت – عبر ما عبرت عنه الصحف المصرية نفسها – الى عدة مراحل فى فترة السبعينيات .

المرحلة الاولى كانت مرحلة الترويض، منذ البدايات الاولى لقيام الثورة ، حيث ارادت الولايات المتحدة أن تخضع الثورة بالاسلوب الدبلوماسى لخططها فى المنطقة ، الامر الذى رفضته الثورة ، وكان ان عقدت صفقة الاسلحة الشهيرة مع الاتحاد السوفييتى عام ١٩٥٥ لتبدأ مرحلة جديدة أسماها الباحث مرحلة العقاب التى يحدد بدايتها بعام ١٩٥٦ بالحرب النفسية ضد مصر وعبد الناصر ، **وتجلت فى سحب عرض تمويل مشروع السد العالى ، ثم امتدت بعد الحرب المسلحة فى السويس الى حرب اقتصادية استمرت الى سنة ١٩٥٨** . حيث بدأت الولايات المتحدة تحاول مرة أخرى احتواء مصر خاصة عام ١٩٥٩ مستغلة الخلاف الذى حدث بين مصر والاتحاد السوفييتى بسبب دور الحزب الشيوعى العراقى واخطائه فى عهد



أحمد بهاء الدين — محمد حسنين هيكل



مصطفى بهجت بدوى



لطفى الخولى



عبد الكريم قاسم ، واستمرت هذه المرحلة حتى سنة ١٩٦٢ حين بدأ الصدام بين الثورة العربية وجيش مصر في اليمن من جهة ، وبين الرجعية العربية والاستعمار البريطاني في الجنوب اليمني المحتل من جهة أخرى .

ثم تأتي مرحلة رابعة في هذه العلاقة أسماها الباحث مرحلة محاولة العنف ويحدد بدايتها بعام ١٩٦٣ لتستمر وتبلغ أقصى درجات العداء بحرب يونيو ١٩٦٧ **التي جسدت التواطؤ الامريكي الاسرائيلي ليس فقط في المجال العسكري بل تجاوز هذا التواطؤ ليشمل الميادين التكنولوجية والدبلوماسية والاقتصادية .**

بعد ذلك نأتي الى المرحلة الخامسة التي اسماها الباحث بمحاولة فرض الاستسلام ، وذلك بعد حرب ١٩٦٧ استغلالا للهزيمة العسكرية ، وتوازنات القوى التي أدت اليها من أجل املاء سياسات امريكية واسرائيلية على عبد الناصر ، بقصد فرض الهدف الاساسي أى الاستسلام ، وقد امتدت هذه الفترة حتى ما بعد عبد الناصر الى سنة ١٩٧٣ التي توجت بحرب أكتوبر .

يقول الباحث في رسالته من هذه الفترة أن جذور التحول السياسي للنظام المصري تجاه الولايات المتحدة دلت عليها مجموعة شواهد مبكرة منها على سبيل المثال بداية الدعوة للتركيز على الحل السياسي لصراع الشرق الاوسط ، وبداية ظهور الدور السعودي بوضوح كمحدد لعلاقات مصر الدولية ، ثم قرار انهاء مهمة الخبراء السوفييت .

علاوة على ذلك لم تغفل الدراسة مبررات التحول في توجهات النظام السياسي المصري في هذه الفترة وأوضح دور العوامل الداخلية المتمثلة في المركزية الشديدة لاجهزة الدولة ، مما ادى **وبالضرورة الى تضخم دور القائد السياسي في صنع السياسة الخارجية ، وتمركز العملية السياسية حول شخص الحاكم ، ايضا ظهر دور القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في التغيير ، مما أعطى السادات الركيزة الاساسية متمثلة في السند الاجتماعي للسياسات التي طبقها فيما بعد .**

وطبقا لافكار وتصورات السادات من خلال تحليل خطبه المنشورة في الصحف المصرية ، والتحليلات التي البتتها هذه الصحف لها ، رأى الباحث أن السادات كان يأمل أن تغير الولايات المتحدة سياستها ، أو حتى تعدلها على الاقل ، وعندما جاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ بدا أن السادات اصبح مقتنعا بأن هناك تغيرا طرأ على السياسة الامريكية ، واشار الباحث الى العوامل الشخصية التي جعلت السادات يزداد اقتناعا بهذا المنحى ، وعنى بها علاقاته بعدد من الشخصيات (النجوم) الامريكيين وعلى رأسهم نيكسون وكيسنجر .

● متاعب الصحفيين ●

واستعرض الباحث ما تعرض له بعض الصحفيين خلال السبعينيات من تعسف ، فقد كان لابد لرموز التيار الذي أعلن من قبل التزامه بالخط الوطني لعبد الناصر من أن يعبروا من مواقفهم وآرائهم ، ولكن مع اطراد العلاقات المصرية الامريكية ، وتوقيع فصل الاشتباك الاول واتجاه السادات الى الاعتماد على الحل السياسي ، وطرح وتنحية فكرة البديل العسكري ، والاتجاه ناحية الحلول المنفردة ، واخراج الاتحاد السوفييتي من القضية والمنطقة ، بدأ رموز هذا التيار يتعرضون لانواع متباينة من الضغوط ، مثل فرض الرقابة على كتاباتهم ، وتعمد ارهابهم فكريا عن طريق اتهامهم بالشيوعية والالحاد ، وافتعال مشكلات تتعلق بعملهم في المؤسسات الصحفية ، **ثم افساح الفرصة لعناصر من اليمين لتدعو الى التخلص من احمد بهاء الدين (رئيس تحرير الاهرام) ومصطفى بهجت بدوي ، رئيس تحرير الجمهورية ، ونقل البعض ،** واضطر آخرون الى الهجرة ، أو الارتحال ، وهكذا تم التخلص من هذا التيار ، بدءا من

هيكل سنة ١٩٧٤ وحتى مصطفى بهجت بدوى وزملائه فى الجمهورية عام ١٩٧٥ ، التى تحولت من صحيفة تمثل الفكر الوطنى المصرى والعربى ، وتفسح المجال للنقاش بين تيارات الحركة الوطنية وخصائلها المختلفة ، الى صحيفة خدمات

● بديهيات لاتحتاج الى اثبات ●

أما المناقشة فقد بداها الدكتور فؤاد زكريا باعتراضه على عنوان الرسالة الذى وصفه بأنه بديهى ومعروف ، وأنه كان يتمنى لو أن الباحث قد قدم افتراضا جديدا ومعرفه اعمق وأبعد مما ذهب اليه ، وانتقد محاولة الباحث اثبات التناقض البديهى لصورة الولايات المتحدة فى صحافة الستينيات عنها فى السبعينيات ، وأكد على أن هذه الحقيقة البسيطة يعرفها رجل الشارع ، ولم تكن بحاجة لكل هذا الجهد ، ثم شرع الدكتور زكريا فى مناقشة الباحث حول مسألة صورة الولايات المتحدة فى ذهن صانع القرار ، وصورتها كما قدمتها الصحافة ، وأيهما يسبق الاخر ، وكان المثال الذى قدمه الباحث هو مقالات لبيب شقير عن عدم ملاءمة النظام الامريكى لمصر ، وكان هذا عام ١٩٦١ الذى توج بصدور القرارات الاشتراكية . وقال الدكتور زكريا انه كان معروفا فى هذا الوقت أن عبد الناصر كان يريد تهيئة المناخ لاستقبال القرارات الاشتراكية ، أما عن علاقة الصحافة بصاحب القرار فقد اكد فؤاد زكريا على أن الصحافة كانت خاضعة للحاكم طوال الوقت ، وعاب على الباحث اضاعة جهده فى تحقيق مسألة أيهما كان يخضع للاخر .

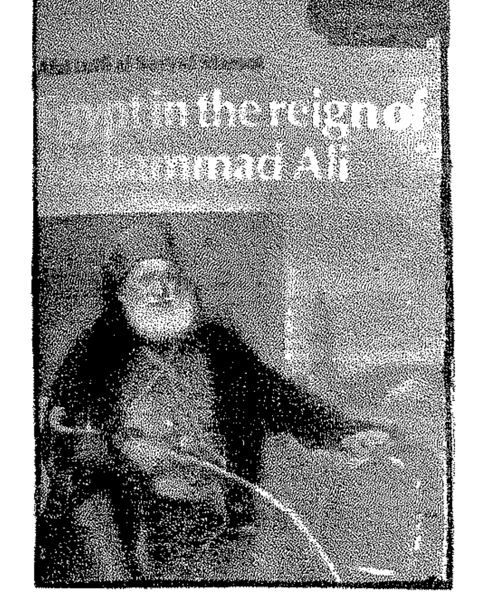
وكانت النقطة التالية التى اثارها د. فؤاد زكريا هى اعتماد الباحث على الخطابات السياسيه لكل من جمال عبد الناصر والسادات واعتبرها معبرة عن فكرهما السياسى ، وقال د. زكريا ان هذه الخطابات وجه اعلامى متعمد ، واحيانا تجىء منافية تماما للسياسات التى تجرى فى الخفاء ، وقال ان مذكرات احمد بهاء الدين التى ينشرها فى المصور ، وكتاب هيكل ملفات السويس يؤكدان ذلك ، وكان على الباحث أن يأخذ فى الاعتبار مسألة التكتيك السياسى الذى يقتضى احيانا اخفاء بعض الجوانب التى بدون اظهارها لا تكتمل الصورة ، ثم تطرق فؤاد زكريا الى مسألة حرية الصحافة ، واتهم الباحث بأنه لم يتناولها بالشكل الواجب .

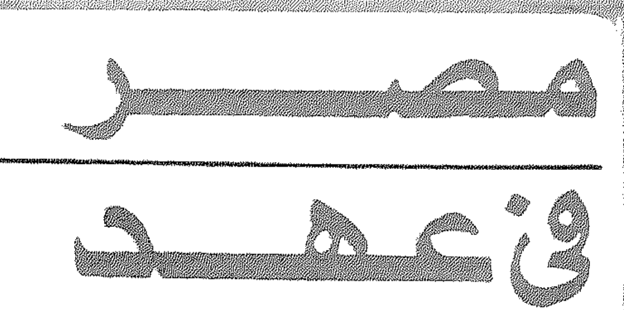
● من النقيض الى النقيض ●

وقال د. محمد سيد محمد من بين ما قال أن هذه الرسالة أوضحت كيف يتحول بعض الصحفيين من النقيض الى النقيض ، كما أوضحت الملامح الفكرية للكتاب غير الملتزمين ، والذين يعتمدون على الفهلوة ، وختم ملاحظاته بقوله : « اننا رفاق مسيرة عسيرة اذ اننا جميعا جئنا فى ظروف صعبة » . ثم وجه الشكر للفلاحين الذين زينوا القاعة بحضورهم .

ثم تحدثت د. عواطف عبد الرحمن المشرفة على الرسالة معقبه على ملاحظة د. فؤاد زكريا حول بديهيه موضوعها قائلة : ان الدراسات الاعلامية والصحفية فرع حديث بالنسبة لفروع العلم الاخرى ، وكاى علم حديث يحتاج الى تأصيل الكثير من الامور التى قد تبدو مسلمات بالنسبة لفروع العلوم الاخرى ، وأن هذا التاصيل يستوجب منا أن نبدأ من البدايات الاولى للاشياء ، وأكدت الدكتورة عواطف على الموقف الموضوعى للباحث من محمد حسنين هيكل ونفت شبهة التحيز له ، وأن من بين آراء الباحث ما يأتى مناقضا لاراء ومواقف هيكل ، واوضحت المشرفة على أن موقف الباحث من مسألة تبعية الصحافة للسلطة يلخصه تصريحه لها بأنه لا يرى غضاضة فى ان تكون الصحافة تابعة للسلطة بشرط أن تكون هذه السلطة وطنية .

واعترضت المشرفة على هذا الراى مؤكدة على أن خطورة هذا الراى فى انه يجعل من تبعية الصحافة للسلطة قاعدة وأساسا مبدئيا ، قائلة : ومن حسن الحظ ان السلطة كانت وطنية فى الستينيات ، ولكن هذه السلطة وضعت مبدا التبعية ، وعندما تغير الوضع ظلت الصحافة تابعة للسلطة ، وكان ذلك كارثة ، لذلك يجب الا نترك الامور للصدف ، ويجب ان نرفض مبدا تبعية الصحافة لاى سلطة كانت .





كتاب الشهر: مصر فى عهد محمد على

تأليف : د . عفاف لطفى السيد ● عرض وتقديم : د . السيد أمين شلبى

هذا الكتاب مساهمة علمية هامة لكتابة تاريخ مصر من ١٨٠٥ - ١٨٤٨ حين كان محمد على يحكم مصر . حقيقة أن عددا كبيرا من الكتب قد صدر عن هذه الفترة خلال القرنين ١٩ ، ٢٠ ، إلا أنه كما لاحظت الأستاذة المؤلفة ، لم يظهر عمل كبير منذ عام ١٩٦١ ، الأمر الذى دفعها لأن تبذل هذا الجهد العلمى المخلص كى تفتح باب البحث من جديد فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر بل وتاريخ منطقتها .

والواقع أنه مع وفرة ما صدر عن هذه الفترة الا أن القليل منها هو الذى عالجها بموضوعية وتوازن ، فكثير منها كتب إما بدافع التأييد والدفاع عن الأسرة المالكة فى مصر ، أو بهدف الانتقاص منها ، وهو ما حاولت الدكتورة عفاف لطفى السيد ، بتوفيق يدعو للاعجاب ، أن تتجنبه وتعرض لهذه الفترة بكل جوانبها الايجابية والسلبية .

كذلك مما ميز الكتابات السابقة عن هذه الفترة - فيما عدا قلة منها - عدم الرجوع والاستفادة من الوثائق المصرية التى اعتبرتها المؤلفة أنها مازالت «منجما لم ينقب عنه بعد » ، ولذلك عمدت فى عملها الى استشارة هذه الوثائق الأمر الذى ضاعف من القيمة العلمية لكتابها .

ويجىء كتاب الدكتورة عفاف المصرية الأصل - فى وقت مناسب فيما يتعلق بتطور النظر فى مصر للتاريخ المصرى حيث انتهى الى موقف رشيد

يرى هذا التاريخ باعتباره كلا متصلا ومتتابع الحلقات

● مصر في عهد المماليك ●

كانت أحوال مصر فى عهد المماليك هى مدخل الكتاب ، وتلاحظ الكاتبة أن الكثير مما كتب عن تاريخ مصر فى القرن ١٩ يفترض أن محمد على قد أدخل شكلا جديدا من الحكم ، ونظاما اقتصاديا جديدا ، حوّل مصر الى دولة حديثة ولم تنسب الى محمد على أنه مؤسس ومجدد مصر الحديثة وبانفصال كامل عن الماضى المملوكى وتعتبر المؤلفة أنه وان كان هناك بعض الحقيقة فى ذلك ، فإن اقتناعها أن محمد على لم يدخل نظاما اقتصاديا كاملا فى مصر وإنما نقح ووسع النظام الاقتصادى القائم ، وأن الشكل الجديد نشأ من ضرورات هذا النظام وتستخلص أن كثيرا من «التجديدات» التى نسبت بعد هذا الى محمد على هى فى الحقيقة استمرار للنظم القديمة .

أما أصالة محمد على الحقيقية فهى تكمن فى أنه تعلم أخطاء أسلافه وجمع أفكارهم فى تطور الى برنامج متماسك وأصل تحويل الأساسين الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع المصرى وهو التحول الذى كان قد بدأ منذ فترة طويلة قبل وصول محمد على .

● محمد على الرجل ●

لم تكن حتى الأسرة المالكة فى مصر واثقة من تاريخ ميلاد محمد على ، وإن كانت الوثائق قد استقرت على أن التاريخ الصحيح لمولده هو عام ١٧٧٠م . وقد نشأ محمد على فى بيت أبيه إبراهيم أغا فى « قَوَله » رغم أنه ادعى فى سنوات لاحقة أنه نشأ يتيما فقيرا رباه عمه طوسون . وهذا ادعاء خالص . فقد مات أبوه ومحمد على فى العشرين من عمره رجل مكتمل ومتزوج . أما لماذا ادعى محمد على هذه القصة فان أبرز التفسيرات أنه أراد أن يقدم نفسه على أنه الرجل الذى بنى نفسه وصعد الى الشهرة فى مواجهة صعاب جمة ، وأنه قصد أن تقدم هذه الصورة بالذات الى أبنائه ليحثهم على العمل والكفاح .

وجميع من قابلوا محمد على سواء من الأهل أو الأجانب علقوا على جاذبيته وحسنه ، وإن كانت مراسلاته تكشف جانبا آخر تهكميا ولاذعا ، وصريحا للغاية وقد يصل الى حد الوقاحة ، إلا أن هذه المراسلات وجهت الى معاونيه المخطئين ، الذين يعود فيثنى عليهم اذا أدوا واجبهم . وعلى عكس إبنه ابراهيم "وقهقهته العالية ، كان محمد على ذا ضحكة قصيرة ، جافة ، يتحرك بهدوء ونعومة . ازاء هذا وصفهما رجل فرنسى بالثعلب والأسد ، ولكن اذا كان للأب بعض صفات الثعلب . المكر ، والحذق فى تفادى المواقف الخطرة ، ويقظة العقل ، فإنه أيضا يمتلك بعض صفات الأسد ، فلديه الشجاعة ويبدو أكبر من الحياة فى أعين مؤيديه ومعارضيه . كما كان يمتلك درجة من الانسانية لم تكن لدى ابراهيم ..

ولم يكن محمد على لينسى أفضال الناس عليه وكان يردها حين يكون قادرا على ذلك ، وفى أول فرصة ، كما كان يحب الأجانب والأقليات وكان يجدهم جديرين بالثقة . ومع أن هذا قد يكون محاولة متعمدة لتقليد السلاطين الأوائل الذين جمعوا فى بلاطهم مواهب من كل أصل

وقومية ، فإننا يمكن أن نعزى هذا الى أن محمد على كان رجلا برجماتيا استخدم كل موهبة متاحة له ، وباعتباره رجلا راجح النظر فقد تحقق من أن المعاونين الذين يحتاجهم لايتوافرون بين شعبه ولذا شرع فى تعليمه وفى نفس الوقت استخدم قدرات الأجانب ، وربما كان حبه للموهبة الفرنسية يرجع للاعجاب الكبير الذى كان يحمله لنابليون .

وقد كان من الواضح أن محمد على يحمل علاقة حب وكراهية للعثمانيين وكان يخشى فقدانه لهويته ، الأمر الذى يفسر موقفه المزدوج منهم وتردده فى أن يحدث قطيعة حادة معهم ومع النظام العثمانى فى الحكم ، كما أن هذا يفسر محاولته لاحياء الثقافة العثمانية فى مصر ونشر كلاسيكيات العصر الذهبى للقرن ١٦ بحيث يمكن لمؤيديه وخلفائه أن يواصلوا هذه الثقافة دون شعور بالانفصال عن جذورهم العثمانية . غير انه بعد زمن طويل وخلال حكمه قرر القطيعة عن العثمانيين سياسيا ولم يكن لديه عندئذ خيار كبير فى ذلك .

وكانت رؤيته بالنسبة لمصر طليعية بالنسبة لزمنه ، الأمر الذى ميزه عن هؤلاء الذين سبقوه والذين جاءوا بعده وجعله واحدا من اكثر الحكام المرموقين الذين عرفتهم مصر .

وكان محمد على رجلا عسكريا ، وكان طبيعيا أن يدمر أعداءه بوسائل عسكرية ، كما فعل مع المماليك ولكنه كان أيضا سياسيا حذقا وماهرا حاول أولا شراء أعدائه ولم يستخدم القوة إلا كملجأ أخير . وبوجه عام لم يكن يستريح لاستخدام القوة لأنه اعتقد انها تترك أثرا سيئا بينما كان الاقناع فى رأيه بديلا أفضل .

وكان محمد على يدرك جيدا أنه ليس هناك حاكم يبقى فى الحكم إن لم يأخذ فى اعتباره التيارات الداخلية فى بلده ، وقد تعلم محمد على هذا الدرس جيدا خلال أيامه الأول ، وأبقى نفسه على علم بمزاج الجماهير خلال فترة حكمه فكانت الشائعات تصله فور ظهورها وكان قادرا على تهدئتها أو السيطرة عليها .

ويمكن وصف حكومة مصر فى هذه الأيام باعتبارها حصادا وصراعا بين قوتين غير متكافئتين ، فمن ناحية كان الحكام يصدرون أوامرهم أو يفرضونها من أعلى على الأهالى ، ومن ناحية أخرى كان الأهالى يضغطون من أسفل .

ورغم هذه الطبيعة غير المتكافئة والمتصارعة بين محمد على وشعبه ، فإن المؤلفة تنتهى إلى تحليل يشير الى التعامل بين الجانبين والى دور الشعب المصرى فى عملية البناء ، والتحديث التى باشرها محمد على فتقول : « إن القوة والمهارة العظيمة التى دفعت بلدا من حالة تقترب من الانهيار الاقتصادى الى أرض غنية ومزدهرة قد عزى الفضل فيها الى محمد على وبعد نظره ، إلا أن هذا لم يكن ليتحقق إلا بتعاون الشعب المصرى ووقفته الشجاعة فى وجه المحن ، وكذلك قدرته على النقاهة من الجروح القديمة » وهكذا صنعت مصر محمد على بالقدر

الذى ساعدها هو على أن تستفيق من حالتها اليائسة فى القرن ١٨ .

● بلد بلا سيد ●

بعد نزول القوات البريطانية والعثمانية الى مصر فى ٨ مارس ١٨٠١ وسقوط القاهرة بعد ثلاثة شهور ورحيل القوات الفرنسية بعد ذلك بأسبوع ، تتالت الأحداث ، وان كانت الصراعات بين القوى المختلفة قد بدت على أنها صراع على التفوق ، فإنها كانت أيضا مدفوعة بالحاجات الاقتصادية . وبعد أزمة مالية وزراعية طويلة ، لم تكن مصر قادرة على تأييد كل من المماليك والعثمانيين معا ، فكان على واحدة من تلك القوى المتصارعة أن تذهب لكى تخلى السبيل لنخبة حاكمة واحدة ، وبالنسبة للنخبة المحلية كان من الواضح أن المماليك قد تجاوزوا جدواهم ، وأصبحوا عبئا وأن عليهم أن يذهبوا .

وحين اختار العلماء محمد على فى المواجهة مع خورشيد ، واستصدروا فرمانا من السلطان بتوليته واليا على مصر وفقا « لارادة الشعب » كان الفارق بين هذه الحالة من خلع حاكم غير شعبى وبين حالات سابقة ، وفى هذه الحالة كان العلماء والشعب هم الذين نفذوا هذا وليس المماليك أو الجنود . وقد توقع العلماء أن يحكم الحاكم الجديد بالتشاور معهم وكما وعد محمد على السيد عمر مكرم « ألا يفعل أمرا ألا بمشورته ومشورة العلماء » وأن يخلع إذا حاد عن هذا الطريق ، وبهذا الشرط المسبق كان العلماء يجعلون من أنفسهم سلطة فوق الحكومة ، ومنفذين للشريعة وكانوا فى هذا يعودون نظريا الى التطبيق الاسلامى الأول ، ولكنهم فى الواقع كانوا يحاولون الحد من سلطة الحاكم الجديد .

وعلى خلاف هذا الموقف الأول من العلماء فى الاختيار والمسئولية ، تقدم الكاتبة تحليلا لتطور مواقفهم حين رفض خورشيد فى البداية تسليم السلطة واستمرار القتال بين الجنود والجماهير وسيادة حالة من الفوضى ، فنقول إن العلماء تملكهم خوف من قوة الجماهير أكثر مما خشوا الجنود ، وأعلنوا أنهم لن يقوموا بأى نشاط سياسى وأبلغوا محمد على أنه مادام هو قد أصبح سيد البلاد فإن المواطنين لم يعد لهم دور سياسى يلعبونه وأنه متروك لمحمد على تطبيق تعاليم السلطان .

● سيد فى بيته ●

منذ الأيام الأولى لوصوله الى مصر ، أخذ محمد على ، وهو القادم من أرض قوله القاحلة ، بالغنى الكامن فى أرض مصر ، فالبلد التى مرت بسلسلة من الأوبئة ، والمجاعات ، والمحاصيل السيئة والحروب التى استمرت سبع سنوات ، لابد أن تكون الآن مخربة تماما وفقيرة ومجردة من أى موارد ، ومع هذا استمرت تربة مصر فى تقديم الغلال وتبين عن وفرة كامنه . ومن هنا فتن الضابط الصغير بتربة مصر حيث كل شيء ينمو بوفرة وسهولة ، وكذلك وطن فى فكر حاكم مصر المقبل أن لديه إمكانيات مستقبل زاهر لهذا البلد قائم على الزراعة والتجارة .

ورغم أن تولية محمد على واليا على مصر عام ١٨٠٥ كان انتصارا عظيما ، فإنه كان انتصارا مزعزعا ، فليس لديه مال ، ولا جيش تربطه به روابط دائمة من الولاء نحوه ، حقيقة أنه يحوز فى الوقت

الحاضر على تأييد النخبة الوطنية ، من العلماء والتجار الذين قد يجمعون المال له ، ولكن الى متى يفعلون هذا قبل أن يتحولوا ضده . إن النخبة المحلية لا تستطيع أن تجعل منه حاكما دائما ، ولا يمكنهم أن يحاربوا له ضد المماليك والعثمانيين ، وهكذا واجه الوالى موقفا سياسيا صعبا استمر حتى عام ١٨١١ ، إلا أن هذه الفترة هى التى وضعت له الأساس لرؤيته للمستقبل ، وصاغت المخالفات التى حكمت مصر للحقب الأربع التالية .

كذلك أكدت له القوة البريطانية التى نزلت إلى الاسكندرية عام ١٨٠٧م واستمر احتلالها ٦شهور ، ضعف مركزه فى مصر ، وحاجته الى قوة دفاعية ذاتية ، ورغم ما أبدته البلاد من استعدادات للمقاومة ، فإنه ، شأنه شأن العلماء ، كان يخشى الحركات الشعبية ، ويعتقد مثلهم أن الحرب هى عمل الجنود وليس الجماهير .

وقد بدأ محمد على بإعادة تقييم تحالفاته بالمواجهة مع العلماء حين أصدر عام ١٨٠٩ أمرا بأن تخضع أراضى الوقف للضرائب ، وخرج الوالى منتصرا من هذه المواجهة التى انتهت بعزل عمر مكرم من منصب نقيب الأشراف وتعيين الشيخ السادات بدلا منه ، بل ونفيه الى دمياط . ومع تراجع قوة العلماء بعد هذه المواجهة ، فإن هذا لم يكن يعنى أن نفوذهم قد انتهى ، أما ما تأثر حقا فهو قوتهم كمصدر رئيد للمعارضة داخل البلاد ، وضياع فرصة ذهبية أتيحت لهم لفترة قصيرة وكان يمكن أن تؤذن ببداية عهد جديد من الحكم يجرى بالتشاور مع العلماء .

● العائلة والأصدقاء والعلاقات ●

تشير شخصية محمد على أنه رجل يخطط كل تحركاته بعد قدر كبير من التفكير ، ولذلك سوف نسىء الحكم عليه إذا ما افترضنا أنه كان يتصرف وفق هواه أو بالهام من طرف ثالث . فقد كان يستشير مستشاريه سواء القلة التى يحترمها منهم أو الكثرة التى يزدريها ، وكان ينتقد العمل بغير تفكير ناضج . وقد اتضح هذا من خطاباته الى أبنائه وخاصة الى اسماعيل الذى كان متهورا ومندفعا «إن مركز القائد الأعلى (سر عسكر) لايحافظ عليه من خلال البطولة التى تسميها البسالة ولكن من خلال حسن التدبير ، والتساؤل المستمر ، والتشاور مع جنوده فى كل الشئون ، لذلك وجه دائما الأسئلة حتى يمكن أن تتعلم كل شىء يقودك الى النصر » .

وكان محمد على يؤمن بقيمة المتخصصين ، وكان يبحث عنهم ويتعلم منهم ، ويستفيد من مقترحاتهم ، وحاول أن يعلم أبناءه قيمة الخبرة وأصحابها ، ولأنه يدرك أنه مر بدروس صعبة فقد تمنى أن يوفر على نفسه وعلى أبنائه أخطاء قد تكلفه عرشه أو حياة أحد أبنائه . إن أحد أبنائه (إسماعيل) لم يصغ الى نصحه فمات ، أما ابراهيم فقد استمع الى نصيحته فعاش لكى يصبح استراتيجيا بارزا وجنرالا عظيما .

كما كان يدرك أن أصدقاءه من الألبان والمحيطين به لديهم الكثير لكى يتعلموه

من الغرب ، لذلك فقد استأجر الخبراء ليعلموهم ، وكان معظم الزوار من أوربا يسمح لهم بمقابلة محمد على فورا ، وجميعهم يرون حرصه على التقاط أفكارهم وسؤاله عن الأحداث والاختراعات فى أوربا ، وإرساله ، وكذلك ابنه ابراهيم ، فى طلب آلة اخترعت حديثا فى أوربا وكيفية استخدامها .

وبخلاف أعضاء عائلته المباشرين ، فقد كان الألبان من موطنه قوله هم أكثر شركائه ، أما مناصب الجيش العليا فقد كان يحتلها المماليك ، أما كبار العلماء وخاصة شيخ الأزهر وزعماء الصوفية مثل الشيخ البكرى والسادات فقد كانوا بالضرورة رجاله مادام رضاؤه كان ضروريا لبقائهم فى مناصبهم ، كما كانوا هم ضرورة له لتهدئة الأهالى . ثم كان هناك الاقباط والمسلمون بشئون الادارة والذين علموا الوالى كل ما تعلموه عن الضرائب وجمعها .

● السياسات الداخلية●

نظر محمد على الى مصر كمُلك كسبه بالسيف . ولم يكن محمد على ملكا شرعيا ، ولذلك لم يكن يشعر بالأمان ، وكانت لديه شكوك حول استمرارية حكمه مالم يتخذ خطوات ، وإقامة أسس متينة لحكومته يمكن أن تقاوم التغير والزمن . وكان حجر الزاوية فى سياسة محمد على الداخلية هو القانون والنظام ، وخاصة بعد هزيمته لخصومه ، والسماح للبلد بالعودة للحياة الطبيعية والشفاء من الجراح التى نزلت بها .

وقد ذهبت ادخالات محمد على الادارية الى انشاء الدواوين التى اصبحت تتولى الادارة اليومية للدولة ، وكان انشاء المجلس ، أو الجمعية ، يتفق مع ميل محمد على لاستخدام نظم حازمة للادارة واجراءاتها ، ثم أدمج ديوان الخديو وديوان الحرب فى المجلس الأعلى عامي ٢٤ ـ ١٨٢٥م . فى هذه الأثناء وحين اصبح المصريون يتولون وظائف فى الادارة ، بدأت لغة الادارة تنتقل تدريجيا من التركية الى العربية ، وهو ما كان خطوة أبعد نحو تمصير مصر ، وحين عمد الوالى الى استقلال مصر عن الدولة العثمانية اصبح التمصير أمرا لابد منه حتى ولو ظلت النخبة عثمانية ، الأمر الذى اثار مشكلة الهوية بين الحكام والصفوة .

أما التطور الادارى الأبعد فقد نشأ عن إدراك أنه الاشراف الأكفأ على الريف فإن هذا لا يمكن فرضة من الحضر بل يجب أن يشمل تعاون قادة الريف ايضا .

واذا كان الريف فى مصر قد شهد تحسنا من خلال الاصلاحات والتنظيمات الادارية ومشروعات الرى والزراعة ، فانه قد شهد ايضا الكوارث . فالتقدم الملحوظ فى نظم الرى زاد من مناطق المحاصيل وتنوعها وهى زيادة لم يجاريها أى نظام تال . الا ان القنوات التى انشئت تطلبت قوة عمل فرضت ضغطا على السكان واربكت المواصلات ، كذلك شهدت البلاد عددا من الأوبئة مثل الكوليرا والطاعون ، كما شهدت مجاعات نتيجة لفيضان النيل سواء فى حالات ارتفاعه او انخفاضه

اما التطور الهام الذى حدث فى هذه الفترة المتصلة بتنظيم وطبيعة الجيش ، فقد حدث عام ١٨١٥ .

وقد راقب محمد على اقامة وتنظيم واداء الجيش بعين صارمة ولم يكن يسمح بأى اخلال بالاوامر ويعاقب من يرتكب ذلك من الضباط وفى الجيش كان المتعلمون

فقط هم الذين يرقون الى الرتب الأعلى ، ولكن لم يكن المصريون يرقون الى اعلى من رتبة ملازم ثان او اول . وفي هذا كان محمد على يختلف عن ابراهيم الذى كان يرى ان الضباط والجنود الشجعان ليسوا بالضرورة من المتعلمين ، كما كان يعمل على إقناع والده بأن المصريين ليسوا فقط جنودا شجعان بل يمكن ان يكون من بينهم ضباط افضل من الأتراك ، وكان يضغط من اجل ترقيتهم الى رتب اعلى حتى وافق الوالى على ترقيتهم الى رتبة يوزباشى .

● التغيرات الزراعية ●

ارتبطت التغيرات التى جرت فى المجال الزراعى بتلك التى جرت فى الضرائب ونبعت من حاجة محمد على الملحة للمال . ومادامت الضرائب يجب ان تجمع ويتم الاشراف والتحكم فى الأراضى فقد تطلب هذا مساعدة الصفوة الريفية ، ومن هنا اعطى للمشايخ والعمد المهام التى كانت موكولة من قبل للملتزمين ، وهو ما ابتهج له الفلاح فى البداية ، والغيت مجموعة الضرائب التى كانت مفروضة من قبل على الأرض وجمعت فى ضريبة واحدة هى « الخراج » والتى كانت تجمع فى أوقات منتظمة .

وبعد اجراء مسح تفصيلى لمساحة الأرض القابلة للزراعة جزئت الى قطع باحجام مختلفة ووزعت على الفلاحين لزراعتها ، ومن هذه التغيرات فى ملكية الأرض والضرائب جاء احتكار الانتاج الزراعى ، فقد منع الفلاح من بيع الحبوب للأفراد او التجار واجبر على بيعها للحكومة بأسعار حددتها ، ولذلك ضاعفت الحكومة ارباحها باستبعادها للوسطاء والتجار وهو ماجعل محمد على اغنى باشا فى الامبراطورية العثمانية .

اما الترع والقنوات والقناطر التى شقها وبناها محمد على وضاعفت وغيرت من التركيب المحصولى للزراعة فهى قصة معروفة ، اما ماتضيفه المؤلفة فهو ان هذه القنوات لم تبن بطريق السخرة وهو مايمثل مفهوما خاطئا عن هذا العصر .

وقد أدى اصلاح نظام الرى الى زيادة كبيرة فى الأرض الصالحة للزراعة ومن مقارنة الأرقام تتبين أن مساحة الأرض القابلة للزراعة التى أضيفت بلغت ١،١٧٦،٥٨٨ وصاحب هذه الزيادة ، ادخال محاصيل جديدة مثل القطن طويل التيلة الذى أدخل عام ١٨٢١ ، وقصب السكر الذى وسعت زراعته وتطور بأن أصبح صناعة كبيرة وكذلك زراعة الأرز والكتان وصاحب هذه التحسينات الزراعية احتكار الحكومة لكل السلع وخاصة التصديرية .

غير أن أهم النتائج التى ترتبت على سياسات محمد على الزراعية سواء المتصلة بالضرائب أو ملكية الأرض فى أنها شجعت الأفندية على النمو على حساب الفلاح .

● الصناعة والتجارة ●

أدرك محمد على أن الاعتماد على نهر النيل رغم ما تدره الأرض فى السنوات السمان هو أعتماد على طبيعة متقلبة ، وأن تنويع الأستثمار للتجارة والصناعة هو أمر ضرورى . وكانت المصانع الكبيرة

الأولى التى أنشئت تتصل بالحرب ، فالبواخر كانت مطلوبة كى تحمل الجنود الى مصر العليا لمحاربة المماليك ثم بعد ذلك كى تحمل الغلال الى البحر الأبيض وموانئه . وقد أظهر له الغزو البريطانى لمصر عام ١٨٠٧م تعرض الساحل المصرى للخطر وقاد ذلك الى تطوير الأسطول ، كما دفعته حرب الحجاز الى تطويره أيضا ، كذلك تطلبت حملة الحجاز أقامة صناعات لأنتاج الذخيرة والأسلحة والمواد الحربية . وهكذا أقيمت مجموعة كاملة من الصناعات تتصل بالجيش مقدمة بذلك نموذجا لمجمع عسكرى صناعى من الترسانة والسفن ، والمصانع ، والمستشفيات ، والمدارس .

وبخلاف الصناعات المتصلة بالحرب ، أنشئت صناعات صغيرة مثل صناعة الصابون عام ١٨١٥ ، وهو نفس العام الذى أنشئت فيه مصانع غزل القطن والحرير وبناء صنادل نهرية وأستورد محمد على التكنولوجيا الجديدة المتصلة بالنسيج ، وفى عام ١٨٣٠ أقام مهندس بريطانى آلات تدار بالبخار لمؤسسة للنسيج فى شبرا بها ٨٥٠ نولا وأخرى فى قلعة الكبش ذات ٢٠٠ نول .

غير أن الجانب البارز فى هذا الفصل والمتصل بالمطابع والمنهج العام للكتاب هو مناقشة المؤلفة للقلق الذى تملك بعض الأوربيين من الصناعات المصرية الناشئة وامكانيات منافستها للمنتجات الأوربية وقد أدى بهم هذا القلق الى التشكيك فى قدرات الصناعات والمنتجات المصرية .

وتشير المؤلفة الى النظرة المتعلقة لمحمد على الى الصناعة والأخذ بها فى مصر فتنقل عنه قوله لأحد الأجانب أنه يقيم المصانع لكى يعود الشعب على الأنتاج اكثر من سعيه الى الربح السرء

وتستخلص الأستاذة عفاف أن هذه الأيديولوجية التى تطلبت التوسع فى الأسواق والأستعمار غير الرسمى كانت وراء نهاية محمد على وصناعاته فلم تكن بريطانيا تريد دولة مستقلة جديدة فى البحر المتوسط قوية عسكريا واقتصاديا وقادرة على أن توقف تقدمها فى المنطقة وفى منطقة الخليج الفارسى .

● التوسع وأهدافه ●

وتعقد الكاتبة فصلا تناقش فيه سياسات محمد على فى التوسع وأهدافها ، وتعتبر أنه اذا كان محمد على قد قنع فقط بالتطلع نحو الأستقلال والأعتماد على الصناعة المصرية فقط فربما لم يكن سيثير العداء الأجنبى نحوه . غير أن محمد على بعد حصوله على زخارف الدولة ، « جيش وأسطول » لحماية أقليمه من الغزو ، وتوسيع الزراعة وبدأ التصنيع ، أراد أن يذهب الى أبعد من هذا ، وأستخلص أن التوسع الأقتصادى يتطلب أسواقا خارجية رغم أن مصر ذاتها يمكن أن تكون سوقا محتملة

وتنتهى الكاتبة الى أن محمد على قد وضع مصر بشكل حتمى على طريق الدولة المستقلة والأعتراف الذاتى بأن لها كيانا مستقلا متميزا عن غيرها من المسلمين والعثمانيين . ولم يكن الأنفصال القانونى ليتحقق الا بعد قرابة قرن ، وأن يأخذ الأستلال المطلق زمنا أطول ، الا أنه بدون جهود محمد على وأدارته فربما تطلب من المصريين وقتا أطول لكى يعتبروا أن مصر وطن خاص بهم .

قصة قصيرة

الكلّ أولادي

بقلم: نجيبة العسال

نعيمة .. انهضى يا نعيمة .. هقى .. همى ..
وترفع نعيمة راسها قليلا ، وتاتى الصور الى عينيها ، اقدام كثيرة بعضها متراص حولها ، والبعض الاخر لا تراه ، لكنها تسمع دبيبه ، يلتصق بالرمال فى خفوت سريع تارة وفى حفيف ملتاث تارة اخرى ، واصوات ثانية تاتى الى انتيهها اصوات عربات وعجلات ومعهم اصوات تلهث حزينة متالمة ترجو وتبتهل .. تلعن وتزار .. وقليلا .. قليلا تنظر نعيمة لصاحب الصوت خليل صديق عمرها الذى يحثها فى رجاء باك ، انهضى يا نعيمة الوقت راح ، الكل مرق يا نعيمة ، همى وحياة الغالى .. وتصرخ نعيمة وهى تترك جسدها يسقط دفعة واحدة على الرمال .

اى غالى منهم يا خليل ، الكل غالى الكل غالى وتمتد يد خليل بكلما اوتى من قوة رجل فى الخمسين من عمره ، رجل عرف فى شبابه بمرونة العضلات وقوتها ، ولكن قبل ان تصل اصابعه الى كتفى نعيمة تتحول هذه القوة الى ضغطة بالغة الحنو ويهمس :

ـ صلى على المختار يا نعيمة ، صلى على النبى .

وتدفن نعيمة وجهها فى الرمال ، وتختلط الرمال بدموعها ، ولعابها وصور اخرى تتراءى فى خيالها واصوات صاخبة مرحة تنادى :

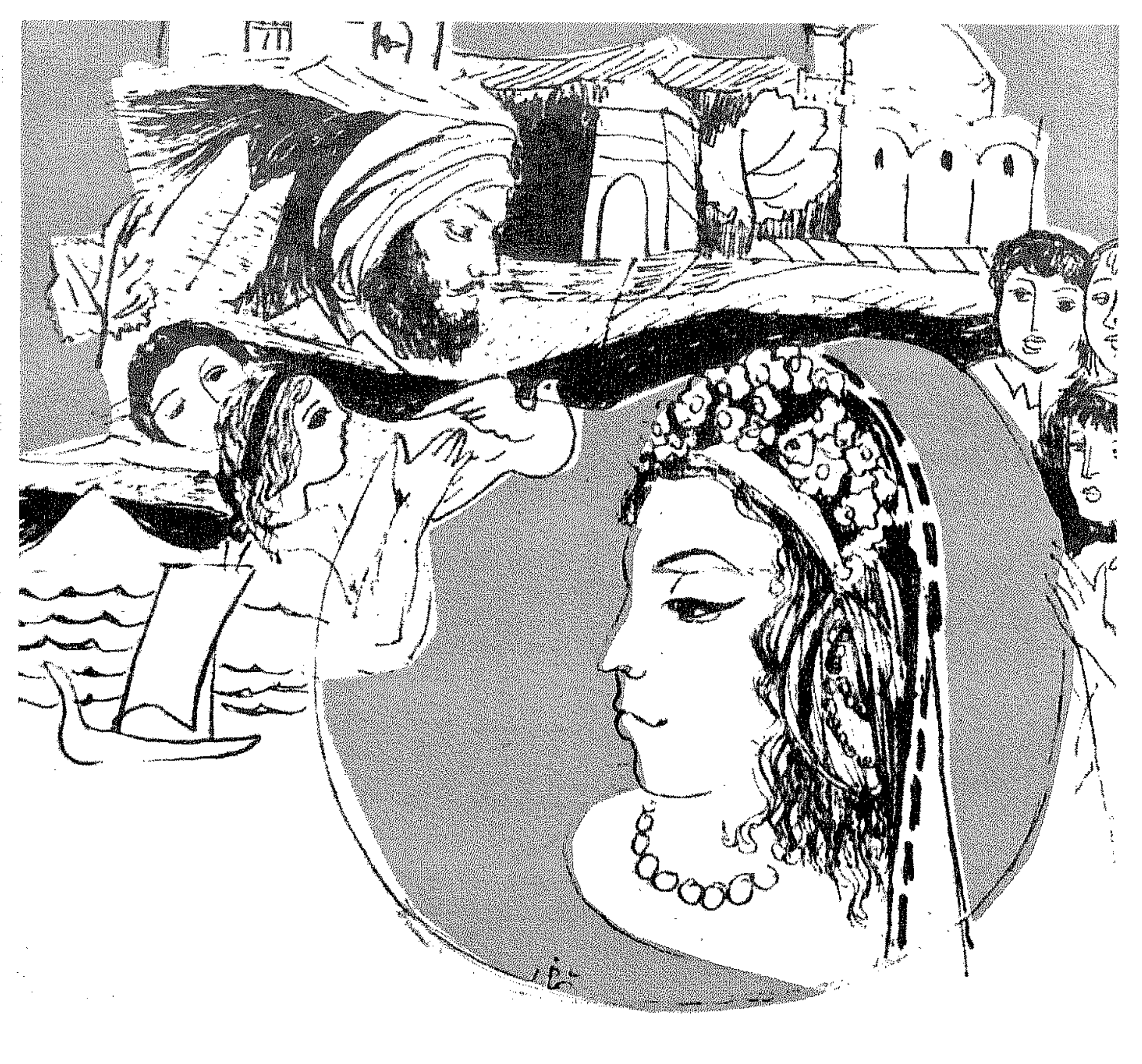
ـ امه .. امه نعيمة .. باكو بسكويت والنبى .

ـ وانا ، انا علبة سجاير حالا

ـ وانا ، انا واصل البيت يامه !

وتغرس نعيمة اصابعها فى الرمال وتتشنج يدها على حفنة كبيرة منها ثم ترفع راسها دفعة واحدة الى خليل ، وتهتف بصوت متهدج بدموع ملتاعة واللعاب الساخن يملا فمها .

ـ الكل غالى يا خليل ، ابراهيم



واحمد ومحمد وعلى وهريدى ، الكل هنا يا خليل ويرفع خليل راسه وهو ينظر ويتابع بعينيه الافواج المتلاحقة على الطريق العام ثم .. يجلس فى بطء بجانب نعيمة ، ويده تربت على ظهرها ، ودموعه تتساقط سارية على وجهه فى صمت ودون ان يحس بما حوله ، راح يستعيد فى خياله قصة نعيمة .

وكانت نعيمة شابة لم تتجاوز الثلاثين من عمرها ، يوم مات زوجها تاركا لها ثلاثة اطفال صبية اكبرهم فى العاشرة من عمره واصغرهم رضيع ابن ايام ، وحزن سكان الاربعين بالسويس على مصاب نعيمة ، فهى لم تكن زوجة ككل الزوجات بل زوجة مشهورة فى الحى بحبها الخارق لزوجها وحب زوجها لها كانت قصة حبهما على كل لسان قبل الزواج ، وكانت مضرب الامثال بعد الزواج ، وقال الجميع مسكينة نعيمة انها لم تفقد جسدها فقط ، ولكنها ستواجه محنة قاسية ايضا فهى بلا اب ولا اخ ، ماذا ستفعل وزوجها كان اخا لاربع بنات متزوجات ، ولن تستطيع واحدة منهن ان تقدم يد العون لنعيمة ، ثم ان

الكلّ أولادى

نعيمة نفسها لا تتقن عملا تستطيع منه ان تعول اطفالها الثلاثة ٠

وتقدم لها كثيرون منهم شباب لم يتزوجوا بعد ، والكل يبدى كامل استعداده لاحتضان اطفالها ، ولكنها رفضتهم جميعا وهى تؤكد للجميع انها مازالت زوجة حبيبها ، انه لم يرحل ابدا من حياتها ، ولن تكون اما الا لاطفاله وحدهم ٠

اذن من اين ستعيش نعيمة ؟ وصمتت نعيمة ، ولم تتكلم ، بل عملت فى الحال ٠ باعت اثاث بيتها وافتتحت كشكا صغيرا فى مدخل الحى لتبيع فيه المثلجات والسجائر والحلوى للصغار واطلقوا عليها ام الصبيان ٠٠ فقد كان الكثيرون يتجمعون حول الكشك امامها من اجل صبيانها الثلاثة ٠

كانت نعيمة على قدر كبير من الجمال ، ضئيلة الجسم ، حلوة اللسان ، ابية النفس هادئة الطباع وان كانت صارمة فى تحديها للامور، لا تتراجع ابدا عن قرار تتخذه ، ولذلك فقد امن الجميع فعلا انها لن تكون الا لاولادها ، وكبر اولاد نعيمة واصدقاؤهم غدوا شبابا يملأون شوارع السويس حياة ومرحا ويملأون قلب نعيمة حبا وفرحا ، كانت تحبهم جميعا ، وكانهم قطعة من حياتها نفسها ، الم يشتد عودهم وتقوى سواعدهم واقدامهم ويتفتح شبابهم امام عينيها ، الم تراقبهم اكثر ساعات النهار وبعض ساعات الليل ،ان اكثرهم كانوا امامها دائما كل هذا العمر الطويل ، كانوا يقضون اكثر وقتهم مع اولادها بل كانوا جميعا ينادونها كما يناديها اولادها يامى ٠٠ أو يامه ٠ وكان هذا النداء يهز اعماقها دائما ، لقد شاهد خليل اكثر من مرة بعينيه وسمع باذنيه مرارا عديدة ٠٠ احد شباب السويس يناديها ٠

– امه نعيمة علبة سجاير حالا ٠

وتجيبه نعيمة وهى تمد يدها اليه بما طلب ٠

– من عينى يا حبيبى ٠٠

ثم يناديها اخر

– امه نعيمة باكو بسكويت لاخى الصغير ٠٠

وتضحك نعيمة وهى تعطيه ما طلب ٠٠ قائلة

– الف هنا وشفا يا ابنى ٠٠

ثم يحضر ابنها الاكبر ابراهيم ليقول :

– امى انى ذاهب الى البيت ، اين



المفتاح وتعطيه نعيمة مفتـــاح البيت وهى تقول : بلهجة لا ارادية··

ـ من عيني والف هنا وشـــفا يا حبيبى ·

ثم تلتفت الى خليـــل قائله وفى صوتها كل معانى النشوة · والسعادة

ـ والله يا خليل اصبحتلا افرق بين اولادى وأولاد السويس ، اشعر دائما وكانهم جميعا اولادى ، ويضحك خليل وفى همس يجيبها :

ـ انت اغلى بنت من بنات السويس يا نعيمة انت السويس يا نعيمة ، الكل يحبك من قلبه يا ام الصـــغار انت يا ام الكل ·

وتمر الايام والسنون على اولادها واولاد السويس اصبح الشباب رجالا عملوا جميعا وتزوج بعضهم وغـدوا اباء ، عندها لم ترض نعيمـــة ابدا ان يناديها احـــد من حى الاربعين بالسويس ، يا ام الصبيان او يا ام الصغار بل طلبت الى الجميـــع ان ينادوهـــا يا ام الرجال لقد اصـــبح صبيانها رجالا فلن تـــكون الا ام الرجال ·

وانتبه خليــــل ابن الســويس والصديق الصدوق لنعيمة الذى عاش طوال عمره يكن لها حبا صـــادقا خالصا تحول على مـــر الايام الى عبـــادة صامتة تحترم كل تضـــحية وجهاد لام الرجال ، انتبه خليـــل على كلمات نعيمة تخرج محشرجـــة معذبة فى حنان بالغ :

ـ خليل ·· انا ام · ام الجميع ، واولادى ، اولادى هنا يا خليل ،هنا فى الرمال دماء كل اولادى ·

نعيمة ، محمد وعلى فى الميدان ، ابراهيم وحده شهيد ، حى ، يـرزق عند الله ·

ـ ابراهيم وحده شـهيد واحد ··

·· والباقى كل اولاد السويس ، حقا انهم عند ربهم يرزقون ولكنهم اولادى يا خليل كلهم شهدائى يا خليـل ·· اشعر بسخونة دمائهم فى الرمـــال يا خليل ، ولن اترك الرمال ابدا ، انهض يا خليل ، هاجر مع كل مهاجر وتهز نعيمه راسها وهى تنظـــر الى السماء وتمسح بعينيها كل الرمال فى حب وحنان وتنتفض واقفة شامخـة براسها الى الوراء ، ثم تغـــرس قدميهـــا بقوة فى الرمال وتتحـــول سخونة الرمال الى دفء لزج يلصق قدميها اكثر واكثر بالرمال وتهتـــف بخليل مرة اخرى ·

ـ انا ·· انا هنا يا خليل ، انـــا هنا مع الرمال ، مع الدم ليوم الدم انا هنا يا خليل مع ·· كلاولادى ·

مرت الايام حتى اصبحت سنوات ستا وبدات الرمال الساخنة اللزجة تتحول تحت قدمى نعيمة الى رمـــال مصهورة بشمس ساطعة تزغـــرد بذرات مشرقة وعلى مشارف السويس فتحت نعيمة ذراعيها وكانهما بعرض الفضاء تحتضن اولادها وتعلو دقات قلبها مع العربات المتلاحقـــة على الطريق ولم تلبث السواعد القوية حتى اقيمت لامها نعيمة كشكا صـــغيرا للمثلجات والحلوى ·

ـ امه ·· امه ·· نعيمه ·· باكو بسكويت والنبى ·

ـ من عيني والف هنا وشفا ··
وصوت اخر يهيم فى الفضاء ··

ـ وانا ·· انا واصـــــل البيت يا امه ·· المفتاح ·

وتتنهد نعيمة وابتســـامة حـانية ترف على وجهها ثم تنظر الى خليل الواقف بجانبها ··

ـ المفتاح يا خليل المفتـــــاح اولادى يا خليل اولادى ، والمفتاح ·



نحو قصة عربية أصيلة

عبد السلام العجيلى

من القصة البدوية إلى القصة الأندلسية

بقلم : أحمد محمد عطية

إذا كانت القصة العربية القصيرة قد نشأت متأثرة بالقصة الأوروبية ترجمة واقتباسا واحتذاء ، فإنها لم تكن لتنمو وتزدهر إذا لم تجد تراثا قصصيا عربيا أصيلا راسخا فى الوجدان العربى ومكتمل البناء الفنى .

فقد عرف العرب الفن القصصى ، وقدموا إبداعات ثرية وأصيلة ومتميزة فى هذا المجال سبقت الفنون القصصية الغربية وأثرت فيها . ويكفينا هنا ، حسبما يسمح المجال ، ذكر تأثير عمل قصصى واحد "كألف ليلة وليلة" فى القصة الغربية ، وهو تأثير عميق وشامل تجاوز حد التأثير والنقل والاقتباس ، وامتد من البنية القصصية الى الجو العام ، والقيم والشخصيات والأساطير والرموز ، وهذا يدلنا على أصالة فن القصة العربية وصلاحيته للتطور والتقدم وتغذية الفن القصصى الحديث ، بالرغم من اختلاف الأشكال القصصية ، بين القديم والحديث ، وبين العربى والغربى .

ولا ترجع أصالة الفن القصصى العربى إلى «ألف ليلة وليلة » وحدها ، ولكنها تنهض على تراث قصصى عظيم ، بدءا من الأدب النثرى والقصصى المعبر عن معارك «أيام العرب » فى الجاهلية ، ومرورا بقصص الجاهلية

اليمنية ، وقصص ملوك حمير التى جمعها وهب بن منبه فى كتابه «التيجان فى ملوك حمير » ، والقصص القرآنية والاسلامية ، الى سير « عنترة بن شداد » و « سيف بن ذى يزن » و «بنى هلال » ، ومقامات الهمذاني والحريرى ، والقصص الفلسفية فى «رسالة الغفران » للمعرى ، و« قصة حى بن يقظان » لابن طفيل (التى اقتبس منها الروائى الانجليزى دانيال ديفو روايته الشهيرة « روبنسن كروزو ») ، وقصص التجار العرب وسواها من القصص العربية ، مع الكثير من كتب الأدب والتاريخ العربية ذات الصياغة القصصية ، رغم طابعها الشعرى أو الاخبارى أو التاريخى ، والتى تشكل جانبا كبيرا من التراث العربى ، مثل أخبار ابن دريد والأغانى للأصفهانى ...

● تحرير من التبعية ●

ومن أجل تاصيل ثقافتنا العربية المعاصرة ، وتحريرها من التبعية للأشكال الغربية والمضامين الغربية . وفى سبيل ابداع قصة عربية أصيلة تنهل من تراثنا العربى ، الغنى بالأشكال والمفاهيم والقيم والحكم والتجارب ، والصالح للاستلهام والاحياء والمزج بهموم العصر والاضافة للثقافة الانسانية ، اتجه عدد من الأدباء العرب إلى هذا التراث وانطلقوا يبدعون من وحيه وإلهامه قصة عربية أصيلة وحديثة ، تمزج بين الأصالة والعروبة والقيم الاسلامية وبين الحداثة وهموم العصر . وفى مقدمة هؤلاء الأدباء العرب الدكتور عبدالسلام العجيلى ، الذى يوافق هذا العام (١٩٨٦) الذكرى الخمسين لنشره أولى قصصه العربية الأصيلة بمجلة الرسالة المصرية (١٩٣٦) .

وعبدالسلام العجيلى ، أديب عربى سورى ، عاشق للأصالة والعروبة والتراث العربى واللغة العربية ولكل ماهو عربى ، مخلص لاصله العربى ولنسبه الشريف ، من سلالة الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، ولنشأته العربية البدوية بين قبائل الرقة البدوية بالشمال السورى ، كما تدلنا آراؤه وكتاباته المبكرة والمؤخرة ، من قصته البدوية الأولى «نوما » ، ومسرحيته العربية الأولى « أبو العلاء المعرى » ، مرورا بثلاثيته الفريدة « أحاديث العشيات » « السيف والتابوت » و « سبعون دقيقة حكايات » ، حتى مقاماته الساخرة الطريفة ، غير أن عالمه القصصى الكبير والأصيل والمتفرد هو أبرز معالم إبداعه فى مجال تأصيل القصة العربية ، ويتمثل هذا العالم فى مجموعات العجيلى القصصية التسع : « بنت الساحرة » ، « ساعة الملازم » ، « قناديل اشبيلية » ، « الحب والنفس » ، « الخائن » ، « الخيل والنساء » ، « فارس مدينة القنطرة » ، « حكاية مجانين » ، و « الحب الحزين » .

وتدل قصته البدوية الأولى « نوما » على تأثير البيئة البدوية والشخصيات البدوية فى تأسيس عالمه القصصى العربى الأصيل ، وقد نما اتجاه التأصيل العربى فى أعماله التالية وتصاعد ليتبلور فى أهم قصصه

نحو قصة عربية أصيلة

عبدالسلام العجيلي

العربية الأصيلة والفريدة « قناديل اشبيلية » ، المكتوبة في أوائل الخمسينيات ، والتي جسدت خصائص عالم عبدالسلام العجيلي القصصي .

يتميز الشكل الفني ، العربي المتفرد ، الأصيل والحديث معا ، في عالم عبدالسلام العجيلي القصصي ، كما تمثله قصته الأندلسية « قناديل إشبيلية » وتكرره قصصه التالية ، بالشكل العربي للحكاية المتبع في « الف ليلة وليلة » ، القائم على حكاية رئيسية وحدث أصلي تتفرع منه حكايات فرعية وأحداث ثانوية وتتراكم لتعود فتصب في مجرى الحكاية الرئيسية وتثريها وتحدث التشويق الذي يشد المتلقي ، وهو ما يحرص عليه العجيلي في فنه القصصي أشد الحرص . كما يمزج العجيلي ، في هذه القصة ، وفي قصصه الأخرى ، أساليب السرد لدى الرواة العرب وفي كتب الأخبار العربية بطرق الأداء الفني الحديثة ، مثل تعدد الأزمنة والأمكنة ، واستخدام تيار الوعي والارتداد للماضي (الفلاش باك) لتوسيع رقعة الزمن والمكان واستيعاب الشخصيات .. وهو شكل فني يجمع بين خصائص القصة القصيرة والرواية . بالمفهوم الغربي ، غير أن العجيلي الأديب العربي الأصيل يخرج عن هذه القولبة الغربية ، بحرصه على الجمع بين خصائص هذين الفنين القصصي والروائي في عمل قصصي واحد واعتبارهما قصة .

● قصة عربية فاتنة ●

« قناديل اشبيلية » هي أول قصة أندلسية كتبها عبدالسلام العجيلي ، من وحي زيارته الاولى لأسبانيا سنة ١٩٥١ ، وهي قصة قصيرة طويلة (٢٥ صفحة) كتبت ونشرت بمجلة « الاديب » اللبنانية (في عدد أغسطس ١٩٥٢) ، ثم منحت مجموعته القصصية الثالثة عنوانها ، وقد صدرت طبعتها الأولى عن دار الآداب ببيروت سنة ١٩٥٦ ، وتمثل قصة « قناديل اشبيلية » أهمية خاصة في أعمال العجيلي العربية الأصيلة ، لذا استأثرت باهتمام النقاد والقراء ، كما تحدث عنها أديبنا الكبير كثيرا في سيرته وأحاديثه ومحاضراته .

و« قناديل اشبيلية » قصة عربية فاتنة ، تجمع بين الأصالة والحداثة ، وبين الواقع والرمز والخيال . فهي عربية الشكل من حيث اتباعها أسلوب الراوي العربي القائم على السرد وتعدد الرواة ، ومن حديث اعتمادها على أعمدة القص العربي والحكاية العربية . وهي حديثة في مزجها بين الأمكنة والأزمنة ، وفي تعدد وجهات النظر للأحداث والشخصيات ، وفي اختلاط الحلم بالواقع والرمز بالخيال ، وهي عربية في الروح والمغزى والمضمون ، وهي تمثل أسلوب العجيلي العربي الجميل والفريد ، وهو

أسلوب شاعرى يعكس حبا غامرا لكل ماهو عربى ، ويربط بخيوط نسيجه الحريرية الناعمة بين الماضى العربى والحاضر العربى ، ويستعين على أدائه الفنى البديع بأدوات الفنان المبدع ، والرموز العربية الشفافة الواقعية والرومانسية معا ، وبالحرص على التشويق والغرابة .

فبطل القصة ، « البروفيسور السيدو » أو « السيد بوقلادة » ، عربى الأصل ، يحكى للراوى العربى قصة مجيئه من مدينة مكناس المغربية الى مدينة اشبيلية الاندلسية ، حنينا الى الماضى العربى المجيد ، بعد أن عاش فى دار أسرته العربية بالمغرب يرمق مفتاح دارهم الأولى فى أشبيلية ، ويحلم باستعادة أملاك الأجداد العرب وأمجادهم فى الأندلس ، التى أجبرهم الارهاب الغربى ومحاكم التفتيش على مفارقتها الى الصحارى الأفريقية .

وتصور القصة المعمار العربى القائم على الأعمدة والأبواب والقاعات المزخرفة والنوافذ المفتوحة على البساتين الداخلية والنوافير الصغيرة والقناديل المعلقة فى سقوفها ومداخلها بانوارها السلحرة ، وتركز القصة على المفاتيح القديمة للدور كرموز لحلم العودة الى أمجاد الماضى العربى ، التى يشاهدها بطل القصة العربى ، الذى يحركه الحنين العارم للماضى العربى والمجد العربى والروح العربية المحبة للآثار العربية والرموز العربية ، التى تثير بدورها حسه العربى الأصيل ، إذ تسيطر على بطل القصة الرغبة فى استكمال الأجزاء المفقودة من نفسه بمدن الأندلس ، فيرحل إلى أسبانيا لاستعادة أملاك أجداده العرب ، ويطوف بأزقة المدن العربية حتى يصل إلى اشبيلية ، « المدينة المسحورة » ، ليجد دارا مشابهة لدار أسرته العربية فى مكناس ، ويلاحظ ان الأجداد بنوا فى مكناس دارا مماثلة هندسيا لدارهم القديمة فى اشبيلية ، وانهم احتفظوا معهم بمفتاح الدار الأولى رمزا لأمل العودة ، أى انهم تمسكوا بالماضى العربى التليد فى الاندلس حنينا وتمنيا لعودة أيام المجد العربية فى المستقبل ، الذى رمز له العجيلى بفتاة جميلة سلحرة همست فى أذن « السيدو » بكلمة اسبانية وحيدة هى : « مانيانا » ، أى غدا فى العربية .

● حلم العودة للاندلس ●

ويطل القصة العربى لاتحركه الرغبة فى السياحة كقرنائه ، ولكن يسيطر عليه حلم العودة العربى الى أملاك الأجداد . وحين يعثر على اثارهم فى اشبيلية يصورها بأجمل العبارات واعذبها ، ولكنه لاينسى آلام الخروج العربى تحت ضغط الارهاب الغربى ، هكذا تتمثل الخصائص العربية فى قصة « قناديل اشبيلية » : الروح العربية والايمان الاسلامى بالقدر ، والحنين الى الأصالة العربية والأمجاد العربية . فحين يعثر البطل على داره العربية الأصيلة ، وعلى مدينته العربية « اشبيلية » يسترد ثقته بنفسه وبوجوده ، إذ يبعث الماضى العربى الروح فى مشاعره ، ويشعل المجد العربى التالد الحماس فى قلوب قرنائه

عبدالسلام العجيلي

من شباب المغرب العربي ، عندما تصلهم رسائله مبلغة باكتشافه المثير .

وتتكرر القصة الرمزية ، حول الدور المتشابهة ، في المشرق العربي والمغرب العربي ، مع الراوي ، لتؤكد وحدة المشاعر العربية والهموم العربية والأشواق والتطلعات العربية وبالرغم من مضى أكثر من ثلاثين عاما على كتابة أديبنا العربي الكبير عبدالسلام العجيلي لقصته الأندلسية العربية الأصيلة « قناديل إشبيلية » ، فإنها لاتزال تحتفظ بحيويتها وجمالها وقوة إيحائها ، لما تختزنه من أصالة وتفرد وشاعرية وحب عميق للعرب والعروبة ، ولعمق دلالتها وأهميتها كانموذج فذ للابداع والأصالة والفكر والفن في عالم عبدالسلام العجيلي القصصي .

أما قصة « الخيل والنساء » البديعة والفريدة ، التي أعطت مجموعته القصصية السادسة عنوانها ، فهي قصة عربية أصيلة تتبلور فيها خبرات عبدالسلام العجيلي بنواحي الحياة في البادية وقيم أهلها وتقاليدهم وأعرافهم

وتدور القصة حول مكانة الخيل الأصيلة في البادية وموازاتها لقيمة الانسان العربي الأصيل ولكرائم النساء كما تبرز في هذه القصة خصائص وأخلاق وقيم الشخصية العربية الأصيلة الايمان بسطوة القدر ، والكرم والكبرياء والعناد ، التي تتجلى في شخصية « الساري » زعيم القبيلة البدوية الذي زف ابنته « نجود » الى «عثمان » وزودها « بخير ما في مربطه من أصائل الخيل ، فرسه التي اسمها (الكحلاء) كهدية زفاف ، نظرا للصلة الوثيقة بين ابنته وبين هذه الفرس .

هكذا تعبر قصة « الخيل والنساء » عن مكانة الجياد الأصيلة في البادية وتقرنها بمكانة كرائم النساء ، وتمضي القصة لتحكي عن إنجاب « نجود » و « الكحلاء » لعدد من الأبناء ، الذين يفرقهم الموت والهدايا حتى يتبقى للأم فارسها الصغير « عزالدين » ، وللكحلاء فرسها « أكحل الأغر » . وارتبط الصغيران معا برباط صداقة وثيق مماثل لرباط أميهما ، فكانا لايفترقان حتى في نومهما . وقد تميز « عزالدين » منذ صباه بالفروسية ، كما تميز «أكحل الأغر » بالأصالة . غير أن القدر كان يتربص لعز الدين ، إذ لقي مصرعه في سباق الخيل بمهرجان « الطراد » ، وبكاه فرسه « أكحل الاغر » بأنين « يقطع نياط القلوب » ، ووحدت الكارثة بين الأمين « نجود » و « الكحلاء » ، فعادت صداقتهما القديمة ليجمعهما النوم ثم الموت . إنها قصة عربية أصيلة الشكل والمضمون ، لايكتبها سوى أديب عربي بدوى كبير ، وخبير بجياة البدو البادية ، كعبدالسلام العجيلي .

● الهزيمة والضياع ●

وفي قصة « فارس مدينة القنطرة » ، يتواصل الشكل العربي المميز لقصص

عبدالسلام العجيلى ، من بناء قائم على أسلوب سرد الرواة العرب وطرق القص العربى والحكاية العربية وتوليد الحكايات الفرعية من الحكاية الرئيسية ، ويضيف العجيلى فى هذه القصة الأندلسية ، أسلوب كتابة اليوميات . إذ ترد وقائعها وأحداثها فى شكل يوميات لمؤرخ وشاعر عربى من مدينة القنطرة ، كما تستخدم القصة الأندلسية الشعر العربى المتبع فى أساليب القص العربية . وهى قصة قصيرة طويلة (٣٥ صفحة) مؤرخة فى ديسمبر ١٩٦٧ ، أى بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، لذا فهى معنية بهزيمة العرب المماثلة فى الاندلس .

وفى هذه القصة يوظف عبدالسلام العجيلى التراث العربى فى خدمة الحاضر العربى ، ويحمله بهموم عصرية . فتومىء القصة من خلال وقائعها الماضية إلى الأحداث الحاضرة ، فى زمن كتابة القصة . ويبدو اختيار اسم مدينة القنطرة له مغزى ودلالة ، لتكرار وجود مدن عربية تحمل نفس الاسم ، وهو ما أعلنه أديبنا العجيلى صراحة ومباشرة ، فى ختام قصته الخطابى والتاريخى الصارخ ، حول هزيمة العرب وضياع الاندلس وضياع مدن كثيرة تحمل اسم القنطرة أيضا .

فى بداية القصة يسرد الراوى حكاية زيارته لاسبانيا ، وكيف وجد فيها كثيرا من أسماء الأمكنة والاعلام عربى الأصل ، ثم تلقى هدية من أسرة اسبانية هى مجلد من الكتابات العربية القديمة ، ووجد المجلد مكتوبا بخط عربى اندلسى لم يستطع قراءته ، فطلب الى صديق له خبير فى المخطوطات ان يفض المخطوطة ، وإذا به يكتشف فى كلماتها أحداثا تاريخية هامة ، وأسرته طريقة روايتها لما تحتويه من حكايات متعددة انتقى منها حكاية « فارس مدينة القنطرة » ، وفيها يحكى « النعمان » ، مؤرخ المخطوطة وكاتبها ، أحداث سقوط الأندلس بأيدى الأسبان . أما النعمان ، فهو من أبناء مدينة القنطرة ، وهو فارس محارب وشاعر ومؤرخ وشاهد عيان للأحداث التى يمر بها ويدونها أولا بأول .

وتقع الأحداث بعد سقوط اشبيلية وغرناطة فى أيدى الاسبان ، وتراجع العرب الى مناطق الساحل الجنوبى «تراجعا مؤذنا بضياع ذلك الفردوس من أيديهم » . وهى مكتوبة فى شكل يوميات مؤرخة باليوم والشهر دون ذكر السنة ، للتعميم والرمز والايماء .

تبدأ يوميات القصة بتصوير الصراع بين « ابن سلام » و « ابن ساعر » ، كأنموذج للتناحر بين القادة العرب والمسلمين والقعود عن الجهاد فى مواجهة جيوش «توذر » التى تتجمع للاغارة على المسلمين .. ثم تسرد اليوميات تتابع أحداث الفتنة للدسيس والوقعية بين القادة والأمراء العرب ، حتى سيطرت الفرقة فى مجالس الحرب العربية ، بينما كان العدو يجمع حشوده ، وتتابع اليوميات سير المعارك والاغارات العربية ، و « كيف قضى المهلهل فارس مدينة القنطرة الذى لايشق له غبار . كيف خرجنا من القنطرة وعلمى بها أنها أمنع من عقاب الجو قلعة بين مضائق لا تسلك وحماتها فرسان مضر والكتائب العديدة من

عبدالسلام العجيلي

زنجالة . وكان ابن الفصيح يسائلني هذا وكلامه متقطع بالنشيج .. » فيومىء العجيلي ، من خلال سرده القصصي لأحداث سقوط الأندلس في الماضي ، الى مأساة سقوط المدن العربية والمضائق العربية المنيعة بأيدي الأعداء الصهاينة في الزمن الحاضر المعاصر لكتابة القصة .

وتمضي القصة في تحليل أسباب الهزيمة وسقوط الأندلس في أيدي الأعداء بعد النصر الأول للعرب في الاندلس ، فتحكي القصة من جهة أخرى حكاية لقاء تم بين « المهلهل » فارس مدينة القنطرة وسيبيلية زوجة ابن عمرون وحديثها اليه ، الذى صور «بؤس هذه الأمة ويالعمهها كيف أسلمت عنقها الى جازرها ووضعت في يده السيف الذى به ذبحها ... قالت سيبيلية : الى أين يامهلهل في الغبش ، قال : الى القنطرة أما زعم قرينك أنها سقطت في يد جند توذر على مشارف بنيسة . أرح نفسك وصاحبك وراحلتكما وأقم عندنا الليلة .. » هكذا حاولت «سيبيلية » اغراء « المهلهل » وتحويله عن طريق القتال في القنطرة ، وحذرته من وجود جند ابن ساعر في الطريق الى القنطرة . فقرر المهلهل بن سلام ، فارس مدينة القنطرة ، ان يقاتل ابن ساعر في قلب جيشه حيث قضى الفارس نحبه مع تضليل اعلامي حول دور ابن ساعر وسقوط مدينة القنطرة ..

من هنا يمد عبدالسلام العجيلي جسور التراث ليصل الماضي العربي بالحاضر العربي ، ويوظف التراث ، في قصته الأندلسية « فارس مدينة القنطرة » ، ويشحنه بمضامين وهموم عصرية .

وفي مجموعته القصصية التاسعة . « الحب الحزين » ، تنهض قصته « رصد مقبرة الرومي » على بناء الحكاية العربية المتبع في قصص العجيلي العربية الأصيلة ، فتحكي الحكاية الرئيسية عن بعثة غربية جاءت الى قرية بدوية للتنقيب عن الآثار ، ثم أبلغها وكيل الدرك بحكاية مقبرة الرومي . فنعرف أن القرية « ترصد » لصالح المقبرة ، وان الرصد يعني السحر ، وان أهل القرية يتحاشون مقبرة الرومي لخوفهم من سحرها أو رصدها .

هذه هي الحكاية الرئيسية التي تتفرع منها حكاية الرجل الذى اختفى أمام مقبرة الرومي ، لأنه حاول الحفر تحتها ، ثم اختفى تاركا ملابسه أمام المقبرة ، ولم يجدوه بداخلها ، وقال أهل القرية « إن اصطيف الحاج قدور اختفى لأنه تجرأ على مقبرة الرومي .. » ولما ظل مختفيا طوال ثلاثة أشهر دون أن يعثروا عليه ، وكلف وكيل الدرك البعثة الغربية بالبحث عن المختفي بالمقبرة . وعندما فتحت البعثة الغربية المقبرة عثرت على جثة المختفي ، وعلى كنز الآثار الذهبية الذى ظلت البعثة تبحث عنه طوال عام في المنطقة دون جدوى . وهنا أدلى « البروفيسور مونك » ، رئيس البعثة ، بحديث هام لوكيل الدرك أشاد فيه

بالسحر الوارد فى كتب الأقدمين ، وقدم له تفسيرا علميا قائلا انه اختنق عندما انغلق الباب ، كما هو موضح بكتب الأقدمين ، مما تسبب فى موته لفقد الأوكسوجين ، واختتم حديثه مؤكدا علمية الأقدمين بقوله « انه رصد

ياحضرة الضابط ، هو سحر بالنسبة إلى الأولين الذين لم يكونوا يعرفون سر انغلاق الباب من نفسه على نفسه . نحن ، بعد أن كشفناه ، رأينا حيلة تكنيكية مبنية على أسس من الهندسة والميكانيكا . كان ساحرا فذا ذاك الذى صنع هذا الجهاز الميكانيكي لملكه ، أعنى انه كان فى تلك الأيام ، عالما كبيرا . »

أما الوكيل العربى للدرك فقد علق على كلام الرجل الغربى قائلا إن أهل القرية « سيعرفون بعد الآن ان ما قتل رجلهم ليس السحر ، بل هو العلم ، العلم الذى ذهب اصطيف لملاقاته أعزل ، دون ان يتسلح له بما يليق من معرفة واستعداد .. »

فتؤكد هذه القصة العربية الشكل والموضوع أهمية كتب الأقدمين العربية ، لما تحتويه من علم ومعلومات ، يمكن توظيفها فى حل مشكلات الحاضر العربى ، وضرورة تناول تراثنا بأسلوب علمى . كما توضح القصة أيضا خطورة الغزو الثقافى الغربى .

ومن التراث العربى ينتقى عبدالسلام العجيلى قصة أسطورية رواها ياقوت الحموى وأبو الفرج الأصفهانى ، وينقل عنهما فقرتين يصدر بهما قصته القصيرة الطويلة " النفق " (٤٥ صفحة) ، عن النفق الذى قيل ان « الزباء » ، ابنة جذيمة أحد ملوك العرب بالعراق ، قد بنته تحت نهر الفرات لتربط بين مدينتها «حلبيا » على شاطىء الفرات السورى ، ومدينة « زلبيا » حيث تقيم أختها على الشاطىء العراقى للفرات ، وما تردد عن تحصن « الزباء » فى هذا النفق خوفا من انتقام أعداء أبيها .

وجاء الأديب العربى الأصيل عبدالسلام العجيلي بخياله المبدع ليستلهم هذه القصة العربية الأسطورية ويحيها فى قصة عربية . على نمط الحكايات العربية وأساليب الرواة العرب فى السرد والأخبار ، ويزودها بإضافات عصرية عن اشتراك الدليل العربى « أبى ضايع » مع فتاة من بعثة تنقيب المانية فى البحث عن الآثار ، وإذا بهما يعثران على النفق حسب رواية « أبى ضايع » . غير أن الراوى الأول يختتم هذه القصة الأسطورية الرمزية ، التى تومىء الى الوحدة العربية وترمز لها بالنفق الممتد ليصل بين الأختين السورية والعراقية تحت نهر الفرات ، فيذكر انه عندما عاود البحث عن النفق مع « أبى ضايع » لم يعثرا عليه .

فيؤكد عبدالسلام العجيلى بهذه القصة التراثية الحديثة ثراء التراث العربى بالقصص والحكايات والأساطير والرموز ، وصلاحيته للابداع والاستلهام والتأصيل والمعاصرة ، من أجل تأصيل القصة العربية الحديثة والثقافة العربية الحديثة .

مرض خطير
يغزو البحوث الفقهية المعاصرة

بقلم : د. محمد الدسوقي

يعد الفقه الاسلامى ثروة تشريعية لم تعرف البشرية نظيرا لها فى تاريخها الطويل فهذا الفقه يمتاز بالسعة والغنى بالنظريات القانونية فى تنظيم الحقوق والالتزامات بصورة شملت كل شعب القانون المعروفة الى اليوم ، ولكن الفقه الاسلامى يمتاز عن القانون بتنظيمه العلاقة بين الانسان وخالقه ، كما يمتاز أيضاً بالموضوعية والتحرر من النزعات العنصرية او الطائفية ، وبناء احكامه على اسس من التوازن بين الحقوق الفردية والمصلحة العامة ، فضلا عن مرونة اصوله ومصادره سواء ما كان منها نصوصا كالقرآن الكريم والسنة النبوية،وما كان منها طرقا وقواعد ومقاصد كالقياس والاستحسان والاستصلاح

والفقه الاسلامى مع هذا أصيل فى نشأته ومصدره ، وليس مستمدا من الفقه الرومانى أو غيره كما يزعم جمهور المستشرقين ، ومن سلك سبيلهم من الباحثين .

وهذه الخصائص التى امتاز بها الفقه الاسلامى ، وجعلت له تلك المنزلة التى اعترف بها أحرار المفكرين فى الشرق والغرب ، كان مصدرها ـ فضلا عن الوحى الالهى قرآنا أو سنة ـ اجتهاد العلماء والفقهاء الذين ضربوا أروع الشواهد فى الرهبنة العلمية ، وتركوا لنا آثارا تنطق بعبقريتهم واستقلالهم الفكرى .

هذه الاثار العلمية عكف عليها المحدثون من العلماء والباحثين فكشفوا عن طرف مما تزخر به من النظريات والافكار ، وعن صلاحية كثير منها للتعويل عليه في وضع تشريع جديد مستمد من الفقه يتخذ دستورا للتطبيق بدلا من تلك القوانين الوضعية التي باعدت بيننا وبين شريعة الله الخالدة ٠

وخلف ذلك الجيل من العلماء الذين اخلصوا للعلم كل الاخلاص من أمثال احمد أبو الفتح وأبو زيد الامبابي واحمد ابراهيم وعبد الوهاب خلاف وعلي الخفيف ومحمد أبو زهرة ومحمد يوسف موسى وغيرهم - خلف هذا الجيل من العلماء جيلا حاول أن يسير على نفس الدرب ، وأن يكون امتدادا طيبا لشيوخه واساتذته ، فقطع هذا الجيل شوطا لا بأس به ، وقدم بعضه دراسات فقهية وأصولية جادة .

ولكن الذى يستلفت النظر ان هناك طائفة من هذا الجيل آثرت الا ترهق نفسها في البحث والدرس ، ورضيت ان تعيش كالنبتة الطفيلية عالة على سواها ، ومن ثم غلب على هذه الطائفة فيما صدر عنها من دراسات فقهية الاجترار والتكرار ، والنقل الحرفي عن الغير وفق اسلوب ينم عن اضطراب في الفهم وضحالة في التفكير ٠

ويزداد الامر سوءا اذا بلغ بعض افراد هذه الطائفة مراكز التوجيه الاكاديمي لطلاب الدراسات العليا واعداد الرسائل الجامعية ، لانهم لن يستطيعوا أن يوجهوا طلابهم الوجهة السديدة في البحث والتعمق فيه وتقديم الجديد المفيد منه ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، وتكون النتيجة ان الخط البياني للبحث الفقهي ينحدر ، وقد يصل الى درجة الصفر اذا ظل الامر على ما هو عليه الان ٠

ومن اجل تعرية هذا الاتجاه الذى يدعي ما ليس له ، والذى يسهم في مزيد من التخلف والضعف للحياة الفكرية الفقهية المعاصرة سأعرض الوانا من الدراسات الفقهية مبينا بالدليل مدى ضحالتها او سرقتها ، او عدم ملاءمتها اسلوبا ومضمونا لواقعنا وليس لي هدف من وراء ذلك الا القيام بامانة النصح لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ٠

● مناقشة علمية جادة ●

ومادامت هذه هي الغاية من الكتابة فان باب المناقشة العلمية مفتوح ، المناقشة التي تمحص القضايا ، وتترفع عن الصغائر ، وتكون قبلتها نصرة الحق وهزيمة الباطل ٠

لقد وقع في يدى كتاب يحمل عنوانا يوحي بأن هناك جهدا علميا قد بذل ، ودراسات جادة تخدم الحياة قد قدمت ، هذا العنوان هو « بحوث في الفقه الاسلامي » للدكتور عبدالفتاح حسيني الشيخ ، وذلك لان كلمة بحث في مدلولها العلمي تعني الفحص والتقصي المنظم لمادة اى موضوع من اجل اضافة المعلومات الناتجة الى المعرفة الانسانية او المعرفة الشخصية

فالبحث طوعا لهذا دراسة علمية منظمة تقوم على الاستقراء الشامل ما امكن لمادة الموضوع ، ثم صياغتها صياغة دقيقة ، ومناقشتها مناقشة موضوعية وفق تخطيط علمي مترابط بحيث تمر القضايا والافكار عبر ذلك التخطيط في تسلسل منطقي وتلاحم عضوي وبذلك يصل الباحث الى نتيجة علمية تضيف جديدا مهما يكنقدره الىرصيد المعرفة الانسانية٠

مرض خطير

يغزو البحوث الفقهية المعاصرة

لكن الذى يقرأ هذا الكتاب الذى حمل ذلك العنوان ، لا يجد لموضوعات التى اشتمل عليها خصيصة واحدة من خصائص البحث العلمى ، فليس هناك استقراء لمادة الموضوع ، وليس هناك تخطيط لعرض الجزئيات وليس هناك عزو للنصوص المنقولة وذكر المصادر التى اخذت منها •

● ايجاز مخل ●

واذا اغضينا الطرف عن قضية التنسيق المنهجى ، وان ذلك العنوان جاء ارتجالا ونظرنا فى المادة العلمية التى يتضمنها الكتاب ، فان أول ما تتسم به الايجاز المخل ، فقد وردت فى عبارة اشبه ما تكون بعبارة المتون ، والمتون ظاهرة فى التأليف الفقهى شاعت فى عصور التقليد،كان يقصد بها حفظ الفروع على نحو لا ينمى تفكيرا ولا يثير ابداعا والغريب آن المؤلف ذكر فى مقدمته آن كتابه محاضرات آعدها لطلاب الكليات العملية بجامعة الازهر . وقد راعى فيها ان تكون فوق المتوسط دون المستوى العالى ولا ادرى هل العطف هنا عطف تفسير ، او ان فى ذهن المؤلف مستوى لم يفصح عن تحديده •

ومادام الكتاب محاضرات لهؤلاء الطلاب فقد كان ينبغى ان تصاغ لهم المعلومات صياغة تجمع بين الاصالة والمعاصرة ، اى يتوافر لها دقة المعلومات الفقهية مع العرض الميسر الصحيح الفصيح الذى يثير الرغبة فى القراءة ، ويدفع الى الحرص على طلب المزيد من هذه المعلومات •

بيد ان الدكتور الشيخ لم ياخذ نفسه بهذا ، وقدم معلومات جافة فى عبارة مختصرة لا تجعل الطالب متحمسا للقراءة ، وتحول بينه وبين التحصيل العلمى ، ومن ثم يلجأ الى الحفظ دون استيعاب وفهم لكى ينجح فى الامتحان •

يقع كتاب الدكتور الشيخ فى مائة وخمسين صفحة وتتناول بحوث نظرية العقد والبيع والربا والسلم والرهن والاجارة والمزارعة والايمان والاطعمة والاشربة وتحت كل عنوان من هذه العناوين تقسيمات وتفريعات مختلفة ، وقد كتب لهذه البحوث تمهيدا تحدث فيه عن المال واقسامه

وكما اومأت انفا -لا تحمل هذه البحوث سمة واحدة من سمات البحث العلمى وهى بالاضافة الى هذا منقولة نقلا حرفيا من كتب اخرى مع تغيير طفيف يتمثل فى حذف كلمة او عبارة او سطر او كثر •

وسأورد بعض النماذج التى تدل على هذا النقل ، ثم اتبع هذا بالاشارة الى أن الشيخ فى نقله لم يكن امينا ، وكان يغير بعض المفردات تغييرا يفسد المعنى ، وانه فضلا عن ذلك لم يرتبط فيما قدم بالواقع المعاش ، واجتر افكارا عفى عليها الزمن ، واصبح الحديث عنها الان امرا سيئا •

ان نظرية العقد بكل مسائلها وهى تستغرق من الكتاب نحو ثلثه نقلت من كتاب للاستاذ محمد مصطفى شلبى عنوانه « المدخل فى التعريف بالفقه الاسلامى وقواعد الملكية

والمعقود فيه » وكتاب الشيخ شلبي دراسة علمية اصيلة كسائر ما قدم هذا الشيخ من كتب ، مد الله في عمره ونفع بعلمه ، لقد نقل الدكتور عبد المفتاح من هذا الكتاب نظرية العقد كلها نقلا حرفيا ، فالعناوين العامة والفرعية والتقسيمات والشروط وما يتصل بها واحدة ، ويمكن أن يقال ان هذه المسائل قاسم مشترك بين الدراسات الفقهية كلها فلايعني وحدتها في كتابين ان اللاحق نقل عن السابق، وهذا صحيح او لم يكن ما ورد تحت المعاوين والتقسيمات متحدا نصا ومعنى ، فهذا يؤكد ان هناك اتباعا للشكل ونقلا للفكر في صيغته الاصلية، اى ان هذا الدكتور وضع كتاب الشيخ شلبي امامه واخذ يقلب صفحاته وينقل منه ما يشاء وفق ترتيبه وتبويبه دون تغيير يذكر اللهم الا الاختصار المخل ووضع كلمة مكان إخرى او تقديم عبارة على غيرها ، او حذف جملة دون جملة .

في الحديث عن صيغة العقد جاء في كتاب الشيخ شلبي ص ٤٤ ط بيروت : « صيغة العقد هي صورته الحسية التي يوجد بوجودها في الخارج ، او هي الدال على توجه ارادة العاقدين ، ذلك لان الاساس في العقد هو توجه ارادة العاقدين لانشائه ، وهذه الارادة أمر باطني لا يظهر الا بما يدل عليه من قول او فعل أو اشارة وهذا الدلل هو الذي سماه الفقهاء صيغة العقد ...

ثم يقول الشيخ : وقد اتفق الفقهاء على ان الكلام هو السبيل الاول للتعبير عن الارادة لذاك ينعقد به لكل عقد أيا كان نوعه متيكان العاقد قادرا عليه ، وبأى لغة متى كان العاقدان يفهمانها.

وجاء في كتاب الدكتور الشيخ عن صيغة العقد ..

صيغة العقد هي صورته الظاهرة التي يوجد بوجودها في الخارج اذ كل عقد لابد فيه من توجه ارادة العاقدين لانشائه ، وهذه الارادة أمر باطني لا يظهر الا بما يدل عليه من قول أو فعل أو كتابة أو اشادة ، وهذا الدال هو المعبر عنه عند الفقهاء بصيغة العقد ، وقد اتفق الفقهاء على ان الكلام هو الطريق الاول المعبر عن الارادة ، ولذلك تنعقد به سائر العقود المختلفة متى كان العاقد قادرا عليه وبأى لغة متى كان العاقدان يفهمانها .

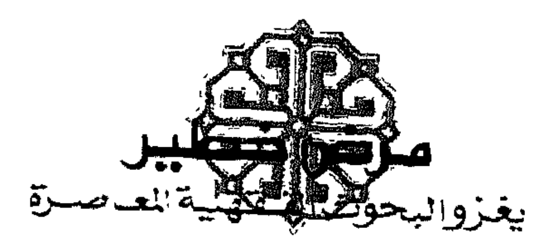
وفي الحديث عن تقسيمات العقد جاء في كتاب الشيخ شلبي ص ٥٥٠ .

ينقسم العقد عدة تقسيمات باعتبارات مختلفة واليك بعض هذه التقسيمات :

التقسيم الاول : باعتبار الشارع له وترتب اثاره عليه وعدم ذلك ينقسم العقد بهذا الاعتبار الى صحيح وغير صحيح .

وهذا التقسيم متفق عليه بين الفقهاء ، فقد اتفقت كلمتهم على ان من العقود عقودا يقرها الشارع ويرتب عليها اثارها ، وهي العقود التي سلمت اركانها واوصافها من الخلل ، ولم يرد من الشارع منع لها وتسمى صحيحة ، ومنها عقود اخرى تخالف سابقتها في حكمها ، وهي العقود التي اصابها خلل في ركن من اركانها او وصف من اوصافها وورد من الشارع نهي عنها ، وهذه تسمى بالعقود غير الصحيحة بالاتفاق ..

وورد في كتاب بحوث في الفقه الاسلامي تحت ذلك العنوان :



ينقسم العقد عدة تقسيمات باعتبارات مختلفة نذكر بعضا منها التقسيم الاول باعتبار اقرار الشارع له وترتب اثاره عليه وعدم ذلك فينقسم بهذا الاعتبار الى صحيح وغير صحيح •

● تقسيمات العقد ●

وهذا التقسيم محل اتفاق بين الفقهاء ، فقد اتفقوا على ان من العقود عقودا اقرها الشارع ورتب عليها اثارها ، وهى العقود الخالية اركانها واوصافها من الخلل ولم يرد من الشارع منع لها وتسمى صحيحة •

وهناك عقود اخرى تخالف ماسبق فى الحكم ، وهى العقود التى اصابها خلل فى وصف من أوصافها او ركن من اركانها وورد من الشارع نهى عنها وتسمى هذه بالعقود غير الصحيحة •

ويتضح من هذين النموذجين مدى التطابق بينهما ، وان صاحب البحوث غير بعض المفردات ، وقدم بعض العبارات وحذف بعض الاسطر ، ولكنه فى كل هذا شوه المعنى ، ففى صيغة العقد وضع كلمة الظاهرة بدل الحسية ، وهذه ادق فى الدلالة من تلك ، فالصيغة الحسية هى التى تحس باحدى الحواس على حين ان الظاهرة ليست كذلك ، واحل كلمة سائر محل كلمة كل وهذا خطا ، لان كلمة سائر لا تؤدى معنى كل ، فسائر العقود تعنى بقيتها لاكلها

وفى موضوع تقسيمات العقد اقحم بعض الكلمات التى لا ضرورة لها مثل كلمة اقرار ، وجعل الفعل المضارع ماضيا وقدم اسم الاشارة على الفعل ، وهى تغييرات تفقد الصياغة الدقة الفقهية ، ولكن الدكتور الشيخ يريد ان يوهم القارىء او يوهم نفسه انه الف ولم ينقل ، فلجأ الى ما لجأ اليه من التغييرات الشكلية مما زاد الطين بله •• وهكذا لا يسلم نص نقله غالبا من الحذف والتعديل الذى يفسد المعنى ، او يزيده ابهاما وغموضا •

وقد اسلفت أن الدكتور عبد الفتاح لم يقتصر على النقل وانما أضاف اليه اجترار أفكار عفى عليها الزمن ، وانه لم يرتبط بواقعة ، واتبع طريقة القدامى فى ذكرالتعاريف والاخراج بالمحترزات، ومن ذلك مثلا ما جاء فى موضوع الاجاره ، قال فى تعريفها ••

الاجارة شرعا : عقد على منفعة معلومة مقصودة قابلة للبذل والاباحة بعوض معلوم •

● الاخراج بالمحترزات :

عقد : جنس فى التعريف يتناول كل عقد •

منفعة : قيد أول خرج به الاعيان كالبيع •

معلومة : قيد ثان خرج به الجعالة•

مقصودة : قيد ثالث خرج به المنفعة غير المقصودة فلا تؤجر كتفاحة لشمها •

قابلة للبذل : قيد رابع خرج به المنفعة الغير قابلة للبذل فلا تؤجر كالبضع •

والاباحة:قيد خامس خرجبه المنفعة غير المباحة فلا تؤجر كجارية للوطء •

بعوض : قيد سادس خرج به العارية•

بمعلوم : قيد سابع خرج به المساقاة •

فالاخراج بالمحترزات على هذا النحو منهج قديم لا يلائم العصر الحاضر ، فكل قيد يحتاج الى توضيح حتى يمكن أن يفهم طالب لم يدرس شيئا ذا بال فى الفقه ، فكلمات كالعارية والجعالة والمساقاة مصطلحات فقهية لم يتناولها الكتاب بالدرس ، وهذا يدل على أن الدكتور الشيخ كان ينقل نقلا اليا دون نظر الى طبيعة العصر ومستوى الفكر الذى يستقبل هذه البحوث .

فضلا عن أن فى هذه المحترزات اشارات الى افكار لا ينبغى الآن الحديث عنها على ذلك النحو، فقد جاء فى القيد الخامس عدم صحة تاجير الجارية للوطء ، وفى هذا ما يوحى بأن الاسلام يقر بقاء الرق ، ولم يحرر الانسان من أخيه الانسان تحريرا كاملا ، ويكرر الدكتور الحديث عن الرق فى موضوع الاجارة حين يتعرض لاستئجار المرأة لرضاع أو غيره ، فقد أخذ يبين الفرق بين المرأة الحرة والأمة ، ثم عقب على ذلك بتنبيه ما كان ينبغى له أن يذكره لكنه وجده أمامه فنقله ، قال فى هذا التنبيه : ليس للمستأجر منع الزوج من وطء زوجته حرة كانت أو أمة ، وقال البعض : الا فى وقت يعطل عليه المنفعة » .

فهل هذه هى الدراسة الفقهية المعاصرة التى نقدمها لأبنائنا ، اجترار صور بالية يأباها المنطق وينفر منها الذوق .

ومما يتصل باجترار الصور القديمة ما جاء فى موضوع الايمان ، فقد سرد صورا من الحلف مبينا ما يقع منها وما لا يقع وهى منقولة من بعض الكتب القديمة ولا تعكس ما يجرى فى دنيا الناس اليوم ، وبعضها مسائل فرضية يمجها العقل ، ومن ذلك على سبيل المثال ، لو حلف لا تكتب بهذا القلم فجدد برايته بعد كسر الأولى لم يحنث ، لأن القلم اسم لها لا للقصبة ، فهذه الصورة تصدق على قلم البوص الذى كنا نستعمله فى الكتاتيب منذ أكثر من أربعين عاما وقد انقرض منذ فترة ، فضلا عن ان موضوع الايمان يحكمه العرف ، غير أن المؤلف لا يدرى عن العرف الحاضر شيئا ، فهو يأخذ من الماضى ولا يعنيه ان كان ملائما للحاضر أو غير ملائم .

ومما يتصل كذلك باجترار الماضى أنه حين تحدث عن موضوع المزارعة حكم بعدم صحتها الا تبعا للمساقاة ، فهل هذا هو الرأى المتفق عليه فى المزارعة ، وهل الأخذ به يناسب واقعنا.

وكنت قد ذكرت سابقا أن اختصار الدكتور أخل بالمعانى أو أحاط الفكرة بضباب كثيف لا يمكن معه فهم المعنى الا بعد هذا الضباب شرح واف فهو يقول مثلا فى باب الايمان : « لو حلف لا يتصدق لم يحنث بهبة فى الاصح والثانى يحنث بها كعكسه ، ويرى الأول ان الصدقة أخص من الهبة فلا يحنث فهل يتسنى لطالب مهما تكن ثقافته الفقهية أن يفهم هذا النص ، ويدرك معناه ، هل هذه هى البحوث التى قدمت لطلاب فوق المتوسط ودون المستوى العالى ..

وبعد فانى لم أذكر كل شىء ، وما ذكرته يكفى دلالة على أن هذه البحوث لا تصدق عليها كلمة بحوث ، وأن ظاهرة مرضية خطيرة بدأت تغزو ميدان البحث الفقهى ، ولا يجوز التغاضى عنها أو الصمت ازاءها ، وان الدكتور عبدالفتاح ليس له فى هذه البحوث الا المقدمة التى جاءت فى نحو صفحة ان كان قد كتبها.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

موسكو تبحث عن ماركسية جديدة!

● هل يشكل القطاع الخاص السوفييتي حزبا سياسيا؟!

بقلم: عبد الرحمن شاكر

وقد اقترن القانون السوفييتي الجديد بالدعوة على صفحات « البرافدا » صحيفة الحزب الشيوعي السوفييتي بالحاجة الى إدخال تغييرات عميقة في النظرية الماركسية وخاصة فيما يتعلق بشأن الصراع الطبقي، وضرورة الحلول السلمية تجنبا لوقوع كارثة نووية.

والواقع أن التغييرات العميقة التي تحتاجها النظرية الماركسية تشمل جانبا من هيكلها الأساسي من ناحية، ومن ناحية أخرى الاضافات التي الحقها بها لينين مؤسس الدولة السوفييتية، حتى أصبحت عقيدة الحزب الشيوعي السوفييتي ومختلف الأحزاب الشيوعية في العالم تعرف باسم الماركسية اللينينية.

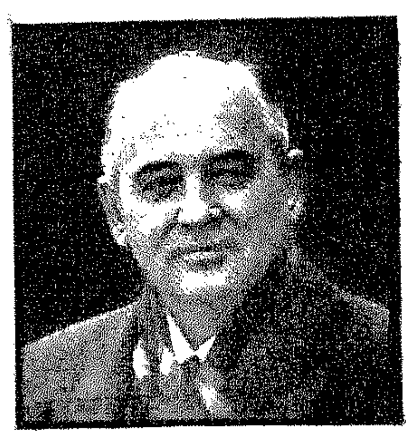
وجانب أساسي من التغييرات المذكورة إنما يكمن في تطبيق المنهج الماركسي ذاته في التحليل، على المجتمعات التي شكلت طبقا للنظرية الماركسية في صورتها اللينينية، فقد تولى ماركس تحليل المجتمع الرأسمالي الذي تشكل في الغرب تبعا للثورة الصناعية، وتولى لينين تحليل المرحلة الامبريالية التي تطور إليها النظام الرأسمالي العالمي، والتي سمحت بأن تكون روسيا البلد نصف المستعمر نصف الإقطاعي، على حد تعبيره، هي الدولة الاشتراكية الأولى في العالم.. منذ ذلك الحين والاشتراكية، أو الثورة الاشتراكية العالمية، أصبح لها تاريخ يستحق التحليل طبقا لذات المنهج الماركسي.

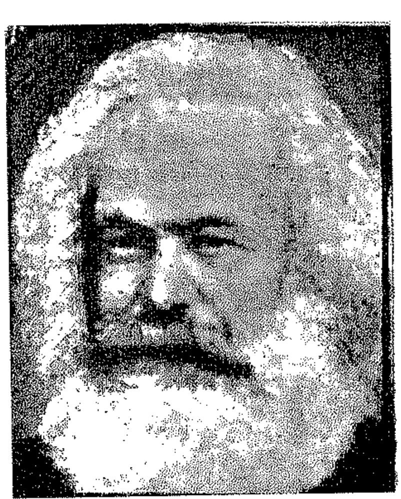
أي أن الماركسية أصبح عليها أن تعي دورها في التاريخ، وأن تعي التغيرات التي الحقها تطبيقها، أو محاولة تطبيقها على الواقع - طبقا

لم يكد مجلس السوفييت الأعلى يصدر التشريع الذى يسمح " للقطاع الخاص " بمزاولة العمل فى تسعة وعشرين فرعا من النشاط الاقتصادى . وذلك فى نوفمبر الماضى ، حتى تقدم حوالى ثلاثة ملايين مواطن سوفييتى بطلبات السماح لهم بمزاولة تلك الأعمال . على نحو يذكرنا بحكاية المليون مواطن إيطالى ، الذين تقدموا بطلبات الطلاق . بمجرد صدور القانون الذى يسمح بذلك فى إيطاليا منذ عدة سنوات !

لمقولة ماركس الشهيرة فى « أن الفلسفة لم يعد عليها أن تفسر العالم فحسب ، بل أن تغيره أيضا » وقد أسهمت فلسفته هو فى تغيير العالم بالفعل ، ولكن الواقع ـ وذلك من جدلية التاريخ التى بشر بها ماركس أيضا ـ أن التغييرات التى حدثت فى العالم بمساهمة من فلسفته ، أصبحت ترتد بسهامها على تلك الفلسفة مطالبة إياها بتغيير كثير من مفاهيمها لكى تناسب الواقع الذى أسهمت فى إيجاده .

فإذا أخذنا أقرب الأمثلة ، وهو التشريع السوفييتى الجديد ، الذى يسمح بطائفة كبيرة من النشاط الخاص لوجدنا أن ذلك التشريع قد تأخر صدوره كثيرا ، وذلك بسبب الجمود العقائدى الذى ساد الحزب البلشفى الحاكم عند كلمات ماركس ولينين .. فأعمال الحرفيين عند كارل ماركس من طبيعتها أن تختفى تدريجيا بنشوء الصناعة الكبيرة الحديثة ، ذلك


جورباتشوف إطلاق حرية النقد والتعبير


كارل ماركس فلسفة مطلوب تغييرها

موسكو

تبحث عن ماركسية جديدة!

مالاحظه ماركس من مراقبته للتطور الرأسمالي فى بلدان الغرب الصناعية ، كأختفاء الأنوال والمغازل اليدوية بقيام مصانع النسيج الآلية ، والحدادين الفرديين بقيام صناعات الحديد والصلب الكبيرة وهلم جرا ، ولكن طبقا لمقولة ماركس ذاتها عن « حلزونية التطور » لم يلاحظ الاقتصاديون السوفييت مالاحظه الاقتصاديون فى الغرب منذ سنوات طويلة من ان الصناعة الكبيرة فى تطورها قد خلقت بدورها حرفا جديدة لم تكن موجودة من قبل ، من ذلك مثلا عمال إصلاح السيارات والثلاجات والتليفزيونات وهلم جرا ونتيجة لذلك تأخر السوفييت فى إصدار التشريع المذكور ، وجعلوا من تلك الأعمال جزءا من الخدمات التى تقدمها الدولة أو القطاع العام ! فكانت النتيجة هى أن المقولة المشهورة عندنا وهى « أن يوم الحكومة بسنة » قد أصبحت تنطبق بالفعل على المجتمع السوفييتى فى تلك الخدمات ، وأصبحت السيارة التى لاتحتاج فى إصلاحها إلا الى بضع ساعات ، تمكث فى محطة « الإصلاح الحكومية » عاما أو أكثر ونشطت السوق السوداء فى هذا المجال وأمثاله حيث يتعمد العامل الموظف فى الحكومة عدم اصلاحها فى قائمة الانتظار الطويلة حتى يتفق مع صاحبها على إصلاحها له سرا فى الخارج بأجر سرى وفى غير أوقات العمل الرسمية حتى صدر القانون الأخير الذى يجعل من مزاولة تلك الأعمال كمشروع خاص ، أمرا مشروعا !

● نحو الشيوعية ●

لاشك فى أن الحرفيين الجدد الذين سوف يسمح لهم بممارسة نشاطهم الاقتصادى المستقل ، مثل « الميكانيكية » و« التزرية » و «سائقى التاكسى » وهلم جرا ، سوف يشكلون فى المجتمع السوفييتى طبقة جديدة .

■ بغض النظر عن استخدام هذا التعبير فى وصف الطبقة البيروقراطية فى الحزب والادارة ■

وهى طبقة بالمعنى الحرفى للكلمة ، من حيث كونها تملك وسائل إنتاجها الخاصة طبقا للتعريف الماركسى للطبقة ، وهى تختلف فى ذلك عن طبقة البروليتاريا التى لاتملك إلا قوة عملها فى المجتمعات الراسمالية ، وتشارك « نظريا » فى المجتمعات الاشتراكية فى الملكية العامة لوسائل الانتاج المؤممة .

ومن شأن تلك الطبقة الجديدة المستقلة أن تكون لها مصالح مختلفة عن مصالح الطبقة العاملة التى يفترض أن الحزب الشيوعى يمثلها ، ومن الطبيعى أن تطالب بحقها فى التعبير السياسى حيث إن عددها لن يكون قليلا إذا ملحكمنا برقم من طلبوا السماح لهم بمزاولة تلك الأعمال ، فهم حوالى ثلاثة ملايين كما تقدم أى أنهم واسرهم يبلغ

تعدادهم حوالى عشرة ملايين ، بخلاف من يستجد منهم فى المستقبل

لقد كان جورباتشوف شجاعا بالقدر الكافي ، حين أعلن فى المؤتمر السابع والعشرين للحزب البلشفي ، الذى عقد فى العام الماضى - أن حلم تطبيق الشيوعية لايزال بعيدا ، بالنظر الى المستوى الحالى لتطور الاقتصاد السوفييتى ، ولايزال بحاجة إلى استيعاب نتائج الثورة التكنولوجية التى تحققت فى الغرب الرأسمالى ، وهاهى ذى التطورات التاريخية تثبت أنه بدلا من الاستقطاب فى العالم الرأسمالى نتيجة للتقدم الصناعى ، بمعنى زيادة انقسام المجتمع الى اقلية مالكة وأغلبية من البروليتاريا التى لا تملك شيئا ، فإن التقدم الصناعى قد اتاح نشوء تلك الحرف الجديدة وأمثالها مما يعنى زيادة فى حجم الطبقة الوسطى أو البرجوازية الصغيرة طبقا للتعبير الماركسى ، فضلا عن التكنوقراط .

وبالمثل فالمجتمع الاشتراكى القائم فى الاتحاد السوفييتى لم يعد يسير نحو مزيد من اختفاء الطبقات ، بل يؤدى التقدم الصناعى فيه كما بينا من قبل إلى نشوء تلك الطبقة الوسطى من المنتجين المستقلين أو الحرفيين .

ولقد كان مسوغ استئثار الحزب الشيوعى السوفييتى بالحكم باسم ديكتاتورية البروليتاريا هو التصور الماركسى التقليدى أن الاشتراكية ليست إلا المرحلة الأولى من الشيوعية ، أو فترة الانتقال اليها بحيث لايختفى التفاوت بسبب اختلاف الموقف من ملكية وسائل الانتاج فحسب ، بل يختفى أيضا التفاوت مابين مختلف الدخول الناتجة عن العمل وتزول الفروق بين العمل اليدوى والذهنى .

ولكن ، وبعد حوالى سبعين عاما من الاشتراكية يجد الاتحاد السوفييتى نفسه مضطرا الى الاعتراف بحاجته الى قيام طبقة جديدة من المنتجين المستقلين ، الذين يجمعون فى أدائهم لحرفهم مابين العمل الذهنى والعمل اليدوى معا ، على نحو يشير إلى كون المجتمع السوفييتى لا يسير بالفعل نحو اختفاء الطبقات وتحول الجميع الى طبقة واحدة تفتقر الى الاشتراك فى الملكية العامة لوسائل الانتاج ، بل يزداد التفاوت فيه طبقا لمعايير مختلفة تدخل فيها الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، كواحد من أهم عناصرها .

كل ذلك يجعل من « ديكتاتورية البروليتاريا » وضعا متخلفا عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، ولا يجدى فى ذلك تسميتها ديكتاتورية « جميع الشعب » أو قواه العاملة أو ما الى ذلك ، بل ان طبيعية التطور تقضى بأن يتحول الاتحاد السوفييتى سياسيا الى الديمقراطية الكاملة .

فإذا ما تشكل هذا الحزب ، فربما يكون من ضمن برنامجه المطالبة بتعديل الدستور للسماح للقطاع الخاص الوليد فى الاتحاد السوفييتى بأن يستأجر عمالا ، فالتشريع الجديد يمنع ذلك ، منعا لاستغلال الانسان لأخية الانسان ، ولكن ماذا يكون عليه الحال لو أن بعض العاملين فى القطاع العام ، على سبيل المثال فى ورشة

موسكو

تبحث عن ماركسية جديدة !

لاصلاح السيارات . وجدوا أن من الافضل لهم أن يعملوا عند بعض زملائهم ممن فتحوا « ورشا » مستقلة لهذا الغرض ، وانهم سوف يعطونهم أجورا أعلى من أجورهم فى القطاع العام ، وهم فى الوقت ذاته ليست لديهم الوسائل ليعملوا بدورهم مستقلين ؟ لاشك أن منعهم من العمل على هذا النحو لن يكون مجرد عصف بمادة دستورية بل بحقوق الانسان ذاتها فى أن يختار عملا انسب له ، حتى ولو كان ، طبقا لنصوص الماركسية ، خاضعا للاستغلال من جانب إنسان آخر !

على أن استغلال الإنسان لأخيه الانسان قائم بالفعل فى الاتحاد السوفييتى ، فى تعامل الدولة السوفييتية مع الشركات متعددة الجنسية . مثل خط تجميع سيارات لادا الذى أنشأته شركة فيات فى الاتحاد السوفييتى ، بل أن بعض الكتاب الاشتراكيين الديمقراطيين فى الغرب مثل مؤلف كتاب فودكاكولا ، يتهم القيادة السوفييتية بأنها تسمح للامبريالية العالمية بالعمل فى الاتحاد السوفييتى ، وانتزاع فائض القيمة من الطبقة العاملة السوفييتية ، وإلا فلماذا ينشئون مشروعات لهم هناك من نوع خط « لادا » لانتاج السيارات . ومشروعات البترول والتعدين وخلافه ؟؟

الاشتراكية الديمقراطية إذن يمكن ان تحل باعتبارها هدفا للمجتمع السوفييتى ، اقرب من حلم تطبيق الشيوعية ، الذى اعترف القادة السوفييت اخيرا بأنه بعيد بعيد . على ان المجتمع الشيوعى الذى كان يحلم به كارل ماركس وجيله فى القرن التاسع عشر قد اصبح صورة مبهمة يصعب تمثلها فى الذهن ، فهى تقوم على مبدأ « كل حسب عمله ، ولكل حسب حاجته » ، ولكن المشكلةهى فى عنصر « الحاجة الأقتصادية »

● والصراع العالمى ●

إن الديمقراطية الاشتراكية لن تكون اطارا صالحا فحسب ، لحل مشاكل الصراع الطبقى فى الاتحاد السوفييتى بطريقة سلمية ، مابين الطبقات القديمة والجديدة والمستحدثة على ماوصفنا من قبل ، اكثر بكثير من ديكتاتورية البروليتاريا ، بل إن مردودها ايضا على الصراع العالمى سوف يكون فى صالح الاتحاد السوفييتى بطريقة حاسمة .

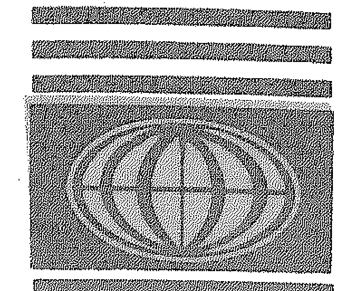
ذلك ان قيام الديمقراطية الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى ، وما اطلقه جورباتشوف من حرية النقد والتعبير هو خطوة رئيسية نحوها ، اقول ذلك الوضع سوف يخلق تجانسا كبيرا مابين الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية الديمقراطية فى الغرب من نوع السويد ، فضلا عن مختلف الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى غرب اوربا والعالم عامة ، وكثير من تلك الاحزاب قد وصل الى الحكم عدة مرات . وقد اختارت معظم الاحزاب

الشيوعية فى غرب اوربا طريق الديمقراطية بدلا من ديكتاتورية البروليتاريا، للوصول الى الاشتراكية، ولاشك ان استقرار الديمقراطية واكتمالها فى الاتحاد السوفييتي سوف يعزز مواقعها ويتيح فرصا كبيرة لاستعادة الوحدة الاشتراكية مابين الشيوعيين والاحزاب الاشتراكية الديمقراطية، ويزيد من فرص الفريقين فى الوصول أو العودة إلى الحكم فى كثير من بلدان غرب اوربا. بل إن من شأن هذا التطور ان يعجل بزوال الانقسام الحالى فى القارة الاوربية، بما فى ذلك تقسيم المانيا. التي تمثل منطقة القلب فى اوربا الى دولتين.

ومن شأن هذا الوضع ان يقضى على كثير من اسباب التوتر الدولي ومن اهم عناصره التخويف من الشيوعية باعتبارها خطرا يهدد الديمقراطية فى العالم المسمى بالحر! وبالقضاء على اسباب التوتر الحالية تنتفى الحاجة الى ترسانة الأسلحة النووية التى يكدسها كلا المعسكرين حاليا، ويقترب الاتحاد السوفييتي من تحقيق مطلبه فى نزع الاسلحة النووية، وتجنب الكارثة النووية على حد تعبير البرافدا كما تقدم فى اول المقال، وتحرير قواه الاقتصادية الجبارة التى حققت كثيرا من التطور فى ظل الاشتراكية لتحقيق مزيد من التقدم والرفاهية للشعوب السوفييتية.

لقد كان من اهم اكتشافات ماركس النظرية ان قوى الانتاج ووسائل الانتاج هما فرسا رهان، لايتحقق التقدم فى احدهما إلا ليمهد الطريق لتقدم الآخر، ولقد انجزت الثورة الاشتراكية فى روسيا تغيرا واسع النطاق فى علاقات الانتاج ليس داخل هذا البلد الكبير وحده، بل فى انعكاساتها على سائر انحاء العالم سواء الدول التى اخذت ذات طريقها كالصين ودول شرق اوربا، أو الغرب الصناعى الذى تحاشى الثورة داخله بالطرق الاصلاحية، أو بلدان العالم الثالث، التى تحرر كثير منها من الاستعمار بفضل المساندة السوفييتية لشعوبها، وقد اصبح الدور الآن على قوى الانتاج لتواصل عملها فى تطوير الحياة الانسانية ومواجهة مشكلاتها المعقدة.

وفى ظل عملية تغيير علاقات الانتاج كان اشعال نيران الصراع الطبقى على المستويين المحلى والعالمى هو الاداة الاستراتيجية فى يد القوى الاشتراكية، اما الان فربما كان العمل على تهدئة صراع الطبقات وتحقيق قدر من التهاون الطبقى على المستويات المحلية والعالمية هو الاقرب لاطلاق قوى الانتاج من عقالها، وتقريب القوى الاشتراكية والتحررية والتقدمية عامة من اهدافها. وذلك هو عين مادعت اليه البرافدا فى بحثها عن ماركسية جديدة. على ان الماركسية القديمة - اى فى عهد ماركس وانجلز - قد لاحظت مثل ذلك فيما يتعلق بالانتقال من مرحلة الاقطاع الى الرأسمالية، ولايختلف الامر فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية. وذلك ماكنا نعنيه بأن على الماركسية ان تعى دورها فى تغيير العالم، وأن تدرك ان قوانين التطور الاجتماعى التى اكتشفت انطباقها على العالم فيما قبلها، لاتزال سارية المفعول. عليها بدورها '



واشنطن

● رسائل هيمنجواى الخاصة ●

كثيرا ماتثار الاقاويل حول مايسمى بأدب الرسائل ، هل هو ذلك النوع من الادب الابداعى المصاغ فى صورة رسائل متبادلة بين بعض الاشخاص مثلما حدث فى آلام فرتر لجوته ، أم انها الرسائل الادبية او العاطفية التى يرسلها الكاتب لأحد الاشخاص القريبين الى عقله وقلبه .. أم انها أية رسائل كتبها الكاتب فى مرحلة من حياته وعبرت بصورة أو بأخرى عن جزء من فكر الكاتب .

يمكن أن نثير هذا السؤال بمناسبة صدور « رسائل مختارة » التى كتبها أرنست هيمنجواى بين عامى ١٩١٧ و ١٩٦١ الذى صدر احتفاء بمرور ربع قرن على وفاة الكاتب الكبير .. أول تعليق على هذه الرسائل انها يمكن أن تظهر هيمنجواى مرتديا بيجامة وهو الذى عرف دوما بزى المغامر فى الأدغال والحروب الاهلية ، فقد شغف الرجل بثلاثة أشياء : صيد السمك . والصيد فى الادغار والأدب . ولذا فان رسائله خلال هذه السنوات تكشف عن مدى قرب وابتعاد هذه الاهتمامات عن الكاتب . ويقول فى احدى رسائله انه لايمكن ان يفصل الادب عن الحياة ، لذا امتزجت هذه الاشياء جميعها فى حياته فأصبح فى الادب يكتب عن الصيادين ، وفى الحياة يتصرف كمثقف واديب معجب بالكاتب الفرنسى فلوبير بلا حدود .

والغريب ان رسائل الكاتب لم تجىء نافذة مفتوحة على العالم قدر ماهى طاقة نور على علاقته بادباء من طراز جرترور شتاين ووليام فوكنر « انه موهوب اكثر منى الا انه يتمتع بوجود الوعى الغائب » . كما دافع عن جون دوس باسوس وفيتزجيرالد الذى رأى فى أعماله موسيقى متناغمة تعزف لحن الخوف .. أو كما كتب اليه « تعرف انك مثل عالم رياضة لامع يحب الرياضيات كثيرا واستطاع ان يتوصل الى حل اعتى المسائل التى كانت عويصة بالنسبة للآخرين »

تميزت رسائل هيمنجواى أيضا بأنها تحدثت قليلا عن اديه ، وكثيرا عن آداب الاخرين وهذا نوع جديد فى ادب الرسائل لم يعرفه الادب كثيرا .



عمان - لوكسمبرج

● معرض للحضارة الأردنية ●

تسعون قرنا من الفن فى المملكة الأردنية .

ذلك هو عنوان المعرض الكبير الذى أقيم فى لوكسمبرج فى الفترة من ٢٦ نوفمبر الماضى ويستمر حتى الخامس والعشرين من يناير الحالى . وافتتحته الملكة نور الدين .. فى إطار الدعوة للاتصال الثقافى بين حضارة الاردن القديمة والعالم الحديث .. سبق لهذا المعرض ان اقيم فى مدينة ليون عام ١٩٧٩ تحت اسم « معرض البتراء » وفى عام ١٩٨٣ فى مدينة نيويورك تحت نفس الاسم .

يتضمن المعرض مجموعة من التحف الفنية النادرة الشاهدة على حضارة الاردن على مدى تسعين قرنا ، وقد صنعت هذه المقتنيات من الأبنوس والأحجار الكريمة . وقد برزت حقبات زمنية معينة ازدهرت فيها الفنون على فترات أخرى خاصة فى القرن الثانى قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادى . ثم العصر الاموى . وفى القرن الثانى عشر إبان الغزو الصليبى للمنطقة العربية .



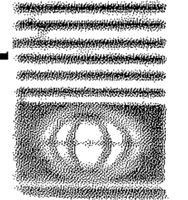


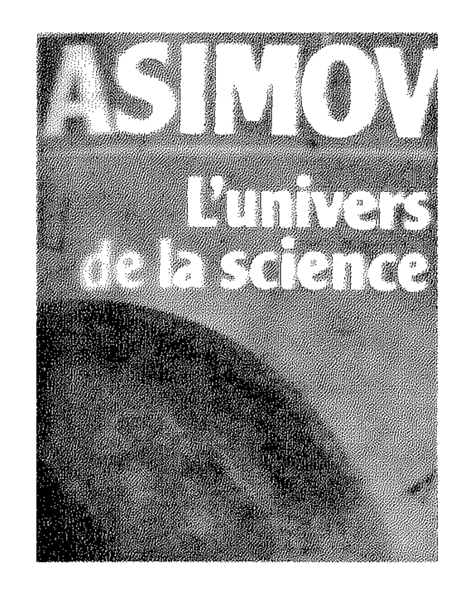


● هل للكفرة .. مملكة ؟

مدهش أمر هذا الكاتب الانجليزى الذى طبقت شهرته الآفاق .. فبعد كتابه الضخم عن « يسوع الناصرة » عام ١٩٧٧ والذى أخرجته السينما فى مسلسل تليفزيونى ضخم هاهو يمجد « مملكة الكفرة » فى أحدث رواياته التى تحمل نفس العنوان .. لقد أراد الكاتب ان يصنع عملا روائيا ضخما على غرار « كوفاديس » مؤكدا أنه كما توجد مملكة خاصة بالمؤمنين فان للكفرة مملكتهم وهى دائما مملكة الشياطين الذين وقفوا ضد انتشار المسيحية ويجب ان تدخل هذه المملكة لتعرف كيف تسير ومن هم ملوكها

فى حديثه إلى مجلة « جوردى فرانس » يقول « أنا نصف أيرلندى ، أحمل جواز سفر انجليزى يقول اننى كاثوليكى من يوركشاير . كان التعليم العالى ممنوعا عنا حتى عام ١٩٢٩ عمل أبى عازفا للبيانو ، ثم نادلا فى بار ، أما





أمى فقد كانت راقصة . اذن فمن أكون لست سوى مسلٍ »

ويقول فى نفس الحديث غير مازح : « تحت شمس الشيطان ، يشعر الروائيون بأنهم فى دارهم لذا لن يذهب الروائيون قط الى الفردوس . بل سوف يدخلون نار السعير لأنها بيتهم حيث النيران الابدية تجعل المرء اكثر إبداعا من الجنة الموعودة

بروكلين

● آزيموف .. عالما أم أديبا ؟ ●

إنه احد اذكى ادباء القرن العشرين .. هذا ماأكدته صفحة المستقبليات في عددها الصادر فى أول ديسمبر الماضي من مجلة لوبوان الفرنسية وهى تعرض كتاب « دنيا العلوم » للكاتب اسحاق آزيموف .. الذى يمثل ظاهرة فريدة بالفعل حيث جمع بين دراسة علوم الكيمياء الحيوية والابداع الادبى فنشر قرابة مائتى كتاب كان اخرها دنيا العلوم الذى يقع فى الف صفحة ويعتبر بمثابة موسوعة علمية عن أصل العالم من منظور القرن العشرين أى من منظور شخصيات روبوتية تمت برمجتها لتستطيع إدارة القرن القادم .

ولد آزيموف فى مدينة بتروفيتش الروسية عام ١٩٢٠ ثم رحلت اسرته الى الولايات المتحدة فى منتصف الثلاثينيات . واستطاع ان يحصل على شهادة الدكتوراه فى علوم الكيمياء . ورغم إبداعاته المتعددة فإنه لايزال يعمل فى الجامعة . وقد استفاد آزيموف من دراسته فكتب روايات من طراز « الرحلة العجيبة » و « الموت فى مركز الكتاب الامريكى » و « انسان القرنين » و « مثلث التأسيس » فضلا عن عشرات الابحاث العلمية المنشورة فى مجال الكيمياء الحيوية ..

بـــاريـــس

● العيون الزرقاء .. مخلصة أبدا ●



هلل أنصار الرواية التقليدية للروائية والمخرجة مرجريت دورا حين قدمت روايتها « العاشق » عام ١٩٨٤ ، بل ان اكاديمية جونكور منحتها جائزتها فى نفس العام وهى لاتمنح سوى للأدب التقليدى الذى يعتمد على حدوتة بسيطة مفهومة خالية من اى تجريب ، وتصور البعض ان مرجريت قد طلقت الرواية الجديدة التى تعد احد أعمدتها الكبرى

لكن هؤلاء التقليديين خاب املهم هذا الشهر مع الرواية الجديدة التى قدمتها السيدة دورا تحت عنوان « العيون زرقاء الشعر أسود » ومن تراكم عنوان الرواية يمكن ان نكتشف اى عودة رجعت بها الكاتبة . فهى لاتزال تؤمن بالرواية الجديدة . تستعمل العبارة الطويلة والرمز والاحداث المتداخلة زمانيا ومكانيا . وذلك من خلال حكاية رجل وامراة يجلسان على شاطىء البحر . لايتحدثان . ولايفعلان شيئا سوى الانتظار كأنما أصابهما يأس مفاجىء مما يدور حولهم . يبدوان كأنهما أول عشاق فوق الارض لايعرفان كيف يمارسان عشقهما .

جنيف

من . جميل عطية إبراهيم

معجم لمصطلحات الاتصالات

تحت اشراف جامعة الدول العربية وبالتعاون مع المنظمات الدولية والعربية تم اعداد اضخم معجم بالعربية لمصطلحات الاتصالات الدولية وتقنيات الفضاء • وهذا المشروع يعتبر احد دعائم نشر اللغة العربية وتعميم استخدامها فى المجالات الدولية التقنية • فقد انتهت فى سبتمبر الماضى اعمال المراجعة والتوثيق لاخر دفعة من المصطلحات وبذلك تنتهى اعمال اعداد اول معجم كامل فى هذا المجال بالانتهاء من ترجمة وتوثيق المجلدات الستة التابعة للاتحاد الدولى للاتصالات الدولية وتبلغ ٣٢ الف مصطلح او ما يقارب ١٤٠ الف مفردة علمية وكذلك ترجمة وتعريب مصطلحات الفضاء التى تبلغ ٦ الاف مصطلح او ما يعادل ٣٠ الف مفردة علمية •

وقد تم تنفيذ هذا المشروع الضخم الذى اشرفت عليه جامعة الدول العربية بالتعاون مع الاتحاد العربى للاتصالات السلكية واللاسلكية والاتحاد الدولى للاتصالات وبرنامج الامم المتحدة للانماء بتكلفة قدرها مليونا دولار فى فترة زمنية تقل عن اربع سنوات •

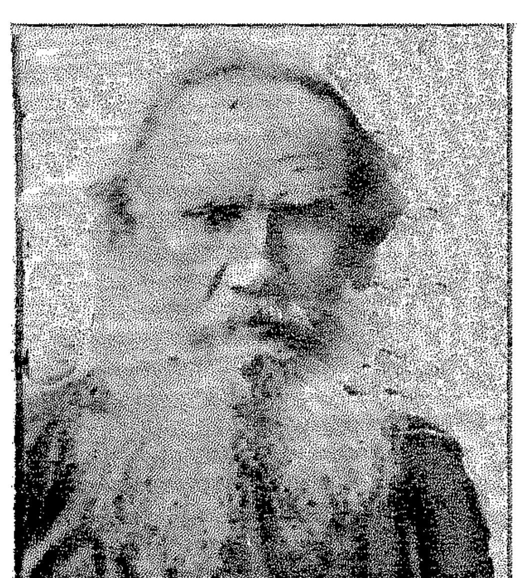
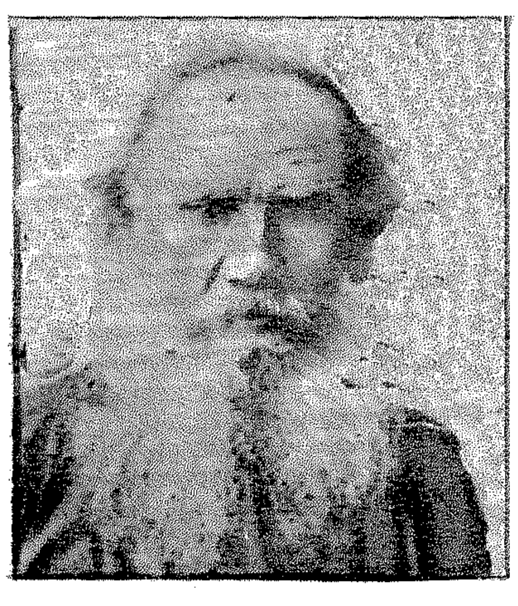
وقد جاءت البداية عندما وجهت الامانة العامة للاتحاد الدولى للاتصالات ومقره جنيف والامانة العامة للاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية ومقره بغداد الدعوة لحضور اجتماع تمهيدى للمنظمات العربية والدول العربية الاعضاء •

واذا كان الانتهاء من اعداد هذا المعجم الضخم الذى يتضمن المرادفات بالعربية والمقابل لها بالانجليزية والفرنسية والاسبانية من اضخم أعمال الترجمة فى احد المجالات الخطيرة فى عالم اليوم فمن المشاهد ان اللجنة التى اسند اليها تنفيذ هذا المشروع الضخم قد عملت على توثيق خطوات اعمال الترجمة خطوة خطوة للاستفادة بها فى مشروعات الترجمة الاخرى مما يجعل وثائق ترجمة هذا المعجم مرجعا هاما لاعمال الترجمة

فيساريون بيلينسكي ورسالته الشهيرة إلى جوجول

بقلم : حسين أحمد أمين

كان من الطبيعي أن يظهر تيار الانفتاح الفكرى على الحضارة الغربية فى روسيا فى بداية العقد الخامس من القرن التاسع عشر ، لا لأن الاستبداد القيصرى كان قد زاد وقتها زيادة ملموسة ، ولا لأن الفقر استفحل واتسع نطاقه ، وانما لازدياد الشعور بالاستبداد القائم ، وشروع الناس فى التساؤل عن الأسباب الحقيقية للفقر . وإذا كان الاتصال بين روسيا والغرب قد بدأ يعظم خاصة بعد الحروب النابوليونية واشتراك روسيا الفعال فى معترك السياسة الأوروبية ، فقد أمتدت أنظار المثقفين الروس للتطلع والمقارنة ، والاعجاب والتحسر ، والتحمس والسخط ، ألم يزعم بطرس الأكبر انه قد جعل من الروسيا دولة أوروبية ؟ فما بال نظمها السياسية إذن أقرب إلى نظم الشرق ؟ وما بال غالبية الشعب فيها لاتزال ترسف فى أغلال الرق ، وترزح تحت أعباء الفقر والحاجة ؟ إن حلق اللحى ليس بالمظهر الوحيد من مظاهر إدخال المدنية الغربية فى البلاد . فلندخل المبادىء الاشتراكية ، ولنمد خطوط السكك الحديدية ، لنقض على سلطان الكنيسة فى ميادين العلوم ، ولنلغ نظام الرق ، ثم لتطلقوا اللحى بعد ذلك إن شئتم إطلاقها !

تولستوى نمط متميز لروسيا

مكسيم جوركى اسهام فى الفكر

وقد كان الصراع بين زعماء هذا التيار (بيلينسكى ، هرتزن ، تورجنيف ، تشرنيشفسكى ، دوبروليوبوف) ، وبين المؤمنين بأن لروسيا رسالة خاصة ، ونمطا ثقافيا متميزا مناقضين للمدنية الغربية المادية الآخذة فى الأفول والانحلال (جوجول ، دوستويفسكى ، اكساكوف ، وإلى حد ما تولستوى) ، أشبه بالصراع بين عقليتى إيفان كارامازوف وأخيه اليوشا فى رواية "الأخوة كارامازوف " لدوستويفسكى ، فأما فى ميدان الأدب الروسى فى عصره الذهبى ، فقد انتصر اليوشا الروحانى المتدين ، وكان على إيفان المنطقى المادى أن ينتظر حتى الثورة البلشفية عام ١٩١٧ ، حتى الغلبة له . والواقع أنه مهما اختلفت وجهات نظرنا حول مزاعم المذهبين ، فلاشك فى أن جانبا كبيرا من الفضل فى عظمة الأدب الروسى فى القرن التاسع عشر راجع الى هزيمة مدرسة بيلينسكى . وأن انتصار أشياع الروسية فى ذلك الأدب ، هو الذى مكن روسيا من ان تقدم مساهمتها الفريدة فى الفكر الانسانى ، حيث إن المساهمة القومية ، متى اقترنت بطابع إنسانى ، هى وحدها القادرة على أن تجعل من أدب ما أدبا عالميا .

● السلافيون ودعاة التغريب ●

كانت الصحافة قد بدأت تنتعش فى روسيا خلال العقدين الرابع والخامس من القرن الماضى ، رغم الرقابة الصارمة التى فرضتها حكومة القيصر نيقولا الأول ، ورغم الاضطهاد الفكرى الشائع فى ذلك العصر ، وسرعان ما أضحت الصحف والمجلات الروسية ، لأول مرة ، رائدة للرأى العام فى البلاد ، وذات تأثير قوى فيه ، واتخذت لنفسها شكلا وطابعا ظلا غالبين على الصحافة الروسية حتى عام ١٩١٧ .

فأما عن لواء الثقافة والفكر فقد انتقل بعد هزيمة الديسمبريين إلى الجامعات (خاصة جامعة موسكو) ، والحلقات الأدبية التى كانت غالبية أفرادها من غير المنتمين

فيساريون بيلينسكى
ورسالته الشهيرة إلى جوجول

فى فكرهم إلى طبقة اجتماعية معينة ، وبينما انتعشت الصحافة فى العاصمة بطرسبورج تحت رعاية القيصر ، وكسب رجالها المال الوفير مقابل إحنائهم الرأس للسلطات ، كان تاريخ الصحافة فى موسكو سلسلة طويلة من التضحيات والمآسى والمعاناة المرة من سطوة الرقابة والضائقة المالية .

وقد شهدت جامعة موسكو فى أوائل العقد الرابع جماعتين من الشباب المثقف الطموح ، اختلفت مطامحهما واتجاهاتهما الفكرية . كانت الجماعة الأولى التى تزعمها الكسندر هرتزن ، قد وجهت اهتمامها إلى المشاكل السياسية والاجتماعية متأثرة فى فكرها بالاشتراكية المثالية وتعاليم سان سيمون وفورييه وجورج صاند . أما الجماعة الثانية فقد حمل لواءها ستانكفيتش وبيلينسكى ، وعنيت بدراسة الفلسفة المثالية الألمانية ، وتحمس افرادها لمؤلفات شيلنج وفيخته وهيجل وفيورباخ تحمسا فاق تحمس الألمان أنفسهم لها . غير أن ظهور جماعة ثالثة فى الميدان ، هى جماعة "السلافيين" وحد بين الجماعتين الاولىين ، ودفعهما إلى التحالف من أجل مقاومة تأثير هذه الجماعة الجديدة .

كان كل من السلافيين ودعاة التغريب متفقين على ضرورة القضاء على نظام الرق والحد من أوتوقراطية القيصر ، غير أنهم كانوا كالطبيبين لمريض واحد : قد اختلفا فى تشخيص الداء ، ووصف الدواء ، ذهب السلافيون إلى أن لروسيا تاريخا فريدا فى تطورها لا تشاركها فيه غيرها من الدول . وهى قد تكون فى حاجة إلى اقتباس العلوم وبعض الأساليب الفنية من أوروبا . غير أن عليها قبل كل شىء أن تجاهد من أجل الحفاظ على شخصيتها ، حتى لا تفقد هذه الشخصية المتميزة بتقليدها الأعمى للغرب ، وبتهوينها من شأن نفسها ، وأما طريق الخلاص فيتمثل فى تمسكها بعقيدتها الأروثوذكسية ، وحماية تقاليدها الشعبية من الأندثار ، والعمل على اقامة علاقات شخصية بين مالك الأرض والفلاح يسودها شعور أبوى كفيل بضمان سعادة الكافة .

وقد سخر دعاة التغريب ، وجلهم من الاشتراكيين ، من هذه الآراء وكرهوا طابعها الدينى ، ورأوها سندا للأوتوقراطية القيصرية وذهب هؤلاء إلى أن حدود الدولة أمر عارض لاقيمة له ولا أهمية ، وأن الروس ينتمون الى الانسانية أولا وقبل كل شىء ، وأن طريق الخلاص ، على حد تعبير بيلينسكى يكمن فى تحسين الظروف المادية وأحوال المعيشة ، ولا يتأتى ذلك إلا بفتح الباب على مصراعيه لريح الآراء الحرة التى تهب من الغرب ، وتوثيق الصلات بين روسيا والبلدان الأوروبية .

● حياة بيلينسكى ●

ولد فيساريون بيلينسكى . اعظم النقاد الروس وزعيم طائفة المفكرين من دعاة التغريب ، عام ١٨١١ ، وهو ابن لطبيب فقير يقيم ببلدة صغيرة إقليمية كانت تدعى شيمبار ثم غيرت الحكومة السوفييتية

اسمها فيما بعد فصارت تحمل اسم "بيلينسكى" وإذ بلغ الصبى الثامنة عشرة من العمر، التحق بجامعة موسكو حيث جمعته الصداقة بطائفة من الشبان المثاليين المتحمسين لهيجل، وعلى رأسهم ستانكڤيتش . غير أنه بعد سنوات ثلاث من الدراسة بالجامعة ، كتب مسرحية طويلة بعنوان "دمترى كاليفين" هاجم فيها نظام الرق ، فهددته السلطات بالنفى الى سيبيريا إن هو عاد إلى كتابة مثلها ، وسرعان ما فصل الشاب من الجامعة (عام ١٨٣٢) ، وبررت الادارة فصله بسوء صحته ، وقدراته الذهنية المحدودة ! . وبذا لم يتمكن بيلينسكى من نيل شهادة جامعية بيد أنه لم يهمل تعليمه بعد فصله ، فقد انكب على الكتب يقرأ فيها الساعات الطوال ، واتصل بزملائه السابقين فى الدراسة يناقشهم ويناقشونه فيما يقرأ ويقرأون ، ويغذى عقولهم ويغذون عقله بما اطلع واطلعوا عليه .

ومع ذلك فقد ظل بيلينسكى ضعيفا واضح الضعف فى اللغات الاجنبية فلم يتمكن طيلة عمره من قراءة الكتب الألمانية أو الانجليزية التى تأثر بها إلا مترجمة .

ظل بيلينسكى قرابة عامين بعد فصله من الجامعة يعانى فقرا مدقعا . ثم تمكن من العثور على وظيفة فى مجلة "تيليسكوب" وبدأ ينشر فيها وهو فى الثالثة والعشرين مقالات فى النقد تحت عنوان "خواطر أدبية" تعرض فيها للرواية الروسية ومؤلفات جوجول بالأخص ، وقد اعتبرت هذه المقالات بداية النقد الأدبى فى روسيا ، بل بداية صحافة روسية راقية واعية ، وبداية عهد ظل بيلينسكى طواله وحتى وقت وفاته الحكم الفصل وصاحب الكلمة الأخيرة فى تقييم الأعمال الأدبية الروسية ، وقد تميزت هذه المقالات بعدم احترام لكل ما هو قديم فى الأدب الروسى وكل ما ظل الناس أمدا طويلا يجلونه ويوقرونه . كما تميزت بالتحمس الشديد للأفكار المثالية الجديدة ولمستقبل الجيل الناشىء من بنى وطنه . وقد جلب له تحمسه هذا لقب "فيساريون الغاضب" ، أطلقه عليه المعجبون به من الشباب الذين اعتبروه زعيمهم ورائدهم ، كما جلب عليه نقمة الرقابة ، وكراهية المحافظين ، وارتياب السلطة ، وحنق الكنيسة ورجال الدين .

وفى عام ١٨٣٦ ، صدر الأمر الحكومى بتعطيل مجلة "تيليسكوب" ، فعاد بيلينسكى الى فقره ، وبعد بحث مضن عن عمل يقتات منه ، اضطر الى قبول وظيفة مدرس للأطفال ، وتأليف كتاب مبسط فى قواعد اللغة ، غير أن صداقته بالفيلسوف الفوضوى باكونين صاحب إحدى المجلات الروسية ، مهدت له طريق العمل كصحفى فيها . فلما أفلست المجلة وأغلقت أبوابها ، انتقل بيلينسكى إلى مجلة أخرى أصبح الناقد الأول فيها مقابل مرتب ضئيل لم يكن ثمة مفر من قبوله .

● وصيته الأخيرة ●

وأصبح بيلينسكى بفضل مقالاته منذ ذلك الحين روح التقدمية فى روسيا ، والمبشر بنوع جديد من الأدب . كان يرى أن الوقت قد حان كى يهجر الأدب الروسى اتجاهى الكلاسيكية والرومانسية ، وأن يصبح أدبا جديدا متصلا بالواقع الحاضر ، يعكس الحياة الواقعية فى صدق وأمانة ، ويستمد

فيساريون بيلينسكى
ورسالته الشهيرة إلى جوجول

أسسه من الأفكار الحديثة فى الفلسفة وعلم الاجتماع . وكان يرى فى الواقعية الاجتماعية فى مؤلفات جوجول تحقيقا لذلك الحلم الذى شغل مخيلته ، وتجسيدا لمثله العليا فى الأدب .

وفى عام ١٨٤٧ تفاقم عنده داء السل ، فأضطر إلى الرحيل عن روسيا يلتمس العلاج فى كل من فرنسا وألمانيا . ومن ألمانيا ، بعيدا عن سلطان الرقابة ، كتب خطابه الشهير الى جوجول عقب صدور كتاب الأخير "مراسلات مع الاصدقاء" عبر فيه عن غضبه على خيانة جوجول للشعب والأدب الروسيين بتحوله المفاجيء الى مؤازرة حكم القيصر ، والولاء للكنيسة الأورثوذكسية ، وإعلانه الندم على كتابة مؤلفاته السابقة .

● تأثير هيجل ●

ظل بيلينسكى مدة طويلة (خاصة فى الفترة ما بين عامى ١٨٣٤ و ١٨٣٧) شديد التأثر بمؤلفات هيجل ، خاضعا فى تفكيره وكتابته للجانب المثالى من فلسفته ، فهو يؤمن مع هيجل بالفكرة المطلقة تصطنع تطور الحياة المادية والروحية فى سبيل تحقيق حريتها الكاملة . وهو يرى أن "هذا العالم الجميل الخالد ليس إلا نفحة من فكرة واحدة خالدة تكشف عن نفسها فى أشكال غير محدودة ، كأنها مشهد عظيم لوحدة مطلقة تظل تتنوع تنوعا لا يدركه حصر" حتى إذا ما تحول إلى النقد الأدبى رأى فى الفن "بعثا لفكرة روح الطبيعة بواسطة الألفاظ والأنغام والألوان ، وتعبيرا عن فكرة الوجود المتجلية فى مختلف الظواهر . وإنما يسمو الشاعر بفنه الى القمة حين ينجح فى تمكين قارئه من النظر إلى الوجود من زاوية تبدو له الطبيعة منها مصغرة كرسم الخريطة ، وحين ينجح كذلك فى إنعاش روح قارئه بنفحة الحياة التى تحرك الوجود ، وباللهب الذى يعطيه الدفء .

وكان فى البداية يؤمن بمبدأ هيجل الشهير "كل ما هو حقيقة واقعة معقول وكل ماهو معقول حقيقة واقعة" . ومعنى هذا أن بقاء أية حقيقة فى عالم الواقع دليل على أن تغلب نقيضها عليها لم يحن أوانه ، إذ لو أنها صارت غير ملائمة لزمنها لاكتسحها الجديد ، وهى فلسفة رجعية استندت إليها حكومات أوروبا الاستبدادية فى تعزيز طغيانها . ففى وجودها دليل على ملاءمتها لاحتياجات الزمن ، وتبرير لبقائها ، ولا معنى أو مبرر لمحاولة التخلص منها بالثورة عليها .

وعلى هذا أقر بيلينسكى فى أول عهده بقاء حكومة القيصر على أساس أنها مرحلة انتقال لم يحن بعد أوان تخطيها وتجاوزها بالنظر الى أن القوى التقدمية لم تبلغ بعد من النضج القدر الكافى الذى يمكنها من تحقيق رسالتها ، وكان مع عدائه لنظام الرق لا يرى مناصا من تقبله ريثما تنضج القوى التقدمية فتدمره وتطلع بالجديد الذى سيحل مكانه .

أثارت هذه الآراء الرجعية لبيلينسكى سخط الشباب الروسى الثائر وغضبه ، وقاد هرتزن حملة على اتجاهه المسالم للسلطة ، داعيا الى خوض ميدان الكفاح

وحض الفلاحين على الثورة على نظام الرق ، وقد قاوم بيلينسكى هذه الحملة فى بادىء الأمر ، ثم لم يلبث أن تحول عن موقفه ، وقابل هرتزن فى بطرسبورج عام ١٨٤٠ ، وأقر له بخطئه ، وبتحوله الى الأعتقاد بأنه لا سبيل إلى الخلاص إلا بالثورة .

● أهم ناقد فى تاريخ الأدب الروسى ●

وكانت توبته وتحوله عن فلسفة هيجل عميقين صادقين .

وبتغير معتقدات بيلينسكى الفلسفية تتغير مفاهيمه عن الأدب والفن . فهو يعرف الفن الآن بأنه «التأمل المباشر فى الحقيقة ، وإعادة لخلق الكون دون تحوير » . ولايعنى هذا أن الفن يعكس لنا الحياة والطبيعة كما تعكس ، المرآة الصورة ، غير أن عليه دائما أن يبرز للناس حقيقة أحوالهم وحقيقة أنفسهم ، وأن يتناول المشكلات التى تجثم على صدورهم فيستحثهم على التخلص منها ، واجتثاثها من جذورها » .

باتت لدى بيلينسكى نظرية نامية واضحة المعالم فى الأدب ورسالته ، بل إنه يمكن القول (وهو قول لا ينطبق الا على عدد صغير من النقاد) إن كل ما أصدره من أحكام على ما ظهر من مؤلفات روسية بين عامى ١٨٣٠ و ١٨٤٨ ، يمكن التسليم به دون اعتراض ، أما أحكامه على أدب الأجيال السابقة على تلك الفترة ، فقد انتقص من قيمتها تعصبه المذهبى ، وإصراره الشبيه بإصرار الشيوعيين فى قرننا هذا على تطبيق معايير صارمة محددة لاتلين ، وذوق أدبى واحد معين

وقد كان بيلينسكى اهم ناقد فى تاريخ الأدب الروسى نادى بضرورة غلبة الافكار فى الأدب على ما عداها ، وبذا بات مسئولا عما شاع بين الأدباء فى العقدين السابع والثامن من القرن التاسع عشر من إهمال للحبكة الفنية والأسلوب الرصين واللغة القومية ، فالمادة والموضوع هما الأهم . اما الشكل فمقترن عنده بضحالة المادة وفراغ جعبة الأديب .

●أعمق الصحفيين تأثيرا●

ومع ذلك ، فالكل مجمع على أنه كاتب هو اقرب منه الى الناقد ، وأنه أعمق الصحفيين الروس تأثيرا فى الرأى العام التقدمى ، وانه مهما بالغنا فلن يمكننا المبالغة فى تقدير أهميته التاريخية . لقد كان أبا للانتليجنتزيا فى بلاده ، وزعيما من الزعماء المثاليين الاشتراكيين ، لا هم له إلا صلاح أحوال بلاده دون أدنى احترام لما لايرضى ضميره عن احترامه ، وكان امينا نزيها إلى أبعد الحدود ، لم يكترث لترصد أعين الرقباء ولم يخن مبدأه طمعا فى حياة أكثر راحة ، أو تجنبا لفقر جلب عليه فى النهاية المرض والموت ، ومن أبرز أفضاله على الصحافة والنقد فى زمنه إدراكه الدقيق لروح عصره ، وعلله وأمراضه ، ومحاولته تطوير المجتمع فى الاتجاه الذى ارتآه سليما ولازما له ، وقد ظلت رسالته الى جوجول تشكل عقيدة المثقفين التقدميين مدة تزيد على نصف قرن ، ومنع الرقيب نشرها وتداولها حتى عام ١٩٠٥ بعد الثورة الروسية الاولى . وهى الرسالة التى حكمت السلطات على دوستويفسكى

فيساريون بيلينسكي

ورسالته الشهيرة إلى جوجول

بالاعدام بتهمة الاستماع اليها فى إحدى الحلقات وهزه لرأسه إعجابا بها .

واختم مقالى بترجمتى لبعض فقرات من تلك الرسالة .

« لم تصب إلا جانبا من الحق إذ تبينت فى مقالى رجلا غاضبا . فهى صفة من الضعف بحيث تعجز عن التعبير عن الحالة التى سببتها لى قراءة كتابك . وقد كان بوسعى احتمال هجومك علىّ . غير أنه ليس بوسعى احتمال إهانة وجهتها الى الحق وكرامة الانسان ، أو السكوت إذ أراك تدعو الى الغش وفساد الخلق تحت ستار من الدين ، وتحت حماية سياط السلطة ، ملبسا هذا الغش والفساد ثياب الحقيقة والفضيلة .

فإذا كان الجميع (عدا حفنة من الناس كان من الواجب أن تراهم قبل أن تسمح لنفسك بأن تُسَر لتأييدهم لك) ، أقول ، أنه إذا كان الجميع قد رأوا فى كتابك حيلة لئيمة (وإن كانت مألوفة) كى تحصل على مآرب دنيوية عن طريق الاتجار بالدين ، فعليك أنت تقع التبعة والذنب ، وقد شاع فى بطرسبورج انك ألفت كتابك طمعا فى أن تعين مدرسا خاصا لولى العهد ، وأنك كتبت خطابا الى وزير المعارف تشكو فيه من أن كتبك السابقة قد أسىء تفسيرها ، وتذكر أنك غير راض عنها ، وأنك لن ترضى عن كتاب لك إلا متى رضى القيصر عنه ، فهل من المستغرب إذن أن يحط كتابك الجديد من قدرك لدى الجمهور ؟ أن يحط من قدرك كاديب وكإنسان ؟ إنه ليس بالأمر الغريب ، وإنما الغريب حقا أن تراه أنت غريبا .

إن بلادنا ياسيدى ليست فى حاجة الى الوعظ ، فقد سمعت منه أكثر مما ينبغى ، وانما هى فى حاجة الى من يوقظ لدى شعبها شعور الكرامة الانسانية ، ومن يتيح بمؤلفاته الفرصة له حتى يرى نفسه كما يراها فى المرآة ثم إذا بكاتب عظيم ساهم بفضل أعماله الفنية الرائعة الصادقة فى مساعدة روسيا على تحقيق ذاتها ، يخرج بكتاب مشين باسم المسيح والكنيسة يتغنى فيه بمدح رجال الدين الروس وينعت الفلاحين بالغوغاء الأوساخ ، ويدعو المالك الزراعى إلى أن يبتز من أقنانه المزيد من المال وأن يضاعف من قسوته وبطشه ، وكان المفروض ألا أغضب من هذا !! أقسم أنك لو كنت حاولت اغتيالى لما كرهتك كراهيتى لك بسبب كتابك . ثم نراك تحاول بعد ذلك أن تقنع الناس بإخلاص نواياك ! لا . فلو أنك حقا كنت قد استوحيت المسيح وتشبعت بتعاليمه لا بتعاليم الشيطان لخرج من قلمك كتاب جد مختلف عن كتابك الأخير . فهل من المعقول أن يكون مثل هذا الكتاب ثمرة تفكير عميق ، وبحث دقيق ، ونور هبط على القلب ؟ محال ! فإما أنك مريض يلزمك العلاج ، أو أنك ... إنه لمن الصعب علىّ أن اكمل الجملة . يكفى أن أسألك يامبشر الغوغاء ويارسول الجهل ودعامة الرجعية وفساد الخلق ، عما أراك تصنعه ، إلق بنظرة تحت قدميك فإنى لأراك مشرفا على هاوية سحيقة .

أهذا ممكن ؟ أيمكن ان تكون أنت ، مؤلِّف «المفتش العام » و « نفوس ميتة » قد أثنيت بإخلاص على رجال الدين الروس ؟ حقا انك لا تدرك مدى الاحتقار

الذى يكنه الشعب الروسى لهؤلاء القوم ، على من تتندر الجماهير ؟ عمن يروون أبشع القصص ؟ عن رجل الدين وزوجته وابنته وخادمته من يصفهم الشعب الروسى بأنهم قطيع من البله والمجانين ؟ القساوسة . أليس رجل الدين فى روسيا هو فى نظر الشعب ممثلا للشهوة والبخل والعبودية وانعدام الحياة ؟

ثم إنى لذاكر لك ايضا أنك تؤكد فى كتابك زعما تراه حقيقة لا يمكن نقضها ، وهو أن التعليم ليس عديم النفع للجماهير فحسب ، وأنما هو أيضا ضار بالغ الاضرار فكيف يمكن للانسان أن يجيبك على هذا ؟ آلا فليغفر لك آلهك البيزنطى هذه الفكرة البيزنطية ، شريطة أن تكون وقت تسجيلك إياها على الورق غير مدرك لما تسجل ، وفى اعتقادى أنك لاتفهم الجماهير فى روسيا فهما سليما . إن شخصية شعبنا تكيفها ظروف المجتمع الروسى حيث تكافح قوى جديدة من أجل الظهور فى حين يحاول الاستبداد قمعها ، وإذ تفشل فى الانبثاق تصيبها الكلالة والملل واليأس . فى الأدب وحده (رغم الرقابة الوحشية) ظهرت حركة تقدمية نشطة . وهذا هو السبب فى توقير الناس لوصف «الاديب» عندنا ، وهو السبب فى سهولة إحراز النجاح فى الميدان الأدبى فى روسيا حتى لو كان الكاتب صاحب نبوغ ضئيل ، إن صفة « الشاعر» ورسالة الأدب قد سلبتا المجد من رجال الحرب والادارة . وهذه هى علة الاهتمام واسع النطاق الذى نوليه لاية ميول حرة حتى الضعيف منها

والجمهور مصيب دائما فى حكمه فهو لا يرى قادة له غير أدبائه . و أدباؤه هم المدافعون عنه ضد الأوتوقراطية لهذا فهو على أتم استعداد لأن يغفر للأديب كتابا سيئا . غير انه غير مستعد لأن يغفر له كتابا مسموما وهو دليل قاطع على صدق فراسة هذا الشعب ، وعلى ما ينتظره من مستقبل عظيم فإن كنت تعشق روسيا فلتشاركنى فرحتى بفشل كتابك لقد آزعجنى احتمال أن تستغل الحكومة كتابك ، أما عن تأثيره فى الجماهير فلم أقلق بصدده ، وقد أصاب أصحابى الحزن عندما سمعوا أن الحكومة تنوى طبع الآلاف المؤلفة من النسخ من كتابك وبيعها بسعر زهيد ، غير أنى طمانت هؤلاء الأصدقاء على أن كتابك فاشل رغم كل شىء ، وأن النسيان سرعان ما سيطويه ، وإذا بكتابك فعلا لايذكره الناس الا بسبب المقالات التى كتبت عنه

ولو انى أطلقت العنان لنفسى لأضحت هذه الرسالة كتابا . غير انى اكتفى هنا بأن أكرر القول لك إنك مخطىء إذ رأيت فى مقالى رجلا غاضبا قد أحنقه ما كتبته عنى . فلو كان ذلك وحده ما أغضبنى لكان ذلك وحده ما رددت عليه ، ولرددت على غير ذلك فى هدوء ودون حقد أو حنق . غير أن الأمر هنا لا يتعلق بشخصى أو بشخصك ، وإنما يتصل بموضوع اسمى منك ومنى . إنه يتعلق بالحق ، بالمجتمع الروسى ، وبروسيا بأسرها وهاك كلمتى الأخيرة .

إذا كان سوء الحظ وكبرياؤك قد دفعاك إلى التنكر لمؤلفاتك العظيمة ، فمن واجبك الآن ، وبكل إخلاص ، أن تتنكر لكتابك الأخير ، وأن تكفر عن خطيئتك الكبرى إذ أخرجته إلى النور ، بأن تطلع علينا بمؤلفات جديدة تذكرنا بمؤلفاتك الأولى .



● الاسلام والتحكم فى جنس الجنين ●

يعقد فى القاهرة خلال الشهر القادم (فبراير) تحت رعاية الرئيس حسنى مبارك المؤتمر الطبى الاسلامى الدولى عن الشريعة الاسلامية والقضايا الطبية المعاصرة •

وقد شكلت لجان علمية متخصصة ، تحت اشراف الدكتور محمد حسن الحفناوى أمين المؤتمر ، لاعداد الابحاث الخاصة بالقضايا الطبية التى ستعرض على اللجنة الشرعية التى شكلها الازهر الشريف برئاسة الدكتور عبد الفتاح الشيخ عميد كلية الشريعة بجامعة الازهر •

وسوف يناقش المؤتمر بحوثا علمية تتوزع على جبهة واسعة فى مختلف المجالات الطبية مثل :

● قضايا التلقيح الصناعى وتاجير الرحم •

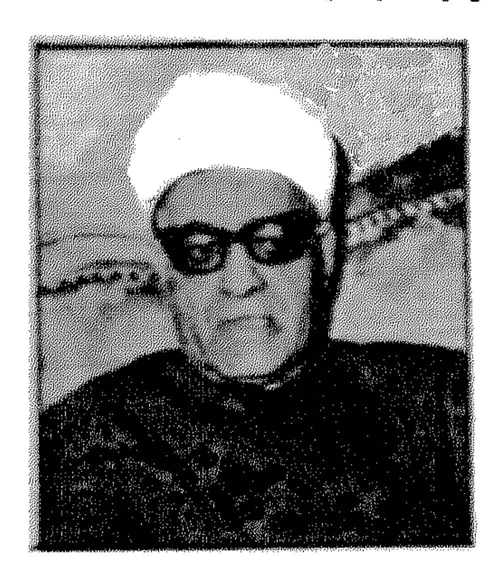
● التحكم فى جنس الجنين •

● نقل الاعضاء بالتبرع خلال الحياة وبعد الوفاة •

● قضايا الهندسة الوراثية وتغيير بعض الصفات الفردية •

وتكشف الامثلة السابقة مدى الحساسية التى تنطوى عليها المستحدثات الطبية ، وعلاقاتها بقضايا شرعية واجتماعية حيوية ، مما جعل الموقف منها يشغل بال المسلمين فى كل مكان ، سواء كانوا اطباء ام مرضى ام مشرعين ، الامر الذى يكشف اهمية تحديد موقف الشريعة الاسلامية عامة من مختلف الممارسات المطروحة على الساحة الطبية اليوم مراعاة لمصلحة المسلم دينا ودنيا •

هذا وسينظم المركز الدولى الاسلامى للدراسات والبحوث السكانية المؤتمر الاول للسكان فى العالم الاسلامى بالقاهرة فى أوائل شهر مارس برئاسة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الازهر حيث تجرى دراسة قضايا الاسرة المسلمة ومنها على سبيل المثال قضايا صحة الطفل والام ، وقضايا التعليم والغذاء ، وقضايا الموارد البشرية والهجرة •





● السد العالى بعد ٢٠ سنة ●

ناقش المجلس القومى للانتاج والشئون الاقتصادية ، وهو أحد المجالس القومية المتخصصة ، الاثار التى نتجت عن بناء السد العالى بعد مضى ٢٠ سنة على تشييده ٠

واكد التقرير على القيمة الايجابية لهذا التاثير ٠ فناهيك عن أن السد العالى أنقذ مصر من الجفاف المتكرر الذى تتعرض له كثير من البلدان الافريقية بين التقرير :

● أن محطة كهرباء السد العالى ولدت طاقة كنا سنحتاج الى ٣٠ مليون طن من المازوت لتوليدها فى المحطات الحرارية ٠

● انه تم استصلاح ٩٠٠ الف فدان باستخدام مياه السد العالى ٠

ومن المنتظر أن يضاف اليها ٤٠٠ الف فدان أخرى قبل نهاية ١٩٨٧ ٠ وذلك بالاضافة الى زيادة المساحة المحصولية وارتفاع مساحة محصول الارز الى مليون فدان (لم يكن لها بدون السد أن تتجاوز ٢٠٠ الف فدان) ٠

وبالنسبة للاثار الجانبية التى نتجت عن بناء السد ذكر التقرير انها كانت متوقعة ومعروفة وان السبب فى تفاقمها عدم الاهتمام بالمشروعات المكملة للسد العالى ٠

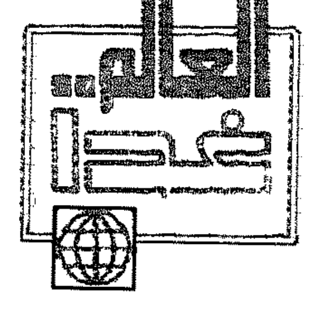
وجدير بالذكر أن جهودا ضخمة تبذل فى مناطق مختلفة فى أراضى مصر للاستفادة من المياه الجوفية التى ارتفع منسوبها بعد بناء السد ، ولاستخدام هذه المياه فى الرى مع ظروف الجفاف المتكررة ٠ كما تجرى ابحاث اخرى للاستفادة من هذه المياه فى تقليل حاجة بعض النباتات الى مياه الرى وقد بينت التجارب التى تجرى على الفول والذرة الشامية بمزرعة أبيس التابعة لكلية الزراعة (جامعة الاسكندرية) أن مثل هذه النباتات تتمكن من خلال منتصف موسم نمو المحصول واخره من الاعتماد ذاتيا على جذورها (بالخاصية الشعرية) فى رفع وامتصاص حاجتها، من المياه الجوفية ٠

هذا كما بين تقرير المجلس القومى أن بحيرة السد بريئة من « الشائعات التى الصقت بها ما ظهر فى المنطقة من نشاط زلزالى ٠

● علاقات غرامية بالكمبيوتر ●

انتشرت بين الامريكيين أخيرا ممارسة العلاقات العاطفية أو الغرامية مشافهة على البعد عبر الكمبيوتر !

ويستطيع المشاركة فى مثل هذه العلاقات أى من الراغبين الذين يمتلكون « جهاز كمبيوتر » شخصى ، ولا يحتاج الامر من الراغب الا أن يدق كلمة كودية على حاسبه الشخصى ليجد نفسه فى حضرة غيره من الراغبين فى ممارسة هذه العلاقات من الجنسين



وغالبا ما يتم ذلك فى اطار المشتركين فى اكبر شبكات الحاسبات الالكترونية « كومبيسيرفيس » ·

وقد بدأ الامر كمجرد محاولات « للغزل البرىء » وتمضية الوقت بين قليل من الافراد الذين لا يعرفون بعضهم بعضا · لكنه سرعان ما تطور الى مداعبات فاحشة خشنة قد تضم عشرات من الجنسين فى وقت واحد وفى كثير من الاحيان يتزايد عدد المشاركين الى الحد الذى يتعذر معه متابعة ما يصدر منهم على شاشات الحاسب ··

وبالطبع لا تقف الامور عند حد الممارسات الشفاهية ، فكثيرا مايتطور الامر ويتبادل من يمارسون هذا النوع « الغريب » من الغزل أرقام التليفون والصور ، بل ويصل الامر فى عدد من الحالات الى حفلات الزفاف ·

ويرى علماء النفس أن ما يشجع مثل هذه الممارسات امكانية الاقتراب من الاخر والانطلاق معه الى حدود بالغة القرب « والخصوصية » وربما الفحش برغم عدم معرفة أى من الطرفين لهوية الاخر ، وهو أمر يتعذر وجوده فى أى ظروف أخرى ·

وقد أدمن بعض الامريكيين مثل هذه العلاقات حتى أن زوج احداهن (عمرها ٣٥ سنة) جار بالشكوى من أن زوجته تقضى مع رفاق الكمبيوتر وقتا اكثر من الوقت الذى تقضيه معه، ومن أن هذه اللعبة قد أغرقتهما فى المشاكل ، اذ اقامت الزوجة (عن طريق الكمبيوتر) سلسلة من العلاقات العاطفية التى انتهت كلها بخيبة الامل، سواء من جانبها أو من جانب الطرف الاخر ، عند اللقاء وجها لوجه ·

وتشكو هذه المدمنة فى غضب وحيرة من سرقة هذه العلاقات ـ وما ينتج عنها من احباط لحياتها ـ وتدعو الى تنظيم مجموعة دعم نفسى للنساء اللاتى يعانين من صعوبات شبيهة ·

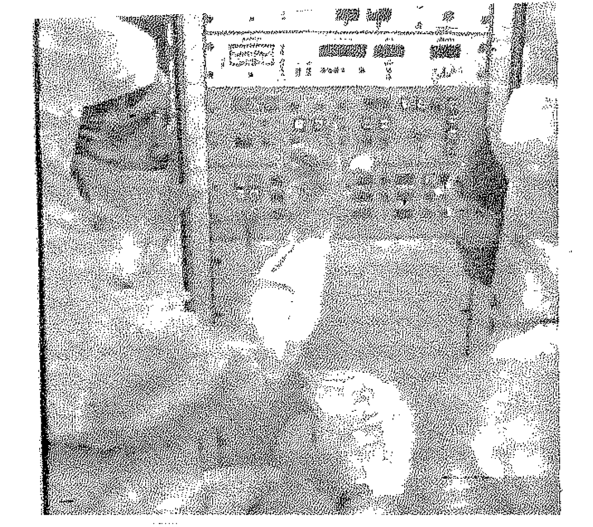
● المستقبل فى امريكا ●

وعلى الرغم من نموذج الغرام بالكمبيوتر السابق توقعت دراسة مستقبلية نشرت فى الولايات المتحدة الامريكية أن يولى الامريكيون مزيدا من الاهتمام للحياة العائلية فى المستقبل وأن تعود روابط الاسرة لتطغى على الحياة الاجتماعية الامريكية بصورة قريبة مما كانت عليه هذه الحياة خلال العصر الفكتورى خلال القرن الماضى ·

هذا كما يتوقع خبراء الدراسات المستقبلية أن تطرأ تغيرات مثيرة على جوانب الحياة الاخرى خلال العقود



هموم الغراميات الكمبيوترية



تقنيات جديدة تبتلع ٥٠ مليون وظيفة

والقرون القادمة . ومن أطرف هذه التوقعات على سبيل المثال أن كبار المجرمين سيودعون في غضون ٥٠ سنة بسجون تشيد تحت الماء ويقوم على حراستها عدد من الحراس الآليين ، بينما سينفى الخطرون منهم في مرحلة لاحقة الى كواكب بعيدة .

ويتوقع المستقبليون أن تمثل الاعمال التي تنجز في البيوت مع نهاية القرن الحالي ثلث مجموع الاعمال التي تدفع عنها مرتبات في الولايات المتحدة .. وبحلول عام ٢٠١٠ سيؤدي استخدام الكمبيوتر والانسان الآلي ، على نطاق واسع ، الى نقص عدد الوظائف بمقدار ٥٠ مليون وظيفة ، ولن يجيء عام ١٩٩٠ الا وسيكون عدد الاطباء في الولايات المتحدة قد فاق الحاجة الحقيقية والعدد المطلوب بمقدار ١٠٠ الف وظيفة .

ويتنبأ المستقبليون بأن يزيد عدد سكان المدينة الواحدة عام ٢٠٠٠ على ١٠٠ مليون نسمة ذلك بينما لا يزيد عدد سكان اكبر مدينة في العالم اليوم على ١٨ مليون نسمة ، كما يتوقعون أن يرتفع العمر المتوسط للسيارة عام ١٩٩٠ الى عشر سنوات ، وعام ٢٠٠٠ الى ٢٢ سنة ، وذلك في مقابل سبع سنوات في الوقت الراهن .

● الشطرنجيات السوفييتيات يفـــزن في الامـــارات ●

قالت مرجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية في الكلمة التي ألقتها عند افتتاح المباراة الثارية على بطولة العالم للشطرنج أنها لا تمارس الشطرنج .. ولكنها تنظر اليه بصفته لعبة رفيعة المستوى تتضمن عناصر من الرياضة والفن والعلم .. ونوهت بأن اللعبة تساعد على الجمع بين الشعوب وعلى اقامة علاقات صداقة بينها .

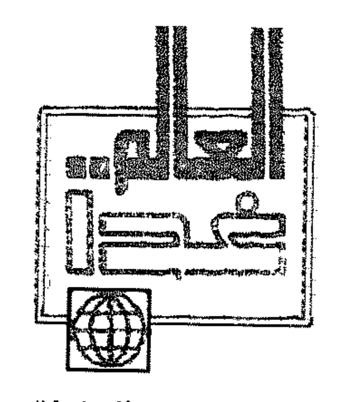
وقد أكد جاري كاسباروف من جديد خلال أدوار المباراة الثأرية التي جرت بين لندن وينتجراد أنه اللاعب الاكثر جدارة بالجلوس على عرش الشطرنج .. وقد انتهز الاتحاد الدولي للشطرنج فرصة الاولمبياد الذي جرى أخيرا في الامارات العربيـــة ، وتوج البطلين السوفييتي جاري كاسباروف ومايا شيبور دانيدزه بأكاليل الغار .

وتمكن الشطرنجيون السوفييت من الفوز ببطولة الاولمبياد الشطـــطر العالمي الذي جرى في الامارات ..

جاري كاسباروف ومايا شيبور دانيدزه







وان كانت اللاعبات قد فزن بالبطولة بسهولة بعد تفوقهن بفارق كبيـر من النقاط على فرق المجر والصين ورومانيا التى احتلت المراكز الثلاثة التالية ، فقد واجه الفريق السوفييتي للرجال ، الذى يضم جارى كاسباروف بطل العالم الحالى واناتولى كاربوف بطل العالم السابق ، منافسة شديدة من الفريقين الامريكى والبريطانى ، وظلت نتيجة المنافسة معلقة حتى الدور الاخير من المباراة ، الذى تمكن الفريق السوفييتى بنتيجته من جمع ٤٠ نقطة ليتقدم الفريق البريطانى بنصف نقطة والفـــريق الامريكى بنقطة ونصف نقطة •

ومن الجدير بالذكـــر ان اللاعب السورى الاصل الذى لعب ضمن الفريق الامريكى قـــد فاز فى المباراة بين الفريقين السوفييتى والامريكى خـلال الدورة على جارى كاسباروف بطـــل العالم ، وقال بعد المباراة ان فوزه لم يكن مفاجئا ، وانه قد فاز من قبـــل على اناتولى كاربوف بطل العـــالم السابق ، وانه يستعد لانتزاع عـرش الشطرنج من اللاعبين السوفييت •

● حاملة قمـــامة حديثة لانتاج السماد والطاقة ●

نجحت شركة « فالورجا » الفرنسية فى تطوير نظام جديد عبارة عن حاملة نفايات لتجميع قمامة المنازل والرواسب الطينية لمحطات التنقية والمخلفـــات العضوية ومخلفات الاغذية الزراعيـة للاستفادة منها فى صناعة الاســمدة وازالة مصادر التلوث بدون ادخنـــة او روائح كريهة• وتقوم الحاملة بطحن القمامة وفرز المعـــادن الحـــديدية ومعالجتها وكـذلك المعادن الحاملة الثقيلة فى المرحلة الاولى • اماالمرحلة الثانية فيتم فيها اجراء عملية التخمر اللاهوائى للمواد القابلة للتحلل ثم يتم كبس هذه المخلفات • وفى المرحلة الثالثة يتم فصل العناصر غير القابلة للتحلل البيولوجى مثل الوقودوالمعادن الحاملة الثقيلة وفى المرحلة الاخيرة يتم حرق ما يتبقى من مخلفات داخـل افران خاصة • ومن ابرز مزايا عمـل الحاملة هو التشغيل المستمر للمادة المركزة بحيث لا تشغل حيـــزا كبيرا واضـــفاء قيمة للمخلفـــات الزراعيـة المهملة وتسخيرها لانتـــاج الطـــاقة النظيفة •

● جهـــاز جـــديد لتفتيـــت حصوات الكلى بدون مخاطر ●

احدث جهاز طبى لتفتيت الحصوات داخل جسم الانســـان قامت بتطويره شركة فرنسية •• الجهاز الجـــديد يفتت حصوات الكلى بواسطة موجـات تصطدم بالحصوات من مصدر به مادة كهرومغنطية • وبهـــذه الطريقة لن يحتاج الاطباء الى استخدام التخدير بكافة انواعه • ويتميز الجهاز بأن المريض يـكون راقـــدا عـلى السرير وليس فى حوض به ماء كما هو متبع

حاليا ، ويكتفى بوضع كيس من الماء على منطقة الكلية لتوصيل الموجات وسيكون متاحا الاطباء رصد أماكن الحصوات بواسطة رسام الصدى مما يلغى استخدام اشعة اكس • كما انه يتيح امكانية علاج حصوات المثانة وأسفل الحالب •

والمعروف أن الاجهزة الطبية المستخدمة حاليا تستخدم مصدرا بالغ الدقة من النوع المتفجر يعمل بواسطة مؤثر حرارى موضعى يتطلب تركيزا هائلا للطاقة عند المنبع مما يؤدى الى عدة متاعب منها ضرورة توافق ايقاع انطلاق الموجات مع ضربات قلب المريض وضرورة التخلص من الغازات فى ماء الغمر الذى يوضع به المريض بالاضافة الى المخاطر المحتملة لاصابات الانسجة الرئوية والمعوية •

● منضدة لعمليات العظام بالتوجيه الاليكترونى ●

توصلت شركة « مارتيز أوبرى » الفرنسية الى انتاج منضدة لعمليات جراحات العظام والتجبير ومعالجة اصابات الاطراف السفلى تعمل بالتوجيه الاليكترونى • تصميم المكونات المختلفة للمنضدة يتميز بخواص أساسية تتيح للطبيب تسهيلات كثيرة مثل وجود حامل المسند والراس فى جزئين مما يسمح بالحركة الطولية والعرضية ويمتاز حامل الحوض الذى يتحرك أفقيا بسهولة التعامل مع فخذ المريض وساقه ويتيح للفنيين اجراء عمليات التصوير بالاشعة طوال فترة العملية الجراحية باستخدام مكبرات الضوء •



● خريطه دقيقة لدراسة اضطرابات المخ ●

قامت شركة « الفار اليكترونيك » العالمية بتطوير جهاز جديد يسمى « ريجا ٢٠٠٠ » الذى يتيح للاطباء الحصول على خريطة كاملة للمخ أثناء الفحص من خلال ميكروكمبيوتر موصل بجهاز رسم المخ حيث يتم توجيه الاشارات الكهربائية للمخ من خلال موصلات بسيطة مثبتة على سطح الرأس وبالتالى يمكن ترجمة الانشطة الذهنية للفحص كميا الى صورة موضحة ومعروضة بالالوان • ويختلف هذا التكنيك عن بقية أساليب الفحص المستخدمة فى الكشف عن المخ • الجهاز الجديد يمكنه دراسة ردود افعال المخ للتنشيط الحسى بالاضافة الى متابعة التطورات التى تحدث فى اختلال الوظائف والتاكد من مدى فاعلية العلاج الموصوف للمريض •• ومن مزاياه أيضا انه يتيح للطبيب المعالج دراسةالاضطرابات ذاتالطابع الوظيفي البحت مثل الصرع والامراض النفسية والمشاكل المصاحبة لشيخوخة المخ ويمكن للطبيب اكتشاف اية اختلالات فى وظائف المخ مبكرا حتى فى حالة عدم وضوح علامات على اصابة الانسجة • كما يمكن للطبيب تكرار الفحص فى اى وقت وبالتالى تنعدم الحاجة الى اجراء الفحوص المغناطيسية المكلفة الا فى حالة التعرف على مواقع الاصابات وظروفها التشريحية •

■ حرب المستقبل ■

حرب الكترونية . آلية

بقلم : حمدى لطفى

تسيدت تطبيقات برامج الحرب الالكترونية ـ طوال السنوات العشر الاخيرة ـ المناورات الحربية التى تشترك فيها اكثر من دولة ، وتتضمن هذه المناورات الحربية هجمات وهجمات مضادة برية وجوية وبحرية تبرز فيها استخدامات الحرب الالكترونية كسمة متقدمة تلبى احتياجات المعركة المشتركة الحديثة ... بل ان هناك مناورات كبرى لا يستخدم بها غير عناصر الالكترونات من خلال ما يطلق عليه اسلوب « ميكنة القيادة » او القيادة الآلية ـ وتحمل فى طياتها حصيلة الدروس السابقة من الحروب الكبرى والصغرى .

● وفى هذه الصفحات نعيش قصة الحرب الالكترونية « وبدايتها » المثيرة ، فهى بداية تنتسب الى السنوات الاولى من القرن الحالى .

اختلف الباحثون العسكريون بانحاء العالم فى تحديد بداية الحرب الالكترونية بمستوياتها البسيطة الاولى ، فقالوا أيضا ظهرت ـ كمفاجأة ـ عام ١٩٠٤ وآخرون ذكروا عام ١٩١٤، وأكد فريق ثالث امريكى انها استخدمت عام ١٩١٧ ، ويصبح من المهم أن نعرف ماذا حدث من مفاجآت حربية خلال الفترة ما بين ١٩٠٤ حتى ١٩١٧ ؟!

● انتشر جهاز اللاسلكى بعد اختراعه داخل السفن الحربية عام ١٩٠١ ، لتحقيق الاتصال بين سفينة وأخرى ، وتحديد مكانيهما فوق سطح البحار والمحيطات ، ثم مضت اربع سنوات ، قام بعدها او اثناءها العالم الروسى «بوبوف» مخترع الراديو الروسى بالاشتراك مع « الاميرال البحرى ماكاروف » بتجربة مثيرة قاما

بهـــا عام « ١٩٠٤ » فى تحـديد اتجاه السفن اليابانية ، وذلك عـلى أساس تحريك السفن الروسية يمينـا ويسارا ، حتى يقل سماع صوت المحطة اللاسلكية على السفينةاليابانية المعادية، وفى هذه الحالة تكون السفينة الروسية فى اتجاه عمودى على السفينة اليابانية، ويعنى ذلك ـ التطبيق البدائى لنظـرية تحديد الاتجاه اللاسلكى ٠

● ولقد صاحب التطور السريع فى معدات اللاسلكى قبل الحرب العـالمية الاولى تطور ممـاثل فى اسـتخدام اللاسلكى للتصنت وتحديد أماكن المحطات اللاسلكية المعادية ، ويعتبر غرق الباخرة الالمانية « مجد برج » فى بحر البلطيق عام « ١٩١٤ » ، أول تطبيق عملى فى العالم لاستخدام اللاسلكى فى تحـديد مكان محطة معادية ٠

● الفرقة رقم ٤٠ ●

ثم استمر التطور فى مجال الاستطلاع الالكترونى من الحـرب الالكترونيـة خصوصا فى بريطانيا خلال الحـرب العالمية الاولى وذلك عندما انشأت أول وحدة استطلاع لاسلكى فى العـالم تحت الاسم الكودى « الفرقة رقم ٤٠ » والتى وضعت تبعيتها مباشرة لوزارة البحرية البريطانية ثم لرئاسة مجـلس الوزراء البريطانى بعد ذلك حتى نهاية الحرب وقد امكن لهذه الوحدة ان تقوم بتحديد أماكن عدد كبير من الوحـدات البحرية الالمانية المعادية كما قامت أيضا بفك « كود » عدد كبير من الاشـارات العسكرية الملتقطة ٠

ورصدوا فى مراحل تلك الحـرب محاولات بدائية للاعاقة اللاسلكية على محطات الارسال اللاسلكية الموجـودة على السفن الحربية لكلا الطرفين ٠

● أما عام ١٩١٧ ، فقد كان للصحافة الانجليزية فضل الكشف عن « الادارة



اجهزة الحرب الألكترونية المخصصة للدفاع الجوى محمولة فوق عربات للتحرك بها إلى اية منطقة

رقم ٣٣ » للاســتطلاع اللاســلكى والتجسس وفروعهـا فى السـفارات الانجليزية بالمانيا وامريكا ٠

● كانت هناك مفاوضات سرية بين المكسيك التى أعلن رئيس امريكا الراحل « ويلسون » عـام ١٩١٧ ، أنهـــا العـدو الاول لبلاده ، وبين المانيا وطالبت المكسيك المانيا فى ذلك العام ان تقف الى جانبها فى نزاعها مع امن

■ حرب المستقبل ■

حتى تستعيد أراضيها التى اغتصبتها حكومة واشنطن ٠

● وأخذت المكسيك تستعد لاعلان الحرب على امريكا وهى فى حاجة الى مساندة صديقتها ألمانيا التى مثلها فى هذه المفاوضات « زيمرمان » وزير خارجيتها الذى أيد مطالب المكسيك، ثم اتصل بسفيره فى واشنطن لاسلكيا لجس نبض الخارجية الامريكية ٠٠ ودار بينهما حديث طويل صريح حول هذه القضية ولذا بالصحف الانجليزية تنشر نص الحوار ثم يصرح « لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى للصحف الاوربية بأن الادارة السرية الانجليزية المعروفة « برقم ٣٢ » قد توصلت الى رصد هذا الاتصال !

● وقامت ضجة كبيرة فى الكونجرس الامريكى ، وتطوع « زيمرمان » وزير خارجية المانيا بتاييد القصة فى صحف بلاده ، ولم يجد « ويلسون » مفرا من اعلان الحرب !

● ولقد شرعت امريكا بعد ذلك فى انشاء مجموعة من الاقسام الحديثة للتصنت على سفارات العالم لديها وداخل سفاراتها فى كثير من الدول وبقيت هذه الاقسام تعمل بنشاط متزايد عاما بعد آخر حتى أعلنت أمريكا حل هذه الاقسام عام ١٩٢٩ ، ومحاكمة بعض موظفيها « لاتجارهم » فى المعلومات التى وقفوا عليها خلال عمليات التصنت ٠٠ ثم عادت امريكا بعد فترة بسيطة الى انشاء ادارة مستقلة للتصنت على العالم ، بدأت صغيرة ، ثم نمت قبل بداية الحرب العالمية الثانية بتوسع هائل ، الى أن أصبح مبنى الأمن القومى الأمريكى ثالث مبنى فى العالم يتصنت على العالم !

● تطبيقات الاستطلاع والاعاقة ●

وفى الحرب العالمية الثانية كانت المانيا النازية هى الرائدة الاولى فى استخدام وحدات الحرب الالكترونية واقتصر هذا الاستخدام على مستوى التشكيلات حتى الفرقة المشاة والمدرعة وتبعتها الولايات المتحدة الامريكية التى طورت الحرب الالكترونية تطورا سريعا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كما رصد أيضا اهتمام الاتحاد السوفييتى الكبير بعناصر الاستطلاع والاعاقة الالكترونية خلال تلك الحرب ٠

وبنهاية عام ١٩٥٤ كان هناك من الخبرة العسكرية المتوفرة ما يؤهل للحرب الالكترونية ان تقف على ارض صلبة كسلاح جديد له اساليبه ومعداته ومزاياه العديدة فى معركة الاسلحة المشتركة الحديثة وظهرت طائرات ب ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٥٠ الامريكية المجهزة بمعدات اعاقة الكترونية كما ظهرت طائرات استطلاع الكترونى واستخدمت مستودعات الاعاقة الالكترونية التى تركب فى الطائرات ٠

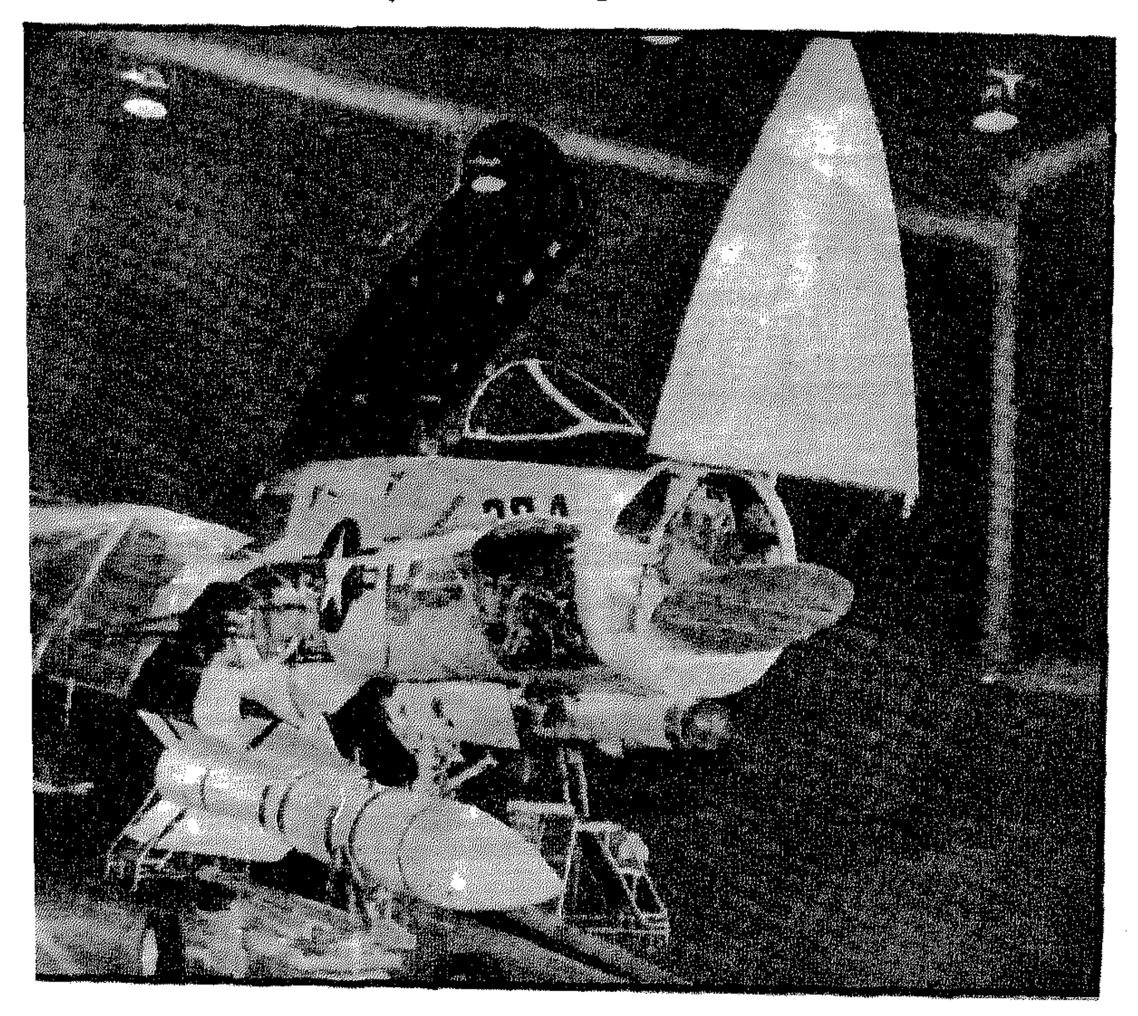
شهدت بداية الستينيات تطورا واضحا وسريعا فى الاستخدامات المتعددة للصواريخ ، ونتيجة لذلك فقد شهدت أيضا تطورا ملاحقا للحرب الالكترونية للتقليل من فاعلية هذه الصواريخ فتم تطوير معدات الحرب الالكترونية داخل الطائرة ب ٥٢ كما جهزت الطائرات التكتيكية وكذلك القواصات بمعدات الحرب الالكترونية كما تم التوسع فى عمليات الاستطلاع الالكترونى باستخدام الطائرات الموجهة بدون طيار وكذلك باستخدام الاقمار الصناعية وبذلك عم

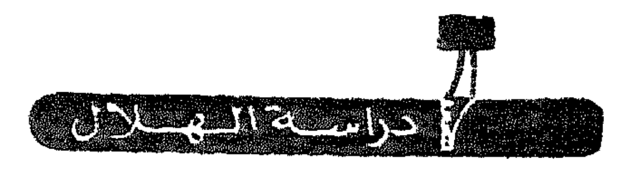
استخدام أساليب الحـــرب الالكترونية مجالات متعددة وكثيرة في اعمال القوات المسلحة للجيوش الحديثة بأفرعهـــا المختلفة البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوى .

● ولقد تسابقت الكتلتان مع نمـو حالة التوتر فى الشرق الاوسط بعـد حرب ١٩٦٧ بين مصر والدول العربية وبين اسرائيـل لاختبـــار النماذج لمراحل السبعينيات فى معـدات ونظـم الحـرب الالكترونية وهو ما تاكد عمليا فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ لدى القوات المصرية ولدى القوات الاسرائيلية ، ثم حرب فوكلاند ـ الارجنتين وقد استخدم الطرفان معـا أنظمة الكترونية غربيـــة ـ انجـليزية امريكية ـ فرنسية ، تم الغزو الاسرائيلى للبنان قرب نهاية ١٩٨٢ ، والمعـــارك الجوية بين اسرائيل وسوريا عام ١٩٨٢ وأخيرا عمليات جرينادا الامريكية عام ١٩٨٤ ، وما بعد ذلك فى افغانستان .

وفى المنطقة العـــربية كانت القوات المســلحة المصرية أول من اســـتخدم الحرب الالكترونية فى شكلها البســيط ما بعد منتصف الخمسينيات عبرقصة مثيرة أجدنى مدفوعا لروايتهـا ... فقد اكتشف احد جنود سلاح الاشارة

معدات وأجـهزة الحرب الالكترونية فى احشاء واجنحـــة الطائرة الحـــربيـــة التى تحمل اسم القط كـــــات ،
أو الفانتوم ١٤ ـ صاروخ هذه الطائرة يبلغ مداه ٢٠٠ ك م





■ حرب المستقبل ■

المصرى فى رفح عام ١٩٥٦ رسالة سرية اسرائيلية باللاسلكى ،كان لها رد فعل خطير ، لأن الرسالة تحدثت عن وقوع هجوم مسلح تقوم به تشكيلات اسرائيلية ضد وحدات مشاة مصرية ، وابلغ الجندى المصرى تلك الرسالة للعقيد - فريق فيما بعد - جعفر العبد وفشل الهجوم الاسرائيلى !.

● وبعد عامين حين نزل الاسطول الامريكى السادس الى لبنان - استطاعت مجموعة خاصة من الضباط المصريين استخدام اجهزة لاسلكية شرقية وغربية للتصنت على ما يدور فوق البحر المتوسط ، وفى نهاية الستينيات قاموا بالمهمة نفسها على الحدود المصرية - الاسرائيلية .

● وفى نهاية عام ١٩٦٢ ، وبداية العمليات الحربية المصرية فى اليمن انشات مصر قسما حديثا للاستطلاع اللاسلكى حمل اسم « صبر » ، وخدم به عدد ليس بقليل من الفنيين المدنيين، ثم انشانا قسما ثالثا .

● وجاء عام ١٩٦٣ ، وثمة تلاحم ايجابى قائم فى تلك الفترة مع السوفييت الذين ارسلوا الى مصر اول كتيبة استطلاع الكترونى للخدمة فى اليمن كدليل على حسن النوايا وهذه الكتيبة لم تحقق الآمال المرجوة لدى القادة والخبراء العسكريين المصريين ، وبينهم عدد كبير من مهندسى الاشارة وعددقليل من ضباط مصر الذين حصلوا على الدكتوراه فى تخصصات الالكترونية غير أن القوات المصرية لم تكن تملك الكوادر الفنية الكافية لتشغيل هذه الكتيبة ، ولذلك بدت بعض الاجهزة الروسيةكالغاز أمام الخبراء المصريين، الذين استطاعوا استيعابها سريعا ، وتبين لهم بعد دراستها ان هذه المعدات صنعت طبقا للنظام الروسى فى نهاية الحرب العالمية الثانية ٤٤ - ١٩٤٥ ، وقد تولى قيادة الكتيبة ضابط اشارة مصرى برتبة رائد وعمل معه خبيران روسيان واستمرا مع مصر حتى نهاية عام ١٩٧٢ .

● ولم تذهب الكتيبة الى اليمن ، بقيت تعمل فى أنحاء مصر على البحر الابيض والبحر الاحمر وسيناء وغزة ، وبمرور الايام امتلكت مصر الخبرات البشرية العسكرية العلمية القادرة على استخدام معدات الحرب الالكترونية المتاحة لهم ، وتدريب الكوادر الفنية من المتطوعين ، حرصت القيادة على نمو قدراتهم عمليا باستمرار .

وفى عام ١٩٦٥ ، استطعنا انشاء كتيبة اعاقة لتتبع الاشارة الى جانب كتيبة الاستطلاع الالكترونى التى انضمت الى اجهزة المخابرات الحربية المصرية، وقامت بدورها فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، حيث النكسة الكبرى فى تاريخنا .

●● قال لى أحد القادة العسكريين المصريين موضحا :

● تشكلت لجنة روسيه مصرية لدراسة كيف نتجاوز الهزيمة وانتهت الى عدة اقتراحات منها انشاء ادارة الحرب الالكترونية ، وانشاء الجيش الثانى والجيش الثالث ، ايضا ، واقتراحات اخرى ..

● قلت لذلك القائد .. اسمع لى بسؤال اعتراضى : لقد تحدث بعض القادة ما بعد ١٩٦٧ عن الحرب الالكترونية وتخلفنا فيها ، كشماعة للأخطاء .. ما تعليقكم ؟

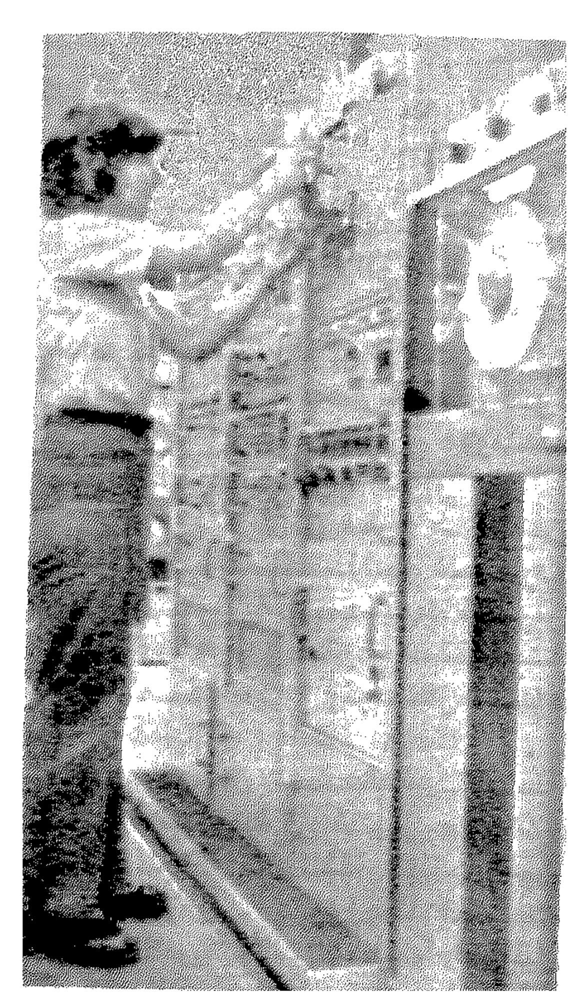
عملوا في صمت بعيد عن كافة الاضواء، حتى تحول الفرع الى ادارة عسكرية تحمل اسم « ادارة الحرب الالكترونية »، وتتبع رئاسة الاركان مباشرة ، وكان لهؤلاء الرجال دورهم في حرب الاستنزاف حتى كثف الاسرائيليون غاراتهم الجوية اليومية على عمق البلاد المصرية وليس جبهة القناة غرب فحسب ، واضطر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أن يطلب الى « موسكو الاشتراك بفعالية اكبر في الدفاع الجوى عن مصر ، ووافق على دخول السوفيت الى بعض القواعد المصرية لحماية العمق وجاء الروس معهم بعناصر الحرب الالكترونية المتقدمة ومعدات الاعاقة ضد الطائرات المعادية ،وجعلوا من هذه القواعد مناطق محظور على المصريين اقتحامها ، ويبقى هذا الوضع حتى خرج الخبراء السوفييت من البلاد قبل نهاية عام ١٩٧٢ بقرار من الرئيس الراحل انور السادات •

● هل حصلت الحرب الالكترونية المصرية على معدات واجهزة متقدمة من دول الغرب في فترة وقف اطلاق النيران والاستعداد لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ؟

●● نعم حصلنا على بعض احتياجاتنا من اليابان وانجلترا والمانيا - واقول « بعض » احتياجاتنا وليس الكثير من احتياجاتنا التي تمثل نظم الحرب الالكترونية المتكاملة •

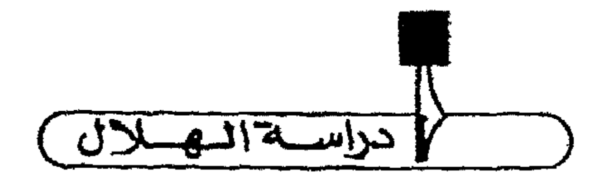
● قيل ان اسرائيل امتلكت الخبرة في العمليات الجوية ولذلك تفوقت الكترونيا في معارك الطيران ••• هل حدث ذلك فعلا ؟

●● ليس سرا انها امتلكت عنصر التفوق في مجال الحرب الالكترونية



فتاة أمريكية تعمل في إدارة أحد العقول الألكترونية ، داخل محطات استقبال معلومات وتوجيه الطائرات الحربية

●● نعم • استخدموها كشماعة للأخطاء كما تقول ، ولكن العجلة اخذت تسير ، وعمل السوفييت على تقديم أجهزة استطلاع واعاقة رادرية متقدمة لحساب الدفاع الجوى المصرى - في مواجهة التفوق الاسرائيلي الجوى في الطيران ، واقيم عام ١٩٦٩ فرع الحرب الالكترونية بقواتنا المسلحة ، تولى قيادته العميد متقاعد حاليا فوزى الوكيل ، وبدأت مرحلة العبور الى تكنولوجيا العصر الحديث ، استنادا الى جهد مجاميع من رجال القوات المسلحة المصرية ، وخبراتهم المتطورة



عبر العمليات الجوية فى بعض الاحيان، وفقدت هذا العنصر فى أحيان أخرى وهى تواجه الطياريين المصريين وعناصر الدفاع الجوى المصرى.. كما انها - اى اسرائيل - تختلف كثير فى مجال الحرب الالكترونية على مستوى الاسلحة البرية والبحرية !

هناك قول قديم يقول : كل خطة فى العالم لها نقاط قوة ونقاط ضعف فى وقت واحد ، واستغلالك لنقاط الضعف لدى خصمك دليل نجاحك ، وهذه هى المعادلة التى يجب أن تتحقق مع استخدام احدث الاسلحة تعقيدا وتحديثا فى كل المعارك الحربية .

● جناح للحرب الالكترونية ●

● كيف تحصل قواتنا على ضابط الحرب الالكترونية ؟ وما هى المؤهلات المطلوب توافرها فى مقاتل « هذا القطاع » من فنون وعلوم الحرب ؟

●● لقد أصبحت الكلية الحربية تضم بين اجنحتها الدراسية جناحا للحرب الالكترونية ، وكذلك الكلية الفنية العسكرية حيث يتخرج فى الكليتين الضابط المهندس ليلتحق بتشكيلات الحرب الالكترونية - بعدها يمكنه الالتحاق بمعهد الحرب الالكترونية، وهو احد الانجازات العملية العسكرية ما بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ - وهذا المعهد يتخرج فيه ضباط أركان حرب تخصصوا فى الحرب الالكترونية وليس سرا ان دول الغرب الكبرى ليس لديها هذا المؤهل العلمى العسكرى العالى - الذى يحصل عليه الضابط المصرى ، كما انه ليس بمنطقة الشرق الاوسط دولة عربية لديها حجم الحرب الالكترونية الموجود لدى القوات المسلحة المصرية، وبالتالى ليس لديها معاهد حرب الكترونية لتخريج الكوادر القيادية فى هذا التخصص من الحرب الحديثة ولذلك قال بعض الخبراء العالميين ان الحرب الالكترونية المصرية تمثل قوة ذات وزن كبير بمنطقة الشرق الاوسط ، استنادا الى نتائج حرب اكتوبر .

● اريد ان اطرح سؤالا عن نسبة استخدامنا للحرب الالكترونية فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ومستوى استخدامنا لمعداتنا .. وكيف مارسناه عمليا ؟

●● لم تقل نسبة استخدامنا للحرب الالكترونية فى أكتوبر عن ٨٠٪، ودخلنا المعركة بكل الثقة الناتجة عن مستوى التدريب ، وواجهنا أحدث المعدات الامريكية التى امتلكتها اسرائيل واحرزنا التفوق بمستوى ساحق فى الحرب الالكترونية اللاسلكية ، وساسوق دليلا واحدا فقط ، وهو سلامة جميع المعابر المصرية ما بين غرب وشرق القناة عدا معبرا واحدا فقط طوال الحرب وهذا يعود الى يقظة الحرب الالكترونية المصرية وكشفها للطائرات المعادية التى حاولت تدمير المعابر على ضفتى القناة ، قبل ان تنجح فى تحقيق أهدافها ..

● واين بلغنا الآن ، بعد ما بلغناه من مستويات فى اكتوبر ١٩٧٣ ؟

●● بايجاز شديد ، أصبح حجم الحرب الالكترونية المصرية اليوم ، اكبر عشر مرات عما كان عليه عام ١٩٦٧ - ١٩٧٣ ، ولا تنس أن مهام هذه الحرب التى تمثل قمة الصراع العلمى بين الجيوش تستمر طوال النهار

والليل في السلم والحرب معا دون أدنى توقف ، فالحرب الالكترونية بلغة بسيطة تعنى التعامل مع كل معدة الكترونية سواء كانت هذه المعدة تعمل في استطلاع قواتنا او تعويقها ، وثمة اجراءات مضادة لابد من تطبيقها باستمرار في مواجهة الاستطلاع الالكتروني الموجه لنا من الدول الاخرى، وهي في بعض الاحيان دول مجاورة وغيره عدوة • وهذا يحدث في انحاء الكرة الارضية •

● يقال ان وكالة الامن القومي الامريكية ثم ادارة المخابرات الامريكية المركزية بلغتا اعلى مستويات استخدام الحرب الالكترونية في العالم •• كيف ترون هذين الجهازين ؟

●● وكالة الامن القومي الامريكية من بدايتها حتى نهايتها تقوم على الاستطلاع الالكتروني ، وهي تحصل على ٧٠ حتى ٧٥٪ من المعلومات الاستراتيجية ـ بينما ادارة المخابرات المركزية تحصل على معلوماتها بالوسائل التقليدية المختلفة وتحصل على ٢٥ حتى ٣٠ ٪ من المعلومات الاستراتيجية أيضا ـ وهذا لا يمنع أن بأمريكا وسائل أخرى للحصول على المعلومات ، وكلما ارتفعت أهمية هذه المعلومات زادت أهمية مصدرها ولذلك نجد الاستطلاع الالكتروني يزداد وزنا وخطورة عاما بعد عام ـ من أجل الحصول في الدرجة الاولى على المعلومات الاستراتيجية ، وقد أصبحت تتطلب الاعتماد بشكل كبير على المعدات الالكترونية •

● وما هي الدول التي تأتي بعد امريكا وروسيا في مقدمة الدول المالكة لعناصر الحرب الالكترونية المتقدمة ؟

●● انجلترا ثم فرنسا فاسرائيل •

● ماذا عن المحطة الالكترونية التي حصلنا عليها قبل سنوات من امريكا فيمنطقة « ممر الجدى » بسيناء ؟

●● لقد اهدت امريكا لنا معدات الاستطلاع الالكتروني داخل مركز الانذار المبكر الذى اقامته بممر الجدى» في سيناء ـ وقام رجالنا بتطوير هذه المعدات وتزويدها بأجهزة أحدث ، وتستخدمها الآن كوادر مصرية •

● وماذا عن المستويات التي استخدمت في الحرب الالكترونية خلال معارك فوكلاند ـ ومعارك اسرائيل في لبنان ؟

●● انها التجارب الجديدة في تطبيق واختبار احدث اشكال عناصر الحرب الالكترونية ، ولقد ظهر انتطورا ضخما في هذه العناصر قد طبق بتوسع يفوق ما جرى استخدمه في حرب ١٩٧٣ ، مما سيجعل الجيوش الكبرى والحديثة تزداد اعتمادا على الحرب الالكترونية كعنصر رئيسى له كل الفعالية في تحقيق النصر •

يبقى بعد هذا الحوار عمل ضخم يتصاعد باستمرار مع تصاعد اجهزة الحرب الالكترونية في العمليات الجوية للطيران ، والدفاع الجوى مثلا ، حيث يرتفع حجم وخطورة مهام التعمية الالكترونية ذات الاشكال المتعددة وامتصاص شعاع الرادار، والتشويش الالكتروني ـ وهي مهام تتصارع فصائل معينة من الرجال حولها مع عنصر الوقت حيث التعامل بالدقائق والثواني لتمام الفاعلية وحتمية حرمان العدو من امتلاك المبادأة او عامل تحقيق المفاجأة نتيجة التفوق الكترونيا !



● السرقات الأدبية ●

● كثرت السرقات الأدبية فى الآونة الأخيرة ، يرتكبها أناس مجهولو الأسماء ، وأمامنا الآن الوقائع الأربع التالية :

الأولى : قصيدة بعنوان (عند الرحيل) نشرت بمجلة الشباب وعلوم المستقبل فى ابريل ١٩٨٢ باسم (ايمان السيد يس) .. نفس القصيدة نشرت مرة أخرى بمجلة سمر اللبنانية فى باب (قارىء يكتب) بتاريخ ٢٢/ ابريل / ١٩٨٣ باسم (حسن غريب احمد)

الثانية : قصيدة بعنوان (غاب فجرى) نشرت بمجلة العربى الكويتية عدد نوفمبر ١٩٨٢ باسم (مصطفى عبد الرحمن) ثم نشرت نفس القصيدة ماعدا المقطع الثالث بمجلة الشباب وعلوم المستقبل عدد نوفمبر ١٩٨٣ باسم (صبرى توفيق أمين)

الثالثة : قصيدة بعنوان (اذا ذكر الحبيب) أمامى الآن نسخة مكتوبة بخط يد باسم (السيد محمد حمص) وأمامى أيضا تسجيل صوتى لنفس القصيدة ملقاة باسم وبصوت المذكور فى احد المهرجانات الادبية وأمامى أيضا تسجيل صوتى آخر للشيخ (عبد الخالق حسين حسبو) يؤكد فيه أن هذه القصيدة ليست للمذكور وأنها قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كتبت منذ حوال خمسين سنة وأنه كان معتادا أن يلقيها فى الاحتفالات الدينية وتحت يدى كتاب قديم لمؤلف مجهول به القصيدة المسروقة .

الرابعة : قصيدة بعنوان (رحيل) أمامى نسخة بخط يد باسم (مهندس / جمال ابراهيم بكر) نفس القصيدة يضمها (ديوان رحيل) للشاعر / عبد الجواد طايل .

انها ظاهرة خطيرة ووباء رهيب يستشرى فى جسد الثقافة العربية دون أن يتحرك أحد للتصدى له .

الأمير كمال فرج

● علم العروض ●

● نرجو من الهلال تخصيص جزء كل شهر لشرح مبادىء علم العروض خدمة للشعراء الشبان الذين لا يعرفونه .. ونرجو تخصيص جائزة

لأحسن انتاج للادباء والشعراء الشبان ، ولتكن الجائزة ـ مثلا ـ كتابا من مطبوعات الهلال ..

ابراهيم خليل ابراهيم يوسف
شبرا الخيمة

ـ لن يستفيد الشعراء شيئا من شرح علم العروض اذا لم يكونوا مطبوعين على وزن الشعر ، وانما يكتسب الشاعر مقدرته على الوزن الصحيح من قراءته للشعر العربى ، بشرط أن يكون لديه استعداد لاستيعاب هذه الأوزان ، وبدون ذلك لن يقيم الأوزان مهما درس علم العروض .. على أن الكتب المؤلفة في علمي العروض والقافية كثيرة ويمكن لمن أراد أن يحصل عليها . أما فكرة الجائزة فهى فكرة طيبة نرجو أن يتاح لنا تنفيذها ..

● الهــــلال ●

عاد الهـلال بلمعة الاشـراق ★ نـورا تلألأ فى دجى الافاق
للســـائلين وكـل لـب ظامـىء ★ يسخو بنبع عطائه الدفـــاق
فى قمة شـماء يومـىء واثقا ★ لمكانـة للفارس السبـــــاق
هذى النجوم الباهتات ضئيلة ★ لما بـدا بضيائه الرقــراق

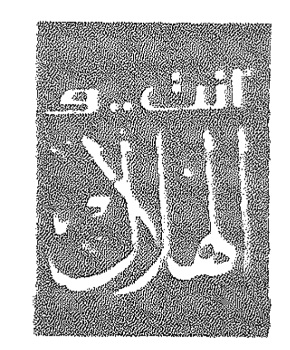


مصطفى الشوربجى

● الصحراء الحديثة ●

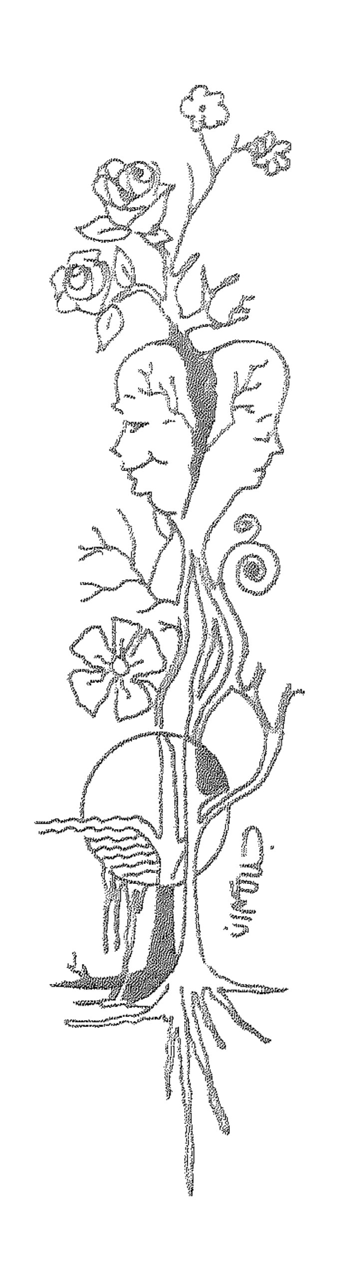
وأمّا اليوم ..
نحن نعيش فى عصر العمارات التى تعلو .
وأما اليوم ..
نحن نموت فى عصر العمارات التى تعلو ..
هى الصحراءُ فـى البنيان
هى الصحراءُ فى الانسان
هى الصحراءُ مـرهقـة
هى الصحراء شـاهقـة
هى الصحراء اذ تعلو ..
تحاول كتم أنفاس الأفق ..
تحاول حجب ألوان الشفق .

د . احمد عامر



● كتابة على أروقة القلب ●

وردةٌ من هوى
وردة من ألق
هاهنا عشك الأزلىّ ، هنا وجهك
الغجرىُ ، هنا
- ياحبيبى
أطرِّز أحلامك المورقات على أضلعى
بدم ...
وهتاف عَبِقْ
أيها الرائق ، المارق ، العاشق ، الواثق
الـرائع ، الجائع
النـائح ، المالح ، الجامحُ ، الجارحُ
الوارفُ ، النازفُ
المـاردُ ، الشاردُ
الصامتُ ، القانتُ
المتخمُ ، المتعبُ المتغلّب ، ذو المدِّ
والجذر ، أنت الجميلُ
الرقيقُ
الحزين الضحوك ، الحبيسُ الجسوُر ،
العجوز الطموحُ
الندىُّ الفقيرُ
القريبُ البعيدُ اليعيدُ ، البعيدُ ، البعيد
الذى لا يغيبُ ...
وصـدرى أفق
وردة من هوى
وردة من ألـق
علّق الآن فى عروة القلب
- ياوطنى -
قطرة من عَرَق .



على منصور
الكويت

● تحقيق سريع جدا ●

● أود أن ألفت النظر الى أن قصيدة "تحقيق سريع جداً" للشاعر/ عزت الطيرى والمنشورة فى "الهلال" عدد أكتوبر ١٩٨٦ ماهى الا المقطع السادس من قصيدة "مقاطع متناثرة من لحن مُنى" المنشورة بمجلة "ابداع" عدد أكتوبر ١٩٨٦ .

وقد يعذر الاديب اذا أرسل نفس العمل لأكثر من جهة للنشر نظراً للظروف الغريبة التى تحيط بعملية النشر فى بلادنا والتى تجعل الأديب أشبه بالمقامر وهو يتقصى احتمالات نشر عمله الأدبى فى هذه المجلة أو تلك .

وعزت الطيرى شاعر نحبه ونحترمه ونتفاعل مع قصائده لما له من خصوصية وتميز . وقد نشر كثيراً فى الدوريات وغير الدوريات ، وطبعت له الهيئة العامة للكتاب ديوانا كما أصدر له المجلس الأعلى للفنون والآداب ديواناً آخر . وأعتقد أنه قد نشر ديوانين على الأقل - بطريقة طباعة الماستر ...

ولكنا لا نملك الا أن نقول له .. من زاوية حبنا لشعره وحرصنا عليه رفقا بنفسك وبأشعارك !



محمد أحمد عبد العال
٩٦ حارة سفيان - عزبة شاهين
المنيا

● المجلات العربية ●

● قرأت مقال الاستاذ عبد الرحمن شاكر فى عدد مايو ١٩٨٦ تحت عنوان "طاح النفط وبقيت الاحلام" ، وكذلك ماورد فى مقدمة عدد سبتمبر تحت عنوان "عزيزى القارىء" ، الذى اشرتم فيه الى فشل انشاء المجلات الأدبية فى الدول العربية البترولية .. وقد ذكر الاستاذ شاكر ضياع الفرص المحققة للعرب اثناء حقبة النفط فى بناء الاقتصاد العربى وتطوير الانتاج الزراعى والصناعى ، وترقية العلوم ، وانعاش الاقتصاد المصرى الذى أنهكته الحروب المتوالية دفاعا عن القضية العربية ، وقيام العرب بدلا من كل ذلك بأعمال مظهرية ، وبذخ جنونى ، وظهور انماط جديدة للاستهلاك تعتمد على السلع المستوردة من الغرب .



وأود ان أقول إن عددا من دول البترول العربية قد استطاعت تحقيق قدر مهم فى مجال التنمية ، وأخص بالذكر السعودية التى بدأت ، تنميتها بالانسان ، فأنشأت المدارس والجامعات ، فكان نصيب حقبة النفط ، انشاء ثلاث جامعات ، وأكثر من عشرة آلاف مدرسة وثلاثة وثلاثين مركزا ومعهدا تقنيا ، ومرافق صحية بها مايقرب من عشرة آلاف سرير .

أما بالنسبة للزراعة فالمملكة حققت مايسمى بالأمن الغذائى ، بل وأصبحت تصدر الحبوب ، والمنتجات الزراعية الاخرى .

وبالنسبة للصناعة فتم تشييد مايزيد على الف مصنع . كما ساهمت فى تعمير مناطق الحرب وماذلك الا واجب ليس فيه فضل .

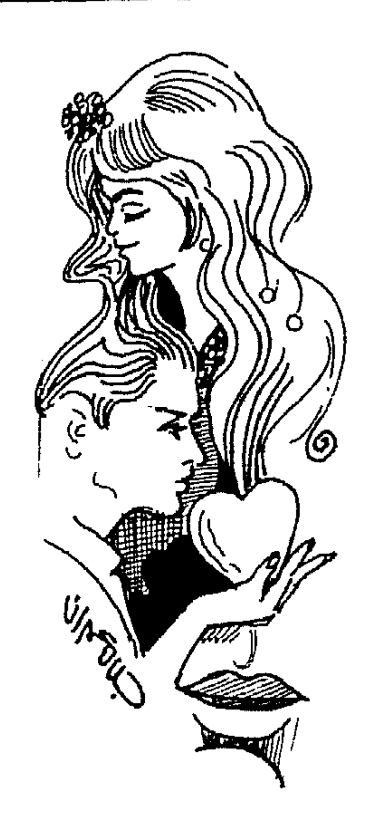
أما الرد على ما اشارت له صفحة "عزيزى القارىء" فأقول ان احتجاب الصحف والمجلات من الأمور المعروفة فى كل دول العالم ، والكاتب نفسه يذكر أسماء المجلات والصحف التى احتجبت فى مصر نفسها . أما ما اشار له الكاتب من أن المجلات "البترولية" قائمة على الرمال ، فهذا غير صحيح ، فالقائمون عليها الآن من صفوة ابناء البلاد ، الذين تخرج معظمهم من الجامعات الشهيرة فى الغرب . ولذا فان هذه المجلات ستبقى ان كانت تستحق البقاء .

خميس أحمد الدوسرى
الرياض

● **تعليق**

ـ كلامنا كان عن مجلات معينة فى احدى دول الخليج وقد احتجبت فعلا ، ولم نذكر شيئا عن المجلات السعودية لأنها ـ بحمدلله ـ مازالت تواصل الصدور ونرجو لها دوام التوفيق .

● سهام الصمت ●



معـذرة ياحـبى الأوحــد
فأنا لا أقصــد أن أفشــى
مـن ســرك شــيئاً
لكنـى أســتلهم ذاتــى
علِّى أدرك أنى صرت الآن
مــراد القــلــب
آه يـا لـلـحــب
يعرف كيف يباغت قلب العاشق
بســهام الصــمــت
لكنى .. ماكنت لأصمت عاشقتى
فــى زمــن البــوح
فـالآن أيـوح بما أخـفـى
فــى عمـق القــلــب
الآن أبــوح بـمـا أخـفـى
الآن أبــوح .

محمد ابراهيم المجريسى
أسيوط

● الأموات والأحياء ●



● لأول مرة أرانى أؤيد كل ماكتبه الأستاذ محمد سيد كيلانى ـ أقصد مقاله فى عدد نوفمبر ـ "وبألف الف ترزق الأموات" فقد مس بكلماته قضية بالغة الخطورة استفحل أمرها ، فليس الاسلام دين الشعوذة كما يتصور خصومه بسبب التصرفات التى اساءت الى العقل الاسلامى فلم يعرف الغرباء عنا ـ كما قال كيلانى ـ الا أننا شعوب المسابح واللحى والرقص فى حركات الذكر ، فتحية للأستاذ ورجاء له بمواصلة العزف على هذا الوتر الحساس قبل أن يأتى يوم نرى فيه واحداً من "اياهم" يجرى فى الشوارع عارياً ليقول :
« أنا ابن الفارض .. أنا ابن الفارض » !!

عمرو محمد عبد الحميد
ساقلته ـ سوهاج







كان يهل على قريتنا
فنغنى
أحيانا كان يهل بوجه نبى
بلورى الطلعة
فضى البسمة ، قزحى
كان يعانق كل الصفصافات
المرتخيات على شباكى !!
فيصحو الشعر الخابى تحت ردائى
يصلصل بالأركان
يدوم بالجدران
يكون لحنا فسفورى
وينقر فوق زجاج البيت
فيبدو الزغب
على ثمرات الخوخ ندى

(٢)

الليل الآن مدينة عشق
لكـن القمـر يغيـب
الليل الآن مدينة حب
لكـن القمـر عيـىٌّ

أحمد جامع نجع حمادى

● مع الأصدقاء ●

● عبد الله السمطى ـ آداب عين شمس :

ـ قصيدتك التى ارسلتها الينا أخيرا بعنوان « حبيبتى وكفى » أحسن من قصائدك السابقة .. ويبدو أنك عصبى بطبيعتك ، ولذلك نعتذر بالنيابة عنك الى أنفسنا والى القراء من رسالتك الغاضبة التى نشرناها لك فى العدد الماضى .. ونحن ننشر القصائد الناضجة بغض النظر عن سن صاحبها وشهرته ولو كنت تتتبع ما ننشره من الشعر لعرفت ذلك ، ولكنك مازلت تجادل .. نسأل الله لك العفو والعافية !.. نرجو أن تكون قصائدك التى تبعثها الينا قصيرة حتى يمكن نشرها ..

● صلاح شاهين ـ كلية التجارة ـ بنها :

ـ قصيدتك "آلامك لذة" .. بعضها موزون وبعضها الآخر مكسور ، ولكن لك شاعرية تبدو واضحة ، فإذا استقامت أوزانك كلها ظهرت شاعريتك فى الشكل المناسب ان شاء الله ..

● **محمد محمود أحمد .. ومحمد بخيت ـ قوص**

ـ أحدكما أرسل الينا قصيدة ، والآخر ارسل الينا مقالا عن صاحب القصيدة ، ولا نرى هذا اسلوبا صحيحا ، لأنه نوع من تقارض الثناء ، ونقول للأخ محمد محمود أحمد إن صاحبك الشاعر "بخيت" قد يكون شاعرا تليفزيونيا على حد قولك ، ولكن هذا الشاعر التليفزيوني لم ينضج شعره بعد حتى ينتقل من ثرثرة الشاشة الصغيرة الى المجلات الأدبية .. ولابد قبل كل شيء من استقامة لغته نحوا وصرفاً .

● **محمود أحمد حرب :**

ـ لا نعرف عنوانك .. قصائدك التى ارسلتها الينا أكثرها ينقصه الوزن واللغة نحوا وصرفا .. حاول أن تجد هواية أخرى ، وليس هذا تثبيطا لهمتك فى الشعر ، ولكن مجرد نصيحة !..

● **محمود على الأزهرى ـ نجع حمادى**

ـ شعركم يدل على شاعريتكم ـ نرجو الاستمرار فى الكتابة الينا مع توضيح الخط ..

● **خالد سعد الدين محمد الصغير .**

ـ لا نعرف عنوانك .. أما قصيدتك "عشقت انتظارك" فلا يعيبها شيء الا بعض الاوزان المكسورة ، فلعلك تتدارك ذلك مستقبلا ..

● **فرج مجاهد عبد الوهاب ـ شربين :**

ـ الكتاب الذين كانوا يراسلون المجلات الخليجية التى احتجبت ، لا يحتاجون الى نداء أو دعوة للكتابة فى المجلات المصرية ..

● **محمد عبد الملك محمد المتولى ـ الجيزة :**

ـ قصيدتكم خليط مدهش من الاقتباسات ومن الشعر المكسور ، ففيه شطرات من شعر قديم وشطرات من عندك ، وكلمات من هنا وكلمات من هناك فى نسق من النظم عجيب .. فما هذا يابنى ؟!..

● **كمال الدين محمود رامز ـ روما ـ ايطاليا :**

ـ نحن نحاول دائما التعريف بالأدباء والشعراء الذين يكتبون فى الهلال ، وسنتوسع فى ذلك ان شاء الله .

● **ونشكر ونعتذر الى السادة : اشرف محمد ابو العز .. رفعت محمد بروبى .. عبد الرحمن محمد أحمد عبد المولى .. أحمد مسعد المرسى .. محمد الحاج ابو ظاهر .. سمير ابو الحمد حافظ .. عاصم فريد البرقوقى .. اسماعيل احمد صالح .. كمال حامد مغيث ..**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

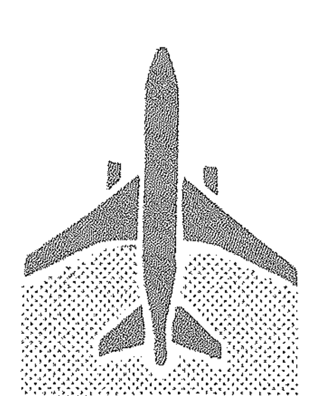
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

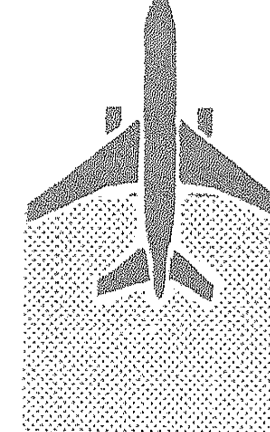
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

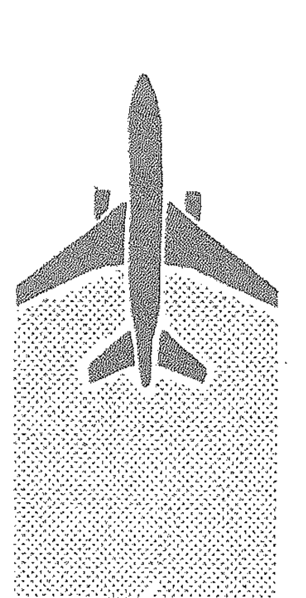
سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			



٢٠ رحلة أسبوعيا إلى
أفريقيا



٨٦ رحلة أسبوعيا إلى
الشرقين الأقصى
والأوسط وبلدان
الخليج العربي



٦٠ رحلة أسبوعيا الى
أمريكا
وأوروبا

ليكن اختيارك الأول ..

مصر للطيران 

مواعيد مناسبة .. خدمة متميزة .. كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات

٨٠ مكتبا لمصر للطيران في جميع أنحاء العالم ترحب بكم

مصر للطيران
دائما في خدمتكم ..

من أقوال الرئيس مبارك

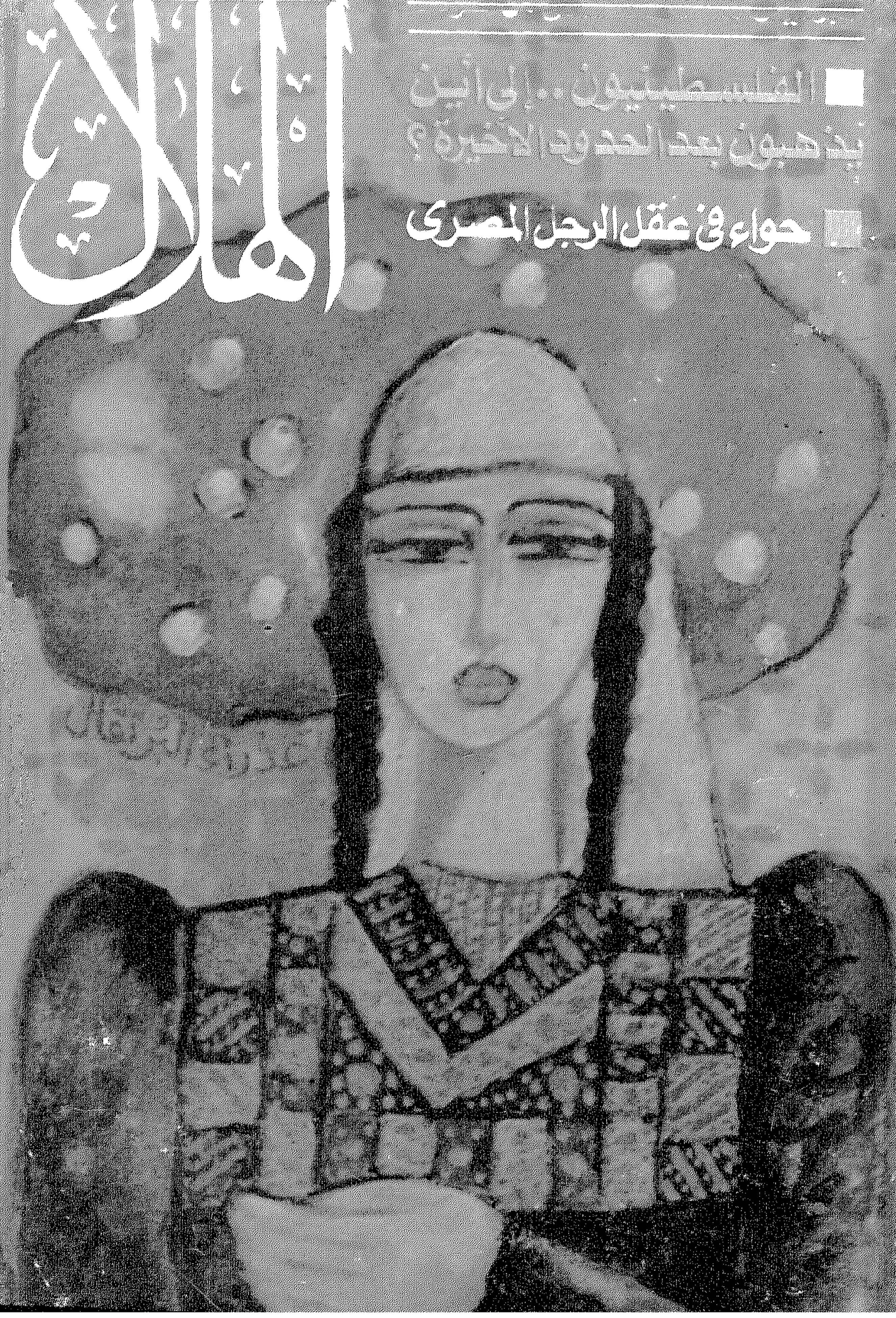
- إن الزيادة الرهيبة فى عدد السكان تهدد كل خطوة للأمام فى التنمية الإقتصادية والإجتماعية

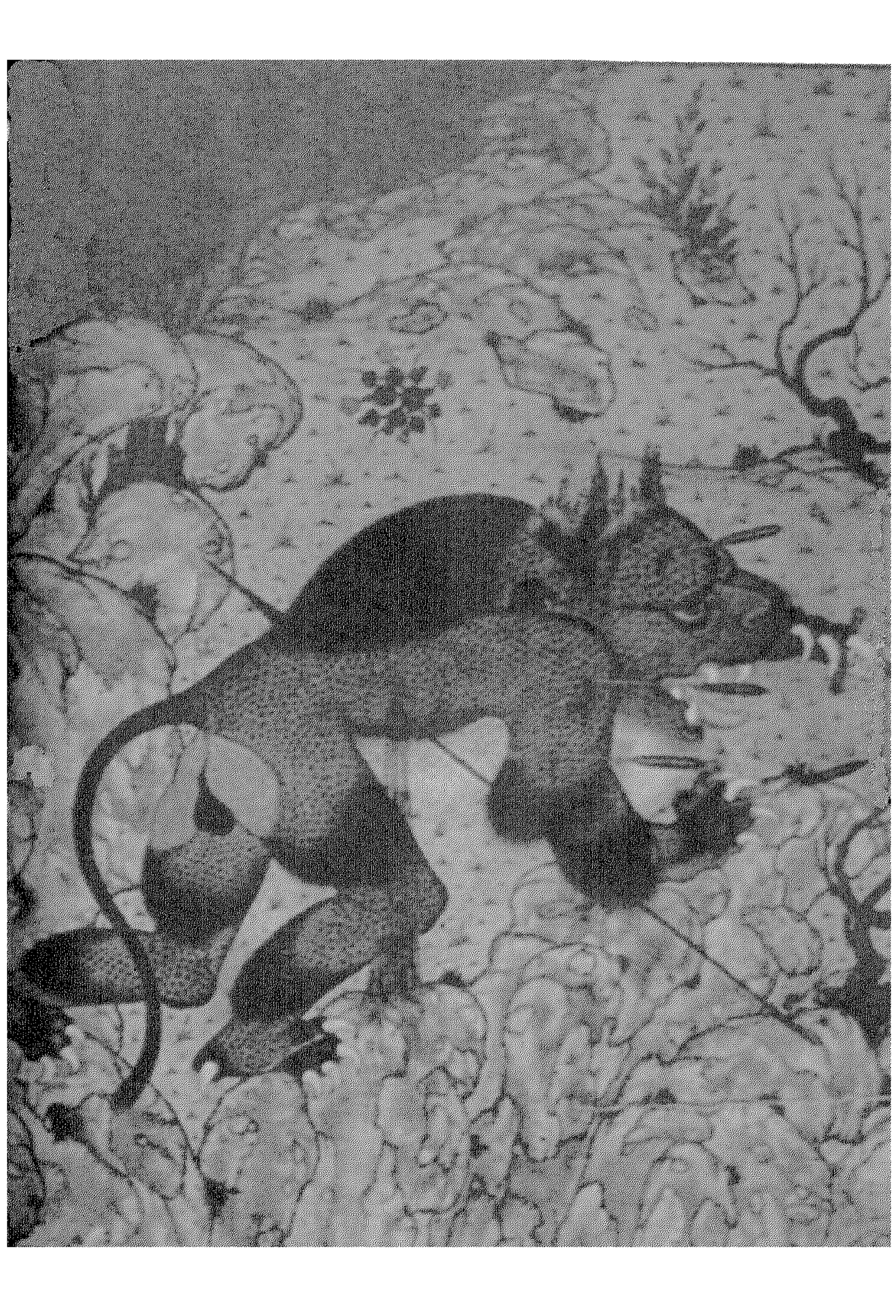
- إن المؤسسات والأجهزة الرسمية لا تستطيع أن تحقق تقدماً ملموساً إلا إذا كانت جهودها مدعومة بوعى الأفراد وإحساسهم بالمسئولية عن تقدم المجتمع ورخائه

- الدولة لا تفرض إختياراً معيناً على أحد فى هذا الشأن لأنها مسألة ترجع إلى ضمير كل مواطن صالح.

عزيزتى الزوجة .. عزيزى الزوج

- إذا قررتما الإتفاق على تنظيم أسرتكما فيمكن لكما التوجه إلى أقرب مركز لرعاية الأمومة والطفولة أو مركز تنظيم الأسرة فى منطقتكم


الهلال
الفلسطينيون.. إلى أين
يذهبون بعد الحدود الأخيرة؟
حواء فى عقل الرجل المصرى



من روائع الفن الإسلامي

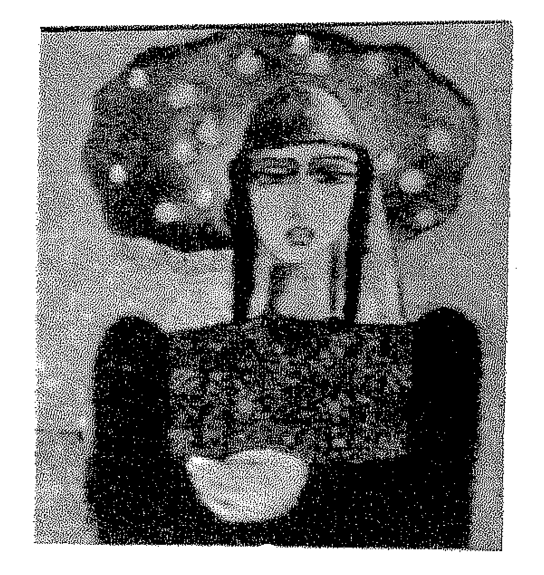
وجد الفنان فى الرسم على السجاد مجالا للتعبير بالألوان والمنمنمات عما يجول فى خياله ..

وهذه لوحة منمنمات بالغة الدقة تمثل حكاية من احد الاساطير الهندية ، تحكى قصة البطل « بهرام » الذى يواجه الوحش ، ذلك الوحش الذى يهدد المدينة وابنة الملك ـ اللوحة من مقتنيات متحف المتروبوليتان .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ اول فبراير ١٩٨٧ م ـ ٣ جمادى الثانى ١٤٠٧ هـ .



لوحة الغلاف الأول
بريشة الفنان
حلمى التونى

هذا العدد

● فكر وثقافة ●



قصة الهلال وكتاب الأيام

تعال بنا ـ عزيزى القارىء ـ نسبح قليلا فى الذكريات ، ونحاول أن نقوم بجولة خاطفة مع الدكتور طه حسين وكبار أدباء جيله .. وصولا الى جيلنا وأدبائه وقرائه ..

منذ ستين عاما تقريبا كان الدكتور طه حسين قد بدأ يكتب مقالات الجزء الأول من كتابه « الأيام » فنصحه أحد أصدقائه ألا ينشرها ، منعا للقيل والقال ، واستدامة للهدوء الذى أعقب انتهاء التحقيق معه حول كتابه « فى الشعر الجاهلى » .. وكان مجلس النواب قبل ذلك قد ناقش الكتاب وقدم احد النواب الاقتراحات التالية :

ـ إحالة طه حسين إلى النيابة العمومية ..

ـ إلغاء وظيفته فى الجامعة ..

ـ مصادرة الكتاب وإبادته ..

فاعترض النائب فكرى أباظة بأن مصادرة الكتاب لاتجوز إلا بحكم قضائى ، فتولت النيابة العامة التحقيق مع طه حسين وعارضت وفندت آراءه خلال هذا التحقيق ، ثم قررت عدم تقديمه



د . طه حسين تالق قلمه علـــى صفحـات الهـــلال

الى المحاكمة ، وحفظ التحقيق نهائيا .. وصودر الكتاب بطبيعة الحال .

وبعد انقشاع هذه السحابة ، أتم طه حسين تأليف الجزء الأول من كتاب « الأيام » بعد أن سافر الى فرنسا مع أسرته ، ليستجم قليلا ، ويستجمع أفكاره .

ولم يكن ممكنا أن يرى كتاب « الأيام » النور أو يسمع به أحد ، أو يقرأ منه قارىء سطرا واحدا ، لولا أن علمت به مجلة « الهلال » فسارع المرحوم إميل زيدان أحد صاحبى دار الهلال حينذاك الى طه حسين فى بيته وناشده ألا يئد هذا العمل الأدبى ، وأن يسلمه مقالاته لننشرها في « الهلال » مقالة بعد مقالة .



وندع طه حسين نفسه يقص عليك ـ عزيزى القارىء ـ هذه القصة ، وننقل اليك كلامه كما سجله فى حديث إذاعى نادر لم تمتد اليه يد « المسح » كما امتدت الى غيره من أحاديثه .. قال طه حسين :

« هذا كتاب لم أدبر تأليفه ولم أفكر فيه ، وإنما دفعت اليه دفعا دفعتنى اليه الظروف القاسية .. ضقت فيها بالحياة فى مصر وضاقت بى الحياة فى مصر .. كان ذلك حين صدر كتاب « فى الشعر الجاهلى » وأثار الازمة التى أثارها ، فتركتها لاقضى الصيف فى فرنسا .. ومع ذلك عندما وصلت الى فرنسا لم استطع ان افر من هذه الظروف ولامن الواقع الذى كان يحيط بى ، فقد كان الضيق بالناس وبالحياة التى يحيونها وبحياتى بينهم يلازمنى دائما ، فلم ار الا وسيلة واحدة للهرب من هذا الضيق ، وهى أن افر من الحاضر الى الماضى ، وللفرار من الحاضر الى الماضى أمليت

عزيزي القارئ

هذا الكتاب .. جعلت أمليه كل يوم ، وأمليه ، لااملى كتابا ، ولكن لأفر من ظروف ضيقة ثقيلة مضنية . وقد اكتمل هذا الكتاب فى اسبوع او اقل من اسبوع ، وجعلته عندى صحفا لاافكر فى نشرها ، ولم يخطر ببالى انها يمكن ان تؤلف كتابا .. ولكن صاحب « الهلال » في تلك الايام جاءني في البيت ملحا عليّ في ان اكتب له طائفة من المقالات ، ففكرتُ في ان ادفع اليه هذه الصحف على انها لون من المذكرات ، واردت ان استشير احد اصدقائى ، فاستشرت صديقي المرحوم عبد الحميد العبادى ، فلما قرأها نصح لى الا انشر هذا الكلام لانه لاينبغى ان ينشر ولم يكتب ليكون منشورا ولكن الحاح صاحب « الهلال » والحاح بعض الاصدقاء فى أن اكتب ، اضطرني ان ادفع الى « الهلال » هذه الصحف فنشرت متتابعة وقرأها الناس ورضى عنها بعضهم ، واذا بعض الناشرين قد اقبل يستأذننى ذات يوم فى ان ينشر هذه الصفحات « نقلا عن الهلال » فى كتاب !.. وابيت عليه هذا كل الاباء ، فلم يحفل بى ، ولم يلتفت الى إبائي وانما نشر هذه الصفحات فى كتاب ، واصبحت ذات يوم واذا الكتاب بين يدى قد ارسل اليّ دون أن اكون قد قدرت لهذا الامر تقديرا .. ثم عندما نشر هذا الكتاب قرىء ورضى عنه الناس او كثير من الناس ، ولست ادرى : ماهذا الحظ الذى اتيح لهذه الصفحات حتى تنال من رضا الناس مانالت ، وحتى تتجاوز اللغة العربية الى عشر لغات اجنبية على الأقل ؟! .. » .

هكذا قدر لكتاب الايام ان يرى النور وكان مؤلفه يقدر له ان يبقى طى الكتمان او طى الظلام كأنه مذكرات شخصية او سرية !..

ولكن صاحب « الهلال » انتزعه من طه حسين بلباقة أبطلت نصيحة صديقه الدكتور عبد الحميد العبادى الاستاذ بكلية الآداب

في ذلك الوقت . وكان الدكتور العبادى يخشى ان يثير كتاب « الايام » زوبعة جديدة تضاف الى زوبعة كتاب « في الشعر الجاهلى » .. وكان طه حسين يرى هذا الرأى ايضا ، ويخشى عواقب نشر « الايام » !..

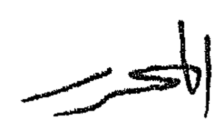
ولكن الأيام نُشرت في الهلال شهرا بعد شهر فأثارت اعجابا شديدا ، ثم جمعت في كتاب قدر له أن يصبح أشهر كتب طه حسين ، ويطبع عشرات الطبعات في العربية واللغات الاجنبية ، وانبثقت منه اعمال درامية في السينما والتليفزيون والاذاعة ، ودارت حوله مئات المقالات والبحوث والرسائل والمناقشات ، وقلده الادباء ، عرفه حتى من لايقرأون ولايكتبون في مصر والبلاد العربية .

إن طه حسين ظل يكتب في الهلال طويلا . وهو واحد من مئات الاعلام الذين تألقت اقلامهم وأفكارهم على صفحات الهلال خلال بضعة وتسعين عاما ، وتتابعوا على صفحات الهلال جيلا بعد جيل ، من أدباء وشعراء ومفكرى مصر والبلاد العربية قاطبة ..

وهاهو ذا « الهلال » الان ، بعد شوط حافل طويل جدا ، يقارب قرنا من الزمان ، مازال على عهده الوثيق مع ادباء البلاد العربية ومفكريها وشعرائها وفنانيها ، يقدم ثمرات اعمالهم الناضجة شيوخا وشبابا ، رجالا ونساء ، من مختلف الاتجاهات ، بلا تفرقة ولاتغليب اتجاه على اتجاه ، الا الاتجاه الوطني والعروبى والاسلامى العام ، في مناهضة لاعداء أمتنا وعلى رأسهم الصهيونية والاستعمار العالمى ..

إن الأجيال في « الهلال » تتعاقب ، كل جيل يسلم الراية للجيل التالى .. والحياة تمضى ، ولاتتوقف ابدا ، والهلال يطلع في الافق كل شهر ..

إن « الهلال » هو رسالة الاقطار العربية بعضها الى بعض ، وهو ايضا رسالة الاجيال العربية من جيل الى جيل !



أوهام عربية حول جائزة نوبل

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

كتب برنارد شو ، الذى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٢٥ يقول :
((يمكن ان نغتفر لنوبيل انه اخترع الديناميت ، ولكن شيطانا فقط ، فى صورة انسان ، يمكن ان يخترع هذه الجائزة)) ، فهى تثير كل عام عاصفة حادة من الحوار ، هجوما ودفاعا وتبريرا ، عن احقية الذى نالها او الذين لم يحصلوا عليها ، ومع ذلك فلا هجوم الكاتب الايرلندى الساخر ، ولا رفض الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر لها فيما بعد ، استطاع ان يمس هيبتها . انها – أردنا ام لم نرد – جائزة بالغة السمو فى تكريم العبقرية ، واوضح دليل على نبل الانسان حين يريد أن يكون نبيلا .

وموقف العرب من الجائزة يتراوح بين الحسرة والاحباط والاحساس بالمرارة ، وينتهى باتهام السويديين ، والقائمين على الجائزة ، بانهم يكرهون العرب سياسيا ، او عنصريا ، وكل ذلك بعيد عن الصحة ، وثمة خلط ينبغى ان نكون على بينة منه لنحسن تقييم المواقف على الاقل ، ومواجهتها على نحو صحيح .

أما ان السويديين يشعرون بعقدة العظمة فأمر لاشك فيه ، واما انهم يتعصبون ضد العرب وحدهم ففيه شك كبير ، ان لم يكن بعيدا عن الحقيقة تماما .

بين التقدم والتخلف !

فالسويديون يواجهون واقعيا مشكلات السعادة وما تحمله معها ، على حين يواجه غيرهم مشكلات



د . طه حسين . جمال النتر فى طريقه الاداء الشفوى





صمويل بيكيت يالهى . اية مصيبة هذه

توفيق الحكيم لم يقم صلة تاديب فى باريس

المتخلف وما تأتى به ، وهم فى ذلك يرون انفسهم اكثر تقدما من غيرهم ولكنه احساس بالعظمه لا يذهب بهم الى حد التعصب العرقى البغيض ، فيتخذون من قوم موقفا ما لمجرد أنهم بيض او صفر او سود ، او من اوربا أو افريقية أو آسيا أو أمريكا اللاتينية ، واتهامهم بهذا ، او ان الصهيونية وراء حجب الجائزة عن العرب ، وتوهم البعض انه يمكن ان ينالها بمساعدتهم، هروب من الواقع، واستكانة الى وهم مريح ، نعلق عليه نقائصنا وعيوبنا ، ثم نواصل الاسترخاء •

حتى الان ، فيما ارى ، لم يحاول أحد أن يدرس الامر موضوعيا ، او يلقى على القضية بصيصا من الضوء، بعيدا عن التشنج والانفعال او يوضح لنا بعضا من الحقائق التى تفسر لنا الواقع تفسيرا علميا ، بعيدا عن التبرير العاطفى ، وهو لا يثبت أمام اى تفكير سليم •

لم يسأل احد نفسه : من الذى يختار الفائز ، وكيف تتم عملية الاختيار ؟

تتولى الاكاديمية السويدية فى استوكهولم اختيار الفائز فى جائزة الادب ، وتتألف من ثمانية عشر عضوا لمدى الحياة ، اعمارهم وقورة. ويختارهم الاعضاء انفسهم من بين أبرز الادباء السويديين منهم فيلسوفان ، ومؤرخان ، وثلاثة مختصون بلغات الشمال ، وامرأة واحدة فقط ، وليس ذلك وحده الدليل على تقدم الرجل على المرأة فى هذا المجال ، فبين الذين نالوا الجائزة على امتداد تاريخها الذى تجاوز ثلاثة ارباع القرن لا يوجد غير ست سيدات فى مواجهة ثمانين رجلا •

● لا يعرفون العربية

بين هذا المجمع من اعضاء الاكاديمية السويدية من يجيد اللغة الاسبانية او الفرنسية او الايطالية او الانجليزية او الالمانية او البولونية او الروسية أو اللغات السلافية الاخرى ، (طبعا ليس بينهم من يعرف العربية) ، ومعنى هذا ان قراءتهم لكل هذه الاداب تتم مباشرة وليس عن طريق الترجمة ، ولم ينل احد بعد الجائزة خارج آداب هذه اللغات التى يعرفونها • وعادة يتلقى العضو المتمكن من لغة ما كل ما يصدر فيها، شراء او هدايا من المؤلفين انفسهم

أوهام عربيّة حـول جائـزة نـوبـل

وكثيرا ما تربطه بهم ، او بعدد منهم لا بأس به صلات شخصية عن طريق التلاقي او المراسلة ، وهـو الذي يتقدم باقتراح من يراه اهلا في اللغة التي يجيدها ، ويخوض المعركة دفاعا عن رأيه ، وقد يستعين في اقناع رفاقه من بقية الاعضاء بترجمات لهذه الاعمال في لغات اخرى ·

يصف لنا جبرييل غرسية مركيث في مقال كتبه عام ١٩٨٠ ، كيف زار قبل ذلك بسنوات الكاتب والشاعر السويدى آرتر لوند كفيست من أعضاء الاكاديمية ، والمتخصص في الاداب الاسبانية ، فوجده عجوزا يفيض فكاهة وشبابا ويسكن بيتا بالغ التواضع ، محال ان يظن من يشاهده ، ومن يقنع بالظاهر فحسب، ان على ارادة ساكنه يمكن ان يتوقف اى قرار ·

ويصف لنا الكاتب الكولومبى كيف تناول معه عشاء سويديا تقليديا ، يتكون من لحم بارد وبيرة ساخنة، وكيف انتقل الى المكتبة ليتناولا فيها القهوة ، وهناك ظل مندهشا للحظات، فمن المستحيل ان يوجد هذا القدر من الكتب الاسبانية ، بعضها رائع وبعضها جيد او سقيم ، خارج العالم الاسبانى ، وكلها تقريبا مهداة من مؤلفيها ، احياء يأملون في الجائزة او ماتوا وهم ينتظرونها· ثم أهداه كتبه ومضى ·

ويعد اعوام خمسة من الزيارة والاهداء نال مركيث جائزة نوبل مع انه ينتمى الى بلد متخلف امامه مائة عام يقطعها لكى يبلغ حاضرنا الذى نمله ونشكو منه ! ·

● سر غامض !

كيف يتداول اعضاء الاكاديمية ويتفقون او يختلفون ؟ · وما هى الاتجاهات الحقيقية التى تحدد اختيارتهم · ذلك احد الاسرار الاشد كتمانا وغموضا في حياتهم وعصرنا ، ورأيهم لا يمكن توقعه دائما ، او حتى كثيرا ، وقراراتهم سرية وبالاجماع ، واذا لم نقل جادة تماما ، وعادلة دائما ، فيمكن القول انها في اسوأ الاحوال تتجاوز كل التنبؤات ·

لا أحد مثلها يشبه الموت ، كلاهما يأتي على غير توقع او ميعاد ·

الشائع بين النقاد العالميين ان الاكاديميين السويديين يتفقون على المرشحين في مايو ، ويدرسون اعمالهم في الصيف ، حيث تذوب الثلوج ، ويعلنون قرارهم في اكتوبر، وكثيرا ما يفاجأ بها المرشح نفسه وعندما منحت للكاتب الايرلندى صمويل بيكيت عام ١٩٦٩ ، وابلغوه القرار بالهاتف رد صائحا : « يا الهى ، أية مصيبة هذه ! » واما بابلو نيرودا ، ونالها عام ١٩٧٢ ، وكان يعمل سفيرا لوطنه في باريس، فعرف بها من رسالة سرية تلقاها من الاكاديمية قبل اعلانها بثلاثة ايام ·

واحيانا تأخذ الاكاديمية في الاعتبار مواقف الكاتب السياسية ، ففى عام ١٩٧٦ كان الكاتب الارجنتيني خورخى لويس بورخيس من ابرز المرشحين لها ، واستقر عليه الرأى تقريبا ، وقبل اعلان النتيجة بشهر واحد زار الكاتب في احتفال كبير دكتاتور شيلى الجنرال

بينوشيت ، وخطب أمامه : « انه لشرف لا استحقه ان تستقبلني يا سـيدى الرئيس » ، وتابع القول : « فيالارجنتين وشيلى وأورجواى (والدول الثلاث تحت حكم عسكرى طاغ) أنقذتم الحرية» و « يحدث ذلك في قارة غارقة في الفوضى وتخنقها الشيوعية » ، ومن يومها اختفى اسمه من قائمة المرشحين نهائيا ولـم ينلها الى ان توفى هذا العام ، ولم يجده نفعا دفاع محبيه وأصدقائه عنه . انـه كان يسخر ، ولم يرد بالكلمات مضمونها الحقيقى ، واختير بدلا منه عـلى عجل الكاتب الامريكى ساؤل بلو ، رغم انـه دونها بكثير باتفاق كل النقاد .

واختلفت مواقفها من الاتحـاد السوفييتى ، وأول جائزة نالها روسى كانت للشاعر ايفان بونين عام ١٩٣٣ ولم يثر الامر يومها أية مشكلة ، لانـه حصل عليها مهاجرا يقيم فى باريس وأما عندما منحتها للشاعر باسترناك عام ١٩٥٨ ، فى أوج الحرب البـاردة بين الشرق والغرب ، وأحاطتها أجهـزة الاعلام لغربى بأنها جاءتهتقديرا لموقفه من الحياة السياسية فى وطنه ، ولم يكن الواقع كذلك ، وغاية ما فى الامر أنـه ضمن بعض اعماله نقدا لما يجرى حوله، ولم يمنعه أحد ، ونشرت أعماله هـذه فى الاتحاد السوفييتى نفسه ، ولـكن الدولة ضاقت بالامر فعلا ، وانزعجت أن يتحول شاعر كبير فى وطنه الى سلاح فى يد الاعداء ، ولو على غير ارادتـه واحس باسترناك انه اذا ذهب لاخـذ الجائزة فقد لا يسمح له بالعودة الى وطنه ، وكان حريصا على ان يبقى فيه فاعتذر عن قبولها فى شموخ وكبرياء

وفى عام ١٩٦٥ منحت الجـائزة للكاتب الروسى ميخـائيل شخولوف صاحب رواية « نهر الدون الهادىء » وكان أديبا ملتزما رغم استقلالية تفكيره، ومن هنا تلقت الدولة والحزب والشـعب تكريمه العالمى فى بهجة واعتـزاز واعتبـروا ذلك تقـديرا دوليا للأدب السوفييتى .

وبعدها بأعوام خمسة منحت للروائى الروسى ألكسندر سولجينيتشين ، ورغم انه بدأ حياته الادبية كاتبا مقتدرا ، وفى وطنه نفسه،لميستطع ان يحمى مقدراته من الاعيب المخابرات الاجنبية ، وشـمت فيه رائحة تطلعات برجوازية ، فسلطت عليه أجهزة الاعلام المختلفة تلاحقه من كل جانب : أعماله تترجم الى لغـات أجنبية عديدة ، وتنشر على أوسع نطاق، وتتحول الى أفلام سينمائية، وتليفريونية، ويتناولها النقاد المشبوهون بالتحليـل والتعظيم ، ويتدفق عليه مقابل ذلك كله سيل من الدولارات ، تصله فى وطنـه او توضع سرا باسمه فى بنوك الغرب وخلال ذلك كله تركز على ما فى أعمـاله من نقد لوطنه ، تضخمه وتهوله ، وانتشى الكسندر بكلهذا، ونسى وطنه،وخيرته الدولة بين ان يكون وطنيا نيعرض عن هذا المجد المسموم ، ويبقى فى بلده أو يذهب الى تسلمها ، وساعتها عليه أن يبقى هناك .

واختار الجائزة ، وذهب فعـلا ، ولم يعد الى وطنه .

ويومها غرق فى طوفان الاعـلام والدولارات ، وأسكرته الشـهرة والثروة فلم يتردد فى ان يشـتم وطنه ، وتصور أن هذا المجد دائم ، ولـكن ما أن ادى دوره حتى بدأوا يبحثون عن غيره ، واخذت أضـواء الشهرة تنطفىء حوله ، وبعد عـام واحد ذهب الى الولايات المتحـدة فلم يعره احد اهتماما

● حلم الكاتب

جـائزة نوبل حلم كل كاتب يحب مهنته ويقدرها .

أوهام عربية حول جائزة نوبل

ولكن كثيرين من اعظم كتاب هذا العصر ماتوا دون ان يحصلوا عليها . مثلا : تولستوى الكاتب الروسى ، وروايته الحرب والسلام اعظم ما كتب فى نوعها ، توفى عام ١٩١٠ وله من العمر اثنان وثمانون عاما ، وروايته تحمل خمسة وأربعين عاما من المجد ، واعيد طبعها مئات المرات وترجمت الى كل اللغات ، ولا يشك ناقد فى انها كتبت لتقرأ الى الابد ، منحت فى حياته لاحد عشر اديبا وتجاوزته وواحد فقط من الذين منحوها اذ ذاك لا يزال الناس يذكرونه ، وهو الشاعر الانجليزى رديارد كبلنج ، اما اول أديب حصل عليها ، وهو الشاعر الفرنسى سيلى برويدوم ، وكان مشهورا جدا فى زمنه ، فلم يعد يذكره الان احد ، ولا توجد كتبه الا فى المكتبات المتخصصة جدا ، وحتى الموسوعات الفرنسية لا تقدم له الا تعريفا موجزا ، فهى تقول عنه : « كان عضوا بالاكاديمية الفرنسية ، وتعالج قصائده مشكلات الضمير أمام التطور الحديث ، وهو نموذج حديث للعبث السلمى المفيد ، وللابتذال العظيم » .

ومات كتاب عظام باعتراف الجميع ولم يحصلوا عليها ، وهم افضل بكثير ممن نالوها على ايامهم ، مثل كافكا وبروست ، ولو ان

● وماذا عن العرب ؟ ،

فى ظنى انهم لن ينالوها مادام ادبهم لا يبلغ أعضاء الاكاديمية نفسها ، ووصوله يمر عبر طريقين ، احدهما ثقافى والاخر اجتماعى .

اما الثقافى فأداته الترجمة ، ونحن فى « هيصة » النقد الصحفى نعيش وهما كبيرا : ان أدبنا مترجم ومعروف ، والحقيقة شىء مختلف تماما !

يمكن ان نقول عن « ألف ليلة وليلة » انه مترجم فعلا ، لانك تلتقى بحكاياته فى كل الاداب العالمية ، وفى ترجمات عديدة فى اللغة الواحدة ومن مستويات متفاوتة ، للكبار والصغار ، وفى طبعات شعبية واخرى أنيقة ، ومزينا بالرسوم واللوحات لكبار الفنانين احيانا ، ولا تكاد تخلو منه مكتبة مثقف اوربى ، واعضاء الاكاديمية السويدية من بينهم ، وبالمقابل اجزم انهم لا يعرفون شيئا عن الادب العربى المعاصر .

لكى تصبح الترجمة أداة توصيل فعالة ينبغى ان يقوم بها اديب فى لغته ، فالترجمات التى يقوم بها المستشرقون ، فى جملتهم ، واساتذة اللغات الاجنبية فى الجامعات العربية ليست لها قيمة ادبية ، ولا يتجاوز صداها عالم المؤلف والمترجم الضيق ، **اذ ليس كل من يعرف لغة أديبا فيها ، ومثل هذا الجهد لا قيمة له ، والمال الذى ينفق فيها ضائع هدرا .**

ان الذى ترجم شكسبير الى الاسبانية هو الشاعر الاسبانى الكبير خوان رامون خيمينيث ، وهو جائز على جائزة نوبل فى الادب ، والذى ترجم ألف ليلة وليلة ، هو الروائى الاسبانى العالمى بلاسكو ايبانيث . والذى ترجم ادجار الن بو الى الفرنسية هو الشاعر الشهير بودلير ،

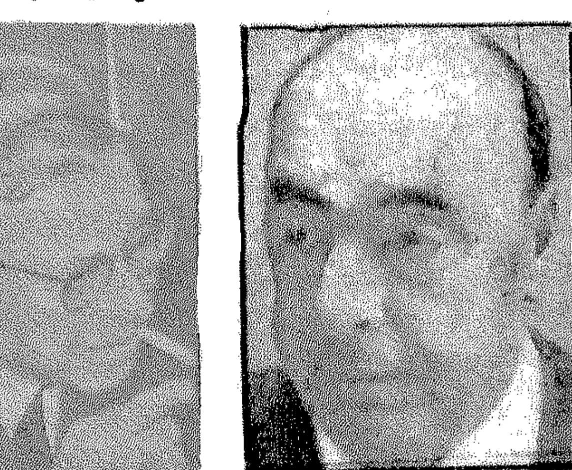
ومن هنا تأخذ هذه التراجم طريقها الى الجمهور ، ويقبل عليها واثقا وراغبا ·

أما ترجمات المستشرقين للادب العربى فتتم لاغراض تربوية ، أو سياسية ، او نفعية خالصة ، وتوزع هدايا ، ولا تتجاوز الغاية منها التعرف الى اخلاقنا وطباعنا ، وحركة الحياة فى بلادنا · وبعض دور النشر الصغيرة ، والكبيرة احيانا ، تنشر تراجم لطغاة العالم الثالث ، مقابل اموال طائلة تدفع لهم ، ولكى تستر هذه العمالة بورقة توت ، تنشر ترجمة لهذه الرواية أو تلك ، وعادة تكون لكتاب الطبقة الثانية وما دونها ، لان الادب كلما سقط وغث وتفه كان اسهل فى الترجمة ، ولن تعدم لها مشتريا فى بلاد العالم الثالث نفسه ، واحيانا لا تستهدف بها القارىء الاوربى ، وانما غايتها القراء فى البلاد العربية الذين يتكلمون اللغات الاجنبية ، او العرب الذين هاجروا الى البلاد الاوربية والافريقية ·

وسوف اضرب لذلك مثلا واحدا يغنى عن كثير ·

لا يمارى أحد فى ان طه حسين اديب كبير بكل المقاييس ولا يشك أحد ممن يعرف الاسبانية ان غرسية غومث مستشرق كبير ، واديب عظيم فى لغته ايضا ، ومفكر من الصف الاول ،وكاتب صحفى مرموق ، وعضو عامل فى كل المجامع الاسبانية وهو يجيد العربية ، ان لم يكن كلاما ففهما وتذوقا ، وقدرة على الترجمة ، ويعرف مصر جيدا ، وتتلمذ على طه حسين فى الربع الاول من هذا القرن ، حين جاء القاهرة دارسا واقام فيها زمنا · وترجم العديد من التراث الاندلسى العربى الى اللغة الاسبانية ، الى جانب ابحاث اخرى كثيرة ، جادة وعميقة ومتنوعة ·

وفى اواخر الاربعينيات كانت اسبانيا تحاول كسر حدة الحصار الذى ضربه الغرب حولها لتعاونها مع المحور فيما يدعون ، فبدأت تغازل الولايات المتحدة خفية ، وتدعم صلاتها بالدول العربية ، وجاء وزير خارجيتها مرتين أرتاخو الى القاهرة ليؤكد على الصداقة بين الدولتين ، ومعه غرسية غومث ، مدير المعهد الاسبانى العربى ، وأستاذ اللغة العربية فى جامعة مدريد ومستشار الشئون العربية فى وزارة الخارجية، وكان يجمع بين هذه المناصب



بابلو نيرودا
عرف بالجائزة سرا



جان بول سارتر
رفض الجائزة



وول سوينكا فاز
بجائزة نوبل هذا العام

أوهام عربية حول جائزة نوبل

الرسمية الثلاثة ومناصب أخرى ، ولقى غومث أستاذه طه حسين ، فجدد ذكرياته ، ودار بينهم اكثر من حديث وحوار ، وطافا معا الامكنة القديمة التي وردت في كتاب الايام .

ثم اصبح طه حسين وزيرا للمعارف، ودعى الى اسبانيا ،ومنحته جامعة مدريد درجة الدكتوراه الفخرية ، ومبالغة في التكريم قام غومث بترجمة كتاب الايام الى اللغة الاسبانية ، وصدرت الطبعة عام ٥٤ وبعدها بأعوام ثلاثة جئت الى مدريد طالب بعثة ، ويمزق سمعى صدى الزعيق الصارخ عن ادبنا المترجم ، وان كتاب الايام مترجم الى كل اللغات بما فيها الاسبانية ، وليس افضل للتدريب على لغة أجنبية من ان تقرأ في البداية كتابا مترجما اليها تعرفه ، وقرائته في اللغة الاصلية

ومضيت أبحث في اصرار عن ترجمة الايام الى الاسبانية ، وكانت خيبة املى كبيرة ، ذلك ان أيا من المكتبات ودور النشر ، كبيرة او صغيرة ، لم تسمع بالكتاب او المؤلف ، فضلا عن ان تعرف له ترجمة .

واتصلت بالمترجم نفسه ، فابتسم ابتسامة صفراء ، لم أدرك يومها كنهها ، وخرج عن لا او نعم . تجاهل سؤالى ولم يجب .

ثم اهتديت اخيرا الى ان الكتاب لم ينشر في مدريد العاصمة السياسية ولا في برشلونة العاصمة الطباعية ، وانما نشرته دار مغمورة في مدينة بلنسية ، ودفع نفقات طبعه معهد بلنسية دى خوان ، وسعيت الى المدينة ، وحصلت على نسخة من الكتاب مجانا ، لان المعهد لا يبيعه وانما يهديه .

جاء اخراج الكتاب بديعا ، فهو مطبوع على ورق صقيل ، ومجلد تجليدا فاخرا ، وعلى جلدته غلاف من ورق « الكوشيه » طبعت عليه صورة طه حسين ، والترجمة دقيقة وأسلوب الكاتب ـ كالعادة ـ اكثر من رائع ، ولو ان الاسبان انفسهم يتهمونه بانه ترجمة عن الترجمة الفرنسية ، والترجمة عنها اسهل لان بناء الجملة واحد فيهما ، واظنه استعان فقط بالترجمة الفرنسية ، ولكن النص العربى كان امام ناظريه ايضا .

طبع من الكتاب في ترجمته الف نسخة فحسب ، ورغم مضى اكثر من ثلاثين عاما عليها ، وشهرة غومث الواسعة كاتبا ، وان كل مؤلفاته ، حتى ما كان منها للمتخصصين فحسب كأبحاثه عن الموشحات مثلا ، نشرت في طبعات شعبية ، فانه لم يفكر ، ولم تفكر اى دار للنشر في اعادة طبعه ، او ترجمته ثانية ، او نشره في تلك السلاسل التى تطبع الكتب فيها بعشرات الالاف .

واعتقد الان ان غومث ترجم الكتاب مجاملة شخصية لاستاذه ، ولم يكن مقتنعا به نصا ادبيا يجذب القارىء الاسبانى العادى ، وعبر عن ذلك في المقدمة الاسبانية التى كتبها للكتاب ، في ذكاء شديد وخبث اشد ، يقول :

« اذا كنت قد اقدمت على ترجمة « ايام » طه حسين ، فاننى لم افعل

ذلك استجابة لطلب احد الناشرين ، ولم افعله لان ضرورة عملى تقتضيه، او لمجرد القيام بعملية اليه لا روح فيها ، وانما حفزنى الى ذلك الود الذى يجمعنى وصاحبها ، فصلتى به ترجع الى اكثر من ربع قرن ، ما بين تلميذ له اولا ثم صديق بعد ذلك ، وحفزنى عليه كذلك الحب الكبير لهذا الكتاب الذى يثير فى خاطرى ذكريات كثيرة ، (وقد ترجمت الكتاب كذلك لاننى اعتقد ـ لاسباب كثيرة ـ انه من الكتب التى ينبغى ان يعرفها الجمهور الاسبانى ، ولكنى اقول هذا بين قوسين ، لان احدا لن يشكرنى عليه) .

وهو يرى ان جمال نثر طه حسين يرجع الى طريقة الاداء الشفوى العربى ، ولان طه حسين لايكتب ، وانما يتحدث ، تكررت بعض عباراته فاختصر هذا التكرار بعض الشىء فى اللغة الاسبانية ، ومع ذلك فهو يرى القارىء الاسبانى اعمى فى هذا الكتاب ، كمؤلفه تماما ، لايتبين طريقه الى الفهم الا بعناء ، يقول :

« عندما يأخذ طه حسين بأيدينا فى كتاب الايام ليمضى بنا فى طرقات مغاغة أو شوارع القاهرة ، وعندما يصعد بنا سلم الربع أو يسير بنا بين حلقات السماع فى الازهر ، تجد انفسنا تسير على غير هدى من البصر مثله . فنحن لم نر قط ترعة الابراهيمية ، ولاكتاب سيدنا ، ولاحارة الوطاويط ، بل اننا نتعرف اليها كما تعرف اليها الكاتب نفسه ، فنسير وأيدينا ممدودة الى الامام نتحسس منعطفات الجدران ونتوءاتها لنعرف ماذا كنا ننحرف يمينا او شمالا ، ونمضى واقدامنا مرهفة الاعصاب متأهبة لاتباع مرتفعات الطريق ومنخفضاته ، بل اننا ندرك الموضع الذى تاكلت فيه حصيرة الجامع عن طريق الاحساس بنعومة الرخام وبرودته . وهذا ينطبق على الاشخاص ايضا : فنحن لم نر ـ وان نرى ـ سيدنا ، ولاطلاب الربع ، ولا شيوخ الازهر ، ونحن لانعرف ملامحهم ولا الوان ثيابهم ، بل نحن ازاء هذا كله مثل طه حسين تماما .

ولا اظن شعور بقية القراء الاوربيين ، فى الترجمات الاخرى ، بأفضل حالا من الاسبان ، ويساويهم فى هذا المصريون من غير ابناء الريف ! .

واذا كان هذا هو حال طه حسين فى أشهر كتاب له ، وفى ترجمة يقوم بها غرسية غومث ، فما بالك بأنصاف الادباء والمتشاعرين ، ومن يكتبون أدبا فى طعم « المخللات » ، ومع ذلك يتحدثون عن عالمية أدبهم الذى ترجم الى العديد من اللغات .

ولكن ذلك لايعنى أن الادب العربى المعاصر خال من شوامخ تعدل ، وحتى تفوق ، بعض من حصلوا على الجائزة ، فما يكتبه نجيب محفوظ فى الطورين الثانى والثالث من ابداعه ، وشعر نزار قبانى قبل ان يتحول الى خطيب سياسى صارخ وممل فى شعره الحر ، وغادة السمان فى الكثير من قصصها ، جدير بان يترجم ، وسيجد القارىء والمعجب ، ولكن ليس بالطريقة التى تتم بها ترجمة ادبنا الان .

● أوروبا تعرفهم !

فاذا تجاوزنا الترجمة الى العامل الاجتماعى وجدنا أدباءنا جميعا محليين فى حياتهم الاجتماعية ، ليست لهم صلة بأحد ، لا عن طريق السفر والتلاقى ، ولا عن طريق التراسل والحوار ، فاذا رحلوا

أوهام عربية حول جائزة نوبل

فسياحا يستمتعون بالجانب المادى من الحضارة الاوربية وهم فى جملتهم معتقلون فى اللغة العربية ، قلة قليلة منهم تجيد لغة اخرى ، أو متمكنة من التيارات الادبية العالمية عن طريق الترجمة •

واذا القينا نظرة عجلى على أولئكم الذين نالوا الجائزة من العالم الثالث ، فسوف نجد اما انهم كتبوا ابداعهم اصلا فى لغة اوربية ، كما فعل طاغور الهندى ، او خرجوا الى اوربا فعرفهم العالم ، فالشاعرة الشيلية جبرييلا مسترال امضت اعواما طويلة قنصلا لوطنها فى روما ومدريد ، وانخل استورياس كان سفيرا لوطنه جواتيمالا فى باريس ، وكذلك كان نيرودا من بعده،وجبرييل مركيث يعيش متنقلا كاتبا وصحفيا بين اوربا والولايات المتحدة ، والنيجيرى وول سوينكا يمضى حياته موزعا بين الجامعات الاوربية والامريكية ، وتعرفه صحافتها مبدعا وناقدا •

ذات يوم ادرك توفيق الحكيم بحسه الذكى هذا الواقع ، وعرض على الحكومة ان ترسله الى باريس ليقدم نفسه للعالم الادبى ، وعين فى اليونسكو فعلا ، ورغم انه كان يقبض راتبا ضخما لم يفارقه بخله لحظة ، فما اقام صلة باديب ولا تعرف على احد ، وعاد كما ذهب ، وكان ـ والحق ـ اخر من يصلح سفيرا اجتماعيا او ثقافيا •

واخيرا ، ثمة فكاهة يتداولها النقاد الاوربيون ، فحواها ان جائزة نوبل تكريم لاديب يتأهب للرحيل ، وبعضهم يذهدون فيها تشاؤما ، ويقولون لا يوجد من عاش بعد نيلها اكثر من سبعة اعوام والاحصائيات لا تؤكد هذا ، ولا تنفيه ايضا فقرابة به ثلاثين اديبا ممن نالوها ينطبق عليهم هذا المثل فعلا

وربما كان المثل الصارخ لهذه الشائعة هو الشاعر الانجليزى جوك جالسفورتى فقد تلقى الجائزة عام ١٩٣٢ ، ومات بعدها بستين يوما ، والشاعر الايطالى جيوسوى كاردوتشى، فقد تلقاها فى نوفمبر عام ١٩٠٦ ، ومات فى فبراير من العام التالى • واما الذين تلقوها شبابا وامتدت بهم الحياة فقلة ، وكان الشاعر الانجليزى رديارد كيبلنج الاكثر شبابا بينهم ، فقد نالها وعمره ستة واربعون عاما ومات فى السادسة والسبعين ، ومثله بيرل بيك فقد تلقتها وعمرها ست واربعون سنة وماتت فى الحادية والثمانين وكان البير كامى الفرنسى الاستثناء الوحيد بين الذين تلقوها شبابا ،فقد حازها وله من العمر اربعة واربعون عاما ، فى وهج المجد وقمة الشباب والعطاء ، ومات بعدها بعامين فى حادث سيارة •

ولم يكن الفيلسوف الفرنسى سارتر يعتقد فى شىء من دلالات هذه الارقام، ولكنه عندما سأله صحفى بعد ان منح الجائزة فرفضها ، هل انت نادم على ذاك ؟ كان رده : « على النقيض ، لقد انقذت حياتى » • •

ولكن القدر سخر منه ، اذ مات بعد ستة اشهر من هذه الكلمات ! •



● فقدت الولايات المتحدة الامريكية مصداقيتها فى المنطقة العربية والعالم بعد صفقةالاسلحة لايران

الرئيس محمد حسنى مبارك

● « اومن دائما بالمحاولة » .

كورازون اكينو رئيسة جمهورية الفيلبين

● « لا اظن في شان التوجه السياسي نحـــو اسرائيل ، ان ثمة اى اختـــلاف فيما بيـن الأمريكيين سواء اكانوا من المحافظين ام الاحرار ام الجمهوريين ام الديموقراطيين » .

بيتر جـــروس
رئيس التحرير الادارى لمجلة
((الشئون الخارجية))الامريكية

● « لا يوجد فى كل افلامى سوى ثلاث او اربع دقائق سينما حقيقية » .

المخرج اليابانى الكبير ((اكيرو كيروساوا))

● روسيا اكبر مما كان يتصور « كاردان » ومما كنت اتصور » .

مصمم الازياء الفرنسى ((ايف سان لوران))

● حين تصبح لغة القوة هى السائدة ، لا يعود من حق المغلوب ان يشكو من قسوة الغالب ».

((الدكتور فؤاد زكريا))

● « الشيخوخة ، لا الموت نقيض الحياة » .

الاديبة الفرنسية ((سيمون دى بوفوار))

● وجود النقاد ، الطيب منهم والخبيث وغـــير المكترث ، امر ضرورى فى العقد الاجتماعي الموقع فيما بين الحكام والمحكومين فى اية امة لا تدين بالديكتاتورية » .

المفكر الانجليزى ((اليستيركوك))

● « موت اوروبا هو الحقيقة المحورية لزماننا »

الاديب الفرنسى اندريه مالرو

● « الاجابة الوحيدة لنداءات الحياة هى مسيرة التقدم » .

المفكر الفرنسى ((بيير تيلاردى شاردان))


الرئيس حسنى مبارك


سيمون دى بوفوار


د . فؤاد زكريا



آدم وحواء

المـــرأة..
فى حياة الرجل المصرى

بقلم : د. سيد عويس

الملاحظ أن الرجل المصرى اذ يعامل المراه المصـــرية معاملة قد تبدو سيئة فى ضوء مستويات المعاملة الانسانية الرشيدة ، وتراه فى بعض الاحيـــان يتغنى بكيدهـــا ، فانه فى الوقت نفسه يعشقها ويدللها ويذوب من أجلهـــا عشقا وصبابة وهياما .

يتغنى فى ذلك بالمواويل والازجـــال والاشعار ، ويحكي القصص والروايات . ويظهر ذلك فعـــلا وعملا ، وتراه يستخدم اشارات اليد والأصابع والوجه للدلالة عـــلى ذلك أحيانا . أو يســـتخدم الكلمات وهو يعاكس أو فى وقت الصفاء أو بعـــد ذلك أحيانا أخرى :

« كيـــد النســـا كيـــد لو ابو زيـــد يميـــل منهم
لو عنتر بن شـــــداد ليشوف العـــذاب منهم
لهم فعـــل بطـــــال زالت الجبـــال منهم
الواحـــدة منهم فى كـــل بلـــوة تلقـــاها
قـــاعدة تقـــلب فتن لاجـــل الخـــراب والشـــر
وتـــكره الطيبـــــة وفى الربيـــة تلقـــاها

ومطاوعة ابليس علي فعل النكد والشر
وكل يسيرة مع المخاليق تلقاها
هم النسا علي الدوام وجودهم أساس الشر
والعقل لو غاب يكون السبب منهم !! »
و « قاضي الغرام فوق جبل عالي يناديني
قال فين مفارق احبابه قلت انا وبيني
قال لي تعود للحبايب قلت وبيني
دول الحبايب العزاز ولا لهمشي في الجمال وصفة
انا نفسي ازور النبي واقعد حداه واصفى
ان كان قلبي يبيح لغيركم ويصفى
اموت كافر ولا توفاشي على ديني »

● الحب والهوى ●

وفى احدى الدراسات التي قمت باجرائها عن « ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات في المجتمع المصرى المعاصر » لاحظت كتابة العديد من عبارات الاغاني المصرية التي تتضمن معاني عديدة · ومن هذه المعانى ما يترنم بالحب والهوى : « الحب كده » و « الهوى هوايا » و « انت الحب » و « أهل الهوى مساكين » و « أهل الهوى ياليل » و « جددت حبك ليه بعد الفؤاد ما ارتاح » و « زى الهوى يا حبيبى وآه من الهوى » ومنها ما يترنم بالشكوى والعتاب والخصام والهجر والفراق والسهاد والوحدة وكيد العزال : « أروح لمين ؟ » و « بلاش اسية أرحم عنيه » و « اكتر من مرة عاتبتك وامتلك وقت تفكر » و « تفيد بايه يا ندم وتعمل ايه يا عتاب » و « كلمونى تانى عنك فكرونى » و « قابلته نسيت انى خاصمته » و « هجرتك يمكن انسى هواك ورجع قلبك القاسى » و «ياهاجرنى» و « لا نوم ولا دمع مخلاش الفراق فيه » (كان اصلها لانوم ولادمع فى عنيه) و « ما اطال النوم عمرا وما قصر عمرا » (كان اصلها فما اطال النوم عمرا ولا قصر فى الاعمار طول السهر) و « من فرحتى لا بنام ولا بصحى » و« سهران لوحدى » و « ودع هواك » و « كايدة العزال » و « كايدة العزال انا من يومى » و « كايدة العزال يا سكينة ! » · ومن معانى عبارات هذه الاغانى ، نجد ما يترنم بالامل والفرح والغزل والدعابة والتسامح والسلامة : « أمل حياتى يا حب غالي » و « من فرحتى تهت مع الفرحة و « ابو سمرة السكرة » و « ادلع يا رشيدى على وش أمیه » و « بتبص لى كده ليه ؟ » و « على عيني كرملة » و « ماخدش العجوز أنا » و « انساك ده كلام انساك ياسلام » و « ساعة يا سلامة » ·

وقد كتب اخرون على هياكل مركباتهم تعبيرات شعبية تتضمن معانى الغزل المفتوح والغزل المستور : « آخر طريقك فين » و « النبى تبسم » و « بطل تقل بقى » و « قوللى آخر طريقك فين يا حلو ياللى ماشى » و « وكده شربات » و « منى عينى هو » و « صباح الفل ياعود الفل » و « اوعى الهوى ! » ·

وقد لاحظت انه فى ضوء الدراسة المشار اليها ، وفى ضوء دلالات هذه النتائج ان الكلمات والعبارات المكتوبة على هياكل المركبات موضوع



الدراسـة ، على الرغم من أن بعضها مكرر ، وأن معاني بعضها متشابهة ، وعلى الرغم من ان اشكالها متعددة - قد اختارها كاتبوها انفسهم بمحض ارادتهم واصروا على كتابتها على هياكل المركبات التى يستخدمونها على الرغم من عدم موافقة الدولة على هذه الكتابة ٠ وانهم اذ يكتبون ما يكتبون بمحض ارادتهم ، فانهم فى حقيقة الامر يحاولون ان يسمعوا اصواتهم دون ان يراهم احد ، اى انهم فى حقيقة الامر يحاولون بمحض ارادتهم ان يهتفوا ٠ ومعانى الحب والهوى والشكوى والعتاب والخصام والهجر والفراق والسهاد والوحدة والوداع وكيد العزال ، فضلا عن معانى الأمل والفرح والغزل والدعابة والتسامح ، كل هذه المعانى تعكس العديد من العناصر الثقافية غير المادية التى تملأ المناخ الاجتماعى لمجتمعنا المصرى المعاصر ٠٠ وهم فى ضوء ظروفهم الثقافية الاجتماعية والاقتصادية قد اختاروا هذه المعانى من هذا المناخ لكى يسمعوا أصواتهم دون ان يراهم أحد ، اى لكى يهتفوا هتاف الصامتين ، واصطنعوا من اجل ذلك ، دون ما وعى ، جهازا اعلاميا شعبيا من اجهزة الاعلام فى مجتمعنا المصرى يتحرك على امتداد مدن هذا المجتمع وقراه ، وهو جهاز اعلامى يدعو فى ضوء طبيعته الى تثبيت العديد من المعانى السابق ذكرها والتى لاتزال تعيش فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى ، ومنها الحب والهوى على الرغم من ان الحب ، كما يقول المثل الشعبى المصرى « عاوز كلفة علشان تدوم الالفة »

ومن ازجال « بيرم التونسى » التى شاعت وذاعت ، نجد :

فى كل عام للورد أوان — الا النسوان
بقدرتك نابتين الوان — ابيض واحمر
وانت اللى تعلم وانا اجهل — فيه ايه اجمل
من دى الخدود واللى لا تدبل — ولا تتغير
ودى العيون اللى اشهد لك — بها واسجد لك
دى خلت الطاغى انقادلك — والمتكبر
والشفتين اللى فالقهم — كنت خالقهم
للابتسام ولا رازقهم — دانت تحير
العبد يعشق بالقوة — وعشق لجوه
كمان جهنم ؟ ايه هو — محناش معشر
. . . . — . . . . . .
. . . . — . . . . . .
يا مسلمين الله يا حريم — انا مالى غريم
غيركم اروح وياه فى جحيم — يوم المحشر
الدنيا والنسوان وخلاص — والراجل لاص
لا طبلة ينفع ولا بلاص — لو يتكسر

والرجل المصرى منذ الزمان القديم وحتى الآن تجده يفتتن بجسم المرأة أو بعض اجزائه ٠ ففى مجموعة طيبة وهى مكتوبة على بردية هيراطيقية ويرجع اصلها الى مدينة طيبة عاصمة الدولة الحديثة التى أسستها الاسرة الثامنة عشرة فى عام ١٥٧٠ ق٠ م٠ يقول المحب عن

حبيبتـــه :

« فريـدة حبيبتى فى حســـنها
ما مثلهـــا أحد
أجمـل من كـل النسـاء هى
مشــرقة
انظـــر اليهـــا
كالنجمـة الآلهـــة
فى مطـــلع العـــام الســـعيد
ساطعة باهـرة وضـــاءة البشـــرة
جميـلة العينين حـين تنظـــر
عـذبة الشفة حـــين تتحـــدث
كلمـة زائـدة لا تقولهـــا
طويـلة العنـق جميـلة الثـدى
شـعرها لا زورد أصـــيل
ذراعهـا يفـــوق الذهـب
أصـابعها ازهـــار اللوتس
مشـدودة الخصر عند انسياب الردف
تزيـد ساقاها مـن جمـــالها
تخطـو على الارض فى نبـــل
أسرت قلـبى بعنـــاقها
وادارت رقـــاب كـل العشـــاق
مشـــدوهين بجمـــالها »

وقد استمر الاهتمام بالجسم الانسانى أو بعض أجزائه وبخاصة جسم المرأة ، والاهتمام بالدور الذى يلعبه فى مجالى الحب والغزل حتى الآن نجـد ذلك فى المواويل الشعبية المصرية التى يتغنى بها الشبان فى القرية المصرية المعـــاصرة :

« قـــلبى هـــوى بنت يتبيـع خـوخ فى ســبتها
اذا فـــاتت عـــلى القوم بتسبى القوم بثباتهـــا
لهـــا جـــوز نهود يشبه كما الرمـــان فى سبتها
انـــا من حبى فى البنت فت الاهـــل والبـلدى
انا تنى ماشى وراء البنــت لما خـــار علينـــا الليـــل
انـــا قلـــت ماطيـــلا يابنـــت بتـــا بـــلدى
قـــالت ماشـية العـــوازل وانـــا يا جـدع بالليـل
البنـــت معهـــا لواحظ تشـــبه لسـلام بلدى
الشـــعر منتـــور يشـــــبه لظـــلام الليـــل
انا قلت يا بنت عندى جوز بنانى بيحووا الطيور بالليل
وقفـــت البنت يا نـــاس وشـــالت عينهـــا فى
الوجـــه كيـف القمـــر والجســـم كالليـــلة
حـــرة نقيـــة لـــكن الانـــدال ســـبتها »

إلى متى .. يتعثر مشروع دائرة المعارف العربية؟

بقلم: د. شكري محمد عياد

مسألة دائرة المعارف العربية مسألة مزمنة مثل الوحدة العربية ومثل المرض المزمن ، ومثل الوحدة العربية ، تعيش معنا فكرة دائرة المعارف العربية ، لاهي تتركنا ولا نحن نستطيع أن نقوم بعمل مجد حيالها .

● ومثل المرض المزمن ، تهيج الفكرة أحيانا فنتذكر تاريخها الماضي كله ، ونأسف لأننا أهملناها مدى السنين ، ونتخذ قرارا ما ... ثم تهدأ الفكرة وينسى القرار ، وكأنه الدواء المسكن لاعمل له إلا أنه يردها الى حالة الإزمان والكمون .

لاتقتصر العلاقة بين دائرة المعارف العربية والوحدة العربية على أن كلتيهما عربية ، ولا أن كلتيهما قضية مزمنة ، أو فكرة حائرة بين الوحدة والعدم . إن كلا منهما متوقفة ، الى حد ما ، على الأخرى ونقول إلى حد ما حذرا من المبالغة ، وإن لم يكن من المبالغة القول بأن الجامعة العربية - مثلا - عاجزة في الوقت الحاضر عن إصدار دائرة معارف عربية لأنها عاجزة عن عقد قمة عربية ، والعكس بالعكس . صحيح ان قمما كثيرة سابقة عقدت بدون دائرة معارف ، ولكننا لو راجعنا تاريخ القمم السابقة لتبين لنا أن نجاحها كان دائما نسبيا ، وكانت نسبة النجاح راجعة في كل مرة الى مجموعة المنبهات والمعوقات الخارجية . لذلك كان رد الفعل يأتي مساويا لمحصلة المنبهات والمعوقات (التي يبدو أنها كانت محسوبة دائما بحيث لاتنتج قوة دفع مستمرة) . ولا نريد ان ندخل في ميكانيكا السياسة ، ولكننا نقول فقط إن قمة عربية ، بالمعنى الأمثل ، أو وحدة عربية من أي نوع كانت ، ولو كانت وحدة جزئية ، لايمكن ان تتحقق بدون وحدة فكر تجاه مشكلات الحاضر ، وهذه الوحدة الفكرية لاتتمثل

فى شىء كما تتمثل فى دائرة معارف عربية .

فدائرة المعارف ، أيا كانت لغتها ، ليست مجرد موسوعة مكتوبة بهذه اللغة . انها ، فى المقام الأول ، خلاصة لفكر أصحاب هذه اللغة ، لتراثهم ، لأسلوبهم فى الحياة ، لنظرتهم الى الكون . لايكفى أن يجمع انسان اطرافا من المعارف ويضع عليها كلمة موسوعة . إن المعرفة الشاملة تعنى ثقافة ، أى كمًّا من المعلومات المنظمة ، أضع خطا تحت كلمة « المنظمة » لأن المعلومات غير المنظمة لا تكون ثقافة بل ركاما من المنتجات التى أخرجها عقل الانسان فى تعامله مع الظروف المحيطة به فى أزمنة مختلفة وأماكن مختلفة . فيها الحفريات وفيها العاديات وفيها التحف المغبرة والتماثيل المكسرة والجواهر المخبوءة فى الطين ، وفيها أحدث ما أنتجته المصانع الأوربية والأمريكية ، مثل هذا الركام لايسمى ثقافة ، فالثقافة وحدة ، والوحدة تعنى نظاما ، والنظام يعنى ان هناك مركزا أو نواة تلتقى عندها الأجهزة الفرعية ، تمدها وتستمد منها . هذا قانون لايتخلف من قوانين الحياة ، بل لعله اهم هذه القوانين ، ابتداء من الكائن ذى الخلية الواحدة الى أرقى انشطة الإنسان .

لو سألت عشرة من المثقفين العرب : ماهذه النواة ، أو ماهذا المركز الذى يقوم بدور المنظم لثقافتنا ؟ لحصلت بالتأكيد على عشرة أجوبة مختلفة بل متناقضة !

● فما السبيل إلى وحـــدة الفكـــر ؟

هناك دائما إغراء بغرض الوحدة من فوق .

ويجب التمييز بين وحدة طبيعية طوعية ، ووحدة مفتعلة مفروضة ، ففى جميع الأحوال يقتضى النظام وجود نواة أو مركز ، قادر على توجيه النظم الفرعية . ولكن الفرق بين النظام الطبيعى والنظام المفتعل هو ان الأجزاء فى الحالة الأولى تتقبل بصورة طوعية هيمنة النواة أو المركز ، أما فى الحالة الثانية فهى تنفذ توجيهات المركز ـ اذا نفذتها ـ مجبرة . فى الحالة الأولى تكون النظم الفرعية والنظام المركزى داخلة جميعها فى نظام واحد متكامل ، ومعنى ذلك ـ إنسانيا ـ أن الفروع تفهم توجيهات المركز وتقتنع بضرورتها وتحرص على تنفيذها بأقصى مايمكنها من كفاءة ، وفى مقابل ذلك تمد المركز بالمعلومات التى تمكنه من صياغة القرار السليم ، وتنبهه اذا اتخذ قرارا خاطئا . اما فى الحالة الثانية فإن قنوات التوصيل بين المركز والفروع تكون ذات اتجاه واحد ، ومعنى ذلك ـ إنسانيا أيضا ـ أن الفروع لاتفهم مغزى القرار ولا الهدف منه ، وأن القرار يتخذ فى المركز بدون مراعاة للظروف الخارجية ، وغالبا مايكون القرار فى هذه الحالة موروثا أو مستعارا فى نظام موروث أو مستعار .

هذا هو النموذج الذى يقوم عليه أى جهاز فكرى (تحصيل المعلومات ـ تفسير المعلومات ـ اتخاذ القرار ـ تنفيذ القرار) ابتداء من أبسط الأجهزة (ومنها الأجهزة ذاتية الحركة التى بنيت وفق نموذج الكائنات الحية) إلى أعقدها وهو جهاز الثقافة ، الذى يمثل خبرة مجتمع بأسره على مدى أجيال كثيرة وخلال عصور مختلفة ، ووحدة الثقافة ـ التى تترتب عليها وحدة الفكر ووحدة القرار ـ يمكن ان تتم بطريقة طبيعية طوعية ، كما يمكن ان تتم بطريقة مفتعلة مفروضة . ويصدق عليها بصورة مضاعفة ، الوصف الذى قدمناه لكلتا الحالتين . والأمثلة كثيرة من

ماضى الأمة العربية القريب ، وحاضرها المشاهد !

● المعارف طبقات وألوان !

رب معترض يقول : ماعلاقة الكيمياء ، أو الفيزياء ، أو الفلك بهذا الذى تزعمه عن الثقافة ؟ أترانا اذا قدمنا الفيزياء الحديثة بالعربية يكون مانقدمه مختلفا عن الفيزياء المنشورة بالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية ؟ ولهذا المعترض نقول : اننا لانجادل فى أن العلم الطبيعى وطنى أو عالمى ، أو أن فيه قدرا وطنيا وقدرا عالميا (هذه مناقشة يمكن تأجيلها الى حين) ولكننا نقول فقط : إنك حين تقرر نقل الفيزياء أو الكيمياء أو الفلك بنصها وفصها من دائرة معارف انجليزية أو فرنسية أو المانية أو روسية ، دون أن تضيف اليها أو تحذف منها ، تكون قد اتخذت قرارا ثقافيا ، لأن الحكم على ضرورة مادة علمية معينة ، أو مناسبتها ، يمكن ان يكون مبنيا على المعرفة بالعلم نفسه ككل ، أما حين تحكم على ضرورة علم معين ، أو مناسبته ، أو على صورة كاملة منه ، فلابد لك أن تنظر الى هذه الصورة ، أو هذا العلم فى عمومه ، من مستوى اعلى من العلم ذاته ، وهو فلسفة العلم ، التى هى جزء من الجهاز الثقافى .

وإذن فأنت حين تقرر نقل مواد الفيزياء أو الكيمياء الخ . من دائرة معارف إنجليزية أو فرنسية أو روسية تتخذ قرارا ثقافيا ، وحين تفضل دائرة معارف معينة على دائرة اخرى تتخذ قرارا ثقافيا .

ولعلك تعترض مرة أخرى قائلا اننا نستعير فلسفة العلم كما نستعير العلم ، فنحن فقراء اليهما معا . فأقول لك إنك حين تتخذ مثل هذا القرار تكون قد اتخذت قرارا ثقافيا اكثر اهمية ، لأن فلسفة العلم هى جزء من نظرية المعرفة ، ومدار نظرية المعرفة على تقدير العقل لقدراته وهى أساس المعارف كلها .

أى أن الاقتصار على نقل المواد العلمية من دائرة معارف أوربية أو امريكية لن يظل محصورا ، كما قد نتوهم ، فى دائرة ضيقة ، بل سيمتد حتما الى النواة أو المركز ، بحكم وحدة الثقافة ، وارتباط النظم الثقافية الفرعية بنظام المركز ، فى اى ثقافة حية .

ولكن العلوم الطبيعية لاتشكل جهاز الثقافة بأكمله . فهناك مايسمى العلوم الانسانية . ولعل العلوم الطبيعية أصبحت تحتل مكان المركز أو النواة فى ثقافة العصر ، وتمد سلطانها على العلوم الإنسانية نفسها أو تحاول ذلك ، ولكن العلوم الإنسانية لاتزال محتفظة ـ على الأقل ـ بميدانها الخاص وهو النشاط غير المادى للإنسان . وفى هذا المجال يصعب النقل من ثقافة الى ثقافة . نعم ان هناك كلاما عن فلسفة عامة ، وأدب عام ، ونحو عام أيضا . ولكن العموم هنا إنما يدل على إسهامات متنوعة يمكن ان تصادف اهتماما او قبولا من الجميع ، ولاتدل على وحدة الخصائص والصفات . أى أن « العموم » فى باب الانسانيات ينصرف إلى المستهلكين لا إلى المبدعين . وقد يكون فى استطاعتنا أيضا أن نترجم مواد الانسانيات من دوائر معارف أجنبية ،

ولكننا فى هذه الحالة نميت قوة الابداع لدينا ، فى اخص ما يميز الثقافة القومية

وليست المشكلة هى أننا لن نجد مادة كافية فى دوائر المعارف الأجنبية تتعلق بثقافتنا الانسانية . فهناك دائرة معارف كاملة اسمها دائرة المعارف الاسلامية **ولكن المشكلة هى أن نتعلم النظر الى ثقافتنا بعيون المستهلك الأجنبى أو السائح الأجنبى وقد تكون مثل هذه النظرة مفيدة اذ لم نتكلفها بصورة مستمرة ، فنكون كالريفى أو البدوى الذى عاد الى أهله من بلاد المدنية ، فجعل يكلمهم بلسان معووج ، ويسألهم عن أسماء المأكولات والمشروبات !**

هذا أو الحل الآخر وهو ان نجعل الثقافة الإنسانية كلها أو بعضها جيوبا عربية فى ساحة تسيطر عليها ثقافة الغرب ، وهنا لابد ان يقوم إشكال جديد وهو بأى منظار ننظر الى ثقافتنا العربية ؟ هل نعرض ألوان التراث كما هى ، فتكون ثقافتنا الإنسانية العربية أشبه بكرنفال ، أم ننتخب منها ، فتكون الصورة العامة ناقصة الى جانب مافيها من اختلاط ؟ لابد لنا هنا أيضا من أن نستند الى « نواة » معرفية ، تسمح لنا بتفسير اكبر قدر من الظواهر الثقافية التى يمكننا جمعها .

● لسنا دعاة انغلاق !

لانريد بهذا ان ننفر من نقل الثقافات الغربية بكل الوانها ، سواء أتم ذلك بقرار مركزى « من فوق » أم تم بجهود متعددة ومتنوعة ومتكاملة . إننا ـ على العكس ـ نرى هذا ضرورة ملحة . ولكننا نميز بين هذا العمل ، الذى يمد الثقافة القومية بزاد غنى وضرورى ، وبين الثقافة القومية نفسها ، التى يمكن أن توجد ـ بمعنى أن تكون لها هوية ـ إلا ببناء ذاتى .

ودائرة المعارف ، فى أى لغة قومية لا يمكن ان توجد ، بل لامعنى لوجودها إن لم تكن تعبيرا عن الثقافة القومية .

لسنا اكثر انغلاقا من الفرنسيين مثلا وقد قدمت دائرة المعارف الفرنسية إحدى طبعاتها بكلمة صرحت فيها بأن الفكر الذى تقدمه هو فكر فرنسى أولا ، وغربى ثانيا .

ولسنا دعاة يأس أيضا . فنحن نرى أن الظروف مهيأة الآن بالفعل لظهور ثقافة عربية ودائرة معارف عربية . الا أن هذا العمل يحتاج الى تنظيم وصبر . ونحن نؤمن بالصبر والتنظيم اى أننا لانؤمن بالمؤسسات الرسمية .

لقد قامت جماعة من اربعة شبان ، منذ اكثر من خمسين سنة بمشروع مهم وهو ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ولم يكن العمل مجرد ترجمة ، بل كانت اللجنة المكونة من هؤلاء الشبان تدفع بكل مادة مترجمة إلى متخصص عربى فيكتب تعليقا عليها ، ربما زاد عليها فى الطول ، وربما استقل عنها تماما . بحيث غدت مادة قائمة برأسها . مضت هذه اللجنة فى عملها شوطا غير قليل ثم توقفت . يستطيع العضوان الباقيان من هذه اللجنة ، الدكتور عبد الحميد يونس والأستاذ محمد زكى خورشيد ، مد الله فى عمرهما ، أن يحدثانا لماذا توقفت .

ولكن المهم ، فى نظرى ، انه خلال هذه السنين الكثيرة التى مضت منذ توقف عمل اللجنة ، لم تحاول أية مؤسسة حكومية أو « إقليمية » ان تتم العمل الذى بداته !

قنديليات



بقلم: يحيى حقى

انفجار الصوتيات

رغم مرور أكثر من نصف قرن وتبدل الاجواء التى عشت تحتها لا أزال اذكر بطرب وتحنان صوت فلاح صعيدى سمعته سنة ١٩٢٩ وهو ينادى مجلجلا على زميل له فى حقل بعيد « ياواد يامحا » اسمه محمد ، كان الصوت البشرى اذا انطلق يذوب ويضمحل بعد مسافة غير طويلة وكان التحدى امام هذا الفلاح أن يعبر صوته النيل ليكون له هو « المعدية » « والكبرى » ..

ما أكثر الاوصاف التى نطلقها على العصر الحديث وأفضل ان اسميه عصر انفجار الصوتيات ، فقد امتد فيه صوت الانسان الى مسافات بعيدة بفضل « جراهام بل » التليفون ، وبفضل « ماركونى » الذى اطلق اشارة من ساحل ايرلندا الغربى فعبرت المحيط وسمعها الناس على الشاطىء الشرقى لأمريكا ، ثم جاء « اديسون » فاصبحنا نسمع ايضا صوت

اجدادنا مسجلا على اسطوانات واختلطت اصوات الاجيال ..

ثم انظرنى الآن وأنا راقد فى فراشى وفى يدى تحت الغطاء جهاز فى حجم الكف من فرط إلفى له أستهين به ، فإذا بى بفضله اسمع أصواتا تأتينى من كافة أنحاء الأرض

بل أسمع صوت حديث يجرى على سطح القمر .. اصوات لم أقابل أصحابها واشتاق أن أراهم رأى العين وأن كنت تلقيت يوما درسا يحذرنى من هذه الحماقة .

فى سنة ١٩٣٩ م كنت أعيش فى روما إبان توالى النذر تؤكد نشوب حرب عالمية ، أذنى معلقة بجهاز الراديو استمع الى نشرات الاخبار لايجذبنى منها إلا صوت مذيع فرنسى أجش ، كأنه ينبعث من كهف عميق يناسب اللحظة الحرجة ، وتصورته

رجلا ممتلىء الجسم ، يرتدى بدلة الاحد له رأس ضخم وفك عريض وشعر ناعم ينسدل على جبهته أحيانا .

وفى سنة ١٩٤٩ كنت فى باريس فكان أول همى أن أسعى إلى لقاء هذا الرجل الذى هز أعصابى ليلة بعد أخرى .

قابلته وليتنى لم اقابله اذ وجدت امامى رجلا نحيفا يرتدى بدلة مهملة له رأس خروف وفك ضيق ويلبس نظارة طبية كأنها الملاحة ، وكل شعرة فى رأسه تصلح لنزع غطاء من الفلين فى رقبة زجاجة .. تمتمت فى سرى أهو أنت .. ؟

وكما يحدث فى كل تقدم علمى مثلما يأتينا بالنفع العميم قد يجر علينا مصائب غير قليلة إذ أصبحنا نعيش أيضا فى عصر المذياع الذى يضخم الصوت البشرى ربما أكثر من ألف ألف مرة .. عمت الضجة الأرض كلها

وأصبحت من أوائل قائمة اسباب التلوث .

حضرت اخيرا حفلين للزفاف ، اقسم لك أن الضجة التى تملأ المكان الذى نحن فيه حتى تكاد تخرق طبلة أذنى ، ومن المستحيل أن أتحدث مع جار لصيق ، أتأمل وجوه الحاضرين ولا أرى أثرا للتأفف وأسأل نفسى هل الشعب المصرى قوى الأعصاب الى هذا الحد ام ليس له أعصاب بتاتا !!

صيحة الديمقراطية في الميكروفون الصيني

من يبدأ الدعوة لعقد الدولية الخامسة ؟

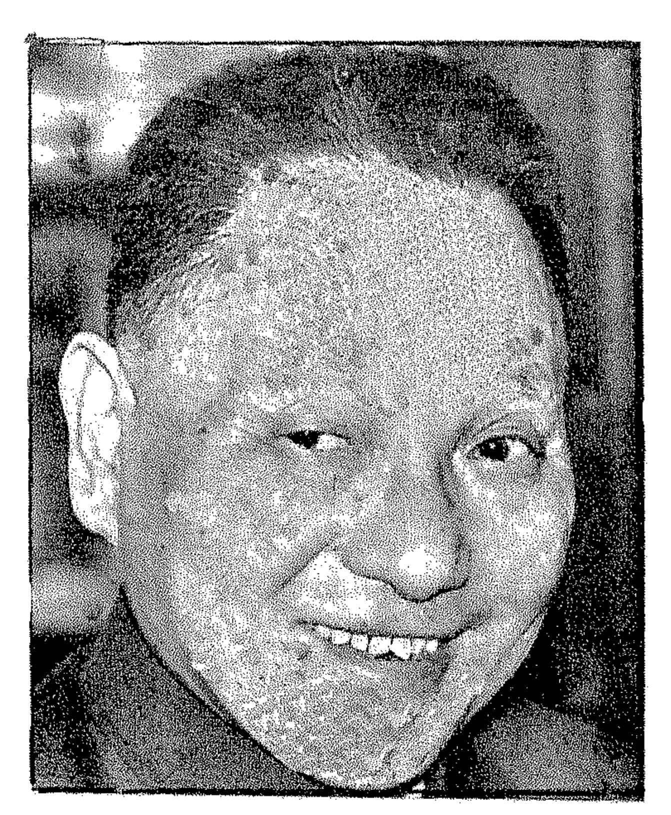
بقلم : عبد الرحمن شاكر

لو لم يكن للصين الشعبية الا ضخامتها ، وان ربع البشر يعيشون على ارضها ، لكان من الطبيعي ان يكون لكل ما يحدث فيها من ظواهر اصداء واسعة تتردد فى انحاء العالم وتؤثر على اشكال متفاوتة .. ولكن الصين لها الى جانب ذلك وضعها الخاص جنوب الاتحاد السوفييتى وتجاورها معه عبر حدود واسعة ، مما ادى الى ان تكون ثورتها - التى اتمت انتصارها فى منتصف القرن العشرين - امتدادا مباشرا للثورة الروسية التى انتصرت فى الربع الاول من هذا القرن الذى اشرف على نهايته . وان تكون بين الثورتين ، وبين البلدين الكبيرين علاقة جدلية بالمعنى الحرفى للكلمة ، تتردد ما بين التعاون والتآلف الحميم الى الاختلاف الذى يتجاوز حد الحوار الى الصراع العنيف احيانا ، وبين هذين الحدين يقع نوع من التفانى ومحاولة السبق فى احوال كثيرة ..

وفى ظل هذه العلاقة ، لعبت الثورة الصينية ، دون أن تشعر ، دور المبلغ ، أو الميكروفون بالنسبة لمختلف الاتجاهات أو التيارات التى بدأت مع ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا ، والتى ما تزال تستجد حتى الآن فى المعسكر الاشتراكى .. فتحول الثورة الديموقراطية البرجوازية الى ثورة اشتراكية قد تم فى روسيا على نحو سريع لم يستغرق الا بضعة شهور ، بحيث لم يتح للعالم ادراك طبيعة هذا التحول ، وأنما اتاح



ماوتسى تونج
ديمقراطية تسمح بوجود احزاب



ديج سياوبنج
قائد الاصلاح الاقتصادى

لخصوم الثورة فى الخارج تصويره على أنه مجرد مؤامرة بلشفية أما فى الصين فقد استغرق هذا التحول اكثر من ثلاثين عاما منذ ثورة سن يات سن الديموقراطية عام ١٩١١ ، الى انتصار ثورة ماوتسى تونج الاشتراكية عام ١٩٤٩ ، عبر فلسفته الخاصة عن الثورة الصينية التى اطلق عليها اسم « ديموقراطية جديدة » • وبذلك أعطى لثورة العصر ملامحها الكاملة ، انها لا تنطلق ، ومن المستحيل أن تنطلق ، مثل ثورات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من مجرد الحاجة الى تحقيق الحرية السياسية فحسب ، بل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية أيضا •

وبالنسبة لبناء الاشتراكية : كان من المفترض ان حاجة روسيا بعد ثورتها الى اعادة بناء اقتصادها على أسس اشتراكية ، هو مجرد مصادفة بحكم تخلفها عن سائر المجتمعات الصناعية فى غرب أوربا ، التى اتمت الراسمالية بناء اقتصادها الصناعى ، وأن هذه الاخيرة هى البيئة الطبيعية للثورة الاشتراكية التى ينبغى أن تقوم بها الطبقة العاملة الضخمة المنظمة والواعية سياسيا • فاذا بماوتسى تونج يعيد وضع الهرم الثورى على قاعدته بدلا من رأسه ، ويعلن أن القوة الاساسية فى ثورته هى الفلاحون ، وأن دور البروليتاريا ، أو الطبقة العاملة الصناعية لا يتجاوز حد القيادة من خلال فكرها العالمى أى الماركسية، ويكشف بذلك عن طبيعة الثورة الاشتراكية التى شهدها العالم خلال هذا القرن ، انها لم تكن ثورة الطبقة العاملة الصناعية فى البلدان المتقدمة كما توقع كارل ماركس فى القرن التاسع عشر ، ولكنها

صيحة الديمقراطية

ثورة المجتمعات المتخلفة التي عجزت عن اللحاق بركب التطور الصناعي على أيدى الرأسمالية ، فكان من الضرورى أن تقود القوى الاشتراكية فيها تحقيق هذا التطور ، وأن يعاد بناء اقتصادها على أسس اشتراكية • الامر الذى فتح الباب أمام البلدان النامية الحديثة الاستقلال الى اتخاذ الطريق ذاته على نحو مختلف ، ودون أن يكون على رأس ثوراتها الجديدة ماركسيون أو اشتراكيون ملتزمون ، وكانت مصر في الستينيات من أبرز رموز هذا الطريق الجديد •

● وفاء المبادىء ●

وقد شهدت الصين فى حقبة الخمسينيات ، التالية مباشرة لانتصار ثورتها، تطورا كبيرا في بناء اقتصادها على أسس اشتراكية ، وفي ظل « ديموقراطية » ماوتسى تونج الجديدة ، التى كانت تسمح بوجود أحزاب ثورية صغيرة الى جانب الحزب الشيوعى ، وكانت ارملة سن يات سن ـ على سبيل المثال ـ تشغل منصب رئيس مجلس الشعب الصينى ، وهى لم تكن شيوعية، ولكنها كانت وفية لمبادىء زوجها الديمقراطية ذات الصبغة الاصلاحية • وسادت شعارات من نوع « دع مائة زهرة تتفتح فى بستان الاشتراكية ! »، ولم يتردد ماوتسى تونج فى الاشادة «بالرفاق الرأسماليين» الذين يساهمون فى بناء اقتصاد الصين الحديثة ، وكثير من الصينيين الذين نجحوا فى تكوين ثروات فى الخارج ، أساسا فى الولايات المتحدة الامريكية ، عادوا الى بلادهم للمساهمة في بناء اقتصادها الحديث ولم يكن التعاون الاقتصادى مقصورا على الاتحاد السوفييتى وحده ، الذى قدم مساهمات كبيرة فى بناء الصناعة الصينية ، بل امتد الى دول غرب أوربا الصناعية ، بل ان بعض المصانع قد نشأت في انجلترا من أجل هدف محدد ، هو امداد الصين بما تحتاج اليه من آلات لصناعتها الوليدة • ونجحت الصين خلال تلك الفترة فى توطيد علاقتها مع سائر البلدان النامية حديثة الاستقلال، وتشكيل ما عرف باسم الكتلة الافرو أسيوية ، وكانت بمثابة جسر قوى يصل ما بين تلك الدول والعالم الاشتراكى •

● الثورة الثقافية ●

غير أن فترة الستينيات شهدت تحولا كبيرا فى السياسة الصينية ، بعد وقوع الخلاف بينها وبين الاتحاد السوفييتى الذى اتخذ مظهر صراع شخصى بين ماوتسى تونج وخروشوف • وقد أسرف هذا الاخير فى الاساءة الى الصين بقراره سحب الخبراء السوفييت من الصناعة الصينية مما أدى الى توقف الكثير من مصانعها • واعتبر ان استمرار المعونة الاقتصادية للصين انما يتم على حساب مستوى المعيشة فى الاتحاد السوفييتى نظرا لضخامة الصين وبالتالى ضخامة احتياجاتها • وأعلن ان كل بلد اشتراكى عليه ان يسعى للوصول الى الشيوعية فى دوره وطبقا لمستواه • فقد كان فى رأيه أن مستوى الاقتصاد السوفييتى قد أصبح يمكنه من تطبيق الشيوعية فى وقت قريب بمعنى اختفاء كل صور التفاوت فى الدخول ! وكان يتوقع أن لا تحل فترة الثمانينيات الا وقد أصبح الاقتصاد السوفييتى أقوى من نظيره الامريكى !

الى آخر تلك الاحلام الوهمية ، التي تخلي عنها جورباتشوف صراحة في المؤتمر السابع والعشرين للحزب البلشفي الذي عقد في العام الماضي ·

ازاء هذا الصلف الذي اظهره خروشوف ازاء الصين قرر ماوتسي‌تونج المضي وحده ببلاده في طريق جديد ، بعيد تماما عما اسماه نفوذ «الامبريالية الاشتراكية السوفييتية ! قرر أن تعتمد الصين على نفسها فحسب ، وأن تعمق مفهوم العدالة الاجتماعية فيها الى‌أقصى حد ولو على حساب الديموقراطية · بل أملى عليها ان تتبع طريقا أشبه ما يكون « بالشيوعية الطوباوية » التي لا تحتاج الى اقتصاد متطور لتطبيقها ، بل الى ارادة جماهيرية حديدية ، تلك هي سياسة « الكوميونات الزراعية » ، التي صاحبها ما أسماه بالثورة الثقافية لاستئصال شأفة المؤثرات الاجنبية والقديمة في الفكر الصيني ، سواء في ذلك موروثات التقليد الصيني ، أو بقايا الفكر البرجوازي الغربي ، أو آثار التبعية للاتحاد السوفييتي والحزب البلشفي ذي النزعة الشوفينية المتغطرسة ! ومن موقعه القيادي الهائل كمؤسس للصين الحديثة ، راح يحض على قيام التظاهرات الصاخبة وكتابة مجلات الحائط التي تحرض على اسقاط كثير من رفاقه الذين لم يرضوا عن تلك السياسة الجديدة ، وعلى رأسهم « ليوتشاوتشي » الذي كان يشغل منصب رئيس جمهورية الصين الشعبية ، وكان من بين مآخذ ماو عليه انه برجوازي النزعة يميل الى الاستمتاع بالثقافة البرجوازية مثل سماع موسيقى الغرب الكلاسيكية ومطالعة روايات شكسبير !

وكان من بين من وقع بهم النكال في تلك الفترة وابعدوا عن مواقعهم « دينج سياو بنج » الزعيم الحالي للصين الشعبية بعد وفاة ماوتسي تونج وقائد حركتها الجديدة للاصلاح الاقتصادي ·

الاصلاح والديمقراطية

لقد عاد دينج سياو بنج الى شعارات ماو القديمة في الخمسينيات ، بعد ان لمس هو ورفاقه في الحزب مقدار التدهور الذي أصاب الاقتصاد الصيني خلال حقبة الثورة الثقافية ، بل أدى أيضا الى تدهور قوتها العسكرية ، بحيث لم تتعرض القوات الصينية لمجرد الهجوم السوفييتي عليها على الحدود فحسب بل تطاولت عليها القوات الفيتنامية أيضا ولاتزال تفعل حتى الآن ! وفي ظل سياسة الانفتاح الاقتصادي على العالم والتعاون مع جميع القوى التي تتيح انعاش الاقتصاد الصيني ، أعلن دينج سياو بنج أن الحقائق الاقتصادية أقوى وأولى بالاعتبار من كل نظريات ماركس ولينين ·· ولم ير بأسا على الصين الاشتراكية في تعاطي ما سماه « جرعة غير ضارة » من الرأسمالية ، اشارة الى السماح بصورة متفاوتة من النشاط الاقتصادي الخاص في الزراعة والخدمات والصناعات الصغيرة ، فضلا عن المشاريع‌المشتركة مع المؤسسات الاقتصادية العملاقة في الغرب الرأسمالي من الشركات متعددة الجنسية ·

وكما كان ماوتسي تونج يقف وراء التظاهرات التي قامت في الستينيات تحقيقا للثورة الثقافية ، ضد رفاقه المعارضين لسياسته كما تقدم ، فان مختلف التقارير الصحفية في وصف التظاهرات التي قام بها طلبة الجامعات الصينية في أواخر العام المنصرم مطالبة بالديموقراطية وتعدد الاحزاب وحرية

صيحة الديمقراطية

الصحافة ، انما تنسب التحريض على تلك التظاهرات الى دينج سياو بنج نفسه على أساس ان وجهة نظره فى الاصلاح الاقتصادى تقتضى أن يصاحبها اصلاح سياسى جذرى ، يصل الى حد اسقاط استئثار الحزب الشيوعى بالعمل السياسى ، والسماح بقيام أحزاب أخرى الى جانبه كما كان عليه الحال فى السنوات الاولى للثورة . وأن الذين يعارضون تلك التظاهرات أو يقومون باعتقال من قام بها من الطلبة ، انما هم من الكوادر الحزبية الوسطى التى تخشى ان تفقد سلطتها المطلقة . والتسامح النسبى الذى أظهرته السلطات الصينية ازاء الطلبة المتظاهرين يدل على أن وراءهم سندا قويا فى السلطه ، أو احساسا بأنهم على حق فيما يفعلون !

ومن السخف بطبيعة الحال اتهامهم بأنهم يستجيبون لتحريضات اذاعة صوت أمريكا ، أو تايوان ، فهؤلاء الشباب الذين يناهز سنهم العشرين هم أبناء الثورة وجيلها الجديد ، ومن الطبيعى ان تكون دوافعهم صادقة بنفس القدر الذى دفع كثيرا من عمال بولندا الاشتراكية الى انشاء نقابة تضامن المستقلة .

● الدولية الخامسة ●

ان صيحة الديموقراطية التى انتظمت فى العالم الاشتراكى خلال السنوات الاخيرة ، بدءا من حركة النقابات المستقلة فى بولندا ، الى حرية النقد التى اطلقها جورباتشوف فى الاتحاد السوفييتى مقترنة بالنشاط الخاص فى فروع اقتصادية كثيرة ، فضلا عن اطلاق سراح كثير من المنشقين وعلى رأسهم العالم الذرى « سخاروف » ، والزعيم المسلم الذي كان يحتج على ترحيل المسلمين من القرم فى أيام ستالين .. هذه الصيحه قد بلغت مداها فى « الميكروفون » الصينى بالتظاهرات التى قام بها الطلبة الصينيون فى اكثر من مائة جامعه تضمها خمس عشرة مدينة من تلك الدولة الاشتراكية الضخمة ! وربما تثبت الايام أن « دينج سياو بنج» سوف يدخل التاريخ باعتباره قائد عودة الشيوعيين الى حظيرة الاشتراكية الديموقراطية !

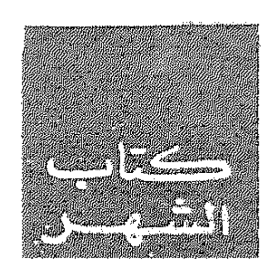
على انه بغض النظر عن الموقف الشخصى لهذا الفرد أو ذاك - فان الحركة فى مجموعها تشير الى اتجاه التطور التاريخى على نحو لا يجرؤ على انكاره الا مكابر أو مغرض . لقد أصبح الاستبداد باسم الاشتراكية او تحقيق مكاسب اقتصادية للجماهير مرفوضا من الضمير الانسانى فى كل مكان ، وذلك منذ ادانة فظائع ستالين فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى عام ١٩٥٦ ، ولقد ثبت ان الاستبداد - وقد قامت الاشتراكية أساسا فى بلدان متخلفة اقتصاديا - انما يؤدى فى الواقع الى نشوء طبقات جديدة ، تحاول الاستئثار بكل ثمار تطبيق الاشتراكية على حساب الجماهير الكادحة وقد عبرت الطبقة العاملة البولندية عن هذه الحقيقة بوضوح ، حينما التفت حول نقابة تضامن المستقلة ، رافضة السلطة المطلقة البيروقراطية للحزب الشيوعى البولندى .. واذكر فى هذا الصدد حوارا دار بينى وبين بعض الماركسيين البولنديين الذى هجروا الحزب الشيوعى وانضموا

الى نقابة تضامن وذلك خلال زيارة قمت بهـا لبولنـدا عام ١٩٨٢ وكتبت عنها « للهلال » آنذاك ٠

(انظر الهلال عددى فبراير ومارس عام ١٩٨٣) ٠ فى هذا الحوار ناقشنا فكرة عقد دولية اشتراكية جديدة تقوم على أساس الديموقراطية وترفض فكرة ديكتاتورية البروليتاريا أو اية صيغة استبدادية تعتبر تحويرا لها،وفى الوقت ذاته ترفض التخلى عـن المكاسـب الاشتراكية للجماهير سواء فى المعسكر الاشتراكى أو الدول التى أخذت بهـذا القدر أو ذاك من التطبيق الاشتراكى ٠ بل تعتبر أن التمسك بالديمقراطية انما يؤدى الى تعميق المكاسب الاشـتراكية للجماهير ، ويلغى استبداد الطبقـة الجديدة وفسـادها وشراهتها معـا واقترحنا ان تكون هذه الدولية الجديدة هى الدوليـة الاشـتراكية الخامسة ٠٠ حيث كانت الدوليـة الاولى هى التى حضرها كارل ماركس واعلن فيهامنصبه للاشتراكية العـلمية ، فى مواجهـة التيارات الاشتراكية الطوباوية التىكانت قائمة فى عصره ٠ أما الدولية الثـانية فكانت تتشكل من الاحزاب الاشـتراكية الديمقـراطية التى تأخـذ معظمهـا بالماركسية ، ولكنها تدهورت فى فـترة الحرب العالمية الاولى حينما وافقـت معظم الاحزاب التابعة لها على الاشتراك فى تلك الحرب التى كانت تدور ما بـين الدول الاميريالية فى صراعها عـلى تقسيم المستعمرات ٠ وقد دعـا لينين أنصاره الى الانشقاق عن تلك الدوليـة وتكوين الدولية الثالثة أو الكومنترن،من الاحزاب الشيوعية ، التى تأخذ بنظريته عن ديكتاتورية البروليتاريا ٠ وقد تولى ستالين حل هذه الدولية خلال الحـرب العالمية الثانية ترضية لحلفائه من الدول الغربية ٠ أما الدولية الرابعة فهى التى شكلها تروتسكى بعد انشقاقه عـلى ستالين ، ولم يكتب لها قدر يذكر مـن الاهمية التاريخية ٠

ولكن الدولية الخامسة الاشـتراكية الديموقراطية ، التى ندعو اليها الآن ، تتوافر عناصرها فى جميع أنحاء العالم، فمعظم الاحـزاب الشيوعية فى غـرب أوربـا قد اختارت طريق الديموقراطيـة وأعلنت تخليها عن مبـدأ ديكتاتورية البروليتاريا ، وأن أن تعود الوحـدة بينها وبين الاحـزاب الاشـتراكية الديموقراطية فى بلادها ٠ كذلك تنمـو وتتصاعد التيارات الديموقراطية داخل المعسكر الاشـتراكى من بولنـدا الى الاتحاد السوفييتى الى الصين ٠ عـلى ان الحاجة الاسـاسية الى عقد هـذه الدولية واعلان مبادئها الديموقراطيـة الاشتراكيه فى وضوح وجسارة انما هو فى البلدان النامية فى آسيا وأفريقيـا وأمريكا اللاتينية ٠ **فكثير مـن هـذه البلدان تقوم فيهـا نظم اسـتبداديـة ترتدى مسوح الاشـتراكية والتقدم ، وبعضها يعـلن انتماءه للماركسـية اللينينية ، وبعضها يعرض عـن ذلك ٠** ولكن واقع الامر ان الاستبداد فيهـا يطغى على كل ما حققتـه أو يمـكن أن تحققه من مكاسب اقتصادية للجماهير ٠٠ وقد آن أن يقـال لها ولجماهير شعوبها من على منبر عالمى صريح : ان آخر صيحة اشتراكية حقة هى الصيحة الديمقراطية ، **وان مصالح الطبقـات العاملة والجماهير الشعبية بعامة انما تكمـن فى الربط الوثيـق مـا بين الديموقـراطية السـياسية والعـدل الاجتمـاعى ، اى الديموقـراطيـة الاقتصـادية !٠**





إلى أين يذهب الفلسطينيون بعد الحدود الأخيرة؟

تأليف: ادوار سعيد
كاميرا: جين موهر
بقلم: تحسين بشير

من محمود درويش الذى طالما استعان بشعره يستمد ادوارد سعيد عنوان كتابه هذا .. الذى قد يبدو للوهلة الاولى من تلك الكتب المصورة التى يعمل الصحافيون على انشائها وليس كاتبا بحجم وثقل ادوارد سعيد ، المفكر الفلسطيني النابه ، وصاحب القلم المميز .

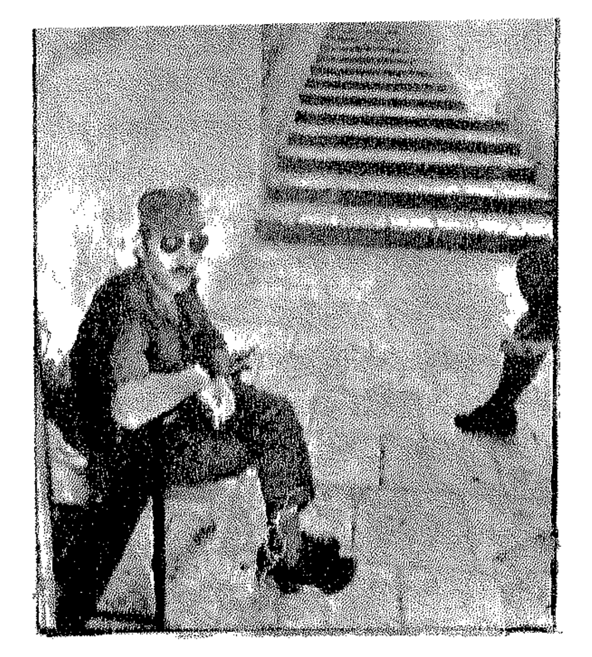
يقول درويش :

الي اين نذهب بعد الحدود الاخيرة
اين تطير العصافير بعد السماء الاخيرة

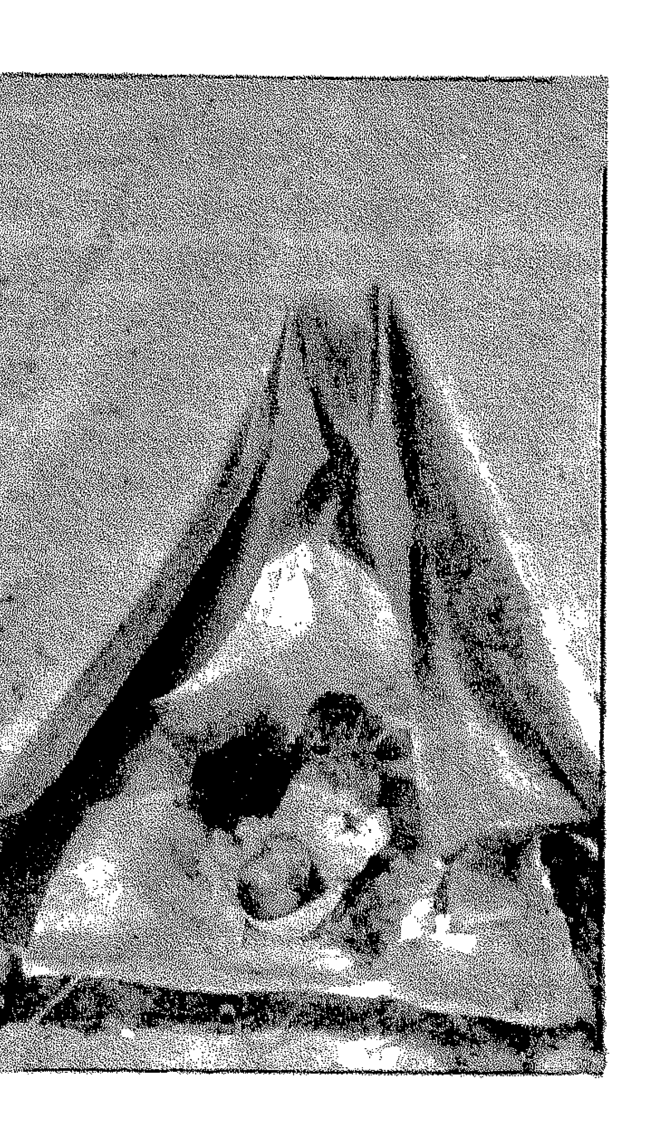
ومن هنا جاء النوان

لكن ما الذى دفع بادوارد سعيد الى ان يكتب مثل هذا الكتاب ؟

لقد نشأت فكرة هذا الكتاب المصور - كما يقول هو فى مقدمته - اثناء عمله مستشارا للاعداد لمؤتمر الامم المتحدة الذى أقيم فى جينيف عام ١٩٨٣ عن القضية الفلسطينية وكان قد سبق له ان تعرف على صور جين موهر ، المصور الذى تلتقط كاميراه روح الحياة قبل شكلها فاقترح ان توضع هذه المجموعة الحية من

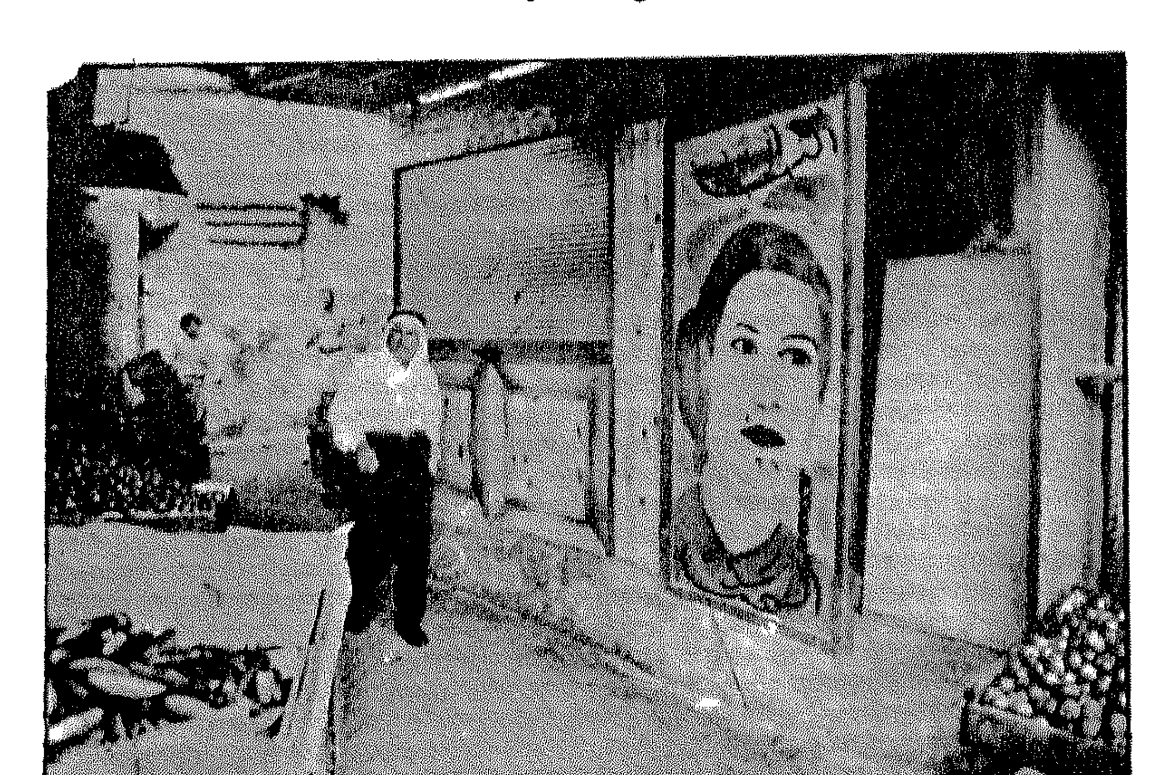


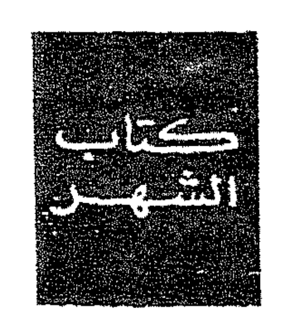
ضريح سيدنا ابراهيم فى الخليل .
وتحول جزء من المسجد الى معبد
يهودى ، يقوم بحمايته قوات جيش
الاحتلال الاسرائيلى



مازال هذا الطفل ينام
فى خيمة بالية فى
صحراء النقب قرب بير
سبع

صورة لأم كلثوم فى واحد من شوارع الناصرة





الصور فى مدخل القاعة التى يقام بها المؤتمر .

وكان ادوارد سعيد قد وجد بهذه الطريقة حلا لمشكلة - التعبير عن الفلسطينيين كشعب حى ، ديناميكى وفعال له حياته الغنية الخاصة ، ورؤيته للعالم بكل ماتحتويه هذه الرؤية من تنوع وتضارب .. ومن أمل وألم ومايطرحه المنظور الانسانى من ثروة الابعاد الحية للشعب الفلسطينى تصعب صياغتها فى قوالب محددة أو ادراجها فى تصنيفات سهلة .

● تعبير من منطلق جديد ●

واذا كانت « فلسطين » بالنسبة للانظمة قضية دائمة من الاعتداءات الاسرائيلية ومن التعاون بين الصهيونية والامبريالية لنزع حقوق الفلسطينيين ، واهدار كرامتهم وما الى ذلك من حجج ، ومناظرات سياسية اخلت بقدرة العالم على رؤية الفلسطينيين بعيدا عن جو الاتهام والهجوم والخلافات ، فان المؤلف والمصور هنا وضعا امام اعينهما هدفا واضحا هو التعبير عن الحياة الفلسطينية بما فيها من ثراء وخصب من منطلق جديد بعيدا عن التعميمات الفجة والصور السلبية التى تعمل الصهيونية على ترسيخها فى الوعي السياسى الغربى عن شعب فلسطين الذى جرد من ارضه ولايزال البعض يحاول تجريده من انسانيته بصك صورة له كإرهابى ملثم بالكوفية ومتمنطق بالكلاشينكاوف ، كما يحاول آخرون ان يعمم عن هذا الشعب صورة المنهزم والمنقسم المشتت الى غير ذلك من الصور التى تثير الأسى أكثر مما تدعو الى التفهم والتعاطف .

انه تحد صعب ، يساهم هذا العمل بجدارة في الوصول اليه ، تحد يتطلب فك اسر الشعب الفلسطينى من الصورة السلبية التى طبعت عليه كجزء من الحرب النفسية والحرب السياسية التى اختزلت الحياة الفلسطينية الى مجرد دمية على لوح شطرنج وسلبته حق التعبير عن نفسه بحرية .

وهذه الصور تحكى ايضا خبرة الشعب الفلسطينى فى مواجهة الحياة تحت الاحتلال او تحت الحكم العربى او فى الشتات فى انحاء الكون .. خبرة فريدة تجمعها هذه الصور لانها بحكم واقعها الانسانى خبرة صعبة معقدة ومتغيرة لايمكن تجريدها بيسر ، والا اختلت ابعادها الغاربة فى ثنايا المأساة التى شكلت اغوار الخبرة الفلسطينية .

● التحدى الصعب ●

بالكلمة والصورة .. هذه تجربة الخوض فى اعماق المشكلة والتعبير عنها بما يطرحه من اجواء واساليب والوان ومشاعر للشعب الفلسطينى وهو يواجه بعملية



رغم حرب الابادة ، تمضى الحياة . واللقطة لعروسين فى طريقهما إلى عش الزوجيه فى مخيم البداوى بطرابلس فى لبنان

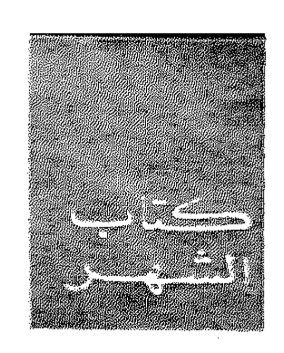
تجريده من ارضه ومن تاريخه ومن ذاته وتشتيته فى اركان الارض .. ورغم كل ذلك نرى هذا الشعب رؤى العين متماسكا فى مجتمع حى ، يؤكد شخصيته وترابطه رغم كل القيود والحدود .

التحدى صعب ومستمد والصورة معقدة ومتحركة والالام عميقة ، والافاق ضيقة قائمة ، ولكن الشعب يصر على الحياة ويتحدى اليأس والفشل ويواجه العنف والتشتت بتأكيد ذاته وبفرض ارادته .

ان كلمات ادوارد سعيد ، وصور جين موهر تطرح صور الحياة الفلسطينية من معين حى يقول للعالم بأصوات مختلفة ان هنا مجتمع قومى فلسطينى يؤكد شخصيته وترابطه لأن الرابطة الانسانية الجادة تفوق الزمان والمكان ، والشعب الحى يؤكد نفسه حتى ولو سلبت كل قطعة من ارضه .. انه يعيش تجربة شعب يبحث عن وطن ..

والسؤال هنا متى يتعلم الصهاينة الدرس ويدركوا ان الشعب الفلسطينى لابد من ان ينتصر لانه لابد من ان يكون له وطنه وهو موجود وهو لن يتخلى عن المطالبة به .

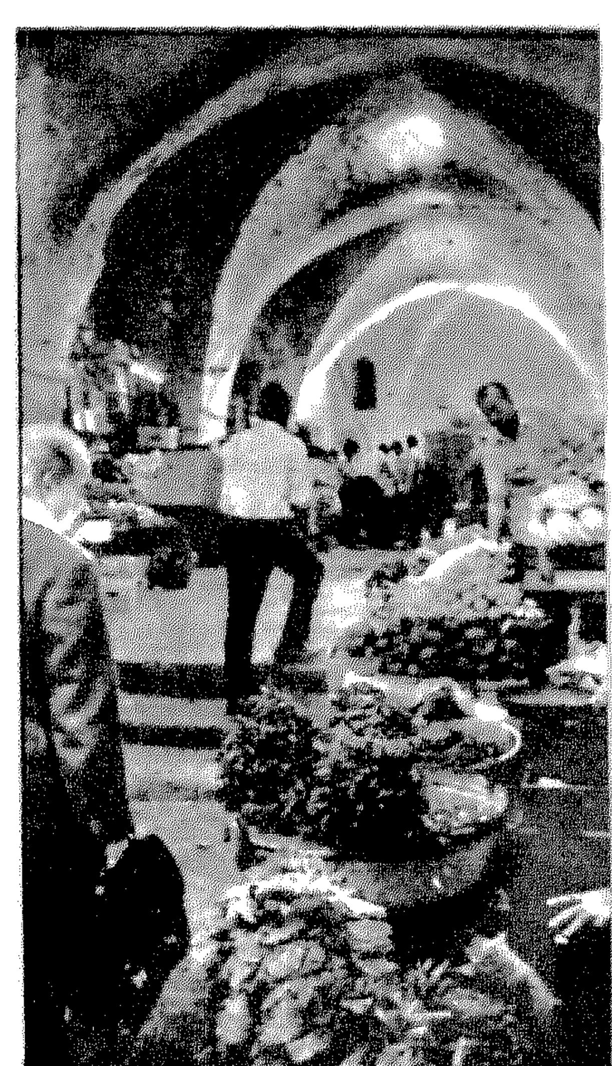
يبقى ان نعرف ان ادوارد سعيد هو استاذ الادب المقارن بجامعة كولومبيا فى الولايات المتحدة الامريكية ولد فى فلسطين ، ودرس حتى الثانوية فى مصر ثم تعلم فى جامعتى برنستن وهارفارد ، وحصل على اكبر مركز علمى فى الادب الانجليزى حققه عربى فى الولايات





السجادة تذكر اهل البيت بحياة الصحراء ، أم بدوية من بير سبع بعد استقرارهم فى تل الشرقا ، ومازالت بقية القبائل تعيش فى البادية

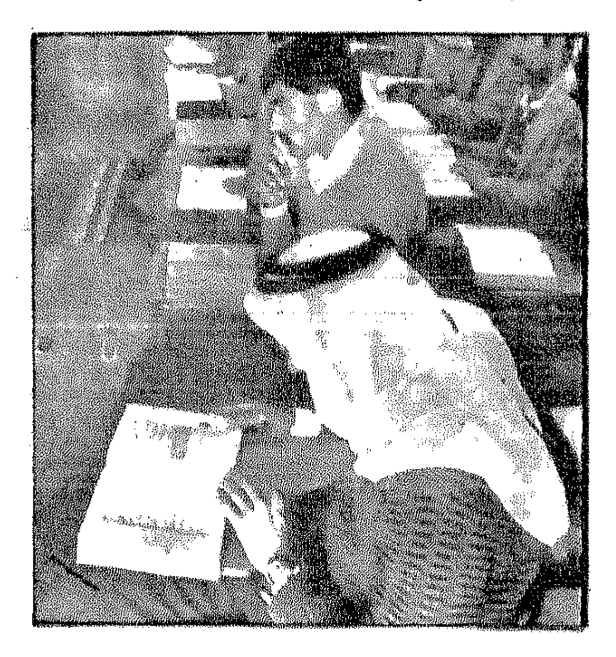
سوق الخضار داخل القدس العتيقة



محل بقالة فى الخليل فى قلب الحى القديم



حرصت الأم فى صورتها التذكارية مع ابنائها على ارتداء زيها التقليدى . والعائلة تعيش قرب مدينة الخليل



هكذا يدرس الكبار القرآن الكريم فى مدينة القدس ، بجوار حائط مسجد سيدنا عمر بن الخطاب

بل على العكس حقق الكثير لشعبه بتفوقه العلمي واصراره على ان يتكلم بلا توقف عن قضية شعب ، كاشفا النظرة الخاطئة التى شوهت صورة العرب والمسلمين .

لقد كتب الكثير من الكتب وفيها تتجلى قدرته الفريدة على الصياغة وامتلاك ناحية ادواته ككاتب مهم ومن اهم هذه الكتب كتابه عن « الاستشراق » وكذلك كتابه عن « تغطية الاسلام » الذى يدرس كيف تقوم اجهزة الاعلام الامريكية بالتغطية الاعلامية للعالم الاسلامى ويجدها صورة مشوهة ومغرضة كذلك يأتى كتابه « المسألة الفلسطينية » على ناحية النقد العنيف للتناول الغربى للقضية الفلسطينية .

المتحدة . ولم يصل ادوارد سعيد الى هذا المركز المميز بالتنكر لشعبه وقوميته على الرغم من حصوله على الجنسية الامريكية

.. ان هذا العرض السريع ماهو الا دعوة حارة لقراءة الكتاب ، وتأمل صوره الحية الانسانية الملامح .

الاستيطان الإسرائيلى في الأراضى العربية المحتلة.. إلى أين؟

بقلم: د. على الدين هلال

الحديث عن الاستيطان الاسرائيلى هو حديث عن جوهر التجربة الاسرائيلية والايدولوجية الصهيونية ، وهو يقودنا الى كل القضايا المثارة فى اسرائيل فالاستيطان والهجرة مثلا هما وجهان لحقيقة واحدة، وسياسة اسرائيل فى الاراضى المحتلة تجد تبريرها الايدولوجى من مفهوم ارض اسرائيل وحق اليهود فى الاستيطان فيها . وقبل كل شىء وبعده فان اسرائيل تستند فى وجودها الى مفهوم الاستيطان ، وكان احد الاهداف الاساسية للحركة الصهيونية – ومازال – هو جمع يهود انعالم وتهجيرهم الى فلسطين ..

وعلى المستوى الفكرى فان الاستيطان هو الاداة البشرية للحركة الصهيونية للسيطرة على الارض ، وارتبط ذلك بمفاهيم هامة مثل غزو الارض وغزو العمل . فالارض التى يشتريها الصندوق اليهودى تصبح نظريا ملكا « للشعب اليهودى » ولا يجوز ان يشتغل عليها عامل « غير يهودى » وعبر « يشاهو بن فورات » عضو الكنيست السابق عن اهمية موضوع الاستيطان بقوله :

« لا صهيونية بدون استيطان . ولا دولة يهودية بدون اخلاء العرب وبدون مصادرة اراضى وتسييجها » .

● تدعيم الاستيطان ●

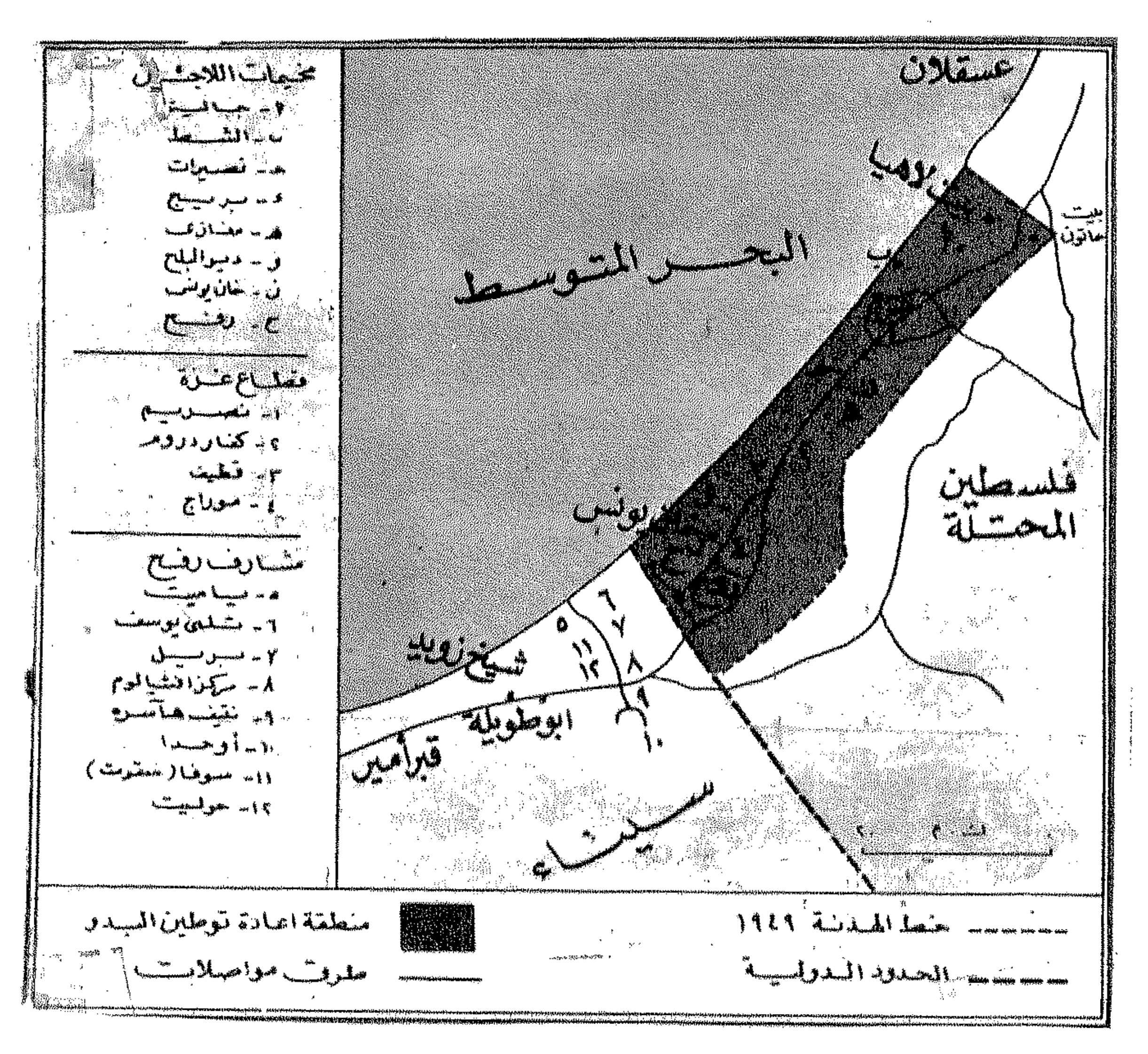
لذلك اقتنصت اسرائيل كل فرصة واستغلت كل مناسبة لتدعيم الاستيطان فى الضفة الغربية وغزة . واتبعت مجموعة من السياسات للحصول على الارض بعد اخلائها من سكانها . ولتحقيق ذلك قامت بعدد من الممارسات بقصد خلق واقع جديد يكون من شانه تيئيس الفلسطينيين من امكانية تغيير هذا الموضع ، واجبارهم على مغادرة البلاد .

ويمكن تناول تلك الممارسات من زاويتين : الاستيلاء على الارض والاستيطان .

● أولا : الاستيلاء على الارض

قامت اسرائيل باستخدام كافة الالاعيب القانونية للاستيلاء على الارض ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى نهاية عام ١٩٨٥ استطاعت اسرائيل الاستيلاء على حوالى ٥٠٪ من اجمالى مساحة الضفة الغربية ولا يشمل ذلك الاراضى التى تم الاستيلاء عليها داخل المدن والقرى العربية ، كما استطاعت الاستيلاء على حوالى ثلث مساحة قطاع غزة . ويتم الاستيلاء على الارض بعدة طرق . أولها : مصادرة الاملاك الحكومية . فقد اعتبرت اسرائيل نفسها ممثلة للسلطة العامة فى البلاد وقامت بتعريف الاملاك الحكومية تعريفا واسعا تضمن « الاراضى المسجلة باسم الحكومة الاردنية ، والاراضى التى لا تجاوز المناطق السكنية » ، والاراضى التى لا يقيم عليها مالك ، والاراضى غير المستغلة خلال السنوات العشر الاخيرة !! وأى أراض لا يستطيع مالكها اثبات ملكه لها تصبح تلقائيا من املاك الحكومة .

المستوطنات الاسرائيلية فى قطاع غزة



الاستيطان الإسرائيلي

وثانيها : الاستيلاء علــى املاك الغائبين وفقا للقانون الذى أصدرته اسرائيل عام ١٩٥٠ ٠

وثالثها : السـيطرة علـى الارض بحجة المنفعة العامة وتمســكين المستوطنين من تلك الارض ٠

ورابعها : مصادرة الارض لاعتبارات الامن ، ويتم ذلك بمجرد اعــلان الحاكم العسكرى اغلاق اى منطقة لاعتبارات امنية دون تحديد الاسباب التى دفعته الى اتخاذ هذا القرار ٠

وخامسها: الشراء وسادسها: خنق الزراعة العربية وحصـارها ٠ وذلك باساليب شتى منها اعلان اسرائيل ملكيتها للمياه الجوفية فى الضـفة الغربية ومنع العرب من حفر ابـار ارتوازية جديدة الا بموافقة الحاكم العسكرى فى نفس الوقت الذى قامت فيه بحفر ابار عميقة للمستوطنـات اثرت على كمية المياه الجوفية التى كان المزارعـون الفلسطينيون يعتمدون عليها (ولتوضيح هذا الوضع نذكـر ان سكان المستوطنات الذين يمثلـون نسبة ٢ر٣٪ من مجموعة سـكان الضفة الغربية يستخدمون ٣٠٪ من اجمالى استهلاك الماء فى المنطقة)٠ ومنها عدم السماح للفلسـطينيين بزراعة أو تجديد زراعة الحمضيات الا باذن الحاكم العسكرى ، وعــدم امكانية التصدير للخارج الا من خلال الهيئات الاسرائيلية وعدم السـماح ببيع انتاج غزة فى داخل اسرائيل ٠

● ثانيا : الاستيطان :

لا توجد ارقام دقيقة عن عــدد المستوطنات ، والارقام التى ترد من كثير من المقالات تعوزها الدقة فهـى تخلط أحيانا بين الارقام التى تعبـر عن مشاريع او خطط لبناء مستوطنات وتلك التى انشأت فعلا ، وكذلك تخلط احيانا أخرى بين تلك التى بدأ العمل منها ، وتلك التى تم اقامتهــا واستيطانها بالفعل ٠ لذلك نجـد ان بعض المراجع العربية يرتفع برقــم المستوطنات الى اكثر من ٢٠٠ وهو رقم مبالغ فيه فى تصورى ، والارجـح ان عدد المستوطنات فى الضـفة الغربية قد تجاوز المـائة ، وانه فى قطاع غـزه فى حـدود خمس عشرة مستوطنة ٠

وتكشف متابعة النشاط الاستيطانى الاسرائيلى فى الارض المحتلـة عن حقائق هامة تتعلق بالتصور الاسرائيلى لمستقبل الضفة الغـربية وبالجهــود المبذولة لتحقيق هذا التصور ٠

ويمكن القول ان وصول جبهـــة الليكود الى الحكم فى عام ١٩٧٧ قد اعطى دفعة كبيرة للحـركة الاستيطانية ويتم الاستيطان وفقا لسياسة حكومية وبدعم من اجهزة الدولة ، ويقوم على انجازها عدد من الوزارات التى يتصل عملها مباشرة بالموضوع وهى الزراعة والاسكان والدفــاع وكذا ادارة الاستيطان التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية ، وبعض التنظيمات مثــل جوش ايمونيم ٠ ويتم التنسـيق بين هذه الانشطة بواسطة اللجنــة الوزارية للاسكان ، التى تضــم سبعة وزراء وسبعة ممثلين عن المنظمة الصهيونية العالمية ، ويقــوم مجلس الوزراء فى النهاية باقرار السياسة ٠

ولتشجيع الاستيطان تقوم الحكومة الاسرائيلية بتقديم الحوافز اللازمـة لذلك مثل اعطاء قروض لشــراء مساكن وتسهيلات عند الدفع ويأخذ النشاط الاستيطانى عددا من الاشكال تتمثل فيما يلى :

● اقامة مستوطنـات جـديدة عـلى أراض تم الاستيلاء عليهـا وعــادة ما يبدأ النشاط بشق الطرق واقـامة خزانات المياه ٠

المستوطنات الاسرائيلية فى
الضفة الغربية

١ ــ محولا .
٢ ــ ارجمون .
٣ ــ موقع مدنى تحت الانشاء .
٤ ــ مشواه .
٥ ــ موقع ريفى تحت الانشاء .
٦ ــ فصايل .
٧ ــ تومر .
٨ ــ جلجل .
٩ ــ نيتف هجدود
١٠ ــ نعران .
١١ ــ يطيف .
١٢ ــ الموج .
١٣ ــ كاليه .
١٤ ــ متسبى شاليم .
١٥ ــ ملكى بشوع .
١٦ ــ روعية « بكيعوت سايقا »
١٧ ــ بكيعوت .
١٨ ــ حمرة .
١٩ ــ مخورة .
٢٠ ــ جتيت .
٢١ ــ معالى افرايم .
٢٢ ــ ميفوشلواه
٢٣ ــ كوخاف هشاحر
٢٤ ــ راموتيم .
٢٥ ــ معالى ادوميم .
٢٦ ــ كفر اقدوم « الون مورى » .
٢٧ ــ مسحه « بيريم » .
٢٨ ــ عفره « بعل هاتزور » .
٢٩ ــ ميفوحورون « جمل » .
٣٠ ــ منتزه كندا .
٣١ ــ تكوع .
٣٢ ــ اليعزر .
٣٣ ــ روش صوريم .
٣٤ ــ الون شفوت .
٣٥ ــ كفار عصيون .
٣٦ ــ كريات اربع .
٣٧ ــ عطاروت .
٣٨ ــ نيفى يعقوب
٣٩ ــ راموت .
٤٠ أ ــ رامات اشكول .
٤٠ ب ــ منطقة سانهدرايا
٤٠ ج ــ نحلات دفنة .
٤٠ د ــ جفات هامفتار .
٤١ أ ــ التل الفرنسى .
٤١ ب ــ الجامعة العبرية «على جبل سكويت »
٤٢ ــ حيلو .
٤٣ ــ طاليوت الشرقية .
٤٤ ــ الحى اليهودى .
٤٥ ــ ريحانيه .
٤٦ ــ زور ناتان « ب » .
٤٧ ــ ميفوحورون « ب » .
٤٨ ــ يتير « اوعتير » تحت الانشاء .

الاستيطان الإسرائيلى

● توسيع مستوطنات قائمة والاستيلاء على أراض جديدة مجاورة.
● اقامة احياء يهودية في داخل المراكز الحضرية الفلسطينية الكثيفة بالسكان كما حدث في مدينة الخليل.
● محاصرة قرى ومراكز سكانية عربية بحزام من الاستيطان الصهيونى وتتم اقامة المستوطنات وفقا لتصور استراتيجي ، يهدف الى تقطيع أوصال الضفة الغربية . وفى دراسة للدكتور على جرباوى استاذ العلوم السياسية بجامعة بيرزيت ، عن الموضوع ، وصل الى القول بان الاستيطان الصهيوني يتركز فى قطاعين يمتداث عبر المنطقة من الشمال الى الجنوب. الاول فى الاغوار بموازاة نهر الاردن والثانى على الحافة الغربية لمرتفعات الضفة الغربية التى تطل على الساحل وينطلق من هذين القطاعين محاور استيطانية افقية تقطع الضفة الغربية عرضيا فى عدة اماكن ، وتقوم بربط


المستوطنات الاسرائيلية
فى مرتفعات الجولان
١ ـ نيفى اتيف
٢ ـ شنير
٣ ـ هارادوم
٤ ـ الروم
٥ ـ مروم جولان
٦ ـ عين زيوان
٧ ـ قصرين
٨ ـ كيشيت
٩ ـ اينعام
١٠ ـ يوناتان
١٢ ـ جملا
١١ ـ شعل
١٣ ـ داموت
١٤ ـ مركز خسفين
١٥ ـ رامات مغشيميم
١٦ ـ افنى ايتان
١٧ ـ نوف
١٨ ـ جشود
١٩ ـ أيلى عال
٢٠ ـ جيعات يؤاب
٢١ ـ مركز بنى يهودا
٢٢ ـ ناؤوت جولان
٢٣ ـ افيك
٢٤ ـ كفار حوريف
٢٥ ـ ميفوحمه
قرى عربية
ا ـ رجاز
ب ـ عين كينيا
ج ـ مجدل شمس
د ـ مسعده

شبكة المستوطنات فيها بداخل الكيان الصهيونى . وبموجب هذه الخطة يتم تقطيع الضفة الغربية الى ثلاث شرائح طولية تحوى الوسطى منها حوالى ٦٥٪ من العرب وباستمرار تكثيف الاستيطان على جانبى تلك الشريحة يتم محاصرتها سكانيا وماديا وعسكريا .

● تاكيد الامر الواقع ●

ومن اهم الظواهر السياسية التى ارتبطت بعملية الاستيطان ، ظهور المستوطنين كقوة سياسية وعسكرية وتنظيم انفسهم فى مؤسسات وتنظيمات ادارية تنخرط كلها فيما يسمى «مجلس البيشوف اليهودى فى يهودا والسامرة وغزة » وتضم هيئات للتشريع والتنفيذ وتهدف تلك المؤسسات الى تاكيد الامر الواقع الجديد والحيلولة دون حدوث اية تسوية سياسية يكون من شانها تغييره

ومن البرنامج الذى اصدره المجلس فى اغسطس ١٩٨٤ ورد فيه انه يعمل على تطبيق السيادة الاسرائيلية فى المناطق بكل السبل الممكنة . وعندما نتأمل من المجالس والهيئات المرتبطة بهذا المجلس فاننا نتذكر على الفور نفس المجالس والهيئات التى اقيمت فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ وان ما نراه فى الضفة الغربية وغزة هو نواة .. « دولة فى الطريق » ليس دولة جديدة وانما استمرار وامتداد للدولة الاسرائيلة .

ويصدر المستوطنون صحيفة لهم (نكودا) وفى العدد ٧٥ منها كتب احد المتحدثين البارزين باسم المستوطنين (المحامى الياكيم هعتسانى) « ان دولة اسرائيل التى تتخلى عن السيادة الاسرائيلية فى يهودا والسامرة وغزه تفعل ذلك باسمها فقط . ان اليهود فى يهودا والسامرة وغزه لن يكونوا ملزمين بتصرف من هذا النوع . وفى ظروف كهذه ، هل يجوز لنا ان نتولى شئون القانون بانفسنا ؟ »

ولا يقتصر الامر على الدعوة والمطالبة بل قام المستوطنون بعمليات الهجوم على العرب وتخويفهم وارهابهم وفى العام الماضى قام حوالى ٦٠٠ من المستوطنين باظهار قوتهم التنظيمية والعسكرية عندما قاموا باغلاق ٣٠ مفرقا للطرق فى الضفة الغربية .. كما تم الكشف عن عدد من الجماعات الارهابية بين المستوطنين التى مارست عمليات عسكرية ضد العرب

● ضرورة التمسك بالارض ●

ان تحليل الاتجاهات المرتبطة بالاستيطان الصهيونى يشير اولا الى ما هو ابعد من الاستيلاء على الارض والاستيطان عليها بل نرى ظهور مؤسسات وهياكل اداريه وتطور قوة سياسية سوف تكون ذات تاثير على اى تسوية فى المستقبل .

ويشير ثانيا الى ان المعضلة الرئيسية التى تواجهها اسرائيل وسياسة الاستيطان فى الاراضى المحتلة هى استمرار بقاء الفلسطينيين عليها ، وان مجرد التمسك بالارض والاقامة عليها هى ملاذ الدفاع الاخير ضد المخطط الصهيونى وكلما تزايد الفلسطينيون وتكاثروا فان المعضلة الاسرائيلية تحتدم وتزداد حدة .

وثالثها ان واحدة من اهم المهام الملقاة على العرب اليوم هى دعم استمرار الفلسطينيين على اراضيهم وضمان استمرار فرص الكسب والعمل على الارض . فالارض هى سياج الحماية واذا ما فقدت فانه لا يمكن تعويضها باى مزايدات ثورية او خطابية . البقاء على الارض هو بداية الحكمة ومنها ينطلق كل شىء

•• فى الروايـة العـربيـة

فلسطينيون..
يعزفون لحن التخلّى

بقلم : فاروق عبدالقادر

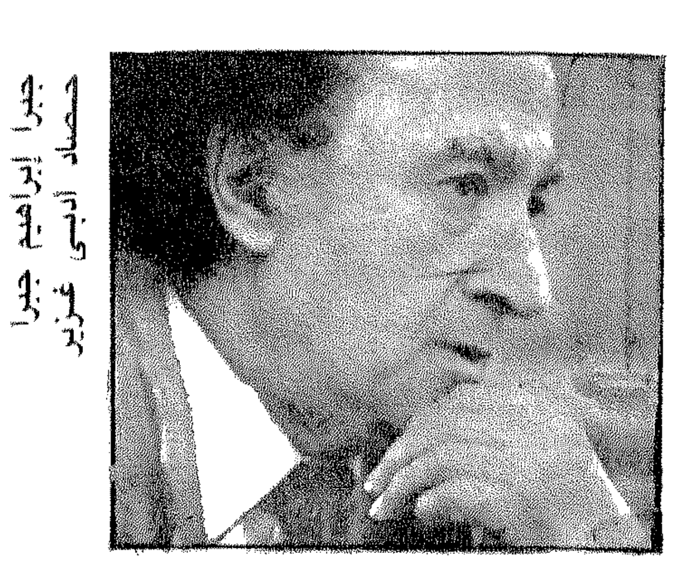
● جبرا إبراهيم جبرا وجه متفرد فى الثقافة العربية المعاصرة : فلسطيني مقدسي ، عاش طفولته وصباه وأول شبابه بين القدس وبيت لحم ، وعرف أدب الغرب وثقافته فى « هارفارد » و« كيمبريدج » ، وخرج من فلسطين فيمن خرج بعد ٤٨ ، ألقى مرساته على شط دجلة ، وشارك فى الثقافة العراقية مبدعا وناقدا ومترجما (فى الأدب والتشكيل) ، وعاملا بالتدريس والادارة ، جوَّاباً لعواصم العالم ، متابعا للتجارب الجديدة فى آدابه وفنونه .

وحصاده اليوم من العمل الابداعى ليس بالقليل ولابالهين : مجموعتان شعريتان « تموز فى المدينة ، ٥٩ » ، « والمدار المغلق ، ٦٤ » ومجموعة من القصص القصيرة « عرق وقصص أخرى ، ٧٤ » وثلاث روايات : « صراخ فى ليل طويل » و« السفينة ، ٧٠ » ، ثم « البحث عن وليد مسعود ، ٧٨ » ، بالاضافة لرواية رابعة هى « صيادون فى شارع ضيق » ، كتبها ونشرها بالانجليزية فى ٦٠ ، وصدرت ترجمتها العربية ، ولم يترجمها بنفسه ، فى ٧٤ ، كما اشترك مع الدكتور عبد الرحمن منيف فى عمل روائى هو « عالم بلا خرائط ، ٨٢ » .

وأننى اعتقد أن ماأنجزه جبرا فى مجال الرواية أهم انجازاته ، فهذا الشكل ـ بحرياته الواسعة فى اختيار الشخصيات والأحداث ، وقدرته غير المحدودة على خلق العالم المتفرد الذى يعادل هذا العالم ويهدف إلى تخطيه ـ قد أتاح لجبرا أفضل عرض لتكوينه الفكرى والنفسى الفريد ، وحصاده الثقافى الوفير ، ويسّر له ـ إذا صدقنا مايقول به السيكولوجيون ـ أن « يفكك De-Compose هذه الشخصية الواحدة ـ بتطور همومها المتفاعلة مع الواقع المتغير ـ فى عديد من الشخصيات .



جبرا ابراهيم جبرا
صيادون في شارع ضيق



ولاتخطيء العين عند جبرا ـ وأعنى فيمايلى عالمه الروائى فقط ـ هذا الهم الفلسطينى ، الذى هو جزء من ـ متلاحم مع ـ التخلف العربى الشامل ، بل إننا لو قرأنا أعماله الروائية فى تتابعها الزمنى لاستطعنا أن نرى هذا الهم فى تطوره ، وتفاعله مع أحداث الواقع من ناحية ، ومحاولة الارتفاع به من التعبير عن الخاص الى العام من الناحية الأخرى ، وقد حاول الروائى ـ فى عمليه الأخيرين بوجه خاص ـ أن يقدم رؤية للانسان والحضارة ، والحب والحرية ، والفن والابداع . يقدمها على ألسنة أبطاله أكثر مما يقدمها فى أحداث أعماله ، فأبطاله جميعا يتعشقون الكلمات ويتلذذون بها . هل أسبق القول بأنها تكاد تكون عندهم بديلا للفعل لاتعبيرا عنه ؟ أن هذا قد يصدق على معرض أبطاله من أمين فى روايته الأولى حتى وليد مسعود فى الأخيرة (فرواية « عالم بلا خرائط » بحاجة لتناول خاص) ، مرورا بجميل فران وعدنان وتوفيق ووديع عساف ، ولأن أبطاله فلسطينيون أو عراقيون ، يسبغ المؤلف على كلا الشعبين صفات الشعر والشعراء : الفلسطينيون شعراء لأنهم عرفوا جمال الطبيعة والمأساة ، والعراقيون كذلك ، شعراء كانوا أو محاربين . وماأكثر جلسات النقاش ـ المغسولة دائما بصفاء الويسكى أو لذعة الكونياك أو حرارة العرق ، أو استكانات الشاى أن تعذر سواها ـ جلسات النقاش هذه امتياز وضعف معا : هى فى ذاتها متعة خاصة ، تدور بين نخبة خاصة من « المثقفين » الذين لايملون الحديث والعزف على الكلمات ، وهم مدعومون بزاد وافر من الذكاء واللماحية والقدرة على التعبير والاتيان بما يثير ويدهش ، وكلهم لهم تجارب حياة ثرية ، وكلهم على معرفة جيدة بتراث آداب الغرب وتاريخه ومعالم عواصمه وشىء من التراث العربى (لعله لايعدو بعض الطرائف والحكايات المدهشة) ، وهم جميعا مهتمون بالفن وقضايا التعبير الفنى ، مولعون بالمناقشة حتى وهم وقوف على قارعة طريق أو محترقون فى أتون لقاء جنسى عاصف ، وفى انثيال الكلمات متسع لكل شىء . لكن هذا نفسه مايكاد يطمس الخطوط القائمة بينهم ، ويجعل معظمهم صادرا عن

فلسطينيون.. يعزفون لحن التخلي

الحساب لاعن الحس ، والانفلات يأسر المؤلف أحيانا فتبقى أعماله مترددة بين التخطيط الصارم المعد سلفا وبين الاستسلام لتدفق الكلمات ، ولأنهم جميعا يصدرون عن فكر المؤلف وتجربة حياته ، فإنهم يكادون ينحلون الى نموذج نمطى واحد ، صحيح إنه فى تغير وتطور ، لكن النظرة المدققة الى هذا النموذج ستكشف عن « ثوابته » أكثر من « متغيراته » .

● لحن الخروج ●

خرج بطل « صراخ فى ليل طويل » بعد أن أحرق عالمه وراءه : هجرته أمرأته فهجرها ، وضجر من المدينة التى عرفها من الداخل والخارج ، وهو لذلك يتركها غير آسف ، فقد قضى أكثر من عامين مربوطا بماضيه وماضيها ، هذا الرباط يتبدى فى صورتين : علاقة حسية بأمرأته التى هجرته ، فهو يحلم بجسدها وبلحظات اشتعالهما معا فى كل حين ، ثم تلك الثرثرة الممتدة مع حفنة من المثقفين المحبطين الساخطين ، ومدينته تأخذ عنده وجها فى الماضى وآخر فى الحاضر : ماضيها يتمثل فى ذلك الكتاب الذى يكتبه عن واحدة من عائلاتها الغنية العريقة المنقرضة ، وحاضرها هو القبح والقمامة والفقر والدمامة والغوص فى البول والغائط حتى الركبتين ، وأهلها أسماك صغيرة ضائعة تتخبط فى حوض زجاجى آسن ومنتن ، وهو إذ يتخلى عن أمرأته ـ مدينته فلكى يبدأ من جديد .. ويظل يسير على مهل فى الطريق الخالى والنهار الجديد .. « غير أن الطريق لم تظل خالية طويلا ، ماهى إلا فترة قصيرة حتى كانت شوارع المدينة تمتد وتتشعب أمامى ، تملؤها جموع الناس ، ولم يكن من العسير على ـ حين حدقت فى عيونهم ـ أن أدرك أن الكثيرين منهم كانوا هائمين على وجوهم ، كما كنت هائما لسنتين مديدتين ، يبحثون عن نهار لليل طويل ، وبداية لحياة جديدة .. » « ص ٩٥ » .

إنها افتتاحية لحن خروج الفلسطينى بعد أن أحترقت مدينته ، فأحرق ماضيه وراءه .

« صيادون ... » هى الرواية التالية : انطلق جميل فران الى العمل بالتدريس فى بغداد ٤٩ ، والرواية تصور حياته فى المدينة آنذاك . وقبل أن نتابع بطلها وحياته يجدر أن نطرح سؤالا حول ضرورة كتابتها بالانجليزية ، إن هذا يعنى شيئا واحدا لاشك فيه ، هو أن الكاتب يحدد الجمهور الذى يصل اليه عمله ، وهو يعرف هذا الجمهور ويتوجه اليه ، كما سنرى .

وإذا نحن نظرنا لهؤلاء الصيادين ومايحاولون صيده فسنجد شيئا واحدا مؤكدا كذلك : إن كلا منهم لم يرجع إلا بالأصداف الفارغة وملح البحار ، كلهم ، كلهم ضائعون ، يمارسون أنشطة غير مجدية ، يستوى فى هذا داعية البداوة الذى يرى الضرر ، كل الضرر ، فى الحضارة الحديثة ، والخلاص ، كل الخلاص ، بالعودة الى البادية ، الفن عنده قيىء الحضارة لأن الحضارة مرض ، وركوب الحصان أجدى من السيارة وأكثر اصالة ، ورجال المدن ذوو طراوة يعجزون عن إشباع نسائهم ، لذا تجدهن متهتكات أو مساحقات . هذا البدوى داعية

الصحراء والبعير والمواشى الثاغية والغزوات وعين الله التى ترعى هذا كله ، لايفعل فى حقيقة الأمر سوى أن يثرثر طويلا بين جماعة من « المثقفين » ـ هو حاصل ، بالمناسبة ، على ليسانس فى الحقوق ـ ثم يمضى يلتمس راقصة فى أحد كباريهات المدينة ، لأنها تمثل عنده الحضارة ، فهى بيضاء ، تملك أجمل فخذين فى بغداد . وفى مقابل توفيق تقف شخصية « الثورى » الذى يتحدث طويلا ، كالمعتاد ، عن الثورة والجماهير ، ويرى أن الفن يجب أن يستمد موضوعاته من حياة الفلاحين ، أو المعدمين والمتسولين والمجرمين ، أو كل من يحتقره المجتمع ويعتبره من حثالته . هذا « الثورى » ـ يعترف لنا جميل بأنه لايبالى به مقدار ذرة ـ حين يتكلم سرعان مايكشف عن بأس وأنهيار : « هذا البلد لاخير فيه ياعدنان . أنا أعتزم السفر .. اسمع ، كفانا مشاكل ـ مانفع قراءة الكتب أو تعلم أى شىء فى بلد مثل هذا ؟ .. » (ص ٢٢٧) ، هذا هو « النموذج الثورى » بين الصيادين ، يقدمه الكاتب موضوعا للاحتقار من جانبه وجانب اصدقائه على السواء . ثم هناك عدنان : ابن عائلة اقطاعية كبيرة ينكرها وتنكره (لكن هذا بطبيعة الحال ، لايحول بينه وبين أن يعيش على دخل من ميراثه عنها) ، يقضى نهاره وليله فى المقاهى والحانات ، يعتبر نفسه ثوريا فى الفن (الشعر) والحياة ، وهو فى حقيقته فوضوى صادر عن رغبة عاتية فى أن يرى كل قائم ينقض ، ولابديل عنده يقدمه .

بقى أن نتعرف على جميل فران نفسه ، وننظر اليه عن قرب : هو الشخصية الرئيسة ، يشحنه الكاتب بطاقة (نرجسية) هائلة ، ويجهد فى أن يجعلنا نرى بغداد وفلسطين والأحداث فيهما بعينيه فلسطينى خرج للتدريس فى بغداد ٤٩ ، بعد أن سقطت القدس ، وترك تحت انقاضها حبه الأول ، ووراءه فى بيت لحم عائلة تنتظر العون ، يأتى الى مدينة الرشيد غير مبتهج ، ويرى أولئك الصيادين لكنه مترفع عنهم ، متعال عليهم ، لاأصدقاء له بينهم ، وأن زعم غير ذلك ، لايجد نفسه إلا فى حفلات الكوكتيل حيث يدور الحديث ـ بالانجليزية طبعا ـ حول سومر وآشور والفن والحضارة ، بين عدد من العاملين فى السفارة البريطانية وغيرهم من المتسترين وراء دراسة الاركيولوجى أو العاملين بالمؤسسات البريطانية . إن ترك هذه الحفلات فليس ثم سوى الضجيج والتخلف والعفن فى شوارع بغداد وأزقتها ، وهو يحتقر هؤلاء المثقفين المساكين ، وينبهر ببداعية البداوة ويراه أصيلا ، وأن اختلف معه ألا يحق هذا للعائد من كيمبريدج ؟

● بطاقة بريد سياحية ●

كيف يرى هذا العائد من كيمبريدج ماحدث على أرض بلاده ، فلسطين ؟ إنه يرى ـ فى نقاش مع عدنان ـ أن الاعتماد على الرعاع كان السبب الأساسى فى ضياع ماضاع .. « فما لم ننتظم على نطاق واسع ، وكان لنا وكلاء فى أوربا وأمريكا ، وحصلنا على تأييد حكومة أو حكومتين فمن السخف حتى أن نبحث الأمر ص ١٤٨ ، هذا هو الأمر إذن : مالم يحصل الفلسطينيون على تأييد حكومة أو حكومتين فى أوربا وأمريكا (فقط) ، لما كان أمامهم أمل ، لا فى استعادة ماضاع ، بل لمجرد الرد على العد

فلسطينيون..
يعزفون لحن التخلّي

أرأيت لماذا كتب جبرا روايته بالانجليزية ولماذا لم يترجمها بنفسه ؟

وهذا مارأى جميل فران فى بغداد نهاية الأربعينيات : مدينة قذرة متخلفة ، تنضح شوارعها وأزقتها بالعفن والقمامة ، مثقفوها ضائعون ، تائهون متخبطون ، يهزمون أنفسهم قبل أن تهزمهم القوى المعادية ، الأصالة عندهم تحجر وجمود ورفض لكل تطور ، والمعاصرة عندهم انطلاق جامح لايبالى باحترام الجسد وكبرياء الانسان ، قوم لم يرثوا سوى مجد غابر انتهى لغير رجعة ، فى حاضر مضطرب يفوح بالتفسخ والتحلل ، وليس للناس الذين يحاولون الارتفاع فوق الفقر والعفن إلا الثرثرة حتى الاملال ، والسكر حتى القيىء ، هباتهم انتفاضات غوغائية ، بصفقات عابرة ماأسرع ماتجف تحت شمس بغداد اللاهبة (لاحظ أن هذه الانتفاضات التى حدثت فى ٤٨ / ٤٩ ، والتى لعبت دورا فى تحول الأحداث وتصعيد العنف والعنف المضاد فى عراق الأربعينيات وماتلاها) .

« صيادون فى شارع ضيق » بطاقة بريد سياحية ، يرسلها فلسطينى مستغرب ، يخاطب فيها رفاق كيمبريدچ ومن إليهم ، وهؤلاء ذوو ذوق رفيع وفهم متألق ، يستطيعون أن يفهموا رسالته حق ، وقد أسلفنا رأيه فى قضية فلسطين ورؤيته لما يحدث فى الواقع العربى ، بطاقة تقف عندما يروق لعين السائح العابر ، عين لاتود - ولايعنيها - أن تعى جوهر الحاضر ، فتكر راجعة الى أطلال بابل وسومر وآشور ، ولاتلتقط من الواقع المعيش إلا مايؤكد تفوقها ، وتفوق « النخبة » التى تنفصل عن تلك الكتلة الغوغائية ، فى الفكر والسلوك جميعا .

● نضج تكنيكى ●

على نحو من الأنحاء تبدو الرواية التالية « السفينة ، ٧٠ » ذات مستوى من النضج التكنيكى والأسلوبى يتجاوز العملين السابقين ، ويشير إلى درجة من التمرس تحققت لجبرا عبر سنوات طويلة من ممارسة التعبير بالعربية : شعرا ونثرا ، ابداعا ونقدا ، تأليفا وترجمة .

هى رواية مكثفة مركزة ، استطاع الكاتب فى صفحاتها - التى تقارب المأتين والخمسين - أن يقدم لنا عددا كبيرا من الشخصيات الرئيسة والتابعة ، فى ماضيها وحاضرها ، فى جدها وهذرها ، فى صحوها وسكرها ، فى تمردها على تكوينها النفسى واستسلامها له ، وأن يشد خيوطها معا بحيث يجعل « بؤرة أحداثه » فوق ظهر السفينة : هى احدى السفن الصغيرة التى تطوف بموانىء المتوسط ، حملت فى واحدة من رحلاتها تلك الشخصيات التى لايبدو اجتماعها محتملا إلا عبر سلسلة طويلة من المصادفات ، وزمن الرواية لايتجاوز الأيام القليلة التى تقضيها السفينة بين بيروت ونابولى ، أيام قليلة لكنها عاصفة ، تتفجر فيها الأحقاد والشهوات والعواطف ، وتنبثق الذكريات القديمة وتتدافع ، وكالمألوف فى عالم جبرا لايكف الأبطال عن النقاش والتفلسف حول كل شىء ، من تاريخ الانسان ، والحضارة ، والفن ، إلى

الواقع العربى وقضية فلسطين ، وتتناثر حولهم أسماء دستويفسكى وتوماس الأكوينى وكامى وفيدياس ولوركا وفرانشيسكو سلمينا وبلزاك وكافكا وبوتشيلى ، وتتساقط كلمات الطغيان والحرية . والثورة والايديولوچيا . وهم جميعا مؤهلون لأن يطلقوا كل تلك الكلمات لمى : درست الفلسفة فى كيمبريدچ ، وعصام درس الهندسة فى لندن ، ووديع : درس الفلسفة فى الجامعة الأمريكية ببيروت قبل أن ينغمس فى بغاء التجارة ، ويمارس الرسم للخلاص من كوابيسه الخاصة ، وفالح : درس الطب فى أدنبرة . حتى الشخصيات التابعة لديها المبررات لخوض النقاش دون كلل : محمود الراشد : مشتغل بالسياسة وتدريس العلوم السياسية ، يوسف حداد : يكتب الشعر الحديث ، فرناند جوميز : عازف جيتار من أسبانيا . هى مجموعة منتقاة إذن ، وبوسعها أن تطرح كل القضايا ، دون أن يبدو هذا بعيدا عن بنائها الفكرى والنفسى .. أو .. كما قال ! .

لكننا نحس أن وديع عساف أهم هذه الشخصيات ، وأكثرها تكاملا واستواء كشخصية روائية ، هى الشخصية التى تحظى من المؤلف بالاهتمام الأوفى ، وهى الشخصية التى تكاد أن نعرف كل شىء عن ماضيها وحاضرها ، وآرائها فى كل تلك القضايا وبقية شخصيات السفينة . فلنكتف ، هنا ، بالنظر إلى وديع ، وأغلب الظن لن يترك لنا شيئا لنستنتجه ، فهو عاصفة من الكلمات ، أكثر شخصيات السفينة ولعا بها ولعبا على أوتارها : فلسطينى من القدس (ذلك ثابت آخر من ثوابت عالم جبرا ، كذلك كان جميل فران ، وكذلك سيكون وليد مسعود) ، نفى عن جذوره يوم أضاع أرضه ، وكوفىء عن ذلك بمكتب استيراد وتصدير ناجح فى الكويت ، أعزب فى الثالثة والأربعين ، يحب طبيبة فى بيروت ويلقاها كلما هرب من جحيم الكويت ، يقرأ ويطوف فى عواصم العالم يطارد اللذة والنساء ويحلم بالعودة الى القدس : « الأرض التى اشتريتها فى مرتفع وراء كروم حلحول أفضل من ألف امرأة ، سأزرعها بيدى ، سأهجر بغاء التجارة ، سأزرع الكروم وأشجار الصنوبر والبندورة والتفاح ، سأحفر آبارا ارتوازية ، هذه العشرون ألف دينار التى جمعتها ستكفى لأن أمد لى جذرا عميقا فى أرضى من جديد .. » (ص ٤٥) ، ومرة أخرى ينهى الينا حلمه على نحو أكثر تفصيلا : « سأجمع قطرات المطر ، وسأتزوج حالما أرجع ، لكى أجمع بين المرأة والأرض ، فى العمر ، بعد ، شىء من متسع ، أريد أن أنجب عشرة أولاد قبل أن أبلغ الستين .. وسأرسم .. سأرسم صخورنا وأشجار الزيتون .. طبعا سأزود نفسى بألف اسطوانة موسيقية .. وكلما جن البشر من جديد زرعت مائة شجرة أخرى .. سيصطرعون فوق رأسى هذا لاشك فيه ، وسأخفى فى بيتى بندقيتين وبضع قنابل .. ومن هناك سأعمل على تقريب الساعة الحاسمة .. » (ص ٨٨ ـ ٨٩ » . هكذا يتصور وديع عساف أن يفى بالوعد الذى قطعه على نفسه حين ارتمى صديق صباه وأول شبابه بين يديه صريعا برصاصات اليهود (أيار ٤٨) وعيناه جمرتان متقدتان متجهتان نحو أسوار القدس : « مشيت بين الزيتون على الشوك ، بين الصخور ، والرشاش معلق

فلسطينيون..
يعزفون لحن التخلّي

على كتفي تحت ذراع فايز المهدلة ، مجنونان في برية من الموت ، وعندما وضعته عن ظهري لأستريح أقسمت أنني سأعود ، بشكل ما ، غازيا أو متلصصا أو قاتلا ، سأعود حتى لو قتيلا على صخرة .. » (ص ٧) ، ولكن ، ماهي تلك « الساعة الحاسمة » التي يعمل وديع على تقريبها ؟ ، نحن لانجد جوابا واضحا ، لكنها تخايلنا ، مثل الرؤى التي تخايله هو نفسه ، مرة واحدة يتحدث الى الدكتور فالح حسيب على هذا النحو :

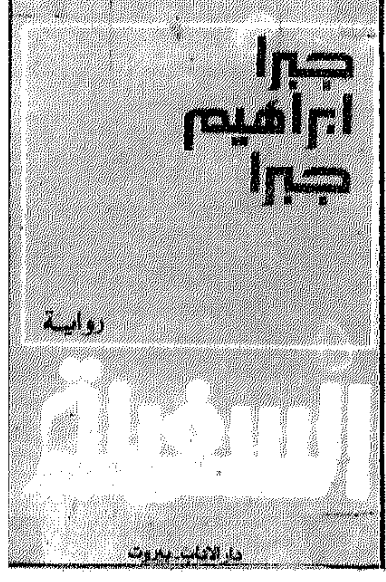
- « المهمة يادكتور .. لابد أن ننجزها .. هى كل شيء : فلسطين ، المستقبل ، الحرية .

- وهل ترى بين هذه صلة تستطيع تعيينها ؟

- هذا ماأراه ، ولاأرى غيره .. » (ص ١٢٢) .

غير أن عصام السلمان - المفتون بشخصية وديع « من النظرة الأولى » - يغامر - بعد ليلة عاصفة من الكلمات - بأن يرسم لنا شخصية وديع من حيث هو مشارك فى نشاط خاص يعمل على تحشيد فدائيين فلسطينيين وتدريبهم ، للتوغل داخل حدود الصهاينة ، وضربهم فى الأرض المحتلة ، ويعيد بناء شخصيته فى نفسه : « هو الآن - كمدينته - مشطور منفصم ، وعليه أن يعيد الى النفس وحدتها ، لابد من استعادة الثالوث بأكمله - بالدم ، من هنا كانت ضرورة التحشيد ، ضرورة الفداء .. » (ص ١٠٥) . لكن المشكلة الحقيقية هنا - وهى القضية الأساسية فى السفينة - أن وديع عساف لايستطيع أن يقنعنا بأنه ماض فى تحقيق حلم العودة ، الأمر أقرب لأن يكون كهفا من تلك الكهوف التى برع نموذج الفلسطينى المتخلى فى اعدادها - بديلا للأرض التى ضاعت والانسانية التى انتهكت - ليلوذ بها إن هجس بخاطره هاجس الوطن ، ولعلك تلاحظ انه كهف معد بأناقة وثراء وترف ! ، وهو يرى « للهرب اشكال لا تحصى ، ومأساتنا الحقيقية هى أننا - ذهبنا - هروبيون ، كلنا شعراء وان لم نقل الشعر ، تغرينا الأخيلة فنلحق بها حيثما تأخذنا ، وتبقى الحقائق الفعالة وراءنا .. » (ص ١٣٤) ، وهو « يسقط » هروب على رفاقه فى السفينة ، فكلهم هاربون : عصام هارب من حب لمى ومن أرض بغداد ، وفالح هارب من الشر فى العالم ، ومحمود هارب من ماضيه السياسى المثقل ، فالكل هاربون دون جدوى ، ثم إن آراءه فى الفن تعكس هذا التوجه : إنه « يهرب » إلى الفن ، يهرب من كوابيسه الخاصة ومن بشاعة العالم الى شيء من الوهم ، شيء من الجنون ، وهو لايستخدم الفن فقط فى هروبه ، بل يستخدم الآخرين كذلك . فهم ليسوا عنده سوى « أدوات » لتطهير روحه من خطيئتها ، والحق انها خطيئة مزدوجة ، فلنقل : خطيئة يحملها بين جنبيه من حيث هو مسيحى « لازالت عواطفه تتحرك بموسيقى الكنيسة .. » (ص ٢٣) ، وخطيئة أخرى طازجة من حيث هو فلسطينى هارب ، ولاتفلح كل الوسائل فى تحقيق أمنه الداخلى . إنه - على التحديد - يحاول الهرب من شعور طاغ بالذنب ، فيملأ لحظات حياته بالبحث عن المال





من أعمال الأديب
جبرا ابراهيم جبرا

واللذة وعشق النساء وصداقة الرجال والتلاعب بالعواطف والعزف على الكلمات .. أكوام الكلمات . ويقول عن نفسه بوضوح : « أنا مقامر عريق ، لايأخذني « البلف » بسهولة ولاأقبل الخسارة بسهولة .. خسارات كثيرة قامرت وأقامر دائما للتعويض عنها .. » (ص ٤٨) ، ولما كانت المقامرة - فى جوهرها - تعنى الرغبة فى الغاء العالم الواقعى ، ثم اعادة خلقه من جديد على نحو سحرى ، فان هذا نفس مايفعله وديع عساف : هرب من شعوره الطاغي بالذنب - كفلسطيني متخل - بأن وجد خلاصه الفردى : هذا الثراء والنجاح الذى حققه فى حياته العملية ، والطواف الحر بين مدن العالم ، مثرثرا ، لاهيا بالكلمات والعواطف ، وأن أمضته الذكرى أو أثقل ضميره هاجس الوطن ، فثمة هذا الكهف الذى أعده بأناقة وثراء وترف لورد انجليزى قديم ، وسيصطرع العالم فوق رأسه ، لكنه يطمئننا : فلن ينسى أن يجعل تحت سقفه بندقيتين وبضع قنابل !

إن وديع عساف عاجز عن التماس السبيل الحقيقي للخلاص ، لأنه - فى قوقعته المترفة تلك - لايرى جماهير الناس الساعية نحو الهدف نفسه ، لكنها لاتهرب الى الحلم أو الوهم أو الجنون .

وقال جبرا لقرائه فى ١٩٧٠ : هذا فلسطيني اليوم ، وتلك همومه وهواجسه . وتلك نقطة الضعف الأساسية فى « السفينة » . على أننى أميل للاعتقاد بأن « السفينة » مكتوبة قبل ٦٧ ، حين كانت القدس مدينة منشطرة بالفعل (وتلك فكرة هامة فى تكوين شخصية وديع عساف) . وحين كانت الانطلاقة الفلسطينية المسلحة لازالت تعانى آلام الميلاد ، لم يتضح لها طريقها بين نظم ورقبة تلوح بخوض حرب هى أعجز من أن تخوضها .

وجاءت السنوات العشر التالية على ٦٧ حاسمة بالنسبة لتطور هذه الانطلاقة : سقطت فلسطين من البحر الى النهر ، وتكشف عجز النظم وتواطؤها ، وقدر معرفة هذه الانطلاقة لسبيلها وسط التناقضات وآثار الدمار الذى احدثته ٦٧ ، قدر مايتزايد حولها الحصار ، وإسرائيل بالمرصاد ، تمد ذراعها - بين الخانعين

فلسطينيون .. يعزفون لحن التخلى

وللمتواطئين – فتصل ضربتها لحيث تريد ، ثم تمضى بمنجاة من العقاب ، ودماء الفلسطينيين لازالت – كما كانت – سلعة التجار والمزايدين وباعة الدم المسفوك .

وفى ٧٨ أصدر جبرا روايته الرابعة الهامة « البحث عن وليد مسعود » لتمثل أنضج وأرقى مستوى بلغة جبرا من حيث المضمون والبناء واللغة جميعا ، وواحدة من النماذج ذات الاحكام النادر فى الرواية العربية .

● مأساة شخصية ●

فمن هو – إذن – وليد مسعود ؟ وهل يمثل تجاوزا – من أى نوع – لنموذج الفلسطينى الذى قدمه جبرا فى عمليه السابقين ؟ فيم يتفق .. وعلام يختلف ؟

أبادر الى القول بأنه – مثلهم – واحد من « النخبة » الفلسطينية التى خرجت الى العالم الواسع بعد ٤٩ ، ومثل جميل فران ألقى رحاله فى بغداد ، ومثل وديع عساف عمل بدنيا المال (مصرفيا هذه المرة وليس تاجرا) ، ومثلهما تظل القدس هى الرؤية العالقة بين جفنيه (وهو هنا تتاح له فرصة لم تتح لجميل أو وديع : أن يعود ليرى القدس مع أمرأة تعشقه) ، ومثلهما أيضا هو متوجه نحو الغرب (بعد أن درس اللاهوت فى إيطاليا درس الاقتصاد فى لندن) ، ومثلهما أيضا هو مسيحى الأعماق مهما بدا غير ذلك : تفتنه منذ الطفولة صورة النبى المنفى ، الصوت الصارخ فى البرية ، وهو فى قمة نشوته الجنسية يرتل مع جوقة المرتلين باللاتينية ويرقص على أنغامها ، ومثلهما هو أيضا مولع بالكلمات ، عازف ماهر على أوتارها فى الحديث والكتابة ، يقول عن نفسه فى التسجيل الأخير . « أنا الغنى وأموالى الكلمات .. » ، ومثلهما أيضا لابد من مأساة شخصية تفتح عينيه على بشاعة المأساة الشاملة : ترك جميل حبيبته الأولى تحت انقاض القدس ، وترك وديع صديق صباه وعيناه متجهتان نحو أسوارها .. وفقد وليد واحدا من اخوته ، ومثلهما أخيرا هو محط شبق النساء وعواطف الرجال ، بل لعل هذا الجانب من وليد يتجاوزه عند النموذجين السابقين عليه ، وأياما كانت الدوافع التى ألقت بمريم ووصال – اللتين عرفناهما أكثر من سواها – إلى فراشه ، فكل التفاصيل فى الرواية توحى بأن حياته كانت سلسلة متصلة الحلقات من الغزوات المعطرة ، وأن كان فى هذه العلاقات – مثل سابقيه – موضوع الطراد ، وليس المطارد ! .

الاختلاف الجديد والهام هنا هو أن المؤلف يحاول أن يدخل بطله الفلسطينى دائرة النار : فهذا رجل شارك فى عمليات ٤٨ ، وانضم الى جيش الانقاذ ، وكان على علاقة « بفتح » لم تنقطع ، ويروى لنا عن الترتيب لضرب العدو المرة بعد المرة ، لهذا اعتقل وعُذب بعد ٦٧ ، وشارك فى مذابح أيلول ٧٠ (ترد هذه المشاركة فى جملة عابرة لايكاد القارىء ينتبه لها) ، وحبيبته وصال مؤمنة بأن اختفاءه يعنى تسلله للأرض المحتلة ، كى يثأر لابنه مروان على طريقته ..

هل يبدو هذا مقنعا فى شخصية وليد مسعود ؟ : هل نجح المؤلف فى أن يزج ببطله الى دائرة النار ؟

إن التحول من صيغة اللاجىء إلى صيغة الفدائى هو مايفتقده النموذج الفلسطينى عند جبرا حتى فى عمله الأخير : إن العمل فى صفوف ثورة مسلحة ـ خاصة الفلسطينية بعد ٦٧ : ثورة بلا أرض ـ لايكاد يتسق والصورة التى يبدو عليها وليد مسعود : فثمة غياب كامل ـ على كثرة ماعرفنا عن وليد ، وتعدد الصور التى رأيناها له ـ لتلك الفترة الحاسمة فى تحول النموذج الفلسطينى من صيغة اللاجىء الى صيغة الفدائى ، من الشتات الى حتمية المواجهة . تلك السنوات التى انقضت ووليد مشغول بتكوين ثروته ، والتنقل وراء أعماله بين مدن الخليج وعواصم العالم . وللمرة الأولى يورد المؤلف دفاعا واضحا وصريحا عن تلك النخبة الفلسطينية المنفية : « أينما كان هناك بروز فى علم أو مال أو فكر أو أدب أو تجديد وجدت ذلك الفلسطينى المنفى ، تراه فاعلا محرضا منظرا محققا لكل ما هو مختلف .. » ، ويمضى ـ على لسان أحد أصدقاء وليد ـ فى تبرير الغياب فى تلك السنوات : « إنهم يتقولون : ماهذه الأموال التى تحققها أنت وزملاؤك ياوليد ؟ لماذا لاتبقوا لتتعفنوا فى المخيمات ، بل تسمحون لأنفسكم أن تتمركزوا فى العواصم العربية ، وتمارسوا أعمالا كبيرة تثير حسد الناس ، وتنسيكم واجبكم الأوحد نحو بلدكم السليب ..

وواضح فى هذا المنطق من تهافت وامعان فى التبرير : فمن ناحية ، ليس كل من بقى فى المخيم قد تعفن ، لكن ابناء المخيمات هؤلاء لحمة الثورة وسداها ، هم المقاتلون والمقتولون فى الكرامة وعمان وجرش وعجلون والأحراشى وبيروت وتل الزعتر والنبطية (لنقف عند تاريخ الرواية الأخيرة) ، هم العابرون ـ بالنار والتحدى ـ النهر والبحر والجبل ، هم الذين وصلوا لصيغة الفدائى فى مواجهة المعطيات الحقيقية لحياتهم اليومية ، لا فى جلسات الشراب المترفة تتطاير فى سمائها الكلمات كالبالونات الملونة . ومن ناحية ثانية : لاوجه للتسوية بين ثورة ودولة ، بين حركة تحرير مسلحة ونظم متواطئة أو متهادنة أو مزايدة ، ومن ناحية ثالثة لاتناقض بين جماهير الشعب الفلسطينى وجماهير الشعوب العربية ، لكن التناقض بين هذه الجماهير كلها وتلك النظم التى تعمل ـ دون هوادة ـ على سلب وعيها وامتصاص ثورتها واجهاض انتفاضاتها . والأمر هنا ليس سوى بقايا متلكئة لتلك النظرة « النخبوية » لحركة الجماهير ، والتى ترى فى هذه الكتلة الغوغائية خطرا قد يهدد مصالحها ورغبتها فى التسيد .

هذا إذن هو وليد مسعود . وجه جديد من تلك النخبة الفلسطينية ، يشحنه المؤلف بطاقة (نرجسية) هائلة ، هو المحبوب دائما ، القادر دائما ، عاشق الحياة والنساء والأفكار ، المؤمن بالانسان على نحو مثالى ومرتبك وغامض ، الثرى الناجح ـ لحد التخمة فى حياته العملية والعاطفية ولأن هذا النموذج لم يعد يتلاءم مع الهاجس الفلسطينى بعد ٦٧ و٧٠ ، فقد حاول المؤلف أن يجعل له ماضيا نضاليا ، وحاضرا نضاليا ، ومستقبلا نضاليا محتملا كذلك .

تنافرت الألوان والعناصر فى هذا « الكولاج » الفلسطينى ، ثم تساقطت وبقى وجه « الفلسطينى المتخلى » أوضح الوجوه .

قصة قصيرة

بقلم: سليمان الشيخ

خيالات في عتمة

عض الجوع معدته وارهقته ساعات الدراسة، فوجد نفسه عاجزا عن استيعاب اي حرف زائد.

وضع الكتب جانبا وارتدى ملابسه، واستأذن والدته في الخروج للترويح عن النفس وتناول العشاء خارج المنزل

طلبت منه والدته وشقيقته ان يحضر لهما بعض اقراص الفلافل «الطعمية»

تخطى بوابة البناية.. ووجه نظره نحو السماء.. فوجد افقا مضرجا بدم النهار.

استعاد بعض الكلمات الانجليزية التي بحث عن معانيها في القاموس قبل ساعة.

الا ان الجوع عاود مناوشته لمعدته، فاستحث خطاه نحو المطعم القريب.

بدأت حمرة الشفق تخف تدريجيا. وحلكة الظلام زادت من انتشارها وزحفها. وصل المطعم فصافح المعلم حميد وطلب طبقا من الفلافل وغمز المعلم بان يتوصى جيدا.

وصعد الى الطابق العلوي بعد ان اوصاه يتحضير عشرين قرصا كي يأخذها معه بعد ان ينتهي من تناول طعامه.

وجد صديقيه حسان ورامي قد سبقاه الى الركن الذي يعتبره اثيرا لديه..

صاحا به ضاحكين:

- فأر الكتب لا يظهر الا في الليل.. من المؤكد انك ابتلعت الكتب كلها. وها انت مقبل على ابتلاع الاكل ايضا.

صاح منتشيا: لعلها الصدفة التي يقال عنها انها افضل من الف ميعاد

قال حسان: منذ زمن لم نلتق معا، صحيح اننا لسنا في مدرسة واحدة، الا اننا اصدقاء منذ زمن.

اجاب عمر: لعلك لا تعرف يا رامي ان اهل حسان كانوا جيرانا لنا في «البناية» التي كنا نقطن بها سابقا.

قال رامي: تماما كما نحن الان مع اهل حسان

ضحك عمر وعلق: اذن نحن جيران بالتبادل.

وانفجروا ضاحكين..

قلقت هرجهم وصياحهم سمع الزبائن فنظروا اليهم شزرا.

طلبا منه ان يشاركهما الاكل، فتناول لقمة، وصاح على المعلم حميد: عصافير البطن تزقزق يا معلم!

رد المعلم حميد منتشيا: غذؤها على الطريق يا عمر.

انهوا طعامهم بيزهزج ومرج واسئلة عن

المدراسة وذكريات الجيرة
قال حسان : دعونا نسير ولو لربع ساعة نستعيد نشاطنا وذكرياتنا
صاح عمر : لا مانع عندى ، ثم طلب من المعلم حميد تاجيل تحضير قرص الفلافل ونقد المحاسب المبلغ لثلاثتهم ·
اقترب رامى وحاول الدفع فقال عمر : لافرق بيننا يا اخوان ·
ساروا وهم متشابكو الايدى علق حسان : لقد تغيرت المناهج هذا العام واجد صعوبة فى المتابعة والتحصيل فعلق رامى : وانا اجد نفس الصعوبة
قال عمر : كان عليكما الانتباه منذ بداية العام·
***

تمعن بهم جيدا وسوى هندامه ، ثم تابع سيره· التفت اليهم ثانية واعاد التمعن حك رأسه وتمخط ولمعت فى ذهنه الفكرة !
توقف وبدأ يحاور نفسه : ارعبهم وارعب الناس معهم !
عاد السؤال يلح عليه والعاقبة ؟
صاح بأعلى صوته : اية عاقبة هذه ؟
التفت عمر نحو صديقيه وهمس : انعيكلم نفسه !
علق حسان : انه الحارس ·· قد يكون متعبا ·
قال رامى : ربما هو مريض ·

ابتعدوا عن المكان واستمروا فى احاديثهم عن الدراسة ومتاعبها ·
علق عمر : علينا مضاعفة ساعات الدراسة فلم تبق الا ايام معدودات على امتحانات اخر العام ، وما تشكوان منه يمكن ان اساعدكما فيه ·
علق حسان : انت صديق وفى يا عمر ·
أجاب عمر : لاخير فى انسان لايساعد غيره ، فكيف بالاصدقاء والاخوان ؟
قال رامى : شكرا لك ياعمر ·· الف شكر ·
اخجلته كلمات الاطراء التى سمعها من صديقيه·· فقال : لاداعى وامل ان تزورانى



خيالات في عتمة

غدا في بيتنا كي نراجع ما استعصى عليكما .

شكراه . ووعداه الاستجابة لدعوته .

لاحظوا ان المنطقة التى وصلوا اليها غير مضاءة فقفلوا عائدين .

قال حسان : هدوء الليل جميل ، واجمل منه ان يبسط القمر نوره فينير العتمة .

علق رامى: لكن لاقمر الليلة ، والعتمة كثيفة !

حثوا خطاهم وعجلوا بالعودة .

عند زاوية بضاعة الادوات الكهربائية التقوا به وجها لوجه .

صاح بهم . لا احد يتحرك ، والا اطلقت النار .. امامى الى المخفر !

تساءل عمر .. ورنة المخوف تكسو كلامه : ما الذى فعلناه ايها الحارس ؟

صاح : ستعرف كل شىء فى المخفر !

سأل حسان : ما الذى فعلناه كى تأخذنا الى المخفر ؟

اجاب الحارس بفظاظة لا اريد مناقشة .. امامى .. والا

اقترب ثلاثتهم من بعضهم البعض وتلاصقوا وهم يرتجفون .. همهموا: والله العظيم لم نفعل شيئا .. نحن طلبة .. فحرام عليك .

صاح . اصمتوا وسيروا امامى .. وفى المخفر ستعرفون كل شىء .

قال عمر : والله لم نفعل شيئا .. الاتعرف الرحمة والشفقة ؟

صاح الحارس زاجرا: اصمت وابلع كلامك والا نالتك نصيبك .

بلعوا كلماتهم ونشفت السنتهم وهمهموا .. الدراسة الاهل لم نفعل شيئا !

اقترب منهم واخذ يدفعهم واحدا اثر الاخر وهو يدمدم : سترون .. سترون !

ازداد خوفهم ورعبهم .. وتسارعت دقات قلوبهم .

سمعوا « تمتمة » وصوت رجل يحدث الاخر، صاحوا : يا عم .. ياعم انقذنا !

زجرهم الحارس وصاح اخرسوا وابلعوا السنتكم . ثم وجه كلامه للرجلين : لا تتدخلا فيما لا يعنيكما . واستمر يسوقهم كالنعاج امامه،

همس حسان : يظهر انها ليلة سوداء حقا !

اضواء المخفر كانت تشع بقوة .. ظهر المبنى واضحا كأنه الطود الشامخ، استمر الحارس فى اطلاق شتى التهديدات

صاحوا مترجين : لاجل الله اطلق سراحنا، فنحن لم نؤذ احدا .

صاح بهم: لقد وصلنا .. لقد وصلنا .

دخلوا والرعب يقطع قلوبهم .. والرجفة ترقص اطرافهم .

ادى التحية .. وصاح تمام سيدى !

وزع الضابط نظراته بين الحارس والشبان الثلاثة .

وسأل : مابهم ايها الحارس ؟

صاح ثلاثتهم : والله العظيم لم نفعل شيئا .. يا حضرة الضابط .

اشار اليهم الضابط .. وقال : صمتا .. انتى اسأل الحارس ؟

تنحنح الحارس .. ولمعت فى عينيه نظرات ثعلبية .

قال : انهم يتسكعون يا سيدى يملأون الطرقات ازعاجا خاصة فى المنطقة ج .

علق عمر والرجفة تهز كلماته وبدنه : والله لم نزعج احدا يا حضرة الضابط .

ـ سأل الضابط : الا

يوجد سبب آخر ايها الحارس ؟

ـ اجاب بسرعة :نـ سيدى ·· نعم انهم يخالفون قانون التجمهر!

ـ تمعنه الضابط جيدا ـ·· قاسه من راسه الى اخمص قدميه ·· وسأل؟ اتعرف نص القانون ايها الحارس ؟

وزع الشبان الثلاثة نظراتهم بين الضباط والحارس ، كان واضحا انهم لا يفقهون شيئا عما سمعوه ·

ـ صاح الحارس:نعم سيدى ·· فقد احضرت للضابط السابق غيرهم وانعم على باكرامية !

ـ زجرهالضابط وعاق وهل تطمع فى اخرى ؟

ـ صاح الحارس بشراهة وعيناه تقدحان شرارا : نعم سيدى ·· نعم !

ـ لكن القانون حدد خمسة وليس ثلاثة اشخاص ايها الحارس !

صاح الشبان : والله العظيم لم نفعل شيئا يا حضرة الضابط ·· نحن طلاب ثانوية ·

ـ قطع الضابط استرسالهم فى الكلام·· وزجرهم قائلا : صمتا ايها الطلبة ·· ثم طلب من افراد شرطة المخفر نقلهم الى غرفة الحجز· صاحوا·· وترجوا·· واقسموا انهم بريئون من اى ذنب !

الا ان احدا لم يابه لرجائهم ·· تحرك الحارس واراد الخروج

ـ ساله الضابط : الى اين ؟

ـ اجاب : اتابع عملى يا سيدى !

اشار الضابط الى افراد الشرطة المتواجدين في الغرفة بالخروج ،ثم سأل الحارس :

ـ لم تجب على سؤالى ايها الحارس ؟

ـ اجاب : سيدى انا افهم القانون واعرفه حق المعرفة ·· انهم ستة وليسوا ثلاثة !

ـ استشاط الضابط غضبا وصاح:هل سكرت ام جننت ؟

ـ رد الحارس بهدوء ·· ضاحكا : لاهذا ولاذاك سيدى ؟

ـ سألحقك بهم ان لم تخبرنى كيف ايها المعتوه !

ـ رد الحارس واثقا: رويدك سيدى ·· فانا خادمك وخادم القانون والحكومة · هم ستة مع خيالاتهم !!

ـ انفجر الضابط مقهقها ··فابتسم الحارس وبقىواقفا وقفةالاستعداد ثم علق الم اقل لك سيدى بأننى خادم هذه الدولة !

من جنس الابالسة !

ارتاحت ملامح الحارس بصورة واضحة ·· ثم علق ·· بل من جنس ملائكة الدولة سيدى ·

ـ اعادالضابط تفرسه بالحارس مرة ثانية ·· ثم صاح : فكرة جهنمية ·· هى ما تقول ·· نربيهم ونربى غيرهم معهم !

واضاف لكن قل لى·· الذى اعرفه أن منطقة (ج) مقطوعة عنها الكهرباء فكيف رايتهم هناك مع خيالاتهم ؟

ـ رد بهدوء الواثق من نفسه ·· وكأنه تدبر وتفكر بالامر مليا منقبل: الحل بسيط يا سيدى ·· رايتهم بعين خيالى !

ـ صاح الضابط : داهية أنت ·· لك ترقية وليس اكرامية !

ـ انفرجت اسارير الحارس وعلق : الم اقل لك سيدى بأننى خادم الدولة وامنها المطيع ·

ـ دق جرسا ··فدخل عليه احد افراد الشرطة ·· فقال له :

ـ اسمع ايها الشرطى احضر لى ارقام هواتف وعناوين اهل المقبوض عليهم واتصل بهم كى يحضروا ·· « انصراف»

ـ سأل الحارس: وانا ايضا سيدى ؟

قال الضابط مغتاظا : وانت ايضا ايها الداهية ·· وسأضمن تقريرى اقتراحا بترقيتك · صاح الحارس : يحيا العدل·· يحيا العدل ·· وخرج !

الكيسانية
حركة اجتماعية مجهضة

بقلم: د. محمود إسماعيل

تنفرد فرقة الكيسانية - دون فرق الشيعة الأخرى - بخصائص مميزة سواء في المسائل الاعتقادية أو في الأمور السياسية : بل لا تزال قضية التسمية تشكل التباسا وخلطا عند المحدثين كما كان الحال عند القدامى : دون حسم أو قطع . وإعادة طرح هذه القضية أحسب أنه من الأهمية بمكان إذ أن حسمها يضع حلا لكثير من المعضلات التى تعتور تاريخ الفرقة مذهبيا وسياسيا واجتماعيا . هذا فضلا عما يبين من ظاهرة "التآمر" المعرفى على فرق المعارضة في الإسلام بقصد التشويه والتضبيب : كذا "تعرية" آفة "الاتباع" التى سيطرت على عقول المحدثين الذين "يقدسون" أقوال السلف لا لشيء إلا لكونها "متواترة" !! ..

ومرجع الأهمية فى تاريخ الكيسانية لايرد فقط إلى كونها أول فرقة شيعية تقيم بناءها النظرى منذ وقت مبكر . بل لكون الكيسانية تشكل على الصعيد السياسى - الاجتماعى نقلة معلمية انعكست آثارها على كل فرق المعارضة في الإسلام . أعنى تكريس التأطير النظرى للعمل السياسى الدعائى والثورى الاجتماعى فى آن .. وفى هذا الصدد يلمس الباحث مدى ارتباط نشأة وتطور الفكر - حتى لو كان دينيا مذهبيا - بظروف ومتغيرات الواقع الاجتماعى الذى افرزه . بحيث يمكن التدليل على صحة المقولة - التى نحاول طرحها بالحاح - بان

الدين وظف لخدمة السياسة طوال عصور التاريخ الإسلامى العام . بدرجة كانت تطوع وتسخر فيها "المعتقدات" بما يجارى طبيعة الاهداف والمرامى السياسية المتغيرة وعلى صعيد العمل السياسى التشيعى انفردت الكيسانية بظاهرة "سلبية" الامامة وعزوفها عن الأضطلاع بدورها ليقوم به أفراد طموحون يناطون بأمور الدعوة والثورة . هذا فضلا عما تكتسبه ثورة الكيسانية من سمات اجتماعية واضحة .

لقد كانت نقلة من العمل الثورى العفوى المتشنج الى النضال المنظم دعائيا وعسكريا

عبرت عن خفوت صوت العصبية القبلية والعنصرية أمام بروز العلل الاجتماعى الواضح وحسبنا أنها استقطبت القوى الاجتماعية المستضعفة من العرب والموالى على السواء فى مواجهة الارستقراطية العربية والفارسية

لقد عبرت الثورة الكيسانية عن بواكير الدور السياسى للطبقات والشرائح المهنية حتى عرفت لذلك بأنها ثورة "الخشبية" أى الحرفيين عموما و"النجارين" بوجه خاص . هذا بالاضافة إلى قدرتها على تأطير الفلاحين وصغار الملاك وتجنيدهم فى سلك حركة اجتماعية كبرى بعد أن كان نشاطهم فيما مضى ـ يقتصر على "هبات" عفوية غير منظمة أطلق عليها فى الحوليات التاريخية ظاهرة "كسر الخراج" أى الامتناع عن دفع ضريبة الأرض التى ضاعفها النظام الأموى عدة مرات ومن السمات المميزة أيضا لتلك الثورة الاجتماعيه الكبرى نهايتها "التراجيدية" فبرغم حسن الإعداد والتنظيم وتوافر الايديولوجية الثورية والقيادة السياسية فضلا عن "عدالة القضية" أصلا اجهضت الثورة !! .

وأخيرا تكشف ثورة الكيسانية المجهضة عن وأد المذهب الشيعى الكيسانى نفسه واختفاء هذه الفرقة من مسرح التاريخ على خلاف الفرق الشيعية الاخرى .

تلك دروس آثرنا التسبيق بها قبل ولوج الموضوع نظرا لخطورتها على صعيد نضال المعارضة فى الاسلام وإليكم البرهان

إن فهما صحيحا للكيسانية فكرا وعملا لايتاتى إلا فى إطار فهم أولى لطبيعة نمط الانتاج السائد فى العصر الأموى ودون لجاج . انتهينا فى دراسات سابقة الى اثبات سيادة نوع من "الاقطاعية" مع مايثيره هذا المصطلح من اعتراض . لقد تحولت معظم الأراضى الخصبة وخاصة سواد العراق ـ الى إقطاعات للخلفاء والولاة والعمال والقادة اما مابقى من "أرض خراجية" فقد اثقلت بالمغارم والجبايات بحيث جردت تماما من حقوق الملكية على الصعيد العملى .

فى ظل الإقطاعية ـ وبواكيرها فى خلافة عثمان ـ نشا الحزب الشيعى .. ولضراوة النظام الاقطاعى الأموى فشلت كل حركات المعارضة الشيعية ابتداء بعلى بن أبى طالب وانتهاء بحركة التوابين التى مهدت للثورة الكيسانية الكبرى . وامام هذا الاخفاق تمزق الحزب الشيعى الى "إمامية" و"زيدية" و"كيسانية" . وامتحن الشيعة جميعا اشق الامتحان وأعسره وخاصة فى العراق وفى الكوفة بالذات وليس أدل على ذلك من أساليب البطش من القتل والسمل وتقطيع الأطراف لكل من ثبت انتماؤه الى الشيعة .. وليس ادل على المحنة من عدم الاعتراف بشهادة الشيعة فى دور القضاء .. والأخطر من ذلك حرمانهم من حقوقهم فى العطاء .. فضلا عن إرهاق صغار الملاك بالمغارم والجبايات بحيث أصبح الفلاح "كالمتاع يوهب ويباع" وقد مست هذه الاجراءات والسياسات جماهير الموالى بشكل خاص .. وليس ادل على ذلك من نظرة الأمويين إليهم بأعتبارهم كما مهملا "يجب ان يقتل شطر منهم أما الشطر الآخر فيسخر لاقامة الأسواق وعمارة الطرق" هذا فى الوقت

الكيسانية

الذى اشرف فيه ولاة العراق فى إرضاء الارستقراطية العربية والفارسية .. تلك باختصار الظروف الاجتماعية الاقتصادية التى شكلت حجر الزاوية فى صياغة عقائد الكيسانية .

وقبل الخوض فى هذه العقائد واصولها الاجتماعية وآهدافها السياسية من المفيد أن نحسم الجدل الذى اثير حول قضية التسمية "بالكيسانية" .

● كيف بدأت ؟ ●

ثمة اتجاه يعزو التسمية الى شخص "كيسان" مولى على بن أبى طالب بينما ينسبها اتجاه آخر الى شخص "كيسان" أبى عمرة رئيس شرطة المختار زعيم الثورة .. ويصبح الجدل غير ذى موضوع اذا علمنا أن كيسان مولى على كان من قتلى معركة صفين .. بينما ثبت أن كيسان أبا عمرة هو الذى نظر للمذهب إبان حياة محمد بن الحنفية أمام الكيسانية والمختار قائد الدعوة والثورة ، بل ظل يمارس هذا الدور حتى بعد موت الأول ومقتل الثانى .. لذلك كان حقيقا بنسبة المذهب إليه ، خاصة أنه كان من أصحاب على ثم صار مولى للحسين فتلميذا لمحمد بن الحنفية بن على بن ابى طالب .. هذا فضلا عن كونه من الموالى الذين شكلوا اكثرية رجال المذهب . ولعل هذا كان من وراء عدم نسبة التسمية الى المختار الثقفى الذى كان من اشراف العرب . وكذا الى محمد بن الحنفية الامام الذى اتخذ موقفا سلبيا منذ البداية ثم تنازل عن حقه فى الامامة لما بايع عبدالملك بن مروان ، فى الوقت الذى ظل فيه كيسان أبو عمره مخلصا للمذهب ومنظرا له بدءا ومنتهى . مستعينا فى ذلك بجماهيرية تعضده من الموالى .. الذى مافتىء يتبنى طموحاتهم فى المساواة بالعرب .

أما عن عقائد الكيسانية فتستهدف إقامة نظام سياسى يحقق طموحات الكادحين فى أطار عدالة الاسلام .

ولاغرو . فقد حظى موضوع "الامامة" باهتمام خاص . لقد خص الكيسانية محمد بن الحنفية بالامامة لأنه يلى مكانة الحسن والحسين باعتباره ابن على بن أبى طالب وأحيط ابن الحنفية بهالة من التكريم والتبجيل بحيث لفقت الأحاديث النبوية لتزكيته . واختص أبن الحنفية بلقب فريد هو "المهدى" ومن بعده اقترنت "المهدوية" بالكثير من دعوات الفرق الأخرى . أما عن رأى محمد بن الحنفية فى الامامة ، فيتسم بالسلبية والتقية .. اذ اشترط لتحقيقها امرين يستحيل توافرهما ، الاجماع ، وعدم اسالة الدماء !! لقد عبر بذلك عن عزوفه عن خوض معارك السياسة التى حلت لعناتها على أبيه على وأخيه الحسين من قبل ، لذلك أثر السلامة فيما شجر بين الأمويين والزبيريين من صراع حول الخلافة . وسيكون لذلك أثره فى اضطلاع المختار الثقفى بالأمر على أن تكون الدعوة لأبن الحنفية .

ويرتبط بموضوع الامامة القول "بالوصية" واختصاص الامام "بالتأويل الباطنى" .. وتلك سمة اشتركت فيها كافة فرق الشيعة .. لكنها لم تصل الى الحد الذى صوره الشهرستانى . بأن الكيسانية يعتقدون باحاطة ابن الحنفية بأسرار الغيب أو أن وعرف الامام فى عصره بطلت عنه جميع الفرائض . ولو صح ذلك ، فأنه لم يجر القول به فى حياة

محمد بن الحنفية إنما بعد موته واندثار مذهبه وتطرف بعض العوام الذين يروجون لمثل تلك الاعتقادات الاسطورية

إن منحنى التطرف فى عقائد الكيسانية يمكن تفسيره فيما جرى من محن وإحن المت بالكيسانية بعد فشل الثورة . وبالتالى يمكن تبرير وتفسير شيوع الآراء المتطرفة كالعصمة او ادعاء النبوة ، كذا الأفكار "الطوبلوية" كالاختفاء بجبل رضوى حيث العسل والماء ، ثم الرجعة والعودة لإقامة إمامة العدل . بعد ان "يهدم دمشق حجراً حجراً .

وشكلت تلك المعتقدات ايديولوجية ثورية تستهدف تحقيق اهداف اجتماعية .. ولم يكن ثم محيد عن الثورة التى تزعمها المختار الثقفى . ونتنوه بأن المصادر المعادية .. وبالتالى بعض المحدثين الذين انساقوا وراءها - حاولت تفريغ الثورة من مضمونها الاجتماعى وتصويرها على انها انتفاضة عفوية تستهدف تحقيق طموحات المختار الشخصية . حجتها فى ذلك ان المختار نفسه كان ينتمى الى الارستقراطية العربية . دون لجاج نكتفى بالرد على هذه الفرية فى طبيعة الجماهير التى قادها المختار فقد كانوا كما اسلفنا من المستضعفين من العرب والموالى على السواء . وليس هناك مايحول دون انسلاخ القائد عن طبقته ليقود الثورة ، فظاهرة "الفتوة" ، فى الجاهلية والاسلام تقوم على اساس الانسلاخ . من الطبقات العليا لإنصاف المستضعفين . والتاريخ الاسلامى شهد الكثير من الامثلة على قيادة البورجوازية للطبقات الكادحة ، ضد الارستقراطية .

واخيرا ليس ثمة مايمنع من التوفيق بين الطموحات الفردية وطموحات الجماهير فى العمل السياسى الثورى . لقد كان المختار نفسه يتبنى قضية العدل الاجتماعى منذ وقت مبكر فقد كان له موقف محمود حين رفض الشهادة ضد تمرد حجر بن عدى على الأمويين . وبالمثل ناصر مسلم بن عقيل واستجاش اهل الكوفة لنصرة الحسين بن على تلك المواقف التى بسببها سجن مرارا على يد الزبيريين والامويين تلك المواقف التى اهلته لقيادة الكيسانية من العرب والموالى المستضعفين سواء بسواء . وإعلانه وتطبيقه شعارات المساواة بين العرب والموالى .

لم يكن هناك تناقض بين هذه الأهداف الاجتماعية وبين الايديولوجية المذهبية . ذلك ان كل الايديولوجيات الثورية انطلقت اصلا من الدين . والإلحاح على ان المختار دعا "لمعدن الفضل ووصى الوقت والامام المهدى . والطلب بدماء أهل البيت" جاء فى دعوته مقرونا بالدفاع عن الضعفاء" .

● مسيرة نضال الشيعة ●

كانت الثورة التى قادها المختار - من ثم - حركة اجتماعية كبرى تشكل منعطفا فى مسيرة النضال الشيعى . فقد عبرت الحركة عن لفظ اسلوب الهبات العفوية العاطفية بعد استشهاد الحسين فى كربلاء وفشل حركة "التوابين" فى معركة عين الوردة - لتنقل الى طور النضج الثورى الكامل من حيث وضوح الدعوة وتحديد اهدافها والاعداد التنظيمى والعسكرى لها . يضاف إلى ذلك نضج القيادة بعد تجارب سياسية معقدة كان اخرها الانضمام الى حركة عبدالله بن الزبير ثم انسلاخه عنها حين اسفر ابن الزبير عن طموحاته الشخصية . ولعل مما يزكى موقف المختار هذا ماحدث ممن انسلاخ الخوارج كذلك عن ذات الحركة لذات الأسباب .

الكيسانية

لقد اتضحت المواقف السياسية - الاجتماعية لكافة القوى في الوقت الذى شهد اندلاع ثورة الكيسانية .. فاذا كان بنو امية يمثلون اليمين وحركة الزبيريين تمثل الوسط والخوارج يشكلون تيار اليسار المتطرف ، فإن الكيسانية عبروا عن موقف اليسار المعتدل ، ورب محتج يحتج بما جرى من احتواء الكيسانية لأشراف الكوفة .. وتفسير ذلك كائن في امرين :

الاول : نظرا لميوعة نمط الإنتاج السائد لم يكن هناك حسم كامل في تحديد المواقف الطبقية ، بله في شرائح الطبقة الواحدة . وتلك ملاحظة هامة استخلصناها من تراث الثورات الاجتماعية في الاسلام .

اما الأمر الثاني : فيمكن تفسيره على انه موقف "تكتيكى" مرحلي أملاه تصدى حركة المختار لليمين الأموى والوسط الزبيرى في وقت واحد ، وان افرز هذا التحالف المؤقت نتائجه الطبيعية في مسئولية "الأشراف" - ضمن أسباب أخرى - عن فشل الثورة الكيسانية .

على كل حال - لن نخوض في تفصيلات وقائع الثورة إلا بالقدر الذى يفرضه سياق العرض - لقد كان المختار قائدا حكيما حين هادن الزبيريين أولا فإذا كان قد طرد واليهم على الكوفة - مهد التشيع - فلم يشأ ان يستولي على البصرة - موطن الوسط - في ذات الوقت الذى بث رجاله في الحجاز سرا لاثارة الفرقة في صفوف الزبيريين .. آثر المختار دعم نفوذ الثوار في الكوفة ودعمها بالرجال والعتاد لتكون مركزا تنطلق منه الجيوش ضد الأمويين والزبيريين .

وفي هذا الصدد ظهر انحيازه الكامل للطبقات المستضعفة فقد قسم الفيىء على اساس المساواة واعلن أن الحكم شورى . وشرع بالفعل يقوض امتيازات الأشراف ومصالحهم وفي ذلك يقول الطبرى على لسان الأشراف الذين فزعوا من سياسة المختار» .. عمدت الى موالينا وهم فيىء افاءة الله علينا ، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا" .. وكان بوسع المختار محق تمرد الأشراف لولا قدوم جيش الشيعة بقيادة عبيد الله بن زياد فانفذ معظم عسكره للقائه خارج الكوفة .. آنئذ تطاول الأشراف إلا أن جند المختار من الموالي - وبالذات الخشبية الذين كانوا يقاتلون بالعصي - كفوه مؤنتهم . فتوجه للقاء الأمويين ودحرهم بالفعل في معركة "نهر الخازر" . ولمع نجم المختار خاصة بعد إعلان الامام محمد ابن الحنفية رضاءه عن الحركة .

لكن تحالف "الأشراف" المارقين مع الزبيريين اجهض الثورة وحرمها من جني ثمار انتصارها . إذ ان عبدالله بن الزبير انتدب المهلب بن ابى صفرة - الذى كان يواقع الخوارج - لوقف خطر الكيسانية . وبالفعل تمكن من اقتحام الكوفة وهزم الكيسانية وقتل المختار .

واثبت هذا الحدث تواطؤ اليمين والوسط على إجهاض ثورة اليسار . تماما كما حدث

بالنسبة لعلى بن أبى طالب حين ووجه بالخطرين معا الأول فى معركة الجمل والثانى فى معركة صفين ..

● انهيار مفاجيء ●

والسؤال : ماهو مصير الكيسانية بعد إجهاض ثورتهم الاجتماعية ؟ يدهش الباحث من حقيقة انهيار الكيسانية بصورة فريدة تختلف عن سائر فرق الشيعة الأخرى التى رغم ما حل بها من نكبات ظلت تمارس دورا بارزا على مسرح التاريخ الإسلامى ، ولانجد من إجابة شافية الا فى تشرذم الكيسانية بعد مقتل المختار ولجوء ابن الحنفية الى سياسة المهادنة حيث بايع لعبد الملك بن مروان إيثارا للعافية ، هذا فضلا عن مكانة اعقاب الحسن والحسين ابنى فاطمة بنت الرسول (ص) فى نظر الشيعة عموما . وهى مكانة تجب مكانة ابن الحنفية ونسله ، ثم كان ماكان من التئام الشيعة عموما فى دعوة سرية سرق العباسيون قيادتها عندما أوصى أبو هاشم بن محمد بن الحنفية بأن يخلفه محمد بن على ابن عبد الله بن العباس فى قيادة الدعوة السرية .

ولقد استقطبت تلك الدعوة العناصر المعتدلة من الكيسانيةُ اما العناصر المتطرفة فقد تحول بعضها الى مذهب المرجئة الذى رفع راية النضال الثورى ضد بنى أمية حين لجأ الشيعة للعمل فى الخفاء . أما البعض الآخر فقد امض فى التطرف واعتنق عقائد "الحلول والتناسخ وادعاء النبوة" . وقدر لهم القيام بهبّة انتحارية بقيادة مولى بربرى هو حمزة ابن عمارة . وبعد موت محمد ابن الحنفية سنة ٨١ هـ عول بعض الموالين له على الانتظار ريثما يعود من غيبته بجبل رضوى . وساد الغلو فلول بعض الكيسانية فتجمعوا حول زعامات كانت صيدا سهلا لجيوش بنى أمية .

هكذا انخرط الْكيسانية المعتدلون بعد الامام محمد بن الحنفية والمختار القائد وكيسان المنظر - فى صفوف احزاب الشيعة الأخرى واندمجوا فى الدعوة السرية التى صارت عباسية فآل إليها "ميراث الكيسانية" . أما التيار المتطرف فقد انقرض بسيوف الزبيريين والامويين . واختفت الكيسانية من مسرح الأحداث لتظهر فرق شيعية أخرى كالزيدية والامامية الأثنى عشرية والاسماعيلية

● ثلاث سياسات ●

قال أحد الحكماء : الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات ، طبقة من خاصة الأحرار ، تسوسهم بالعطف واللين والاحسان ، وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة ، لئلا تحرجهم الشدة ويبطرهم اللين (يجعلهم يستهينون بالقانون)



شعر : محيى الدين عطيه

أَطْفالُنَا الأَطْهارُ فى وَضَحِ الظَّهيرَةِ يَحْلُمونْ
يَبْنونَ أَوْراقاً مِنَ المُدُنِ الَّتى يَتَخَيَّلُونْ
النَّاسُ فيها صادِقونَ مُهَذَّبونَ وَمُنْصِفونْ
يَسْعَوْنَ فى دَرْبِ الحَياةِ بلا هُمومٍ أَوْ شُجونْ
يَتَسابَقونَ إلى العَطاءِ وَكُلُّهُمْ مُتَطَوِّعونْ
يَمْشونَ فى طُرُقٍ نَظافَتُها تُسَرُّ بِها العُيونْ
العَدْلُ فيها والأَمانُ بِلا مَحاكِمَ أَوْ سُجونْ

• • •

وَيَظَلُّ أَبْناءُ البَراءَةِ يَحْلُمونَ وَيَكْبُرونْ
وَتَمُرُّ خِبْراتُ الحَياةِ بِهِمْ وَهُمْ لايُدْرِكونْ
مَضَغوا الشِّعاراتِ الَّتى مَلأَتْ حَلاوَتُها البُطونْ
لَهَفى عَلَيْهِمْ يَوْمَ صَدْمَتِهِمْ وَهُمْ يَسْتَيْقِظونْ
وَيَرَوْنَ أَنَّ قَضِيَّةَ الحَقِّ الذى يَسْتَهْدِفونْ
لَيْسَتْ كَأَحْلامِ الطُّفولَةِ والصِّبا لَوْ يَعْلَمونْ
لَيْسَتْ قَضِيَّةَ سُلْطَةٍ تَطْغَى وأَنْظِمَةٍ تَخونْ
فَلَكَمْ تبدَّلَ حَاكِمٌ والنَّاسُ لايَتَغَيَّرونْ



لَيْسَتْ نُصوصاً فى الدَّساتيرِ الّتى يَتَرسَّمونْ
لكنَّهُ التّاريخُ قَدْ حَمَلَ التَّخَلُّفَ مِنْ قُرونْ
مِنْ بَعْدِ أَنْدَلُس ، وأَشْجارُ الدَّيار بلاغُصونْ
فَالنَّهْرُ مَجْراهُ المُلَوَّثُ بالتَّفَسُّخِ وَالمُجونْ
بالحُمْقِ ، بالحَرْب المَرِيرَةِ بَيْنَ مَنْ يَتَجاوَرونْ
لَمْ يُعْطِ غَيْرَ القَحْطِ والإِجْداب والدَّمْعِ الهَتونْ

• • •

فَإذا أَرَدْتُمْ عَوْدَةَ النَّبْعِ النَّقِىِّ إلى العُيونْ
وَنَضارَةَ الأَوْراقِ لِلشَّجَرِ الّذى ذاقَ المَنونْ
فَالفَأْسُ وَالمِحْراثُ وَالسَّعْىُ الحَثيثُ بِلا رُكونْ
والنَّصْرُ مَعْقودٌ لَكُمْ ، لَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلونْ





السلطان عبد الحميد والثورة العرابية

بقلم : د. سعيد اسماعيل على

لابد لنا فى مستهل هذا المقال من أن نفرق بين الرابطة الاسلامية كمبدأ وكفكرة ، وبينها كسياسة معينة تتصل بحاكم معين ومدى إخلاصه وامانته فى تطبيقها ، ذلك أن كاتب هذه السطور لايخفى انحيازه إلى أصحاب الرأى القائل بأن الرابطة العقيدية أشد رسوخا واوثق من غيرها من الروابط خاصة ونحن نعلم أن مبدأ الاسلام الأساسى ، هو أنه لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، فمعيار التفاضل والتمييز بين المسلمين .. هو مقدار اخلاصهم ووفائهم وعملهم بالشريعة عقيدة ومعاملات .

من أكثر الأفكار غرابة ومدعاة للدهشة ، القول بأن الزعيم احمد عرابى كان بداية الانحراف فى التاريخ المصرى الحديث عندما تمرد على السلطان عبد الحميد .. ورغم أن ذلك معاكس للحقيقة التاريخية تماما . وأن الثورة العرابية كانت الخطوة الأولى فى الاتجاه الصحيح يناقش الدكتور سعيد إسماعيل على هذه الفكرة ويضعها فى سياقها الصحيح ..

● الهلال ●

ومن أشد الظواهر مدعاة للأسى حقا ، ان يندفع بعض الباحثين الى الهجوم على الثورة العرابية لهجومها على نظام الحكم الذى كان قائما فى مصر استنادا الى الرابطة العثمانية ، انهم ينتقدونها بدعوى انها قد أدت الى إخراج مصر من مظلة (الجامعة الاسلامية) التى دعا اليها السلطان العثمانى . ومن هنا فإن هدفنا من هذا المقال هو الكشف عن حقيقة سياسة السلطان عبد الحميد هذه حتى يتبين لنا إلى أى حد أخطأت ام أصابت الثورة العرابية فى هجومها على حكم الخديو توفيق وممارسات السلطان نحو مصر .

ويرتبط بهذا أيضا ، الكشف عن ذلك الموقف المتخاذل للبعض من الثورة العرابية حيث أن هذا الموقف ، أتخذ ، ضمن الشواهد والمبررات التى سيقت تهوينا من شأن هذه الثورة ونقدا لها

وإذا كنا نؤكد على أولوية هذه الرابطة ، فأنه لا يجب أن نلزم الجميع بشكل معين من الاشكال السياسية التى تعبر عن الوحدة الاسلامية .. صحيح أنه أمل كبير وغرض عظيم أن نرى العالم الاسلامى دولة واحدة ، إلا أنه ـ فى ظل متغيرات العصر ـ يمكن الاستعاضة عن ذلك بالعديد من صور التعاون والترابط ، والأهم من ذلك ، أن حاكما ما لو رفع شعار (الجامعة الاسلامية) كسياسة له ، فإن نقدنا له إنما ينصرف إلى (دوافعه) وإلى (ممارساته) لا إلى الرابطة نفسها كمبدأ وكفكرة ..

لو أننا وعينا هذه التفرقة جيدا فسوف نتجنب الكثير من المزالق ..

فالذين هاجموا وانتقدوا سياسة السلطان عبد الحميد ، لم يقصدوا أن يهاجموا فكرة الرابطة الاسلامية .. وإنما كانوا يهاجمون اتخاذه لها ستارا يخفى بها أمورا اخرى غاية فى السوء .. والذين يدافعون فى الآونة الأخيرة .. عن هذا السلطان ويحاولون رد الاعتبار له وتصويره بأنه كان مظلوما إنما يفعلون ذلك بدافع الحرص على تلك الرابطة الدينية الشريفة التى دعا إليها

السلطان عبد الحميد والثورة العرابية

ولعلنا بعد ذلك نستطيع ان نبدأ بعرض وجهة نظرنا فى حقيقة هذه السياسة التى رفع رايتها السلطان عبد الحميد ، أملين آلا يخطىء القارىء فهم ما نقصد إليه . وهو . نقد الممارسات .. وتعرية الدوافع والغايات ..

● هل تخلف المسلمون فى العهد العثمانى

حرص الاسلام أشد الحرص على أن يبعد العصبيات الاقليمية والنعرات الجنسية عن البناء الاجتماعى والسياسى الذى أقامه .. ولذلك نجد أنه على الرغم من تولى حكام من جنسيات مختلفة قيادة الدولة أو الدول الاسلامية ، فإنهم جميعا ذابوا فى الثقافة الاسلامية .. فكانت اللغة العربية هى اللغة الاسلامية .. لكن هذا لم يحدث للدولة العثمانية ، فالأتراك وإن كانوا مسلمين فإنهم لم يتعلموا اللغة العربية فبقوا بعيدين عن روح الثقافة الاسلامية لأنها كانت باللغة العربية ، ولعل هذا يفسر بعض الشيء السبب الذى جعل هذه الثقافة تتخلف فى هذا العهد ، على عكس العادة التى جرت طوال العصور الاسلامية .. فكلما نهض حكم جديد قوى يلم اطراف العالم الاسلامى شهدت الثقافة الاسلامية ازدهارا وقوة .. إلا فى العهد العثمانى ..

أضف الى هذا ان سلاطين ال عثمان مافتئوا ينقلون العلماء ومهرة الصناع والفنانين الى قصبة ملكهم حتى افقروا العالم العربى من أفذاذ رجاله فى مختلف الميادين ، لذلك لا نعجب إذا سجل التاريخ هبوطا فى مستوى المدنية الاسلامية فى هذه الفترة حتى زحفت العجمة على اللغة ، واختفت البحوث العلمية والفلسفية ، وأغلق باب الاجتهاد فى الفقه ، وانعدم التأليف إلا من الملخصات والمختصرات للمؤلفات التى الفت فى العصر الذهبى السالف ، وانحط الفن الحربى وانحصر فى مجرد مهارات اللعب بالسيف والكر والفر على ظهور الخيل ، وانعزل العرب عن مجرى المدنية الانسانية فجهلوا حتى مجرد وجود أمم خطت فى مضمار المدنية خطوات فسيحة ، **ولولا الأزهر الشريف لاصيبت اللغة العربية والعلوم الدينية باضرار ولغلبت عليها اللغة التركية** (أبو الفتوح رضوان : القومية العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ـ ص ٥١) .

وليس عجيبا ان تقوم دولة الاتراك على السيف ، ذلك لانه لم تكن بينهم وبين الشعوب التى حكموها وشائج من القربى أو صلات تجمعهم من حيث الجنس أو اللغة أو التاريخ ، فقد كان الأتراك أقلية دينية بين الشعوب المسيحية التى أخضعوها فى البلقان وشرقى أوربا . وكانوا أقلية جنسية أمام الشعوب العربية التى أخضعوها فى الشرق ، فلم يكن عدد الأتراك فى القرن التاسع عشر ليزيد على سبعة ملايين ونصف مليون نفس على حين كان عدد العرب نحو عشرة ملايين ونصف مليون . يقول محمد رفعت المؤرخ .. الكبير : « وانك حين تقرأ انباء تلك العصور واحداثها ليهولنك مدى الركود



الخديو توفيق موقف متخاذل

والخمول الذى ران على بصائر الناس حتى لكأن الامبراطورية العثمانية حين كانت تنشر سلطانها على الناس فى الشرق والغرب ، إنما كانت تخدرهم بمخدرات فيستنيمون لها ويغشاهم الجهل والظلم والفقر وتتناوبهم الأمراض والمجاعات وهم لايكادون يتحركون » (تاريخ حوض البحر المتوسط القاهرة ، ١٩٥٩ ـ ص ٣٢٨) .

ثم اتخذ العثمانيون اسلوبا آخر لتأكيد نفوذهم فى الولايات العربية ظهر بشكل خاص فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ألا وهو تبنى هذا السلطان فكرة الجامعة الاسلامية لتحقيق عدة أهداف :

أولا باعتبارها أداة تضمن التفاف العالم العربى حول الخلافة العثمانية فتتأكد السيطرة العثمانية على الولايات العربية فى وقت كانت الدولة العثمانية تفقد أملاكها فى البلقان بسرعة .

ثانيا : إن السلطان عبد الحميد ـ وهو المعروف باستبداده ـ كان يبغى من تأييده لحركة الجامعة الاسلامية تأكيد هذا الاستبداد اعتقادا منه أن فكرة الجامعة الاسلامية تعنى الحكم الاستبدادى فيطارد بذلك الحركة الدستورية التى أخذت تلح فى الدولة العثمانية فى ذلك الوقت .

ثالثا : كما كان عبد الحميد يهدف من وراء الجامعة الاسلامية الى اتخاذها اداة للضغط على الدول الأوربية إذ التفت حوله الشعوب الاسلامية وغير العربية ، الخارجة عن الامبراطورية العثمانية والتى كانت تسيطر عليها الدول الأوربية ، وبالذات الشعوب العربية فى المغرب والمسلمون فى الهند والتتر فى روسيا القيصرية . (محمد انيس · الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة الانجلو المصرية ، ص ٢٤٠)

● فساد الحكم الحميدى :

لم يكن الاسلام ابدا فى يوم من الأيام مجرد كلمات أو شعارات أو لافتات ، وإنما هو سلوك وعمل وقدوة ، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرف الدين بأنه (المعاملة) ، فان هذا إنما يعنى أن السلوك والعمل والقدوة بالنسبة للاسلام . تقع فى المكان الرئيسى ، وتشكل الأساس الضرورى .

ومن هنا فأن الحاكم الذى يستظل برأية الاسلام ويدعو الناس إلى أن يقفوا معه تحتها ، لابد له من أن يقيم حكمه على الشورى والعدل .. لابد أن يشيع الأمن والأمان بين الرعية .. لابد له أن يتخذ

السلطان عبد الحميد والثورة العرابية

اقصى الجهود وامضاها فى سبيل (التنمية) لانها هى السبيل الوحيد لكى تحصل البلاد على اسباب القوة الحقيقية الداخلية .

أما إذا أشاع الخوف والرعب بين العباد .. أما إذا ترك الرشوة والفساد يضربان فى أرض المجتمع .. أما إذا انصرف الى شأنه الخاص هو وما يملك وترك البلاد واهنة تنخفض فيها مستويات المعيشة ويشيع فيها الجهل والمرض .. إما إذا استبد بالرأى واعتقد انه هو وحده دون خلق الله الملهم لاياتيه الشك من قريب أو من بعيد .. إذا كان كل هذا وأكثر منه ثم راح يملأ الدنيا خطبا وخطابات ومقالات ومنشورات بأنه حامى حمى الاسلام .. فلابد أن تحكم عليه بأنه منافق ، وانه ليس صادق الوعد ، بل انه أشد خطرا من ذلك الذى يجهر بالعداء لان هذا الثانى صادق ، وينبهنا إلى ضرورة مقاومته والاستعداد له ، أما الأخر فهو يضحك على الجميع . يكذب على التاريخ .. غير ما يظهر ..

وإذا كانت حركة الاصلاح فى الدولة العثمانية قد استطاعت أن تفرض مبدأ التمثيل الشعبى سنة ١٩٧٦ ، فإن ذلك لم يستمر طويلا إذ ما لبث السلطان عبد الحميد أن حل مجلس "المبعوثان" وعلق العمل بالدستور فى ١٤ فبراير ١٨٧٨ ، وكانت النتيجة عودة الدولة العثمانية الى نظام (الحكم المطلق) والذى تحول فى آخر عهد عبد الحميد الى حكم استبدادى زاد فى حدته الشكوك التى ساورت عبد الحميد نتيجة تولية العرش إثر عمليتى خلع متعاقبتين حدثتا فى سنة واحدة كانت الأولى ضد عمه السلطان عبد العزيز الذى مات منتحرا بعد خلعه بأيام وأثيرت بعض الشكوك حول انتحاره ، وكانت الثانية ضد اخيه السلطان مراد الذى خلع بسبب اختلال قواه العقلية ..

كان لهاتين الحادثتين بالغ الأثر فى مسلك السلطان عبد الحميد خلال سنين حكمه الطويل ، فأكثر من تعيين الجواسيس لرصد حركات الموظفين ومراقبتهم ، ولم يستثن من المراقبة احدا حتى الصدر الأعظم .. وكلف هؤلاء الجواسيس بكتابة التقارير ورفعها اليه وتشدد السلطان فى اضطهاد احرار الدولة فاضطر هؤلاء الى اتخاذ السفارات والقنصليات الأجنبية .. ملجأ لهم من استبداده .. كما اضطر بعضهم الى مغادرة البلاد متخفيا هربا من القهر والاضطهاد ، (عبد العزيز محمد عوض الأدارة العثمانية فى ولاية سورية القاهرة ١٩٦٩ ـ ص ٤٦) .

وهكذا نجد انه من أجل حماية العرش من احتمالات الخطر المتوقعة ، أحاط السلطان نفسه بشبكة من الجاسوسية المنظمة ، نوعا ضمت عددا ضخما من المرتزقة أغدق عليهم السلطان من أموال الدولة فتضخمت تفقات القصور والعاصمة على حساب الولايات ونتج عن سياسة الكبت والضغط على الحريات التى اتبعها السلطان رد فعل فى اوساط المثقفين ، فعمدوا الى تشكيل جمعيات سرية فى

داخل الامبراطورية وأخرى علنية فى اوربا ، وتضافرت هذه الجمعيات على مكافحة استبداد عبد الحميد ..

● ولاء للأتراك مع ظلمهم ●

ولعلنا بعد ذلك نقف لنتساءل : من هو المسئول عن ظهور دعوات (الانقلاب) ؟ هل هم الذين شعروا بالظلم والقهر فأبوا أن يستسلموا وراحوا يطالبون بحقوق الانسان الاساسية ، أم هؤلاء الذين استبدوا فى الأرض وعاثوا فيها فسادا وظلما وبغيا ؟ وإذا خير الانسان بين (وحدة سياسية) تقوم على القهر والاستعباد والظلم ، وبين كيان اقليمى يشعر فيه بالعزة وان له رأيا يحترم ، افلا يختار البديل الثانى ؟ ومرة أخرى أكرر ان الأمل الاكبر هو تلك الوحدة الكبرى ، على ان تقوم على ما سبق أن اشرنا به .

ومن ثم لم يرتكب عرابى ورفاقه جرما بثورتهم ، فضلا عما أكدته الوقائع من أنهم ظلوا على ولائهم لدولة الخلافة .. لقد أكد عرابى مرارا وتكرارا انه إذ يشكو من ظلم الاتراك سيظل على ولائه للسلطان مادام هو الخليفة ذلك أن الظلم مكروه ، فلو وقع من سلطة من أهل البلد نفسها فلابد من مواجهتها ، وبالتالى فاذا كان الظلم واقعا من الأتراك ، حيث تمثل بلدهم دولة الخلافة ، فإن هذا لا يعنى الرضوخ والاستسلام .

جاء فى تقرير هام لـ (كولفن) عن حديث بينه وبين عرابى :

« استهل عرابى حديثه بعرض تاريخى طويل للحكم التركى فى مصر ، فوصف حكومة المماليك وحكومة الأسرة الحالية (أسرة محمد على) بأنهما تتساويان فى استبدادهما بأهالى العرب ، وهو يريد أن يبرر أن المصريين لم يشعروا حتى الآن بالأمان على أرواحهم وممتلكاتهم ، فقد كانوا يسجنون أو ينفقون أو يخنقون ويلقى بهم فى النيل ، أو يتضورون جوعا أو يسرقون حسب إرادة سادتهم ، فكان العبد المعتق أكثر تمتعا بالحرية من العربى الذى ولد حرا ، وكان اكثر الاتراك جهلا يفضل ويقدم على احسن المصريين .. واستطرد بعد ذلك فى شرح مقولة ان الناس الذين خلقوا من أصل واحد يجب أن يتساووا فى الحقوق الشخصية والأمن" (الكسندر شولتس مصر للمصريين ، ترجمة رءوف عباس ، ص ٢٣٦) .

وفى حديث مع (بلنت) اكد عرابى انه لا يحب الأتراك ويرفض تدخلهم فى الشئون باعتباره (أمير المؤمنين) .

أضف إلى ذلك ان مصير تونس بين أن من الضرورى الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع الخليفة

● التواطؤ ضد الشعب المصرى

على الرغم من أن النوايا المعلنة لبعثة (نظامى باشا) التى أرسلها السلطان الى مصر هى العمل على بث الأمن ، فإنها لم تقم بشىء يذكر فى هذا الشأن ، بل أن الرأى العام المصرى فى مجموعه كان يشك فى نوايا البعثة التى أدت اقامتها فى مصر الى اثارة القلق الشديد بسبب خشية الناس ان تتدخل تركيا فى شئون البلاد أو تعمد الى احتلالها ..

والى جانب ما اذيع عن اهداف البعثة ونشاطها ، هناك ما يدل على أنها اقامت

السلطان عبد الحميد والثورة العرابية

اتصالات سرية بكل من توفيق والأعيان ويبدو أنها نصحت الخديو برفض الدستور الذى طالب به زعماء الثورة بحجة انه لا يمكن منح مصر دستورا يخالف النظم السارية فى باقى الأمبراطورية ، كما نصحته بأن يطلب ارسال قوة عسكرية عثمانية فى حالة تجدد القلاقل فى البلاد - وهنا سلم توفيق باستحالة تنفيذ ذلك وطلبت من الأعيان أن يعلنوا حماستهم لتقسيم مصر إلى ثلاث ولايات - أو مقاطعات - متميزة ، وهو المشروع الذى كان السلطان متحمسا له ، ويفكر فى تنفيذه على مسئوليته الخاصة حتى يؤدى هذا الى إضعاف الولايات الثلاث جميعا .. ويبدو أن الأعيان الذين احتكوا بالمندوبين العثمانيين قابلوا هذا الأقتراح ببرود .. (أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ، ص ١٥٨) .

وسندت انجلترا نشاطها العسكرى بمفاوضة الباب العالى حول توقيع اتفاق حربى بين البلدين .. فقد كانت دوائر لندن تعتقد ان التعاون مع الباب العالى - أو مجرد الظهور بمظهر التعاون معه - مما يخفف حدة التوتر فى العالم الاسلامى فى الهند ، ويقنع عرابى بالتسليم . ولما كانت بعض الدول الأوربية ، وبخاصة المانيا .. تميل الى توقيع الاتفاق ، فإن إنجلترا كانت على استعداد لابداء احترامها لسيادة السلطان على مصر . ومما يدل على مهارة دوفرين أنه طوال المفاوضات التى كان القصد الآساسى منها هو كسب الوقت حتى تتم هزيمة عرابى ، ظل يحتفظ لحكومته بحرية العمل ويتجنب اثارة اية دولة اخرى وأنه بحذره ومهارته استطاع ان يحول دون تملص الأتراك من الشروط والقيود التى رأت الحكومة الأنجليزية ضرورة فرضها عليهم . (المرجع السابق ، ص ٣٨٥) .

وبالأضافة الى حرج موقف السلطان إزاء مصر ، انزعج حين تلقى تحذيرات من العلماء وانصار حركة الجامعة الاسلامية مفادها ان تعاونه مع انجلترا ضد حماة الاسلام سيثير الاستياء لدى عامة المصريين والسوريين والعرب .

وقد يمكن عرابى من الحصول على فتوى تنص على خلع الخليفة . وقد القيت الخطب الملتهبة ضد انجلترا فى مساجد الأستانة ودعا الخطباء الناس الى حمل السلاح دفاعا عن الاسلام .. وأرسل ثلاثون من مشايخ الأزهر تحذيرا الى السلطان الذى كان قد عبر لهم عن رغبته فى امتناع المصريين عن إرسال الأمدادات الى عرابى ، وطلب إليهم أن يقنعوا عرابى بالقاء السلاح بأسم السريعة . ورد المشايخ بعد أن بحثوا الموقف مع الأعيان بأن عليهم طاعة أوامر السلطان والخليفة طالما تتمشى أعماله مع الشريعة ، وأن المصريين لن يلقوا السلاح الا اذا أخلى الانجليز الاسكندرية والأراضى الأخرى التى احتلوها على أن ترسل شروط الصلح مقدما إلى « العلماء » و « الأعيان » ثم طالبوا بالأجماع بخلع توفيق ، كما وجهوا التحذير الى السلطان وافهموه ان المصريين سيحتكمون إلى القرآن لو ارسل قواته الى مصر واشاروا عليه بعدم ارسال درويش من جديد إلى

مصر لئلا يكرر اخطاءه السابقة ويعرض مصر للدمار وأنتهى خطاب المشايخ بالقول بآن المسألة لا تتعلق بشخص عرابى بقدر ما تتعلق بخلاص مصر (المرجع السابق ص ـ ٢٨٧) .

أما موقف الخديو توفيق الذى اتسم بالجبن والخيانة ، فتزخر به مئات من صفحات الكتب مما يصعب تلخيصه فى مثل هذا المقال ، ومن هنا فإننا نسوق مثالا أو اثنين لنتبين كيف كانت الثورة العرابية ضرورية لاقتلاع أمثاله .

فقبل ضرب الأسطول الانجليزى لمدينة الاسكندرية بساعات قال أحد الأميرالات الذين كانوا فى معية الخديو له : (محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢) .

ـ ما مصير الاسكندرية لو ضربها الانجليز ؟ فأجابا الخديو :

ـ ستين سنة وهز كتفيه ، فقال الضابط .

لكن السكان سيحرقونها، فأرجو ان تتوسط لدى الأميرال سيمور والوقت لم يزل يسمح بذلك ، استدع « ذو الفقار » وامره ان يحافظ على المدينة فعنده من الرجال الكفاية . فأجاب الخديو .

ـ فلتحرق المدينة جميعها ولا يبقى منها طوبة على طوبة . حرب بحرب ، كل ذلك يقع على رأس عرابى وعلى « رءوس » أولاد الكلب الفلاحين ، وسيذوق الأوربيون الملاعين عاقبة هروبهم مثل الأرانب

وفى ١٤ أغسطس اصدر الخديو توفيق امرا يرخص للأنجليز احتلال القناة .

« ليكن معلوما عند السلطات الملكية والعسكرية فى منطقة قناة السويس . ان اميرال الاسطول الانجليزى وقائد الجيوش البريطانية العام ، انما اتيا الى مصر لاعادة الأمن والنظام اليها ومن ثم فقد سمحنا لهما باحتلال جميع الأمكنة التى يريان فى احتلالها ما يساعد على قمع العصيان ، وعلى هذه السلطات أن يبلغوا هذا الأمر الى كافة سكان منطقة قناة السويس وبخاصة الى موظفي وعمال القناة البحرية ، ومن يخالف أمرنا هذا يعد خارجا على إرادتنا وينزل به أشد العقاب » (وزارة الحربية الحملة الاستعمارية على مصر ، ١٩٥٦ ـ ص ٨٥)

وكان فى حوزة الأميرال الانجليزى اعتبارا من أول اغسطس ، التفويض التالى الذى يخوله الاستيلاء على جميع النقط الضرورية على طول القناة واحتلالها باسم الخديو .

« سيدى الكونتر ادميرال .

الاسكندرية فى أول اغسطس سنة ١٨٨٢ .

لكم السلطة التى تخولكم احتلال ماتجدونه مفيدا من نقط فى منطقة قناة السويس لتأمين حرية الملاحة فى القناة .. وحماية المدن والأهلين على طول مجرى القناة وطرد كل قوة لا تعترف بسلطتي ولكم أيضا ياسيدى الكونتر ادميرال سلطة أتخاذ الأجراءات اللازمة لانتزاع الخط الحديدى بين السويس والأسماعيلية من يد الثوار » (المرجع السابق ، ص ٨٦) .

● مواكب المتخاذلين

من الأمثال الشعبية المصرية المعروفة : « الثور لما يقع . تكثر عليه السكاكين » ، فعندما فشلت الثورة

العرابية ، بدأت مواقف المتخاذلين تتقدم ، هذا بخطبة ، وهذا بمقال ، وهذا بقصيدة شعر هكذا ، نفاقا للسلطة الجديدة ، وتقديما لفروض الولاء للسادة الجدد . إنهم إذ يعلقون اسباب الفشل كلها فى رقبة هذا الجندى الفلاح ، يظنون انهم يعفون انفسهم من المشاركة فى المسئولية ويتغاضون عن الأسباب الحقيقية ، إذ كيف بالله وهذا هو موقف (الخليفة الأعظم) ، وهذا هو موقف حاكم مصر ، ووراءهما قوات بريطانيا ، اقوى دول العالم فى ذلك الوقت ، ويقال ان عرابى هو الذى جلب الاحتلال الى مصر ؟ !

فهذا رجل من علماء الدين لم يفهم الرسالة الحقيقية للاسلام فى تحرير الانسان من كل صور الاستغلال والقهر البشرى ، يصور مقاومة الوطنيين بأسلحتهم البدائية للأنجليز بأسلحتهم الحديثة ، بأنها تدخل فى باب معصية أوامر الله عز وجل .. « بلغ من تضلع البغاة الجهال من الفنون الحربية وخبرتهم بطرق النكاية للعدو ، أن يقابلوا الآلات الأنكليزية الحديثة العهد المصنوعة منذ شهور أو أسابيع بآلات عتيقة مضى عليها من الأجيال ما اكلها به الصدأ ، فلو اننا فرضنا المستحيل من كون هذه الحرب دينية ، والحالة هذه وأنها بأمر الخليفة الأعظم أو نائبه الخديو الاكرم .. لوجب شرعا مخالفة اربابها لانها عندئذ عبارة عن المخاطرة بالبلاد والعباد ، وقد نهانا الله عن أن نلقى بأيدينا الى التهلكة وصاحب هذه الفتوى هو الشيخ حمزة فتح الله (سليم نقاش : مصر للمصريين ، جـ ٥ ـ ص ١٨٤) .

وكانت طلائع جيش عرابى مؤلفة من متطوعى العربان الذين لا يهمهم من الحرب إلا أن تتاح لهم فرصة النهب والسلب ، وكان منهم جماعة من المنتمين لسلطان باشا ، فاستمال افرادا منهم الى جانبه ، وعهد اليهم بتوزيع اعلان الباب العالى الخاص بعصيان عرابى مع المنشورات الخديوية ، والتجسس على العرابيين والحصول على اخبارهم وتعريف سلطان بها لارسالها بالبرق الى سراى رأس التين ، فاندسوا بين الضباط العرابيين خفية وقاموا بمهمتهم مما أدى إلى أن يستولى الوهن على عزائم الكثيرين ، ويذكر البعض أن سلطان باشا عندما رقد على فراش الموت قال بأن المرض ليس هو الذى أرقده على فراش الموت . وإنما اعتقاده بأنه باع بلاده للانجليز .. » .

ويروى عرابى لاعضاء القومسيون العسكرى اثناء سجته أنه فى « الساعة تسعة ونصف افرنكى (يوم الأحد ٥ ذو القعدة سنة ١٢٩٩ هـ) فتح باب الأوضة التى أنا فيها فكنت نائما وقتها ، وإذ دخل أناس كثيرون لا اعلم عددهم لكون الأوضة مظلمة وليس فيها نور ، ثم قال قائل منهم ·

ياعرابى ، بصوت مزعج ، فقمت من نومى فزعان ، وقلت : ماذا تريد ؟ فقال لى : أما تدرى من أنا ؟ فقلت له : لا ، أعلمنى باسمك وماذا تريده منى فى هذا الوقت فقال : أنا إبراهيم اغا يابن الكلب

ياحبرير ، تم تفل علىّ ثلاث مرات بصورة قبيحة وكلام قبيح . (محاضر التحقيقات الطليعة - ص ١٦٠)

وتستعجل جريدة الأهرام الحكم على عرابى فتقول « يستلفت الرأى العام مجلس التحقيق العسكرى والمجلس الحربى الى إصدار الحكم على العصاة بالوجه السريع لأن الوقت ثمين فلا يضاع باطالة التفحص فى ما هو واضح من جميع الوجوه . وهى تقول فى نفس المكان

« فما عرابى ورفاقه إلا عصاة كما تشهد اعمالهم ، وما عقاب العصاة فى جميع القوانين العسكرية إلا الاعدام .. (الأهرام فى ١٨٨٢/١٠/٩ ، العدد ١٤٦٦) .

أما الشيخ محمد عبده ، فقد كان لا يقر الثوار على خططهم ، واختلافه مع استاذه الأفغانى معروف لأن الثانى كان لا يرى علاجا لمشكلات الشرق إلا بالثورة ، أما هو فهو يرتضى منطق الاصلاح والتطور التدريجى ومن هنا فقد قال له الأفغانى :

(أذهب انما أنت مثبط) . ومن هنا أيضا فقد كان تعلقه على مظاهرة عابدين العسكرية يتمثل فى قوله اسفا على ما فعله الثوار

قامت عصابات جند فينا
لعزل خير رئيس كنت راجيه
ذاك الذى انعش الأمال غيرته
وخلص القطر فارتاحت أهاليه

والذى يقصده هنا هو (رياض باشا) .

ومن بعيد تاتى كلمات الأفغانى تقطر منه الحسرة والألم فيعلق على ما صارت اليه الأمور فى مصر عقب الاحتلال ..

وا أسفا على حالة الأهالى بعد هذا ..

حكم من لادافع لحكمه بطرد آلاف من السوطنيين المـوظفين فى دوائـر الحكومة ، وما منهم أحد إلا ويتبعه عائلة واولاد .

ألم يمس الفقر هؤلاء ؟

ألم يعضهم ناب الجوع ؟ الم يهتك مستورهم ؟

ألم يصبحوا كساة بسرابيل الكآبة عراة من اكسية المسرة ؟

افعمت السجون بأعيان الرعية ، ورفعت أذناب الكرابيـج لتشريـح ابدانهم ، واستعملت آلات التعذيب ..

هل نستطيع ان نعلق بعد كلمات هذا الثائر العظيم ؟ لا اظن ..

● أقصر كتاب ●

سأل جعفر بن يحيى البرمكى عن أوجز كلام فقال : قول سليمان عليه السلام الى ملكة سبأ (بلقيس) (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علىّ وائتونى مسلمين) .

فجمع فى ثلاثة احرف (اى ثلاث جمل) العنوان والكتاب والحاجة واظهار الدين وعرض الرشاد الى المكتوب اليهم

مصريون في بلاد العرب

بقلم: مصطفى نبيل



عزيز المصرى وحلم الثورة

عندما نتحدث عن دور المصريين فى البلاد العربية ..

يقفز الى الصدارة عزيز المصرى ، الذى كافح مايزيد على نصف قرن من اجل الثورة العربية ، ويرى الدول العربية كوحدة واحدة ، قاوم الاتراك وحارب الاستعمار ، وتنقل بين اليمن وليبيا والعراق والحجاز مقاتلا ، وعكست قصة حياته هموم وحيرة جيل بأكمله فى ظروف قاسية فى مطلع هذا القرن ..

عاش أكثر الاحداث العربية سخونة ، وحافظ على اهدافه التى لم تتغير رغم الفشل والاحباط ، وهو اول من لجأ الى التنظيمات السرية ، واستخدمها كأداة لتحقيق اهدافه ، واول عربى يشترك مع ضباط الاتحاد والترقى عام ١٩٠٩ فى انقلاب عسكرى ضد السلطان عبد الحميد ، ومن يومها وهو يبشر باستخدام القوات المسلحة كأداة للتغيير .

● كان بيته فى القاهرة ملتقى الثوار والساخطين ، يجذب اليه عشرات من الشباب من كل الانواع والاحزاب يعتبرونه رائدا ومعلما ، تربطه علاقات وثيقة بكل من حسن البنا واحمد حسين وجمال عبد الناصر وانور السادات

فهو شخصية تتفجر بالثورة .. يتحدى الانجليز وطغيان القصر ، حكم عليه بالاعدام فى اسطنبول ، ولايكاد يستقر فى بيته حتى يعود الى السجن من جديد ، واطلق عليه « اغرب باشا عرفته مصر » وتولى اعلى المناصب ، كان رائدا للملك


عزيز المصرى عندما كان ضابطا بالجيش العثمانى

فاروق ولايكف عن مهاجمته ، وكان مديرا لكلية الشرطة ، ورئيسا لأركان حرب الجيش المصرى وترك سمعة عطرة كرجل مستقل الرأى يعتز بأمته ..

كان دائما ضد المؤسسات الحاكمة والمتحكمة ، يعبر عن رأيه بوضوح بأنه لا يمكن تحقيق التقدم الا عن طريق اسقاط الانظمة التقليدية ، ينتقد الباشوات وهو واحد منهم ، له سجل حافل بالاحداث والمفاجآت ، ينقل مستمعيه الى عوالم النضال فى بطاح اليمن وصحراء ليبيا ، وجه يوما نداء باسم جمعيته العربية جاء فيه ..

« اعلموا انه تأسست جمعية فدائية تقتل كل من يقاتل العرب ، ويقاوم الاصلاح العربى ويقاوم مبدأ الاستقلال التام ، وتأليف دولة عربية تعيد سابق مجدنا الغابر وستبدأ عملها بإزالة وجود بعض الثعالب المتزلفين من العرب الذين كانوا ولايزالون سببا لدوس حقوق العرب تحت الاقدام »

ولد عزيز المصرى فى عام ١٨٧٩ ، فى عزبة النخل ، القريبة من القاهرة ايام الثورة العرابية وقبل الاحتلال البريطانى بعامين ، وكان منذ صباه يحلم بالعمل العسكرى الذى يمكنه من تحرير بلاده ، وعندما واتته الفرصة ترك مدرسة الحقوق ، والتحق بالمدرسة الحربية فى الاستانة ، وعمل ضابطا فى الجيش العثمانى ، ولعب أدوارا عسكرية هامة

عاد الى مصر بعد ثورة ١٩١٩ واصبح مديرا لكلية البوليس .

كان لحادثة محاولة هربه خلال الحرب العالمية الثانية دوى كبير ، عندما قاد طائرته حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرءوف فى طريقهم للالتحاق

مصريون في بلاد العرب

بثورة رشيد عالي الكيلاني فى العراق .
ومن يقلب صفحات التاريخ يدهشه ان يقوم شخص واحد بكل هذه الادوار ويلمس تضارب ماكتب عنه ، وتتسم العديد من صفحاته بالغموض وتقدم الكثير منها التساؤلات اكثر من الاجابات ..
فهو يقوم بالاتصال بقوى عديدة تناقضه ، فهل عزيز المصرى « ثائر » لايكف عن الحركة ، ولاييأس من الفشل ؟ ام هو « مغامر » يحمل بين جوانحه اهداف امته وتعوزه وسائل تحقيق هذه الأهداف ..؟

ام هو « سياسى » يسعى الى الانجاز بأية وسيلة متاحة ؟ وكثيرا مابدت الوسائل التى كان عزيز المصرى يستطيع عن طريقها تحقيق اهدافه ، اهم من هذه الاهداف .. نجده يدافع عن الدولة العثمانية ويقاتل فى صفوف قواتها فى مقدونيا واليمن وليبيا ثم يتحول ضدها ، ويشترك فى الثورة العربية التى تقاتل هذه الدولة ..

رغم ادراكنا ان ماظهر من تناقض كان يعكس حيرة جيل بأكمله ، وعجز عن الاختيار امام دروب خطرة ، وغياب الاتفاق العام الذى يقاس عليه ، ومايؤدى اليه ذلك بالضرورة من تعدد الاتجاهات وتضاربها فى بحر السياسة المتلاطم ..

عندما اقترح السنهورى باشا على النقراشى باشا الاستعانة بكفاءة عزيز المصرى فى اقامة جمعية وطنية تساهم فى حشد القوى ، اجابه النقراشى .. كن حذرا فهذا الرجل ليس اكثر من مغامر ...
ام هل يرجع مايبدو تضاربا فى مواقف عزيز المصرى الى التغيرات السياسية المتلاحقة وخاصة انه كان طرفا فى احداث اتصلت نصف قرن ، ويقترب اسعد داغر من ذلك فى مذكراته « يتساءل الكثيرون .. هل عزيز فى سن شيخوخته هو غيره فى سن الشباب ؟ نعم . لقد اصبح شخصا اخر مختلفا ، فما عرفناه من عزيز الشاب من الحكمة وسداد الرأى وبعد النظر وسعة الصدر وقوة الايمان وصدق العزيمة والصبر على المكاره ، امتزج فى سن الشيخوخة بشىء من العصبية وضيق الصدر والاكثار من الكلام ، والشك فى الناس جميعا ، والنقد الذى كثيرا مايكون مصدره العاطفة وحدها »
عندما تولى رئاسة اركان الجيش المصرى .. قلت له .. اليوم توليت اهم منصب فى اعظم جيش عربى ، فى وزارة تجلك وتقدرك ، وجميع اعضائها من اصدقائك وعارفى فضلك ، وفى بلد يحبك وخصوصا شبيبته المثقفة ، لافرق بين العسكريين والمدنيين ، وفى عهد ملك شاب هو تلميذك ، وقد اقترن بنسيبة لك هى كريمة ابن شقيقتك (يشير الى الملكة فريدة) وليس لك اى عذر بعد ان بلغت هذه المكانة .. فأجاب .. لايمكن العمل مع هذا الملك ولا أمل فى اصلاح مادام الانجليز فى البلاد ..
وهل يمكن تفسير ماغمض من حياة عزيز المصرى من كونه عسكريا وجد نفسه وسط المناورات السياسية التى تتطلب قدرا من المرونة التى لايستطيع

العسكريون القيام بها الا اذا تخلوا عن اسلوبهم العسكرى ؟

● الظاهر والباطن ●

ولعل العديد من الصفحات الغامضة فى حياة عزيز المصرى تعود الى انغماسه فى التنظيمات السرية ، ومن الطبيعى ان يكتنف العمل السرى هذا الغموض ، وان يكون الظاهر غير الباطن ، والذى تعود العمل السرى ، لايستطيع ان يتخلى عن عادة الكتمان حتى بعد زوال اسبابه

ومنذ انضم عزيز المصرى الى الجمعية القحطانية التى تأسست فى اسطنبول عام ١٩٠٩ مع صديقه سليم الجزائرى ، بدأت الاوراق تختلط فقد كان فى نفس الوقت عضوا نشطا فى الاتحاد والترقى ، والتى تهدف الى العمل على اصلاح الدولة العثمانية عن طريق الجيش ، وفجأة يصبح عضوا نشيطا فى جمعية العهد التى ضمت ٣١٥ ضابطا عربيا من ٤٩٠ ضابطا يعملون فى الاستانة ، وعندما تنبهت السلطات لخطورة هذه الجمعية نقلت معظم اعضائها الى مراكز بعيدة عن العاصمة ، ويذكر جورج انطونيوس فى كتابه يقظة العرب « ان هدف عزيز المصرى من المشاركة فى اعمال الجمعية القحطانية وتأسيسه جمعية العهد ، هو العمل على ان يحصل العرب على قدر اكبر من سلطة تصريف امورهم ، عن طريق تعديل نظام الحكم فى الدولة العثمانية وتصبح ذات تاجين ، احدهما للعرب والاخر للترك ، كما كانت امبراطورية النمسا والمجر »

ثم ماتكشف بعد ذلك من انضمامه الى « تشكيلات مخصوصة » ، وهو تنظيم سرى اقامته وزارة الحربية التركية لمواجهة القوى الاستعمارية فى الدول الاسلامية ..

ولعل استعراض الدور العربى الذى قام به عزيز المصرى فى هذه المرحلة التاريخية يلقى الضوء على ماخفى من مواقفه ، ويكشف وعيه المبكر بالفكرة العربية .

● فى بطاح اليمن ●

لمع اسم عزيز المصرى بين صفوف الحركة العربية نتيجة وقف نزيف الدماء فى بطاح اليمن بعد نجاحه فى الوصول الى اتفاق بين الامام يحيى والدولة العثمانية يعطى لليمن إحدى صور الاستقلال فى اطار الدولة العثمانية

فبعد زيادة اهمية اليمن الاستراتيجية بعد فتح قناة السويس ، تجدد النزاع بين العثمانيين والزيديين ، بعد اتهام الزيديين للدولة العثمانية فى ظل رجال الاتحاد والترقى بالتخلى عن الاسلام .

ويروى عزيز المصرى قصة هذه الحملة فى حديث لسعد زغلول فؤاد يقول « كانت حرب اليمن من اقسى الحروب التى مرت بالجيش العثمانى ، وقد استطعت التقدم معتمدا على تركيز الهجوم وعدم توقف القصف ، إلا أننى ادركت ان مواصلة عملياتنا ستستنزف دماء الطرفين ، فعرضت على القائد العام ، اقتراحا بأن نترك للامام ادارة البلاد ويحتفظ الخليفة بالسلطة الروحية ، وصادفتنا عقبة ، هل يحضر الينا الامام ام نبعث اليه رسولا ، وعارض عصمت اينونو ضابط الاركان ان اذهب اليه بحجة مافى ذلك من اهانة للشرف التركى ، وركبت جوادى وقررت ان اذهب اليه ، ولم تنته جلستى معه ، حتى

امكانية ان يتحقق ذلك فى اقطار عربية أخرى ..

ويبدو ان اليمن كانت تمتص القوات العثمانية ، وبعد الصلح بعث الامام برقية الى السلطان يعلن فيها استعداده لارسال مائة الف مقاتل الى طرابلس الغرب للدفاع عنها ضد الايطاليين .

مصريون في بلاد العرب

تم توقيع رسالة الى السلطان تم بموجبها الصلح ..

ويحكى احمد حسين ، ان التفاهم تم سريعا لمعرفة عزيز المصرى بالتقاليد العربية ، فخلع حذاءه قبل الدخول على الامام ، مما كان له ابلغ الاثر لإنصاته لكلمات عزيز المصرى الذى أقنعه ان الاتفاق اجدى من القتال ..

واحتفت الصحف العربية بهذا الصلح ، ونشرت تصريحات الاميرالاى احسان بك رئيس اركان الفيالق العثمانية الذى مر ببيروت فى طريقه الى اسطنبول .. قال ان عزيز بك بطل هذا الاتفاق ، وهو من اصدق الرجال الذين خدموا الدولة والامة معا ، وخوفه على دولته رغبة فى بقاء العرب زخرا للدولة مكنته طلاقة لسانه من اقناع الامام بأن القتال اذا استمر فان الاجانب المتربصين بالشرق سيستولون على هذه البلاد ..»

وكان لجمال باشا (السفاح) رأى آخر كتبه فى مذكراته .. « ان عزيز ذهب الى اليمن بناء على طلبه .. وأكثر عزيز من « الثرثرة » حول الامانى العربية ، وكان سببا فى متاعب كثيرة لعزت باشا ..»

رفع هذا الاتفاق من شأن عزيز المصرى فى صفوف الحركة العربية ليس فقط لانه حقن الدماء وانهى الخلاف ، ولكن لان الاتفاق الذى تم التوصل اليه اعترف بنوع من الاستقلال للامام واثبت

● المصرى .. فى برقة ●

وما كاد عزيز المصرى ينتهى من مهمته فى اليمن ، حتى نشب صراع مسلح فى ليبيا ، وبدأت ايطاليا حملتها العسكرية على جزء من الدولة العثمانية .

فى هذه المرحلة التى وصلت فيها الدولة العثمانية الى ذرى الضعف والفساد واصبح فى مقدور اية دولة اوربية ان تستولى على ماتستطيع من اراضيها ، لايوقفها سوى منافسة الدولة الاخرى لها ، فعقدت ايطاليا سلسلة من الاتفاقيات السرية مع كل من بريطانيا واسبانيا وفرنسا والنمسا والمانيا وروسيا

فماذا يستطيع ان يفعل القادة الجدد من اعضاء الاتحاد والترقى ؟

قررت الدولة العثمانية مواجهة الموقف فى ليبيا ، عن طريق تكوين قوة محاربة من الاهالى ، بعد ارسال جماعات من الضباط العثمانيين الذين يتسللون الى ليبيا بصورة سرية وبملابسهم المدنية ، يدخلون غربا عن طريق تونس وشرقا عن طريق مصر ، ويتولون القيادة وتجهيز قوات من الاهالى .

ويذكر تحسين العسكرى فى مذكراته .. « ان جمعية العهد قامت بدورها بالدعوة الى التطوع من اجل قيام دولة عربية مستقلة » .

ودخل عزيز المصرى الى ليبيا متسللا من مصر ، وقام بدور بارز فى الدفاع عن برقه ، وانزل مع قواته خسائر كبيرة بالعدو ، وتسلم القيادة بعد ان تخلى عنها أنور باشا وعاد الى تركيا . واشترك فى هذه الحرب مصطفى كمال (اتاتورك) ، وجعفر العسكرى .

وانتهى عمليًا دور الجيش العثمانى عندما وقعت الدولة العثمانية مع ايطاليا اتفاقية اوشى / لوزان عام ١٩١٢ ، ومع بداية حرب القرم .

ويؤكد الدكتور محمد عبد الرحمن برج .. « ان دارس تاريخ الحرب الإيطالية التركية يلاحظ ان الموقف العسكرى تغير تماما فى برقة بعد وصول عزيز المصرى »

ووصلت الحرب الى مأزق فلا الجيش الايطالى قادر على التقدم داخل البلاد ولا الجيش الذى يقوده عزيز المصرى قادر على استرداد المدن الساحلية وطرد الايطاليين لعدم وجود مدافع قادرة على اصابة التحصينات والاساطيل ..

وبعد توقيع الصلح .. وماشعر به الضباط العرب الذين تطوعوا من احباط ، كتب عزيز المصرى الى سليمان البارونى أحد زعماء المجاهدين يحثه على الثبات ومواصلة الجهاد .. « إن تسليمنا للعدو حقارة عظمى للجنس العربى ، وسيقولون ان هذا الجنس لايصلح لكى يحكم نفسه ، ويخرج من سيد ويدخل تحت سيطرة سيد آخر .. وهمة الانسان ليس امامها محال ..»

ولايحسم الموقف الرغبة المتأججة ولا النوايا الطيبة ، وانما موازين القوى الصارمة ، وتصل برقية من الحكومة العثمانية تأمر عزيز المصرى بالانسحاب بقواته الى السلوم وسيجد باخرة تقل قواته الى تركيا ، وبدأ عزيز ينسحب



عزيز المصرى خال الملكة فريدة - "واعرب باشا عرفته مصر" وعاش حياته يقاوم الملكية

مصريون في بلاد العرب

بقواته وعتاده نحو الحدود المصرية امام غضب المجاهدين ، وعندما طلبوا منه ان يترك عتاده وسلاحه رفض ، فنشبت معركة بين الفريقين ، سقط خلالها ستون قتيلا .

وهى واقعة مازال يكتنفها الغموض يقول عنها سليمان العسكرى فى كتابه عن الحركة العربية .. « إن سيرة عزيز المصرى تبعث على الحيرة ، فعندما صدر اليه الامر بالانسحاب نفذ الامر ، ورفض ان يترك للمجاهدين شيئا من السلاح »..

ويذكر الزعيم الوطنى محمد فريد فى مذكراته ان ماجرى كان من تدبير الخديو عباس .. « إن الفرقة التى وقعت بين عزيز المصرى وبين السنوسى نسج خيوطها الخديو عباس ، عندما نصح الايطاليين بالاتصال بكل من الفريقين على حده ، حتى يفقد كل منهما الثقة فى الاخر واوفد الخديو احد رجاله « حسن بك حماده » الى عزيز المصرى ومعه ستة الاف جنيه ينصحه بترك برقه والانسحاب الى بيروت الخالية من الجند العثمانيين بسبب حرب البلقان ، ونجحت الوقيعة وطلب السنوسى من عزيز المصرى الانسحاب وهاجمته قواته فى الطريق .. وهذا من عمل وخيانه عباس حلمى ..

● ماتبقى طى الكتمان ●

ولعل تفسير تلك المواقف المتضاربة يعود الى ارتباط حركة الجهاد الليبى بمنظمة الضباط الفدائيين السرية ، التى خططت وادارت هذه الحرب ، وبقى الكثير من نشاطها وخططها طى الكتمان . وهى جزء من نشاط « تشكيلات مخصوصة » التى كان دورها الحفاظ على الامن الخارجى للدولة العثمانية ، ولم تعرف نشاطات هذه المنظمة الا فى نوفمبر عام ١٩١٨ عند التحقيق الذى جرى فى اسطنبول حول مخالفات جمعية الاتحاد والترقى مابين عامى ١٩١٣ و١٩١٨ وتبين ان المؤسسين لهذه المنظمة السرية هم انور باشا وطلعت باشا وجمال باشا ، المتباينون والمتضاربون فى مواقفهم الفكرية ، فطلعت باشا كان يعمل للحفاظ على الدولة العثمانية اما انور باشا فكان يعمل على الدفاع عن الدول الاسلامية ، اما جمال باشا فكان يدافع ويشجع الفكرة الطورانية (القومية التركية) .

وأمام المحقق قال وزير الخارجية خليل بك : « انها اقيمت فى منطقة القوقاز كجماعة لحرب العصابات » وذكر الصدر الاعظم سعيد حليم - قريب خديو مصر - « انها جزء من الجيش العثمانى ، وانه لم يوافق على وجودها وطلب من انور باشا ان يحل هذا التنظيم ..» وتبين فى هذه التحقيقات ان انور باشا هو الذى اصدر قرارا سريا بتشكيلها واعطاها اسمها فى الخامس من اغسطس سنة ١٩١٤

وقام الباحث الامريكى ستودارد بكشف بعض الخفايا المتصلة بهذا التنظيم ولقاء عدد من اعضائه بينهم عزيز المصرى .. وذكر على لسان اشرف كوشجو باشا ، والذى التقى به فى مارس عام ١٩٥٧ .. « ان ابرز اهداف هذا التنظيم هو زعزعة التسلط الاستعمارى الروسى والفرنسى والبريطانى والايطالى فى المناطق الاسلامية وارسال مجموعات

فدائية الى بلدان اسلامية للدعوة الى الجهاد و اشعال الثورة ضد المحتلين .. ، ويذكر الباحث ان عددا من القادة العرب كان على صلة بها مثل عبد الكريم الخطابي وعلى بن عبد القادر الجزائرى وعبد العزيز جاويش وسليمان البارونى .

وفى لقاء بين ستودارد وصالح حرب فى يونيو ١٩٦٢ .. ذكر : أن عزيز المصرى اخذ معه المال المودع فى خزائن الجيش ، والذى تركه انور لدفع مكافآت المتطوعين وعندما وصل الى الاسكندرية تركه امانه عند اخت له ..»

ويورد ستودارد انه عندما التقى بعزيز المصرى فى يوليو عام ١٩٦٢ رفض الحديث عن الاسباب التى دعته الى مغادرة برقة بكل عتاده .

وربما كان الصراع الخفى بين عزيز المصرى وهذا التنظيم احد اسباب انسحابه ، لعل الارتباطات التى كانت بين هذا التنظيم والمخابرات الالمانية كانت وراء هذا الانسحاب ومن المؤكد ان هناك اسبابا خفية ادت الى خلاف عنيف بين انور باشا وعزيز المصرى ، انتهت الى تقديم عزيز المصرى الى المحاكمة والحكم عليه بالاعدام ، وعمت المظاهرات مطالبة الحكومة بالافراج عنه ، وبالفعل تم الافراج عنه تحت ضغط الرأى العام العربى .

وأيا كان الامر فقد قدمت التجربة الليبية دليلا جديدا لهذا الجيل عن عجز الدولة العثمانية واصلاحاتها على حماية استقلال البلاد العربية ، مما دعم الاتجاهات المطالبة بالاستقلال عن هذه الدولة ..

كما زاد قدر عزيز المصرى بعد دوره فى الدفاع عن قطر عربى ضد الغزو الايطالى ووصفته الكتابات العربية بانه أشهر ضابط عربى .

● المصرى والثورة العربيه ●

ولم تمض سنتان بعد الافراج عنه حتى قامت الثورة العربية وبدأ الشريف حسين تحركه من مكة عام ١٩١٦ ، واعتبرته الحركة العربية رمزا لها ، ونقطة بدء لتحقيق اهدافها فى الاستقلال ، ودعى عزيز المصرى للاشتراك فى هذه الحركة ولكنه تلكأ ونقل عنه قوله .. « انه لم يعرف على وجه التحديد ، ماأهدافها وما اذا كان الشريف قد اشعل الثورة لكى يمنع احتلال بلاده من قوة اجنبية ؟ ام لكى يدافع عن الخلافة ويحصل فى ظلها على الاستقلال ؟

وفى هذه المرحلة شهدت الحركة العربية انقساما حول الدولة العثمانية فكانت مصر تواجه الاحتلال البريطانى ، وتساندها الدولة العثمانية ، اما دول المشرق العربى ، فكانت تقاوم الهيمنة التركية وترى فى الانجليز سندا لهم

وبدأت الحركة العربية قانعة بالاصلاح ومتمسكه بالرباط العثمانى ، واخذت تطالب بالدستور واللامركزية وضرورة الحفاظ على اللغة العربية ، والدفاع عن الدول العربية فى مواجهة الاحتلال الاوربى .

ولكن التغيرات التى وقعت فى الدولة العثمانية دفعت الحركة الوطنية الى المطالبة بالاستقلال ، وتمكنت بريطانيا وفرنسا من استثمار هذا الوضع بدهاء .

ويعبر جمال باشا فى مذكراته عن تلك المشاعر العربية عند عزيز المصرى « عندما شكا للمصرى من تصاعد المشاعر العربية المعادية فى عام ١٩١٠ ،

مصريون في بلاد العرب

رد عليه عزيز بكبرياء « ان العرب على حق فماذا صنعتم لهم ايها الاتراك ، سوى سعيكم لافنائنا واحتقارنا حتى تتوقعوا المعاملة الوردية من جانبنا ، هل نسيتم انكم فى الاستانة اذا ناديتم كلبا ناديتموه بلفظ عربى ، وان اردتم ان تصفوا شيئا عويصا غامضا قلتم .. انه يشبه الشعر العربى ...»

وبدأت فى هذه الفترة السلطات البريطانية تنشط مع بوادر الحرب العالمية الأولى ، واتصلت بعزيز المصرى ، وتنقل السجلات البريطانية ، انهم واجهوا رجلا قديرا يصعب التغرير به ، وقد ابدى استعداده للتعاون معهم والالتحاق بثورة الشريف حسين اذا اصدروا تصريحا واضحا يعترفون فيه باستقلال البلاد العربية بعد الحرب ، وطالب بعدم دخول اية قوات بريطانية الى العراق او سوريا ، وانه كفيل بأن يحرر العراق من الاتراك اذا أمده الانجليز بالعتاد العسكرى ولكن تحفظت بريطانيا على مطالبه .

واندلعت الحرب العالمية الاولى ودخلتها تركيا واصبحت الحركة العربية فى امتحان دقيق ، هل تقف مع دولة الخلافة ؟ ام تستغل الفرصة وتحصل على استقلالها ؟ ولكنها مضت الى ابعد من ذلك ووقعت فريسة المخططات الاستعمارية .

● في السجلات البريطانية ●

ونعود الى سجلات الخارجية البريطانية والتى تروى جانبا من القصة والتى نقلها الدكتور برج ..

تم لقاء بين عزيز المصرى وراسل يوم ١٦ اغسطس ١٩١٤ ، قدم عزيز المصرى نفسه بوصفه منتدبا من لجنة مركزية مقرها بغداد يهدف الى معرفة موقف الحكومة البريطانية فى اقامة دولة عربية متحدة مستقلة عن تركيا .. حدد بلاد العرب بالبلاد التى تتحدث اللسان العربى ، وتمتد حدودها الشمالية عند خط يمر بالاسكندرية والموصل حتى الحدود الايرانية وهى حركة لا ارتباط لها بالجامعة الاسلامية والخلافة العربية ، ولم يطلب القائمون بأمر الدعوة تأييد « المتعصبين » امثال الشيخ رشيد رضا ، ولكنهم يدركون اهمية تأييدهم ، ويعتقدون إن قوة الحركة تتركز في بغداد ونجد وسوريا .. ويضيف صراحة .. أن حسن نية انجلترا وحيادها لايكفيان ، بل لابد من عون فعال فى صورة اموال واسلحة حديثة تسلم سرا فى العراق او فى اى مكان آخر ، وتضمن بريطانيا فى مقابل ذلك ، عدم الاعتداء عليها فى الهند عبر الاراضى الايرانية ، وتكون لها افضلية خاصة فى المعاملات التجارية مع هذه الدولة العربية واجاب راسل .. ان انجلترا ترى ان الوقت غير مناسب لاثارة هذا المشروع ..

وتم لقاء آخر بين عزيز المصرى وكلايتون رئيس المخابرات البريطانية فى القاهرة يوم ٣٠ اكتوبر ١٩١٤ .

سأل كلايتون عزيز المصرى عن موقف العرب ، وهم يكرهون الترك ويطمحون فى التمرد والحكم الذاتى ، وهل يمكن انحيازهم للاتراك ؟ وماهى افضل الطرق لجعل زعماء العرب يشعرون بموقف بريطانيا المؤيد لهم ؟

واجاب المصرى   إنى آمل ان يقوم العرب بمساعدة فعالة ، ولكنهم يفتقدون التنظيم والقيادة ولاشك انهم سينحازون للفريق الاقوى ، والفريق الاقوى هم الاتراك .

ولقد بذل الاتراك جهودا لكسب العرب وبذل الوعود لهم ، ولكن الاسلوب الوحيد لنجاح برامج القومية العربية للتحرر من السيطرة التركية هو ثورة شاملة لها تنظيمها قليلة العدد كثيرة العدة ، ويمكن تكوين قوة عسكرية من خمسة عشر الفـ مقاتل ، تجعل تقدم الاتراك بطيئا وعسيرا ، ويصبح نقطة الجذب لزعماء العرب ، ودور بريطانيا هو ضمان تجهيز هذه القوات بالمال والسلاح والمدفعية ..

واستنكر عزيز بشدة ارسال قوات من اى حلف لانها سوف تولد انطباعا بنية ضم هذه الاراضى ، واذا قدمت بريطانيا المعدات للقوة العربية النواة ، يمكن ان يقوم حلف قوى بين بريطانيا والقوة الاسلامية الجديدة لمصلحة الفريقين

وعادت السجلات البريطانية تذكر من جديد مشروع عزيز المصرى بعد اشتراك تركيا فى الحرب

● وصلت برقية الى الخارجية يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٤ .. « عزيز المصرى عنصر هام خاصة فى مناطق العراق وبين الضباط العرب فى الجيش التركى ولكنه يفتقر الى المال لتنفيذ مشروعاته ورأيه ان تبدأ الثورة فى العراق ..»

وردت وزارة الخارجية البريطانية .. « يجب منح الحركة العربية كل تشجيع

استقلال العرب هدف عزيز المصرى منذ مطلع هذا القرن



رياض الصلح يقلد عزير المصرى وساما تقديرا لدوره العربى

مصريون في بلاد العرب

ممكن ، يمكنكم ارسال عزيز المصرى الى العراق للقيام بالتنظيم ، اذا رأيتم ان فى ذلك فائدة ، وان يعطى ألفى جنيه او حوالى ذلك ، واذا تمكن من بدء اى حركة بين العرب فإن مزيدا من التعضيد يمكن ان يقدم له ..»

ولكن هذه الفكرة واجهت اعتراضا شديدا من حكومة الهند البريطانية لرفضها ادخال اى عناصر من الخارج فى المسألة العراقية .

● التقى مراسل التايمز بعزيز المصرى فى القاهرة فى ٦ ديسمبر ١٩١٤ وادلى له بتصريحات جاء فيها .. إن ضميره لايسمح له بتأدية خدمات للسلطات العسكرية فى العراق اذا كانت نية بريطانيا ضم العراق لامبراطوريتها ، والعراق مرتبط بالحركة العربية التى تدعو لنيل حريتها من الاتراك ، اما اذا كانت النية اقامة دولة محايدة تمنع الصدام وتساعد سكانها العرب على خلق دولة ذات تنظيم حديث ومؤسسات عصرية فإنه يخدم ما استطاع الى ذلك سبيلا ..»

● استقلال العرب ●

وطلبت السلطات البريطانية من عزيز

بعد محاولة الهرب إلى العراق ، عزيز المصرى يصافح حسين ذو الفقار صبرى



المصرى ان يساهم فى الثورة ، وفضل عزيز المصرى ان يستكشف الموقف من خلال نورى السعيد ، عضو جمعية العهد الذى اسره البريطانيون وذهب الى الحجاز وقابل الشريف حسين ليعرف بنفسه موقف الثورة ، ويتبين الاسباب التى ادت الى انفصاله عن الحكومة العثمانية ، والذى ابلغه انه لايطلب الانفصال عن الخلافة الاسلامية وتم التحاق عزيز المصرى بقوات الشريف ، ونصحه ان يكون الهدف المباشر للثورة هو وقف العداء بين بريطانيا وتركيا وعدم انتقاله الى الحجاز والحصول على الاستقلال ضمن الخلافة العثمانية .

وتم الاتفاق على ان يتولى عزيز المصرى قيادة جيش الشريف ، وان يتولى على احد ابناء الشريف حسين القيادة الاسمية للجيش النظامى ولكن سرعان ماوصلت العلاقات بين الشريف والمصرى الى نقطة حرجة ، حول مهاجمة قوات الثورة المدينة المنورة فقد انقسم الضباط العرب حولها ، فالبعض من الذين لايسعون الى الاستقلال عارضوا مهاجمة المدينة ، واقترحوا ان يتصل ثلاثة ضباط بفخرى باشا القائد التركى ويقترحون عليه السماح لقوة مشتركة من الاتراك والعرب التقدم نحو مكة تحت قيادته ، ويتولى السيطرة والقيادة العامة ، ويتم التفاوض من اجل اتفاقية مع الدولة العثمانية وتحصل خلالها الحجاز على الاستقلال ضمن الخلافة العثمانية وعندما عرف الشريف بهذه الخطط اصدر امره بوقف مهاجمة القوات العثمانية فى المدينة

وكشف هذه الواقعه فائز غصين فى كتابه

اما طاهر العمرى فيتناولها بقوله « لم ينل عزيز المصرى ثقة الحسين لاسباب عديدة اهمها عدم تعوده على الطاعة العمياء واصراره على تنفيذ خطته التى يراها ، ولما وشى به رشيد والسوريون بأنه اتصل بالاتراك ، ووعد بالالتحاق بهم اذا اعترفوا باستقلال البلاد العربية وعرف الحسين ذلك غضب عليه ، واصدر امرا بتنحيته عن الجيش ..»

وربما مثل امام الشريف ماقام به عزيز المصرى ، عندما ساهم فى الانقلاب على السلطان عبد الحميد ، وانتهى الامر باعادة عزيز المصرى الى مصر على ظهر باخرة حربية بريطانية ، ومعه أمر من القيادة البريطانية بطرده من مصر .

هل القت هذه الأحداث مزيدا من الضوء على دور عزيز المصرى ؟ أم بقى العديد من الاسئلة التى تبحث عن جهود المؤرخين ورأى المجتهدين ؟

ويكفى عزيز المصرى انه شاهد فى آخر حياته ، احلامه فى الثورة تتحقق ، واعتبره رجالها الاب الروحى لثورة يوليو ، وشاهد نهاية الملكية التى قاومها ، ورأى الاستعمار البريطانى يحمل عصاه ويرحل ، وأصبح سفيرا لمصر الثورة فى الاتحاد السوفييتى وكان حظه كبيرا ان لقى ربه فى ١٥ يونية ١٩٦٥ ، ولم ير احلامه تهزم فى يونية ١٩٦٧ .

محمد حسنين هيكل

كاتب "الضربة القاضية"

بقلم : فيليب جلاب

محمد حسنين هيكل ليس مجرد كاتب من « الوزن الثقيل » . ولكنه من كتاب " الضربة القاضية " .

فى أحدث كتبه « ملفات السويس ـ حرب الثلاثين سنة » يحاصر خصومه وخصوم عبد الناصر ، إن لم يكن من المناسب أن نقول خصوم الانتصار المصرى العربى على الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية . وبعد الضربة الأولى يعد الحكم حتى رقم عشرة فلا تقوم لأى من الخصوم قائمة .

ولكن من مقاعد « المتفرجين » يتصايح البعض أى انتصار هذا بعد أن دخلت قوات الغزو إلى مدينة بور سعيد ؟ ولأن الذين قاموا بالغزو اعترفوا أمام العالم كله بأن دخول بور سعيد لم ينقذهم من الهزيمة ، فإن أحداً لم يحاول الرد على هؤلاء المتصايحين ، خاصة أنه لم يحدث فى تاريخ ملاكم محترف أن نازل « متفرجاً » .

ويصيح آخر من خارج الحلبة أيضاً : أى انتصار هذا الذى حققته مصر فى بدايات ثورة يوليو وتحت زعامة جمال عبد الناصر ؟ ألم يكن عبد الناصر نفسه « مكلفاً » بالقيام بهذه الثورة تحت « رعاية » المخابرات المركزية الأمريكية ؟ لقد تولت الولايات المتحدة الأمريكية لأسباب خاصة بها مطاردة بريطانيا



وفرنسا واسرائيل وهزيمتهم مختبئة وراء مصر وجمال عبد الناصر ! !

ولم يرد أحد طبعاً على هذا المتفرج الذى يحاول أن يقنعنا أن بريطانيا دولة وانجلترا دولة أخرى .. أو أن حرباً نشبت بينهما

بعض القضايا التاريخية يمكن أن تظل ملفاتها مفتوحة أمام المؤرخين والباحثين والكتاب إلى أن يظهر كاتب يملك من الموهبة بقدر ما يملك من المعرفة والجلد على البحث والتقصى مثل ما فعل محمد حسنين هيكل فى « ملفات السويس »

وكل الذين قرأوا الكتاب على تباين انتماءاتهم السياسية لم يترددوا فى إعلان هذه الحقيقة ، رغم تواضع المؤلف الذى يصف نفسه كمجرد قارىء للتاريخ

وليس « ذنب » المؤلف أن وقائع التاريخ ووثائق العدو والصديق تؤكد أن مصر فى عهد فاروق كانت تتلقى « التعليمات » من موظف بريطانى بدرجة سفير أو ضابط بريطانى برتبة « لواء » بينما تستطيع فى ظل قيادة وطنية أن تتحدى امبراطوريتين وتدق المسمار الأخير فى نعشيهما !

وفضل هيكل لم يكن مجرد كشف هذه الحقيقة وتوثيقها ، ولكن تنبيهنا إلى أنها مجرد حلقة واحدة ، فمازالت مصر والأمة العربية مستهدفة ومازالت هناك تحديات أخرى علينا أن نواجهها .




● الاشتقاق في اللغة يبين أصل الكلمات ، فمن ذلك الفعل « عدن » ·· « يعدن » أي أقام وثبت في الارض ·· ومن هذا الفعل جاء « المعدن » و « المعادن » التي تثبت في باطن الأرض حتى يستخرجها الناس ·· ومنه أيضا جاءت « جنة عدن » أي الجنة التي يقيم فيها المؤمنون اقامة ثابتة ، أي خالدة في الآخرة ·· وان كان بعضهم يقول ان « عدن » المقصود بها الجنه هي كلمة عبرية ، ونحن لا نعتد بهذا مادام أصل الكلمة عربيا ·

● استعمل الشعراء كلمة « العميد » في النسيب والغزل ، بمعنى « المتيم » الذي أضناه الحب ·· و « العميد » هو أيضا السيد والرئيس وكان طه حسين يلقب « العميد » لأنه كان عميدا لكلية الآداب ·· وقد جمع أبو تمام هذين المعنيين لكلمة « العميد » في هذا البيت :

من كل سابغة الشباب اذا بدت
تركت عميد القريتين عميدا

فالعميد الاول هو « السيد » ·· والثاني هو العاشق المتيم ، ويقول له « المعمود » في مواضع أخرى ··

● « التنبل » في كلامنا الدارج هو الشخص الكسول المعتمد في عيشه على غيره ، وأصل الكلمة « التنبال » وهو الرجل القصير القمىء ·· قال المتنبي :

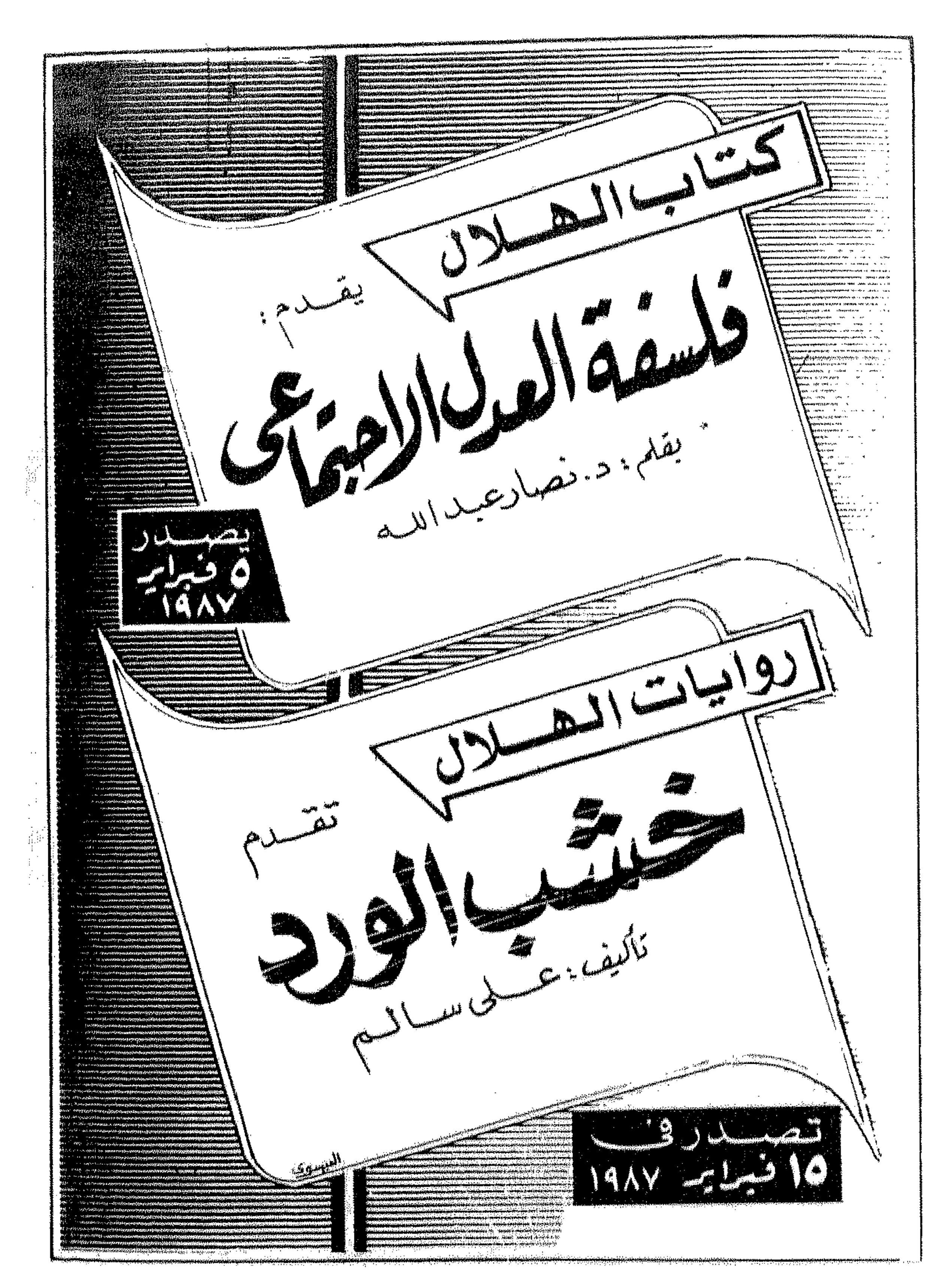
وقد اطال ثنائي طول لابسه
ان الثناء على التنبال ·· تنبال

وتجمع « تنبال » على « تنابيل » ·· قال كعب بن زهير في مدحته النبوية الشهيرة « بانت سعاد » :

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرد السود التنابيل

ويمكن ان يقال « تنابل » و « تنابلة » كما يقال في الكلام الدارج ··

● كلمة « فقط » ظرف مختص بالزمان ·· وهو يتألف من حرف « الفاء » و « قط » ·· ومعنى فقط : « لا غير » ·· وكلمة « قط » تستعمل لما مضى من الزمان ، فلا تستطيع ان تقول : « لن أفعل هذا الشيء قط » ·· بل تقول « لم أفعل هذا قط ، ولن أفعله أبدا » ·· فتجعل « قط » للماضي ·· و « أبدا للمستقبل ·· ويخطىء من يضعون « قط » في موضع « أبدا » أو يضعون « ابدا » في موضع « قط » ·· وهو خطأ شائع جدا في هذا الزمان ··!


كتاب الهلال
يقدم :
فلسفة العدل الاجتماعي
بقلم : د. نصار عبد الله
يصدر
٥ فبراير
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم
خشب الورد
تأليف : على سالم
تصدر في
١٥ فبراير ١٩٨٧

مصر الحضارة

عادات وتقاليد وأسماء

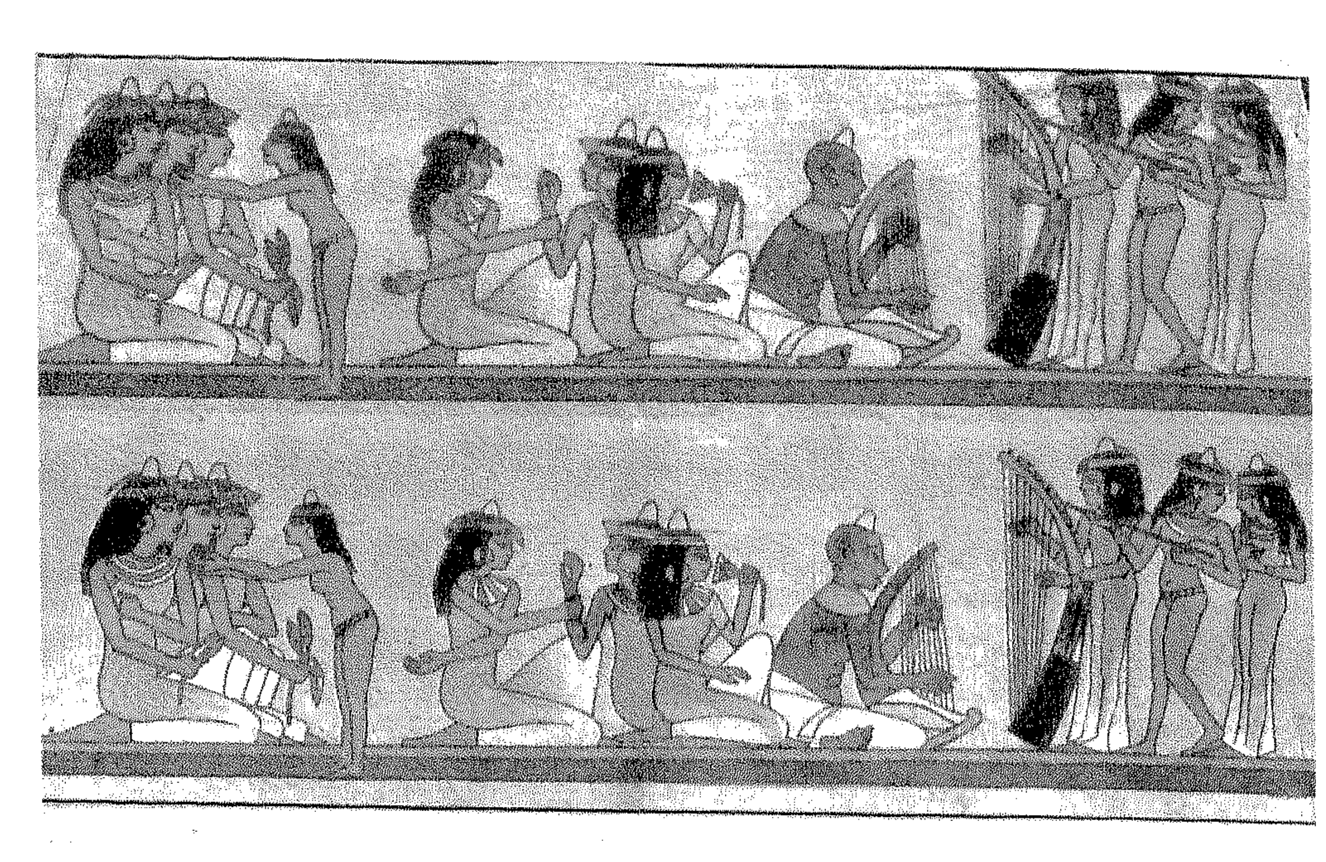
بقلم : د. سيد كريم

● حضارة مصر أشرق فجرها بالعقيدة . ومن خلال هذه العقيدة قاومت عناصر الانحلال والاضمحلال عبر فسحة من لزمان امتدت لأكثر من سبعة آلاف سنة من عمر الإنسانية .

● كان شعب مصر أول شعب آمن بالله ، وأول من آمن بأن هناك إلها واحدا للجميع آمن بالبعث وللحساب والخلود . آمن بهذه الحقيقة قبل مولد الرفاق وقبل إرسال الرسل والأنبياء . فكان أول شعب وضعت تشريعات السماء دستور حياته ونظم مجتمعه ، فتلك التشريعات التى نسبتها متون العقيدة إلى الإله الخالق كان لها دورها الراسخ فى بناء الإنسان المصرى وبناء حضارته وامتدت لتصبح نواة بناء المجتمعات الإنسانية التى تبنتها الرسالات السماوية ونادى بها الرسل والأنبياء عبر تاريخ الحضارات الإنسانية .

فمتون العقيدة المصرية القديمة وضعت لشعب مصر تشريعات أول رباط لكيان المجتمع الإنسانى عرفته البشرية ، وهى التشريعات الكاملة للزواج والطلاق والميراث وجميع مايحدد إطار العلاقات الأسرية ، فى علاقة الأفراد بعضهم ببعض ، وعلاقتهم بالمجتمع ، وقد استمرت تلك التشريعات وما ارتبط بها من علاقات ومعاملات ثابتة ، ومتماسكة ، لآلاف السنين ، لأنها استمدت قوتها من نسبتها إلى السماء . والإيمان بمرسلها ومانحها ، وان لاعلاقة لها بتشريعات الأرض .. أى البشر .

فتقاليد الزواج أو (الرباط المقدس) وهو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على الرابطة الزوجية لم تتغير ابتداء من الخطوبة ودبلة الخطوبة إلى إعلان الزواج ، ودور المأذون



عادات وتقاليد اجدادنا الفراعنة توارثها المصريون حتى الآن

وهو كاهن خاص بالمعبد لإجراء الطقوس الدينية الخاصة بالزواج ، ثم طريقة كتابة عقود الزواج وتسجيلها أمام قاض خاص بالمحكمة ، وفى المناسبات العامة ، التى يطلق عليها أعياد الزواج ، تعقد المحكمة فى المعبد نفسه لتحمل وثيقة الزواج أختام المعبد للتبرك ، كما كانت وثائق الزواج تحمل أسماء الشهود وأختامهم . وكثير من عقود الزواج تحدد قيمة ونوعية المهر الذى يقدمه كل من الطرفين للآخر ، كما ارتبطت بتلك الإجراءات والتقاليد قوانين الأحوال الشخصية التى ظهرت فى وثائق الدولة الحديثة .

● مراسم الزواج واحدة ●

إن مراسم الاحتفال بالزواج لم تكن تختلف كثيرا عما توارثناه وعما ظل يصاحبنا عبر هذه الأزمان من عادات وتقاليد وطبائع .

فمراسم الزواج وزفة العروسة بالراقصات والمغنيات والعازفين وتزيين قاعات الحفلات بالزهور وخاصة الياسمين (ياسمون) ليملأ الجو بعبيره والورد (ورتو) والسوسن (سوسن) والتى لازالت تحتفظ بأسمائها المصرية القديمة . وإقامة الولائم التى تتوسطها الذبائح وبعضها من القرابين المقدسة التى تذبح بالمعبد . وتورتة الفرح كانت تحشى بعسل النحل وتزين بتميمة (حتحور) معبودة الجمال والحنان تحيط بها حبات القمح التى ترمز إلى

الخصب والحياة المتجددة . وتقدم المشروبات في الحفلات كما ان عادة رش العروسين بالملح (البدرة) كانت أيضا من بين طقوس الاحتفال بالزفة حيث يرش العروسان بحبات القمح الأخضر رمزا للخصب والحياة الخضراء .

كما شملت الأفراح الاحتفال بحمام العروس فى الماء المقدس الذى يحملونه إليها من المعبد ، كذلك الاحتفال بالحنة أو الزينة وغيرها من التقاليد التى مازال بعضها يحتل مكانة فى أفراح اليوم وخاصة الشعبية منها .

ومن التقاليد التى كانت تلى الاحتفال بالزفاف فى صباح اليوم التالى (الصباحية) وإرسال أطباق الحلوى والفطائر إلى منازل أقرباء وأصدقاء العروسين حتى لايحرم أهل البيت وأطفاله من حلوى الفرح .

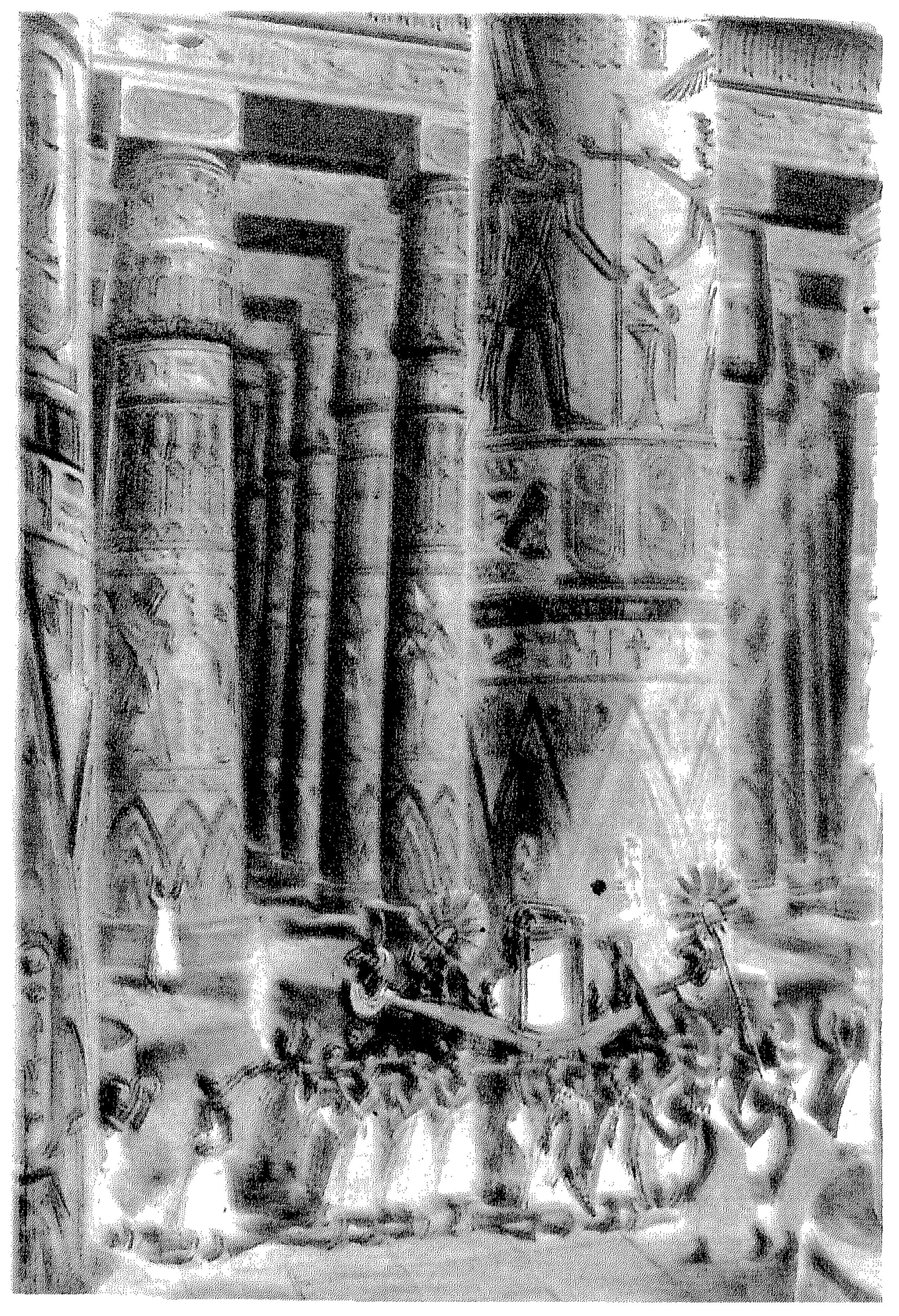
اما دبلة الزواج .. هدية مصر إلى شعوب العالم القديم والحديث فقد نشأت فى الدولة القديمة وكان يطلق عليها اسم (حلقة ايزيس المقدسة) ويرمز شكلها الحلقى أو الدائرى الى الخلود والأبدية أى أنها ترمز الى أن الحياة الزوجية ليس لبدايتها نهاية وأن ايزيس تحمى حاملها من عناصر الشر والحسد . وساد العرف على وضعها فى الاصبع المعين من اليد اليسرى لاعتقادهم أن فى هذا الاصبع بالذات شريانا يجرى مباشرا من الدبلة إلى القلب .

● عادات متوارثة ●

أيضا الكلمات الأولى التى ينطق بها الطفل وهو مازال فى سن الحبو هى من النطق المصرى القديم المحرف وفى مقدمتها كلمة يحبو نفسها . ومن تلك الكلمات التى تعتبر أول ماينطق بها الطفل ولازلنا نلقنه اياها مثل امبو ـ مم ـ تاتا ـ نونو ـ ننه ـ صغنن .

كذلك ما ارتبط بها من عادات موروثة كقولهم (تاتا خطى العتبة) كانت تقال للطفل عندما يبدأ فى تعلم المشى حيث تأخذه أمه الى المعبد وتساعده لتكون أول خطواته فى الحياة فوق عتبة باب المعبد ليباركه الرب ، أو يبارك خطواته فى الحياة . وبالمثل كلمة برجالاتك (حلقة ذهب فى ودانانك) التى تقال فى السبوع حيث تعلق فى أذنه حلقة ايزيس التى يسمع عن طريقها صوت الرب وتعاليمه التى أولها طاعة الوالدين ـ لاعتقادهم أن حاسة السمع عند المولود تتفتح فى اليوم السابع وأول ماعليه أن يسمعه صوت الإله وهو يوصيه بطاعة الوالدين .

وترجع عادة الاحتفال « بالسبوع » أى عندما يبلغ الطفل اليوم السابع من خروجه الى حياة الدنيا حيث يعتبر الرقم ٧ رقما مقدسا يرمز إلى الخلق ، ففسرت متون العقيدة بأن الروح تدحل مى الجنين فى الشهر السابع . وقد ربط الفراعنة الكثير من عناصر الخلق بالرقم ٧ المقدس ، لخلق الأرض فى سبعة أيام وطبقات السماء السبع وأبواب الجنة والنجوم السيارة



التى تحرس الشمس وعددها سبعه . والوان الطيف وطبقات السلم الموسيقى وطبقات شبكة العين والعديد من الظواهر التى حوتها برديات متون العقيدة .

لقد لعب الرقم ٧ (المقدس) وما ارتبط به من عادات وتقاليد فى الطقوس الدينية من صلاة ودعاء وطواف وتراتيل ، وأيضا فى الحياة الاجتماعية . بدأ فى مصر القديمة وانتقل منها الى جميع الشعوب والأديان ـ كما تحول الى رمز للتفاؤل والخير ، وإشارة للسلام أهدتها مصر للعالم أجمع .

وصف مؤرخو الحضارات المصرى القديم بأنه أول من استأنس الأرض وعرف كيف يشقها ويهذبها ويرعاها ويحرثها ، ويبذر بذورها ، ويحفر الترع ليرويها . ويحصد محاصيلها ، فكان أول من صنع آلات الزراعة من فاس ومحراث ونورج وشادوف وطنبور وساقية وكل ما احتاج إليه لترويضها كما أن كثيرا من أسماء الآلات الزراعية والمعدات الصناعية والأدوات المنزلية ومصطلحاتها المتداولة إلى يومنا هذا ، هى نفس الأسماء المصرية القديمة من بينها على سبيل المثال :

فاس ـ شادوف ـ شونة ـ جرن ـ زير ـ ماجور ـ مشنة ـ باقوتى ـ سلة ـ بشكير ـ فوطة ـ طريز ـ تخت ـ ششم ـ بتاو ـ مركبت ـ ختم ـ طوبة .

كما أن كلمة عيش التى تطلق على الخبز مصرية قديمة ومعناها (الخبز المقدس) الذى يقدم للقرابين .ولذا فقد تعود المصرى القديم تقبيل رغيف الخبز قبل أن يأكله .

إن الاصطلاحات التى تعود الفلاح أن ينادى بها دوابه ومواشيه وحيواناته ودواجنه التى تعيش معه فى القرية جميعها أسماء مصرية قديم صميمة ومتوارثة مثل :

حا . عا . شى . هس . يس . جر . بس . هش . زر .

حفظها وتوارثها المنادى والمنادى عليه كلغة يتفاهمان بها .

كما ورثنا عن المصريين القدماء ألفاظا تنطق بها الألسنة وتجرى على الشفاة كل يوم ، وما ننطق به ولانعرف له من مدلول أو معنى دقيق . فما أكثر ما لهونه بالحديث فى (كانى ومانى) أى السمن والعسل فيصفون السعداء بأنه سمن وعسل والعكس (لاكانى ولا مانى ... ولا من يبيعهما لهم) ونداء (وحوى ياوحوى) هو نداء استقبال القمر الجديد (رؤيا الهلال) والتى يرددها أطفال اليوم عند رؤيا هلال رمضان .

(ياليل ياعين) التعبير الذى يبدأ به مطرب ومغن أغانيه ومواويله ، ماهو إلا تعبير مصرى صميم وكانت كلمة (ليل) معناها الفرح أى تهللى وأفرحى ياعين .

● الأمثال العامية .. مصرية قديمة ●

إن الكثير من الأمثال العامية المتداولة التى ترتبط بالعين كلها أمثلة مصرية قديمة طافت

مع الزمان وتورثتها الأجيال عبر الاف السنين كقولهم (العين عليها حارس) (وعين الحسود فيها عود) ـ العين صابتنى ورب العرش نجاني ـ وهى الأمثال التى كانت تكتب على تميمة العين الحارسة .

كما أن تعبير (عينى بترف) كرمز لتوقعات الغيب ، كذلك وصف العين بالخير أو الشر أو الحسد أو الغدر ووصف كل منها بعلاقتها بالقلب احتل كل منها مكانة فى أدب العقيدة وأمثالها .

كما ورثنا عن المصريين القدماء ألفاظا تنطق بها الألسنة وتجرى على الشفاه كل يوم وهى تعبيرات أصلها فرعونى منها على سبيل المثال .

شأشأ الفجر ـ شأشأ أصلها شاهشا (أى سطع أو أضاء)

الدنيا صهد ـ صهد كلمة فرعونية معناها لهيب .

العيش باش ـ باش بالفرعونية معناها طرىٌ أو ندىٌ .

كوش على الشيء ـ كوش معناها سرق الشيء جميعه

سك الباب ـ سك معناها أغلق .

أيضا ألقاب (سى وست) التى تطلق على السيد والسيدة هى أسماء مصرية صميمة ويطلق على المرأة أو الزوجة (مرت) وزوجتى (مرتى) أى « مراتى » فى العامية كما أن سيدة البيت أو ست الدار (ست ان بر) .

وقد نسمع ست الدار تنهى ابنتها فى الريف عن (لكلكة) العجين فى (الماجور) خوفا من (الكلكعة) وتأمرها أن (تبشبش) (فوطة) بالماء وتغطيه بها . فجميع تلك الأسماء والمسميات فى الحياة اليومية متوارثة ولم تتغير بمرور الزمن من ألوف السنين .

وطرق إعداد الأطعمة والشعبية منها بصفة خاصة التى ابتكرها الفراعنة مازالت تحتل مكانها على موائد مجتمع اليوم . فالفول الذى يعتبر فى مقدمة الأطعمة الشعبية ويطلق عليه اسم (فور) لم تختلف وسائل وطرق إعداده وتحضير مشتقاته عما هو متداول ومعروف اليوم ابتداء من حفظ الفول أو كمره و(مكمور) كلمة فرعونية معناها مخزون ـ الى تدميسه وكلمة (متمس) مصرية قديمة أيضا . كذلك صناعة البصارة من الفول واسمها القديم (بصار) كذلك صنع المصرى القديم من الفول ـ الطعمية التى أطلق عليها اسم (فطائر الفول) .

وما ينطبق على الفول ينطبق على العدس (أدس) بجميع طرق ومشتقات طهيه وإعداده المعروفة اليوم .

ان الكثير من الخضروات والبقول المعروفة اليوم كان المصرى القديم أول من استزرعها وقد احتفظت معظمها بأسمائها القديمة كما سجل فى بردياته الطبية خواص وفوائد كل منها وحدد مواسم زراعتها وحصادها ووسائل حفظها وطرق طهيها وتقاليد إعدادها .

● إن ما أنتجته أرض مصر ـ هبة النيل ـ من خيرات زراعية من أشجار ونباتات وخضراوات وزهور أطلق عليها الفراعنة أسماءها ـ أو كما وصفوها فى متون العقيدة بأن الاله

است كلا منها بمناداة اسمه . فمازال الكثير منها يحتفظ بأسمائها القديمة إلى الآن منها كما هو مبين بالصفحة المقابلة

● أماكن وبلاد وأسماء ●

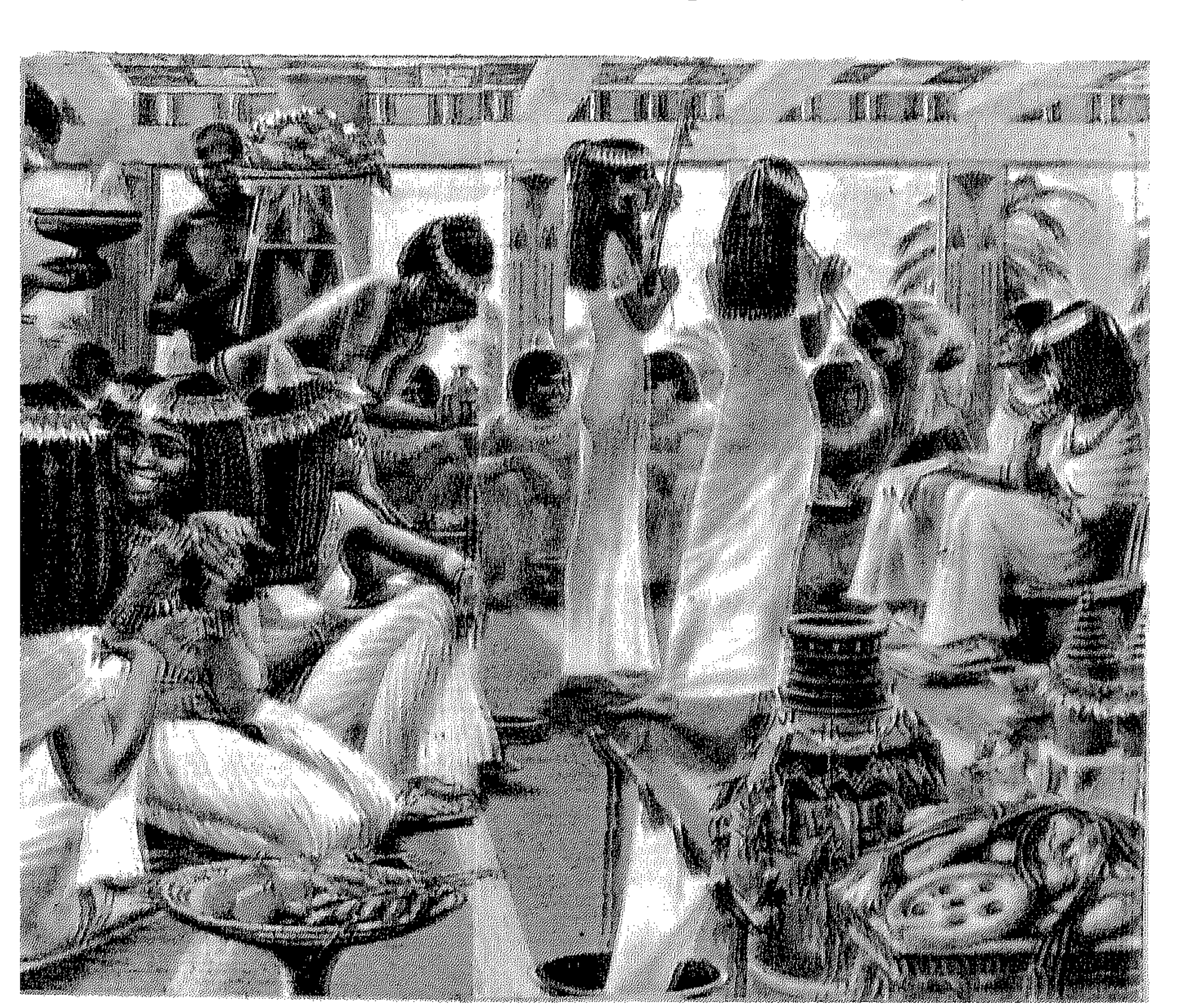
إن مما يلفت النظر على خريطة مصر غرابة أسماء بلادها العريقة التى يجهل مواطنوها سر تسميتها وماتعنيه أسماؤها . فإذا رجعنا إلى جذور نشأتها لوجدنا أنها تحمل أسماء مصرية وفرعونية قديمة ، يرجع بعضها إلى فجر الحضارة نفسها ، ويرتبط معنى كل اسم بموقعها

الزراعة التي حرص عليها الفراعنة . مازالت بعض اسماء ادواتها تتردد حتى الآن بين فلاحي مصر



الأشجار		الفاكهة		الخضروات		البقول	
عربى	فرعونى	عربى	فرعونى	عربى	فرعونى	عربى	فرعونى
شجر الحور	حور	الرمان	رمن	درة	درات	طماطم	طم طم
الاثل	اثل	التفاح	تباح	فول	فور	بطيخ	بقك
السنط	شندت	التين	تون	ثوم	فوم	القتة	قاتى
النبق	نبك	البلح	مهات	بصل	بصر	عدس	ادس
الابنوس	ابنو	اللوز	نوز	رسيم	برسم	لفت	افت
الكروم	كرم	التوت	تنوت	كرات	كراهت	خبيزة	شبيزى
الزيتون	زتنو	الخروب	جروت	ينسون	ينكون	بسلة	بسم
				كمون	كمنين	سمسم	سسم
				جرجير	جرجر	ملوخية	منوخى

حفلات الزواج على الطريقة الفرعونية . استمرت طقوسها فى ربوع مصر .
وتشابهت في الكثير مما نشهده في افراحنا الحاليه



وطبيعة عملها وكيان نشأتها . وقد طرأ عليها بعض التغيير عبر مراحل تغيير اللغة المصرية القديمة ، خلال موجات الغزو الأجنبى ، وتأثر اللغة الأصلية بكل منها وبلهجاتها .

وقد أمكن التوصل إلى تحديد أصل أسماء مالا يقل عن مائة مدينة من مدن أقاليم الوجهين البحرى والقبلى منها على سبيل المثال لا الحصر

عربى	فرعونى	المعنى
القاهرة	كاهي - رع	موطن الآله رع
منف	من نفر	الميناء الجميل
هيليوبوليس	هليواون	مدينة عين شمس
حلوان	حل اون	اون العليا
قليوب	كاليوبى	
بنها	برنها	بيت المعبود
طنطا	طاننت	طريق المعبد
ادفينا	دفنى	مخزن الغلال
منوف	منو فر	ارض المزارع
دمنهور	دمى ان جور	مدينة الاله حور
سنهور	سا ان حور	ابن الاله حور
سندهور	سندحور	معبد الاله حور
سنديون	سندايون	معبد الشمس
بولاق	بلاك	الجزيرة
بولاق الدكرور	بلاك دكرو	جزيرة السفن
سقارة	سقر	ارض المدافن
سمنود	سبتوتس	
شبرا	شبرو	الحدائق (كفر)
شبراخيت	شبرخت	حدائق الشمال
شبرامنت	شبرمنت	كفر الاله من
ارمنت	برمنت	قصر المعبود من
المنيا	من عيت	المراسى
جرجا	جرج	العزبة
اسيوط	سايوت	مكان الحراسة
الفيوم	بيوم	جمع يم (البركة)
اخميم	خم مين	وجه المعبود مين
ابوتيج	بوتيك	مخزن العطارة

عربى	فرعونى	المعنى
طهطا	طاهت	محراب الاله
دندرة	تانيترة	
ادفو	اتبو	
منقباد	منكابوتو	حصن بوتو
اسنا	سنى ـ ايونس	
اسوان	سون	الأسواق
النوبة	نوبت	ارض الذهب
الغردقة	حورجيت	ارض الاله حور
ابوصير	بواوزير	بيت اوزير
طما	طامت	ارض الاله اتوم
سوهاج	ساهو	ابن المعبود
تل بسطة	بوباست	بيت المعبود بس
اثر النبى	هاتورنبت	ميناء الاله هاتور
الواحة	واح	جزيرة الصحراء
سينا	سين ان	وادى القمر
طورسينا	تور سين	جبل القمر
ميت	ممت	قرية
ميت بره	ميت بر	قصر القرية
روضة	رودت	مستعمرة

● مصر .. اسم قديم ●

● إن اسم « مصر » الذى ورد فى الكتب السماوية واختلف المؤرخون فى تفسير مصدره هو اسم مصرى قديم ورد فى متون العقيدة من عصر ماقبل الأسرات وصفت مصر باسم « ماسار » أى حصن ابن الاله عندما أطلق على أرض مصر اسم أرض الاله « جب بتاه » وهو الاسم الذى نسبه المؤرخون إلى الإغريق بالخطأ عندما أطلقوا على مصر اسم « جبتوس » وقد اتخذ ملوك الأسرة الأولى اسم جبتاه شعارا للتتويج فذكر عند تتويج ملوك العصر العتيق أول ملوك الفراعنة « أن الملك توج على عرش جبتاه » وذلك قبل أن تطأ أقدام مؤرخى الإغريق أرض مصر بأربعة آلاف سنة .

نفس الخطأ وقع فيه المؤرخون عندما نسبوا اسم نهر النيل الخالد إلى الإغريق ، عندما أطلق عليه هيرودوت اسم « نيلوس » مع جهله بالمعنى الذى يرمز إليه او اشتق منه الاسم

فاسم النيل أطلق عليه مع فجر الحضارة عندما نزح المصريون القدماء الى شواطئه فقدسوه ، عندما عرفوا أن « مصر هبة النيل » فأطلقوا على الدلتا حيث يتفرع النيل الى عدة

طريقة العجين عند الفراعنة . مازلنا نشاهدها فى ريفنا المصرى





أنهار اسم نى ال و آى الانهار بينما أطلقوا على نهر الصعيد اسم ال نيل اى النهر الأزرق وال معناها النهر فاسم نهر النيل الذى أطلقه الفراعنة فى الشمال نيلو وفى الجنوب النيل .

● إن لفظ الجلالة الذى يعيش فى قلوب المؤمنين فى العالم أجمع ، مع احتلاف اجناستهم ولغاتهم وأديانهم ، ويتردد على ألسنتهم فى بيوت الله ـ من مساجد ومعابد وكنائس وهو لفظ (أمن) أحد أسماء الاله الواحد عند قدماء المصريين ومعناه (الذى لاتدركه الأبصار) ، كان المصرى القديم ينادى به ربه ، ويختم به صلاته ودعاءه ـ انتقل من مصر إلى طقوس العبادة فى التوراة فردده اليهود بقولهم (أمان) ومع ظهور المسيحية تردد فى الكنائس بقولهم (آمن) وردده المسلمون فى المساجد بقولهم (آمين) أى يارب . ومما يلفت النظر أن كلمة أمن أو آمين لم يرد لها ذكر فى القرآن أو التوراة أو الانجيل . ●●●

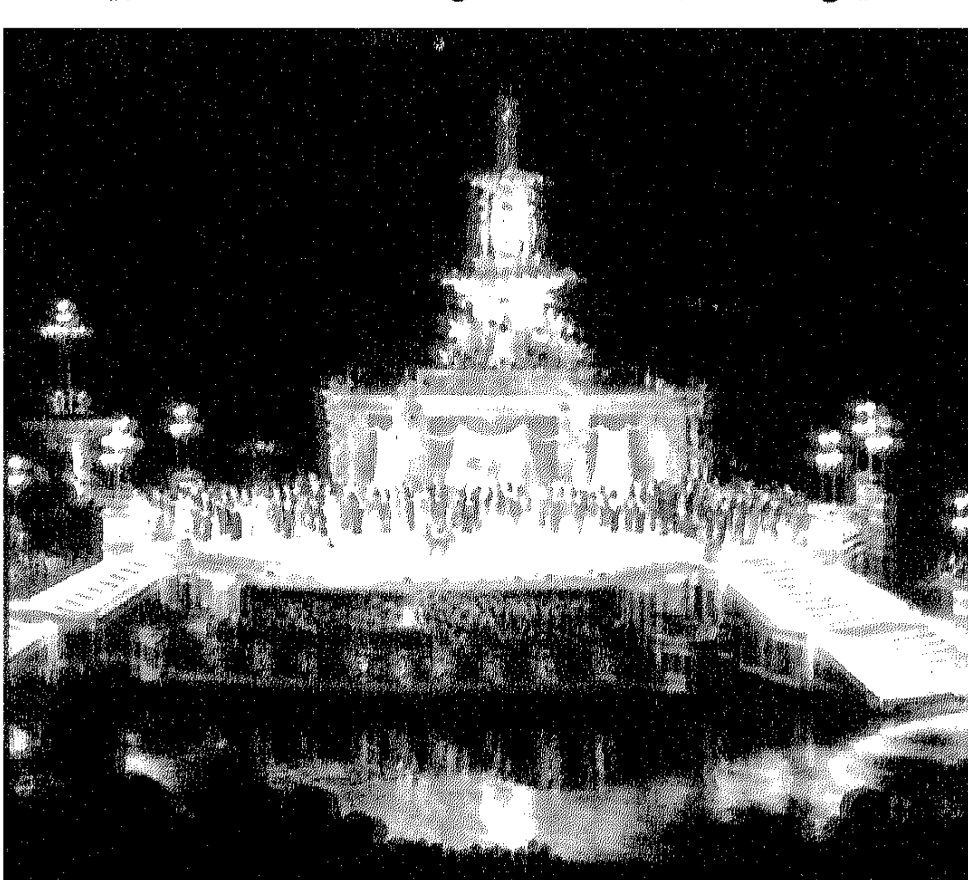
رسالة أوربا

بقلم

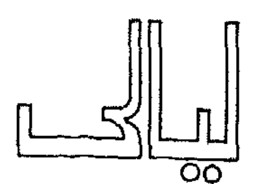
محمد سعيد

ليالى الفن والفكر فى ڤيينا

● فى شهور البرودة التى تدور فيها درجات الحرارة صعودا وهبوطا أعلى وأسفل درجة الصفر يزدهر العطاء الثقافى فى عاصمة النمسا ويصبح المجال متسعا أمام هواة متابعة الجديد من اصدارات الكتب والدوريات وعروض المسرح والأوبرا والباليه والموسيقى ومعارض الفن التشكيلى ، ومنتديات الفكر ، فى مختلف ألوان التعبير ●



الليالى الفنية فى فيينا تبعث البهجة وتجلب الدفء الإنسانى



الفن والفكر فى فيينا

ولأن الشتاء هو موسم الأزدهار فى الفنون والثقافات النمساوية ، فقد جال بخاطرى تساؤل عن ليالى الأنس فى فيينا تلك الغنائية البديعة التى وضعها الشاعر العربى الراحل أحمد رامى وكان التساؤل العابر عن زمن ليالى الأنس الفيناوية هل تكون فى شهور الشتاء كما تبدو هذه الأيام أم تنتظر حتى يحل الصيف وتذهب برودة الطقس التى لاتمتد بأى حال من الأحوال إلى حرارة ودفء اللقاء فى دنيا الفن والثقافة فى عروس الدانوب الأزرق فى رحلته النمساوية .

لقد وصلت إلى عاصمة النمسا فى أيام الشتاء منخفضة الحرارة وهى الأيام التى شهدت نهاية عام راحل بكل حسناته وسلبياته ومقدم عام آخر بكل ماننتظره منه من آمال وطموحات ، ووجدت فيينا (مايقرب من مليونى نسمة) وهى فى أزهى فصول العطاء الثقافى خلال شهور العام ، ويستطيع أن يدرك هذا بسهولة من يتجول فى قلب العاصمة متأملا واجهات مسارحها ومكتباتها ومتاحفها ومقاهيها ومختلف ملتقيات الناس والحياة على أرضها

إن البهجة التى يشعر بها زائر فيينا ليست هى فقط نتاج معايشة ابداعات فنانيها ، وتلقى حصاد لياليها الفنية الرائعة لكنها أيضا فى هذا الشعور بالامتنان والرضا الذى يشعر به من يتأمل واجهات مكتباتها العامة وأماكن عرض وبيع الكتب والدوريات فيها .

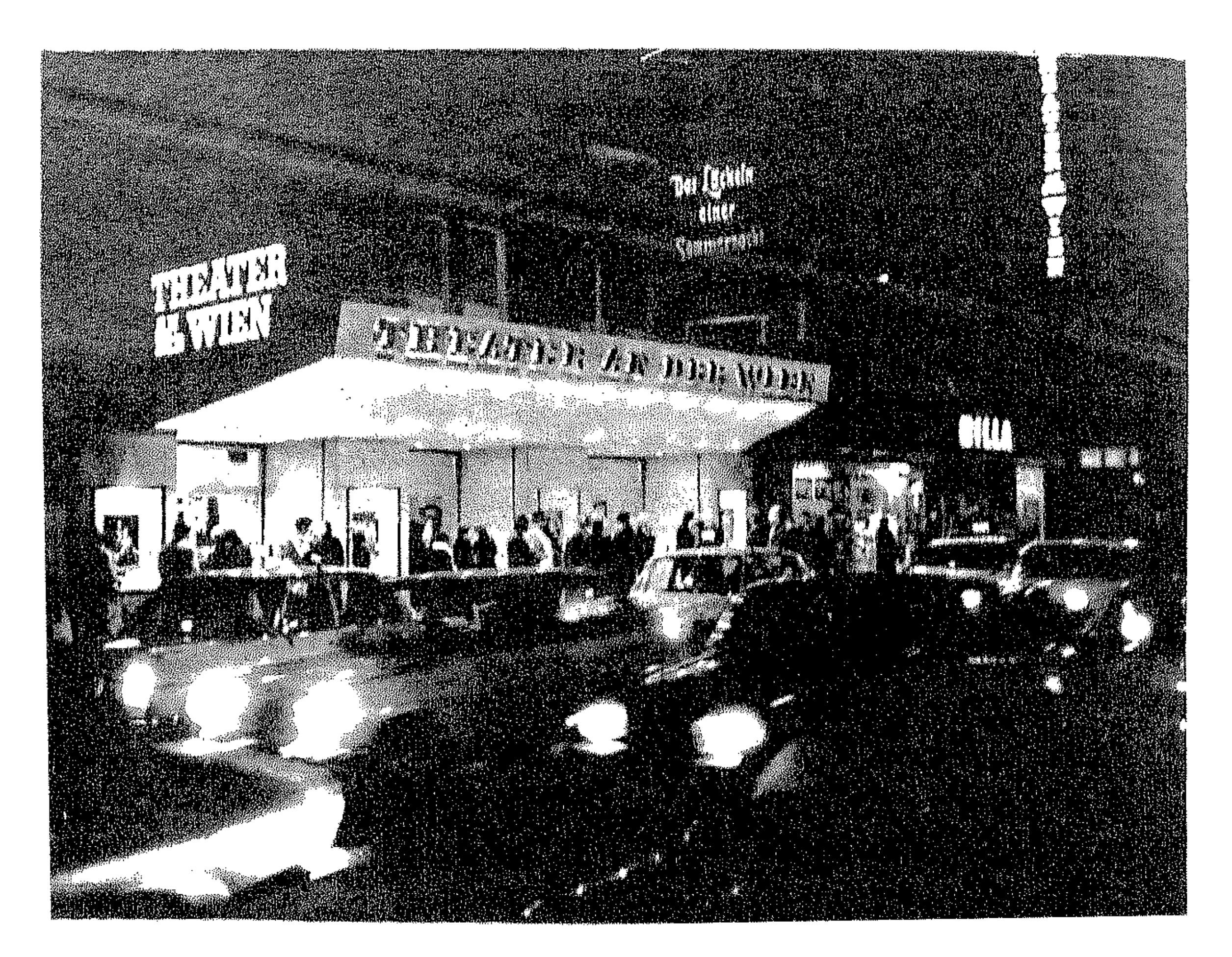
فى شارع « جرابن » وهو أحد شوارع قلب فيينا القديمة تشعر بالبهجة تغمر المكان وانت لاتميز بين جمال عرض الكتب



غلاف كتاب « معتقدات البشر »
وبه جزء كبير عن الاسلام

والدوريات والمجلات فى واجهة المكتبات ، وعلى نحو لايختلف فى درجة الذوق ومستوى العرض ، وحفاوة من يعرض بالبضاعة التى يبيعها ، لا فارق فى هذه الحفاوة بين من يعرض الكتب العلمية والأدبية ، وبين جاره الذى يعرض الشهى واللذيذ من تنويعات الشيكولاته والحلوى

وعندما تأملت الجديد من اصدارات المكتبة « الفيناوية » عرفت أن الكتب العلمية فى الطب والتكنولوجيا والاقتصاد والفضاء ، هى فى مقدمة المطبوعات ، تليها الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات وأعمال النقد ، ثم الدراسات التاريخية وأدب الرحلات والكتب الدينية ، وعدد دور النشر فى النمسا نحو ٢٤٠ دارا منها مائة دار تخاطب الشعوب المتحدثة بالألمانية

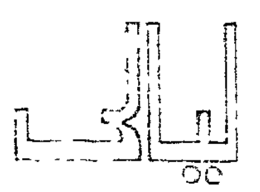


واجهة « مسرح فيينا » حيث مركز الثقل المسرحي والفني

بجانب النمسا مثل الألمانيتين وسويسرا وبعض بلدان وسط أوربا بجانب ثلاثين دارا أخرى ، لها اهتمامات عالمية حيث تترجم أعمالها من اللغة الألمانية إلى لغات العالم الأخرى مثل الانجليزية والفرنسية والايطالية والعربية والأسبانية والروسية والمجرية واليابانية وغيرها .

ولاتعدم المكتبات في فيينا الوسيلة لجذب اهتمامات القارىء الى الجديد من الكتب وقد لاحظت صدور كتاب جديد يبدو على غلافه الدكتور برونو كرايسكي مستشار النمسا الأسبق وأحد أشهر نجوم الفكر السياسي المعاصر في أوربا والعالم ، يبين كرايسكي في هيئته الحالية بعد اعتزال العمل السياسي برغبته ، والتفرغ لمجالات البحث والعطاء في مجال التحليل السياسي والاقتصادي ، أما الهيئة الحالية للدكتور كرايسكي فهي في اطلاقه لحيته بصورة تختلف تماما عن الصورة التي كان يقدم بها نفسه للحياة العامة خلال السنوات السابقة

لقد حدثني عن كتاب الدكتور برونو كرايسكي وهو في مرحلة ماقبل الطبع المرحوم الدكتور منير زكي الذي توفي أخيرا عن عمر يناهز الخمسين ، وهو نمساوي من أصل مصري بدأ حياته صحفيا ثم هاجر إلى النمسا في منتصف الخمسينيات ليصبح من أكثر المقربين للدكتور كرايسكي عندما شغل موقع مستشار النمسا قرابة أربعة عشر عاما وكان آخر موقع شغله الدكتور منير زكي منصب المسئول الاعلامي المتخصص في المنطقة



الفن والفكر في فيينا

العربيـة بـإدارة الاعـلام الاتحـاديـة بالمستشارية النمساوية .

ويلخص الدكتور بـرونو كـرايسكي نظريته السياسية فى هذا الكتاب الذى يعد من أكثر الكتب مبيعا فى البلاد المتحدثة بالألمانية ، وضمن حديثه عن تجربته السياسية يتعـرض الدكتـور كرايسكى للحوار العربى - الأوربى ، والذى كان من رواد الدعاة له ، ويتحدث أيضا عن تصوره للدولة الفلسطينية التى يرى ان الاعتراف بها وبحق الانسان الفلسطينى فى وطن يحفظ حقوقه الأساسية هى بداية الوصول الى الاستقرار وفض المنازعات فى منطقة الشرق الأوسط ، وأن تجاهل هذه المسلمات هو الذى يعرقل أى تطور لمجريات الأمور فى تلك المنطقة الحيوية من العالم القديم والحديث

● موسى .. المنسى ●

والتعرض للحياة فى عالمنا العربى والاسلامى ظاهرة واضحة فى حركة النشر فى المكتبة النمساوية التى تخاطب من يتعامل باللغة الألمانية أيضا ومن بين تلك الكتب التى تلقى رواجا طيبا كتاب يحمل عنوان « موزيل العرب - مجاهد العالم الاسلامى » وضعه الدكتور أريك فايجل وهو يقدم شخصية قريبة الشبه من الشخصية البريطانية التى عرفت باسم « لورانس العرب » والتى قدمها بيتر أوتول فى عمل سينمائى بهذا الإسم أخرجه دافيد لين .

وموزيل العرب هو العالم النمساوى والباحث التاريخى لويس موزيل ، الذى عاش من ١٨٦٨ حتى ١٩٤٤ وتسمى باسم

مسجد المركز الاسلامى المطل على نهر الدانوب والمجاور للمركز الاوربى للامم المتحدة



يصبح العمل الفني ذا رؤية ثقافيه لها خصوصيه متميزة عندما يستمد مضمونه من التراث

الشيخ موسى وتبحر في رحلاته ودراساته العربية الى الحد الذى جعله يختار الانتماء الى القبيلة البدوية لأمير الصحراء النورى بن شعلان ، وكان ذلك في سنوات امبراطورية النمسا والمجر ، وحيث بدا الشيخ موسى أو موزيل العرب رحلاته الى الشرق الأوسط في عام ١٨٩٥ ، وحيث عرفته المنطقة العربية مستشرقا وباحثا في الفقه الاسلامي وحيث أتاح له التردد على البلدان العربية أن يتقن لهجات الجزيرة العربية والشام وفلسطين ومصر وليبيا والعراق والأردن وغيرها

ومن أهم دراسات موزيل المنشورة الدراسة الطبوغرافية عن حاضر العرب وموسوعة آثار العرب بجانب كتاباته عن اكتشافاته مثل كشفه للقصور الأموية الصحراوية في الأردن ومنها قصر العمرا الفريد بلوحاته الملونة المرسومة على الجدران وهى غير دراساته وتحقيقاته التاريخية عن مدينة « بترا » الصخرية في الأردن أيضا وغيرها من الكشوف الهامة في مختلف أقطار المشرق العربي .

ويوضح الدكتور أريك فايجل دور الشيخ موسى أو موزيل النمساوى في خلق مدرسة اسلامية في قلب أوربا عندما يشير الى مئات الشباب المسلم الذى أحضره موزيل من تركيا والشام وفلسطين وشرق الأردن ومصر للدراسة في معهده الذى ضم برنامجا تعليميا باللغة الألمانية وبرنامجا آخر باللغة العربية وكان ذلك في عام ١٩١٧ قبيل نهاية امبراطورية النمسا والمجر الذى كان موزيل أحد رعاياها غير أن هذا البرنامج التعليمى انتهى بانكماش دور المؤسسات الثقافية النمساوية والمجرية

ليالى

الفن والفكر فى فيينا

بعد نهاية امبراطورية النمسا والمجر عقب الحرب العالمية الأولى ، ويعتقد الكاتب الدكتور اريك فايجل ان اسم العالم والرحالة موزيل قد نسى فى وطنه النمسا حيث انتهى نشر أعماله والبحث عن تراثه قبل سنوات من رحيله عن الحياة فى عام ١٩٤٤ .

● الإسلام ومعتقدات البشر ●

ومن بين سبعة الاف مصنف منشور فى العام الأخير تبدو ملامح الاهتمام بالحضارة الاسلامية وبالثقافة العربية ومن بين أكثر الكتب التى تدور فى نطاق يمزج الدراسات التاريخية بدراسات الأديان المقارنة وهى الوان من الكتب التى يقبل عليها القراء ظهر كتاب ضخم يحمل اسم « معتقدات البشر » أصدره كاردينال النمسا فرانتس كوينج وفيه يتناول الكاردينال الشهير فى ٤٢٠ صفحة من القطع الكبير المعتقدات الدينية التى عرفتها البشرية منذ العصر الحجرى حتى العصر الحديث مرورا بالحضارات القديمة والوسيطة

والكاتب عندما يتناول الإسلام فهو يعتمد على منهاجية المؤرخ المعروف كريستوفر داوسون ، وهو يرى ان الصورة المثلى التى يمكن أن نقدمها للطاقة الاجتماعية والمشكّلة للحضارة فى الدين نجدها فى الإسلام الذى يوضح لنا التاريخ من خلاله كيف ، استطاعت حركة دينية نشأت من خلية صغيرة أن تتطور الى حركة قوية خلال فترة قصيرة من الزمن ، لقد امتدت هذه العقيدة خلال عقود قليلة ، عبر قارات وازالت دولا وامبراطوريات وممالك وخلقت صورة جديدة للفكر والحضارة ، ربطت بين الملايين من البشر عبر حواجز اللغات والعرق والأصول فإذا بالعرب والتتر والزنوج والفرس والأتراك والهنود والصرب والسلاف والأسبان يؤمنون بنفس المعتقدات ويتجهون الى التوحيد وإذا ببدو الصحراء وزنوج الغابات وفلاسفة إيران وجنود الأناضول الأتراك وتجار الهند وقراصنة أرخبيل الملايو والفلاحين فى أوربا فى البوسنة والهرسك والبسطاء فى شبه جزيرة آيبريا يتحدثون جميعا نفس اللغة الدينية ويؤمنون بنفس المفاهيم السماوية ويرتبطون بنفس المثل الأخلاقية ويعيشون فى إطار نفس العادات والتقاليد الاجتماعية . وبرغم تباين المعمار الاسلامى فى مختلف بقاع العالم ، فإنه ظل مع ذلك معمارا اسلاميا متميزا وواضح المعالم وهو ماظل كذلك أيضا فى مختلف نواحى التعبير وسبل وصور الحياة

إن الإسلام وبرغم انه أصغر الأديان العالمية سنا لكنه اليوم أكثرها تعدادا واتساعا فى الأرض مع المسيحية ، ولهذا فإن الكاردينال فرانتس كوينج يأسف لأن الشعوب الأوربية والأمريكية لم يشد اهتمامها بوجه عام تلك الروحانية المختلفة الصورة ، بقدر ما أثار حفيظتها تلك الموجات العمالية الأجنبية التى يعتنق أغلبها الإسلام ، الذى تمثل شعوبه قوة سياسية واقتصادية وثقافية فى حالة اتفاق الكلمة ، ولكن المؤلف يأسف لأن معظم معلومات الغرب عن الإسلام لاتزال فى معظمها متأثرة بانطباعات متحيزة ومناهج مغرضة مستمدة من مصادر غير دقيقة وهى غير الصورة المبتورة والمضللة عن الحركات المنسوبة للإسلام والتى يسميها البعض التقليدية الإسلامية وحيث يشارك

دعاتها ايضا فى تقديم صورة غير حقيقية عن جوهر الإسلام تضاف إلى اباطيل خصومه .

إن الكاتب يتعرض للاسلام من خلال منهاجية تتفق مع منهاجية داوسون فى مرجعه الهام « الدين والحضارة » ، وحيث يتناول قصة الوحى وبداية نشر الدعوة الإسلامية والاضطهادات والاخفاقات فالهجرة والنجاحات وفتح مكة والنصر ، وانتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية ، ومراحل الدولة الإسلامية وقصة الخلافة وتطورها الدينى والسياسي وعالمية العلاقات الإنسانية فى الإسلام ، وما إلى ذلك من افكار متعددة يتناولها الكاتب بالتقصى والتحليل والاستنتاج الذى يجعل الكاتب يتناول موضوع التحدى وحوار الاديان موضحا مايواجه الإيمان بوجه

عام ، من تحديات متباينة من تيارات المادية والإلحاد ، والضغوط المختلفة من نظم الحكم ، وبعض الجماعات والفلسفات ، الامر الذى يبين من وجهة نظر المؤلف حاجة البشرية جمعاء وخاصة أولئك الذين يؤمنون بوحدانية الله الى الحوار لوضع أسس قوية لمزيد من التفاهم والتقارب وليس التعارض والتناقض كما نلحظ حتى بين هؤلاء وهؤلاء ممن يعتنقون نفس التعاليم والمذاهب

ليالى موتسارت وشتراوس

ولان الشتاء فصل متعدد الوجوه فى النمسا فإن أحد ابهج وجوه الثقافة الشتوية فى النمسا هو ذلك الوجه الذى يميز ارض الموسيقى التى تجعل للمشاعر دفئا اخر يزيح عن النفس اى اثار جانبية يتركها تراكم الجليد ليس فقط فوق المرتفعات ، ولكن أيضا فى الطرقات والحدائق والشوارع وعلى اسطح وواجهات المنازل .

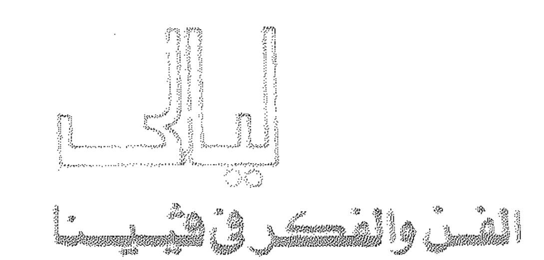
إن استمرار العروض الموسيقية المبهجة لفرقة أوبرا فيينا يحفظ لهذه المدينة شهرتها كعاصمة للموسيقى الكلاسيكية التى يختلف وجد الاستماع اليها عن حالة الاستماع الذى يحرك العضلات والاطراف فى سماعيات الجديد من موسيقى الديسكو والبوب وغيرهما من الالوان التى بدات تغزو مسارح المنوعات فى فيينا ولكنها وبرغم اقبال الشباب عليها

لم تستطع ان تسلب فيينا ريادتها وتفوقها فى مجال الموسيقى الرصينة والاصيلة

لقد ظلت فيينا منذ القرن الثامن عشر وحتى اليوم مركزا لكبار مؤلفى الموسيقى ونشاطاتهم النغمية الكبيرة التى عرفت ابداعات جوزيف هايدن واماديوس موتسارت ولود فيج بيتهوفن وفرانس شوبيرت ويوهان برامس وحتى يوهان شتراوس ملك الفالس ومؤلف رائعة « الدانوب الازرق » .

وتنتشر قاعات الموسيقى فى كل بقاع النمسا غير ان اكثرها عظمة هى تلك القاعات « الفيناوية » وابرزها قاعة « ميوزيك فيراينسال » وهى قاعة الاكاديمية الموسيقية المعروف عنها خاصية ترديد الاصوات وهى لهذا مركز الثقل فى الحفلات الموسيقية وتنقل منها شبكات الراديو والتليفزيون فى العالم حفلات بداية العام الميلادى الجديد

والمسرح وجه اخر من وجوه الشتاء البديعة فى النمسا حيث يبدا الفصل المسرحى مع بداية فصل الشتاء الذى يزدهر خلاله نشاط الموسم المسرحى



وحيث يندر وجود هذا النشاط فى فصل الصيف وأبرز نشاطات المسرح فى النمسا هى تلك التى يتابعها عشاق المسرح فى مسرح « الفينر » وهو مسرح خاص بفرقته التى تضم أشهر نجوم المسارح الناطقة

الواقعية الفنتازية فى لوحة « القبعة » من اعمال فولفجانج هيتر من أشهر فنانى النمسا

باللغة الألمانية وكان من بين نجومه النجم الممثل بيتر شتراوس نجم الحلقات الأمريكية التليفزيونية « رجل غنى . رجل فقير » ، والنجمة الراحلة رومى شنيدر والممثل ماكسميليان شل والممثل الراحل كورت كيرنجز

وبجانب نشاطات مسرح « الفينر بورج » المشهور بتقديم أمهات الأعمال العالمية ، وكلاسيكيات المسرح الألماني والنمساوى نجد نشاطات مسرح « يوسيف شتات » وهو مسرح عريق أنشىء في القرن الثامن عشر لتقديم اتجاهات مسرحية طليعية ، منسوبة للكاتب المسرحى ماكس راينهارت ، أما غير ذلك من المسارح التى تنعش ليالى فيينا فأبرزها مسرح بورج والمسرح الأكاديمى ومسرح دريوسيف شتات ، ومسرح كامر شبيلر ومسرح كلاينس والمسرح الفلكلورى ومسارح الأعمال الشبابية والتجريبية والطليعية المعروفة باسم مسرح كيللر

وبجانب عروض الأوبرا هناك عروض الباليه .. ومن أبرز ماتشاهده فيينا من عروض للباليه رائعة تشايكوفسكى « بحيرة البجع » ورائعة شتراوس « سندريللا » . أما أهم نشاطات المسرح ، فهو هذا العرض المنسوب للكاتب المسرحى أ . فايدا والمأخوذ عن رائعة ديستوفسكى « الجريمة والعقاب » ، وهو العرض الفائز بجائزة أهم عروض مهرجان مدينة «كراكوف» البولندية ، والواضح من تأمل العروض ومسمياتها أن فيينا مدينة ذات عقل مفتوح لاتقتصر فى متابعاتها المسرحية على عروض المسرح النمساوى والألمانى والسويسرى الناطقة باللغة الألمانية فقط ولكنها أيضا تستقطب أهم أعمال المسرح العالمى لتعرض على جمهورها المتذوق لكل هذه الاتجاهات والتيارات المسرحية المختلفة .

وقد يتصور زائر فيينا أن الموسيقى والمسرح والأوبرا والباليه هى فقط محور اهتمام ليالى فيينا ونشاطاتها الفنية وهو أمر حقيقى غير أن هناك اهتماما آخر ، يضاف إلى هذه الاهتمامات ولا يلحظه الزائر ، ويتمثل فى نشاطات السينما النمساوية التى تعرض أفلامها فى أكثر من ٦٠٠ دار للعرض منتشرة فى كل مقاطعات النمسا التى يصل عدد سكانها الى مايقرب من ثمانية ملايين نسمة منها نحو ربع هذا العدد تقريبا فى العاصمة فيينا .

والسينما النمساوية لها سوق محدودة فى المناطق الناطقة باللغة الألمانية ، ثم هذا السوق الآخر للأفلام المدبلجة للغات الأخرى غير أن كم الانتاج السينمائى محدود بسبب هجرة المواهب النمساوية الى الخارج ، خاصة إلى الولايات المتحدة والمانيا الغربية وفرنسا ، وعن اشهر نجوم السينما النمساوية ممن حققوا شهرة عالمية نجد أسماء مثل النجم الاستعراضى فريد استير ، والممثلة الجميلة الراحلة رومى شنيدر والممثل ماكسميليان شل وشقيقته مارياشل ، والممثلة سينتا بيرجر ،

وتغطية النشاطات الثقافية يحظى باهتمام كبير من أجهزة الاعلام فى النمسا سواء من خلال الصحف والمجلات والدوريات الثقافية أو من خلال الراديو والتليفزيون وحيث تدعم الحكومة هذه النشاطات منذ عام ١٩٧٥ بتخصيص مبلغ ٧٠ مليون شلن سنويا من الموازنة العامة لتدعيم الدور الثقافى لهذه الصحف والمجلات ودون أى تدخل فى رسالتها الصحفية وهو غير تخصيص مبلغ ضخم آخر قدره ٣٠٠ مليون شلن سنويا لتدعيم دور التليفزيون والراديو فى مجال المتابعة والتغطية الثقافية فى مختلف فروع ومجالات الثقافة العامة والمتخصصة ودون أدنى تدخل من الدولة أيضا فى توجيه هذا



الدور وحيث يضمن الدستور النمساوى عدم تحيز هذه المؤسسات الاعلامية للحكومة التى تظل هذه الأجهزة مستقلة عنها أو للأحزاب التى تظل هذه الأجهزة الاعلامية المرئية والمسموعة مستقلة عنها

المغنية دينا والغناء الناعم من ضفاف « السين » الى ضفاف « الدانوب »



ووجوه البهجة الثقافية التى تميز ليالى وايام فيينا لاتقتصر فقط على الفنون التعبيرية ولكنها تمتد ايضا إلى الفنون التشكيلية حيث يلحظ من يتجول فى معارض وجاليرات الفن الحديث كيف يبدو فن التصوير (الرسم) فى النمسا متطورا ومتميزا بعيدا عن تأثيرات الانطباعية وقريبا من اتجاهات التعبيرية والسوريالية التى كان من روادها فى النمسا الفنان أوسكار كوكوشكا والفنان الفروكوين وريجارد كيرستل وانتون كوليك وفرانتس فيكيله ثم جوستاف بيك وفريتس ريدل فى مجالات الفن التجريدى وجيتر سلوه وأرنست فوكس فى مدرسة الواقعية الفيناوية والفنان كارل كوراب فى مجال الواقعية الجديدة ، وكورت مولد وفان فى مجال أعمال الجرافيك .

إن معارض الفن الحديث لاتغنى فى النمسا عن جولات متابعة الفنون الكلاسيكية الأخرى فى متاحف النمسا العريقة والعديدة التى تمتاز بروعة العرض ، والتى تضم الأعمال الأثرية التى تعود الى عصور الحضارات الهلشتاتية والكلتية وحضارات الفترة المباشرة للعصر الحجرى ، وهى غير مايعرض من آثار الفترة الرومانية الوثنية والمسيحية ، وأعمال فترة الطراز القوطي وأعمال عصر النهضة وأعمال عصر الباروك وأزدهار الأعمال الفنية فى عصر امبراطوريات النمسا والمجر فى القرن التاسع عشر وحتى فن العصر الحديث .

إن التنوع فى مظاهر الفنون والثقافات لايظل فقط الباعث على البهجة التى تميز ليالى فيينا ، لكنه أيضا هو فى سر هذا الهدوء الخلاق المتوثب الذى يميز شخصية الانسان النمساوى ويعبر عن حركته واختياره لهذا الأسلوب فى الحياة .

زينات

فى جنازة الرئيس ... عبد الناصر

: د. سيد حامد النساج

الحديث عن أزمة الإبداع الفنى فى القصة القصيرة « والرواية الطويلة » يبدو مفتعلا ومصطنعا . وقد حلا للبعض أن يثرثر حوله طويلا طويلا . بل إنه أصبح شعارا تطلقه جماعة كان من مصلحتها أن تبقى هى على السطح ، وفى الصورة ، دائما أبدا . تشغل المساحات الفارغة ، بعد أن سعدت بشغل المساحات الأخرى المكتظة

وهى لا تملأ الساحة والمساحات ، بحكم كونها موهوبة ومبدعة وتستطيع أن تأتى بما لم يأت به الأولون والمعاصرون ، ولكن لكونها قادرة على سد الأبواب ، وتشويه الأسماء الجادة ، وصبغ الخلاقين من الأدباء بألوان لا علاقة لها بالفن والأدب والفكر والأخلاق وقد أفرزتها ظروف غير طبيعية فجاءت هذه الجماعة تدعى الخلق حينا ، والنقد حينا ، والخلق والنقد فى غالب الأحيان .

لكنها ـ فى ظل ظروف غير ديمقراطية ـ استطاعت إغلاق النوافذ فى وجه المبدعين الجادين ، ووأد كل محاولات مد يد العون إليهم بالتوهم أنها ـ وحدها ـ هى القادرة على الحركة ، وتلبية المطالب ، والاستجابة للرغبات ، وكان اطلاق ذلك الشعار واحدا من ادواتها وأسلحتها . معتمدة على أن الكثرة الغالبة من القراء ، لا تتابع باستمرار ، ولا تحصى ، ولا تصنف ، ولا تدرس ، ولا تنقد ، ومن تم فإنها استكانت لاطلاق نفس الشعار الذى وجد صدى فى ظل الحديث عن أزمة الاسكان والمواصلات وغير ذلك

لكن المتابعة الدقيقة ، والاحصاء المثالى ، والتقييم الموضوعى ، ترد ـ مجتمعة ـ على مثل هذا الادعاء ، من خلال تلك الكتابات التى يفاجئنا بها أبناء مصر المبدعين فى الشعر ، والقصة القصيرة ، والرواية الطويلة ، والنقد ، فى كل الأقاليم المصرية

واظن أن القصة القصيرة تشهد ـ فى

زينات

في جنازة الرئيس ... عبد الناصر !

أيامنا هذه منذ فترة ليست بالقصيرة ـ ازدهارا فنيا وانتاجا متطورا ، لم تشهده الا فى الربع الثانى من هذا القرن ، حين طغت على الابداع شعرا ونثرا . وكذلك طوال الستينيات التى أصبحت موضع اتهام من قبل بعض الذين فصلوا بينهم وبين الحركة الأدبية ـ انذاك ـ وعاشوا بعيدين عما كانت تفرزه من كتاب ونقاد ودارسين . والدليل على ذلك ، أن الذين يوجهون حركة الفكر والأدب والثقافة والفن فى أيامنا هذه ، ممن تربوا فى أحضان الستينيات ، وممن بدأ انتاجهم يظهر فى ظلها

أقول هذا بمناسبة صدور أول مجموعة قصصية للكاتبة سلوى بكر ، بعنوان « زينات فى جنازة الرئيس » إذ إنها تذكرنا بتلك البدايات الجادة المسئولة ، لكتاب بدأوا فى الستينيات ، ومما يلفت النظر ، أنه لم ينشر أى خبر عن صدور هذه المجموعة هنا أو هناك . فى حين أننا نقرأ عشرات الأخبار فى يوم واحد عن كتب أو روايات أو دواوين شعر ، لأناس محدودى الموهبة والثقافة ، يكتبون ـ فقط ـ لمجرد « الوجود » أو أستكمال المظهر الاجتماعى . كما أن الاذاعة لم تسارع ـ بشكل أو بآخر ـ لمناقشة هذه المجموعة أو الحديث عنها . بمثل ما نلاحظه فى أعمال متوسطة القيمة ، ما أن تظهر فى بداية الأسبوع حتى تكون ـ فى وسطه ـ قد نوقشت فى أكثر من برنامج إذاعى ، إسهاما فى الإخبار بها ، والاعلان عنها ، وليس لجودتها الفنية . ثم لا يلبث التليفزيون أن يقدمها بطريقة أو بأخرى .

● فكر ملتزم ●

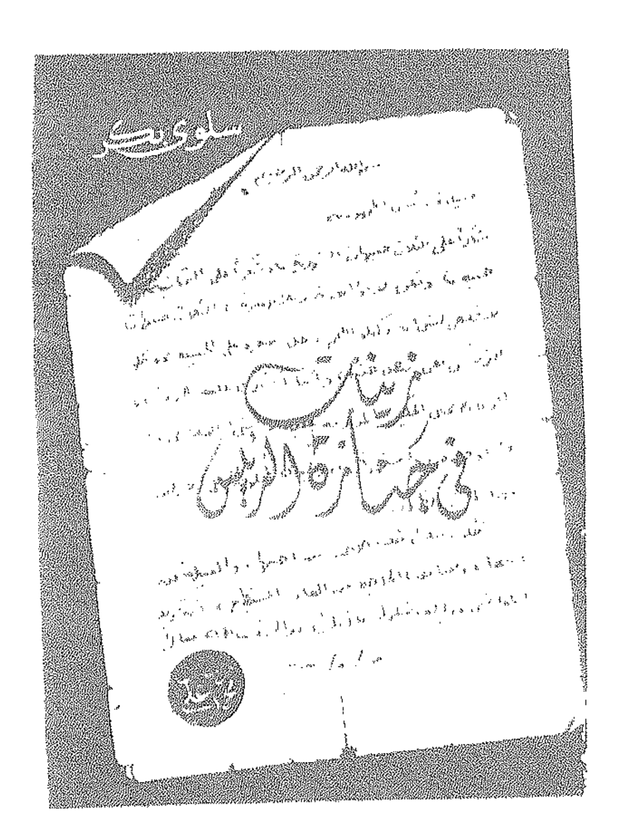
يبدو أن المؤلفة لا تحظى بوجود شلة مصاحبة ، صحفية أو نقدية أو اذاعية او تليفزيونية وهو أمر مؤسف شهدته السبعينيات ، وأصلت له تأصلا تجاريا مصلحيا ، تصح معه مقولة « قل لى من نقادك اقل لك من أنت ؟ ! » أو « قل لى من أنت أقل لك من هم نقادك ؟ ! . والشىء اللافت للنظر ان الكاتبة تنتمى الى شىء واحد ، وتلتزم بفكر اساسى ، وتؤمن بموقف محدد .

أما هذا الذى تنتمى اليه ، فإنه قاع المجتمع ، بأناسه ومشكلاته وقضاياه وأحزانه وفئاته المطحونة جدا ، فعلا لا خيالا ، حقيقة لا تصورا . وأما هذا الذى تلتزم به فإنه الفكر التقدمى الثورى الذى يستهدف تغيير واقع الناس العاديين البسطاء ، إلى واقع أفضل ، لكى يحيوا حياة انسانية طبيعية عادية ، فيها أمن وأمان غير زائفين من أجل مستقبل فيه مسكن مأمون ، ومأكل مضمون ، وثقافة دافعة ، وتعليم متقدم ، وماشابه ذلك من مطالب أساسية ، لا أنانية فيها ولا بورجوازية . ومن هنا ينبع موقفها المحدد الذى تؤمن به : مع التقدم والانسانية والثورة .

وهى وان كانت تنطلق من هذه المنطلقات ـ التى توقع فى مزالق فنية ـ فإنها حرصت على أن تقترب من خصائص فن القصة القصيرة . وعلى أن توافق ـ فنيا ـ بين المضمون والشكل الفنى إلى حد كبير . وقد وفقت حينا ، ولم توفق فى بعض الأحيان .

كما أنها لم تنس حقيقة كونها أمرأة ، فجاءت أغلب الشخصيات المحورية فى قصص المجموعة كلها ، شخصيات نسوية ، والتفتت الكاتبة إلى أشياء وجزئيات لا تثير الكاتب الرجل كثيرا ، لتجسد عالم شخصياتها ، ولتقنعنا بواقع هذه الشخصيات ، ثم لكى تمارس التعبير عن ذاتها ، ولكى تكون لها خصوصيتها فى الكتابة .

والمرأة التى نجدها فى قصص المجموعة ، ليست هى المرأة التى تجدها فى قصص الكاتبات المعاصرات ، لا فى النشأة ، ولا فى التطلع والحلم ، ولا فى القضايا التى تهمها ،



ولا فى المستوى الاجتماعى الذى تنتمى إليه أو الذى تستشرف الوصول إليه ـ إنها امرأة بعيدة عن أن تكون امرأة بورجوازية . وهى لا تعمل فى الصحافة أو الاذاعة أو التليفزيون . كما أنها ليست زوجة تعيش حياة ناعمة . وتنفرد فى كونها لا تشبه « وصيفة » بطلة (الأرض) أو « عزيزة » بطلة (الحرام) وتختلف تماما عن بطلات إحسان عبد القدوس « والمرأة » فى كل قصة لها شخصيتها المستقلة ، وكيانها الخاص ، النابع من ظروف موضوعية ، فى قصص (نونة الشعنونة) و (العاشقة) و (زينات فى جنازة الرئيس) و (أم شحته التى فجرت الموضوع) و (لوكيميا) و (امرأة على العشب) .

○ الارتباط بالزعيم ○

ويلتقى قارىء هذه المجموعة ، مع كاتبة تمثلت شخصية الزعيم الراحل جمال عبد الناصر . إذ أستنبطت تأثيره فى قاع المجتمع المصرى ، من خلال شخصيات لم يلتفت إليها ، ولا يمكن الالتفات إليها ، مادامت قد أستبعدت من تصور واضعى السياسة الاقتصادية ، والتخطيط الوطنى ، والتنظيم الاجتماعى . حين كانت الكتابة عن مثل هذه الشخصيات تعد جريمة كبرى

لقد جعلتنا قصص هذه المجموعة نستشعر صدق ارتباط البسطاء بالزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وتعلقهم الشديد بأقواله ، وخطبه ، وصوره ، وقراراته . وكيف أنه كان واقعهم وحلمهم ومستقبلهم . وقد جسدت ذلك بفن قصة (زينات فى جنازة الرئيس) . وهى شخصيات إيجابية فاعلة لا تستسلم ولا تتقاعس ، وإنما تفعل وتؤثر . فزينات ـ بعد وفاة الرئيس ـ تتحول لتصبح زعيمة فى مرحلة تالية بل إنها تتحدى بوضوح فى قصة (أم شحته التى فجرت الموضوع) . وهى نفسها الفتاة التى تكتشف عن ثوريتها فى (لوكيميا) .. إنها الشخصية المصرية الواقعية فى (العاشقة) .

وكناقد اطلعت على كثير من المؤلفات والمذكرات التى دارت حول الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وشخصه ، وفكره ، وسياسته ، ودوره . فان هذه الكتابات كانت مباشرة للرد على دعاوى المغرضين من غير أنصار عبد الناصر ، أو كانت تسجيلا تاريخيا لوقائع بعينها حدثت أيام عبد الناصر وكان له فيها دوره البارز ، أو قراره الايجابى ، أو تفكيره العميق . غير أننا لم نلتق بمجموعة قصصية أولى لكاتبة ، تهيمن عليها شخصية عبد الناصر ، مثل هذه المجموعة ، التى صدرت فى منتصف ١٩٨٦ . وهى صغيرة الحجم . تقع فى ١٢٥ صفحة من القطع الصغير . وتضم قصص « امرأة على العشب » ، « الزمن الجميل » ، « نونة الشعنونة » ، « الخصبة والجدبة » و « لوكيميا » و « العاشقة » و « ماجرى لبوسى » و « زينات فى جنازة الرئيس » ، و « أم شحته التى فجرت الموضوع » و « بسمة الموت » و « أصل الحكاية نمة

زينات

في جنازة الرئيس... عبد الناصر!

وطبيعي ألا تأتي كل قصص هذه المجموعة في مستوى فني واحد . كذلك فإن ظل الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يهيمن على فكر الكاتبة في بعضها ، في حين نجده متخفيا وراء الدافع الى كتابة بعضها الآخر .

وإن كان هذا لا ينفي عنها ـ جميعا ـ أنها تنطلق من منطلق واقعي اجتماعي ناقد . وينبغي أن نضع في اعتبارنا الاساسي أنها مجموعة أولى ، لكاتبة تقدم انتاجها القصصي لأول مرة ومع ذلك فإنها تؤكد جدية المحاولة والتجربة ، ولا تخلو من هنات فنية ، لا يلغيها شرف المحاولة ونضج التجربة والوعي الاجتماعي الواضح .

● نموذج حي ●

و « زينات محمد علي » الشخصية المحورية في قصة (زينات في جنازة الرئيس) ستظل نموذجا حيا في القصة القصيرة الصادرة عن كتاب الثمانينيات . وهي التي تبيع للتلاميذ العسلية والفشار والترمس ، وتعيش وحيدة اللهم إلا صور الرئيس التي تؤنسها في كوخها الصغير ، وهي لم تلتق به أبدا ، رغم حبها الشديد له . والعلاقة بينهما تمر من خلال عبده المزين الذي يكتب رسائلها إليه ، لأنها لاتعرف القراءة والكتابة . والمرة الوحيدة التي حاولت رؤيته وتسليمه ورقة بمطلبها ، ديست بالأقدام وحيل بينها وبينه ، ومع ذلك ظلت تحبه . وعمق هذا الحب حين حدد لها ثلاثة جنيهات إعانة شهرية ، فازداد عشمها فيه ، وارتباط مصيرها به ، بل إن رسائلها إليه لم تنقطع ، وظلت في كل مرة تحكي له حكاية ، وتقص عليه قصتها .

وقد صاغت الكاتبة قصتها صياغة فنية لاتعقيد فيها وحاولت تقديم شخصيتها المحورية تقديما يتلائم وتكوينها النفسي والفكري والاجتماعي ، بل إن السرد في القصة جاء سردا أقرب الى الحكي العادي الذي توسلت اليه بلغة سهلة ، لدرجة أننا نشعر أن « زينات » هي التي نسجت خيوط القصة ، واختارت مفرداتها ، وشكلت هيكلها الفني ، كما أن الكاتبة استطاعت أن تقتحم عالمها الداخلي ، ومشاعرها الذاتية ، واحلامها ، اذ أنها لم تفصلها عن كونها « انسانة » تعاني وتتألم وتشقى ، ثم تحلم ، لكن حلمها جاء نابعا من واقعها ، ومن ثقتها في قدرة الرئيس على تحقيق هذا الحلم

ذلك أن « زينات » (أحبت رئيس الجمهورية جدا ، بعد رده عليها ، وبعد حكاية الثلاثة جنيهات ، وكانت تشعر أنه سندها الحقيقي في الدنيا ، وداخلها احساس بأن صوره تأنس وحدتها ، وتزيل الوحشة عن نفسها ، عندما تكون وحيدة بالعشة ، كذلك قررت أن تكلمه بصراحة ، وتقول له كل ما عندها من كلام تحبسه في نفسها) ص ٨١ . أنها تستشعر أن بينه وبينها (علاقة خاصة جدا ، ومع أنهما لم يلتقيا خلالها أبدا وجها لوجه ، فإنه ، ورغم كل شيء ، يصعب القول إنها علاقة من طرف واحد) ص ٧٥ . حتى عندما حدثت لها تلك الحادثة المؤسفة (وفظاعة الآلام التي عانت منها زينات بعد ذلك ، لم تحل دون استمرار علاقتها بالرئيس ، ولم تغير نفسها من ناحيته ، أبدا ، كما أن صوره في عشتها بقيت في مطرحها ، كما هي ، تلك الصور التي لم يكن أي شيء سواها يزين العشة ، التي بنتها زينات بنفسها ، من الحجر والطوب والصفيح) ص ٧٦ .

اما الحلم فإن الكاتبة جسدته بشكل لا افتعال فيه ولامبالغة ولاخطابية فيه ، رغم انحيازها الواضح لهذه الشخصيات المنتقاة من قاع المجتمع ، ومن بيئة دنيا لم يرد لها ذكر في التصنيف الطبقي الاجتماعي والاقتصادي ولاهي بروليتارية ولاهي فلاحة ولاهي بورجوازية ؟ ولعلها البروليتاريا الرثة . هذا القطاع العريض الممتد في أعناق الأرض

سلوى بكرى
عمل جاد لم يلتفت اليه النقاد

المصرية هو الذى أحب عبدالناصر بعمق وصدق وحق واخلاص . فى القرى والنجوع والكفور والأزقة والحوارى . وهؤلاء هم الذين بكوا عليه ، وتشبثوا به .

قبل أن تأتى زينات الجنيهات المعدودة ، وضعت لنفسها خطة تنمية صغيرة (رسمتها زينات لنفسها ، تتلخص خطوطها العريضة فى أن توسع على روحها فى الأكل بين الحين والحين ، وفى سبيل ذلك تشترى وابور جاز ، وحلة الومنيا لتطبخ فيها كلما هفت نفسها لأكلة لحم ، كما ستقوم بشراء جلابية قطيفة زبدة ، وقمطة بالخرز ، بدلا من جلابيتها المقطعة ، وقبل كل شىء ، وبإذن واحد أحد ، سوف تسدد ديونها المنظورة ، التى تتلخص فى جنيهين لعبده المزين ، أخر دفعة تبقت له من دين قديم استلفته منه ، لتشترى بضاعة جديدة تتاجر فيها ، وكذلك ديونها غير المنظورة ، والتى هى عبارة عن عدة دعوات من أخيها ، صاحب العيال ، لأكل اللحم ، وعدة خمسينات قروش ، كان يمدها بها عند أول كل شهر ، وقد عزمت زينات على زيارة أخيها ، باثنين كيلو لحم ، عندما تمسك الفلوس بيدها . وقبل كل شىء ، زوج فراخ محترم ، وزجاجة شربات ورد ، هدية خالصة لعبده المزين ، نظير عطفه عليها ، وخدماته لها فى كتابة الرسائل الى رئيس الجمهورية ، وهى الخدمات التى كللت أخيرا بالنجاح ، حيث تقرر صرف معاش استثنائى لها ، قدره ثلاثة جنيهات بالتمام والكمال) ص ٧٧

● خطاب مطول للرئيس ●

وزينات ليست عاطلة ، أو متسولة ، أو كسولة ، أو سلبية . ولكنها حاولت التغلب على ظروفها بشتى الطرق فلم توفق ، والكاتبة افصحت عن ذلك فى الخطاب المطول الذى بعثت به زينات إلى رئيس الجمهورية كى يزيد الاعانة حتى تتلاءم وظروف الحياة الصعبة ، بنفس الحرص على الجو العام للقصة ، والمناخ الذى تتنفس فيه الشخصية ، واللغة التى تجيدها ، وطريقة التعبير عن مشاعرها وأفكارها . (حكت حكايتها من طقطق للسلام عليكم ، ومن لحظة موت أبيها ، وهى صغيرة ، حتى مابعد ترملها ، وهى لاتزال بنتا بنوتا لم يدخل عليها عريسها ، الذى مات مع صاحب الدكان الذى كان يعمل عنده فى حريق ، كما روت له كيف أنها ظلت بعد ذلك مع أخيها الوحيد ، لكنها بعد أن تزوج ، وبقى مربوطا من رقبته بكومة عيال تركته ، وتركت الخناق ، كل يوم والثانى ، مع أم العيال ، وراحت تعيش لوحدها فى العشة ، وحكت له أيضا أنها حاولت أن تشتغل أكثر من مرة ، دون جدوى ، وكان آخر هذه المحاولات ، التقدم لمسك شغلة عاملة نظافة فى المدرسة القريبة لسكنها ، لكنها رفضت لأنها لاتعرف القراءة والكتابة ، ثم بعد أن شكرته على الجنيهات الثلاث ، بكلمات كثيرة مؤثرة ، ودعت له من قلبها دعاء مناسبا له «لا مؤاخذة وبلا صغرة الثلاثة جنيهات لاتكفى شيئا ، لأن كيلو اللحم دخل سعره على الجنيه وكيلو الترمس بقى بنصف الجنيه ، ثم فوق ذلك فهى تشترى علبة الدواء الذى نصحها الطبيب بالمداومة عليه ، بالشىء الفلانى ، وحكت له أيضا أنها وحيدة ، وأنها تستحى أن تمد يدها لمخلوق على الأرض مهما كانت الظروف ، لذلك فهى تطلب منه تحديدا ، طلب الأخت من أخيها ، والعيلة من أبيها ، وصاحب الحاجة من القادر المستطيع ، أن

زينات

في جنازة الرئيس ... عبد الناصر!

يزيد معاشها قليلا . بحيث يكفى لسد مطالب الدنيا) .

هذه المرأة ـ الواقع ـ الجماهير ـ القاعدة ، لابد أنها ستنفجر عندما تحدث الفاجعة ، وتفاجأ بموت سندها الحقيقى وأملها ، فيكون الجنون الذى أفضى الى قسم الشرطة الذى دخلته متهمة فى يوم جنازة الرئيس ، لأنها عضت الرجل السمين ، فى يده ، وكان يرتدى القميص الأبيض ، لأنها شعرت أنه يبتسم فى الجنازة ، وأنها نظرت إلى وجهه عندما رمى بعصاه صورة الرئيس ، التى كانت تحملها ، فرأته ينظر ناحيتها ويبتسم .

وليس من شك فى أن الكاتبة وفقت ـ إلى حد ما ـ فى استبطان مشاعر «زينات» أثناء الجنازة ، الواقع ـ الرمز ، والرجل السمين ، الواقع ـ الرمز ، والقميص الأبيض ـ الواقع الرمز ، والابتسامة الواقع ـ الرمز . وإن لم تخرج عن جو القصة ، ولا عن أثرها العام ، وإن لم تجر وراء الأشكال الغريبة التى لا تنسجم والشخصية ، والحدث ، والموضوع والواقع . وكما بدأت الكاتبة قصتها حاولت وضع نهاية منطقية واقعية لها فلم تكتئب «زينات» ولم تنطو على نفسها ، ولم تصب بأمراض خبيثة ، ولم تمت ، بعد الفاجعة ، كعادة الرومانسيين ، ولكنها (مافتئت تردد بينها وبين نفسها ، دنيا غرورة وكذابة ، ويقال أنها بعد تحرير هذا المحضر بسنوات فى القسم ، احتجزت لأيام فى قسم آخر ، بسبب اشتراكها فى الهوجة ، التى جرت وقتما رفعت الحكومة ثمن العيش وأنها كانت تردد وقتها «ألف رحمة تروح لك ياحبيب الناس كلها» بالاضافة إلى كلام كثير لاداعى له) ص ٨٥ ، وهذه اشارة زكية إلى القوة الكامنة فى أعماق «زينات» من البسطاء الذين نتوهم أنهم غير قادرين على فعل شىء ـ كما أنه تلميح إلى ماحدث فيما سمى بانتفاضة الحرامية فى يناير ١٩٧٧ . ولم يكونوا إلا الجياع .

● ضعف البناء الفنى ●

أم شحتة فى قصة (أم شحته التى فجرت الموضوع) امتدت لشخصية زينات . فهى ايجابية ثائرة تدفع الشباب إلى الثورة والفعل ، ورفض الغلاء وزيادة الأسعار ، وألاعيب موظفى وزارة التموين . وان كنت ألاحظ علو النبرة والخطابية ، والمباشرة . وهى مآخذ من شأنها أن تضعف البناء الفنى . وتجعل صوت الكاتبة هو الأعلى . فقد تحدثت عن وزير الداخلية أيام حكم الرئيس السادات ، ونقلت بعض هتاف الطلاب ضده ، وتناولت موقف الكسالى ممن لايثورون وغير ذلك . . (ناس هايصة وناس لايصة ، انظروا راكبى السيارات ، انظروا الذين يقيمون الأفراح ، والليالى الملاح ، ويعلقون الكهارب بألف لمبة وأكثر ، انظروا للذين يأكلون كل يوم فتاء محلولة ، ونحن ننام على الجوع ؟ انظروا نسوان السينما والتليفزيون ؟ ...) ص ٩٤ وغير ذلك كثير فى قصة واحدة تضرب على نفس الوتر ، والنغمة الناقمة الثائرة .

وإذا كانت «زينات» و «أم شحته» فى مرحلة متأخرة من العمر ، فإن «لوكيميا» طالبة فى الصف الثانى الثانوى . مما يشير إلى أن الكاتبة حريصة على انتخاب شخصيات سوية لها طابع خاص مميز ، يجعل لشخصياتها سمات دالة ملازمة ، لايمكن أن تنفصل عن الشخصية ، كما أن الكاتبة لاتختار نموذجها الفنى والانسانى لكى تبدى لنا قدرتها على الانتخاب والالتقاء فقط ، ولكن لكى تقتحم الأعماق وتستكنه السر ، ولتقول شيئا ذا خطر . ففتاة الفرقة الثانية الثانوية ذات ملامح خاصة وشخصية مستقلة ، تبدو شاذة لأول وهلة ، فتثار حولها الشبهات ، والشكوك والأقاويل ، لكنها ـ فى نهاية القصة ـ سرعان ماتنكشف عن شخصية يسعى الجميع

للاقتراب منها ، ومحاكتها ، والاختلاط بها ، والاستماع إليها اذ أنها تحمل بذرة الثورة والبطولة .

وثمة قصص قصيرة أخرى ضمنتها هذه المجموعة القصصية . انفلتت من أسر الخطابية والمباشرة . ولم تثقل بالتعليقات الجانبية . وان ارتبطت بواقع الحياة الاجتماعية . وعبرت عن رؤية نقدية للجوانب السلبية في المجتمع . وحفلت بعناصر فن القصة القصيرة . دون أن تفقد خصائصها الفنية . يقف فى مقدمة هذه المجموعة من القصص «امرأة على العشب» و «نونة الشعنونة» و «العاشقة» ثم «الزمن الجميل»

نموذج جيد

«وامرأة على العشب» قصة قصيرة جيدة فى ست صفحات من القطع الصغير . تشكل نموذجا جيدا من النماذج التى حرصت الكاتبة على أن تجعلها فى صدر المجموعة . وهى تنتقى ـ هذه المرة ـ امرأة من ساكنات القبور ، حيث يسكن الأحياء فوق الموتى ، حولاء صفراء . أم الولد صاحب الكلب . وهذا هو عالمها . وهى تبيع حبات الترمس أحيانا ! وغالبا لاتبيعه وهنا يكون صراعها مع الخبز ومن أجله فهى ليست جميلة وليست مثقفة وتريد أن تعيش مع وحيدها سالمة ، لكن المخبر القديم المهموم بضرورة تلفيق خمس قضايا فى ثلاثة أيام ارضاء للضابط الجالس إلى مكتبه ، لايتركها فى حالها . يأتيها بين الحين والحين . ليلفق لها تهمة ما ، ابعد ماتكون عن الدعارة لقبحها ، حتى يثبت انه يعمل . وأحيانا يتفق معها على أن يتهمها ، ليدون محضرا ما . تبيت على أثره فى قسم الشرطة ليلة أو ليليتين ، مقابل أجر زهيد جدا يدفعه لها المخبر ، وهى ترضى بذلك حتى تعيش وتأكل هى وابنها والكلب .

إلى هذا الحد بلغت قسوة الواقع الظالم المتناقض ، فالمخبر يترك كبار المسئولين والشحاتين ويبتعد عن أصحاب دور اللهو والمجون ، ولايفكر فى الاقتراب من تجار المخدرات . لأنهم يدفعون رشوة له ولغيره . لكن هذه المسكينة التى لاتجد عونا وعيشا وأمنا ، تكون الضحية ، مقابل أجر بسيط . ومن خلال موقف مكثف يدور فيه حوار حاد بين المرأة والمخبر ، تقول الكاتبة كلاما كثيرا ناقدا جادا ، وتختفى النبرة العالية ؟ والأحكام القاطعة وتحتفظ القصة القصيرة بوحدتها الموضوعية والفنية . دون انفصال عن الواقع الاجتماعى .

والكاتبة كالعادة ـ لاتنسى أن يكون لهذه المرأة حلمها المشروع (اه لو كان لى رجل مثل هذا الصول يعود بالراتب فى طلعة كل شهر ، وأخلف له من العيال تسعة ، يطلع فيهم التاجر والسباك والنيشانجى وأظل معه مثلما النساء بالبيوت أحادث الجارات كل صباح ، وأصبح عند الظهر وأبيت على فراش مريح فى المساء) ص ١٠ هذا . الا أن المخبر ـ الواقع ـ الجاثم ، ينتزعها من هذا الحلم الطبيعى ليساومها هذه المرة ويعرض عليها خمسين قرشا ، كالمرة السابقة (أما هى فكانت قد حسبت حسبتها . فلن يضحك عليها هذه النوبة ابدا ، وهى لن تتنازل عن قمطة حمراء «بالترتر» ورغيف لحم من «المسمط» وهذا يكلف جنيها وربعا ، وخمسين قرشا فى يدها لعوادى الزمان لن تتنازل عن خمسين قرشا فى يدها مهما حاول . حتى ولو أخذها بالقوة . هكذا كان كلامها مع نفسها . أما معه فكان الكلام صلى على النبى ياحضرة الصول . المرة الأولى ظلمتنى . أى والله ظلمتنى . وأنا لم أعد اطيق . والغلاء صار على الجميع ماينفع هذه النوية الا جنيهان والربع . هذا بالعدل والحلال . اتصدق وتؤمن بالله . النوبة الماضية رجعت من التخشيبة وعظمى يكاد ينكسر من نوم البلاط . لن أستطيع هذه النوبة إلا بجنيهين وربع وغلاوة ابنى) ص ١١ .

إنها تبيع أمنها . وراحتها ، وصحتها ، من أجل أن تقبض جنيهين إلا ربع الجنيه ، كى تطعم ابنها وتدخر خمسين قرشا للمستقبل .

زينات

في جنازة الرئيس... عبد الناصر!

وهى لاتفرط فى شرفها وعرضها .. بمثل ماكان «عبده» فى قصة «شغلانه» ليوسف ادريس يبيع دمه ليعيش . والكاتبة استطاعت أن تقنعنا بهذا الواقع ، لتنكره ، ولترفضه ، ولتدفع إلى الثورة عليه . لكنها لم تنفخ فى صورة الشخصية لتجعل منها
ثائرة متمردة ؟ وإنما قدمتها إنسانة عادية تعانى مع طلوع كل شمس ، وتحلم بالزوج والبيت والأولاد لكن «نعيم» ابن الثلاثة عشر ربيعا فى قصة .

« نونة الشعنونة » تعمل خادمة ، وتتوق للتعلم ، وتتطلع الى المدرسة ، وتعرف الجذر التربيعى ، وتبحث فى البصل عن كبريتيت الأيدرجين ، وتحاول تفسير بيت من الشعر العربى القديم ، أستمعت إليه من المدرسة التى تعلم البنات فى المدرسة المقابلة لمسكن مخدومها . وأصبح هذا العالم هو عالمها المستقبلى الذى ترضى بسببه سخافات أبن الضابط وأمه وأبيه بل أنها ترضى العمل خادمة ؟ لأن هذا العمل ، فى هذا البيت ، يربطها شعوريا وعقليا بالمدرسة المقابلة ، التى تسمع فيها صوت المدرسة والبنات والمعانى الحلوة والمعارف الجديدة التى لا توجد فى قريتها . وعندما يأتى والدها ليأخذها معه لكى تتزوج بمن أتى من بلد الرسول ومعه النقود .. يفاجىء الجميع بعدم وجودها . احتجاج ايجابى عملى صارخ ورفض للتخلف والرجوع للوراء . وهاهى الكاتبة تصور لنا شخصيتها فى نهاية القصة المحبوكة

(إن نونة باتت الليلة على فراشها ، فى المطبخ ، دون أن يغفل لها جفن ، تحدق بالسقف المظلم ، وتنظر حينا صوب الشباك ، حيث يقف مبنى المدرسة شامخا خلفه ، وتبدو فوقه قطعة سماوية صافية ، ترقص فيها النجمات ، كانت روحها تدق الهم وتطحنه ، لأنها لا تريد العودة للبلد مرة أخرى ، ولا ترغب العيش وسط الوساخة والبراغيت والناموس مثلما لا ترغب فى الزواج لتصبح ـ كأخواتها ـ مزروعة فى الغلب ـ وانسابت الدموع ، ليلتها ، من عينها بحورا ، وهى ساهرة حتى مطلع الفجر ، ورأت بعينها لون السماء الأبيض ، وحديد الشباك الأسود ، لكنها عندما نادتها السيدة ، لتنهض وتذهب الى السوق لابتياع الخبز ، كان النعاس قد غلبها ، وراحت تحلم بالمدرسة والبنات ، وابن الضابط الذى كانت تصفعه ـ فى حلمها ـ صفعات قوية ، لأنه لا يعرف الجذر التربيعى للخمسة والعشرين ، كما رأت ايطلا ، وكان شيئا جميلا جدا ، لم تعرف أكان إنسيا أم جنيا ، فقد بدا ذا لون أبيض بياض القطن ، له جناحان بألوان قوس قزح الجميلة ، تعلقت بهما نونة فطار أيطلا بها بعيدا ، بعيدا ، عن المطبخ ، والبلد ، والناس حتى صارت فى السماء ، ورأت النجمات الذهبيات عن قرب ، بل وكادت تلامسها ، وذكر الذين رأوا نونة فى صباح ذلك اليوم ، أن وجهها كان يحمل تعبيرا غريبا ، هكذا قال الضابط وزوجته ، اللذان أكدا أن نظراتها لم تكن طبيعية أبدا ، عندما ناولته علبة السجائر ، وهو يهم بالخروج ، وعندما طلبت منها السيدة أن تعدل منديل رأسها قبل أن تذهب لابتياع الخبز) ص ٣٥ .

لقد حرصت أن أنقل بعض الفقر المطولة عن الكاتبة ، كى لا أحول بينها وبين القارىء . فأترك أسلوبها وطريقة معالجتها ، ولغتها بين يدى القارىء ليقول كلمته ، اذ يصبح وجها لوجه أمام النص نفسه .

الطفلة هنا ثارت بشكل طبيعى يتلائم وتكوينها وطموحها ، والثورة نابعة من واقعها من أجل تحقيق حلم مشروع ، لتغير به واقعها القاسى . لقد ارتبطت بالتقدم ، ورفضت العودة الى البلدة دون ارتكاب إثم ما . حيث تمثلت أشياء معنوية فكرية ثقافية . لم تجذبها الماديات ، ولم تسع لاقتنائها . وانما هى تتطلع الى عالم فيه معرفة وتعليم وتربية من نوع

مختلف تحملت الكثير والكثير فى سبيل البقاء أمام نافذة المطبخ التى تطل على المدرسة وعندما وجدت أن القوى الخارجية جاءت لتنتزعها من هذا العالم ، هجرته وتمردت عليه ، وتركته الى الأبد بمثل رفضها أن تناديها مخدومتها باسم « نونة » كانت تتمسك باسمها الحقيقى الذى يدل على شخصيتها الطبيعية ، وماضيها ، وكينونتها الخاصة .

هذا التحول فى حياة « نعيمة » الخادمة الصغيرة . كانت تنظر اليه الطبقة الأخرى المسيطرة على أنه جنون فى جنون ، السعى نحو المعرفة الارتباط بالتقدم الفكرى ممارسة الرياضة البدنية ، معرفة الجذر التربيعى ، ومعلومات فى الفيزياء والطبيعة ، وأبيات من الشعر العربى ، جنون فى جنون رغم ماتحفل به قصص المجموعة من سلبيات . تنقدها الكاتبة ، وتشير اليها ، بهدف تغييرها ، فإنها فى قصة (العاشقة) تقدم نموذجا ايجابيا واقعيا لامرأة « فايزة » الممرضة ، فى الاربعينيات من عمرها ، مع الضغوط الجاثمة والمحيطة بها فى البيت والمستشفى ، والشارع ، ومع اختلاف القيم الاخلاقية ، وعفن العلاقات الاجتماعية ، وانتشار الرشاوى حولها ، وسوء سمعة زميلاتها . مع ذلك كله ، فإنها تؤدى واجبها بشكل جيد جدا ، وإن كانت تعانى صحيا من كثرة الحركة ، وطول الوقوف ، ومشاكسات المرضى ، وأعباء المنزل ، وجفاء الزوج ، كل ما يدور حولها يدفعها الى أن تكون شخصية غير مبالية

وقد التقطت الكاتبة جزئيات صغيرة من حياة « فايزة » فى المستشفى ، وفى البيت ، وفى الشارع لتعيش واقع حياتها اليومية ، ولتشعر بمدى المعاناة الشاقة الحقيقية التى تعيشها كل لحظة ، وكل ثانية ، وكل يوم منذ طلوع الشمس وحتى آخر الليل نضال بطولى يستحق التقدير ، ومواجهة لكل العوامل المثبطة ، وسط واقع مؤنس . يدفع الى عكس ما تفعله « فايزة » النموذج المشرف للمرأة المصرية الأصيلة الصادقة تعمل بشرف وأمانة واخلاص ، وتتحمل ما لا طاقة لامرأة أن تتحمله ، وهو عذاب يومى قدر عليها ، ومع ذلك فإنها تنعم به ولا تكل ، اللهم الا ذلك الحلم الجميل الذى ينبع من واقع حياتها ، وكأنه حلم مشروع . ذلك أن الكاتبة لم تحرمها من عنصر « الحلم » واستشراف المستقبل ، حيث تطير كالحمامة فى سماء زرقاء ، لتعيش حياة حافلة بالحب ، خالية من المشاكل . فى محاولة من الكاتبة لاقتناص « لحظة حلوة » تساعد على تحمل الواقع بكل ما يضطرب فيه ، إذ سرعان ماترد « فايزة » الى واقعها الذى اعتادت عليه . (لكن .. دون أن تدرى ، كيف يجرى لها ذلك على وجه التحديد ، ترتسم فجأة فى عينها المغمضتين بقوة ، وعلى نحو بالغ الوضوح صورة ابنها الصغير ، يبتسم لها ببراءة ، قافزا ، ليطوق رقبتها ويمطرها قبلات كثيرة ، فتضيق قليلا وتشعر بقلق وتتقلب فى فراشها ، ثم تزيح زوجها لينام على جنبه الآخر ، ليكف عن الشخير ، قبل أن تستسلم لسبات عميق ، والقصة ذات وحدة فكر ، ووحدات شخصية ، ووحدة انطباع ، وإن خلت من الحوار ، فإن القارىء قادر على تحليل المواقف الحوارية التى يمكن أن تحدث ، من خلال اللقاءات التى التقطتها الكاتبة للشخصية « فايزة » فى المستشفى ، وفى البيت ، وفى الشارع .

وهكذا كانت « فايزة » كما كانت السيدة على العتب فى أول قصة امرأة تكافح وتدخل التخشيبة بارادتها لتعيش و « لوكيميا » الفتاة التى تتحمل الوشايات والدعايات فى سبيل هدف أسمى ، و « نونة » الشعنونة تتخذ موقفاً ايجابيا ، فتترك خدمة الضابط ، وترفض الخضوع لارادة أبيها الذى يريد تزويجها ، لتتعلم ولتتحرر كما كانت « زينات » و « أم شحتة » و « نونة » فى « الزمن الجميل » وبذلك فى شكل قصصى اجتهد كثيرا فى محاولة الاقتراب من خصائص فن القصة القصيرة .

قضايا نقد الشعر في التراث العربي

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

تراثنا النقدى العربي ، تراث حافل وخالد وممتد على مرور الايام ..

من فحوله الشعراء للأصمعي وطبقات الشعراء لابن سلام ، والبيان والحيوان للجاحظ ، وقواعد الشعر لثعلب ، والبديع لابن المعتز . الى نقد الشعر لقدامة ، والموازنه للامدى ، والوساطة للجرجانى ، واعجاز القرآن للباقلانى ، والموشح للمرزبانى ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي والعمدة لابن رشيق ، والاسرار والدلائل لعبد القاهر والمثل السائر لابن الأثير .. وغيرها .. الى العصر الحديث .

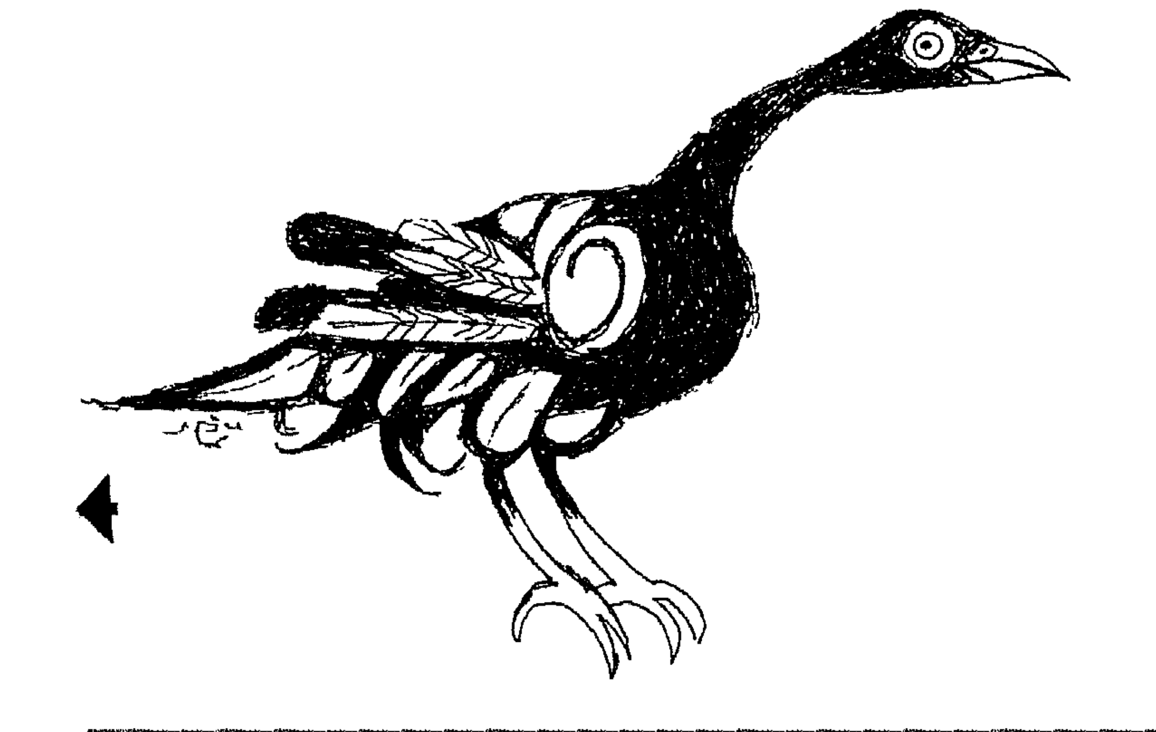
أعمال نقدية كبيرة وكثيرة ومتصلة، تدل على ثراء الفكر النقدى العربى وتعدد مذاهبه وتياراته ومدارسه ..

والدراسات التى صدرت عن هذا التراث كثيرة ، ومتتابعة ، ولكن هذا الكتاب الجديد « قضايا نقد الشعر فى التراث العربى » للدكتور محمد أحمد العزب بجزئيه الكبيرين اللذين يقعان فى تسعمائة صفحة ، قد شد نظرى ، وآثار اهتمامى الى حد كبير ، لموضوعه، وجدية البحث فيه ، واجتهادات المؤلف الكثيرة المضيئة فى كل فصوله .

وفى مقدمة الكتاب يقول المؤلف ان الغرض من كتابه ، والهدف العلمى من ورائه ، اعادة تصنيف المقولات النقدية فى كتب التراث ، والنظر اليها من خلال كونها تعبيراً عن موقف نقدى محدد وليست سوانح هائمة فى فراغ المصادفات ويقول : انه حين ألحت عليه فكرة اعادة قراءة التراث النقدى ، ومن ثم اعادة تصنيف قضاياه ومقولاته الهامة ، كان من بين الدوافع الى هذا أن التراث غاص بالرؤى النقدية ، كذلك ، ولكنها قد يصعب أحيانا جمعها معا على صعيد واحد فى الكتاب الواحد، فضلا عن تعدد الكتب لبعض هؤلاء المؤلفين من النقاد .

ويقول ، ولكننى أزعم أننى - لاول مرة ربما - درست قضايا النقد فى كتب التراث ، بعد تصنيفها من جديد ، دراسة نصيه متأنية .

والكتاب يبدأ - فى جزئه الاول - بمدخل عن طبيعة النقد ، من المنظور اليونانى ، والمنظور العربى القديم ، وفى هذا المدخل يعرض لقضايا كثيرة كقضية



نزوع النقد اليونانى القديم فى بداياته الى تأسيس نظرية فى الفن ، وكقضايا النقد التى اثيرت فى النقد العربى فى العصر العباسى : كقضية اللفظ والمعنى وقضية الطبع والصنعة ، والموازنات والسرقات الشعرية ، والطبقات وكقضية القدماء والمحدثين وغير ذلك .. **ومن اهم القضايا التى اثيرت قضية عمود الشعر ، وقضية الانتحال** ، وقد عرض المؤلف لذلك كله فى ايجاز شديد ، فى «المدخل» فى حرص كبير على الموضوعية والمنطق ، والتدرج .

ويعرض المؤلف فى الفصل الاول لقضايا نقد الشعر فى كتاب فحولة الشعراء للاصمعى (ــ ٢١٦ هـ) كقضية فحولة الشاعر فى النقد ، اى الجودة الفنية ، وقضية القديم والمحدث، وقضية التاثير بالبيئة والجنس وقضية البناء الفنى للقصيدة الشعرية والانتحال والسرقة .

وفى الفصل الثانى يعرض لقضايا نقد الشعر فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام (ــ ٢٣١) . ومن بين هذه القضايا : قضية الطبقات ، والانتحال وثقافة الناقد ، والموازنة والتيار اللغوى فى النقد ، والابداع متحررا أو ملتزما .

و « الحيوان » للجاحظ وقضايا النقد فيه هو موضوع الفصل الثالث ، من مثل قضية البناء الفنى للقصيدة ، وقضية التاثيرات المختلفة ، والقديم والمحدث، والانتحال ، والتجربة الشعرية والتحرر والالتزام ، اقدمية القصيدة العربية وغيرها .

وكذلك كان كتاب « البيان والتبيين لابى عثمان الجاحظ (ــ ٢٥٥ هـ) وقضايا نقد الشعر فيه هو موضوع الفصل الرابع ، ومن بين هذه القضايا التى بحثها : الوحدة الفنية فى العمل الشعرى ، وعلاقة العمل الفنى بالصنعة والتجربة الشعرية ، ورسالة الشعر ، والارتجال فى الفن الشعرى ، وغير ذلك .

وابن قتيبة وكتابه «الشعر والشعراء» وقضايا نقد الشعر فى هذا الكتاب ، هو موضوع الفصل الخامس من الكتاب القيم الذى الفه الدكتور محمد العزب ، ومن بين القضايا التى اثارها ابن قتيبة

قضية المنهج ، والبناء الفنى ، والقديم والحديث ، والانتحال ، وثقافة الناقد والشاعر ، والموازنات ، وغيرها ٠

ويجيء المؤلف الى أمام اللغة ثعلب (ــ ٢٩١ هـ) وكتابه « قواعد الشعر » وقضايا نقد الشعر فى هذا الكتاب حيث يجعل ذلك كله موضوع الفصل السادس من كتابه القيم النفيس ، والقضايا التى يثيرها هذا الكتاب قد اتكأ ثعلب فيها ــ كما يقول الدكتور المؤلف ــ على الكثير مما أفاده من علماء اللغة والنحو والعروض ، ولجأ ثعلب فيها الى التقسيمات العقلية المجردة بعيدا عن ثورة النقد والنقاد فى عصره ٠

وابن المعتز (ــ ٢٩٦ هـ) وكتابه « البديع » وقضايا نقد الشعر فيه هو موضوع الفصل السابع من الكتاب والبديع من اخطر قضايا النقد التى أثيرت فى القرن الثالث الهجرى بكل ألوانه وتقاسيمه ٠٠ وكذلك كان كتاب ابن المعتز « طبقات الشعراء » وقضايا النقد فيه موضوعا للفصل الثامن من كتاب الدكتور العزب ، ومن بين هذه القضايا : قضية ثقافة الناقد والشاعر والقديم والحديث ، والارتجال وغيرها ٠٠ وبذلك ينتهى الجزء الاول من هذا السفر الكبير ، الذى يحمل مجهودا نبيلا وجليلا بحق ٠

ويبدأ المؤلف الجزء الثانى من كتابه بالفصل التاسع ، الذى عرض فيه بالتفصيل لقضايا نقد الشعر عند ابن طباطبا (ــ ٣٢٢ هـ) فى كتابه « عيار الشعر » ، كقضية البناء الفنى بين الطبع والصنعة ، واللفظ والمعنى والصدق الفنى ، والقدماء والمحدثين ٠

والصولى (ــ ٣٣٦ هـ) وكتابه أخبار أبى تمام وقضايا نقد الشعر فيه ، هو موضوع الفصل العاشر من الكتاب : كقضية القدماء والمحدثين ، والطبع والتكلف، والتجربة الابداعية ، والتحرر والالتزام ٠٠ وكنت أظن أن المؤلف سيعرض لكتاب الصولى الاخر ولقضايا نقد الشعر فيه ، وهو كتاب أخبار البحترى للصولى ، ولكن الدكتور اعرض صفحا عن هذا الكتاب ، مع انه قرين للكتاب الذى عرض هو أخبار أبى تمام ٠

وماذا أقول فى بحوث هذا الجزء الكثيرة التى قد تكون الاطالة فى عرضها مملة للقارىء :

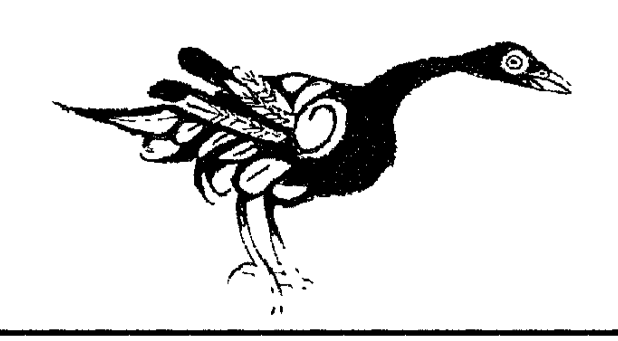
ــ نقد الشعر ، وقضايا النقد فيه والكتاب مشهور ، ومؤلفه قدامه مشهور الفصل الحادى عشر ٠

ــ الموازنة للأمدى (٣٧١ هـ) وقضايا نقد الشعر فيه ــ الفصل الثانى عشر ٠

ــ الموشح للمرزبانى وقضايا النقد فيه ، الفصل الثالث عشر ٠

ــ الوساطة للجرجانى (ــ ٣٩٢ هـ وقضايا النقد فيه ، الفصل الرابع عشر ٠

ــ جمهرة اشعار العرب للقرشى



وقضايا النقد فيه ، الفصل الخامس عشر .

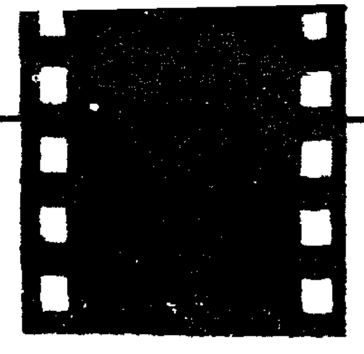
ولنا ملاحظة على الحديث عن الجمهرة هنا ، وكان يجب أن يعرض لها الباحث فى الجزء الاول بعد الأصمعى وكتابه فحولة الشعراء لانهما أثران نقديان كتبا في أوائل القرن الثالث الهجرى ، اما وضع الجمهرة مع الوساطة فذلك - تاريخيا - غير منتظم مع التسلسل التاريخي للفكر النقدى العربى ، الذى حرص المؤلف الباحث على الالتزام به .

- العمدة لابن رشيق (- ٤٥٦ هـ وقضايا النقد فيه - الفصل السادس عشر .

وكم كنت أحب أن يكمل المؤلف عمله، فيحدثنا عن قضايا نقد الشعر ، فى سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (- ٤٦٦ هـ) ، وفى أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى (- ٤٧١ هـ) ، وفى المثل السائر لابن الأثير (- ٦٣٧ هـ) على أن المجهود الكبير الذى بذله المؤلف الباحث لايمكن ان يتحمله باحث لطول الرحلة العلمية التى قام بها المؤلف من جانب ، ولكثرة التيارات والمذاهب والمدارس والنظريات التى عرض لها من جانب آخر ، ولتعدد الشخصيات والعصور التى وقف المؤلف امامها اخيرا .

وخطر هذا الكتاب يتمثل فى أن المؤلف قد استطاع فيه بمهارة وحذق وعمق وموضوعية أن يثبت لنا قضية خطيرة ، وعلى جانب كبير من الاهمية، **وهى أن النقد العربى لم يتخلف عن نظيره ، وهو النقد اليونانى وأن هذا النقد العربى القديم قد استطاع أن يقدم لنا نظرية نقدية متناغمة ومتطورة معا ، وان حس التنظير فى هذا النقد ابرز من ان يحتاج الى سوائد** وانه كان ينزع فى مجمله عن رؤية نقدية صوابية تضع شرط الفن فوق كل الشروط الطارئة التى يمكن أن تكون روافد أو مؤثرات ، كما يقول المؤلف فى خاتمة الكتاب ، الا ان نقدنا العربى القديم كان ينطلق فى رؤيته النقدية من منطلق علمى حقيقى .

ولاريب أن الكتاب يحمل صبغة الموضوعية والدقة والعمق والاستقصاء والموسوعية جميعا .. ولعل الجهد المبذول يحفزنا الى أن نؤكد أن المؤلف قد وفق في هذه الرحلة العلمية الموضوعية توفيقا ملحوظا ، وانه على طول الدراسة قد وصل الى نتائج كبيرة الاهمية وان كان ظنى قد اتجه بالبحث أن يكون الباحث قد أفرد القضايا النقدية بالبحث ، وعرض لكل قضية من خلال كتب التراث النقدى العربى .. ولعل تلك الجولة الجديدة أن تكون موضوعا للمؤلف لكتاب جديد، نفيد منه ثانيا ، كما افدنا من هذا الكتاب أولا كل الفائدة واجلها .



السينما العالمية بين أنياب الفك المفترس

بقلم: مصطفى درويش

لو اطلعنا على كل من كتاب الفيلم السنوى - ١٩٨٧ ، و « دليل الفيلم العالمى - ١٩٨٧ » لملئنا مما انطويا عليه من معلومات رعبا

فالاول تقتصر اخبار السينما فيه على الافلام التى جرى عرضها داخل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة . ومادار حولها من حواديت واخبار اما ماعدا ذلك من افلام فلا ذكر لها - حتى لو كانت من روائع السينما العالمية - سواء بالخير او بالشر . باختصار جعل اصحاب الكتاب منها نسيا منسيا

ونظرة طائرة على الأفلام التى عرض الكتاب لها يتبين منها .

أولا : إن معظمها من انتاج او توزيع الشركات الامريكية السبعة الرئيسية ، ومعها شركة ثامنة اسرائيلية الهوية ، اطلقوا عليها اسم « كانون » .

ثانيا : ان السينما التى ابدعها صانعو الاطياف فى الهند والصين الشعبية وجنوب شرق آسيا - وهى فى مجموعها يشكل سكانها اكثر من نصف تعداد سكان العالم - هذه السينما لم تحظ بنصيب - ولو ضئيل - من زمن العروض على



الشاشات الامريكية والانجليزية .

● السود واليهود ●

ثالثا ان القارة السوداء لم يستطع المتفرج الامريكي او الانجليزي أن يراها بعيون افريقية ، فلم يعرض على الشاشات سوى فيلم واحد آت من « مالي » اسمه « الريح » بل إن أحدا من محرري الكتاب لم يتسع وقته لإلقاء نظرة سريعة عليه والكتابة عنه .

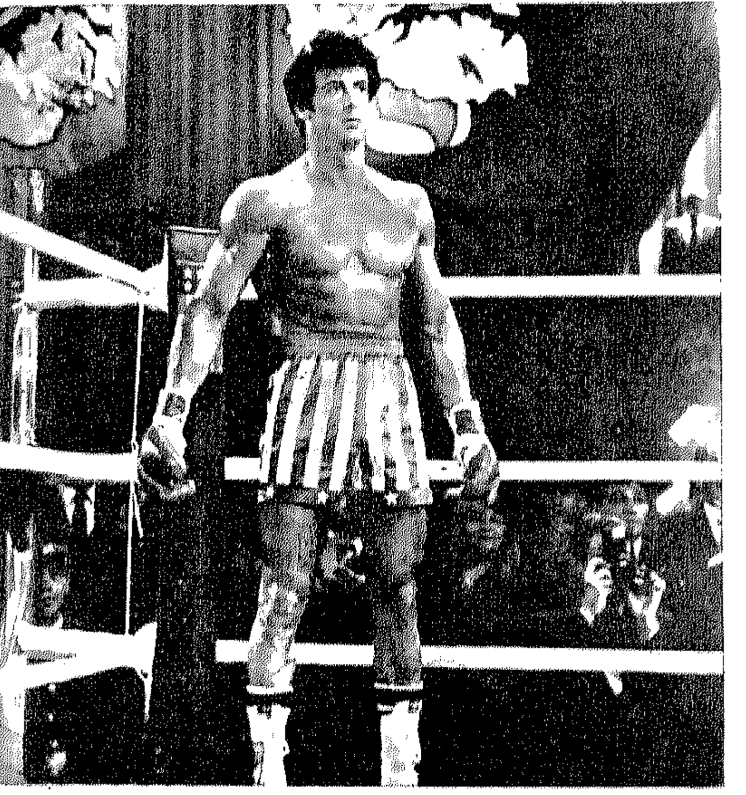
رابعا : ان الافلام المعبرة عن هذه القارة المبتلاة بثالوث الفقر والجهل والمرض ، انما عبرت عنها من خلال عيون يهودية امريكية « اللون القرمزي » لصاحبه « ستيفن سبيلبرج » « والخروج من افريقيا » لصاحبه « سيدني بولاك »

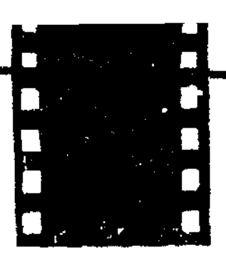
خامسا : **إن سينما الوطن العربي وما حوله من شرق ادنى ممتد من تركيا الى باكستان مرورا بايران ، هذه السينما لم تتح لاى من افلامها فرصة الوصول الى قلوب وعقول الملايين من الامريكيين والبريطانيين .**

سادسا : ان الفيلم الوحيد الذى نجح فى التسلل الى هذه القلوب والعقول بفضل شركة « اخوان وارنر » الامريكية ، فيلم اسمه « فيما وراء الجدران » لصاحبه المخرج الاسرائيلي « يوري بارباش » .

ومما قيل ، ولايزال يقال عنه فى مجال الاشادة به ، انه يعرض لمعاناة الفلسطينيين والاسرائيليين في غيابات سجون ارض الميعاد .

سيلفستر ستالونى بطل « رامبو » و « روكى » مرتديا العلم الأمريكي





السينما العالمية

سابعا : ان افلام اوروبا الشرقية التى جرى عرضها ـ وهى قليلة جدا ـ كان من بينها « عندما كان ابى غائبا فى رحلة عمل » لصاحبه المخرج الشاب « امير كوستوريكا » المنحدر من عائلة مسلمة ـ وهو اول فيلم يوغسلافى يخرج من مهرجان كان متوجا بجائزة السعفة الذهبية (١٩٨٥) .

ولعله من اللازم هنا أن نذكر ان هذا العرض العالمى قد أتيح له لالشىء سوى ان شركة « كانون » الاسرائيلية قد بادرت الى شراء حق توزيعه فور فوزه بالجائزة الثمينة المشتهاة .

● رامبو ـ ريجان ●

ثامنا : إن الجمهور الذى شاهد افلام « سيلفستر ستالونى » وحدها ـ وهى ثلاثة فقط لاغير ـ فاق بكثير الجمهور المشاهد لجميع الافلام التى لعب دور البطولة فيها نجوم هوليوود من الرجال « روبرت ردفورد » و« جاك نيكلسون » و« كلينت ايستوود » ، فضلا عن نجومها من النساء الفائزات بجائزة الاوسكار مجتمعات « فستالونى » عاريا الا من العرق المتصبب من اعلى الخصر فى « رامبو ٢ » و« روكى ٤ » ، مدججا بالسلاح من اخمص قدميه حتى قمة رأسه فى « كوبرا » ، متحديا الجاذبية والممكن كما « طرزان » ، هازما جميع جيوش الاعداء وحده ، « ستالونى » هذا هو الذى حدد معايير النجاح والفشل ، المكسب والخسارة ، تلك المعايير التى خضع لها شباك التذاكر ، والتزم بها بالنسبة لجميع الافلام على مدار العام ، مبرهنا بذلك ان احدا لايستطيع ان يقهر العضلات الهرقلية الجبارة اذا ما تحركت فى عام الغارة الامريكية على ليبيا .

تاسعا : إن الأفلام التى على شاكلة « رامبو » و« كوبرا » مثل « فقد فى المعركة » و« غزو الولايات المتحدة الامريكية » و« كوماندو » و« قوة دلتا » لم تر النور إلا لأنها حسب رأى الناقد « هارلان كينيدى » (ص ١٤٦) وليدة ذلك الشعور بالفشل الناجم عن الهوة المتزايدة بين المواقف السياسية المعلنة وبين الانجازات فى امريكا المعاصرة

فلو كان مذهب « ريجان » القائم على مواجهة امبراطورية الشر بالعنف ناجحا فى العمل كما فى القول ، لما كان ثمة حاجة لصناعة سوبر ابطال من بنات الخيال كما « رامبو » (ستالونى) ومغاوير (ارنولد شوارزنيجر) و(شك نوريس)

وهنا يحلو للناقد ان يذكرنا بدور المعوق المقطوع الرجلين فى فيلم « كنجزراو » الذى يعتبر فى نظر الكثير اشهر واحسن دور اسند لرونالد ريجان

طيلة الحقبة السينمائية من حياته الحافلة بالتناقضات .

● التمييز العنصرى

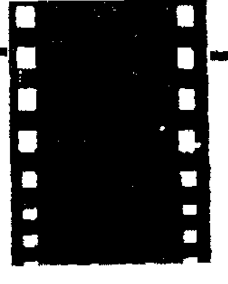
عاشرا إن ماعرض من افلام بلاد الشمس المشرقة لايتجاوز فى العدد اصابع اليد الواحدة ، وذلك رغم أن السينما فى تلك البلاد ولئن كانت قد ضلت طريقها فى السبعينيات وبدايات الثمانينيات ، فإنها سرعان مااستردت إنفاسها ، وسرعان ما احتلت مكان الصدارة فى ساحة الفن السابع منذ عامين او يزيد .

ولعل الفضل فى ذلك يعود الى شيخ مخرجيها « اكيرو كورا ساوا » مع كوكبة ملهمة من مبدعى الافلام امثال « ماساهير شينودا » صاحب « جونزا الرماح » الفيلم المتوج بجائزة مهرجان برلين الاولى (١٩٨٦) والذى عرض فى مهرجان القاهرة الاخير ، و« يوشيشيجى يوشيدا » صاحب « وعد » و« يوشيميتز موريتا » صاحب « بعد ذلك » و « الموت فى توكيميكى » و« يوجيرتاكيتا » صاحب « مجلة هزلية » و« كايزو هاياش » صاحب « النوم من اجل الحلم » .

وقد يكون من الخير هنا أن نلاحظ ان اصحاب الكتاب قد اعتبروا « فوضى » فيلم « كيروساوا » الأخير واحدا من اهم افلام العام ، ادخلوه ضمن احسن اربعة عشر عملا سينمائيا لاقت استحسان النقاد او الناس او الاثنين معا ، وهـ « حنا وشقيقاتها » (وودى آلن) ، « ا... القرمزى » ، « قبلة المرأة العنكبوت » (هيكتور بابنكو) ، « مبتدئون تماما » (چوليان تمبل) « فى قاع بيڤرلى هيلز » (بول مازورسكى) ، « رامبو ٢ » (چيمس كاميرون) ، « روكى ٤ » (ستالونى)

السود بعيون اليهود





السينما العالمية

« شرف بريزى » (چون هوستون) ، « بعد ساعات العمل » (مارتين سكورسيزى) « العودة الى المستقبل » (روبرت زيمسكيس) ، « البرازيل » (تيرى چيليام) « حد خشن » (ريتشارد ماركان) ثم « الخروج من افريقيا » .

والفيلم الاخير كان مرشحا مع « فوضى » للعديد من جوائز اوسكار (١٩٨٦) .

ومن عجب انه هو الذى كتب له ان يخرج من مضمار اوسكار الدامى متوجا بسبع جوائز . من بينها جائزتا احسن فيلم واحسن اخراج .

فى حين ان فيلم « كيروساوا » لم يقدر له ان يفوز الا بجائزة واحدة يتيمة (الملابس) تفضل بها المسنون المتحكمون فى شئون اكاديمية السينما الامريكية تفضلوا بها على المخرج اليابانى الكبير .

وهنا قد يكون من المفيد الوقوف قليلا عند هذين الفيلمين ، كيما نرى كيف تخطىء هوليوود الحساب .

أنفقت عاصمة السينما على « الخروج من افريقيا » ستة وعشرين مليون دولار ، ومع ذلك جاء الفيلم خلوا من السحر والسر اللذين بدونهما لايمكث العمل الفنى فى الذاكرة ، خلوا من تصوير افريقيا ابان الربع الاول من القرن العشرين على الوجه الذى نحب .

اما « فوضى » فلم ينفق عليه سوى نصف هذا المبلغ من الدولارات او ربما اقل قليلا ، ومع ذلك فهو آية من آيات الفن السابع التى نتجمل بها ، نحيا بزادها طويلا

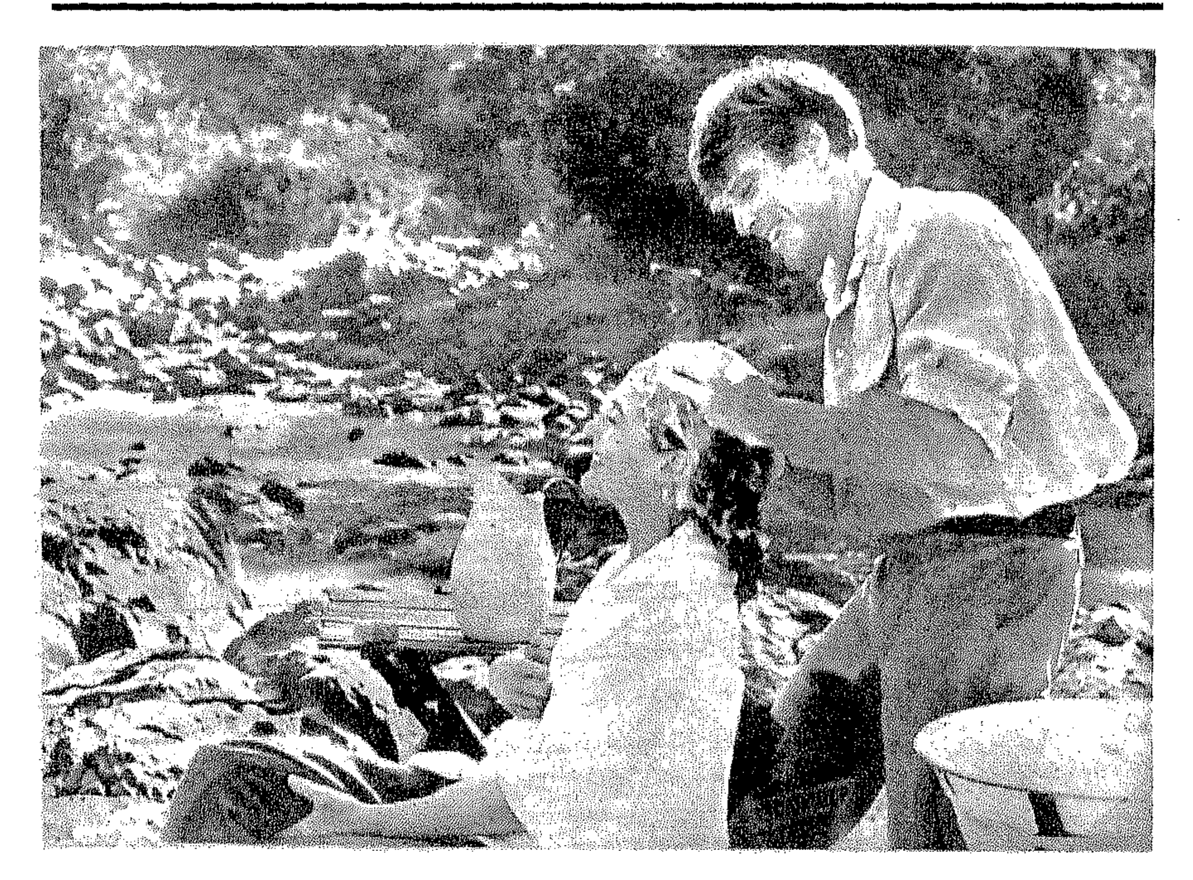
وعلى كل ففى فيلم « بولاك » تمثل النجمة اللامعة « ميريل ستريب » دور كاتبة القصة « ايزاك دينيسن » المنحدرة من اصل دانمركى ، والتى شدت الرحال الى كينيا قبيل اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى بأشهر معدودات ، لالشىء سوى ان تبدأ حياة جديدة مع زوجها البارون « براور بليسكن (كلاوس ماريا براندور) فى ضيعة لزراعة البن اشترياها بغرض الاستقرار والاستعمار .

● أغنية البجعة ●

غير انه ما ان لمست قدما البارونة « كارين بليسكن » او « ايزاك دينسن » ارض الضيعة ، حتى انتصبت امام عينيها افريقيا شامخة فى كبرياء ، حتى سمعت تغاريد تخرج من فم القارة العذراء ، يرددها صوت رخيم انخطفت بحزنه ، شعرت به مجهدا ، مودعا الحياة ، فأحست بقلبها يتعصر ، وعينيها تغيمان .

وكان ان اسرعت بتدوين ماسمعت ، تحولت به فى نهاية المطاف الى انشودة تبكى مرارة الفراق والفقدان .

والفيلم مستوحى بتصرف من كتاب



الرجل الابيض في فردوس افريقيا « قبل الخروج »

« ايزاك دينيسن » الذى اعطته اسم « الخروج من افريقيا » وهو عبارة عن ذكريات وباقة من الحكايات ، ضغطت الزمن فيها واعادت تشكيله ، دمجت الوقائع بحيث لم تبح فيها الا بالنزر اليسير من الاسرار . لم تسجل منها الا مقاطع تصلح للدلالة فقط عن احاسيسها فى دورة حياتها التى قضتها فى ربوع افريقيا تسمع التغاريد الاخيرة .

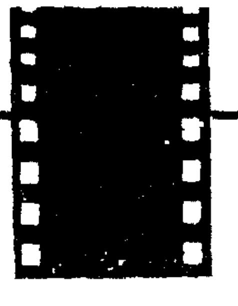
ومهما يكن من شيء ، فبفضل « كورت لوتكيه » كاتب السيناريو والحاصل على الاوسكار عنه ، ملئت الفراغات فى هذه الذكريات والحكايات ، وبفضل « بولاك » صاحب « انهم يقتلون الجياد .. أليس كذلك » خرج الفيلم فى شكل قصة كاملة متكاملة ، وفى صورة مشاهد مرسومة رسما مدهشا ، تنهض على اقل القليل من الحوار .

● حلاوة زمان ●

وهو يبدأ بالبطلة وحيدة لاتغمض لها عين ، تستعيد حلما بعين المنال ، تتصور إفريقيا بمروجها وغاباتها ، بوديانها وجبالها تناطح بجلالها السحاب ، تتصور حبها الاول والاخير .

ثم يلتفت الفيلم الى الوراء ، الى ماضيها حيث نراها فى كينيا تستقبل حياتها الجديدة بوجهها الناعم الهادىء ، بعينيها الزرقاوين الواسعتين اللتين لم تفقدا بعد حلاوة الحياء .

ومع ذلك فثمة مسحة من الحزن والالم



السينما العالمية

المكبوت تطفو على سطح هذا الوجه الجميل .. لماذا ؟

لأن الاقدار قد جمعتها فى رباط يعز فكه مع رجل « براندارو » لايجمع بينها وبينه أى جامع ، لاالذوق ، ولا العقل ، ولا المزاج ولا العاطفة .

فما من لذة فى الكون تفوق فى اعتباره ، لذة الاستمتاع بالمال والنساء ، وهى من هذه السوقية فى جحيم .

ثم كان ماكان .. غيرت افريقيا مسار حياتها ، دفعت نفسها المتعطشة الى الهدوء والبساطة والصفاء ، دفعتها دفعا الى حب الارض والناس .

اعتمدت على إخلاص خادمها الصومالى الامين « فرح » ، وعلى صداقة رائدين لايستقران ، لايتقبلان الحياة كما هى ، يبحثان عن المجهول دوما .

وكان لأحدهما « فنسن هاتون » (روبرت ردفورد) منزلة خاصة ، كان ارستقراطى الطباع ، طيارا ، بطلا فى الحرب ، رياضيا ، مولعا بالصيد .

وكان كلما اقتربت منه زاد من الابتعاد .

ولكن لا دوام لنعيم مقيم على الارض .

فبعد اعوام من السعادة افلست المزرعة ، مات « هاتون » فارس الاحلام اصابها الزوج البارون بالزهرى ، تركت الفردوس مهزومة ، أقرب الى حطام .

واذا كان فيلم « بولاك » هكذا ، فهو لايعدو أن يكون فى جوهره حنينا واشتياقا الى أيام كانت فيها افريقيا فردوسا يسود فيه البيض السود .

● الاتحاد قوة ●

والآن الى « فوضى » الذى جاءت فكرته « كيروساوا » ، وهو يعيش فى كوخه المحبب الى نفسه ، والمطل على جبل « فوچى » بمنظره الخلاب بعد ان فقد شريكة حياته الممثلة « بركوياجوش » .. كيف ؟

منذ عشرة أعوام الا قليلا ، وأثناء شتاء برده قارص شديد ، أخذ « كيروساوا » يتذكر حكاية شهيرة من التاريخ اليابانى القديم ، بطلها لورد محارب اسمه « مورى موتونارى » .

وما ان اكتملت فى ذهنه صورة هذا اللورد ، حتى بدا وكأنه من لحم ودم ، وحتى بات لايفارقه .

فما هى الحكاية ؟

كى يوضح لأبنائه الثلاثة مزايا ان يكونوا يدا واحدة ، وصوتا واحدا ، امسك اللورد « مورى » بسهم منفرد وشرع فى كسره فانكسر ، ثم امسك بثلاثة اسهم مجتمعة محاولا كسرها ، فلم يفلح .

وفهم الابناء المقصود بالرسالة ، عاشوا بحكمتها سعداء ولكن سؤالا ظل يطارد « كيروساوا » .

ماذا كان يمكن ان يحدث لأسرة اللورد « مورى » فيما لو لم يستمع الابناء للنداء ، فتفرقوا واصبحوا اعداء .

وهنا شرد به خياله الى العجوز « لير » وبناته « جونريل » و« ريجان » و« كورديليا » فى مسرحية شكسبير .

● ولادة رائعة

ومن داخل نفسه المولعة بالأديب الانجليزى الكبير من داخل ماترسب فيها على مدى السنين تذكر فيلمه « قلعة خيوط العنكبوت » او « عرش الدم » (١٩٥٧) المستوحى من مسرحية « ماكبث » .

تذكر كيف ازدادت « ليدى ماكبث » اندفاعا بجنون الطموح ، بقوة تداعى الاحداث ، ومنطقها الى مزيد من القتل والايغال فى الجريمة وأوحالها .

كيف اغتالت النوم بحيث لاتستطيع ان تفلت من حمى الارق الا الى كابوس دائم لايقتصر عذاب العيش فيه عليها وعلى زوجها بل يشمل الجميع مذنبين كانوا ام ابرياء .

وبفضل هذه الافكار والمؤثرات التى اتصلت بفكره ، وبفضل وشوشات لم يكن يحسب لها اى حساب ، تحولت بنات « لير » الثلاث إلى ابناء ثلاثة للورد « هيديتورا » وتحولت « ليدى ماكبث » الى زوجة الابن الاكبر « ليدى كايدى » .

وما أن اكتملت فى ذهن المخرج الكبير صورة هذا اللورد ، وهذه الليدى ، حتى بات من السهل عليه ان يخلق الظروف التى تمكن من كشف ما فى نفسيهما ، ومن فضح ما فى الحياة التى تكرّ حواليهما من بشاعة وغثيان .

وفى اقل من شهر انتهى مع معاونيه من كتابة سيناريو « فوضى » الذى ظل بأطيافه حبيس الأدراج ، أسير الظلام زهاء تسعة اعوام .

وبغتة جاءه الفرج فى صورة ممول يحمل فى حقيبته المال اللازم للابداع .

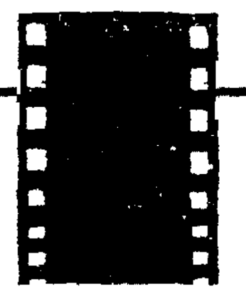
وما ان اكتمل الاعداد للتصوير ، واخذت الكاميرات فى الدوران حتى بدأت ملامح اللورد « هيد يتورا ـ لير » (تاتا سويا ناكا داى) و« الليدى كايدى (ميكوهارادا) تبرز كما من خلال الضباب ، ثم لم يلبث الضباب أن انقشع ، واذا امامنا فيلم يعكس كمرآة الفوضى التى تشوب العلاقات الاجتماعية .

● عالم يشتعل ●

فكل أنواع الولاء التى يرتهن بها الاستقرار كولاء الرعية للحاكم ، والولد لابيه ، والزوجة لزوجها ، والخادم لسيده ، ها هى ذا على الشاشة العريضة تتفكك ، تتهاوى حتى تذوب وتتلاشى .

فليدى « كايدى » وزوجها « چيرو » وشقيقه « تارو » ابنا اللورد العجوز ، انما هم من عالم بعيد انقطعت صلته بالانسان ، هم اقرب الى قوى فوضى اطلق لها العنان .

وعكس ذلك الابن الاصغر « سوبارو » والبهلول المتدثر بثياب النساء ، فالصلة لم تنقطع بينهما وبين قيم الولاء ولعل خير وصف لهذا الزمن الموغل فى القدم الذى ابدع تصويره « كيروساوا » فى كل لقطة كبرت ام صغرت من فيلمه الاخاّذ ! لعله



السينما العالمية

ذلك الوصف الذى جاء على لسان احد الابطال .

« واذا الحب يفتر ، والاصدقاء يتمردون ، والاخوة ينقسمون ، الشغب فى المدن ، والفتنة والخيانة فى القصور .

لقد انقضى افضل مافى زماننا ، وراحت المؤامرات والنفاق والغدر وضروب الشغب الهدّام تتعقبنا بضجيجها حتى القبر » .

● الفلك المترنح ●

وختاما فالأكيد ان « كيروساوا » قد اتخذ من « هيديتورا » ترجمانا لافكاره ، فصوّر ماكان من شأنه مع ابنائه الثلاثة وزوجة ابنه الاكبر « ليدى كايدى » خلال الايام العصيبة التالية لقيامه بتوزيع ما يملك من متاع الحياة الدنيا على الابناء الثلاثة ، جاعلا منه رجلا عجوزا بلغ من العمر « ثمانين وزيادة » ، رجلا مستبدا ، ولكن مستنير الفكر والقلب .

تبدأ مأساته حيث تنتهى عادة المآسى ... تبدأ وكأنه فى اللحظات الاخيرة من رحلة العمر ، فى حين ان تلك الرحلة لم تبدأ بعد ، وان امامه لياليا سودا طوالا ، كلها بؤس وعسر .

وجعل من ابنائه وزوجته الاكبر سنا نماذج لشتى النزعات البشرية من الشهوات الجامحة الى الطهارة المطمئنة .

ومع ذلك فلا احد منهم مطلق فى خيره او فى شره ، فحتى « ليدى كايدى » التى تجمع فى شخصيتها شر « جونريل » و« ريجان » و« ادمون » فى « الملك لير » مضافا اليها شر « ليدى ماكبث » و« ياجو » المتآمر الحسود فى « عطيل » حتى هذه المرأة المتحجرة والتى تعتبر فى الفيلم رمزا للشر ، او هكذا تبدو لنا ، نشعر نحوها ببعض التعاطف لاننا نحس ان مابها من تشويه يدفعها الى السعى لتدمير كل من كان منها قريب ، انما سببه فوضى اسلوب الحياة فى قصور ، هى فى حقيقة الامر قبور ، تلك الفوضى التى اطلقت ابشع غرائزها ، حطمتها جعلت كل ما حولها خرابا يبابا .

● لقـــــاء ●

وبعد ، فاذا كان لكل ماتقدم مغزى ، فهو ان سينما عند مصنع الاحلام فى هوليوود موظفة فى خدمة السياسة .

ومن هنا غلو اصحابه فى تقدير « الخروج من افريقيا » وغلوهم فى عدم تقدير « فوضى » غلوا شديدا .

والآن ، وقد طال الكلام عن « الكتاب » الى حد الاملال ، فلا مفر من الاعتذار ، وتأجيل الكلام عن « الدليل » الى لقاء قريب .

●

ابتسامات

ام كلثوم والدعابة

● تحدثت كوكب الشرق ام كلثوم ذات يوم عن الطرائف التي مرت بها فقالت « كنت اغني في احدى الحفلات وكان المرحوم والدي يلازمني ويجلس الى جانب التخت كأنه احد افراده ، وفي هذه المرة بالذات غلبه النعاس فراح في سبات عميق وانا اغني في منتصف الوصلة .. فما كان من احد المستمعين الا ان صاح قائلا : الله يا ثومة .. كمان والنبي .. وحياة ابوك في نومته!!

اللحم والسكين

● كان احد رجال المخابرات الامريكية يتناول غذاءه في مطعم في موسكو .. وعبثا حاول ان يقطع قطعة اللحم بالسكين : واخيرا استدعى الخادم وقال له:

– انبئني هل قطعة اللحم شديدة الصلابة .. ام ان السكين شديدة التلامة ؟ فاجاب الخادم : لا ريب يا سيدي ان السكين اصابت الميكرفون !!

أول مرة

حضر الكاتب الفكاهي العالمي « مارك توين » احدى الحفلات وكان بين الحاضرين محام من اصدقائه وقف امامه وهو يضع يديه في جيوبه وطلب اليه ان يروى لهم نكتة مضحكة ، وابى « توين » طلبه ، وروى نكتة اضحكت الحاضرين ، فقال المحامي هذه اول مرة اسمع فيها من كاتب فكاهي نكتة فكاهية حقا .

فقال « توين » ! وهذه أول مرة ارى فيها احد المحامين يضع يديه في جيوبه وهو .. !

من نوادر جحا

المكان الامين في الجنازة :

سئل جحا : « أيهما افضل ؟ السير خلف الجنازة ، او السير امامها ؟

فقال : لا تكن في النعش وسر حيث تشاء !

ولقيه بعض معارفه في الطريق فقال له : « اني رأيت الساعة رسولا يحمل مائدة حافلة بالطعام الفاخر » .

فقال جحا : « وماذا يعنيني قال صاحبه : انه يحملها الى بيتك ..

قال : وماذا يعنيك ؟ »



رأى .. حول معرض الكتاب

ويأتى معرض الكتاب الدولى مرة أخرى ، ونحن نرجو أن يكون ما أضافه إلى عطائه هذا العام سبيلا إلى تحوله إلى منتدى ثقافى هادف إلى رفع لواء الكلمة التى تعمل بها العوامل لتضعها فى مؤخرة إهتمام الإنسان المصرى .. وأن يكون قد تجاوز نفسه من مرحلة السوق إلى مرحلة الدليل الحسى الدافع للقراءة .

فلم يعد أمام القارىء المصرى من وسيلة للإطلاع على ماتنتجه دور النشر العربية والعالمية سوى فرصة المعرض ، بعد أن اختفت المكتبات التى كانت تعج بها القاهرة والإسكندرية والعديد من المدن العربية لتحل محلها البوتيكات ومحلات الملابس المستوردة .. وبعد أن تقلص وجود المكتبات العامة التى كانت محج القارىء المصرى ، ولنا فيما خلفه الكتاب من ذكرياتهم عن قراءاتهم فى المكتبات العامة الدليل على أن دورها كان هو الأكبر فى تحصيلهم للثقافة .

لذلك فان أى جهد تقوم به أى هيئة فى سبيل نشر الكتاب والدعوة للتعامل معه لابد أن يلقى كل التشجيع وكل الترحاب .

ويأتى معرض هذا العام وقد بزغت بعد سنوات من التقلص دور نشر جديدة لعل فى تنافسها على نشر المعرفة دليل صحة ، وخطوة إلى الأمام فى سبيل الثقافة ومرحبا بسوق الكتاب العربى فى القاهرة .

عبده جبير

لقاءات ثقافية :

● مهرجان الزقازيق :

شهدت مدينة الزقازيق مهرجانا مسرحيا بدأ فى ٢٥ ديسمبر الماضى واستمر لمدة اسبوعين واشتركت فيه سبع فرق بالمسرحيات التالية

- فرقة بورسعيد بمسرحية (على جناح التبريزى) تأليف الفريد فرج واخراج رشدى ابراهيم .
- فرقة شبرا الخيمة بمسرحية (المشخصاتية) تأليف عبدالله الطوخى واخراج سلامة حسن .
- فرقة المنصورة بمسرحية (سليمان الحلبى) تأليف الفريد فرج واخراج رءوف الاسيوطى
- فرقة الشرقية بمسرحية (السلطان الحائر) تأليف توفيق الحكيم واخراج صلاح مرعى .
- الفرقة النموذجية بمسرحية (الدخان) تأليف ميخائيل رومان واخراج عباس احمد ، وعرض (الليلة نلعب) عن مسرحيتين لعلى سالم ومحمد الشربينى واخراج ناصر عبدالمنعم
- فرقة البحيرة بمسرحية (الأرض) تأليف عبدالرحمن الشرقاوى واخراج فهمى الخولى
- فرقة الاسكندرية بمسرحية (السؤال) تأليف محيى الدين حميد واخراج محمد غنيم ، واقيمت فى ختام المؤتمر الندوة الفكرية عن (مستقبل مسرح الثقافة الجماهيرية)

ونوقشت الأبحاث الآتية :

- ماذا نريد من مسرح الثقافة الجماهيرية (الناقد فؤاد دواره)
- فرقة دائمة ولامفر (الناقد احمد عبدالحميد)
- احياء دراما الاراجوز (المخرج عادل العليمى)
- الممثل فى مسرح الاقاليم (المخرج صلاح مرعى)
- المسرح الشعبى (الناقد حسن عطية)
- النص المسرحى (الناقد امير سلامة)

● مؤتمر دمياط :

انعقد المؤتمر الأدبى الثانى بدمياط فى الفترة من ٢٢ ـ ٢٥ ديسمبر ٨٦ ، وقد شارك فيه عدد كبير من الكتاب والنقاد والمبدعين ، وكان المؤتمر تحت رعاية د . احمد جويلى محافظ دمياط وبمشاركة د . محمد حسن الزيات رئيس لجنة الثقافة بمجلس الشعب ، ود عبدالمعطى شعراوى رئيس قطاع الثقافة الجماهيرية ، وكان الموضوع الرئيسى الذى جرت مناقشته فى لقاء عام يجمع لجان المؤتمر هو (قضية التجمعات الأدبية فى اقاليم مصر) وأمكن استخلاص بعض التوجهات الرئيسية من المناقشات التى دارت ، منها أهمية وجود تجمعات ادبية بأشكالها المختلفة ، وأهمية ممارسة دورها بحرية ، وأهمية الدور الذى تقوم به جمعيات قصور وبيوت الثقافة فى تهيئة مناخ ثقافى يشجع حركة الثقافة خارج القاهرة بصفة خاصة ، واتفقت معظم الآراء على أن اتحاد الكتاب لم يستطع الى الآن ان يعبر عن الحركة الثقافية والابداعية المصرية بصورة صحيحة

وقد رأس المؤتمر محمد عبدالمنعم مدير الثقافة بدمياط ، وانقسم المؤتمر بعد ذلك الى ثلاث لجان ، ناقشت الموضوعات المطروحة على النحو التالى :

لجنة القصة .

خصصت أربع جلسات لمناقشة جدول أعمالها الذى يتضمن أوراقا مقدمة من د . لطيفة الزيات والناقد الحسينى عبدالعال حول موضوع (أزمة ابداع أم أزمة نقد) تم ورقة عمل من الأديب سمير الفيل حول




(القصة القصيرة فى أقاليم مصر) وعن (ملامح القصة فى دمياط) قدمت أوراق كل من الأديب أنيس البياع والقاص جمال نجيب التلاوى

لجنة المسرح

خصصت أيضا أربع جلسات لمناقشة قضايا (مسرح التراث واستلهام قضايا الواقع المعاصر) و (المسرح التجريبى فى مصر ماله وماعليه) و (الحركة المسرحية فى الأقاليم وأزمة النص) و (مسرح الثمانينيات ، هل له ملامح خاصة) وقدمت أوراق من النقاد احمد عبدالحميد ، وحسن عطية ، أمير سلامة ، أحمد عبدالرازق أبوالعلا ، وأشارت اللجنة فى تقريرها الختامى الى أهم السبل نحو تقدم وارتقاء المسرح وهى كالتالى

- عدم اخضاع النصوص المسرحية لرقابة المصنفات الفنية واطلاق حرية التعبير والابداع ..
- حماية حق المؤلف فى مجال الانتاج المسرحى وذلك بتغيير صيغة العقد المبرم بينه وبين الجهات المعنية بما يكفل للمؤلف كافة حقوقه المادية والأدبية .
- التمسك بنسبة ٥٠٪ على الأقل من العروض المسرحية المدرجة فى خطة دور العرض لمؤلفين جدد
- رفع أجر المؤلف المسرحى بما يتناسب مع التغيرات الاقتصادية المتصاعدة .
- اقامة مسارح صغيرة (قاعات - حجرات) فى التجمعات الثقافية وفى قصور الثقافة من أجل خلق كوادر فنية جديدة ورصد الميزانيات لتدعيمها
- اصدار مجلة متخصصة للمسرح بصفة دورية
- عدم تكرار عرض النص المسرحى فى أكثر من موقع فى الثقافة الجماهيرية ..
- اعادة النظر فى لجان قراءة النصوص بحيث تقتصر فى عضويتها على المتخصصين الموثوق فى موضوعيتهم

لجنة الشعر :

ناقشت اللجنة قضايا (الاتجاه العام فى الشعر المصرى المعاصر) و (مفهوم الالتزام فى إطار الثقافة الوطنية - تأصيل تاريخى) و (وضعية الشعر العامى فى مصر) وقد شارك فى حوار هذه القضايا العديد من الشعراء والأدباء منهم محمد عفيفى مطر ، حلمى سالم ، د . مدحت الجيار ، أحمد فضل شبلول ، انيس البياع ، احمد عقل ، السيد النماس ، محمد الزكى ، محمد القدوس ، د . حامد ابواحمد ، عزة بدر ، عزت الطيرى ، محمد النبوى سلامة ، د . يسرى العزب ، طاهر أبوفاشا ، وغيرهم .

وقد اقيمت على هامش المؤتمر امسيتان شعريتان شارك فيهما جميع الشعراء المشاركين فى المؤتمر وبلغ عدد الذين ساهموا بالحوار فى لجان المؤتمر الثلاث اكثر من ١٥٠ أديبا .

● مهرجان الرافعى فى الغربية

منذ صباح يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ديسمبر ١٩٨٦ والعشرات من أدباء أقاليم مصر يتدفقون نحو مدينة طنطا تلبية للدعوة التى وجهها لهم مؤتمر الرافعى الأول ، ذلك المؤتمر الذى نظمته جامعة طنطا بالاشتراك مع مجلة الرافعى واستمر ثلاثة ايام كما شاركت الأجهزة المختلفة وعلى رأسها المحافظة فى الاعداد لهذا المؤتمر ، وكان لثلاثة من ادباء الغربية فضل فى إدارة

المؤتمر والاشراف عليه هم : د . محمود الحسيني وفاروق خلف وأحمد عزت سليم

كانت أمانة المؤتمر قد وجهت خطابات لعدد كبير من الأدباء والكتاب وأساتذة الجامعات من أجل تقديم معاونتهم العلمية والفكرية والمساهمة بدراسة موضوعات الفكر الأدبي والاجتماعي عند المفكر مصطفى صادق الرافعي ومنزلته عند شعراء العصر الحديث ، وكذلك لمناقشة قضايا الشعر العربي المعاصر ، والقصة القصيرة من خلال نماذج تطبيقية .

وقد عقدت ست جلسات علمية قدم فيها أصحاب الدراسات عروضا مختصرة لدراساتهم في جلسات مفتوحة ، وقد ناقشها المؤتمرون من خلال اسئلة مباشرة تلى العروض .

وعقدت أمسية شعرية في اليوم التالي شارك فيها عدد كبير من شعراء الأقاليم في مصر .

بدأ المهرجان بجلسة افتتاح تحدث فيها المسئولون عن المؤتمر حضرها وتكلم فيها محافظ الغربية والدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة ، وأعقب ذلك تكريم مبدعي الغربية بمنحهم شهادات التقدير وكان على رأسهم عبدالحكيم قاسم وابراهيم أصلان وأحمد الشيخ ومحمد صالح ومحمد المنسي قنديل وغيرهم .

وقد ساهم عدد غير قليل من أساتذة الجامعات بتقديم دراسات وبحوث حول شخصية الرافعي وفكره ، ودوره ، إلا أن دراستي عبدالحكيم قاسم وحلمي سالم قدمتا بعدين حديثين ورؤيتين ترتبطان بواقع الأدب اليوم مما أعطاهما بروزا وصدارة ، وقد احتدم النقاش إثر تقديم عبدالحكيم قاسم لدراسته حول الفكر الجمالي الأدبي الجديد .

لقد أخذت الأبعاد الفكرية مسارات واضحة منذ البداية من خلال طبيعة الدراسات التي قدمت ، وطبيعة المناقشات التي تمت . فقد كان هناك منذ البداية اتجاهان فكريان سيطرا على المؤتمر .

الاتجاه الأول سلفي محافظ ، انتقل ماقدمه من أول التحفظ الشديد والاكتفاء بتتبع تفاصيل قليلة عن حياة الرافعي وعلاقته بالأديبة "مي" وقسر فكره على تصور مثالي يجعل من اللغة العربية فلكا ثابتا على مدى التاريخ والحياة ، بلا تطور أو تغيير ، ومرورا بمجرد القاء أضواء خافتة عن علاقته بالاتجاهات الفكرية الأخرى والتركيز على خصوماته الفكرية وانتهاء بمحاولات تحديد لطبيعة ابداعه ، ولكنه تحديد ملىء بالخجل والتردد

أما الاتجاه الفكري الثاني فقد تمثل في الرؤية الفكرية والجمالية التي تنظر الى الأدب من خلال جدله الموضوعي مع كافة الظواهر الأخرى ثم صدوره في مجموعة من القوانين الخصوصية التي تميزه

ولقد كان الصراع بين الاتجاهين طبيعيا لما بينهما من فروق جذرية ، وقد أخذ أشكالا خفية في حين ، كما أخذ في أحيان أخرى شكل الصراع المباشر الذي يصل الى حد « الخناقة » ورفع الأصوات و « الزعيق » عندما اضطر دارس الى أن يتعرض لقضايا رأى بعض الجالسين وقال انها تمس اشياء ينبغي ألا تناقش في رحاب الجامعة ، وكأن الفكر لابد أن يظل محروما من مناقشة بعض قضاياه .

وقدمت القصائد بطريقة احتفالية على مسرح طنطا ، وقرأ الشعراء القصائد التي كانوا قد قرأوها لبعضهم في اليوم السابق ، ولم تحضر إلى مقاعد المسرح جماهير الناس ، بل الشعراء هم الذين يقرأون في كل مهرجان دون أن تمارس أية أساليب جديدة للاستفادة من وجود الشعراء مثل مناقشة أو درس عدد أقل من القصائد ، بدلا من هذا الكم الضخم من الشعراء ، فقد الجالسون القدرة على متابعة الشعر من بعد القصيدة الرابعة او الخامسة .



لقد هرب ثلاثة أرباع المؤتمرين قبل بداية الأمسية الشعرية بحجة أنها ليلة رأس السنة وقد أحقوا السبب الحقيقى الذى عانى منه الباقون وهو التكرار الممل فى طريقة تقديم القصائد دون أن تخدم الشعر أو الشعراء أو السامعين .

لقد عانى المؤتمرون من عدم تخصيص فرص أكبر للاحتكاك بالبحوث ودرسها من خلال زيادة الفترة التى يسمح فيها بعرض البحث ، أو زيادة الفترة التى يتم فيها الحوار والمناقشة ، أو بطباعة الدراسات وتوزيعها قبل بدء المناقشة بوقت كاف لقراءتها واعداد اسئلة حولها ، وكان ذلك مطلب الكثيرين ، وكذلك عدم تنظيم برنامج المؤتمر بالشكل الذى يتيح فرصة كافية لابداء الرأى .

كما أن مأخذا آخر يمكن أن نستشعره فى عدم القدرة على الاستفادة من فرصة وجود أدباء وكتاب لهم اسهاماتهم الكبيرة فى مجال الفكر والأدب حضروا إلى المؤتمر وسافروا دون أن تستثمر جهودهم بشكل أو بآخر فى اثراء المؤتمر .

إلا أنه على الوجه الآخر نستطيع ان نحسب الفوائد التى نالها المفكرون والأدباء أولها فرصة اللقاء الجماعى والمناقشات التى دارت وكذلك المناقشات الجانبية العديدة التى تمت فى القاعات وفى النزل ، كان منها ندوات الشعر والمناقشات التى انتشرت فى أكثر من طابق

كما ان الطرح الفكرى الذى قدم فى أثناء الجلسات العلمية قد حدد كثيرا من التصورات الدقيقة حول واقع الفكر المصرى الحديث بتوجهاته المختلفة وقد تم توزيع مطبوعات مجلة الرافعى الأدبية والتى ضمت ديوانا للشاعر محمد فريد أبوسعده وكتابا ضم شهادات أدباء الغربية وعلاقتهم بموطنهم وبالواقع الاجتماعى والثقافى الذى نشأوا فيه .

وقد انتهت الجلسة الختامية فى اليوم الثالث بتوزيع شهادات التقدير للمساهمين فى المؤتمر واعداد مجموعة من التوصيات كان اهمها الاتفاق على اللقاء السنوى واعداد كتاب يضم كافة الأبحاث والدراسات التى قدمت .

هذا وقد كان المؤتمر ـ على الرغم من كل شىء ـ صورة طيبة لما ينبغى أن يتكرر لأجل أدباء الأقاليم ومن خلال مشاركتهم الفعلية فى اعداده ..

أولئك الأدباء الذين لاتتبنى نشاطاتهم أية جهة من أى نوع ، ولايجدون سوى سبل الطباعة شديدة التواضع ، ويبذلون أعمارهم من أجل التمكن من طباعة كتب فقيرة ، ويعيشون واقعا ثقافيا أليما ، الغلبة فيه للشللية والمعارف ، وتنتفى فيه القدرة على التفرقة بين القيمة الحقيقية ، والقيمة المزيفة الهشة .

امجد ريان

مسرح

● سعد أردش وثلاث مسرحيات ! ●

فى وقت واحد تقريبا افتتحت ثلاثة عروض مسرحية من اخراج سعد اردش ، الأول لفرقة دمياط عن مسرحية « المخططين » التى كتبها د . يوسف ادريس عام ٦٨ ، والثانى لفرقة الحديث عن مسرحية « قاتل خارج السجن » التى كتبها محمد سلماوى ، والثالث لفرقة القومى عن مسرحية « رجل فى القلعة » التى كتبها ابوالعلا السلامونى .

ومسرحية « المخططين » سبق أن اخرجها اردش لمسرح الحكيم عام ٦٨ ، ولكنها اوقفت

فى ليلة الافتتاح ، ثم اخرجها احمد زكى للفرقة النموذجية بالثقافة الجماهيرية وعرضت على مسرح الطليعة عام ٨٢ ، ويلح علينا هنا ذلك السؤال الذى طرحه سعد اردش فى نشرة العرض عن المسرحية حيث قال « الى اى مدى تستطيع "المخططين" ٦٨ ان تعبر عن القضايا التى يموج بها الشارع المصرى بل والعربى عام ٨٦ » ؟

ويرى أن الاجابة العملية تكمن فى الجهد الابداعى الذى بذلته الفرقة وانه فى نفس الوقت هو الدليل على ماتتميز به هذه المسرحية من اطلاق يمنحها صفة الخلود ، وهى اجابة مراوغة لاتشفع له اختياره غير الموفق لهذا النص

. وأردش ليس غريبا عن دمياط بحكم المنبت والنشأة ، وهو ليس غريبا عن فرقتها التى اخرج لها عام ٦٦ مسرحية « عسكر وحرامية » لالفريد فرج قبل ان يعيد اخراجها فى القاهرة بعد هذا الوقت بقليل ، ولذا يصبح من الضرورى هنا أن نذكر أهمية وجود مخرج قدير فى احدى الفرق الاقليمية ، فهذا سعى جاد من قبل جهاز الثقافة الجماهيرية لاثراء حركة المسرح الأقليمي بفنانين مخضرمين وأصحاب تجربة ، لاشك فى الأفادة منهم ، ولاشك فى نفعهم لاى فرقة مسرحية ، وتظل المشكلة هنا هى تقدير هؤلاء المخرجين لدورهم ، اذ يصبح الواحد منهم هو القدوة والمثل لذويه من المخرجين والفنانين الأقل خبرة وتجربة ، ويصير الواحد منهم معلما واستاذا يفهم مالا يفهمه الجميع ، إذ تحيطه هالات النجوم ، ويصبح بالتالى لأقل كلمة يقولها معنى وقيمة ، فما بالك بأهمية اختيار النص المسرحى وتفسيره وتدريب الممثلين والقيام بعملية الاخراج كاملة ، يصبح المخرج هنا مدرسة متحركة ومعهدا مسرحيا فى كل مكان يذهب اليه .

وهنا يصبح السؤال واجبا ، ماهذا الذى فعله اردش لفرقة دمياط ، أنه يضع يديه على نص قديم يحمل نقدا موجها كتبه يوسف ادريس مهاجما عبدالناصر على طريقة مسرح الاسقاط السياسى ، وفى محاولات لادانة النظم الشمولية التى تؤله الزعماء وتضعهم فوق النقد ، ومن خلال بناء فنى هزيل وضعيف وشخصيات نمطية ومسطحة ، يضع المؤلف هجاء مباشرا لأسلوب وأوضاع مجتمعة فى تلك الفترة كما يراها هو ، وهو يختار لفظ (التخطيط) الذى لايمكن ان يرفض معناه العلمى أحد ، ويضعه فى فلسفة الزعيم الذى يحكم العالم من خلال تخطيطه بالابيض والاسود ، فيضفى على معنى الكلمة الفزدوج اضطرابا وضبابا ، وعن طريق شخصيات غير متسقة وبلهاء ، يقول المؤلف من ورائها مايشاء من خطب سياسية مباشرة وفجة ومقالات طويلة لامعنى دراميا لها ، ويسوق كل ذلك قسرا على لسان أبطاله .

فما الذى فعله اردش بعد ان منح هذه المسرحية صفة الخلود ، انه يحاول عبثا أن يلوى الحقائق ، فيغطى أركان مسرحه بعلامات الابيض والاسود ، ومن فوق يعلق رسوما كبيرة لعملة الدولار الأمريكى (!!) وقد صمم له ديكوره وملابسه ببذخ زميله د أحمد ابراهيم ، ولايهتم المخرج مع ذلك بتداخل المستويات ولابأدوات التقنية ، ويركز على الحركات المائعة من أجل ارضاء جمهور لايعنيه ، ويضع على رءوس المخططين الطرابيش (!!) والطراطير (!!) وهو يفسر ذلك لجمهرة من الأدباء والنقاد فى ندوة اقيمت بعد العرض الأول ، أنه يقصد بذلك الرأسمالية الاحتكارية (!!) التى تحاول السيطرة على العالم ، وهو يغير من ملابس زعيمه ، فيجعله يرتدى فى النهاية الزى العسكرى لكى يطلق الرصاص عليه ، ويقول أردش إن هذا من أجل إدانة كل سلطة عسكرية فى دول العالم الثالث (!!)

واذا كان النقاد والأدباء يطلبون منه ، وهو الذى يظن أنهم الجمهور الحقيقى ، أن يقدم تفسيرا ، فإن جمهوره المسكين يطلب ترجمة



مفهومة لكل هذا اللغو والتخبط الفكرى والاختلال الفنى والرؤى غير الواضحة ، هذا الجمهور الذى سعى من أجل أن يرى مسرحا حقيقيا وجادا ، فوجد ابتذالا يقدم تحت لافتة الضرورة الفنية ، ووجد غموضا وتعمية لاغرض من ورائها الا استكمال لعبة يهبها اردش لفرقة بلدته ، متبرعا بأجره ، وليته تبرع بشىء له قيمة ..

ولكن ما الذى يستطيع الممثل ان يفعله فى نص كهذا وشخصيات كهذه ، إنه يتوه بين تفسير المخرج وكلمات النص التى تحمل نقيض هذا التفسير، ويبقى رغم ذلك لفرقة دمياط مجموعة الممثلين الموهوبين رضا عثمان ، الحسينى مراد ، محمد الشريف ، رضا حسنى ، آمال عطية ، أحمد شبكة ، احمد ليلة ، رأفت سرحان ، حمدى تحف ، حلمى سراج ، نادية الشربينى ، جونيا العربى ، محسن البرعى .

أما مسرحية « القاتل خارج السجن » فهى تدور داخل جدران أحد السجون المصرية ، وفيه يستعرض المؤلف مجموعة متنوعة من المساجين ، يختلط القاتل بالداعر بتاجر المخدرات بالمناضل السياسى بالأفاق الانتهازى ، ومن خلال تجربة جديدة لشاب ينضم الى هؤلاء ، ويكتشف مع معايشته هذا العالم وراء القضبان حقيقة انتماءه الطبقى ويتحول من شاب سلبى إلى شاب ثورى ، حيث تشكله وتصقله التجربة وتنمى وعيه ضد القتلة خارج السجن .

وبالرغم من ان المسرحية تحمل شخوصيا درامية يمكن بتوظيفها داخل البناء ان تصنع صراعا حيا ، فإنها تغرق مثل (المخططين) فى مباشرة وخطابية ووعظ ، الفصل الأول لايتعدى تقديم الشخصيات ، والثانى محاكمة الشاب عن تهمة لم يرتكبها ، والثالث وهو من اقوى الفصول ، ينكشف الجميع ويدرك الكل حقيقته ، ويقول اردش عن المسرحية أن الكاتب يستفز المجتمع ضد نوع آخر من القتلة ، نوع لم يستطع مشرعو القوانين الجنائية ان يحددوه ويمسكوا بتلابيبه ، القاتل الهارب هو اذن قاتل المجتمع ، ولعلنا نعانى منه جميعا ونحمله مسئولية ما اصاب مجتمعنا من عوامل التفكك والظلم الاجتماعى والتسيب واللامسئولية ..

وبالرغم من أن شخصيات المسرحية تشكل فيما بينها مجموعات صغيرة تعيش عالمها ، فإن المخرج لم يهتم بتوظيف ديكوره الذى صممه مع الملابس محمد الصعيدى ، وهو يكتفى بأن يضع ممثليه فى أماكن متفرقة على خشبة المسرح ، ومن حولهم تتناثر تماثيل مشوهة عن عذابات الانسان ، فأضعف بهذا (المستوى الواحد) التداخلات والتقاطعات الحوارية التى يستهويها المؤلف - لاحظ نص « فوت علينا بكره » و « اللى بعده » وقد اخرجهما سعد اردش نفسه بمستوى فنى عال لمسرح الطليعة منذ عامين - فأنت تفاجأ بممثل يتكلم من عمق المسرح ، ليقطعه آخر فى المقدمة ، وهكذا دون فواصل اضاءة أو أماكن ، مما يوحى بأن الجميع يعيشون اللحظة والمكان وهذا غير وارد فى النص على الاطلاق ، ويكتفى المخرج بتغيير شكل المسرح ، فيظهر للجمهور ادوات الاضاءة الهابطة من السقف دون ضرورة فنية ، ويكثر من اصوات المؤثرات غير الواضحة ، فى محاولة لصنع فرقعة تدارى عجزا وقلة حيلة ، وينير المسرح كما لو كنا فى فرح للعمدة ..

برز من ممثليه محمد عبدالجواد وفتوح احمد ومحمد محمود واسامة عباس .

وتبقى المسرحية الثالثة « رجل فى القلعة »

علها تعيد للمخرج الكبير بعض مافقده فى اخراجه المتعجل لمسرحيتى (المخططين) و (القاتل خارج السجن)

محمد الشربينى



● معرضان لعدلى رزق الله ●

كذبة كبيرة هى القول بأن الفن للفن ، فالفن أساسا للجمهور وبه ، وتبادل مشاعر الفنان مع الجمهور لأطول فترة ممكنة ، هو الأساس فى انتاج هذا الفنان وتفانيه فى عطائه الفنى المتدفق .

توجد فترة بعينها يشعر الفنان أن عليه أن يتصل بجمهوره وقد أقام عدلى رزق الله معرضه الفنى فى الأتيليه من ٢ ديسمبر الى ١٥ ديسمبر ، ثم أعقبه بمعرض آخر من ١٦ ديسمبر الى ٣٠ ديسمبر ١٩٨٦ ، وذلك فى القاعة الجديدة بقصر ثقافة قصر النيل بجاردن سيتى التى أطلق عليها اسم السيدة « صفاء زيتون »

وقد خص الفنان عدلى رزق الله مجموعته (البيت ـ الأم) لعرضها فى قاعة صفاء زيتون وفاء لذكراها ـ فهذه اللوحات ترمز الى الوطن الحلم البيت الأم .

إن مايلفت نظرنا فى هذه المجموعة هو الواقعة التشكيلية الكامنة فى كل أعمال الفنان ، ولكنها هنا تتحقق بوضوح وتوفيق لم يبلغ هذه الدرجة من قبل هذه الواقعة هى النور ـ الأبيض ـ عند الفنان آتيا من مصدر خارجى ، ليس نور الشمس أو ضوء النهار ، مثلا ، بل قيمة تشكيلية داخلية إذا صح القول . فهو اشعاع اللوحة من الداخل ، من القلب .

إن فن عدلى رزق الله يحتوى على كثير من الحب والايمان الأصيل بما يفعل ممتزجا بالخوف من الفشل ـ إن ذلك الفنان المصرى الذى يرتزق من فنه فقط ـ يحقق تجربة تستحق التأمل ، وعند تجميع أبجديتها نجد أنها فى كلمة واحدة « الاجتهاد » وهذا الاجتهاد يتطلب التجريب الدائم . والدائب حتى يجعل تلك الرقعة الصحراوية الصغيرة التى يقف عليها الفنان تخضر ليكملها من بعده فنان آخر ، وهكذا يأخذ الفن مساره الحقيقى بالتفانى .

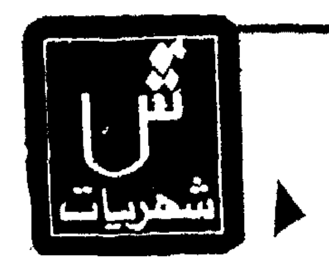
وعندما قال عدلى رزق الله ، مرة ، أنه بهر وصدم عندما اكتشف قوة بيكاسو ومقدرته الفنية الفائقة ـ وهى أساسا مستمدة من تمرين دائم مع موهبة فذة ـ فلعله كان يستشرف فى نفسه طاقة مستعدة للتدفق ، بقوة ومقدرة ، وجدت سبيلها لهذا التدفق بتمكن وثقة

لا أقول إن التشبيه مع بيكاسو فيه ندية ، ولكن فيه مودة ومحبة ، كما أضاف الناقد ادوارد الخراط . « ومن لغو القول أن تثار مسألة التأثر والتأثير ، إن أصالة الفنان المتمكن هنا تفرض نفسها ، وتفرض النفى التام لهذه المسألة

نجوى صالح

عــدلــى رزق اللــه
تجربة تستحق التامل



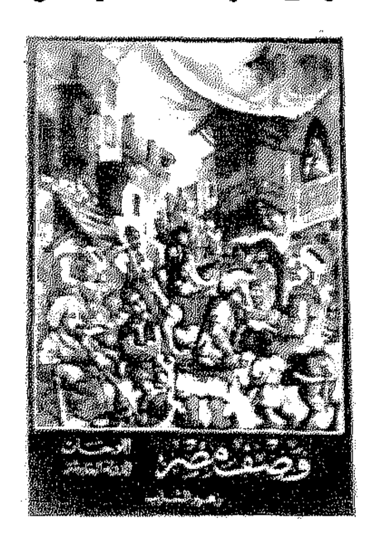


• مكتبة الهلال •

الكتاب : وصف مصر - الجزء الأول من لوحات الدولة الحديثة
رسوم : رسامى الحملة الفرنسية
الناشر : مكتبة مدبولى - ٣٠٠ ص ٢٠ ج م .

لم تحظ بلد فى الأرض بمثل ماحظيت به مصر من تسجيل لحياتها وحياة شعبها فى أدق تفاصيلها حتى لم يترك المسجلون شاردة أو واردة إلا وتناولوها من كل الزوايا ومن جميع الاتجاهات ..

وكان « وصف مصر » أو



مجموعة الملاحظات والبحوث التى اجريت فى مصر أثناء حملة الجيش الفرنسى عملا شاملا لم يسبقه ولم يلحقه مثيل .

وبصرف النظر عن النوايا التى دفعت الى بناء هذا العمل الكبير ، فإن النتيجة المؤكدة أنه حمل لنا مالا نجده الآن فى مرجع واحد غيره .

وكان القاضى المتميز الراحل « زهير الشايب » قد آلى على نفسه وبروح العاشق أن يقوم بترجمة هذا العمل الكبير ، محاولة نظر اليها فى حينها بعين الاستغراب والدهشة .. ولم يمهله القدر بالفعل لاتمام الترجمة .. فتوقف بها عند الجزء العاشر .

والكتاب الذى بين أيدينا هو الجزء الأول من لوحات الدولة الحديثة ، أو الحالة الحديثة لمصر ، يعقبه جزء ثان ، هذا مع العلم بأن رسوم وصف مصر تقع فى أحد عشر مجلدا ، واطلس جغرافى ، خمسية منها للوحات العصور القديمة ، ومجلدان فى ثلاثة أجزاء للتاريخ الطبيعى ، ومجلدان للحالة الحديثة بالإضافة إلى مجلد واحد يشتمل على مقدمة مع شرح للوحات ، ثم الأطلس الجغرافى الذى يشتمل على خرائط مفصلة لمدن وأقاليم مصر .

الكتاب : محاوراتى مع السادات
تأليف : أحمد بهاء الدين
الناشر : دار الهلال ٢٠٠ صفحة - الثمن ٤ جنيهات

توفرت للكاتب الكبير الأستاذ أحمد بهاء الدين ظروف جعلته قريبا من صانع القرار بحكم موقعه كصاحب قلم شارك بالرأى ، وتولى مناصب مختلفة فى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة .

وعرف القارىء أحمد بهاء الدين كاتبا موضوعيا يحمل بإصرار مشعل الاستنارة والتقدم ، فمنذ أن ظهر اسمه ككاتب سياسى فى أوائل الخمسينيات فى مجلة روز اليوسف ، وتأسيسه مجلة صباح الخير ، ورئاسته لتحرير أخبار اليوم ومجلات دار الهلال والأهرام ومجلة العربى الكويتية ، وحتى تفرغه للكتابة فى جريدة الأهرام ، كانت كتاباته تعبيرا



صادقا عن توق حار للعدل والتطور.

وهذا الكتاب محاورات مباشرة مع الرئيس السادات تلقى الضوء على الكثير من الأحداث التاريخية الكبرى، والكاتب هنا يتجه مباشرة الى زاوية انتقاها بدقة ليوضح طريقة تفكير السادات الخاصة، ودوافعه ونظرته للأحداث والأشخاص منذ اللقاء الاول، وحتى اتخاذ كل منهما طريقا واتجاها.

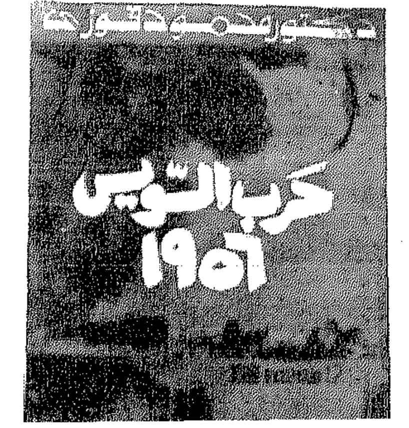
الكتاب: حرب السويس ١٩٥٦
تأليف: د. محمود فوزى
ترجمة. د. مختار الجمال
الناشر: دار الشروق
١٧٢ ص، ٣ ج. م

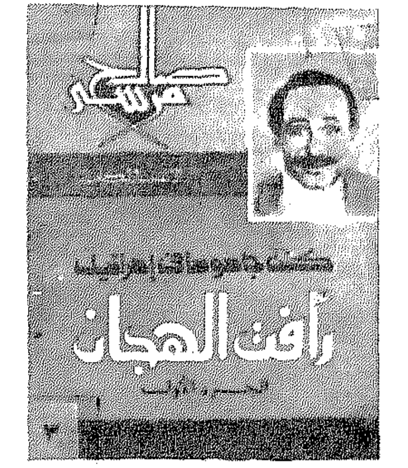
تأتى قيمة هذا الكتاب من أنه الأثر الوحيد المكتوب لأبى الدبلوماسية المصرية الروحى الدكتور محمود فوزى، كما أن قيمته السياسية والتاريخية والأكاديمية تكمن فى أنه الوثيقة المصرية الوحيدة التى كتبها مسئول مصرى كبير عاصر أحداث السويس وكان من صناع هذه الأحداث.

ويعد هذا الكتاب جزءا، قد يكون الجزء الكامل الوحيد، من بين الأوراق التى شملت مذكرات الدكتور فوزى التى لاتزال متناثرة والتى نعتقد بأهميتها الشديدة

يدلي الدكتور فوزى برأيه فى الكتابات والوثائق الانجليزية التى تناولت موضوع السويس، ثم يقدم شهادته الخاصة منذ أول مرة عبر فيها القناة عام ١٩٤٨، ثم لقائه الأول بعبد الناصر عام ١٩٥٢، وأيام باندونج ومابعدها، وعملية التمهيد لتأميم قناة السويس، واشتعال الموقف، وتحول الصراع بين مصر وبريطانيا من الحوار الى العدوان، ثم ذيول ما انتهت اليه الأزمة.

إنه كتاب وثيقة نرجو أن يتبعه نشر ماتبقى من أوراق الدكتور فوزى.





الكتاب. رافت الهجان
تأليف: صالح مرسى
الناشر: أبوللو للنشر
ج ١ - ٣٦٠ ص
٢ ج. م

بسلسلة كتبه التى بداها بمجموعة «الصعود الى الهاوية» عام ١٩٧٦، ثم روايتيه «الحفار» و«دموع فى عيون وقحة» يكون صالح مرسى قد أرسى فى مكتبتنا العربية نوعا خاصا من الأدب، هو أدب الجاسوسية الذى لم يسبقه اليه بهذا المعنى كاتب من قبله.

وبأسلوب غاية فى البساطة والسهولة يقدم صالح مرسى أحداث روايته، ممسكا بالخيط الرئيسى، لكنه يلجأ إلى حيل التشويق، فتراه يقطع اشعال هذا الخيط، ليدخل فى خيط جديد، لكنك سرعان ماتجد نفسك متصلا بالخط الأول.

إن صالح مرسى بهذا الكتاب يكون قد أكد على أن أدب الجاسوسية قد أصبح جزءا من أدبنا العربى الحديث.

آكل لحوم البشر في القطار

تأليف : مارك توين

ترجمة : محمد المنسي قنديل

قمت أخيرا بزيارة" سانت لويس " وعندما كنت فى طريقى الى الغرب بعد أن غيرت القطار فى " تيرى هوت " صعد رجل حسن المنظر . سيد فى حوالى الخامسة والأربعين وربما فى الخمسين من احد المحطات الفرعية وجلس بجانبى . وقد تحدثنا معا فى مختلف الموضوعات لساعات طويلة . كان على درجة كبيرة من الذكاء وسعة الاطلاع وعندما علم اننى من واشنطن بدأ يسال أسئلة عديدة عن مختلف الرجال المشهورين بها . بل وعن شئون مجلس النواب أيضا وأدركت بعد وقت قصير أننى أتحدث مع رجل يعرف كل مداخل ومخارج الحياة السياسية فى العاصمة كان يعرف جيدا لعبة الانتخابات ومناورات الشيوخ . وخفايا الغرف الداخلية وبينما كان القطار متوقفا فى احد المحطات . توقف رجلان بجانب نافذتنا للحظة وجيزة وقال أحدهم للاخر .

ـ هاريس .. لو فعلت هذا الامر من اجلى .. فلن أنسى لك هذا الامر أبدا ياولدى ..

وهنا برقت عينا محدثى .. لقد مست الكلمات ذكرى سعيدة فى داخله كما أعتقد واكتسى وجهه ببهجة حقيقية والستدار نحوى وهو يقول :

ـ دعنى أقص عليك قصة ، سوف أعرض عليك الجزء السرى فى حياتى الجزء الذى لم أقله لأحد منذ أن وقعت حوادثه .. ولكن انصت إلىّ بصبر وعدنى الا تقاطعنى أبدا ..

قلت له إننى لن أفعل . وبدأ يقص علىّ المغامرة التالية كأنه كان يتحدث الى نفسه .. أحيانا بحب .. وأحيانا بجنون ..

معظم الناس يعرفون الجانب المرح من مارك توين الكاتب الامريكى الشهير وفى معظم كتاباته تنسع روح التامل الساخر لكل مظاهر الحياة الامريكيه هناك الجانب المظلم من هذا الكاتب حيث تسود روح التشاؤم والاحباط فى كتاباته ولعلنا فى هذه القصة تلمح تلك الكوميديا. السوداء ممتزجة بنوع من الانتقاد السياسى اللاذع للنظام الامريكى وربما كانت هذه القصة من اهم القصص السياسية المبكرة قبل ان يصبح هذا النوع بهذا الانتشار



أكل لحوم البشر في القطار

ولكنه كان دائما حاضر الوعى . تام اليقظة .

في التاسع عشر من سبتمبر عام ١٨٥٢ بدأت رحلتى من سانت لويس على قطار الليل المتجه الى شيكاغو . لم يكن فى القطار إلا أربعة وعشرون راكبا فقط .. كلهم رجال .. لم يكن هناك نساء ولا أطفال .. كنا جميعا نتمتع بروح عالية ، وخلق هذا بيننا سريعا جوا من المرح والبهجة وبدا واضحا انها سوف تكون واحدة من أمتع الرحلات .. ولم يكن أى واحد من أعضاء هذا الحفل المتحرك يتوقع الرعب الذى ينتظرنا جميعا ..

في الحادية عشرة مساء بدأت التلوج في التساقط بعد أن تركنا قرية " ولدن " بفترة قصيرة ، كانت الريح العنيفة التى لاتجد أمامها أشجارا أو تلالا تصدها تصفر فى صوت عال فوق الصحراء التى نعبرها .. وتدفع أمامها ندف الثلج المتساقطة نحو القطار فى أمواج بيضاء متتابعة .. كانت الثلوج تتراكم بسرعة . وكنا نعلم ذلك من تناقص سرعة القاطرة وهى تحاول بشدة أن تشق طريقها الوعر . ثم صمتت تماما .. وتبددت أحاديث البهجة التى كنا نتبادلها . حل محلها قلق عميق . كان هناك احتمال آن ندفن جميعا تحت الثلج بعيدا عن أقرب البيوت بحوالى خمسين ميلا . فرضت هذه الحقيقة نفسها على كل ذهن . ونشرت جوا من الكابه على كل روح ..

فى الثانية صباحا بدأت الحركة تدب فينا من جديد .. وصرخ واحد منا :

ـ كل الايادى تهب للمساعدة ..

ونهض كل واحد منا طائعا . خرجنا الى ظلام البرية ، الى الثلج المتساقط والعاصفة الصاخبة . كل واحد منا كان يعرف أن أية لحظة تفقد الان قد تتسبب فى دمارنا . عملنا جميعا .. بالمعاول والأيادى المجردة . بكل شىء .. وأى شىء يمكن أن يزيح الثلوج . وبدا منظر غريب لبعض الرجال المجانين وهم يحاربون الثلوج التى لاتكف عن التساقط ..

ومرت ساعة كانت كافية لكى ندرك عبث الجهد الذى نبذله . كانت العاصفة قد دفعت بالعديد من طبقات الثلج بينما نحن عاجزون عن إزالة طبقة واحدة . وكان أسوأ مافى الأمر هو اكتشافنا أن القاطرة التى حاربت التلوج طويلا قد انكسرت وأن عجلاتها قد أصبحت مشلولة عاجزة عن الحركة .

عدنا الى داخل العربة متعبين من الجهد الضائع .. تجمعنا بجانب المدفأة الملجأ الأخير فى هذه الكارثة . لم نتجمد لأننا كنانملك كمية كبيرة من الأخشاب وكان هذا هو فقط ميزتنا الوحيدة وانتهت المناقشات الطويلة التى تبادلناها بأن الموت سوف يكون من نصيب أى شخص يحاول أن يسير خمسين ميلا على قدميه وسط عاصفة ثلجية مثل هذه . لم نكن نستطيع أن نبعث فى طلب النجدة وحتى لو كان هذا فى استطاعتنا لم نكن نسطيع المجىء .. لم يكن أمامنا إلا الانتظار والصبر ..

وخلال ساعة تحولت المناقشة الى همهمات متفرقة فى أنحاء العربة . وعلت

المصباح العتامة وحاول البعض آن يتظاهر بالنوم لعله ينسى لحظات هذا الحاضر المؤلم .

ومضت ظلمة الليل المرعب وبدآ الفجر الرمادى البارد . مع انتشار الضوء بدا الركاب يتحركون وظهرت عليهم معالم الحياة واحدا بعد آخر اخذوا يستيقظون .. يدفعون قبعاتهم الى مؤخرة الرءوس ثم يحاولون فرد أطرافهم المتيبسة من البرد والتعب . ومن النافذة كان المنظر مروعا .. لاشىء حى . لاأثر لبشر .. لاشىء الا الصحراء الواسعة البيضاء وندفات الثلوج التى تدفعها الريح موجة وراء موجة ..

طوال اليوم ونحن نتحرك فى العربة نتكلم قليلا ونفكر كثيرا .. وفى المساء أدركنا أننا جميعا جوعى .

فجر آخر . يوم آخر من الصمت والحزن والجوع واليأس وانتظار النجدة التى ربما لن تجىء .. ثم ليل من قلة الراحة .. واحلام مزعجة مليئة بآلام الجوع ..

وجاء اليوم الرابع ثم مر .. ثم جاء اليوم الخامس .. خمسة أيام من الحصار المروع .. وبدأ الجوع المتوحش يطل من كل عين .. شىء ما بدأ يتشكل فى قلب كل واحد منا .. شىء لايقدر اللسان على النطق به ..

مر اليوم السادس . وظهر فجر اليوم السابع على حفنة من الرجال اليائسين يعيشون لحظاتهم الأخيرة تحت ظلال الموت . لابد أن يخرج الان .. هذا الشىء الذى كبر داخل كل واحد منا وآن له أن يقفز فوق الشفاه .. بدأت الطبيعة تفرض سلطتها عليناجميعا .

نهض ريتشارد جاستون من ولاية مينوستا طويلا . ضخم الجثة . ولكنه بالغ الشحوب . كنا جميعا نعرف ماذا سيقوله .كنا مستعدين ـ كل عاطفة كل انفعال . كل إثارة قد خفتت ـ كنا هادئين عاقلين وهتف بنا

ـ سادتى . لايمكن ان نؤخر الأمر اكتر من ذلك الوقت الان قد حان يجب ان نقرر من الذى منا سوف يموت حتى يوفر الطعام للاخرين .

ونهض مستر جون وليامز من الينوى وهو يقول :

ـ سادتى .. انى ارشح الأسقف جيمس سوبر من تنيسى ..

وقال مستر م . آدم من انديانا .

ـ انا ارشح مستر دانيال سولت من نيويورك .

مستر شارلز لانجدون

ـ انا ارشح مستر صموئيل .ا . باون من سانت لويس .

مستر سولت :

ـ سادتى ..أوجه نظركم الى مستر جون فان نوستراند من نيوجيرسى ..

مستر جاستون .

ـ لو لم يكن هناك اعتراض . فإن رغبة بقية السادة توافق رغبتك . واعترض مستر فان نوستراند ورفضت استقالة مستر سولت وبدأت عملية الاقتراع من جديد .

مستر ل . باسكوم من أهايو .

ـ يجب أن يكون الترشيح قويا ومدعما .. لذلك اقترح إدخال نظام الاقتراع السرى ..

مستر سوير

ـ أنا اعترض على هذا النظام .. إنه غير عملى بالمرة ويسهل تزويره

أكل لحوم البشر في القطار

بالاضافة الى انه غير منظم .. يجب علينا ان ننتخب الان رئيسا لهذا الاجتماع وهيئة مكتب لمساعدته وهكذا نستطيع ان نمضى فى اعمالنا على اسس مفهومة ..

مستر بل من ايوا

ـ انا اعترض .. ليس هذا وقت الاحتفالات الاستعراضية . منذ حوالى سبعة ايام ونحن بلا طعام كل دقيقة تمر فى مثل هذه المناقشات سوف تضاعف من الكارثة .. انا مكتف بالترشيحات التى عرضت امامنا .. وعلينا ان نختار من بينها واحدا او اثنين ويكون هذا حلا للمشكلة ..

مستر جاستون :

ـ انا اعترض ايضا .. ولااريد ان اكسر اية قواعد لذلك أصر على ترشيحي لهذا السيد من نيوجرسى ..

مستر فان نوستراد :

ـ سادتى .. انا غريب فى وسطكم .. ولا اعتقد ان مظهرى يوحى بأن اكون شهيا .. واعتقد ان العكس هو الصحيح .. ؟ ..

مستر مورجان من الباما (مقاطعا)

ـ يجب سحب هذه الملاحظة .

وبدأت الحركة من جديد واستقر الرأى اخيرا على انتخاب رئيس مكتب تنفيذى .واختير مستر جاستون رئيسا . ومستر بلاك سكرتيرا . وكلا من السادة هو لكومب وبلادون ودير اعضاء لجنة الترشيحات ومستر هولاند مساعدا للجنة فى عملية الانتخاب .

وأعطيت فترة نصف ساعة للراحة وبدا سيل من الاتهامات المتبادلة بين الأعضاء . وعلت أصوات اللجنة وهى تناقش ثم اعلنت انها تفضل كلا من السادة جورج فيرجسون من كنتاكى . لوسيان هرمان من لويزيانا وميسيك من كلورادو كمرشحين .. وتمت الموافقة على تقرير اللجنة .

مستر روجرز من ميسورى :

ـ سيدى الرئيس .. إن تقرير اللجنة مطروح أمامنا الان .. وانا أقترح ان نستبدل باسم مستر هرمان اسم مستر هاريس من سانت لويس الذى نتشرف جميعا بمعرفته . أنا لا أريد بهذا الاستبدال آن اغض من قيمة هذا السيد القادم من لويزيانا .. إننى احترمه كما يحترمه كل سيد هنا ولكن لاأحد يقدر على الاعتراض بأن هذا السيد قد فقد من اللحم خلال الأسبوع الذى قضيناه هنا اكثر من اى واحد منا .. إن اى واحد منا لايمكن أن يتعامى عن حقيقة أن اللجنة قد قصرت فى دراسة هذا الأمر .. أن الدوافع التى تحكمنا يجب آن تكون مغذية بالدرجة الاولى ..

الرئيس

ـ فليتفضل السيد من ميسورى بالجلوس .. ماهو قرار الأعضاء إزاء اقتراح هذا السيد ؟ ..

مستر هالوداى من فرجينيا :

ـ سيدى الرئيس ..انا أزيد من اعتراضى على قرار اللجنة واقترح استبدال مستر هارفى ديفيز من أرجون بدلا من مستر ميسيك .. أننى أعرف ايها السادة أن شهرة مستر ميسيك كرجل من رجال الحدود عالية وقد أعطته نوعا من الصلابة والمتانة .. ولكن .. من قال إن

هذا وقت المتانة والصلابة كلا أيها السادة .. الضخامة هى مانريد المادة .. الوزن . الضخامة . هذه هى احتياجاتنا الأساسية .. ليست الموهبة ولاالذكاء ولاالتعليم .. إننى أصر على اعتراضى .

مستر مورجان (متحفزا)

ـ سيدى الرئيس . أعلن اعتراضى بشدة على هذا الترشيح . فهذا السيد من أرجون عجوز جدا .. وهذه الضخامة التى تراها هى بسبب العظام وليست بسبب اللحم .. إننى أسأل السيد من فرجينيا هل مانريده هو الحساء أم المادة الصلبة ؟ إننى أرى انه بهذا الاقتراح يسخر من المعاناة التى نحس بها وهو يعرض علينا هذا السيد من أرجون .. إننى اسأله إن كان ينظر الى الوجوه المتلهفة التى تحيط به .. إذا كان قد نظر إلى عيوننا الحزينة .. إذا كان قد أنصت إلى دقات التوقع فى قلوبنا .. إننى أسأله إذا كان قد نظر فى الوضع الحرج الذى نعيش فيه الان .. لا أعتقد ذلك (تصفيق)

ومرة أخرى وضعت الاقتراحات للتصويت . وقد جرى استبدال الاسم الأول ووضع اسم مستر هاريس من الجولة الاولى للاقتراع . ثم بدأت خمس جولات من الاقتراع لكى نعرف بمن نبدأ أولا .. خمس جولات لم نختر واحدا بعينه وفى الجولة السادسة أختير مستر هاريس بالإجماع .. حتى هو اختار نفسه . وقد أثار هذا حرجا من الجميع بوصفه شيئا غير معقول ولكن لم يكن ممكنا فى ظل هذه الظروف إعادة الاقتراع مرة أخرى ..

وأعلن مستر راد واى أن المجلس عليه ان يواصل عملية الترشيح كي يختار من أجل وجبة الافطار ومنذ الجولة الأولى للاقتراع كانت هناك عقدة نصف الأعضاء كانوا يفضلون أحد المرشحين بسبب شبابه وحداثة سنه . والنصف الاخر كان يفضل مرشحا ثانيا نظرا لكبر حجمه وقد حسم الرئيس الموقف حين أعطى صوته فى صالح المرشح التانى مستر ميسيك .. وقد خلق هدا القرار جوا من الامتعاض بين اصدقاء مستر فيرجسون وبدت هناك مناقشات جانبية من اجل القيام باقتراع اخر ولكن الوقت لم يكن يسمح وفضل الاعضاء مص الاجتماع للالتفات لما هو آهم... وبدأ الاعداد للعشاء وقد حول هذا الاهتمام عن قضية مستر فيرجسون وعندما حاول البعض إثارتها من جديد أعلن النبأ السعيد بأن المستر هاريس قد اعد لكى يدفع كل الافكار الاخرى فى مهب الريح .

أعددنا مائدة بواسطة مقاعد القطار بعد انتزاعها من أماكنها وجلسنا وقلوبنا ممتلئة بالامتنان لأشهى عشاء يمكن أن نراه خلال سبعة أيام من الرعب كيف كان التغيير الذى طرأ علينا بالنسبة للساعات الماضية .. اليأس والحزن والجوع والأحباط .. كلها تبددت الآن حل بدلامنها . التشكر . والبهجة والاحساس بالامتلاء اننى ادرك الان انها كانت اكثر ساعات حياتى بهجة ظلت الريح تزوم .. وتدفع بالثلوج إلى منزلنا المحاصر ..ولكنها كانت عاجزة عن دفع اليأس إلى قلوبنا اكثر من ذلك . لقد أحببت هاريس .. ربما كانت له اعماله الجيدة ولكننى أستطيع أن أقول إنه لم يوجد رجل توافق معى مثل هاريس أو وهب لى تلك الدرجة من الاكتفاء والشعور بالرضى مثله . لقد كان ميسيك جيدا

آكل لحوم البشر في القطار

كان مذاقه طيبا جدا .. ولكن من ناحية القيمة الغذائية وليونة الأنسجة وطراوتها فإننى أعطى صوتى لهاريس .. لقد كان لميسيك جوانبه الطيبة ولست هنا فى معرض إنكارها ولا أريد أن أفعل ذلك . ولكنه كان سمينا أكثر مما ينبغى بالنسبة لوجبة الافطار .. أعذرنى ياسيدى .. كان جافا .. دهنيا هل تتصور هذا .. كلا كلا .. لايمكنك أن تتصور شيئا مثل هذا .

ـ هل تعنى أنك قد ..

ـ لاتقاطعنى أرجوك .. بعد الافطار انتخبنا رجلا اسمه والكر .. من ويترويت .. وكان يستحق قيمته فعلا . سوف أتذكر والكر دائما .. كان ضئيلا قليلا ولكنه كان جيدا إلى حد كبير .. وفى صباح اليوم التالى اخترنا مورجانى من الاباما للافطار .. كان واحدا من الطف الرجال الذين جالستهم .. وسيما ..عالى التعليم .. يتحدث العديد من اللغات .. (جنتلمان) كاملا .. وكان طريا إلى حد كبير وأخيرا فى العشاء اخترنا ذلك السيد من ارجون .. وقد كان مروعا .. ولايمكن أن أصف لك ماذا أحسست به .. كان عجوزا .. يابسا .. ولايمكن لأى إنسان أن يتخيله على حقيقته . وأخيرا وجدت نفسى أصيح قائلا :

ـ أيها السادة .. يمكنكم أن تقوموا بهذا وحدكم أما أنا فأفضل الانتظار حتى الاختيار الثانى ..

وقال جريمز من النيوى .

أيها السادة .. سوف أنتظر أنا أيضا وعندما تختارون شخصا فيه شيء ما توصون به فسوف يسعدنى ان الحق بكم ثانية ..

وبدا كأن هناك سخطا عاما على رجل أرجون وظهر واضحا أنه لايقارن بتلك البهجة التى شعرنا بها مع هاريس أول مرة . وعندما تم الاقتراع من جديد وقع الاختيار على فتى من جورجيا يدعى بيكر .. كان رائعا .. حسن .. حسن .. بعد ذلك اخترنا دوليتيل .. ثم هو كينز ثم ماك لورى .. (اعترض البعض على ماك لورى لأنه كان قصيرا ونحيفا) ثم بنرود والاخوة سميث ثم بيلى .. (بيلى كانت له ساق خشبية بسبب فقد ساقه الحقيقية ورغم ذلك كان شهيا) ثم اخترنا غلاما هنديا ثم سيدا يدعى باك منيستر ولم يكن رجلا جيد الصحبة ولاطيب المذاق فى وجبة الافطار وكنا سعداء لأننا انتخبناه قبل ان تأتى النجدة ..

ـ اه .. أخيرا جاءت النجدة .. حمدا لله ..

اجل .. جاءت ذات صباح مشرق متألق ـ تماما بعد الاقتراع .. كنا قد اخترنا جون مورفى وكان افضل الموجودين . وكنت أتمنى آن أتذوقه وأعرف طعمه . ولكن جون مورفى عاد الى بيته معنا وعاش حتى تزوج من أرملة هاريس ..

ـ الذى كان ..

ـ اجل .. أول رجل اخترناه . لقد تزوجها وهو سعيد وكل منهما يحترم الاخر .. نهاية رومانسية وسعيدة مثل كل الروايات أليس كذلك ياسيدى ..

آه . هاهى محطة النزول . يجب أن أقول لك وداعا ياسيدى .. إذا مررت من هنا أرجو ان تأتى لقضاء يوم او يوّمين معى .. سوف يسعدنى أن استضيفك . لقد أحببتك ياسيدى . اجل .. احببتك كما احببت هاريس نفسه . يوما طيبا ورحلة سعيدة ياسيدى .. وذهب . لم اشعر بأننى قد صدمت وارتفعت فى داخلى كل عوامل الاشمئزاز والحسرة مثل هذه اللحظة . كنت سعيدا فى قرارة نفسى لأنه رحل بكل رقته وصوته الناعم المهذب . كنت أرتعش كلما حط علىّ بعينيه الجائعتين وكاد قلبى يتوقف عندما أدركت أننى أذكره بهاريس ظللت جالسا مذهولا حتى جاء المحصل هتفت به .

- من هذا الرجل ..؟

قال

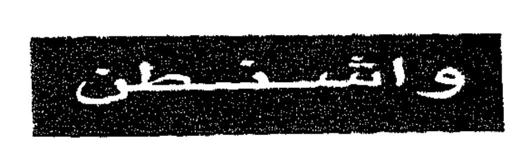
- إنه أحد الاعضاء القدامى فى مجلس النواب . كان نائبا جيدا . ولكنه حوصر فى أحد القطارات بواسطة الثلوج وتعرض للموت جوعا وعندما آنقذ كان متجمدا تقريبا ، وظل مريضا عاجزا عن تناول الطعام بعد ذلك لفترة طويلة لقد أصبح فى صحة جيدة الان ولكنه عندما يتذكر الحادثة لايكف عن القول بأنه آكل كل ركاب العربة الذين كانوا معه . وقد كان يردد دائما .. لقد حانت الساعة التى يتم فيها الانتخاب من اجل وجبة الافطار وتم انتخابى .. ولم يصدر أى اعتراض ضدى لولا اننى قدمت استقالتى . لذلك آنا هنا . " أحسست ببعض الراحة عندما اقنعت نفسى ان ماستمعت اليه هى احاديث رجل فاقد العقل بدلا من ان يكون رجلا متوحشا آكلا للحوم البشر .

● قطر على البذل ●

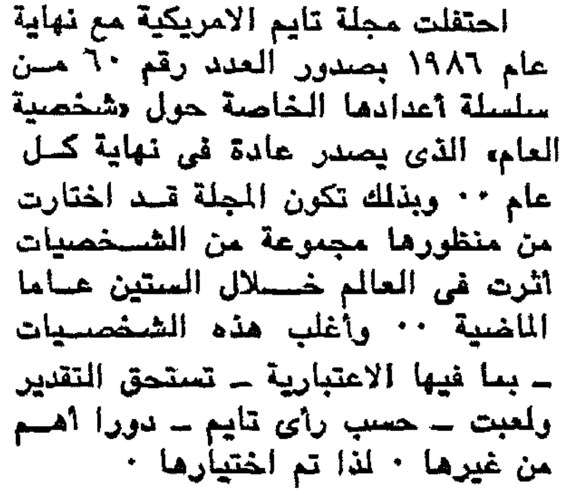
حكى أنه لما مات حاتم الطائى تشبه به اخوه ، فقالت له امه « يابنى اتريد ان تحذو حذو اخيك ، فإنك لن تبلغ مابلغه ، فلا تتعبن فيما لاتناله » فقال : « ومايمنعنى ، وقد كان شقيقى وأخى من امى وابى ؟ .. فقالت : « إنى لما ولدته ، كنت كلما ارضعته ، ابى أن يرضع حتى آتيه بمن يشاركه فيرضع الثدى الآخر ، وكنت اذا ارضعتك ودخل صبى بكيت حتى يخرج !! »

العالم فى سطور





● العالم فى عيون تايم ●



احتفلت مجلة تايم الامريكية مع نهاية عام ١٩٨٦ بصدور العدد رقم ٦٠ من سلسلة أعدادها الخاصة حول «شخصية العام» الذى يصدر عادة فى نهاية كل عام ·· وبذلك تكون المجلة قد اختارت من منظورها مجموعة من الشخصيات أثرت فى العالم خلال الستين عاما الماضية ·· وأغلب هذه الشخصيات – بما فيها الاعتبارية – تستحق التقدير ولعبت – حسب رأى تايم – دورا أهم من غيرها · لذا تم اختيارها ·

وبالمنظر الى الاسماء التى اختيرت سنرى انها جاءت من منظور الغرب وتفكر فى المقام الاول بأسلوب مجلة تايم · وقد حقق بعض هذه الشخصيات أمجادا للغرب فى شتى الميادين · لذا فاغلب هذه الشخصيات سياسية · أو بالاحرى رؤساء دول ·· ولا يشترط ان يكون الرئيس امريكيا مثل فرانكلين روزفلت – اختير ثلاث مرات – أو هارى ترومان – وايزنهاور وجونسون وريجان – اختير كل منهم مرتين – بل تم اختيار رؤساء دول أخرى مثل دنج سياوبنج – مرتين – وأنور السادات وهيلاسيلاسى



غلاف تايم   شخصية العام

أما أشهر الزعماء السياسيين الآخرين فهناك ونستون تشرشل وستالين . وهناك زعماء من الشرق تم اختيارهم على فترات متباعدة ولعب كل منهم دورا مؤثرا ليس فقط فى بلاده .. بل فى العالم أجمع مثل المهاتما غاندى – ١٩٣٠ وآية الله خمينى – ١٩٧٩ – ومحمد مصدق – ١٩٥١ – فضلا عن دنج سياوبنج ، و'تجد ماوتسى تونج ولاتجد تيتو أو نهرو أو عبدالناصر الذين كانت حركتهم فى أطار عدم الانحياز

وبالمنظر الى أغلفة المجلة فى الستين عاما الماضية سنجد ان السياسة لها المقام الاول · لذا لم يتم اختيار كاتب أو فنان · بينما تحولت العلوم الى شخصية اعتبارية فى عام ١٩٦٠ و١٩٨٢ المعروف تحت اسم عام الكومبيوتر ·

وقد اختيرت المرأة مرات قليلة جدا لتكون « سيدة العام » مثل السيدة سمبسون والملكة اليزابيث وكورازون

اكينو • فضلا عن عام ١٩٧٥ الذى سمى بعـام المرأة •

ميلانو

● الكتاب على شريط فيديو ●

راحت على الكتب المطبوعة عـلى شرائط كاسيت !•

ليس لأن للكتاب الغلبة • ولكن لان اديبا ايطاليا شابا أراد أن يتجـاوز حدود الزمن فطبع كتابه الاخير عـلى شريط فيديو سينمائى ••

قد يكون الأمر طبيعيا لو حدث ذلـك بالنسبة لمحاضرات علمية •• لـكن أن يقوم روائى بقص روايتـه على شريط فيديو فذلك ظاهرة جديدة ، خاصة انه لم يستعـن ـ مثلما حـدث فى الشرائط المسموعة ـ بنجوم سينما كبار فىتسجيل هذه الشرائط • ولكنه قام بنفسه بقصها على الشريط •• مما يعكس مدى مهارة الكاتب فى جذب انتبـاه القارىء المتفرج طيلة ساعات •

الكاتب هو اندريا دوكارلو ـ مـن ميلانو ـ والرواية اسمها « ماكنو » وتدور أحداثهـا حول صحفيين يقومان بالبحث عن مطرب روك سابق اختفى فى ظروف غامضة • ويكتشفان انه أصبح حاكما لدولة تشبه ايطاليا ، وتحول من فنان يهتز امام المعجبين الى ديكتـاتور لا يرد له أمر ، وسعيا فى مسح عقـول أبناء شعبه يامر بزيادة عـدد القنوات التليفزيونية واكتشاف المزيد من المطربين المهاويس أمثاله •

وماكنو لا يكف عن القاء الخطـب السياسية فى أجهزة الراديو والتلفاز وعلى الشعب أن يسمعها • لم يعـد يخرج من بيته ، انه يحكم من غـرفة



اندريا دوكارلو
ظاهرة جديدة

صغيرة ويقضى جل اوقاته فى تسـجيل شرائط جديدة ••

لاقت هذه التجربة الجديدة اقبـالا لا بأس به •• خاصة ان دوكارلو طبـع روايته فى كتاب يمكن للقارىء قراءته• وعندما يرغب فى رؤيتـه عليـه شراء الشريط الخاص به •



جنيف

● ألف ليـلة وليـلة اكثر الكتب سحرا ●

قال الفيلسوف فولتير عن هذا الكتاب « ليتنى أصاب كل يوم بداء النسـيان حتى يمكننى قراءته من جـديد • بنفس المتعـة » ••

انه « الف ليلة وليلة » اكثر الكتـب سحرا فى العالم أجمع •• ولانه يتمتـع بهذه المكانة • فـان دور النشر تعيـد طباعته بين حـين وآخر فى طبعـات



العالم في سطور



فخمة .. أحدث هذه الطبعات أصدرتها دار نشر فايار .. ولان الناشر يعرف ان الكتاب سيحقق مبيعات كبيرة فقد أصدر مجموعة أخرى من الكتب حول شخصيات عربية من بينها كتاب « هارون الرشيد » من تاليف اندريه كولت . وكتب عن « نساء عربيات » .

الترجمة الجديدة أعدها رينيه الخيام .. ويقول الكاتب اللبناني أمين معلوف في مجلة الاكسبريس ـ ٢ يناير ١٩٨٧ ـ ان الترجمات القديمة تعرضت للرقابة اكثر من مرة . ومن اشهر هذه الترجمات الى اللغة الفرنسية تلك التى قدمها انطوان جالان فى القرن السابع عشر الذى ابتدع مجموعة من الحكايات كي تعجب القارىء الاوربى في تلك الآونة ، وقد أصبحت هذه الترجمات بدائيــة لدرجة انها تثير سخرية القارىء الحديث ، لذا جاءت ترجمة الخيام كاملة وخاصة فيما يتعلق بالمشاهد الاباحية .

أما كتاب اندريه كولت عن هارون الرشيد ، فقد جاء وثيقة عن الخليفة العباسى الذى عرف بتفتحه وتسامحه وشخصيته القوية لدرجة ألهبت خيال الادباء قبل الباحثين .

باريس

● الكتب تعرى الادباء ●

مع أطيب ذكرياتي ..

عنوان أحدث كتاب صدر مع مطلع العام الجديد للأديبة الفرنسية فرانسواز ساجان والكتاب هو الجزء الثانى من كتاب يحمل نفس الاسم صدر عام ١٩٨٤ تحكي فيه ذكريات الطفولة والشباب ، وقد كتب عنه ماتيو جالى آنذاك « تعرف فرانسواز ساجان كيف ترى وتقول بجملة واحدة ما يعبر عن سريان الزمن، والروح والوجود بالهروب من الاطناب» الجزء الاول عبارة عن كتاب منشور قدمته دار جاليمار ، أما الجزء الثانى فهو عبارة عن شريط كاسيت ..

وقد جاءت حكاية الجزء الثانى حين طلبت انطوانيت فوك ـ أول من ابتدعت الكتاب الكاسيت ـ من فرانسواز ساجان ان تتكلم عن بعض الشخصيات المرموقة .. مثل تينسى ويليامز وأورسون ويلز والراقص رودلف نورييف . ثم عن بعض رواياتها مثل « السحب الرائعة » و « صباح الخير ايتها الاحزان » .



فرانسوز ساجان

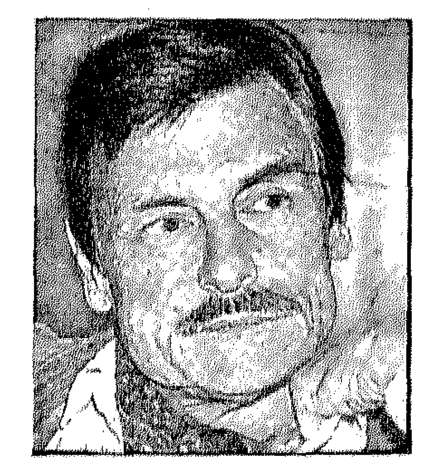
وقد سجلت ساجان ذكرياتها بصنوته مصحوبة ببعض الموسيقى مما أعطى التجربة رهبة واهمية ، اذا عبر احد النقاد عن هذا بأن الكتاب جاء ليعرى ساجان كاملة امام قارئها ٠

موسكو

● تاركوفسكى يعود جثمانا ●

قال عنه انجمار برجمان انه اكبر مخرج سينمائى فى العصر الحديث ٠٠ اندريه فاركوفسكى الذى نقلت وكالات الانباء خبر وفاته مع مطلع العام الجديد،

تاروكوفسكى . أعماله تشهد بعظمة فنه



لم يقدم طوال ربع قرن سوى ثمانية أفلام عبر فيها عن حلمه الايدى بمتعة الحياة ، فالحياة حسب منظوره أغنية جميلة يتردد صداها دوما ، ورغم حبه الشديد للحياة فان السرطان ينتشر فى جسده مثلما انتشرت انفاس الفنان فى الهواء الطلق ٠٠ يتنسم منه ٠٠ فيقضى المرض على الفنان ٠٠ وتبقى أعماله شاهدة على عظمته ٠

ولد تاركوفسكى فى عام ١٩٣٢ ـ أبوه شاعر معروف استفاد منه أندريه كثيرا، كما حول الكثير من قصائده ٠٠ الى مشاهد فيلمية فى أفلامه الاخيرة٠ اخرج « طفولة ايفان » عام ١٩٦٢ حول فتى صغير يفقد براءة الطفولة فى المقاومة الشعبية أثناء سنوات الحرب ٠٠

أما فيلمه الثانى « اندريه روبليوف » فقد أثار اعتراض السلطات السوفييتية ولم تسمح بعرضه الا بعد سنوات ٠ وفى عام ١٩٦٩ اخرج فيلمه «سولاريس» الذى يناقش فيه جدوى سفر الانسان الى الفضاء ٠٠ وفى فيلم « المرآة » تحدث عن دور المرأة فى حياة الفنان ٠

وهو آخر فيلم اخرجه تاركوفسكى فى بلاده قبل ان يرحل الى ايطاليا ليقيم بها عام ١٩٧٩ ٠٠ وفى السنوات الست الاخيرة شهد تاركوفسكى نشاطا كبيرا مع افلام مثل « ستوكر » ، « وحنين » وأخيرا « القربان » اللذان فازا بالجائزة الكبرى فى مهرجان كان عامى ١٩٨٣ و١٩٨٦ ٠

ورغم الاقاويل عن مدى معارضة تاركوفسكى لسياسة بلاده ٠٠ فانه كان ينوى العودة للاتحاد السوفييتى ٠٠ ولم يعد الرجل ٠٠ بل عاد جثمانه ٠٠ وسط الانباء التى تناقلتها وسائل الاعلام عن استعداد الاتحاد السوفييتى لتكريم تاركوفسكى بما يليق بمكانته ٠٠



العدوى الوجدانية والطريق الى النبوغ

بقلم : محمد فتحى

● ابدع الخالق القدير الانسان فى احسن تقويم. ولم يحرم فردا سليما أيا كان من بذور النبوغ. لكن اثمار هذه البذور له شروط منها ادراك الانسان لعالمه الخاص ، وتوفيقه فى تحديد اتجاه الضربة الرئيسية لجهوده ، حتى لا تتبعثر هذه الجهود على جبهة واسعة من الانشطة، ويتهددها الضياع من كل صوب .

وعند البحث فى حياة اى نابغ أو عبقرى سنجد ان العدوى أو المس أو الانجذاب الوجدانى كان نقطة الانطلاق فى تعرف النابغة على عالمه الخاص، وتحديد اتجاه الضربة الرئيسية لنشاطه ، وبالتالى نقطة الانطلاق على طريق النبوغ .. ●

لا باس من ان يكون مدخلنا لنقاش قضية العدوى أو المس أو الانجذاب الوجدانى ، فى علاقته باتجاه الضربة الرئيسية لنشاط الانسان ، وضرورتهما لولوج دروب النبوغ ، هو طفولة مفكرنا الكبير عباس محمود العقاد .

وماعلينا الا ان نتصور طفلا صغيرا، لم يصل الى الثامنة بعد ، يجلس بين امه وقريباته وجارات المنزل ، يستمتع بما فى حديثهن من سهولة وتشويق القيل والقال، فيصيح والده مستغضبا: « عباس ماذا تصنع هنا بين النساء ، تعال معى فاجلس بين امثالك »

« ومن هم امثالى ـ كتب العقاد ـ



عباس محمود العقاد الانتصارات على الخصم صفة لازمته دائما

شيوخ فيما بين الاربعين والسبعين كانوا يسمرون معه في « المندرة » ، ويقضون الوقت في أحاديث الشيوخ عن السياسة تارة ، وعن قضايا الاسر الكبيرة تارة أخرى ، وقلما يمزحون أو يتفكهون الا ثابوا الى وقارهم كالمعتذرين » (★) ·

كان الطفل يجلس مكتئبا ، على غير ارادته ، تغالبه باستمرار فكرة التنصل من هذا الوقار ، والعودة الى بساطة جلسة النساء وأريحيتها · لكن قبل ان يتملك النفور منه جذبه شيء شبيه بلعب الاطفال ·· فهاهو أحد أعضاء الجلسة الشيخ الجداوى ، تلميذ جمال الدين الأفغاني وصديق محمد عبده لا يفتأ يناوش شيخا مغمرا جاوز الثمانين اسمه علوب · ومن دعاباته معه ـ كما كتب العقاد ـ أنه كان يقسم له لئن وصل من مكانه اليه قبل ان يفرغ من عد « خمسة » ليعطينه قطعة بخمسة ! ·

ويأخذ القاضي الجداوى في العد مطيلا نفسه « بالمواحد » · والسلحفاة تطمع في الوصول من أول المجلس الى آخره ، اذا استمر العد على هذه النغمة ·· فيتحرك الطمع في صدر علوب ويدس قدميه خفية في النعال ليفاجيء القاضي بالجرى ·· لكن ما أن يخطو خطوتين ، وينطلق في جلاله ووقاره عاديا مهرولا ، حتى يسرع الجداوى ، آتيا على بقية الخمسة عدا في نفس واحد فيحوقل الشيخ ويصيح به « والله ما أحسبك تعلمت الفتاوى الشرعية الا لتأكل على علوب هذه الخمسة القروش ·

وربما تمادى القاضي في اطماع علوب ، بالاستمرار في عده على النغمة الاولى ، حتى يصل اليه الشيخ ويكسب الرهان · ويطيل الجداوى البحث في جيوبه ، وعلوب ضاحك متهلل ، ضحك الشماته والانتصار · لكن الجداوى يدس في يده ، بعد ان أطال لهفته وأثار طمعه ، خمسة مليمات · فيرتاع علوب ، ويأتي دور القاضي في الشماته والنكاية ، ويعود الى فتاويه الشرعية : أتحلف بالطلاق ان القرش تعريفة لا يسمى قطعة بخمسة يا شيخ علوب ؟ أن حلفت فلك خمسة القروش التى تريدها · ولكن حاسب قبل اليمين ·· كم مؤخر صداق « الولية » يا أبا العلاليب ؟

● نداهة العقاد الى النبوغ ●

ولا يكاد الطفل يفيق من انبهاره بمثل هذا اللعب حتى يجد الجداوى لا يكف عن ابتداع الملح والفكاهات ، بل ويفاجيء عباس يوما ، وهو مشدود

(★) هذه الفقرة ، والفقرات التالية ، المقتبسة عن العقاد من مقالي « أبي » و « أساتذتي » اللذين نشرهما العقاد في مجلة « الهلال » حول عام ١٩٤٧



الى العـــاب أحد الحـواة ، بالشــيخ نفسه يشمر عن أكمامه ليأخذ مــكان الحاوى المسكين ، ويفحمه فى صــميم فنه .

وعلى هذا النحو أخذ نفور الطفل من مجلس الشيوخ فى الزوال ، ونشأت علاقة وجدانية بين عباس والشيخ الجداوى ، القادر على كل شىء ، حتى العـــاب الحواة ، وما أن مضى الطفل فى متابعة الجداوى حتى وجد :

● انه واسع المحفوظ من المنظــوم والمنثور ، وانه يطارح خمسة أو ستة من الأدباء فى وقت واحد فيســكتهم دائما ولا يسكتونه مرة واحدة ، بــل ويراه يعمد الى تعجيزهم . فلا يكتفى برد الصــاع صاعا ، بـل يرده صاعين وثـلاً ...

● وانه يستظهر مقامات الحريـرى وبديع الزمان ودواوين الشعراء الفحول، بل ويلقيها أحيانا موقعة ..

● وانه عاد قدرة فائقة فى نظم الشعر وفك الحيــل الحســابية والسينية (الجبر) ..

● كما يراه نهما بالمعــرفة يطلب منها كل ما استطاع طلبه ولو لم يـكن من سلكه ، ومن ذلك أنه تعلم الانجليزية فى شيخوخته ، كما تعـلم الشــعوذة والعاب خيال الظل والحواة ، حتى برع فيهـا ..

. . . .

هل هناك بعــد ذلك من يشك فى أن الجداوى كان « النداهة » التى شــدت العقاد الى عالم الافغانى ومحمد عبده وسعد زغلول ، والعلم والفكاهة بـل و « سوسة » القراءة جميعا ؟

وحتى لا يظن البعض ان الامر مجرد تخريج هاكم ما كتبه العقاد ذاتــه : « وقد حببت مجالس الجــداوى الادب الى نفسى لاول مرة ورغبت أن اتخــذه فنا اضرب فيه بسهم ، كما ضرب فيــه الأستاذ ، وصرت من ذلك الحــين مهتما بحفظ الشعر ومطالعة كتب الأدب » . ولنسمع العقاد يقول عن محمد عبــده بعد سطور : « وقد أعجبت به لأننى سمعت بذكــره فى مجلس الاســتاذ الجداوى مرات » . ثم يجمل القــول فى مكان ثالث : « وهكذا ترتسم لنا فى بواكير الصبا مناهج السياسة التى نقاد بها ، ونقود بها غيرنا ، مدى الحياة ».

● كبد الذئب الذى صنع بطـلا للملاكمة

وحتى ندرك مســألة الانجــذاب الوجدانى من مختلف جوانبها نتـرك طفولة العقاد الى طفــولة سعد عبـد اللطيف ، وهو أحد أبطال مصر السابقين فى الملاكمة .

لقد ولع سعد أيام طفولته بما كان يروى فى القرية من سير أبى زيــد الهلالى والزناتى خليفة وأدهم الشرقاوى بدرجة جعلته لا ينام الليل يوما ، بعـد معرفته ان صورة أبى زيد تباع بقـرش فى المدينة .. لم يطلع الصبح الا وكــان سعد قد دبر وسيلة للحصول على القرش وذلك بتوصيل عجل من سوق بلدته بطره الى طلخا ، على مبعدة ١٧ كم . وهذا عمل كان يحجم عنه ، لاستعصائه ، من هم فى ضعف سن سعد .

وبرغم أن العجل « الشرير » كـاد خلال الطريق الطويل ان يقتل الطفل تارة، وأن يغوص به فى ترعةالخضراوية تارة أخرى ، الا ان سعد استمات فى اتمام المهمة حتى ان قيمة حياته ذاتها وقيمة العجل لم تكن تتعدى فى وجدانه آنئذ قيمة القرش ، الذى سيشترى به صورة أبى زيد ..

وبينما الطفل على هذه الحال من الانجذاب الوجدانى وفقدان النسب فى النظر الى الواقع سمع فى مجالس القرية عن أبى المعاطى ، الشهم الكريم الذى عاش طويلا يبادل أهل القرية حبا بحب ، وظل على عهده معهم حتى بعد ان تحول الى شقى اسطورة حين سلبه بعض ذوى السطوة خطيبته ، التى كان يحبها وتحبه .. كانت القرية تروى مغامراته ، وتصوره عملاقا فى طول النخلة ، وقوة عشرات الرجال، وتخصه بركن عزيز بين أبطالها .

كان الطفل قد سمع أن أبا المعاطى مثله مثل أبى زيد وعنترة قد اكل فى طفولته كبد ذئب وأن هذا هو سر شجاعته ، فسعى الى لقائه ، وسأله ان كان يستطيع اتيانه بكبد ذئب فهو يود ان يصبح قويا شجاعا مثله ..

لم يكذب ابو المعاطى خبرا وخلال لقاء تال قدم للطفل شريحة خبز بداخلها قطعة لحم مشوى : « بعد ان تأكل قلب الذئب هذا لن يكون بمقدور احد ان يهزمك » .

وما علينا الا ان نتخيل طفلا فى مثل هذه الحالة النفسية يمضى للتو فى ملابطة من يقابله من أطفال فى سنه لهم همومهم البعيدة تماما عما يفكر فيه . فلا نجد غرابة فى ان يتغلب عليهم جميعا . وهكذا يتمكن احساسه بأن أحدا لا يستطيع هزيمته فيمضى فى « ملابطة » من هم أقوى منه بعض الشىء ، لينتصر عليهم أيضا . واسمعه يقول هو نفسه : « كنت أحس أحيانا أن خصمى قد تمكن منى ، ولكن ما أن كنت أتذكر قول ابى المعاطى حتى تبعث الكلمات فى عزيمة جديدة تساعدنى على هزيمته ، وكنت اتصورها قادرة على تحقيق المعجزات » .

● ناموس عام ●

وما قلناه عن العقاد وعن سعد ـ وكون الس الوجدانى هو « النداهة » التى قادت كلا منما الى طريقه الخاص ـ ناموس عام يمكن أن نستشف أمثله عليه من :

● « دراما البوصلة » التى زلزلت عقل أنشتين الطفل ، لما أهداه أبوه اياها بما انطوت عليه هذه الدراما من قوى خفية لا يراها المرء فيما يبدو حوله من فراغ ، كرس أنشتين نشاطه للتفكير فيها طوال عمره . .

● « دراما نموذج المظلة » الصغير على صدر زينا الناهد ، والعالم الذى لخصه هذا النموذج : لقد ركبت زينا الطائرة وقفزت منها بالمظلة مراتأهلتها لنيل « النيشان » المعلق على صدرها . وجمعت الحياة بين زينا وطفل قردى يدعى ليونوف واختلطت مشاعر الامومة وطلائع النضج الحسى بالجو الاسطورى لهذا « النيشان » فتحول انتباه الطفل الذى لم ير طائرة من قبل الى آفاق بعيدة دفعت به الى ان يكون اول انسان فى كوكبنا يخرج من مركبته الى الفضاء الكونى ..

ويمكن الاستطراد طويلا فى هذا الصدد لكننا اخترنا قصتى العقاد



وسعد بالذات وقصدنا تفصيلهما والجمع بينهما ، حتى نكشف ظاهرة العدوى الروحية على نحو أعمق ٠

● استعداد لكل أشكال النشاط الانساني ●

لقد كان لدى كل من العقاد وسعد استعداد لان يكون أديبا وملاكما في نفس الوقت ، بل واختلط الاستعدادان في جرثوم العدوى الوجدانية ، الذى أدرك كلا منهما وهو يبحث عن تحقيق أناه في هذه الدنيا والظروف والملابسات وحدها هي التى دفعت بالضربة الرئيسية لكل منهما الى اتجاه مختلف ٠

فالطفل عباس لم يكن خلوا من روح الجندية والاقتتال، حتى أنه كان «مترددا بين الجندية ٠٠ والادب » الا انه وصل بعد العدوى الروحية وتحديد اتجاه الضربة الرئيسية (على اثر دراما المجداوى) الى ان ذلك كله كان التفاتا للأدب من طريق آخر هو طريق الانشاد الحماسي قبل المبارزة ، ولعل الولع بالعراك ، والانتصار على الخصم سمة لازمت العقاد المفكر طوال حياته وفظاعته في العراك الادبى لا تخفى على أحد ٠

والحال على هذه الشاكلة بالنسبة لسعد ٠ فقد اختلط الادب ممثلا في سير الزناتي وأبى زيد بالعراك والانتصار والفوز في جرثوم عدواه الروحية ٠ وقد دفعت الملابسات (دراما أبي المعاطي الى تحديد اتجاه ضربته ، فاندفع على طريق العراك والملاكمة الى منتهاه وصار التفرد في القوى البدنية وبطولة الملاكمة العنوان الذى برز على أناه ٠ لكن هذه الأنا انطوت أيضا على النحاقه بكلية الآداب ، لفوزه بالمركز الاول في مسابقة « الأدب العربي » ، واتمامه لدراسته فيها بتفوق ملحوظ (الثانى على قسم اللغة العربية دفعة ١٩٤٩) ، كما انطوت على هوايته للأدب وقرض الشعر ، مما يبين انه لم يكن خلوا من استعداد أدبى ٠

ماذا نود أن نقول على وجه التحديد؟

ان كل انسان عادى يتمتع بعالم نفسي وفسيولوجي سليم لديه استعدادات لمختلفأشكال النشاط الانساني ٠وينبغى عدم الخلط بين ذلك وبين مسألة اخرى هي اختلاف التناسب الكمي داخل هذا الطاقم الكامل من الاستعدادات ، لدى مختلف الناس ، فهذا لديه استعدادات اكبر في جانب وذاك في جانب اخر ٠٠

لكن هل يعنى ذلك أن استعدادات العقاد الفكرية الادبية كانت اقوى بينما كانت استعدادات سعد البدنية هي الاكثر ؟

على العكس يشى التدقيق بأن استعدادات العقاد للعراك الجسدى في طفولته كانت اكثر ٠ فقد كان أطول من اقرانه بكثير ، وكانت حالته البدنية ممتازة بدليل انه كان يعبر النيل سباحة ، رغم شلالاته عند أسوان ، وكما ذكرنا لم تكن تنقصه « الشراسة النضالية » التى تجلت في عراكه الأدبى ٠٠ وحصيلة ذلك كانت تجعله أقرب الى بطولة الملاكمة من الطفل سعد الذى أن قصيرا نحيف الجسد ٠٠ وكان يكفى

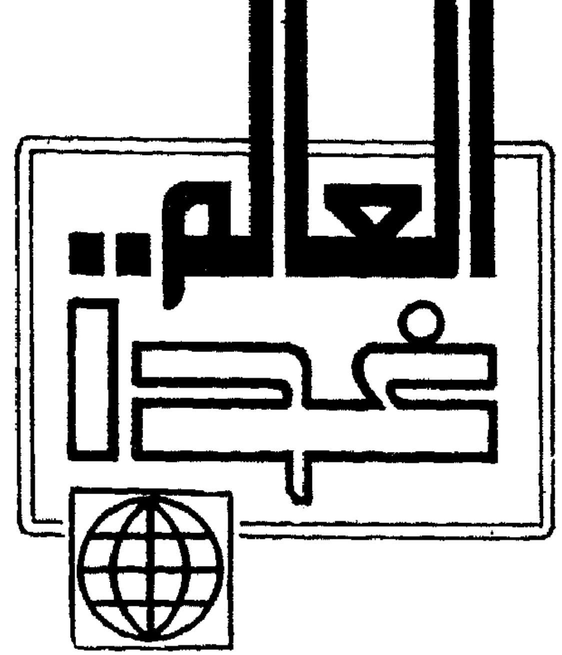
سعدا أنتد منيضخم لهكون «أبوالمعاطي» « طويلا كالنخـــلة وفي قوة عشرات الرجال » بالاضافة الى طفل مشاكس قوى البنيان لا يرضى بالهزيمة ـ كالعقـاد ـ يؤكد له ذلك عمليا لتختل النسب بـين جراثيم العدوى الوجدانيه فنجـد سعدا بعد ذلك طفلا منطويا على نفسه لايتجاوز مرحلة الحلم بعالم أبى زيد وربما خرج منه أنئذ أديبا كبيرا يواصل بث أشواقه بصورة ناجحة على الورق·· الخ ،وكان بالامكان أيضا أن نفتقد مفكرنا الكبير لو تغير بعض الشيء اتجاه الطفل عباس الولوع بالجندية ··

● الاستعدادات الاقـل تحتاج الى عمل اكثر ●

ان الاسـتعدادات مجــرد امكانات عارية ، أى أنها لاتتحول الى قدرات دون جهد (لم يصبح العقــاد ملاكما) · وياحبذا لو تفتقت فى الانســـان أكثـر استعداداته بروزا ، وصاحب ذلك تربية الصفات الانسانية العامة ، والقـدرات الخاصة المناسبة للاستعدادات ، فهنـا يمكن الوصول الى افضل النتائج ·ولكن الامر لا يستحق أن يلقى المرء التبعـة على القدر لانه لم يهبه هذا الاسـتعداد او ذاك فى أقصى درجات اكتماله · فلا جدال فى تمتعه باستعدادات أخـــرى مكتملة ، أو أقرب الى الاكتمال ، وحتى اذا اضطرته الظروف الى التعويل على استعداد غير مكتمل فالأمر لا يعنى أنـه فى حاجة الى عمل أكثر كلما قلت درجة الاستعداد (وصار سعد ملاكما) وغالبا ما يكون الانسان مفتقرا الى الارادة أو المعرفة ، وليس الى الاستعداد · وهـو غالبا ما يحاول تغطية عدم قدرته عـلى العمـــل المثابر بالحـديث عن نقص الاستعدادات الطبيعية ، اذ أن هذا هو الموقف الاسهل أمام النفس والاخــرين علاوة على ان نقصا من هذا النوع ـ وهذا هو المهم ـ لاينطوى على مايبعث على الخجل ، فالانسان المعنى متخـلف فى الرياضيات أو اللغات مثلا لا لعيـب ارادى ، وانمــا الى الاستعدادات التى التى تساعده على دراسة الرياضـيات أو اللغات ··· الخ ·

ان بمقدور أى انسان سوى اجــادة أى نشاط انسانى ، بل والنبوغ فى معظم الانشطة الانسانية ، ولا يختلف النـاس الا فى قدر الجهد الواجب أن يبذله كل منهم للوصول الى الاجادة والنبــوغ لو روعيت كل الملابسات الاخرى · وهذا الثراء سلاح ذو حدين لان الاستعدادات الكثيرة تغرى الانسان بالتشتت عـلى جبهة عريضة جدا هى كل مجال الانشطة الانسانية ·· فتجد المرء نصف بهـلوان ونصف ممثل ونصـــف أديب ونصف مخترع ونصف مطرب ونصف لغوى·· الى ما لا نهاية من هذه الانصـــاف · وتنقلب الآية حين يدرك جرثوم العـدوى الوجدانية المــرء فى الوقت المناسـب فيساعده على تحـديد اتجاه ضربتـه الرئيسية ، ويستنقذه من بعثرة جهـوده على جبهة واسعة جدا ويجعله يـركز طاقاته فى وجهة معينة ·

وهنا بالذات تكمــن أهمــية المس الوجـدانى وتحـديد اتجــاه الضربة الاساسية فى خلق النابهين · ولســنا فى حاجة الى التنويه بأن هدف مثــل هذه الضربة يكون كسب « الحرب » كلها فى نهاية المطاف · وتطبيق ذلك عــلى موضوعنا يعنى أن يصبح المرء نابغــة فى مجال ما دون أن يفقد القــدرات النصف فى المجالات الاخرى ، بل أن هذه القدرات النصف ذاتها تعلو بهذا التطور الجديد قامة ، مع علو قامة صاحبها





• ما لايتحدث عنه المتزوجون

يقوم « مجلس الارشاد القومى البريطانى فى قضايا الزواج والاسرة»، بدراسة ما يقرب من خمسين الف حالة زواج سنويا . وقد صدرت عن المجلس اخيرا دراسة تناولت « مشكلة » العلاقة الجنسية فى الحياة الزوجية .

وقد اكتشف القائمون بالدراسة ان هذه العلاقة واحدة من اكثر مشاكل الاسرة البريطانية شيوعا ، وان كان الناس يتجنبون الحديث فيها صراحة ، بل وقد يضحكون اذا اثيرت امامهم ، دون الاعتراف بانهم يعانون منها ..

وجوهر المشكلة ان كثيرا من الازواج يمارسون حياة عاطفية نشطة جدا خلال السنوات الاولى من حياتهم الزوجية لكن سرعان ما يفتر نشاطهم وتتحول العلاقة شبه اليومية الى عادة اسبوعية ، فعادة شهرية.. الى أن تصبح شيئا عابرا ، أو حتى ظاهرة لا وجود لها .. بل وربما تحولت الى منطقة خطرة مليئة بالمآسى .

ويرى اصحاب الدراسة ان اغلب المشكلات التى تعترض العلاقة العاطفية ما هى الا اعراض للصعوبات والتغيرات التى تواجه الحياة الزوجية فبينما تشكل العلاقة العاطفية حجر الاساس فى هذه الحياة حال بدايتها فانه مع مرور الزمن تتخذ الزوجة دور الام من الزوج حينا ، بينما ياخذ الزوج من زوجته دور الاب حينا اخر ، لتتحول طبيعة العلاقة العاطفية بينهما ، وتكون النتيجة انعدام رغبة الواحد منهما فى الاخر .

هذا وتنظر كثير من السيدات الى هذه العلاقة بصفتها طريقا الى الانجاب ويزهدن فيها مع تكراره . كما يضيق عدد منهن بالعلاقة بعد الوضع لارتباطها فى وجدانهن بكل ما تكبدنه خلال الوضع من آلام وما يعانينه بعده من تعب وارهاق ..

وفيما يخص الرجال فان الكثيرين منهم يزدادون اقبالا على ما يمارسونه من اعمال بحيث تصبح معشوقتهم الحقيقية ، ناهيك عمن يتزوجون بهدف الطمأنينة والهروب من الوحدة ، مما يؤثر على طبيعة العلاقة بين الزوجين

والطريف ان الدراسة لا تعتبر فتور العلاقة العاطفية أو حتى العزوف

عنها مشكلة الا اذا سببت معاناة وتوترا لاحد طرفيها أو كليهما ـ ذلك ان تغير مركز الثقل فى العلاقات بين الزوجين امر يتناسب مع التطور الوظيفى لدور الاسرة مع تقدم العمر.

• استخدام الاقمار الصناعية فى مقاومة الملاريا •

تجرى فى الولايات المتحدة الامريكية حاليا تجربة طريفة لاحصاء البعوض الموجود فى حقول الارز بوكالة كاليفورنيا ، عن طريق الاقمار الصناعية .

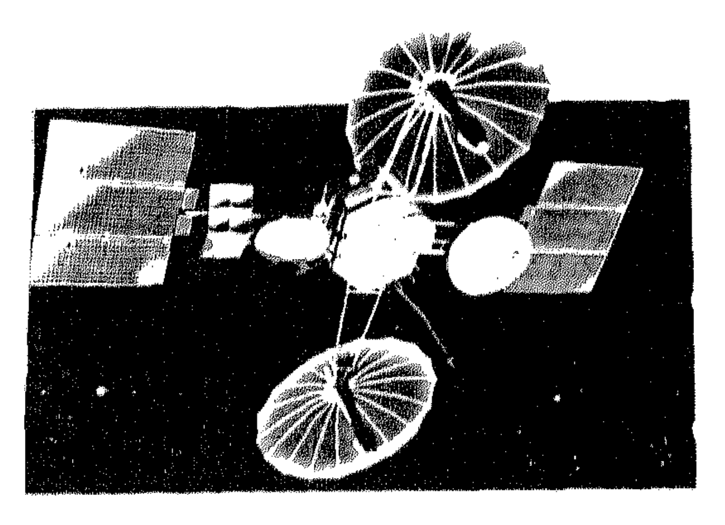
وعلى الرغم من ان بعوض كاليفورنيا لا يحمل جرثومة مرض الملاريا فالمتوقع ان تؤدى التجربة الى التنبؤ باماكن انتشار الملاريا فى انحاء العالم ، ذلك ان بعوض كاليفورنيا من نفس النوع الذى ينقل المرض ،، ولن يكون سوى مثال نموذجى تعتمد عليه دراسة شاملة ، لمعرفة امكانية استخدام الاقمار الصناعية ، والطائرات التى تحلق على ارتفاعات شاهقة ، فى التنبؤ بالاماكن التى يمكن ان تنتشر فيها الملاريا ، على نحو وبائى ، كما يحدث عبر مناطق شاسعة حول خط الاستواء .

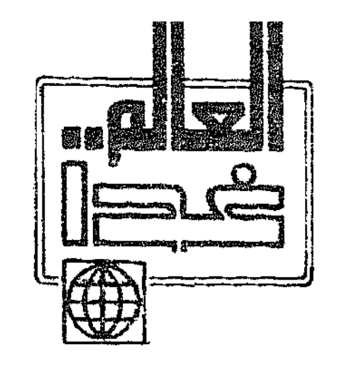
والاستشعار عن بعد عنصر اساسى من عناصر التجربة ذلك ان كثيرا من الاوضاع البيئية المقترنة بانتشار مسافات كبيرة على نحو افضل .. فانماط هطول المطر واماكن المياه الراكدة وطبيعة الرى والصرف وتغيرات درجات الحرارة كلها من العوامل التى يمكن قياسها باجهزة تحملها الاقمار الصناعية ذلك بالاضافة الى ان المعلومات التى توفرها هذه الاقمار يتيسر الحصول عليها خلال يومين ، أى فى وقت يتيح البدء فورا فى اتخاذ الاجراءات اللازمة لمقاومة الملاريا مثل تصريف المياه او استخدام المبيدات الحشرية

وسوف ترصد اجهزة الاستشعار عن بعد فى الاقمار الصناعية خلال التجربة التى تنفذ فى كاليفورنيا التغيرات السابق الاشارة اليها .

وستساعد بيانات الاقمار الصناعية السلطات المسئولة عن الصحة العامة فى مراقبة مناطق تبلغ مساحتها عدة آلاف من الكيلو مترات المربعة كل اسبوع بحثا عن أى تغيير فى الاوضاع ، يمكن أن يؤدى الى تكاثر البعوض .

وبعد انتهاء التجارب فى كاليفورنيا سينتقل الباحثون العاملون فى وكالة الفضاء الامريكية الى المناطق الاستوائية لاختبار جدوى استخدام الاستشعار عن بعد فى السيطرة على الملاريا فى مناطق يشكل فيها المرض خطرا جديا على الصحة . ستؤخذ هذه المرحلة من التجربة بعين الاعتبار عوامل معينة كغطاء السحب ومقدار بخار الماء فى الجو ، وهما من العوامل التى يمكنها





اعاقة عمليات الاستشعار عن بعد .

وعند استكمال مشروع التجربة والتأكد من جدوى هذا الاسلوب فى مقاومة الملاريا ستحيل وكالة الفضاء الامريكية المشروع الى منظمة الصحة العالمية ، والحكومات المهتمة به لمواصلة مراقبة البعوض .

وجدير بالذكر ان الملاريا وفقا لمعطيات منظمة الصحة العالمية - هى السبب الرئيسى فى العجز الجسدى والذهنى الذى يصيب أكثر من ٢٥٠ مليون نسمة فى كثير من المناطق الاستوائية .

● جو مصر قبل ٤٦٠٠ سنة ●

عندما فتح علماء الاثار الحجرة التى اكتشفوا فيها اول قارب للشمس - القارب الذى كان ينقل جثمان المصرى القديم مع الشمس من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية من النيل حيث مثواه الاخيرة - عندما فتحت الحجرة فى منتصف الخمسينات انبعثت منها رائحة خشب الارز الذى صنع منه القارب !! الامر الذى استنتج العلماء منه ان الحجرة كانت محكمة الاغلاق ، وظل الجو داخلها على حاله طوال ٤٦٠٠ سنة .

وكانت هذه الحجرة قد اكتشفت تحت كوم من الحجارة بالقرب من اهرامات الجيزة . وقد اكتشف العلماء أخيرا ، فى نفس المنطقة ، ما يدعو الى الاعتقاد بوجود حجرة اخرى مشابهة قد تحوى قاربا اخر ، وقد يكون القارب الخاص بنقل الملك بعد بعثه من الموت - من قبره الى الضفة الشرقية من النهر ليحيا من جديد ، حسب اعتقاد المصريين القدماء ، او القارب الخاص بنقل الملكة الى مدفنها فى الهرم .

لم يزل الامر موضع حدس وتخمين، فمن الممكن الا يكون تحت كوم الحجارة ما يستأهل الذكر ، لكنه من الممكن ايضا ان يكون راقدا تحته من النفائس والكنوز مالايخطر على البال . وعلى الرغم من ذلك فقد استقر رأى العلماء على ان ينقبوا عن محتويات الحجرة المتوقعة باساليب علمية حديثة ، كالتى استخدمت فى الرحلات الى القمر ، وليس بالطرق التقليدية (الفأس والمجاروف) .

وستمكن هذه الاساليب الحديثة العلماء من رؤية ما تخفيه الحجارة دون لمسه باليد أو باى اداة . وسيقوم بهذه المهمة فريق من العماء يرأسه د . فاروق الباز » الذى ابتكر

د . فاروق الباز



الوسائل التكنولوجية المتقدمة للاستشعار عن بعد ، التي استخدمت في برنامج « ابوللو » الخاص باستكشاف القمر .

والهدف الرئيسي من محاولة دراسة شكل الحجرة المتوقعة وما تحويه دون فتحها هو عدم المساس بهذه المحتويات ، والاحتفاظ بجو الحجرة على ما هو عليه ـ بعيدا عن الاختلاط بالجو الحالي ـ لاجراء الدراسات عليه بهدف اكتشاف الاختلاف الذي طرأ على جو الارض ، خلال اكثر من أربعة آلاف عام .

لذلك ينوي العلماء انجاز ثلاث مهام ـ بعد اختراق الاحجار التي تغطي الحجرة ـ اولها أخذ عينة هواء من داخل الحجرة في انبوب معدني محكم الاقفال ، وبطريقة لا تسمح بتسرب الهواء من الحجرة او اليها . والثانية فحص جو الحجرة من حيث الحرارة والضغط والرطوبة حتى يتثنى اجراء التعديلات اللازمة على جو المتحف ، الذي يأوي قارب الشمس ليحافظوا عليه من التلف ، الذي بدأ يأتي عليه ، بعد خروجه من جوه الاصلي . أما المهمة الثالثة فهي ادخال اجهزة التصوير مع مصدر للنور الى الحجرة للتعرف على محتويات الحجرة دون لمسها ..

● الاطباء الكويتيون يكتشفون

نشرت مجلة « جورنال نيرو امينولوجي » الطبية الدولية بحثا عن حمى البروسيلا اجراه عدد من كبار اخصائي كلية الطب في جامعة الكويت ، بدعم من وحدة البحوث في وزارة الصحة .

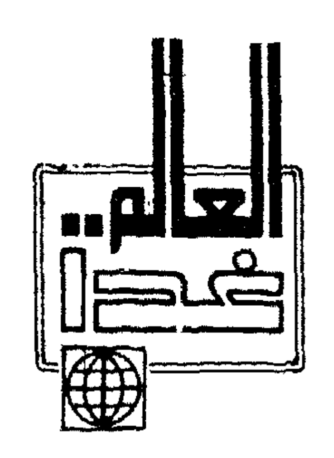
وحمى البروسيلا (التي تعرف ايضا باسماء اخرى منها الحمى المتقلبة وحمى مالطة وحمى البحر الابيض المتوسط) تعد من الامراض المتوطنة في المدن الساحلية وشواطيء الجزر ، سواء في البحر الابيض المتوسط أو في مناطق العالم الاخرى ومنها بريطانيا والولايات المتحدة . وكانت حالات الاصابة بها قد اخذت في التزايد بالكويت حتى صارت احد الاعباء المقلقة لوزارة الصحة ، بعد ان بلغت نسبة الاصابة بها اعلى نسب الامراض البكتيرية بعد مرض السالمونيرا .

ويصل جرثوم البروسيلا الانسان في كثير من الاحيان عن طريق الحيوان ، وبالتحديد من خلال حليب الماعز والابقار . وينتشر المرض على وجه خاص بين العاملين في المزارع وتربية المواشي ، ومن اعراض الاصابة بهذه الحمى الدرق والارق وتضخم الكبد ، وتؤدي مضاعفاتها الى امراض العظام و المفاصل .. لذا فان اعراضها ودرجات الاصابة بها تتفاوت الى حد كبير ..

وقد ابتكر الفريق الطبي الكويتي أسلوبا جديدا لتشخيص امراض الجهاز العصبي الناجمة عن حمى البروسيلا ، وذلك بفحص سائل النخاع الشوكي وعينات الدم .. وأمكن بهذا الاسلوب تشخيص ٤٥ حالة من الحالات العصبية الناتجة عن البروسيلا ، كان يصعب تشخيصها وفق ما قاله الباحثون الكويتيون ـ بالاساليب العادية .

● سموم في اللحوم

لا يعرف اكل اللحم هذه الايام الكم الهائل الذي يتناوله مع غذائه اللذيذ من الهورمونات والمضادات



الحيوية ، بل والمبيدات الحشرية والاحبار (من الورق القديم الذى يضاف الى غذاء الحيوانات) ٠

وكل هذه المواد تتناولها الحيوانات مع غذائها الذى لا يتورع تجار اللحوم عن تهيئته باى سبيل يحث نمو الحيوانات ، مهما كانت الاضرار التى ينطوى عليها ، جريا وراء زيادة أرصدتهم فى البنوك ٠٠

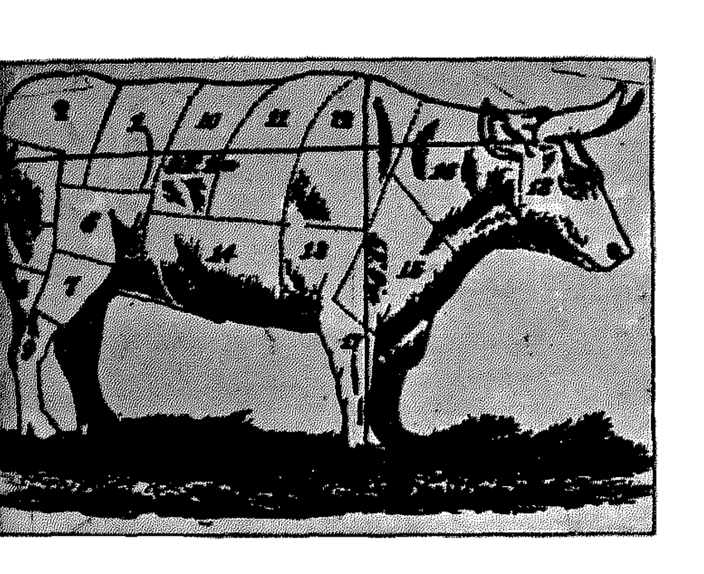
ولهذا تدرس منظمتان تابعتان للامم المتحدة ـ هما منظمة الصحة العالمية ومنظمة الاغذية والزراعة ـ امكانية فرض قيود جديدة على العقاقير الطبية التى تضاف الى غذاء الحيوانات ، وذلك خوفا من الاثارالجانبية التى يتعرض لها الناس بعد تناولهم هذه اللحوم ٠٠

وجدير بالذكر أن الدراسات تبين أن نصف الابقار فى بريطانيا وحوالى ٩٠٪ منها فى الولايات المتحدة تسرف فى « تعاطى » العقاقير التى تحث النمو وتسرع من خطاه ولا يقف الامر عند ذلك بل يجرى تطرية أو تليين لحم الحيوان قبل ذبحه وذلك بحقنه بالمواد الكيميائية ٠٠ كما تعالج اللحوم بعد الذبح باصباغ مختلفة تزيد من بهاء الوانها ،وبالمواد التى تكسبها نكهات ومذاقات متميزة ٠

ولا يقتصر الامر على ما يحث النمو اذ يسرف تجار اللحوم فى اعطاء حيواناتهم عقاقير الاخصاب بحيث يحصلون من النعاج مثلا على ٣ ـ ٥ حالات حمل بدلا من حالة أو اثنتين٠

وقد اكدت أبحاث منظمة الصحة العالمية أن هذا الافراط فى معالجة اللحوم بالعقارات قد أدى الى نجاح البكتيريا فى مقاومة المضادات الحيوية على مستوى العالم كله ٠

كما تبين أن الصبغة الحمراء التى يلون بها اللحم تؤدى الى قلق الاطفال وزيادة درجه انفعالهم كما تتسبب فى طفح الجلد وتؤدى الى أعراض شبيهة باعراض حمى الطلح ٠





وقد عاد فريد هويل ، مع تصاعد الاهتمام بمرض ضعف المناعة المكتسبة المعروف باسم الايدز ، عاد الى توقعاته السابقة وطرح نظرية جديدة حول اصل فيروس الايدز وقدومه من الفضاء الخارجي على متن الشهب المتساقطة على الكرة الارضية ٠

وحسب نظرية هويل فان الشهب التى حملت فيروسات الايدز نادرة الوجود ولكنها تنتقل الى جو الارض عند مرورها بالقرب من الغلاف الجوى ، وتحملها مياه الامطار بعد ذلك الى سطح الارض حيث تنتقل الى الانسان، وعلى ذلك يطالب العالم البريطانى باجراء فحوص بيولوجية دقيقة على مياه الامطار والمياه الجوفية فى كل أنحاء العالم ، لانه من المحتمل أن يتوقف مصير البشريه كلها على نتائج هذه الفحوص !

● الايدز بين الفضاء والارض

لعل القارىء يذكر ما نشر فى هذا الباب - عدد يونيه ٨٦ - حول الدراسات التى قام بها الفلكى البريطاني فريد هويل حول تاكيد افتراضه الخاص بصدد وجود بكتيريا وفيروسات فى أجسام المذنبات ، ووصوله مع عالم متخصص فىبحوث الاوبئة الى أن انتشار الامراض الفيروسية (مثل الانفلونزا) ، من منطقة الى اخرى ، يجرى بسرعة لا يفسرها نمط انتقال العدوى من فرد الى اخر الامر الذى قادهم الى التاكيد على أن الفيروسات تحط على الارض من الفضاء ٠

وبعيدا عن هذا التفكير الخيالى - وفق اراء العلماء الاخرين - يسعى علماء آخرون الى مواجهة الموقف القائم على الارض بصورة محددة ٠٠ ولما كان ما يقرب من ٥٠٠ امريكي قد اصيبوا بالمرض منذ عام ١٩٨١ نتيجة نقل دم ملوث اليهم خلال العمليات الجراحية فقد خلص اجتماع عقد أخيرا الى ضرورة تبرع المريض الذي سيجرى جراحة بدمه مسبقا ، وتخزين كميات من هذا الدم لينقل اليه عند اجراء الجراحة ٠ هذا بالاضافة الى اجراء الفحوص والاختبارات اجباريا على الدم المخصص للاغراض العلاجية بهدف التاكد من خلوها مما عرف من فيروسات الايدز ، حتى لا يصيب المرض ايا من الابرياء ٠

ممنوع اليأس أمام مرضى السّكر!

بقلم: د. بول غليونجي

• لاتصدق وصفات الناس البسطاء فى علاج أمراض السكر!



د. بول غليونجى الذى فقدته مصر فى الشهر الماضى، رائد طب الغدد الصماء فى مصر حاز على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم، وله مقتنيات فى المتحف الاسلامى، كما الف أهم كتاب عن الطب عند الفراعنه

لاتصدق الذين قالوا لك ان عسل النحل يفيد مرضى السكر، ففى هذا القول غير المسئول تلاعب بالالفاظ تنتج عنه اخطر الاضرار.. ثم ان علينا الا نياس من المستقبل، لان ما حققه الماضى فى هذا المجال يعتبر تطورا ملحوظا فى عالم الطب .. ولكن من هو الانسان المعرض للاصابة بالبول السكرى ؟.. وما هى اعراض ذلك المرض ؟ .. وما هى وسائل علاجه ؟ وكيف يمكننا تقسيم مرضاه ؟.. كل ذلك وغيره يتطلب منا تلك الدراسة العلمية الدقيقة التى كتبها واحد من اهم علماء الطب فى مصر هو الدكتور بول غليونجى :

البول السكرى من الأمراض القديمة التى عرفوها الاغريق وأسموها « ديابيطس » ، كما تعرف عليها الأطباء العرب ، أيضا وعلى رأسهم العالم العربى « ابن‌سينا » ، وشخصوه بانه مرض يتميز بارتفاع غير طبيعى فى نسبة السكر بالدم وبظهور السكر فى البول ٠

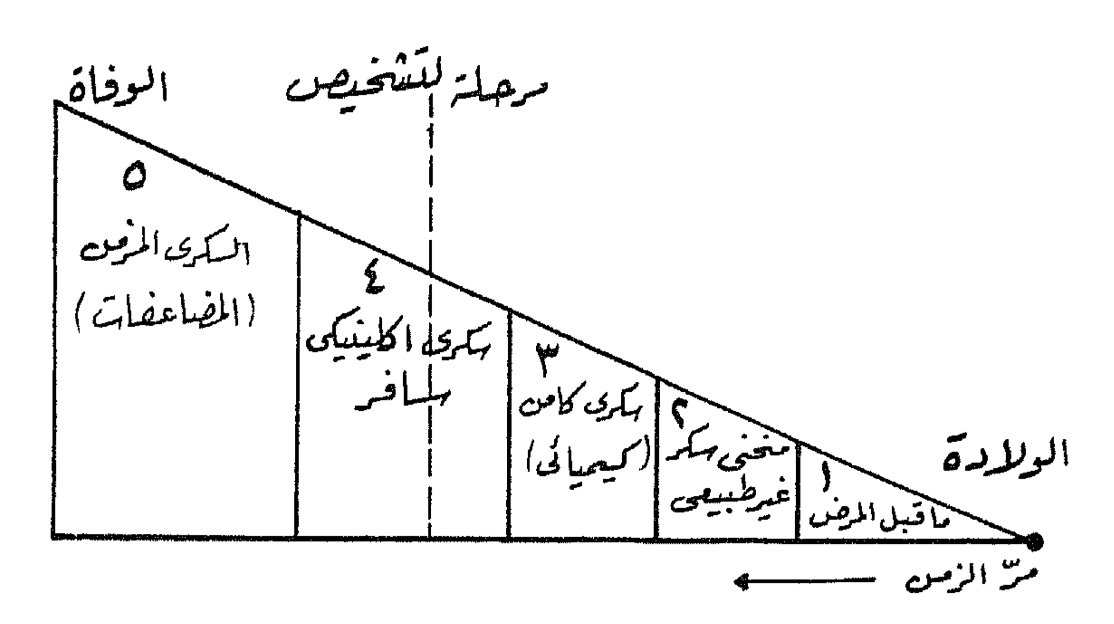
وعندما نستخدم كلمة « سكر » فى هذا المقال انما نعنى بها « الجلوكوز » اذ ان المواد السكرية التى يستفيد منها الجسم كثيرة ، وهى على سبيل المثال سكر اللبن (لاكتوز) وسكر الفواكه (فركتوز) والسكر الناتج عن انحلال النشا فى الفم (مالتوز) وسكر القصب (سكروز)وهو السكر العادى ٠

ونسبة السكر فى الدم تتراوح بين ٨٠ و ١٢٠ مللى جراما فى المائة ، وتحكم هذه الحدود عوامل متشابكة ومتضافرة ، وهذا شان كل‌نسبه محددة فى الجسم الحى ، الا أن العامل الذى يتحكم فى هذه النسب ويحقق توازنها موجود فى مركز عصبى قريب من الغدة النخامية ، ترد اليه المعلومات عن نسبة السكر فى الدم ، فاذا ارتفعت أمر بخفضها واذا انخفضت أمر برفعها وهذه الاوامر بالخفض تصل الى البنكرياس الذى يفرز الانسولين فى الخلايا المسماة (ب) لكى ترفع الى الكبد لتحرير السكر المختزن به فى شكل نوع من النشا يسمى (جليكوجين) ويحدث ذلك عن طريق افراز عوامل تنبيه‌العصب (السمبثاوى) وافرازات الغدة الدرقية والغدة الكظرية ـ الموجودة فوق الكلية ـ والغدة النخامية وخلايا (ج) بالبنكرياس ٠

وقد تتجاوز نسبة السكر المحدود المرسومة لها فى الظروف التالية :

- حدوث خلل فى الجهاز المركزى نتيجة لنزف او التهاب او اى آفة اخرى ٠
- تنبيه العصب السمبثاوى المركزى تحت تاثير عوامل مختلفة كالاضطرابات النفسية ٠
- زيادة فى احدى الهورمونات الرافعة للسكر وهى افرازات الدرقية والكظرية ، الخ ٠
- نقص فى الهورمون الخافض للسكر وهو الانسولين ٠
- عدم استجابة الانسجة المستهلكة للسكر او المختزنة له لفعل الانسولين

وعلى كل فما يهمنا بالنسبة لمرضى



محنوع اليأس
أمـــام مـــرضى الســـكر!

البول الســكرى العادى هو نقص الانسولين فى الجسم ، غير ان من شأن اى عامل يرفع نسبة السكر ـ مهما كان ـ أن ينبه البنكرياس الى افراز كميات متزايدة من الانسولين للتغلب عليه ، وهذا ينهك البنكرياس فى نهاية الامر ، ويؤدى الى ضمور الخلايا (ب) ، وهذا هو البول السكرى الحقيقى.

● اسباب المرض ●

والواقع أن سبب هذا المرض يكمن فى ضعف نسبى أو مطلق فى وظيفة الخلايا (ب) ، أما الضعف النسبى فهو يحدث فى حالة البدانة الناتجة من الافراط فى الاكل ، حيث لا يكفى افراز الانسولين من جهة لاستيعاب كميات الطعام الضخمة التى يتناولها المريض وفى مثل هذا الحاليكفى لتخفيفالوزن والاقلال من الطعام ان يعالج هذا الخلل ، ولكن اذا استمرت البدانة والعادات الغذائية الخاطئة فهنا لابد من عودة البول السكرى بصفة مزمنة .

وفى حالة الضعف المطلق الذى لا يكفى مع افراز الانسولين لاستيعاب الغذاء المعقول فان ذلك ـ بالطبع ـ يستوجب علاجا دوائيا ، بالاضافة الى الحكمة فى الطعام . وكما نعلم فان هذا الضعف ينتج عن تضافر عاملين هما : الاستعداد الوراثى ، والعدوى الفيروسية التى تصيب عادة الاطفال .. وذلك اضافة الى العوامل الاخرى كالبدانة والنهم والانفعالات النفسية .

ومن أهم أعراض هذا المرض التى تنبه المريض الى اصابته هو ادرار كميات متزايدة من البول ، وما يتبعه من عطش وشرب كميات غير عادية من السوائل الا أن أى عارض أو أية مضاعفة الانسولين كعلاج ويستجيب له ، وكان مما سنذكره فيما بعد قد تكون أول ناقوس يحذر من خطر هذا المرض .

ان زيادة افراز البول هى نتيجة طبيعية لارتفاع نسبة السكر فى الدم الى أعلى مما تستطيع الكلية احتجازه ، فاذا تسرب السكر فى البول جر معه كمية من الماء لاذابته ، وهذا يحدث عندما ترتفع نسبة السكر فى الدم الى أعلى من ١٦٠ الى ١٧٠ مللى جراماً فى المائة ، وهى النسبة التى تعد بوابة او « عتبة » السكر فى الكلية !

غير ان ادرار البول وزيادة السكر فى الدم آليا ليسا اهم حادثين فى هذا المرض ، انما الخطر ينتج عن توقف السكر الجلوكوز عن الدخول فى عمليات الايض والتخليق ، وبالتالى عن حدوث تغيرات فى تركيب الانسجة الكيماوية،ثم فى تركيبها الميكروسكوبى

● اهميته للاحتراق ●

والسكر ليس المصدر الوحيد للطاقة ، حيث أن المختزن منه فى الكبد والعضلات لا يتجاوز بضعة جرامات ، فالجسم يعتمد اعتمادا كبيرا على الدهنيات التى توفر ٩ سعرات للجرام بينما لا يوفر السكر سوى ٤ سعرات ولكن الدهنيات لا يكتمل احتراقها الا باحتراق السكر معها ، فاذا توقفت هذه المشاركة لم يكتمل أيض الدهنيات وتراكمت احماض خلونية تظهر فى شكل أسيتون أو أحماض قريبة منه ، وقد تسمم الجهاز العصبى وتودى بحياة المريض .

وهذا ما يسمى بالكوما (أو الغيبوبة الكاملة) أما من جهة الانسجة فانها تصاب كلها بانواع من التلف حيث ان جزئية الجلوكوز تدخل فى تركيب الجزئيات الاساسية المكونة للانسجة .

ومن جهة اخرى ينتج عن توقف

الاحتراق تراكم المواد الدهنية فى الدم والانسجة وتغيرات فى تكوينها بحيث تؤدى الى تصلب شرايين القلب (ذبحة صدرية ، جلطة فى الشريان التاجى) وشرايين الأطراف (جلطة ، غرغرينا) وشرايين المخ وشرايين العينين وبصفة خاصة الشبكية (نزف ، انسداد ، انفصال ، فقدان البصر) والتهاب الاعصاب وضمورها (آلام مبرحة ، فقدان الحس ، ضعف ، شلل) ، التهابات جلدية (مكروبية ، قرح ، غرغرينا) ، التهابات كلوية وتسمم بولينا ، تخلخل فى العظام ، ضعف جنسى ، عقم ، سقط الاجنة ، زيادة حموضة الدم والتسمم بالاستون والكوما الديابيطى ، وبالاختصار اصابة كل عضو من أعضاء الجسم وانسجته .

الا أن شدة الاصابة وسرعة تدهور المرض وظهور المضاعفات تختلف اختلافا كبيرا من شخص لاخر ، فهناك من يفتك به المرض فى أسابيع وهناك من يظل مصابا به الى فترة طويلة .

وهنا لنا وقفة فعلينا أن ندرك أن ظاهرة البول السكرى وهى مظهر من مظاهر أمراض عدة تختلف صورها الأكلينيكية اختلافا شديدا وفقا لعوامل لا ندركها حق المعرفة الآن ، على أننا نعترف بأن هذه الصور المختلفة قد تكون صورا لمراحل مختلفة من المرض يمكن التدرج من افضلها الى اسوأها اذا تضافرت عوامل الاساءة وهى البدانة والافراط فى الاكل والالتهابات وتوتر الأنفاس ، كما يمكن الارتفاع من أسوأها الى افضلها اذا توافرت عوامل التحسين وهى تخفيض الوزن والحماس للطعام والعلاج وغير ذلك ؟

وقد قسم المرض الى أنواع ، ولعل أبسط تقسيم واكثره عملية هو التقسيم الى نوعين :

● أولا : النوع المعتمد على الأنسولين كعلاج ويستجيب له وكان يسمى ديابيطس الصغار .

● ثانيا : النوع الذى لا يحتاج للانسولين ولا يستجيب له استجابة كافية وكان يسمى ديابيطس المسنين .

والتسمية الجديدة - أى المبنية على الاستجابة الانسولينية - أفضل ، لأن ارتباط كل نوع من النوعين بالسن غير وثيق .

وهناك فروق أخرى تميز بين النوعين :

فقد وجدت فى النوع الاول تغيرات كروموزومية يصطحبها تقصير فى الاستجابة المناعية للجسم بالنسبة للاثارات الخارجية ، كما وجدت فى أجسامهم مواد مضادة لجزر البنكرياس والعامل الرابط بين هاتين الظاهرتين

اما فى النوع الثانى ، فقد يكون شان الوراثة فيه أهم وان لم يكشف عنه بعد ، بدقة ، ولكن أهم عامل يرفع القناع عن المرض الكامن ليس الاصابة الفيروسية ولكن الافراط فى الطعام والبدانة .

ويتسم النوع الاول بالنحافة وانعدام ارتفاع الانسولين فى الدم عقب تناول السكر والاستعداد للحموضة وعدم الاستجابة للعقاقير التى تستخدم من الفم .

ويتسم النوع الثانى بالبدانة وضعف الاستجابة للانسولين ، والاستجابة للاقراص ، وقلة حدوث الحموضة الخلونية واحتمال ارتفاع الانسولين فى الدم عقب تناول السكريات أو تناول أقراص السكر .

ويجوز تقسيم الديابيطس كذلك حسب مراحل تطوره وهى :

١ - الاستعداد الوراثى فحسب أى طور ما قبل الديابيطس .

ممنوع اليأس
أمام مرضى السكر!

٢ ـ مرحلة المنحنيات السكرية (بعد تعاطى الجلوكوز) غير الطبيعية التى لا تصل ـ مع ذلك الى الانحراف السكرى السافر ٠

٣ ـ الديابيطس الكيميائى قبل الاكلينيكى ٠

٤ ـ الديابيطس الاكلينيكى ٠

٥ ـ مرحلة المضاعفات ٠

ولقد تغيرت المضاعفات وأسباب الوفاة على مر السنين مع تقدم وسائل العلاج الجديدة التى أدت الى اطالة حياة المصابين ٠

ان افضل علاج ـ شأنه شأن كل الامراض ـ هو العلاج الوقائى ، نظرا لسهولة العودة الى حالة طبيعية نسبية فى حالات كثيرة ، ولخطورة ترك المرض يتقهقر من سىء الى أسوأ ٠ وأهم عاملين نستطيع التحكم فيهما هما الوراثة والبدانة ٠ فاذا حرم الزواج بين من ينتمون الى أسر مصابة بالسكر واذا احتفظ المريض بوزن اقل نسبيا من الوزن الطبيعى قلت فرص ظهور المرض ٠

اما العلاج فان الغرض منه :

١ ـ اعادة عمليات الأيض الى الطبيعة وهذا باجتناب ارتفاع السكر فى الدم فوق المعدل ، ومنع ظهور الأحماض الخلونية واجتناب ارتفاع المواد الدهنية التى يرجح انها تسهم فى ظهور المضاعفات فى الشرايين والقلب والكلية ٠

٢ ـ توفير غذاء صالح يحوى عددا من السعرات كافيا للنشاط الطبيعى اذا كان وزن المريض طبيعيا ، وعددا ناقصا اذا كان المريض بدينا وعددا وافرا اذا كان المريض نحيفا ٠

٣ ـ توفير كمية من البروتين تكفل نمو الصغار وتكفى لمتطلبات الأيض اليومى فى مختلف مراحل الحياة مثل الحمل ونقص التغذية الخ ٠

وان ندخل فى تفاصيل كل حالة على حدة ، بل يمكن وصف نظام عام ينطبق على شخص كامل النمو وزنه طبيعى على انه يمكن تغيير هذا النظام حسب المقتضيات الخاصة كالتالى :

وزن الشخص ٦٠ كيلو جراما × ٣٠ سعرة للكيلو جرام = ١٨٠٠ سعرة

٦٠ جم بروتين (جرام واحد لكل كيلو جرام) × ١٠ر٤ سعرة لكل جرام = ٢٤٦ سعرة ٠

١٢٠ جم هيدرات الكاربون و ١٠ر٤ للجرام = ٤٩٢ سعرة ٠

١١٥ جم دهن و ٣ر٩ سعرة للجرام = ١٠٦٢ سعرة ٠

المجموع ١٨٠٠ سعرة

ويمكن خفض الدهنيات وزيادة النشويات فى حالات الحموضة او تصلب الشرايين ، وتخفيض البروتينات اذا ارتفعت نسبة حمض البوليك او البولينا ، الخ ٠

وهناك أسطورة خطيرة ، راجت فى الاوساط غير المسئولة ، يجب أن نرخصها ، وهى أن عسل النحل يفيد السكر ، على أساس أنه يحوى نوعا من السكر هو الفركتوز الذى يعوض نقص الانسولين ٠

ان فى هذا القول بعض التلاعب فى الالفاظ ٠٠ لماذا ؟

١ ـ لان الفركتوز لا يحتاج الى الانسولين ، وهذا يتحقق اذا حقن فى الوريد ٠ ولكنه اذا دخل الجسم عن طريق الفم والامعاء ، وصل أولا الى الكبد حيث يختزن فى شكل جليكوجين

•• فاذا احتاج الجسم الى شيء منه حوله الكبد الى جلوكوز وهو سكر يحتاج الى الانسولين •

٢ ـ ولان عسل النحل يحتوى على ما يقرب من ٤٨٪ من الفركتوز و ٤٠٪ من الجلوكوز ، وقد يمر بعض الفركتوز عبر الكبد الى الانسجة مباشرة بنسبة ضئيلة جدا ، ولكن اكبر كمية منه تدخل الى الكبد •

٣ ـ وقد ثبت أن كثرة الفركتوز تضر الكبد •

وعلى هذا فانه يجب اعتبار عسل النحل من السكريات العادية •

وبالنسبة للعلاج يمكن تقسيم مرضى السكر الى فئات :

● الحالة الاولى :

وهى مريض يشكو من البول السكرى ولا يفرز الاستون ، يوصف له نظام اكل مناسب ويحلل الدم بعد الغداء بساعتين •

١ ـ اذا كانت نسبة السكر طبيعية يستمر العلاج دون اى عقاقير • واذا كان المريض لا يستطيع الاكتفاء بهذا الكم من الغذاء أضيفت كميات تدريجية مع استمرار التحليل حتى قناعة المريض أو ارتفاع نسبة السكر فى الدم •

٢ ـ اذا ارتفعت نسبة السكر فى الدم وجب الالتجاء الى أحد العقاقير التى تؤخذ من الفم على أن تراقب حالة الدم • فاذا مكثت فى حدود معقولة استمر العلاج • واذا ارتفعت وجب الالتجاء الى الانسولين •

٣ ـ الانسولين : يحلل البول بعد كل وجبة فاذا ظهر السكر فى عينة واحدة أعطيت جرعه انسولين قبل هذه الوجبة •

واذا ظهر السكر فى كل العينات وجب اللجوء الى اكثر من حقنة يوميا أو الى نوع من أنواع الانسولين طويلة الامد •

ويمكن تقسيم أنواع الانسولين حسب طول فاعليتها على الوجه المبين بالجدول •

وهناك أنواع كثيرة تختلف عن بعضها بعض الاختلاف لا داعى لذكر اى منها بالتفصيل ، سوى نوع استنبط حديثا بادخال الكروموزومات الخاصة بافراز الانسولين الادمى فى خلايا بعض البكتريا وبالتالى دفع هذه البكتريا الى افراز انسولين مماثل للانسولين الادمى ، يغنى عن استعمال الانسولين الحيوانى الذى يؤدى اختلافه عن الهورمون الادمى الى ردود فعل غير مستحبة •

● الحالة الثانية :

هى حال المرضى النحاف المصابين بحموضة خلوينية •

ففى هذه الحال يتحتم البدء بالانسولين فورا لان الحموضة تدعو الى الفرض بان الجسم لا يفرز الانسولين حيث أن اقراص البول السكرى تعمل انما بحث البنكرياس على افراز أفضل من الانسولين اذا كانت قادرة بعد على هذا الافراز •

وتلك الحالات ـ أى حالات الحموضة ـ خطيرة وقد تستوجب العلاج باقسام خاصة بالمستشفيات حيث انها تنبىء بحدوث الكوما الخلونى الذى قد يودى بحياة المريض

النوع	بدء الفاعلية	الاوج	الانتهاء
الانسولين العادى	٢٠ دقيقة	١ ـ ٢ ساعة	٦ ساعات
انسولين زنك بروتامين	٣ ـ ٦ ساعات	١٢ ساعة	٢٤ ساعة
انسولين بطىء جدا		٢٤ ساعة	٤٨ ساعة

قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على إلى اليوم

محمد على

أو التنمية بلا ديون

بقلم : د. جلال أمين

كلما امعن المرء فى قراءة أحداث مصر الاقتصادية والسياسية خلال العشر سنوات او الخمس عشرة سنة الاخيرة ، وفى تامل محنة مصر الاقتصادية الراهنة ، كلما ازداد اقتناعا بانه ليس هناك ، من بين مشكلات مصر المتعددة ، ما يعادل مشكلة الديون الخارجية خطورة . مشاكلنا الاقتصادية كثيرة حقا ومتشعبة ، ولكن من اية زاوية نظرت وجدت أن مشكلة الدين تحتل مكان الصدارة فى خلق الاعباء وتعقيد الحل ، فمشكلاتنا الاساسية تتركز فى الاساس فى عجز كبير فى ميزان المدفوعات ، وفى موازنة الدولة ، وما يستتبعه هذا العجز الاخير من ارتفاع معدل التضخم ، ثم فى اختلال هيكل الانتاج وهيكل العمالة لصالح قطاعات الخدمات وعلى حساب قطاعى الزراعة والصناعة، واخيرا فى اختلال توزيع الدخل .

ولكن اعباء خدمة الديون الخارجية اصبحت اليوم تشكل هي نفسها عبئا كبيرا على ميزان المدفوعات وعلى موازنة الدولة ، وأصبح تصحيح هيكل الانتاج والعمالة يصطدم بعقبة اساسية هي ما تفرضه اعباء خدمة الديون من تخفيض معدل الاستثمار .. ثم ان تصحيح السياسة الاقتصادية ، بما فى ذلك تصحيح الاختلال فى توزيع الدخل ، اصبح يصطدم بما تفرضه الديون من قيود على حرية التصرف ، كما ان استعادة حرية التصرف فى السياسة الخارجية اصبحت بدورها مرهونة بالتحرر من الديون .



محمد علي شهد عصره اندماجا فى الاقتصاد العالمى

● بين الاحتلال العسكرى والتورط فى الديون :

حقا لم يعد الحديث عن «الاستقلالين السياسى والاقتصادى » يحمل نفس المعانى التى كان يحملها منذ اربعين او خمسين عاما ، حينما كانت بلادنا تحت الاحتلال العسكرى ، ولم يعد سياسيونا يتعرضون لنفس المهانة التى كان يفرضها الاحتلال ولكن فقدان حرية التصرف له اشكال والوان ، وقد تكون فاقدا لهذه الحرية وانت تتمتع بكامل الابهة والاحترام الظاهرى . والعبرة فى النهاية ليست بدرجة الادب والتهذيب اللذين يعاملك بهما صاحب الامر والنهى ، وانما بمدى قدرتك الحقيقية على التمرد والعصيان . فاذا تبينت ان الذى يقلل من قدرتك على العصيان وعلى ممارسة حريتك فى رسم سياستك الداخلية والخارجية هو تلك الديون المشئومة ، فانه لايبقى امامك مجال للشك فى ان هذه الديون قد اصبحت فى الواقع هى البديل الحديث للاحتلال العسكرى ، وان قضية التحرر من الديون الخارجية قد اصبحت هى البديل المعاصر لقضية الجلاء ..

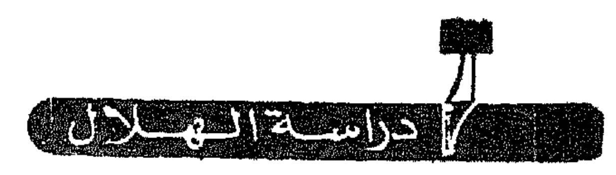


عبدالرحمن الرافعى إعادة كتابة تاريخ مصر الحديث

لا غرابة اذن فى ان يحاول المرء اعادة قراءة التاريخ الاقتصادى المصرى من هذه



عبدالناصر فترة الازدهار



محمد على

أو التنمية بلا ديون

الزاوية : زاوية الديون الخارجية .. لقد عكف عبد الرحمن الرافعى على قراءة واعادة كتابة تاريخ مصر الحديث من زاوية النزوع الى الاستقلال السياسى ، اذ كانت القضية الاساسية التى تواجه مصر وهو عاكف على كتابه ، هى قضية الاحتلال والجلاء . فما أحرانا اليوم بأن نعيد قراءة تاريخنا وكتابته من زاوية النزوع الى الاستقلال الاقتصادى والتحرر من الديون الخارجية . لقد رويت القصة بالطبع مرارا وتكرارا ، ولكنى اعتقد أنه مازال هناك مجال واسع للمزيد . فالتاريخ كما نعرف ليس الا طريقة معينة للنظر الى الاحداث ، ورواية التاريخ الاقتصادى لمصر فى ١٩٨٧ لابد أن تتأثر بظروف مصر الاقتصادية فى الثمانينيات ، أو على الاقل برؤية الكاتب لهذه الظروف . ان الذى يكتب عن محمد على مثلا فى أواخر عهد الملكية لايمكن أن يرى محمد على كما يراه كاتب عاصر الناصرية ورأى ازدهارها ثم انحسارها ، والذى يكتب عن ديون سعيد واسماعيل ، قبل أن يشهد ديون السادات ، ليس كمن يكتب عنها بعده، وهكذا . كيف تبدو اذن قصة ديون مصر الخارجية منذ عهد محمد على منظورا اليها من عهد مبارك »

● ارتباط بالعالم مع استقلال فى الادارة

منذ أن تبدأ كتاب التنمية ، منذ نحو عشرين عاما ، يشيرون الى « التبعية الاقتصادية » كسمة اساسية من سمات العالم الثالث ، ويدعون الى « فك الارتباط » بعجلة الاقتصاد العالمى ، والرأسمالى بوجه خاص ، والى تنمية اقتصادية « معتمدة على الذات » ، كثرت الاشارة لدى الاقتصاديين المصريين الى تجربة محمد على على انها مثال جيد لمحاولة بناء تنمية اقتصادية مستقلة ، نجحت الى حد كبير فى تحقيق الاعتماد على الذات حتى تم ضربها من القوى العالمية المستفيدة من ربط مصر بالاقتصاد الراسمالى . هذا التشخيص لتجربة محمد على ، وان كان يحتوى على جزء كبير من الحقيقة ، فانه يشير فقط الى نصف الحقيقة .

فالواقع أن مصر تحت حكم محمد على قد شهدت اندماجا فى الاقتصاد العالمى بدرجة لم تعرفها طوال قرون طويلة سابقة ، وكانت طبقا لمدة معايير أقل اعتمادا على النفس بكثير ، فى عهد محمد على ، مما كانت طوال الحكم العثمانى على الاقل . فاذا نظرنا مثلا الى الدور الذى لعبته التجارة الخارجية فى الاقتصاد المصرى تحت حكم محمد على ، نجد أن صادرات مصر من القطن قد أصبحت فى ظله هى المصدر الاساسى للدخل القومى وايرادات الحكومة ، وأن الواردات المصرية قد زادت ايضا فى عهده بسرعة مذهلة مع زيادة حصيلة الصادرات ، اما لتزويد جيشه الدائم النمو بما يحتاج اليه من معدات ، أو لتزويد صناعاته الجديدة بما تحتاج اليه من آلات ومواد أولية . كانت التجارة الخارجية لمصر فى القرن الثامن عشر وخلال سنوات الحملة الفرنسية لا تلعب الا دورا هامشيا فى الاقتصاد المصرى ، فاصبحت تحت حكم محمد على هى المحرك الاول لعجلة الاقتصاد . وكانت الاسعار المحلية السائدة فى مصر قبله تكاد تكون منبتة الصلة بالاسعار العالمية ، فاقتربت بشدة فى عهده من الاسعار السائدة فى

أوربا ، مع زيادة حجم الـواردات والصادرات ، ومع التقدم الذى تحقق فى عهده فى وسائل المواصلات . زاد بشدة أيضا فى عهد محمد على عدد الاجانب المقيمين بمصر ، فبينما لم يزد عددهم على نحو مائة شخص عند قدوم الحملة الفرنسية ، تزايد عددهم بسرعة فى عهده بسبب استقدامه لاعداد كبيرة من المهندسين والاطباء وغيرهم من الفنيين للخدمة فى مصانعه وجيشه واسطوله ، وبسبب ازدهار التجارة الخارجية ..بل انه حتى بمقياس التنوع فى مصادر الواردات المصرية وأسواق صادراتها ، نجد أن مصر فى عهد محمد على كانت معتمدة اعتمادا اساسياعلى سوق واحدة هى السوق البريطانية التى كانت عند وفاة محمد على فى ١٨٤٩ تستوعب وحدها ما يقرب من نصف اجمالى الصادرات المصرية وتزود مصر بأقل قليلا من نصف اجمالى وارداتها ..

لم يكن الاقتصاد المصرى اذن «مستقلا» عن الاقتصاد الرأسمالى فى عهد محمد على ، لا بمقياس ضآلة دور التجارة الخارجية ، ولا بمقياس تنوع أسواق التصدير والاستيراد ، ولا بمقياس الاعتماد على الخبرة والمهارات المحلية .. من أين اذن يأتى الحديث عن «التنمية المستقلة » فى عهد محمد على ، ولماذا يصح وصف تجربته بأنها تجربة رائدة فى « الاعتماد على النفس » ؟ يصح ذلك فى رأيى من ثلاثة وجوه أساسية ، نفتقدها كلها اليوم :

أولها : يتعلق بما توافر لمصر فى عهده من اكتفاء ذاتى فى الغذاء . كانت واردات مصر تتكون أساسا من الالات والسفن والمدافع والحديد والخشب ، ولكنها لم تكن تستورد الغذاء ، بل كان لدى مصر فائض من الارز تصدره لتستورد السفن ومن القمح والفول والذرة تصدره لسد حاجات المصانع والجيش .

وثانيها : ان مصر فى عهده كانت تتمتع بدرجة عالية للغاية من القدرة على المساومة مع المصدرين والمستوردين على السواء . حقا لم يكن أمام مصر مفر من الاعتماد على تصدير القطن الى أوربا ولا من الاعتماد على استيراد الالات والخبرة منها ، ولكنها كانت ايضا فى وضع يسمح لها بالحصول على أفضل الشروط الممكنة لصادراتها ولوارداتها كان الذى سمح لمصر بذلك هو ما طبقه محمد على من نظام الاحتكار .. فكلنا يعرف انه طبقا لهذا النظام أصبح محمد على هو البائع الوحيد للصادرات المصرية ، ولم يكن باستطاعة التجار الاجانب الوصول الى المزارعين المصريين لشراء منتجاتهم بأبخس الاسعار ، بل كانوا يواجهون مزادا فى الاسكندرية يتنافسون فيه على الشراء من الوالى . كان مالايقل عن ٤٠٪ من واردات مصر تمر أيضا بيد الوالى ، وكان بيده ايضا من الوسائل ما يجبر بها غيره من المستوردين على خفض وارداتهم وعلى شراء المنتجات المصرية التى تنتجها مصانعه .

كان الوجه الثالث من وجوه الاعتماد على النفس فى عهد محمد على ، هو اهمها على الاطلاق ، وهو الذى يهمنا هنا بوجه خاص . فهذا الرجل الذى بنى المصانع ، وأقام الخزانات والسدود وأحدث ثورة فى التعليم ، وأرسل البعثات وأنشأ أقوى جيش فى المنطقة ، لم يسمح لنفسه قط بالتورط فىالديون نعم ، كانت تمر بميزان المدفوعات فى عهده بعض سنوات العجز ، ولكنه كان سرعان ما يعقبه فائض ، فاذا بمصر تحقق اكتفاء ذاتيا كاملا فى رأس المال ، لايدخل اليها منه معونات أو قروض أو استثمار أجنبى ، ولا يخرج منه الا ما يفى بالتزاماتها من دفع الجزية لاستانبول أو بعض الهدايا للسلطان ..

دراسة الهلال

محمد علي

أو التنمية بلا ديون

كان فى السنوات الصعبة التى يحتاج فيها الى مزيد من المال لتمويل حملاته العسكرية يستغنى عن كل الواردات غير الضرورية ، ثم يرغم التجار الاجانب على دفع قيمة مشترياته منه مقدما .

يروى كراوشلى أن محمد على احتاج فى ١٨٣٣ احتياجا شديدا الى مزيد من المال لتمويل حملته الى سوريا، وتدفقت عليه العروض بتقديم القروض ، ولكن المقرضين الاجانب طالبوا بتخصيص ايرادات بعض المديريات لضمان السداد الامر الذى رفضه محمد على رفضا باتا ولم يتم الصفقة . وكان محمد على يعجز أحيانا عن دفع مرتبات موظفيه فيعطيهم بدلا منها سندات على الحكومة يقومون بخصمها لدى التجار أو بعض المقرضين المحليين بسعر فائدة قد يصل احيانا الى ١٥٪ أو ٢٠٪ « كان الوالى يمر اذن من حين لاخر ، وخلال بعض الظروف الصعبة ، بفترات يكون فيها مدينا بمبالغ كبيرة ، للتجار مقابل ما دفعوه مقدما ، أو لموظفيه مقابل مرتباتهم المتاخرة ، ولكن كان بمجرد أن يحل السلام ويمر بفترة رخاء سرعان ما يقوم بسداد ديونه ، وسرعان ماتمتلىء خزانته من جديد خلال فترة لا تزيد على سنة أو سنتين . فى أثناء ذلك ، ورغم أنه كان دائم التطلع الى مشروعات ضخمة للتنمية وتقدم البلاد ، كان يتجنب دائما التورط فى مشروعات تفوق أعباؤها موارد البلاد المالية ، فاذا به يرحل عن العالم فى ١٨٤٩ دون أن تكون مصر مدينة لاحد بقرش واحد »

من المفيد ان نتأمل ، من خلال تجربة محمد على ، ما يقال اليوم كثيرا عن « التبعية » وعن « الاعتماد المتبادل » بين الدول . فحينما تثار قضية الديون الخارجية كثيرا ما نسمع من يقول اننا نعيش اليوم فى عالم لامعنى فيه للشكوى من التبعية ، فالدول كلها ، الغنية منها والفقيرة ، تعيش على «الاعتماد المتبادل» ولايمكن لاى منها الاستغناء عن غيرها ، مهما بلغ رخاؤها وقوتها الاقتصاديان فاليابان مثلا ، بكل ثروتها ، تعتمد فى حياتها على استيراد النفط ، والولايات المتحدة ، مع رخائها ، لايمكن ان تعيش اذا أغلقت أسواق أوربا الغربية واليابان فى وجه منتجاتها ، والعكس بالعكس ..

وهذا بالطبع صحيح ولكنه ايضا يروى نصف الحقيقة وليس الحقيقة كلها .. فالعبرة فى درجة الاستقلال ، كما راينا من تجربة محمد على ، ليست بمدى استغناء الدولة عن التجارة الخارجية، او عن علاقاتها الاقتصادية بالعالم الخارجي ، وانما بمدى ما تتمتع به من قوة المساومة فى علاقاتها الخارجية .. **فخطر اغلاق السوق الاوربية أمام المنتجات الامريكية يقابله خطر اغلاق السوق الامريكية أمام المنتجات الاوربية والخطر الذى تواجهه اليابان من احتمال قطع البترول عنها من دول تخضع بدرجة او باخرى لمقتضيات السياسة الامريكية، يقابله الخطر الذى تواجهه الولايات المتحدة من احتمال اتخاذ اجراءات لاتقل خطورة من جانب الحكومة اليابانية .. انما تاتى التبعية حينما تضعف قدرة الدولة على المساومة بحيث لايكون لديها اية وسيلة لدفع الخطر عنها اذا ارادت دولة اخرى اخضاعها والتحكم فى ارادتها وهذا هو بالضبط ما نجح محمد على فى تجنبه .**

● هل يخلق العرض الطلب ؟!

السؤال الان : من اين توفرت لمحمد على هذه الدرجة العالية من الاستقلال والاعتماد على النفس ؟ من السهل ،

ومن الصحيح أيضا ، الحديث عن قوة ارادة الرجل وفطنته وبعد نظره ، ولكن من السهل أيضا المبالغة في دوره الشخصي والافراط في الثناء عليه .. لقد كانت مصر في عهد محمد علي ، كما كانت في عهد عبد الناصر ، على ماسنرى فيما بعد ، تعيش وسط ظروف دولية ملائمة للغاية . وهنا نجد المفارقة بين النصف الاول من القرن التاسع عشر ونصفه الثاني ، شبيها أشد الشبه بالمفارقة بين فترة ازدهار الناصرية (٥٦ - ١٩٦٥) وفترة انحسارها منذ النصف الثاني من الستينيات .

ان الذي يتحكم في درجة اعتمادك على القروض ، ليس هو فقط مدى حاجتك الى الاقتراض ، أو مدى رعونتك أو حكمتك في ادارة شئونك ، وانما هو ايضا مدى استعداد غيرك لاقراضك ومدى تلهفه على توريطك في الديون .. وهنا نصادف انطباق القاعدة التي كثيرا ما نصادفها في عالم الاقتصاد : « العرض يخلق الطلب » . ومعنى ذلك فيما نحن بصدده الآن أن تورطك في الديون لايتوقف فقط على مدى حاجتك اليها ، وانما يتوقف ايضا على مدى حاجتك(اليها) لاقراضك . وقد كان من حسن حظ محمد علي أنه كان يعيش في عصر لم تكن قد بلغت فيه بعد حاجة المقرضين الاجانب للاقراض ما بلغته في عهد سعيد أو اسماعيل .

لقد تولى محمد علي حكم مصر في ١٨٠٥ . ولكن اوربا كانت لفترة السنوات العشر التالية منهوكة القوى في حروب نابليون . وفي العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي كانت بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي أتمت ثورتها الصناعية وتراكم لديها فائض من رأس المال البريطاني كانت ماتزال أمامه فرص مغرية للاستثمار في أوربا ، التي كانت تمر بفترة نمو سريع في أعقاب حروب نابليون ، وفي مزارع ومناجم الولايات المتحدة وامريكا الجنوبية . ثم جاءت الاربعينيات لتجد فائض رأس المال فرصا أخرى مجزية للاستثمار في مد خطوط السكك الحديدية داخل بريطانيا نفسها حيث استوعبت السكك الحديدية في تلك الفترة الجزء الاكبر من هذا الفائض .. كان علينا اذن الانتظار حتى منتصف القرن قبل أن تبدأ استثمارات بريطانيا الخارجية في النمو بمعدل أكبر من معدل النمو في استثماراتها داخل حدودها ، وقبل أن تبدأ استثماراتها في اوربا تتضاءل لحساب استثماراتها فيما وراء البحار ، ثم لحقت بها الاستثمارات الفرنسية والالمانية . أما الولايات المتحدة التي جاءت ثورتها الصناعية متأخرة بنحو نصف قرن عن بريطانيا ، ومرافقة بالتقريب للثورة الصناعية في فرنسا والمانيا ، فكانت لاتزال تستورد كميات كبيرة من فائض رأس المال الاوربي التي أتت لتستغل فرص الاستثمار الهائلة التي أتاحها مد السكك الحديدية الى أطرافها المترامية في الجنوب والغرب

مع انتصاف القرن التاسع عشر ودع محمد علي العالم وترك مصر لولاة ضعاف يحار المرء فيما اذا كان تورط مصر في الديون في عهدهم كان بسبب هذا الضعف أم كان هذا الضعف شرطا أساسيا يتعين تحقيقه من اجل توريط مصر في الديون. أيا كان الامر ، فان شخصيات الولاة في اعقاب محمد علي جاءت منسجمة تمام الانسجام مع حاجة رأس المال الاوربي ، واذا بالطلب يخلق العرض والعرض يخلق الطلب ، في دائرة جهنمية اودت باستقلال مصر الاقتصادي والسياسي معا.



● فقيد الرواية العربية ●

كتب نقيد الرواية العربية فتحي ابو الفضل سيرته الذاتية في كتاب صغير صدر عام ١٩٧٩ ٠٠ فتحدث كيف بدابكتابة القصة القصيرة وعمره عشرون عاما وفاز بجـــائزة مجلة الجامعة عن قصة « نهـاية غرام » ، وبالجائزة الأولى في مسابقة مجلة الكاتب عن قصة « شـهر زاد » وفاز بالجائزة الأولى عن قصة « احدى اللواتي ينتظرن » ٠٠ وكتب للاذاعـة مسلسل « ليلة الورد » وتشجع لكتابة الرواية بعد مسـابقة أعلنت عنها الرسالة والرواية وكان قد قدم الاستاذ نجيب محفوظ « رادوبيس » والاستاذ على احمد باكثير « سلامةالقس » وقد فاز بالجائزة فأحس فتحي أبو الفضل بخيبة امل وذهب وقابل الاستاذ احمد حسن الزيات وقال : أنا قدمت رواية « امرأة احبت » وغير معترض على قرار الجائزة ، ووعده الاستاذ الزيات أن يقرأ الرواية ويرد عليه بعد أسبوعين وقابله وقال : هذه رواية جيدة واشار الى بعض الملاحظات ورد اليه الرواية ثم اخذ يراسل مجلة الرسالة والرواية بالقصص القصيرة وتنشرها له ، وروايته الاولى وضـعها في درج مكتبه واعاد كتابتها بعد أكثر من عشر سنوات وقد ازداد خبـرة باللغة وكتب رواية « الثوب الضيق » وارسلها الى احدى دور النشر وقابله مستشارها وقال : يجب أن تحذف منها بعض ما يسمونه الأدب المكشوف ٠٠ ولم يقبل منه الرواية ، وانقضت عشرة أعوام حتى جاء عام ١٩٦٩ فنشرت له احدى دور النشر هذه الرواية ٠

وفتحي أبو الفضل ـ رحمه الله ـ كتب رواية « عبد الباقي وبناته » ثم رواية « لا تغسلوا الوحل » وصدرت له رواية « حافية على الشـــوك » ورواية « قلوب في الغربة » ورواية « دموع على الذكرى » ٠٠ ثم نشرمجموعة « لكن ٠٠ شيء ما يبقى » ومجموعة قصص « مفتاح في باب الجنة » ورواية « الهانم والكلب وانا » وفي عام ١٩٧٧ صدرت رواية « دقات على بابي » وظلت رواية « امرأة احبت » ٤٠ عاما في مكتبه منذ ١٩٣٨ حتى صـدرت بعد كتابتها للمرة السادسة ١٩٧٧ وغير عنوانها الى « هذه ٠٠٠٠ واموت » وقد بكى عندما تسلم النسخة الاولى من هذه الرواية ١٩٧٨ وكانت رقم ١٢ في مجموعة رواياته ٠٠

وللمرحوم فتحي أبو الفضل ٢٠ رواية و٢٠ مجموعة قصص قصيرة ٠
وفاز بجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٩ ٠٠ ورحم الله كاتبنا الكبير ٠

رجب عبد الحكيم بيومي الخولي
كلية دار العلوم ـ القاهرة



لغة العيون

● تتجمد الكلمات حين نقولها ..
وتقيم جدرانا من الألفاظ
هذى حروف الشوك أدمت عمرنا
وأقامت القلبين فوق شواظ
يا انت لا تخف الهوى لغة العيون
تجيبنى يا ساحر الألحاظ
● الصمت بين العاشقين تواصل .
فدع الكلام لسائر الوعاظ

د . احمد عامر

● جيلنا الجديد ولغته ●

● أنا شاب حاصل على دبلوم المدارس الثانوية التجارية وعندى « مواهبه » فى « كتبت » الشعر واصبح عندى الان حوالى ٢٨ قصيدة لا ترى النور وانى أريد ان تنشر فى كتاب صغير مثل بعض الادباء التى « اقراء » لهم .

وانا لم أرسل هذا الخطاب الا بعد ان اقتنعت بقصائدى بعد « قرأة » اعمال « هؤلا » الادباء « فوجد » أن قصائدى لا « تقر » فى « شيا » عنهم بل ان هناك قصائد « قراته » على بعض الاساتذة فى « الغة العربية » فى المدرسة « فكانو » يتعجبون لما كتب و « عرضو » على أكثر من مرة لكى ارسل الى أى مكان للنشر ولكن لم أجد الفرصة المناسبة .

وأرجو من الله العالى القدير ان تكون فرصتى قد « لحت » حتى تظهر قصائدى فى النور ويتمتع بها المهتمين بالشعر وحتى لا أصل الى حالة يأس وابتعد عن الكتابة .

وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون كتبى مفاجآت عام ٨٧ .

الاسم : ((عبيبد)) ديب خفة
منشأة فاضل ـ العياط ـ
جيزة
تاريخ الميلاد : ٢١-٤-١٩٦٧

● تعليق ●

ننشر هذه الرسالة بحروفها كما جاءتنا . وصاحبها اسمه « عيد » ولكن كتبه « عييد » وربما كان اسمه « عبيد » فخطه لا يقرأ بسهولة وقد وضعنا أخطاءه الاملائية وغيرها بين أقواس ، فمن ذلك قوله : « عندى مواهبه فى كتبت الشعر » .. يقصد مواهب فى كتابة الشعر ، ويقول « اقراء » يقصد « أقرأ » و « قرأة » يقصد « قراءة » ولا « تقر » يقصد « لا » « تقل » و « فكانو » يقصد « فكانوا » و « الغة » . يقصد « اللغة » و « عرضو » .. يقصد « عرضوا » .. و « لحت » ويقصد « لاحت » ... الخ .



ونحن نشرنا هذه الرسالة بحروفها اظهارا لحزننا العميق الى ما صار اليه الجيل الجديد من الجهل بلغته القومية ، ومن عجب أن ابننا هذا يعتقد ان كتبه ستكون مفاجأة سنة ١٩٨٧ .. والحقيقة اننا فوجئنا بكتابه هذا ـ او رسالته هذه ـ في أول سنة ١٩٨٧ فكانت مفاجأة غير سارة ..

فيا بنى .. أنت لا تعرف لغتك التى تكتب بها وقد جنى عليك ذلك عددكبير من المدرسين والصحفيين وبعض شعراء التفعيلة الجهلاء ونقاد اخر الزمن ، وظروف كثيرة معقدة .

يا بنى ادرس لغتك من أول « ألف .. باء » ثم فكر فى تأليف الكتب ومفاجأة القراء !

● الحشا .. ومعناها ●

نشرتم أبياتا للدكتور أحمد عامر عنوانها « ويبقى الله » شعرت أنها وليدة تجربة صادقة ، بيد انى توقفت عند البيت الذى يقول فيه : « ويبقى الله .. أقرب من وريد فى حشايانا » فكلمة « الحشا » جمعها « الاحشاء » وهى ما فى جوف الانسان من معدة وأمعاء وغيرها ، ولا أدرى لماذا آتى الشاعر بكلمة « حشايانا » ؟! « هل خطرت له الآية الكريمة : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » .. أم اضطرته الى ذلك القافية ؟! .. أنا أرى أنها كلمة غير مناسبة وتعترض بغلظتها بقية الأبيات .. وقد ذكرنى ذلك بمأزق لرب السيف والقلم محمود سامى البارودى باشا اذ قال من قصيدة

لولا مكابدة الاشواق ما دمعت
عين ولايات قلب فى الحشا يجب

فقد أخذ عليه النقاد جعله مكان القلب فى الحشا أى فى البطن لا فى الصدر ! . .

عمرو محمد عبد الحميد
١٦ شارع ناصر ـ ساقلته ـ
سوهاج

● تعليق :

ـ نحن معكم فيما ترونه من عدم توفيق الشاعر فى قوله : « وريد فى حشايانا » .

أما قول البارودى « قلب فى الحشا يجب » فلا غبار عليه ، وهو من صميم أساليب الشعر العربى ، ولم ينقده الا بعض مؤلفى الكتب المدرسية الذين لا شأن لهم بالشعر ، وقد يكون فيهم من لا شأن له باللغة العربية ذاتها !..ولو طالع هؤلاء دواوين الشعراء ، من الجاهلية الى عهد البارودى

وشوقى لوجدوهم يستعملون كلمة « الحشا » في معنى القلب والكبد ومكامن الشعور ·· وليست كلمة « الحشا » تعنى البطن والامعاء فى الشعر كما يتصورون فهؤلاء يخطئون مع الأسف فى شرح كثير من الشعر المقرر على التلاميذ ، ولو فتحوا دواوين البحترى وأبى تمـــام والمتنبى فقط لعرفوا كيف تجيء كلمة الحشا فى الشعر العربى ·· وقد كان البارودى رحمه الله أبصر بأساليب الشعر العربى من المدرسين الفضلاء ··

وكان الكاتب اللغوى المرحوم عبد العـــزيز البشرى يعجبه قوله : « لفظة العواطف تدل أكثر ما تدل عــلى خـوالج القلوب ولواعج الكبـود ، من هوى وصبابة ، وولة لاحق ، وغمز على الحشا من عشـــق وتبريح غرام » ! ·· فهل تظن ان البشرى ـ رحمه الله ـ كان يريد أن يقول ان العشق وتبريح الغرام يغمزان على الحشا ، أى على المعدة والامعاء !؟

نحن لم نذكر كـلام البشرى الا لأنه كان كثير الترديد لمثل هذا الكلام ! ·· وافتح ديوان البحترى وحده فستندلق منه مجموعة من كلمة « الحشا » ملتهبة بالعشق والغرام ، وليس فيها أثر لمعنى البطن والامعاء والمعدة كما يظن مؤلفو الكتب المدرســـية الذين يجهلون مع الاســـف ما يؤلفون فيه ! ·· واللغة العربية الآن منكوبة بأمثال هؤلاء المؤلفين الذين لا يعرفون أن كلمة الحشا فى الحب تعنى ما انضمت عليه الضلوع من تباريح الحب ، لا من الامعاء الغليظة والدقيقة ! ··

● قصائد قصيرة ●



(١)
لا تسالونى الآن يا أحبتى
عن قيمة الانسان فى زماننا
لاننى
لا أستطيع البوح بالجواب
مرتيـــن
فالبوح فى زماننــــا
جريمة لا تغتفـــر

(٢)
لست أبالغ حين أقول بأن فؤادك
صـــار فؤادى
لكنى اختلف قليـــلا ··
فشتاء الغربة فى قلبى ··
يتلوه ربيع !

(٣)
مجنون من يفعل هــذا ··
مجنـــون من يفعل ذاك ! ··

محمد ابراهيم المجريسى
شارع الحرية ـ أبو تيج

● طفولة ●

● اكتب اليكم هذه الرسالة وبين طياتها هذه الأبيات :

فتنتك الصــغيرة
والضــفيرة
وعيناك الساحرتان الذكية
وحقيبة الكتب المدرسـية
لماذا تخليت عن هذه الأشـياء ٠
أيتهــا الغبية

سمير أبو الحمد حافظ
عضو نادى أدباء الاسماعيلية

● تعليق ●

– يبدو انك من الظرفاء ، ولكن قولك « عيناك الساحرتان الذكية » يعيبه الخطأ فى قولك « الذكية » ٠٠ فمادمت قلت « الساحرتان » فلابد أن تقول « الذكيتان » ٠٠ ولا نوافقك على أن تقول لمن تحبها : « أيتها الغبية » ولو على سبيل المزاح ! ٠٠ وكلامك خليط من الاوزان والكلام النثرى ٠٠ الا انك تستطيع استيعاب الاوزان ونرجو لك التوفيق ٠٠

● الى متى ؟! ●

فى طريقى سرت وحــدى ٠٠
تحت انقاض الحياة ٠٠
ســوف أحيا رغم قيدى ٠٠
رغم أهوال الحياة
طال أسرى فى طريق
كل ما فيه ضــباب ٠٠
أين عمــرى ؟!

أشرف محمد أبو العز
المعصرة ــ المنشية الجديدة



● السرقات الادبية أيضا ●

● طالعتنا الهلال فى عددها السابق بكلمة عن السرقات الادبية وقــد كان فى هذه الكلمة ما أثير عن شخصنا اذ اتهمتنا الكلمة بالسرقة الأدبية ونحــن نتعجب من ذلك اذ أنه قد نشرت بجريدة صوت الشباب بتاريخ مايو ١٩٨٤ وقد اضطرنا ما نشر أن نرد عليه لما فيه من اتهام لنا من شخص معروف عنه ارتكاب

السرقة الادبية من زملائه بكفر الزيات وشعراء آخرين الى وقتنا هذا ، فقد اتهم بالسرقة الادبية عن احدى قصائده المشبوهة ومرفق نسخة ونسخة اخرى من قصيدة الشاعر محمد الجندى المسروق منها وبملفه الشخصى بالرابطة العديد من هذه القصائد وقد وجهت اليه لجنة التقييم بالرابطة الاتهام بالسرقة الأدبية وثبت اتهامه فيها حسب ما جاء فى تقرير اللجنة ، والمرفق صورة منه وقام مجــلس الرابطة بفصله من العضوية وبعــد فترة عاود الالحاح فى طلب الرجوع الى الرابطة فقررت الرابطة تشكيل لجنة للبت فى أمر عــودته وقدم أحــد أعضائها تقريرا عن تصرفاته ، واجتمعت اللجنة ورفعـــت تقريرها الى مجلس ادارة الرابطة برفض عودة عضويته ومرفق صورة من تقرير اللجنة وبناء على ما تقدم قام هذا الشخص بمهاجمة أعضاء اللجنة التى أعدت التقرير برفض عضويته وبدأ فى مهاجمتهم وهدد بتشويه سمعتهم اعلاميــا كما جاء فى احدى رسائله المرفقــة طية تحــت عنوان « سؤال الى من يهمــه الامر » وقد قام رئيس الرابطة بتوضيح الأمر فى مقال له نشر بالهلال فى ابريل ١٩٨٥ وفى جريدة السياسى الاسبوعية تاريخ ١٩٨٥/٣/٢٤ وبعد أن نشرت هذه الكلمة بالهلال مرة أخرى ونحن نرسل هذا الرد لتوضيح الموقف •

صبرى عبد الله قنديل ـ السيد محمد حمص ـ جمال ابراهيم بكر



● تصــويــب ●

● ورد فى مقال د . جلال أمين فى العدد الماضى من الهلال (يناير ١٩٨٧) خطأ مطبعى يتعين تصويبه لما يؤدى إليه من تشويه المعنى المقصود ، إذ جاءت بصفحة ٧٢ عبارة "فتصوير عبد الناصر كما لو كان هو الذى جلب الانتصار هو تصوير خاطىء من أساسه" وصحتها "فتصوير عبد الناصر كما لو كان هو الذى جلب وحده الانتصار والهزيمة ، هو تصوير خاطىء من أساسه"



● مع الاصدقاء ●

● رفعت محمد بروبى ـ سوهاج :

ـ انتاجكم في الشعر غزير ويتقدم باطراد ·· نهنئكم وننتظـــر رســـائلكم ··

● أيمن فاروق ـ شارع ابو نجدى ـ بنى مزار :

ـ اذ كنت تطلب راينـا بصراحة ، فنصـارحك بأن ما تكتبـــه من الشعر يفتقر الي الوزن ، كما أن لغتك نحوا وصرفا تحتاج الى مراجعة دقيقة ··

● محمد محمد القاضي ـ سرس الليان :

ـ هناك فرق بين أن يقال ان العرب كانوا أجانب عن مصر ، وبين أن يقال ان الحكومات التي وضعت نفسها في مصر تحت راية العـروبة والاسلام كدولة الفاطميين كانت ظالمة للشعب ·· ان ظلم الحكام للشعوب لم يكن في مصر وحدها ، بل كان فى العالم كله وقد قامت ضدهم الثورات الجائحة ·· اما الامة نفسها فلا يخرجها من جنسيتها ظلم الحكام الاجانب او الحكام غير الاجانب ·· وكل ما كتبتموه فى رســالتكم عن مظـــالم الحكام للشعب المصرى ، لا صلة لـه بعروبة الشعب المصرى ولا يطعن فيها ·

● ناهد السيد طـه :

ـ لا نعرف عنوانك ·· وأنت تقولين فى قصيدتك : « ان خانني فى العمر غفلتى ·· سرعت الى أشواقى ·· انهل منها على سجيتى ·· واشبع رؤى أحداقى ·· وان زادت فى الحب حيرتى ·· ذرفت من دمعي غالية فى أعماقى ·· افديه ثمن غربتي ·· بين أهلى وخيرة رفاقى » ·

وهذا كله ليس شعرا موزنا ما عـدا قولك : « أنهل منهـــا على سجيتى فـــان لهذه الجملة وزنا ·· وأنت تخطئين فى اللغة ·· وليس من حقك أن تقولى « سرعت » فالصواب « أسرعت » ·· ومع ذلك استمرى ·

● ايمن الخـراط ـ زفتى :

ـ انت تقول فى شعرك : « أيها السائر فى دمى توقف ·· لا تبيع الزيف فى قلب تلهف ·· لا تعيد النار فى شوق مزيف ·· امض عنى أو أبعنى ·· » ·· الى آخر ما قلته فى شعرك ·· والكـلام موزون ، ولكن

الأخطاء النحوية ظاهرة فى قولك « لا تبيع » والصواب « لا تبع » لأنها فعل أمر .. كما انك اخطأت فى قولك « لا تعيد » والصواب « لاتعد » وينكسر الوزن اذا قلت : لا تبع ولا تعد .. ولا صحة لقولك « أبعنى » وصحته « يعنى » .. ولكن لا تيأس من النظم ، فلعلك تتقدم مع الزمن ، والله المستعان !..

● **محمود على الازهرى ـ نجع حمادى :**

ـ أنت معجب بأحاديث الشيخ الشعراوى ، ولا ننازعك فى هذا ، وأما كلمتنا عن الفرق بين « الريح » و « الرياح » فى لغة القرآن الكريم، فقد قلنا فيها ما يكفى ولا معنى للعودة اليها .. ونشكرك ..

● **مهدى محمد هلقو ـ كسلا ـ السودان :**

ـ قصيدتكم ينقصها الوزن فى أبياتها كلها .. فحاول أن تقرأ الشعر الجيد لتتعرف الى الاوزان ان كان ذلك فى الامكان ! ..

● **عبد الملك محمد المتولى ـ شارع عفيفى ـ الجيزة :**

ـ ان كان ما أرسلته الينا هو الشعر فى نظرك « فانه فى نظرنا نثر، لأنه بلا أوزان ..

● **حسن المنشاوى ـ السويس :**

ـ الهلال يرحب بمن يكتبون اليه ، ولكن لدينا الكثير من انتاج الأدباء الكبار والشبان ، وقد أعجبتنا محاولاتكم فى مقالاتكم وقصصكم ولكن المجال ـ كما ترون لا يتسع لكل ما يرد الينا ، مع أسفنا واعتذارنا ..

● حجاج حسن أدول ـ شارع الثريا ـ الاسكندرية :

ـ أنت تبدأ قصتك بقولك : « بعد المغرب .. عيسوى ابن العبيطة يخترق أزقة القرية .. طويل عريض « ثمين » ـ تقصد سمين ـ يداعبه الجميع كى يلعنهم بأولاد البهائم فيضحكون .. شفتاه دائما مبللتان بلعابه » الخ ..

وهذه القصة تحتاج الى تهذيب كثير فى لغتها ، أما فكرتها فعادية جدا ..

● **الدكتور احمد عامر ـ شبين القناطر :**

ـ نأسف لما أخبرتمونا به من أن أحد الشعراء قد أخذ عنوان قصيدتكم « الحزن النبيل » ونشر قصيدة له بهذا العنوان فى مجلة قاهرية وان كنا نظن أن كلمة « الحزن النبيل » هى من الكلام الشائع الذى لا يحتكره أحد لنفسه ، أما استعلاء هذا الشاعر على سطر من شعر أمل دنقل واستعارته بدون أن يضعه بين قوسين وينبه اليه فهذا هو العمل الذى لا يقره أحد .

● **ونشكر أصدقاءنا السادة : فكرى مبروك ادريس .. صابر محمود عبد العال .. سعيد بكر .. عاصم البرقوقى سامى محمد المصلى .. رضا ابراهيم عبد المعطى ..**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

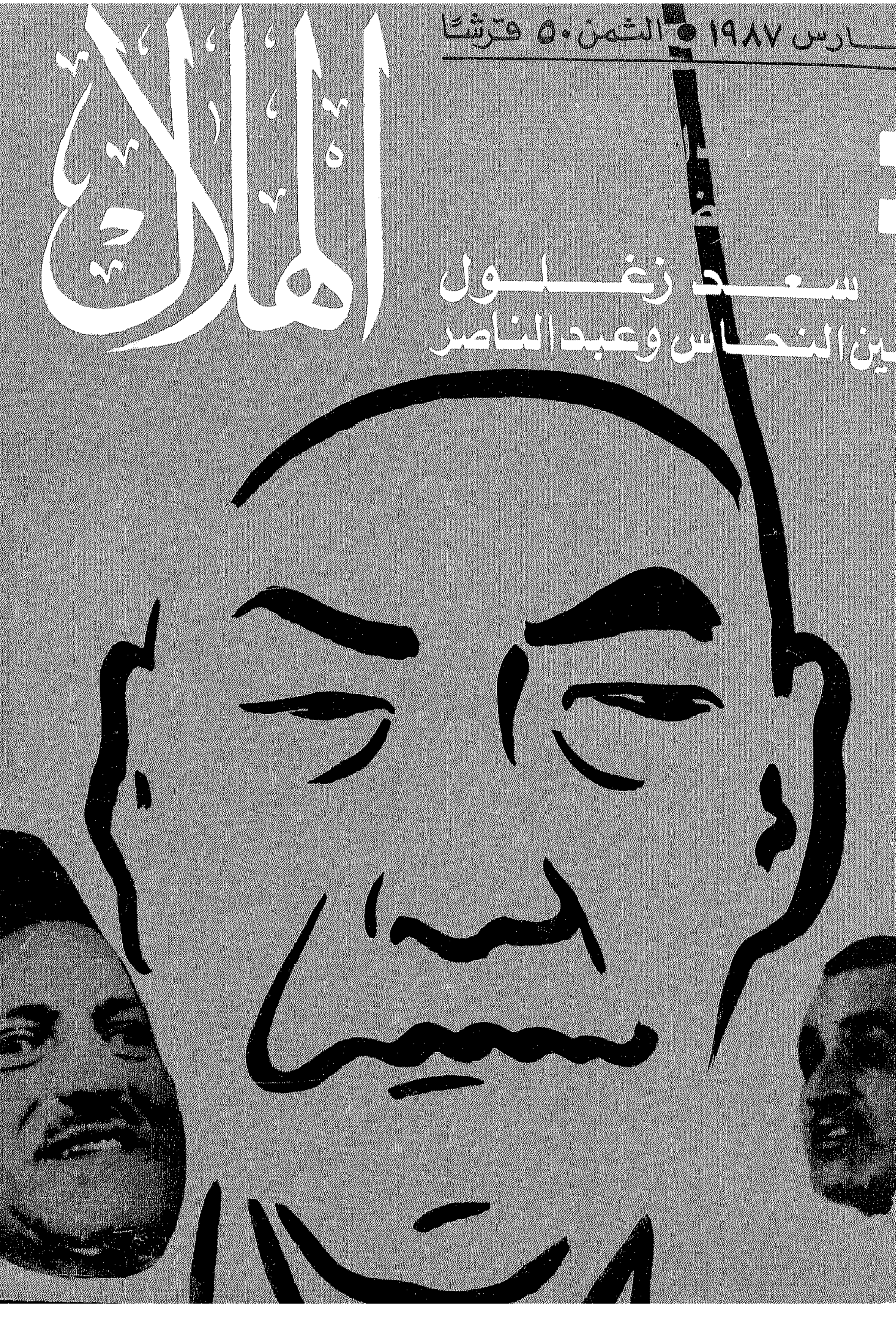
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

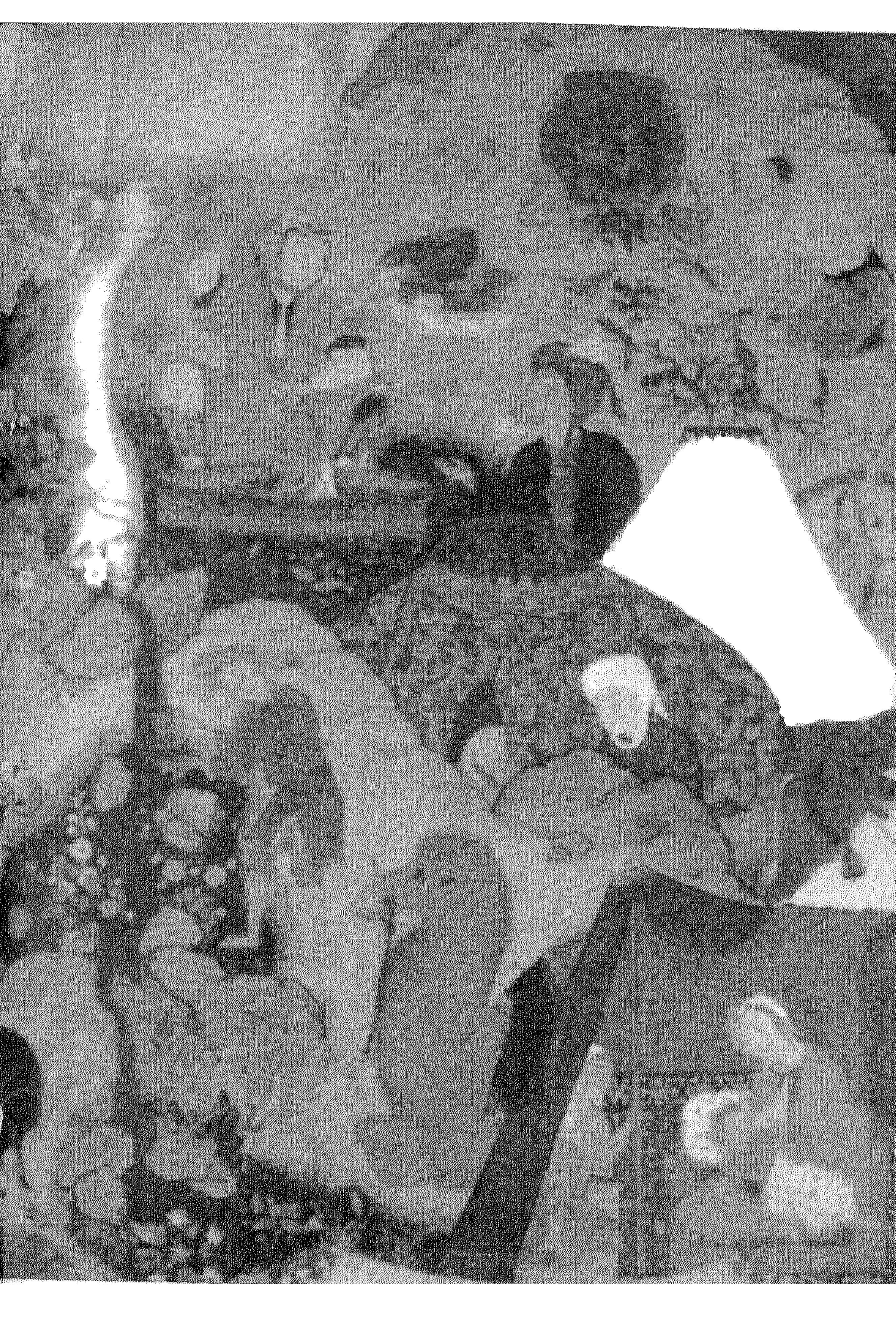
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


الهلال
ـارس ١٩٨٧ • الثمن ٥٠ قرشًا
سعد زغلول
ـين النحاس وعبد الناصر



من روائع الفن الإسلامي

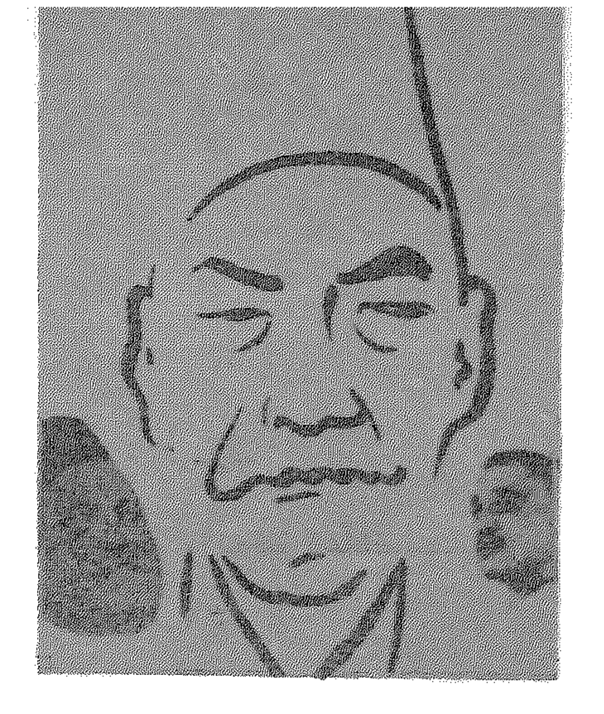
لوحة من الفن الاسلامى ، تحمل عنوان « معسكر بدوى » للفنان الايرانى سعيد على ، وهى احدى خماسيات الشاه « طاه سب » .

واللوحة عبارة عن منمنمات بالغة الدقة ، تميز بها الفنان فى كل لوحاته ، لتصوير دقائق مكوناتها من حيوانات وزهور وبشر ، فى تناسق لونى بديع .

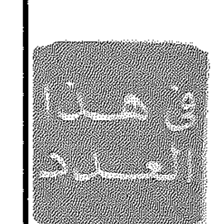
الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ـ ١٨٩٢ أول مارس ١٩٨٧ م ـ اول رجب ١٤٠٧ هـ



الغـــلاف بريشـــة
الفنان : حلمى التونى



● فكر وثقافة ●

● العقاد فى ذكراه .. جزء خاص ●

● ملزمة الألوان ●

● شعر وقصة ●

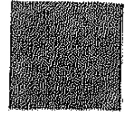
● شخصية العدد ●

● رسائل صحفية ●

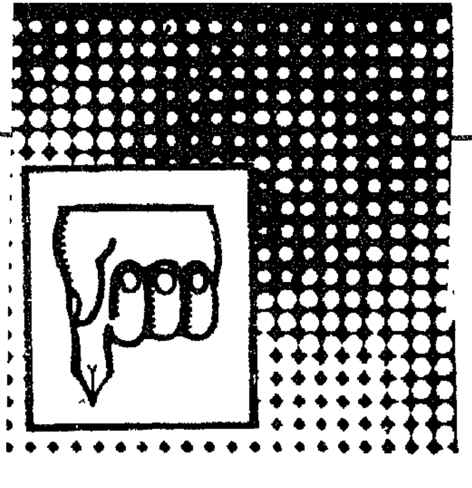
● دراسة الهلال ●

● قصة ديون مصر الخارجية "٢"

● الأبواب الثابتة ●







عزمى القارى

ثورة ١٩١٩

من سعد زغلول إلى عبد الناصر

شهر مارس هو شهر ذكريات الثورة الشعبية المصرية الثانية فى العصر الحديث .. ثورة سنة ١٩١٩ .

كانت الثورة العرابية هى الثورة الأولى ، أما الثورة الشعبية الثالثة فهى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

وسعد زغلول - قائد ثورة ١٩١٩ - هو أحد أبناء الثورة العرابية .. شارك فيها كاتبا وخطيبا ، وفصل بسببها من وظيفته الحكومية ضمن الموظفين الذين فصلتهم السلطات بعد احتلال البريطانيين للقاهرة سنة ١٨٨٢ .

وخلال بضعة وثلاثين عاما بعد الثورة العرابية ، كانت الظروف السياسية والاجتماعية تعمل عملها الدائب فى إنضاج سعد زغلول لقيادة ثورة ١٩١٩ ، فلم يكن متطفلا عليها بزعامته ، ولم يجىء إليها خفية من « باطن » أشخاص غامضين أو جهات مجهولة .. ولم يكن وريث زعامة قديمة ! .. لقد ولدته الظروف التى

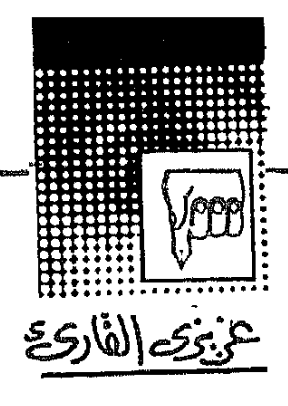



سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩ جمال عبد الناصر أكمل رسالة سعد

ولدت ثورة ١٩١٩ فاندلع مع الثورة بنفس الطريقة التى اندلعت الثورة بها ! ..

كانت ثورته تطلب الاستقلال التام ، وإلا .. فالموت الزؤام ! ... ولما عرض سعد وزملاؤه مطلبهم هذا على ممثل الاحتلال البريطانى ذكر لهم ساخرا مستهينا ، أن مصر لبثت ثلاثمائة سنة خاضعة للعثمانين ، فلا يضيرها أن تصبح خاضعة للانجليز الذين هم أكثر تمدنا وعدالة .

ولكن الظروف التاريخية التى أخضعت مصر مئات السنين للعثمانيين كانت قد انقضت ، ونضجت ظروف تاريخية جديدة لاتسمح للاحتلال البريطانى المسلح بالحضارة والتقدم ، أن يبقى فى مصر .. فكانت ثورة الشعب المصرى وطلبه الاستقلال التام ، ثورة جاءت فى وقتها ، ومطلبا أعلن فى إبانه ، ولم يكن يعيب المصريين أنهم لم يكونوا يعرفون طوال العهد العثمانى كلمة « الاستقلال التام » .. لأن هذه الكلمة لم تكن قد دخلت فى قاموس الشعوب الشرقية ، وكانت تنتظر عهد نهوض القوميات وانتفاضها على اعدائها ومستعبديها ..



وهكذا .. حينما جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم تكن طفل أنابيب ، بل كانت وليدا صحيحا نزل من رحم ثورة ١٩١٩ .. وقد لبث الهدف الأساسى لثورة ١٩١٩ ـ وهو الاستقلال التام ـ يرتقب يومه التاريخى ، فكان على ثورة يوليو أن تحقق هذا الهدف ، أو تنسحب من الميدان ، أو تتحول إلى ديكتاتورية عسكرية هزيلة عقيمة كديكتاتوريات أمريكا اللاتينية ! ...

ولكن عبد الناصر الذى كانت حركته العسكرية ثورة شعبية تمتد جذورها إلى ثورتى سعد وعرابى ، استطاع أن يتجنب مصير الانقلابات العسكرية التى يلهو بها تجار الموز والمخدرات فى أمريكا اللاتينية ، وأكمل رسالة سعد ، ثم سار الشوط الكبير بعدها ..

إلا أن ترزية التاريخ فى عهد عبد الناصر ـ وهم يشبهون ترزية القوانين فى عهد السادات ـ حاولوا أن يجعلوا من ثورة ٢٣ يوليو تاريخا قائما بذاته ، معلقا فى الفضاء ، فأزاحوا جميع التحولات التاريخية السابقة ، وفصلوا لثورة يوليو ثوبا فضفاضا تتدفق من جيوبه السحرية جميع حوادث التاريخ ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، كأنما كان هذا الثوب الفضفاض صورة مكبرة جدا لمعطف جوجول المشهور الذى خرج منه جميع كتاب القصة .. فيما يقال ! ..

كان سعد زعيم « الشرق » بالمعنى الذى كان يشمل العروبة والاسلام فى صورة غامضة فى الأذهان ، كأنها حلم رومانسى يفتقر إلى التأويل الواقعى يقول أمير الشعراء شوقى :

لـم يَـرد « الشـرقُ » مثـلَ سـعـدٍ زعيمـا
هَـزَّهُ مِـنْ بِطَـاحِـهِ وَرِغَـانِـهْ

كان « الشرق »في عهد سعد رابطة عاطفية عامة بين مصر والعالم العربى ، والاسلامى ، والبلاد الشرقية بعامة ، ولم تنضج معالم هذه الرابطة عمليا إلا فى عهد عبد الناصر بفعل عوامل التاريخ العميقة ، فظهر معنى العروبة والاسلام فى مواجهة الصهيونية الغازية والاستعمار الجديد المهيمن بحديده وناره .

حينئذ اندفعت مصر مع أشقائها العرب والمسلمين لمناضلة هذين الخطرين المتحالفين ! ..

ولوعاش سعد حتى واجه هذه الظروف ، لكان له منها نفس موقف عبد الناصر .

إن سعدا كان يطلب الاستقلال والتعامل مع الدولة العظمى الأولى فى زمانه تعاملا متكافئا لايضع كل الثمار فى سلة الدولة العظمى .. ثم جاء عبد الناصر فحقق هذه السياسة واستكملها فى الظروف الجديدة خلال معاملاته مع الدول العظمى فى الشرق والغرب .

إن الثورات المصرية الثلاث استكمل بعضها بعضا برغم الأوهام التى نجمت فى عهد عبد الناصر حول علاقة ثورته بالثورات التى سبقتها ..

فحتى الثورات الماركسية لاتجىء وحيدة من خارج التاريخ وثوراته المتعاقبة ، بل تمهد لها هذه الثورات تمهيدا طويلا على امتداد تاريخ لايمكن لأحد أن ينكره ..

وبين ثورة العبيد القدماء بقيادة سبارتاكوس فى العصر الرومانى ـ عصر الاستعباد والاستبداد ـ وكل ثورة شعبية فى عصرنا صلة رحم لايمكن جحدها ، فكيف يمكن إنكار صلة الرحم بين ثورتين مصريتين لاتوجد فجوة تاريخية بينهما ؟ ! ..

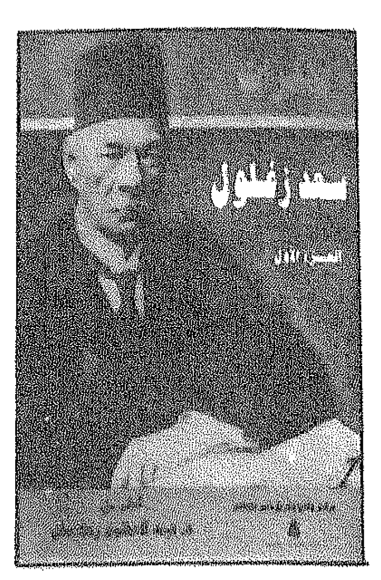


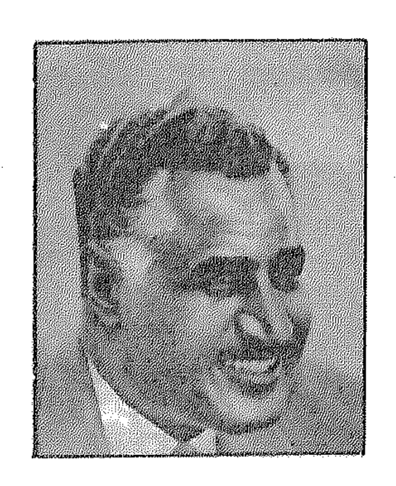
حملة المباخر وصانعو الطغاة في السياسة وفي التاريـخ!

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

صدر الجزء الأول من مذكرات الزعيم سعد زغلول بعد أن ظلت حبيسة حوالى نصف قرن من الزمان . وقد قام على نشر هذه المذكرات الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان وذلك بتكليف من الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وبعد أن زودته وزارة الثقافة المصرية بفريق عمل من الدارسين الذين أعانوه على قراءة المذكرات التى كتب بعضها بخط يصعب فك طلاسمه . والحق أن الجهد الذى بذل فى هذا المضمار جدير بالتقريظ ، خاصة وأن د . عبد العظيم رمضان قد زود النص المنشور بكثير من الشروح والتعليقات المفيدة . ونرجو أن يتوالى نشر ما تبقى من المذكرات لتكون فى تناول المؤرخين وغيرهم من المهتمين بالدراسات التاريخية والقومية .

وترجع أهمية مذكرات سعد زغلول إلى أن كتابة المذكرات السياسية وقت تفاعل الأحداث لم تتأصل بعد فى تراثنا الفكرى . وربما كان هذا مرتبطا بالتقلبات السياسية العاصفة التى لا ترحم والتى يخشى أن تتسبب فى متاعب لكاتب المذكرات فيما لو تسربت ألى أيدى خصومه ، خاصة وأن كثيرا من الشخصيات العامة قد تعرضوا للقبض عليهم وسجنهم وتفتيش مساكنهم ، مما




جمال عبد الناصر

ظلت المذكرات حبيسة فى خزانة بنك مصر باسم مصطفى النحاس ، ثم نقلت الى بهى الدين بركات ، وجاءت ثورة ٢٣ يوليو فأقامت مركز الدراسات التاريخية التى نشرت هذه المذكرات

دعا بعضهم إلى إعدام مذكراتهم وأوراقهم الخاصة حين لاح الخطر ، أو تخبئتها فى أماكن قد لا يهتدى إليها أحد فيما لو تعرض أصحاب هذه المذكرات والأوراق للموت المفاجىء . وقد ترتبط **قلة ما وصل إلى أيدينا من مذكرات الساسة بأن الكثيرين منهم تستغرقهم النشاطات السياسية ولا تفسح لهم مجالات لتدوين خواطرهم ، خاصة وأن التقاعد السياسى أمر نادر الحدوث فى بلادنا وفى سائر بلدان العالم الثالث** . هذا إلى ضعف الإحساس لدى كثير من هؤلاء الساسة بالمسئولية التاريخية . إذ أن مثل هذه المذكرات ، أيا كانت محتوياتها ، توفر دروسا عملية للأجيال الصاعدة مهما كانت انتماءاتها السياسية . حقيقة لقد نشرت مذكرات سياسية جرت كتابتها بعد مرور بعض الوقت على الأحداث الواردة فيها إلا أنها افتقدت الدقة بحكم أن الذاكرة كثيرا ماتخون صاحبها ولأن تفسير الأحداث قد يتخذ أحيانا شكلا تبريريا على ضوء التطورات التى حدثت بالفعل . لهذا كله فإن من الأصوب أن يطلق على ما يكتبه الساسة عن الأحداث الماضية بعد مرور فترة طويلة على حدوثها اسم "الذكريات" لا المذكرات .

أما فى البلدان المتقدمة التى ينعم فيها الفرد بقسط أوفر من الحرية فإننا نجد أن كثيرا من المسئولين يدونون خواطرهم بانتظام ويحتفظون بأوراقهم الخاصة ، رسمية وغير رسمية ، حتى إذا ما وافاهم أجلهم تركوا للأجيال حصيلة من المادة التى من شأنها أن تلقى الضوء على كثير من الجوانب المرتبطة بحياتهم الشخصية أو بالتطورات العامة التى لعبوا أدوارهم فيها أو كانوا بالنسبة إليها شهود عيان ، وليس معنى هذا أن مثل هذه المذكرات والأوراق الخاصة هى المصدر الوحيد للمعلومات ، **إذ أنها قد لا تخلو من الخطأ أو التحيز ، وبالتالى وجب الاعتماد على غيرها من المصادر حتى تكتمل الصورة** ،

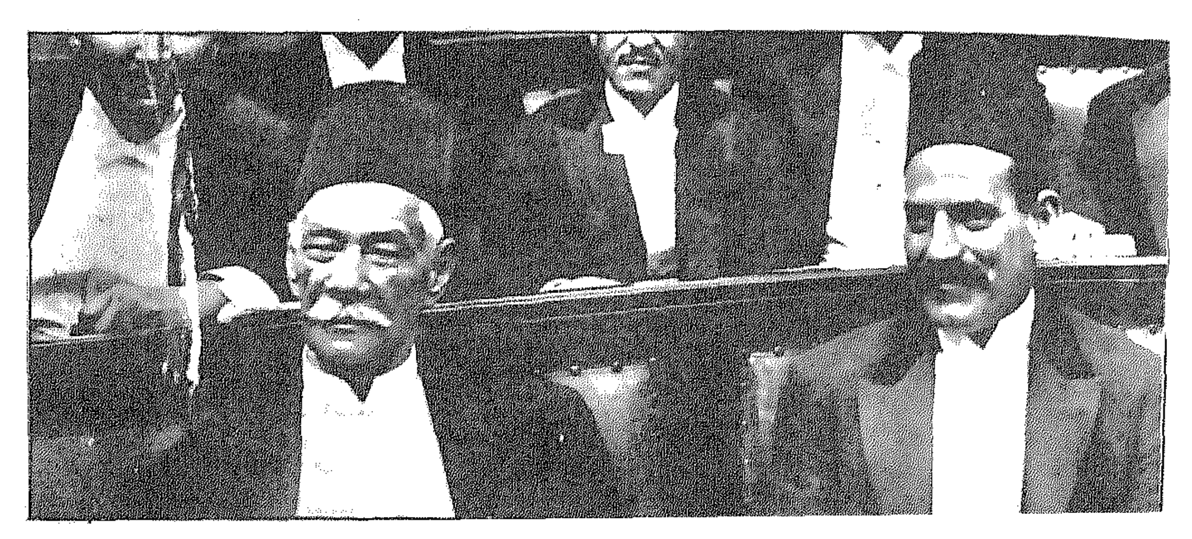
حملة المباخر وصانعو الطغاة في السياسة وفي التاريخ!

واضعين فى عين الاعتبار أن الحكم التاريخى قابل باستمرار لإعادة التشكيل على ضوء ما يستجد من المادة ومن التفسيرات .

● دور هام على مسرح السياسة

ولا نعرف السبب الذى جعل سعد زغلول يهتم بكتابة مذكراته منذ أوائل القرن العشرين ، أى قبل أن يصبح شخصية عامة مرموقة ، فهل ياترى أنه تأثر فى ذلك ببعض من اتصل بهم من المصريين والأجانب ؟ أم أنه كان على ثقة بأن الأيام تدخر له دورا هاما على مسرح السياسة المصرية ؟ أم أنه جعل منها متنفسا لانفعالاته وأفكاره التى لم يشأ أن يطلع عليها أحدا ؟ وأيا كان الدافع من وراء كتابة هذه المذكرات فإن سعدا كان أمينا مع نفسه وصريحا فى إبداء آرائه وملحوظاته وحبه وكرهه وأمانيه

والجزء الذى نشره د . عبد العظيم رمضان من مذكرات سعد زغلول ، وهو الجزء الذى يغطى الفترة الممتدة مابين عامى ١٩٠٢ و ١٩٠٨ ، يتصل بتكوينه السياسى قبل أن يصبح زعيما للشعب المصرى منذ ثورة ١٩١٩ . فهو وطنى على طريقته الخاصة دون أن يلتحق بأحد الأحزاب السياسية التى ظهرت فى أوائل القرن العشرين ، كما كان على صلة بالدوائر الإنجليزية بحكم منصبه الوزارى ولكونه موضع إعجاب اللورد كرومر حاكم مصر الفعلى آنذاك ولمصاهرته لمصطفى فهمى باشا الذى تعاون مع دوائر الاحتلال أثناء ترؤسه لمجلس الوزراء لأكثر من عشر سنوات ، وبالاضافة إلى هذا فإنه كان أميل إلى المدرسة الفكرية التى ضمت المعتدلين من تلامذة الشيخ محمد عبده ولم تستنكف اقتباس بعض منجزات الحضارة العربية دون مساس بأسس الدين الإسلامى مما جعل منها مدرسة إصلاحية وليست ثورية ومن ثم ميل هذا الفريق من المصريين إلى مهادنة المحتل والتعاون معه بهدف إقناعه بالقيام بالإصلاحات المغضبة بالتدريج إلى الاستقلال إذ أن هذا ، فى رأيهم ، أجدى من التطرف القائل بألا مفاوضة إلا بعد الجلاء ! وحكمنا هذا على سعد زغلول واتجاهاته قد جرى تسجيله منذ فترة طويلة ، **وذلك عن قناعة مستندة ألى الشواهد التاريخية المدونة سواء فى مذكرات سعد زغلول أو فى مختلف الدراسات التاريخية التى دونها معاصروه وغيرهم ، وهو حكم لا يشكل مطعنا فى سعد ومن نحا نحوه من الساسة المصريين الذين ركزوا على الإصلاح بادىء ذى بدء قبل الحصول على الاستقلال** واستندوا إلى سلطات الاحتلال للضرب على يد الأوتوقراطية الخديوية فى الوقت الذى لم يعد لمصر فيه سند فى المجال الدولى نتيجة لضعف الدولة العثمانية صاحبة السيادة الاسمية على البلاد وتخلى فرنسا عن مساندة



سعد زغلول ومصطفى النحاس ناضلا من أجل استقلال مصر ونيل حريتها

الحركة الوطنية المصرية فى أعقاب عقدها الوفاق الودى مع بريطانيا فى عام ١٩٠٤ .

● إسراف فى النرجسية

وبعد هذه العجالة أنتقل إلى المقدمة التى ضمنها الدكتور عبد العظيم رمضان تحقيقه للجزء الأول من مذكرات سعد زغلول ، ويلحظ قارىء هذه المقدمة بادىء ذى بدء أن كاتبها لم ينح منحى التواضع الذى لابد أن يتحلى به المتوفرون على البحث العلمى الذين لابد لهم أن يثمنوا الجهود التى بذلها سابقوهم حتى ولو اختلفوا مع الأحكام التى توصلوا إليها . وبدلا من ذلك نجده مسرفا فى النرجسية وكأنه قد أنجز مالم يستطعه الأوائل ! وربما يكون استعراض المحقق لعضلاته فى أكثر من فقرة وبين ثنايا السطور مرتبطا بانتظامه فى الكتابة المنتظمة فى عدد من المجلات مما لا يدع له مجالا لمراجعة ما يكون قد كتبه ؟ فهو ، مثلا ، يصف قيامه بتحقيق المذكرات بأنه "محنة حقيقية" .. و"متاعب مضاعفة" .. و "جهد هائل" ، معتمد الغمز واللمز والتعريض بمؤرخى مصر الحديثة باستثناء حفنة ممن وصفهم بالانتماء إلى "اليسار الوطنى" - بل إنه يكرر فى أكثر من مناسبة أنه "وطنى" مع أن هذا من نافلة القول . ولست أدرى سببا واضحا لتعريضه برسالتى الماجستير والدكتوراه اللتين تقدم بهما الدكتور عبد الخالق لاشين - تحت إشرافى - عن الدور الذى لعبه سعد زغلول فى السياسة المصرية . ولوضع النقاط على الحروف لابد أن أشير إلى أن لاشين والمشرف عليه لم يقوما بتدريس المواد التى فرضت فى فترة ما على الجامعات المصرية وأطلق عليها اسم المواد القومية ، كما لم يخطا سطرا فى هذا المجال أو يقوما بمدح أو هجاء هذا أو ذاك من الحكام سواء قبل قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ أو بعدها ، **بل لم تكن لهما انتماءات سياسية حزبية ضيقة من شأنها**

أن تفرض تفسيرا معينا للأحداث السياسية أو تقويما معينا لمن نشطوا علي الساحة السياسية . لهذا كله فإن كتاباتهما التاريخية لم تتصف بالالتزام الضيق ، بل إنها لا تعدو كونها رؤية معينة قد تصيب وقد تخطيء .

وكنت قد لفت النظر فى تقديمى لدراستى لاشين إلى "ضرورة احترام منجزات المنهج العلمى المستند الى تحرى الحقائق وضبطها والسيطرة على الانفعالات العاطفية الطارئة" و "ترسيخ النظرة العلمية وتعويد القراء عليها" . كما ركزت على مزالق عبادة البطولة أيا كان "البطل" أو المترجم له سواء أكان بطلا بالفعل أم لم يكن ، وناديت بضرورة إبراز الأحداث فى إطار الطبيعة البشرية بما فيها من نواحي القوة والضعف ، ورغم كل هذا ينبرى الدكتور عبد العظيم ، الذى بدل "أبطاله" بين وقت وآخر حسب مقتضى الحال ، ليسخر من منطلقاتنا العلمية ، ملمحا إلى أن لاشين والمشرف على بحثيه - مع تحميل هذا الأخير ضمنيا مسئولية فرض اتجاه ما على تلميذه - وهو مالم أوصف به على الإطلاق خلال حياتى العلمية - وقد انضما إلى جوقة مزيفى التاريخ تحت ستار مقاومة عبادة البطولة ، وهكذا نجده ينصب نفسه محاميا عن سعد زغلول لا مؤرخا نزيها - **وبذلك انزلقت قدماه إلى ركب "حملة المباخر وصانعى الطغاة" الذين سبق لى أن أشرت إلى خطورة نشاطاتهم سواء فى مجال السياسة أو فى مجال التاريخ** . وأحب أن أكرر أننى أقاوم القوالب المصبوبة فى الحكم على الشخصيات التاريخية وأومن بالاجتهاد الحر الذى قد يصيب وقد يخطيء دون أى التزام أو أى مصلحة إلا وجه الحقيقة وتحرير الدارسين من الأوهام الموروثة والمصالح الضيقة

وليس من قبيل النقد العلمى فى شيء أن يذهب الدكتور عبد العظيم رمضان إلى أن لاشين "عرض موضوعيته العلمية للتساؤل" وأنه "استخدم النصوص فى توجيه الاتهامات لسعد زغلول وإدانته سياسيا ووطنيا" وجارى خصوم سعد السياسيين ، مفترضا أن مؤرخ سعد لابد أن يشيد "بزعامته المقدسة" وأن يصول ويجول فى دنيا "العبقريات" وأن يجسم الإيجابيات ويغض الطرف عن السلبيات . "فمن لم يرتكب منكم معصية فليرمها بحجر" !

واكتفى بهذا القدر فى هذه المرحلة دون أن أناقش مقدمة الدكتور عبدالعظيم رمضان مناقشة تفصيلية أو أعمد إلى تضخيم بعض الهنات الهينات الواردة فيها ، وأخيرا لابد لى أن أعبر عن تقديرى لجهود المحقق السابقة فى حقل الدراسات المتعلقة بتاريخ مصر الحديث والمعاصر لا فى حقل الصحافة ! ولا أود له أن ينساق وراء انفعالات وتيارات قد تسيء إلى رصيده العلمى

الحقائق الغائبة في نشر مذكرات سعد زغلول

بقلم : د. عبد الخالق محمد لاشين

صدر الجزء الاول من مذكرات الزعيم سعد زغلول التى تعاقدت الهيئة العامة للكتاب على نشرها مع الدكتور عبد العظيم محمد ابراهيم .

وقد انتهز الدكتور « المحقق » هذه الفرصة ، فكتب تقديما لهذا الجزء الاول من المذكرات ، اقل ما يوصف به انه استغلال ضيق ، لعمل يفترض ان يتم بشكل علمى موضوعى . طبقا لقواعد علمية مستقرة ، وهو بعمله هذا وضع اموال الدولة ووزارة الثقافة فى خدمة اهداف خاصة . .



الحقائق الغائبة في نشر مذكرات سعد زغلول

أود أولا أن أعبر عن سعادتي المغامرة ببداية نشر مذكرات الزعيم الراحل سعد زغلول عن مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ضمن خطة المركز التي اختطها منذ فترة بعيده لتحقيق ونشر مذكرات وأوراق القادة والساسة ورجال الحكم وغيرهم ، والتي قطع فيها المركز شوطا يتناسب مع ظروفه وامكانياته ، والتي كان من بينها أوراق ومراسلات ومذكرات كل من مصطفى كامل ومحمد فريد ومحمد علي علوبة وغيرهم ·

وغني عن البيان أن مذكرات سعد زغلول تعاصر فترة خصبة وهامة من تاريخنا القومي شهدت خلالها البلاد تطورات هامة تعاظمت معها الحركة الوطنية المصرية ودورها وأساليب نضالها والتي بلغت ذروتها باندلاع ثورة ١٩١٩ المجيدة وما كانت تهفو اليه جموع المصريين الذين وقع على أكتافهم عبء الثورة وتضحياتها · ومن هنا فان هذه المذكرات تلقي أضواء هامة على الكثير من خفايا هذه الفترة خاصة أن كاتبها كان على ارتباط واسع بشتى القوى والتيارات الفاعلة فيها وتصدر خلال جزء منها قيادة الرأى العام وزعامة الثورة ·

ومن المعروف في الاوساط العلمية الاكاديمية أنني كنت أول باحث يطلع على هذه المذكرات اطلاعا متأنيا ودقيقا ويستفيد بها علميا وبذلك فتحت الباب لغيرى من الباحثين للاستفادة مما حوته من مادة تاريخية حيوية وهامة ، وبذلك أضيف مصدر تاريخي جديد في حقل الدراسات التاريخية المصرية المعاصرة ·

ومن هنا فان نشر هذه المذكرات يعد عملا علميا بالدرجة الاولى يذكر للمركز الذى تبنى ذلك المشروع ، كما يذكر للسادة الباحثين الذين تولوا هذه المهمة القومية أو أشرفوا عليها · خاصة اذا ما أخذنا في الاعتبار العديد من الصعوبات والمشكلات التي تكتنف نشر هذه المذكرات بصفة خاصة وتقف في مقدمتها رداءة الخط الذى كتبت به معظم صفحاتها بحيث يصعب بل يستحيل على الكثيرين قراءتها ومتابعتها ·

● جهد بذله الغير !

لكل ذلك وغيره أجدني أول من سعد ببداية خروج هذه المذكرات الهامة الى النور وأهنىء مصر والباحثين وكل المهتمين بذلك الحدث · وآمل الا يتوقف العمل فيه بعد برود دفقة الحماس الاولى هذه كدأبنا في معظم أعمالنا اكتفاء بتحقيق غاية قريبة أو مصلحة ذاتية أو غير ذلك ·

ولقد كان من الممكن أن تسير عملية النشر هذه بشكل علمي دون أن تصاحبها ضجة اعلامية موجهة تورط فيها ــ من أسف ــ الدكتور عبدالعظيم محمد ابراهيم · الذى انتهى به الامر الى أن وضع اسمه على الجهد المضني

الذى بذله غيره من بعض باحثى مركز تاريخ ووثائق مصر المعاصر ·
وأغلب الظن أن دوره اقتصر على توجيههم نحو تحقيق واقعة أو جمع مادة أو ترجمة لشخصية أو تصحيح لقراءة كلمة أو عبارة وما الى ذلك ، فضلا عن انفراده بكتابة تقديم للمذكرات قسمه الى قسمين : الاول ويقع فى تسع وثلاثين صفحة فقط يتناول دراسة المذكرات نفسها !!! ـ وهو الامر الذى كان يمثل صميم تكليفه ومهمته !!· أما القسم الثانى فيقع فى تسعين صفحة خصصها جميعا للرد على كتابى عن سعد زغلول حتى ١٩١٤ وجعله تحت عنوان « سعد زغلول بين الحقيقة والافتراء » ·

وقد راح صاحب المقدمة بتنقيها ـ دكتور عبد العظيم محمد ـ جريا على عادته فى سيل كتاباته الصحفية الذى لا يتوقف ، يشيد بجهده وذاته وأعبائه وأدواره الوطنية فى نوع من التضخم الذاتى العجيب والاستعلاء غير المحمود وغير المعهود فى المشتغلين بالبحث العلمى ، كما انه راح يوزع التهم والتجريح على غيره من الباحثين والكتاب والمؤرخين دونما ادنى سند علمى أو موضوعى ، وكأنه يمسك بيديه مفاتيح العلم والوطنية !!

وقبل أن أسترسل فى عرض بعض ملاحظات عامة وسريعة حول ما كتب أود أن أطرح عليه سؤالا محددا هو : « لماذا يا أخ عبد العظيم يا مؤرخ الحركة الوطنية المصرية لم تحاول ـ مجرد المحاولة ـ أن تطلع على هذه المذكرات التى تزعم الان بأنك وحدك « الامين » عليها دون غيرك ؟؟ اليس فى ذلك نقص معيب فى عملك وجهدك يحسب عليك ؟؟ وتركت لغيرك عبء ريادة الاطلاع عليها وفك طلاسمها وفتح مغاليقها » ·

● التهجم على عمل علمى

ودون أن أحاول التعرض لظروف عقدك « المشبوه » مع المركز بشروطه « غير المسبوقة » ومنها اشتراط باحثين معينين دون غيرهم · فتلك قصة أخرى جديرة بالتأمل والفحص والمساءلة ·

وفيما يتعلق بتعريفه بالمذكرات ـ على ضآلته وضحالته ـ نسوق عدة ملاحظات أولية أهمها :

أولا : أنه استهل الكتاب بعبارة اقتبسها من المذكرات تقول « ويل لى من الذين يطالعون من بعدى هذه المذكرات » · بينما كانت الامانة تقتضى أن يورد الكاتب النص بكامله حيث ذكره سعد فى معرض تأنيبه لنفسه حين كتب « ويل لى من الذين يطالعون من بعدى هذه المذكرات ومن حكمهم على تمكين القمار من نفسى ورسوخ أصوله فى قلبى » المذكرات كراس ٢٨ فى ١٩١٨/٥/١٣ ص ١٥٨١ ·

وقد حرصت ـ آسفا ـ على ايراد هذه العبارة كاملة كى يكتشف القارىء الاسلوب الذى اتبعه الدكتور عبد العظيم محمد فى اقتباس النصوص وكيف أنه ـ وهو الذى يهاجم غيره يتعامل مع نصوصه ، جريا على قاعدة « ولا تقربوا الصلاة » · وهو باسلوبه هذا اندفع للتهجم على عمل علمى لى اشترك فى تقييمه والحكم عليه لجنة ضمت ثلاثة من أكبر مؤرخى مصر المعاصرة ندر أن اجتمعت فى تقويم عمل علمى واحد آخر ·

(وهم المرحوم أ٠د٠ أحمد عزت عبد الكريم والمرحوم أ٠د٠ محمد أحمد أنيس وأ٠ د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى) ٠

ثانيا : أنه وهو المعنى بتحقيق المذكرات وضبط قراءتها والذى يزعم انه أنفق مع لجنته ومعاونيه الكثير من الوقت والجهد ، أحصيت له فى مراجعه سريعة لبضع صفحات محدودة من صدر المذكرات التى نشرها ما لا يقل عن ستة وثلاثين خطأ فى القراءة لعدد احدى عشرة صفحة فقط جاءت فى الكراسة الرابعة المنشورة بين صفحات ١٥٩ ـ ١٧٠ من الكتاب ٠ وقد يدهش القارىء اذا عرف أنها تتناول فقط أرقام حسابات بناء بيته الجديد ومصاريف المنزل وتعليقا موجزا على تعيينات قضائية جديدة ٠ أى أن هذه الاخطاء جميعا جاءت لصفحات تضم ارقاما وحسابات فى مجملها ٠ فما بالنا بما يمكن ان يكون عليه حال الاخطاء فى المذكرات التاريخية مع ما تتناوله من قضايا ووقائع وشخصيات وأحداث وما الى ذلك ٠ وهل يسمى ذلك عملا علميا ؟٠
(الاخطاء تحت يدى لمن يود الرجوع اليها) ٠

ثالثا : ان الدكتور عبد العظيم محمد اجهد نفسه فى نقد الدراسة التى أوردناها فى نهاية كتابنا عن المذكرات والترتيب الزمنى الذى اقترحناه لها على حين أننا نجده قد استفاد الى أبعد حد بما أوردنا وبترتيبنا الزمنى المقترح وسلم فى نهاية مكابرته وجدله « المديالكتيكى » بالصعوبة البالغة لاى ترتيب زمنى دقيق للمذكرات ، نظرا لما قد يعرفه هو وغيره من الباحثين من صعوبة أو استحالة ايجاد ترتيب زمنى متتابع الا اذا جاء ذلك على حساب تفتيت وحدة الكراسات والكشاكيل ٠ وهو الامر الذى لم أكن أفكر فيه عند اعداد دراستى أو نشر كتابى لاننى لم أكن معنيا بنشر المذكرات ، ولكن كما ذكرت بالحرف الواحد فى كتابى « نقترح أن تحفظ به حتى يسهل على الباحثين والمؤرخين متابعتها زمنيا » (راجع كتابى ص ٢٧٧) ٠ وهو أمر يثبت أن هدفنا من وراء ذلك كان تسهيل مهمة الباحثين فى الرجوع الى المذكرات خلال حفظها وليس تحقيقها أو نشرها وهو الامر الذى لم يدركه الكاتب ٠ فماذا فعل هو الان وهو المكلف ـ بعقد ـ على مدى سنوات عديدة ـ كما ذكر ـ ومعه لجنة من الباحثين والمعاونين ، ويقدم له المركز كل التسهيلات اللازمة والممكنة ؟؟

رابعا : لعل كاتب التقديم دكتور عبد العظيم محمد يعلم ـ هو وغيره ـ أننى كنت ولم أزل أتمنى أن تنشر هذه المذكرات ـ ليس كسبا لشهرة أو مصلحة أو منفعة مادية ـ وهو أمر كان بمقدورى تماما لو شئت ذلك لانى عشت مع هذه المذكرات بكل عقلى وجوارحى سنوات طوال خلال فترة الاطلاع عليها ما بين عملى فى اعداد رسالة الماجستير أو الدكتوراه ومابعد ذلك وحتى الان وفككت معظم ـ ان لم يكن كل ـ طلاسمها والغازها ٠ ومع ذلك حرصت على أن أحترم وصية سعد زغلول فى أسلوب نشرها ـ على

النحو الذى أورده الكاتب فى تقديمه ص ٢٦ ـ ٢٧ وبذلك كان هو وغيره أول من أساء الى هذه الوصية وما يترتب عليها من حقوق لورثته ، والتى كانت وربما لم تزل ـ حسب علمى محل خلاف قضائى · وربما يكمن السر وراء ذلك في تحقيق أهداف قد لا تخفى على أحد ·

خامسا : أن كاتب التقديم دكتور عبد العظيم محمد ـ ومعه غيره ـ اعتبروا عزوف المركز والهيئة عن ارسال أجزاء المذكرات المصورة اليه فى لندن ـ عندما سافر اليها ـ بأن « المتاعب » التى توقعها قد تحققت ـ راجع ص ١٤ من المذكرات ـ فكيف سمح لنفسه بمثل هذا اللون من التفكير غير الواقعى وغير الموضوعى · ألم يسائل نفسه كيف يمكن أن يسمح بخروج مثل هذه الوثائق الهامة خارج حصنها الطبيعى ـ ونعنى به دار الوثائق القومية · فما بالنا بخروجها الى « لندن » خارج الديار المصرية برمتها !! ولا نود أن نتقدم أبعد من ذلك بأسئلة أخرى · ولكن يكفينا فقط الان مجرد طرح هذا التساؤل ·

سادسا : أن الدكتور عبد العظيم محمد سمح لنفسه على غير بينة أو يقين بأن يتهمنى باننى حكمت فى نهاية دراستى عن سعد زغلول حتى عام ١٩١٤ ـ ومن قبل أن ابدأ الدراسة الثانية للدكتوراة عن الفترة من ١٩١٤ حتى ١٩٢٧ ـ حكما مسبقا على سعد زغلول ككل · ولعله لا يعلم وبالقطع فانه لا يعلم لسبب بسيط سنوضحه هو أننى ما أصدرت هذا الحكم فى نهاية الدراسة الاولى الا بعد أن كنت قد اطلعت على كل ما كتب عن سعد وعن الفترة برمتها ، بل اننى رحت أتتبع كافة الكتابات والمصادر اللاحقة حتى نهاية الاربعينيات ـ كما هو ثابت فى مصادر الدراسة الاولى المنشورة ، وبذلك كانت الصورة الكلية قد وضحت واستبانت لى تماما ، وهو أمر لا يدركه دكتور عبد العظيم محمد الذى يصطنع لنفسه أسلوبا غريبا ـ كما هو شائع بيننا فى الاوساط الاكاديمية ـ بأن يجتزىء أى عمل يقوم به حيث لا يجمع مادة موضوعه ككل دفعة واحدة ، وانما يقوم بجمع مادة كل فصل أو جزء فيه على حدة ـ كما لو كان موضوعا مستقلا ـ ليكتب ذلك الفصل أو الجزء وينتهى منه ليعود مرة أخرى لجمع مادة فصل جديد وهكذا ··· وهو أسلوب أقل ما يوصف به انه أشبه بتجارة التجزئة · وبذلك تخرج دراساته وأعماله فى مجملها أبعد ما تكون عن الرؤية العلمية الشمولية ·

سابعا : اننى لا أود أن أوسع دائرة نقدى للدكتور عبد العظيم محمد وأعماله حتى لا أخرج عن حيز ما مسنى بقلمه لان معظم أعماله وما أكثرها ـ فى تقديرى ـ لا ترقى الى مستوى النقد العلمى لانها تخرج عن نطاق الدراسات التاريخية لتقترب من التحقيقات الصحفية غير الجيدة ، لا يتحرى فيها أى دقة علمية أو موضوعية منهجية أو تعتمد على مصادر علمية موثوقة أو غير ذلك · وأخطر ما فيها أن البسطاء من الناس من شعبنا قد يحسبونها تاريخا لا لشىء الا لمجرد أنها تصدر عن واحد يذكر أنه يشتغل

بالدراسات التاريخية ، وتلك لعمرى مفسدة مرتين : مرة للتاريخ والمشتغلين به ، والاخرى للرأى العام المصرى ووعيه · ويكفينا فقط أن نذكره بالبيت القائل :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليما

ثامنا : أن الدكتور عبد العظيم محمد تذكر بعد كل ما قدم وفعل واحدة من أهم قواعد البحث التاريخى العلمى نعلمها لطلابنا ـ طبقا لنص ما ذكر ص ٢٣ ـ حيث يكتب « وليس معنى ذلك قبول هذه المذكرات بوصفها تاريخا ، فالتاريخ يكتبه المؤرخون وفقا لقواعد منهج البحث العلمي التاريخي ، وانما معناه قبول الوقائع الواردة فيها بوصفها رؤية زغلولية لهذه الوقائع ! » هكذا تذكر ·

فكيف له وهو يعلم ذلك أن ينصب نفسه قيما ووصيا ليس على مذكرات سعد ـ التى رأينا طرفا مما فعل معها وبها ـ ولكن على تاريخ مصر القومى · وأدهى من ذلك أنه كان أبعد ما يكون عن الامانةوالموضوعية العلمية فى كتابته عن القسم الثانى من تقديمه للمذكرات والذى يتعلق د على دراستى المشار اليها ، والتى بلغت اكثر من ضعف حجم ف العلمى الموكول اليه ، فراح يجتزىء من غير فهم او دقة بعض ا رات والنصوص التى قد تخدم هدفه وقضيته ، جريا على عادته التى أشر الى طرف منها فى صدر ردنا هذا كنموذج لما فعل · وذلك أمر أمسك قلمى عن الخوض فيه أو التعرض له ليس ترددا أو ضعفا · ولكنى أحذر من أن يمس سمعة الشرفاء العلمية والوطنية وأعتقد أن أى منصف لقرا ا كتب وما كتبت يستطيع أن يتبين الغث من السمين وأينا كان أقوم س · وأود أن أذكره فقط بأن الزمن لا يتوقف وبأن القافلة تسير ·

وأخيرا فاننى أحتفظ لنفسى بكافة الحقوق تجاه كل ما مسنى من كتابته ، وهو الذى ربما آثر أن يستثمر رسائله العلمية بأسرع ما يمكن وبأى وسيلة تعويضا لظروف أدركته نقدرها تماما ، الا أنه بمسلك هذا شكل مع من هم على شاكلته نمطا فريدا ممن أدركوا الجامعة من أبوابها الخلفية فاتلفوا بذلك العلم والجامعة والمجتمع ، وراحوا ينسبون الفساد الى غيرهم، وأحالوا العلم والجامعة الى « بوتيكات » جديدة ·

تلك هى بعض الملاحظات السريعة ـ التى سمح بها المقام والمقال ـ لما قدم ونشر · ونستبقى لملاحظاتنا التفصيلية وتصويباتنا غير المتناهية مجالا آخر ·

وبالرغم من كل ذلك فاني مخلصا ادعو له بالصحة والعافية وطول البقاء ·

حول أزمة تعاملنا مع التراث العربي

بقلم : حسين أحمد أمين

●● أبدأ بملاحظة عامة : هى أن تكرّر طرح الاشكاليات منذ عصر الطهطاوى إلى يومنا هذا من السمات المؤسفة لمجتمعنا الاسلامى : ففى المجتمع الغربى مثلا ، تطرح الاشكالية للمناقشة بين الخصوم ، ثم ينجم الحلّ إما بالوصول الى صيغة وسط ، أو بتغلب مذهب هو أكثر مسايرة لاحتياجات العصر ، وينتقل المجتمع بعد ذلك إلى مجابهة اشكالية جديدة ، فلا يعود الى النظر فى اشكالية سبق طرحها إلا فيما ندر . أما فى مجتمعنا الاسلامى فإن المشكلة تُطرح وتُحلّ ، ثم تُطرح مرة أخرى بصياغتها العتيقة وتُحل ، ثم تطرح ثالثة ورابعة ، وكأنما نحن فى دائرة مغلقة لا نعرف كيف نتجاوزها الى غيرها . وعلى سبيل المثال : من ذا بوسعه أن يصدّق او يُسيغ العودة الى مناقشة قضية حجاب المرأة على نفس النحو الذى تصدّى له به قاسم أمين وخصومه منذ أكثر من ثمانين عاما ، وبنفس الحجج والأسانيد القديمة ؟!

ومن تلك القضايا التى يتكرر طرحها فى مجتمعنا الاسلامى ، بصيغ مختلفة ، قضية الأصالة والمعاصرة ، وإن كان هذا التكرر ينطوى على بعض الاختلاف فى طبيعته عن الاشكاليات الأخرى . فهى قضية لم يصل بصددها أى جيل إلى حل مُرضٍ أو إلى أى تقدم ، عكس قضية تحرير المرأة مثلا . وتكرر الطرح كَرّة بعد أخرى ، هو فى

قضايا ومواقف

كل مرة فى صورة أشد عنفا وحدّة ، إنما يعنى أن المشكلة تزداد تعقدا بمضى السنين ، وأن الوضع يزداد تأزّما . فالازدواجية وفُصام الشخصية لدى أبناء مجتمعنا ينموان نموا ينذر بأن تضحى أمتنا أمتين على نحو وصف كارل ماركس للمجتمع الانجليزى فى زمنه . وقد أوضحت فى كتابى "دليل المسلم الحزين" بدايات الأزمة وأرجعتها الى طبيعة نظام التعليم المزدوج الذى فرضه محمد على وغيره من ولاة أقطار الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر . وأضيف هنا أنها أزمة ترتبط ارتباطا وثيقا بتزعزع الثقة بالنفس ازاء التفوق المادى والحضارى للفرنجة وبالتالى فإنه كلما ظهرت فى مجتمعنا من الأسباب والدواعى مايعيد الى أبنائه بعض هذه الثقة المفقودة ، ويرد اليهم قدرا من الايمان بالمستقبل ، خفّت حدّة الاشكالية وهو بالضبط ماحدث ويحدث فى فترات المدّ فى الحركة الوطنية

● أزمة تعاملنا مع التراث ●

إن هناك بالقطع أزمة فى تعاملنا مع التراث وفى تحديد موقفنا من المعاصرة والسبب فى رأيى يتصل بحدّة الازدواجية التى أشرت اليها ، وهى ازدواجية أساسها عجز المتفرنجين منّا عن استساغة التراث وَوَصْل مابينهم وبين ماضيهم ، وعجز السلفيين عن المعاصرة والاستفادة من حضارات الغير ، وعجز هؤلاء وأولئك عن تمثل مختلف الاتجاهات ، والخروج منها بناتج جديد متجانس ، له ما لتلك الاتجاهات من الاستقلال وقديما قالت العرب « إذا سمعت الرجل يقول : (ماعند الله خير وأبقى) ، فاعلم أن فى جواره وليمة لم يُدع اليها »! فالعنب إذن هو فى العادة حصرم ثم اذا بهذا العجز من أولئك وهؤلاء يتبلور فى عداء كلٍّ لموقف الطرف الآخر ، دون أن يحقق أى منهما الانسجام المنشود .

ولا أعتقد أن مجتمعات كثيرة غيرنا تعرف مثل هذه المشكلة العقيمة فالغربى مثلا إن قرأ فإنما يقرأ توما الاكوينى اليوم ، وبرتراند راسل غدا ، ثم افلاطون بعد غد ، كتبهم جميعا ضمن سلسلة واحدة ، على رف واحد ، فى مكتبة واحدة ، لا يقال عنه انه تراثى إن فضّل اسخيلوس ، أو انه عصرى إن هو آثر ديرنيمات ؛ ويدخل كل هذا فى تكوينه ليجعل منه الانسان الذى هو عليه لا مشكلة ولا حيرة ولا إحساس بالتمزق . مشكلة العربى المعاصر هى إذن كمشكلة امرىء يحاول تدارك صعوبة حمل العديد من صحون الطعام فى يدين اثنتين ، بينما الغربىّ أشبه بمن أكل منها جميعا وتمثلها فَسَرَت فى بنيانه وصارت الى هيئة جدّ مخالفة . وعندى أنه فى مقدورنا تحقيق مثل هذا الانسجام متى اتخذنا من تراثنا ومن حضارات الغير موقفين مغايرين لموقفنا اليوم .

من تراثنا بحيث لا يكون الهدف من الاقبال عليه الهروب من حاضر ثقيل الوطأة ، أو الترويح عن النفس ، أو التفرج على أطلال العصور الخوالى ، وإنما هو الاستفادة من حكمة الأقدمين وتجارب الأسلاف فى أن نجعل من عالمنا المعاصر عالما أفضل ، وأن نهيىء لأنفسنا وأبنائنا مستقبلا أزهى ، لا نحترم الماضى لمجرد أنه ماض ، ولا السلف لأنهم سلف ، ولا نقصر الحق فى التفكير على الأموات

ومن حضارات الغير : بحيث لا يحكم موقفنا عقدة نقص أو استكبار أو فقدان الثقة بالنفس وبالدين والتقاليد ، مع الاقرار



محمد علي



رفاعة الطهطاوى

بأن الاستفادة من معاصرة غيرنا ممكنة على نحو استفادة أوربا من معاصرة العرب إبّان العصر الوسيط فى تجاوزها لواقعها الى عصر النهضة فعصر الاصلاح الدينى .

● مسئولية نظم التربية والتعليم ●

وتنبع المشكلة والحيرة عندنا فى رأيى من أمور ثلاثة لا مناص من أن تتصدى لها نظم التربية والتعليم فى أقطارنا إن هى أرادت المساهمة فى ايجاد الحلول

الأول الفهم الخاطىء لدى جميع الأطراف لماهية التراث والمعاصرة

والثانى تخريج صنف من الناس لا يملكون ناصية لغات اجنبية تعينهم على تذوق ثمار حضارات غير حضارة اسلافهم

والثالث تخريج صنف آخر من المتفرنجين ، بالغوا فى النظرة الى الغربيين وكأنهم أنصاف آلهة . وبالغوا فى التحقير من شأن تراث أمتهم الذى حسبوه خطأ المسئول عن التخلف الذى صرنا اليه ، قد حرمهم فساد منهج تعليم اللغة العربية فى مدارسنا من القدرة على النظر فى كتب الأقدمين . فإن نظروا فيها كان ذلك من قبيل الرغبة فى التندّر على سخافة نظرة الأسلاف

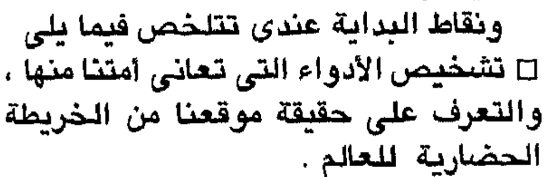
فأما عن التراث فإنه يمكن الحديث عنه بأحد معنيين انه مجموع ما خلفته قرائح الأقدمين وصفوة الأسلاف من فكر وفن وعلم ونمط عيش وفنون حضارة مما يمكن لجيلنا الحالى الافادة منه والاستعانة به على حلّ ما يواجهه من المشكلات والتحديات أو تعريفه بأنه كل ما أفرزه الماضى من إفرازات ، ضارة ونافعة ، سامة وسليمة ، لا يزال لها أثرها الفعال فى مسلكنا ومعتقداتنا وأسلوب معيشتنا ونظرتنا إلى الحياة ، منها مايجدر بنا التمسك به وتنميته ومنها ماينبغى علينا محاولة استئصاله أو الحد قدر الامكان من نطاق سلبياته .

وأما عن المعاصرة فتفترض موقفا ايجابيا نشطا من جانب مثقفين يستهدفون الإدراك الواعى لحقائق الزمن الذى يعيشون فيه ، وعناصره ، وموقعه من مجرى التاريخ ، وعلاقته بالمستقبل المرئى ، ثم تحملهم رؤيتهم على تقبل ماهو حتمى لا قبل للانسان بتغييره ، ومحاولة التغلب على الاتجاهات التى تسير ضد تيارات التاريخ ، وتقاوم حتميته ، وتعرقل وصوله الى هدفه كما يفهمه هؤلاء المثقفون

واستنادا الى هذه المفاهيم أمضى فأقول : إن ماضىّ وتراثى وسلفى ، وماضى الحضارات الأخرى وتراثها وأسلافها ، لا يعنينى منها الا الجانب الذى ثبت لدىّ أنه حىّ ، وأن بوسعه أن يُثرى حياتى وحاضرى ، ويزيد من قدرتى على مواجهة تحدّيات مستقبلى ، ومن قدرة أمتى على مواجهة تحديات مستقبلها .

كذلك فإنه بوسعنا من نفس المنطلق أن نتخيل تغيّر تقويم أهل كل زمان لرجال تراثهم وثماره عن تقويم أهل الزمان الذى سبقه ، وأن من حق كل جيل ، ومن واجبه ، أن يعيد تقويم عناصر تراث أمته للتمييز بين مايمكن استخدامه منها فيُبقى عليه ، وبين ما لا يمكن استخدامه فيغضى عنه . فنحن إنما نعيش فى زماننا نحن لا زمان الأقدمين ، وما لا يساعدنا من تراث الأسلاف على حل مشكلات زماننا هو ميّت الى حين اكتشاف جيل تال لجيلنا .ان فيه حلا لمشاكله فيُحييه . أما مانجد فيه العون فهو حىّ الى حين اكتشاف جيل تال عدم جدواه له فيهجره .

ونقاط البداية عندى تتلخص فيما يلى



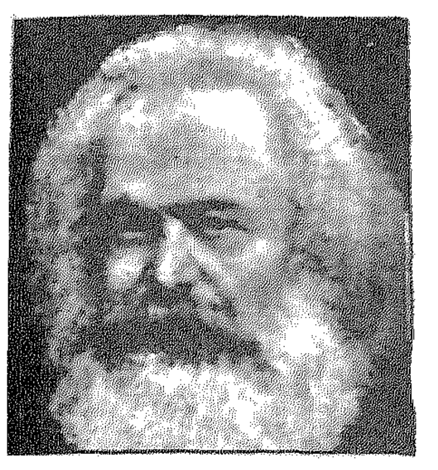
□ تشخيص الأدواء التى تعانى أمتنا منها ، والتعرف على حقيقة موقعنا من الخريطة الحضارية للعالم .

□ التعمق فى دراسة تراثنا للنظر فيما يمكن أن يقدمه من حلول لهذه الأدواء

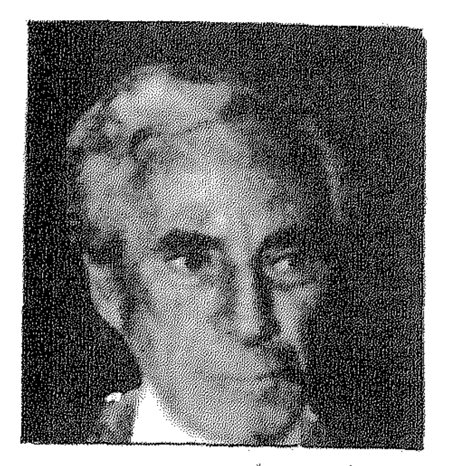
□ دراسة تاريخ تطور أمتنا ، وتاريخ تطور غيرها من الأمم ، بغرض الاستدلال منهما على ملامح المستقبل

□ الاستفادة من تجارب الحضارات الأخرى والنظر فيما إذا كان لديها أو فى تراثها مايمكنه مساعدتنا على مواجهة تحديات المستقبل ، من دون أن تخلّ هذه الاستفادة بتفرّد شخصيتنا الحضارية

وأقولها صراحة اننى لست كبير التفاؤل بصدد بعض هذه النقاط . فحصيلة شباب أمتنا من اللغة العربية فى تضاؤل مستمر رهيب ، ونفورهم من النظر فى أمّهات كتب تراثهم الاسلامى فى ازدياد ، واتجاههم يقوى يوما بعد يوم الى تبنّى قيم الغرب وتقليد أهله فى أساليب عيشهم خاصة وقد ضاعت ثقتهم فى أمة لا يُبدى أبناؤها الحماس الا فى حرب بعضهم للبعض ، ولا يعرف ساداتها سبيلا الى انفاق الثروات أفضل من انفاقها على إشباع شهواتهم الحسّية ، وتصرّ حكوماتها على عدم



كارل ماركس



برتراند رسل

المساس بسلطاتها المطلقة ، وعلى استئصال شأفة كل فكر حرّ

● اقتـــراح ●

فإن اتفقنا بعد هذا على أن من أهم الأهداف التى يجب أن تتوخاها أية محاولة لاصلاح نظم التربية والتعليم عندنا هو أن يسترد شباب أمتنا احترامهم لتراثهم الفكرى ، والرغبة فى الاستزادة منه ، والقدرة على النظر فيه ، فالأجدى أن نبدأ بالاعتراف بأن الحصيلة التى يخرج بها أبناؤنا من اللغة العربية بعد انقضاء سنى دراستهم لا توفر لهم القدرة على فهم ماكتبه الأقدمون ، والنماذج التى تدرس لهم فى المدارس لأدب هؤلاء كهجاء الفرزدق لجرير ، وفخر المتنبى بنفسه ، ومدح الأعشى لوالى الحيرة ، فى كتب رديئة الورق ، سيئة الطباعة ، قبيحة الصور ، لا يمكن أن ينجم عنها احترام حقيقى لتراث العرب كذلك الاحترام الذى ينجم لديه لآداب الفرنجة حين يدرس فى حصص أخرى مسرحية لشكسبير أو قصائد هيجو ، فى كتب أنيقة الطباعة ، بهية الصور والاخراج .

وقد اقدم الغربيون منذ بضع سنوات ، من أجل تعزيز إلمام شباب الغرب بتراثه والجذور الفكرية لحضارته ، على إخراج مجموعة من الكتب تضم أربعة وخمسين مجلدا أصدرتها دائرة المعارف البريطانية ، وتحمل اسم « أعظم كتب العالم الغربى » ، من هوميروس الى فرويد . هذه المجموعة باتت تشكّل جزءا من أثاث معظم العائلات القادرة على اقتنائها فى أوربا وأمريكا الشمالية .

فإن كان عالمنا العربى قد نُشر فيه بالفعل عشرات الآلاف من كتب التراث ، فإن شبابنا يضلّ فى متاهاتها عاجزا عن اقتناء ولو اليسير منها ، مفتقرا الى من يهديه إلى القمم الشامخة فيها ويُثنيه عن النظر فى تافه الشأن منها . فلو أن حكومة من حكومات دول النفط تبنّت مشروعا كمشروع دائرة المعارف البريطانية ، وشكّلت لجنة من عشرة أو عشرين من العلماء المتبحرين فى التراث العربى ، المدركين مع ذلك لطبيعة ذوق شباب أمتنا المعاصر ، فانتقت بعد النقاش والفرز وتمحيص الآراء المختلفة أعظم مائة كتاب مثلا من المؤلفات العربية منذ امرىء القيس الى الجبرتى ، واستبعدت من هذه الكتب المائة الغث الكثير الذى تحفل به كتب عظيمة كأغانى أبى الفرج أو السلوك للمقريزى ، وأبقت على بعضها الآخر بصورته الكاملة كمقدمة ابن خلدون وحىّ بن يقظان لابن طفيل وفصل المقال لابن رشد ، ونشرتها فى خمسين أو ستين مجلدا أنيقا بسعر فى متناول العائلة متوسطة الحال ، بحيث تصبح جزءا من أثاث دارها ، وفى متناول أبنائها وتحت نظرهم فى كل يوم ، لأسدت بهذا الصنع خدمة جليلة لأبناء جيلنا والأجيال التالية إذ تصل بينهم وبين ماضيهم

وياحبذا لو تبع ذلك ترجمة كاملة لمجلدات مجموعة « أعظم كتب العالم الغربى » ، فيجمع شبابنا بين الحُسْنَيَيْن . وأذكر هنا أن اللجنة التى نهضت بالمشروع الغربى كانت تعتزم فى البداية ان تضم المجموعة أعظم كتب العالم ، ثم عدلت عن ذلك واكتفت بكتب العالم الغربى ، على أساس أن أبناء الحضارات الأخرى أقدر على تقييم كتب حضاراتهم من غيرهم ، ووعدت فى مقدمة المجموعة بأنه متى أخرجت الأمم الأخرى مجموعات مماثلة ، فقد تضمّها جميعا فى مجموعة ضخمة واحدة ، هى تراث الانسانية ، لا شك أن من شأنها أن تسهم إسهامها عظيما فى إقامة الجسور الفكرية بين الحضارات .

الرأى العلمى والقرار السياسى

بقلم : د . شكرى محمد عياد

جمعتنى المصادفة بعالمين فاضلين أثناء انعقاد مؤتمر عربى لبحث مستقبل الحاسبات الالكترونية فى العالم العربى (وقد شاركت مصر فى هذا المؤتمر) كان أول سؤال طرحته عليهما هو ذلك السؤال الذى يلح على غير المتخصصين أمثالى وهو . إلى متى نظل مستوردين ومستهلكين للحاسبات الالكترونية ، نقتنيها فى البنوك والشركات وإدارات الحكومة ، ونستخدمها فى المطابع والغسالات ، ونطالب بتعميمها فى المدارس (وهو طلب معقول ، مادام الكثير من أولادنا يتبادلون العاب « الأتارى » ، وشرط أن تقوم المدارس بوظائفها الأساسية أولا) كنت اعلم أنه سؤال جارح ، يقلب المواجع ، وربما دعا مخاطبك الى اتخاذ موقف الدفاع ، وربما أشعرك ، بطريقة مهذبة ، أنك تعانى من قصور فى رؤيتك المستقبلية وهذه مشكلتنا مع التكنوقراطيين ولو كانوا أساتذة فى الجامعة فقليل منهم من يعرفون كيف يخاطبون العوام أمثالنا . فهم إما أن يفترضوا فينا الجهل المطبق ، فيشرحوا لنا البديهيات ، ويمدونا بالمعلومات التى يعرفها الجميع ، وإما أن يكلمونا باصطلاحاتهم ، فنستحى أن نسألهم بعض الشرح ، ونكتفى بالغمغمة أو هز الرءوس .

وأشهد أن محدثىّ كانا واسعى الصدر جدا ، وأن حديثنا ، الذى استمر قرابة الساعة ، كان واضحا ولم تتخلله أية غمغمات . وفيما عدا أن رأسيهما ممتلئان بالبيانات العالمية التى تتعلق بتخصصهما ، وأن عقلى وقلبى مشغولان بهموم بلدى وأبناء بلدى ، فقد كنا نتكلم على نفس الخط كما يقال ، كنت وما زلت اعتقد أن العقل البشرى اعظم من اى جهاز الكترونى وأباهى ابنائى بأنى استطيع أن أحسب فى ثوان عملية ضرب أو قسمة ، (رغم أنى لم أكن يوما ما بارعا فى



الحساب) مع هامش خطأ صغير جدا ، قبل أن يتمكنوا من تمرير اصابعهم على حاسباتهم الالكترونية الصغيرة . وكنت ومازلت اعتقد ان الأعمال الروتينية (يدوية كانت أم عقلية) تبلد الفكر والاحساس وتمتهن إنسانية الانسان ، ولكننى اعتقد أيضا أن البطالة لاتفرخ الشرور والرذائل فحسب ، بل تجرد الانسان من صفة الانسانية اصلا . لهذين السببين مجتمعين (وأنا من بلد لا تمثل العمالة الحقيقية فيه اكثر من ٣٠٪) أجدنى دائما مترددا ومتشككا أمام الاستعمال الواسع للعقول الالكترونية .

● شاهد صغير على سبيل الاستطراد

نظارتى لم تعد صالحة ، ولذلك فكرت أن أذهب الى طبيب عيون لعمل نظارة جديدة ، وأشار علىّ ابنى الأكبر أن ألجأ الى طبيب يعرفه ، ذى خبرة فى إجراء كشف النظارة (وهو يحتاج الى صبر فعلا كما يعرف أصحاب النظارات) موضع الشاهد أن هذا الطبيب ـ كما أخبرنى ابنى ـ عازم على شراء جهاز الكترونى للكشف يكلفه خمسة وثلاثين الف جنيه ، مع علمه بأن هذا الجهاز يخطىء أحيانا ، ولايغنى ـ على كل حال ـ عن الكشف المعتاد . والسبب أن زبائن كثيرين يسألونه عن هذا الجهاز .

النتيجة التى خلصت اليها من هذا الشاهد وغيره ليست بالطبع الاستهانة بالهندسة الالكترونية أو انكار قيمة كل جهاز الكترونى ، بل أن استعمال هذه الاجهزة اصبح عندنا « مودة » أو صرعة ، لا تدعو اليها حاجاتنا ولا تتحملها مواردنا ، فى كثير من الأحيان أو فى معظم الأحيان وهو سلوك شائع لا ينحصر فى اقتناء هذه الأجهزة ولا ينفرد الموسرون دون الفقراء ، ولا الأفراد دون الحكومات .

اسمه فى القاموس الأخلاقى سفه أو إسراف وفى القاموس الاقتصادى سوء تخطيط أو سوء إدارة والقاموسان تمكن الترجمة من أحدهما إلى الآخر بسهولة تامة ، ولكنهما قلما يتفقان فى الحكم سلبا أو إيجابا كما يتفقان فى هذه الصفة التى نتحلى بها نحن العرب ، ولاسيما المصريون .

● المعادلة الصعبة

قلت لمحدثىّ المعادلة الصعبة فى كل البلاد النامية ـ كما أفهم ـ هى تحديث وسائل الأنتاج بدون زيادة نسبة البطالة هذا هو مايسمونه تطبيق التكنولوجيا ، أو تطويع التكنولوجيا فهل ياترى يتفق ذلك مع التوسع فى استخدام الحاسبات الإلكترونية ؟

قال أحدهما المعادلة الصعبة هى أن نلحق بالذين سبقونا ، مع أنهم يتقدمون بسرعة مذهلة نحن سعداء الحظ هذه المرة لأنهم لم يسبقونا بمدة طويلة ، ثلاثون سنة هى كل عمر الحاسبات الالكترونية فى مقابل ذلك تتطور هذه الصناعة بسرعة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الانسان . أحيانا تنتج شركة ما جهازا معينا وقبل أن تبدأ فى تسويقه تكون الشركة نفسها قد ابتكرت جهازا أحدث يؤدى الوظيفة نفسها بتكاليف أقل أو بكفاءة اكبر يمكنك أن تتصور سرعة هذا التطور ومداه إذا علمت أنهم يقارنون بين هذه الصناعة وصناعة السيارات مثلا ، فيقولون إن صناعة السيارات لو كانت قد تطورت بنفس السرعة لأمكنك أن تشترى السيارة الكبيرة فى الوقت الحاضر ببضعة جنيهات . علينا أن نقرر الآن والقرار واحد لابديل له ، فليس هناك خيار بين الحياة والموت . لم يكن الغربيون أشجع منا ولا أقوى إيمانا حين غزوا بلادنا ولكنهم كانوا يملكون سلاحا أقوى

والالكترونيات هى سلاح المستقبل ، فكل صناعة جديدة تعنى ، فيما تعنى ، سلاحا جديدا .

وهجمت على خيالى صور كثيرة مدافع نابليون أمام سيوف المماليك . « وادى السليكون » مركز الصناعات الالكترونية فى الولايات المتحدة وفى كثير من بلدان العالم المتطورة ، حيث لايكاد يمر يوم بدون اختراع جديد ، أو اختراعات عدة ، وحيث التوتر الدائم وانهيار الاعصاب تحت ضغط المنافسة التى لاترحم . وشوارعنا التى لاتصحو إلا فى الساعة العاشرة لتتحول بعد قليل الى وديان تتقيأ البطالة والكسل ، وشبابنا الذى يخلف مقاعد الدراسة فى الجامعات والمعاهد كل عام ، ألوفا وراء ألوف ، ليتبخر القليل الذى تعلموه بينما يجلسون وراء المكاتب أو يتسكعون فى الطرقات . معادلة صعبة حقا ولكن ماعناصر هذه المعادلة ؟ الزمن أم البشر ؟

تذكرت ايضا عمال الطباعة فى بريطانيا ، الذين أضربوا عن العمل حين عزمت الصحيفة التى تستخدمهم على إدخال آلات الكترونية حديثة فى مطابعها ، لأن هذا الأجراء كان يعنى الاستغناء عن عدد كبير منهم ، لم اتابع القضية ، ولكن حتى لو انتصر العمال هذه المرة فسوف ينتصر التحديث بعد قليل المسألة إذن هى تأجيل التحديث . هل هو من باب تأجيل المصيبة أم الاستعداد للتغيير ؟ تذكرت كذلك أشياء رأيتها فى صباى وشبابى . نول يدوى أمامه عامل يبدو عليه المرض ، فى غرفة مظلمة غير مبلطة منضدة كبيرة فى

صالة حسنة الإضاءة هذه المرة ، لأنها فى منزل بإحدى مدن الريف ، يجلس على جانبيها عدد من العمال ربما كانوا اربعة او ستة ، وامامهم كومة من التبغ المفروم ، وعلى يمين كل منهم لفائف فارغة يدخل فيها التبغ بواسطة خشبتين مدببتين فتصبح سجائر بإذن الله . ولم يكن ذلك فى القرن الماضى بل فى الثلاثينيات من هذا القرن وكان اصحاب هذه المصانع الصغيرة يعلنون عن سجائرهم بهذه العبارة « لف يد العامل المصرى » فقد كانت دعوة الإستقلال الاقتصادى على اشدها ، بتاثير طلعت حرب فى الداخل وغاندى فى الخارج ، ثنائى غريب ، ولكن هكذا كان ، وهكذا كان يجب ان يكون ! فبينما كان طلعت حرب يقود معركة التحديث فى الصناعة والاقتصاد ، كانت الغاندية تعلم الشعوب الاستغناء عن الكماليات ، والاعتماد على النفس فتوفر عن طريق العمل اليدوى البسيط الوقت اللازم للصناعة الوطنية الناشئة كى تنمو ويشتد عودها .

وهكذا قطعت مصر ، كما قطعت الهند وشعوب كثيرة اخرى ، مرحلة غير هينة على طريق التطور . فهل تصلح معادلة كهذه للعصر الحاضر ؟

● الالكترونيات صناعة المستقبل

قال محدّثى : الالكترونيات لاتعنى البطالة ، ولكنها تعنى نمطا جديدا من الانتاج . الأجهزة الالكترونية تخلق وظائف جديدة ، وظائف للتشغيل والصيانة ، فضلا عن الاعداد الكبيرة من العمال الذين يشتغلون فى مصانع الاجهزة الالكتروية نفسها ، والاعداد الكبيرة من العلماء والفنيين الذين يعملون فى التصميم والبرمجة . التقديرات المتوقعة فى الولايات المتحدة الامريكية تقول إن نسبة العاملين فى الصناعات الالكترونية ستبلغ حوالى ١٥٪ فى سنة ١٩٩٠ ، وسوف تتجاوز ٨٠٪ فى سنة ٢٠٠٠ ـ هذه النسبة من مجموعة القوة العاملة كلها !

إننا نعلم ان التصنيع قد خلق ـ على المدى الطويل ـ مزيدا من فرص العمل . الأرض إمكانياتها محدودة ، مهما توسعنا فى الزراعة افقيا وراسيا ، ولكن الصناعة تكاد تكون بلا حدود ، ولذلك فمجالها مفتوح امامنا لزيادة العمالة وزيادة الانتاج . ونحن نعيش الآن ثورة صناعية جديدة سوف تنسخ عهد الثورة الصناعية الأولى كما نسخت هذه عهد البغال والحمير ، الصناعة الاكثر تقدما تقتل الصناعة الاقل تقدما ، فإما ان تكون حديثا تماما أو لاتكون .

● انتم الناس ... ايها العلماء !

تذكرت بيت شوقى :

جاذبتنى ثوبى العصىّ وقالت
انتم الناس ايها الشعراء !

رحم الله « شوقى » ! ورحم الشعراء كلهم ! فهم قوم نرجسيون ، ابتداء من امرىء القيس وحتى يومنا هذا ! ولا تؤاخذنى إذا قسوت مرة على الشعر والشعراء . فإذا كانت اوربا فى نهضتها ، بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، قد احتاجت إلى « دفاع عن الشعر » فإن عالمنا العربى لم يكن قط فى حاجة الى مثل هذا الدفاع لا عن نهضته ولا عند انحداره . ولكن كان ولايزال ، فى حاجة الى دفاع عن العلم والعلماء . لذلك هممت ان اقول لصاحبىّ ! « انتم الناس ايها العلماء ! » ولو على سبيل التشجيع والبسط ، قبل ان اضعهما فى صميم المشكلة كما اتصورها :

بالتعرض على الأشواك

« ماذا تتوقعون من مؤتمركم هذا ؟ لا أظنه أول مؤتمر عربى يعقد حول الحاسبات الالكترونية ، فما أكثر مؤتمراتنا وأقل جدواها هل نطمع فى عدد من « التوصيات » تضم الى اوراق المؤتمر ، وتوضع فى ملف ظريف لايهتم به أحد ، حتى ولاعند الاعداد للمؤتمر التالى ؟

لعلى قلت كلاما أقل تشاؤما من هذا ، ولكن المعنى كان واضحا ، بدليل أن الخبير الثانى ، الذى لم يعلق إلا بكلمات قليلة على أسئلتى السابقة ، قال بدون مواربة

هذه مشكلة العالم الثالث . كل تغيير مهم لايمكن أن يتم إلا بقرار سياسى ، « من فوق » والتوصيات العلمية لا تؤثر فى القرار السياسى إلا تأثيرا محدودا . فهناك عوامل أخرى يمكن أن تكون أهم بكثير .

قلت إذن فكان الله فى عون أصحاب القرار السياسى ! إن كان هذا واقعا فنحن الذين صنعناه ، ولابد من تغييره .

وهنا انقطع الحوار ، أو سكتت شهرزاد عن الكلام المباح . ولكن عبارة « القرار السياسى » تركت فى ذهنى أصداء غير مريحة ، آخرها خبران . الأول له صفة العموم وليس له مساس مباشر بالعالم العربى وإن كانت دلالته الشاملة جديرة بالاعتبار فى هذا العالم وغيره ، معلوم أن البلدين اللذين يتصدران أبحاث الحاسبات الالكترونية فى الوقت الحاضر هما الولايات المتحدة الأمريكية واليابان . ويقول الخبر إن حديثا جرى فى الولايات المتحدة بأن اليابان توشك أن تحقق تقدما تكنولوجيا مهما فى هذا الباب ، فصرح أحد أعضاء مجلس الشيوخ بأنه يجب منع اليابان بالقوة ، إذا اقتضى الأمر ، حتى لاتحرز سبقا على الولايات المتحدة ، يمكن أن يهدد مكانتها العالمية .

أما الخبر الثانى فخاص جدا ، كما أنه يتعلق ببلد عربى لم يعينه لى راوى الخبر ، ويمكنك أن تكذبه ولكن دلالته لا تسقط بهذا التكذيب وخلاصته أن مبعوثا عربيا عمل بعد تخرجه مساعدا لاستاذ كبير يعمل فى حقل الالكترونيات مع هيئات عالمية ، ويتلقى أبحاثا على جانب كبير من السرية ، فكان مساعده الشاب يصور هذه الأبحاث حتى إذا اجتمع له قدر صالح منها حملها الى بلده وعرضها على كبار المسئولين هناك ، فاتهم بالتامر ولقى جزاء المتامرين وهو معروف .

حكاية أشبه بالخيال ، وقد لايكون لها ظل من الحقيقة ، ولكنك حين تسمعها من شخص مشتغل بالعلم ، شابا كان أو كهلا ، فلا بد أن تشعر باليأس ، لأن هذا الشاب أو هذا الكهل وأمثاله يؤمنون أن العمل فى حواشى العلم أسلم عاقبة من الغوص على أسراره .

إن العلم يعنى القوة ولا سيما فى هذا العصر .

والقرار السياسى هو ايضا تعبير عن القوة فى الداخل أو القوة فى الخارج ، ولكن العالم ليس سياسيا ، والسياسى ليس عالما . فهل يمكن أن تتحقق القوة لأحدهما ، أو لهما مجتمعين ؟

من يحل هذا اللغز ؟



● « قدمت مصر كل ما تستطيع فى الخمسينيات والستينيات لمعركة استقلال افريقيا ، وتقدم فى والثمانينيات كل ما تستطيع ، لمواجهة التخلف والفقر فى افريقيا » .

بطرس غالى — فى ندوة المعهد الدبلوماسى

● كلما أسمع التقارير عن نتائج الحرب الايرانية العراقية ، احك رأسى عن مدى مصداقيتهم ، لمعرفتى بالايرانيين .. يبحثون دائما عن صفقة ولا تنتهى عندهم الصفقات ، وعندما تعاملت معهم كرجل اعمال ، كنت دائما اشد بيدى على نقودى .

شولتز — وزير خارجية امريكا

● « شرف لنا كبير الا نكون قطيعا » .

محمود درويش

● اكبر ارهابى هو نظام الحكم فى جنوب افريقيا

اوليفر تامبو رئيس المؤتمر الوطنى الافريقى

● افلام هوليود عن فيتنام عبارة عن اغتصاب للتاريخ .

دافيد هالبر ستام مراسل النيويورك تايمز

● حاولنا ان نساعد الفقراء ، فاذا بنا نزيدهم عددا ، حاولنا ازالة الحواجز للهروب من الفقر ، فاذا بنا نبنى مصيدة للفقراء .

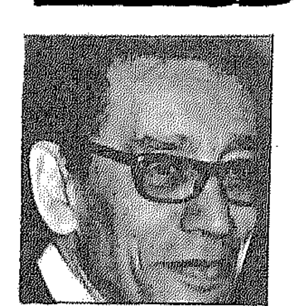
تشارلز موربى « باحث اجتماعى امريكى »

● حياتنا الموسيقية تقوم على السرقات .

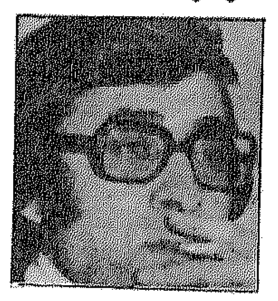
كمال الطويل

● الستار الحديدى حطام ، ولكن قدرا كافيا من بقاياه يقف حائلا بيننا وبين الرؤية .

الشاعر الروسى يفجينى ييفتشينكو


د. بطرس غالى


شولتز


محمود درويش

ديموقراطية جورباتشوف

"داخل الحزب"

أبعادها ونتائجها

بقلم : عبد الرحمن شاكر

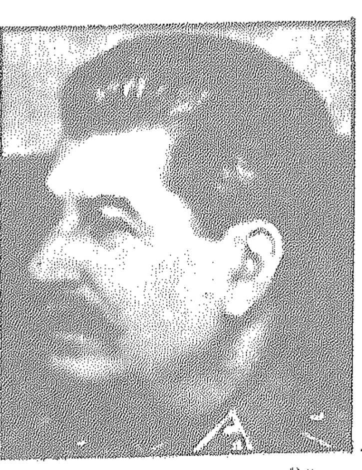
مرة اخرى ، نجح جورباتشوف ، السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفييتي، في أن يشد انظار العالم اليه والى التغييرات الواسعة النطاق ، التي شرع في ادخالها في بلاده منذ ان وصل الى قمة المسئولية في حكمها ، بدءا من اطلاق حرية النقد ، الى عقد المؤتمر السابع والعشرين للحزب البلشفي ، الذي اعلن فيه أن المجتمع السوفييتي لايزال بعيدا عن تطبيق الشيوعية ، وهي الحلم الذي بدأ التلويح به في أواخر عهد ستالين ، وازدهر - أي الحلم - في عهد خروشوف، حتى أعلن جورباتشوف انه من قبل ذلك لابد من استيعاب نتائج الثورة التكنولوجية ، التي تحققت في الغرب الراسمالي ، ثم كانت الخطوة الاقتصادية الهامة التي اتخذها في أواخر العام المنصرم ، باصدار تشريع يسمح للمشروع الفردي ، او القطاع الخاص ، بالعمل في حوالي ثلاثين فرعا من النشاط الاقتصادي .. حتى كانت الخطوة الاخيرة التي أعلنها في اجتماع اللجنة المركزية للحزب البلشفي ، والتي تقضي بأن يكون انتخاب القادة على مختلف مستويات الحزب ، عن طريق الاقتراع السري ، من بين مختلف المرشحين ، بعد أن كان المتبع ، هو أن تتقدم القيادة القائمة على الامور ، بقائمة من عندها «للمرشحين»، بحيث لايكون امام « الناخبين » الا الموافقة عليها بالوقوف والتصفيق ، الذي لا ينكص عنه أحد المجتمعين ، حتى لا يوهم بالخروج على الاجماع الحزبي ، ومعاداة الحزب ، على نحو يفتح الطريق للاجهزة البوليسية للتعامل معه ، وتصفيته ، سياسيا على الاقل !

● المركزية الديمقراطية

لقد وصفت تلك الخطوة ، بأنها أهم تطور يشهده الحزب البلشفي منذ أيام لنين ، مؤسس الحزب والدولة السوفييتية . لقد صاغ لنين مبدأ للعلاقات الداخلية في الحزب الشيوعي سماه « المركزية الديموقراطية » التي تنص على أن يكون اختيار قيادات الحزب من القاعدة الى القمة بالانتخاب ، وان السلطة العليا في الحزب هي المؤتمر المنتخب الذي يدور داخله الحوار حول خط الحزب في مرحلة معينة من نضاله ، وبعد اقرار خط معين بالاغلبية ، يجرى انتخاب اللجنة المركزية من أعضاء المؤتمر ويكون على رأسها بطبيعة الحال

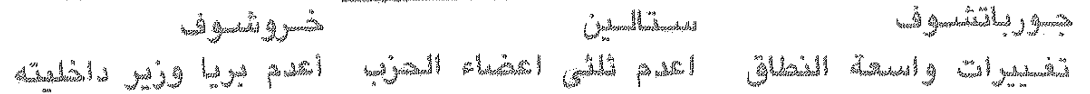


جورباتشوف
تغييرات واسعة النطاق




ستالين
اعدم ثلثى اعضاء الحزب

خروشوف
أعدم بريا وزير داخليته



الاعضاء الذين طرحوا الخط الذى تم اقراره ، وبعد ذلك يصبح على الاقلية ان تخضع لقرار الاغلبية فى تنفيذ الخط الذى ارتضته ، ويخضع المستوى الادنى للمستوى الاعلى الذى تم اختياره بالانتخاب .

ولكن أعمال هذا المبدأ قد شحب كثيرا بعد وفاة لنين ، الذى كان يضمن بشخصيته القوية وتأثيره الهائل ، الحرص على تنفيذه . لقد شحبت « الديمقراطية » كثيرا فى أيام ستالين وطغت عليها « المركزية » تماما ، ولم يعد احد يجرؤ على معارضته سواء داخل الحزب او خارجه ، كان يختار معاونيه فى المكتب السياسى للحزب أو « البوليتبيرو » ليصبحوا هم السلطة العليا ــ معه ــ فى الحزب ، بحيث لايكون أمام اللجنة المركزية ، أو المؤتمر الا التسليم بما يقولون . أما المعارضون فيختفون ، حتى لقد قيل ان ستالين قد أعدم أكثر من ثلثى أعضاء المؤتمر الذى انتخبه فى الثلاثينيات ، سكرتيرا عاما للحزب !

والواقع أن هذا التطور الديكتاتورى ، قد صح عليه ما قاله « ليوتشاوتشى » رئيس جمهورية الصين الشعبية سابقا فى كتابه المسمى « عن الحزب » ، بأن اختفاء الديموقراطية داخل الحزب ، انما كانت انعكاسا لاختفائها فى المجتمع ! ذلك أن « ديكتاتورية البروليتاريا » قد شرع الحزب البلشفى فى استخدامها ، فى الثلاثينيات على أوسع نطاق ، فالمعركة فى ذلك الحين لم تكن موجهة ضد طبقات محدودة من المستغلين ، الرأسماليين أو الاقطاعيين ، بل كانت ضد ملايين الفلاحين الفرديين ، الذين سبق للثورة أن وزعت عليهم الارض ، ثم شرعت تحثهم على الدخول فى مزارع جماعية تطبيقا للخط الذى أقره الحزب فى هذا الصدد وأعتقد أنه بذلك يقرب البلاد من الاشتراكية . وكان الهدف من تلك السياسة مزدوجا ، فقد كانت تهدف من ناحية الى سيطرة الدولة على الانتاج الزراعى ، من أجل ضمان توفير الغذاء الضرورى لعمال المدن الذين ينمو عددهم باطراد كبير بسبب سياسة التصنيع النشطة ، ومن ناحية اخرى كانت هذه السياسة ترمى الى استئصال شأفة الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، حيث نمت من بين الفلاحين طبقة تعرف باسم « الكولاك » اى المزارعين الكبار ، نجحت فى أن تكون « رأسمالية زراعية » ، تملك قسطا وفيرا من ثروة البلاد ، ومن النفوذ الاقتصادى .

ديموقراطية جورباتشوف

كان ستالين ومعاونوه يخشون أن تصبح هذه الطبقة ظهيرا ، أو طابورا خامسا ، يعمل فى خدمة « الامبريالية » وأهدافها فى تدمير الدولة السوفييتية الوليدة ، خاصة وأن هتلر كان قد وصل الى الحكم فى ألمانيا ، ولم يكن يخفى هدفه فى القضاء على الشيوعية فى العالم بأسره !

كانت محنة رهيبة الت بالمجتمع السوفييتى فى تلك الفترة ، فالفلاحون الروس ، كانوا يحرضون على بقاء ملكيتهم الخاصة للارض ، حتى ولو كانت صغيرة ، وكان كل منهم يمنى نفسه بأن يصبح من « الكولاك » ، وانضمت اعداد كبيرة منهم الى الكولاك فى مقاومة خطة الدولة السوفييتية لانشاء المزارع الجماعية ، ووصل بهم الامر الى حد قتل مواشيهم واحراق محصولاتهم الزراعية . ولاتزال الزراعة السوفييتية تعانى حتى الان من آثار تلك الفترة وذكرياتها الاليمة ، ولايزال قصور الانتاج الزراعى يمثل مشكلة كبرى فى الاتحاد السوفييتى ، قد يرجى حلها بالتشريع الجديد ، المشار اليه فيما تقدم والذى سمح بعودة النشاط الاقتصادى الخاص فى مجالات متعددة ، الزراعة وتسويق الحاصلات الزراعية من بينها .

مضاعفات القهر

لقد كان فرض سياسة المزارع الجماعية على الفلاحين الروس فى الثلاثينيات ، أمرا أملته الضرورات السياسية وحدها لاغراض التعبئة العسكرية والتصنيع اللازم للحرب المتوقعة ، بما فى ذلك صنع السلاح ، ولكنه كان اجراء مناقضا لكثير من المفاهيم النظرية بما فى ذلك التصور الماركسى ، الذى بنيت عليه الاشتراكية العلمية ، وهى أن الاشتراكية هى المآل الذى يؤول اليه المجتمع الصناعى بعد أن يستكمل تطوره وتصبح الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، فى تناقض مع العمل الجماعى فى مؤسسات صناعية ضخمة . وهذا الامر لا ينطبق على الملكية الفردية الصغيرة فى الزراعة ، والمفروض طبقا لهذه النظرية أن يكون اقبال الفلاحين على ادماج مزارعهم فى مزارع جماعية أو تعاونية أمرا اختياريا بعد ان يقتنعوا بأن ذلك فى مصلحتهم ، اذ يتيح لهم استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة فى زيادة انتاجهم ، وفى توفير جهودهم لفلاحة الارض وحصاد ثمارها .

ومن جانب اخر ، لقد كان القهر الذى اتبعته الدولة السوفييتية فى تلك الحقبة لفرض المزارع الجماعية على الفلاحين ، اهدارا لذات المبدا الذى اقام عليه لنين نظريته عن ديكتاتورية البروليتاريا ، فهى من وجهة نظره كانت تعنى « تحالف العمال مع الفلاحين » ، « والتفاف الفلاحين حول البروليتاريا ممثلة فى حزبها الشيوعى » . ولكن تلك المعركة التى وصلت الى حد الحرب الاهلية ، كانت بمثابة فض لهذا التحالف ، ووجدت « البروليتاريا » ، أو الحزب الشيوعى الذى يمثلها ، والدولة التى تسيطر عليها ، أنفسهم ، فى مواجهة صارمة مع ملايين المواطنين من الفلاحين !

وطبقا للملاحظة السياسية الذكية ، التى تقول ان قيام حزب سياسى واحد فى مجتمع معين ، ينفرد بالعمل السياسى ، يترتب عليه أن تتسلل الى داخله ، الاتجاهات المعارضة لسياسته المعلنة ، وتحاول أن تؤثر عليه من الداخل!

فان سياسة ستالين فى فرض المزارع الجماعية قد وجدت داخل الحزب البلشفى من يعارضها ، وكان رأس المعارضين لها ((بوخارين)) الذى وصفه لنين بانه كان ((قرة عين)) الحزب البلشفى ! وقد تمت تصفيته على يد الاجهزة البوليسية هو ومئات أو الوف من أنصاره من اعضاء الحزب ، ولما كان يهوديا ، فقد زعم مناحم بيجن الذى التقى به فى سجنه قبل اعدامه ، أنه ـ أى بيجن ـ قد نجح فى اقناعه ، بأنه كان مخطئا حينما اشترك فى النضال من اجل تطبيق الاشتراكية فى روسيا ، وأنه كان عليه أن يعمل اولا على العودة الى أرض الميعاد !!

وبالمناسبة ، فمع ظهور الاتجاه الديموقراطى الجديد على يدى جورباتشوف فى المجتمع السوفييتى ، تواترت الانباء عن عودة كثير من اليهود السوفييت الى بلادهم ـ أى الاتحاد السوفييتى ، بعد أن كانوا قد نزحوا عنها الى الدولة الصهيونية أو الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الغربية . وربما كان الافراج عن العالم الذرى سخاروف أقوى مشجع لهم على ذلك . **وذلك أمر يهمنا نحن العرب الذين تعانى بلادنا وطائفة كبيرة من شعبنا العربى فى فلسطين من العسف الصهيونى ، واستيطان الارض العربية ، وربما كان من ســوء حظ العرب ان الصهيونية** ، كنظرية عنصرية ، قد ولدت فى روسيا تحت العسف القيصرى ، فى صفوف يهود الخزر ، الذين عانوا من هذا العسف ، فلم تكد الثورة البلشفية تنجح فى القضاء على الاستبداد القيصرى ، حتى تحولت الى الاستبداد الستالينى ، فى وقت مقارب مع صعود النازية ، التى اندحرت فى الحرب العالمية الثانية ، لكى ندفع نحن العرب ثمن ما أوقعه الفريقان من قهر شمل بعض عناصر شعوبهم !

● الانفراج الديمقراطى

كما سقطت نظرية ديكتاتورية البروليتاريا عمليا بانفضاض الفلاحين عنها ، لتصبح ديكتاتورية الحزب البلشفى وحده ، سقطت الديموقراطية المركزية داخل هذا الحزب ذاته ، لتصبح ديكتاتورية المكتب السياسى ، وستالين على رأسه ، وتحول المجتمع فى ظله الى مجتمع بوليسى تحكمه اجهــزة القمع والتجسس والارهاب ، لمن يفكر فى معارضة زعيم الحزب أو سياسته المعلنة ، أو « يتمتع » بغضب هذا الزعيم لاى سبب من الاسباب ، مهما يكن موقعه فى الحــزب أو الدولة . بل لقد زعم خروشوف الذى بدأ على يده « الانفراج الديموقراطى » بادانة سياسة « عبادة الفرد » التى سادت فى عهد ستالين ، وذلك بتقــريره المشهور فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى عام ١٩٥٦ ، أقول : لقد زعم ان ستالين قد اسهم فى اضعاف القوة العسكرية للاتحاد السوفييتى ، بقدر من أعدمهم من الجنرالات العظام للجيش السوفييتى ، الذين كانوا هم اقدر الناس على مقاومة الغزو النازى المرتقب ! وذلك لقلة ولائهم الحزبى وعــدم استعدادهم للانصياع لاوامر « الزعيم الاوحد » ! وقد لايكون خروشوف على صواب فيمــا زعم ، ولكن هكذا يعانى الديكتاتور بعد موته من منتقديه ما يعانى ، طبقــا لقول الشاعر :

ومن دعا الناس الى ذمه
ذموه بالحق وبالباطل !

على أن خروشوف الذى أدان ستالين ، والذى أعدم « بريا » وزير داخليته والرأس الكبرى لادواته الباطشة ، لم يستطع أن يتقدم « نظريا » الى أبعد من ادانة عبادة الفرد ، لم يستطع حتى اعادة المركزية الديمقراطية التى دعا اليهــا لنين داخل الحزب البلشفى ، وتخبط بدوره فى سياسته ، واقدم على اقصاء

ديموقراطية جورباتشوف

شخصيات بارزة فى هذا الحزب توسم فيهم معارضة بعض سياسته على راسهم مولوتوف ، وزير الخارجية السوفييتى الاشهر ، الذى توفى أخيرا عن أربعة وتسعين عاما ، والذى وصفه تشرشل بأنه أقوى مفاوض فى التاريخ ، وكذلك مالنكوف ، وبولجانين وغيرهم من القادة السوفييت وان كان لم يذهب الى حد اعدامهم كما كان يفعل ستالين ، انمااكتفى بابعادهم الى مناصب صغرى ، فعين مولوتوف سفيرا فى منغوليا ! ومالنكوف — باعتباره مهندسا قديما — مديرا لمحطة كهربائية بعد أن كان رئيسا للوزراء فى عهده ، وهلم جرا !

لم يستطع خروشوف ان يتقدم بالتالى الى الخطوة النظرية الحاسمة وهى اعلان أن تحول المجتمع السوفييتى الى دولة بوليسية تنعدم فيها الديموقراطية، كان هو النتيجة المنطقية التى ادى اليها اعمال نظرية ديكتاتورية البروليتاريا ، تطبيقا لكلام لنين ، ديكتاتورية البروليتاريا تعني ديكتاتورية طليعتها ، أى الحزب الشيوعى ، فمن طليعة الحزب الشيوعى ، انه لجنته المركزية ، فمن طليعة اللجنة المركزية ؟ انه مكتبها السياسى . فمن طليعة المكتب السياسى ، انه السكرتير العام للحزب ! وهكذا تدور الدائرة على الجميع داخل الحزب وخارجه ، ويقعون ضحية للاستبداد الفردى !

فهل بعد أن خطا جورباتشوف خطواته الاخيرة وشرع فى اعادة الديموقراطية خارج الحزب بالسماح بحرية النقد ، وداخله باقرار مبدا الديموقراطية فى انتخاب قيادته ، قد أصبح على وشك الاقرار بأن عهد الديكتاتورية بجميع اشكالها فى الاتحاد السوفييتى قد انتهى ، بما فى ذلك انفراد الحزب الشيوعى بالعمل السياسى ؟! وأن الاشتراكية الديموقراطية القائمة على تعدد الاحزاب هى المستقبل الذى ينتظر المجتمع السوفييتى ؟! أم أن عليه ان ينتظر حتى تولد مثل هذه التيارات داخل حزبه وتنمو حتى تتحول الى احزاب ، على نحو ماحدث « لمنابر » الاتحاد الاشتراكى عندنا فى السبعينيات ؟ أم أن حاجة المجتمع السوفييتى الى أحزاب جديدة قد انتفت بالفعل ، وأصبح قيام حزب واحد أمرا يرتضيه الجميع طواعية ولا يرضون به بديلا ؟

ذلك مايترقب العالم ان يشهد مايكون من أمره . المهم فى الموضوع أن لايقع القهر على أحد فى الاتحاد السوفييتى لمجرد ابداء رايه ، كما حدث فى الصين أخيرا حيث عزل سكرتير الحزب السابق « هاويوبانج » بدعوى تساهله مع مظاهرات الطلبة الداعية للديموقراطية ، وعزل معه نائب لرئيس احدى الجامعات وصف بأنه سخاروف الصين ، وحكم بسجن أحد الطلبة سبع سنوات باعتباره داعية لليبرالية الغربية ! كأن الليبرالية لم تكن هى التى أنجبت كارل ماركس ، الذى يحكم الشيوعيون باسمه ثلث الجنس البشرى ، وماركس نفسه مظلوم مع ممارساتهم الاستبدادية ، فقد كانت الجمهورية البرلمانية فى نظره هى الاداة المثلى للحكم الاشتراكى ، ولكنه على حد قول القائل :

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شىء فى يديه !
وبعبارتنا نحن : او فى نظريته !!



لغويات

● كبير المنشدين الشيخ على محمود - رحمه الله - غنى قبل ستين عاما أبياتا أولها : «يانسيم الصبا تحمل سلامى» .. لحنها من مقام الحجاز ، وأداها أداءً رائعا ، ولكنه فى البيت الذى يقول فى آخره : «يشفى فؤادى بذكرهم من سقام» .. نطق كلمة «سقام» بكسر السين ، وهو خطأ ، لأن كلمة السقام - بكسر السين - معناها «المرضى» - جمع مريض - وهى تماثل كلمة «سُقَمَاء» بضم السين وفتح القاف والميم - جمع سقيم - وإنما أراد الشيخ «السَّقَام» بفتح السين ، أى «السُّقْم» - بضم وتشديد السين وتسكين القاف - و «السَّقَم» أيضا .. بفتح وتشديد السين وفتح القاف ، ومعناهما : المرض ! والمقصود به فى هذا الغناء «مرض الحب» أو ما يجلبه الحب من أسقام وأوجاع ! ..

● يقول أبو الطيب المتنبى

يُرَادُ من القلب نسيانكم
ويأبى الطباعُ على الناقلِ

وأكثر الناس يقولون : «وتأبى الطباع» .. بدلا من «يأبى الطباع» لظنهم أن «الطباع» جمع «طبع» .. ولكن اللغة تقول إن الطباع كلمة مفردة مثل الطبع والطبيعة .. إلا أن «الطبيعة» مؤنثة و «الطباع» مذكر مثل «الطبع» .. وجمع «الطبيعة» : طبائع .. أما «الطباع» فعلى وزن كلمة.«الكتاب» وتجمع على «طُبُع» بضم الطاء والباء كما يجمع الكتاب على كُتُب .

● يشكو الرجل من اضطهاد أحد الناس فيقول : «فلان يَتقصدنى» بفتح الياء والتاء .. يعنى أن فلانا يضطهده .. وهذه كلمة فصيحة الأصل معناها يقصده ويتعمده ويتحراه .. قال المتنبى :

تَقَصَّدَهُ المقدارُ بين صحابه
على ثقةٍ من دهره وأمانِ

أى أهلكه القدر وكان يظن نفسه آمنا من الدهر ! ..

● بعض الأدباء يتجنب استعمال كلمة «يتلكع» ويظنها عامية ، ويستعمل بدلا منها كلمة «يتلكأ» .. ولكن «يتلكع» كلمة فصيحة معناها «يتسكع» ولها نفس معناها العامى .. وكل من يتلكع فهو «متلكع» .. أما الشخص الذى يتباطأ فى العمل فإنه «يتلكأ» وهو «متلكىء» .. فهناك فرق بين «يتلكع» و «يتلكأ» ! ..



المودودى بين التقليد والانطلاق

● لماذا حظرت الجامعة قراءة كتب المودودى ؟

بقلم : د . محمد عمارة

قد يدهش الكثيرون ـ بعد قراءة النقد « الحاد ـ والموضوعي » الذى كتبه الأستاذ المودودى [١٣٢١ ـ ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩ م] للحضارة الغربية ـ إذا هم علموا أن الرجل كان متهما بأنه « متغرب » ، و« متأثر غاية التأثر بالغرب .. وكل شيء يصل إليه من الغرب يجذبه من حيث لايشعر » .. وستزداد دهشتهم إذا علموا أن الذين اتهموا المودودى هذا الاتهام ، قد عللوه ببعده عن الدين « فكل مايصل اليه عن طريق الدين تستغربه كتابته وخطابته » على حين تجتذبه تأثيرات الغرب ، فيتأثر بها غاية التأثر ؟! »

لكن الدهشة ستزول إذا علمنا مصدر هذا الاتهام الغريب .. فالذين وجهوا الى الأستاذ المودودى هذه التهمة هم أركان المؤسسات الفكرية الاسلامية التقليدية ، من علماء الاسلام إلتقليديين ، الذين سماهم المودودى « أهل الجمود » ، ممن اتخذوا موقف الانكفاء على الذات ـ التى كانت تجسيدا لفكرية عصر التراجع والانحطاط الاسلامى ـ والذين عجزوا عن منافسة التغريب ، وصياغة البديل الاسلامى الذى يناطحه ، بل وكان عجزهم هذا ، والصورة الشوهاء التى قدموها للاسلام « الدافع » و« المبرر » لنشأة تيار التغريب واستشرائه فيما بين ظهرانينا !

ستزول الدهشة إذا علمنا مصدر هذه التهمة ، التى قالت عن المودودى إنه « متغرب » لأن الرجل قد ناصب أهل الجمود هؤلاء عداء شبيها بذلك العداء الذى ناصبه أهل التغريب .. فلقد رآهما معا جناحى التحدى الحضارى الذى يواجه الأمة ، ويحول بينها وبين الصحة الحضارية وعافية النهضة ، ووثبة التقدم والانعتاق بواسطة البعث الاسلامى الجديد ..

لقد تميز عن « أهل الجمود » من أساطين المؤسسات التقليدية ، تميزه عن « أهل التغريب » من أنصار « التبعية الحضارية » ورآهما معا شركاء فى « تركة التبعية والتقليد » البائسة .. منهم الذين يقلدون « سلفنا » ومنهم من يقلدون « سلف الغرب » .. أما هو فكان داعية للانطلاق من أصالة المنابع الجوهرية والنقية ، والاستئناس بإبداع عصر الازدهار ، وتخطى ، ركام عصر الانحطاط ، والنظر فى جميع ذلك بعقل ناقد يسلك الى أهدافه العصرية سبيل الاجتهاد والتجديد ، بمقاييسه ، وفى حدود الواقع الذى فكر له وفيه !

ونحن إذا شئنا أمثلة على تميز نهج المودودى عن نهج سدنة « التخلف الموروث » فسنجد فى كتاباته النقدية لهم وكتاباتهم النقدية له الكثير .. وعلى سبيل المثال :

● هم يعيبون على المودودى أنه يسعى لاعطاء العبادات والشعائر الاسلامية معانى ومضامين تجعل من أداء المسلم لها إسهاما فى صياغة الجانب النضالى لهذا المسلم تجاه التحديات التى تأخذ بخناقه فى كل اتجاه .. فهو يريد للمسلم عندما يشد رحاله لأداء فريضة الحج مثلا ، أن يبصر ما فى هذه الرحلة من صور الجهاد ومعانيه .. فهو « جندى » من جنود الله ، ينتقل بين مواطن المناسك ـ منى ، وعرفات ، ومزدلفة ، والكعبة ـ انتقال الجندى ـ فى صفوف جيش الحجيج ـ من معسكر إلى معسكر ! .. وهو يطلب من هذا « الجندى ـ الحاج » أن يسمع خطبة الخطيب فى عرفات سماع الجندى « أوامر القائد » ! وأن يستحضر عند رميه الجمرات ماترمز اليه هذه الشعيرة من رجم رمز الخيانة للأمة .. تلك الخيانة التى سهلت لأبرهة ، فى غزوة الفيل ، الوصول الى مشارف مكة .. وبذلك تتحول هذه المناسك الى وسائل تسهم فى إيقاظ وعى المسلم ، وتأهيله ليكون جندى البعث الاسلامى الجديد !

يعيب « أهل الجمود الموروث » على الأستاذ المودودى هذا النهج الجديد ، لأنهم يرون فى الحج ومناسكه « مظهر الحب المولى .. ونموذجا خالصا للهيام فى حبه



تعالى . ورباطا بين العبد وربه يقطع صلته عن غير الله . » ؟! .. ومن ثم يرون أن نهج المودودى ـ الذى يعطى الحج مضمونا نضاليا ـ قد حول هذا الذى رأوه مجرد « حب إلهى » إلى مجرد « تمثيلية عسكرية »

فنحن أمام نهجين ، يعبر كل منهما عن تيار فكرى متميز فى المنطلقات ، والغايات ، والسبل والأدوات .

● وهم يعيبون على الأستاذ المودودى مايفخر به الرجل ويتيه ! يعيبون عليه اعماله عقله وحسه الاسلامى فى فهم القرآن وتفسيره .. أى « تفسيره بالرأى » .. لأنهم أهل نقل وتفسير بالمأثور ! كما يعيبون عليه « أنه خالف الجمهور فى تفسيره للقرآن فى مواقع عديدة » وكانما هذا الجمهور قد فسر القرآن « بالوحى » وليس بالرأى المتسق مع الزمان والمكان والقدرات ؟! »

● وهم يعيبون عليه ـ ضمن مايعيبون ـ « إصراره على الاجتهاد » ؟! .. أى والله يعيبون هذا على الرجل ! .. فتيار الجمود هذا لايخجل من معارضة دعوة المودودى الى الاجتهاد .. بل يكتبون فيقولون « فنحن ، من حيث الجماعة ، نرى التقليد شيئا لازما فى هذا العصر ، ونرى ان شروط الاجتهاد التى اشترطها السلف مفقودة فى علماء هذا العصر » ؟!

● وهم يختلفون معه حول الموقف من التصوف ـ وبالأحرى « الطرق الصوفية » .. فهو يرى أن تجديد الاسلام يستلزم تجنيب « جمهور المسلمين لغة الصوفية واصطلاحاتهم ورموزهم واشاراتهم ولباسهم وعاداتهم وسلسلة البيعة والاتباع المعمول بها عندهم . » لأنها ملهاة تغيب العقل المسلم عن أن يعى المأساة التى يعيش فيها الاسلام والمسلمون .. أما هم فإنهم يرون فى موقف المودودى من التصوف .. وفى دعوته للاجتهاد وسلوكه سبيله فى فهم الاسلام أمرين « يعزلانه عن جماعة العلماء » ؟ !

● ولقد بلغ بهم هذا الخلاف المدى ، فأعلن « مشايخ جامعة (ديوبند) الاسلامية » إن دعوة المودودى وجماعته الاسلامية هى «فتنة » ، وسلوكها فى سلسلة الفتن التى نشأت فى شبه القارة الهندية .. مثل « فتنة انكار الحديث .. ونظرية وجود قرآنين .. والمتجددين أصحاب الفلسفة العقلية .. والقاديانية .. وأصحاب البدع والخرافات .. وفتنة الأستاذ المودودى » ؟! .. ومن ثم فلقد ألفوا الكتب والرسائل ضد نهجه ودعوته .. بل واجتمع مجلس شورى « جامعة مظاهر العلوم » وفيه المفتى وكبار الشيوخ والمحدثون ـ وقرر ـ فى ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ هـ ـ مارس سنة ١٩٥١ م « إن الجامعة ليس لها أية صلة بحركة الأستاذ المودودى ، ومحظور على طلابها مطالعة كتبها » ..

لقد اتخذت المؤسسات التقليدية من المودودى ودعوته وجماعته موقف الرفض .. وناصبته العداء .. ولم يكن ذلك غريبا ، فهما تياران مختلفان ، ومتناقضان .. ولقد اتخذ الرجل من فكرية هذه المؤسسات ومناهجها موقف الرفض والادانة ، وحملها قسطا كبيرا من المسئولية عما وصل اليه الاسلام والمسلمون من جمود وهزيمة وهوان ! ..

ففى رأى الأستاذ المودودى .. أن هذا البلاء الذى اصابنا به الغرب ، استعمارا وتغريبا ، لم يكن ليحدث لولا الفراغ الحضارى وضعف البنية وضمور القدرات ، التى تمثلت فى جناية أهل الجمود على الاسلام والمسلمين .. « فالاستعباد الذى ابتلينا به فى القرن التاسع عشر كان نتيجة محتومة لانحطاطنا الدينى والخلقى والفكرى ، الذى كنا متردين فيه من قرون عديدة » !

◉ الاستعمار شريك وعميل

ولقد خلق الاستعمار فى بلادنا ، نخبة متغربة ، صنعها على عينه فى جامعاته الغربية ، وفى مؤسسات التعليم التى اقامها فى بلادنا وفق مناهجه .. وهو يعتمد على هذه النخبة فى الادارة ، كشريك وعميل ، ويعد طائفة منها لخلافته ، لتستمر التبعية تحت رداء « الاستقلال » السياسى .. « أما نظام التعليم الدينى ، الذى يجرى اليوم تحت اشراف حملة الدين وارشادهم ، فى الناحية الأخرى ، فإنه لايزال مشتغلا ، فى القرن العشرين ، بإعداد رجال من القرن الثامن عشر ؟ ! فلا توجد فى المسلمين اليوم طائفة يرجى فيها أن تنحى تلاميذ الغرب وصنائعه وبطانته عن محل الصدارة ، وتقيم فى الدنيا دولة تناهز الدول العصرية ، وتدير شئونها كلها وفق دستور الاسلام وقانونه » ..

وهذا الجمود الذى أصاب فكرية المؤسسات التقليدية الموروثة ، يلعب « التقليد » دور الحارس له من الزوال ! .. وشيوخ التقليد هؤلاء ـ المعادون للاجتهاد والتجديد ـ قد رضوا ـ فى بلادة ـ ودون دراية ـ بوضع وصورة الأنعام ، والعجزة الذين لايعقلون ! ذلك « أن الذين لايستعملون عقولهم وافهامهم ، ولايميزون بأنفسهم بين الصحيح والزائف ، بل يقلدون غيرهم تقليدا اعمى ، يحكم عليهم القرآن الكريم بأنهم (صم بكم عمى فهم لايعقلون » ويشبههم بالأنعام ، بل يجعلهم أحط منها ، لأن الأنعام غير ذوات عقل ، وهؤلاء ذوو عقل ، لايستعملونه (أولئك كالأنعام بل أهم أضل ، أولئك هم الغافلون) (الأعراف ١٧٩) .. » ولذلك فلابد من تجديد الدين بالاجتهاد الاسلامى .. وهذا التجديد والاجتهاد ـ اللذان هما طوق نجاة الأمة من البؤس والضعف الذين نعيش فيهما ـ لن تستطيع النهوض بتبعاتهما هذه المؤسسات التى جمدت عند « التقليد » .. فلابد للمجتهد المجدد من قوة اجتهادية ، يعود بها إلى المنابع الأولى ، البكر والجوهرية والنقية ، دونما جمود عند مآثر أحد بعينه أو عصر بذاته .. « إن عمل التجديد فى هذا العصر الحديث ، يتطلب قوة اجتهادية جديدة .. ذلك ان كتاب الله وسنة النبى مرجعان وحيدان .. تلتمس منهما الهداية



لتجديد ملة الاسلام . وبعد الأخذ من الكتاب والسنة . تتطلب ـ لبسط محجة العمل والسعى بمقتضى هذا الزمن ـ قوة اجتهادية بنفسها ، لاتتقيد بمآثر أحد بعينه من المجتهدين الماضين ولاتنحصر فى طريقه ومنهاجه دون غيره ، وإن اقتبست من كلهم ولم تتحام أحدا منهم » .

● شروط الاجتهاد مفقودة !

فأين من هذه المهمة أولئك الذين قالوا : « إن إصرار الأستاذ المودودى على الاجتهاد أمر نعتبره معارضا لمسلك « جماعة العلماء » .. فنحن .. من حيث الجماعة ، نرى التقليد شيئا لازما فى هذا العصر ، ونرى ان شروط الاجتهاد التى اشترطها السلف مفقودة فى علماء هذا العصر .. » ؟ ! لقد حكموا بالعقم على الأمة .. ولاسبيل أمام العاقر إلا التبنى و« المتبنى » ـ فى مثل حالنا ـ هو « التغريب » !

وإذا كان « الجمود والتقليد » قد أعجزا أركان المؤسسات الفكرية التقليدية والموروثة عن امتلاك شروط الاجتهاد والنهوض بمهمة التجديد ، فإن « الجهل بالاسلام » و« التشوه المعرفى » بسبب « التغرب » يقومان حائلا بين المتغربين والنهوض بهذه المهام .. فالذين « لايستطيعون فهم القرآن إلا بواسطة التراجم » لجهلهم العربية .. ويرون فى السنة النبوية « مادة عديمة المنفعة ، وليسوا على أدنى إلمام بما قام به فقهاء الاسلام فى القرون الثلاثة عشر الماضية من الجهود فى ميدان القانون الاسلامى ، بل ينبذونه نبذ النواة ، والذين ـ فوق هذا وذاك ـ قد اشربوا أفكار الغرب وقيمه لحد أنهم يحاولون تفسير القرآن واحكامه وتعاليمه بما تقتضيه أفكار الغرب وقيمه ! » هؤلاء هم أعجز من أهل التقليد والجمود عن الاجتهاد للاسلام والمسلمين .. فالاجتهاد ليس « تلفيقا » هدفه مسالمة حضارة الغرب المادية « والتجديد لايكون فى التماس الوسائل لمسالمة الجاهلية ، ولاهو اعمال خلط جديد من الاسلام والجاهلية ، **بل التجديد ، فى حقيقته ، هو تنقية الاسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية ثم العمل على احيائه خالصا محضا على قدر الامكان .. ولعمل التجديد شعب منها :**

● بعث العقلية الاسلامية الخالصة من جديد ..

● الاجتهاد فى الدين .. بأن يفهم المجتهد كليات الدين ، ويتبين اتجاه الأوضاع المدنية والرقى العمرانى فى عصره ، ويرسم طريقا لادخال التغيير والتعديل على صورة التمدن القديم المتوارثة ، يضمن للشريعة الاسلامية

روحها وتحقيق مقاصدها ، ويمكن الاسلام من الامامة العالمية فى رقى المدنية الصحيح .

● السعى لاحداث الانقلاب العالمى .. فلا يكتفى باقامة النظام الاسلامى فى قطر واحد أو فى الاقطار التى يقطنها المسلمون فحسب ، بل تبعث حركة عالمية قوية تكفل انتشار الدعوة الاسلامية الاصلاحية والانقلابية فى عامة سكان هذه الأرض ، فتكون حضارة الاسلام هى الحضارة العالية فى الأرض .. ويتولى الاسلام إمامة العالم ورئاسته فى الأخلاق والأفكار والسياسة » ..

فموقع « الاجتهاد والتجديد » الذى حدده المودودى لنفسه وجماعته وتيار البعث الاسلامى الجديد ، لايمكن أن يكون - بطبيعة مهامه ومايلزم لها من إمكانات - فى متناول أى من تيارى « الجمود » و« التغريب » .

فأهل الجمود قد وقفوا ويقفون عند علوم الدين .. أما المودودى فإنه يرى أن ميدان التجديد ليس وقفا على علوم الدين وشريعته ، لأن التجديد الدينى « لايكفى فيه احياء العلوم الدينية ، وبعث الولوع باتباع الشريعة فحسب ، بل يلزم إنشاء حركة شاملة جامعة تشمل بتأثيرها جميع العلوم والفنون والأفكار والصناعات ونواحى الحياة الانسانية جميعا ، وتستخدم ماأمكن من القوى لاحكام أمر الاسلام »

فالتجديد ، هنا : نهضة أمة وتطوير واقع ، وانقلاب اجتماعى وثورة ثقافية ، يكون فيها تجديد الدين المنطلق والسبيل والمحرك لتجديد الدنيا !

وهذا التجديد ، الكافل لهذه النهضة ، لابد أن يتخطى أعلامه ورواده ركام العصور المظلمة وتخلف حقبة الانحطاط . فيعودون - بالسلفية - إلى المنابع الأولى ، يلتزمون الأصول ، ويستأنسون - مجرد استئناس ليس فيه التزام ولاإلزام - باجتهادات المجتهدين السالفين .. وتلك مهمة مستحيلة ، على أهل الجمود وسدنة التخلف الموروث من حملة الدين ورجال المؤسسات التقليدية .. « فلقد حرموا أنفسهم - إلا من شاء الله - من روح الاسلام الحقيقية ، ولم يكونوا اهلا للاجتهاد ، ولم تكن فيهم مقدرة التفقه وقد غلب عليهم مرض التقليد الجامد للأسلاف ، فكانوا يبحثون عن كل شيء فى كتبهم ، ولم تكن هذه الكتب منزلة من السماء ، وكانوا يرجعون فى كل أمورهم الى الرجال ، ولم يكونوا أنبياء

● العودة للمنابع الأولى

بل ان المودودى ليذهب على درب خلافه مع هذه المؤسسات ومناهجها ، إلى حد ابعد من الدعوة للعودة للمنابع ، وتجاوز آثار التراجع والانحطاط .. يدعو الرجل ، فى علم الحديث - وهو الميدان الأوسع فى التشريع الاسلامى - الى عدم الركون الى ماركن اليه القدماء ، من اعتماد « الرواية » معيارا شبه وحيد فى التحقق من صدق الأحاديث ، ويطلب الاحتكام إلى « الدراية » - النابعة من « الحس الاسلامى » - وتقديمها على « الرواية » فى نقد المأثور عن الرسول ، عليه الصلاة والسلام .. وهذا باب واسع من أبواب التجديد الاسلامى ، ومعلم بارز من معالم الخلاف بينه وبين نهج الجامدين المقلدين ..



وبعد أن عرض المودودى نهج القدماء من المحدثين فى نقد الحديث وتوثيقه ـ هذا النهج الذى لم يغادر عالم « الرواية » ـ استطرد ناقدا هذا النهج ، فقال : « .. ولكن ، هل يوجد فيها ـ [الرواية] . شىء لايحتمل الخطأ ؟ .. **إنه من الصعب جدا الاطلاع الكامل على سيرة الرواة وحفظهم وأوصافهم الباطنية ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، فإن النقاد انفسهم لم يكونوا أبرياء من النقائص البشرية ، كل كانت معه النفس ! ومن الممكن جدا أن يكون عليه الشخصى دخل فيما يحكم به نحو أشخاص آخرين ، وليس هذا الامكان فى درجة الامكان العقلى ـ (أى النظرى) ـ بل هناك أدلة تثبت أن هذا وقع بالفعل .. وأعجب من ذلك كله أن الصحابة ، رضى الله عنهم ، كثيرا ماكانت تغلبهم النقائص البشرية ، فيغمز بعضهم بعضا . وليس غرضنا من تقديم هذه الأمثلة تغليط علم اسماء الرجال ، وإنما قصدنا هو أن نثبت ان الذين قاموا بجرح الرجال وتعديلهم كانوا بشرا ، ولم يخلوا من النقائص البشرية ، فهل من الضرورى ان من وثقوه أن يكون ثقة ويعتمد عليه فى جميع الروايات ؟ وأن من جرحوه أن يكون مجروحا حقيقة ؟ وأن تكون مروياته كلها ساقطة في الاعتبار ؟** ثم ، معرفة كل راو ، من حيث الحفظ والصلاح والضبط . معرفة صحيحة أمر جد مشكل ، وأصعب من ذلك هو البحث عن أن الراوى هل لاحظ عند الرواية جميع الأمور المتعلقة بها ، التى لها أهمية من حيث وجهة نظر فقهية فى استنباط المسائل ؟ هذا مايتعلق بفن الرجال .

أما الأمر الثانى : فهو سلسلة الاسناد . إن المحدثين حاولوا البحث حول كل حديث ، بأن كل راو للحديث عندما يروى عن الآخر هل وجد فى عصره أم لا ؟ فإن وجد في عصره . فهل حصل له اللقاء معه أو لا ؟ فإن كان لقيه فهل سمع منه هذا الحديث الذى يرويه أم سمعه من غيره ، ثم لم يذكره ؟ فقد بحثوا هذه الأمور الى حد ما تتحمله الطاقة البشرية . ولكن ، لايلزم من ذلك انهم اصابوا فى فهم جميع الأمور فى بحث الرواية . فمن الممكن جدا أن الرواية التى حكموا عليها بالاتصال ان تكون منقطعة فى نفس الأمر ، ولم يعرفوا راويا مجهولا غير ثقة سقط من بين الاسناد .. فبناء على ذلك وعلى أمور اخرى مثله ، لايمكن الاعتراف بصحة علم الاسناد والجرح والتعديل كلية ، نعم ، إن هذه الذخيرة أحرى بالاعتماد الى حد ، بحيث تستخدم وتراعى فى تحقيق السنة النبوية وآثار الصحابة ، ولكنها لاتستحق بأن يعتمد عليها كلية » .

وعند هذا الحد من نقد مقومات فن « الرواية » والتحفظ على علم الاسناد والجرح

والتعديل ، أضاف المودودى مايقترحه ـ مع علم الاسناد ـ وفن « الرواية » لتوثيق السنة توثيقا تطمئن اليه العقول والقلوب . فتحدث عما نسميه فن « الدراية » الذى جعل معياره الأول « الذوق والحس الاسلامى » الخالص .. فقال : لقد « كان هناك معيار آخر ـ غير الاسناد ـ كانوا ينقدون به الأحاديث . ذلك أن الله تعالى عندما يكرم شخصا يكرم شخصا بنعمة التفقه ، فينشأ فيه ذوق خاص .

من مطالعة القرآن والسيرة بإمعان ، فيصبح فى بصيرته كالجوهرى الماهر الخبير الذى يعرف أدق خصائص الجواهر ، كذلك صاحب هذا الذوق ، هو ينظر دائما إلى النظم الكامل لهذه الشريعة ، ثم عندما ترد عليه الجزئيات يستدل بذوقه الخاص ، أية هذه الجزئيات تطابق طبيعة الإسلام ؟ وأيتها تخالف ؟ وعندما ينظر إلى الروايات يصبح هذا الذوق محكا لها للرد والقبول ، إن طبيعة الإسلام هى عين الطبيعة النبوية ، فالذى يعرف طبيعة الإسلام ، وقد أمعن النظر فى كتاب الله وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، يصبح عالما بطبيعة النبى ، فعندما ينظر إلى الرواية تهديه بصيرته إلى أن أى عمل أو أى قول يمكن أن يكون للنبى ؟ لأن روحه تتلاشى فى الروح المحمدية ، وبصيرته تتحد بالبصيرة النبوية .. فإذا وصل الإنسان إلى هذاالمقام لايحتاج كثيرا ، بعد ذلك ، إلى الإسناد ، فهو يستمد من الإسناد بالضرورة ، إلا أنه لايكون مدار حكمه ، فهو كثيرا ما يأخذ بالحديث الذى حكم عليه بالضعف والغرابة والانقطاع وقد طعن فيه ، لأن بصيرته تطلع على لمعان الجوهر فى ذلك الحجر المتروك ، كما أنه كثيرا مايعرض عن الحديث غير المعلل ، غير الشاذ ، متصل الإسناد ، المقبول ، لأنه يرى أن المعنى الذى امتلأ به هذا الإناء الذهبى لايظهر مناسبا لطبيعة الإسلام والطبيعة النبوية ، ولما كان هذا ذوقا محضا ، لايدخل تحت أى ضابط مازال ولايزال مجالا للاختلاف ! ... » .

هكذا باعد ويباعد هذا المنهج ـ فى النظر إلى « الرواية » ـ الشقة بين المودودى وفكرية المؤسسات التقليدية ، ويزيد الخلاف بينه وبين حملة الموروث الدينى ، بل ويتصاعد به إلى درجة الصراع !

على أن الميدان الأعظم من ميادين الخلاف بين المودودى والمؤسسات الفكرية التقليدية ـ صوفية وتعليمية ـ والذى يصل بالخلاف إلى عمق الجذور .. ذلك الذى تعلق بفهم كل من الفريقين لدور الإسلام فى الحياة ونطاقه فى المجتمع الإسلامى .. فالمودودى واحد من أعلام الصحوة الإسلامية الذين جاهدوا من أجل « شمولية » الإسلام لكل جوانب المعرفة والدولة والمجتمع ، لا فى النطاق الإسلامى فحسب ، بل لقد دعا إلى إمامة الإسلام للعالم بأسره ، بديلا لعالمية الحضارة الغربية المادية الإلحادية .. أما « أهل الدين » ـ كما كان يسميهم أحيانا ـ « فإن من أفدح المضار التى أصابتنا من جمودهم ... تنحيهم عن قيادة المسلمين وزعامتهم ، حتى لقد أصبح إرشاد المسلمين وزعامتهم فى جميع شئونهم ، من التعليم والإجتماع



والاقتصاد والسياسة ، من وظيفة الذين لايعرفون الدين ولايشعرون بحاجة إلى استرشاده فى ناحية من نواحى حياتهم ، وهم المثقفون بثقافة الغرب ... أما أهل الدين فلا ناقة لهم بهذا الشأن ولاجمل ، وأصبح من أمرهم أن يقبعوا فى زواياهم ويشتغلوا بالدرس والتدريس والذكر والتسبيح ، أو يرفعوا أيديهم يدعون الله ويستنصرونه لمن بيده زمام القيادة القومية ... ويمنحون هذه الزعامات كل رخصة فى الدين ، حتى لو تزعزع على أيديهم بناء الدين من أساسه ! .. وذلك فى الوقت الذى ينسبون فيه الجماهير ، التى لاتملك سلطة ولانفوذا ، إلى الفسق ومخالفة الدين للمخالفة فى بعض المسائل الجزئية غير المنصوص عليها فى الكتاب والسنة ؟ ! ... وإن أرادوا ـ [أهل الدين] ـ أن يتدخلوا فى معترك السياسة ، فلا سبيل لهم إلى ذلك إلا التعلق بأهداب أحد الزعماء السياسيين ، يتبعون خطواتهم ويحذون حذوهم .. »

وعلى العكس من هذا النهج الذى عزل الإسلام عن عرش القيادة للدولة والمجتمع ، تركت مالقيصر لقيصر ، دون أن تجعل هذا الذى لقيصر جزءا لايتجزأ مما هو لله .. على العكس من هذا النهج ، الذى سار فيه « أهل الدين » ، كان نهج المودودى : يريد تجديد الدنيا بالدين ، ويعمل لبعث إسلامى ، يدفع بالإسلام إلى صدارة القيادة فى الدولة والمجتمع والعلاقات الدولية ، كما فى العقائد والتصورات الفلسفية والعبادات ..

ولقد تجلى هذا « النهج الشمولى ـ المتكامل » فى فهم دور الإسلام ونطاقه ، تجلى فى تقييم المودودى لحلقات التجديد وأعلام المجددين الذين تعاقبوا على تاريخ الإسلام .. فالإمام الغزالى ـ على عظمته التى اكسبته صفة « حجة الإسلام » ـ قد « تخللت عمله التجديدى نقائص من الجهة العلمية والفكرية تقسم على ثلاثة أنواع :

نوع منها كان مأتاه ضعف الإمام فى علم الحديث .

والنوع الثانى كان منشؤه إستيلاء العلوم العقلية على ذهنه ..

والنوع الثالث وقع فى أعماله لميلانه المتطرف إلى التصوف ... »

ولذلك فإن ابن تيمية ـ بنظر المودودى ـ يفضل الغزالى فى التجديد .. فلقد تجنب نقائصه ، « ووفق فى توسيع دائرة العمل الذى تركه الإمام الغزالى بوجه أحسن وأتم ... فهو

أولا : انتقد المنطق والفلسفة اليونانية انتقادا أشد وأدق مما فعله الإمام الغزالى .

وثانيا : أقام من الأدلة والبراهين على استقامة عقائد الإسلام وأحكامه وقوانينه ماكان يفوق أدلة الإمام الغزالى سوغانا فى العقل وأحوى منها لروح الإسلام ..

وثالثا : لم يجتزىء برفع النكير على التقليد الجامد فحسب ، بل ضرب المثال بمزاولة الاجتهاد على طريقة المجتهدين من القرون الأولى ..

رابعا : جاهد البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد والأخلاق جهادا قويا عنيفا ، ولاقى فى سبيل ذلك أعظم المصائب ..

ومضافا إلى هذا العمل التجديدى ، جاهد بالسيف همجية التتار ووحشيتهم ... »

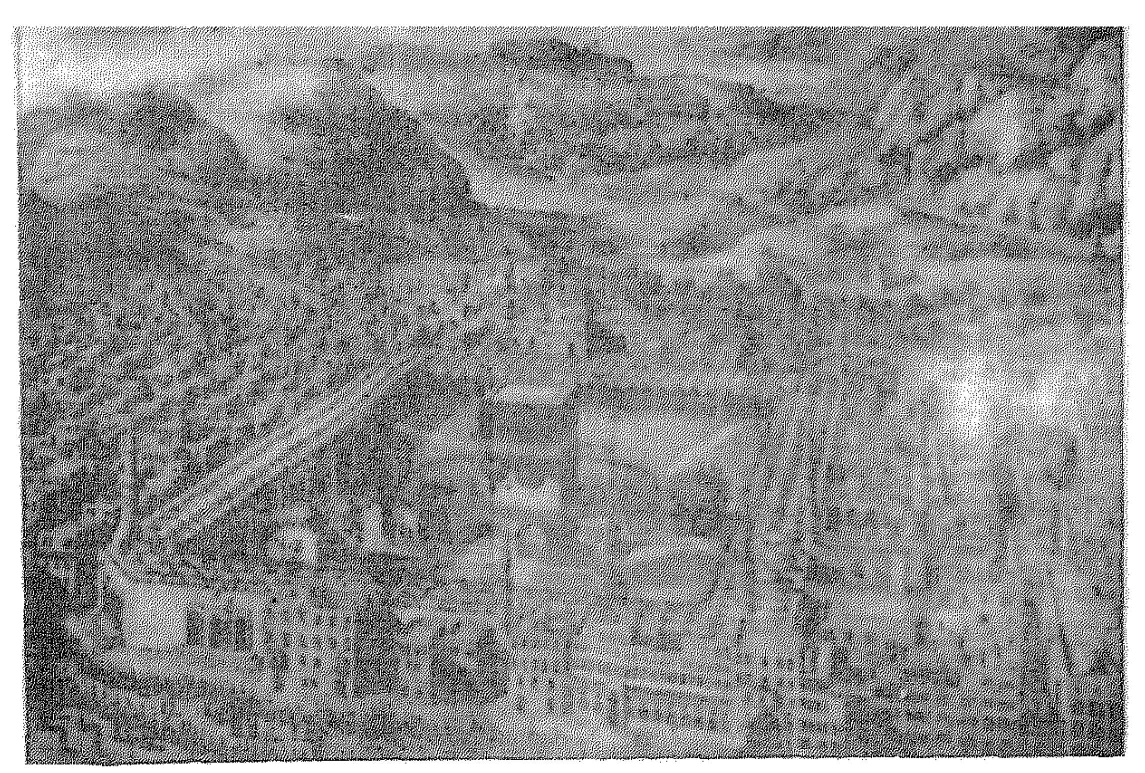
فابن تيمية ـ بنظر المودودى ـ يفوق الغزالى بالتصدى أكثر لفكر اليونان ، الذى كان يهدد الهوية الإسلامية لأمتنا وحضارتها ... ويكونه أكثر من « مفكر ومجتهد » ، فلقد كان « مناضلا » كذلك ! ..

وليس كذلك ، ولا فى شىء من ذلك « أهل الدين » ، الذين فتحوا ـ بعجزهم وجمودهم ـ الباب للتغريب والمتغربين ، فأصبحت لهم الهيمنة والقيادة فى مختلف شعب الفكر والحياة ! ...

والمودودى ، رغم إعجابه بابن تيمية ، فإنه لايرى فى إنجازه مايكفى للخروج من المأزق الذى يواجهه الإسلام والمسلمون ... فابن تيمية « لم يوفق لبعث حركة سياسية فى المسلمين ، يحدث بها الانقلاب فى نظام الحكم وتنتقل مقاليد الحكم والسلطة من أيدى الجاهلية إلى أيدى الإسلام » . وتلك هى مهمة البعث الإسلامى التى نذر المودودى نفسه فى سبيلها .. ولذلك ، فلقد وجدنا إعجابه يزداد بالإمام ولى الله الدهلوى [١١١٠ ـ ١١٧٦ هـ ١٦٩٩ ـ ١٧٦٢ م] حتى ليفوق إعجابه بابن تيمية .. فهذا المجدد الهندى قد سلط الأضواء ـ وخاصة فى كتابه [حجة الله البالغة] ـ على الإسلام دينا ودولة ونظاما شاملا للحياة ، فتفرد بذلك فى موكب المجددين الذين سبقوه .. « لقد اجتهد أن يعرض النظام الإسلامى الكامل ، بجميع جوانبه الفكرية والخلقية والشرعية والعمرانية ، مرتبا ومنسقا ، وهو الفعل الذى فاق فيه كل من تقدمه ..

وهكذا نرى أن إعجاب المودودى ـ بصدد الحديث عن التجديد والمجددين ـ قد انصب على أولئك الذين سلطوا الأضواء على تميّز حضارتنا الإسلامية عن الحضارة الغربية ... وتميزّ الحكومة الإسلامية ونظامها عن الحكومة الجاهلية ونظامه ... ورأوا الإسلام نظاما شاملا لكل شعب المعرفة والحياة .. وسلكوا سبيل النضال العملى ـ علاوة على الاجتهاد الفكرى والنظرى ـ لتطبيق ثمرات هذا الاجتهاد ..

وفى هذا الميدان كان موقع المودودى ، فكرا ونضالا ، وبهذا الموقع اختلف وتناقض مع أساطين المؤسسات التقليدية الموروثة ، الذين رأى فيهم وفى تيار التغريب جُماع التحدى الحضارى الذى يعوق البعث الإسلامى الجديد ... فوجه نقده إليهم جميعا ! .



واستصرخت ربها في مكة الأمم

بقلم: محمد سيد كيلاني

كان ابن جبير الاندلسي يعمل كاتبا لاحد الحكام. وكان هذا الحاكم يعقد مجلس خمر من حين الى حين وذات ليلة بينما كان جالسا ودوارق الخمر امامه نادى ابن جبير ليملي عليه رسالة وقدم له كاسا من الخمر، فأبى ان يشرب، واظهر الامتعاض الشديد، ولكن الحاكم الح عليه فشرب وهو كاره سبع كئوس، فملا له الحاكم الكاس دنانير سبع مرات، فاخذها وعاد الى منزله عاقدا العزم على انفاق هذا المال في الرحلة الى بيت الله الحرام واداء فريضة الحج ليكفر عن ذنبه الذي اقترفه



ابراهيم المويلحي
وجه عريضة للسلطان



السلطان عبد الحميد
اسند شرافة مكة للشريف حسين

وسواء اصحت هذه القصة أم لم تصح فان ابن جبير قد ترك لنا أثرا قيما حين دون رحلته .

ومن هذه الرحلة نعلم ان حجاج بيت الله الحرام كانوا يعانون مشقات هائلة في الذهاب والاياب ، وكثيرا ما تعرضوا لقطاع الطرق يعتدون على اموالهم وارواحهم .

وكان المصريون وحجاج شمال افريقيا يسلكون الطريق البرى ، فلما نشبت الحروب الصليبية سلكوا طريق البحر الاحمر او بحر الحجاز كما كانوا يسمونه . فيركبون النيل الى قنا،ومنها الى ثغر عيذاب ـ القصير، ثم يجرون الى جدة . وكان اصحاب السفن في عيذاب يتحكمون في الحجاج، لا يراعون في ذلك ذمة ولا ضميرا . قال ابن جبير « وللأهل عيذاب في الحجاج احكام الطواغيت ، وذلك انهم يشحنون بهم المراكب حتى يجلس بعضهم فوق بعض وتعود بهم كأنها اقفاص الدجاج المملوءة ، يحمل اهلها على ذلك الحرص والرغبة في الكراء حتى يستوفي صاحب المركب ثمنها في رحلة واحدة »

وكان على كل حاج ان يدفع رسما نظير دخوله الحجاز قدره سبعة دنانير ومن عجز عن الدفع تعرض للتعذيب . فلما تولى صلاح الدين الغى هذه الضرائب التى كانت تجبى لصالح امير مكة ووقف الارض الزراعية على الحرمين الشريفين . ومن ذلك الوقت اخذت هذه الاوقاف تزداد يوما بعد يوم .

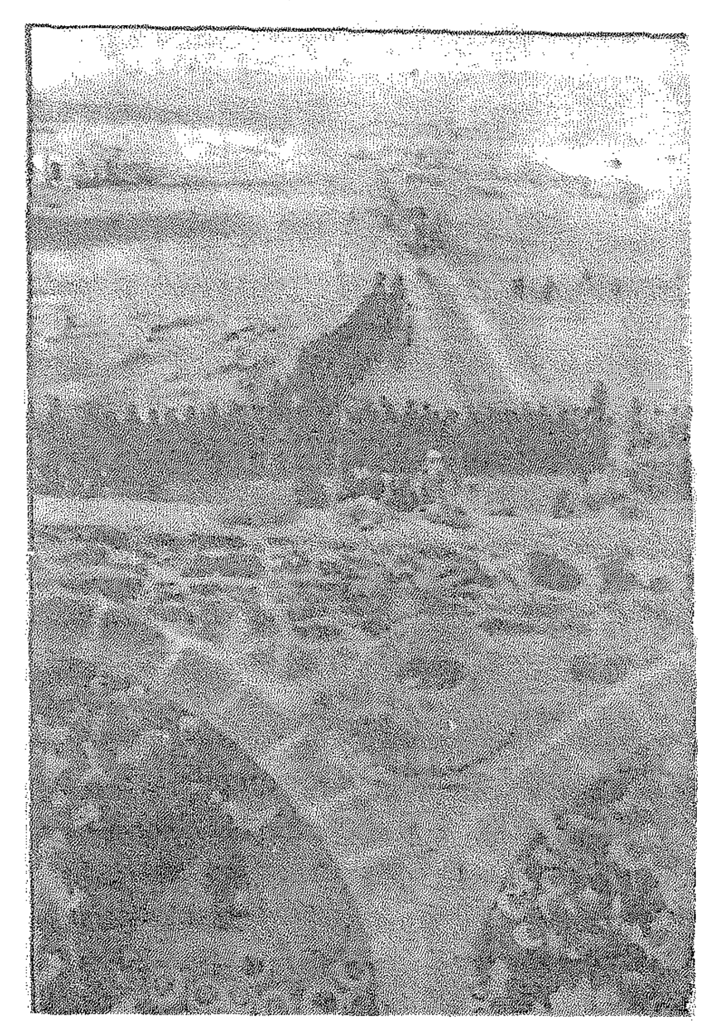
ويصف ابن جبير معاملة اهل الحجاز للحجاج فيقول :

« يعتقدون في الحاج مالا يعتقد في أهل الذمة ، قد صيروهم من اعظم غلاتهم التي يستغلونها ، ينتهبونهم انتهابا . فالحاج معهم لا يزال في غرامة الى ان ييسر الله رجوعه الى وطنه . ولولا ما تلافى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في امر لا ينادى وليده ، ولا يلين شديده ، فأحق بلاد الله ان يطهرها السيف ويغسل ارجاسها وادناسها بالدماء

واستصرخت ربها في مكة الأمم

المسفوكة في سبيل الله هذه البلاد الحجازية ، لما هم عليه من حل عرى الاسلام واستحلال اموال الحجاج ودمائهم • فمن يعتقد من فقهاء الاندلس اسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب ، فراكب هذا السبيل راكب خطر ، والله قد اوجب الرخصة فيه على غير هذه الحال ، فكيف وبيت الله الان بايدى اقوام قد اتخذوه معيشة حرام ،

صورة متخيلة للقطار الذى كان يربط المدينة باراضى الحجاز فى عام ١٩٠٨



وجعلوه سببا الى استلاب الاموال واستحقاقها من غير حل ومصادرة الحجاج عليها وضرب الذلة والمسكنة عليهم » •

وقد جاء ابن جبير الى الشرق مرة ثانية ، ولكنه توفى بالاسكندرية فى ٢٧ شعبان سنة ٦١٣ ودفن بها ،

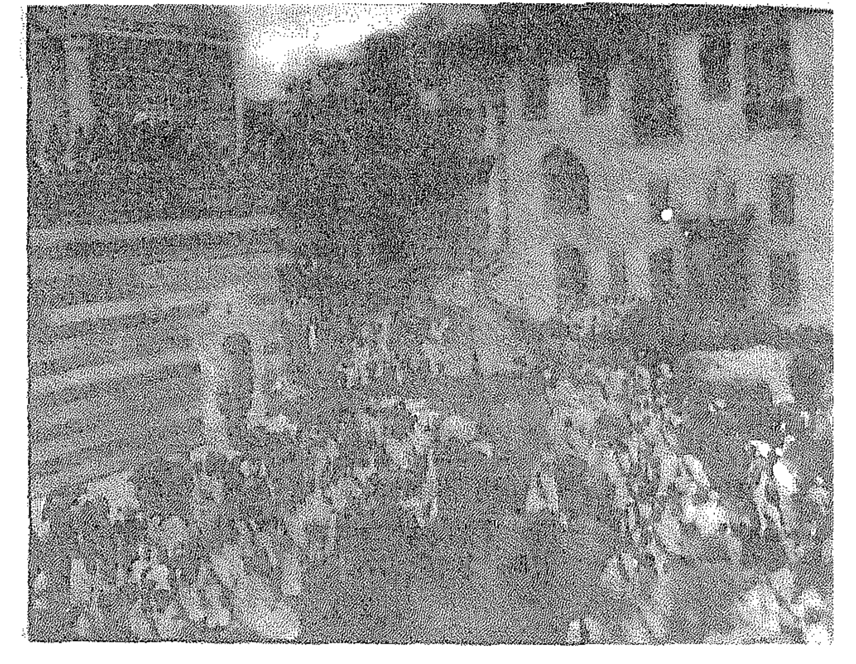


وفى سنة ١٩٠٤ فى عهد الشريف عون الرفيق تعرض الحجاج المصريون لعدوان شنيع وقع عليهم من رجال الشريف ، وطولبوا بدفع رسوم باهظة وقتل بعضهم ونهبت اموالهم وامتعتهم قالت صحيفة المؤيد (١٤ ـ ٤ ـ ١٩٠٤) « علم القراء ما اصاب الحاج هذا العام من تطاول أيدى الاعراب اليهم بالاذى والسلب والنهب وغير ذلك مما تقشعر منه الجلود وتشمئز له النفوس » وكان الشريف قد طلب من كل حاج أن يدفع جنيهين انجليزيين اجرة للجمل ، فمن رفض كان عقابه الضرب والحبس بحيث لا يبرح السجن حتى يدفع الاجرة كاملة • وطلب المطوفون نصف جنيه انجليزى يدفعها كل حاج صغيرا كان او كبيرا وفى الطريق الى جدة هجم الاعراب على الحجاج وقتلوا منهم من قتلوا ، وسلبوا الاموال والامتعة •

وقد ثار الرأى العام فى مصر ثورة عارمة ونشرت صحيفة المؤيد مقالات وقصائد لكبار الكتاب والشعراء •وقد وجه ابراهيم المويلحى عريضة مفتوحة الى السلطان عبد الحميد جاء فيها •

« علا الضجيج يا امير المؤمنين فملأ الآفاق من حجاج بيت الله الحرام ، ومن الذين يتألمون لهم من المسلمين وغير المسلمين من اهل الشفقة والمرحمة » •

« يا امام الهدى وظهير الحق ، ان



محمل يطوف شوارع مكة حاملا كسوة الكعبة التي كانت ترسلها مصر في كل عام

الايدى الطاهرة التى بسطها الحجاج الى السماء فى بيت الله حول الكعبة للدعاء بنصرك قد قطعها الاعراب ورموا بها على الارض تقطر دما ، يقرأ منه الغادى والرائح حروف « واخليفتاه » بل قطعها يا امير المؤمنين عون الرفيق وانصاره طمعا فى المال » ٠

« يا امير المؤمنين قد حار الناس وجدير بانهم يحارون ، لانهم يعلمون ان كلمة ينطق بها جلالته تجعل الحجاج يسيرون ليلا آمنين ٠ ولهذا قد زاغ بعض الجهال فقالوا ان هذا مقصود ليشتهر بين الناس عن المنتسبين الى بيت الرسالة ما نراه ونسمعه من هذه المخزيات لتشمئز منهم النفوس وتعتقد انهم لا يصلحون لشيء فيستريح خاطر جلالة سيدنا ومولانا من تلك الكلمة التى يكررونها آنا فآنا (الائمة من قريش) والله يعلم انهم لكاذبون » ٠

ولما ترجمت هذه العريضة الى اللغة التركية وقراها السلطان امر بعزل الرفيق عون من منصبه واسند شرافة مكة الى الشريف حسين ، وهو الذى اصبح ملكا على الحجاز فيما بعد ٠ وفى هذه الحادثة يقول احمد شوقى فى قصيدة طويلة :

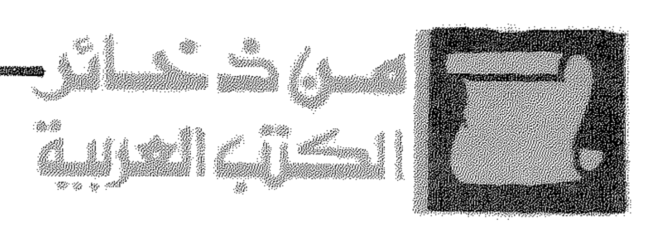
ضج الحجاز وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها فى مكة الامم
ادبه ادب امير المؤمنين فما
فى العفو فاسق فضل ولاكرم
ما كان طه لرهط الفاسقين ابا
آل النبى باعلام الهدى ختموا
اهين فيها ضيوف الله واضطهدوا
ان انت لم تنتقم فالله منتقم

وقد اوردت صحيفة المؤيد وصفا طويلا لما تعرض له الحجاج من غارات الاعراب فى الطريق من مكة الى المدينة ، ومن المدينة الى ينبع ٠

وفى اوائل القرن العشرين ظهر مشروع سكة حديد الحجاز ، وجمعت له التبرعات من جميع انحاء العالم الاسلامى ٠ وفى الدعوة للتبرع لهذا المشروع يقول احمد شوقى

يا امة المصطفى جلت حوائجكم
فقدموا الخير على الله يقضيها
تكثروا ما استطعتم من ديونكم
عند النبى فان الله موفيها
تلك الاعانة لا من ولا كذب
اعانة المصطفى جبريل جابيها
فمن يضن على طه وفى يده
فضول مالى فللشيطان ما فيها

واصبحت الاذاعة المرئية تنقل صور الحجاج على جبل عرفات فيزداد شوق الناس الى اداء الفريضة



المواقف.. والمخاطبات

بقلم: رشدى محمد ابراهيم

كان التصوف الإسلامى ، ولم يزل ، الواحة الوارفة الظلال ، التى تجد النفس المؤمنة فى أفيائها الأمن والسكينة ، وتستنشق فى أرجائها عبق الطهر والقرب ، وتحتسى فى أضوائها رحيق الشوق والحب .

وكان الأدب الصوفى ، ولم يزل ، نهرا دافقا من الوجد الإيمانى والأشواق السامية .. والرؤية البعيدة ، والإبداع الذى تتألق فيه طاقة المواجيد وعطاء الصفاء الروحى .. وقد تجلى ذلك فى شعر الصوفية ونثرهم .. وليس خافيا عن دارسى الآداب مانظمه ابن عربى ، وابن الفارض ، وابن الكيزانى ، وعبد الرحيم البرعى .. وكذلك ليس خفيا ماخطه يراع ابن عطاء الله السكندرى فى "حكمه" ، ولا ماكتبه ابن عربى فى "فصوص الحكم" وغيرهما من أعلام المتصوفة ، المشهود لهم برسوخ القدم ، وبعد الهمم .

وإذا كان هناك من أعلام الصوفية من ذاع صيته ، فشرق وغرب ، وعرفه القاصى والدانى .. فإن منهم أيضا من كاد يطوى النسيان ذكره ، حتى أصبحت محاولة البحث عن ترجمة لحياته ضربا من ضروب الخوض فى المجهول ، فضاعت أسماء كثيرة ، وسقطت من ذاكرة التاريخ .

ومن بين هؤلاء الرجال الذين نسيت ذاكرة التاريخ أن تحفظ لنا شيئا من حياتهم ، الصوفى العارف بالله محمد بن عبد الجبار النفرى البصرى .. فكل ماحفظه التاريخ لنا من أمر هذا الرجل لا يكاد يكون شيئا مذكورا ، فهو فيما يراه نيكلسون "درويش أفاق مغامر فى أقطار الأرض توفى فى القاهرة مع مستهل

النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى" .

ويقرر المستشرق "آرثر أربرى" محقق الكتاب .. أنه شخصية غامضة فى تاريخ التصوف الإسلامى ، وأن اسمه قد ظهر فى النصف الأول من القرن الرابع للهجرة ، وأنه توفى حقا سنة ٣٥٤ هـ ، حتى الشارح الوحيد لكتاب "المواقف والمخاطبات" ، وهو عفيف الدين التلمسانى المتوفى سنة ٦٩٠ هـ ، لا يقدم جديدا أو مفيدا عن حياة النفرى ، كما يقول الدكتور عبد القادر محمود ، الذى ذكر الآراء السابقة ثم لم يضف إليها مايروى غلة الباحث ، اللهم إلا قوله : "النفرى هو أحد أعلام مدرسة الحلاج الكبرى ، وإن لم يقل مثل الحلاج بحلول اللاهوت فى الناسوت ، ولم يقل أيضا بالاتحاد بالله كما قال البسطامى قبل الحلاج ، وإنما عاش وحدة الشهود فى كل خطراته وتأملاته الصوفية ، مع المواقف والمخاطبات" .

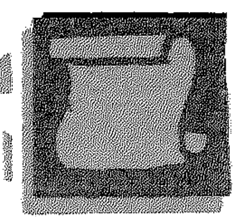
● مفهوم إشراقى

أما كتاب النفرى "المواقف والمخاطبات" فيتجلى فيه من غير ريب المفهوم الإشراقى الذى يمثل قمة الذوق الصوفى ، حيث عاش النفرى فى سياحته الرائعة مع المواقف والمخاطبات على حد قول مقدم الكتاب : "يرى الله مشهودا فى كل كائن ، مضيئا فى مرايا النفوس والأبصار ، وحركة الأرضين والسماوات ، وحياة الكائنات والمخلوقات" .

والكتاب حققه المستشرق "آرثر أربرى" ونشر سنة ١٩٣٤ م لأول مرة .. وأعيد نشره عن الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٥ بتحقيق "آرثر أربرى" وتقديم وتعليق الدكتور عبد القادر محمود أستاذ الفلسفة الإسلامية ، والتصوف الاسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة .. وقد جاء الكتاب مشتملا على تمهيد ونظرة تحقيق ودراسة .. ثم نصوص المواقف ، وهى تمثل القسم الأكبر من الكتاب حيث بلغت ثمانية وسبعين موقفا .. ثم نصوص المخاطبات التى بلغت سبعا وخمسين مخاطبة .

والمواقف هى وقفات أمام الله ، ثم هى موافقة الله له أو معه حسب





احواله ومقاماته ، أو هى استجابة لخطاب الله له فى نفسه ، كما يقول مقدم الكتاب ، فالواقف فى فلسفة النفرى ، هو المنقطع عن الطلب لفنائه فى المطلوب .

والوقفة ، عند النفرى ، أعلى من المعرفة واسمى ، فهى ، "روح المعرفة ، والمعرفة روح العلم ، والعلم روح الحياة »

وقد تنوعت مواقف النفرى ، وتعددت بتعدد مقاماته وأحواله ، فتجلت فيها تلك الروح السامية ، فى محاورة من جانب واحد ، كأنه يسمع فيها مايستشعره وجدانه ، من جلال وكمال ، فيقول فى موقف العز : « أوقفنى فى العز ، وقال لى : لا يستقل به من دونى شىء ، ولا يصلح من دونى لشىء ، وأنا العزيز الذى لا يستطاع مجاورته ، ولا ترام مداومته ، أظهرت الظاهر وأنا أظهر منه ، فما يدركنى قربه ، ولا يهتدى الى وجوده ، وأخفيت الباطن وأنا أخفى منه ، فما يقوم علىّ دليله ، ولا يصح الىّ سبيله » .

وفى موقف الأمر يقول : « أوقفنى فى الأمر وقال لى : إذا أمرتك فامض لما أمرتك ، ولا تنتظر به علمك ، إنك إن تنتظر بأمرى ، علم أمرى ، تعص أمرى ، وقال لى : اذا لم تمض لأمرى أو يبدو لك علمه ، فلعلم الأمر . أطعت لا للأمر » .

● منهج واحد

أما المخاطبات .. فهى تمضى على نفس منهج المواقف ، وانما تفترق عنها بصيغة الخطاب (ياعبد) . التى هى الغاية ، والتى يلتذ بذكرها وتكرارها كل من يدرك سر جمالها ، فهى العبودية لله فى أسمى معانيها ، ومعايشة العبودية بهذا المعنى يتجلى فيها الاشراق الروحى ..

وهكذا كان النفرى فعايش وأدرك ، وفاض ذلك على يراعه فى صورة مخاطبات ، فكأنه يسمع الخطاب يوجه اليه قائلا : « .. ياعبد اشترنى بما سرك وساءك ، يفنى الثمن ويبقى المبتاع ياعبد .. ابن لقلبك بيتا جدرانه مواقع نظرى فى كل مشهود ، وسقفه قوميتى بكل موجود ، وبابه وجهى الذى لا يغيب .

ياعبد .. أصل المعصية : لمَ ، وأصل الطاعة : سقوط لِمَ .

ياعبد .. قطع مابينك وبين الأشياء رؤيتى ، ووصل مابينك وبين الأشياء غيبتى .

ياعبد .. رؤيتى كالنهار تشرق وتنير ، وغيبتى كالليل توحش وتجهل .

ياعبد .. سيماء كل وجه فيما اقبل عليه .

ياعبد .. رمزت الرموز فانتهت الى .. وافصحت الفواصح فانتهت الى

ياعبد .. إن أحببت ان تكون عبدى لا

عبد سواى ، فاستعذ بى من سواى ، وإن أتاك برضاى .. »

● نظرة فنية

يعد كتاب « المواقف والمخاطبات » واحدا من كتب الفلسفة الصوفية .. من حيث المعالجة الموضوعية للمضامين التى تناولها النفرى فى شطرى كتابه ، كما يعد ـ أيضا ـ كتاب أدب ينضوى تحت مايعرف بالخواطر الادبية ، وهى هنا خواطر لا تخرج عن الاطار الفلسفى الصوفى ، وتسيطر عليها عاطفة ايمانية تسمو الى المستوى الوجدانى المعروف فى شعر الصوفية عموما .. وهذه العاطفة الدافقة المتقدة كان لها اثرها فى الصياغة والأسلوب . فالنفرى لا يستخدم غريب الألفاظ ولا حوشيها ، ولا يتدنى باللفظ الى الابتذال والركاكة ، وانما الفاظه تجمع بين الرقة والسلاسة والوضوح .. وقد يعترض على هذا القول بالغموض الذى يتشح به كثير من المواقف والمخاطبات ، ويدفع هذا الاعتراض أن الغموض هنا نشأ عن أطار المعالجة الموضوعية والرمزية التى تحلق فيها هذه المواقف والمخاطبات .. وماكان لها الا أن تكون هكذا والا فالتصريح مستهجن وزرئ فى هذا المقام .

● مهارة فنية

والنفرى ـ وهو ابن القرن الرابع ـ لم يعمد فى اسلوبه الى الزخرفة اللفظية الا أن تأتى عفو الخاطر ، وهى غالبا ماتأتى متمثلة فى الطباق والمقابلة ، حيث يؤديان الى ابراز التناقض بين ماهو كائن ومايجب ان يكون .. ولم تخل صياغته الفنية من صور بيانية فيها توظيف للتصوير البيانى ناطق بالمهارة الفنية والقدرة التعبيرية .. من ذلك قوله فى موقف العز .

« وقال لى لو أبديت لغة العز لخطفت الاتهام خطف المناجل ، ودرست المعارف درس الرمال عصفت عليها الرياح العواصف »

وقوله فى المخاطبة الأخيرة .

« ياعبد .. قف فى الناموس فقد اوقفتك ، وثب الى ثأرهمتك وثب السبع الى فريسته على السغب » .

كما تلاحظ أن النفرى لم يركب متن المخالفة اللغوية أو النحوية حيث لا ضرورة توجب المخالفة ، كما انه كثيرا ما استخدم (أو) بمعنى حتى ، ولذلك يأتى بعدها المضارع منصوبا .. وهى تكاد تلتبس على القارئ العادى ، من ذلك قوله فى موقف الأمر .

« وقل لى : اذا لم تمض لأمرى أو يبدو ـ لك علمه ، فلعلم الأمر أطعت لا للأمر » فقوله : « أو يبدو لك » بمعنى « حتى يبدو لك » ..

★ ★ ★

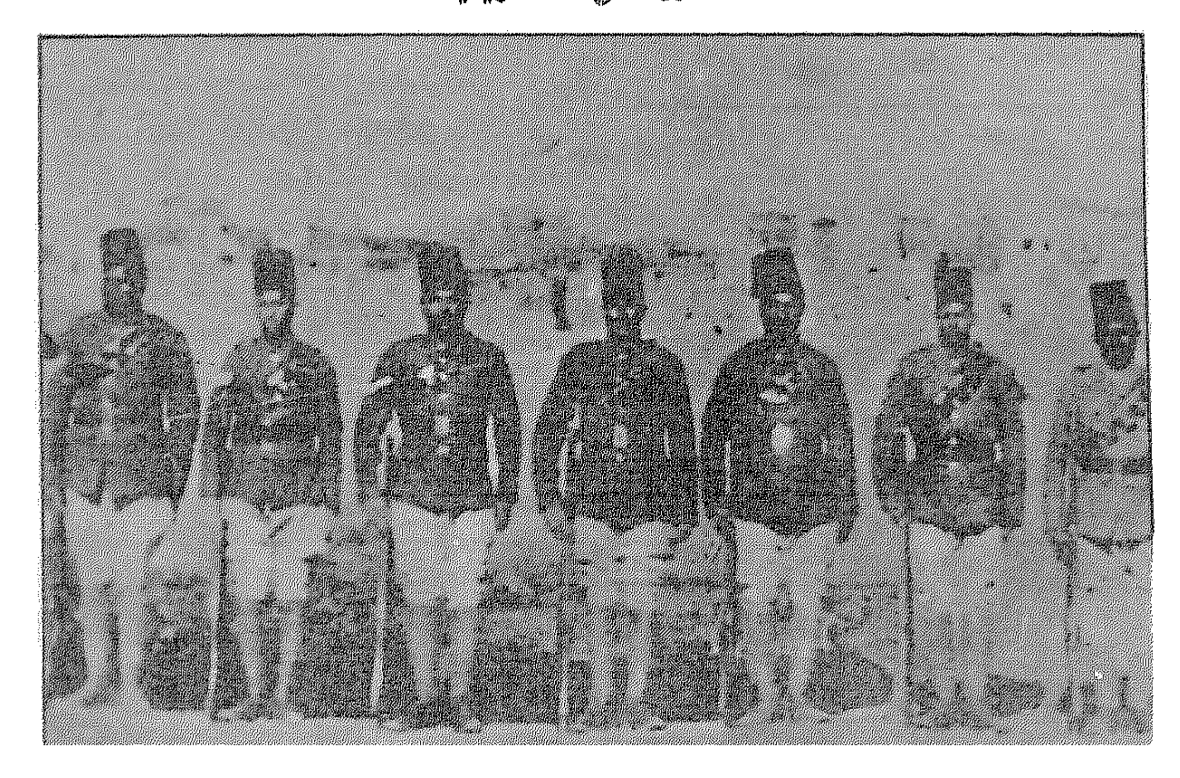
وبعد .. فإن الكتاب وان تأثر به الشاعر المعاصر أدونيس والروائى جمال الغيطانى وغيرهما .. فهو لم يزل منبعا فياض العطاء للأدباء والشعراء ولم يزل يحتاج الى من يقوم بدرسه درسا شافيا كافيا ..

جنـــدى الهجـــانـــة
وصـــراع التطـــور..

بقلم : حمدى لطفى

فى الماضى .. حتى الخمسينيات ، أيام نظام الملكية فى مصر ، لم يكن التخلص من الضباط أصحاب النشاط الوطنى ضد الاحتلال البريطانى يتم عن طريق الاعتقال أو الطرد من الخدمة ، كانوا يكتفون بنقلهم إلى سلاح الحدود ، حيث الخدمة بالمناطق النائية بعيدا عن سكان المدن وخلايا الثوار ، كمرحلة أولى من التأديب أو الانذار .. وكان "أبى" أحد هؤلاء المبعدين ، بعد أن عاد مرغما مع الجيش المصرى من السودان عام ١٩٢٥ ، على اثر اغتيال رئيس اركان الجيش المصرى أو "السردار" الضابط الانجليزى ميجور جنرال - سيرلى ستاك - فى نوفمبر ١٩٢٤ ، بالقاهرة .

بعض جنود حرس الحدود المصرية في العشرينيات



● أحب أبى سلاح الحدود ، وأخذ يحدثنى طفلا عنه كثيرا حتى وعيت وعملت صحفيا بالقطاع العسكرى ، فظللت أتردد على هذا السلاح منذ عام ١٩٥٢ حتى اليوم ، كما كانت لى علاقات صداقة متجددة بضباطه وقادته ، وبمعاونتهم ذهبت إلى قبائل "البشارية والعبابدة" فى الصحراء الشرقية ، وقبائل "أولاد على" بالصحراء الغربية ، وسيناء عدة مرات ، وفى الفترة الاخيرة ومن خلال هذه العلاقة الجيدة شهدت "كنزا" صحفيا ظل فى المخازن زمنا طويلا .. "كنزا" من الصور والوثائق التاريخية .. الصور تعود إلى عشرينيات القرن الحالى ، أما الوثائق فقد صدرت عام ١٨٧٧ .

● أكتب هذا المدخل ـ لاتحدث عن قبائل "البشارية والعبابدة" المصدر البشرى الذى يمد سلاح الحدود المصرى بجندى "الهجانة" أقدم الجنود وأعرقهم ، ليس فى مصر فحسب بل فى الوطن العربى كله ، وقد أصبح "جندى الهجانة" مشكلة قومية أخيرا ، يحاولون تجاوزها من خلال اتصالات تجريها مجموعة من ضباط سلاح الحدود ، مع رؤساء القبائل فى الصحراء الشرقية ، بعيدا عن اضواء الاعلام .. أروى تفاصيلها عبر هذه الرسالة الصحفية

● وفى ذات الوقت تعمل وزارة السياحة المصرية فى اعداد معرض مصرى مصور لهذه القبائل ، "البشارية ، والعبابدة ، وأولاد على" ، والأخيرة من اصول بدوية نازحة من الحجاز واليمن ، كما أن البشارية والعبابدة تنتميان بصلة النسب إلى أسرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا المعرض سيذهب إلى أمريكا وفرنسا وبعض دول أوربا الغربية ، وقد أكد سكانها كأوربيين طوال سنوات طويلة ماضية غرامهم بالاقتراب من حياة قبائل الصحراء المصرية التى تجمع بين الحياة البدائية والالوان القبلية من فنون الغناء

المفتش الانجليزى قائد قوات الحدود المصرية مع جنود الهجانة



جندى الهجانة

والرقص والموسيقى النابعة من بيئتهم .

●● تعال نقترب معا من هذه القبائل وقصتها مع سلاح الحدود ، ونشهد بعض لوحات المعرض المصرى الذى سيطير إلى انحاء العالم

● على مسافة ١٣٠٠ كيلو متر من القاهرة ، وبالقرب من الحدود الجنوبية ـ المصرية ـ السودانية ، تعيش قبيلتا البشارية والعبابدة ـ من اقدم قبائل العالم التى سكنت الصحراء الشرقية فى مصر ، وعاشتا بين وديانها وشعابها القليلة تناضلان تسرب مصادر الحياة من بين ايديهما عاما بعد عام ، ويعانيان فى عزلتيهما التى قبلا بها منذ آلاف السنين من ضعف الغذاء والماء والدواء ، ولكن اهلهما لا يتخلون عن اقامة حلقات الرقص والغناء ، ينشدون أغانى الامل والحب والرجاء فى غد أكثر طمأنينة ، فتمنحهم الارض خضرتها للمراعى من أجل الماشية ، ويحمل الماء لهم ثروته من الاسماك الهاربة بعيدا عن شباكهم

● جبال نارية سوداء تحوط الطريق الاسفلتى الممتد من عاصمة البحر الاحمر حتى جبال « ابو مروات » حيث تتمركز الاكواخ الخشبية لجنود سلاح الحدود السودانية وخلف الجبال السوداء جبال بيضاء شاهقة ، وتضم الجبال البيضاء والسوداء ثروات استراتيجية هائلة من المعادن كالمنجنيز والفوسفات والفلوريد والاسبتوس وحولها رجال المسح الجيولوجى واساتذة المناجم المفتوحة فوق قمم الجبال والمغلقة فى باطن الارض وأكثر العمال من شباب البشارية والعبابدة جيل الخمسينيات والستينيات ، وقد اجادوا اللغة العربية واللهجة المصرية ، وبعضهم تزوج من بنات المدينة فى اسوان وقنا

● بالقرب من "برنيس ورأس بيناس" وبكل منهما ميناء بحرى وقاعدة جوية ، ترقد قرية "الشلاثين" فى صمت حزين .. انها عاصمة البشارية يخرجون منها كل فجر إلى المراعى الكثيرة التى اصابها القحط الآن كما اصاب الآباء بالجفاف ، فهجرت القبائل عاصمتهم الصغيرة إلى مناطق بعيدة تهطل عليها الامطار بين حين وأخر حتى لا تنفق اغنامهم وابلهم بسبب الجوع والعطش .

● معاناة مستمرة

● يقول بشارى كهل ممن يتكلمون العربية

● كان ابن القبيلة الفقير يملك فى الماضى ٣٠ رأسا من الاغنام والماعز او اكثر ، الآن لا يزيد مايملكه البشارى فى كل الاحوال على خمس من الماعز الهزيل ـ كنا نتاجر فى الابل ـ ندفعها امامنا كل اسبوع إلى "مدينة دراو" حيث سوق الجمال ، الآن لا يدخل البشاريون "دراو" إلا مرة أو مرتين كل عام .

● ولقد ذهب خلال الاعوام الثلاثة الماضية رجال من الازهر الشريف ومن الحكم المحلى ومن كليات الطب بالجامعات المصرية ومن خبراء الزراعة والرى والاثار يبحثون ايجاد السبل لمصادر الحياة لأبناء "البشارية والعبابدة" الذين فقدوا كل شىء عدا القليل من الشجيرات الشوكية ، بعد أن فرقهم الجفاف والقحط

وعدم استغلال المناطق الصالحة للزراعة فى الصحراء الشرقية رغم التوصيات الرسمية التى صدرت تباعا منذ عام ١٩٥٥ ـ بضرورة استصلاح هذه الاراضى الصحراوية القابلة بنسبة ٧٠٪ للاستزراع وظلت مجرد توصيات على الورق طيلة ثلاثين سنة مضت !

● لقد اصيبت قبيلة البشارية بالامراض الجلدية والصدرية وامراض العيون وتساقط الاسنان كما تؤكد تقارير بعثات كليات طب الجامعات المصرية ومن بينها طب الازهر ، نتيجة انعدام الخدمات الطبية ، ورغم المستوى الصحى الهزيل الذى يسود حياتهم فإنهم يمارسون رياضة قطع الصحراء يوميا وربما طوال النهار وحتى تغيب الشمس ، بحثا عن غزال شارد او ضبع مريض غير قادر على مهاجمة الانسان ، او شربة ماء لدى سائح مصرى أو اجنبى جاء يشهد الحياة البدائية داخل اكواخ الصفيح التى يعيشها البشاريون . وبعض العبابدة الذين يرفضون العمل بالمناجم والمحاجر ، وهم دائما من المسالمين المرحبين بالزوار القادمين من اسوان أو القاهرة ، سرعان مايطمئن السائح إلى مسلكهم الوديع رغم مظهرهم الوحشى ، شعر الراس منكوش فى همجية منسقة ، وسيخ رفيع قصير من الخشب يتوسط الرأس ويطلقون عليه « السلاكة » ، ويستعملونه بدلا من المشط ، ويقولون إن اطالة شعر الرأس تقيهم حرارة الشمس وتحمى ابصارهم واسنانهم معا ، وسيف قديم من الصلب أو الخشب يتوسط خصورهم ، وملابس بيضاء متسخة بالضرورة ، وخنجر يعلو السيف ، وكيس كبير من القماش فوق الظهر بداخله كسرات من الخبز وقليل من الذرة والبلح او سمكة مشوية أو زوج من الاستاكوزا الضخمة ، واحيانا علبة سجائر وكبريت حصل عليهما البشارى من أبناء القاهرة واوربا الذين يقتحمون عزلتهم طوال العام .

● لقد انخفض تعداد "البشارية والعبابدة" خلال ربع القرن الاخير بسبب تجمد الزواج ، وهجرة الشباب إلى المدن القريبة بحثا عن فرص افضل للحياة ـ بعد أن اجادوا قراءة وحفظ القرآن الكريم ـ وهو مانجحت فيه بعض بعثات الازهر إلى الصحراء الشرقية ـ وقد قال لى ازهرى يعيش فى وادى علبة عند الحدود الجنوبية المصرية السودانية انهم لم يجدوا صعوبة فى تلقينهم آيات القرآن .. بل وجدوا اقبالا شديدا على الحلقات الجبلية لتحفيظ القرآن من الصغار والكبار معا ، وغراما هائلا بالراديو وبالمجلات القليلة أو الصحف التى تصل إليهم عدة مرات كل عام .

● بين معاناة الحياة والرقص

● مهورالزواج مرتفعة بين قبائل البشارية والعبابدة اقل مهر ثلاث ناقات وعشرة أغنام ، ترعاها العروس ، بينما يجمع الذكور والعرسان الاعشاب الطبية المنتشرة هناك ويبيعونها لمندوبى هيئات الدواء والبحث العلمى والمنظمة الصحية العالمية الذين يطوفون هذه المناطق بحثا عن الثروات الطبيعية من هذه الاعشاب التى تسهم بقدر كبير فى صناعة عشرات الادوية العالمية .

● حلقات الرقص يعقدونها صباحا وظهرا ، فهم ينامون مع غروب الشمس ، وحين ذهب الرئيس الراحل انور السادات

إلى البحر الاحمر عام ١٩٧٦ ، جمعوا له عددا كبيرا من شباب البشارية والعبابدة ممن برعوا فى اداء الرقصات المختلفة والغناء باللغة العربية ، ارتدوا الملابس البيضاء الزاهية ، وقد ادوا امامه رقصة الحرب ، وقال احدهم للسادات "لقد رقصنا هذه الرقصة حين سمعنا فى الراديو أنباء العبور إلى سيناء نهار ٦ أكتوبر" .

● وفى رقصة أخرى سمعت بشاريا يغنى قائلا :

"ياأهل الجبل مالى بيكم شوق"
عيشتكم عزيزة ومأوكم معلق فوق"

● وشرح لى اغنيته وهى من الفلكور القبائلى فقال انه يخاطب حبيبته الساكنة فى اعلى الجبل فيحدثها عن شوقه إليها ، وعن مستواها الرفيع الذى لا يستطيع بلوغه كدلو الماء المعلق فى منطقة عالية فلا تطوله يد غريبة .

● وعزف بشارى آخر على آله موسيقية بدائية تشبه العود ثم غنى

"ياالدنيا العبوس مالك معاى بتدورى"
"وفى سوق القطارف كم جدلت لى لولى"
"وركبتينى حماره وحتى الحمار ماهو لى"

● ولقد هتفوا للسادات حين التقى بهم فى اسوان باللغة البيجاوية :

"داب بياوه تك مصرى"
أى أهلا بالقائد المصرى

● وهتفوا له ايضا سادات سكراوه ، سادات براكسو كيوه ـ توبين توتريك كاك تورى فى الفنان" وتعنى الكلمات .. "السادات انت كالشمس والقمر ، نحن فداء الوطن ، وعلى استعداد للغناء والموت فدية لمصر" .

● إن قبيلتى البشارية والعبابدة تحرصان كل الحرص على كيان الاسرة بينهما ، فالطلاق يكون معدوما ولا يسمح بالطلاق إلا فى حالات الضعف الجنسى ، وعلى الزوج بعد ان يصدر شيخ القبيلة وزملاؤه من كبار السن حكمهم بفشل الزوج جنسيا أن يغادر بيته والأرض التى يعيش فوقها ويهاجر إلى منطقة أخرى من الصحراء ـ تاركا خلفه اطفاله لترعاهم الزوجة وله حق زيارتهم مرة كل عام .

● كرم حاتمى

● ولقد قضيت نهارا بأكمله لدى احدى القبيلتين شربت البن الطازج مع شيخ القبيلة ـ يقومون بتحميص البن وطحنه امامك ، وذبحوا لى عنزة ، وقبل غروب الشمس قدموا لى كوبا من اللبن والكوب من الفخار طبعا ، ثم سمكة مشوية كبيرة ، وتحدث بعض شباب القبيلة عن الحرب الدائرة بين العراق وايران فى أسى شديد والتقيت بعدد قليل من الذكور عرفت انهم نزحوا إلى قنا والتحقوا بالمدارس هناك وحصل أكثرهم على الثانوية العامة ثم عادوا إلى الموطن الاصلى والزى التقليدى والسعى خلف الغزلان ورعى الاغنام ، وفى عشش صغيرة من الصفيح أو خشب الاشجار يقومون بتعليم الاطفال مبادىء الكتابة والقراءة وتحفظيهم لآيات القرآن الكريم ..

● إنها حتمية التطور على درب الحياة

رغم بدائية المجتمع الذى يعودون إليه ، وقد أدى هذا التطور إلى انقراض جندى الهجانة الشهير بعراقته فى مصر بين مقاتلى سلاح قوات حرس الحدود المصرية ـ اقدم الاسلحة العسكرية التى تأسست ليس فى مصر فحسب ، بل فى الدول العربية بأكملها ، فتاريخ انشائه يعود الى سبتمبر عام ١٨٧٧ ، تحت اسم "مصلحة فلايك النجاة" ثم تطور فأصبح "خفر السواحل" .

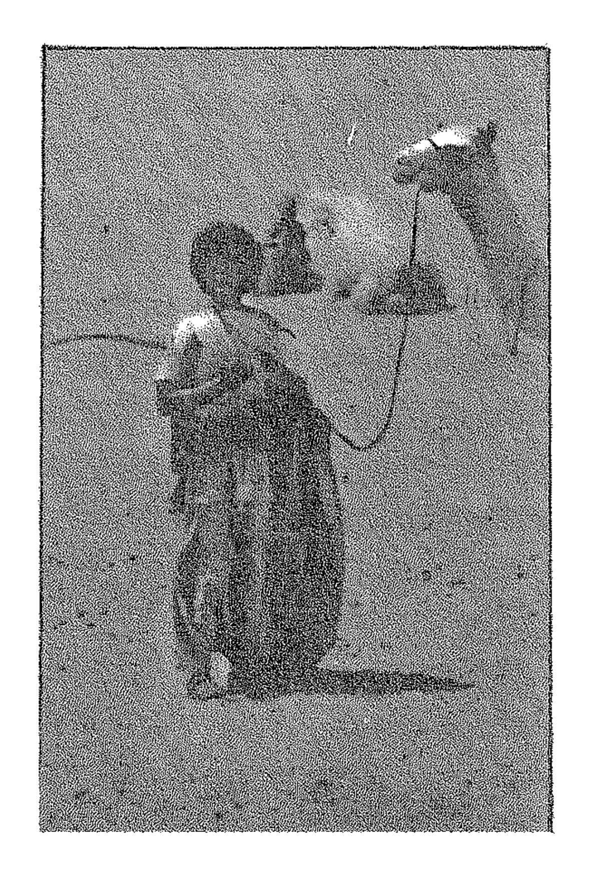
● وثيقة تاريخية

● وقبل آن نستطرد فى الحديث عن انقراض جندى الهجانة المصرى ، وقد أصبح انقراضه قضية أو مشكلة عقدوا لها عدة اجتماعات ، وأرسلوا من أجلها الوفود العسكرية إلى زعماء قبيلتى البشارية والعبابدة خلال العام الحالى ، ونتحدث قليلا عن وثيقة قديمة عثروا عليها فى مخازن سلاح الحدود ، وهى وثيقة تاريخية يعود تحريرها إلى يوم ١٥ يونيو عام ١٨٧٨ صادرة عن وزارة المالية .

● تقول سطورها المحررة بلغة عصرها

● "جناب ميكولوب باشا ـ رئيس الليمانات والفنارات المصرية .

"قدم إفادة فرنساوى رقم ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٧ نمرة ١٢٤٠ تشمل عليها توقيع فى مادة ترتيب الخفر بالسواحل والشواطىء المصرية ، الذى تعين من أنفار خيالى وفلايك ومراكب صغيرة ، لزوم خفر السواحل بالبحر ، وماصدرت به مكاتبات المالية والتجارة . بناء ذلك مما أجراه عموم الكمارك ـ أى "الجمارك" ـ فى هذا الصدد مما ترتب عليه من عدم اعتماد الضباط المعينين فى "الكموك"



احد شباب البشارية

لهذا الامر وتطلب ترتيب بوليس بحرى وتعيين جملة مراكب لخفر السواحل تحت تفتيش مأمورين بحيث يكونوا منوطين بمصلحة فلايك النجاة مدة موسم الشتاء وحيث تعلقت الارادة السنية باحالة ذلك لطرف دولتكم لزم ترقيمه ، وتلك المكاتبة مرسولة عليه حسب اوامر افندم"

وقد تمزق الجزء الاخير من الوثيقة الذى يحمل وظيفة وتوقيع كاتبها .

● وهكذا تشير هذه الوثيقة التاريخية إلى بداية إنشاء حرس السواحل أو خفر السواحل .

ومضت سنوات فقامت بعد عشرة اعوام اول بحرية لحراسة السواحل المصرية ثم "مصلحة فلايك النجاة" وقد ضموا إليها أول عائمة تدخل الخدمة الفعلية عام ١٨٨٨ ـ طوافة أطلقوا عليها

جندى الهجانة

"نور البحر" ، ثم لحقت بها السفينة "عباس" عام ١٨٩٢ ، و"ذئب البحر" - عام ١٩٠١ ، واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٤٦ ، حين حصلت مصر على سفينتين "فوزية وفاروق" فتأسس سلاح البحرية المصرية ، وامتلكت ثلاث قطع بحرية متواضعة أخرى حملت أسماء "السلوم ومناجم ومباحث" ، بينما استقل سلاح الحدود بمصلحة الموانىء والمنائر ، ومصلحة أقسام الحدود ، وفى عام ١٩٦٩ ، انتقلت مصلحة الموانىء إلى الشرطة المصرية .

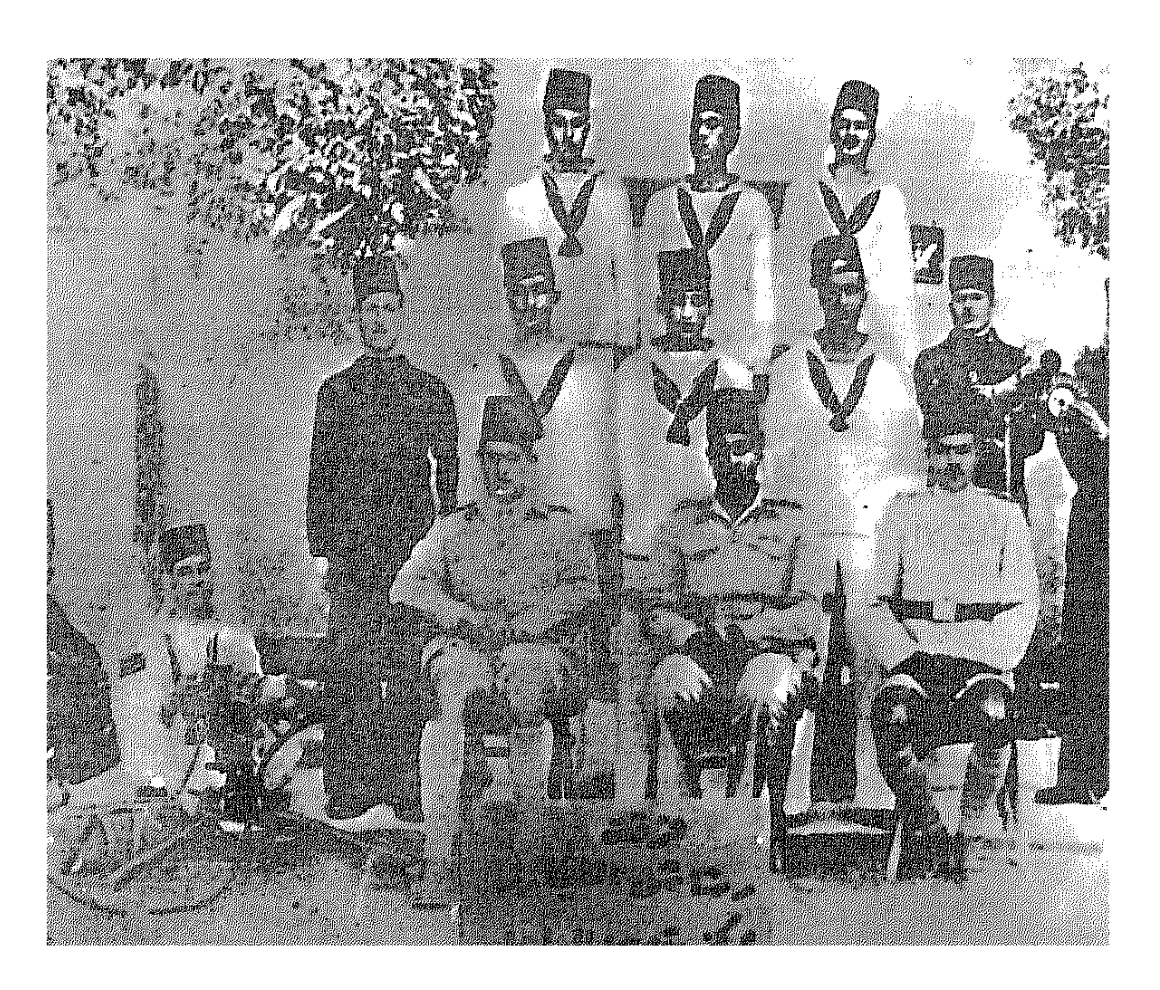
● ونعود بالحديث الى انقراض جندى الهجانة - أعرق وأشهر جنود سلاح الحدود المصرى ، وقد اصبح انقراضه مشكلة تهدد نظام حراسة صحراء مصر ومداخلها ، ولم يكن يستطيع القيام باداء هذه المهام غير أبناء "البشارية والعبابدة" القادرين على ترويض الصحراء والبقاء بها عيونا يقظة عبر صحراء وسواحل مصر وحدودها المترامية التى تبلغ أكثر من ستة الاف كيلو متر !

● قال لى ضابط حدود من الجيل القديم .. وهو يروى عن الماضى :

- كنا نذهب إلى قبائل الصحراء الشرقية حول جبال علبة ، وأرض ولى الله الشيخ الشاذلى ، بين مناطق برنيس وراس بيناس بالبحر الاحمر ، فنلتقى برؤساء قبائل البشارية والعبابدة ، ونقضى فى ضيافتهم يوما أو يومين ، ونعود بابنائهم الذين يسعدهم ارتداء الزى العسكرى ، ولم تكن اعمارهم تزيد على ١٥ سنة ، يتمتعون بذكاء حاد ، وقدرات صحية جيدة ، وفى فترة وجيزة يتعلمون القراءة والكتابة ، ثم يعودون بعد مرحلة التدريب إلى قبائلهم للخدمة فى الصحراء ، وسرعان مايتزوجون وينجبون أطفالا فى أحضان سلاح الحدود ، يرضعون حب السلاح والارتباط به .

● ذات المهمة كنا نطبقها أيضا بين قبائل الصحراء الغربية ، وصحراء سيناء ، دون أدنى صعوبات ليخدم أبناء هذه القبائل مابين العامرية على الساحل الشمالى الغربى المصرى حتى السلوم ، والمجموعة الاخرى حول مداخل شمال وجنوب سيناء ، وهكذا تبقى صلابة ونقاء وشجاعة وامانة جندى الحدود ، بعيدا عن تلوث المدن ، ومن خلال معايشة الصحراء ودروبها ووديانها ، يكتسبون الخبرات النامية بأسرار الصحراء والسواحل ، يشقون الطرق بين مسالكها ، ويحفرون الآبار بحثا عن الماء ، ويستصلحون الارض الرملية ثم يزرعونها بالخضراوات ، ويسهمون فى مقاومة اسراب الجراد ، ويطاردون المهربين والمتسللين ، ويقومون بنجدة التائهين ، ويعالجون الحمير والجمال التى يستخدمونها ، دون اللجوء إلى اطباء بيطريين ، اعتمادا على الاعشاب التى تنبت حولهم .. ثم جاءت الثمانينيات ، فإذا بهؤلاء العمالقة ينقرضون تدريجيا ، حتى أصبح انقراضهم مشكلة سيزداد حجمها عاما بعد عام لأنها وليدة التطور والعصر الحديث .

* « الليمانات هنا ، جمع موانىء »



مجموعه من جنود حدود السواحل ما بعد معاهدة عام ١٩٣٦

● لقد تحول أبناء القبائل إلى المدارس الابتدائية فى المدن القريبة من مناطق تجمعاتهم مثل مدن اسوان وقنا والبحر الاحمر ، وتنقلوا فى مراحل الدراسة حتى الثانوية ، وبعضهم التحق بالجامعات أو رحل إلى مدن الصعيد والدلتا ، بل والوجه البحرى ، حيث يعمل اقاربهم ، بحثا عن فرص العمل والكسب بعيدا عن قيود الخدمة العسكرية ومرتباتها الضئيلة إلى حد ما ، وعدد ليس بقليل منهم يعمل الآن بين بعثات الجيولوجيين فى البحث عن معادن الصحراء ، أو نجدهم أطباء ومدرسين هنا وهناك ، كما أن اكثرهم هاجر للعمل فى الدول العربية طلبا للمال والسيارة والبيت الحديث ، الى جانب عدد آخر رحل إلى أوربا ، وآثر البقاء بها !

● وفى العام الماضى وعام ١٩٨٥ من قبل ، ذهبت مجموعة جديدة من ضباط سلاح الحدود فى مهمة ودية بين قبيلتى البشارية والعبابدة ، تحدثهما عن التطور الذى لحق بالسلاح ، وعن البيت الذى يخصص لاعاشة جندى الحدود ، المزود بالثلاجة والبوتاجاز ، والأجر الكبير ، والرعاية الطبية التى سيحصلون عليها ، وفرص التعليم المتاحة للجنود ، مما يدفع بهم إلى الترقى حتى سلك الضباط وصولا إلى رتبة المقدم .

سينما الضياع
إلى أين تمضى بنا ؟

بقلم : مصطفى درويش

كان فى نيتى أن أدبر جانبا من حديث السينما فى شهر مارس حول « دليل الفيلم العالمى ١٩٨٧ » لصاحبه الناقد الانجليزى « بيتر كووى » لما احتوى على معلومات عن السينما داخل بعض اقطار الوطن العربى واسرائيل ، تقول فيما تقول إن الفن السابع عندنا فى واد ، والحياة السياسية بنزفها الرتيب فى واد ، أما عندهم ففن يحتج ، يصرخ ، يشهر الرايات .

كان هذا فى نيتى لولا أننى وقبل أن أحمل القلم لأكتب ، شاهدت « الضائعة » و « سكة سفر » ، فكان أن قفزت إلى ذهنى من ظلمات الماضى غير البعيد صور من أفلام اخرى ، لعل أهمها « عودة مواطن » و " وصمة عار » و « الصبر فى الملاحات » وكان أن تركت جانبا خطأ أو صوابا ـ ماكنت قد هممت بكتابته ـ ستوحى من ذلك الدليل وما سجل على صفحاته من معلومات لماذا ؟

لوجود ظاهرتين أولاهما : أن هذه الأفلام الخمسة تقوم على الميلودراما ، ذلك النوع من الفن الراسخ رسوخ الجبال فى السينما منذ ولدت فى الوطن العربى على أرض مصر قريبا من نهاية العشرينيات ، لم تتزحزح عنه أبدا طوال عمرها البالغ ستين عاما بعد أشهر معدودات .

فنظرة طائرة على « الضائعة » و « الصبر فى الملاحات » و « وصمة عار » تؤكد أن الميلودراما فى أبشع صورها ، لايزال لها التسلط على السينما عندنا ، ولاتزال من ثوابت الجبال .

وأن المعركة التى دارت حول

الميلودراما فى المسرح أواخر عام ١٩٢٦ ، أى قبل يوم ميلاد السينما بأشهر قلائل ، وكان فارسها « سعيد عبده » الذى أعمل قلمه الحاد فى جسم الميلودراما بقوله عن مسرحية « الصحراء » من تأليف « يوسف وهبى » وهو يخلط الجد بالفكاهة .

« غاب جحا عن اهله اعواما . ثم عاد وقد برح به الشوق اليهم . فسأل أول من طالعه على مدرجة الطريق ، قال : أهم جميعا بخير ؟

قال : نعم ، اللهم إلا كلبك الأمين . قال : ماخطبه ؟ قال : أصابه سعر ، فعض اخاك ، فقتلوه . قال : وما فعل الله بأخى ؟ قال : هلك ، فماتت أمك حزنا عليه . قال . وارحمتاه لوالدى المسكين . قال : هون على نفسك ، فأبوك قد أراحه الله من زمن ، فقد قتله الحزن على اخيه الذى ذبحه اللصوص .

ولولا ان جحا المسكين أدرك غراب البين بضربة صرعته لزف له مصارع اهله اجمعين !»

(مسرح الدم والدموع . دراسة فى الميلودراما المصرية والعالمية د . على الراعى (ص ٦) مطبوعات الجديد . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣)

تلك المعركة لاتزال دائرة لم تحسم بعد لصالح أعداء ذلك الفرع من الميلودراما الذى يدور وجودا وعدما حول فواجع متراكمة ، متزاحمة فى غير صدق ، بل المحزن انها لاتزال دائرة ، وكأن احدا لم ينطق ضد المليودراما المتردية فى العقد الثالث وما بعده بشىء .

● مذبحة الضائعة

آية ذلك أول الافلام الثلاثة « الضائعة » لصاحبه المخرج « عاطف سالم » فأبطاله وهم أربعة ، « زينب » (نادية الجندى) تنتهى بها الخطوب الى ادمان الهيروين ثم القتل بالجملة ، أما الباقون . مطلقها وابو عيالها (سعيد صالح) وزوجته الثانية وامها الشريرة (تحية كاريوكا) فجميعا يموتون برصاصات تنطلق من غدارة الضائعة فى لقطات النهايات .

وهكذا وبفضل هذه المذبحة تحققت عدالة السماء كما جاء على لسان ناقد انبهر بالضائعة وفيلمها ، فكال لهما المديح والثناء . وثانى الافلام « الصبر فى الملاحات » الذى الفه وانتجه « سمير عبد العظيم » واخرجه له « احمد يحيى » ـ هو الآخر اذا ما استبعدنا « فيفى عبده » و « هياتم » و « عزت العلايلى » و « أحمد بدير » ـ ذو ابطال اربعة ، ضابطة متخرجة فى كلية الشرطة وتجيد الرقص (نبيلة عبيد) ، وام « مديحة يسرى » تتبرع لابنتها الضابطة باحدى كليتيها إنقاذا لحياتها ، ومجرم (سعيد صالح) سرعان ما نكتشف مع الضابطة التى كانت تجرى تحقيقا معه أنه شقيقها وأن أمها ليست امها الحقيقية ، وانما سيدة اخرى (تحية كاريوكا مرة ثانية) كان قد ألقى بها وراء القضبان بمكيدة دبرتها لها (مديحة يسرى) التى يتبين لنا من جريان الأحداث أنها كانت فى سالف الزمان ـ قبل أن تتوب وتنوب ـ تاجرة مخدرات تنافس الرجال ، ولها شأن كبير فى دنيا الكيف والأعمال .

● الوفاء والامل

وأول ما يلفت النظر فى فيلم ميلودرامى

سينما الضياع

إلى أين تمضى بنا ؟

ساذج كهذا أنه ـ وعلى عكس الضائعة ـ افتعل نهايات توفيقية سعيدة ، فالضابطة يعقد قرانها على الجراح منقذها ، وشقيقها وامها الحقيقية تكتب لهما النجاة من تيه السجون ، وامها غير الحقيقية تبقى اما روحية لها من منطلق الوفاء لصنيعها . ولم لا ؟

ألم تجدها لقيطة فآوتها واحسنت تربيتها ، ومنحتها كليتها ، وفوق هذا جعلت منها ضابطة شرطة وراقصة فى نفس واحد .

ولعل تلك النهايات السارة للناظرين ، والتى هى ادخل فى باب اللغو منها فى باب الفن الذى يحمل فى طيه معانى ، فيها بعض التفسير لظاهرة اقبال الجمهور العريض على مشاهدة « الصبر فى الملاحات » .

فإذا ما انتقلنا الى ثالثهم « وصمة عار » ـ وهو أحسنهم ـ لوجدنا أنفسنا أمام فيلم مأخوذ عن « الطريق » للأديب « نجيب محفوظ » ، وهى قصة سبق التحول بها الى عمل سينمائى من اخراج « حسام الدين مصطفى » وبطولة « رشدى اباظة » و « شادية » و « سعاد حسنى » . وبطل الفيلم « مختار سيد الجميعى » (نور الشريف) رجل قد جاوز الشباب شيئا .

وهاهو ذا بعد وفاة أمه التى كانت تعوله ـ هاربا من حياة خاصة فى الأسكندرية كلها نكد وشر ، مستقلا القطار السريع الى القاهرة بحثا عن أبيه « السيد السيد الجميعى » الذى اختفى من ثلاثين عاما أو يزيد ، ولا دليل على سابقة وجوده على قيد الحياة سوى قسيمة زواجه من امه وصورة عائلية قديمة .

وسرعان ما يتبين لنا بعد وصول « مختار » إلى المدينة البدينة ، ونزوله فى لوكاندة « القاهرة » المتواضعة ، أن الشىء الأكيد بالنسبة له أنه حائر ، قلق ، مهموم .

والسبب أنه لايملك شهادة ، ولا مهنة .

ومن هنا سعيه إلى العثور على أبيه المختفى ابتغاء استرداد بعض ثقته بنفسه .

● ميته كلب

ولكن أحدا لايدله على مكان أبيه ، ولا يلمح له بطريقة ترشد إليه ، وانما هو أمل يتبعه يأس ، ويأس يتبعه امل ، وحيرة مهلكة لنفسه البائسة اليائسة ، حتى إذا ما انتهت به رحلة العذاب إلى قتل صاحب اللوكاندة « خليل ابو النجا » (محمد توفيق) بتحريض من زوجته الشابة « كريمة » (شهيرة) ، وإلى اتهامه بقتل هذه الزوجة والاستيلاء على مالها ثم إلى غرفة الاعدام حيث رأى « عشماوى » مقبلا نحوه ليحيط رقبته بحبل المشنقة ، فعرف أنه الموت ، قال هذه الكلمة التى ينتهى بها الفيلم « أبويا » .

● الرقص على السلالم

ولم أعرض شيئا من تفاصيل « وصمة عار » وانما عرضت خلاصته فى كثير جدا من الايجاز ، ولو قد عرضت تفاصيله لتنقلنا داخل عالم غريب ، لاهو بالواقعى ،



عبد السلام محمد « فرفورا » مرة اخرى فى سكة سفر

ولا هو بالوهمى . وإنما هو شىء بينهما ملىء بالرموز والغموض ، يفاجئنا قربه ، وتدهشنا غرابته.

وفى الحق فالفيلم ، كما القصة متاثر إلى حد كبير بأدب « فرانز كافكا » ذلك الأدب الذى أظهر ما يمتاز به من الخصائص أنه يصور القلق الذى يوشك أن يبلغ اليأس . ويصور الغموض الذى يضطر القارىء الى حيرة لاتنقضى .

ومن هنا سعى صاحب « وصمة عار » (أشرف فهمى) إلى استعمال لغة سينمائية غير مألوفة فى الافلام عندنا للتعبير عن هذه المعانى .

وعندى أنه كان فى إمكان الفيلم أن يعلو شأنه سينمائيا لو أن صاحبه آثر أن يطوع مشاهده بحيث يرتفع بها إلى مستوى الرموز فى القصة ، وابتعد عن الجنوح الى جعله متجانسا مع نسيج الميلودراما السائدة ، ذلك النسيج المجدب الذى لايجدى شيئا .

والآن ، إلى الظاهرة الثانية ، وهى

سينما الضياع

إلى أين تمضي بنا؟

وليدة خيط رفيع يربط بين بعض هذه الافلام ، وهى بالتحديد «عودة مواطن» و «الضائعة» و «سكة سفر» .

ومما يحمل على التفكير العميق فى هذا الخيط أن الافلام الثلاثة قد جرى عرضها فى فترة زمنية متقاربة لاتزيد على أربعة شهور ، وأن «بشير الديك» كاتب سيناريو وحوار «الضائعة» هو نفسه مخرج وكاتب سيناريو وحوار «سكة سفر»

فما هو هذا الخيط ؟

● عودة الابن الضال

قد يكون من المفيد هنا أن نبدأ « بعودة مواطن » بحكم أنه بداية الخيط ، فنتوقف قليلا عند وقائعه ونماذجه متأملين .

المواطن فى هذا الفيلم هو « شاكر » (يحيى الفخرانى) العائد من مدينة عربية فى الخليج مع رصيد كبير من العملات الصعبة ، هو مفتاح السعادة فى الأرض ، وسيارة فاخرة مكيفة الهواء محمولة اليه على ظهر عبارة جبارة ، وشقة فى عمارة شاهقة بحى راق بعيد عن بيت العائلة فى حلوان تتحقق به الاحلام . والجهة العائد إليها هى القاهرة التى كان يتوهم أنها القاهرة نفسها التى تركها هاربا من الايام منذ ثمانية اعوام ، فإذا بها مدينة اخرى غيرها الانفتاح ، وغيرها السلام ، فهى تبدو لناظريه ارحب واكبر بكثير من القاهرة التى عرفها قبل السفر ، الا أنها على الاجمال ازدادت مع كر الايام ابتعادا عن النظافة والجمال ، عن الهدوء والنظام .

يبدأ الفيلم بلقطات لاهثة مكثفة يتسم بها اسلوب المخرج « محمد خان » نتعرف بفضلها على الشخصيات الرئيسية من خلال رسم سريع لملامحها .

فما أن تلامس عجلات الطائرة أرض المطار حتى يتعرف على « شاكر » العائد الى ارض الآباء بملء إرادته ، حنينا الى المصدر ، وشوقا الى الأهل والمنبت .

إنه من المتفائلين ، الواثقين ، ولم لا ؟

والحقائب الكثيرة الكبيرة المنتفخة بالأشياء تحيط به فى جمرك المطار مفصحة عن واسع الثراء ، والدولارات هى العملة الوحيدة التى يتعامل بها مع مقتنصى الأرزاق من مقدمى الخدمات .

● الكل ساقط

ولا نكاد ننتهى من التعرف على « شاكر » حتى تسبقه الكاميرا الى بيته الكائن بضاحية حلوان ، حيث نكتشف المكان الذى كان مسرح الطفولة والصبا والفتوة ، فإذا به عبارة عن مبنى قديم من طابق واحد منعزل عن البيوت . مؤثث بأرائك وأسرة ومرايا عتيقة تدل على أن عائلة العائد متوسطة الحال .

ثم نتعرف على البقية من أفراد العائلة بعد موت الوالدين أثناء غياب العائد ، فإذا بهم اربعة اخوة .

وأول ظهور لأى منهم كان فى المطبخ حيث نرى الأخت الكبرى « فوزية » (ميرفت أمين) وقد اوشكت على الانتهاء من اعداد فطيرة شهية .

إنها ربة بيت بمعنى الكلمة ، تنهض على رعاية شئون اخوتها ، تتفانى فى

حبهم والسهر على راحتهم ، ليس لها من هواية فى الدنيا سوى التفنن فى صنع أحلى الحلويات .

والفيلم يعتمد عليها فى مواجهة شقيقها العائد ، فهى وهو البطلان ، ومن حولهما خاص كثيرون لكل مكانه وأثره .

الأخت الصغرى « نجوى » (ماجدة زكى) تخرجت فى الجامعة ، تعمل مضيفة فى احد الفنادق الكبرى ، اختارت بارادتها الحرة زميلا لها يعمل معها ليكون زوجها .

بل ذهبت فى شق عصا الطاعة الى حد الاشتراك معه فى شراء شقة دون علم احد من اهلها .

وأخ « ابراهيم » (احمد عبد العزيز) هو الآخر تخرج فى الجامعة ، شارك فى شرف العبور ، ناله ما ناله بسبب ثغرة « الدفرسوار » ، ينتظر حاملا قرار الحكومة بتوزيع القوى العاملة على المصالح والمؤسسات .

وأثناء الانتظار الطويل الممل يحاول قتل الوقت مع الشطرنج وحبوب مهدئة تأتى اليه بنوم عميق ، يتحول به إلى انسان غير حافل ولا مكترث .

وأخ اخير « مهدى » (شريف منير) لا يزال طالبا فى الجامعة يهوى الحمام الزاجل ، بنى له أبراجا صغيرة فوق سطح البيت ، يحنو عليه ، يرعاه ، يطير حاملا الرسائل إلى بيت خاله القريب ، هذا الخال (عبد المنعم ابراهيم) الذى هرم قبل الأوان ، والذى نكتشف أن بينه وبين « مهدى » محب الحمام تواصلا سياسيا سببه رحلة طويلة نحو آفاق بعيدة قام بها الخال ، وانتهت به نهبا لأقسام الشرطة والمحاكم والسجون .

هكذا كان حال كل فرد من افراد العائلة لحظة عودة عميدها الأخ الأكبر .

وسواء أكان هذا الحال طيبا أم خبيثا ، فسيظل كما هو لا يطرأ عليه تغيير أو تبديل ذو قيمة بالنسبة للجميع باستثناء الأخت الكبرى « فوزية » .

● لعنة الحلال

فقد كان سقوطها هى الأخرى مفاجئا ، لأن مجيئه كان بلا تمهيد من شخصيتها التى صيغت لنا فى أول المشاهد واللقطات صياغة جعلت منها ربة بيت مشغولة بأخواتها وما يختلف عليهم من أحداث ، مفتونة بشىء واحد يملك عليها حياتها هو صنع الحلويات .

ولو أن كاتب السيناريو « عاصم توفيق » مضى فى سائر الفيلم على النحو الذى مضى عليه فى أوله بالنسبة لهذه الأخت ، لأهدى إلينا شخصية رائعة تجاهد وتضحى ، ولاتشعر بأنها تجاهد وتضحى ، وإنما تشعر بأنها تؤدى واجبها نحو عائلتها ونحو نفسها فى أيسر اليسر .

ولكنه لم يلبث أن تعثر ، فمضى بها هى الآخرى ضحية أخيرة للفساد .

فلا يكاد أخوها العائد يهديها مبلغ عشرة آلاف جنيه كى تحقق به حلم أن يكون لها محل تبيع فيه ما تصنع من حلويات ، حتى تكشف أخلاقها عن منكوبتها . فكانت الأثرة والانانية والجرى وراء المال والرجال .

وكأنه بذلك اراد أن يقول إن المال الناتج عن الجهاد والاجتهاد على امتداد الوطن العربى ليس مدخلا إلى حياة بسيطة هادئة فى أحضان مصر ، وإنما

سينما الضياع
إلى أيـن تمضـى بنـا ؟

إلى جحيم كل ما فيه نكر وشر .

و «زينب الضائعة» كما «شاكر» المواطن العائد تبتلي بالعمل في أبي ظبي بلاء شديدا .

● العقاب .. لماذا ؟

فهاهي وحيدة في مستشفى بهذا البلد البعيد محرومة من فلذتي كبدها وزوجها في مصر ، لاالشيء سوى أن تجمع قدرا من المال تشترى به شقة تكون لها ولعائلتها الصغيرة ملاذا أخيرا .

ولكنها في خضم المهجر المتلاطم بشتى الأهواء والشهوات تتعرض لألوان من الشقاء تنتهي بها متهمة زورا وبهتانا بالشروع في إغراء طبيب كان قد سعى الى الاعتداء على شرفها فباء سعيه بالخسران المبين ، وثانيا بسرقة انابيب أفيون مخصص لتسكين آلام المرضى ضبط بعضها مخبأ ضمن ما تملك من أشياء الحياة .

فوزية « ميرفت امين » مع شقيقها العائد « يحيي الفخراني » بعد السقوط



وطبعا تشتد بها وتمتد أمواج الاضطهاد ، فإذا بنا نراها مفصولة من خدمة المستشفى ، عائدة الى مصر لتجد نفسها فاقدة كل ما ادخرت من مال ، بل الأدهى والأمر فاقدة الزوج والعيال ، ومن بعدهم العافية والعقل .

وكأن صاحب السيناريو والحوار أراد أن يتخذ من « الضائعة » منبرا يقول منه إن من يقدم على مغامرة السفر والعمل فى الوطن العربى ليأتى بمال قليل يكفل له حياة شريفة ، لن يظفر بشىء ، ولن يترصد له كل يوم سوى العار وسوء المصير .

● نقطة مضيئة

وهذا نفس ماتغياه بفيلمه « سكة سفر » فبطله « زغلول » (نور الشريف) يعود من بلد عربى بعد غياب دام خمسة أعوام قضاها بعيدا عن قريته الفقيرة المطلة على البحر ، والتى يكدّ ويكدح أهلها فى ملاحات وسط ظروف بالغة الصعوبة ، لعل خير مثل على قسوتها ومرارتها « مسعود » (عبد السلام محمد) ذلك الانسان الغلبان بجسمه النحيل المكدود بعمل يائس لاينتهى ، وتسول بائس لاينقطع ، والذى به يستهل الفيلم فى اولى لقطاته حيث نراه يتسلل الى عشة فراخ ظامئا الى بطة يتحقق له بسرقتها حلم التلذذ بالتهامها منفردا .

(هنا يلزم التنويه بدقة الرسم لشخصية مسعود وبراعة اداء الفرفور عبد السلام محمد لها)

● واقعية أم عبثية

وعلى كل فإذا ما تركنا تلك الشخصية الفرعية الشهية جانبا ، وعدنا الى « زغلول » الشخصية الرئيسية فى الفيلم لوجدنا امامنا كائنا كاريكاتوريا ، بل قل مسخا شائنا رسم بطريقة تتسم بالفكاهة .

ولكنها فكاهة مرة تضحك من حماقة هذا المواطن العائد وسخفه وضعفه وتعلقه بالمنافع العاجلة وانقياده للوهم .

فهو ما أن استقر به المقام فى بيته عند أمّه الداية « رتيبة » (عايدة عبد العزيز) ، حتى خطط شيخ البلد « توفيق » (حسن مصطفى) للاستيلاء على ثروته التى كسبها بعرق الجبين فى الغربة ، مستغلا فى ذلك رغبته الجامحة فى الصعود والاثراء .

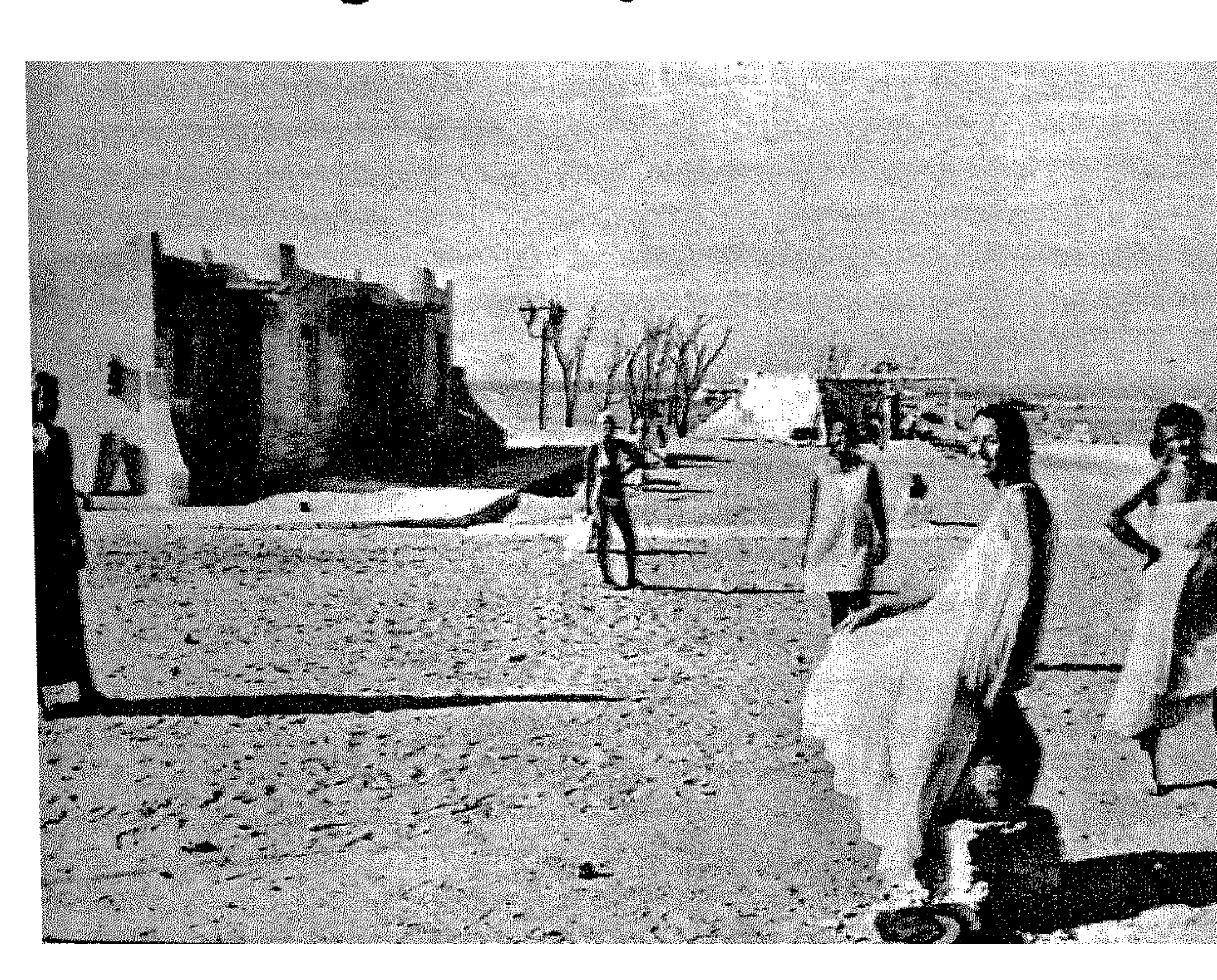
وبسذاجة منقطعة النظير ينساق « زغلول » الى مصيدة الاغراء ، فيسلم الشيخ ثروته ، ويخطب ابنته الدميمة متنكرا لابنة عمه « نعيمة » (نورا) التى بادلته حبا بحب ، وانتظرت عودته كما « بينيلوب » طويلا .

وعندما يفيق من كل هذا يكون قد فقد كل شىء فإذا بحياته تمضى على شر حال ، وإذا به يعد نفسه للسفر من جديد .

هذه هى الخلاصة الظاهرة للأفلام الثلاثة ، وهى كما ترى يربط بينها خط فكرى واحد ، وهى كما ترى لاتدل على عمق الخيال ، ولا على براعة فى الابتكار ، لأنه ليس من العمق ، ولامن البراعة فى شىء ان يقال إن السعى الى تحسين الاحوال بالعمل الشريف فى ارجاء الوطن العربى ، هو السبب فيما فيه الناس الآن من اضطراب علم ادى الى انتشار وباء التنافس والتباغض والاحتيال ، وأن المال ثمرة هذا العمل بعيدا عن ارض مصر إنما هو مال موصوم ملعون ماله الضياع

فى محافظة الأمل اكتشاف أعظم منجم للسياحة

تحقيق : عاطف مصطفى
عدسة : شوقى مصطفى



سياح يتمتعون بدفء الشتاء فى الغردقة .. أتوا من ألمانيا وفرنسا وسويسرا .

●● محافظة البحر الأحمر على حدود مصر الشرقية ، تشهد تجربة فريدة ، هى بمثابة خطوة جادة لخروج مصر من أزمتها الاقتصادية الحادة ، وفي مواجهة مايعانيه الوادى من ضيق بسكانه ، ومايستتبع ذلك من مشكلات معقدة ، وضرورة الاتجاه إلى الصحراء حلا لأزماتنا المتراكمة ●●

وتتمثل التجربة فى نهضة عمرانية ، ابرز مافيها تخطيط عمرانى مدروس ، ونظرة إلى المستقبل بعيون تمتلىء بالأمل ، وإصرار على النجاح برغم بعض العراقيل والمعوقات التى تواجه المشروعات الضخمة التى تتم الآن ، سواء فى الغردقة المدينة الساحرة بشواطئها الممتدة ، أو فى سفاجا التى تمتلك أحدث ميناء بحرى لاستقبال البواخر العملاقة ، حيث أنشئت به حديثا صوامع للغلال يمكن أن يختزن بها ١٠٠ الف طن من القمح ، فضلا عن استقبال العبارات التى تأتى إليها من ميناء جده .

لم يعد طول المسافة بين القاهرة والغردقة هو المشكلة فى ظل توفير وسائل المواصلات المختلفة ، ومن بينها خط جوى منتظم يربط القاهرة بالغردقة .

وما أجمل أن تبدأ الرحيل إلى الغردقة مدينة الهدوء .. حيث دفء الشتاء ، وحياة الانطلاق ، بعيدا عن ضجيج العاصمة وزحامها الذى أصبح لا يطاق !

... خلال ساعة واحدة على متن طائرة من مطار القاهرة وصلت إلى ميناء الغردقة الجوى ، الذى يحتاج إلى كثير من الجهود ليكون لائقا بعاصمة البحر الأحمر ، شاهدت طائرات رابضة على أرض المطار ، قد وصلت مباشرة من المانيا وفرنسا ، حاملة خليطا من هواة التمتع بشواطىء البحر الأحمر ، ومحبي الصيد وهواة الغطس فى مياه البحر الدافئة .. شاهدت فتيانا وفتيات فى عمر الزهور أتوا من بلاد أوربا ومعهم معدات ضرورية للصيد ، وقليل من الأمتعة ، ورغبة صادقة فى المتعة فقط ، واكتشاف تلك الطبيعة الساحرة ، يمشون فى شوارع الغردقة يسألون عن متحفها البحرى ، ويتمتعون بشاطئها ، ويمرحون فى جو حالم ، وكأنهم عاشوا فى تلك المدينة منذ سنوات .. فهم باحثون عن جمال الطبيعة ، ولابد أنهم قد أتوا إلى هنا عن قناعة ..

تلك الأفواج تتزايد أعدادها على مدار أيام الأسبوع منهم من أراد التمتع بالإقامة فى قرية مجاويش السياحية ، وقرية الجنتون ، أو فى شيراتون الغردقة ، أو فى العديد من القرى السياحية الأخرى الممتدة من الغردقة حتى سفاجا ..

تجدهم يسيرون فى شوارع الغردقة ، وفى أحيائها الجديدة والقديمة ، يحيون حياة المرح ، ويتناثرون ، بعضهم يجلس على المقاهى يدخن النارجيله ، والبعض الآخر يحاول التعرف على طبيعة أهل الغردقة ، هؤلاء السياح ، ليست مشكلتهم ماذا يأكلون ، أو هدفهم البحث عن المسكن الفاخر ، إنهم باحثون عن الدفء

في محافظة الأمل

والطبيعة الساحرة التى توفرت لهم بعيدا عن صخب الحياة ، وهدير الآلات ، وضجيج البلاد الآهلة بالسكان ..

إنهم يتنقلون مابين الشواطىء ، يمارسون هواياتهم المفضلة ، أو القيام بزيارة المزارات الدينية فى البحر الأحمر .

والمدينة استعدت لكل ذلك بحق ، بل إن الفنادق والقرى السياحية تحتاج إلى عشرات من شركات صناعة السياحة ، لكى تظل مليئة بأفواج السياح ، وربما هذه مشكلة تحتاج إلى علاج سريع ! حيث افتتحت قرية شدوان السياحية وتعدادها اكثر من ١٦٠ سريرا وظلت لمدة أسبوع لا يزيد عدد نزلائها على ثلاثين فردا ، وهى المشكلة التى يُخشى منها مع الطفرة الكبيرة فى الانتهاء من المشروعات السياحية الكبرى بالغردقة .

لقد استعدت الغردقة لاستقبال أفواج السياح ، الذين يحتاجون إلى تسهيلات أكثر ، وتفهم كامل لنفوسهم ، والابتعاد عن الروتين ، الذى يعوق ممارستهم لهواياتهم ..

وتدرب أهل الغردقة على كيفية معاملة زوارها ، ولكن ذلك يتم بعفوية ، حتى أننى قابلت بعض الأطفال فى شوارع المدينة القديمة وكانت تحيتهم لى "هاللو" باعتبارى واحدا من السائحين !

● منجم جديد

إن السياحة هى المنجم الجديد الذى يضاف إلى مناجم البحر الأحمر ، التى تمثل ٨٥٪ من ثروات مصر كلها .. تفجر هذا المنجم أخيرا كما تفجر البترول من قبل فى رأس غارب ، وكما بدأ البحث من جديد عن الذهب فى مناجمه القديمة ، بالإضافة إلى البحث عن معدن النحاس واليورانيوم ، واستخراج بودرة التلك من

هواية الغطس انتشرت على شــاطىء البحر الاحمــر



منجم ضخم ، ويعتبر من أفضل المناجم فى العالم .

والبحر الأحمر بعاصمته الغردقة يجعلنا نتوقف لكى نتأمل ماذا حدث فى السنوات الثلاث الأخيرة ..

كان لابد من التخطيط العلمى ، وكان لابد من تضافر الجهود ، فأهل المدينة بدأوا يستثمرون مدخراتهم فى المشروعات العديدة ، كذلك اتجهت بعض رءوس الأموال ، لعمل المشروعات السياحية ، وشجع الفريق يوسف عفيفى محافظ البحر الأحمر كل من أراد القيام بمشروع يخدم هذه المحافظة النامية .

واستعانت المحافظة بالكثير من

واحد من الاسواق الشعبية القديمة بمدينة الغردقة



في محافظة الأمل

الخبراء في مجال التخطيط العمراني ..

وقد حدثني الدكتور سيد كريم خبير التخطيط العالمي عن التخطيط السياحي في البحر الأحمر ، فأشار إلى أنها المنطقة الوحيدة في العالم التي تضم جميع أنواع العناصر السياحية ، بجانب أطول موسم سياحي على مدار العام ، ولا يتوفر ذلك في أى بلد آخر في العالم ..

فالبحر الأحمر يضم السياحة الترفيهية والرياضية والسياحة الدينية والثقافية .

والسياحة الدينية في البحر الأحمر تشمل جميع مقومات السياحة الدينية في العالم لجميع الأديان .

لقد شاهدت ميناء سفاجا ، ومدى الاستعدادات التي جهز بها ، خاصة بعد أن بدأت "عبارة" العمل بين جده وسفاجا لنقل العائدين من السعودية ، خاصة إلى بلاد الصعيد .

بدأ الشباب من أهل هذه المدينة يعملون على مساعدة الركاب في نقل أمتعتهم ، وبدأت المدينة تنتعش ، لوصول اكثر من ٧٠٠ راكب في المرة الواحدة ..

ورأيت بعض الشباب وهو يتحدث بحماس عما يمكن أن يحدث من انتعاش لهذه المدينة في حالة ذهاب الحجاج والمعتمرين عن طريق سفاجا ، وما يمكن أن يوفره ذلك من وقت ومال ، وخاصة لسكان الصعيد ، فضلا عن أن ذلك سيحد من الزحام بميناء السويس البحرى ، ومشكلات التكدس في موسم عودة المدرسين وسفر وعودة الحجاج .

وإذا كنت من عشاق السياحة الدينية ، فلن تفوتك زيارة ضريح "أبو الحسن الشاذلي" الذى يقع في وادى حميزة على بعد ٢٥٠ كيلو مترا من الغردقة ..

تشهد حول ضريح الشاذلي رضي الله عنه أعدادا من مسلمي افريقيا والبلدان العربية ، يأتون لزيارته في كل عام ، ويحرصون على البقاء لعدة أيام ، ومن أبرز ماتم هو العناية بالمسجد ، وإقامة قرية سياحية ليقيم فيها زوار « أبو الحسن الشاذلي » ، والاهتمام بتعبيد الطريق الموصل لهذه المنطقة ، سوف يزيد عدد السياح ، وتوجد أيضا بمنطقة البحر الأحمر أقدم أديرة في العالم ، ومنها ديرا "سان بول" و "القديس انطونيوس" ويأتي إليهما الزوار أيضا من جميع أنحاد العالم ويصل عدد السياح إلى اكثر من ٢٠٠ ألف في العام وتشمل السنياحة الثقافية زيارة قرى ومستعمرات المحاجر والمناجم والقلاع الرومانية والعثمانية والإسلامية ، بالإضافة إلى مختلف أنواع الموانيء التي تعود إلى مختلف العصور التي بدأت منذ فجر التاريخ .

إن أبرز ما نلاحظه خلال جولتنا في هذه المناطق الأثرية أن هذه الكنوز الثقافية مهجورة ، ولا تحظى بأى نوع من الاهتمام ، مما يعرضها للضياع ، ونفقد بالتالي آثارا لا توجد في العالم كله ، خاصة إذا عرفنا أن لصحراء البحر الأحمر تاريخا بعيدا ، يرجع إلى عصر ماقبل الأسرات ، حيث عاشت فيها جماعات بشرية ، بصماتهم ممثلة في

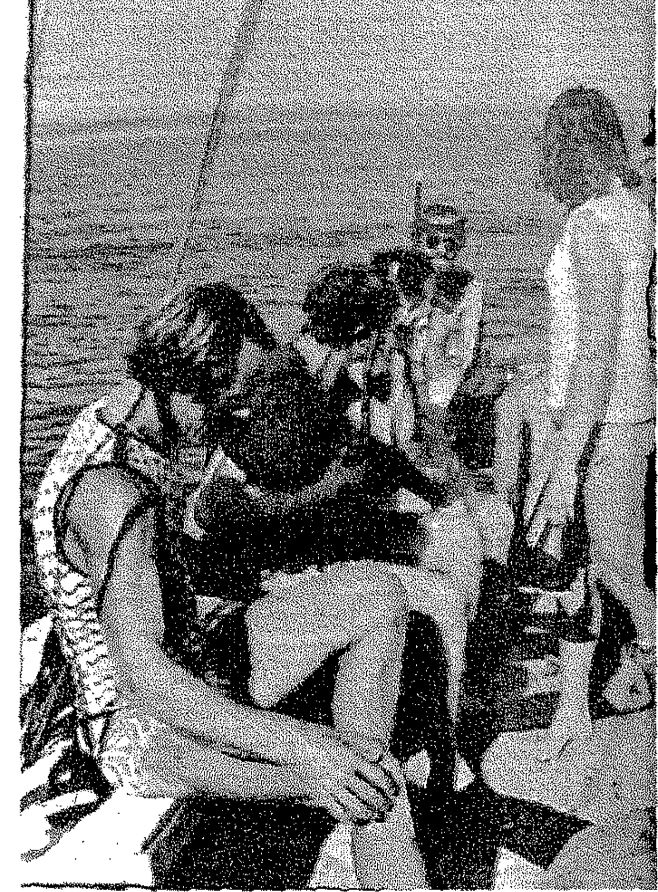
أبرز ما يلفت النظر هو شارع المدينة ، التى تم تخطيطها بما يتلاءم ودورها فى التعامل مع السياح فضلا عن تغير البيئة الذى صاحب خطط التعمير ، واستقبال أعداد كبيرة من سكان الوادى .. بدأوا حياتهم بالفعل فى المحافظة التى تمثل مساحتها ٢٢٪ من مساحة مصر .

إن محافظة البحر الأحمر التى كانت طاردة لسكانها فى الماضى ، بدأت من جديد تجتذب كل أبناء مصر ، للعمل بها فى مشروعات التعمير ، وفى المشروعات الصناعية بالمناجم واستخراج البترول ، وفى المشروعات السياحية وتم التخطيط لتستوعب ١٠ ملايين نسمة حتى سنة ٢٠٠٠ ، وهو من أفضل الحلول ، لو اتبعت الطرق الصحيحة ، لترغيب المواطنين فى الذهاب إلى هذه المحافظة للعمل بها وللسكنى بها .

لقد تبدلت الحياة الآن فى مدن وقرى البحر الأحمر .. فيحلو لك أن تتجول فى مدينة هادئة من مدنه .. فالكل يعمل بهمة ونشاط ، من قنا ومن الأقصر .. من السويس والاسماعيلية والمنصورة .. يعيشون آمال وطموحات أهل البحر الأحمر .. وحتى صديق قديم كان يعمل بواحدة من دول الخليج ، حدثنى بالمتعة الحقيقية ، وهو يعمل هنا .. يعطى لبلده ويعيش حياة الطمأنينة والأمان ..

الصورة تتكرر فى كل مكان .. كل شىء جديد ..

مدينة الصيادين تم بناؤها على شاطىء البحر ، مكان مساكن الصيادين القديمة ، ليشعر الصياد برعاية الدولة له ، ويحيا فى نفس الوقت حياة التطور ، وليعطى من



مجموعة من السياح فى رحله فى عرض البحر الاحمـــــر

بعض النقوش التى لا تزال قائمة عند "أم الفواخير" بوادى الحمامات .

ومما يميز البحر الأحمر أيضا مشاهداتى السياحة العلاجية ، حيث يضم منجمها مختلف العناصر .. أشعة الشمس - الجفاف - المياه التى تلعب دورا هاما فى العلاج ، فضلا عن الأعشاب الطبية المنتشرة فى الوديان والجبال ..

وبالانتهاء من إقامة القرى السياحية للعلاج الطبيعى والرياضة العلاجية ، يكون ذلك المشروع الأول من نوعه فى مصر .

● تخطيط عصرى

وإذا عدت من جديد الى الغردقة فان

في محافظة الأمل

جهده بعد ان ضمن مسكنا له ولأولاده .

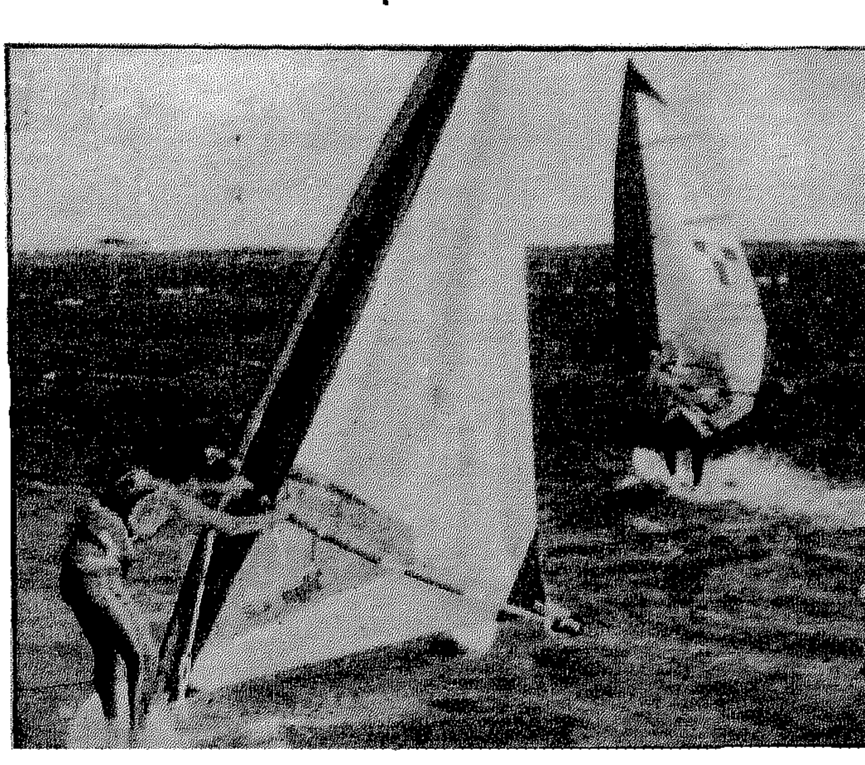
ميناء الغردقة أدخلت عليه بعض التطورات ، ومع هذا لا يتوقف بناء السفن الصغيرة والمتوسطة المستخدمة في الصيد ، وعلى طول الشاطىء لا يتوقف أيضا هدير "البلدوزرات" لبناء القرى السياحية ، وكان آخرها قرية شدوان التي تضاف إلى عشرات القرى السياحية التي بنيت أخيرا في الغردقة .

● عودة البشارية

توقفت لأسأل مواطنا من أهل الغردقة عن حياته في ظل مايحدث الآن في الغردقة .. وبطمأنينة قال : إنني أعمل حتى الثانية ظهرا . ثم أواصل عملي في أحد الفنادق السياحية ، ويصل دخلي إلى ٣٠٠ جنيه في الشهر الواحد ، وليست هناك مشكلات تموينية حادة ، كما كان يحدث في الماضي ، وذلك بفضل النظرة الجديدة لأهل البحر الأحمر .

وانتشر العبابدة والبشارية في المدينة الوادعة .. أتوا إليها أخيرا بعد أن كانوا يعيشون هناك بعيدا على الحدود ، لا ينتمون إلى الوطن ، ولا يتحدثون لغته ، ولم يكن أحد يهتم بهم ، أو يسألهم عن مشكلاتهم رأيت البشارية يرقصون ويغنون في عيد المحافظة القومي "في ٢٢ يناير الموافق ذكرى معركة شدوان"

أتوا يغنون لمصر ، ويعاهدون على



رياضة الشراع يقبل عليها السياح من كل أنحاء العالم



بشاري يحمل ترسه وسيفه

مواصلة الجهد ، ويؤكدون على انتمائهم ..

ورأيت محافظ البحر الأحمر وهو يتعامل معهم بكل مودة وتعاطف ، ويؤكد لى فى معرض الحديث عن البشارية والعبابدة بأنه حرص على إنشاء قرية نموذجية لإسكانهم ، وتوفير كل المرافق ومن بينها افتتاح عدة مدارس ووحدات صحية ، فضلا عن دراسة كل مشاكلهم بعناية .. وعادوا إلى مصر ، ويقدم إليهم الآن كل ما يحتاجون إليه من دعم ، وتصلهم المؤن والأغذية .. وبدأوا ينتجون الفحم النباتى ، وزيدت أسعاره وتضاعفت وتضاعف إنتاجهم ايضا .

● دور فى البناء منذ القدم

وإذا كنا نلقى الضوء على البحر الأحمر فى هذا الوقت بالذات ، ليس لأن نهضة شاملة تدب فى كل أرجائه ، نتمنى أن تتواصل لتحقق الطموحات ، ولكن لأن كثيرا من المؤرخين يعتبرونه مدخل حضارة مصر منذ قديم الزمان ، ويحاول الكثير منهم التأكد على أن المصريين القدماء ، جاءوا إلى مصر عن طريق البحر الأحمر ، ونزلوا على شواطىء البحر ، بالقرب من منطقة سفاجا ، أو بين الغردقة وسفاجا ، وعبروا الوادى الموجود حاليا بين سلسلة جبال الصحراء الشرقية ، وخلال هذه الجبال يوجد وادى مراونيه حتى وصلوا إلى النيل عند مدينة "قفط" بالصعيد ، ولهذا سموا هذا الطريق بطريق الآلهة ، لأن قدماء المصريين الذين أتوا كانت تقودهم آلهة أرشدتهم لهذه الأرض ، ولهذا سموها الأرض المقدسة "حورجت"

صياد من العبابدة يجلس على الشاطىء فى انتظار عودة الصيادين



فى محافظة الأمل

التى أخذ منها اسم الغردقة .

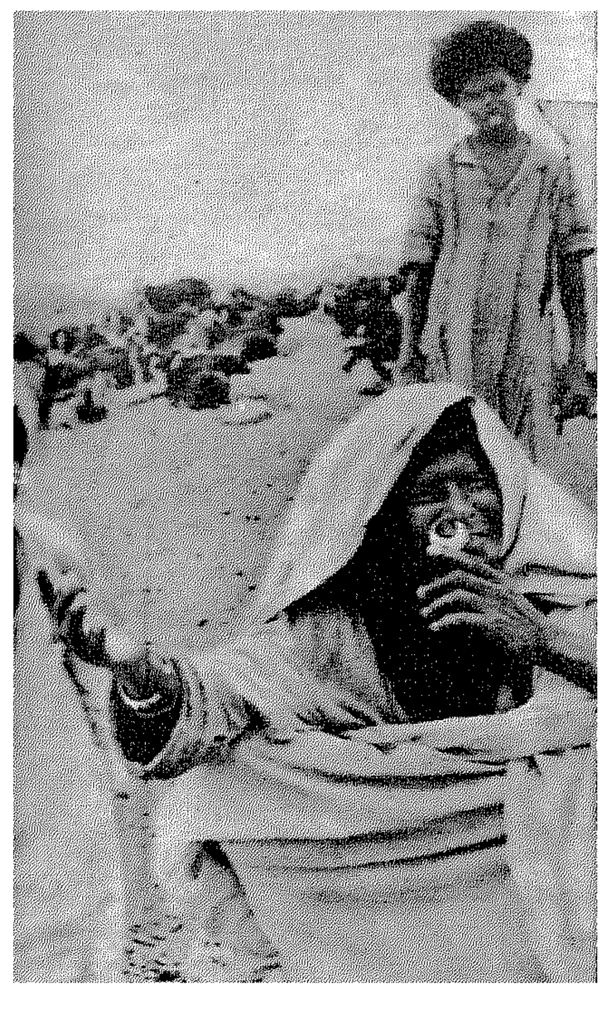
وطريق الآلهة هذا توجد على جانبيه ، المناجم الأولى التى بنت حضارة مصر ، وهى مناجم الذهب والحديد والنحاس والصخور والأحجار والجرانيت والرخام .

كان الفراعنة يأخذون ثرواتهم من مناجم البحر الأحمر ، تلك الثروات التى بنت حضارة مصر ، بدءا بالذهب ، ثم بقية الخامات الموجودة فى مناجم البحر الأحمر ، وتوقف استغلالها .

والفرصة متاحة أمامنا لاستغلال هذه المناجم ، والاستفادة من الثروة الطائلة التى تضمها .

وبنظرة سريعة نجد أن السياحة بدأت تحقق دخلا متزايدا ، فقد وصل ١٠٥ آلاف سائح خلال عام واحد ، ومع تزايد العدد ، زادت أعداد الفنادق والمطاعم بالجهد الذاتى ، ودون أن تتحمل خزانة الدولة أعباء إضافية ، فتم بناء ١٢ فندقا و ١٤ مطعما ووصل عدد الأسرة إلى ٤٥٠٠ سرير فى الغردقة وسفاجا ، وتصل نسبة الإشغال طوال العام ٩٠٪ فى المتوسط ، ويزيد فى بعض الأحيان إلى ١٢٠٪ ، ويضطر المسئولون إلى تحويل أفواج السياح إلى الأقصر .

وإذا كنا قد تحدثنا عن الأمل الذى ينتظر محافظة البحر الأحمر ، وهذا الحجم الهائل من العمل ربما فى صمت ، وبعيدا



اسرة من العبابدة .. امل وتفاؤل للمستقبل

عن الأضواء .. وإذا كانت السياحة ستتيح دخلا كبيرا من العملات الصعبة ، وإذا كان استخراج البترول يتم بمعدله المطلوب ، وإذا كان قد بدىء فى استخراج النحاس واليورانيوم ، فاننا ننتظر على ضوء كل ذلك تصحيح خريطة السكان ، حيث ستتدفق العمالة ..

وكل ذلك يحتاج إلى الوفاء بميزانية تعمير الصحراء فعليا لهذه المحافظة بل نطالب بمضاعفاتها على ضوء كم العمل المبذول حتى الآن ، ولا يمكن أن تغفله عين ، أو نغض عنه الطرف ؟



رحلة فى مياه البحر الاحمر

ولأكون صادقا فأشير إلى حقيقة ذكرها الفريق يوسف عفيفى محافظ البحر الأحمر حيث قال : لقد وجهت الدعوة لكل الوزراء لحضور العيد القومى للمحافظة ، ولم يحضر وزير واحد ، ليشهد المشروعات التى تمت ، وليكون معنا فى تذليل بعض المشكلات التى تواجه التقدم العمرانى السريع فى الغردقة ومدن المحافظة ..

● مشكلات تحتاج للحل

محافظة البحر الأحمر تحتاج إلى حل سريع لمشكلة المياه ، ولقد ذكر لى بعض المواطنين أن المياه تصل إلى المنازل أحيانا كل ١٥ يوما !

● المستشفى الموجود فى سفاجا ليس به "تليفون" ، والروتين عطل تركيب هذا التليفون منذ عامين برغم حيويته الشديدة .

● الطرق تحتاج إلى تعبيد فى بعض الأماكن ، والبيروقراطية تحول دون ذلك .

● هناك أراض كثيرة تم الاستيلاء عليها من قبل بعض الوزارات بدون أدنى حق ، وهذا يعطل المشروعات الحيوية ، ويوقف مسيرتها

● لابد من حسم سريع للمشكلات التى تواجه المستثمرين ، وينبغى الا يكون الروتين بالمرصاد ، لكل مايفيد اقتصادنا .

● هناك مشكلات تواجه هواة الصيد والغطس ، خاصة فى الحصول على تصاريح من الجهات المعنية ، وذلك يتطلب منهم وقتا طويلا ، وقد لا ينتهى استخراج التصريح ، حتى بعد عودتهم لبلادهم .

وفى رأيى أن وزارة السياحة عليها دور كبير فى التنسيق مع محافظة البحر الأحمر ، لكى تصل إليها أفواج سياحية بشكل منتظم ، كذلك حل المشكلات التى توقف المشروعات الحيوية والتى تهم اقتصاديات مصر ..

وتدور عجلة الزمن ، وبالجهد والإخلاص ، يتحقق لمصر الكثير ، من ذلك العمل الخلاق فى وسط الصحراء .. بسواعد الرجال وعزيمتهم وإخلاصهم ..

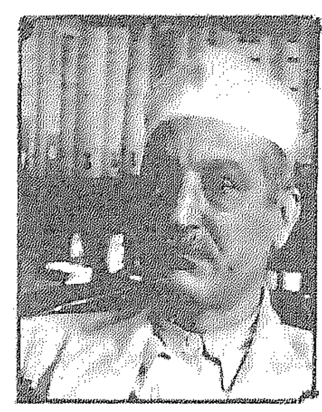
العقاد: جزء خاص

ذكـــــــــرى عباس محمود العقاد





سعد زغلول
اعجاب بالعقاد بلا حدود



عباس العقاد
صاحب مبدأ لا يتغير

أحمد شوقى
حملة ضارية

العقاد وسعد زغلول

بقلم: د. الطاهر أحمد مكي

يقول العقاد فى كتابه سعد زغلول :
"وصفوة القول أن سعد زغلول كان مثلا فى الصراحة والجرأة وطبيعة الكفاح ، ولكن الذين يفهمون أنه كان لذلك يحمل سلاح الصراحة ذات اليمين وذات الشمال يخطئون فى فهمه ولا ينصفونه . إنما كانت صراحته وسيلة لإبداء الحق ، والإعراب عن الرأى ، وكشف رذيلة الرياء ، ودفع مذلة الخنوع" .

وكأنما العقاد يصف نفسه بهذه المقولة ، أو الجانب الأوفر مما كان عليه فى أقل الأحوال .

وكان إعجاب هذا الشاب الصعيدى الوافد على القاهرة ، فى خطاه الأولى ، صحفيا أو كاتبا أو كيفما كان ، برجل بارز فى مجتمع القاهرة ، وصاحب مواهب عالية ، لم يكن فى البدء وليد أشيا محسوسة تتجلى فى سعد ، فلاشك أن كثيرين كانوا مثله أو يفوقونه ، ثراء ونفوذا وشهرة ، ولمّا يكن سعد قد أصبح زعيما وطنيا ، ولكنه لون من الحدس ، تراه البصيرة ، وتستشعره النفس على البعد ، وتتوقع منه خيرا قادما ، قد لا تستطيع

تحديد مداه ، ولكنها تدرك بأوضح ما يكون الأمر طبيعته ومغزاه

ولا تتسع هذه العجالة عن كاتب خلاق فى صلته بزعيم فرد لحديث مفصل عن ظروف حياتهما ، وتطور فكرهما ، وما صحبهما من إرهاصات فى أيام الصبا الطرية ، أو الشباب الغض ، وما تعاور الأمة على أيامها من أطوار فى مجال الفكر والسياسة والدين ، وما كان من يقظة قومية عمت شتى طبقات الأمة ، يستوى فى ذلك الأمى فى مجاهل الريف ، والمثقف الذى تعلم فى أرقى جامعات أوربا ، ومن كان فقيرا يلتقط قوت يومه بالكاد ، أو ثريا يملك المال والعقار والضياع وينفق منها بغير حساب ، ومن كان مسلما تقيا أو قبطيا صالحا ، أو حتى بلا دين ، وتلك هى أعمق ألوان اليقظة وأسماها فى تجارب الأمم والجماعات .

وإنما بحسبنا أن نقف عند ما يهدى إليه العنوان ، نحاول أن نرى كيف كان كل واحد من الرجلين يرى صاحبه .

ولا يرد علينا أن الخلفيات توضح وتفسر ، وتعين على الفهم والإقناع ، لأنها تحتاج إلى صفحات طوال ، ويجدها القارىء مبسوطة فى أى كتاب يعرض لهذه الفترة مؤرخا ، أو لواحد من أعلامها مترجماً ، ونرضى منها بسطور موحية ، تكفى فى إلقاء الضوء على بعض ما كان يجرى فى القاهرة فى تلك الأيام



○ جوانب إيجابية

يصف العقاد القاهرة عندما جاءها شابا بأنها أشبه ما تكون ببرج بابل ، مركز لكل دعوة ، تعج بضوضاء وأفكار من كل لون وعلى كل صنف ، من كل دعوة "تهتم بها دول العالم ذوات المطامع فى الشرقين الأدنى والأقصى ، ومركزا لكل دعوة يديرها دعاة الجامعة الاسلامية ، ودعاة الوحدة العربية ، ودعاة تركيا الفتاة ، ودعاة الإصلاح فى إيران وأواسط آسيا ، ودعاة الحركة الوطنية فى مصر نفسها ، وفى سائر الأقطار الأفريقية ، من شمالها حتى بلاد السواحل وزنجبار"

ومع ذلك لم يرتبط العقاد شابا ووافدا على المدينة ، ونهما إلى المعرفة ، وراغبا فى العمل من أجل الحياة ، بأى من هذه التيارات العديدة ، لأنه رأى فى أى منها جوانب إيجابية واضحة ، دون أن تبرأ أية دعوة أيضا من ظلال سلبية تصد عنها من تملأ خطاه الأولى مثالية عالية ، لا يود معها أن يكون عمليا ، وأن يقيم ميزانا يراجع به الخطأ والصواب ، والربح والخسارة ، ويكون حيث يرجح الجانب الأول ، ولو خاض إليه الكثير مما لا يرضاه

أخذ من كل دعوة مارآه إيجابيا فيها ، فآمن به ، ودافع عنه ، واعتقده ، وأدار ظهره لما لايرتضيه ، ولم يقبل أن يأخذ أية دعوة على علاتها ، وأن يتلقاها بخيرها وشرها ، فظل بعيدا رأيا وفكرا عما لا يؤمن به ولايرتضيه .

كان صاحب مبدأ دائما ، إذا اقتنع

بشىء آمن به ، ودافع عنه ، ولم يخالفه ، لا فى أيام عسره ولا فى لحظات رخائه ، وهو شاب مندفع متهور أو رجل ناضج متئد ، أو شيخ متهالك يحمل على كتفيه أعباء أزيد من سبعين عاما من النضال المتواصل غير المريح .

وإذا اقتنع برأى لا يبالى أن يعارضه كل البشر .

ومحور إيمانه يدور حول الديمقراطية ، ويرى بيئتها "كالأرض الآمنة القريرة ، والبيئة الدكتاتورية كالمحجر الصحى ، وكالمخفر الذى لا يعاش فيه بغير رقابة أو تضييق" و "أن مصدر الجمال فى الأخلاق أن يتصرف الإنسان كما يليق بالكرامة الإنسانية ، وأن يكون سيد نفسه ، وأن يعلم أنه يريد فيعمل أو يمتنع عن العمل ، وليس قصاراه أن يساق إلى مايراد" .

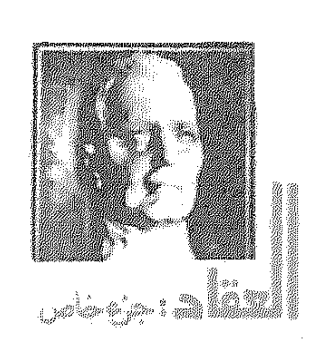
ومن ثم فهو يحارب كل ما يتصوره طغيانا ، وتجىء الدكتاتورية فى كل أشكالها ، وأياً كان الذى ترتديه ، على أيامه وقبلها ، على رأس مايكره ويقاوم ، ومع ذلك يؤمن بدور الفرد البطل ورسالته ، ويجل العبقرية ويقدرها حق قدرها ، وجاءت مؤلفاته شاهد صدق وحق على ما تقول ، فقد كتب عن العبقرية فى كل مستوياتها ، وبين كل قوم وجيل ، يستوى فى ذلك النبى والمسيح والخليفة والقائد والسياسى والمصلح والمفكر والعالم والفيلسوف والشاعر ، وإلى أية ملة انتمى ، مسلما أو مسيحيا أو بوذيا أو بلا دين .

● طريق صعب

جوانب كثيرة فى سيرة العقاد تحتاج إلى أن نلح عليها ، لتكون قدوة لمن يبحث عن الهداية ، ومثالا للباحثين عن مكان فى عالم الفكر والإبداع والشهرة ، وهو أن طريق العقاد إلى ماحققه لم يكن مفروشا بالورود والرياحين ، وإنما ناضل وجاع ومرض وأفلس وتبطل وفكر فى الانتحار . وقضى أياما عديدة على وجبة واحدة من الخبز والجبن أو الخبز والفول ، **ومع ذلك لم يخن ضميره لحظة واحدة ، ولم يبع قلمه فى أحلك الساعات ، وارتفع بفكره دائما فوق البيع والمساومة ، جائعا يتصعلك فى الشارع ، أو عملاقا يتربع على عرش الفكر العربى على امتداد الأمة العربية** ، وظل منذ أمسك بالقلم ، ومع أول مقال كتبه ، تنشر الصحف مقالاته دون أن يطلع عليها رئيس التحرير ، أو صاحب الصحيفة ، لأنه لا يملك ، إذا إراد أن يحتفظ بالعقاد معه ، أن يجرى عليها أى تعديل ، ولأن صاحبها لايقبل أى توجيه ، فهى من يده إلى المطبعة .

نكرر ذلك ونلح عليه ، لأن الوافدين على دنيا الفكر فى أيامنا هذه يضيق صدرهم بعد الكتاب الأول يقرءونه ، وينفد صبرهم بعد المقال الثانى لا ينشر لهم ، وعلى استعداد لأن يسخروا مواهبم مع رنين أول دولار ! .

ولم تكن الحياة أيام العقاد خالية من هؤلاء ، فهو نفسه خبرهم ، وحاصرته مغريات السقوط فى كل الحالات ، ولكنهم جميعا ذهبوا لايذكرهم أحد ، وبقى هو ملء السمع والبصر ، بلا حزب يفرضه ، ولا قوة خارجية تدعمه ، وإنما تتحرك الدنيا حوله هادرة صاخبة ، راضية وساخطة ، وهو حتى قبره يحركها كأنه لمّا يزل بعد فى مكتبه أو جلسته فى تلك



الحجرة المتواضعة من بيته فى ضاحية مصر الجديدة

بدأ إعجاب العقاد بسعد مبكرا ، وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، حين بدأ العمل فى جريدة الدستور التى كان يصدرها محمد فريد وجدى ، وهى أول صحيفة يومية يعمل فى تحريرها ، وواظب عليه ، وعمل بها منذ العدد الأول حتى الأخير ، على امتداد عامين كاملين تقريبا ، وصدر العدد الأول منها فى نوفمبر عام ١٩٠٧ تتوسطه مقالة العقاد ، وكان المحرر الوحيد مع صاحبها ، ويضطلع بنصف أعباء التحرير تقريبا ، من ترجمة وتصحيح ، وتهذيب الرسائل والأخبار ، وراتبه فيها ستة جنيهات شهريا .

كانت جريدة الدستور لسان الحزب الوطنى ، إلى جانب جريدة اللواء ، وكان موقف الحزب الوطنى من سعد زغلول معروفا ، ومع ذلك كان العقاد يؤيد سعدا ، ويرد على ناقديه فوق صفحات الدستور ، ولم يحاول رئيس تحريرها أن يمنع كلمة واحدة مما يكتبه العقاد فى هذا الموضوع .

ومع سعد ، ودفاعا عنه ، أدخل العقاد للمرة الأولى مادة الحديث الصحفى فى جرائد تلك الأيام .

فحين كان سعد زغلول وزيرا للمعارف أشيع عنه فى صحف خصومه أنه يحارب فكرة الجامعة والتعليم باللغة العربية وأنه مالأ الإنجليز على تقييد حرية التعليم ، فذهب إليه ولقيه للمرة الأولى فى صباح يوم الخميس الحادى والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٠٨ ، بمكتبه فى وزارة المعارف العمومية فى ديوانها المعروف بدرب الجماميز . وكان فى التاسعة عشرة من عمره ، أى فى سن الجيل الناشىء الذى استولى عليه اللواء وجعله من قرائه وجنده ، ومصدق فى مدحه وهجائه ، ولكن العقاد كان معجبا بسعد ، ويرى لمصر الخير على يديه ، ولم يسع إلى أن يكون مثله ممن يخون عهده ، وينسى واجبه ، وينقاد على غير بصيرة لأمر الموظفين الإنجليز كما كان يقال عنه فى ذاك الحين . فرأى من الحق أن يدفع عنه هذه التهم ، وأن يظهر الحقيقة ما وسعه ، مدعومة بالوثائق والبراهين .

وقد عرض العقاد لهذا اللقاء الأول تفصيلا فى كتابه عن سعد زغلول ، وترك لنا صورة دقيقة للرجل كما رآه قبل أن يصبح زعيما يقود الحركة الوطنية ، وجده "رجلا مهيب الطلعة ، قوى العارضة ، فصيح العبارة ، يملأ الناظرين والسامعين ثقة وتوكيدا ، ويشعرهم بقدرته ، ويشعر هو بتلك القدرة ، ويعتد بها مفطورا على ذلك فى غير صلف ولا تكلف ، وتسمع حجته الدامغة فى صوته الشجى ، فتجد للمنطق عذوبة الفن وسلامة التلحين ، بل تسمع سليقة الرجل كلها تتحدث إليك عن يقين لا ينتهى عندك إلا إلى يقين" .

وبين عامى ١٩٠٨ و ١٩٢٤ لم يلق العقاد سعدا غير مرتين .

الأولى حين خطر له أن ينتظم فى بعثات الجامعة المصرية ، وأراد أن يكون الامتحان مباحا لجميع الطالبين ، ولكن طلبه رفض ، وأبى سعد إلا أن تكون لديه الشهادة المشروطة قبل الامتحان ، وقال له العقاد : ولو كانت هذه الشهادة غير ضرورية للنجاح ؟ .

ورد سعد : وماذا نصنع ، لتكن كفاءتك ما تكون ، فهل فى وسعنا أن نرشح للأستاذية فى الجامعة من ليست عنده الشهادات التى ينتظم بها الطلاب فى تلك الجامعة ؟ .

وكانت الثانية بعد ذلك بأعوام طويلة ، حين قدم إليه ديوانه الثالث "أشباح الأصيل" ، وأصدره عام ١٩٢١ .

ومنذ عام ١٩٢٤ اتصل بينهما اللقاء اتصالا لا تقطعه إلا فترات قليلة من سفر أو مرض أو نحو ذلك "فما تغيرت الصورة الاولى إلا بما أضاءها من وهج الحركة الوطنية ، وفخار الفداء ، وحماسة الإعجاب والإجماع من المعجبين" .

• إعجاب متبادل

وفى الجانب الآخر كان سعد معجبا بالعقاد ، ويحبه ، ويحترمه ، ويقدر رأيه على حداثة سنه فى ذلك العهد ، ويحرص على أن يقرأ كل ما يكتب ، ويتغنى باسمه ، ويردد فقرات من مقالاته ، وكان القاسم المشترك فى أى حلقة نقاش فكرى ، وإليه يعود الزعيم ، وبمقالاته يستشهد ، وبفضل هذه الصلة أصبح العقاد أقوى كاتب فى جرائد الوفد ، بل فى أية جريدة أخرى .

وصف سعد الزعيم الكاتب عباس العقاد فقال : إنه أديب فحل ، له قلم جبار ، ورجولة كاملة ، ووطنية صافية ، واطلاع واسع ، ماقرأت له بحثا فى جريدة أو مجلة إلا أعجبت به غاية الاعجاب ، وهو لا يعالج موضوعا إلا أحاط به جملة وتفصيلا ، إحاطة لا تترك بعدها زيادة لمستزيد ، وله أسلوب أدبى فريد ، جبار شديد الوطأة على خصومه ، وعنيد فى فكرته" .

وإلى هذا المعنى أشار العقاد فى قصيدته التى رثى بها سعدا فى حفل الأربعين لوفاته :

أنا جبارك لا تعهدنى
ذلك الجبار فى الدمع السخين

عن حب كان إعجاب العقاد بسعد ، وعن تقدير وإيمان كان ولاؤه له ، ولكن الحب والتقدير والولاء لم تذهب بشخصية العقاد أبدا فخالف سعدا علانية حين لم يجده كما توقعه وكما يرجوه .

ففى سنة ١٩٢٤ تولى سعد زغلول وزارة الشعب الأولى ، وألقى أول خطبة للعرش ، وصدرت صحيفة الوفد يومها وليس فيها تعليق العقاد على الخطاب ، وكان الجميع يتوقعونه وينتظرونه ، فلما التقى العقاد بسعد عاتبه هذا ، فقال العقاد : إن كلمة "الأمانى القومية فى السودان" كما وردت فى خطبة العرش موجزة ، والكلام عن السودان كان يمكن أن يكون أكثر إيضاحا .

فرد سعد : وهل لا ينطبق هذا على كل كلام ؟



فقال العقاد إذا تساوى الوضوح وغيره فى جميع الاعتبارات فرأيى أن الوضوح أولى بالتفصيل .

وطال النقاش بين الرجلين ، وقال سعد : لو حاسبنى كل فرد فى الأمة حسابك لعجزت عن أعباء وكالتى عن الأمة .

ورد العقاد · وليس كل فرد فى الأمة عباس العقاد

فتبسم سعد مؤمنا ، وهو يردد نعم ، ليس كل فرد فى الأمة عباس العقاد . صدقت"

○ إعجاب بشوقى

وكان سعد كخاصة المثقفين وعامتهم على أيامه معجبا بأحمد شوقى أمير الشعراء ، ولم يكن العقاد على رأيه ، ويعود إلى أيام خلت لم يكن فيها على صلة قوية بسعد ، ولم يكن هذا قد أصبح زعيما بعد .

ذلك أن رأى العقاد فى شوقى لم يبدأ بنشره هو وصديقه المازنى فى كتاب "الديوان فى النقد والأدب" عام ١٩٢١ ، وإنما يعود إلى عام ١٩١٢ ، ونلتقى به فى كتابه "خلاصة اليومية" وصدر عن دار الهلال عام ١٩١٢ ، وفيه يعلق على أبيات لشوقى وردت فى قصيدته التى رثى بها بطرس غالى حين اغتاله إبراهيم الوردانى ، ومطلعها ·

قبر الوزير تحية وسلاما
الحلم والمعروف فيك أقاما

فعاب عليه التقليد الأعمى ، وأنه لايصدر فى شعره عن شعور صادق ، وإنما يبكى القصر والأمير

ثم كان نقده لشوقى فى "الديوان" ، وجاء شديدا وقاسيا ومجحفا ، وتجاوز الموضوعية إلى السب والشتم ، وأحسّ العقاد بذلك ، وحاول أن يبرره فيما بعد فى أكثر من دراسة ومقال .

وما يعنينا هنا موقف العقاد من الاحتفال بتكريم شوقى عام ١٩٢٧ ، وكان مهيبا ضخما ، رأسه سعد زغلول بنفسه ، وشهده أدباء من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق والجزيرة العربية واليمن والبحرين والمغرب بأقطاره الأربعة ، تونس والمغرب والجزائر وليبيا ، فقد حمل عليه العقاد حملة ضارية فى مقال افتتاحى فى صحيفة البلاغ ، لسان حال الوفد المصرى ، ولم يرده عن النقد أو النشر أن الحفل كان برياسة سعد زغلول .

ولم يتردد العقاد فى الصدام مع مصطفى صادق الرافعى ، وكان سعد يجامله ، إن لم نقل يعجب به ، وصدّر الرافعى كتابه "إعجاز القرآن" بكلمة لسعد زغلول يطريه فيها مؤلفا ويقول عن الكتاب "كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم" ، ولا يقلل من هذا مايراه الدكتور محمد أبو الأنوار من أن العبارة تحمل طابع الرافعى نفسه ، فالمهم أنها قيلت على لسان سعد ، ونسبت إليه ، وطبعت على الصفحة الأولى من الكتاب وسعد على قيد الحياة .

والشيء نفسه يقال عن المنفلوطى ،

فقد تناقش سعد مع العقاد حول أدبه ، فقال العقاد : إنه ليس إلا منشئا ، وقال سعد إن المنشيء يخلق ، فلماذا تعيب على المنفلوطى أن يكون منشئا . فقال العقاد : "إننى أعنى بالمنشيء من يكتب بأسلوب مواضيع الأنشاء فى المدارس"

وفاء نادر

ناضل العقاد عن سعد حياته كلها ، وأجهز على خصومه ، وظل وفيا لسعد حتى بعد أن رحل عن دنيانا ، وحين اتهم بالعيب فى الذات الملكية ، وقضت المحكمة ظهر يوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٠ بحبسه تسعة شهور تلقاها ساخرا وهو يقول : ولو .. ! وحين خرج من سجن مصر العمومى فى ٨ يوليو ١٩٣١ كان أول مافعل أن توجه إلى ضريح سعد ، كما لو كان ذاهبا ليلقاه فى بيت الأمة ، وعلى ضريحه أنشده قصيدة ختمهما ببيته الشهير :

عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما
سيعهدنى كل كما كان يعهد

وتبقى كلمة أخيرة

لا أومن بأن أيا من البشر فوق النقائص ومنزه عن الأخطاء ، فذلك شيء لا يستقيم مع طبيعة الأشياء ، ولا يعين على التقييم الصحيح ، وقد كان للعقاد وسعد كليهما حظ من الأخطاء ، ولكنها تجيء عن خطأ فى الحساب أو التقدير ، لا عن نية سيئة ، أو قصور فى المنهج ، أو نتيجة ضعف إنسانى مما يجوز على الأشرار والسيئين .

وبحسب الرجلين أن جانب الفضائل فى حياتهما مشع وعريض ، ويغطى مساحة ووهجا أى نقص يؤخذ عليهما ، ويأتى على كل سلبية تلحقهما بشرا ، والخطأ يدانان به ، ويحسب عليهما ، ولم يكن له فى حياتنا أى تأثير ، أوله تأثير ليس بالجليل ولا العميق ، وأما دورهما الايجابى فكان بليغ الأثر ، عظيم النتائج والخطر ، وكفى بهما كاتبا وزعيما ! .

العقاد وقضية فلسطين

كتب العقاد بصحيفة الاساس عام ١٩٤٧ يقول :

● « ان العرب لايحتاجون الى بحث طويل لاثبات حقهم القديم فى فلسطين ، واقامة هذا الحق على انهم ابناء البلاد الاصلاء من قبل عهد ابراهيم عليه السلام ، فان كتب الصهيونية نفسها تروى عهد « يهوا » لابراهيم ، وتروى معه ان البلاد كانت يومئذ فى ايدى الكنعانيين .

وقد جاء فى الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين ان ابراهيم اجتاز الارض الى مكان شكيم .. وكان الكنعانيون حينئذ فى الارض وظهر الرب لابرام وقال « لنسلك اعطى هذه الارض .. »

وكنعان اسم عربى لاشك فيه ، وهو يدل على سكان البلاد الواطئة فى ساحل فلسطين ، وعلماء الاجناس الثقات متفقون على ان الكنعانيين ، والاراميين مهاجرون من جزيرة العرب ، نزلوا فى وادى الاردن ودخلوا منه الى فلسطين ، واطلقوا عليها اسم ارض كنعان ، ثم جاء اليونان فاطلقوا على الارض اسم فلسطين الخ



بقلم : كمال النجمى

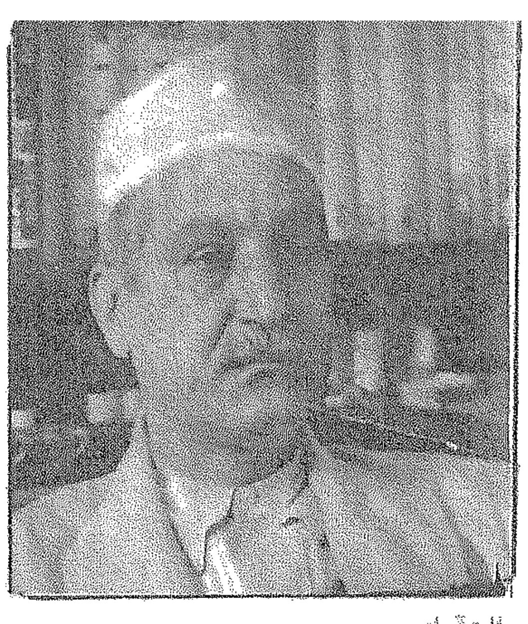
كانت مغامرات العقاد العاطفية - منذ منتصف العشرينيات - تثير غمزات خفيفة أو ثقيلة فى الصحف المعادية للوفد المصرى ، وبخاصة المجلات الهزلية ، لأن العقاد كان من كبار الكتاب الصحفيين المدافعين عن السياسة الوطنية للوفد بزعامة سعد زغلول باشا ، فكان خصوم الوفد يتتبعون الحياة الخاصة لزعمائه وكتابه ، ابتداء بسعد زغلول ، وانتهاءً بكل من يحمل قلما يؤيد به سياسة سعد ! ..

وكانت غراميات العقاد متواضعة ، لأنه كان فقيرا ، لم يقتن من وراء تأييده للوفد عمارة ولا ضيعة ولا حتى سيارة كما اقتنى غيره ممن جعلوا تأييدهم للأحزاب طريقا إلى الثراء ، فصار بعضهم أصحاب صحف يومية ، وملاك عقارات فى الريف والحضر .. ولبث العقاد بينهم يكتب كل يوم منافحا عن الوطنية والديمقراطية ولاتهفو نفسه إلى امتلاك شىء ، إلا امتلاك الكتب ! .. كانت غريزة التملك عنده لاتتعدى الرغبة فى تملك الكتب وإقامة مكتبة خاصة يناجى فيها عرائس أحلامه

أما الغريزة التى تدفع الرجل دفعا إلى أمتلاك المرأة ، فكانت عند العقاد فى شبابه لا تجد لها طريقا إلا الزواج على سنة الله ورسوله .. وكان العقاد مصروفا عن ذلك الطريق مكرهاً لابطلا ، لأن مرتبه لم يكن يفى بغير طعامه



عامر العقاد
ليحدثنا بجديد عن عمه



العقاد
موقف اضعف لمن احبهن

وملابسه ومسكنه وكتبه ، مع أنه كان كاتب الوفد الأول ، وفى الطبقة العليا من أدباء عصره ..

وهكذا تخبط العقاد فى طريق المرأة ، أو تخبطت المرأة فى طريق العقاد .. أما هو فطريقه اليها تتحكم فيه المصادفات ، وأما هى فقد تعشو الى الضوء الباهر المنبعث من اسمه الشهير فتجيء إليه يدفعها التطلع او الفضول او الظن الحسن بما فى يده أو فى جيبه من المال ! ..

وكثير من ابناء جيلى فى الأدب والصحافة لبثوا يسمعون عن غراميات العقاد اربعين عاما أو اكثر ، ولو كانت الكتابة الآن فى مثل هذه الأمور حرة طليقة كما كانت خلال العصور العربية الأولى ـ فى عهد الجاحظ مثلا ، أو بعد ذلك فى عهد ابى الفرج الاصبهانى ، الى آخر عهد الدولة العباسية ـ لسهل الأمر ، ولكتب كل اديب عاصر العقاد ماسمعه منه او من صديقاته أو من أصدقائه ، أو ماشاهده بعينيه مما نسميه مغامرات العقاد العاطفية !

على أن الأمر هين ، فالعقاد الذى عاش كالنجم المتلألىء شهرةً ومكانة ، كان فى الميدان العاطفى متواضعا ـ كما سلفت الاشارة ـ ولولا قيمته الادبية العظيمة لما كانتْ مغامراته هذه تستحق أن يبالى بها احد .. فأين هى من مغامرات الأديب فلان والشاعر علان والصحفى ترتان ؟ ! ..

وأصدقاء العقاد وتلاميذه هم الذين جعلوا من الحبة قبة فى «غراميات العقاد» . فلم يكد يلحق بالرفيق الأعلى حتى تنافسوا فى تعريف القراء بما خفى عليهم من الحياة الخاصة للكاتب العملاق ، وأوشكوا ان يزعموا أنه كان على مذهب دون جوان أو كازانوفا .



وكنا نقرأ ما يكتبون ونتساءل مابال أقرب الناس اليه ، وهو عامر العقاد ، لايكتب عن هذه الغراميات ؟ ! ..

● ناقل متواضع المعلومات

فلما كتب عامر العقاد ـ رحمه الله ـ كتابه «غراميات العقاد» بعد سنوات من الصمت لم يجيء بجديد ، ولم يضف شيئا إلى ما كتبه من قبل أصدقاء وتلاميذ العقاد عن غرامياته ، ولكن كتاب عامر العقاد كانت له أهمية خاصة ، فمؤلف هذا الكتاب هو ابن شقيق العقاد ومدير أعماله وكاتم سره في العقود الثلاثة الأخيرة من حياته .. عاش بجواره يسمع ويرى مالا يتاح لغيره ان يسمعه او يراه .. واطلع على وثائقه الخاصة في حياته وبعد مماته ، واكتملت له بذلك صفة المصدر الموثوق فيما يتعلق بأسرار العقاد التي عرفها الناس ، واسراره التي لم يعرفها إلا قليل من «خاصكية» العقاد ـ على حد التعبير المملوكي عن خواص السلطان ، فقد كان العقاد سلطانا على اولئك الخاصكية ـ وبهذه الصفة الخاصة جدا ، نشر عامر العقاد ـ رحمه الله ـ كتابه الذي سماه «غراميات العقاد» فلم يضف شيئا مذكورا إلى ماورواه أصدقاء العقاد وتلاميذه وخواصه في كتبهم ومقالاتهم وأحاديثهم وأسمارهم ، بل لعلهم زادوا عليه واستفاضوا في كشف خبايا هذه «الغراميات» اكثر مما استفاض ، حتى اضطروه اضطرارا إلى أن يقتبس منهم في كتابه ويستشهد بأقوالهم ، ويسند كلامه إلى كلامهم ، وكأنه ناقل متواضع المعلومات يأخذ من مصادر أصيلة غنية بالمعلومات ، مع أنه ـ فيما كنا نظن ـ كان المصدر الاصيل الذي يأخذ عنه الناقلون ! ..

وقد سألت عامر العقاد عند صدور كتابه ذاك : لماذا أصدره ؟ ! فقال : **اردت أن انفي غير الصحيح مما كتب أصدقاء العقاد في هذه الأمور الدقيقة** ! ..

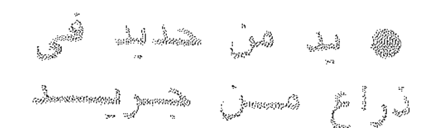
كأنما ظن عامر ـ رحمه الله ـ في لهفته على توضيح تاريخ عمه العظيم أن الناس لن يصدقوا ما قرأوا عن غرامياته إلا إذا أكدها عامر بنفسه وقال لهم إنه رأى هذه الغراميات بعينيه ، وسمعها اوسمع عنها بأذنيه ، وعرف أسماء بطلاتها الحقيقية غير المستعارة ، ولمس وثائقها الخطية والمادية باصابع يديه ! .. عندئذ لايبقى في نفس احد ادنى ريب في ان العقاد هو صاحب تلك الغراميات المشهورة في الكتب والصحف وشاشة التليفزيون !

إلا أن عامرا ـ رحمه الله ـ ادرك وهو يقلب في صفحات غراميات عمه أنها صفحات قليلة ، بسيطة ، بل ساذجة لا تستحق ان يؤلف المؤلفون عنها كل هذه الأكداس وكأنها من كبريات قضايا عصر العقاد ، ومن مقومات ادب العقاد وفكره وشعره ونثره ! .

لكن عامراً اراد أن يثير اهتمام الجيل الجديد الذي لايمكن ان يهتم بسذاجات العقاد في الحب ، فاضاف الى غراميات عمه ما تفتقر اليه من غرابة وحرارة ،

فروى فى كتابه ان العقاد كان يخلط بين قسوته فى مقالاته على أعدائه السياسيين وبين طلبه الشفقة والرحمة من حبيباته ، فيخوض فى وقت واحد معركة القسوة السياسية ، ومعركة طلب الرحمة الغرامية !

وقد اثارت هذه الحكاية انيس منصور فحمل فى إحدى مقالاته على صديقه عامر ونعى عليه انه قد ظلم عمه ظلم ذوى القربى الذى هو أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند .. كما قال الشاعر القديم ..





مى زيادة حب مشترك للادب

وقال أنيس إن العقاد لو كان فى العشق والسياسة على ماوصفه ابن اخيه لما كان إلا مريضا عاديا من المرضى الذين يتلذذون بتعذيب انفسهم وتعذيب غيرهم ، ولكان مكانه الصحيح طوال حياته هو مستشفى الأمراض النفسية أو العقلية ، لاقمة الحياة الأدبية ! ..

ويؤكد انيس ان اقصى ما كان يذهب اليه العقاد هو اللعب او التلاعب بعواطف من يحب ، وإن لم يكن العقاد لعوبا فى الحب أو فى غير الحب ! ..

ومهما يكن من شيء فإن العقاد كان فى الموقف الأضعف بالنسبة لمن احبهن .. ابتداءً بالآنسة مى ، وانتهاءً بالثلاث الأخريات اللاتى ذكرهن عامر العقاد فى كتبه ، إلى غيرهن من المجهولات والمتواضعات اللاتى سمعنا عنهن ورأينا بعضهن .. وهذا ماجعل العقاد دائما مفتقرا إلى عطفهن ، بالرغم مما كانت تصوره له كبرياؤه من انه قابض بيد من حديد على زمام كل منهن ، جالس اليهن جميعا فى مركز القوة الذى لا يتزعزع

غير أن العقاد العاشق كانت له ـ على حد تعبير سياسى من أشهر تعبيراته ـ «يد من حديد فى ذراع من جريد» .. وكان جمعه بين الحديد والجريد فى يده وذراعه يُورده موارد الفشل والحسرة فى كثير من الأحيان ، فهجرته «إليس» الشقراء التى سماها «سارة» الى كثير من الرجال المختلفى الطبائع والاشكال .. ثم هجرته «السمراء» الفارعة القوام إلى مثل هؤلاء الرجال ، وصارحته بأنها لاتريده إلا واحدا من هؤلاء ، فلما أبى ذلك باعدها مكرها مهزوما ، ثم بكى من هجرانها الذى لم يترك له بصيصا من الأمل فى الوصال ، ولم يُعقب فى قلبه الا عقابيل كالجمر يتقلب عليها !

أما الآنسة مى ، فزعموا فى المسلسل التليفزيونى انها بادلته الحب ، بل بادأته الحب ، وقد علم الله ان هذه الآنسة لم يكن



بينها وبين العقاد إلا الحب المشترك للادب ، وأنها لو فتحت باب الحب لرواد صالونها الأدبى ، لدخل منه عشرات الأدباء وغير الادباء من كبراء زمانها المفتونين بها ..

لقد أحب العقاد «الآنسة مى» حبا شفويا فى صالونها الادبى المزدحم بالمعجبين والعاشقين وعلى رأسهم المجنون بها مصطفى صادق الرافعى الذى ردت على جنون حبه بالتفكير فى تقديم بلاغ الى «النيابة» تشكوه فيه .. ولو كتب العقاد عن حبه لها معشار ما كتبه الرافعى لساقته ايضا إلى النيابة العمومية بتهمة السب والقذف العلنى ! ..

إن حبائب العقاد كن محترفات حب ، على اختلافهن فى اساليب الاحتراف ، ولو تتبعنا واحدة منهن فقط لرأينا لها فى عشرين أو ثلاثين عاما بعد هجرها للعقاد ثلاثين قصة حب وزواج فى مصر وخارج مصر !

وهؤلاء الحبائب المتنقلات حيث شئن من الهوى ، أرغمن العقاد على طلب العطف والحنان من المرأة ، بعد الاكتواء بنيران الغيرة والشك ومحاولات التسامى الرومانتيكى الساذج الذى يلطمه الواقع بعنف وقسوة !

لقد جرت المقادير على العقاد بذلك النوع البدائى القاسى من الحب ، مرة بعد مرة ، فى عصر الحجاب والنقاب ، والرومانسية ، والحبيبات البائعات اللاتى كن فئة فى المجتمع قائمة بذاتها .

ومن هذا النوع الأخير عرف العقاد نساءً كثيرات ، وله مع بعضهن «مغامرات» لم يسلم من عواقبها القانونية والاجتماعية الخطيرة الا بحسن الحظ احيانا ، وبصعوبة وتضحية أحيانا أخرى ، وكان اساسها دائما قلة تجربته وعجزه عن فهم الفرق بين حبيبات القصائد الشعرية ، وحبيبات السويعات العابرة !

وليس من هؤلاء بعض الاديبات اللاتى كن يجتمعن حوله اجتماع الفراشات حول المصباح الوهاج ، فهؤلاء طبقة من حبائب الندوات والمجالس يذكرهن العقاد ساعة ثم ينساهن .

وليس منهن بعض الاوربيات اللاتى عرفهن معرفة عابرة جدا عن طريق صديقه الشاعر الفنان عبد الرحمن صدقى وبخاصة عندما كان سكرتيرا او مديرا لدار الأوبرا ..

وليس منهن تلك الأديبة التى تكتب القصص والروايات ، على كثرة ما يتناقله عنها وعنه الرواة !! ولا المطربة التى نظم لها بعض الأغانى .. وليته مانظم لها ولاغنت له !

أما «زوجته» التى كانت تعمل بالتمريض ـ او مايشبه هذا العمل ـ فقد تواترت الروايات عنها ، فلا شك فيها وإن لم يتزوجها بعقد رسمى ..

● عنفوان ابوى نادر

روى لى قريبه المرحوم الصحفى الأستاذ سيد العقاد ، وكنت عرفته عندما

كنت انشر مقالات فى جريدة المساء فى اوائل الستينيات ، أن العقاد احب تلك السيدة نوعا من الحب ، وأوجب على نفسه نفقتها ، ثم فوجىء بأنها حملت منه فلم يطلب منها اجهاض الحمل ، حتى ولدت بنتا جاءت صورة وجهها كصورة وجه العقاد تماما مع شىء من جمال انثوى ، وقد نشرت الصحف صورة هذه الفتاة بعد وفاته .

وتعهد العقاد البنت وامها بالنفقة والرعاية ، وكان من فرط شعوره بالحنان الابوى نحو بنته هذه ، يغسل ملابسها بيديه ، فلا يترك حتى ملابسها الداخلية ، وهى يومئذ طفلة تتسخ ملابسها بسرعة وتتلوث بالقاذورات .. فكان العقاد يغسل هذه القاذورات بيديه ، ثم «ينشر الغسيل» بيديه ايضا على الحبال فى شرفة الشقة التى تسكنها بنته وأمها ومعهما شخص اضطر العقاد أن يكتب باسمه شهادة ميلاد هذه البنت ، فكان فى عمله هذا ناقص الشجاعة ، لايمكن التماس عذر له فى إنكاره ابنته وإضافة اسمها الى اسم شخص غريب .

ولكن العقاد فعل ذلك ولا يعلم سره احد ، غير انه كتب وصية للفتاة ، مزقها الاخرون ، وطردوها حين جاءت اليهم تبكى وفاته .. ثم دفعها اليأس الى الانتحار

روى لى المرحوم سيد العقاد هذه القصة ، مقسما على صحة كل حرف فيها ، وكان وثيق الصلة بالعقاد ، مطلعا على اسراره .. وكم كنت اود لو كان المرحوم سيد العقاد حيا الآن ، إذن لأدلى بشهادته بالتفاصيل الكثيرة التى لا اتذكرها .

وقال لى سيد العقاد ـ رحمه الله ـ إنه يقال إن للعقاد ابنا من إحدى حبائبه هاجر من مصر إلى بلاد الخليج . وهو شديد الشبه بالعقاد كأخته غير الشقيقة التى ذكرناها . ولا يعلم إلا الله حقيقة هذا الذى قيل ..

ولا اتعدى فى قصة هذا الابن ، هذه الكلمات وان كان عندى الكثير غيرها ، لأن سيد العقاد ـ مع شديد الأسف ـ لم يعد موجودا بيننا . وتقتضى الأمانة ان نقف عند هذه الحدود .. ويرحم الله العقاد لقد عذبه ابناؤه ايضا ، وأرغمته الدنيا على ان ينكرهم ، إن صحت رواية المرحوم سيد العقاد ، التى نعرضها ولا نقول فى صاحبها إلا خيرا . ولا نجد مصداقا لها إلا أن نؤكد ان هذا ما سمعناه منه حرفيا . ولعل فى الاحياء من قدامى أصدقاء العقاد وخلطائه من يشهد بذلك ، وفيهم من لا يستحمل الكذب ووضع الأخبار ، وفى مقدمتهم الأستاذ محمد خليفة التونسى نزيل الخليج الآن ..

على أننا فى كل الأحوال نكن للأديب الكبير الراحل ، كل احترام وتقدير ، ولا نقصد إلا إلقاء الضوء على جوانب من حياته ـ رحمه الله ـ كما جرت العادة عند الكتابة عن أمثاله من عظماء الرجال ..

● حب نافس

ثم لابد لنا أن نعود إلى حكايته مع الآنسة مى ..

فلا عجب أن تكون له حكاية تدور حول اسم هذه الانسة الأديبة الشهيرة ، فإن جميع قصص الحب المأثورة عن أدباء عصرها ـ إلى أواخر العشرينيات ـ تبدأ دائما بقصة هذا الأديب أو ذاك معها هى



بالذات ، لأن عصرها كان خاليا من آديبه بَرْزَةٍ جميلة إلا منها !

أما رسائل العقاد إلى مى ، فليس فيها سطر واحد يثبت أن حبا كان متبادلا بينهما ، أو كان بينهما شروع فى حب ، أو تفكير فى حب ، إلا ماتدل عليه بعض السطور من الحب اليائس الذى حمله العقاد من طرف واحد ، كما حمل مثله الرافعى واسماعيل صبرى باشا وولى الدين يكن وغيرهم .

إن العقاد لم يفز من مى ولا بإشارة واحدة تقول له ولو من بعيد جدا إنها فهمت أنه يحبها ، مع أنها بطبيعة الحال كانت تفهم ذلك كل الفهم ..

وعزاء العقاد فى ذلك أن جميع من أحبوا تلك الآنسة العنيدة التى بلغ عنادها حد الشذوذ ، ثم حد الجنون ، قد رجعوا من حبهم يجرون أذيال الخيبة والخذلان !..

لقد كانت غراميات العقاد ومغامراته الساذجة التى يقوم بمثلها كل رجل عزب مثله ، زاده الوحيد فى تطلعاته الرومانتيكية المحرومة ..

وحين تزوج ، لم يتزوج عن حب ، ولم يعترف بثمرة الزواج ، مع أن ثمرته ملأت قلبه وأحرقته خوفا عليها وقلقا على مستقبلها .

ولا أحد من العارفين بفن الشعر يقول بأن غراميات العقاد ألهمته أحسن الشعر ولا أحسن القصص ، ولكنها على أية حال فتحت له بابا إلى الإلهام ، فقد كان يستشفى من داء الحب بداء الشعر والكتابة .. كقول المتنبى .

قد استشفيت من داء بداء
وأقتل ماأعلك ماشفاكا

وبين المتنبى والعقاد مشابه فى هذا الباب ، فقد كان المتنبى يوصف بأنه رجل "عزهاة" أى ليس بصاحب غزل وصحبة للنساء ، لانشغاله بأحلامه فى المجد والعظمة ، وكذلك كان العقاد ، فهو "عزهاة" كالمتنبى ، ولم تكن مغامراته هذه إلا على هامش حياته ، ولم تستغرق من عمره الذى بلغ خمسة وسبعين عاما ، إلا مدة يسيرة متقطعة الأيام والساعات بين السنين والشهور فلو أنصفه من كتبوا عن غرامياته لبينوا للناس هذه الحقيقة ، ليعرفوا أن المرأة دخلت حياة العقاد كما تدخل المرأة حياة كل رجل ، ولكنها لم تقتطع من حياته إلا هنيهات ، سعد ببعضها ، وشقى ببعضها الآخر ، ولكنه فى النهاية كان يعود إلى طبيعته كرجل عزهاة بين أمثاله من الرجال العزاهى الذين يطربون للجد والمجد أكثر مما يطربون للغزل واللهو ومحاورة النساء وانفاق العمر الطويل بين أيديهن ..

وقد اعانته طريقة حياته أو أرغمته على أن يأخذ من النساء نصيبا قليلا ، بل ضئيلا ، ولا يدرى أحد أى نصيب كان العقاد يأخذه من النساء لو لم يتحكم فيه ضيق ذات يده ، ثم ضيق ذات العصر الذى عاش فيه ثم إخلاصه الشديد لمجد الأدب والفكر !..



العقاد : جزء خاص

شيوخ الأزهر في مرآة العقاد

بقلم : د. محمد رجب البيومى

ذكر الأستاذ أحمد حسن الزيات فى مقاله (الأزهر حصن اللغة العربية) أن الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد قد تربى على كتب الأزهر ، وهذا حق لا مرية فيه ، لأن كتب العقاد الإسلامية تدل على ثقافة عريقة كان الأزهر أحد روافدها الدافقة بكتبه المتنوعة الشاملة لقضايا الفكر الاسلامى تفسيراً وحديثا وتشريعا وأصولاً ، ودع عنك علوم اللسان بنحوها وصرفها وبلاغتها ولغتها ، فتلك ظلال وارفة تفيأها المفكر الكبير ، ونضجت ثمارها اليانعة فى دوحة فكره ، فإذا تحدث العقاد عن الأزهر وعن شيوخه ، فقد أتى الأمر من بابه ، إذ يعرف عن يقين الدور الخطير الذى قام به الأزهر على مسرح الحياة الاسلامية فى مدى يزيد على ألف عام .



والحديث عن الأزهر من قلم العقاد لابد أن يضيف الجديد الطريف لقارئه ، إذ أن خاصية العقاد الأولى فى نتاجه الفكرى أنه يسلط مجهره الدقيق على زوايا خافية تبدو جديدة غضة مهما كان الموضوع قديماً متداولا ، لأن المفكر الكبير يخترق السطح القريب إلى الغور البعيد ، وقد يجد من يخالفه فى بعض نتائجه ، ولكن هذا المخالف لا ينكر عمق النظر ، وسعة الأفق ، ودقة الاحتياط فيما يرفده به العقاد الكبير من هبات ، لقد كتب الكاتبون مئات الكتب عن محمد رسول الله ، والقليل مما كتب قد يغنى عن الكثير ، ولكن دارس السيرة المطهرة لايجد فى هذا التراث الزاخر مايغنى عما كتبه العقاد فى عبقرية محمد ، لتفرده بضرب من النظر لا يشتبه بسواه ، وهكذا العقاد .

● دفاع شريف عن الأزهر

تحدث العقاد عن الأزهر وعن شيوخه فى مناسبات شتى ، ودافع عن ثقافة الأزهر دفاعاً منطقيا سديدا تسنده الحجة البالغة حين تحرش به من فتنوا بثقافة أوربا وحدها ، وطالبوا أن تكون البديل المحتوم عما نتداول من تراث ، فإذا دافع الأزهريون عن علومهم وصموا بالجمود والتأخر ، ورموا بجهل ماخفى عنهم من أشعة تتألق فى كتب الغرب ، فلابد أن نكتب من الشمال إلى اليمين لنساير ركب الحضارة ، ولابد أن تنتقل إلينا مناهج أوربا بخيرها وشرها ، أجل بشرها المؤكد ، لأنه على خطره أهون من كل خير نظنه فى الكتب الصفراء ، وتسمَّع العقاد لما يقال ، فجهر بما يعتقد من صلاح الجامعة الأزهرية ، وخطر رسالتها العريقة ، فذكر أنها "معهد" يراد به البقاء لأنها مرجع العلوم الدينية والثقافة العربية ، **وهى على هذا أقدم جامعة فى العالم بأسره فالأِمة التى تملكها قمينة أن تحافظ عليها ، وتستديم بقاءها وازدهارها ، ومن أول أسباب البقاء أن يتجدد التوفيق بينها وبين مطالب الزمن بغيرانقطاع ،**

يقول الأستاذ العقاد . إن الموضوع الذى تتعين دراسته فى الجامع الأزهر ، ولا يعقل أن يستوفيه طلاب جامعة من جامعات الدنيا غير الجامعة الأزهرية هو موضوع المدارس الفكرية الاسلامية التى أنشأها المتكلمون والمعتزلة وأئمة التصوف والحكمة فى المشرق والمغرب من الصدر الأول إلى أواخر الدولة الفاطمية ، فإن هذا المحصول الهائل من التفكير الإنسانى أمانة لابد لها من حفيظ بين أمم الحضارة الإنسانية ، فمن عساه يكون أولى بحفظ هذه الأمانة من معاهد الأزهر وعلمائه ، ومن أين لهذه المذاهب ، وهذه الدراسات من يفهمها ويصبر على تمحيصها واستخلاص زبدتها فى غير مصر والبلاد العربية ، إن المستشرقين لا يفهمونها ولا يؤتمنون عليها ، ولا أعرف فيما اطلعت عليه من كتبهم كتاباً يدل على حسن فهم وحسن إنصاف مجتمعين ، وليس من المروءة أن نكل إلى غيرنا مانحن أحق به من واجباتنا وأعمالنا ، وليس فى

غير المعاهد الأزهرية مكان لاستيفاء هذه الواجبات والأعمال ، ثم مضى يتحدث عما يجب أن يدرس فى كليات الشريعة الاسلامية وأصول الدين واللغة حديث الدارس المتعمق الذى يقدر رسالة الأزهر فى المحافظة على التراث ، والتوثب للجديد معا ، لأن أبواب البحث فى الدين الإسلامى تستغرق السنوات بعد السنوات إذا لوحظ فيها أن تحيط بجوانب الفقه والتشريع والتاريخ والتطبيق ، على المذاهب الاجتماعية التى تتمخض عنها أطوار الأمم جيلاً بعد جيل ، ومن القصور أن يفوت العالم المسلم تحصيل هذه المعلومات ، كما أن مايصدق على كلية الدين يصدق على كلية اللغة العربية ، لأن تعلم النحو والصرف والبلاغة لا يجدى بغير تعلم الأدب وفروعه ، وتعلم الأدب وفروعه فى لغة واحدة لا يتم ثقافة الأديب المتخصص مع الاتساع فى آفاق الكتابة والتنوع فى قواعد النقد ومناهج التعبير .

● الشيوخ السابقون

هذا بعض ماقاله العقاد فى دفاعه عن رسالة الجامعة الأزهرية ، وهو قول يزن الأشياء بميزانها الصحيح ، ويسلط الضوء الكاشف حين تتكاثف الظلمات على وجوه الحقائق ، ثم هو وليد نظر بعيد فى ثقافة الأزهر ، ومراجعة واعية فاحصة ، لتاريخ علمائه وشيوخه ، هؤلاء الذين درس الكاتب آثارهم القريبة والبعيدة فى مظانها المعتمدة ، وعرف من مواقفهم الصحيحة ما نجا على يده من ضباب الزيف ، وغشاوة الادعاء ، وإذا كان العقاد قد عاصر نفراً من شيوخ الأزهر الذين بلغوا الإمامة الكبرى حين تسنّموا مشيخة الجامع العريق ، وكتب عنهم



الشيخ محمد عبده
مصلح وفيلسوف

بعض ماسنشير إليه فى هذا المقال ، فإنه قد امتد بنظره الثاقب إلى أسلافهم السابقين ممن تقدموا زمن العقاد ، فدرس الإصلاح الأزهرى المعاصر فى حلقاته المتصلة منذ بدأت أشعة النور تهدى الناس إلى الطريق القويم ، متتبعاً هذه الأشعة فى بصيصها المبكر ، **وفى كتبه أحاديث مختلفة عن أعلام كبار شيوخ الجامع الأزهر أمثال عبد الله الشرقاوى وحسن العطار ومحمد المهدى العباسى ومحمد الإمبابى** ، إذ أنه فى دراساته المتعددة للثقافة الاسلامية ، وللحركات التحررية بمصر ، لابد أن يسلط فكره على الجهود الجهيرة لهؤلاء الشيوخ ، فإذا كان عبد الله الشرقاوى قد قاد الشعب فى ثورة دستورية تطالب بحقه من أمراء المماليك حين اعتسفوا فى جباية الضرائب ، ومصادرة الأموال فأمر بالإضراب العام وواجه مراد بك وإبراهيم بك بما لم يسمعاه من قبل ، حتى أذعنا لأمر الشرع فى تحقيق العدالة ووقعا الحجة الشرعية التى تلزم امراء المماليك



بطاعة القوانين ، وفرض الضرائب المعتدلة وفق التقدير العادل ، إذا كان عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر قد ألزم الحكام بهذه الحجة ، فإن الأستاذ العقاد يقول عنها فى إعجاب ، إنها لو كتبت فى بعض البلاد الأوربية لجاءنا خبرها مع كتب القوم فى علوم السياسة الحديثة بعنوان كبير مثل « حقوق الشعب » أو "الدستور الأكبر" وماإليهما ، ولكن علماء الأزهر حين دعوا أمراء العصر إلى توقيع ذلك العهد لم يحسبوا أنهم جاءوا إلى الناس بجديد غير التذكير بكتاب الله وسنة الرسول ، وهما ماهما فى بناء الإسلام .

فإذا انتقل العقاد إلى الحديث عن شيخ الأزهر حسن العطار فإنه ينقل من حواشيه العلمية ثورته على التعليم القاصر ، وتشوفه إلى دراسة علوم العصر الطبيعية والفلسفية ويقول عنه فى إعجاب إنه مثال العالم المتقف بثقافة العصر ، وقد شهد حملة نابليون ، وعاشر علماءها ، واستفاد من زيارة معاملها ، وتنقل فى العواصم المختلفة واجتهد لنفسه فى تحصيل المعارف الحديثة ، فدرس الطبيعة والفلك والهندسة وطرفاً من علم الميكانيكا وأدمن الاطلاع على كتب الأدب ونظم الشعر وكتابة الرسائل . فكان ممهداً للحركة الاصلاحية بالأزهر ، وإذا كان العقاد يميل إلى الإيجاز المحكم فى تناوله التاريخى فإنه بما أفصح به عن جهود سابقى عصره من أئمة الأزهر ، قد حفظ لكل شيخ دوره دون تفريط أو إفراط .

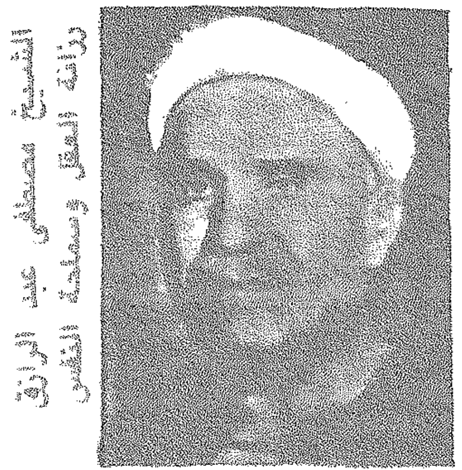
● الإمـام محمـد عبـده

لم يكن الأستاذ محمد عبده شيخاً للجامع الأزهر ، ولكن زعامته العلمية جعلته الشيخ الحقيقى للعلماء إذ جافاه المنصب الرسمى لظروف سياسية تحتسب للإمام ولا تحسب عليه ، وقد أتيح للعقاد أن يرى الشيخ وهو تلميذ صغير بمدرسة أسوان الابتدائية ، إذ زار فصول الدراسة ، وناقش التلميذ الناشىء وتنبأ له بمستقبل أدبى حرص العقاد على أن يزهو به متحدثاً وكاتباً ، وكانت شمائل الإمام الخلقية وزكانته العلمية مما بهر العقاد طيلة حياته ، فكتب عنه عدة مقالات تشرح منهجه الإصلاحى ثم خصه بكتاب رائع كان الأول فى سلسلة (أعلام العرب) وهى أولية فكرية أكثر منها أولية زمنية ، وحسبك أن يكون الكتاب عن محمد عبده وأن يكون كاتبه العقاد .

وضع العقاد صورة الإمام فى مكتبه ، فكانت فى ملتقى عينه حين يصعد بنظره إلى أعلى كاتباً ، أو مفكراً ، وكأنه يستلهمه جلاء مايتصارع فى رأسه فى معان ، وقد قال العقاد مصوراً انطباعه عن الرجل العظيم :

"رأيته مرات معدودة ، ورأيته مرات لا تحصى فى صوره الشمسية ، التى لا تلتبس احداها بملامح صورة أخرى ، فكانت النظرة الأولى كالنظرة الأخيرة إلى تلك الملامح فيما تنم عليه ونشير إليه ، قوة وطيبة متفقتان لا يبين لك أنهما تنازعتا يوماً أو تتنازعان ، فهو قوى لا ينازع طيبته نية من نياتها ، وهو طيب لا ينازع قوته دافع من دوافعها ، وهو أقرب الناس سمة


الشيخ المراغي
استحق لقب الأستاذ الإمام


الشيخ مصطفى عبد الرازق
رزانة العقل وسماحة النفس

بما يرتسم في أحلادنا من سمات النبوة ، وهي في طلعتها الانسانية بشر مثلنا ، وان لم تكن بشراً مثلها فيما تتلقى من وحي الله .

ثم إن الإمام في رأى العقاد مصلح يتصل إصلاحه بالتفكير كما يتصل بالعمل ، وهو فيلسوف حين تكون الفلسفة حكمة يروض بها الحكيم نفسه على المسلك الذى ينبغي له كما يراه والغاية التى يسعى إليها كما هداه الفكر إليها ، وهو فيلسوف حين تكون الفلسفة بحثاً عن سر الوجود ، ورأيا في كليات الحقائق ، يحيط بأجزائها ، ويستعان به على تفسير تلك الأجزاء

وللأستاذ تلاميذه الكبار الذين يؤمنون بالفكر والعقيدة ، ويحاولون أن يقوموا بما قام به الإمام من جهود اصلاحية فى كل وطن إسلامي ، ومن هؤلاء نفر من خيرة من تولوا مشيخة الأزهر مستضيئين بروح أستاذهم الكبير . وفي طليعتهم محمد مصطفى المراغي ومصطفى عبد الرازق ومحمد الخضر حسين وابراهيم حمروش ومحمود شلتوت ، وقد تحدث عنهم العقاد حديثا يضعهم الموضع الصحيح فى عالم الإصلاح الديني ، كما تحدث عن نفر من زملائهم بلغوا مرتبة النضج الفكرى دون أن يصعدوا إلى قمة الرئاسة الأزهرية ، ويطول المدى بالقلم إذا حاول أن يكتب عن أولئك وهؤلاء . فلنكتف الآن بمن تولوا مشيخة الأزهر الشريف

● محمد مصطفى المراغي

كان الإمام المراغي أسطع من تولوا مشيخة الأزهر في عهودها الأخيرة . إذ كان له من الجلالة والهيبة ما ليس لملك ، دعا إلى حياد مصر إبان الحرب العالمية الثانية وأعلن على منبر الأزهر أن مصر تعاني حربا لا ناقة لها فيها ولا جمل ، وثار اللورد كليرن مندوب بريطانيا وهدد رئيس الوزراء ، وطالب بأن يبدل الإمام رأيه ، فأصر المراغي وهدد بنوع آخر من تحريض المسلمين قاطبة ، فاستكان النمر الهائج !

يقول الأستاذ العقاد عن المراغي "إذا وجد بعد الشيخ محمد عبده من استحق لقب "الأستاذ الامام" فهو الشيخ محمد مصطفى المراغي احسن الله إليه ، كان من أعلام هذه المدرسة الحرة . وكانت له شجاعة الرأى فيما يخالف الرأى الشائع والعرف المصطلح عليه ، وكان من ذوى الحزم والاصالة في إدارة الجامع الأزهر يوم اشتجرت حوله منازع السياسة وتشعبت دسائس القصر ومراميه وكان



صفاً متقدما بين دعاة النهضة والتجديد .

وكعادة العقاد فى مناقشة من يعرض لهم من المفكرين ، قال عن الشيخ الأكبر إنه يتجه إلى المحافظة فى بعض الآراء ، منها رأى بعض المفسرين فى مفردات القرآن التى يقولون إنها فارسية أو أعجمية ، فإنه لم يكن يسيغ هذا الرأى ويرى خلافاً له أن كل ماتحدث به العرب فهو عربى ولا عبرة بوجوده فى لغة أخرى .

والحق أن المراغى يفطن إلى استعارة اللفظ العجمى من موطنه ، ولكنه يرى أن العربية حين تتخذه فى قاموسها تصقله صقلاً ينفى عنه الغربة ويجعله بطابعه الجديد عربياً غير ذى عوج .

قال الإمام المراغى فى بحث شاف نشره بجريدة الأهرام ١٩٣٦/٢/١٠ "واللغة العربية من اللغات المتصرفة ومن أغناها تصويراً وافتنانا ، وفيها القياس يجرى مطردا فى التصاريف على أرجح الآراء ، وهى واسعة الصدر للدخيل ما إن تراه حتى تخلع عليه ثوباً من ثيابها ، وترده إلى أوزانها ، وتتخذه ولداً من أولادها تعامله معاملتهم فتشتق منه وتتصرف فيه ، وبذلك حملت حكمة اليونان وآداب فارس ، وتصوف الهند واستطاعت أن تؤدى أمانة الوحى الآلهى ، على وجه الإعجاز وأن تؤدى حكمة الأنبياء وذوق الأولياء

وإذن فاللفظ العجمى الوارد فى كتاب الله قد صار عربيا بصقله الجديد ، وسياقه المطرد فى التعبير القرآنى ، وإن كان ذا أرومة قاصية تأتى به من بعيد .

وتعرض العقاد إلى موقف المراغى من اللغة العامية ، حيث يرى فى الاهتمام بها صرفاً عن اللغة العربية ، وتمكيناً للغة ليست ذات قواعد وأصول ، والإمام حريص على لغة القرآن فإذا اتجه هذا الاتجاه فله وجهة نظره الصائبة ، وبخاصة إذا كان كبار الدعاة للعامية من المبشرين وذوى الغرض من المستشرقين

● مصطفى عبد الرازق

تحدث العقاد عن مصطفى عبد الرازق كثيراً ، وأفرد له بحثاً طويلا مستقلا كشف فيه عن مزايا هذا المفكر السمح النبيل ، كما يراها العقاد ، ومصطفى عبد الرازق من سماحة النفس ، ورزانة العقل وسعة الأفق بحيث يضطر مخالفه العنيد إلى محبته ، وقد عرف العقاد معدنه الخلقى النفيس ، وأرجع مافى حياته من سلام غامر إلى ما سماه (كظم المواجد) وكظم المواجد ليست كلمة تقال وتترك ، ولكنها تمثل معركة نفسية تصطرع فيها العوامل المتقابلة فائرة بين مسارب الدم فى العروق حتى تتغلب ناحية الوئام . وتدفع بصاحبها إلى السلام ، **وأذكى ما اتجه له العقاد فى تحليله للرجل العظيم ، أنه طبق هذه الصفة النبيلة على إنتاجه العلمى ، حين رأى الشيخ الأكبر يتجه فى بحوثه الفكرية إلى اختيار النصوص دون أن يعقب عليها بالشىء الكثير ، فيظن القارىء المتعجل أن الأستاذ البحاثة ينقل نصوصاً وكفى !**

ولكنة في واقع أمره العلمي ، يطالع حشداً هائلا من النصوص في موضوع واحد ، ويخضع لعملية النقد العلمي فـي النفي والإثبـات والتـرجيـح والتجـريح ، ثم يختـار من هـذه النصوص ماتثبت صحته لديه ، وهو بذلك يكظم مواجده العلمية كما كظم مواجده الخلقية إذ لو شاء أن يتبجح بمحصـوله العلمي لأتى بـالنصـوص المنقودة وعلق عليها بما يبين خبثها الفكرى ، ولكنه رحم القارىء من عناء لا داعى له ، كما رحم أصحاب هذه النصوص من التعليق الضار باتجاههم الفكرى ، وتلك تضحية علمية وخلقية معاً .

يقول الأستاذ العقاد "ومن هنا كان القارىء لا يحس شخصية المؤلف ـ مصطفى عبد الرازق ـ مقحمـة بين السطور ، لأن المؤلف غلبت عليه خليقة الكظم والانطواء على السمت والوقار ، حتى سرت إلى عادات فكره ، كما سرت إلى عاداته الخاصة وعاداته الاجتماعية ، وأعانها على التمكن والثبوت أنها وافقت أنماط حياته كلها بعد ذلك ، لأنها أنماط تتوازن جميعاً ولا تندفع بصاحبها إلى ناحية دون ناحية ، فالرجل قد ثقف بثقافة الدين ، كما ثقف بثقافة الأدب والعلم الحديث وقد اشتغل بالتعليم كما اشتغل بالأعمال السياسية والإدارية ، وعاشر المصريين كما عاشر الأوربيين ، واعتدل مزاجه فلم يجنح إلى شطط أو إسراف ، فلا جرم كان تمالك النفس طبيعة فيه ، وكان إخفاء نفسه خصلة من خصال تفكيره وكتابته كما كان خصلة من خصال عمله ومعاملاته .

ويقول العقاد فى مقال آخر "ومن لاحظه فى لجنة من اللجان الأدبية بالمجمع لاحظ منه لباقة لطيفة فى إدارة المناقشة ، وتخليصها من العثرات ، وكأنما يسوق الحديث إلى حيث ينبغى أن يساق ، ويوحى برأيه قبل أن ينتهى البحث إليه .

هذا وللعقاد رثاء شعرى صادق فى مصطفى عبد الرازق قال فيه مخلصا :

بلغ المدى فى الدين والدنيا معا
وعلا من الأحساب ذروة شاهق

○ ابراهيم حمروش

الأستاذ ابراهيم حمروش فقيه لغوى مكين ، وهو متحدث دقيق الملاحظات فى الندوات العلمية الخاصة ، إذ كانت له عقب صلاة الجمعة ندوة أسبوعية فى منزله يؤمها زملاؤه وتلاميذه من نجباء الأزهريين ، ويدور الحديث بها حول دقائق فى علوم الأصول والتوحيد والمنطق ، وهى علـوم ذات غـوص عميق ، وتتطلب استعداداً خاصا فى الحوار والجدل ، وكان الشيخ حمروش قطب الحوار ، وموضع الترجيح فى معضلات الخلاف .

والأستاذ العقاد لم يشهد ندوات الشيخ فى منزله بحى الرفاعى ولكنه شهد مجالسه فى حلقات مجمع اللغة العربية وقال عنه فى صدق :

كان الشيخ حمروش بقية صالحة من بقايا المدرسة الإمامية التى استفادت من قدوة أستاذها الإمام محمد عبده فى العناية بعلوم اللغة والأدب والحكمة ، إلى جانب العناية بعلوم الفقه والشريعة ، وكان عجباً فى سرعة الشاهد من الشعر والنثر على خاطره وعلى لسانه ، وكنا نسمع منه الشواهد الحاضرة حين يستشهد بها فى موضعها ،

والملاحظة الدقيقة التى سجلها العقاد عن الشيخ حمروش انه كان



يتوسع فى الاستشهاد الشعرى بحيث لا يقتصر فيه على عهود الجاهلية وصدر الإسلام وعصر بنى أمية بل يتعداه إلى شعر بنى العباس من أمثال بشار وأبى نواس ، ولعله حينئذ يستأنس ولا يستدل ، وفرق بين الاثنين .

يقول الأستاذ العقاد "ولم يكن ـ الشيخ حمروش ـ من المتشددين ـ فى استناده إلى أقوال الشعراء والرواة ، فإنه كان على خلاف علماء اللغة الذين يقفون بالحجة عند أقوال المخضرمين ، إذ يتوسع فيستشهد أحيانا بأقوال العباسيين ، بل يستشهد أحياناً بأقوال المولدين والمتأخرين إذا درجت فى مدارج الاستعمال الشائع" .

وهذا حق ، لأن الأستاذ فى ندوته بمنزله كان يستشهد بأشعار للبارودى وشوقى وحافظ ، وقد حدثنى أستاذى الكبير الشيخ أحمد شفيع السيد رحمه الله أن الشيخ الأكبر كان يرى أن الاستشهاد البلاغى ممتد إلى حيث يوجد البلغاء فى كل عصر ، أما الاستشهاد اللغوى فله مداه ! ولكن العقاد فى مجالس المجمع ـ وهى لغوية أولا ـ ينقل عن الشيخ استشهاده بما بعد العصر الأموى ، فى المجال اللغوى ، أيكون قد بدا له الجديد من الرأى ؟

وقد ختم العقاد حديثه عنه بقوله إنه كان يعزز حجة النحوى ، بحجة الفقيه المنطيق ، وكثيراً ماكان يسأل عن مقابل الكلمة باللغات الأجنبية ليضعها فى موضعها من المعنى والتركيب ، ولا نذكر أنه حصر رأيه فى أفق ضيق من التقليد والتقييد ، ولكنه كان مثال العالم السلفى الذى يرعى حق القديم ، ولا ينسى فى غيرته عليه ، حق الجديد .

● محمد الخضر حسين

لم يخص العقاد الشيخ محمد الخضر حسين بموضوع مستقل ، ولكنه قرأ كتاب (الاسلام فى التاريخ الحديث) لمؤلفه الأستاذ ولفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال فوجده يعقد مقارنة بين الأستاذ محمد الخضر حسين والأستاذ محمد فريد وجدى فى اتجاهيهما الفكرى البارز فى آثارهما العلمية ، حيث يرى ولفريد كانتويل أن الأستاذ محمد الخضر حسين يعتبر الإسلام وحياً تاما قد نزل على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية ، فلا إضافة إليه ولا زيادة عليه ، ولا تحوير فيه ، وإنما الإيمان بالإسلام هو الذى يحتمل زيادة المعرفة أو النقص فيها ، أو يحتمل المراجعة من عصر إلى عصر لتفقد الآثار العصرية فيه" .

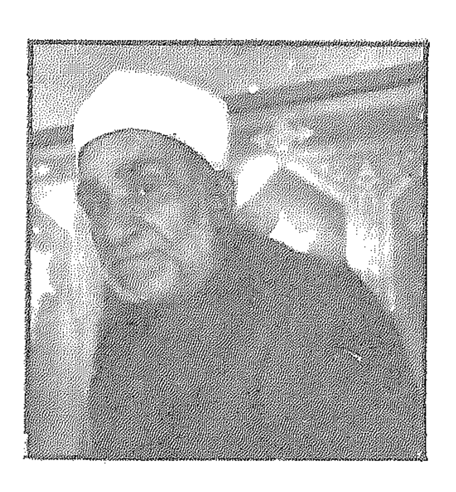
والعقاد يخالف المؤلف حيث يقرر رداً عليه أن الأستاذ الخضر حسين ليس كما يرى كانتويل من أنصار الحنين إلى الماضى ، بل هو من أنصار الدعوة التى لازمان لها لأنها صالحة لكل زمان ، ومهما تتجدد مذاهب المعرفة فالمسلم يسلم أمره إلى إرادة الله كما هدته معارفه إلى فهم تلك الإرادة الإلهية ، بالدرس أو بالإلهام"

وكلام العقاد تصحيح لخطأ صريح ، لأن الأستاذ الخضر لا يريد بدعوته إلى الحياة الإسلامية الصحيحة أن تكون صورة من حياة المدينة فى عهد الرسول فحسب ، بل يرى أن الذى أنزل الشريعة فى كتابه المبين قد جعلها صالحة للتطبيق العلمى فى كل عصر ، إذ تتسع لما يستجد من الفتوحات العلمية والحضارية لترجع بها إلى مقاييس قانونية محددة تراعى فيها قواعد الحرية والإخاء والمساواة وكان على المؤلف أن يراجع آثار الأستاذ الخضر قبل أن يحدد منحاه الإصلاحى على غير وجهه السديد .

● محمود شلتوت

كبرى مميزات الإمام الأكبر محمود شلتوت هى فهم الروح العامة للتشريع الاسلامى ، حيث درس أصول المذاهب الفقهية المختلفة دراسة من استوعب القواعد الجامعة ، والروح الشامل لأسرار التشريع ، وبذلك استطاع أن يوفق بينها فى مجال المقارنة توفيق من يعلم دقائق الأحكام ، ومنازع التأويل ، وقد قدر له أن يكون داعية التوفيق التشريعى فى عصر تتعدد فيه المنازع ، وتتشاجر به الأهواء فكان له من سعة الصدر وبعد النظر ماجعل صوته مستجاباً لدى المتنازعين ، يقبلون عليه فى غير حرج ، لأنهم يثقون فى دقة فهمه ، وسلامة استنباطه وخلوص نيته فيما يقول .

يقول الأستاذ العقاد عن شلتوت "لا جرم كان من بشائر الأمل أن ينهض بمشيخة الأزهر فى الزمن الذى تفتحت فيه الطرق بين البلاد الإسلامية بعد أن تحررت من الطغيان الأجنبى ، وبين هذا المعهد الذى لا معهد فى العالم

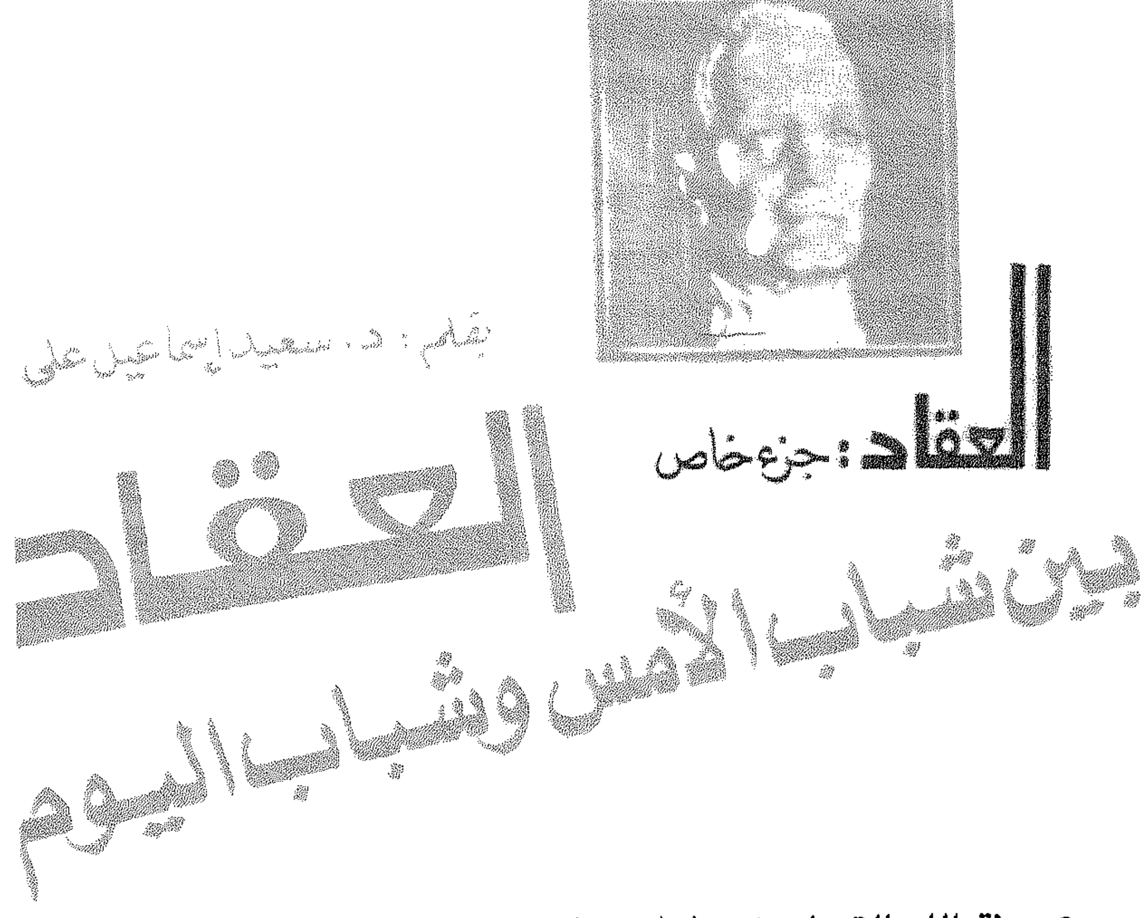


الشيخ محمود شلتوت
شجاعة صادقة

الإسلامى أولى منه بضم الشمل وتقريب مسافة الخلف بين المسلم والمسلم .

ومن عرف الإمام الفقيه عرف أنه تزود لهذه الرسالة بزاد غير علمه العربى وشجاعته الصادقة . وهو زاد القلب الطيب والسجية الكريمة تجمع الخصوم على الألفة والثقافة ، كما تجمع الأصحاب والأنصار ، ولعله بانطلاق فكره من قيود التقليد قد نفذ ببصيرته إلى أسرار البلاغة فى القرآن الكريم فكأن هذا النفاذ المستقيم إلى ينبوع الفرائض والأحكام قد ترفع عن حواجز الخلاف إلى الآفق الذى تزول فيه هذه الحواجز العارضة بين ذوى العقول وبين العدول ، وهى بطبيعتها ألصق بالارض من أن تصعد إلى آفاق الوحى السماوى" .

ذلك تلخيص لرسالة الشيخ ، أو لبعض رسالته لأنها اتسعت إلى ميادين آخرى يعرفها الذين درسوا تاريخ الأزهر بين القديم والجديد ، ولعل بحديثه عن رسالة الأزهر ومكانة شيوخه فى دنيا الإصلاح الدينى قد كتب صفحات صادقة من هذا التاريخ الرحيب .



● سنة الله التى لن تجد لها تبديلا ، هى ذلك التغير الدائم فى كل جانب من جوانب هذا الكون الذى نعيش فيه ، حتى أصبح من العبارات الشائعة القول بأن (دوام الحال من المحال) . ومن هنا فلابد ليومك أن يجىء - من بعض الوجوه - مختلفا عما كان عليه أمسك ، وليس لك إلا أن تتوقع كذلك ان يحمل غدك بعضا مما لم يكن قائما فى يومك أو أمسك ●

وإذا كان التغير « حركة » فإن للحركة اتجاهات ، اذ قد تكون الى يمين وقد تكون الى يسار (بالمعنى الجغرافى) ، كما قد تكون الى امام ، وقد تكون الى خلف . وكاتب هذه السطور ممن يؤمنون بان اتجاه حركة التغير فى مسارها التاريخى العام ، لابد أن يكون الى امام .. الى تقدم . صحيح انك قد تجد (وقوفا) فى لحظة من لحظات الزمان ، وقد تجد (تقهقرا) الى خلف ، لكن هذا وذاك لا ينفى القاعدة الرئيسية .

أنظر الى هذا المجرى العام للنهر الكبير ، فسوف تجده سائرا الى امام ، فإذا ما قام انسان ما باحاطة بقعة صغيرة من الماء بحاجز لتوقفت حركة السير فيها ، وإذا قام آخر بوسيلة ما بتحريك بعض ماء النهر الى خلف ، فإن هذا وذاك لايلغى الحركة العامة للنهر التى تكون الى أمام . ومن هنا فقد تجد هذا المجتمع أو ذاك قد

صار الى جمود ، أو ان هذا المجتمع او ذاك قد سار الى تقهقر وتخلف ، لكنك اذا ابصرت المسار التاريخى العام للمجتمع البشرى بغض النظر عن هذه البقعة او تلك ، وبغض النظر عن هذه اللحظة من الزمان او تلك ، فلن تخطىء عينك هذا القانون العام الذى هو قانون التطور والتقدم .

واذا كان بمقدور هذا الشخص أو ذاك أن يوقف (جزءا من النهر) اقصد هنا نهر الحياة البشرية الكلى ، فإن حركة التطور والتقدم العام ليس بمقدور احد أن يوقفها ، الا من كانت له القدرة على ايجاد مثلها ، وهو الامر الذى نؤمن اشد الايمان بأنه فعل مقصور على القدرة الالهية وحدها « ان يشا يذهبكم ويأت بخلق جديد » .

نقول كل هذا ونؤكده ، حتى لايقع فى وهم قارىء مقالنا اننا نريد به أن نؤكد انه ليس فى الامكان ابدع مما كان ، ذلك ان (حكاية) المقال تتجه الى تقديم آيات التقدير الى شباب الامس وتكاد ترفع العصى والكرابيج على شباب اليوم !

إننا نؤكد انها مسالة (ظروف) سيئة طاحنة تحيط بشباب اليوم ، وان تغيير هذه الظروف أمر ليس مستحيلا ، لكى ينزع شبابنا هذا الغطاء المتهرىء الذى يكسوه ، ويمزق تلك القيود التى تغل حركته الى امام . ليست المسالة (طبيعة) خاصة كان عليها شباب الأمس جعلتهم ينشطون ويجاهدون ويبنون ويعمرون ويبتكرون ، وليست (طبيعة) خاصة اصبح عليها شباب اليوم جعلتهم يتقاعسون ويتمردون من يمين أو من يسار (بالمعنى الفكرى) .. أنها (اوضاع) تسرى عليها هى نفسها سنة التغير ، اى قابليتها للمحو والاختفاء بكل ما يتعلق بها من تخريب لضحاياها من مواطنى هذا البلد الذين اصبح عليهم أن يواجهوا هذا (الزمن الردىء) .



اعضاء ترجمة دائرة المعارف الإسلامية عند تأسيسها عام ١٩٣٣



لكن ماهي الحكاية بالضبط ؟

في صيف عام ١٩٣٣ ، كانت دار الهلال تصدر مجلة باسم (كل شيء والدنيا) ، وقد تلقى رئيس تحريرها الاستاذ اميل زيدان الرسالة التالية من صاحب التوقيع :

حضرة الاستاذ الكبير/ أميل زيدان

بعد الاحترام ،

تعلمون أن هيئة من كبار المستشرقين تقوم منذ ربع قرن بتأليف دائرة معارف اسلامية كبيرة تجمع خلاصة بحوثهم في مختلف الشئون الاسلامية من تاريخ وأدب وفلسفة وتشريع ودين ... الخ ، وكتبت هذه الدائرة بأمهات اللغات الاوربية « الانجليزية ـ الفرنسية ـ الالمانية » .

ولقد تكونت اخيرا لجنة من متخرجي الجامعة المصرية لترجمة هذه الدائرة الكبرى واخراجها في اجزاء دورية . وبدأت هذه اللجنة عملها منذ شهر يناير عام ١٩٣٣ ، وسيظهر العدد الأول في شهر اكتوبر القادم ، لذلك يسر اللجنة كثيرا ان تعلم رأى عزتكم في أهمية نقل هذه الدائرة الى اللغة العربية ، فنرجو أن تتكرموا بموافاتنا برايكم السديد في هذا الموضوع .

وتفضلوا ......

سكرتير اللجنة : احمد الشنتناوى

واعطى اميل زيدان الخطاب الى عباس محمود العقاد الذى قرأه فأكبر هذا العمل خصوصا وهو يحتاج الى جهود علمية ومالية كبيرة لقد كانت المشكلة التى لمسها العقاد ان الجهود العلمية لهذا النفر من شباب المتخرجين اذا سهلت ما لهم من نشاط وكفاءة ، فكيف يستطيعون تذليل الصعوبات المالية في بلد مثل مصر لم تكن فيه جمعيات لمساعدة المترجمين والمؤلفين ، كما كان جمهور القراء في ذلك الوقت ليس من الكثرة التى تشجع على الترجمة والتاليف . ولم يكن هناك تشجيع واسع النطاق من جانب الحكومة ؟

قال العقاد هذا عن مجتمع (١٩٣٣) ، ولعمرى : ماذا كان يقول لو أنه عاش (١٩٨٧) ليلمس (درجة) أقبال القراء على مثل هذه الأعمال وتشجيع الدولة لاصحابها ؟ لعله كان سيردد قول القائل :

رب يوم بكيت منه
فلما انقضى بكيت عليه !

وعندما خالجت العقاد الأفكار السابقة ، تحفز الى زيارة اللجنة في مركزها الذى اتخذته لنفسها بشارع قصر النيل رقم ٣٣ ، وفى السادسة مساء ، كان امام هذا الرقم ، وقال قائل : " هم في غرفة رقم (٥) من هذه العمارة " واقتاده صاعدا حتى انتهيا الى هذه الغرفة ، فاذا بالعقاد امام اربعة من الشباب قد انعطفوا على منضدة يبحثون ويدرسون في ضوء مصباح كهربائى يعلو رءوسهم . وبعد أن سلم عليهم اخذوا يحدثونه عن مشروعهم ، ووجد من حماسهم ما سهل امامه كل صعوبة ، وما جعله يوقن ان هؤلاء الشبان الأربعة ، على قلة عددهم والصعوبات المالية التى تعترضهم ، لابد انهم سيصلون الى بغيتهم وسيحققون فكرتهم التى هى بالقطع فكرة حميدة تخدم أمتهم ، بل والأمة العربية كلها وسائر الشعوب الاسلامية ، خدمة تتناسب وسمعة الجامعة المصرية التى انبتتهم والتى هيأتهم ليقوموا بواجبهم من نشر الثقافة وتغذية حركة

النهضة الفكرية التى كانت مصر تشهدها فى ذلك الحين بمواهبهم وجهودهم .

وكان مما جعلهم يشعرون بمقدار ما عليهم من واجب ، انهم من متخرجى كلية الآداب ، وانهم بهذه الصفة مكلفون ان يرفعوا من سمعة الجامعة عامة بما يقدمونه من خدمات للثقافة الحديثة ، وقد رأوا أن المستشرقين قاموا بخدمات للغة العربية والحضارة الاسلامية فى نواح كثيرة ، واخذ بعضهم منذ ربع قرن يؤلف دائرة معارف لهذه الحضارة ، فاختاروا أن تكون باكورة خدماتهم ان يقوموا بترجمة هذه الدائرة .

وبعد ذلك ، اجتمع الاساتذة : احمد الشنتناوى ومحمد ثابت وابراهيم زكى خورشيد وعبد الحميد يونس ، وهم الشبان الاربعة الذين كانوا يؤلفون هذه اللجنة ، وتوالت اجتماعاتهم عدة مرات ، وقامت فى بادىء الأمر امامهم بعض الصعوبات ، منها شراء الدائرة باللغتين الانجليزية والفرنسية على الأقل ، وكان ثمن النسخة الواحدة الانجليزية او الفرنسية فى ذلك الوقت خمسة وعشرين جنيها وهو مبلغ ، بمقاييس ذلك الزمن كبير للغاية ، فماذا فعلوا ؟

خاطبوا الأمير عمر طوسون فى الموضوع ، وبعد مناقشة ، اقتنع بأن هؤلاء الشبان قد صحت عزيمتهم على القيام بهذا العمل الجليل ، وفى ضوء هذا الاقتناع ، اهدى اليهم النسختين الانجليزية والفرنسية اللتين كانتا عنده .

وبغض النظر عن الموقع الطبقى لعمر طوسون ، وبغض النظر عما يمكن قوله بانه كان جزءا من رأسمالية تقوم على الاستغلال ، وبان ما كانت تتمتع به من ثروة ، لم تكن لها ، فإن لنا أن نقارن بين سلوكه وسلوك اترابه من رأسماليّ اليوم ، وهم ايضا يمارسون الاستغلال الراسمالى ويحصلون على اجزاء ضخمة من ثرواتهم بغير طريق الانتاج وانما عن طريق العمولات غير المشروعة والنهب او السرقة والمضاربات احيانا على قوت الناس وحياتهم ، فعمر طوسون كان مثقفا يقتنى ويقرأ دوائر المعارف وغيرها من امهات المصادر ، ويمارس الكتابة والبحث والتاليف ، ويقف مساندا للجهود العملية للشباب ، فمن من اغنياء اليوم يفعل ذلك ؟

وبدأ شبابنا الأربعة يعملون من اول يناير (فيشا) لهذه الدائرة ، واخذوا يستعينون بإرشادات بعض الاساتذة والفنيين حتى تمكنوا من ان يعملوا للجزئين الأول والثانى سبعة عشر الف (فيش) ، وقدروا للجزء الثالث ثمانية آلاف (فيش) فيكون مجموع (الفيش) خمسة وعشرين الفا ، ثم شرعوا ابتداء من اول مايو يترجمون واعتزموا ان يصدروا هذه الترجمة فى اجزاء دورية يظهر كل شهرين جزء ، وقد ساهم كل منهم فى طبع الجزء الأول من هذه الترجمة بعشرة جنيهات ، وجعلوا اشتراك الجزء الواحد ثمانية قروش . وعندما انتهوا من ترجمة الجزء الأول ارسلوا بروفاته الى الامير عمر طوسون ، فاطلع عليه واعجب به ، ونقدهم مبلغا من المال اعانة لهم على المضى قدما فى هذا المشروع الجليل .

وبعد أن ينتهى العقاد من روايته هذه عن جهد مجموعة من شباب الجامعة فى أوائل الثلاثينيات يعقب على ذلك ويقول :

« ولاشك أن نشاط الشباب وحماسه واقدامه سيتغلب على كل صعوبة وسيصل بهم الى الفوز والنجاح مهما طال الزمن ، وسيسجلون لأنفسهم بذلك خدمة جليلة للنهضة العربية يذكرها لهم المثقفون بالثناء والأعجاب ما رجونا من الغرب مساعدة ولا راينا فيه خيرا ، وما من مصرى لابس الالمان أو الفرنسيين أو غير هؤلاء وهؤلاء لم يعرف اهل الغرب على حقيقتهم ولم يستشف ما وراء تصنعهم من رأى فى



الشرق لا يتغير وعنجهية غريبة تنطوى على كل الوان المطامع والتعصب والاستهتار » .

واذا كان هذا هو رأى العقاد فى شباب الأمس كما قرأنا فى العدد / ٤٠٥ من مجلة (كل شىء والدنيا) الصادر فى الأربعاء ٩ اغسطس عام ١٩٣٣ ، فماذا يمكن أن نقول نحن فى شبابنا اليوم ومدى ما يبذله من جهد على الطريق الحضارى ؟

نحن لن نذهب بعيدا ، فمن حسن الحظ ان زميلنا الدكتور محمد وجيه الصاوى بتربية الأزهر معنى بجمع تراث العقاد فى الصحف والمجلات القديمة ولم يسبق نشره ، فلما اعطانا المقال الذى اشرنا اليه ، وجدنا ملحقا به (تعليق) لاحد طلاب السنة النهائية بنفس الكلية ضمن مشروع زميلنا حيث كان قد طلب ذلك من مجموعة من طلابه ، ويجىء فى التعليق :

« .. فعندما كتبت هذا الموضوع وقرأته شعرت فعلا من العزم والعزيمة والمصابرة (هكذا فى الاصل) من الطلاب الاربع الذين يحاولون ترجمه الدائره من المعارف الاسلامية المكتوبة باللغة الانجليزيه والفرنسيه والالمانيه وهذه الدائرة من المعارف لايستفيدوا (هكذا بالاصل) بها بلد تتكلم العربيه كمصر فأرادوا (إ) هؤلاء الطلاب بترجمه هذه الدائره الى العربية ونشرها فى اجزاء دوريه اى كل شهر ولكن تواجه هؤلاء الطلاب والمجاهدين فى نشر الثقافة لبلدهم عده صعوبات حاولوا التغلب عليها بتفكيرهم »

وعلى هذا النحو تسير سطور التعليق ، ودائما التاء المربوطة بلا نقط !

بطبيعة الحال ، فإن الاخطاء اللغوية بالنسبة لمتخرجى الجامعات اليوم ، قد اصبحت مشهورة الى الدرجة التى جعلتنا (نتعود) عليها ، والى الدرجة التى تجعلنا ربما (نمل) الحديث عنها والاشارة اليها ، فما الذى يستوقفنا اذن فى حالة اليوم ؟ الذى يستوقفنا انها خاصة بمتخرجى (الازهر) ، وعندما نقول الازهر ، تقفز الى اذهاننا على الفور وظيفته الاساسية فى الحفاظ على (الثقافة الاسلامية) ، هذه الثقافة التى يتعذر الوعى بها وتطويرها بدون وسيلة التعبير عنها وهى اللغة العربية ، وعندما نجد ان (المعقل) الرئيسى هذا حاله ، فبماذا يمكن للانسان ان يعلق على هذا ؟

ومن ناحية اخرى ، فهؤلاء الطلاب ليسوا مجرد طلاب ازهر وانما هم الذين سيتولون مهمة (تعليم) و (تربية) اجيالنا الجديدة ، وهو الأمر الأخطر ، والأدهى والأمر ، فأى مستقبل اذن ينتظره حقا ابناؤنا وبناتنا على يد هؤلاء (المربين) .

ومن الغريب انك فى الوقت الذى كنت تلمس فيه حرصا شديدا من شباب الامس على اتقان لغة اجنبية تمكنهم من أن يعبوا بقدر ما يستطيعون من ثقافة الغرب حيث كانت هى المصدر الرئيسى لحركة الانتاج الحضارى فى العصر الحديث ، كان هؤلاء فى الآن نفسه لايتوقفون عن التزود باساليب الثقافة العربية الى درجة الاتقان ، ومن هنا فقد برعوا فى الترجمة الى حد كبير لان الترجمة لاتعنى مجرد اتقان لغة اجنبية ، بل من الضرورى اتقان اللغة التى ستترجم اليها ، اذ لكل لغة (منطقها) و (سيكلوجيتها) و (اجتماعيتها) ، وكان القارىء للعمل المترجم - من اجل هذا -

لايشعر بصعوبة فهم أو استيعاب ، وكان الكتاب (مؤلف) وليس مترجما .

وكم كان الأمر يبعث على التقدير والاعجاب أن تجد بعض متخرجي الجامعات وهم مازالوا طلاب بعثة يترجمون اعمالا كبيرة وخطيرة ، مثلما فعل (محمود الخضيرى) فى ترجمته لكتاب ديكارت الخطير (مقال فى المنهج) ، ومثلما فعل (محمد عبد الهادى ابو ريدة) فى كتاب (ادم ميتز) الضخم عن (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) . ولم تكن روعة هذه المترجمات تكمن فقط فى سلاسة عباراتها وسلامة لغتها ودقة تعبيرها عن الأفكار الاجنبية التى تترجمها ، بل أن هؤلاء (الشباب) من المترجمين لم يقفوا امام النصوص مجرد رواة ونقلة ، وانما اضافوا وعلقوا وناقشوا وفندوا .

ونعود الى التساؤل عما فعله شباب جامعاتنا اليوم من جهود كهذه ؟

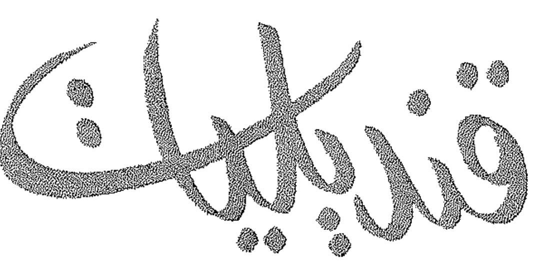
ومرة اخرى ، لسنا ممن يريدون القول بأن « ليس فى الأمكان ابدع مما كان » كما شرحنا فى مستهل المقال ، وانما نؤكد انه اذا كان من (الممكن) ان يكون يومنا اقل مستوى من امسنا ، فان غدنا (لابد) ان يجيء افضل من كل من امسنا ويومنا ، وأول خطوة الى ذلك ان نعكف على تشريح واقع اليوم لتعرية ما به من اوجه قصور والكشف عن القوى المسئولة والوقوف لها بالمرصاد ليعود منطق التاريخ الذى يحتم المضى نحو التقدم .



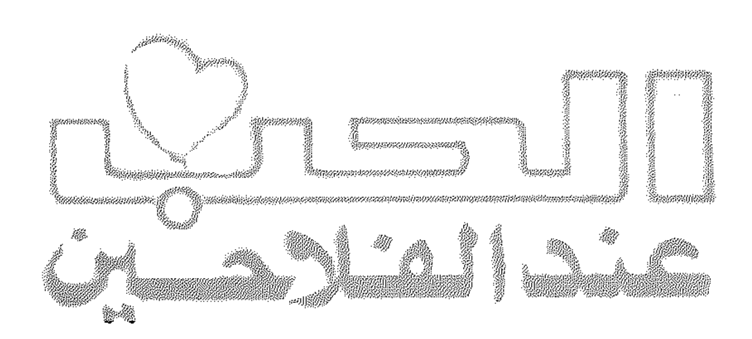
من أبيات للعقاد فى ذكرى سيد درويش

إنما الفن فى الشعوب	شباب له الفدى
فيض مازاد من شعور	وما هام مبعدا
رحم الله سيدا	كان للفن سؤددا
ليت أحياءنا الألى	سبقوا الموت موعدا
لحقو - وهو فى الثرى	منه روحا غردا
أكبر الظن أنه	جاور البحر فاهتدى
مفلح من يكون أستا	ذه البحر مزبدا
إنما اللحن ترجما	ن عن النفس ساعدا
واصف لن ترى له	عازلا او مفندا
هكذا كان سيد	صادق الوصف مرشدا





بقلم: يحيى حقى

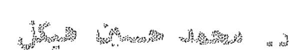


نحن نتصـــور ان رواية زينب قد لقيت عند صدورها من الرواج ما يؤهلها لتلك المكانة التاريخية الكبيرة التى نضفيها عليها ، ونحن الى الآن ندرس هذه الرواية باعتبارها مرجعا تاريخيا لا باعتبارها عملا فنيا وليس فى ذاكرتى ما يؤكد انها حظيت بمثل هذا الرواج ، ولم يجر اسمها على السنة كثيرة من المثقفين ولا سأل كثيرون من هو هذا الفلاح المصرى الذى كتب هذه الرواية ؟

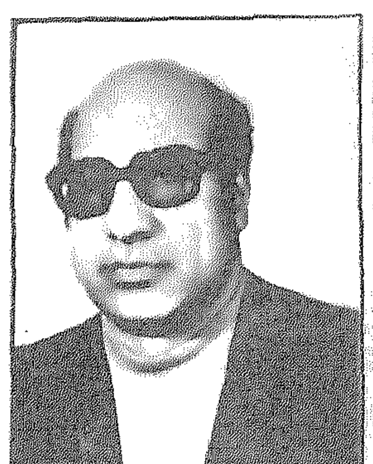
وحتى الذين قرأوها لم تهز مشاعرهم تلك الهزة التى لقوها عند قراءة روايتين مترجمتين ، الاولى من تأليف « الفونس كار » باسم مجدولين أو تحت ظلال الزيزفون ، وقد أعمل مصطفى لطفى المنفلوطى قلمه فى ترجمة لها من صنع أحد اصدقائه فصاغها فى اسلوب شعرى رقيق ..

والرواية الثانية هى غادة الكاميليا من تأليف « الكسندر دوماس » لقد كانت لهفتنا نحن الشباب فى ذلك




د. محمد حسين هيكل


مجيد طوبيا


محمد روميش

الوقت على قراءة ما يسمى بالروايات الغرامية التى تسيل الدموع من مآقينا ..

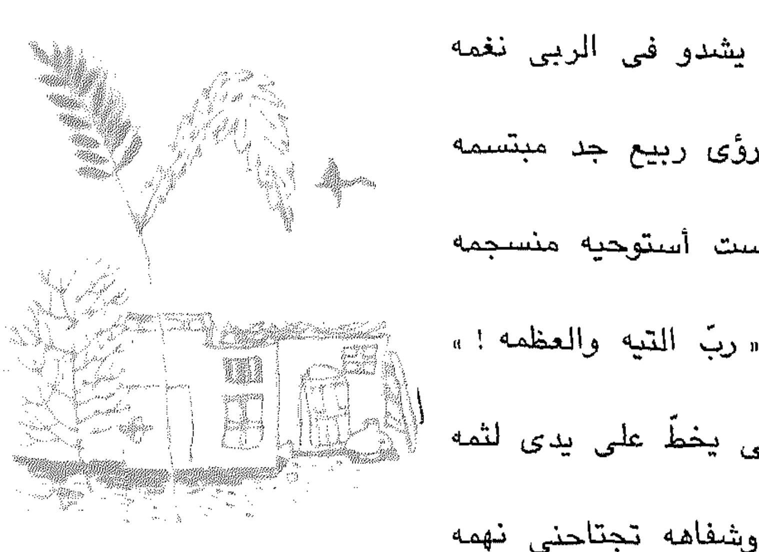
اما فى رواية زينب فقد شعرنا بان المؤلف قد خلا بنا ، فان موت زينب هو صورة فاترة من موت غادة الكاميليا وهى بنت الفلاحين اماالفتى العاشق ابن الطبقة المتوسطة فقد خلا بنا ايضا لانه اختفى وسط الرواية ، ولم ندر اين ذهب . واحب ان اعود والاحظ اننا لن ندرس بعد رواية زينب الدراسة الفنية سواء من حيث قاموس الفاظها ودلالتها على تطور اللغة العربية ، او وسيلتها فى تناول وصف الطبيعة مع احداث الرواية ..

واذا كان قيل لنا حينئذ ان هذه رواية تصف الحب بين الفلاحين فاننا لم نصدق هذا القول لان صورة الفلاح فى ذهننا نحن ابناء المدارس والمدينة صورة انسان مسحوق فى يد اقطاعية او مرابية او قاطع طريق تنشد باسمه المواويل ، وظللنا نتلمس ظهور القصص الغرامية المصرية التى تعبر بصدق عن الواقع ، فانتظرنا حتى فتحت الجامعة ابوابها للفتيات فدارت اغلب روايات الحب فى حرم الجامعة ..

ولم ينقطع سؤالى عن القصص التى تصف لنا الحب بين الفلاحين . رفض الاعتقاد بأن حياتهم خلو منه ، وبدت لى بشائر بعض هذا الاتجاه فى احدى قصص مجيد طوبيا وفى اغلب قصص محمد روميش .



رحلة ريفية



ومضيت نحو الحقل هائمة
والطير يشدو فى الربى نغمه
إذ كان فجر منى وعاطفة
ورؤى ربيع جد مبتسمه
وبدا لعينى جدول عبق
فجلست أستوحيه منسجمه
ودفنت كفى فى جدائله
وهتفت « ربّ التيه والعظمه ! »
افتر ثغر الماء فى دعة
ومضى يخطّ على يدى لثمه
فطفقت بالقدمين أبعده
وشفاهه تجتاحنى نهمه

● ● ●

ووقفت إذ بالنمل فى ذعر
صفّ يسير بمأتم الخير
وبدت لى الأبقار سارحة
سبقت خطى الجاموس فى السير
ومضت تحس العشب فى نهم
وتمر بين الشاة والثور
وتحكّ فى الأشجار منخرها
وتخور فى جذل وفى بشر
وترقرقت عيناى إذ رآتا
قديس هذا الحقل فى الصبر
ومضى الحمار وفوقه جبل
متخطّيا حفرا إلى حفر

شعر: جليله رضا

ومشيت فى طرق معرجة
وأزقة ضاقت بمن فيها
رقصت دواجنها منقرة
والديك قائدها وشاديها
وكلابها تغفو على كسل
وبلاهة وتريق من فيها
وتصيد أسراب الذباب وقد
حامت حواليها تناغيها
ونساؤها راحت تحدق بى
وكأننى ملك يدانيها
إن السذاجة هاهنا نبتت
وسط القرى فى ظل أهليها

● ● ●

ياريف مصر ويامنى وطنى
يامنبع الأحلام والنشوه
ياملتقى الأبناء من بشر
بأمومة أرضية حلوه
ودجاجة كبرى بأذرعها
محمى الجمال الغض والقوة
يا أيها الماضى الملىء أسى
وروّى غد بالبشر مجلوه
يامسقطا لرءوس من فتحوا
فى كل عقل مظلم كوه
لتعش هنى البال مغتبطا
بين السنا والطير والربوه



لطيفة الزيات:

"ضوء الشيخوخة" يسقط على أرض الماضي

بقلم: فاروق عبد القادر

● اود من البداية ان افرغ من تقرير حقيقة اراها ضرورية وهامة: اننا امام لحظة من اللحظات النادرة في ادبنا العربي بوجه عام، وادب الكاتبات فيه بوجه خاص، نواجه هذا المستوى الرفيع من التجرد وفحص الذات فحصا لا يقنع الا بأن يسقط كل اقنعة الخداع، قناعا بعد قناع، وبان يبلغ اعمق الاعماق، هناك، بعيدا حيث تبدو الذات موضوع الفحص، للذات الفاحصة، في تألق عريها الكامل ..

● لهذا التجرد وظيفة اخرى، غير وظيفته «السيكوثرابية» ان الكاتبة قد نضت عنها صراعاتها وعذاباتها وارتاحت، تتمثل في الدرس الثمين الذي تقدمه الكاتبة لنا جميعا، ونحن نضرب في سكك الحياة، نعاني زيف العلاقات وتقنعها .. ورغبات التسيد والتملك تتخفى وراء ستر الحب. تقول لنا الكاتبة – في حكمة الستين – قولا هو جوهر الدرس وفحواه: في اطار الرغبة في الموت تنضوى الكثير من صور الحب، او ما نسميه حبا، بين الرجل والمراة، ونحن نسمي هذه الصور من الحب توحدا، والمحبان يستحيلان واحدا، ما من توحد يواتي ندين من بني الانسان، التوحد يعني وأد الذات لحساب الاخر، او وأد الاخر لحساب الذات.

وقد لا تستطيع الكلمات وحدها أن



لطيفة الزيات
متألقة بالفرح والتحقق

تنقل سخونة هذا الدرس وصميميته ، هو عند الكاتبه تقطير وتكثيف لخبرة السنين ، لكنه لا يصدر عن تأمل هادىء ، فهى الذات الفاحصة وهى موضوع الفحص ، هى الجرح والسكين ، هى القضيه والبرهان ٠

اجتازت لطيفة الزيات السراط الصعب ، وبعد أن اجتازته وقفت ، منهكة لكنها متألقة بالفرح والتحقق ، كمن أهدت الحياة طفلا مكتمل الخلقة موفور البدن ، وكتابها بيمينها : « هاكم اقرأوا كتابيه ٠٠ » !

الزمن ٠٠ البطل

وتعنينا من مجموعه « الشيخوخة وقصص أخرى » ــ هنا والان ــ ثلاث قصص : « بدايات » و « الشيخوخة » وقبلهما تلك القصة الفذة ــ والتي ينصرف اليها وحدها كثير مما سبق قوله ــ « على ضوء الشموع » ٠٠ فى هذه القصص تمزج الكاتبة مزجا رائعا بين سيرتها الشخصية وسير بطلاتها ، بين تفاصيل الواقع الاجتماعى ، القليله ، الداله ، المعتنى باختيارها وتوظيفها ، والغوص فى تحليل الذات والاخر ، بين المشاهد التى تقع عليها العين فى الخارج ، ودفق الاحاسيس وفيض الذكريات فى الداخل ٠ لا ينفصم أو ينفصل أو يتمايز أى من هذه الجوانب عن بقيتها ، لكنها تنصهر جميعا فى سبيكه فنية واحدة ، متماسكه ومتالقه ٠

والزمن ــ بحضورهواندفاعه الدائم للامام ــ هو البطل ، ونحن نعيش أربعه عقود متتاليه ، فى منتصف كل عقد تقف الراوية ــ البطله عند منعطف « البدايات » فى منتصف الاربعينيات ، كانت تقف اذ ذاك ــ هى والملايين ــ فى نهايه الحرب العالمية الثانيه ، على مشارف عالم جديد ، تتفتح فيه آمال التحرر ، ويتساوى فيه التشوق الى المعرفة مع التشوق الى الحب ، ثم كان سامى وحب الصبا الذى اجتاح كيان فتاة الثامنة عشرة ، فى السنه الاولى من دراستها الجامعيه ، تقرأ رابعه العدوية وبودلير ، البيان الشيوعى والانجيل، ولما جاء سامى توهجت الدنيا ، فهى « لا تعود تعرف ان كانت تضحك أم تبكى ، والدموع تلون عينيها بألوان قوس قزح ، وكل شىء رائع وجميل ، والهواء أنقى ، وخضرة الشجر أعمق ٠٠ وهى لا تريد أن تنفرد بسامى عن صديقتيها ، يكفى أن تستمع اليه يتكلم ، يكفى أن ترى السيجارة تهتز فى فمه وهو يضحك»٠

هذا هو نمط العلاقه بالاخر كما أرسته التجربه العاصفه الاولى ليتردد بعد ذلك : نمط يذوب فيه أحد الطرفين فى الاخر ، فلا يقف ندا له ، يأخذ منه ويعطيه ، انما يعلق وجوده على وجود الاخر ، وبدونه تنفغر تحت قدميه هوةالعدم ٠ لذلك لم تجد انفتاح

لطيفة الزيات: ضوء "الشيخوخة"

غير فكرة واحدة تدور براسها حين انبأها سامي انه مسافر : الانتحار ·

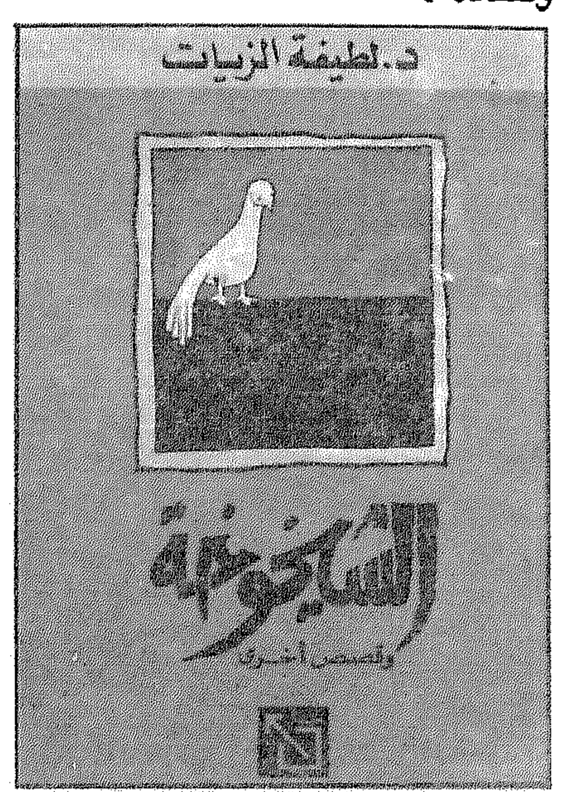
في منتصف الخمسينيات تزوجت ، وحين التقت بسامي وعاد لذكر الحب القديم ، انزلقت كلماته كما تنزلق قطرات الماء عن معطف المطر ، وتكرر اللقاء في منتصف الستينيات ، وقد انفصلت عن زوجها ، ولم تجد دافعا يدفعها للتخفف من هذه التجربة المعذبه بالحديث عنها ، ولا اهتز كيانها لكلمات الحب الجديدة - القديمه ، وودت أن تقول له ان المرأة التي يحبها قد ماتت ، وتحجرت الدموع في عينيها « ومرآة العربة تصفعها بوجه مليح قد من صخر الكبرياء المر ، من الالم وحتمية تجاوز الالم ، من رفض مراهق للحياةونسبية الاشياء ، من تعلق مغترب بكمال دنيا غير الدنيا ، ومن تشبث مجنون بالسبل المسدودة حتى الاختناق ، ومن عمى عن الباب المفتوح » ·

انما بعد عشر سنوات أخرى ، حين اكتهلت المرأة ووقفت على أعتاب الخمسين ، استطاعت - في لقائها الاخير بسامي - أن تطلق سراح الصبيه التي كانتها في البدايات ، وحين انطلقت سراحها توهج كيانها ، وتفتحت مسام جسدها الخامدة ، وتواصلت في اللحظه الراهنة · بعبارة أخرى : حين امتلكت ماضيها واحكمت قبضتها عليه استطاعت أن تتجاوزه ، وانفتح الباب أمام اهتمامات الحاضر ومشروعات المستقبل ·

نمط العلاقة ذاته : الاتكال الذي يجرد أحد الطرفين من جوهره الانساني الفاعل ، هو ما يتبدى في القصه المتتالية « الشيخوخه » : مذكرات مكتوبه في ٧٤ (بداخلها مذكرات أخرى مكتوبه في ٦٥) ، أي قبل عشر سنوات ، وامرأة الستين تنظر فيما كتبته وهي في الخمسين : مات زوجها قبل عشر سنوات (نفس تاريخ انفصالها في القصه السابقة ، والتاليه أيضا) ، وعادت ابنتها من الخارج بعدغيبة عامين ، وبعد زواجها بأربعة أعوام ، وأثناء فترة غيابها لم تتوقف المرأة عن كتابة رسائل لا ترسلها ، بل تصنفها في ملفات ثلاثه : رسائل أقسى من أن ترسل ، ورسائل كي لا ترسل (لانها لحظات التعاسة مثبته على الورق) ثم رسائل غير موجهة لاحد (لانها لحظات التعريه الكامله للذات) · والقصة - بعد - هي العلاقه بينها وبين ابنتها حنان وزوجها هشام ، أو هي « الوضع الكلاسيكي للثالوث » ، انما لهذا شخص الطبيب اختلال علاقة حنان بزوجها - بعد عام ونصف من زواجهما - بأنه « التصاق جنيني بالام ترتب عليه انعدام في النضج العاطفي » ، وهذا يعني تماما هزيمتها الكامله كأم حاولت دائما أن يكون لابنتها كيانها المستقل ، وعملت حنان جاهدة حتى استطاعت أن تسافر في منحة دراسية مع زوجها ، وحين عادت بدا واضحا أن الصراع في هذا المثلث قد حسم لصالح هشام ، فلماذا تغضب المرأة وهي التي كانت تدفع ابنتها دفعا لهذا الحسم ؟ ، انها تجيب بصدق جارح : « لان هذا الحسم يسلبني الدور الذي اتخذته ذريعة لوجودي ، أو بالاحرى لانعدام وجودي في هذه السنوات الاخيرة » ،

وحين اختنقت برغبتها فى التواصل مع ابنتها قدفتها بالملفات الثلاث التى تحوى كل الرسائل • قسوة هى أم صرخة استغاثة ؟

جوهر القصة هو جوهر العلاقة ، وهى تتبين ــ ونحن معهـا ــ حين ترجع ليومياتها التى كتبتها فى ٦٥ ــ بعد موت زوجها بعام واحد ــ هذا الجوهر : انه الاعتماد المطلق على الاخر ، انه انتفاء الندية فى العلاقة الانسانيه التى لا تنمو رابية صحيحة الا بين ندين حرين يتبادلان الاخذ والعطاء ، فلا يذوب واحدهمـا فى الاخر او يفنى فيه • وكانت خلاصة ما وعته بعد أن فقدت زوجها مرتين : الاولى حين انسلخ عاطفيا عنها ، والثانية حين مات أنه « تاتى على أن أبنى من جديد •• نظام قيم الانسان التى لم تكن قيمى ، وأنا ، بلا وعى ، أفنى وجود الاخر فى وجودى ، وأنا بلا وعى ، أفنى وجودى فى وجود الاخر ، وأسمى الفناء توحدا ومطلقا وسعادة » ••



وها هى تعيد نمط العلاقة ذاته : تعتمد على حنان اعتمـادا مطلقا ، وحنان تضيق بهذا الاعتماد • وزوجها يطاردها فى حلم كثير التفاصيل ، بين تفاصيله رزم من الاوراق : ان كانت مكتوبة فهى تعنى الوقوع فى اشر ماض منغل ، وان كانت بيضاء فهى تعنى شارة التطلع نحو الخلاص فى المستقبل • وحين وعت المراة انها تكرر النمط الذى دمر علاقتها بزوجها من قبـل ، مالت لان ترى الاوراق بيضاء تنتظر الكتابة •• « ويخطر ببالى فى ذات الوقت انه يتعين علـى كى املأ الاوراق البيضاء أن استعيد مفردات لغتى •• » •

واذا كانت امرأة الثامنة والثلاثين لم تستطع البوح والتخفف ، فقـد استطاعت امرأة الثامنه والخمسين ، وها هى تبوح لنا ــ نحن قاربيها ــ بتلك الخبرة المعذبة ، خبرة زواجها التى دامت من منتصف الخمسينيات لمنتصف الستينيات ، فى قصتهـا جـارحة الصدق « على ضـوء الشموع » : والقصه تبدأ وصاحبتها فى ذروة من ذرى أزمتها ، فالرغبـة القديمه تلح عليهـا فى الافلات من الشقة العاليه المطله على النيل ، ومن زوجها ودائرة نفوذه ، وهى تنطلق فى رحلة مع بعض أصدقائها الى بيت ريفى فى احدى قرى الفيوم • وهى مرتاحه للجماعه التى تصحبها ، لانها مختلفـه عن تلك التى تتحرك فى اطارها خلف زوجها ، التى تسـهر فى كافيتريا « سميراميس » ، وتحضر حفلات الافتتاح فى المسارح والمعارض •• وتتناول العشـاء على ضـوء الشموع فى المطاعم الانيقة ، ثم انها تقاربها فى افكارها السياسية ، وان لم تماثلهـا ، فهى ستبقى البطـة

لطيفة الزيات : "صوت الشجرة"

السوداء — يقول البعض الحمراء — في السرب الابيض . عين الى الخارج والثانية الى الداخل ، وهما تعملان معا فى اتساق وتناغم ، ولان ما فىالداخل هو ما يعنينا الان ، فان الكاتبه تقطع رحلة أخرى ، تستدعى خلالها صورا وأحداثا وتفاصيل وذكريات ومشاعر .

معها حملت مشروع روايتها الثانية .. فى دفتر بلون الرمل ، تنقض فى صفحات الشمال ما تكتب فى اليمين .. وهى تلخص فكرتها الرئيسية : ان المهم هو الرحله لا ما تتمخض عنه الرحله ، مواصله الانسان للسعى وليس ما يتمخض عنه السعى، فقال لها الصديق استاذ علم النفس : ان مشروع الروايه يفلسف الفشل ، ويعمم ما لا يجوز تعميمه ، ثم اضاف موجها لها السؤال : هل تحاولين تبرير وضع لا تطيقينه ؟ » وتأملت لاول مرة صدق تعقيبه .. » ، وتذكرت احد زملاء زوجها — وهو يقف منه على النقيض السياسى — وهو يقول لها ان الناس مندهشه لانها كتبت رواية ممتازة « رغم كل شىء »

ولكن .. لماذا نسيت العهد الذى قطعته على نفسها بانها لو ملكت القدرة على اكمال روايتها تلك لواتتها القدرة على التحرر من زوجها ومن هذا البيت ومن هذا الاسلوب فى الحياة ؟ ، الذى حدث أنها أتمت الروايه ، وفى حومه نجاحها نسيت المعهد ، وبدل ان تشارك — بقدر ما تستطيع — فى تغيير الاوضاع أدمنت البكاء فى ظلمه المسرح والسينما والسرير . دموع التكفير أم دموع التطهير ؟ وظلت تلعب دور الكاتب الذى بزغ فجاة من المجهول الى المعلوم وهو يملك مفاتيح الحرفة ، أى مفاتيح ؟ ها هى تعترف الان أن مفاتيح الحرفه ومعرفه أسرار اللعبة لا تملك أن تصنع هذا الوله الخاص بالحياة ، الذى هو مادة الفن ، بدونه يتحول الى مادة للتسليه او لعبسة زخرفيه فارغه . واعترفت لنفسها ايضا انها — فى روايتها تلك — مارست شيئا من الغش كى تصل الى قلوب الناس ، ثم اعترفت اخيرا بأن حبل خداع الذات طويل ، وان التف — مهما طال — حول عنق الانسان .

وهى تتدحرج فى الحقل الاجرد تذكرت انها كانت تحلم — وهى صبية — بأن تجرى حافيه القدمين فى حقل فول أخضر ، وأن تتمدد هى وحبيبها تضمهما الخضرة ورائحه المخصب ، وأن تأكل هى وحبيبها « الفول بشوكة مع الجبنه القريش » ، وانتهت هى وزوجها لتناول العشاء على ضوء الشموع كالعاشقين ، وما من عشق تبقى « بينهما تفصلالشموع وانصاف الحقائق ومرارة الحقيقه وقسوة الخديعه والرفض المتبادل لماهية الاخر والخوفمن الاصطدام والحرص على الصورة الاجتماعيه والتظاهر بنجاح مشروع افلس منذ زمن طويل » .. وبدل ان تصرخ فيه : كاذبة هذه الشموع ، كاذبه هذه الزيجه ، كاذبة كل الدوائر التى ندور فيها ، عاشت الكذبة . بدل أن تصرخ فيه قالت له ذات صباح قصيدة لصلاح عبدالصبور لا تذكر منها الان سوى بيت واحد .. المراة تقول للرجل الذى يسهر معها فى الكافيتريا : قم بنا يا حبيبى قبل أن يطلع الصبح وتزول مساحيقى .. » .

(يا للذاكرة المراوغه ! هذه سطور

عبد الصبور التى اسقطتها الذاكرة ، وستعرف ـ على الفور ـ لم اسقطتها
•• تقول المرأة لرفيقها :
يا عاهرى ، يا خدعتى ، يا قدرى
فى الساعه الليله الاخيرة
خذنى الى البيت ، فاننى أخاف
أن يبلنى الندى
تذوب اصباغى
ويبدو قبح وجهى •
(أغنية لليل ، احلام الفارس القديم ١٩٦٤)

● خداع العقل

وليس العشاء على ضوء الشموع غير طقس واحد من مجموعة الطقوس التى تشكل حياتهما معــا • طقس الطقوس حديث الليل : ان كانت نائمة أيقظتها ، يجلس على طرف سريرهـا ويحكى عن نجاحاته اليوميه التى لا نهايه لها ، وعند النجاحات الغراميه ترد فى الحكايه أنصاف الحقائق ، من سنين صاحت فيه أن يكف عن الكذب ، عن الاهانه المجانيه لكليهما ، لكنه لم يتوقف « استحال عليه أن يعيش دون مستمع ليلى لنجــاحاته اليوميه •• ولمراراته اليوميـــة من جحود الناس والدنيـا •• وعلى مر الايام تحولت الى أذن تستمع وفم معقود اللسان بعـــد أن اكتشفت الا أرضية بينهما للقاء ••• » •

ليس هذا فقط ، فى الفراش أيضا حولها لاداة اشباع « يوم لم يكن لقاؤهما فى السرير طقسا صرخ فيها : أنت تحتقريننى •• جسدك يرفضنى ، يحتقرنى •• » ، لم تكن تعرف أن خداع العقل لا يجوز على الجسد ، وانه احيانا يكون اذكى من العقــل بافصح تعبيرا ، وتوقعت أن يكف عن العمليه الجنسيه ، لكنه لم يتوقف ، وتحولت العمليــه لطقس مدمـــر ، وتحولت هى كلها لاداة اشباع •

لم هذا كله ؟•• وكيف بلغت قرار الهوة ؟ ، ها هى تعترف وهى تتمدد وسط خضرة لا تعرف لها اسما أن سفح الجبل هو نفس السفح ، وأنه لا قرار للتنازل ، وتنازل صغير يسلم لتنازل اكبر ، ويفيق الانسان يومـا ليجد نفسه فى هوة بلا قرار !

شىء ما حدث فى مغرب ذلك اليوم انهى هذا العالم بغير رجعه : هــل انتهى وهى تمر بمسالك القرية الطينية تقاوم رغبتها فى الاغمـــاء وتنتصر عليها •• أم انتهى حين صرخت فى بيت الخولى : أخرجونى من هنا ؟

شىء ما زائف ومصنوع فى بيــت الخولى ، أراد الانتقال من بيت الطين لبيت من الطوب الاحمر ، ولم تسعفه قدراته ، فبقى بيته حجرة واحـــــدة معلقه فى الهواء ، الى هذه الحجرة جىء بامرأته كى تفحصهـــا الطبيبة الصديقة ، توحـــدت الزاويـة بالمرأة المريضه ، التى تبـــدو غريبة منبتة وهى ممددة على سرير معدنى اسود فى حجرة معلقه ، وتساءلت : هــل يتأتى للمرأة المريضه أن تعود لحيث تنتمى ، وقد انتهت اللعبه ؟ « عرت الطبيبه المـراة من ملابسها ، ومــا كادت تميل تضع السماعه على قلبها حتى انهـار السرير بالمرأة عاريه ، وخرجت هى من الغرفه مختنقة بخزيها •• وفى الهواء الطلق خارج منــزل الخولى وقفت ترتجف بخزيهـــا •• وتتحسس جســدها ، تستشعر عمق الجراح التى أصابتها لحظه انهـــار بها السرير عاريه •• »

تلك اللحظه المســـتعادة بكـــل ضراوتها ، وبقدر الخزى والمهـــانة فيها : أن ينهار السرير بها عارية ، وهى اداة اشباع : تمتع ولا تستمتع •• ينتهكها رجـــل كريه ، يرفضــه الجسد ، يراوغ العقـــل فى قبوله ،

لطيفة الزيات :
« ضوء الشيخوخة »

كانت النهايه : اجتازت المرأة السراط الوعد : « رعت غضبها كما ترعى الحامل الجنين .. » .. « يتأتى على المرأة ، وقد انتهت اللعبة ، أن تقف على قدميهما ، أن تؤوب الى نفسها ، الى أهلها وناسها ، الى بيتها بعد غيبة عشر سنين .. » .

ان الرواية الاولى للكاتبة ـ الراوية ترد في هذه القصه أكثر من مرة ، منظورا اليها بعد صدورها بربع قرن (٦٠ ـ ٨٥) ، وقد فات عليك كيف تراها صاحبتها ، فكيف نراها نحن في الضوء الجديد الذى تسقطه « الشيخوخه » ؟

أكتفي هنا بالوقوف عند نقطتين : الأولى هي أن الزوج الذى لا تسميه الكاتبه في هذه القصه ، هو الدكتور فؤاد رمزى في « الباب المفتوح » ، وأكتفي أيضا بنقطتى تطابق : من حيث موضوع الحديث الليلى ، نقرأ من « الباب المفتوح » : « كان لرمزى قدرة على تركيز الحديث حول نفسه ، حول المؤامرات التى دبرت ضده وأحبطها ، والخطط التى رسمها ونجحت ، والكتب التى كتبها والتى ينوى كتابتها ، والانتصارات التى أحرزها والتى سيحرزها ، وكان لرمزى أيضا المقدرة على احاطة حديثه بأهميه تبلغ مستوى القداسة ، وكأن مصير العالم كله يتوقف على .. الخطوة التاليه التى سيتخذها يسحق أعداءه سحقا نهائيا .. » (ص ٢٩٩) ، وعن انصاف الحقائق والاكاذيب حول نجاحاته الغراميه يكفى أن نقرأ وصف ليلى للدكتور رمزى ، وهو ينظر لبنت خالتها ليله اعلان خطوبتهما بالذات « .. وطافت عينا الدكتور رمزى بالجسم الفائر الناضج تزنه في لهفة وفي ظمأ .. ورأت ليلى عينى رمزى تستقران في نهم على الخط الذى يفصل بين نهدى جميله ، وشفتاه تتكوران في ابتسامه كريهة ، أشبه بتكشيرة حيوان مفترس .. » ، ثم وصفته جميله فأوجزت : « .. ده زى الكلب .. ريقه يجرى على كل عظمة .. » ! (اقرأ المشهد كاملا من ص ٢٦٣) .

ان الشخصيتين تتطابقان كاليد والقفاز ، وقراءتهما معا ، واحدة في ضوء الاخرى ، انما تغنى فهمنا لهما معا ، وهذا يقودنا للنقطه الثانية حول الوظيفه الحقيقيه التى أدتها الرواية الاولى لصاحبتها : لقد قدمت اليها التسويه المرغوبه : أن تهرب من الزيف والامتهان وأن تبقى فيه ، أن تفعل وألا تفعل ، أن تقدم وأن تحجم ، في الوقت ذاته .

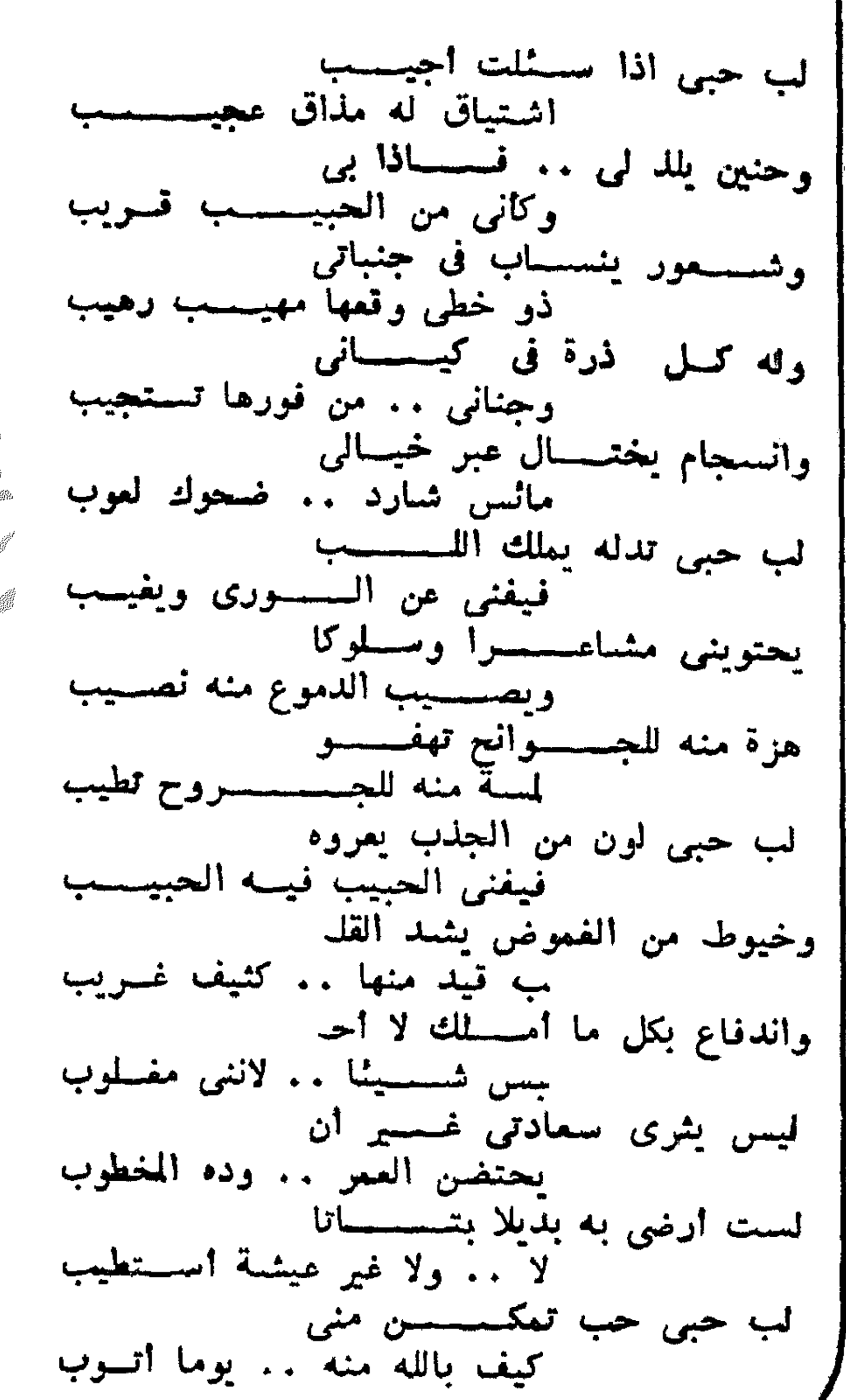
وتمثلت التسويه في معادلة واضحه الحدود : ليلى عبد السلام تخلع خاتم الدكتور فؤاد رمزى ، ولطيفه عبد السلام تهدى روايتها للدكتور رشاد رشدى !

وليس بعد هذا كلمه تقال .

قد لا أكون غير واحد من غمار الناس الذين اغتربت عنهم الدكتورة لطيفه الزيات حينا ثم آبت اليهم ، لكنني أملك أن أقول لها بكل الصدق انها قد عادت منذ زمن بعيد ، منذ رعت غضبها كما ترعى الجنين ، ومنذ مزقت آخر ستر من ستر الوهم والخديعة ، عادت نقية مطهرة ، وها هي بعد أن اجتازت السراط تلتقي بربيعها الدائم : أن تبقى حقيقتها ، وقد امتلكت الماضي من أجل الحاضر والمستقبل .

لب الحب

شعر: فريد قرنى



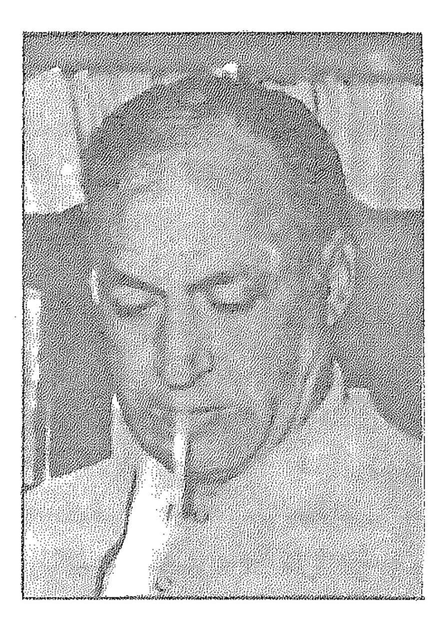
لب حبى اذا سئلت أجيـب
اشتياق له مذاق عجيـب
وحنين يلذ لى .. فـاذا بى
وكأنى من الحبيـب قريب
وشـعور ينساب فى جنباتى
ذو خطى وقعها مهيـب رهيب
وله كـل ذرة فى كيـانى
وجنانى .. من فورها تستجيب
وانسجام يختـال عبر خيالى
مائس شارد .. ضحوك لعوب
لب حبى تدله يملك اللـب
فيفنى عن الـورى ويغيب
يحتوينى مشاعـرا وسلوكا
ويصيب الدموع منه نصيب
هزة منه للجـوانح تهفـو
لمسة منه للجـروح تطيب
لب حبى لون من الجذب يعروه
فيفنى الحبيب فيـه الحبيـب
وخيوط من الغموض يشد القل
ب قيد منها .. كثيف غـريب
واندفاع بكل ما أمـلك لا أحـ
ـبس شـيئا .. لاننى مغـلوب
ليس يثرى سعادتى غـير أن
يحتضن العمر .. وده المخطوب
لست ارضى به بديلا بتـاتا
لا .. ولا غير عيشة أستطيب
لب حبى حب تمكـن منى
كيف بالله منه .. يوما أتـوب

الجريمة في "هلافيت" محمود دياب

عرض وتحليل :
عبد المنعم الجداوى

●● للمرة الثانية اكتب عن الجريمة فى مسرح محمود دياب ، وقد كانت المرة الأولى عن روايته (الزوبعة) ، وهاهى دار الهلال تطرح تحفته « الهلافيت » وهى مسرحية من فصل واحد .. تبرز فى غير افتعال ماكان يملك هذا الفنان .. من قدرة على الوصول الى هدفه .. من خلال مسيرة كوميدية تضحك « طوب الأرض » ، ولكنه كالبكاء ثم يفجر فى النهاية الحدث الذى رواه فى ضحكات متتابعة متوالية . مايجمد البسمة ويحرك الدمعة . إذ تنكشف الجرائم . جريمة بعد أخرى .. وإذا بالذين يضحكون .. يبكون وهم فى ذهول .. !! ●●

● والستار .. يرفع عن ساحة فى قرية .. تجرى فيها الاستعدادات لحفل سوف يحييه شاعر الربابة .. ويهيىء المكان .. شابان من « هلافيت » القرية وهما يصفان المقاعد على مقربة من المصطبة التى سوف يعتليها الشاعر ، ونفهم من المقاعد القليلة أنها للصفوة .. أما بقية النظارة من أهل القرية ، فسوف يجلسون على الأرض ، ومن حوارهما نفهم أن الليلة هى من جيب (منصور أبو سعد) سيد القرية سرا وعلانية .. الكل مدين له ، والكل يخدمونه ، ويسبحون بحمده ، فهم بلا استثناء عرائس خشبية .. يحركهم بخيوط فى اصابعه .. يحققون له أغراضه ، ويساعدونه على إمتصاص الدماء ، ونهش الأعراض .. ويجيء الى الساحة مبكرا .. أفندى القرية .. « محمود أبو عامر » الذى يطلق علي نفسه لقب « أمين قضائى »



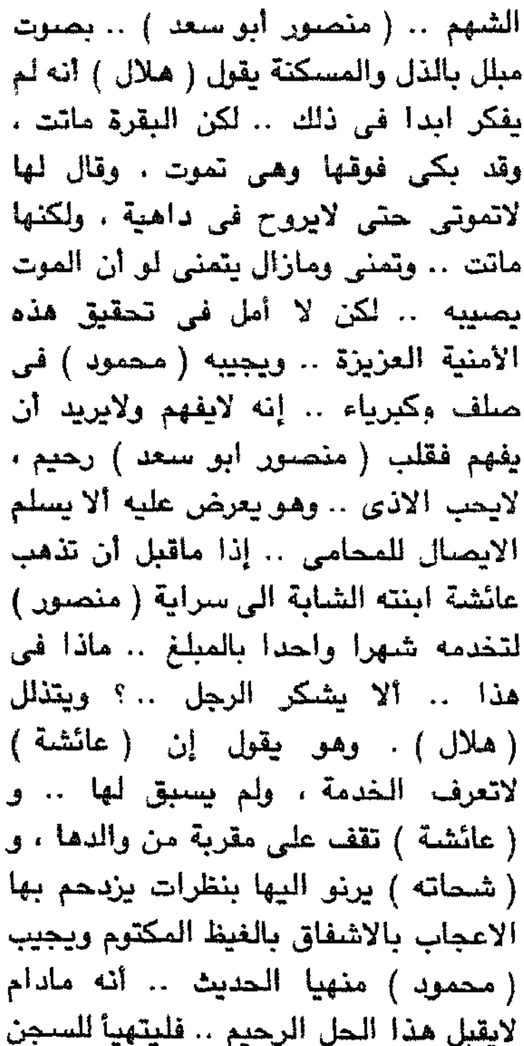
محمود دياب
والقمة شديدة



● السادة كانوا يريدونها مهزلة ضاحكة ..

● الفلاح اللحوح وخادم السيد العنكبوت ..

ومعه حقيبة كالتى يحملها المحصل أو المحضر .. يجلس على « الدكة » ويطمئن على أن الشاعر لم يصل بعد ، وخلفه (هلال) الفلاح يرتعد وينكمش ويتضاءل .. متوسلا إلى (محمود) أن يجيبه عن سؤاله ، وهل قدم الأيصال إلى المحامى أم لا ..؟ و (محمود) يشخط فيه وينهره ، ويزجره ، لأنه ساقل . منحط لص ، يريد أن يأكل نقود الرجل الطيب



الشهم .. (منصور ابو سعد) .. بصوت مبلل بالذل والمسكنة يقول (هلال) انه لم يفكر ابدا فى ذلك .. لكن البقرة ماتت ، وقد بكى فوقها وهى تموت ، وقال لها لاتموتى حتى لايروح فى داهية ، ولكنها ماتت .. وتمنى ومازال يتمنى لو أن الموت يصيبه .. لكن لا أمل فى تحقيق هذه الأمنية العزيزة .. ويجيبه (محمود) فى صلف وكبرياء .. إنه لايفهم ولايريد أن يفهم فقلب (منصور ابو سعد) رحيم ، لايحب الاذى .. وهو يعرض عليه ألا يسلم الايصال للمحامى .. إذا ماقبل أن تذهب عائشة ابنته الشابة الى سراية (منصور) لتخدمه شهرا واحدا بالمبلغ .. ماذا فى هذا .. ألا يشكر الرجل ..؟ ويتذلل (هلال) . وهو يقول إن (عائشة) لاتعرف الخدمة ، ولم يسبق لها .. و (عائشة) تقف على مقربة من والدها ، و (شحاته) يرنو اليها بنظرات يزدحم بها الاعجاب بالاشفاق بالغيظ المكتوم ويجيب (محمود) منهيا الحديث .. أنه مادام لايقبل هذا الحل الرحيم .. فليتهيأ للسجن

.. لأنه لم يجد المحامى اليوم ، وسوف يجده غدا ، وهو سوف يمضى إلى النيابة ، والوصل أمانة ولن يفلت من السجن ، يحاول (شحاته) أن يتدخل لدى (محمود) الذى يثيره ذلك ويعلن لهذا « الهلفوت » الذى يريد أن يتدخل فى عمل (الامين القضائى) ويتهمه بأنه يحاول (رشوته) ويطلق لسانه فيه ، ويحرض (شحاته) (هلال) على الا يوافق على الحل ويحذره لكن (هلال) يطلب منه فى ضيق أن يتركه فى حاله .. ويخرج (محمود) هاربا من إلحاح (هلال) ويمضى بعده (هلال) وابنته (عائشة) ويجلس (شحاته) على الدكة منجعصا ، وإذا (بناصح) يقول له إن (منصور ابو سعد) لو رآه هكذا يجلس على دكة الاعيان (لملص ودانه) ويرد (شحاته) بأن يتربع على الدكة امعانا فى غيظ الهلفوت (ناصح) .

● السادة يستهدفون الضحك والمتعة .. !! ●

ويدخل الساحة (منصور ابو سعد) وبطانته « الحاج مبارك» ، «وشيخ الخفراء » و « خفير » و « محمود عامر » الأمين القضائى ويتكهرب الجو ، وينكمش (شحاته) ، (ناصح) ، والهلافيت لمجىء السادة الذين يحيطون (بمنصور أبو سعد) ويمتدحونه . لأنه يعمل لصالح القرية . وهو يريد أن يزيد من سعادتها وأنه استدعى (الشاعر حسان) وأعطاه مقدما العربون .. لكى يغنى لهم على الربابة الليلة قصة (أبو زيد الهلالى) ولكن الجلسة تطول ، ولايصل (الشاعر) وحتى لايتسلل الملل الى الحاشية .. قال (منصور) أنه سوف يجعلهم يغرقون فى الضحك بطريقته الخاصة ونادى على (شحاته) الذى أقبل اليه وهو يرتجف ، موقنا أنه سوف يصفعه على قفاه او يشد أذنيه ، ولكن (منصور) هش فى وجهه وابتسم وطلب منه أن يقترب اكثر .. ففزع الذين حوله اكثر مما فزع (شحاته) الذى صاح يعلن أنه يعرف ماذا يراد به ، وهاهو قفاه ، وضحك القوم ، وهو يمط عنقه ويخفض رأسه أمام (منصور) لكن (منصور) قال له على مسمع من الجميع .. أن يذهب الى مصطبة الشاعر ، يفعل أى شىء يضحكهم به .. وإن يقلد مايشاء من أهل القرية ، وإن يتكلم على (مزاجه) وحتى لو قلد (منصور) نفسه .. ولم يصدق أول الأمر .. لكن (منصور) أكد له .. فلما اتجه الى المصطبة عاد مرة اخرى .. يسأل ويتأكد انه فى أمان .

ولاعقاب عليه .. واقسم له (منصور) .. ثم دفعه لالحاحه وهو يكرر أنه سيغضب منه اذا لم ينفذ أمره ، ويضحكهم ، واذا نجح فسوف تكون له جائزة .. فذهب الى المصطبة ، وهو لايصدق .. ولكنه قال فلنجرب .. وجلس على المصطبة ، وقال يسأل ، ويستأذن (منصور) :

ـ أعمل عمدة ، وأتكلم كلامه ، وأعمل عمايله .. ؟

وتروق الفكرة فيضحك القوم ، ويخلع عليه احدهم (بلغته) لأن العمدة لايجب

ان يكون حافيا ، ويخلع عليه (منصور) نفسه عباءته .. فيدخل (شحاته) فيها وتبدأ الرواية وينادى (شحاته) على « هلفوت » اخر يدعى « الجحش » ويعينه « شيخ بلد » .. وينبعث الضحك من الجميع .. ويرسل العمدة « شيخ البلد » ليجىء بأم (شحاته) لكى تراه وهو عمدة وتجىء أمه وأخته (زينب) ثم يرسل فى طلب (هلال) ويسأله عن قضيته ، وتتكهرب الجلسة ، ويصر (شحاته) على ان يمثل (منصور) بين يديه ، وأن يقول لماذا يريد (عائشة) أن تخدمه شهرا ؟ وماذا فعل بأخته (زينب) عندما كانت تخدمه ؟ ويطلب من أخته أن تعترف ، ويطلب من كل من قدم ابنته أو اخته أن يعرض أمامه اتهام (منصور) الذى لم يترك بيتا فى القرية الا وأخذ منه جارية لعدة ايام بالحيلة أو بالقوة ، وأن يجيب لماذا لم يتزوج حتى الآن ؟ ويغضب (منصور) ويريد أن يأخذ البندقية من الخفير .. لكنهم يجتمعون حوله ، وهم يقولون له .. إن (شحاته) فقد عقله .. كان يمثل ثم (أخذ المسألة جد) .. ويخرجون به من الساحة ، ولايبقى إلا « الهلافيت » وتقول له أمه .. أنه فضح اخته من أجل (عائشة) بنت (هلال) فيقول لها أنه لا من اجل (زينب) ولا من اجل (عائشة) ، لكن من اجل كل بنات البلد ، وأهلها فعل ذلك .. ! وينزل الستار .. !

● الزمانية ونوعية الأحداث .. ! ●

هذا هو ملخص شديد الاختصار (للهلافيت) ، ولأول مرة فى ادب الجريمة

● آفة النضال شعار (مفيش فايدة) ...

● فى كل مكان (شحاته) و (زينب) حتى بين القراء

يضع كاتب المجرم ، والجريمة ، والمجنى عليه فى مواجهة شديدة الصخب ، ولعل القالب المسرحى .. يسر له هذه المواجهة . التى تناولها فى براعة ، وعفوية ، وسيولة وأن كانت حرمته من تأصيل الشخصيات . الذى جاء فجأة كشلال أنهمر فى المساحة الضيقة الزمانية والمكانية على المسرح ، وفى الدقائق الأخيرة للرواية .. !

(فمنصور ابوسعد) كان فى حاجة شديدة الى البحث فى أعماقه ، وأن كان قد فسر لنا شخصيته . على لسان (محمود أبو عامر) نيابة عنه ، وكذلك الشخصية الثانية فى الرواية (محمود أبو عامر) هذه الشخصية التى هى ضمير (منصور) وارادته الفاعلة .. ورأسه المدبر ، وهذه من الشخصيات المركبة التى كان يجب ألا تمر هكذا . فالقارىء أو المتفرج يشعر أن (محمود ا و عامر) هو المجرم الحقيقى ، وأن (منصور) واجهة للشر فقط .. أما الشر بعينه فهو هذا (الأمين القضائى) الذى يقوم بدور

القواد لـ (منصور) وهو يسهل له انتهاك اعراض القرية ويعظم دوره . ويتفاقم وهو يبسط المسائل أمام الذين يقعون فى حبائله التى يحبكها فى اتقان يجعل الضحية كالذبابة فى خيوط العنكبوت .. مستغلا القانون فى اغراضه التى يعاقب عليها القانون .. !

● الذين فقدوا الايمان ●

والضحية المترددة المتهافتة التى تقف على شفا الهاوية (هلال) كان مرسوما باتقان ، وهو يجر ابنته خلفه ، وهو يلين ، ويتهاوى تحت مطارق (محمود أبو عامر) ويوشك على الانهيار ، وفى انهياره يرفض يد المعونة التى تمتد اليه .. (شحاته) يرفضها .. لأن اليأس الذى يطبق عليه .. ينتزع من اعماقه كل امل فى النجاة .. فلا يرفض فقط اليد الممتدة اليه .. بل قد يؤذيها ايضا .. وهى حالة من اليأس تصيب الأفراد كما تصيب الشعوب فتتخلى عن زعمائها وترفض المقاومة .. رافعة شعار (مافيش فايدة) .. ! والكاتب هنا .. يضعنا أمام لحظة اضاءة عقلية .. ليحرك اعماقنا فى حركة عنيفة .. رغم البسه ة التى يتركها على الشفاه .. فإذا بنا نرنوا ى ‌اتراكم فى داخلنا باحتقار مزر .. وكلنا بذ كل أو بآخر صورة من (هلال) .. يغلبنا القهر ، ويطحننا الذل .. وتضيع اعمارنا فى محاولات مذلة للتعايش مع الرعب .. دون أن نتجه بمحاولاتنا الى الخروج منه أو الثورة عليه . !

○ زينب وعائشة .. فى كل مكان ○

وقد بذل البعض المساعى الحميدة .. ومنها كتابة المؤلف الراحل لمثل هذه الرواية .. الا أن امثال (الأمين القضائى) « محمود أبو عامر » وهم شريحة عريضة .. أفرزتها تركيبة المجتمع الشاذة ، لأن السادة من أمثال (منصور أبو سعد) فى مسيس الحاجة الى وجودها .. هؤلاء الامناء .. لاعمل لهم الا إحباط المساعى الحميدة للتحرير أو التغيير ، والايقاع بكل من تسول له نفسه أن يخرج على تقاليد القرى ، وقيم العبودية .. فإذا عجزوا عن ذلك سخفوا محاولاته ، واعلنوا فى الناس .. أنه مخرب يريد أن يدمر حياتهم ، ويخرجهم عما وجدوا عليه اجدادهم .. وكيف لايصدقهم الناس ، وينفضون من حوله ، يسحبون اسمالهم على جراحهم .. ويسترون بها عوراتهم .. كما فعل كل أهل القرية .. الذين وقفوا خلف (شحاته) فلما أعلن (منصور) بجرائمه واعتدائه على الفتيات ، وفى مقدمتهن شقيقته (زينب) .. هربوا جميعا ، وتركوه وحده بعد أن ثار عليه السادة ، وكاد (أبو سعد) يطلق عليه النار من بندقية الخفير .. ! ولكن يظل (شحاته) ومعه بقية الهلافيت غير نادم ، ولاحزين .. ثم يهبط الستار .. لترفع الغشاوة عن بصيرة المتفرجين .. !!

وهذا النوع النادر من البشر .. يفقد فى سبيل كلمة الحق كل شىء وينطبق عليه المثل العربى (كلمة الحق لم تبق لى عدوا ولا حبيبا) وذلك لأن هؤلاء القوم اذا

جاز لنا أن نسميهم (ثوار) ينطلقون فى قسوتهم على اعدائهم وفى سبيل كشفهم ، وتقديمهم بجرائمهم .. لايبالون بما قد يصيب جماعات من اقوامهم .. بنفس القدر الذى يصاب به أعداؤهم . لاذنب لهم الا أنهم كانوا مناط الممارسة الاثمة .. وقد كانت (زينب) ، ومثيلاتها من بنات القرية .. هن التطبيق العملى لما يصيب المجنى عليهن .. من المتصدى للدفاع عنهن والمطالبة بإنصافهن .. ! وهذا هو الشرخ الذى يسقط فيه الكثير من الزعماء المخلصين جدا من قادة العالم الثالث .. !

وكان يجب حينما ترفع الغشاوة عن بصيرة الناس .. أن ينقضوا على (محمود أبو عامر) ولست ادرى لماذا (تركه محمود دياب) يمضى بلاعقاب من الفلاح (هلال) ، وكان فى ذلك اشارة . إلى أن الانسانية مهما طال عليها الظلم ، لاتتحول إلى شىء جامد .. بل انها تتحرك مصهورة فى حرارة المقاومة .. متجهة نحو اسباب ظلمها .. لتزيلها عن طريق القادمين .. حتى لايشربوا من نفس الكأس .. لأن استئصال (منصور أبو سعد) ، وبقاء (أبو عامر) ، يجعله يمضى متحينا الفرص .. باحثا عن (منصور) جديد يعمل فى خدمته ، ليحوله الى طاغية .. وذلك لأن شريحة (أبو عامر) شريحة لاتستطيع أن تعيش بدون سادة طغاة ، ولعل المتفرجين الذين انصرفوا بعد العرض الوحيد اليتيم الذى عرضت فيه الرواية .. حز فى صدورهم أن يظل (أبو عامر) بلا عقاب ، وأن كان قطعا سوف يتهاوى تبعا لسقوط (منصور) لكن كان يجب ان ينفس المؤلف عن المتفرجين .. بعد أن ملأهم غيظا منه . وهو يستذل (هلال) ويسخر منه .. !! .. أن العقاب الذى كان يجب أن يناله (أبو عامر) .. هو جزء هام من أبعاد الجريمة ، وحتى تكتمل القوامه الوجدانية للمشاهد أو القارىء ويتخفف من الاحقاد التى رسبها فيه المؤلف .

فبعد هذا الشحن المستمر طوال العرض ، وادخار الحقد ضد (ابو عامر) (منصور) الذى لايوجه اليه حقد مدخر .. بل الغيظ ضده ينبت وينمو ، ويكبر فجأة .. حينما يبدأ (شحاته) فى لعبته .. ومن هنا يجد الباحث أن رصيد الكراهية فى قلوب النظارة (لمنصور) ليس بحجم ماحصل عليه (أبو عامر) الذى يشمئز المتفرج منه منذ اول العرض .. للاذلال الذى يعامل به (هلال) الفلاح .. !

وقد حاول المؤلف ان يكون شديد الواقعية ، وقدم لنا (الفلاح هلال) بصورة الرجل الذبابة اللحوح الذى يهينه (ابو عامر) بشتى الاهانات .. لكنه لايثور .. والواقع قد يكون أمرّ من ذلك ، وأوجع ، وانكى . لكن هذه الصورة جعلتنا . نشمئز ايضا منه .. فلا يفوز بحبنا أو عطفنا كما فاز به (شحاته) مع أن (هلال) كان يجب أن يقدم لنا بشكل لايخل بمعدلات العرض الدرامية . وفى ذات الوقت يجعلنا نتعاطف معه ، ونحبه اكثر مما نحب (شحاته) ولا أعتقد أن ذلك حدث عند قارىء الرواية .. أو من قدر له أن يراها فى العرض اليتيم .

وأعود من جديد لاقول مرة اخرى .. أن الستار لايكاد ينزل حتى ترفع الغشاوة من على بصيرة المتفرجين .. فيشعرون أن مدى الرؤية لديهم أصبح ابعد مما كان ، وأنهم يرون فى كتلة الظلمة المتراكمة .. اضواء فجر قادم تبدو من بعيد .. !!

قصة قصيرة

الخوف والتردي

بقلم: محمد جابر غريب

لم تكن الامور في وعاء الرأس ، مرتبة ، ولا منسقة ، ولا مهندمة ، كانت خليطا مشوشا • المرابية العجوز ، والبلطة تهبط.ترتفع وتهبط تهشم تفلق • يندفع الى الحلي والمصاغ والمجوهرات طائشا وملتاثا •• لم يكن يذكر على وجه التحديد اين ولا متى قرأ هذا العمل الفنى المؤثر •

فذا ، بالغ الروعة ، كل الذى يذكره انه لكاتب روسى شهير • وظلالا تروح وتجيء من داخل وعاء الرأس، تختلط مع باقى الاصوات • الابن الاصغر ، والاكبر والابنة • الطفلان امهما •• وما قاله الطبيب وهو لا ينظر اليه • فقط نزع من « البلوك نوت » ورقة • السماعة كانت معلقة فوق صدره • يحيط سوارها بالعنق، جادا • صارما • فى صوته نبرة حزن لن اكتمك الحقيقة ، واكون اثما ، لو لم اقل ان الابطاء فى اجراء العملية يعنى فقد الامل •

يأتى صوت الزوجة خافتا يشوبه الضعف والوهن متقطعا • فيه نبرة اسى وشفقة ــ لاتحمل هما • احتفظ بنقودك للاولاد • اعتقد أنى ساحيا • وان عمرى سيطول مائة عام اخرى •

يأتى صوت الابنة الكبرى ، وهى تصف ما ينتابها من خجل ، وسط زميلاتها ، الطالبات يأتين راكبات المرسيدس ، والفولكس ، بينما هى تنزل من « الاتوبيس » قبل الجامعة بمحطتين • كى لا يراها أحد ، أو يكتشف المهانة التى تتعرض لها وسط الزحام • يشكو الابن الاصغر من « بناطيله » المهترئة ، وقمصانه الكالحة ، وحقيبته التى فقدت •

ويجىء صوت « عباس محجوب » زميل العمل ، صاحب الدرج المفتوح ، واللسان المغموس فى العسل •

يأتى صوته قويا محددا قسماته •

ــ انت مهزوز • حنبلى • « وش فقر » أب لخمسة من الاولاد • قلت ساعدك عملت عفيف ، والحقيقة

انها عفة مصـــــطنعه ، لا تظن ان محاولتك ايهامنا بالخوف من ربنا ، يمكن ان يقنعنا بنزاهتك • فقط أنـت لا تستطيع مواجهة الناس ، ولا حتى مواجهة نفسك •

ضممت اصابع يدى، وهممت بالطرق على الباب ، ومـــــا أن ترامت الى كلمات العجوز من الداخــل ، حتى توقفت اليد ، وظلت مرفوعة فى الهواء دون ان تجرؤ على الطرق « خبطــة واحدة » •

أعطيت أذنى للباب ، فسمعت : ـ لا احد يضمن العمر يا ولدى •

قال الابن :ـ حماك الله يا أبى من الايدى العابثة ، لكنى أنصح بحفظها فى البوستة ، او فرع لبنك يـكون قريبا من البيت

وضعت عينى على ثقب المفتـــاح فرأيت ، البخار يتصاعد من « بزبوز» البراد والابن يصب الشــاى • راح العجوز يستمد من الكوب الدفء بين كفيه ••

قال الابن :ـ أن لى تجربة مــع المدخرات سيئة •

قال العجوز :ـ امـــــا انا فعلى العكس منك ، وافضل الاحتفاظ بهـا تحت يدى • كل شيء جاء مرتبــا ، ومنسقا ، ومحكما عن غير قصد ، لم اكن ميالا بطبعى للتجسس انما كل ما حدث حدث بمجرد أن هممت بضم أصابع يدى متهيئا للطرق • فوجئــت بالكلمات تقفز ، وتدخل وتقتحم أذنى، ولم استطع منــع نفسى مـــن الانتبــاه اكثر ، واختراق المـكان بعينى من دائرة « الكالون » الصغيرة •

اصبحت رغبتى لما يدور بالداخـل



قصة قصيرة

قوية ، وفى نفس اللحظة كان الخوف من التورط ، فى هتك الستر ذنبا يشل أطرافى ، ويدفعنى للتراجع •

●

قالت الابنة الكبرى :ـ أريد مصروفا أكبر • فأنا لا استطيع دخول « الكافتيريا » • لطلب مشروب بارد •

وقال أصغر أطفالي :ـ وعدتني بشراء حذاء ، لكنك لم تأت به حتى الان ••

وقال الطبيب :ـ اكون اثما لو لم اقل ان الابطاء فى اجراء العملية يعنى فقد الامل •

●

كنت قد قررت أن احفر ثقبا فى الحائط • الملاصق لحجرة العجوز مباشرة ، يسمح لى بمتابعة نشاطه • وكان باستطاعتى مداراة الثقب ، بصورة كبيرة ، تجمع بينى وبين أولادى الخمسة و مهم •

علمت ان احدا لم يكن يزوره ، وانه كان يعتمد على نفسه فى طهو طعامه ، وغسل ثيابه وتنظيف الحجرات ، سألت كيف يتسنى لعجوز مثله ، فعل كل هذه الاشياء ••

قال احد الجيران :ـ ان زوجته ماتت قبل سكنك •

واضاف :ـ ان اولاده هجروه بمجرد زواجهم •

قلت :ـ اذن فقد كان قاسيا معهم

قال : ـ نعم بالضبط كان قاسيا معهم •

قلت :ـ لهذا السبب هجروه ••؟

قال :ـ نعم لهذا السبب هجروه •

قلت :ـ أليس له ولد واحد بار به؟

قال :ـ بالضبط فان له واحدا بارا به •

قلت :ـ متى يزوره ••؟

قال :ـ مرتين فى الشهر •

قلت فى نفسى وانا ابتلع ريقى « انا اخشى ان اعامل من أولادى مثلما فعل اولاده معه •

●

كانت الفكرة تلح ، تلح ، مثل اخطبوط كانت ، يمتد لها مائة ذراع وذراع وذراع • لم انم ، كنت مضطربا •• متوترا • أسمع وجيب قلبى • كان صوت اشبه ، بنقرات المطر فوق زجاج نافذة فى ليلةمطرة• من تحت الوسادة تناولت علبة سجائرى • اصابعى ترتعش ورأسى يضج بالاصوات • يضج •

ـ انت وش فقر • حنبلى • مهزوز •• قلت اساعدك •• عملت عفيف •

(ـ اكون اثما لو لم اقل ان الابطاء فى اجراء العملية • يعنى فقد الامل) •

(ـ انا لا استطيع دخول الكافتيريا لطلب مشروب بارد) •

(ـ لا تظن أن محاولتك ايهامنا بالخوف من ربنا يمكن ان يقنعنا بنزاهتك ، فقط انت لا تستطيع مواجهة نفسك • انت مهزوز • مهزوز • مهزوز)

●

بعد ايام كنت اتقدم فى خطوات متعثرة • خائرة الى الحجرة الملاصقة لحجرة العجوز كنت أرتعش • وانا أرفع الصورة من فوق الثقب •• ضربات قلبى تضطرب • انفاسى لاهثه •• لاهثه ••

وحينما انغرست عينى فوق فراش العجوز ، كان مستغرقا تماما • تلفه غلالة من الصمت المطبق ، والعميق •


كتاب الهلال
يقدم :
في البدء كانت الكلمة
بقلم
الدكتور شكري محمد عياد
يصدر
٥ مارس
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم
الركض مع الفرسان
تأليف : الكاتب الأمريكي فيرول هامز
ترجمة : د. أمين العيوطي
تصدر في
١٥ مارس ١٩٨٧

شخصية العدد

سلطان برج البراجنة !

بقلم : فيليب جلاب

ليس كل الجنرالات « العظام في العالم من متخرجي كليات الحرب والاكاديميات العسكرية • وليس كل متخرجي هذه الكليات والاكاديميات من « الجنرالات » العظام •

لكن الذين تخرجوا في «اكاديمية » مخيم برج البراجنة هم الطراز الجديد الفريد من الجنرالات ، الذين لم يرتدوا بزة عسكرية من قبل ولم يقرأوا على معلم كتابا واحدا في فنون القتال وعلوم التكتيك والاستراتيجية ومبادىء الامداد والتموين والكر والفر !

احد هؤلاء الجنرالات او ابرزهم شاب لم يكمل تعليمه حولته محنة شعبه العربي الفلسطيني وسنوات القهر والحصار ومشاهد الفتك بالشيوخ والنساء والاطفال الى جنرال حقيقي لا يعرف احد الا اسمه الاول: « سلطان » !

بحسابات العلوم العسكرية التي يجيدها بعض العسكريين التقليديين ، كان يجب أن يستسلم مخيم برج البراجنة لدى وفاة اول طفل لم يجد ما ياكله • لكن الجنرال سلطان ورفاقه نظموا المقاومة العسكرية في مواجهة قوى غاشمة تتستر وراء شعارات كاذبة عن العروبة والاسلام وعجزت قوات الحصار التي تستخدم افتك الاسلحة طوال ثلاثة شهور عن اختراق المخيم أو ارغام قوات



« الجنرال » سلطان على الاستسلام وعندما استخدمت اخس وادنا انواع السلاح وهو منع دخول الغذاء والدواء الى السكان المدنيين والمدافعين عنهم ، اقتات هؤلاء بالاعشاب البرية وبالكلاب والقطط والميتة .

وأفتى زعيم « حزب الله » بانه من الجائز شرعا ان ياكل المحاصرون جثث القتلى . لكنه تردد فى اعلان رأى الشرع فى اولئك الذين ياكلون لحم الفلسطينيين المسلحين والعزل احياء بدعوى ان الفلسطينيين يهددون « سيادة » و « استقرار » لبنان وقد يعقدون الامور مع « جيرانه » !

لقد كتب القتال على الفلسطينيين . ومن جحيم المعارك غير المتكافئة والحصار الهمجى للاطفال والنساء والرجال يخرج جيل جديد من المقاتلين « والجنرالات » واساتذة فنون الحرب والمقاومة .

والذين يراهنون على «شيخوخة» جيل سابق وتشريده فى أربعة أركان المعمورة يجدون امامهم فجأة « الجنرال » سلطان ومئات غيره من متخرجى أرقى الاكاديميات العسكرية التى تسمى احيانا بالمخيمات !

حوار حول .. الشخصية الأندلسية

طلعت شاهين

حول « الشخصية الاندليسية » عقدت مائدة مستديرة ومناقشة عامة بالمعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد حيث تحدث كل من الدكتور حسين مؤنس والدكتور محمود على مكى والمستشرق الاسبانى خواكيه بالبيه ، وقد أدار الحوار الدكتور سيد حنفى مدير المعهد المصرى للدراسات الاسلامية والمستشار الثقافى بالسفارة المصرية بمدريد ، وقد حضر المناقشة جمهور كبير من المستشرقين وطلاب أقسام اللغة العربية بالجامعات الاسبانية وعدد كبير من المصريين الدارسين باسبانيا وفى مقدمة هؤلاء كان السيد محمود ابو النصر سفير مصر بمدريد والاستاذ فؤاد ياسين ممثل منظمة التحرير الفلسطينية والسيد مدير مكتب جامعة الدول العربية باسبانيا .

وقد بدأ الدكتور حسين مؤنس الحديث عن الشخصية الاندلسية فاشار الى أن ما يقال فى هذا الصدد انما هو حصيلة دراسات وقراءات للتاريخ من خلال مؤلفات متعددة ، ولكن الاهم هو الحديث عن هذه الشخصية من خلال الاحتكاك الحياتى اليومى والتعامل مع أحفاد الاندلسيين والذين تتجسد روحهم فى أبناء أسبانيا المعاصرة ، ثم قدم الدكتور محمود على مكى ليتحدث عن الشخصية الاندلسية من خلال نتاجاتها الادبية والعلمية والفنية .

وتحدث الدكتور مكى فقال :

كنت أود أن يكون الحديث متبادلا بينى وبين الحاضرين ، وخاصة أن بين الحاضرين من هم من العلماء فى هذا الشأن .. ولا شك أن انشاء المعهد



الدكتور حسين مؤنس يتوسط د . محمود مكي ود . سيد حفني

المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد عام ١٩٥٠ كان له الفضل فى هذا العدد الضخم من المستشرقين ، واتجاه العديد من الشباب الاسبانى نحو دراسات خاصة بالاندلس أو اسبانيا الاسلامية كما يسمونها ٠

فالاندلس تاريخها حقل واسع وكبير واتجاهاته متعددة الى جانب التفرد فى هذه المجالات ، ويحتاج الى عدة قرون اخرى للوصول الى نتائج حقيقية حول هذه الحقبة الزمنية التى عاشها العرب فى الاندلس ٠ فالتسامح الدينى والسياسى الذى حكم الاندلس اعطانا هذه الابداعات المتعددة الاتجاهات ومازال يعطينا كل يوم مفاجآت جديدة، والاندلس بتاريخه الاسلامى أعطى حضارة ذات مذاق خاص ، واتسعت لتشمل كافة مظاهر الحضارة ، فالاندلس معروف بأنه المكان الوحيد فى العالم الاسلامى الذى كان يتحدث بلغتين مختلفتين (العربية والاسبانية) الا انه ترك لنا ثروة من المؤلفات فى علم اللغة العربية ، ولا تزال هذه المؤلفات تدرس فى الجامعات المصرية كمؤلفات ابن الزبيدى وابن سيدة المرس وكتاب « القواعد » لابن مالك الذى لا غنى عنه الى جوار كتاب سيبويه ٠ ولو بحثنا فى الدراسات التاريخية لوجدنا أن ابن حيان القرطبى أعظم من كتب فى هذا المجال ، وهكذا فاننا نرى أن للاندلس بصمات واضحة فى كل فروع المعرفة عندما لا يذكر ابن حزم وابن العربى الاشبيلى ، ومحيى الدين بن عربى المرسى الذى لا مثيل لمؤلفاته فى الشرق ٠ ثم هناك هذا النوع من الشعر المتفرد الذى نراه فى الموشحات والازجال ، والذى يعد ابداعا اندلسيا خالصا ، ولذلك أكرر واقول ان الاندلس مازال موجودا ولم يفقد أبدا ٠٠ ومازال الاندلس فى قلوبنا وعقولنا ولم يفقد سواء بالنسبة لنا أو بالنسبة لابنائه من الاسبان الذين مازالوا يعمرون هذه الارض بعد هذا التاريخ العريق ٠٠

ثم تحدث الدكتور حسين مؤنس عن كيف يرى المؤرخون التاريخ فقال :

لا شىء يموت فى التاريخ ، المؤرخون يرون أن الزمن لا ماض فيه ولا حاضر ولا مستقبل ، فالتاريخ نهر كبير يجرى وماؤه متغير دائما ولكن هذا الماء لايذهب

حوار حول.. الشخصية الأندلسية

هباء ولا يضيع .. بل يذهب ليحل محله ماء آخر فلا تستطيع أن تفرق بين الماء الذى مضى والذى آتى أو سيأتى ، لانه كل متماسك لا يمكن تحديده .. والتاريخ هو النهر والحضارة ماؤه .. الحضارة ترتفع احيانا وتنخفض أحيانا أخرى .. الحضارة كالانسان يشب صغيرا ثم شابا فأبا ومن بعده ابناء واجيال أخرى . ويظل الانسان دائما هو الانسان ، والصبا لا يموت ليحل محله الشباب وانما يتحول ويستمر .. هذا ما يمكن قوله عن اسبانيا الاسلامية أو الاندلس كما نسميها نحن ، فالاندلس عاش هنا فى اسبانيا كشىء مادى ، ومازالت آثاره باقية .. فلا غزو ولا غزاة ، انها الحرب ومن ينتصر يخلق حضارته فى المكان الذى يسكن فيه ، ثم يذهب ليأتى من بعده آخر ..

تفرد حضارة الاندلس

ثم تحدث الدكتور سيد حنفى وطرح استفسارا هاما فقال :

هناك نظريتان حول تفرد الحضارة الاندلسية ، النظرية الاولى تقول ان العالم الاسلامى حضارته واحدة ولها مظهر عام واحد ولا توجد مناطق لها حضارة خاصة متفردة ، اذن الاندلس لم يكن حضارة متفردة ، اما النظرية الاخرى تقول : ان لكل منطقة شخصيتها الخاصة فى نطاق الحضارة الاسلامية كشكل عام يجمع مختلف هذه المناطق ، **ولذلك فقد تفردت الاندلس كما تفردت مصر فى الحقبة الاسلامية ، وأنا** أرى ـ كمعارضة منى لاستاذى الدكتور مؤنس ـ ان الاندلس كان خاضعا لتأثير كبير من الشرق الاسلامى ، وأرى أن الموشحات والزجل كانا نتاجا شرقيا اسلاميا ولا فضل للاندلس فيه .. لكن أين الحقيقة فى كل هذا ؟

وتولى الدكتور محمود مكى الاجابة عن هذا التساؤل فقال :

ما طرحه الدكتور سيد حنفى شىء طيب ، فكلنا يعرف أن العالم الاسلامى فى ذلك الوقت كانت تجمعه راية واحدة هى الاسلام الى جوار اللغة العربية وأرض لها وحدة تاريخية تكاد تكون واحدة أيضا ، فالتعريب والاسلام سارا معا ليجمعا هذه البلاد من المحيط الى حدود الصين . ولكن رغم هذه الوحدة السياسية ، فان الامر بالنسبة للحضارة كان مختلفا ، فالثقافة كانت واحدة ، ولكن لكل بلد اسلامى فى ذلك الوقت كانت له شخصية متفردة وخصوصية فى طريقة صنع حضارته ، فتميز الاندلس بلقاء حضارات متعددة ، ولعل الاشارة هنا الى كتاب الثعالبى حول الشعر العربى يقدم لنا هذا التميز بين مكان وآخر ، فهو يشير فى مقدمة كتابه الى انه رغم ان الثقافة العربية الاسلامية كانت تجمع هذا الشمل كله ، الا انه كان هناك تميز وخصوصية لبعض البلدان فى هذا الكل الواحد ، وخصص لكل منطقة جزءا خاصا حتى يؤكد على هذه الخصوصية . وان كانت دراسته لم تكن بالعمق الذى يبحث فى أصول هذه الخصوصية .. اما ابن بسام ابن هذه الحضارة الاندلسية فقد الف كتابا مشابها خص به الاندلس فقط وهو يشمل كل مناطق اسبانيا والبرتغال فى ذلك الوقت ، وذلك يؤكد انه رغم اتحاد الجذور فى اللغة والثقافة والدين فان الخصوصية لكل جزء وحده كانت موجودة ولا تزال . ويجب الاعتراف بذلك .

أن الكتاب الاسلاميين القدامى لم يقولوا ذلك ، ولا توجد أية اشارة لاى من كتاب الشرق الاسلامى حول الاصول الشرقية للموشحات والزجل وأرى أنهما ابداع اندلسي خالص .. فرغم وجود ابداعات شبيهة للزجل فى بلدان المشرق الاسلامى فانه من المعروف ان الاندلس كان له السبق فى استخدام اللغة العامية فى الخلق والابداع الأدبى والفنى ولا يوجد بلد واحد يجرؤ على استخدام العامية كما استخدمها الاندلسى ، وما ظهر بعد ذلك فى العاميات فى البلدان الشرقية كان تقليدا للزجل الاندلسى .

● مصر وحضارة الاندلس

● وتحدث المستشرق خواكيه بالبيه الاستاذ بجامعة مدريد فقال :

أريد أن أسأل الاستاذين مؤنس ومكى حول الدراسات الاندلسية فى مصر وما مدى الاهتمام بها ؟ لاننى أرى أن مصر هى حجر الزاوية فى فهم الحضارة الاندلسية ، ومصر هى التى يمكن أن توضح الكثير من الغموض الذى يلف هذه الحضارة فى الاندلس وشمال افريقيا ايضا . وهناك أمر آخر تبينته وذكرته فى دراساتى حول كلمة « الاندلس » واعتقد ان الكشف حول هذا الاسم يمكن ان يكون مصريا ، فهناك فى مصر كانت « جزيرة الاندلس » و « محلة الاندلس » ثم هناك علاقة بين كلمة الاندلس ومدينة « اتلانتا » المفقودة واعتقد انه شىء جاء عبر الحضارة الفرعونية فى مصر والاغريق قالوا بهذا . وقد ذكر « ابن الحكم » اسم « محلة الاندلس » وقال انها فى « الفسطاط » أين الحقيقة ؟

وما زلت اكرر ان مصر هى حجر الزاوية فى فهم جذور الحضارة الاندلسية ، لانها لعبت دورا كبيرا فى ابداع وخلق هذه الحضارة .

وتولى الدكتور محمود مكى الاجابة عما طرح المستشرق الاسبانى خواكيه بالبيه ، فقال :

أولا أقول للصديق خواكيه بالبيه ان مصر بها العديد من الباحثين الشبان الذى يبحثون فى حقل الحضارة الاندلسية ، **ومصر وجامعتها يوليا الاندلس اهتماما خاصا ورغم المشاكل والعقبات التى تواجهنا فان النتائج طيبة** . واعتقد أن ما قيل حول دور مصر فى انتقال الحضارة الاسلامية من المشرق الى شمال افريقيا واسبانيا ، فان مصر كانت هى الطريق والمعبر ، ولم يكن ذلك مقصورا على الجيش فحسب ، بل ان مصر كانت معبرا لكل القيادات الثقافية التى جاءت من شرق العالم الاسلامى واتجهت الى غربه .

اما عن اسم « الاندلس » فحقيقة أن « ابن الحكم » ذكر اسم « محلة الاندلس » ، الا أننى اعترف بعدم خبرتى فى هذا المجال وان كنت اعتقد ان اسم « الاندلس جاء من تسمية قبائل « الوندلس » الذين سكنوا شبه الجزيرة الايبرية ثم رحلوا باتجاه تونس ، وعندما جاء العرب الى اسبانيا سموها باسم هذه القبائل التى كانت تسكنها . أما مسألة مدينة « اتلانتا » المفقودة فهذا الموضوع جديد تماما ، وقد ارتبط الاندلسيون بمصر اكثر من ارتباطهم بسوريا رغم أن الشام كانت موطن مؤسس الاندلس الحقيقى عبد الرحمن الداخل ، **وهذه الروابط لا تزال تربط اهل مصر بالاندلس حتى الآن ، وفى قلب كل مصرى حب خاص يتجه صوب الاندلس .**

التليفزيون والطفل

افتح ياسمسم... نحن الأطفال

لطيفه سيد

اذا كان للتليفزيون أثره الخطير على الكبار .. فهل يمكن ان تتصور مدى خطورته على الصغار .. ذهبت الهـلال الى الولايات المتحدة تستطلع احدث الابحاث عـلى اثر التليفزيون على الاطفال من خلال احـدث مسلسل يحمل عنوان « افتح يا سمسم »

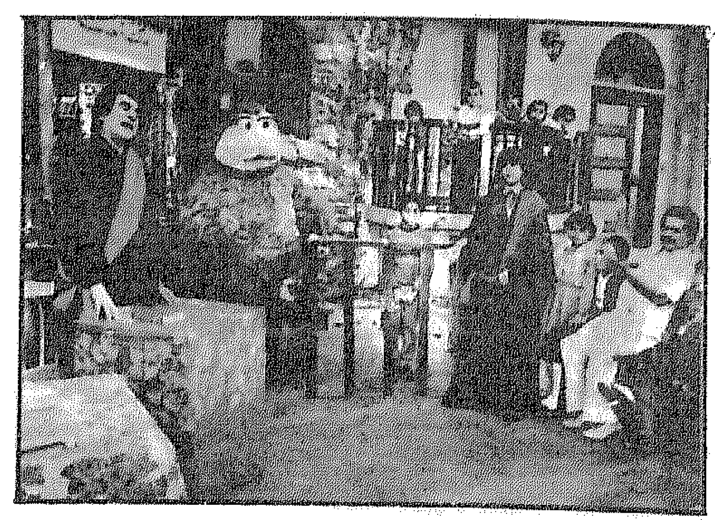
عندما سألوا مجموعة من أطفال امريكا فى سن الرابعة فى دراسة علمية ، ما الذى تحبونه أكثر: التليفزيون أم اباؤكم ؟ أجاب ٤٦ ٪ منهم بأنهم يحبـون التليفزيون اكثر من ابائهم .

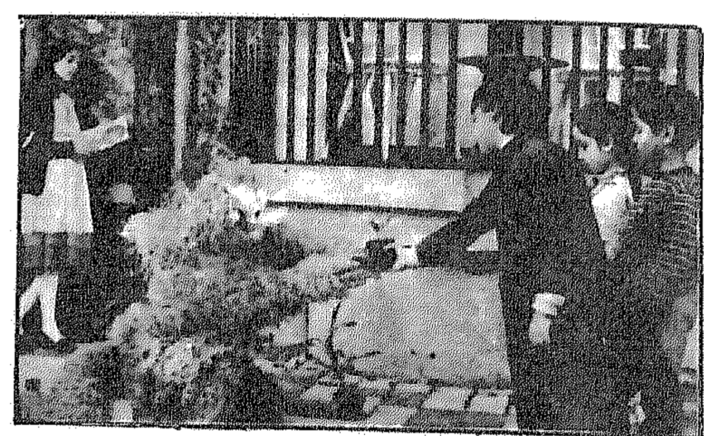
لم تعد المسـألة متعلقة بتـأثير التليفـزيون أو سرقته للوقـت ، حيث يجلس الطفل الامريكى ما بين اربـع وخمس سـاعات يوميا فى مشـاهدة التليفزيون ، ولم يعد الامر أمر قضـاء وقت فى المشاهدة التليفزيونية أكثر من الوقت الذى يقضيه الطفل فى الدراسـة وانما أصبحت فى الاولوية التى يعطيها الطفل للتليفزيون والـذى يفضله عـن اهله .

وواكب هذه الظروف أن الرأى العام الامريكى ثار على التليفزيون فى أواخر الستينيات لما احدثه من دمار فى عقول ونفوس الشباب ، بما يقدمه من موجات العنف والجريمة والجنس ، والاعلانـات التجارية التى تداعب غرائز الجماهير .

وهكذا دق ناقوس الخطر ، وأدركـوا عمق تأثير التليفـزيون على الاطفـال والمراهقين ، وبدأوا البحث حتى لا تكون مشاهدة الاطفال للتليفزيون وقتا ضائعا ،









مشاهد من النسخة العربية الخليجية من إنتاج التليفزيون الامريكي للأطفال « افتح ياسمسم »

وخصصوا الاموال حتى لا يكون الانتاج هزيلا . فأصبحت ساعة الانتاج التليفزيوني للاطفال تتكلف خمسين ألف دولار في المتوسط .

وخصصت الولايات المتحدة الامريكية في سنة ١٩٧٠ (مليون دولار) لمشروع ينمى رؤية الاطفال والمراهقين النقدية لما يشاهدونه ــ وشمل المشروع كل فروع الانتاج : حيل الانتاج التكنولوجي ــ الكتابة . الاضاءة . الموسيقى .. الخ .

وكانت بين الاشياء الجديدة التى ظهرت « ورشة الاطفال » وهى ورشة تعنى بكل ما يخص الاطفال ، وتجرى أبحاثا علمية بحيث لا تخرج برامج الاطفال من فراغ ، وتقدم برامج نموذجية حتى لا تظل ابحاثها حبيسة الاوراق . وتجرى التجارب الجديدة من اجل الاطفال .

● افتح يا سمسم والشهرة ●

أشهر أعمال هذه الورشة هو البرنامج التليفزيونى : شارع سيسمى » الذى ترجمته دول الخليج العربي الى « افتح يا سمسم » . ولأن الامور لاتنبت من فراغ فقبل ان يخرج هذا البرنامج للوجود تم اجراء استفتاء للأطفال كان الهدف منه معرفة ما الذى يريده الاطفال .

التليفزيون والطفل

ولم يكتف الباحثون بهذا الاستفتاء وانما تحدثوا للاطفال . سألوهم عما يرغبون فيمشاهدتهفي برامجهمفجاءت اجابات البنات تفضل مشاهدةالحيوانات .. وجاءت اجابات الاولاد أنهم يحبون عالم الفضاء واتفق الاولاد والبنات على أنهم لا يحبون الحشرات .

ويحرص خبراء ورشة الاطفال على ان يؤكدوا انهم لم يخضعوا لهذه المعلومات ، فذلك تربويا غير معقول ، ولكنهم يضعون هذهالمعلومات فى الاعتبار .

وقد حرص البحث على اعطاء عناية كبيرة للعلم . فسألوا الاطفال عن صورة العلم فى خيالهم : هل تحب أيها الطفل ان تكون عالما أم لا تحب ، وطلبوا من مائتى طفل ان يكتبوا مقالا عن يوم نموذجى فى حياة عالم . ومن المطمئن ان الاطفال ليسوا غارقين فى عالم « سندريللا » و « عقلة الصباع »، وانهم مهتمون بالعالم الذى يعيشون فيه . فكثير منهم أولى اهتماما للاخطار المادية الناتجة من العلم . وقال البعض ان مهنة العالم مهنة منعزلة ويشعر من يمارسها بالوحدة .

ولم يهتم فقط بغالبية الاطفال سليمى البنية وانما اهتم أيضا بأصحاب المشاكل الخاصة وتضمن فريق البحث مستشارين فى مشاكل هؤلاء .

على هذا الاساس المتين ظهرت درة انتاج ورشة الاطفال الامريكية « افتح يا سمسم » سنة ١٩٦٩ . من النسخة الامريكية شاهدت أغنية عن الرقم « ٨ » وعلى المثال نفسه أغنيات أخرى عن الارقام .

من نسخة الخليج العربى شاهدت حلقة كاملة تبدأ بأغنية تقول :

افتح يا سمسم أبوابك .. نحن الاطفال
افتح واستقبل أصحابك .. نحن الاطفال

تبدأ الحلقة بتمثيلية عن مخاطر الخيلاء عن طفل لا ينتظر دوره فتكون النتيجة انزلاقه على قشرة موز رماها شخص يعترف بخطئه وتستمر التمثيلية مستعينة بالممثلين والعرائس ، ثم شرح للأشكال الهندسية ، الدائرة ـ المثلث ـ الخط المستقيم مع تدعيم الشرح بأشكال مختلفة من الحياة ، وهناك أغنية تصعد بالارقام من واحد الى عشرة ثم تهبط بهم من عشرة الى واحد .

من النسخة المكسيكية المنتجة لكل أمريكا اللاتينية ، شاهدت يوما فى حياة طفل مكسيكى يعمل فى المزرعة ثم مواجهة بين طفل فشل فى الحصول على درجات طيبة فى المدرسة وبين والده ، فى البداية يضيق الطفل بأبيه ولكنه فى النهاية يدرك أن كل هذا من أجل مصلحته تسألنى دليلتى : هل استمتعتى بهذا؟ والحقيقة أننى استمتعت فما بالكم بالاطفال . وتشرح كيف اقف البرنامج العالم . تقول : بعد انتاج البرنامج بدأنا فى تلقى الطلبات مندول مختلفة تسألنا عما اذا كان من الممكن نقل نسخة لهم ، وكانت ألمانيا هى أول دولة تطلب منا ذلك .

ترجم البرنامج كما هو للالمانية وعلى الرغم من نجاحه فى ألمانيا فاننا وهم بعد سنة ادركنا ان البرنامج صمم للمشاهد الامريكى ، وعلى هذا فانه فى تجاربنا مع دول أخرى فرقنا بين الفقرات التى يمكن تقديمها للمشاهد اينما كان مثل فقرة الاعداد والاشكال الهندسية والفقرات المرتبطة بأرضها مثل العادات والتقاليد وهذه يعاد تصميمها فى كل مجتمع طبقا لظروفه .

وهكذا نجد السلحفاة والقرد فى نسخة الفيلبين بينما لا نجدهما فى نسخ أخرى » ٠

● أكثر من نسخة ●

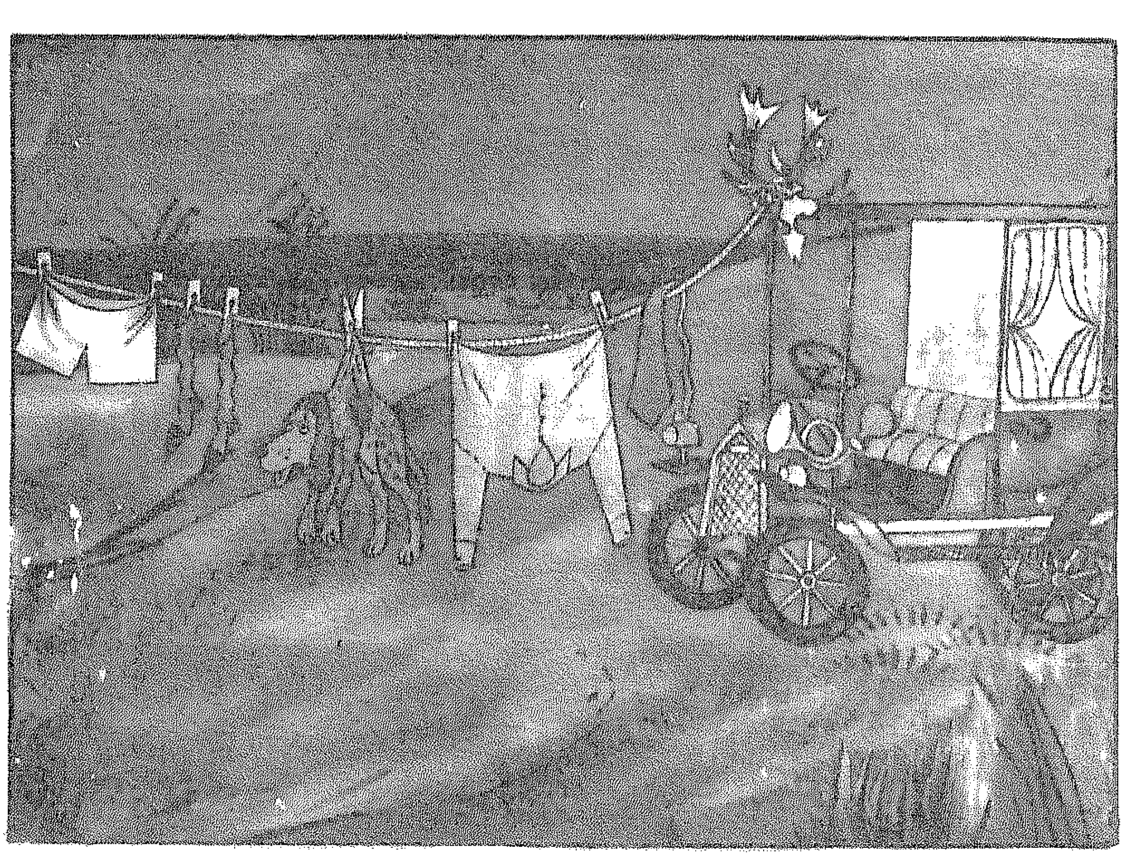
وتضيف محدثتى : « عموما تشكل المادة المأخوذة من البرنامج الاصلى خمسين فى المائة من أى نسخة جديدة بينما النصف الثانى ينتج طبقا لظروف البيئة المحلية » ٠

وهكذا أصبح لبرنامج الاطفال الشهير « افتح يا سمسم » أكثر من نسخة : نسخة الخليج العربى ـ نسخة المكسيك التى تعرض فى أمريكا اللاتينية ـ نسخة الفيلبين ونسخة لكل من المانيا ـ هولندا ٠٠ ووصل عدد حلقات البرنامج حتى الآن الى مائة وعشرين حلقة وهناك مائة وعشرون حلقة جديدة فى الطريق ٠

وعندما ترغب دولة فى انتاج نسخة جديدة من برنامج « افتح يا سمسم » فانها ترسل خبراءها ليتحدثوا الى خبراء ورشة الاطفال ويتعرفوا على فلسفة الورشة وارتباط أبحاثهم العلمية بانتاج البرنامج ويحددوا المواد المناسبة لمجتمعهم ٠

واذا سألت الدليلة : اذا حدث خلاف فى الانتاج المشترك مع دولة فالكلمة النهائية لمن ؟ فانها ستجيبك : الكلمة النهائية لرئيس الخبراء فى ورشة الاطفال ولكننا نحاول أن نتجنب ذلك ٠ فنحن نشير عليهم وندرك انه من الخطأ أن نجبرهم على شيء ٠

وصلت تكلفة ساعة الانتاج التليفزيونى الأمريكى للاطفال الى ٥٠ الف دولار فى المتوسط



التليفزيون والطفل

اصبح هـــذا البرنامج الذى لف العالم موضعا للدراسة وهناك العديد من الشهادات العلمية فى صفه :

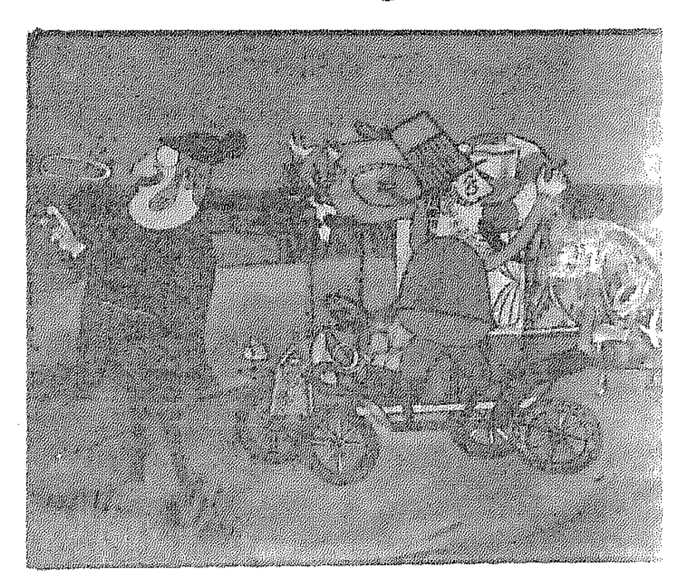
تقول احدى الشهادات :

« الشخصيات التى ظهـــرت فى البرنامج ساعدت الاطفال على القراءة، فالاطفـــال يقراون بسهولة بعـــد ان يشاهدوا شخصيات البرنامج » •

شهادة اخرى تقول :

« برنامج يدعو للخـــلق القـــويم والسلوك الاجتماعى السليم ، وثبت بالتجربة الميدانية ان الاطفال الـــذين شاهدوا هذا البرنامج بصورة منتظمة قد تغيـــــر سلوكهم وتصرفاتهم الى الافضل » •

أعمال الكارتون جعلت ٤٦٪ من أطفال الولايات المتحدة يفضلون صحبة التليفزيون على صحبة اولياء امورهم



وشهادة ثالثة :

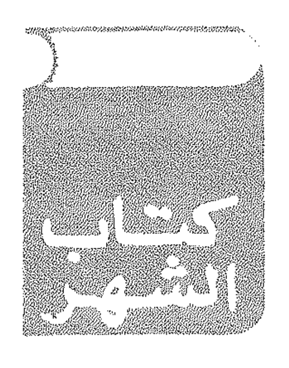
« هذا البرنامج يعد من البـــرامج التعليميـــــة والتوجيهية النموذجيـــة للاطفـــــال وخاصه لمن هم دون سن المدرسة اذ ان البرنامج يعلم الاطفال الحـــــروف والارقام والكلمـــــات واستخداماتها » •

وانتاج البرامج ليس العمل الوحيد لورشةالاطفال بل تعتبر نفسها مسئولة عن كل ما يهم الاطفـــال وحتى اثارة اهتمام المجتمع بالاطفـــال هو احد اهتماماتهم، واحدبرامجهم ، يهتمبتقديم معلومات عن الاطفال للمجتمع ، كيف يتقبل الطفل المدرسة ، امراض الاطفال ويقدمون معـــلومات فى التليفـــزيون حولها ويرسلون خطابات حول الموضوع الى المنازل والاسر •

وغالبا ما يصحب الاباء اطفـــالهم الى الورشة ليستمعوا الى المحاضرات وتنظم الورشه للاطبـــاء والممرضات تجمعات مختلفه ليحدثوا اولياء الامور عن الاطفال واحتياجاتهم •

واهبط من قمه الجبل الى ســـفح البئر • من الاهتمام بالطفل الى حـــد تعليمه الحروف والارقام على نغمات الموسيقى خوفا عليـــه من الجمـــود والغلظه الى مشاكل اطفال العـــالم الثالث الـــذين يعـــانون من مشاكل البعوض وعدم اقتناع الاهل بضرورة التطعيم والذين يعـــانون من مرض الجفاف وغيره من امراض الجـــوع والعوز وقلة الرعاية والعناية •

يحدث لى الدوار عندما انتقل من مبنى ورشه الاطفـــال الامريكية الى مبنى « اليونيسيف » التى تعنى باطفال العالم الثالث والتى تجاهد فى سبيل توصيل المياه النظيفه للاهالى • ان الاطفال هم ابرز شاهد يبين الفـــارق بين العالم المتقدم والعالم المتخلف •• لكم الله يا اطفال العالم الثالث •••



العلاقات المصرية الأمريكية

FROM SIDESHOW TO CENTER STAGE

U.S. Policy Toward Egypt 1946–1956

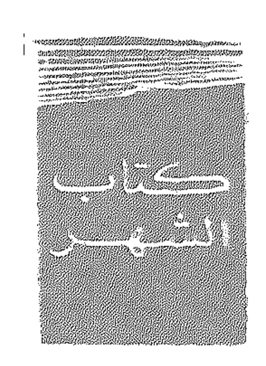
GEOFFREY ARONSON

تأليف: جيفرى أرونسون   تقديم وعرض: د. السيد أمين شلبى

كانت هذه الدراسة فى الأصل رسالة جامعية تقدم بها صاحبها الصحفى الأمريكى جيفرى آرونسون الى جامعة اكسفورد فى إنجلترا ، ثم ظهرت أخيرا فى هذا الكتاب فى الولايات المتحدة .

وحين قرأت هذه الدراسة فى البداية جذبتنى إليها ثلاثة اعتبارات ، الاعتبار الأول هو أهمية الحقبة التى تستعرضها وأثرها الحاسم ليس فقط فى الشكل الذى أخذته العلاقات الأمريكية المصرية لقرابة حقبتين تاليتين ، وإنما أيضا لامتداد هذا التأثير على الوضع الاقليمى والدولى .. بل إنه يمكن القول بأن تطور مواقف الولايات المتحدة والغرب من الحكم الجديد فى مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو كان له تأثيره فى توجهات الحكم الداخلية ، وطبيعة نظام الحكم والسياسات الاقتصادية والاجتماعية التى تبناها .

أما الاعتبار الثانى ، فهو الموضوعية والانصاف اللتان عالج بهما الكاتب احداث هذه الحقبة ومنهجه فى دراستها وذلك فى سياق الظروف التاريخية المحددة التى كانت تمر بها مصر ، ومنطقة الشرق الأوسط ، وبلدان العالم الثالث المستقلة حديثا ، ثم السياق الدولى الأشمل وبروز الحرب الباردة حيث يقدم الكاتب رؤية نقدية لكيفية سيطرة اعتبارات وافتراضات



هذه الحرب على سياسات بلاده وبشكل شوه تقييمها لدوافع رجاء الحكم الثورى الجديد فى مصـر .

أما الاعتبار الثالث فهو وفرة الوثائق التى اعتمد عليها الكاتب فى تحليله لأحداث هذه الفترة سواء كانت وثائق رسمية أو مذكرات وبيانات للشخصيات التى شاركت فى أحداثها .

الاطـار العام للدراسـة

وتبدأ الحقبة التى يستعرضها الكتاب بخروج الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية وبدء تزايد الاهتمام الأمريكى بمصر ومنطقة الشرق الأوسط ، خاصة بعد نشوب الحرب الباردة والرؤية الأمريكية لتطورات هذه المنطقة فقط من منظار مايخدم المصالح الأمريكية فى هذه الحرب . وبفعل هذا بدأ يتلاشى ماكان بعض الساسة الأمريكيين يتطلعون اليه من ان تنفصل بلادهم فى علاقاتها المقبلة مع هذه المنطقة ودولها عن الميراث الاستعمارى للدول الغربية فيها .

ولكن بفضل الحرب الباردة البازغة انتفى فى النظر الأمريكى الجديد وجود أى تناقض بين مايخدم صالح الولايات المتحدة بشكل عريض وما يخدم مصالح أمم أخرى فى « العالم الحر » ، وانطبق هذا المفهوم على الوجود البريطانى فى منطقة قناة السويس وهو ما كانت مصر تكافح للتخلص منه ، وإن كانت السياسة الأمريكية بدأت تتحرك من وضع يرى مركز بريطانيا العسكرى فى مصر كمصدر قوة الى رؤيته كعنصر عدم استقرار ومعيق لخلق نظام اقليمي مستقر لحماية مصالح الولايات المتحدة .

وكان من معانى تزايد الاهتمـام الأمريكى بمصر ومنطقة الشرق الأوسط ، ازدياد مراقبـة واشنطون التطـورات الداخلية فى مصر ومحاولة توجيهها ، وفى هذا بدأت تنظر بالشك الى النظام الملكى والى النظام السياسى القائم بأكمله ورجاله وقدرته على البقاء او احتواء عناصر السخط السياسى والاجتماعى التى كانت تتفاعل بوضوح فى مصر . لذلك بدأت الولايات المتحدة تتطلع الى حكم يستوعب هذه التفاعلات ويوجهها وجهة تخدم المصالح الأمريكية العريضة فى مصر والمنطقة . من هنا كان تعاطف الولايات المتحدة فى البداية مع ثورة يوليو ورجالها حيث رأت فى منطلقاتها ومبادئها الأولى مايتفق مع آمال الولايات المتحدة فى الاصلاح ، ورأت فى رجالها ابناء المنطقة المتوسطة المؤهلين لذلك .

التجـاوب مـع الامانى الوطنيـة

وكما كانت واشنطون تتوقع هذا من رجال الحكم الجديد وكانوا هم أيضا

يتوقعون أن تقدم الولايات المتحدة تأييدها ومساعدتها لأهدافهم السياسية والاجتماعية فقد واصلوا سياسات رجال الحكم القديم فى الاعتماد على السياسة الأمريكية لحث حليفتها بريطانيا على تحقيق تسوية فى منطقة القناة تتجاوب مع الامانى الوطنية المصرية ، واكثر من هذا كانت توجهات رجال الثورة الى الولايات المتحدة للمساعدة فى تحقيق هدفين رئيسيين من أهدافهم : بناء القدرة الدفاعية للجيش المصرى واعادة تسليحه ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ورفع مستوى معيشة الشعب المصرى .

حول هاتين المسألتين الحيويتين ، النظام الجديد ومستقبله ومكانته ، دارت اتصالات رجاله مع الولايات المتحدة ، واكتسب هدف تسليح الجيش المصرى أولوية والحاحا مع تزايد الشكوى داخل صفوف الجيش من مستويات تسليحه ، وحيث كانت تجربة حرب فلسطين مازالت ماثلة ، وزاد من ضغط هذا الهدف تزايد التوتر العسكرى على خطوط الهدنة المصرية الاسرائيلية .

غير ان طلبات مصر المتكررة والبعثات العسكرية التى توجهت الى واشنطون حاملة هذه الطلبات قوبلت بالتسويف ووضع العقبات ، حتى بلغ هذا برجال الثورة مبلغ اليأس خاصة بعد الغارة الاسرائيلية على غزة فى فبراير عام ١٩٥٥ ، والتى كان أثرها كبيرا وأوضحت مدى تعرض الجيش المصرى للخطر كما أحرجت النظام الجديد وزعماءه شعبيا بل وبين صفوف القوات المسلحة .

أما هدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية فقد تبلور حول مشروع السد العالى فى أسوان . وفى هذا ايضا كان اختيار النظام الجديد للولايات المتحدة والغرب والمؤسسات الدولية لتكون مصادر تمويل بناء السد . غير أنه فى ١٩ يوليو ١٩٥٥ وهو اليوم الذى توجه فيه الدكتور أحمد حسين السفير المصرى فى واشنطون لابلاغ وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس قبول مصر لشروط الولايات المتحدة والبنك الدولى فيما يتعلق بتمويلهم للمشروع ، أبلغ وزير الخارجية الأمريكى السفير المصرى سحب الولايات المتحدة عرضها للمشاركة فى تمويل السد .

سيطرة اعتبارات الحرب الباردة على السياسة الأمريكية

فلماذا عجزت الولايات المتحدة عن الاستجابة لهذه المطالب والضرورات الأساسية والحيوية للحكم الجديد فى مصر ؟ .

يقدم الكتاب تفسيرا لذلك الاطار الذى حكم ـ ومازال يحكم ـ السياسة الأمريكية ، وتمثل فى اعتبارات الحرب الباردة والتى جعلت الولايات المتحدة ترى التطورات المحلية والاقليمية ، وتحدد مواقفها واستجابتها فيها من خلال تصورات وفروض هذه الحرب . **كما ضاعف من هذا العنصر اليهودى والصهيونى داخل الولايات المتحدة وهو ما ستلمس تأثيره عند كل منعطف فى العلاقات المصرية الامريكية .**



رفض الارتباط بالأحلاف

كانت هذه الاعتبارات هى التى حالت بين رجال الولايات المتحدة وبين ان ترى منطق رجال الثورة فى رفض الارتباط بالأحلاف والمنظمات العربية فى المنطقة مثل حلف بغداد ومنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ، وان هذا الرفض صدر عن منطق واضح وهو ان مصر التى كانت توشك على التخلص من وجود عسكرى أجنبى طويل كان يصعب على أى حكم وطنى أن يربطها بمثل هذه التنظيمات والتى كانت ترى وكأنها امتداد لهذا الوجود الأجنبى بصورة أخرى .

وفى اطار تمهيد المسرح الاقليمى حتى يتواءم مع ترتيبات مقاومة نوايا القوة الخصم لها وكما صورتها السياسة الأمريكية فى هذا الوقت ـ بالاضافة إلى الرغبة فى تأمين الوضع الاسرائيلى فى المنطقة ، كانت السياسة الامريكية تتوقع وتعمل على أن ينفض رجال الحكم الجديد يدهم من الشئون العربية ومن الصراع العربى الاسرائيلى ، الا انه موضوعيا وفى ظل الظروف التاريخية التى ظهرت وعمل فيها قادة الثورة ، وبعد تجربة حرب فلسطين ، كان يصعب عليهم وهم الذين ظهروا من صفوف الجيش ، قبول ما كانت تتوقعه الولايات المتحدة وتطالب به .

أما فى الاطار الدولى ، فقد تصورت السياسة الأمريكية مصر بداءة كجزء من التحالف الغربى فى صراعه مع الكتلة السوفييتية . وامتدادا لرفض رجال الثورة لسياسة الأحلاف والمنظمات العسكرية .

كان منطقهم أن مصر والمنطقة التى تنتمى اليها لديها أولويات للأفكار التى تهددها ، لم يكن التهديد السوفييتى فى مقدمتها . بالاضافة الى ذلك فان المرحلة التاريخية التى ظهر فيها الحكم الجديد فى مصر جعلت منها جزءا من تيار تاريخى يضم مجموعة عريضة من الدول التى استقلت حديثا وقدرت أنه ليس لها دور أو مصلحة فى الصراع بين الكتلتين ، فاختارت طريق الحياد وعدم الانحياز وكان تجمعها فى باندونج فى ابريل عام ١٩٥٥ رمزا على ذلك . اما السياسة الأمريكية وقتئذ فقد دمغت هذا التيار باللاخلاقية بل وحثت رجال الثورة على ألا يرتبطوا به .

تصاعد التيار القومى

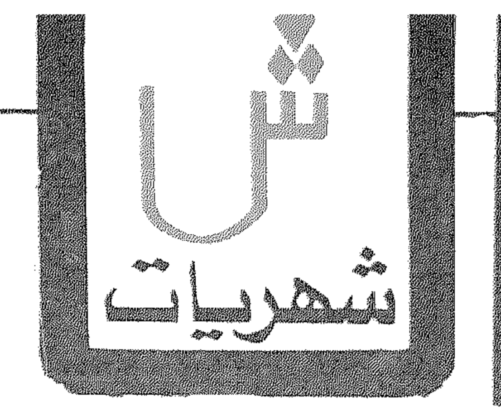
هذه الاختيارات الاساسية للحكم الثورى فى مصر من رفض للأحلاف والمنظمات العسكرية ، وتأكيده لانتمائه العربى ، وارتباطه بتجمع دول العالم الثالث الناهضة ، وماصاحب هذا من مواقف مثل الاعتراف بجمهورية اليمن الشعبية التى كانت وقتئذ جزءا من

التحالف السوفييتى ، وتعاديها الولايات المتحدة وتعمل على استبعادها عن المجتمع الدولى ، هذه الاختيارات لم يتفهمها صناع السياسة الأمريكية على انها نتاج موضوعى بخصائص محددة للتطور فى مصر وفى ظل ثورة وطنية ، وظروف اقليمية يتصاعد فيها تيار قومى ، وسياق تاريخى يضم نطاقا عريضا من الدول ذات التجارب المشتركة على السيطرة الأجنبية ، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتشابهة ، ولكنهم رأوها فقط على انها تتصادم مع الأهداف الأمريكية فى مسرح الحرب الباردة التى تباشرها الولايات المتحدة على نطاق عالمى . وكانت هذه النظرة بالتحديد وراء الموقف السلبى من الاحتياجات الحيوية للحكم فى مصر : الأسلحة اللازمة لبناء القدرة الدفاعية بالجيش المصرى ، ومتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتى اعتبر مشروع السد العالى أحد مفاتيحها الرئيسية .

ويستخلص الكتاب أنه كان منطقيا إزاء الضغوط الداخلية ، والواقع الاقليمى ، وازاء فشل جهود رجال الحكم الجديد فى توفير هذه المتطلبات من الولايات المتحدة والغرب ، أن يتجهوا الى توفيره من مصادر اخرى لم تكن هى اختياراتهم الأولى . ومن هنا كانت صفقة الأسلحة السوفييتية التى أحدثت هزة فى الولايات المتحدة والغرب ، واعتبرت اخطر تطور فى الحرب الباردة منذ الحرب الكورية ، وفتحا بجبهة جديدة لها فى الشرق الأوسط . كما أدى هذا التطور الى مضاعفات أخطر حيث سحبت الولايات المتحدة عرضها لتمويل مشروع السد العالى ، وردت مصر بممارسة حقها الشرعى والطبيعى فى تأميم الشركة العالمية لقناة السويس وهو الحدث الذى فتح فصلا جديدا فى تاريخ مصر ، وتاريخ منطقها ، بل وفى أوضاع ومركز قوى عالمية جديدة وقديمة .

مغزى التاريخ

يقرأ التاريخ لا من أجل ذاته ، أو لمجرد المتعة الذهنية ، وانما كأداة لفهم الحاضر ، وانارة المستقبل والحقبة التى يستعرضها الكتاب فى العلاقات المصرية الأمريكية بل وفى تاريخ منطقة الشرق الأوسط ، مليئة بالدروس وخاصة بالنسبة للسياسة الامريكية . وابلغ دروسها ان كل التوترات التى تلت هذه الفترة فى علاقات البلدين ، وانعكست على اوضاع المنطقة بمزيد من الحروب واستمرار التوتر ، وزادت من تعقيد العلاقات الدولية ، **كانت نتيجة تجاهل السياسة الامريكية للظروف الذاتية لمصر ومنطقتها فى هذه الفترة والتى كان يعمل فيها نظام ثورة يوليو بل والذى جاء تعبيرا عنها ، وبدلا من تفهم هذه الظروف وتشجيع الاتجاه الوطنى المستقل البناء ، أخضعتها السياسة الأمريكية لاعتبارات الحرب الباردة وفروضها والتى لم تكن تمثل بوضوح أولويات الشعب المصرى أو شعوب المنطقة .**



رأى فى الثقافة

ضرورة أن نعرف

فى البحرين حركة ثقافية حية منذ أواخر السبعينيات ، وفى العراق كانت الحركة الشعرية دائما فى الطليعة ، وهناك الآن فى الخليج واليمن والأردن والسعودية عدد كبير من المبدعين الشبان الذين يساهمون بأعمال تستحق المعرفة .. وفى المغرب الآن أكثر الحركات الثقافية حيوية وأشدها أهمية ، لكننا هنا فى مصر لانكاد نعرف عنها شيئا .

عدد محدود حتى من مثقفينا يعرف جيدا عبد الله العروى ، والطاهر بن جلون ومحمد عابد الجابرى ومحمد براده ومحمد بنيس وغيرهم من المبدعين الأكثر شبابا من هذا الجيل .

وحتى تعرف حيوية هذه الحياة الثقافية فى المغرب ، وأهميتها عليك أن تطالع المجلات المغربية التى يتزايد عددها يوما عن الآخر : بيت الحكمة ، دراسات سينمائية ، دراسات أدبية ولسانية ، آفاق ، الثقافة الجديدة ، عيون المقالات ، الجدل ، بين المدرسين ، الدراسات النفسية والتربوية ، ومجلة دار النيابة ، كل هذه مجلات ، المدهش أو المفرح أنها تنفد فى أسواق المغرب بمجرد صدورها ، والعدد المطبوع منها لايقل عن ثلاثة أو أربعة أضعاف مايطبع من مجلاتنا الثقافية ، بل إن بعضها يعاد طبعه ، وهذا غريب بالنسبة لمجلة ، نكاد لانرى له مثيلا سوى فى المغرب .

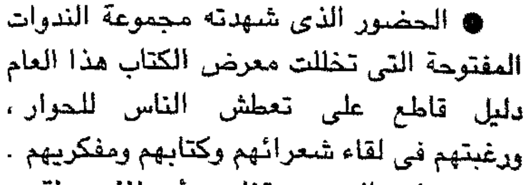
فى المغرب يطبعون من أقل الكتب توزيعا فى العادة (مجموعات القصص والشعر) ضعف المعدل الذى تطبعه دور النشر المصرية أو اللبنانية ، والفترة التى تنفد فيها الطبعة لأكثر الكتب كسلا ، لاتزيد بحال على ستة أشهر ، لذا فإن شبان المبدعين أصبح من الممكن لهم الاعتماد على دخل كتبهم لتساعدهم كثيرا فى حياتهم ، أما المخضرمون فحالهم أفضل كثيرا من أشهر كتابنا .

الناشرون اللبنانيون ، كالعادة ، انتبهوا لسوق المغرب فاقتحموها ، أما نحن فلا نظن أحدا منا قد فكر فى المغرب لا كسوق لمطبوعاتنا وكتبنا ، ولاكحركة ثقافية لابد لنا أن نعرف ماجديدها ، وإلا فإننا سنجد أنفسنا بعيدين حتى عن بلاد عزيزة علينا كنا نحن الذين نمدها بالثقافة فترة طويلة مضت .. من زمان .

عبده جبير



نـدوات معـرض الكتاب



● الحضور الذى شهدته مجموعة الندوات المفتوحة التى تخللت معرض الكتاب هذا العام دليل قاطع على تعطش الناس للحوار ، ورغبتهم فى لقاء شعرائهم وكتابهم ومفكريهم .

● كان العدد يتزايد أحيانا وينقص أخرى ، ليس فقط من ندوة لأخرى ، بل ايضا من متكلم لآخر وهنا لابد من قول حقيقة أن الناس تزايدوا بشكل لافت فى لقاءات ثلاثة مع محمود درويش وأحمد عبد المعطى حجازى ، ونزار قبانى ، كما كان جمهور الأخير مميزا من الشباب الأكثر رفاهية عن جمهور درويش وحجازى الذى كان من بين المثقفين الأكثر قربا من الشعر الجاد .

● كما كانت ندوة الدكتور زكى نجيب محمود تضج بحشد متعطش للجرأة التى تحلى بها مفكرنا عندما يتعرض للقضايا العـامة ، فقدم تصوره عن الصـورة الصحيحة التى ينبغى أن تكون عليها حياتنا الثقافية حين تصح وتجيد وقد كانت ثقافتنا هكذا فى عصر من العصور ـ والكلام له ـ بعكس ماهى عليه الآن ، وأكثر على بديهية أن مجال العقل ومجال الوجدان يلتقيان فى بوتقة الإنسان وطالب بأن تتقدم حياتنا الثقافية فى إتجاه مزدوج يعتمد على العلم والأدب ، لا على واحد منهما فقط

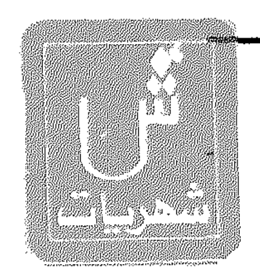


الشاعر نزار قباني يلقي قصيدته

وبكلماته الهادئة الناعمة خاطب يحيى حقى جمهوره فلقى تجاوبا من الجمهور الذى أثار مناقشات جادة معه حـول العامية والفصحى ، وحول قضايا الثقافة عامة . وكان اللقاء يفيض عذوبة ودفئا تعودناه من أديبنا الكبير فى كل لقاءاتنا معه .

● وإذا كان لابد لنا من أن نقول إن الندوة الجماعية التى حضرها كل من الدكاترة أحمد هيكل ولويس عوض وعبد الحميد يونس وعبد القادر القط وعلى الراعى وشكرى عياد بما آثارته من قضايا حول مستقبل الأدب فى مصر كانت تحتاج إلى أسبوع كامل لوحدها . فإننا لابد من أن نلحظ ، وهؤلاء أساتذة أجلاء بلاشك ، أن ممثلا واحدا للأجيال الجديدة من الكتاب لم يكن موجودا فى ندوة عن مستقبل الأدب فى مصر الأمر الذى هو من الصعوبة بمكان الحديث عنه ، كما عبر بحق الدكتور شكرى عياد فى عبارة سريعة تقترب من هذا المعنى ، لقد سئل هيمنجواى يوما عن رأيه فى مستقبل الأدب فقال إنه لايعرف فى الحقيقة أكثر مما يود أن يكتبه فى اليوم التالى .

● وتبقى ندوة أدب الفكاهة فى مصر فى



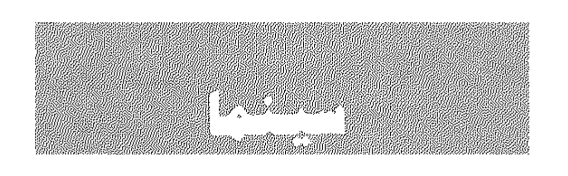
قائمة الندوات الأكثر حيوية ، أضفى عليها محمود السعدنى بخفة ظله وعاميته جوا خاصا ، كما كان عمق التحليل الاجتماعى والتاريخى الذى قدمه فيليب جلاب إضافة حقيقية للمستمعين ، فضلا عما أسهم به مأمون الشناوى وأحمد بهجت ومصطفى حسين من آراء وذكريات جعلت هذه الندوة فريدة وشائقة .

● كما كانت لمحة ذكية منصفة من القائمين على أمر تنظيم المهرجان أن خصصوا أمسية خاصة لشعر العامية المصرية الذى كان دائما مضطهدا خاصة من قبل الأجهزة الثقافية الرسمية ، ولعل تجاوب الناس مع شعراء العامية وعلى رأسهم عبد الرحمن الأبنودى وسيد حجاب دليل قوى على أن لهذا الشعر جمهوره وأنه فرض نفسه وأصبح له مكان لايستطيع أحد نكرانه .

● أما يوسف إدريس فكان كعادته فياض بالمشاعر ، قادرا على أن يشد الناس لقضايا قد تبدو عادية ، لكنها فى منتهى الأهمية ، وهو قد امتلك ناصية اللغة مع الجمهور العريض الذى أصغى له بشغف .

● لقد كان حضور الدكتور أحمد هيكل اليومى للندوات دليلا على إصراره على دفع الملتقى إلى النجاح ودليل على تجاوبه مع رد الفعل الايجابى الذى ابداه الحضور ، كل مانود أن نقوله أن الاقتراح الذى صرح به عقب المعرض بإقامة ندوة أسبوعية مفتوحة فى هيئة الكتاب ، موضوع لابد من دراسته ، فقد يتجاوب الناس مع مهرجان كبير من هذا النوع ، أما الندوة الاسبوعية فهى أمر آخر وقد يكون من الافضل لو تم الأمر فى موسم ثقافى له طابع المهرجان وليكن شهراً أو أكثر فى العام .. وعلى أية حال تبقى المحاولة مشروعة لكن لابد من درسها بشكل متقن .

● ولايستطيع عارض هذه الندوات من ناحيته إلا أن يعتذر للذين لم يتمكنوا من حضور جلساته ، فقد كان الجهد بين أروقة معرض الكتاب وماتمكن من حضوره من ندوات فوق طاقته فمعذرة .



مهرجان أسوان الأكاديمي للأفلام القصيرة

أقامت أكاديمية الفنون فى الفترة بين ٢٦ يناير والأول من فبراير الماضى الأسبوع الأكاديمى لأفلام متخرجى المعهد العالى للسينما بمدينة أسوان ، وقد تنافست أفلام عديدة لأجيال مختلفة ، ومستويات مختلفة ، وشملت قائمة العروض ، لعدم كفاية الأدلة لأشرف فهمى ، عصر الذئاب لسمير سيف ، دقة زار لأحمد ياسين ، موعد مع القدر لمحمد راضى ، إمرأتان ورجل لعبد اللطيف زكى ، الطوق والأسورة لخيرى بشارة ، الجوع لعلى بدرخان ، قبل الوداع لحسين الوكيل ، الوحل لعلى عبد الخالق ، العصابة لهشام أبو النصر ، حارة الجوهرى لمدحت السباعى ، دموع الشيطان لعادل الأعصر ، التراب الأحمر لعبد الحميد الشاذلى ، الأقزام قادمون وهو العمل الأول لمخرجه شريف عرفه . وقد استحق عليه جائزة شادى عبد السلام للفيلم الروائى الأول .

كما عرضت أفلام تسجيلية منْ إنتاج المركز القومى وإن لم ينل أحدها جائزة العمل

الأول ، ونال مدحت قاسم جائزة الإخراج عن فيلمه العفاريت .

أما أفلام الرسوم المتحركة فقد حجبت جوائزها بحجة أنها مشروعات تخرج تخضع لتحكيم آخر .. وفى بانوراما الأفلام المتميزة عرضت الأفلام التالية البداية لصلاح ابو سيف ، اليوم السادس ليوسف شاهين ، سكة سفر لبشير الديك ، آه يابلد لحسين كمال ، جذور فى الهواء ليحيى العلمى ، القطار لأحمد فؤاد ، عودة مواطن لمحمد خان .

وخلال المهرجان أقيمت ثلاث ندوات أعلن عنها مسبقا تحت عناوين الحلم والواقع فى السينما المصرية ، المشاهدون والتذوق السينمائى ، الكوميديا فى السينما المصرية ، كما أقيمت ندوة رابعة ناقش فيها السينمائيون الوضع الحالى المتأزم فى صناعة السينما .

الندوة الأولى التى أدارها توفيق صالح افتقدت الوضوح الكافى حول المفاهيم ، وكان الافضل أن تتم على هيئة مائدة مستديرة تضم أساتذة معهد السينما والنقاد والمخرجين وكتاب السيناريو ، وأثيرت فيها افكار حول الحلم الفردى والحلم الجماعى ، والسينما وصناعة الوهم والحلم الجميل ، والصدام بين الواقع وطموحات الانسان حتى المتواضع منها ، ثم يتحدث صلاح ابو سيف عن تجربته فى فيلم "البداية" ومختار عبد الجواد فى تجربة ديكور "قاهر الزمن" ومحمد فاضل عن تجربته فى "حب فى الزنزانة" وعن فيلم رامبو يتحدث السيناريست أحمد عبد الوهاب فيما يتعلق بأحلام الجمهور نحو تحقيق القوة .

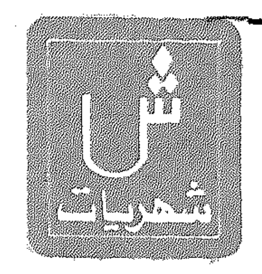
وناقشت ندوة المشاهد والمتذوق السينمائى التى قادها الدكتور فاروق الرشيدى أسباب هبوط الفيلم المصرى ، ولماذا أصبح الجمهور يقبل على الفيلم الهابط ويترك الفيلم الجيد .. ويتدخل أحد المستمعين قائلا إنه لم يعد يستطيع أن يصحب أسرته إلى فيلم لايخدش الحياء ، ويشكو مواطن أسوانى من أن فيلم الطوق والأسورة لم يبق فى أسوان سوى ثلاثة أيام . وانه بمجرد أن سمع به وذهب ليراه وجده قد رفع . وفى نهاية الندوة وزع على الحاضرين إستمارة استطلاع لمعرفة مايريدونه من افلام وهل يفضل رؤيتها فى التليفزيون أو القيديو او دور العرض . وستتم دراسة نتائج الاستطلاع ونشرها فى القريب

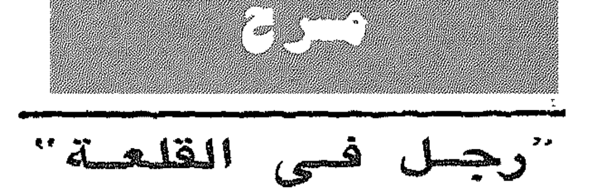
ولعل ندوة الكوميديا فى السينما التى أدارتها درية شرف الدين كانت اقرب إلى الجمهور ، وحفلت بمناقشات طيبة حول أهمية الكوميديا الاجتماعية وبدت معارضة الجميع للاتجاه الذى يدفع الكوميديا لأن تكون ضحكا ساذجا وتهريجا سخيفا . وقال سامى السلامونى إن الضحك كظاهرة مصرية قد اختفى نتيجة للاكتئاب القومى . وإنتقد مواطنو أسوان تلك الأعمال التى تسخر من شخصية الصعيدى ، كما قال فوزى فهمى نائب رئيس الأكاديمية إن أهم عيوب الكتابة الكوميدية هو التنميط الذى يقدم كل الفلاحين كأغبياء وكل العساكر مرتشين .

أما الندوة الداخلية فقد ناقشت مشاكل الانتاج والتوزيع والقيديو ودور العرض والأجهزة وانتهت باقتراحات لحماية الفيلم والبحث عن مصادر تمويل . وكل هذه الاقتراحات كانت قد طرحت من قبل .. ونرجو أن يطبق ولو جزء منها بعد هذه الندوة

وكانت الندوات الصحفية لمناقشة الأفلام المعروضة على مستوى طيب كما أن نشرة دراسات سينمائية أضافت إيجابية على المهرجان ونرجو أن يتحقق حلم المهرجان الدولى لأفلام متخرجى معهد السينما الذى أعلن عنه حسين فهمى . كما نرجو أن يتحقق مشروع إنشاء معهد للسينما فى أسوان .

فوزى سليمان





"رجل في القلعة" وآخرون خارجها !

يثير عرض مسرحية « رجل في القلعة » التى قدمها المسرح القومى فى نهاية موسمه الشتوى العديد من الأسئلة والقضايا ، فمؤلفها (ابو العلا السلامونى) واحد من ابرز كتاب هذا الجيل ، ومخرجها (سعد أردش) من أبرز مخرجي المسرح فى مصر ، وتقديم اى عمل يجمعهما معا بعد عرضهما الناجح « مأذون المحروسة » الذى قدماه فى ساحة وكالة الغورى عام ١٩٨٣ يدعونا إلى التريث فى الحكم على هذا العرض الجديد ..

ويختلف رجال المسرح حول قضية المسرح التراثي - إذا صحت هذه التسمية - واهميته وضرورته ، إذ يرى بعضهم أن أصحاب هذا المسرح يخشون الصدام مع الواقع فيلجأون إلى التراث مؤثرين التلفع بعباءات الماضى خوفا من مواجهة قضايا حيوية وتحصنا من مشكلات رقابية ، ويرى آخرون أن القضية أكبر وأعمق من هذا لأن دور الكاتب هنا يختلف وتزداد همومه العامة من جراء الاستعانة بمادة تراثية ، إذ يرون أنهم يحققون ويؤصلون بها الوجود والماهية بعد أن تردى الواقع وتفاقمت مشكلاته ، فأصبح المطلب الملح والضرورى فى نظرهم هو تأكيد الهوية القومية من خلال موقفهم النقدى تجاه هذا التراث الذى يتعاملون معه ..

أيا كان الأمر فالذى يعنى الناس من كل هذا أن يكون التراث المستلهم من أجل التبصير بالحاضر لا الهروب إلى الماضى والكاتب إن لم تؤرق فكره وتثقل وجدانه مشكلات واقعة فإن عمله لايمكن أن يطلق عليه مسرحا لأن المسرح الحقيقي هو الذى يهتم بانسان الحاضر فلا يغيب به بعيدا دون تشوق إلى رؤية مستقبل أفضل وغد أجمل ..

أما مسرحية « رجل فى القلعة » فان مؤلفها يطرح سؤالاً هاما يمكن أن تكون له دلالات متعددة فهو يسأل فى نشرة العرض (لماذا احتفظ الانجليز بنتائج ثورتهم وتجربتها الديمقراطية والتزموا بها إلى وقتنا هذا بينما نحن لم نلتزم بتجربتنا رغم عبقريتها سوى بضع سنوات ..) وهو يعنى بتجربتنا هنا تلك الفترة الهامة من تاريخ الشعب المصرى فى القرن التاسع عشر ، حين نصب وكلاء الأمة عن طريق مجلسهم (دار المحكمة الكبرى) القائد الالبانى محمد على واليا على مصر ، والسلامونى إذ يقف عند هذه الفترة يتجاوزها خلال رحلة بحثه الفنية عن اجابة شافية فيعيد صياغة أحداثها فى قالب كلاسيكي يلتزم بالحوار الشعرى رغم البناء المتداخل والمتعدد المشاهد ..

تبدأ المسرحية بمحمد على فى نهاية ايامه منكسرا يهذى عن أمجاده القديمة وأحلامه التى ضاعت والطموحات التى آلت إلى أوهام وترهات وطيف عمر مكرم يلاحقه باقواله التى اراد أن يحقق بها مثالية الحكم ، وخذله محمد على الذى حقق ما لم يحققه غيره ، فغرته الانتصارات وزادت من أطماعه ، ولكن أوربا تتحالف مع السلطان العثمانى ضد محمد على فيرتد منهزما وهو

يشعر بخطئه ، ويحاول اتباعه إخراجه من هذه الحالة التى وصل إليها وبدلاً من إقامة حفلة زار أرادتها زوجته لكى تخلصه من الأرواح الشريرة يعيدون تجسيد المراحل المتوالية ـ كطريقة الطب النفسى فى العلاج ـ منذ أن نصبه عمر مكرم (مندوبا عن المحكمة الكبرى) واليا على مصر بعد عزل الوالى العثمانى الظالم خورشيد باشا ..

هكذا تتم اللعبة المسرحية ، يتنامى الصراع ويحتدم بين بطلين تراجيديين ، يحمل كل منهما بذرة سقوطه ، محمد على الذى زينت له زوجته طريق الترقى إلى قمة السلطة فأنساق سعياً وراءها بعد أن داس على شروط تنصيبه فتصرف بمعزل عن (المحكمة الكبرى) ثم استمال شيوخها لكى يسقط فى النهاية أسير صعوده (أبواب العالم صارت موصدة فى وجهى .. والجوع الراقد فى صدرى ينهشنى بلا رحمة ... ما قيمة أن أصنع تلك الأمجاد وقلبى ينزف حتى الموت) أما عمر مكرم فقد رفض المنصب من أجل الشعب ، وظل على مثاليته المؤمنة بالمطلقات العليا التى يستحيل تحقيقها كاملة (أن يبقى الانسان وحيدا دون رفاق يعنى إما أن يصبح ملكا أو شيطاناً ... من يضمن لى أن أصبح ملكاً) فيرفض مواجهة محمد على فى (المحكمة الكبرى) بعد أن دخل بالعدل وبالشروط وينفيه محمد على فيموت وهو أسير هذه النظرة الاحادية ويتسائل محمد على فى نهاية تلخص مغزى المسرحية (او لم يأخذ منى السيد مكرم عهداً أن يجعلنى الوالى بشروط الشعب وأن يلزمنى بوثيقة شرع المحكمة الكبرى .. فلماذا لم يلزمنى بالتنفيذ) ويضيف العرض بعض التساؤلات على لسان محمد على فيدين (!!) كل الذين لايقفون فى وجه أى حاكم يبطش بالرعية وأى شعب لايصد الفرعون عن جبروته ..

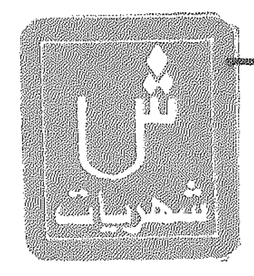
وهذه الأقوال المباشرة تأتى وفقاً للاسلوب الذى انتهجه سعد أردش فى إخراجه للمسرحية ، التى كان يلزمها أن تعالج من خلال رؤية فنية لاتغفل مايمكن أن نسميه بروح العصر ، فقد تعمد المخرج فى البداية أن يلغى اللعبة رغم استهلال العرض بها فى مقدمة طويلة . ونجده قد أعاد محمد علي العجوز إلى شبابه . فيحول اللعبة تلقائياً إلى ارتداد حقيقى إلى الماضى ، ويشطب دور الجوقة التى تروى بدايات الأحداث ويكتفى بعبارات يرددها بنفسه من وراء الستار مع رجع صدى لصوته الرخيم المتهدج . ويرسم حركة ممثليه دون عناية ويكتفى بان يضع الممثل فى مواجهة مباشرة مع الجمهور عند المنطقة المتقدمة من خشبة المسرح . مما أثر على أداء معظم الممثلين . فاغرق نبيل الحلفاوى ـ وهو ممثل جاد ـ فى الوعظ والأداء المباشر واضاع أدوارا هامة بين مواهب محدودة وتوزيعات ملفقة . ونجحت سميرة عبد العزيز التى أدت دورا صغيرا برقة ورسوخ ودفع المخرج ببطله يوسف شعبان إلى المقدمة دون ضرورة ليواجه الجمهور ـ هكذا ـ فيكاد يودى بالدور لولا موهبته ومقدرته ، وبرز رغم ذلك منهم رشدى المهدى ، مدحت مرسى ، سلوى محمود . وفريدة مرسى كالعهد بهم دائما

محمد الشربينى



٣ مجلات ثقافية جديدة عن نشر

علاوة على مجلة علم النفس التى صدرت فى الشهر الماضى عن هيئة الكتاب صدر عن هيئة الكتاب ايضا مجلتان جديدتان ، احداهما



عن المسرح والثانية عن الفنون الشعبية .. ويمكن القول انهما اصدار جديد لمجلتين كانتا تصدران من قبل عن الهيئة ، وبذلك تكتمل اصدارات الهيئة من المجلات سبعا ، فصول وابداع والقاهرة وعالم الكتاب وهذه الثلاث .

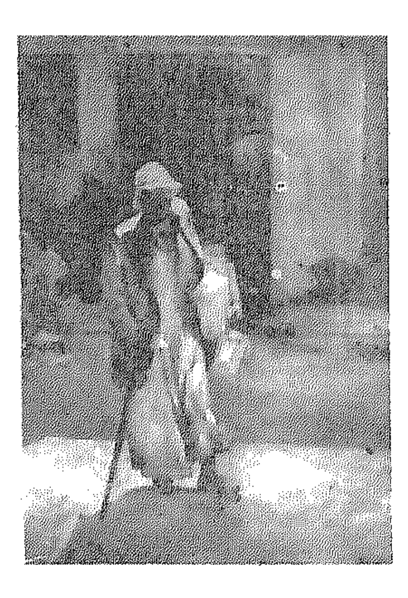
بالاضافة الى ذلك اصدرت اكاديمية الفنون مجلة الفن المعاصر وهى مجلة فنية متخصصة .

يرأس تحرير مجلة المسرح الجديدة الدكتور محمد عنانى وفيها قسم للدراسات بأقلام فردوس عبد الحميد ومحمد السلامونى ونهاد صليحة واحمد زكى واحمد عطية ، ومدحت الجعار وامير سلامة وانتصار عبد الفتاح ونبيل راغب وجمال عبد المقصود . ثم قسم لنقد العروض التى جرت خلال الشهور الثلاثة قبل واثناء صدور المجلة ، ثم متابعتين لمهرجان دمشق والمسرح خارج الحدود ، بالاضافة الى ثلاث مسرحيات مترجمة هى بعيدا عن هاجو فدنج لفنزل ترجمة سامية اسعد ، والتعرى قطعة قطعة لميروجيك ترجمة ابراهيم حمادة وكاسكاندو لصامويل بكيت ترجمة ماهر فريد ، ثم قسم للحوارات حوار من طرف واحد لسمير العصفورى واخر لفوزى فهمى وبورتيريه للمثلة عايدة عبد العزيز ثم وثيقة بعنوان اللهم فاشهد كتبها عبد الغفار عودة .

أما مجلة الفنون الشعبية فيرأس تحريرها الدكتور احمد مرسى وبصمات عبد الحميد يونس مستشار التحرير لاتزال مؤثرة فى الصياغة النهائية للهموم التى تعكسها ، وفى هذا العدد مقدمة للدكتور سمير سرحان رئيس مجلس الادارة الذى صدرت المجلة وسابقتها فى ظله ، وقد اراد ان يربط بين صدور العدد فى يناير ٨٧ بالعدد الاول الذى صدر منها فى اصدراها الاول قبل توقفها فى ٦٥ هو حنين الى الستينيات فترة الازدهار الثقافى الأولى ، بالاضافة لذلك أصدرت أكاديمية الفنون مجلة الفن المعاصر ، وهى مجلة فصلية فنية متخصصة ، ويرأس تحريرها الدكتور عز الدين اسماعيل الذى يبدو وأنه ما أن يضع قدمه فى مكان حتى أصدر فن مجلة ، وأول ماتلحظه هو الاخراج الفنى الجميل الذى صاغته يدا الفنان القدير سعد عبد الوهاب الذى أخرج ايضا مجلة المسرح .

فنون تشكيلية

سيد البيبانى
فى خاطره القديم والطفل



سيد البيبانى .. فنان يخاطب ماضيه .. فرشاته تتلمس بشكل دائم عبر التاريخ العتيق .. المساجد .. الابنية .. الحوارى الضيقة والبوابات القديمة .. باب زويلة ، باب النصر ، ثم وكالة الغورى والمسافرخانة .. كلها اسماء تحمل عبق التاريخ وتحمل بصمة القاهرة .

مشى هذا الفنان على درب كثير من الفنانين الذين سبقوه فى رسم القاهرة القديمة والتأثر بها . وقد ذكرتنى لوحات الفنان سيد البيبانى ، بالرسامين الاجانب الذين تقرهم هذه الاماكن الاثرية بجمالها .. فلا يلبثون ان يتمسكوا بالفرشاة ويصبروا رغما عنهم .

وقد جرت العادة ان ترى هذه الابنية الاثرية على « كارت بوستال » ولوحة هذا الفنان هي « الكارب بورستال » أو « هذه الطبعة » التى يمكن ان تمثلنا سياحيا .

ان احساس هذا الفنان يتضمن كثيرا من البراءة والمباشرة ، فهو لا يتقعر فى الفن ، بل يقدم مايرى ويتأثر به فى اخلاص ومودة يدركها المشاهد .

وقد تكون الرسالة التى حملها سيد البيبانى على عاتقه رسالة توضح ميوله واحساسه الفنى بلا ضجة اعلامية ولا عصبية الانا العالية لدى كثير من الفنانين .

فهو منذ تخرجه فى كلية الفنون الجميلة ، وهو يعمل على اعادة رسم مجموعة كتب « كامل الكيلانى » سلسلة الكتب التى عاشت فى وجدان طفل الاربعينيات والخمسينيات . والبيبانى يعيد احياءها حتى تواكب جيل الثمانينيات والتسعينيات ، وهكذا يضىء شمعة على درب الفن التربوى .

وقد قدم اخيرا معرضه الثالث فى أتليه القاهرة وعرض فيه ٦٨ لوحة زيتية .

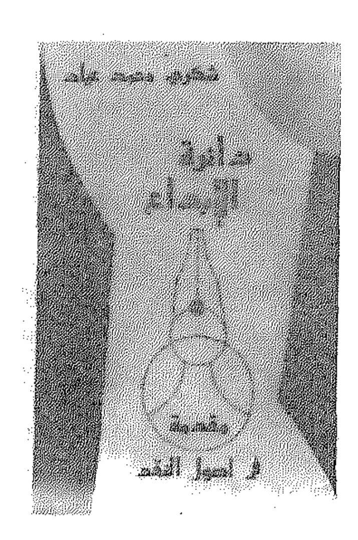
نجوى صالح

مكتبة الهلال

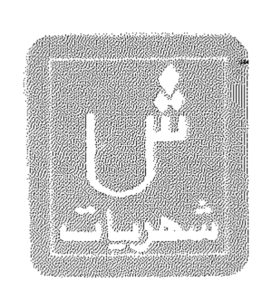
الكتاب : دائرة الابداع
تأليف : د . شكرى عياد
الناشر : دار الياس العصرية
١٧٦ ص ، ٣ ج م

بقدرة العالم الجليل يخط الدكتور شكرى عياد هذه المقدمة النظرية لثلاثية بشرنا بها ، ولابد انها ستسد نقصا فى مكتبتنا العربية بالنسبة لما كتب عن منهج الدرس الادبى ، فى محاولة لصياغة عربية جديدة ، تستفيد من تلك التى سبقتها فى كتابات النقاد العرب والاجانب .

فمنذ كتاب امين الخولى فى الادب المصرى الذى يصفه الدكتور عياد بأنه كتاب فى المنهج والمحاولات تترى فى سبيل صيغة لمنهج عربي جديد فى الدرس الادبى ، فكانت محاولة طه حسين فى مقدمته كتابه فى الادب الجاهلى حديثا عن المناهج العلمية فى دراسة الادب (سنت بيف وتين وبرنتير) وانحاز الى صيغة ان النقد ادب وصفى ولكنه ترك العلاقة بين النقد وتاريخ الادب .. ثم جاءت محاولات اخرى



منقولة ايضا فى منهج البحث فى تاريخ الادب الذى ترجمه مندور عن لانسون وكتاب لانسون عن مدارس النقد الحديثة الذى ترجمه احسان عباس ومحمد يوسف نجم ، ثم



محاولات أخرى وصولا الى البنيوية ومابعدها ممن يصفهم كاتبنا مدارس النقد الجديد .. ومن عناوين العقول والخطة التى استقر عليها كاتبنا يتضح ان هذا الكتاب هو المدخل الاول لثلاثية لعلها علامة فى مجال ارساء منهج فى النقد العربى الحديث .



الكتاب : اليهود والماسون فى مصر
تاليف : د . على شلش
الناشر : كتاب الزهراء
٣٤٤ ص ، ٣ ج م

يقدم هذا الكتاب عرضا تاريخيا لموضوعين ، وان كان المؤلف يربط بينهما فى سياق تحليله العام ، احدهما يتناول التجربة اليهودية فى مصر الحديثة ، والآخر يتناول التجمعات الماسونية فى مصر الحديثة ايضا : أى ابتداء من الحملة الفرنسية .

والنتيجة التى يخرج بها المؤلف ان اليهود لم يكونوا مضطهدين فى مصر كما يشيع البعض بل انهم ازدهروا فى ذلك التاريخ وحتى سنة ١٩٤٨ على نحو لم يحدث الا فى المانيا قبل هتلر والولايات المتحدة منذ تأسيسها وحتى الان .

كان موقف الدولة متسامحا معهم ، عاملهم كمواطنين ، احتل بعضهم اعلى المناصب وكان موقف الشعب متسامحا معهم حتى ان نشاطهم انتشر بشكل استغله الصهاينة فى الدعاية لهجرة اليهود الى فلسطين .

أما الموضوع الثانى فى الكتاب فيتناول تجربة الماسونية فى مصر ، التى بدأت مع بداية الغزو الاوربى لمصر الحديثة ، ويكشف ان الاوربين هم الذين جاءوا بالماسونية الى مصر .

وفى هذا الجزء معلومات جديدة على القارىء المعاصر إذ شملت المحافل قوائم طويلة من الكتاب والمفكرين والفنانين والقادة ، ووقائع كثيرة لعل اهمها واقعة البيان الذى صدر عن طريق احمد زكى باشا مدير دار الكتب (شيخ العروبة فيما بعد) باسم رئاسة الماسونية فى مصر ومحفلها الوطنى الاكبر ، مؤيدا لاقامة دولة اسرائيل فى فلسطين مقابل ألف جنيه .

وإذا كان البعض قد انتسب الى المحافل الماسونية بحسن نية ، أو دون معرفة بمراميها فان المرء لابد ان يقف طويلا عند اسم وزير الداخلية ان ذاك ١٩٥٠ فؤاد سراج الدين باشا سكرتير حزب الوفد الذى قبل قيادة المحفل الماسونى ليكون استاذا اعظم للمحفل الاكبر الوطنى المصرى .

فؤاد سراج الدين



الكتاب : حسن فؤاد نهر الفن والحياة
إعداد واخراج : محيى اللباد
الناشر : روزاليوسف
١٩٢ ص ، ٥ ج م

هذا كتاب فريد من نوعه ، فيه الوفاء لرائد من روادنا



الكبار ، يعترف كاتبوه بانه استاذ لجيل منهم ، فنانين وصحفيين عمل فى الحياة الثقافية والصحفية المصرية عمله حتى انطلق الجامد ، هو الفنان الكبير الراحل حسن فؤاد .

والصانع الماهر للكتاب الفنان محيى اللباد هو الذى يقف وراء هذا العمل الفذ بقدرته الفائقة ، مؤكدا على حقائق سبق ان وضع بذورها الاولى ، موضوع الكتاب حسن فؤاد .

ويكتب صلاح حافظ لايكاد يوجد ركن فى الضمير المصرى المعاصر لم يشارك فى صياغته هذا الرجل .. فكل اداة تشكل الرأى العام ، والذوق العام ، كان له دور فى تطويرها ، وتوجيهها ، وتربية الذين يستخدمونها وهو قد بدأ حياته فنانا تشكيليا يخاطب الناس بالريشة والالوان لكنه لم يلبث ان اقتحم عالم الصحافة ، والقلم والسينما والاذاعة وانجب فى كل من هذه العوالم زحاما من التلاميذ .. ومعظم هؤلاء التلاميذ هم الذين يقودون الان عقل الامة المصرية او على الاقل يشاركون فى قيادته ..

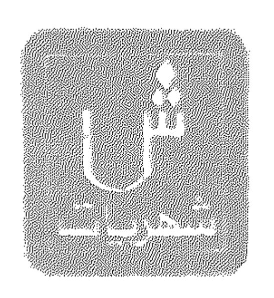
ويكتب محيى اللباد : مبكرا اختار الفنان القاهرى الشاب الذى درس الفن الاكاديمى على الطريقة الغربية ، وابن طبقة موظفى الحكومة المتطلعة ، واختار الا يجعل مرجعه ـ في مشروعه الفني ـ اوربا ولا امريكا ، ولا الرسومْ والكتب والمطبوعات الاجنبية بل اكتشف وطنه وواقعه اليومي ووجدانه الشخصى ، وجعل من كل ذلك مرجعه الاساسى .. ودهشنا لعناوين على اغلفة الكتب وصفحات المجلات ، وقد خطت بطريقة الكتابة التى اعتدناها على صناديق الشحن ، وعلى حيطان الحوارى فى الشعارات السياسية وتخطيطات الاطفال والمتسكعين . وعلى ظهور كراسى المقاهى الشعبية وعلى اختام الفلاحين .. وافرحتنا فى الكتب والمجلات مساحات ونقوش بالوان لم نتعودها مطبوعة من قبل : الوان الطلاء الجيرى التى بهتت بتاثير شمس مصر ، والوان حلوى الفقراء ، وزهرة الغسيل ، والكمون ، والطوب الاحمر ، واصباغ عربات الكارو ، والفول والكشرى ومراجيح المولد ، وصناديق العرائس الريفيات .

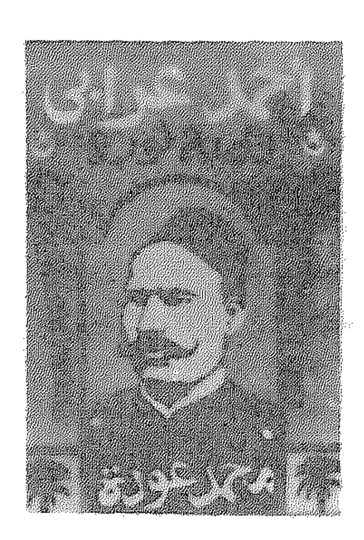
وهذا العمل الاحتفالي الجميل يضم ايضا مختارات من اعمال حسن فؤاد الفنية سواء لوحاته او رسوماته فى صباح الخير منذ اول عدد اصدره مع احمد بهاء الدين وصلاح جاهين بالاضافة الى رسومه لاغلفة الكتب . كما يضم اغلب ماكتبه عنه اصدقاؤه وزملاؤه وتلاميذه بعد رحيله .. لذا فانه يعد عملا وثائقياً نادراً فى مكتبتنا العربية .

الكتاب : احمد عرابى قصة ثورة
تاليف : محمد عودة
الناشر : المكتبة الاكاديمية ١٥٩ ص..

بانه ليس كتابا فى التاريخ بقدر ماهو سرد لوقائع قصة الثورة العرابية كتبها محمد عودة بحماسه المعروف عنه خاصة عندما يكون الموضوع ثورة عرابى .

هو هنا يتابع الحدث منذ





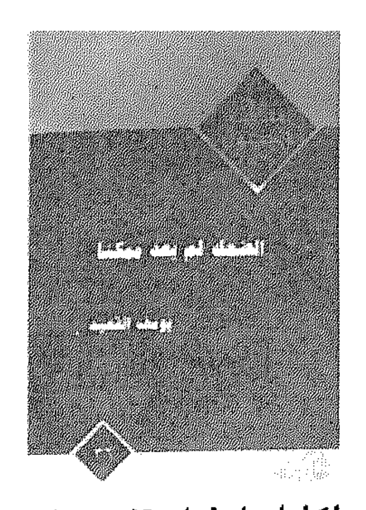
اليوم الاول ٩ سبتمبر ١٨٨١ حيث بدأت فرق الجيش المصرى تتوافد منذ الصباح على ميدان عابدين وعلى رأسها الميرالاى احمد عرابى الذى تقدم بطلبات الامة التى كانت قد التفت حوله هو ورفاقه ، ويجد فى البداية معارضة القصر والخديو والمندوب السامى البريطانى لكنهم يخضعون جميعا لمطالبه ، التى هى مطالب الشعب ، ثم يسرد وقائع ماجرى بعد ذلك من قيام الحزب الوطنى الاول من جهة ، والخيانات الوطنية التى ادت بالثورة الى الهزيمة ، والى عرابى بالنفى مع رفاقه .

انها قصة يستعيد بها محمد عودة ذاكرة الحقيقة من بين ركام الاكاذيب التى ارادت ان تصور الشعب المصرى بلا تاريخ ، كما ارادت ان تردم التراب على الثورة العرابية التى كانت كما يقول اشد احداث القرن الماضى اثارة واستفزازا لاوربا الاستعمارية ولبريطانيا خاصة .

الكتاب : الضحك لم يعد ممكنا
تأليف : يوسف القعيد
الناشر : الهيئة العامة
٨٨ ص ، ٥٠ ق م

هذه مجموعة جديدة للقاص والروائى يوسف القعيد ، بها تكتمل حصيلة انتاجه ستة عشر كتابا ، وهى السادسة فى قائمة مجموعاته القصصية ، وفيها تتجلى خصائص رؤيته وكتابته انها تكوين فورى من الاحساس بالحقيقة التى تبدو كأنها تدث الان ، وشعور بالايحاء الفانتازى الذى يبدو مستحيلا او استثناء .

الحدث فيها يروى رواية تسجيلية كأنه فعل واقع ، ولكنها ايضا تنحو الى الاستبطان الخيالى وفى التو لاتبدو هناك حدود بين الشعورين .. فالواقع وما وراءه كلاهما ممكن ينبع دائما من نقطة التقاء الانسان فى الحياة الاجتماعية مع « الانسان فى ذاته » وهما مفرد لايزدوج ولاينقسم وليس فيه من الاصل امتزاج . والقعيد الواقعى الى حد التقرير المباشر والغنائى أيضا الى حد التحليق العاطفى فالمأساة ليست استثناء فى حياة جميلة انها قاعدة والكتابة الفنية ليست وسيلة لاثبات الذات ، وليست بديلا منتظما منمقا لعالم الحقيقة العشوائى المحكوم مع هذا بقانون خفى وقاهر ، وانما هى تماثل ظاهرة المنظور المبسط على سطوح الاشياء والوجوه والعلاقات .



مازال العلماء
عاجزون عن حل
هذا اللغز المثير

حقيقة هؤلاء الناس وأعمالهم التى فاقت حدود العقل!!

إعداد : هشام كمال

ما هى حقيقة هؤلاء الناس الذين يدعون أن لديهم قدرات حسية خارقة تخرج عن حدود المنطق والعقل ؟ .. وهل تلك القدرات مجرد درب من دروب الدجل والشعوذة ، أم انها بريق مثير لجانب غامض فى النفس البشرية عجزنا عن فهمه او فك رموزه ؟ .. اننا نحاول ان نناقش هذا اللغز المثير والجهود المضنية التى يبذلها العلماء فى هذا المجال المجهول عن النفس البشرية !

ولعلنا نتذكر انه فى أواخر الخمسينيات أصبح الممثل الشهير يوسف وهبى يعانى من متاعب صحية خاصة بالمرارة ، وعندما اشتدت آلامه من تلك المتاعب ، أمر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بسفر الممثل الكبير على نفقة الدولة الى لندن فى عام ١٩٦١ ، وذلك لاجراء عملية جراحية تستأصل فيها مرارته بمستشفى لندن كلينك ، وبعد أن تمت العملية ، تدهورت صحة الممثل الكبير اثر تلوث جرحه ببؤرات صديدية ، هددته بالتسمم الدموى .. وقد حاول أطباء المستشفى انقاذه ، فقاموا بحقنه بالمضادات الحيوية، ولكن تلك المحاولات ذهبت سدى ، وتدهورت صحته بصورة مؤلمة ، الى أن تم استدعاء احد تلاميذ العالم الروحانى البريطانى « هارى ادواردز »

●● وعلى طريقة التشبث بقشة وسط المحيط ، طلب يوسف وهبى من الطبيب الروحانى معالجته وسط ذهول الحاضرين ، فقام الطبيب باجراء عملية بسيطة لم تستغرق أكثر من عدة دقائق، وسط حالة تركيز تام وصفها الممثل الشهير بقوله « شعرت وقتها بتيار كهربى ضعيف كأنه يسرى فى انحاء جسدى مع شعورى برجفة أو رعشة خفيفة » !

فى نفس هذا اليوم وتقريبا فى المساء ، جلس يوسف وهبى معافا تماما ، بعد أن جف ما فى جسده من صديد وقروح ، وشفى من مرضه الخطير وسط ذهوله وذهول أطباء المستشفى أنفسهم !!

حقيقة هؤلاء الناس وأعمالهم التى فاقت حدود العقل !!

وهناك حكاية غريبة رواها الشاعر صالح جودت بقلمه فى أحد أعداد الهلال المصرية ، قال : « كنت قد ذهبت مع ثلاثين من كتاب العالم للاعداد لدرجة علمية فى دراسة منظمات الامم المتحدة بأمريكا عام ١٩٥٩ ، وفى أول يوم ذهبت مع صديقى الكاتب السودانى محجوب صالح الى بنك الامم المتحدة لنصرف رواتبنا ، ووقفنا فى الطابور امام الشباك ، وفجأة وقعت عيناى على مدير البنك الذى يجلس وحده عند مكتب فى ركن بعيد من القاعة ، فاذا عيناى تلتقيان بعينيه صدفة ، واذا بالرجل يقف ويحملق فى من بعيد ، ثم يقبل نحوى وئيد الخطا ، جامد الوجه . كأنه يمشي وهو منوم مغناطيسيا ، الى أن يدركنى فيصافحنى ويشد على يدى بحرارة ، ويسحبنى من الطابور ، ويأخذنى الى مكتبه ، ويقدم لى مقعدا ويسألنى :

ـ الا تعرفنى ؟

قلت : من موقعك .. اتصور انك مدير هذا البنك .

قال : ـ نعم .. انا المستر كول .. انا مدير هذا البنك وانت صديقى .. صديقى الحميم .. اننى اعرفك منذ مئات السنين ..!!

وبينى وبين نفسى ، بدأت أشك فى الرجل ، وأعتقد أنه مجنون ، ولكنه عندما استطرد فى الحديث ، جعلنى أشعر برهبة عجيبة .. قال : اننى أعرفك من مئات السنين .. ياما تلاقينا وتحادثنا وسهرنا .. ألست شاعرا ؟

قلت : نعم !

قال : ألست مصريا من القاهرة ؟

قلت : نعم !

ومضى يذكر لى أشياء عجيبة عنى وعن حياتى الخاصة ، مع انه لم يزر مصر فى حياته، ومع أننى لم اكن قد زرت امريكا فى حياتى قبل هذا اليوم ...!! »

● جمرات النار الملتهبة

على كل نتنقل الان من الحكاية الغريبة التى رواها الشاعر صالح جودت الى اقصى الشرق ، حيث تقع جزيرة هونج كونج ، وهى جزيرة صينية واقعة تحت الاحتلال البريطانى منذ فترة طويلة ، تجرى بهذه الجزيرة سنويا ، مهرجانات مثيرة تحوى الكثير من الفكاهة والاستعراض الذى أكثره اثارة « استعراض القدرة على تحمل الالم !! »

ولكن كيف يتم هذا الاستعراض ؟..

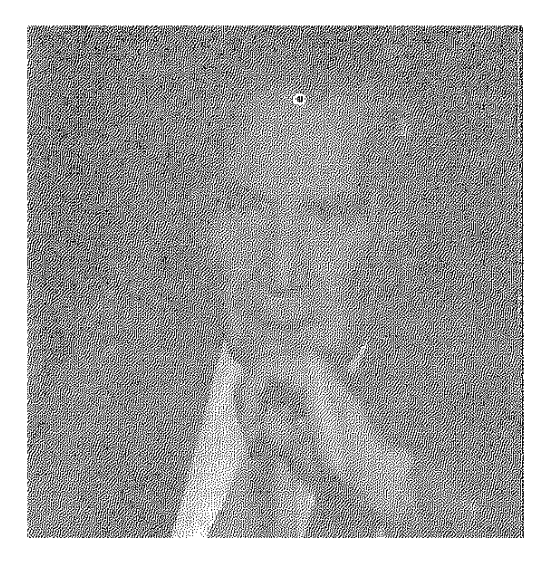
يقوم بعض الافراد بفرش مساحة محددة من الارض بجمرات نارية ملتهبة ثم يقوم الافراد المشاركون ـ وسط ذهول المشاهدين ـ بالسير على هذه الجمرات وسط حالة عظيمة من التركيز الفكرى ، دون أى احساس بالالم أو حتى حدوث حروق بسيطة لاقدامهم !

والغريب أن هذا الامر لايحتمل اية خدعة ، فقد ذكر شهود عيان ان بعض المشاهدين حاولوا التقليد ، فساروا على تلك الجمرات الملتهبة ، ولم يكن نصيبهم الا الحروق الشديدة والمؤلمة !

اذن كيف نفسر ذلك ؟.. هل التركيز الفكرى على شىء معين قد يجعلنا لانشعر بالالم .. اعتقد ان هذا جائز ، بدليل أنه كثيرا مايصاب جندى فى معركة برصاصة ولا يشعر بها نهائيا الا عندما ينبهه أحد أصدقائه .. ولكن الامر الذى يثير الدهشة أن هؤلاء الرجال لم تصب أقدامهم بأية حروق رغم ان مكونات الجسد البشرى قابلة للاحتراق .. ومعنى ذلك ان مانراه امامنا يخرج عن نطاق العقل وليس لدينا اى قانون علمي يبرره !

ولكن مهلا .. فقبل أن نصدق هذا الحكم العشوائى ، علينا أن نقرأ ما كتبه « كولن ويلسون » فى كتابه الشهير « الانسان وقواه الخفية » .. لقد تحدث عن عجائب المخ البشرى وألغازه المذهلة ، وقال ان المخ ليس مجرد عضو له أهميته فى الجسد البشرى ، بل هو لغز هائل لم يصل الطب الى اكثر من دراسته وظيفيا وتشريحيا فقط .. وفى كتابه روى تلك القصة المذهلة والتى حدثت فى عام ١٩٤٣ :

قال ان « بيتر هيركوس » شاب هولندى ، كان يعمل نقاشا فى فترة شبابه ، وفى احدى المرات ، أثناء قيامه بطلاء أسقف أحد المنازل ، سقط من فوق السلم سقطة عنيفة تحطمت على اثرها بعض عظام جمجمته وأصيب بارتجاج شديد فى المخ نقل بعده الى المستشفى ، وتم انقاذ حياته بعد جهود مضنية من الاطباء ، وعندما فتح عينيه عقب الاصابة ، هيمنت عليه الدهشة وملامح الخوف ، فقد شعر شعورا غريبا بانه يمتلك احساسا كبيرا من رؤية الاحداث والاشياء الخفية بصورة رهيبة ومزعجة ، وصدق حدسه ، فعندما هم أحد زملائه المرضى بالخروج من المستشفى ، عرف باحساسه الغريب أن هذا الزميل عميل بريطانى وأن منظمات الجستابو ستغتاله فى هولندا ، فاخذ يحكى تلك القصة لاشخاص عديدين وسط ازدرائهم واستنكارهم لهذا التوقع الخيالى والمتطرف ، بعد يومين بالضبط اغتيل الزميل البريطانى من قبل منظمات الجستابو وسط حادث بشع ، أما « بيتر هيركوس » فقد وصل أمره الى المخابرات الهولندية التى امرت بالقبض عليه ووجهت له تهمة التجسس نظرا لعلمه بحادث مقتل البريطانى قبل وقوعه ، وكاد هيركوس أن يواجه تهمة الاعدام رميا بالرصاص عقوبة على هذه التهمة ، الا انه استطاع أن يقنع المخابرات الهولندية بقدراته الخارقة على اكتشاف الاشياء الغامضة والحوادث المجهولة بأدلة دامغة ومقنعة أجبرتهم على اخلاء سبيله !.


يوسف وهبى
معجزة فى علاجه

● فكرة اليوجا ●

أما فى الهند .. بلاد الخيال والسحر الغموض ، فتنتشر رياضة « اليوجا » هى رياضة محبوبة ومقبولة ، انتقلت الى معظم أنحاء العالم فى العصر الحديث ، وتعتمد اساسا فى فكرتها على السيطرة على النفس وعلى الطاقة الجسدية من خلال تمارين رياضية معينة ، تتراوح بين البساطة والصعوبة ، والغاية فى النهاية من هذه التمارين أن يحيا الانسان حياة سعيدة وطبيعية ويضمن لنفسه الصحة الممتازة والعمر المديد ، ولكن الغريب فى هذا الامر هو تلك الروايات التى تحدث منها الكثير ممن زاروا الهند ، حيث زعم بعضهم انهم راوا أعمالا مذهلة يقوم بها رجال اليوجا فى الهند ، منها النوم باجسادهم شبه العارية على مسامير حادة تكاد تمزق جسد الشخص العادى تمزيقا ، ونزول بعضهم الى بئر مائى عميق يغوصون فى أعماقه دون اى تنفس خارجى لفترة تتعدى الساعات وفجأة يخرجون أحياء ، وكأنهم لم يتأثروا

حقيقة هؤلاء الناس واعمالهم التي فاقت حدود العقل !!

بانعدام الاوكسيجين في وقت يؤدي بالانسان العادي الى أن يلقى حتفه .

وهناك مشهد الدفن حيا أسفل الرمال ، حيث يقوم بعضهم بدفن نفسه تحت الرمال اما بمساعدة نفسه او بمساعدة الاخرين ، ويظل على هذا الوضع لوقت طويل قد يستغرق اياما معسدودة دون أن تنتهي حياته ، أما أشهر تلك الاعمال المثيرة والتي اقترنت باليوجي الهندي فهي طريقة الحبل القائم ، حيث يقوم اليوجي برفع حبل في الهواء دون أن يلمسه ثم يأمر طفلا صغيرا بتسلقه حتى يختفي عن الانظار تماما هو والحبل ، وبعد لحظات يعود الاثنان لما كانا عليه من قبل وسط دهشة الحاضرين وذهولهم ، وكثيرا ما رأى بعض السائحين الاجانب في الهند هذا المشهد العجيب الذي يثير العجب والخوف بداخل النفس !.

● العين الشريرة ●

وفي ٢٢ يناير ١٩٣٤ نشرت جريدة « الدايلي اكسبريس » الانجليزية خبرا مثيرا عن رجل من قرية « دورسيت » يموت تدريجيا بالرغم من انه لا يشكو من أي مرض أو الم ، وقام الكثير من الاطباء بفحصه فحصا طبيا شاملا ، وكانت النتيجة الدائمة والمعتادة « لا يشكو من اى مرض » نجسمه قوي البنية ولا يوجد به أي أنواع من جراثيم او ميكروبات أمراض فتاكة ، ولكنه بالرغم من الفحوص الطبية فهو مشرف على الهلاك دون اى سبب واضح ، ومضى المسكين طريح الفراش لمدة عامين ونصف ينتظر أجله المحتوم وسط دهشة الناس والاطباء ، وكانت المفاجأة عندما جاءت الى القرية سيدة عجوز من احدى قبائل الغجر ، وزارت هذا المريض وسرعان ما أعلنت لاهل القرية أن هذا الرجل يعود مرضه لنظرة من امرأة ذات عين شريرة ، ثم قامت باعداد وصفة معينة يدخل في تركيبها الماء وبعض النباتات البرية ، فغلتها جميعا بجانب المريض ، وأعطتها له ، وأدت فعلا الى شفائه !.

ولعل هذا يدفعنا الى تساؤل محدد : هل الحسد قوة شريرة تنطلق من النفس أو العين فتلحق بالمحسود اصابة خطرة ؟.

يقول الله سبحانه وتعالى : « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد » .. فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالاحتياط من الحسد ، في هذه السورة ، وهي دليل قاطع على وجود الحسد في بعض الاشخاص أصحاب النفوس المريضة !.

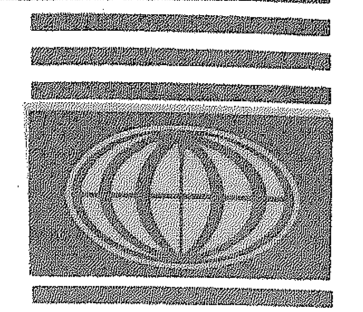
● هذا العلم الحديث ●

ولعل كل ذلك وغيره ، يدفعنا الى ضرورة التعرف على ذلك العلم الحديث الذي يطلق عليه «الباراسيكولوجي» .. فهذا يحاول أن يجند كافة أبحاثه في البحث فيما وراء الطبيعة من مجالات غامضة من بينها قدرات الادراك الحسية غير العادية في الانسان ، التي تختلف تماما عن الحواس الطبيعية التي نتمتع بها ، **وبالطبع فان المقصود بتلك القدرات الغريبة هو القدرة على ادراك بعض الامور الغامضة أو رؤية حوادث او مناظر في أماكن بعيدة تماما عن المدى العادي لحواس الانسان !.**

وهناك مجالات أخرى لهذا العلم ، منها مجال الجلاء السمعي ويعرف بانه القدرة على سماع أصوات مختلفة لا تلتقطها الاذن العادية أو مجال الجلاء الشمي والذوقي والالهام

ورغم كل ذلك فما زالت تلك القصص محيرة ، وما زالت الاذهان والعقول الناضجة تضع امامها مليون علامة استفهام ..

العالم في سطور

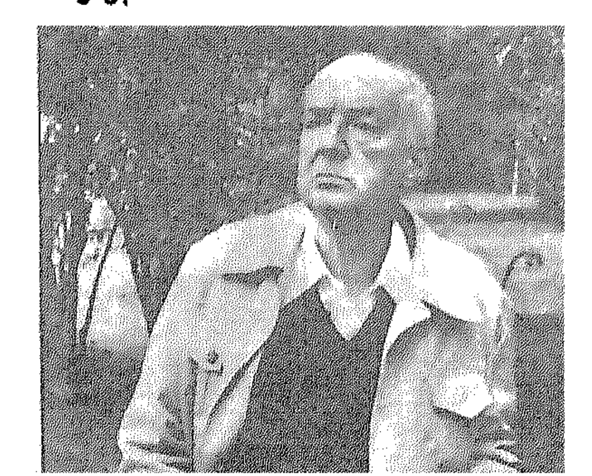


واشنطن

● عندما ماتت لوليتا

تحتفل الاوساط الادبية في كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاة الكاتب المعروف فلادمير نابوكوف • صاحب رواية « لوليتا » نابوكوف احد الكتاب القلائل الذين تعمقوا في الشخصية الانسانية ليكتشف في داخلها عن شخصيتين • احداهما ظاهرة واضحة لها • مسموعة الصوت • ظاهرة الحركة • اما الثانية فانها تتوارى خلف الاولى • تتحدث فلا نسمع لها صوتا لكنها هي التي تتحكم في الحدث وتوجهه حسبما تشاء •

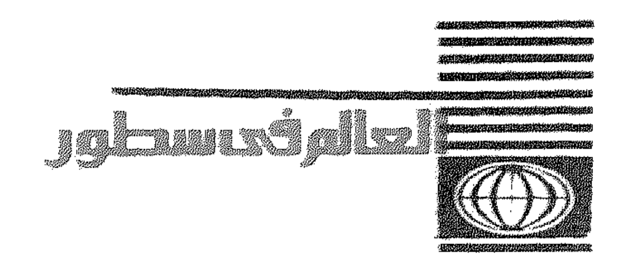
نابوكوف



ولد نابوكوف : في بطرسبورج عام ١٨٩٩ في اسرة روسية عريقة • ثم رحلت اسرته الى اوروبا حيث اتم تعليمه في جامعة كمبردج ببريطانيا • وفي عام ١٩٤٠ رحل الى الولايات المتحدة واتخذ البلاد موطنا حيث عمل استاذا للادب الروسي في جامعة ستانفورد •

وقد ظل نابوكوف الى اخر حياته يكتب رواياته - شأن الكثير من المهاجرين - باللغتين الروسية والانجليزية من اشهر هذه الروايات على الاطلاق «لوليتا» وتدور حول رجل في الاربعين يرتبط عاطفيا بابنة زوجته ويرتكب جريمة قتل من اجلها• لكن لوليتا التي تعشقه لفترة لا تلبث ان تهجره الى رجل اخر في مثل سنه بعد ان تعمل على اذلاله •• فيقتله ويدخل السجن •• بينما لوليتا طليقة حرة •

اما رواياته الاخرى فهناك •• ضحكات في الظلام ، « اليأس » وهما روايتان قدمتهما السينما • وهناك رواية اخرى تحمل عنوان « شفافية الاشياء » وكتاب عن « الادب الروسي » •• وقد قال عنه احد النقاد : « يعبر نابوكوف عن مجتمعه المليء بالتناقضات • فقضيته هي الحب الفاشل • او الطموح الفكري في عالم يطمح الى المادة •• لذا احتل نابوكوف هذه المكانة في خريطة الادب الحديث » •



باريس

● عصر الجوائز البديلة

اذا كنت متتبعا للنموذج الثقافي الفرنسي – خاصة في السنوات الاخيرة – فلا شك أنك سوف تعجب به .. والثقافة الفرنسية وجدت نفسها اسيرة للنموذج الامريكي فارادت ان تستقل عنه . وبدا هذا واضحا فى اشياء عديدة على رأسها حكاية الجوائز .

ففى الادب صنع الفرنسيون لانفسهم جائزة ادبية لها نفس اهمية اى جائزة عالمية اما جائزتهم الهامة التى تمنح هذه الايام فهى جائزة سيزار .. التى تمنح للسينمائيين في مختلف فروع الفن السابع للافلام التى ظهرت خلال العام الماضى ..

ومن الواضح ان جائزة سيزار قد صنعت منذ احد عشر عاما كي تنافس جائزة اوسكار الهوليودية .. وقد اختار الفرنسيون ان تمنح هذه الجوائز قبل الاعلان عن الاوسكار باسابيع .. كما أن وسائل الاعلام الفرنسية تكرس نفسها للحديث عن هذه الجوائز . والمرشحين لها . واهمية الاعمال المرشحة ..

ففى عدد شهر فبراير من مجلة بروميير – احدى اشهر المجلات السينمائية المصورة واوسعها انتشارا – تم تخصيص تسع صفحات عن اهم ترشيحات هذا العام لنيل الجائزة .. وهذه الترشيحات لابد ان تكشف ان السينما الفرنسية تقدم اعمالا على مستوى فنى جيد تستحق الجوائز . وعكس ما تصور البعض عن احوال هذه السينما . وتمنح الجائزة – مثل الاوسكار – لاحسن فيلم واحسن مخرج واحسن ممثلة واحسن ممثل ثم احسن ممثل مساعد واحسن ممثلة مساعدة واحسن فيلم اجنبي . واحسن ممثل يعمل لاول مرة وكذلك احسن ممثلة – تعمل لاول مرة واحسن عمل اول لمخرج ثم جوائز اخرى فى المجالات التقنية كالموسيقى والمونتاج والصوت والملابس والديكور والتصوير .. واحسن افيش سينمائي

ابرز الافلام المرشحة للجائزة هذا العام من فرنسا هى : « ميلو لالان رينيه و«ملابس السهرة» لبرتران بلييه و « تبريز لالان كافالييه . اما جولييت بينوش فمن المحتمل ان تنال جائزة احسن ممثلة عن « دماء قذرة» كما يتوقع ان يفوز فيلم « بعيدا عن افريقيا » بجائزة احسن فيلم اجنبى عن عام ١٩٨٦ ..

سابين إزيمانالت سيرار



نابولى

● الامتحانات لا تنتهى ابدا



ادواردو فيليبو

ولاتزال مسرحية ادواردو معروضة على المسرح الصغير بميلانو .. المسرحية هى « الساحر الصغير » . اما ادواردو فهو الاسم الشعبى الذى ينادى به الكاتب المسرحى المعروف ادواردو فيللبو فى ميلانو بصفة خاصة ..

وبمناسبة مرور عامين على عرض المسرحية ـ وعلى وفاة الكاتب ايضا ـ اقيم احتفال ضخم فى المدينة . فتفتح المسرح الصغير ابوابه مجانا لجمهور فيللبو .. وضحك الناس من جديد فى مدينة صغيرة لا يمكن ان تستوعب احدى المسرحيات عامين من العرض الا اذا كان سكان المدينة قد جاءوا للمشاهدة اكثر من مرة ..

كان فيللبو كاتبا وممثلا ومخرجا عشق المسرح وجدرانه وكواليسه ، دخل تاريخ المسرح الايطالى بعد مرحلة طويلة من الكفاح حافلة بالاعمال المسرحية الكبرى والتى استهلها بمسرحية « عيد الميلاد فى بيت كوبيللو . واتبعها بمسرحياته الشهيرة مثل : « نابولى مليونيرة » ١٩٤٥ . و « الاشباح » ١٩٤٦ و « فلومينا مارتوراتو » ١٩٤٦ « السبت الاحد الاثنين » ١٩٥٩ و « عمدة حى سانيتا » ١٩٦٠ ، « الامتحانات لاتنتهى ابدا » ١٩٧٣

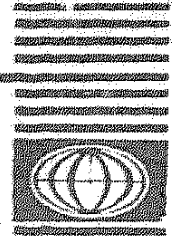
وقد اقتبست السينما الايطالية عديدا من مسرحيات الكاتب مما ساعد على ذيوع اسمه . كما انه احد المعروفين للجمهور العربى حيث ترجمت اغلب مسرحياته الى اللغة العربية وقام السينمائيون المصريون باقتباس بعض هذه المسرحيات فى افلام مثل « ٤ : ٢ : ٤ » ، « تزوير فى اوراق رسمية » .

يقال ان اهمية فيللبو تجىء ايضا من خلال لجوئه الى لهجة مدينة نابولى ممزوجة بلهجة ادبية . فجعل من لغته الجديدة اداة لتلاقى مثالب الواقعية الايطالية « الفيريزمو » وضيق افقها لتشمل افاق التراجيديا العالمية ، وقد نجح من خلالها فى الوصول الى قلوب وعقول الناس فى مختلف بقاع البسيطة . لذا فانه رغم الروح الساخرة فى الادب الايطالى بصفة عامة . فحتى الان ـ وبعد رحيل الكاتب ـ لم يتمكن احد من بلوغ نفس المرتبة التى تميز بها .

بروكسل

● عودة تان تان

لا.لم يمتميكى ماوس..ولا تان تان فبعد عشرين عاما من رحيل والت ديزنى . لا تزال شخصياته



التى ابتدعها موجودة تتحرك فـوق شاشات السينما • وتنبض حيــاة فى مجلات الرسوم المتحركة ••

واذا كان ديزنى قد اتاح الفرصة للاخرين ليرسموا ميكى ماوس والعم بطوط وعم دهب واخرين • فان الفنان البلجيكى هرجيه ـ مات عـام ١٩٨٣ ـ لم يسمح لاحد قط بالاقتـراب من شخصية تان تان •• التى اثير حولها تساؤل بعد وفاة مبدعها ••

ومحاولة لبعث الصحفى المغـامر تان تان من موات مؤقت • اقيم معرض كبير لرسومات هرجيــه ومجلدات تان تان فى بروكسل تحت عنـوان « المغامرون » اعلن فيه ان مدرسـة هرجيه سوف تعيـد شخصـيـة المغامر تان تان مرة اخرى الى الحياة

وبمناسبة هذا المعرض صـدرت مجموعة من الكتب منها « تحـول تان تان » لجان مارى ابو ستليـد مدرس الادب والحضارة الفرنسية • و « عالم هرجيه » لبينوا بيترز •كما تم تاسيس جماعة هيرجيــه « التى تحمل على عاتقها حفظ تراث هرجيه الذى قيل انه باع مائة مليون نسخة من البوماته عن تان تان مترجمـة الى ٣٣ لغة •

تحدث هرجيه قبل وفاته الى مجلة الرسوم المتحركة قائلا عن اسـلوب عمله « فى البداية تكون الفكرة بالغة البساطة • هناك دائما نوع من المباراة المستمرة مثلما يفعل الفرسـان الثلاثة او ميشيل سـترو جوف • وبدءا من هذه الفـكرة • اؤلف



السيناريو واجربه حولى • واشـعر اننى مدان بالاتصالات مع من حـولى لان السيناريو ينبثق دائما من خلال العمل • وعندما تنتهى الخطوط العامة على ان اصنع الهزليات • والمؤثرات فمثـلا عندما اصـل الى نصف السيناريو اجد اننى يجب ان اعـدل من فكرة جاءت فى احدى الصـفحات الاولى • لذا فاننى اعد السيناريـو على وريقات صغيرة وارسم هيـاكل الاشخاص اوضح فيها الحـوارات والاشارات • ثم ارسمها بعـد ذلك على لوحات كبيرة » •



ستيفان زفايج

فيينا

● يوميات كاتب من جيل القهر

تجيء اهمية السيرة الذاتية للكاتب فى انها تكشف ـ غالبا ـ جوانب كثيرة فى حياة الكاتب لعبت دورها المؤثر فى ابداعاته واختياراته اللغوية والدرامية .. لذا فان المؤرخين والباحثين يبحثون دائما عن الاوراق الخاصة لكاتب بعد وفاته . سواء كانت هذه الاوراق رسائل خاصة او ادبيه أو يوميات كتبها الكاتب .

اخر هذه اليوميات التى تم العثور عليها تخص الكاتب المعروف ستيفان زفايج أحد اعمدة الادب فى النصف الاول من القرن العشرين .. وقد قام الباحثون الذين عثروا عليها بتأريخها فوجودها مكتوبة بين عامي ١٩١٢ و ١٩٤٠ وجاءت اهمية هذه اليوميات فى أنها لم تعكس فقط خلجات الكاتب الخاصة . بل خلجات أوروبا فى سنوات القلاقل الشديدة ..

يعد ستيفان زفايج (١٨٨١ ـ ١٩٤١) أحد اربعة ادباء المان عظام وضعوا بصماتهم فوق الادب العالمى وهم : هيرمان هيسه وتوماس مان وارثر شنتزلر . من اشهر اعماله « رسالة من مجهولة » و « ٢٤ ساعة من حياة امرأة » و « حذار من الشفقة » و « الخوف » .

يقول اندريه باى ان زفايج أديب خلدته الحرية وان ابطاله هم بشر يجب ان يجلسوا على اريكة المحلل النفسى كى نسمع منهم الحقائق يدلونها بالسنتهم مثلما فعلوا على صفحات الروايات

ويقول زفايج : « من عاش وعمل يشعر بالتحرر من كل الاختناقات واسباب القلق » . وقد شغف بالعلامة فرويد وكتب عنه كتابا يقول فيه « لقد نفث فينا روحا جديدة »

فى عام ١٩٤٢ انتحر زفايج مع زوجته احتجاجا على ما يدور فى المانيا بعد أن ترك رسالة طويلة ـ مثلما يفعل ابطال روايه ـ يتحدث فيها عن الموت والحياة . وقد جاء فى نهاية الرسالة : « أعتقد انه من الافضل أن نضع نهاية للزمن وراسنا مرفوعة عاليا . سواء بالوجود . او العمل الذهنى الذى يسبب بهجة اكثر نقاء وحرية شخصية اكثر سموا من كل هذا العالم » .

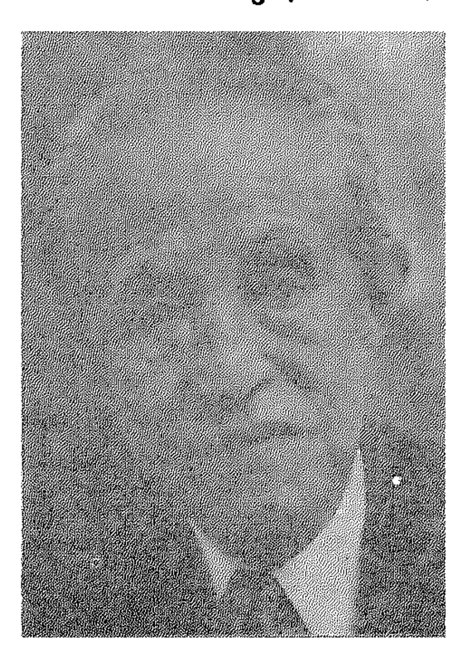
كانت حياته اشبه بحلم طويل . صعب ان يمسكه بين يديه . أو لعله مثل احدى لعبات النرد الصعبة الامساك بها . ليس عليه سوى الخسارة . او ان يغلق مائدة النرد .. ويذهب ..

بطل الجودو الذى أصبح أديبًا

بقلم : محمود قاسم

مشكلتى الاساسية وانا فى هذه السن هو ان ارقب الزمن الذى بقى لى كى احياه " تلك هى العبارة التى رددها الكاتب اليابانى الكبير ياسو شى اينو بعد ان تجاوزته جائزة نوبل فى الأدب من جديد ، واذا كان اينو قد وجد نفسه منفيا داخل وطنه فليس عليه ان يتباكى كثيرا على جائزة نوبل . ففى هذا الشهر يحتفل الكاتب بهدوء شديد بعيد ميلاده الثمانين .. دون أى ضجة تذكر .. ولعلنا نذكر الاحتفالات الضخمة التى اقيمت للكاتب صموئيل بيكيت فى العام الماضى بمناسبة بلوغه نفس السن . قاموا بطبع رواياته . واصدار كتب عن حياته واعادة تمثيل مسرحياته . وعقد لقاءات صحفية عديدة معه . لكن هذا لا يحدث فى اليابان .. رغم أن اديبها الكبير رجل فلسفة وروائى وشاعر وعضو فى الاكاديمية اليابانية .. والطريف انه نال جائزة الحزام الأسود فى بطولة الجودو ..

ياسوشى اينو
فى انتظار الجائزة



ولعل إينو يردد الآن نفس العبارة التى قالها الممثل الامريكى كيرك دوجلاس للتليفزيون المصرى منذ شهرين ، إن ترشيح الفنان لنيل جائزة شرف كبير حتى وإن لم ينلها ، وقد تردد هذا العام مثلا أن الأديب النيجيرى سوينكا كاد يحصل على الجائزة عام ١٩٨٣ إلا أن صوتا واحدا لم يكن فى صالحه فمنحت لويليام جولدنج .. وقيل نفس الكلام هذا العام عن إينو .. قالوا أن فرق صوت واحد فقط هو الذى باعد بين إينو وسوينكا .. وإذا كان هذا الأخير فى مقتبل حياته نسبيا قياسا الى إينو ، فأن الكاتب ينتظر هذا العام على أمل أن تجىء الجائزة من إفريقيا الى آسيا فى طائرة تقطع شوطا بعيدا ويصبح إينو ثانى أديب يابانى يحصل عليها بعد ياسونارى كاواباتا .

● الثقافة .. على الطراز الأمريكى

السؤال الذى يدور الآن فى جميع عواصم العالم : اليابان الى أين ؟

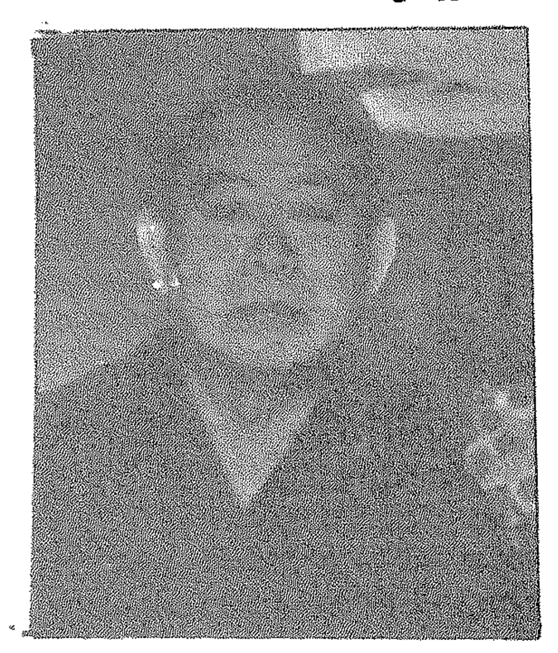
ليس السؤال سياسيا هذه المرة ، وليس حول مستقبل تطور التقنيات اليابانية ، ولكنه حول الوضعية الثقافية والفكرية المعاصرة فى اليابان . فاذا كان النموذج الصناعى اليابانى قد غزا كل البيوت فى كافة أنحاء العالم ، فان النموذج الثقافى الامريكى هو الذى يسيطر الآن على العقلية العالمية . والغريب أن شركات الانتاج اليابانية انتجت كما هائلا من أفلام الرسوم المتحركة فى السنوات الأخيرة ، مصنوعة على غرار النموذج الامريكى . وفيما قبل تركت اليابان للغرب فرصة اكتشاف وصناعة الفنان اليابانى ، حيث قامت دول عديدة فى السنوات الاخيرة بتحويل أفلام أخرجها اليابانيون كيروساوا وشينووا وأوشيما . من هذه الدول : الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وفرنسا ..

أما عن الأدب فقد تركت اليابان لدور النشر الأوربية والامريكية الفرصة لتلميع بعض كتاب اليابان . كل بمنظور الغرب ، كأن يمنح كاواباتا - وهو ليس أفضل الكتاب - جائزة نوبل . وأن يصنع من ميشيما نموذج الأديب المهرج ، لانه وقف ضد سياسة الغرب فى

يوكيو ميشيما



تانيزاكى



بطل الجوورو
الذى أصبح ديبا

بلاده . ومن تانيزاكى انموذجا مكررا لأنه أقرب الى الغرب فى فكره وتفتحه .

حول هذا الموضوع خصصت مجلة الاكسبريس ـ ١٩ يوليو ١٩٨٥ ـ وجريدة لوموند ـ ٨ يوليو ١٩٨٥ ـ ملفات طويلة لحديث عما سمي ب "العام صفر" فى اليابان ومن أهم ما جاء فى هذه الملفات مايقوله أحد الناشرين اليابانيين "اذا كان هناك شيء مقنع . فهو أن مجتمعنا ليس مجتمع ثقافة وأدب فالأدب اليوم عبارة عن معنى جامد خاو من المعاني وليست هذه الظاهرة فقط فى اليابان ولكن اليابان تمثلها بشكل واضح" .

إذن . أصبح اليابانيون ينظرون إلى الثقافة على أنها سلعة أذا لم تأت بعائد مادى ملموس فلا جدوى منها

العزلة .. مرض العصر

هذا هو الجو الثقافى الذى يعيش فيه شيخ الأدب اليابانى وهو يستقبل عامه الثمانين .. واذا كان هذا هو حال الشيخ ، فليس الأمر أفضل بالنسبة للشباب الذين يتدفقون حيوية وعطاء وقد صدر فى شهر أكتوبر الماضى كتاب جديد يحمل عنوان "مختارات من القصة القصيرة اليابانية" كتب له اينو مقدمة طويلة تحدث فيها عن الصلات الحضارية التى تربط اليابان بالعالم من حولها ، وخاصة الفكر الصينى الكونفوشيوسى .. وضم الكتاب مجموعة من مختارات قصصية كتبها عمالقة الأدب اليابانى متل تانيزاكى واكوتاجوا وكاواباتا وميشيما . وجاء فى المقدمة . "لا تنتمى اليابان الى عالم كونفوشيوس فقط . ولكنها تسبح دائما فى ضياه . ونحن اليابانيين نعمل على هديه . لقد أخذتنى أفكار عميقة حول العالم المعاصر . بينما علمنا كونفوشيوس الا نصلى للسماء . ولكن أن ننادى العقل كى نحل مشاكل البشر ، لم يسع الحكيم للتطاول على القيم المجردة ، ولكن على مبادىء الحياة التى تستند على العظمة" .

وأكد إينو فى مقدمته أن أكثر أدباء اليابان المعاصرين يضعون عينا على بلادهم وأخرى على الغرب ، حين يقومون بنسج التاريخ اليابانى فوق مغازل من صنع أمريكى بصفة خاصة .

وإينو أحد الكتاب الكثيرين الذين يهيمون عشقا بتاريخ بلاده .. واذا كان يوكيو ميشيما قد حول هذا التاريخ إلى قصص حب ناعمة ، فإن إينو حاول أن يفلسف هذا التاريخ من خلال شخصيات بسيطة عاشت فيه ، تحاول البحث عن معانى الأشياء الحقيقية .. هم ظلال من شخصيات آسيوية مؤثرة مثل كونفوشيوس وبوذا . يؤمنون بما يقولون ، ويروجون للبحث عن الحقيقة حتى لو جلس أحدهم تحت شجرة ثلاثة أيام فى جو عاصف يحاول أن يستلهم معالم النرفانا ..

نشر إينو ـ المولود عام ١٩٠٧ ـ روايته الاولى "بندقية الصيد" وهو فى الثانية والأربعين من عمره .. وقد حصلت هذه الرواية على جائزة أكتوجادا الأدبية فى العام التالى . وهى أرقى جائزة أدبية فى اليابان ، وتروى حكاية رجل غارق فى حب ثلاث نساء : عشيقته سايكو . وابنته تالى . وزوجته ميدورى . فرغم أن عينى كل منهن تعكسان مشاعر حب له معنى خاص ، فإن هناك عزلة قوية تربط فيما بينه وبينهن . ورغم أنه رجل ناجح على المستوى الاجتماعى ، أستطاع أن يتقلد المناصب ويكسب الأموال . فانه يعانى من قلاقل شديدة فى حياته الخاصة .

وهذه الرواية هى احد النصوص القليلة

التى تروى أحداثا عصرية للكاتب الذى يؤكد العزلة التى يعيشها أبطاله لم تكن موجودة عند الشخصيات التى عاشت فى القرون السابقة . فالعزلة مرض العصر ، وقد قتلت العشيقة سايكو وأبعدت عنه الزوجة .. ولم يعد يبقى من الثلاث نساء سوى قصاصات رسائل عبرت يوما ما عن مشاعر متدفقة متباينة .

● الناس يكذبون .. حين يموتون

يقول إينو : "هناك فجوة كبيرة ـ على المستوى النفسى ـ بين العصر الذى نعيشه وتلك العصور التى عاشتها الشخصيات التاريخية . لذا لم أعد أستمد من العالم الذى يحوطنى أى مادة أدبية ، سوى ما يتعلق بما دار أثناء الحروب ، وأذا شئنا الدقة فأدباؤنا يغامرون بتعتيم التاريخ . أما بالمدح الزائد وهذه ظاهرة عامة فى الأدب اليابانى ـ أو بالتعتيم الشديد . لذا فأغلب أبطال الأدب اليابانى "أنانيين" يتحدثون عن أنفسهم فى المقام الأول ، ولم تكن الرواية أبدا مقالا ، ولكنها فى المقام الأول نص ابداعى" .

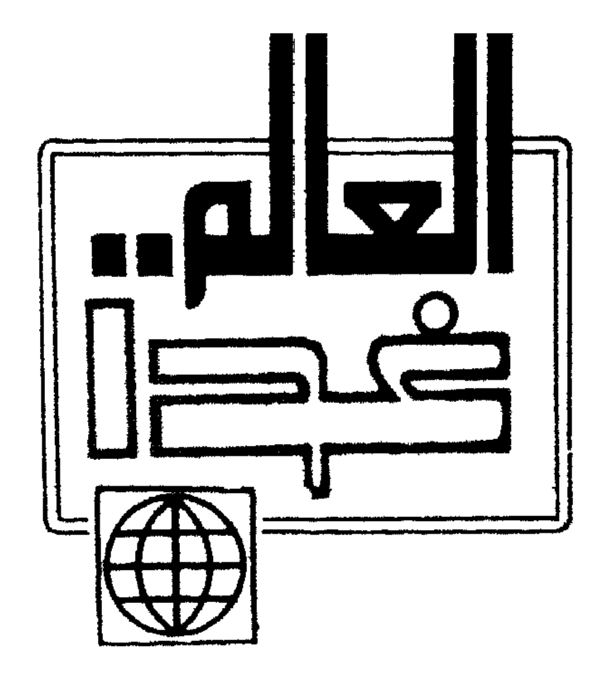
ويقول فى حديث آخر : "يتكلمون الآن عن أزمة الابداع . وعن نهاية عصر الأدب . وقد ترددت مثل هذه الاقاويل دائما فى كل العصور . **لكن الأدب أشبه بثمار الكراز يمكن اقتطافها فى جميع مواسم العام**" .

من أهم رواياته الأخرى "البحر الجليدى" ، و"حكاية أمى" و"صوت فى الليل" وفيها يتحدث عن مغامرة مدرس عجوز يقضى أوقات فراغه فى دراسة المانيو شعر (مختارات من الشعر اليابانى فى القرن السابع الميلادى) ، وعثر فى هذه القصائد على مفاتيح الاتصال مع الشياطين ، فأصبح صديقا لبعضهم وأستطاع أن يقهر البعض الآخر بفصاحة هذه الأبيات .

ومن رواياته التاريخية أيضا "حركة ساندا" التى تصور حروب الإقطاع فى اليابان إبان القرن السادس الميلادى ، وهى حروب ضروس لم يغلب فيها أحد رغم سنواتها الطويلة . كذلك هناك رواية "سقف العالم عند تمبيو" وهى بمثابة أوديسا يابانية تدور فى القرن الثامن الميلادى ، إبان حكم الامبراطور تانج الذى شن جروبا طويلة على الامبراطوريات المجاورة ، وبعد أن تنتهى الحرب يسافر أحد أبطالها الى جبال التبت عبر رحلة شاقة ـ أشبه برحلة بوذا ـ ساعيا لاكتشاف المعنى الروحى فى تعاليم بوذا التى تتناقض تماما مع ما شهده من حروب طويلة سكبت فيها الدماء أنهارا ..

وفى روايته "دروب الصحراء" يعود الى القرن الحادى عشر من خلال شاب صينى يتم تجنيده فى جيش الأعداء لمحاربة وطنه ، ويقول إينو أنه استعان بعشرين ألف وثيقة قديمة تتعلق بهذه الحقبة الزمنية كى يكتب هذه الرواية .. لذا فأن أعماله تجمع بين الابداع الفنى .. والتوثيق التاريخى ..

ورغم أن إينو بوذى الديانة ، فإنه ـ كما اشرنا ـ معجب كثيرا بالحكيم كونفوشيوس . وقد انعكس هذا الاعجاب على سلوك ابطال رواياته .. وفى عام ١٩٧٥ قدم إينو آخر رواية منشورة له تحت عنوان "كوشى" ، اسم الحكيم فى صباه ـ حيث تحدث عن حياة كونفوشيوس وعلاقته بالمرأة . والطبيعة والفلسفة والوظيفة والتلاميذ . ويكشف الكاتب كيف تحول كوشى الإنسان الى روح حية لا تفنى أبدا مهما فنيت الاجساد ، ويردد الكاتب : "يكذب الانسان عادة فى لحظة الموت . لأنه لايستطيع أبدا أن يصف مايحس به وصفا دقيقا . أكثر الناس يبالغون فيما يتعلق بالموت . لأنه يجعلهم أكثر زهوا بحساسية مما تتطلبه الموضوعية . بسبب ما يجتاحهم من يأس ، لذا فلا يوجد من يستطيع التعبير عن حقيقة مشاعره . أو ما يحس به فى لحظته الأخيرة .. لحظة النهاية ..



• تصنيع الخلايـــا الكهرضوئية فى مصر •

تحظى مصر ـ وغالبية الاراضى العربية ـ باكثر من ٣٠٠ يوم مشرق كل عام مما يجعلها من اكثر المناطق تمتعا بإمكانية الاستفادة من الطاقة الشمسية .

وبعد الخطوات التى اتخذت للاستفادة من هذه الطاقة فى تسخين المياه للأغراض المعيشية يقوم فريق من الباحثين بمعمل الخلايا الشمسية بالمركز القومى للبحوث ، بالأشتراك مع جامعتى الاسكندرية وإيند هوفن الهولندية ، بإجراء تجارب لتصنيع وتجميع الخلايا الكهرضوئية على ألواح لأول مرة فى مصر ، وذلك للاستفادة منها فى التطبيقات البحثية والصناعية المختلفة .

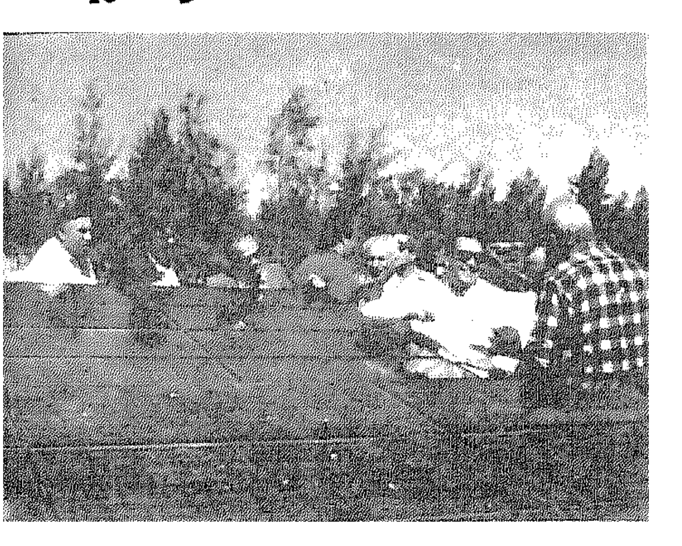
وقد أسفرت التجارب الاستطلاعية عن إمكانية استخدام شرائح السليكون المحلية فى تصنيع الخلايا الشمسية ، كما امكن تجميع هذه الخلايا على هيئة الواح باستخدام المواد المنتجة محليا مثل الزجاج والمواد اللاصقة .

واستخدام الخلايا الكهرضوئية أحد الحلول التكنولوجية الحديثة لمشكلة الامداد بالطاقة ، خاصة فى الأماكن النائية التى تتوافر فيها أشعة الشمس على مدار النهار ، وتخلو من مصادر الطاقة التقليدية وأمثلة ذلك توليد الطاقة للإنارة أو لوحدات الإتصال أو لتشغيل الطلمبات وسط الصحراء . وجدير بالذكر أن مثل هذه التطبيقات وجدت طريقها إلى خدمة بعض المجتمعات العربية كما هو الحال فى المملكة العربية السعودية منذ سنوات .

والفكرة فى هذه التطبيقات هى استخدام الألواح الكهرضوئية فى التقاط أشعة الشمس وتحويلها إلى طاقة كهربائية يجرى تخزينها فى مركم يمد بها الوحدات المراد تشغيلها (مصباح أو تليفون أو طلمبة) عبر محول خاص . وعلى هذا النحو تتمتع كل وحدة باستقلال ذاتى إذ تخزن الطاقة ثم تستخدمها عند الحاجة دون ارتباط باجهزة أخرى . ومن هنا النفع الكبير من وراء استخدام مثل هذه الوحدات فى المناطق النائية التى يتطلب توصيل الكهرباء إليها أموالا باهظة ..

هذا وقد نجحت إحدى المؤسسات الصناعية والهولندية اخيرا فى إنتاج وحدات متنقلة لأنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسيـة . وهى تتكون من خـلايا كهرضوئيـة ومنظم لشحن البطاريـات

تستخدم الطاقة الشمسية الآن فى العوينات



الموجودة بها . ويمكن استخدام هذه الوحدات في أى مكان لتزويد الاجهزة الكهربائية بالتيار اللازم لتشغيلها سواء كانت أجهزة تليفزيون أو راديو أو تكييف . هذا كما يمكن شحن بطاريات الوحدة من بطارية السيارة في حالة غياب اشعة الشمس .

● إيجار الرحم ٣٠٠ دولار اسبوعيـــا ●

لم يستقر الرأى على اسم للطفلة بعد ، رغم اقتراب عمرها من العام .. فمن ولدتها تطلق عليها سارة ، بينما تصر العائلة التى زرعتها في رحم الوالدة على تسميتها ميليسيا ، وتكتفى أوراق المحكمة التى تنظر النزاع بين الطرفين بالاشارة إليها على أنها الطفلة "إم" .

وقد بدأت القصة حين تقدمت مارى بيت وايتهد (٣٠ سنة) ، وهى ربة بيت ، إلى مركز العقم في نيويورك ـ وكالة تتكسب من تأجير الأرحام ـ مبدية رغبتها في التطوع لمساعدة أى زوجين يعجزان عن الانجاب ، إذ أن لديها طفلين ولا ترغب في المزيد ..

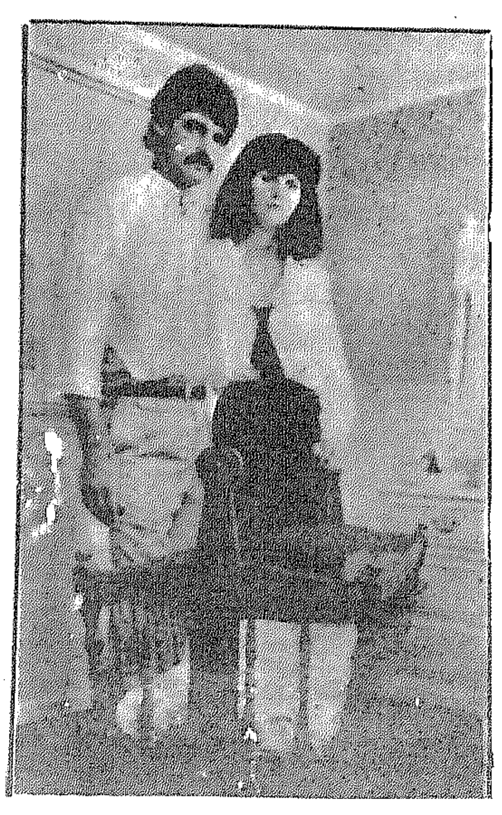
وبعـد إجـراء الاختبـارات النفسيـة والايضاحات القانونية ، وبعد لقاء في أحد مطاعم نيوجيرسى نظمته الوكالة بين مارى وعائلة ستيرن ... وافقت مارى على أن يجرى إخصابها صناعيا من وليم ستيرن (٤٠ سنة) ، الذى عجزت زوجته اليزابيث (٤٠ سنة) عن الانجاب . وفى المقابل وعدت اسرة ستيرن مارى بعشرة آلاف دولار بالاضافة إلى مبلغ مشابه للمركز ، مع تحمل خمسة آلاف دولار أخرى كتكاليف للعملية ..

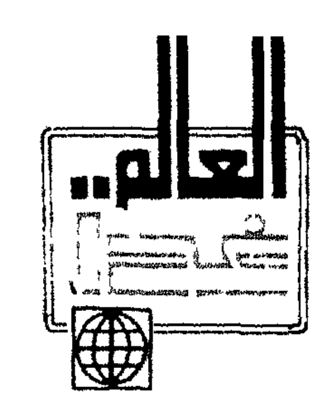
لكن الهواجس لعبت بفؤاد مارى بعد أن وضعت الطفلة ، ورفضت تسلم المبلغ المنصوص عليه في العقد ، وسعت إلى استعادة الطفلة وبلغ الأمر بها إلى رفض طلب البوليس تسليم الطفلة الى اسرة ستيرن ، بل وقامت بتهريب الطفلة بعيدا ، حتى تمكن مخبر خاص استأجرته عائلة ستيرن من ضبطها ، وعرض النزاع على المحكمة التى قضت مؤقتا بحضانة آل ستيرن للطفلة ، على أن يسمحوا لمارى بزيارتها مرتين في الاسبوع ، لساعتين في كل مرة

لكنه مازال على القاضى أن يتخذ قراره النهائى في النزاع ، بل وعليه أن يحدد طبيعة القضية المطروحة .. هل هى مجرد إخلال بتعاقد اتفق عليه ، يستوجب إبقاء الطفلة لدى عائلة ستيرن ، بعيدا عمن ولدتها . أم هى قضية حضانة عادية ، وبالتالى يكون الفيصل فيها لصالح الطفلة بصرف النظر عن التعاقد السابق !!

ومما يصعب مهمة القاضى أنه لا توجد في الولايات المتحدة الأمريكية حتى الآن تشريعات تنظم عملية الأمومة بالنيابة أو تأجير الأرحام ، على الرغم من أن مايقرب

مارى وايتهد وزوجها امام مهد الطفلة الخالى في انتظار حكم القاضى .





من مائة طفل يولدون بهذه الطريقة سنويا منذ عام ١٩٧٩ .

ويعقد القضية الراهنة ما تثيره مارى من أن الطفل ربما كان من زوجها هى - رغم تعهده بعدم إتيانها خلال فترة الإخصاب - وذلك ناهيك عن إثارة دفاعها لمسالة كون مارى ربة اسرة ، أى أم طوال الوقت ، بمقدورها أن توفر للطفلة ظروف تنشئة افضل من امراة عاملة .. بينما يثير دفاع أسرة ستيرن مسالة عدم جدارة أسرة مارى برعاية الطفلة ، إذ انها هددت خلال حديث تليفونى معها ، خلال تعقب أسرة ستيرن لها ، هددت بقتل الطفلة إذا لم يكفوا عن متابعتها .

وتقول مارى إن تجربة الإنجاب جعلتها تدرك أنها أخطأت حين وقعت عقدها مع أسرة ستيرن وتبدى دهشتها من معالجة الناس للأمر وكأنه مشاحنة على ملكية سيارة ..

وتتفاوت وجهات نظر الناس فى القضية وفقا لمواقعهم فيرى البعض أن الأمر برمته ممارسة شاذة يجب الا تحدث على الاطلاق ، لأنها تحول شيئا خاصا جدا إلى تجارة . بينما يذهب البعض إلى ضرورة دراسة الآثار النفسية لمسالة الأمومة بالنيابة على نحو أكثر إسهابا ، إذ لاينبغى سد طاقة الأمل التى انفتحت امام ١٥٪ من الأمريكيين الذين يعانون من مشاكل فى الأنجاب ..

● الرضاعة الطبيعية افضل وقاية من امراض التلوث ●



لماذا تحرمينى من كل مزايا الرضاعة الطبيعية ؟

أكدت الندوة الدراسية التى أقامتها الهيئة العلمية للدراسات الحضرية بالمركز القومى للبحوث ماتوصلت اليه الدراسات العلمية حول كون الرضاعة الطبيعية أفضل وقاية للطفل .

وكانت الابحاث العلمية قد أكدت ضرورة لبن الأم - الجاهز الدافىء المعقم - للطفل وكشفت عن المميزات التى يعجز أى لبن أخر عن مجاراته فيها .. فلبن الأم يختلف يوما بعد يوم خلال شهور الرضاعة بل ويختلف بين رضعة وأخرى .. ففى الأيام الثلاثة الأولى من عمر الرضيع يضم لبن "السرسوب" كمية مرتفعة من السوائل ، تتضمن قليلا من المواد الكاربوهيدراتية والبروتينية ، وبعد ثلاثة أيام أخرى تنقلب الآية وتتغير نسبة السكريات والنشويات مع البروتينات بين فترة وأخرى مواكبة للنمو . بل أن تكوين لبن الأم يختلف على مدار اليوم فيكون خفيفا ساعة الافطار فى رضعة الصباح ثم تزداد كثافة المواد الكاربوهيدراتية والبروتينية مع منتصف النهار ..

هذا كما بينت الأبحاث ان إصابة بعض الاطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الطبيعية بسوء التغذية يرجع الى رضاعة هؤلاء الاطفال لفترات قصيرة ثم تركهم الثدى مما يقصر غذاء الطفل على اللبن الخفيف الذى ينساب فى بداية الرضعات .

وقد اكدت الاحصائيات التى أجرتها جهات علمية عديدة أن الاطفال الذين يتوقفون عن الرضاعة الطبيعية قبل مرور ستة شهور على ولادتهم يتعرضون للوفاة خلال الأشهر الستة التالية بنسبة تتراوح بين خمس وعشرة أضعاف مقارنة بالاطفال الذين يواصلون الرضاعة إلى عمر ستة شهور واكثر . والسبب فى ذلك هو المناعة التى يكتسبها الطفل من لبن الأم . هذا كما أكدت الدراسات أن الرضاعة الطبيعية تحمى الطفل الوليد من الاصابة بامراض الحساسية . ذلك كله إضافة بالطبع إلى حرمان الطفل الذى لا يعتمد على الرضاعة الطبيعية من العواطف الرقيقة وحالة الاطمئنان التى ترافقها ..

ومن الجدير بالذكر هنا أن الابحاث العلمية قد أكدت ان الرضاعة الطبيعية تحمى الثدى من الأورام الخبيثة ، كما تساعد جهاز المرأة التناسلى فى العودة إلى حجمه ووضعه الطبيعيين . هذا كما أن استمرار الرضاعة الطبيعية يمنع النسل بدون عقاقير لمدة ستة شهور كما يساعد على عودة التوازن الهورمونى إلى جسم المرأة .

● ١/٥ سكان العالم بلا مأوى ●

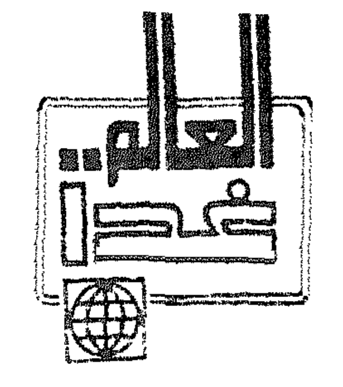
تبين احصاءات الامم المتحدة أن خمس سكان الارض ـ حوالى الف مليون نسمة ـ لا يعانون من مشكلة سكنية فقط ، بل يعيشون فيما يشبه العراء . وأن خمسين الفا من هؤلاء ـ أغلبهم من الاطفال ـ يموتون سنويا بفعل ظروف التشرد القاسية . وأن المستقبل سيكون أشد قتامة إذ أن عدد من لا مأوى لهم سوف يتضاعف ، إذا ماتطور الأمر على النحو الراهن ، ليصل قبل عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ مليون شخص ..

لهذا كله اختارت الأمم المتحدة عام ١٩٨٧ عاما دوليا لمواجهة مشكلة توفير المأوى للمحتاجين الذين يفترشون الارصفة ويلتحفون السماء حين يحل الظلام ، ويقضون عمرهم دون أن يعرفوا معنى السكن فى بيت ، لاستحالة ذلك فيما يخصهم ، مما يحصر فرص ترقبهم السكنى فى هياكل السيارات القديمة وبيوت الصفيح وصناديق الكرتون . التى تقام على حافة المدن ـ الهامش الذى يستوعب الفقراء ـ لتضيف مشكلة أخرى عند تحولها إلى جزء من المدينة مع حركة التوسع المطردة .

والمشكلة ذات أبعاد متشابكة فمعظم هؤلاء قدموا من القرى الصغيرة فى بلدان العالم "النامى" إلى المدن الكبرى بحثا عن العمل ، دون أن يجدوا لأنفسهم موطىء قدم إلا فى شوارعها . ولقلة فرص العمل التى تنحصر فى المهن الدنيا ـ مسح الأحذية وبيع الحلوى ـ سرعان مايتحولون إلى التسول والسرقة ..

وتقول إنريد مونرو مديرة مشروع الأمم المتحدة الاسكانى إن المشكلة على هذا النحو أكبر حجما من أن تعالج خلال عام واحد ، بل واكبر من الـ ٣٥٠ الف مشروع التى يجرى التفكير فى تنفيذها حاليا ، والتى سيمتد العمل فيها غالبا إلى مابعد عام ٢٠٠٠ ومن هنا فالمشروع لا يلتزم بفترة زمنية محددة وإن كان يحدد عام ١٩٨٧ كنقطة تحول . وهو برنامج حيوى طموح لمعالجة الظروف السيئة التى يعانيها الناس فى أماكن تفتقر الى التهوية الصحية والمياه الجارية والاضاءة والصرف الصحى ، وذلك بهدف توفير المسكن المناسب للمحتاجين .

وللتغلب على مشكلة الاسكان وما تحتاجه من اعتمادات هناك اقتراحات محددة تتصل



بتوفير الاراضى وتخطيطها ومد المرافق اليها ، منها على سبيل المثال .

– أن تقدم الهيئات المعنية – الحكومات والبلديات وهيئات الاوقاف . المساحات التى تملكها للناس . أو حتى تشترى الاراضى لتبيعها بالتقسيط للمحتاجين ، مع مساعدتهم على بناء هذه الأراضى بشروط معقولة ، ومراعاة التوسع الافقى فى المدن بالامتداد إلى المناطق المجاورة والصحراوية منها بالذات .



– ان تقدم الحكومات مواد البناء والأموال للناس ، وتترك لهم فرصة البناء حتى تزيد من ارتباطهم بالارض ، مع العمل على توفير مواد بناء رخيصة نسبيا وتصنيعها من المواد المحلية .

– تقديم الارشاد والنصح علاوة على توفير المجالات التى تتيح جمع قدر من المدخرات يساعد الناس على البناء بانفسهم .

ويحتاج الأمر على هذا النحو إلى جهود ضخمة مكثفة وإلى تضافر جهود العديد من المنظمات والهيئات وتعاون الحكومات مع القطاعين العام والخاص . والطريف ان التجارب التى أخذت بهذه المعايير وشجعت الناس على البناء بانفسهم كشفت عن تفننهم فى البناء على افضل نمط صحى وفى إكساب مساكنهم لمسات خاصة ، وفى بناء وحدات اضافية لتاجيرها . بل ان كثيرين منهم عمل على بناء مخازن او مصانع صغيرة ملحقة بالمسكن ..

ومن المشكوك فيه ان تنجح جهود عام ١٩٨٧ فى حل المشكلة ، وقد تنجح فى الابقاء عليها فى دائرة الضوء ، لكن المؤكد انها ستتيح الفرصة أمام كل شعب للاستفادة من تجارب الشعوب الأخرى ناهيك عن إدراك موقعه على الخارطة العامة للمشكلة .

● إجتياز حاجز البكينى فى الصين ! .

قبل أسابيع تمت عملية شراء غريبة فى أحد متاجر هونج كونج ولم تكن الغرابة تخص السلعة المشتراة (١٠٠ مايوه بكينى) بل هوية المشترى الذى كان مندوبا من جمهورية الصين الشعبية . وفحوى الواقعة أن صراع

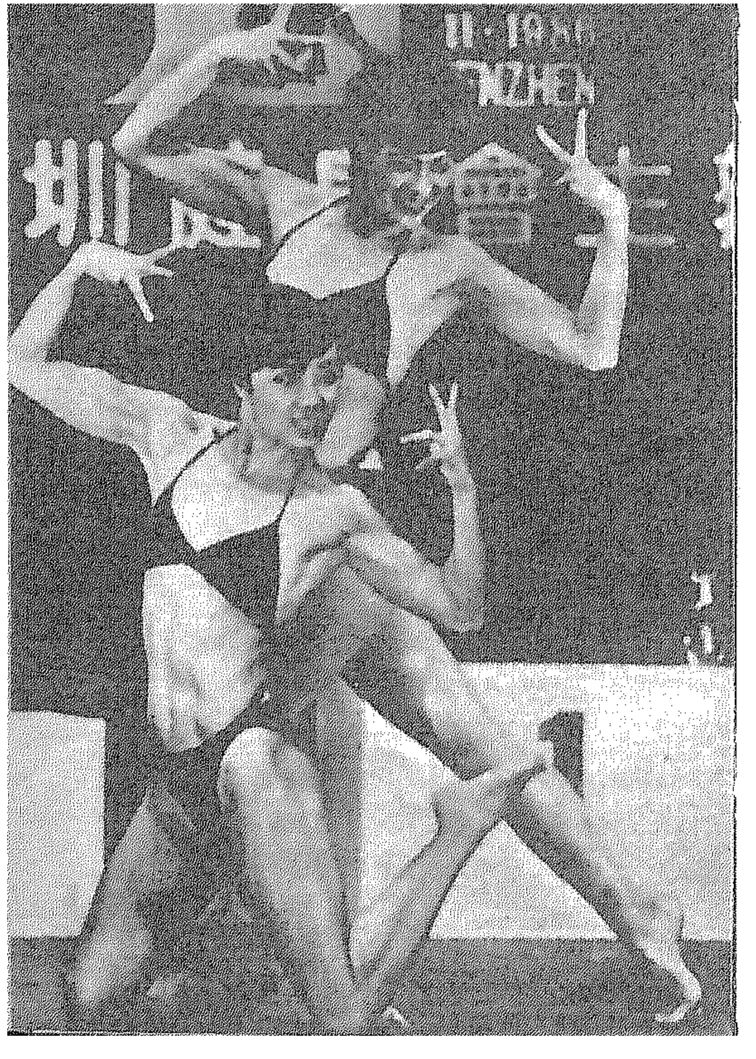
"التجديد" كان قد حسم فى الصين ، وتقرر ان ترتدى لاعبات كمال الاجسام الصينيات المايوه البكينى ، خلال البطولة الخامسة للعبة ، التى ستجرى فى مدينة سينجين .

ورغم ارتفاع أسعار التذاكر فى السوق السوداء لتبلغ ٤ أمثال قيمتها الحقيقية (٢ر٢ دولار امريكى) فقد تجمع مايزيد على خمسة آلاف متفرج لمشاهدة ٤٦ لاعبة يتنافس على اللقب على انغام موسيقى الديسكو . وكان الصفير والتصفيق يرتفع من الحضور لا كرد فعل على ما تفعله المتنافسات وإنما على ماترتدينه ..

وبطولة سينجين كانت البداية التى اعتمد فيها البكينى رسميا كرداء للمتسابقات لكن الأقتحامات الأولى "لحاجز البكينى" سبقت ذلك . فخلال مباراة جرت فى دوبخ جوان ذهل ٥٠٠ متفرج حين ظهرت المتسابقات يرتدين مايوه القطعتين . لكن الذهول لم يستمر سوى لحظة التهبت بعدها الأكف بالتصفيق ، والحناجر بالصيحات ، وحنت الفتيات رءوسهن حتى مرت الموجة ثم بدأن فى استعراض حركاتهن وسط تصفيق عاصف

ولما راحت موجة البكينى تتسلل إلى المسابقات الأخرى ارتفعت أصوات السلطات التقليدية مطالبة بوقف هذه "الموجة المريضة" لكن المباريات راحت تحظى باقبال متزايد كانت قد افتقدته ، مع الحظر الذى فرض عليها قبل عشر سنوات خلال الثورة الثقافية ، وأجبر كل المتباريات الصينيات على أن يظهرن خلال المسابقة فى مايوهات من قطعة واحدة ، مصنوعة من الدمور .

وكتبت "أخبار الرياضة" الصينية فى مقال افتتاحى تعليقا على الحدث : "إذا أردنا للاعبات كمال الأجسام الصينيات سيادة اسيوية ، فمنافسة على المستوى العالمى ، ينبغى علينا ناهيك عن التدريب الشاق تجاوز الافكار التقليدية .. " .



لاعبتا كمال اجسام .. من أجل منافسة أسيوية

لكن بعض بطلات كمال الأجسام الصينيات اعترفن بأنهن لايجرؤن على مصارحة ذويهن بنية ارتداء البكينى خلال المسابقات . وبررت السلطات الرياضية فى سينجين قرارها بإستخدام البكينى بضرورة جريان المسابقة فى إطار الاجراءات التى يفرضها إتحاد كمال الاجسام الدولى ، الذى انضمت إليه الصين أخيرا .

ومن الجدير بالذكر أن مسابقة كمال الاجسام للرجال التى أقيمت بعد ظهر نفس اليوم مرت دون أثر يذكر ، بينما كانت السلطات قد إتخذت إجراءات أمنية خاصة خلال مسابقة النساء فى الصباح ..



قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على إلى اليوم



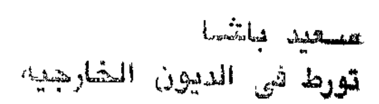
بقلم : د. جلال أمين

لا يقف المؤرخون الاقتصاديون عادة وقفة طويلة عند عباس الأول الذى انتقل بمصر من النصف الأول الى النصف الثانى من القرن الماضى (١٨٤٨ ـ ١٨٥٤) ، إذ لم تشهد مصر فى عهده من الأحداث الاقتصادية كثيرا مما يستحق الذكر ، فهم لا يكادون يذكرون له إلا إدخال أول خط للسكك الحديدية فى مصر ، وصل الأسكندرية بكفر الزيات ، وقد تكون ضآلة أثره وقلة الأحداث فى عصره راجعين إلى غرابة أطواره وانطوائه وقلة طموحه ، فضلا عن كراهيته للحضارة الأوربية وللأوربيين جملة ، فلجأ إلى حماية نفسه من تملق قناصل أوربا وتهديداتهم على السواء ، على حد تعبير مؤرخ بريطانى "باتباع سياسة محسوبة ومتعمدة هى أن يبتعد تماما عن أنظارهم"[١] . وقد يكون الأمر على العكس راجعا إلى أن الأوربيين لم يكونوا مستعدين للانقضاض على مصر بعد ، فلما تهيأوا لهذا الانقضاض لم يعد الأمر يتحمل واليا بهذا الانطواء ولم تعد تفلح سياسة "الابتعاد تماما عن أنظارهم" ، وأصبح المطلوب واليا "منفتحا" يحسن الفرنسية ويجيد الانفاق والاقتراض كسعيد أو اسماعيل .



سعيد باشا
تورط في الديون الخارجية

هل لهذا التفسير علاقة بالفارق بين الطريقة التي انتهت بها حياة عباس ، وتلك التي انتهت بها حياة سعيد ؟ وهل له علاقة بالطريقة التي بدأت بها ولاية اسماعيل والطريقة التي انتهت بها ؟ إذ بينما انتهت حياة عباس بجريمة قتل غامضة لا تعرف على وجه اليقين دوافعها[٢] ، ترك سعيد ليموت ميتة طبيعية . وبينما تولى اسماعيل العرش بدلا من أخيه الذي كان صاحب الحق في العرش ومات بدوره في ظروف لا تقل غموضا عن ظروف مقتل عباس[٣] ، واستقبله الأوربيون بالثناء واستمروا يمجدونه طالما ظل قادرا علي الاقتراض وتسديد ديونه ، انهالوا عليه بالنقد والتجريح حتى نجحوا في عزله بمجرد أن توقف عن الدفع .



● تقاعس وحب للأجانب

لم يكن عباس الأول على دراية بلغة أوربية واحدة ، ولم ير أوربا قط في حياته ، وطرد الموظفين الأوربيين من خدمته ، ورفض أن يستمع الى ديليسبس وهو يعرض عليه مشروع حفر قناة السويس ، بل حاول محاولة يائسة أن يعيد إلى مصر صورة من صور نظام الاحتكار الذى فرضه محمد على وأجبره الأوربيون على التخلى عنه . تأمل الفارق بين عباس الأول وهذه الصورة التي يرسمها مارلو لخليفته سعيد باشا :

"كان في أحواله العادية رجلا طيب المعشر متساهلا ، وإن كان يتعرض أحيانا لنوبات من العنف والغضب التي تستحيل تهدئتها . كان يكره الرذالة ، سواء صدرت من أحد أقربائه أو من بعض القناصل أو من الباب العالى أو من قناصي الفرص الباحثين عن الامتيازات ، ولكنه كان أيضا على استعداد دائما لانفاق المال كوسيلة للخروج من مأزق .. لم يكن لديه لا الصبر ولا القدرة على أن يعكف على تفاصيل الإدارة والحكم .. كما أنه ازال كل حاجز يقوم بينه وبين أفواج



الخديو اسماعيل
عزله الأوربيون

دراسة الهلال

.. ربيين المتدفقين على بابه . من .. اصى الفرص والامتيازات والطفيليين .. لذين سرعان ما اكتظ بهم قصره .. لم .. كن سعيد يفتقر إلى الذكاء ، فقد كان فى .. عظم الأوقات واعيا لأغراض هؤلاء الذين حاطوا به والتفوا من حوله ، ولكنه كان .. كثر جبنا من أن يحاول التصدى لضغوط .. تناصل عليه ، واشد كسلا وتقاعسا من .. يرفض طلباتهم التى لا تستند إلى أى .. ساس معقول ، كما كان له من طيب .. معشر ومن التساهل ما يمنعه من .. عضاب هؤلاء الذين تخصصوا فى التودد .. اليه"[٤] بينما يروى مؤرخ آخر عن سعيد .. نه كثيرا ماكان يوقع مايقدم إليه من وثائق .. ون أن يقرأه ، بما فى ذلك اتفاقية قناة .. سويس ، التى قدمها إليه ديليسبس ، بل .. حتى دون أن يستشير مستشاريه القانونيين أو الماليين ، مرتكنا إلى أن ديليسبس صديقه ولا يمكن أن يخدعه[٥] .

● بداية التورط فى الديون

لم يمض وقت طويل على اعتلاء سعيد .. لعرش (١٨٥٤) حتى بدأ يتورط فى الديون . فبعد أقل من ثلاث سنوات من بداية حكمه بدأ يتأخر عن دفع مرتبات موظفيه وعن دفع الجزية للسلطان . لجأ سعيد فى البداية إلى الاقتراض من بعض البنوك الأوربية التى كانت قد أنشئت حديثا فى الاسكندرية ، ثم استجاب لنصيحة ديليسبس بأن يصدر أذونات على الخزانة ، تتراوح مددها بين ستة أشهر وثلاث سنوات ، ويتراوح سعر فائدتها بين ١٥٪ و ١٨٪ بينما كان السعر السائد على القروض التجارية لا يزيد على ٧٪ . **كان سعيد أحيانا يستخدم هذه الأذونات فى دفع مرتبات الموظفين ، ومن ثم كان يحدث أن يتجمع على أبواب وزارة المالية دائنو الموظفين من الخبازين والجزارين ومن إليهم ليطالبوا بقيمة الأذونات التى فى أيديهم**[٦] .

وإذ لم تكفه القروض المحلية وأذونات الخزانة لجأ سعيد فى ١٨٦٠ لعقد أول .. قرض خارجى مع أحد المصارف الفرنسية ، ولكنه كان قرضا باسمه لا باسم الحكومة المصرية[٧] ، قيمته الاسمية ٢ر١ مليون جنيه استرلينى وبسعر فائدة ٦٪ ولكن سعيد لم يتسلم من قيمة القرض ، بعد خصم العمولات والأتعاب والمصروفات إلا أقل من ثلاثة أرباعه ، وخصصت لضمانه حصيلة جمارك ميناء الأسكندرية . ومع هذا فلم يمض أكثر من عام حتى أصبحت خزانته خاوية من جديد ، **فلجأ فى ١٨٦٢ الى عقد أول قرض خارجى تعقده الدولة المصرية فى تاريخها الحديث ، قدمه لها مصرف أوبنهايم الألمانى بمبلغ ٥ر٢ مليون جنيه استرلينى بسعر فائدة ١١٪ ، ومضمونا بحصيلة ضريبة الأطيان على أراضى الدلتا** . من هذا القرض أيضا لم يحصل سعيد ، بعد خصم العمولات والمصاريف إلا على ٨٤٪ من القيمة الاسمية ، وكان عليه أن يدفع لسداده ، عبر ثلاثين عاما ، بعد إضافة الفوائد والرسوم السنوية ، ٨ر٢ مليون جنيه ، أى نحو ثمانية أمثال المبلغ الذى تسلمه بالفعل[٨] .

عندما مات سعيد فى ١٨٦٣ ، كانت مصر إذن مدينة بنحو ٨ ملايين جنيه

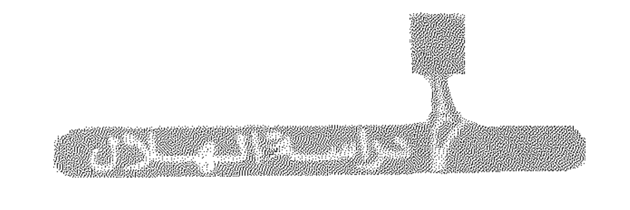
استرلينى مستحقة السداد عبر ثلاثين عاما ، بالاضافة إلى مليون آخر واجب الدفع عبر ثلاث سنوات ، وديون قصيرة الأجل تبلغ نحو ٩ ملايين جنيه . كان اجمالى حجم الدين المصرى إذن ، عائما وثابتا (أو قصير الأجل وطويله) نحو ١٨ مليون جنيه عند وفاة سعيد ، أو مايعادل نحو خمسة أمثال إيرادات الحكومة المصرية فى السنة السابقة على وفاته .

● العصر الذهبى للفلاح

من أين جاء هذا التورط المفاجىء فى الديون ؟ من المؤكد أنه لا يمكن تفسيره بجهود سعيد فى التنمية . فباستثناء بدء العمل فى قناة السويس ، وقيامه بتطهير ترعة المحمودية ، واستكمال خط السكك الحديدية من كفر الزيات الى القاهرة ، ومد خط حديدى آخر بين القاهرة والسويس ، وكلها مشروعات تخدم التجارة الدولية أكثر مما تزيد القدرة الانتاجية لبلده ، لا يجد المرء فى سجل سعيد فى تنمية الاقتصاد المصرى مايستحق الذكر . ففى الصناعة لم يضف سعيد مصنعا واحدا ، وكانت مصر عندما تسلم حكمها تصدر ٢٩ ألف قنطار من السكر فتركها وهى تصدر أقل من نصف هذا القدر . وفى الزراعة لم يبذل أى جهد لتطوير نظام الرى ، وكانت مساحة الأرض المزروعة عند وفاته أقل مما كانت قبل بداية حكمه(٩) . أما إطلاق وصف "العصر الذهبى للفلاح" على عهده ، فلم يكن بسبب زيادة الانتاج الزراعى أو انتاجية الفدان ، وإنما بسبب تخفيض عبء الضريبة على الفلاح ، على حساب اهمال مشروعات الرى ، وبسبب إعطائه الفلاح حق التصرف فى الأرض التى يزرعها بالبيع والرهن والتوريث ، الأمر الذى فتح الباب أمام نمو الملكيات الزراعية الكبيرة على حساب الفلاح الصغير الذى كثيرا ما اضطر إلى التنازل عن ملكيته لصالح المرابين من المصريين والأجانب .

وليس بالإمكان أيضا تفسير مديونية سعيد بزيادة الانفاق على الحرب والجيش . فلم يعرف عصره حروبا طويلة ولا توسيعا لرقعة بلاده ، بل خفض سعيد حجم جيشه وخفض مدة الخدمة العسكرية ليوجه المجندين لحفر قناة السويس ، وأصدر أوامره بالكف عن إصلاح سفن الأسطول وتكسير بعضها وبيع أخشابها . ولم يشترك سعيد إلا فى حربين ، لا ناقة لمصر فى أى منهما ولا جمل ، حرب القرم لمناصرة السلطان ، والتى انتهت على أى حال بعد استلامه الحكم بعامين ، وحرب المكسيك لمناصرة صديقه نابليون الثالث ، التى أرسل إليها كتيبة صغيرة من السودانيين لقى معظمهم حتفه .

كانت جل مشروعات سعيد فى التنمية ، إن لم تكن كلها ، بنصيحة الأجانب ولخدمتهم ، من حفر قناة السويس التى نعرف قصتها ، والتى أدى فتحها إلى فقدان مصر لما كان يعود عليها من عوائد من مرور التجارة فى وسط الدلتا ، إلى مد الخط الحديدى من القاهرة إلى السويس ، الذى تم بإلحاح الحكومة الانجليزية لتسهيل نقل جنودها إلى الهند ولصالح الشركة البريطانية التى تبيعه المعدات ، والذى سرعان ما أصبح عديم النفع بمجرد فتح قناة السويس وتم هجره نهائيا . وكذلك كان موقفه من التعليم : فبينما كان يغدق الاعانات على مدارس الراهبات



الفرنسية وعلى مدرسة إيطالية بالإسكندرية ، كان يغلق مدرسة المهندسخانة ببولاق ثم يحولها الى مدرسة حربية ، ويغلق مدرسة الطب بقصرالعينى فترة ويفتحها فترة ، ويلغى ديوان المدارس (وزارة المعارف)[10] .

● سعيد ومسئولية الديون

إن معظم مؤرخى عصر سعيد يميلون إلى إلقاء المسئولية عن توريط مصر فى الديون فى عهده إلى "ماجبل عليه من سخاء وعدم التدقيق فى حسابه" وإلى كونه "متلافا للنقود" ، على حد قول الرافعى "وكثرة نفقاته على قصوره ومعيشته الخاصة[11] . والكتب حافلة بذكر تبديده للنقود على أسرة فضية كهربائية بمناسبة زواج ابنه ، وعلى أوانى للشرب يصفها أحد الكتاب بانها لابد أن كانت ، من فرط ارتفاع سعرها ، أوانى سحرية تظل مملوءة على الدوام[12] ، وعلى استيراده نظارات معظمة باحجام هائلة من باريس ، وتزيين أكتاف ضباطه بالفضة الخالصة ، ومده لخط حديدى بين الاسكندرية ومريوط لتنزهاته الخاصة .. الخ على أننا نلاحظ أن هذا الميل إلى إلقاء اللوم على الوالى نفسه كان أشد وضوحا لدى من كانوا أقرب عهداً به ، وأنه كلما مر الزمن وبعد عهدنا بهذه الحقبة كلما زاد الميل لدى المؤرخين إلى رؤية مصر كجزء صغير من العالم ، بعلاقاته الاقتصادية والمالية المتشابكة ، وإذا بهم يميلون أكثر فأكثر إلى إهمال دور النزعات الشخصية والنفسية ، ويبدون اهتماماً أكبر باتجاهات رأس المال الدولى والتطورات الاقتصادية فى العالم ، الأبعد غوراً والأطول مدى . هكذا نجد مؤرخين اقتصاديين مثل كراوشلى ، الذى كان يكتب فى الثلاثينيات من هذا القرن ، ولهيطة ، الذى كان يكتب فى الأربعينيات ، لا يكادون يذكرون شيئا عن مسئولية العوامل الخارجية فى توريط مصر فى الديون فى عهد سعيد .

● تضاعف الديون

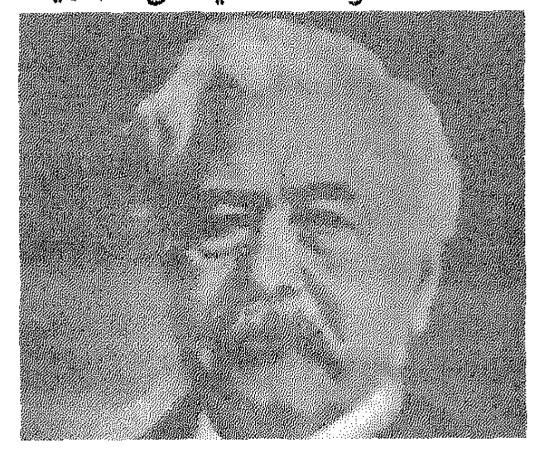
أهم بكثير من شخصية سعيد وكونه "متلافا للنقود" حقيقة كالحقيقة الآتية : وهى أن الفائض السنوى فى ميزان المدفوعات البريطانى ظل يتراوح بين ٥ و ٦ ملايين جنيه خلال الربع الثانى من القرن التاسع عشر ، ثم قفز الى ٦ر٧ مليون جنيه خلال السنوات الخمس السابقة على اعتلاء سعيد العرش ، ثم تضاعف إلى أكثر من ثلاثة أمثاله خلال السنوات الخمس التالية (١٨٥٥ - ١٨٦٠)[12] . هذه الزيادة الكبيرة فى الفائض الباحث عن فرص للاستثمار بالخارج يؤيدها مابدأ يظهر من إعلانات فى الجرائد البريطانية لإغراء أصحاب الأموال بفرص الربح المجزية المتاحة أمام الاقراض فى بلاد كمصر ، فنشرت إحدى الشركات البريطانية إعلانا فى بريطانيا مؤداه "أن ميدان العمليات المالية ليس له حدود" وأن "المزارعين والتجار فى مصر العليا والسودان يستطيعون أن يقترضوا بسعر ٤٪ و ٥٪ فى الشهر"[13] .

كانت الفرصة التى تتيحها مصر لرأس المال الأوربى والتجارة الأوربية فى عهد سعيد تتمثل فى انفتاح مصر

على العالم بعد زوال نظام الاحتكار الذى فرضه محمد على ، ونمو الاقتصاد النقدى ، وما أصبح متاحا لهم من الاتصال مباشرة بالفلاحين دون وساطة الوالى . وسرعان مابدأت البنوك الأوربية تفتح لها فروعا فى مصر ، خاصة فى الاسكندرية ، لتمويل التجارة الخارجية ورهونات الأراضى ولتقديم القروض للوالى الجديد . كان المرابون والأفاقون من الصيارفة والتجار قد بدأ يسيل لعابهم حتى قبل مقتل عباس الأول ، فاذا بهم بمجرد سماع خبر مقتله يتدفقون على مصر بأعداد هائلة كما لو كانت مصر كاليفورنيا جديدة ، فدخل مصر فيما بين عامى ١٨٥٧ و ١٩٦١ مايقرب من ٣٠ ألف أجنبى سنويا(١٤) .

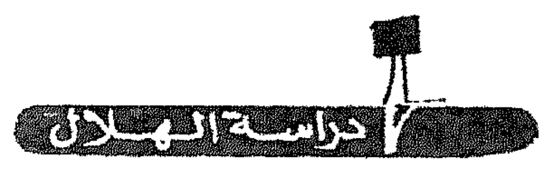
يصف لاندز الإسكندرية فى عهد سعيد بأنها كانت "مدينة قبيحة مليئة بالعشش والمساكن الحقيرة .. وفى كل مكان توجد الرائحة الكريهة للقاذورات ومخلفات الإنسان التى تكون أمام المنازل حتى تملأ الطريق .. إن الاسكندرية لم تكن بالمكان الذى يجذب الزائر الحساس القادم من دولة أكثر تحضرا ، ولكن الإسكندرية هى البلد الذى فيه المال ، وقليلون هم الذين يرغبون فى التضحية بجيوبهم بسبب ماتشمه أنوفهم"(١٥) . لم يكن النجاح فى الحصول على امتياز من الحكومة المصرية أو فى عقد صفقة ما "من نصيب الأرخص أو الاسرع فى الانجاز أو الأنسب فى شروطه ، وإنما كان من نصيب من يعرف الوالى منذ الطفولة ، أو من نصيب التاجر الذى يتناول الطعام مع وزير الأشغال العمومية ، أو المقاول الذى ينام مع عشيقة الوزير .. أما بالنسبة للموظفين الصغار ، فقد كانت الرشا المكشوفة تؤدى نفس المهمة"(١٦) .

ديليسبس
نصائحه أوقعت سعيد فى الهاوية



● إغـــراء ونهـــب

فى مناخ كهذا يكاد يستحيل على المرء أن يتصور واليا ، مهما أوتى من بعد النظر وقوة الإرادة ، يستطيع الصمود أمام مختلف أساليب الضغط والإغراء والتهديد ، سواء كان تهديدا بسحب التمثيل القنصلى ، أو بإثارة المتاعب للوالى لدى السلطان أو حتى بالتلويح بالهجوم العسكرى ، اللهم إلا إذا دفع الوالى حياته ثمنا لهذا الصمود . لم يكن سعيد فى الواقع يشترى مايحتاج إليه أو حتى مايرغب فيه ، بل ماكان يفرض عليه شراؤه ، وكان يقترض لا لتمويل مشروع اقتنع بفائدته ، بل لشراء مايحتاج البائع إلى تصريفه ، أو لملء جيوب المرابين بالفوائد ، أو لتمويل مشروع يعود على الأجانب بالربح . كان بدء إصدار سعيد لأذونات الخزانة بناء على نصيحة ديليسبس لكى يمكن سعيدا من الحصول على الأموال اللازمة للانفاق على قناة السويس ، وكان عقده لأول قرض خارجى مع مصرف فرنسى بتأييد بل وتشجيع وزير الخارجية الفرنسية(١٧) . ثم تأتى



بالطبع عمليات النهب من جانب قناصل الدول الأوربية . فإذا بقنصل بلجيكا يضطر سعيدا لدفع ٣ ملايين غرنك تعويضا له عن امتياز زعم أن محمد على أعطاه له بكلمة شفوية منذ عشر سنوات لنقل البضائع إلى خليج السويس ، وإذا بقنصل هولندا يضغط عليه ليحصل منه على امتياز بتشغيل قاطرات لجر حاملات البضائع فى النيل ، على أن يكون لهذه الشركة احتكار هذا الحق ، فاذا ما احتج قناصل الدول الأخرى على حرمان رعاياهم من هذا الحق ، وجد سعيد نفسه مضطرا لدفع تعويض إما لرعايا هذه الدول المحتجة ، إذا أصر على أعطاء الامتياز للهولنديين ، أو للهولنديين إذا سحب منهم الامتياز . فإذا به يلجأ الى حل ثالث لا يقل سوءا ، وهو قيامه بشراء كافة أسهم الشركة الهولندية بسعر باهظ ثم يهجر المشروع بأكمله(١٨) .

★ ★ ★

لم يكن وضع مصر الاقتصادى خلال عهد سعيد ليضطرها إلى الاستدانة ، بل كان لديها من فائض الايرادات ما يكفى ، على حد تعبير القنصل الانجليزى فى ذلك الوقت . "لتوظيف كل ما تحوزه من أيد عاملة ، ولو كانت هذه الايرادات قد وجهت إلى مشروعات مختارة لاستطاعت مصر أن تلبى كل احتياجاتها"(١٩) . ولكن هذا الوالى الذى اعتلى عرش مصر فى عصر الأفاقين لم يكن فى وضع يسمح له بتوجيه إيرادات مصر إلى "مشروعات مختارة بحكمة" ، بل كان المقصود هو العكس بالضبط .

هوامش الدراسة

(1) Marlowe, J : Spoiling the Egyptians, Andre Deutsch, London, 1974, P . 86 .

(٢) انظر عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، الجزء الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٣٢) ، ١٩٤٨ ، ص ١٩ ـ ٢٢ .

(٣) الرافعى ، المرجع السابق ، ص ٧٠

(٤) مارلو ، المرجع السابق ، ٨٧ .

(5) Kirk, G : A short History of the Middle East, Mothuen, london, P . 82

(٦) محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ ، ص ٢٤٠

(7) Owen,r : the middle east in the world economy 1800 - 1914, methuen, london, 1981, P . 125

(٨) مارلو ، ص ٩٦

(9) Crouchley,A : the Economic Development of Modern Egypt, longmans, london, 1938, · p · 25

(١٠) الرافعى ، ص ٤٢

(١١) الرافعى ، ص ٦٦

(١٢) دافيد لاندز : بنوك وباشوات ، ترجمة د . عبد العظيم انيس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٩

(١٣) لاندز ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(١٤) لاندز ، ص ٨٠ .

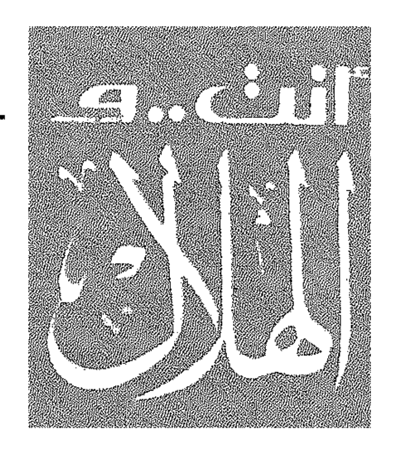
(١٥) لاندز ، ص ٨١ .

(١٦) لاندز ، ص ٨٨ .

(١٧) مارلو ، ص ٩٤ .

(١٨) مارلو ، ص ٨٨ .

(١٩) مارلو ، ص ٨٩ .



● ذكرى استاذ الجيل ●

● فى ٥ مارس منذ اربعه وعشرين عاما رحل استاذ الجيل احمد لطفى السيد .

وتتعدد الاتهامات الظالمة فتارة يوصف بأنه داعية الاحتلال والتهاون فى اللغه . وتارة يوصف بأنه أكذوبة الجيل ، ومن هنا وجب علينا فى ذكراه ان نفتح ملفه لتقرير الحقيقة ، ولتبرئة ساحته من اتهامات لاحقته فى قبره .

كانت دعوة أستاذ الجيل امتدادا وتعميقا لمدرسة الامام محمد عبده فى التجديد الدينى ، وكانت رسالته تنوير الاذهان لتزويد الامة بأدوات الاستقلال الصحيح القائم على العلم والثقافة ، وتزكية الوعى الانسانى والثقة بالذات والاعتماد على النفس والتشبث بطلب الحرية والشعور بالكرامة الانسانية .

وفى صحيفة « الجريدة » التى أصدرها أستاذ الجيل بوحى من الأستاذ الامام عرض لطفى السيد أفكاره فى الاجتماع والسياسة والأدب والاقتصاد والثقافة وتبلورت فلسفته فى الاصلاح العام والترشيد الفكرى والوطنية المصرية بوضوح ، ورفع عاليا شعار « مصر للمصريين » . ودعا الى سيادة العقل والواقعية فى الحياة الاجتماعية ، وتقرير الديمقراطية الليبرالية أساسا للنظام السياسى والاجتماعى ، ودعا الى تحرير المرأة وتمكينها من حقها فى التعليم والمساهمة فى الحياة العامة ، ومن يقرأ تراث استاذ الجيل فى الجريدة أو محاضراته أو مقالاته قراءة بعيدة عن الهوى لا يمكن ان ينتهى الى وصفه بأنه خصم للوحدة الاسلامية أو العروبية .

علت صيحة لطفى السيد فى أوائل هذا القرن تطالب بالتعليم وتوسيع مداه ، وكان رأيه ان اصلاح الكتاتيب والمدارس الاولية لا يقف حائلا دون انشاء الجامعة المصرية ، وحمل على من ينادون بحرمان الشعب من حقه فى التعليم بحجة ان الارض لن تجد من يزرعها ، وليس على الذوات ان يخشوا أو يكبر على نفوسهم أن يساويهم فلاحوهم فى هذا الامتياز ، وان انشاء الجامعة لا يتعارض مع اصلاح الكتاتيب ، ولم يكن أستاذ الجيل يدعو الى قصر التعليم على أبناء الاعيان كما زعم البعض عندما كتب عن أستاذ الجيل ووصفه بأنه أكذوبة الجيل .

وقد نسب الى أستاذ الجيل القول بالدعوة الى العامية ، وتمصير العربية



باحياء العامية ، والحقيقة في ذلك انه سعى منذ أوائل هذا القرن لاصلاح اللغه العربيه لتجارى عصرنا فيما استجد من ابتكار وتجديد مع المحافظة على أسلوبها الفصيح ·

واذا كانت مصر مدينة لجمال الدين الافغانى ومحمد عبده بأنهما أقاما مدرسة دينية جديدة تقوم على التجديد والاجتهاد والنظر الفقهى بما يجارى روح العصر ، فانها مدينة لاحمد لطفى السيد ومدرسته الفكرية فى التجديد العصرى ، هذه المدرسة التى تستمد روح وجودها من الحرية الحقيقية التى تحتمل ابداء كل رأى ونشر كل مذهب وترويج كل حقيقة · ولم تنقطع علاقة لطفى السيد بمدرسة الاستاذ الامام الى آخر يوم فى حياته ، ونراه فى أبريل سنة ١٩٤٥ فى أروقة الازهر الشريف مجددا فى التفكير الدينى حين ترأس أول لجنة مناقشة لرسالة دكتوراه في الفلسفة في الازهر عن الآله عند أرسطو، ويدعو الى التجديد والنظر بما يلائم روح العصر ·

وبعد ، فان أحمد لطفى السيد كان رائدا من رواد الوعى الانسانى فى الصحافة والجامعة والمجمع اللغوى · وكان من الشخصيات المؤسسة فى عالم المعرفة والفكر ، وهو فى دعوته الى التجديد يتخذ من مبدأه الديمقراطى سبيلا الى الحرية الفكرية ممثلا في قوله : « ان الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية » ·· وهذا المبدأ الذى أورثنا اياه أستاذ الجيل ينبغى ان يكون رائدا لنا فيما يعن لنا من قضايا ومواقف ·

عمرو عبد المنعم حمودة

● فى ذكرى أم كلثوم ●



ايا طب القلوب اذا تعانى
وزاد قد احبتـه العقول
حباك الله صوتا ·· عبقريا
ولم يوجد له ـ أبدا ـ مثيل
هلمى واطربى الأفلاك شدوا
اضيئيها ، وانجمها افول

تزول خوالد الدهر المواضى
وفنك رغم موتك ·· لا يزول
فلو ادركت « خوفو » من قديم
بنى هرما ·· وقبرا لا يحول

ايمن دسوقى
مصر القديمة ـ القاهرة

● مدير فى المعاش ●

● نشرنم لى من قبل أبيساتا بعنوان « مدير يتحدث عن نفسه » تحدث فيها المدير عن « هيلمانه » وسطوته وسلطانه والآن صار المدير الى « المعاش » فماذا يقول ؟

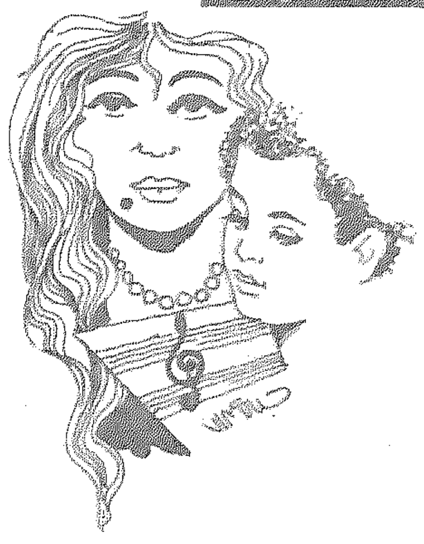
اقــرءوا :

ها قــد وصلت الى المعــاش
بؤسى لمن بلــغ « المعـــاش »
اين المكـــاتب يـــا « احيـــــ
ــــمد » و « المهواتف » والرياش ؟!
اين « الســـعاة » اذا دعـــو
ت توافـدوا مثــل الفراش ؟!
اين المـــواكب والركــــا
ئب من ذوات « الديرياش » ؟!
ما شأن ذا القلم المقصـــــو
ر ؟ •• لقد تبدى فى انكمـــاش
قد كان فى نفــع المعبــــا
د وللهــدى والحق عــاش
ما حــاد قط عن الصـــوا
ب ولا عن الاحســـان طــاش
اين « الحـــوافز » و « اللجـــا
ن » وأجرها سبب انتعـــاش ؟!
طارت وضـــاعت كلهـــا
فلقـــد احلت الى المعاش ••
قد جئت يا سن « المعـــاش »
لا كنـــت يا سن « المعـــاش »

أحمد قاسم أحمد
مدير تعليم بالمعاش ــ قنا

● تعـــليق :

● ترتفع سن المعاش فى البلاد المتطورة ، ويمكن لمن يحال الى المعاش أن يعمل حفاظا على الكفايات ، ولكننا فى مصر لم نعرف بعـد هذا الاســـلوب الحضارى ، فانخفضت مع انخفاض مستوى التعليم جميع المستويات تقريبـا فى جميع الوظائف ، وبخاصة وظيفة أساتذة اللغــة العربية ، والاستاذ أحمد قاسم احمد من نوابغ هذه اللغــة ، ويؤسفنا أن تكون سن الستين سببا فى حـــرمان التعليم من علمه وكفايته واخلاصه •• نتمنى له عمرا مديدا سعيدا ••



● لن أنسى ●

برغم البعد والحرمان
لن انسى اغانينا
لن انسى ابتسام الصبح
يا عمرى بوادينا
لن انسى « زمان » كان
يجمعنا يداعبنا يحاكينا
ولن انساك يا عمرى
ولن انسى اغانينا
ومهما الهجر يقتلنى يمزقنى
سأذكر كل ماضينا

سمير أبو الحمد حافظ محمود
عضو نادى أدباء الاسماعيلية

● تعليق :

ــ لكى تصبح كل هذه الأبيات موزونة ، ينبغى أن تقول : « ولن انسى ابتسام الصبح » .. أى تضيف حرف الواو الى « لن » فى أول البيت الثانى ، كما يجب أن تسبق الواو « لن » فى البيت الثالث ، وأن تكون كلمة « زمان » منصوبة فى هذا البيت ، وان تحذف من الشطر الثانى منه كلمة « يداعبنا » لا نها زائدة على الوزن ، أما البيت الخامس فتحذف كلمة « يمزقنى » ليستقيم وزن الشطر الاول ، الا ان كلمة « يقتلنى » مجزومة بعد مهما ، فالافضل ان يكون الشطر هكذا : « ومهما الهجر مزقنى » وتقبل تحياتنا ..

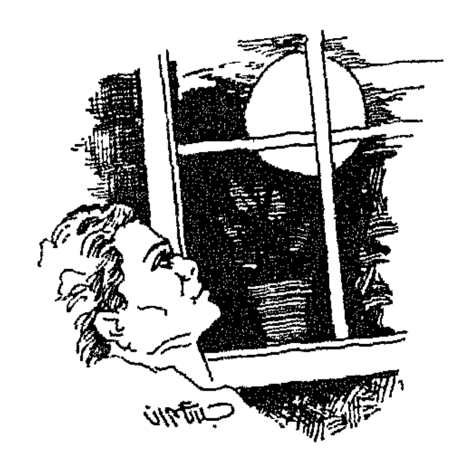
● نزيف الحب ●

احبك ثم يبتدا النزيف
فتقتلنى وتبعثنى الحروف
فاستدعيك فى الأوراق شعرا
وفى وطنى تناوشنى السيوف
شتاء الجرح فى عينى صيف
وعند ربيعى الدنيا خريف
أصوغك فوق أوراقى شطوطا
واشرعة .. ليحلم بى المصيف
برغم النار تبدأ من فؤادى
انا عند الهوى دوما ضعيف

فضميني اليـــك وقبليني
فبالقبلات قد نظـــر الكفيف

عبـــد الله الســـمطي
قسم اللغة العربية بآداب عين شمس

● ياليل ! ●



يا ليـــل لو تدرى بآلامى
لضـــيت لا تبـــدو بأيامى
قلبى يحب الصـــدق مجلوا
يبـــدو بلا زيف وابهـــام
يهفـــو الى الآفاق فى ظمأ
رفقا بهذا الواله الظـــامى
يا ليـــل لو تـــدرى بآلامى
انى وأدت اليـــوم احـــلامى
وسبحت فى الأوهام أحيـــاها
حتى غدت دنيـــاى أوهامى

حسن على محمد جابر
شارع هبيوقراط بالازاريطة ـ اسـكندرية

● غريب أنا ●



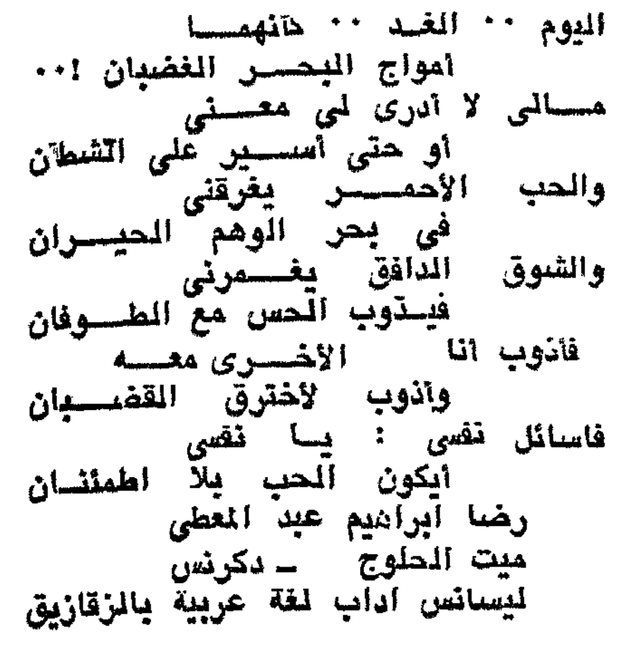
غريب انا ...
ينشر البدر حولى سناه
فيتسع الحلم ..
تحملنى نسمات العبير
أحلق فى راحتى المدى .. اطير .. أطير!
أغرد حتى يرانى
يحن وتبسم لى مقلتاه
ونخطو الينـا
تساقط عنـا المسافات ..
والعمر يتبعها قبلنـا
ويختلس الليل وجه الطريق !!
الملم ذاتى بذاتى وأجعل من أغنياتى
لقلبى المعنى .. رفيق !!

عبد الرحيم الماســـخ
نجع الماسخ ـ المراغة ـ سوهاج

● دوامة الايام ●

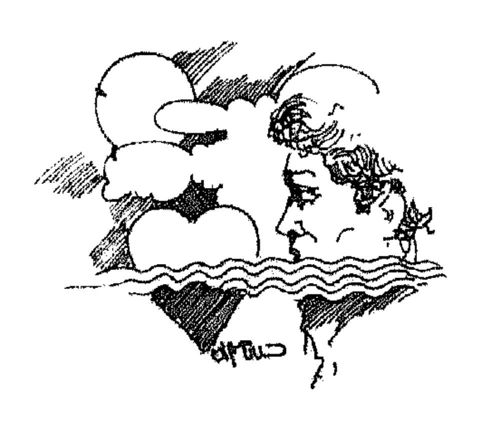
● أرسلت ثلاث قصائد « منهم » تلك القصيدة ولم « يأتى » لى حتى تعليق لذا فأعيد المراسلة مع الرجاء الاهتمام بها لتوجيه مصيرى فى عالم الشعر :





اليوم .. الغـد .. كـأنهمـــا
أمواج البحـــر الغضبان !..
مـــالى لا أدرى لى معـــنى
أو حتى أسـير على الشطآن
والحب الأحمـــر يغرقنى
فى بحر الوهم الحيـــران
والشوق الدافق يغـــمرنى
فيـذوب الحس مع الطـــوفان
فأذوب انا الأخـــرى معـــه
وأذوب لأخترق القضـــبان
فاسائل نفسى : يـــا نفسى
أيكون الحب بلا اطمئنـــان

رضا ابراهيم عبد المعطى
ميت الحلوج ـ دكرنس
ليسانس اداب لغة عربية بالزقازيق



● تعليق :

ـــ كيف تكونين فى قسم اللغـة العربية ، أو حاصلة على شهادته وتقولين « منهم » التى وضعناها بين قوسين فى الكلمات التى جعلتها مقدمة لقصيدتك ؟! ان الصـواب ان تقولى « منها » لان « منهم » للعاقل لا للقصائد التى هى غير عاقلة فى رأى النحو !.. وتقولين « لم يأتى » فلماذا لم تجزم « لم » هنـا الفعل المضارع « يأتى » فيكون القول الصواب : « لم يأت » ؟! .. ان هذه مبادىء بسيطة يدرسها التلاميذ فى التعليم الابتدائى ! ..

أما قصيدتك فحذفنا منها بعض الاسطر التى يشوبها خلل فى الوزن أو اللغـة وتركنا لك هذه الابيات التى لا بأس بها .. ولكن كلمة « الغـد » فى الشطر الاول من البيت الاول لا تسلس قيادها لوزن بحر المتدارك الا اذا وضعت على دال « الغد » شدة ، وهى ضرورة قبيحة ، والافضل أن تستبدلى بهـــا كلمة « الأمس » فلا فرق بين الغد والامس فى هذا القول ! .. ولابد ان تخطفى « حتى » خطفا فى نطقك للبيت الثانى ليستقيم الوزن ، وهى ضرورة قبيحـة أيضـــا ..

● حوار مع الاصدقاء ●

● ابراهيم محمد الجمال ـ كفر أبو زهرة ـ بنها :

ـــ قصيدتاك : « دعينى أغنى » و « زمان الهوى » تختلفان .. فالاولى تكثر فيها الابيات ذات الوزن الصحيح من بحر « المتقارب » .. والثانية يندر فيها الوزن الصحيح وتختلط فيها البحور بلا وزن ظاهر .

● **عبد المحسن معوض شاور ـ رشيد :**

ـــ أنت تريد منتجا ومخرجا لقصتك ، ولسنا المرجع المختص بذلك فنرجو أن ترسل قصصك مباشرة الى المنتجين والمخرجين ..

● **أحمد عثمان ـ السيدة زينب بالقاهرة :**

ـــ نأسف لعدم نشر زجلك ، فان الهلال رسالة الاقطار العربية بعضها الى بعض ، ولهذا لا تنشر الا ما يكتب باللغة الفصيحة التى هى اللغة القومية المفهومة فى جميع الاقطار العربية .

● **طارق صلاح الدين بنداري ـ مساكن الاميرية القديمة ـ القاهرة :**

ـــ أوزانك صحيحة فى قصيدتك التى تقول فى أولها :

رأيت هـــواك يرغمني بأن ابقى كفنــان

ولكنك تقول فى آخرها :

على نبراتك العـذبة تنــــاديني وتلقـاني

وكلمة « العذبة » الساكنة ، تخـل بوزن هذا الشطر فابحث عن كلمة أخرى لتصح لك جميع أوزان هذه القصيدة ..

● **الامير كمال فرج :**

ـــ نرجو ان تناقشوا أموركم أيها الاصدقاء بينكم وبين أنفسكم ، وقـد نشرنا عن صراعاتكم ما يكفى !.

● **عاصم فريد البرقوقي ـ الاسكندرية :**

ـــ نشكركم على قصتكم ، غير انها ـ مع الأسف ـ لا تصلح لنا ، وربما كانت تصلح لغيرنا فلكل مجلة أسلوب خاص .

● **علي شبيب ـ الاسكندرية :**

ـــ قصيدتكم ذات أوزان صحيحة ولكنـــــك لا تلتزم بالنحو فى بعض سطورها ، كقولك :

أراني بعيد .. بعيد .. بعيد وتسحقني الآه يوما فيـوم

فماذا يمنع أن تقول : بعيدا .. بعيدا .. وماذا يمنع أن تقول : يـوما فيوما ؟!.. لا الوزن يمنع أن تقول ذلك ، ولا أى شىء آخر !..

● **رضا ابراهيم عبد المعطى ـ ميت الحلوج ـ دكرنس :**

ـــ شعركم جيد ، ولكنه مكتوب على وجهى الورق مما يجعل جمعه متعذرا فى ماكينــات جمع الحروف .. اكتـب الينــا على وجــه واحد من كل ورقة .. ونرحب بك ..

● **ونشكر السادة : هبة الله عبد المجيد محمد بالطويلة شرقية .. وعبد الحميد حنفى أحمد .. وأحمد فهد المزيد بالسعودية .. وسامى محمد المدلى بكفر الشيخ .. وابو الهيثم المجدلى .. ونقول له اننا لم نفهم بالضبط ماذا يريد ان يقول وعلى أى شىء يحتج ؟! .. ونعمات البحيرى .. وأحمد نسيم البحراوى ..**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى.

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال.

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

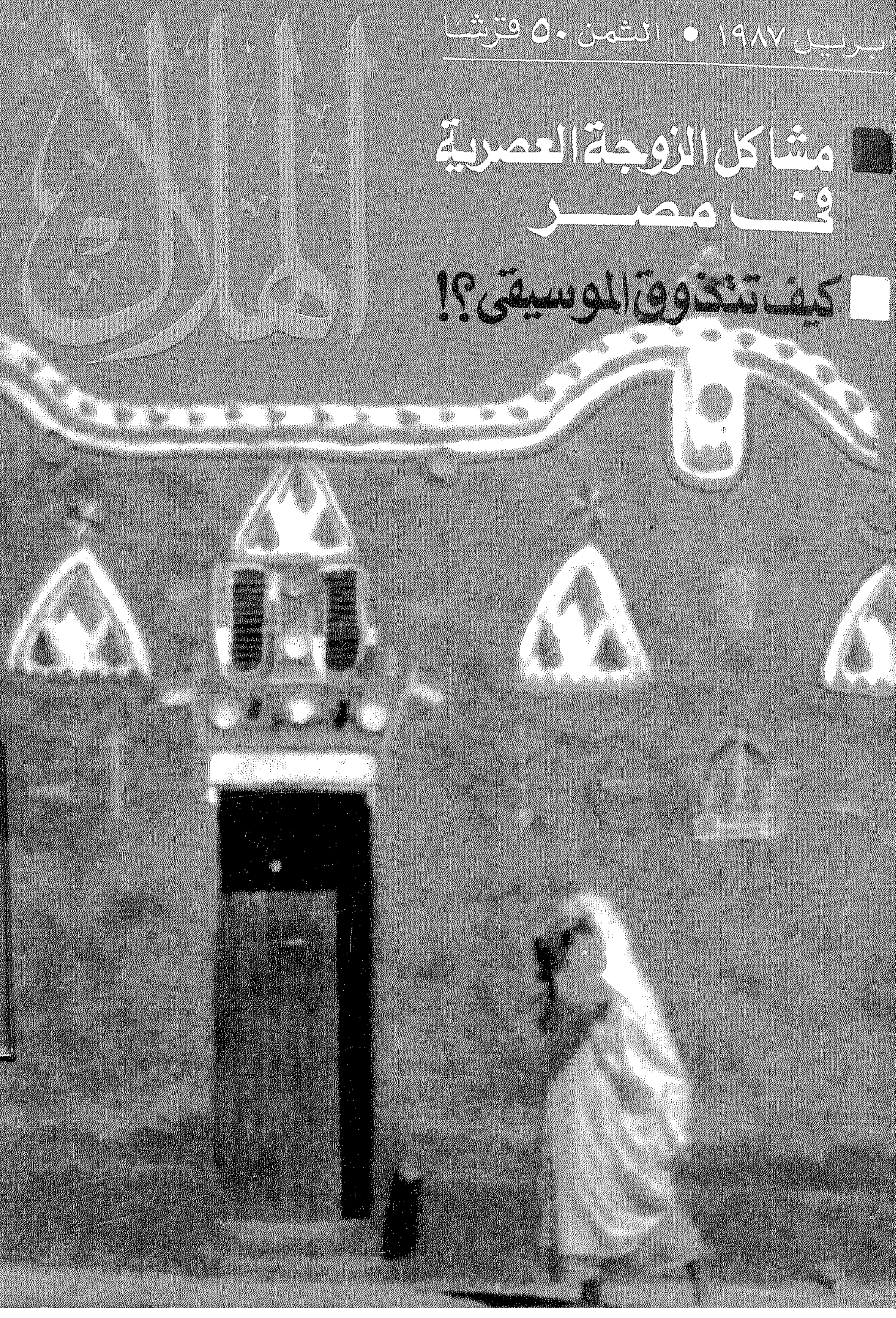
دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب

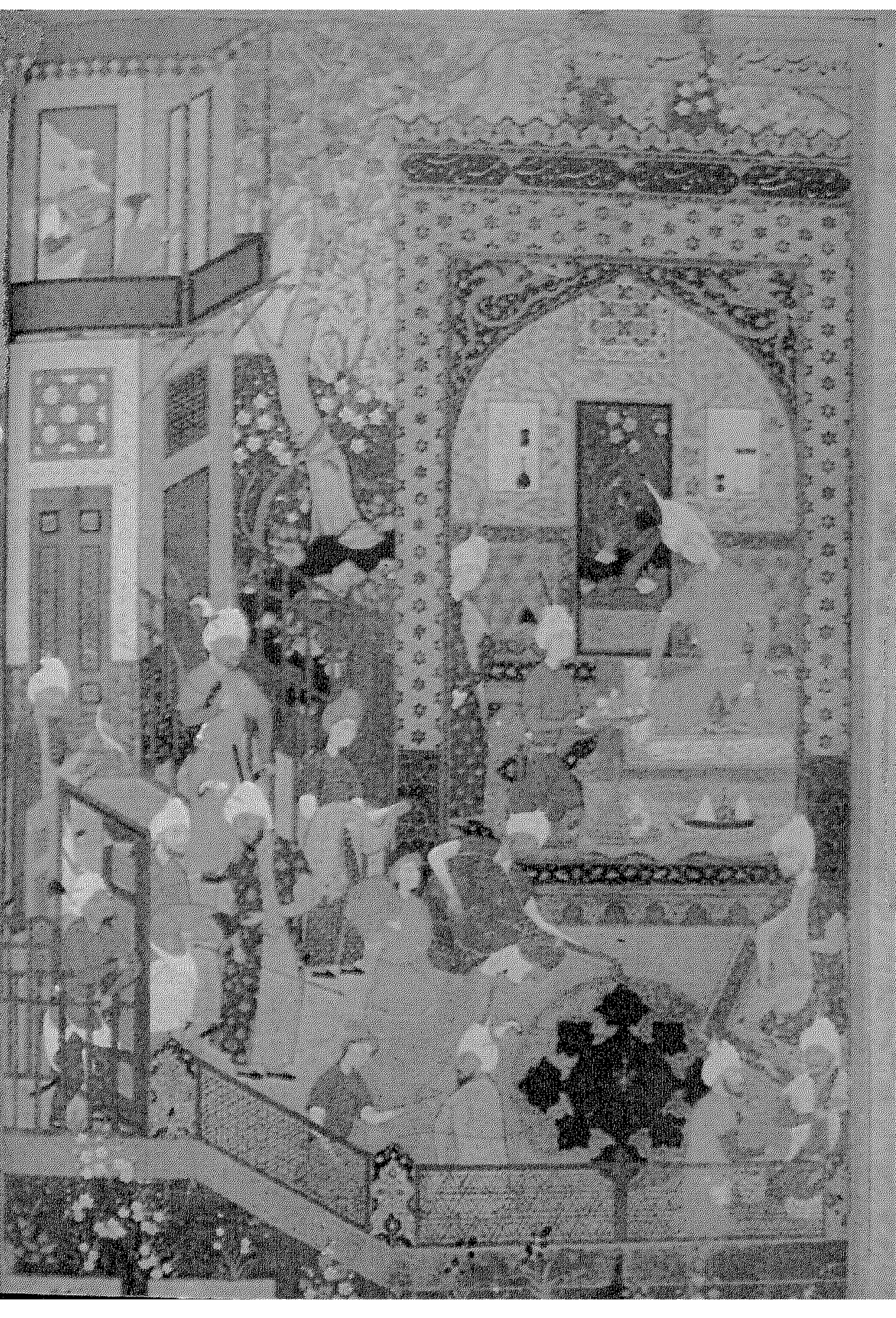
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


ى محافظة الامل ..
اكتشاف أعظم منجم للسياحة
إقرأ تحقيقا مصورا ص ٧٢


الهلال
ابريل ١٩٨٧ • الثمن ٥٠ قرشا
مشاكل الزوجة العصرية في مصر
كيف تتذوق الموسيقى؟!



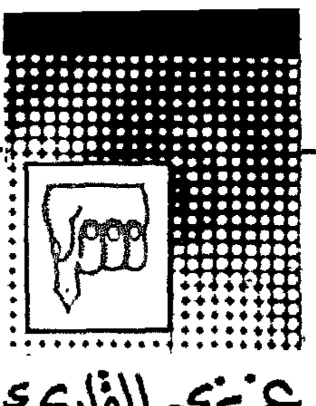
من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن الإسلامى منسوجة فوق السجاد استوحاها الفنان من خماسية للشاعر الإيرانى نظيمى الذى استوحاها بدوره من الشانما وتبين اللوحة تفاصيل يوم ممطر فى حديقة الشاه والاستعدادات التى يقوم بها رجال الشاه من أجل إحدى ليالى الأنس ..

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان ١٨٩٢ أول ابريل ١٩٨٧ م - ٣ شعبان ١٤٠٧ هـ .



الربيع واحة الشعر والموسيقى

هذا العدد من « الهلال » يصدر فى الأيام الأولى من فصل الربيع بعد شتاء دافىء فى مصر والبلاد العربية ، عاصف ثلجى مدمر فى أوربا وأمريكا ، كأنما تحاول الطبيعة التى تعوضنا نحن وبلدان العالم الثالث خيرا ، وتقول لنا : انظروا كيف اعصف بالمتقدمين وأسخر من تقدمهم ، وأثبت لهم عجزهم ، وانهم مهما تفوقوا وتجبروا فإنهم مخلوقات ضعيفة بإزاء جبروتى ! ..

كان الشتاء شديد الرفق بنا هذا العام الا فى أسبوعه الأخير ، فقد أبى « أمشير » إلا أن يحقق الكلمة الحكيمة التى قالها أجدادنا قدماء المصريين ومازلنا نقولها : « القول لطوبة ، والفعل لأمشير » ! ..

فقديما تغنى بنتاءور شاعر مصر الفرعونية بشمس أمشير الدافئة ولكنه لم ينس برده القارس ، وقديما تغنى بنتاءور ايضا بشهر « برمهات » شهر الربيع ، وقال فلاحو مصر منذ عهد بناة الأهرام : « فى برمهات .. إنزل الغيط وهات » .. ففى ربيع برمهات تزدهر حقول مصر ، وتمتد الأيدى لتاخذ منها كفايتها من الثمرات ! ..

و « الهلال » كان دائما يستقبل الربيع استقبالا خاصا ، فيخصص له عددا كاملا أحيانا ، ويفرد له جزءا من صفحاته أحيانا أخرى .. ونتابع نحن فى هذا العدد هذه الطريقة فى استقبال الربيع ، فنفرد له مقالات وكلمات وصورا ، وننشر بين يديه الناضرتين مجموعة من القصائد اذا لم يكن فيها الربيع باسمه الصريح فإن فيها روائحه العبقة ، لأن أبياتها تتغنى بوجدان قائليها وتخاطب وجدان القارىء كما تخاطبه حدائق الربيع ومروجه الخضراء وسماؤه الصافية ! ..

وإنما أردنا من ذلك كله ان يكون هذا العدد من « الهلال » راحة لك او واحة تقضى فى ظلالها لحظات مع الربيع او مع مايثيره الربيع من معانى الجمال والخير والأمل

ومايبعثه فى القلب من الموسيقى الظاهرة والخفية ، والأشواق الدفينة والثائرة .. وقبل الف سنة نظر الشاعر البحترى الى مروج العراق وحدائقه وانهاره وقد دبت فيها روح الربيع ، وارتسمت عليها طلاقته وابتسامته ، فقال بيته الشهير :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

فالربيع عند الشاعر هو الطلاقة والحرية والتبختر فى الحسن والشباب ، والضحك من فرط السعادة ، والربيع هو الكلمات السحرية غير المسموعة ، تنطق بها الأزهار والأثمار والأنهار ..

وشاعرنا أحمد شوقى هو الذى وصف الربيع بأنه « حديقة الأرواح » .. أما شاعرنا أحمد محرم فله فى الربيع القصيدة التى مطلعها :

دنياكَ تضحكُ عن ودادٍ صافى

وَتُرِيكَ طِيبَ العيشِ كيف يُوافِى

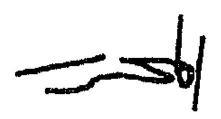
ولو لم يكن لمحرم الا قصيدته هذه فى الربيع لكان بها وحدها من كبار الشعراء ، فقد هز الربيع أعماق وجدانه ، فانطقه بسحر بيانه ! ..

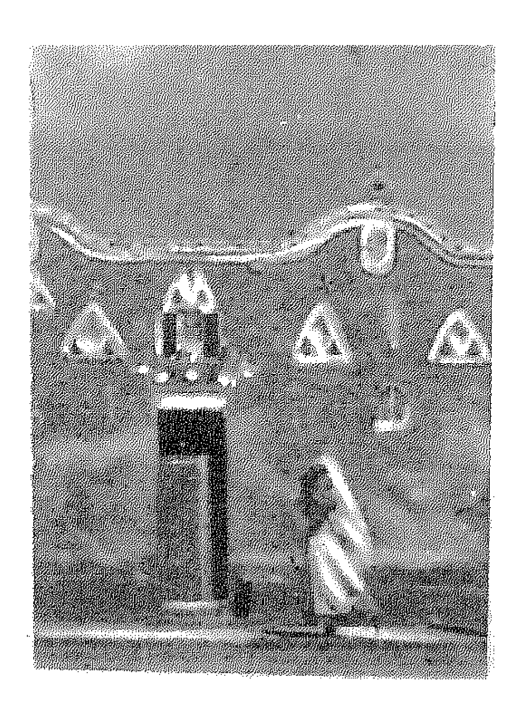
وهل نحدثك عن شعراء الأندلس وغيرهم من شعراء الأمة العربية على امتداد أقطارها وتاريخها ؟! .. إذن يطول حديثنا ولاينتهى ، وانما أردنا أن نقدم اليك هذا العدد من « الهلال » بأوجز كلام ، وأخصر إشارة ، تاركين لك « السياحة » فى صفحات العدد ، تأخذ ماشئت ، وتتوقف حيث تختار ..

لقد تراكمت الهموم على الانسان العربى : هموم أمته وهموم ذاته ، ومن حقه أن يرفه عن نفسه ولو بكلمات يقرؤها أو يسمعها من حين الى حين ..

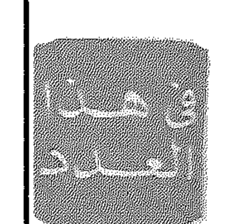
عزيزي القارىء

إن « الهلال » يحاول فى كل عدد ان يضيف جديدا الى اعداده التى سلفت ، ولعلك تجد فى هذا العدد مايلفتك الى معنى التجديد الذى نقصده ، مستمتعا بالربيع والموسيقي والشعر وألوان شتى من المقالات والفقرات والصور والأبواب ، تجددت هى ايضا فى هذا العدد ، كأنما مستها روائح نيسان ، واتاها الربيع الطلق يختال ضاحكا جميل الطلعة ، عذب الكلمات والنغمات ..





النوبيون فى مصر
تحقيق مصور بالألوان
ص ٩٦



● فكر وثقافة ●

دعوة إلى هذه الندوة الشعرية

كيف تتذوق الموسيقى والغناء؟

تعددت الأذواق.. والموسيقى واحدة

بقلم : كمال النجمى

●● كيف تتذوق الغناء العربى بوجه عام ، والغناء المصرى بوجه خاص ؟! ..

جوابى عن هذا السؤال : ان الذوق فى الفنون والآداب كلها ، هو فى الأصل ملكة أو طبع ، ويمكن صقل هذه الملكة أو هذا الطبع بالدربة وإدمان السماع ، فإذا لم يكن ثمة ملكة ولاطبع ، فلا ذوق ولاتذوق إلا فى أضيق نطاق ، وهذه هى القاعدة فى الغناء والموسيقى والشعر والتصوير وكل قديم أو جديد فى الفنون والآداب .. ●●

وقد صنع بعض الأمريكيين والأوربيين مايسمونه الموسيقى الاليكترونية ، لفرط افتتانهم بهذه الآلات الحديثة ، وتصورهم أن الكمبيوتر الذى صنعه الانسان ، سوف يحل محل الانسان حتى فيما هو نتاج وجدانى محض لايمكن أن تُغْنِى فيه عن الانسان آلة من الآلات ! ..

ولكن لهؤلاء المفتونين بالموسيقى الاليكترونية فى أوربا وأمريكا عذرهم بطبيعة الحال ، فقد وصلت الموسيقى الأوربية الى طريق مسدود .. وكذلك الغناء الأوربى ، بعد أن انطوى عصر التأليف الموسيقى الباذخ بشطريه الكلاسيكى والرومانسى ، وصار انسداد طريق الموسيقى الأوربية فى الزمن الأخير هو الصدى لانسداد طريق الاستعماريين القديم والجديد وتحولهما الى قوة نووية تهدد العالم بالفناء بعد أن كانت أوربا وأمريكا تضجان بالموسيقى والغناء ! ..

أما الموسيقى العربية فقد رقدت فى الكهف مئات السنين منذ سقوط بغداد فى يد هولاكو ، ثم أخذت تنبعث فى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم اشتد عودها ، وتعددت أساليبها ، واتسع ثراؤها بالأنغام والإيقاعات ، حتى إن اغانى أم كلثوم وحدها تحتوى من النغمات والضروب



محمد القصبجى أحد عمالقة الملحنين الذين قدموا الكثير للموسيقى العربية

مالايقع تحت حصر . فلو جردنا الأوبرات الأوربية من تعددها الصوتى ، واستعرضنا ماتحويه من الألحان فى شكلها الميلودى الأساسى وحده ، لكان الأصل الميلودى لألحانها جميعا لايساوى مافى ثلاث أغنيات أو أربع من أغانى أم كلثوم ! ..

لانلقى هذا الكلام على عواهنه ، فها هى ذى الأوبرات بقضها وقضيضها ، فليسجل المختصون أصلها الميلودى فى « نوتة » موسيقية ، وليقارنوا بعد ذلك كيفما شاءوا ..

وقد لفت الثراء النغمى العظيم الذى تراكم فى أرصدة الغناء المصرى ومايصاحبه من الألحان الوترية ، أنظار بعض الأوربيين والأمريكيين ، ولا أنسى لقاءً أجراه تليفزيون القاهرة مع احد الموسيقيين الأوربيين منذ سنوات ، فقد سمعته يقول : لو أن باخ وهايدن وفاجنر وبيتهوفن وغيرهم كانوا فى أيامهم يملكون جزءا من الثروة اللحنية الميلودية التى يملكها الموسيقيون والملحنون المصريون الآن ، لصنع أولئك الموسيقيون الأوربيون الكلاسيكيون والرومانسيون العظماء ، أعاجيب ومعجزات ! ..

ولا نستطرد وراء هذا المعنى فإنه قضية كثيرة الأضابير ! ..

نحن المستمعين المصريين والعرب لانضع الأصوات الغنائية الجميلة فى « كمبيوتر » جامد لايعرف إلا الأرقام ، لأننا وحدنا أصحاب الكلمة فى قبول هذا الصوت والانصراف عن ذاك ، وربما فشل عندنا صوت من الأصوات فشلا ذريعا بينما « الأرقام » تؤكد أنه قد أوفى على الغاية .. لأننا حين نسمع الصوت نتذوقه ، وحين نتذوقه لانحسب مانتذوقه منه بالأرقام ، بل بما يشعر به الوجدان ! ..

ومع ذلك لانأبى أن نترك للأرقام مجالا تتحرك فيه ، بشرط أن يكون الحكم النهائى لأذواقنا ومشاعرنا التى أرهفها السماع ، وهذه هى الطريقة المثلى للنظر بعين العدالة الفنية إلى الأصوات والألحان ! ..

إن الآلات الحاسبة تبين لنا التكوين الفنى والعلمى لأصوات المغنين والآلات الموسيقية ، ولكن ذوق

كيف تتذوق الموسيقى والغناء؟

الإنسان ـ ذوق المستمع المدرب ـ هو المختص بقبول او رفض التكوين الفني والعلمي للصوت .. وهذه هي القاعدة التي يأخذ بها نقاد الفنون ذوو الملكات والطبائع السليمة ، برغم اختلاف الأذواق ، وتشعب الآراء ، ووجود قواعد جمالية عامة يتفق عليها الأكثرون ، وإن تباينت اجتهاداتهم فيما اتفقت عليه أذواقهم ! ..

إن قواعد علم الجمال في الغناء تتواثب من أوربا الى آسيا الى افريقيا ، فتختلف « الموسيقى الشرقية » عن الموسيقى الأوربية ، ثم تتشعب الموسيقى الشرقية فتختلف أسسها وألوانها من الصين الى الهند الى البلاد العربية ، بحيث لايمكن أن نسمي الموسيقى العربية بالموسيقى الشرقية كما اعتاد بعض الناس أن يسموها ، فلابد من تمييز الموسيقى العربية وتسميتها باسمها العربي وحده ، لأن أسسها الفنية تختلف عن اسس الموسيقى الهندية والصينية وبقية الوان الموسيقى الشرقية ..

بل ان الموسيقى المصرية التي تشغل الآن الحيز الأكبر والأشمل من ساحة الموسيقى العربية ، تختلف لهجتها عن لهجة الموسيقى في الجزيرة العربية ـ مثلا ـ لأن مطربي الجزيرة العربية تأثروا في لهجتهم الغنائية بالسلم الخماسي الافريقي ، وهو لايحتوي على الأرباع الصوتية التي هي من جوهر الموسيقى العربية كما تمثلها الموسيقى المصرية الآن خير تمثيل ..

وقد تأملت غناء مطربين ومطربات مشهورين من بلدان الخليج والجزيرة ، في ألحان وضعها ملحنون مصريون ، تتضمن أرباعا صوتية ، فإذا بهم يؤدونها أداء من لايعرفها .. أو أداء من يعجز عن أدائها لأن طول تأثرهم بلهجة السلم الخماسي جعلهم يرتضخون في غنائهم لهجة موسيقية إفريقية ..

إلا أنهم في الزمن الأخير أخذوا يدربون أذواقهم على الغناء المصري ، وهو الغناء العربي الحقيقي ، فلعل خطواتهم الغنائية تمضي في هذا الطريق ، فتأخذ منه « ماتحصل به لهم الملكة في هذا الفن » .. على حد تعبير ابن خلدون ! ..

إن التقسيم الأوربي العام للأصوات يجعل الأصوات الغنائية النسائية ثلاثة هي : السوبرانو ، والميتزو سوبرانو ، والألتو ..

وقد عربها مجمع اللغة العربية فسماها : الندى الأول ، والندى الثاني ، والرنان ..

أما أصوات المغنين فأقسامها الثلاثة هي : التينور ، والباريتون ، والباصي ..

وتعريبها المجمعي : الصادح ، والجهير الأول ، والجهير الثاني ..

إلا أنه لايمكن إغفال التنوع الذي لا حد له في الأصوات البشرية ، ولايمكن ـ مثلا ـ إلغاء الفرق بين الصوت المدرب على الغناء الأوبرالي الأوربي ، وبين الصوت الطبيعي في الغناء العربي ..



ام كلثوم وعبد الوهاب قدما للاغنية العربية مالم تشهده من غيرهما من قبل

ومع ذلك فإن المغنى العربى فى أيامنا الحاضرة أوشك أن يفقد خصائصه الفنية ، فلم يعد يغنى الا والميكروفون فى فمه كأنه مبسم الشيشة أو النارجيلة ـ على حد تعبير للمطربة القديمة المرحومة منيرة المهدية ـ على أن هذا ايضا صار كثيرا وثقيلا على المغنين الأكثر حداثة ، فقد سقطوا الى الحضيض ، وصاروا المثل الحى لقول ابن خلدون : « أول ماينقطع ـ أو يسقط ـ عند انقطاع عمران الدول ، فن الغناء » ! .. هذا معنى قوله بالضبط ، وإن كنا لانتذكر ألفاظه بنصها ..

لقد وصل الغناء والموسيقى فى أوربا وأمريكا الى طريق مسدود للأسباب التى ذكرناها ، ووصل هذا الفن عندنا الى عنق زجاجة واحتبس هناك ، حتى يأذن الله بالخروج من هذه المحنة التاريخية للغناء العربى الذى كنا نظن قبل عشرين عاما انه قد بلغ منعطفا تاريخيا ينطلق بعده الى سماء الفن العالية ! ..

مع ذلك أوثر أن اتكلم عن الغناء العربى متجاوزا أو متجاهلا محنته الراهنة ، لأنها مؤقتة فيما نرجو ، ولم ينته بعد فى رأيى عصر أم كلثوم وعبدالوهاب، وعبدالحليم حافظ والملحنين الفحول : السنباطى وزكريا والقصبجى وغيرهم

ففى الغناء العربى الكلاسيكى يخرج الصوت من الحنجرة محدثا طنينا موسيقيا فى الرأس ، أما فى الغناء الأوبرالى الأوربى فيخرج الصوت بطريقة التثاؤب الشديد ، وأول كلمة يقولها المدرس للتلميذ فى الكونسرفاتوار عند بدء دراسة هذا الغناء : افتح فمك كأنك تتثاءب ! ..

ومن هنا يجيء مايسمونه الصوت المستعار ، ولايمكن أن يجمع مغن اوبرالى حقيقى بين هذا الصوت ، والصوت العربى الطبيعى ! ..

كذلك يعجز المغنى العربى الذى لم يتدرب قط على الأوبرا ، عن الغناء بالطريقة الأوبرالية .. وقد كانت أم كلثوم وهى صاحبة اقوى الأصوات ، لاتستطيع ولاتعرف أداء « مازورة » واحدة بالطريقة الأوبرالية ! ..

فهناك فروق فنية وعلمية بين هذين اللونين من الغناء تتصل بوظائف أعضاء الصوت والتنفس والبلع وغيرها ، ولانطيل فى هذا الاتجاه فانه بغير نهاية ! ..

كيف تتذوق الموسيقى والغناء؟

المهم ان الصوت العربى الحقيقى - وليس مطربو أيامنا هذه بأصحاب أصوات عربية ولا إفرنجية - المهم ان الصوت العربى يصح وضعه فى إحدى « خانات » السوبرانو والتينور الخ .. مع أن المطربين العرب لايغنون الأوبرا الأوربية بقواعدها الصوتية وأوامرها « العسكرية » التى تجعل المطرب الأوبرالى كأنه يخوض حربا غنائية ! ..

ولكن قياس أصوات مطربينا ومطرباتنا لايكون قياسا دقيقا الا بحساب السلم الموسيقى العربى ومقاماته ..

ويتصور بعض الموسيقيين الذين درسوا الغناء الأوربى الكلاسيكى ولم يدرسوا الغناء العربى الكلاسيكى ، أن غناءنا هذا يخلو مما يسمونه « تركيز الصوت » .. وهذا غير صحيح ، فإن تركيز الصوت فى الغناء الأوبرالى مأخوذ من تركيز الصوت فى الموشحات العربية التى انتقلت قديما من الأندلس الى أوربا ، ولم يكن الأوربيون يعرفون غير الغناء الشعبى الشديد السذاجة قبل أن ينقلوا الغناء

عبد الحليم حافظ نالت الاغنية بصوته شهرة عريضة .



الأندلسى الذى أبصروا شمسه فلم ينكروها بل استضاءوا بها ..

وقد أنصف الموسيقيون الأوربيون الأوائل والأواخر أنفسهم حين استغنوا عن غنائهم الشعبى السطحى ، وأقاموا صرح موسيقاهم على مانقلوه من عرب الأندلس ، بعد تجريده من الأرباع الصوتية وكل « المتعلقات » الأخرى للغناء العربى ، ولاشك أننا نحن أيضا ننصف أنفسنا حين نتمسك بطريقتنا فى الغناء ، ونحافظ على استقلالها الى جانب الطريقة الأوربية والطرق الأخرى فى الغناء ، وما أكثرها فى قارات الدنيا ، وما أجدرها بأن تتعايش وتتبادل الثمرات ، لا أن يخنق بعضها بعضا ..

إن الموسيقى العربية مازالت حتى اليوم غناء ، ومازال المغنون هم فرسان الموسيقى العربية كما يفهمها ويتذوقها المستمع العربى ، وبدون هؤلاء الفرسان ـ ولانقصد أحدا ممن يغنون فى هذه الأيام ـ يتقلص ظل الموسيقى العربية الممدود ، ولايدرى الانسان العربى يومئذ أين يذهب بسمعه ووجدانه ! ..

وثمة عوامل تاريخية وفنية عميقة متنوعة اقتضت أن يكون الغناء غالبا على الأسماع العربية ، وأن تتواضع الموسيقى البحتة التى تعزفها الآلات مستقلة عن الأصوات الغنائية .. والمأمول أن تتطور الموسيقى العربية تطورا شاملا بحيث لايكون للغناء فيها هذه السطوة الفردية الهائلة ، مع اعترافنا بأن انحياز الذوق العربى قديما وحتى الآن ، الى الغناء ، لم يكن فى الماضى عيبا فى طبيعة الشعب العربى ووجدانه ، ولايمكن اعتباره اليوم عيبا فى طبيعته ووجدانه ، لأن لكل شعب طبيعة ووجدانا لايمكن الغاؤهما طفرة ، ولاتعديلهما بمرسوم ، ولايمكن تزييفهما بكلمات على الورق ، ولا التخليط فيهما بآراء لايدرى أحد اى أطرافها اقرب الى السخف والمحال ..

وتطوير الموسيقى العربية عمل فنى متشعب لاينهض به إلا أولو العزم من الفنانين الموهوبين الأذكياء المثابرين المخلصين للفن وللشعب معا ، ولكن هؤلاء الفنانين لايمكن ان يوجدوا فى فراغ ، ومادامت الأسباب لوجودهم غير متوافرة فكيف يمكن ان يوجدوا ؟! ..

علينا أن نعترف بأن تطوير موسيقانا فى طريقها المستقل ، مازال يدور فى مجال الأمانى والكلمات ، ويتناول العموميات ، ويكاد يكتفى بترديد مجموعة من الألفاظ الرنانة مثل « الموسيقى العالمية » و« العلوم الموسيقية » و« الدراسات » و« الدارسين » الخ ..

والمواطن العربى يتلقى هذه الكلمات الطنانة ولايبالى ، لأنه يشعر ان أصحابها لم يصنعوا شيئا يستحق المبالاة ، ولأن الموسيقى لغة يتكلمها الشعب مع لغة الكلام ، ويتمثل فى لغتيه هاتين تاريخه الطويل ووجدانه وأشواقه الخاصة ، والأشياء الكثيرة الصغيرة الدقيقة التى لاتُحصى عددا ، والتى يعتز بها الشعب ويحسها إحساسا عميقا ، وقد لايشعر به الآخرون خارج حدود وطنه ولايفهمونها ! ..

والذى نراه عندنا الآن ان كثيرين ممن يتعاطون الدعوة الى تطوير الموسيقى العربية ، لايريدون فى الحقيقة تطويرها

كيف نتذوق الموسيقى والغناء ؟

بل يريدون الغاءها وقذفها فى قمامة الماضى ، ولايوافقون حتى على وضعها فى متحف متواضع يراه العرب من بعيد ! ..

ومن المدهش أن يقع ذلك فى الوقت الذى أخذ فيه الأجانب يتطلعون الى الغناء العربى ولوازمه الموسيقية ، ويدرسون المقامات العربية ، ويستمعون الى الثروة اللحنية والايقاعية الطائلة فى غناء ام كلثوم وعبدالوهاب والأصوات التى غنت من العشرينيات الى أوائل السبعينيات .

إن الموسيقى الأوربية التى تدور حول نفسها فى طريقها المسدود سوف تجد نفسها ذات يوم مدفوعة الى استلهام الألحان العربية التى تسد عين الشمس بكثرتها .. ولاشك أنهم سوف يأخذون مايجدد موسيقاهم ويبعث فيها حياة طريفة ، ولكنهم لن يتخلوا عن موسيقاهم كما يدعونا بعض اخواننا الى التخلى عن موسيقانا وغنائنا ، وأن نستبدل بهما الموسيقى الأوربية والغناء الأوربى جملة وتفصيلا وبغير تحفظ ! ..

لقد لفق الصهيونيون لأنفسهم مايسمونه « الموسيقى اليهودية » بينما يحاول بعض « المطورين » العرب الغاء الموسيقى العربية والغناء العربى ، وينظرون اليهما بحقد وزراية كأنهم ورثوا التعاليم والأفكار من المبشرين الأجانب ! ..

إن تطوير الغناء العربى والموسيقى العربية يشمل مجموعة من القضايا المتشابكة المعقدة التى درسها أول مؤتمر للموسيقى العربية عقد فى القاهرة سنة ١٩٣٢ ثم درستها مؤتمرات تالية .. وقد ساهمنا فى الكتابة خلال ثلاثين عاما عن هذه الأمور ولانريد أن نثقل عليك فيها بكلام قلناه مرارا وتكرارا حتى أصبح يشبه بعضه بعضا ..

إلا أننا نقول باختصار : إنه لابد من سلوك طريق مستقل فى تطوير موسيقانا .. هذا الطريق المستقل يمنع أن تكون الموسيقى البحتة معولا يهدم الغناء العربى العريق المتجدد ، وينبغى الا نجزع أو نخجل من تغلب الغناء فى وجداننا على ماعداه من ضروب النغم ! ..

إن الموسيقى الأوربية يسمونها « الموسيقى العالمية » لأن أوربا وأمريكا تسيطران على العالم ، فموسيقى الأوربيين والأمريكيين « عالمية » بمعنى من معانى السياسة الاستعمارية لابمعنى من المعانى الفنية .. وهم يديرون ظهورهم الآن للموسيقى « العالمية » ويجأرون بأغانى « البوب » .. الأغانى البدائية النغم والايقاع ، والتى تعتبر أغانى « الزار » بالنسبة اليها اغانى متطورة رفيعة المستوى ! ..

ومن عجب أن أغانى « البوب » البدائية الوحشية قد صارت هى أيضا « أغانى عالمية » فأصحابها هم أنفسهم أصحاب « الموسيقى العالمية » وأصحاب كل شىء « عالمى » فى عالمنا المعاصر ! ..

ولكن الموسيقى ـ ككل شىء آخر ـ لايصح فيها الا الصحيح مهما تخبطت واختلت موازينها ، وذلك مايملؤنا أملا فى

ان الطريق المستقل لتطوير موسيقانا ، سيتيح لها أن تحل مشكلات التطور المتعلقة بالتوزيع الأوركسترالى وعلاقته بالآلات الموسيقية العربية التى لاينبغى أن نتخلى عنها ، وتطبيق مايناسب طريقتنا من قواعد الهارمونى والكونتر بوينت فى المؤلفات الغنائية والموسيقية البحتة العربية ، وبناء شخصية خاصة للمسرح الغنائى العربى حتى لايكون امتدادا ساذجا فاشلا للمسرح الغنائى الأوربى ..

رياض السنباطى



زكريا احمد



وعشرات من القضايا الفنية الأخرى تضيق عنها كلمتنا هذه ، وكنا نرجو آلا تضيق عنها جهود الموسيقيين العاملين . لولا أن هؤلاء مضيق عليهم فى الرزق ، فهم مدرسون أو موظفون أو عازفون ، ولاتتسع جهودهم لطلب الرزق والمغامرة بتضييع الوقت فى خدمة الموسيقى العربية وتطويرها بلا عائد ولا حتى كلمة شكر وعرفان ! .. وقد يستغرق حل هذه المشكلة مرحلة تاريخية أخرى أو مرحلتين ، أعنى خمسين عاما أو مائة عام ! ..

ولايبقى إلا أن نقول لأنفسنا : ينبغى ألا نهدم غناءنا وموسيقانا بأيدينا ، ثم لانبنى شيئا ، ونترك غيرنا ينهب انقاض ماهدمناه ، ثم نتطفل على « نوتة » الموسيقى الأوربية ، نغترف منها مانشاء ! ..

وقد بدأنا مقالنا هذا متسائلين : كيف نتذوق الغناء العربى ؟!

والمهم الآن ألا نكتفى بتذوق الغناء العربى والأنغام العربية ونهز رءوسنا طربا ونشوة ، فقد حان الوقت للاجابة عن سؤال أخر عظيم الأهمية:

- كيف نحمى الموسيقى العربية ونحفظها من الضياع ، فى هذا العصر الذى تضيع فيه مقومات الأمة العربية شيئا بعد شيء ؟ ! ..

لقد أوردنا فيما تقدم قول ابن خلدون : « أول ماينقطع عند انقطاع العمران فن الغناء » ! ..

فلننظر الى فن الغناء العربى ، فإنه يوشك أن ينقطع ، لولا الخيط الذى يربطنا حتى الآن بتراث أم كلثوم وجيلها ! ..

مشاكل الزوجة العصرية فى مصر

بقلم : أمينة السعيد

● فى هذا المقال الهام تطالب الكاتبة الكبيرة آمينة السعيد الدولة بأن تضع خطة فى كل المدارس لبث روح التعاون بين الجنسين ، وأن تكون هناك مادة رئيسية من مواد التعليم تهدف إلى غرس فضيلة المعاملة فى نفوس الصبيان وتعريفهم بمعنى الحياة المشتركة فى الأسرة ، بعد أن تحررت المرأة من رق العبودية ولم تعد جارية تتبع سيدها - أو رجلها - فى أى مكان دون أبسط حقوق الاعتراض !

إنها تناقش - فى جرأة بالغة - أهم مشكلات الزواج فى مصر ، من خلال كافة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى طفت على سطح المجتمع فى السنوات الأخيرة ، وجعلت الحياة الزوجية تحت سقفه شيئا آخر ، غير ماتعودناه فى عش الزوجية أيام زمان !

مشكلة الزواج فى مصر ، لم تكن فى الماضى بالشكل الذى نراه اليوم فى الحياة الاجتماعية ، وذلك لأن المرأة فيما مضى لم تكن متعلمة ، ولا مشتغلة ، ولذلك كان الزواج هو لقمة العيش بالنسبة لها ، وكانت معتمدة كليا على زوجها فى حياتها ونفقاتها وفى وجودها !

وكانت تربية الفتاة فى الماضى توحى اليها بالخضوع والخنوع وتقبل الأمر الواقع ، وكان المثل الشعبى (ضل راجل

ولا ضل حيط) تعبيرا عن المنطق التربوى القديم الذى كانت تنشأ عليه المرأة فيما مضى .

كانت نوعية الحياة مختلفة عنها اليوم ولم يكن أمام المرأة سوى أن تتقبل الاجحاف والظلم والقسوة ، وتعدد الزوجات لأنه سبيلها الى العيش ، والى الاحتفاظ بمكانها فى الأسرة .

ولكن الحياة تغيرت كثيرا الآن ، حيث تفتحت أبواب المدارس والجامعات للفتيات ، وأصبح التعليم يكاد يكون سنة حتى للفقير أو الفلاح الذى يريد ويطمع فى أن تنشأ ابنته فى جو أكثر حضارة ورقيا مما كانت عليه وهى فى الحقل تقف وراء زوجها ، تساعده وتكافح معه من أجل لقمة العيش .

وتجربة التعليم مع تيارات التقدم النسائى فى العالم ، الواردة إلينا ، أصبحت تعطينا مثلا لمكانة المرأة ، وكيف انها تستطيع من خلال استفادتها بتعليمها ، أن تكون ذات شخصية قائمة بذاتها ، وذات قوة اجتماعية مستقلة ولها قيمتها .

ولذلك فان الزوجة اليوم تطلب مالم تكن تطلبه فى الماضى ، اعتمادا على انها المساهمة بمرتبها ورزقها فى سد نفقات الأسرة ومتطلباتها ... وهى – بالطبع – تطالب اليوم زوجها بمعاملة مختلفة ، واظهار نوع من الأحترام لم يكن ضروريا فى الماضى ، مع معاملة مختلفة فى

الأسلوب الذى سبق أن عامل به الرجل المرأة .

● سيطرة مرفوضة

ولكن اشتغال المرأة وإسهامها فى نفقات المنزل ، أوجد نوعا من الأزواج الذين يريدون أن يسيطروا تماما على مواردها ، ولا يتركون لها شيئا ، وهذا أدى الى خلافات عائلية ، كما أوجد نوعا من النساء يتصورن أنهن بعملهن لسن مسئولات عن نفقات الأسرة ، ومتطلبات الأبناء ، ولذلك يعارضن فى المساهمة المادية ، وهو أمر غير معقول ، لأن الزوج الذى يختار زوجته عاملة يضحى فى سبيل ذلك بجزء كبير من راحته واستقراره ، ولذلك فمن حقه ان ينال من دخلها جانبا يعينه على مواجهة أسباب الحياة . وهذا الأسلوب النسائى أيضا يثير خلافات بين الزوجين !

ولو نظرنا الى بقية اسباب مشاكل الزواج فى مصر ، لوجدنا أن التطور الاجتماعى الذى واكب التعليم بصفة عامة ، وأشرك المرأة فى الحياة العملية ، وفى الحياة الاقتصادية ، ووضع عليها أعباء لم تكن مفروضة ، عليها من قبل ، فقد كان هذا التطور سطحيا أكثر منه جوهريا ، ولم يمض عليه الوقت الكافى لنضوجه فى نفوس الجنسين ، ولذلك أفرز رجلا لم يزل يتمسك بالسيادة غير المقبولة ، فى منزله وفى أسرته ، رغم أن زوجته أصبح لها الحق فى كثير من التنازلات من قبل زوجها ، ومن أبسط تلك التنازلات أن يقنع نفسه بالتخلص من بعض العنجهية ، التى توحى اليه بأنه سيد المرأة ، وأن مجرد محاولته للاشتراك فى أعمال البيت ، تخفيفا لعبء زوجته ، يعتبر عارا مابعده عار لايليق بالرجال !

ومن ذلك وغيره نجد فى الأسرة عدم توازن بين الطرفين ، فطرف منهما وهو المرأة تقوم بأكثر من عمل رغم انها صاحبة وظيفة مثلها مثل الرجل تماما ، فهى مكلفة بأن تقوم بدور ربة البيت كاملا ، وهو الدور الذى تقوم به الزوجة المنقطعة للأسرة ، وهذا يجعلها مكبلة بأعباء أكثر من قدرتها على الاحتمال ، فى حين أن زوجها لايقوم الا بعمل الرجل فقط ، وهو التكسب ، وعندما يعود الى المنزل عند انتهاء عمله ، لايقبل أن يشارك زوجته المتعبة فى أداء بعض الواجبات الشخصية ، حتى أبسطها مثل عمل الشاى لنفسه ، أو القهوة ، وغسل الصحن الذى أكل فيه !

إن العنجهية توحى للرجل بأن يتمسك بدوره القديم فقط ، والذى يتلخص فى عدم تقديم المعاونة لشريكة حياته بأى حال من الأحوال ، ومن هنا تبدأ سلسلة الخلافات الشديدة التى تكون نذيرا بتعكير

صفوة الحياة بين الزوجين ، وربما حدوث مالا يحمد عقباه !

● التعليم أولا ●

ومن التغيرات الأخرى التى حدثت فى مجتمعنا ـ بالطبع ـ سن الزواج .. وقد حدث ذلك بسبب التعليم الذى لاينتهى قبل الثانية والعشرين أو الخامسة والعشرين ، وهو سن أنضج للزواج ، والمفروض أن يأتى بنتائج أفضل ، فالزواج المبكر الذى كان طابع العهد القديم ، ربما يجعل من الزوجة البسيطة الطفلة ، غير المتعلمة قادرة على التأقلم بسهولة ... وأضرب لذلك مثلا بأمى ، فقد تزوجت فى الثالثة عشرة من عمرها ، وكانت من السذاجة والبساطة ، بحيث أنه حين أرادوا أن يزوجوها من أبى الذى يكبرها بخمسة وعشرين عاما ، قالوا لها إن لديه « بكرج شاى يضرب مزيكة ! » ففرحت بذلك فرحا شديدا ، وألقت بنفسها فى أحضانه !

وقد اختلف الوضع الآن ، فالفتاة تنتظر حتى سن أكثر نضجا من سن الأجيال الماضية ، وحتى إذا أرادت هى أو أهلها أن تتعجل فى زواجها فانها تستمر فى التعليم وهى متزوجة الى سن النضج ، ولذلك تنضج تدريجيا ، ومتطلباتها من الزواج تنمو أيضا بمرور هذه السنين درجة درجة ، ولا تقف عند حد البداءة مثلما كان فى الماضى ، عندما كانت الفتاة تتزوج فى سن الثانية عشرة ، والثالثة عشرة ، ولا تنال من التعليم الا هذا القدر الضئيل الذى يناسب سنها .

● أسباب للطلاق !

ولقد جدت مشكلة جديدة فى مصر فوق مشكلة غلاء المعيشة التى تعكر صفو الحياة الزوجية بين الزوجين ، وهى صعوبة الحصول على مسكن يناسب الأسرة ، مما يضطر كثيرا من المتزوجين إلى المعيشة فى غرفة من بيت الأسرة ، عند الزوج أو الزوجة ، وما يترتب على ذلك من خلافات عائلية نتيجة هذا التكدس ، واختلاف الآراء ، كذلك صعوبة الحصول على الخدمة المنزلية ، التى تقوم بها « شغالة » أو « شغال » لمعونة الزوجة العاملة ، للتخفيف على نفسها ، والانصراف لعملها والى زوجها بروح أكثر استعدادا وسماحة .

ولعل أعباء الخدمة مع ضيق المنزل ، قد قضت على استقلال الأسرة وحلمها بمكان لها وحدها ، حتى لو كان بسيطا متواضعا .

وهذه المشكلة فى حد ذاتها تؤدى الى مشكلات متشعبة ، وتسبب خلافات لا أول لها ولا آخر ، ولايتغلب عليها الا بعض الأقوياء ، بينما تنتهى مع الضعفاء الى مأساة الطلاق التى نشهدها الآن فى مصر بشكل واضح !

وقد تنبهت الدول الأوربية المتقدمة الى مثل تلك المشكلات التى تواجه الأسر الحديثة ، ولذلك وضعت فى مدارس

مشاكل
الزوجة العصرية فى مصر

البنين . برامج ادارة منزلية وتدبير منزلى . وجعلت الصبى يتعلم منذ صغره - تماما - كما تتعلم الفتاة كيف يقوم بغسل ملابسه . وكيف يطهو طعامه . وكيف « يكنس » غرفته . وبذا يصبح الاثنان على مستوى من المعرفة العائلية . تسهل عليهما التعاون فى الكبر !

وفى السويد أصبح الزوج والزوجة حينما تضيق بهما الظروف الاقتصادية ، يقارنان بين مرتبيهما . وصاحب المرتب الأصغر سواء كانت المرأة أو الرجل . يبقى فى المنزل . حتى يصل الطفل الأول أو الثانى الى سن الحضانة . ومدارس التعليم الأساسى . والآخر يخرج للعمل ويتولى مسئوليات الانفاق بكاملها ، وليس من رجل يثور على هذا النظام مطلقا .. لاهو ولا المرأة !

● مسئولية الدولة
وللحد من مشاكل الزواج فى مصر



يجب أن تتغير التربية المنزلية للأطفال منذ الصغر ، بحيث أن الولد والبنت ينشئان ، على أنهما متساويان تماما فى الحقوق والواجبات ، ومطلوب من الدولة أن تحقق ما وعدت به فى الدستور من ضرورة التسهيل أمام المرأة فى مهمة الجمع مابين العملين المنزلى والعمل خارج البيت ، وذلك عن طريق خفض اسعار الأدوات الكهربائية المنزلية ، تخفيضا كبيرا ، يجعل من السهل على أية أسرة متوسطة الحال أن تحصل عليها . وبذلك لاتضطر الأم المتعلمة أو غير المتعلمة ، أن تقضى ساعات عديدة يوميا أمام « طشت » الغسيل ، أو أمام أوانى الطهو ، أو أمام « الكنس » « بالمقشة » البدائية . فهذا كله يتم بالآلات الكهربائية فى دقائق معدودات ، ودون جهد يذكر .

وينبغى أن نرى تصنيعا شاملا للأطعمة ، بدءا من ذبح الدجاج وتنظيفه ، وانتهاء بتجهيز الخضار ، ووضعه فى أكياس ، ليكون معدا للطهو فى دقائق !

ويجب أن تقوم المدرسة بجانب الأسرة ، ببث روح التعاون بين الجنسين ، وتضع هذا التعاون مادة رئيسية من مواد التعليم .

ويجب أن يركز فى حياة الصبى على أن الحياة الزوجية ، لم تعد مجرد صورة ممقوتة وكريهة لسيد وجارية ، بل هى حياة مشتركة ، تقوم على دعامتين متساويتين فى الحقوق والواجبات .



- « ان جنبلاط يقترب من ســـوريا خطوة ، ومن عرفات كيلومترا » .

عبد الحليم خدام
نائب رئيس الجمهورية السورية

- « من الافضل تجربة جورباتشـــوف بدلا من القنبلة الذرية » .

ايجون باهر
الزعيم الاشتراكى ـ المانيا الغربية

- « الغاء صنع الطائرة الحـــربية لاقى كارثة ، وعدم الغائها قد يكون كارثة » .

هيرش جودمان
مراسل الجيروسالم بوست الحربى

- « اذا كان لابد من الوقوف ضد شركة « بوينج » فعلى اوروبا ان تحارب كتفا لكتف » .

جاك شيراك
رئيس وزراء فرنسا

- « ليس امامنا سوى الخيـــار بين المزيد من الديمقراطية او الخمول الاجتماعى »

جوربا تشوف
امين عام الحزب الشيوعى السوفييتى

- « معادلتنا الصعبة هي كيف نتدبر معضـــلة الخيار البشع بين الموت صمتا او الموت صخبا »

سميح القاسم
الشاعر الفلسطينى

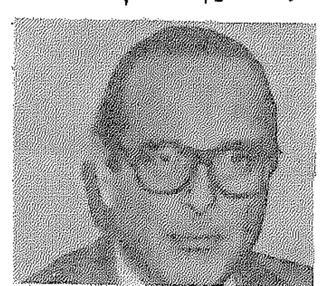
- « على النساء ان يتحررن من مازق الاختيار بين الامومة والعمل »

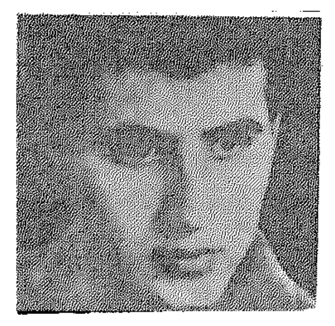
ليليان جارلند
العاملة الامريكية

- « فى المستقبل ، كل انسان سيكون له نصيب من الشهرة خمس عشرة دقيقة

اندريه دارهول
الفنان التشكيلى والمخرج الامريكى


عبدالحليم خدام


جاك شيراك


سميح القاسم

مسرحية رجل فى القلعة

فى دائرة الانتباه

بقلم : فوزية مهران

يقول محمد على باشا - مؤسس دولة مصر الحديثة - أحيانا أسأل نفسى سؤالا يقلقنى .

أيليق بأمى مثلى أن يطمح فى أن يصبح أكثر من جندى !

لكنى أحيانا أشعر أن الدنيا أجمعها تملأ رأسى .. ومعارف كل بنى الانسان تعيش داخل قلبى ..

ومع ذلك أعشق مصر أكثر ..

أهوى الرؤية من شاهق .. شرفات القلعة - البعض يصاب هنا بدوار - لايعرف قدر بلاد يجرى فيها نهر النيل .. لايعرف قدر العظمة فى هذا الوادى الاخضر - تلفظه مصر كالفضلات - يخرج منها مدحورا -

مصر المعشوقة أكبر ..

مع ذلك الى قلب القلعة أصعد .. أنا واليها .. أحكمها كما أشاء وحدى .

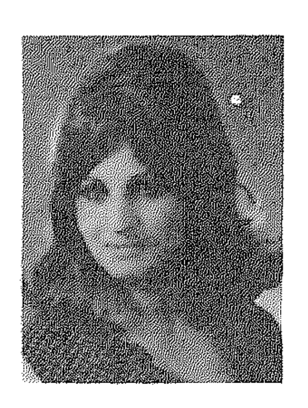
هذا القصيد كتبه « محمد أبوالعلا السلامونى » على لسان محمد على الكبير .. نفذ به الى عمق الشخصية التاريخية المتاججة ..

حلل نفسية ذلك المغامر الألبانى عظيم الذكاء والدهاء .. أسباب قوته وتناقضه . طموحه وسطوته ..

يعشق مصر .. يحبها .. يريد ليبنيها - صرحا عاليا - لكن بطريقته الخاصة فى الحب والحكم - يديرها - وتبقى القلعة رمزا له .. مؤشرا لحركته الداخلية شراع كولومبس فى الاكتشاف والصعود .. وقمة انحداره وعزلته .

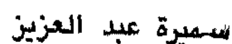
الكاتب المسرحى أبوالعلا السلامونى عاشق لمصر وإنسانها يحمل رموزه الفنية وهو يتجول بين حنايا التاريخ وفى أزقتها المضيئة ومآذنها الشامخة .

ينسج خيوطه بصبر وأناة ويجمعها ليجذب اهتمامنا .. ويكثف لدينا الرؤية . ويركز اهتمامنا على الفكرة الملهمة التى توصل اليها .. أو الكشف التاريخى الذى يمكن أن يصبح نقطة تحول فى حياتنا .. أو الحدث الماضى .. لننظر اليه « بعيون جديدة » معاصرة ويظل فى دائرة انتباهنا .



سلوى محمود





سميرة عبد العزيز

لعلنا نتوقف لحظات أمام السؤال :
« لماذا يلجأ كتاب المسرح الى التاريخ ؟ »
(لاحظ أرسطو أن الأحداث الدرامية أكثر فلسفة من التاريخ ـ قد يبدو التاريخ مشوشا وبلا معنى لكن الدراما لايمكن أن تكون كذلك ـ

الحقيقة يمكن أن تفوق التأليف أو الخيال وهو أكثر غرابة ولكنها ليست منظمة أو منطقية أكثر) والنظرة الفاحصة تدلنا على أن الشخصيات المتميزة فقط هى التى تصلح مادة للمسرح .

ولأن البطل التاريخى معروف لدى الناس .. وحوادث التاريخ تؤكد صدق وقوعها فى هذه الحالة تكون الجماهير لديها الاستعداد لتصديق أن مايجرى على خشبة المسرح هو الحقيقة بعينها بل والواقع أيضا .

(حتى لقد أعلن تشرشل نفسه أنه تعلم تاريخ انجلترا جيدا من مسرحيات شكسبير) .

ـ كتاب المسرح قد يبتعدون عن الحقيقة التاريخية لكنهم يبرزون القوى الكامنة لأحداثه . وتكون بذلك الرؤية ضرورية .. والتحليل لازمنا فى الواقع وفى الزمن الحديث .

ماذا يجد الكاتب المسرحى فى حادثة مضت .. سبق وقوعها .. ربما مشهدا .. أو صورة ومضت أعادت احياء حادثة قديمة .. والتحول الذى يمكن أن يصنعه بها .. البطل الذى يمكن أن يقول من خلاله موضوعا معاصرا .. حتى ليبعث ذلك الدهشة ومتعة الكشف والإدراك بيننا كيف لم نلحظ التوافق أو نعقد مقارنة .

إذن لابد من وجود موقف ما « حالة » حادثة يعتقد المؤلف انها تضفى المزيد من الضوء والإدراك على مايجرى بيننا .

وهو ما حدث تماما لكاتبنا المتميز ..

وهو يهتم بقضية بلده والعالم من حوله ينقب ويدرس فى كتب التاريخ وفى سير الحكام والنابهين من أعلامها .

ولم يكن بحاجة الى أن يبتكر كثيرا أو يؤالف بين تفاصيل مبعثرة .. بل وجد الموقف مكتملا مدونا وموثقا ..

فى دائرة الانتباه

لم تكن المسألة ضربة حظ أو مصادفة حسنة .. ولقاء ميسرا فى نزهة بين أحشاء التاريخ ووثائقه .. لكنه هدف كان يبحث عنه .. ويجاهد .. ويدرس متأنيا ومجاهدا ..

كنز مخبوء .. راح يخطط للوصول اليه ويعد لرحلته .

وتكمن براعته فى التصميم .. والاكتشاف .. والبناء الذى أقامه من حوله وأبرزه لنا ..

لم تكن شخصية محمد على كمغامر محترف .. أو عاشق لمصر .. ورافع قواعد دولتها الحديثة .. ولا الصراع فقط بينه وبين عمر مكرم .. والمأساة التى انتهت بنفى المناضل الشعبى .. وتدخل الدول الأوربية وخسران الفتوحات لمحمد على .

لكنها وثيقة مجلس شرع المحكمة العليا ..

ذلك البرلمان الذى تكون من وكلاء الشعب المصرى من العلماء ونقباء الصناع حيث قرروا عزل الوالى العثمانى الظالم ـ خورشيد باشا ـ وتنصيب محمد على بدلا منه واليا على مصر المحروسة بإرادة وشروط الشعب .

المؤلف يرى فى هذا الحدث أعظم ثورة ديمقراطية فى تاريخنا الحديث ـ وأن مفكرى أوربا وعلماءها ومؤرخيها سجلوا الأمر على أنه « وثيقة الحقوق » كتلك التى أقرها البرلمان الانجليزى عقب الثورة الشعبية والتى تقرر فيها أن حق الملك ينبثق من إرادة الشعب التى يمثلها البرلمان .

● رمز الصراع

تلك هى الفكرة الأساسية .. والنغمة الرئيسية لمسرحية « رجل فى القلعة » وحولها يدور الصراع .. وتحتدم الظروف .. ويثبت المناضلون .. ويسقط الطموح الشرير وشهوة التسلط والاستبداد .

هى محور الارتكاز الذى تدور عليه أعمدة البناء المسرحى وتطور الأحداث .. والنهاية المأساوية وامتدادها حتى الحاضر .. « والقلعة » هى الرمز فى الصراع ..

« الوثيقة » يحملها عمر مكرم من العلماء مفوضا عن الأمة ..

« **الليلة نغلق بك يامحمد على باشا صفحات كانت أحلك ما مر بمصر .. كى نبدأ بك صفحات نحو النور ونحو الحريات ..**

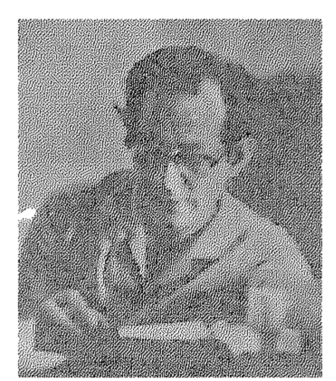
المصريون يريدون الوالى العادل .. فهل ترى فى نفسك هذا الانسان ؟

أصعب من اختيار الوالى أن نلزمه بالعدل فهل تختار ؟

وترجع للعلماء ونقباء الصناع ورأى الأمة فيما تصدره من قرارات ومن أحكام

ويناور محمد على هكذا من اللحظة الأولى ـ مع أنه يقبل ـ

ـ العبء عليكم أكثر منى



سعد أردش

يوسف شعبان



جملته التى صاغها المؤلف تحتمل أكثر من معنى .. وتكشف عن (حذر ومكر وسعة حيلة وبعد نظر .. ورؤية شريرة وترقب عما تسفر عنه الأحداث) .

معناها أنه بهذا فهم أن المجلس ـ يحكم ـ « العبء عليكم أكثر منى » .

وهو يضمر أن يحكم .. ينفرد بالحكم .. وحسب مايشاء .

معناها أنه لو ظل تماسككم والتزامكم بالمسئولية .. واستمرت القوة فى جبهتكم الداخلية .. ليس أمامه إلا أن يظل ملتزما بالقرار ـ والعبء هنا عليهم أكبر .

ومعنى العبارة .. إنه إذا تهاونوا .. ضعفوا .. تفرقوا .. فالمسئولية تقع عليهم أيضا إذ يمهدوا له الانفراد بالسلطة حسب هواه .

وقالها فى النهاية أيضا : « الرفقاء هم نقضوا العهد والميثاق » .. سنوات أربع ملتزما لا عن إيمان ولكن لقوة المجلس ووحدته (قوة أكبر من نزعات القوة فى النفس وشهوة الطغيان) وهكذا يدور الحوار فى المسرحية موحيا .. ذكيا .. لماحا .. عميق المغزى .. ساطع الاشارة يخفق فى العقل ويستولى على الوجدان .

« القلعة » واقع أيضا ورمز .. يتداخل الرمز مع الحقيقة وهى دورة النغم فى كل حركات العزف .. ويلتمع رمز القلعة بين الأحداث والأقوال ويعمق المعنى .. ويشير إلى الهدف ويرين على النفوس والمكان .

منذ البداية محمد على يطمح الى القلعة .. يطل من شرفاتها كالصقر ـ يحلم بملك مصر ـ جنات وأنهار ـ يعشقها .. ويود أن يبنيها (ومن ادعى منهم يوما بعدم حبها أو الاستعلاء بها ـ الغزاة أو الطغاة ـ لكنهم يحسبون انها ملك لهم وأهلها مجرد تابعين ـ هذا ظنهم) .

لكنه فى اللحظة الأولى من توليه الأمر .. يتودد إلى زوجته : « ستكون القلعة ملكك ياحرم الباشا .. وسيجرى النيل الخالد بين يديك .. وستصبح مصر المحروسة رهنا بإشارة زوجك » .

(تلك أمانيهم .. وفيها هلاكهم)

يطلب من السيد عمر مكرم بعد تسلمه وثيقة اختيار الشعب له وشروط توليه ألا يذهب إلى القلعة ..

ـ أن تحكم من بيتك هذا الكائن فى قلب مدينتنا .. لا من فوق القلعة .. كى تبقى قرب الناس فتسمع ماقد ينبض فى الأفئدة

فى دائرة الاشتباه

من الأحلام .. أو مايصدر عنها من أنات الآلام ..

زوجته تستفزه .. إنه يخشى عمر مكرم .. يتركه يحكم .. ولايصعد للقلعة .. ديوان الوالى أيضا من رأى الزوجة .. يتملقها ويشير إنه بدون القلعة لن يحكم أبدا رمز القلعة يتوافق بحركة الصعود والهبوط فى الصراع .. والحركة الداخلية لنفسية الوالى والشعب .

وتتبع الأسلوب التكتيكى لمراحل القضية .

عندما ينقم الوالى على المصريين أنهم نجحوا فى هزيمة الانجليز .. وعدُّوها معركتهم .. وانسحب الجند البريطان بسرعة .. ولم يتركوا له مايعمله .. يقوم بمناورة لئيمة ويقرر نقل مقر الحكم الى القلعة .. وفرض ضرائب جديدة .

يتبجح أمام السيد عمر مكرم : « القلعة كانت تستهوينى منذ توليت السلطة .. لكنى كنت أراكم أقوى من اغراء القلعة فى نفسى » .

يعمل على تفريق الكلمة .. ويستميل ضعاف النفوس فى المجلس ـ يواجهه « كنت أراك أقوى من أعظم قلعة »

المفارقة الدرامية حقا أنه لم يدرك (أنه يغدو وحيدا من لايصعد بين الناس .. يصعد منفردا .. منعزلا .. يطلق الطاغوت الكامن فى الأعماق .. يتصوره صعودا فوق الأعناق .. لكنه يشكو الوحدة .. يرتجف من الخوف والرعدة .. يتمزق .. يبور .. ثم ينحدر ليسقط)

« محمد أبو العلا السلامونى » يضعنا فى مواجهة سؤال حارق .. ومحرج .. مادمنا قد توصلنا إلى التجربة النضرة .. فماذا حدث لنا ..

لم لا ندرس التاريخ .. نتعلم .. نكتسب خبرة ودراية ..

وكيف تضيع التجربة الثورية الرائدة .. وتتبدد ؟

دعونا ننظر إلى وثيقة مجلس شرع المحكمة العليا « بعيون معاصرة » ونستلهم حركتها على أرض الواقع .. أو منصة المسرح .

● معايشة صادقة للتجربة

سعد أردش المخرج كان هنا مثال رجل المسرح الواعى بقضيته .. والذى يدير مسرحه كبرلمان صغير ؛ يدور حوار وجدال ، وتعتمل الأفكار ونصل الى تشريع وقرار يحمى وحدتنا .. ويدفع عملية التقدم والتطوير .

لقد افتتح أبواب معمله الفنى للجماهير ..

اختار كتيبة الممثلين ـ كانوا بالفعل كتيبة ـ لم يرد الأداء الباهر ولا التجسيد المدوى للشخصية .. قادهم فى حركة تمشيط للمنطقة واكتشاف هضابها وسفوحها .. مع مراعاة الحركة الداخلية لكل منهم ورد فعلهم على مايكتشفوه أثناء العمل وقدرتهم على المواجهة .

كانوا لايمثلون .. بل يعيشون التجربة كأناس حقيقيين ويعطونها لنا .

اختار فريقه المسرحى بعناية حتى

ملامحهم الخارجية .. معظمهم ممن لايثير فى ذاكرة المتفرج أدوارا بعينها .. ولكنه استطاع ـ بحسن أدائهم ـ أن يحفر « الموقف » داخلنا .. ويخلق لدينا « حالة » .

يوسف شعبان فى شخصية محمد على ـ فى عنفوانه وتهدمه جعل الدور يتخلله .. يتنفس حقيقة الشخصية ويتملك عالمها الداخلى .. أيقظ روحها وجعلها تنبض بيننا بقوة مقنعة .. وذكاء فطرى .. وجاذبية مؤثرة .

الخطير حقا أنه ـ جعلنا نحب محمد على .. ونرثى لخطيئته .. ونشفق على سقطته ـ لكنه لم يخرج عن مضمون شخصيته لحظة واحدة .

نبيل الحلفاوى فى دور السيد عمر مكرم وحفيده .. كان يجنح فى أسلوبه للخطابة (وبعض العذر له ـ فالخطابة جزء أساسى من مكونات الشخصية ـ هكذا أرادها أو فعلها المؤلف ـ لشرح فلسفته وتوضيح فكره)

بوسعه أن يجعل ايقاع الكلمات دافئا .. ومشحونا بالعاطفة ، خصوصا وهى تتعلق بأنبل العبارات والقيم .

سلوى محمود ـ زوجة محمد على ـ كانت مثال الزوجة التى تهتم بزينتها .. وتحرص على الاستفادة من وضعها .. وتهتم بما يعود بالنفع عليها مباشرة دون تعمق فى معنى الأحداث أو تطورها وأن تحافظ على البث والأداء على هذه النغمة الرتيبة طوال الوقت .. وتشيع هذا الانطباع ـ لهو فى حد ذاته مقدرة

سميرة عبدالعزيز « **زينب** » حفيدة عمر مكرم .. هى اكتشاف العرض حقا . فلقد كانت مجرد وقفتها على المسرح ـ صامتة ـ وقبل أن تتكلم .. ترسل شحنة الإحساس بالعزة والاباء .. حفيدة العلماء وامتداد رسالتهم .. وكان صوتها الخفيض يؤكد جرحها الخاص والعام .

وهى لاترضى ـ بابراهيم ـ قائد الانتصارات ـ زوجا لها .. حتى لاتخرج جدها (قضية جدى هى اقرار الحكم العادل)

كان صوتها يقطر بالتسليم من أجل قضية عالية .

حسن العدل المهرج داخل القصر وثائر شعبى خارجه ملأ المسرح بالحركة والحيوية ـ وكان مقنعا فى الدورين معا .

مدحت مرسى أيضا ـ ديوان الوالى ـ لايكاد يغيب عن المسرح لحظات طوال العرض كان متميزا يدخل ويخرج من أى موقف بسهولة ويسر وحسب مقتضيات المناسبة .. وكان يعزف بصوته تبعا للظروف يلين ويخضع ويتصنع الموافقة .. وينطق بالحكمة .. ويحتد أمام الضعفاء ..

برأيى أن لديه امكانيات بعيدة المدى وقد عمل بهذا الدور على تفجيرها .

كان مشهدا مثيرا حقا وهو يستبقى الشيخين المهدى والدواخلى بعد جلسة الاعتراض على قرارات الوالى دون الرجوع الى وكلاء الأمة . فتت الجبهة بهم .. منّاهم بالخروج عن القرار بعدم الصعود الى القلعة .. دعاهم لهبات ولى النعم وتقبل ارشاداته ـ ضمهم اليه يشى

فى دائرة الانتباه

بالمؤامرة .. كاد يعتصرهم عصرا - أطلقهم .. وبدأت المكيدة والخيانة .

هـذا الشيـخ المهـدى : **رشـدى المهدى** .. كان رائعا بجسده الصغير النحيل .. كان يضفى على الأداء جوا من الصدق الخاص .. ووصل بالجمهور الى أقصى آيات الانفعال وهو ينغم صوته فيجعله خفيضا بطيئا مرطبا بالوشاية وتصنع الاخلاص والصدق .. وهو يحاول أن يقنع العلماء والنقباء بأن عملهم هو تطويق الفتنة ..

ثم وهو يزأر بصوت لايتناسب مع حجمه وهو يزيف الحقائق ويتهم عمر مكرم بإهانة المحكمة . ويسعى لعزله .

كذلك يفعل بالشيخ الطهطاوى (**فايق عزب**) الذى احتفظ بنفسه مشحونا طوال الوقت بالاهتمام والغضب ورفض أساليب الزيف أو الصمت على الخطأ .. وأطلق أحد أعمدة الحكمة من المسرحية فى النهاية بذلك الصوت المتوتر المشبع بالأسى :

« أنت قتلت روح الثورة .. وافقدت العلماء والنقباء قدرتهم على التأثير فى الشعب .. وبذلك واجهت المأساة وحيدا »

ديكور سامية خفاجى كان يجمع بين البساطة والأبهة .. كانت تستعمل الستائر ، تنزلها حيث تعبر عن المشهد ويسهل رفعها .. موسيقى على سعد تزعق بنغمات راقصة وفجه ..

بقى شىء يقال :

أين وزارة التربية والتعليم من هذا **الحدث المسرحى التاريخى الفنى ؟**

من المفارقات المضحكة أن تاريخ مصر الحديثة مقرر على الشهادات جميعا .. الابتدائية والاعدادية والثانوية .. والمفروض فى شباب الجامعة والمعاهد أنهم درسوه فى هذه المرحلة ..

نريد ألا نكتفى بقراءة التاريخ .. لماذا لانضعهم فى هذا المعمل العلمى وفى قلب التجربة .. هم والأساتذة .. عملية تحويل الشباب للنضج والفهم والمحاورة والمشاركة .

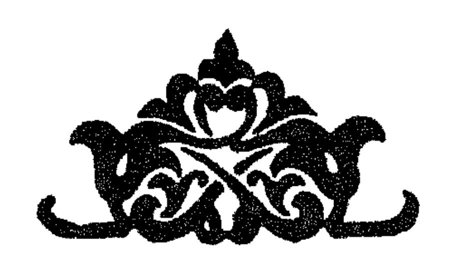
إنها بمثابة ادخال لفيف من شباب العمال والصبية والمهندسين الى المعمل فى المصنع .. أو أجهزة التشغيل فى مؤسسة ..

وتركهم ممارسة التجربة .. عملية الانصهار والتطويع وإدارة العمليات والأجهزة . الأغلبية ستستوعب فن الادارة وجهد العمل وتحسين الأداء .. ومراحل التدريب والمبادرة .. وتقييم أسلوب مدربيهم ..

ينمو لديهم الشعور بالمسئولية وواجب المشاركة .. واكتساب القدرة على ايجاد الحلول .. يخلق انطباعا .. تأثيرا .. تحولا ما فى طريقة التفكير ووجهة النظر ..

لماذا لا نرتب رحلات تثقيفية - إلى مسرحنا القومى -

ستجدون تاريخنا « حاضرا » وقضيتنا قائمة .




● لما صدرت رواية « النداهة » ليوسف ادريس ، قال بعضهم ان كلمة « النداهة » عامية يتداولها الريفيون .. والحقيقة انها ليست عامية وان تداولتها السنة العامة .. فالنداهة هي المرأة التي ترفع صوتها بالصياح .. والفعل « نده » .. « ينده » في العامية هو نفسه في العربية الفصيحة

● يقول بعض المذيعين في النشرات : « عجزت قوة جيش الدولة الفلانية عن كذا وكذا » .. بفتح الاحرف الثلاثة الاولى من الفعل الماضي « عجز » .. والصواب فتح الحرفين الاول والثالث وكسر الثاني « الجيم » .. وهذا الفعل حين تقع حروفه الثلاثة مفتوحة ـ كما يفعل بعض المذيعين ـ يعني ان المرأة صارت عجوزا ! ..

● بعض الناس يذهبون الى العراف ليفتح لهم « المندل » .. اى ليحرق بخورا في اناء ويقرأ لهم ما يزعمه من الغيب ! .. والمندل كلمة هندية معربة ، وهى اجود انواع البخور التى كانت قديما تستورد من بلد هندى اسمه « مندل » .. والنسبة اليه « مندلى » .. قال المتنبى :

ونكهتها والمندلى وقرقف
معتقة صهباء في الريح والطعم

ويقال « المندل » بحذف ياء النسبة، كقول كثير عزة :

بأطيب من اردان عزة موهنا
وقد اوقدت بالمندل الرطب نارها

● سمعت متأدبا يقول : « شذاة الورد » .. يقصد « شذا الورد » .. وكلمة « الشذاة » معناها « الشر » .. اما الشذا فالرائحة .. قال البحترى في معنى الشذاة أو الشر

ترد شذاة الدهر منه بمسرع
الى المجد لا الوانى ولا المتقاعس

يريد بشذاة الدهر : الشر الذى يأتى به الزمان !

● الصلصال هو الطين اليابس .. واصل هذه الكلمة من الفعل « تصلصل ـ يتصلصل » .. اى صار له صوت وحفيف .. والمعروف ان الطين اليابس او الصلصال له صوت يرن رنينا .. ومن هنا جاء اسمه !..

همسة حب

شعر: البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

ريشة: عادل ثابت

قلبي الخفّاق أضحى مضجعكْ
في حنايا الصدر أخفي موضعكْ
قد تركتُ الكونَ في ضوضائِه
واعتزلتُ الكل كي أحيا معك
ليس لي فكرٌ ولا رأيٌ ولا
شهوة أخرى سوى أن أتبعك
وأبي يعقوب أدرى سرَّه
قد عرفتُ الآن كيف صارعك
يا أليف القلب ما أحلاك بل
أنت عالٍ مرهب ما أروعك
يا قويا ممسكاً بالسوط في
كفه والحب يدمي مدمعك
لم يسعك الكونُ ما أضيقهُ
كيف للقلب أذن أن يسعك

★ ★ ★

قد تركتُ الكل ربي ما عداك
ليس لي في غربة العمر سواك
ومنعت الفكر عن تجواله
حيثما أنت فأفكاري هناك
قد نسيتُ الأهل والأصحاب بل
قد نسيتُ النفس أيضا في هواك
قد نسيتُ الكل في حبك يا
متعة القلب فلا تنس فتاك



ما بعيدُ أنت عن روحى التى
في سكون الصمت تستوحى نداك
فى سماءٍ أنت حقاً انما
كلّ قلب عاش فى الحب سماك
عرشك الأقدَس قلب قد خلا
من هوى الكل فلا يحوى سواك
هى ذى العين وقد أغمضتها
عن رؤى الأشياء علىّ أن أراك
وكذا الأذن لقد أخليتها
من حديث الناس حتى أسمعك
قلبى الخفّاق أضحى مضجعك
فى حنايا الصدر أخفى موضعك



ظل العرب لوقت طويل يتجاهلون ترجمة الشعر الاجنبى كلية اكتفاء منهم بان الشعر ((ديوان العرب)) وهو سجل حياتهم النفسية والعاطفية والعقلية والاجتماعية . ومن بين ما يذكر النقاد من اسباب هذا الاحجام ان كثيرا من المترجمين العرب كانوا ممن يمارسون الفلسفة ويترجمونها وذلك لوضع الاسس الفلسفية والفكرية للدفاع عن الاسلام وقيمة ضد الوثنية واظهار فروقه عن الديانات السماوية الاخرى ، كما ان هؤلاء المترجمين لم يكونوا من الذين تعتبر اللغة العربية لغتهم الام بل انهم كانوا من غير العرب فلم يستطيعوا ان ينفذوا الى روح اللغة العربية بل والشعر العربي ليصنعوا ((معادلا موضوعيا)) او لنقل ، ترجمة متكاملة تراعى قواعد الاشعار العربية دون ان تنسى خصوصيات الاشعار الاجنبية .

ثم كان رفضهم لترجمة الشعر اليونانى ـ كما يشير اخرون ـ نابعا من اسباب دينية وذلك ان هذه الاشعار تغص بالالهة وانصاف الالهة الشىء الذى يتنافى مع النظرة التوحيدية الاسلامية للكون . كل هذا معروف موجود فى كتب مختلفة .

ثم كانت هناك صعوبات اخرى عروضية وهى ان هذه الاشعار كانت مكتوبة على غير نظام العروض العربى الذى يتكون من مصراعين وقافية واحدة تتكرر على امتداد القصيدة من اول ابياتها الى خاتمتها . هذه الاشعار كان من الصعب ان تنصب فى القالب الصعب الجامد ذى المصراعين

والقافية ولهذا فقد تجنبها المترجمون طلبا للسلامة •

ولم يتقارب الشعر الاجنبى مع الشعر العربى الا بعد ظهور شعر التفعيلة الحديث وسيادة ونظام تنوع القوافى العربية • الشيء الذى جعل الشعر العربى بايقاعاته قريبا من نظيره الاجنبى •

وقد ظلت حركة عدم الترجمة للاشعار غير العربية سائدة لاكثر من احد عشر قرنا حتى بدأت محاولات متفرقة للترجمة الشعرية تظهر وذلك فقط فى القرن التاسع عشر فقد ترجم محمد عثمان جلال لافونتين ونقل سليمان البستانى الياذة هوميروس شعرا وزودها بالمتن والشرح وقد ترجم العرب رباعيات الخيام التى قام بترجمتها عدة شعراء وادباء منهم احمد الصافى النجفى واحمد رامى ووديع البستانى واحمد حامد الصراف •

على ان ترجمة الشعر كانت اقل من ترجمة الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات فى تلك الفترة وذلك لصعوبة الترجمة الشعرية ولتعذر النفاذ الى روح الشاعر الذى يترجم له • فالنثر اسهل فى ترجمته من الشعر فتم التركيز على القصص والروايات والمسرحيات والنقد •

ثم ان العرب رفضوا الترجمة النثرية وذلك كما يعلل الاستاذ محمد عبد الغنى حسن فى كتابه « فن الترجمة فى الادب العربى » ان الشعر « اذا ترجم نثرا ذهب بهاؤه وضاع رواؤه وبهت رونقه حتى ولو كان شعرا منثورا » واظن ان هذه الكلمات ما زالت قائمة فعالة وما زال الشعر الاجنبى ينتظر مترجميه الحقيقين رغم صدور بعض الترجمات الشعرية والنثرية الجيدة •

ان الشعر المترجم نثرا فنيا ظل بعد ذلك سائدا كما فى ترجمات على احمد سعيد وسلمى الخضراء الجيوسى وفؤاد رفقة وغيرهم •

لكن كل هذا الشعر ما زال يحتاج فى اللغة العربية الى استكمال ادواته واكتساب ثوبه الشعرى • فهو لايزال فى مستوى النثر الجيد لا الشعر الجيد وهو مضمون جميل يدل على القوة الهائلة للشعراء الاجانب !

اما رباعيات الخيام فترجمت شعرا ونثرا وحدث فيها تصرف وحذف واسقاط وزيادات عند الترجمة،وذلك لا يهمل ايقاع الشعر فالشعر ليس صورا واخيله ومعان فقط بل هو ايقاع واضح يعبر عن دخيلة الشاعر فى لغته الام • فالايقاع شيء عضوى لا يتجزأ ولا ينفصل من دخيلة القصيدة المترجمة • فالايقاع والجرس هى جزء من ادوات الشاعر حديثه وقديمه وكذلك القافية وان كانت تختلف فى كل قصيدة عن غيرها كما ان تكرار كلمات او تعابير بعينها يهيىء القارىء لتلقى « جمرة الشعر الحية » •

● روح القصيدة

ورباعيات الخيام تكشف لنا الكثير عما يمكن ان يفعله المترجم بالقصيدة الاجنبية فهو اما ان يكون فى مستواها وقد يكون افضل واما فى ميلها ودونها من حيث نقل المعانى وظلالها وقدرة القصيدة على الوصول الى مكان خاص يعجز النثر العادى عن الوصول اليه فالايقاع ليس شيئا زائدا عن القصيدة بل هو جزء من روح وكيان للقصيدة عن سرها الخاص الذى لا يتكرر فى قصيدة اخرى وعن حميميتها •

واليك مثالا من الادب العربى، تصعب بل قد تستحيل ترجمته الى اية لغة اجنبية مهما حاولنا اذا لم نجد



ايقاعه السريع وهى قصيدة يزيد بن الوليد :

خبــــرونى ان ســـلمى ..
خـــرجت يـــوم المصـــلى
فاذا طيـــــر مليـــــح
فـــــوق غصـــن يتفـــلى
قلت : من يعـــرف ســلمى
قـــال : هــــا .. ثم تعـــلى
قلت : يــا طيـــر ادن منى !
قال : هــا .. ثم تـــدلى
قلت : هـــل ابصـــرت ســلمى
قال : هــــا . ثم تـــولى .

فقصيدة الامير يزيد بن الوليــد هذه مليئة بالحـــركة وهى لا تكتفى بتصوير الطير المليح كما فى صورة معلقة على حائط ، بل هى تجعله حيا ضاجا وفى حركة دائمة : (قال :ها .. ثم تعلى . قال : ها ثم تـــدلى قال : ها ثم تولى .) ان هـــذه الطريقة البصرية الصوتية الحـركية تجعلنا نرى هـــذا الطائر رأى المعين وهو يتقافز نازلا وصاعدا ثم متوليا فى ايقاع سريع ملىء بالحـــركة والنشاط زد على ذلك حوار الشاعر معه . كما ان الابيات مليئة بافعـال الحركة التى تكاد تتحرك هى نفســها لتجعل هذه القصيدة قصيدة تتوثب ولا تقف فى مكان واحد كطائرهـــا نفسه . فهى لا تصف حركة من الخارج بل تجسدها وتنفخ فيها حياة فنيـــة تكاد تقارب الحياة نفسها:(خبرونى، خرجت . طير يتفلى . ادن ، تعـلى تدلى ، تولى) فالقصيدة النثـــرية ليست لها هذه القدرة الفذة على ان تتحرك وتحرك معها مخيلة القارىء وروحه وبصره وبصيرته حتى ليكاد يبصر الشجرة والطائر وانتقاله من غصن لغصن، كل هذا فى ايقاع شعرى خفيف لذيذ بسيط كطفل يعكس خفـة الموقف وظرفه .

ومن يقارن ترجمات وديع البستانى وعبد الحق فاضل واحمد رامى يجد ان الترجمة ممكنة ويجد فيهـــا اختلافات تعتمد على قدرة الشـــاعر وموهبته وتمكنه من اللغة الاخـــرى الاجنبية وقدرته على الخيال وقـوة احتماله وطول بحثـــه عن مختلف الصيغ لابعاد غير الملائم منها لمـــا يترجم . وعندى مثلان لترجمـــة رباعية من رباعيات الخيام هى :

تلك القصور الشاهقات البنـــاء
منازل العز ومجلى الســـــناء
قد نعب البـــوم على رســـمها
يصيح : اين المجد ، اين الثراء ؟

هذه القصيدة ترجمها نثرا احمـد الصراف كالاتى : ان القصر الذى كان يتسامى مع الفلك كتفا الى كتف والذى كان الملوك يضعون على اعتابه الجباه . قد رأينا الفاختة تســجع على شرفاته تقول : كو ، كو ، كو ، كو . اين ، اين ، اين ، اين ، ؟انظر فن الترجمة لمحمـد عبد الغنى حسن القاهرة ١٩٦٥ ص ٢٣٢ .

فما ابعد الفرق بين هذه الترجمة وتلك فان احمد رامى قد حـــول الرباعية الى شعر عربى اصـــبح جزءا من التراث بينما قتلهـــا الصراف بترجمته النثرية .

وهناك مثال ثالث من قصـــيدة غرناطة لميخائيل سفيتلوف يمـــكن ترجمته كالاتى شعرا . والقصـــيدة فى اصلها تمثل مجموعة من الفرسان على خيولهم ويسمع فيها صـــوت الحوافر : كربت ـ كربت ـ طربط ـ طربط . والترجمة الشعرية تحـاول ان تحافظ على هذا الايقاع وقـــد كتبت فى عشرينيات هذا القرن .

خرجت للكفاح
والارض فى غرناطة
أولى بها الفلاح
ننهض فى البكور
نركض طول اليوم
وتعب الجواد
انهكه المسير
لكنما التفاحة
تفاحة الغناء
يحفظها اللواء
ويعزف النشيد
للزمن الجديد •

فهنا تجد جوادا يخب او يركض والقصيدة مليئة بالانفعال التى تجعل الحركة ايضا مرئية على فترات طويلة وليس على نقلات سريعة كما فى حال الطائر فكيف نبعد الايقاع والموسيقى ثم نقول عن ترجمة نثرية انها ترجمة امينة تنقل النص الاجنبى بروحه ومعانيه وظلال معانيه وخصوصياته من سرعة وبطء او جلال حروف او همس الخ • وهذه الترجمة من الرجز •

ثم ان هذا الوزن نفسه موجود باللغة الروسية : ويوجد غيره كما سنبين فى دراسة اخرى ان شاء الله • وهناك قصيدة للشاعرة مارينا تسفيتايفا تصف حركة قطار وحركة الركاب فى داخله وقد ساعدها الوزن فى ذلك كثيرا فكأنك تسمع الرجرجة والاهتزاز وتمايل الركاب وهى قصيدة « قراء الصحف » فكيف يصل النثر الى هذا المكان الممنوع الا على الشعر :

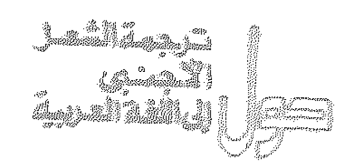
فالشعر مغامرة خاصة والشاعر بالكاد يمسكها وكذلك القارىء حتى لو استعانا بكل ما عندهما من قدرات موسيقية وحياتية وعقلية وايقاعية وحدس وتوفيق • وقد لا ينجح حتى اخلص الناس لالهة الشعر فى ان يضمن نفسه خلود الاسم • فالهة الشعر قاسية جدا • وها نحن نرى معارك الخمسينيات واوائل الستينيات وقد انجلت لا عن كل من خاضها فقد تساقط عشاقها ونسيهم التاريخ ولم تبق منهم الا قلة كالسياب ودرويش وخليل حاوى وصلاح عبد الصبور والفيتورى وقلة غيرهم ولم يدخل من كتاب قصيدة النثر الا محمد الماغوط فقد فتحت السرية محرابها له وحده بين كتاب قصيدة النثر وبقى غيره يبحث فى ظلام النثر عن اليد الالهية الحبيبة دون أن يحظى بلمسها •

● مخاطر الترجمة النثرية

الترجمة النثرية سادت منذ وقت طويل اى منذ الستينيات • وفى هذا الامر مخاطر نوردها فيما يلى :

● تؤدى الى تشابه الشعراء من حيث مستوى المفردات والمستوى اللغوى عامة فيصبح نيرودا وناظم حكمت وايلوار وجاك بريفير • اما ايليوت ومايكوفسكى فيصبحان صنوين لا فى المضامين طبعا بل فى صياغة المترجم لهما • فالصياغة تجىء متشابهة تدل على تمكن المترجم (وليس الشاعر) من لغته وفهمه لها وفنه بينما يبقى الشاعر بعيدا فى المؤخرة يتشابى للظهور فى قصيدته العربية المترجمة :

● ان الترجمة قد صاغها وقام بها اساسا ناثرون • وقام بعضهم بها فى سرعة وعجلة لحاقا بالمطبعة وقد كانت المطبعة نفسها تستعجل هؤلاء المترجمين فتخرج الكتب بالعشرات شعرا ونثرا طلبا للربح دون العناية بالمستوى • كما ان الحاجة كانت ماسة للتعرف على الشعر الاجنبى سواء كان شعرا رجعيا يرفض الحضارة المادية



الحديثة كما عند اليوت او شعرا يساريا يدعو الى عالم جديد كشعر ناظم وايلوار ونيرودا ومايكوفسكي ولهذا فقد اهتم الكل بمضامين هؤلاء الكتاب كأنما الغرض السياسي وحده كان دافعهم ، فأصبح الشعر الاجنبي المترجم في الستينيات يقاس باغراضه دون التعمق مثلا في الوسيلة التي اشتهر بها مايكوفسكي دون غيره من السوفييت ممن كانوا يكتبون مدافعين عن العالم الجديد ودون الغوص الى معرفة ، لماذا كانت بعض القصائد اكثر نجاحا من غيرها واكثر تاثيرا على الجمهور الاصلي عند كل شاعر على حدة • والشيء نفسه ينطبق على ناظم حكمت ونيرودا فكلهم تقدميون وكفى • اما الفروقات الدقيقة بينهم فتختفي بل انهم يذكرون مع بعضهم في اغلب الدراسات والترجمات : وكأنما التقدم يعني التشابه الشعري الكامل •

● **يثير الاستغراب موقف بعض الشعراء الذين مارسوا الترجمة فهم في اشعارهم الخاصة شعراء وفي ترجماتهم ناثرون مما يعطي الانطباع بأنهم افضل كثيرا ممن يترجمون لهم • ويظهر الانطباع التلقائي وهو انهم يعطون لشعرهم الخاص افضل ما في ذاتهم ويتركون للشعر الاجنبي ما تبقى من طاقتهم فكأنهم يطبقون المثل : ما يحتاجه البيت يحرم على الجامع ، فهذا الخطر اى ضعف كبار شعراء الاجانب امام مترجميهم من الشعراء العرب شيء لا ينبغي ان يمر دون نقاش وتمحيص •**

● **هذه الترجمات ليست دليل** نهوض فانا ارى انها تاتي من مناطق درس اهلها علومهم وادابهم باللغة العربية (وهو حق) لكن هذا جعلهم يسيرون على رجل شعرية ولغوية واحدة فلم يتغلغلوا في الثقافات الاخرى وحين جاءهم شعراء الغرب والشرق العظام مترجمين نثرا ظن معظم القراء الشباب ان المضمون هو الشعر وان الترجمة النثرية هي الاصل وكل ما عدا ذلك نشاز • فحرموا انفسهم بذلك او حرمهم المترجمون او الناشرون – من فكر العصر ونبض العصر الشعري •

● ثم لدى هذا بالتالي الى ان الجيل الحديث أصبح أضعف معرفة بالشعر العالمي،واخذ يظن ان مايفرقه عنه اكثر مما يجمعه به ما عدا ما يخص الصور والمضامين ووسط الموات العربي العام والاقتتال وتدني مستوى التعليم وغلاء اسعار الكتب والجري وراء لقمة العيش استسهل بعض شعراء الشباب كتابة قصيدة النثر • وانا مع التجريب ، على انني احب ان انبه الى مخاطر التقليد لان قصيدة النثر في احسن احوالها لن تقضي على الشعر الموزون لانه اوسع منها ولانه يستطيع ان يحل مهام ويصل الى مناطق لا تستطيع هي – لا في حالات محدودة – ان تصلها • فالتقاليد ليست شيئا من السهل مسحه ولا هازم ولا مهزوم وستتعايش الاشكال الثلاثة القصيدة الخليلة وقصيدة التفعيلة الحديثة وقصيدة النثر الى وقت لا ندريه ولنترك الكلمة الختامية للمستقبل •

● هذه الترجمات النثرية التي تقل في مستواها عن الشعر العالمي بمثابة اتهام بعدم قدرة اللغة العربية وعدم تمكن الشعراء العرب او عدم قدرتهم او رغبتهم او فهمهم للعصر

ويعنى هذا ان الوسائل تعوزهم للمس نبض العصر الحديث • لقد شعر المترجمون والقراء العرب بالحاجة للشعر الاجنبى كرافد جديد يغذى الثقافة الشعرية العربية وان لهم ان ينظروا الان ويلتفتوا الى الوراء ليحاسبوا انفسهم •

● بدلا من ان يترجم الشعراء العرب ما يستحسنونه من الشعر الاجنبى شعرا وما يجدون له صدى فى نفوسهم ويعبر عما يحسونه ويعتقدونه كانوا يتركون الكلمة النهاية للجمهور من ناحية وللناشر من ناحية اخرى فتشابهت الكتب كما اسلفنا وبدلا من ان يعطى ناظم حكمت مثلا لعدة شعراء ليختاروا من اشعاره ما يناسب اذواقهم الشعرية وتبيان طريقته الشعرية وتميزه عن غيره من « شعراء المستقبل » بدلا من هذا كان الناشر يعطيه لشاعر او لناثر واحد (وهذا هو الاغلب) ـ ويعطيه مهلة قصيرة والنتيجة تجدونها فى دواوين هؤلاء الشعراء العظام المنشورة باللغة العربية • فالناس يتكلمون عنها اكثر مما يقرأونها ويعيدون قراءتها ويصعب حفظها •

● وحدة الشعر العالمى

لقد ظل الادب العالمى اقصد الشعر العالمى يحتفظ بالقوافى والايقاع والوزن والجرس • هذا نعرفه من قراءتنا الشخصية للعربية والانجليزية والروسية وكل شاعر يمكن معرفته فقط من مقطع واحد حتى لو لم يكن الاسم مكتوبا على القصيدة فكل له طابعه الخاص • وقد سمعت قصائد بالصينية والاسبانية والفرنسية والرومانية والالمانية وكان الوزن والجرس والايقاع والقوافى تحتل مكانها المرموق فيه • ولكن تنظيم هذه الاشعار قد يختلف من عصر لاخر ، ففى العربية نجد الشعر العمودى الذى يعتمد على وزن واحد وقافية واحدة متكررة ثم نجد بعدها تغير المعانى فى عصور النهضة مع الاحتفاظ بالقافية الموحدة ،ثم نجد الموشحات الاندلسية وفى العصر الحديث نجد شعر التفعيلة الذى يختلف نوعيا عما قبله ؛وظهر بعدها الشعر المنثور او قصيدة النثر • وتنظيم الشعر الاجنبى يضم الرباعيات والسونيتات والهايكو اليابانى وتنويعات عدة اخرى مثل قصيدة النثر ولكن اساس الاساس ظل هو شعر التفعيلية • المعتمد على الوزن والايقاع والجرس •

التشابه اذن كبير وكل ما يترجم نثرا يعتبر نتيجة للفهم الخاطىء والذى يعتقده الكثيرون ، اى ان الاشعار الاجنبية تختلف كلية عن الشعر العربى فى الوزن والموسيقى والايقاع والجرس • وليس هذا صحيحا كله فانا اغامر واقول ان الشعر العالمى متشابه كله لحد كبير وانطلق من ان اجهزة النطق عند جميع البشر متشابهة ومخارج الحروف متماثلة فى معظمها ، فهى الحلق واللسان واللهاة والاسنان الخ • مع بعض التركيز على بعض المخارج •

مثل الحروف الحلقية عند العرب والحروف اللينة عند الروس فهناك حروف كثيرة ثنائية فى الروسية يحمل بعضها علامة التخفيف ، وغير ذلك • كما ان طول الكلمات عند الجميع متقارب لحد كبير ، ثم ان طول الجمل يحكمه تنفس الانسان فلن تجد جملة طولها ثلاثة اسطر الا فيما ندر ، وحتى عندها فانت لا شكتجد دائما مناطق للوقف ملتقية

ترجمة الشعر الاجنبي حول الى اللغة العربية

لكى يأخذ الانسان انفاسه ليكمل الجملة حتى نهايتها ٠

كما ان الشعر الشعبى فى العالم بما فى ذلك العربى هو شعر منظوم مقفى ويعتمد احيانا على تكرار لوازم معينة ٠ وقد وجد الدكتور لويس عوض فى مرثية صلاح جاهين عن بيرم التونسى وزن الكامل الفصيح الحديث ، وتوجد دلائل كثيرة تربط الادب الشعبى بالفصيح ولكن هذا له مكان اخر ٠ اما اشعار روبرت بيرنز الشعبية فدليل اخر ٠ واذا اخذنا ترجمات فيتزجيرالد الرائعة لرباعيات الخيام وقراناها بلغتها الانجليزية لسقطت نظرية الشرق شرق والغرب غرب وان يلتقيا فوحدة الحضارة الانسانية ووحدة ادواتها الشعرية هى رابط قوى بين العالمين٠ ورباعيات الخيام ترجمت بجدارة وروعة للانجليزية ٠ وقد ترجمت شاعرة فاضلة سوناتة لشكسبير هكذا من ذا يقارن حسنك المغرى بصيف

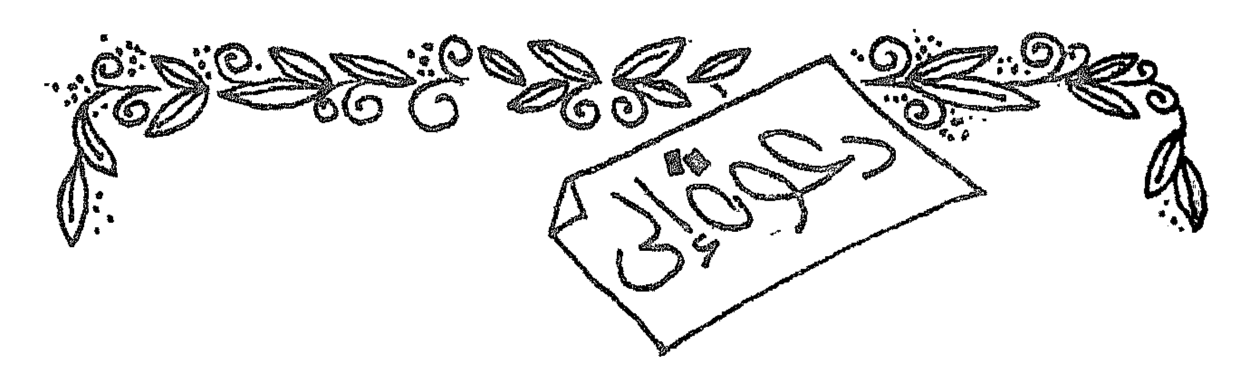
قد تجلى وفتون حسنك قد بدت فى ناظرى احلى واحلى تجنى الرياح على البراعم وهى جذلى الـ...

وتجيىء انباء جميلة من روسيا ففيها ظل الشعر الاجنبى يترجم شعرا لاكثر من قرنين ونصف منذ عهد جوكوفسكى وقد تأثر الكثيرون بجو الشرق كـ « النخلات الثلاث » لليرمنتوف وقصيدتى « النبى » لكل من بوشكين وليرمنتوف ٠ كما ظهرت ١٩٨٣ ترجمات المعلقات وشعر الخنساء قامت بها المستشرقة داليننينا وقد راعت فيها وحدة القافية فى كل المعلقات واختارت اوزانا مطابقة او مقاربة للاوزان العربية التى وجدت لها ١٣ معادلا وزنيا من الشعر الروسى ٠ أى ان الوزن العربى والروسى قد اصبحا اخوين فى السلاح يشقان الطريق لشعوبهما ويقربان الحضارة العالمية٠

ان الترجمات النثرية بدأت تأخذ مداها الكامل بعد الحرب العالمية الثانية وازدهرت فى الخمسينيات والستينيات وقد بدأت بداية نظرية خاطئة غير صحيحة لان منطلقها هو الانغلاق والزعم ان كل شعب له شعره الخاص الذى لا يشبه شعر غيره ٠

ان انصار القصيدة النثرية يدافعون عنها ويصفونها بانها قصيدة مفتوحة ويطالبون بهدم اللغة وبالحرية المطلقة فى التعامل مع التراث وان تخلق كل قصيدة قيمها بنفسها فكانها تصلح لجميع العصور والبلدان فهل سنجد شيئا نقومها به سوى القول بان هذه القصيدة « تعجبنى » او « لا تعجبنى » او انها « رائعة » او انها « عادية » ٠

اننى ادعو الشعراء العرب ان يمعنوا التفكير فى هذه المسألة الهامة وأن يقوموا هم انفسهم بترجمة ما احبوه من الشعر العالمى وان يترجموه شعرا وان يعتبروا ما ترجم حتى الان فى معظمه غير مرض ٠وان المترجمين الحقيقيين ما زالوا ينتظرون دورهم الشعرى وهو يتلخص كما قلنا فى اغناء الشعر العربى الاجنبى واحترام الشعراء الاجانب واكتشاف طرقهم فى التعبير حتى يجدوا نظيرها فى الشعر العربى وذلك لكى تصبح القصيدة الاجنبية عضوا حيا فى نسيج الشعر العربى المعاصر ، وتزوده بدم جديد فى كل المجالات الخاصة بالشعر ٠



هذه الندوة الشعرية



على الصفحات التالية سبع قصائد من الشعر الموزون المقفى والشعر التفعيلى ، تتجاور بلا تنازع ولا تضارب بين مذاهب الشعر ومدارسه ، فقد هدأت تلك الضجة الشكلية التى فرقت منذ من بين المبدعين من الشعراء فى المذهبين : الجديد والتليد ، وصارت القاعدة فى النظر إلى شعر هى الأثر الفنى والوجدانى الذى يجده القارىء فى الشعر حين يقرؤه أو يسمعه ، مصداقا قول أحمد شوقى أمير الشعراء :

الشعر فى حيث النفوس تلذه

لا فى الجديد ولا القديم العادى

يقصد شوقى بالشعر "العادى" الشعر الذى يضرب فى الزمن القديم إلى عهد "عاد وثمود" .. لو عثرنا الآن على شعر من ذلك الزمن وتذوقناه وأحببناه لكان بمثابة الجديد الذى لم يعتوره لبلى ، لأن الجديد فى الشعر والفن هو ماتستطيع الأجيال المتعاقبة أن تحبه وتتذوقه ..

وهذه القصائد السبع ليست معلقات كالقصائد السبع القديمة "المعلقات" .. وإنما هى نشورة هنا كما ينشر الشعر فى زماننا الذى لا يعرف تعليق الشعر على الأستار .. وقد اجتمعت ذه القصائد فى هذه المناسبة بغير اتفاق ، ولكن بهدف مقصود ، هو مخاطبة قارىء الشعر لمصرى والعربى فى زماننا ، ومحاولة التأثير فى وجدانه أجمل الأثر كما كان شأن الشعر دائما ع قارئه وسامعه منذ عرفت مصر الشاعرة أبناءها الشعراء المجيدين ..

والشعراء السبعة الذين اجتمعوا بشعرهم هنا يدعونك - عزيزى القارىء - إلى هذه الندوة تى يقدمها إليك الهلال :

دعوة إلى
هذه الندوة الشعرية

عاشق الأرض

شعر: محيى الديـن عطية

تُـرى هـل لآمـال الجـدود بــواعـثُ
وهـل عنـدنـا مـازال حـرثٌ وحـارثُ
وهـل عـاشق الثُّـوار مـا انفكَّ قـائمـاً
على عهـده ، يـرعـاه أمْ هـو نـاكثُ
وهـل خضـرة العينيـن مـرآة زرعنـا
أم الـزرع مهجـورٌ ، وحـاميـه عـابثُ
لَـكِ اللـه يـاأمّـاه كـم من طحـالـبٍ
إذا مـا ارتوت تـأتيكِ منهـا الخبائثُ

لَـكِ اللـه يـاأمّـاه كم عـاقٍ مضيَّـعٍ
يجـوب الفيـافى سـائِلًا وهـو لاهثُ
ألـم يـكُ يـدرى أن حضـنـك واسـعٌ
لمن ضـاق عنـه الـرزق أيـان يبحثُ
وأنَّ جنـاك الحلـو يـدنـو لطـالـبٍ
سـعى سـعيـه ، لكن رمتـه الحـوادثُ
وأنَّ بسـاط التـرب يـؤوى رفيقـهُ
شهيـداً ، ومن يكتـب لـه العيش وارثُ
وأنَّ ضيـاع الـرُّشـد مـذ راح أهلـهُ
ضحـايا لـوهمٍ بـات فى العقـل ينفثُ
وأنَّ غثـاء السَّيـلِ مـهمـا عـلا بـه
هبـاء ، لأنَّ الخيـر فـى الأرض يمكـثُ

النهر

شعر: ماجده بركه

النهر
هذا المخلوق الخالـــق
هذا المعشوق العاشـــق
كون مغلق ، لكن معطاء ..
فيض بالمـــــاء
فيض بالبوح بمغزى التاريخ المطوىّ
فيض اللألاء الحى

النهر
هـــذا الصـــدر الواســـــع
يحمل فى حدبٍ قلب الأرض
يهدهده بحنانً
يلقى أمواجاً وادعة
تتقلب فى قلق عذب
تتراشق بالألوان

النهر
يسرى فى ذات الكون
بالطمـــى
هذا الحمأ المسنون
أصـــل الإنســـــان
تربـة هـذا الكـون المحـمـوم
بجموع الأبنية وطوفان الناس
تـربـة هـذا القفـر المهجور
الا مـن بعـض فلول الرهبان

النهر
صخب الواقع وخفوت السحر



ينساب بخضرة عين الجنيه
بزهرة لوتس منسيه
نائمةٍ فى طرف الضفة
ويوجه سير الدفة
تحمل اوزوريس بخفة
ليعلم مصر الزرع ، القلع ، ويُعلى فى البنيان
ويعلمها حصد الخير
وغرس الحكمة
ويعلمها أن الصبر المحسوب
إلف الثورة
فيقول :
"وكما يعتنق النهر الوادى فليعتنق الفعل الكلمة"
ويظل النهر على الأزمان
يسرى فى الكون ، وفى الإنسان
ينبع من كلمة كن . ليصب بكلمة كان ،

هل تعلمين ياحبيبتى

شعر: محمد أحمد الغرياوى

هل تعلمين ياهديل
أنَّ الفراق مستحيل
دربٌ من الجنون أن أغيب عنك ثانيه
أرجوك ياحبيبتى أن تغفرى حماقتى
فلن أعود للرحيل
قلبان مرهفان مولعان باللقاء ياأميرتى

تعانقا تحت النسيم فى مسائه العليل
وأرْخت العيون سدْلها
وصفّــق النخيــلَ
وجئـت ياأميرتــى
عيناك شاطئان موغلان فى بحر الجمال والهوى
وجفنك المتوَّج الكحيل
محاربٌ أصيلٌ
"ڤينوس" ياحبيبتى قد احتوت منابع الجمال منذ
ألف ألف عام
وحين جئت ياأميرتى أهدتْ إلى عيونك الزمام
خدَّاك أحمران ياحبيبتى
تفاحتان جاءتا من بابل المعلّقة
هل تسمحين لى بزنبقة
أنا أسير ساعديك ياصغيرتى
فأنت راحتى ،
وأنت فرحتى
وأمّى التى مضت أنت أمتدادها ،
أرى فى وجهك الرقيق طُهْر وجهها
وفى شفاهك ابتسام ثغرها
وفى عيونك المدلَّلة
أشمُّ عطرها
«هذيلُ» ياحبيبتى
يفوح من عيونك الربيع
وفوق نهرك الرقيق ياصغيرتى
يطفو شراع رحلتى
فأنت ياأميرتى
ملاكنا الوديع



إلى غاضبة

شعر: عبد المنعم الأنصاري

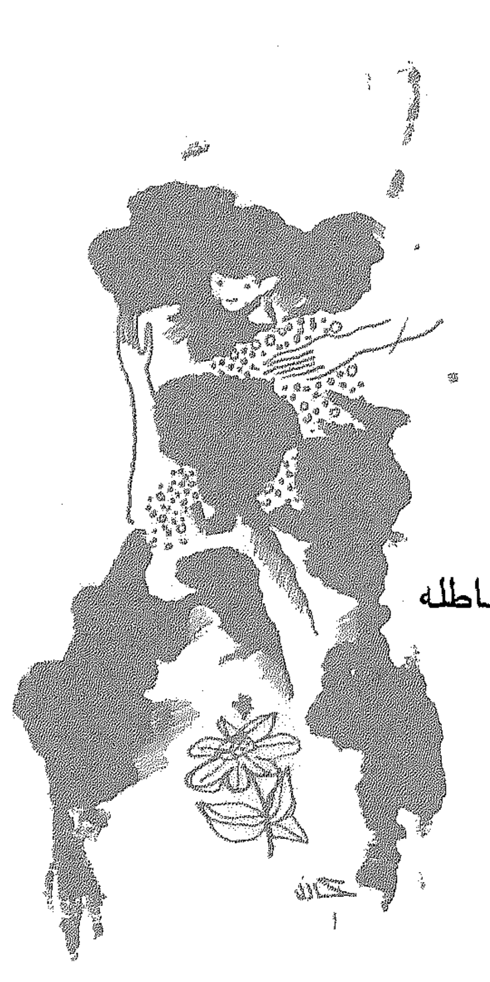


مابالُكِ ثغرك .. لا يفتر
للقائى ياحبى الأكبرْ
أو حقا أنك غاضبة
منى وذنوبى لن تغفرْ
وأشعتِ بانك لا تنوين
العودة للعش الأخضر
الا لو جئتك .. ثم ركعت
وصلى دمعى .. واستغفرْ
وانا اخفيت دموع الشعر
فهل غاضبتِ لكى تظهر ؟
من أخفى الحقد ومن أظهر
من غيرك لى منهم يثأرْ
بوقوفكِ فى وجه الأعدا
ء بقربك من قلبى اكثرْ
بالعودة للعش الخالى
للروض الموشك أن يصفرّ
فبربك كيف تحوم الطير
عليه وتشدو لو اقفرْ
أو ران الصمت على الآفاق
وذاك هو الاثم الاكبرْ

لقاء..

شعر: فولاذ عبد الله الأنور

قلتُ لها ،
والشمس توهن الخيوط في أريكة المقابلة
- مابيننا ، أنا وأنت ، خَرِبٌ ،
وحبنا ، من قبل أن نولدَ ، سيءٌ ،
ورحلتي - للرافدين - مثل رحلتي إليك قاتله
ينغلق البرُّ ،
وتنفق النياق في الرمال ،
تجفل القوافل المحمَّلة
دون ملاقاة الرشيدْ .
فهذه الأرض التي كانت حدودها
من مفرق الهند إلى رأس طُلَيْطِلةْ
تمزَّقتْ ، وسقطتْ دويلةٌ دويله
وبعضها - كحبنا - يأكله البعض ،
وكلما تقاربت تنهض بينها السدود
كحبنا من قبل أن نولد ماتْ
تقطعتْ مابيننا وشائج الصله
فاتهمتني بالمناورات والمداورات والمماطله
وأرجعت حديثها عن عودتي بالأمنيات
وخاتم الخطبة والزيارة المؤجله
والسكن السعيدْ
فارتفعت في رئتيَّ المقصله
وجلجلت في أذني قهقهةُ الحدود
وانتهت المقابله



دعوة إلى هذه الندوة الشعرية

تجوال في المدينة

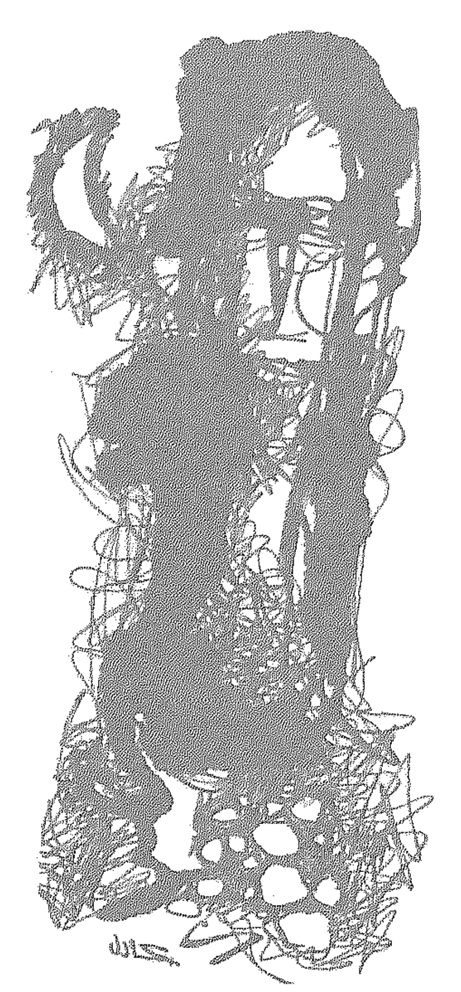
شعر
علي منصور

في المقهى ..
جلس يحدق في كوب الماء ،
وفي أبخرة الشايْ .
هل كان الحزن أناساً ،
والقبح شوارع
والوطن رسوماً وأغاني
حطت عيناه على نهد امرأة عارية فوق الجدران
والبائع حط على المائدة صحيفة ،
ماسح أحذية أخذ القدم اليمنى فوق الصندوقْ
والنادل أطلق صوتا مشروخاً ..
واصطفقت كفانْ
والعينان على نهد امرأة عارية فوق الجدران
دق الماسح ، لم تتبدل
فوق الصندوق القدمانْ
كانت وأجهة (السينما) تلهث شبقا ،
والمطعم مكتظا بالأيدى
الممدودة كالديدان
دق الماسح ثانية ..
لف الأشياء ،
وقام يفتش فوق الحائط لافتة الإعلان !!

● ● ●

في الطرقات توقف ،
بعثر بعض الوقت أمام "الفاترينات" وغمغم
- ياقحط الألوان
برزت من بين أصابعه وردة

دخلت فى الظل ،
اختبأت
خرجت للضوء ، اشتعلت ، وانشق الميدان
ولدٌ برىٌّ يعدو ، يدخل فى حقل الوجع
ويخرج من حقل الحنطة .
أمسكه العسس
وقالوا : هذا الولد يكلم حارات وأزقة
ينطقها ، قد كانت لا تنطق
ويعبئها بأغانى الغضب المنشقة
هذا الولد يجىء بهلوسة وقصائد
من قول الأشجار المهمومة
فى جعبته كتب مسمومة
ويردد أشعار الليل الغجرية ،
يزعجنا
ويهز البيت ونحن نيامْ
هذا الولد رأيناه يخط بحذر فوق الجدران
يرسم وقتا ،
وهلالاً ،
وبيانْ .
وسمعناه يقول : الوقت صديقى
والأشياء تصافحنى
وتسر إلىّ بأسرار الغليانْ
هذا الولد المسرف فى الهذيان
إما أن يصمت أو ...
كان المخبر ـ بائع لب وسجائر ـ يتمشى ..
يتصاعد من بين أصابعه ..
خيط دخان !!





السيد

شعر : أحمد فضل شبلول

قبَّانيا كان
يعشق أمواج البركان
فى قلب عروق يديه تعيش "الوطنيه"
ويغنى التاريخ
قام "الأنفوشى" من رقدته
يستقبل هذا اليتم القادم
قضبان "ترام البلدة" تسترجع خطوته اليومية
والموجة فوق شواطىء مرسيليا
ونوافذ قصر "الإليزيه"

●

يمشى فوق النيران
ويصاحب نجماً لم يتساقط حتى الآن
قبانيا كان
يزن "الحملة" ،
وضمير الحكام
يزن الشمس بداخل قلعة قايتباى
يبنى من صدر الحرية
قلعة أحلام للمصريين
ينسج من أسوار مدينتنا

ثوبا للثوار

وأبناء البحر

●

فى ليلة آحزان أبى قير
فتحتْ "أوريان"
أقفاص المنفى
فاشتعلت أمواج الشطآن
أعتقلوا أشجار الكافور
وأحجار "الكورنيش"
وزهرة عباد الشمس
وحبات الرمل الباكية
أقاموا الحد على كل مسافة عشقٍ
بين قلوب الشعب
وبين "السيد"
بين عيون العاصفة
وعين "محمد"
نسفوا كلَّ تراب
يخطو فوق خريطته
قالوا : "الفدْيه" ...
لم نَفْدِ الخطوات القادمة الى الإعدام
لكن أطلقنا الأسماء على الشارع ،
والمسجد ،
والمدرسة ،
وهذا التمثال
وجلسنا نبكى بعض الوقت
ثم ..
نسينا .



بقلم : د. أحمد أبو زيد



ويرى بعض المؤلفين أو سماع هذه القصة ، التى تكشف عن عجز الأب ، أنها كانت البداية التى أدت الى تخلص زيجموند فرويد مما يعرف باسم (وهم الأب) ، فقد اهتزت صورة ياكوب فرويد فى نظر ابنه منذ ذلك الحين ، وبدأت تراوده بعض الأخيلة والتصورات حول (بديل للأب) يكون أقل عجزا وأكثر قدرة وايجابية على العمل لدفع الأذى ورد الإهانة .

كذلك كانت هذه القصة هى البداية لانشغال فكر فرويد بمشكلات اليهود وما يعانونه من مذلة واضطهاد وتفرقة وتمييز ، والتفكير بالتالى فى السبيل الى خلاصهم من ذلك الوضع المزرى بدلا من الاستسلام أو الإذعان الذى تمثل بأجلى

حين كان فى الثانية عشرة من عمره ، خرج زيجموند فرويد ذات يوم للتنزه مع أبيه ياكوب فرويد في شوارع فيينا ، وأراد الأب أن يبين لابنه كيف تحسنت أحوال اليهود في النمسا وأصبحت أوضاعهم أفضل مما كانت عليه

منذ وقت غير بعيد . فذكر له أنه حين كان يعمل منذ سنوات قليلة بائعا متجولا في تجارة الصوف كان يرتدى (قفطانا) كغيره من اليهود حينذاك . وحدث ذات مرة بينما كان يسير في أحد شوارع المدينة التي كان يعيش فيها ، وقد وضع فوق رأسه قلنسوة جديدة من الفراء ، أن تقدم منه رجل مسيحى فاطاح بالقلنسوة من فوق رأسه والقى بها فى البالوعة على جانب الطريق وهو يصيح به : « انزل من على الرصيف ، يا يهودى » .

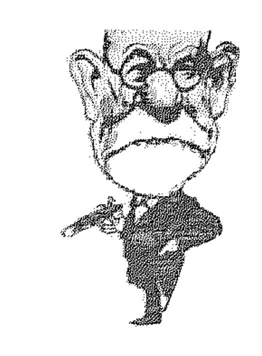
وصعق الابن لسماعه هذه القصة وسأل اباه في استنكار عما فعل إزاء هذه الإهانة .

أجاب الأب ببساطة : « لقد نزلت إلى البالوعة والتقطت القلنسوة » .

صورة فى سلوك الأب . بل أن هذه الحكاية كانت - مع بعض الظروف والأحداث الأخرى - وراء احساس فرويد طيلة الوقت بيهوديته وإدراكه الأبعاد الحقيقية لهذه (اليهودية) رغم كل ماكان يتظاهر به عكس ذلك ، ورغم إنكاره لوجود الله وعدم إيمانه باليوم الآخر ، كما تدخلت كل هذه العوامل فى تحديد موقفه من الحياة ورؤيته نفسه كيهودى فى مجتمع يجاهر بالعداء للسامية ، بل أنها أثرت فى تشكيل نظرته أيضا إلى التحليل النفسى ، كما كانت تكمن وراء تحليله لذاته هو نفسه .

ولم يكن وضع اليهود فى فيينا فى القرن التاسع عشر وضعا مريحا على الإطلاق . فقد كان هناك شعور عام قوى وجارف بالعداء لليهود يسود كل أنحاء النمسا والمجر ، وكثيرا ماكانت تقوم تظاهرات عنيفة ضدهم كما هو الحال مثلا فى تظاهرات براج الشهيرة عام ١٨٩٧ ، وقد أدى ذلك الشعور العدائى الى تراجع وانحسار الاتجاهات الليبرالية التى كانت تدعو الى ضرورة تمثيل اليهود وامتصاصهم واندماجهم فى المجتمع . وكان كثير من المثقفين اليهود أنفسهم فى فيينا وغيرها يؤيدون ذلك الاتجاه على اعتبار أنه خير. وسيلة لحل مشكلتهم والقضاء على النزعات المضادة للسامية .

ومن ناحية أخرى ، كانت مجالات العمل المتاح لليهود فى فيينا مقصورة





على أربعة فقط هى القانون والطب والصناعة والتجارة . ولم تكن هذه المجالات تخلو مع ذلك من التمييز والتفرقة والمضايقات ضد اليهود ، وإن كان ذلك لم يمنعهم من أن يحققوا فيها كلها كثيرا من النجاح . ولم يكن فرويد يميل الى اى من هذه المجالات الأربعة لأنها لاتتفق مع قدراته وملكاته . ولكنه اختار الطب ليس حبا فيه ، أو لانه وسيلة للتخفيف عن آلام الآخرين وانما لأنه مدخل جيد لاكتشاف الطبيعة الانسانية . وقد دفعته رغبته فى هذه المعرفة الى الاهتمام أثناء الدراسة فى الجامعة ببعض العلوم والدراسات والتخصصات الأخرى مثل الفلسفة والفسيولوجيا .

ولقد كان من الطبيعى أن يشعر فرويد تحت هذه الظروف والاوضاع بالقلق والتوتر والشك . وتكشف بعض خطاباته الى صديقه الحميم « ڤيلهلم فليس » Fliess عن ذلك . إذ كثيرا ماكان يتساءل فى تلك الخطابات عما سيكون عليه أمره ومستقبل أولاده الذين لايستطيع أن يوفر لهم وطنا يشعرون بالانتماء الحقيقى له

بل انه عبر عن هذه الشكوك صراحة لأحد الأساتذة الفرنسيين حين ذهب الى باريس عام ١٨٨٥ وهو فى التاسعة والعشرين من عمره للدراسة على عالم الأعصاب الفرنسى الشهير « جان مارتان شاركوه » Charcot . فقد قال لذلك الأستاذ انه من حيث هو يهودى فانه لايعتبر نفسه نمساويا ولا آلمانيا .

وقد دفعه ذلك القلق والتوتر والشعور بعدم الأمان وادراكه لحقيقة معنى (اليهودية) واحساسه بعداء العالم الخارجى لليهود ومضايقات زملاء المهنة الى الانضمام الى جماعة بناى بريث (المأوى اليهودى) التى تطالب بحقوق اليهود ، وذلك على أمل أن يجد فيها شيئا من الاطمئنان الذى يفتقده فى المجتمع من حوله . وقد انعكس ذلك كله فى كتاباته وأثر فى تحديد مواقفه من بعض القضايا الهامة .

إنما كانت هناك الى جانب ذلك بعض الامور الأخرى التى مر بها فى طفولته وتركت آثرها القوى فى شخصيته وتفكيره . كما وجهت بعض نظرياته ولو بشكل جزئى .

كانت هناك أولا علاقته القوية الحميمة بأمه منذ الطفولة . وقد انفرد فرويد بحب أمه قبل مجيىء آخيه الصغير يوليوس . وفرويد يعترف بانه بعد مولد آخيه كانت تراوده بعض الأفكار والخواطر والرغبات الشريرة نحوه . وقد مات يوليوس بعد ثمانية آشهر فقط من ولادته ، وتصور فرويد أن هذه الوفاة جاءت نتيجة لتلك الرغبات والأفكار والخواطر مما جعله يشعر بعذاب الضمير طيلة حياته . وهذا الحادث يمثل بشكل واضح الصراع المبكر داخل العائلة بين الوالدين والأطفال ، وهو آحد الموضوعات المهمة التى آعطاها فرويد كثيرا من العناية فيما بعد .

وكانت هناك ثانيا احساسات فرويد الجنسية نحو أمه أيضا ، وقد تيقظت هذه الاحساسات فيه منذ الطفولة ، إذ لم تكن أمه تجد حرجا فى أن تتعرى تماما أمامه

من حين لآخر . وقد انعكس ذلك فى نظريته الشهيرة عن عقدة أوديب . وزاد من قوة هذه الاحساسات الجنسية المبكرة وعمقها ماكان يلحظه احيانا من تبادل المغازلات الخفية الخاطفة بين أمه وأخيه من أبيه ، والظاهر أن الأب لم يكن غافلا تماما عما يحدث وأنه كان يشعر لذلك بالغيرة من ابنه (من زوجته الأولى) . كذلك اكتسب فرويد بعض الخبرات الجنسية الأخرى فى تلك السن المبكرة من احدى مربياته ثم من خلواته ومداعباته مع ابنة أخيه .

ولكن ذكرى تلك الحادثة التى حكاها له أبوه ظلت فيما يبدو عالقة فى ذهنه ومتسلطة على تفكيره وتثير فى نفسه كثيرا من التخيلات والأفكار عن البديل عن الأب بحيث يكون أقل استخذاء من أبيه الحقيقى وأكثر منه قوة حتى يستطيع فرويد أن يتوحد معه ويندمج فى شخصيته . وكانت له بعض مآخذ أخرى على تصرفات أبيه وسلوكه مثل زيجاته المتكررة فقد هجر الأب زوجته الأولى - أم ابنه الأكبر فيليب - واتخذ لنفسه زوجة ثانية اسمها « ربيكا » قبل أن يتزوج من أماليا أم زيجموند . كذلك كان هناك فشل الأب واخفاقه فى تجارته وعدم قدرته على الصمود أمام هذه الأزمة مما دفعه الى أن يترك فرايبرج التى كان يعمل بها اصلا والتى ولد فيها زيجموند نفسه ويتجه الى فيينا . وكان عمر زيجموند ثلاث سنوات فى ذلك الحين . وعاشت العائلة فى فيينا عيشة الفقر والعوز ولاقت كثيرا من المتاعب والحرمان ، وقد حملته تخيلاته فى محاولة العثور على الأب البديل الى ان يتوحد مع الملك القائد السامى الشهير هانيبال الذى حارب الرومان وانتقم منهم لاضطهادهم اليهود وإساءة معاملتهم .

بيد أن الأوضاع الواقعية فى النمسا وضعف اليهود أمام الحركات المعادية للسامية كانت تكشف عن مدى تهافت هذا التخيل والتوحد مع هانيبال وعدم جدواه ، فلم يكن باستطاعة اليهود أن يتخلصوا من هذا الواقع المزرى المهين بأن يثأروا لأنفسهم عن طريق الحرب . وهذا ينطبق من باب أولى على زيجموند فرويد نفسه ، خاصة أن موقف أبيه المتخاذل كان لايزال ماثلا أمامه كنموذج حى له مغزاه ودلالته ويتصل به هو شخصيا اتصالا مباشرا . وكان لابد له من أن ينزل عن هذا التخيل وأن يتراجع عن فكرة خلاص اليهود عن طريق العنف . وانضمام فرويد لجماعة بناى بريث رمز على ذلك التراجع والانكماش .. فقد كانت الجمعية بالنسبة له نوعا من الملجأ أو المهرب الرمزى الذى يمكنه أن يأوى اليه ويحتمى به من اضطهاد العالم المسيحى من حوله وازدرائه لبنى جنسه ، وهكذا تقبل زيجموند فرويد الواقع مثلما فعل ابوه « ياكوب » من قبل . وكان مظهر هذا التقبل هو الصمت والتحاشى ، ولكن كان تقبلا ظاهريا يخفى تحته الرفض والانكار .

ومن طريف مايحكى فى هذا الصدد - على ما يقول الأستاذ ميكائيل ايجناتييف - أن فرويد رأى نفسه فى أحد أحلامه « فى نوفمبر عام ١٨٩٦ فى صالون حلاقة يوم تشييع جنازة أبيه ، وأنه رأى فى الصالون لافتة كتب عليها (الرجا اغلاق عينيك) ولكنه حين تذكر هذا الحلم فى كتابه الشهير « تفسير الأحلام » الذى ظهر عام ١٩٠٠ قال : ان العبارة على اللافتة كانت



زيجموند فرويد اليهودى

تقول (نرجو أن تغمض عينك) أى عينا واحدة فقط وليس كلتا العينين ، ويذهب بعض الدارسين الى أن ذكر العبارة على هذا النحو فيه اشارة واضحة من « ياكوب » يطلب فيها من ابنه ان (يتغاضى) عن كثير مما قد يحدث له هو شخصيا وأن ينسى موقف أبيه من ذلك النمساوى المسيحى الذى كان قد ألقى بغطاء رأسه فى البالوعة ، وأن يتغافل أيضا عن كل المآخذ الأخرى التى يأخذها عليه بما فيها تأثيره الجنسى عليه وتعدد زيجاته . بل ان هناك من العلماء من يرى أن نظرية عقدة أوديب كانت مجرد ستار يستطيع فرويد أن يستخدمه كأداة يمنع بها نفسه من أن يتذكر أى شىء يتعلق باتجاهات أبيه الجنسية . وهذا كله يرمز فى آخر الأمر الى تراجع فرويد عن شخصية هانيبال القوى المنتقم ، واستسلامه للأمر الواقع وتسليمه به .

ولكن اذا كان الخلاص عن طريق القوة والعنف أمرا غير ميسور فان فى الامكان دائما الالتفاف حول الأوضاع والظروف المعادية والمناوئة ، واتخاذ أساليب ووسائل أخرى تحقق الغاية ذاتها والأسلوب الأمثل لذلك هو الاندماج عن طريق اقناع المجتمع بأهمية الدور الذى يلعبه اليهود فى الحياة ، وبالتالى ضرورة تقبلهم باعتبارهم عنصرا أساسيا وهاما فى تكوين ذلك المجتمع . والمثال الذى يمكن احتذاؤه فى ذلك هو يوسف عليه السلام . فقد كانت شخصيته مخالفة بل ومناقضة تماما لشخصية هانيبال ، كما أن استجابته اليهودية الرمزية ازاء العداء للسامية كانت مختلفة كل الاختلاف عن استجابة هانيبال وقد أمكن ليوسف أن يحتل مكانة عالية فى بلاط فرعون مصر وأن يسيطر على أقدار المجتمع المصرى القديم اقتصاديا بما أمتاز به من علم وحكمة استطاع بهما انقاذ شعب مصر من المجاعة فى السنوات السبع العجاف .

ولقد سيطرت قصة يوسف عليه السلام وتفسيره حلم فرعون على فكر فرويد وظهر ذلك فى اهتمامه هو نفسه بتفسير الأحلام كأداة فعالة فى التحليل النفسى وعلاج مرضاه من خلال أحلامهم ، وليس من قبيل المصادفة إذن أن يكون كتاب « تفسير الأحلام » هو العمل الرئيسى الذى ارتبط به اسم فرويد أكثر من كتبه وأعماله الأخرى ، وأن يجلب له ذلك الكتاب بالذات شهرة واسعة ليس فى النمسا أو أوربا فحسب وانما فى العالم أجمع . وقد ظهر الكتاب عام ١٩٠٠ ، أى بعد ثلاث سنوات فقط من تظاهرات براج المعادية للسامية وتولى كارل لويجر الذى اشتهر بعدائه الشديد لليهود ومناهضته لهم منصب عمودية فيينا .

ولكن على الرغم من كل ماحققه فرويد من شهرة واسعة ومكانة عالية عن طريق العلم وتفسير الأحلام ، فان ازدياد الأضطهاد لليهود واتساع نطاق الحركات المناوئة للسامية ، وبخاصة بعد مجيىء النازى الى النمسا . أطاحا بكل أمل فى امكان تحقيق ذلك الاندماج المنشود . وهكذا فشل (مشروع) فرويد فى التوحد مع يوسف ، مثلما فشل مشروعه للتوحد مع هانيبال . وبدا أن الطريق الثالث والأخير ـ بل والوحيد ـ أمامه وأمام اليهود

هو الهروب أو الخروج ، وهو طريق موسى عليه السلام . وبذلك فرضت شخصية موسى نفسها على فرويد كبديل يمكن عن طريقه انقاذ اليهود وتخليصهم من تلك الأوضاع الشائنة المزرية التى كانت تحيط بهم فى دول وسط أوربا .

وربما كان فرويد يأمل فى آن يتحقق ذات يوم حلم هرتسل والصهيونية وذلك رغم أنه كان يدرك مايتطوى عليه ذلك الحلم من مخاطر . ولكن الملاحظ أنه هو نفسه لم يترك فيينا نهائيا ويذهب الى انجلترا الا حين لم يكن ثمة مفر من ذلك ، كما أنه لم يعش حتى يرى قيام دولة اسرائيل على أرض فلسطين العربية وعلى أشلاء الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين . وقد شهدت هذه الفترة الأخيرة من حياته انشغاله بتأليف كتابه عن « موسى والتوحيد » الذى ظهر بعد وفاته ، وهو كتاب يميل معظم الدارسين اليهود الى اغفاله حين يكتبون عن فرويد ، ربما لأنه حاول أن يبرهن فيه على أن موسى عليه السلام كان مصريا ولم يكن يهوديا . وقد أثارت هذه المحاولة كثيرا من الدهشة والاستغراب بل والاستنكار لأنها تحمل بين ثناياها . ادانة لليهود وشهادة ضدهم وضد نفسه رغم يهوديته . ولكن يجب ألا ننسى أنه كتب ذلك الكتاب عام ١٩٣٨ فى وقت كانت ابنته « أنا فرويد » ـ التى أصبحت فيما بعد من أشهر علماء النفس والتحليل النفسى ـ مضطرة الى ان تمضى من حين لآخر ـ على الرغم منها ـ بعض الوقت فى (ضيافة) الجستابو . مما كان يشعره بالذلة والهوان . وعلى أى حال فان كتاب « موسى والتوحيد » يكشف عن مدى الأضطراب والقلق والتوتر والتمزق الداخلى الذى كان يعانى منه فرويد رغم مظهره الخارجى المتماسك .

وحين مات زيجموند فرويد فى الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٣٩ لم يجد الشاعر البريطانى الأمريكى الشهير أودن Auden أبلغ من أن يقول فيه وهو يرثيه .

« لقد مات فى المنفى يهودى كبير
ولم يعد بالنسبة لنا مجرد شخص كغيره من الناس
وانما أصبح الآن عالماً كاملا من الأراء والأفكار »

وقد انتشرت هذه الأراء والأفكار انتشارا واسعا منذ وفاته فى المحافل والأوساط العلمية ، كما أصبح كثير من المصطلحات العلمية التى استخدمها فى كتاباته تتردد الآن بكثرة فى الحياة اليومية العادية .

ولكن كثيرا من هذه الأراء والأفكار ذاتها يتعرض الآن للنقد والهجوم والتشكيك كما تتعرض حياة فرويد الخاصة وشخصيته للسخرية والتجريح وبخاصة بعد أن تكشفت بعض الأسرار التى كان يحتفظ بها لنفسه ويخفيها عن الآخرين مثل علاقته بأخت زوجته ... ولكن الذى يهمنا هنا هو أن دراسة تفاصيل حياة العلماء والمفكرين وتتبع الأحداث التى مرت بهم والتى تبدو لأول وهلة أحداثا صغيرة وعابرة وتافهة وكذلك التغلغل فى خبايا نفوسهم خليقة كلها بأن تلقى أضواء جديدة على تلك الأراء والأفكار وأن تبين لنا الى أى حد تتأثر نظرياتهم بحياتهم الخاصة ، وأن دعوى الموضوعية فى العلوم الانسانية والاجتماعية تحتاج الى المراجعة واعادة النظر .

الديمقراطية والهرم المنقوص!

بقلم : مصطفى نبيل

عندما كنت طالبا أدرس العلوم السياسية منذ مايزيد على ربع قرن .. ألقى الدكتور حامد ربيع محاضرة موضوعها الديمقراطية ، مازلت أذكر بعض ماجاء فيها ، وخاصة الجانب الذى يقول فيه ... « ان الديمقراطية مثل الهرم تقف على قمته السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية ، ثم تأتى بعد القمة الأحزاب السياسية والنقابات والمؤسسات المختلفة . أما قاعدة الهرم فهى المحليات والتعاونيات والجمعيات » ..

ومن يومها ، تدور البحوث والدراسات حول قمة الهرم ، وتتجاهل قاعدته ، وهو نوع من الهروب الى الأمام !

قفزت الى ذهنى هذه القضية ، عندما أخذت أتابع المناقشات التى تدور هذه الأيام ، حول النقد والتشخيص ، وتنحسر على صخور اليأس ، وتتجنب الحلول ، ومايجب أن يقوم به صاحب الرأى فى ظل الديمقراطية .

فالديمقراطية تهدف الى انهاء الخصومة بين القول والفعل .. ففى ظلها يصبح العمل مسئولية الجميع ، والدولة لاتهيمن على جميع الأنشطة

الاجتماعية ، مما يتيح الفرصة لصاحب الرأى أن يحقق مايؤمن به ، بما توفره من تعدد الأطر والأبنية التنظيمية .

والديمقراطية ليست وصفة سحرية ، تحل المشكلات ، وتتخطى العقبات تلقائيا ، بل هى رحلة طويلة شاقة .

فلا ديمقراطية مع الأمية ، ولا ديمقراطية بدون مؤسسات مستقلة ، ولا ديمقراطية بدون نظام تعليمى يسلح أبناء المجتمع بالقدرة على اقتسام الثروة والسلطة ، ويجعل المنافسة عادلة بين أبناء المجتمع الواحد .

وما قيمة الديمقراطية التى لاتزود الشعب بقسط وافر من الثقافة العامة ، ولا تسلحه بالوعى والقدرة على التمييز في شئون بلاده !

وما معنى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ، إذا لم يقدر على إقامة تنظيماته فى أبسط صورها ؟ ..

فالديمقراطية مظلة نظام يقوم على رأى عام يقظ ، وعلى مؤسسات مستقلة وعلى الشرعية القانونية .

وأهم ماتقدمه الديمقراطية ، **امكان اعادة بناء المجتمع** على أساس المساواة والفرص المتكافئة ، وعلى أساس الحوار الحر ، فحرية الرأى وفتح الباب لتعدد الفكر هو المخرج ، وهو صمام الأمان .

فالفكر الحر هو القادر على تفسير وتخطى الفجوة الكبيرة بين مانرغب فيه ومانقدر عليه .

فإذا كان البناء الديمقراطى يشبه الهرم ، تقوم قاعدته على المحليات والتعاونيات وجمعيات المنفعة العامة ..

وإذا كانت الأحزاب السياسية هى الصورة المعروفة للنظام الديمقراطى ، إلا أنها لاتحول دون قيام بؤر مشعة أو غدد منشطة . أو مدارس فكرية ، تبعث الحياة فى خلايا المجتمع كله ، وفى النظام الحزبى ذاته .

وكلامنا هنا ... عن تلك المساحة الواسعة المتاحة لكل صاحب رأى ، ولكل من لديه القدرة على العطاء لمجتمعه ، من أجل إعادة صياغة حياة أبنائه ، وتنشيط خلاياه ، وجعل مستقبل الوطن مرهونا بإرادة وقدرة أبنائه ، وهذه المساحة هى جوهر النظام الديمقراطى ، بما يتيحه لأى فرد أو مجموعة أفراد ، لديهم الإيمان العميق بفكره ، ولديهم الاصرار على تحقيقها . ويملكون الخيال والقدرة على الابداع والابتكار ، ولا تنقصهم روح الريادة ، وتقدم الديمقراطية لهؤلاء فرصة التبشير بفكرتهم ، يكسبون لها المؤيدين والمساندين ، ويسعون بعدها لامتلاك وسائل تحقيقها ، دون انتظار لأحد أو

لجهة ، وأن يشغلهم لا الفكرة وحدها ، بل طرق تنفيذها ، وأى من الأطر والهياكل تصلح لها .

فما الذى يمنع ـ فى ظل النظام الديمقراطى ـ من إقامة تجمع حول أهداف اجتماعية أو ثقافية أو فنية ، سواء فى أطر قائمة أو فى أبنية تنظيمية جديدة .

لقد حان الوقت لكى تجد الأفكار والمبادرات طريقها الى أرض الواقع ، ولم يعد يكفى أصحاب الأفكار ، الاكتفاء بالثرثرة بكلمات النقد أو التشخيص ، والاكتفاء بالجلوس فى مقاعد المتفرجين ، وكأنهم يشاهدون مسرحية لاتعنيهم ، إذا كانت الفرصة متاحة لربط الأفكار بوسائل تحقيقها ، فتكتمل الفكرة بطريقة تنفيذها ، وبالهياكل التى يمكن ابتكارها .

فما الذى يحول دون إقامة تجمع لحماية المستهلك مثلا ، كتلك الجمعية التى أقامها رالف نادر فى الولايات المتحدة لمواجهة الاحتكارات الكبرى ، وما الذى يمنع من اقامة جمعية لريادة الصحراء والخروج من الوادى الضيق ؟ .. وما الذى يمنع أولياء الأمور من اقامة جمعية تساهم فى تطوير التعليم الذى يقدم لأبنائهم ؟ وأيضا ... أولئك الذين يعانون من استخدام المواصلات العامة ، ألم يحن الوقت لأن تسمع كلمتهم فى ادارة هذا المرفق وتحديد اسعاره ، وأيضا ما الذى يمنع من اقامة جمعية لاحياء ذكرى الشهداء لكى تبقى حية ، وليعيش فى وجدان أبناء الوطن أعداؤه الحقيقيون الذين أطفئوا الحياة ، أو جمعيات تقدم بحوثا علمية ودراسات حيوية للمجتمع ، مثل الجمعية الفابية التى قامت بدور رائد فى المجتمع البريطانى ، والتى تحولت بعد ذلك الى حزب العمال البريطانى .

فمع الديمقراطية تنشأ الأطر والأبنية المتعددة ، ولا تعرف هيمنة الدولة كجهاز وحيد على جميع الأنشطة الاجتماعية ، وتقوم هذه الأطر باختزان أهداف المجتمع القريبة والبعيدة ، وتسعى الى التمهيد لها وتحقيقها ، فاذا كانت السياسات الواقعية واليومية هى انعكاس لموازين القوى الآنية ، وإذا كانت هذه الموازين قيدا على المؤسسات الرسمية ، فهى ليست كذلك بالنسبة للمجتمع وأطره غير الرسمية .

والدعوة لاقامة الأطر التنظيمية من أجل اهداف محددة ليست جديدة ، فقد اطلقها عبدالله النديم منذ مائة عام ، قبل قيام الثورة العرابية ، وأطلق صيحة « **أشدد يدك بين أخيك ، تنجح** »

عندما أدرك فى هذا الوقت المبكر ، أن الخطوة الأولى لنهوض الشعب وتقدمه ، لابد أن تتجه للمواطن حيثما كان تعبئه وتنظمه ، فسعى النديم الى تكوين عصبة من أصحاب المصالح ، وتكوين رأى عام يقف فى وجه الظلم والاستبداد .. « **لم أجد طريقا لتنبيه الوجهاء والأمراء ، الا بعصبية أكونها من الفقراء** » . وأخذ النديم يدعو الى فكرته فى انشاء الجمعيات على طول البلاد وعرضها .... « **تسعى فيما يعود على الوطن وأهله بالمنفعة الحقيقية** » ..

وأقام أول جمعية فى الاسكندرية فى ١٨ ابريل عام ١٨٧٩ ، وتحددت أهدافها فى التعاون على فتح مدارس للبنين والبنات لجميع ابناء الشعب ، ونشر المعارف ليتزود الناس بما يبعث الغيرة الوطنية فى قلوبهم ، ويحببهم فى جنسيتهم المصرية ، وتنبيه الرأى العام ، وايقاظ الأفكار الخامدة » ... على أن تكون مطبوعة بدم الغيرة الوطنية ، تمحو فتور الانسانية .

وأقام فى القاهرة « جمعية المقاصد الخيرية » ... فى سبتمبر عام ١٨٨٠ ، ثم اتجه الى القرى والمدن يدعو اصحاب الرأى الى انشاء الجمعيات ، وتألفت على يديه جمعيات بدمنهور وميت غمر ودمياط والمنصورة وشبراخيت « ... وانفتح باب الجمعيات ودخلها الناس أفواجا وزرافات » ..

وكان عبدالله النديم يهدف الى اقامة جميعات للحرفيين النجارين والصيادين ، وتعاونيات للمزارعين لانقاذهم من المرابين ، ولم يتمكن من تحقيق أحلامه ، عندما انغمس بكل كيانه فى الثورة العرابية ، وكان لسانها وخطيبها ، ولم يقدر لمشروعه النجاح عندما احتلت القوات البريطانية مصر فى يوليو عام ١٨٨٢ ، واختفى النديم وسط بحر البشر الذى آمن بهم وسعى لتنظيمهم ، وإذا قدر لمشروعه النجاح ، لأقيمت فى مصر منذ مائة عام قاعدة الهرم الناقص ..

ولم تتوقف المحاولات ، التى تدرك أهمية الخطوة الأولى فى النهوض الوطنى ، فأقام الشيخ محمد عبده « الجمعية الخيرية الاسلامية » التى قامت بانشاء المدارس والمستشفيات وأهتمت بوعى المواطن واشراكه فى العمل العام .

الديمقراطية والهرم المنقوص!

وقام الزعيم الوطنى محمد فريد بانشاء « جمعية المقاصد » .. وهكذا استمرت المحاولات ..

ولا يسع المتأمل سوى أن يلاحظ ، أن هذه الخطوات الهامة ، كانت تجهض دائما ، اما بالمتعجلين واما بتغييرات لا تدرك طبيعة المسيرة الطويلة وشروطها .

وجاء الوقت المناسب ، فى هذه المرحلة ، التى صعبت وتعددت فيها الحاجات ، واختلفت فيها الرؤى ، وتحول العالم الى قرية صغيرة ، وزادت الحاجة الى غدد منشطة ودراسات عملية ، تساهم فى صنع التيار العام الذى يصب فى القضايا العامة ، ويهدف الى النهوض الوطنى فى بحر العالم المتلاطم الأمواج ..

وعلى النظام القانونى أن يتسع ، وعلى المجتمع أن يقدم كل ماتحتاج إليه هذه الجمعيات من المساندة والتأييد ..

حتى لاتظل العقبات ذريعة للقاعدين والمتقاعسين .

الديمقراطية والاستقلال

إن قضية الديمقراطية فى التاريخ المصرى الحديث كانت موجهة دائما إلى خدمة الحركة الوطنية وقضية الاستقلال ولم يكن الدفاع عن الديمقراطية لدى الرأى العام المصرى منفصلا عن قضية الدفاع عن الوطن .

طارق البشرى


كتاب الهلال
يقدم :
حبيبتي
الطفلة المجنونة الرائعة
بقلم : ماري ماك كراكن • ترجمة : أمينة السعيد
يصدر في
٥ فبراير
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم :
الركض مع الفرسان
الجزء الثاني
تأليف : الكاتب الأمريكي فيروك سامز
ترجمة : د. أمين العيوطي
تصدر في
١٥ فبراير
١٩٨٧

رسالة إلى ناخب

بقلم: د. شكري محمد عياد

بعد أيام ، صديقى القارىء ، ستكون صناديق الانتخاب فى انتظارك لتختار من ينوبون عنا فى تدبير مصالحنا المشتركة . أرجوك ألا تتردد . أعلم أن معظمنا فقدوا عادة الذهاب إلى صناديق الانتخاب . أكثرنا لايعرفون أصلاً معنى أن يذهبوا إلى مراكز الانتخاب لينيبوا عنهم من يتفرغ لإدارة الشئون العامة ، وكثيرون سلموا الأمر لصاحب الأمر ، ولمن أنابوا أنفسهم عنا فى تحرير بطاقات الانتخاب ، التى بهرت العالم بإجماعنا المنقطع النظير على كل ما فيه خراب البلاد .

انفض عنك هذه التجارب الأليمة ، واذهب هذه المرة إلى مركزك الانتخابى ، مؤمناً بنفسك ثانيا ، ومؤمناً بالله أولاً وأخيراً .

لا أكذبك ، صديقى القارىء ، كنت أتمنى أن أسبقك إلى أداء هذا الواجب الوطنى ، ولكننى أتمثل بقول أبى نواس :

فكأنى وما أحسِّن منها
قعدىّ يحسِّن التحكيما

كلّ عن حمله السلاح إلى الحر
ب فأوصى المطيق ألا يقيما

وفى معناه ، وأقل منه خبثا ، قول الآخر :

دع عنك فعلي وخذ قولاً نصحت به
ينفعك نصحى ولا يضررك تقصيرى

وأعلم علم اليقين أن الناس جميعا لو عملوا بهذا المثل السائر لما بقى أحد يقوم بواجب . وما أدرى ماذا أقول فى هذه الحكم السائرة : فالشأن فى الحكم والأمثال أن تكون نبراساً للعمل . أتريد حكمة أخرى ؟ إذن فأسمع :

ولولا خلال سنها الشعر مادرى
بناة العلى من أين تؤتى المكارمُ

ويمكننى أن أسترسل معك هكذا فى التمثيل بالأشعار حتى ننسى الموضوع الذى كنا نتحدث فيه ، لأن الأشعار والأمثال عندنا لا تهدى إلى طريق العمل ، بل تقدم تبريراً مناسباً لكل أنواع التواكل والكسل . ولا أدرى أهو تطور حدث فى الأمثال أم فى طريقة استخدامنا إياها ،

إذ يبدو من كلام هذا الشاعر الأخير أن الأمر لم يكن كذلك قديماً . ولعل الشعر فى عهده لم يكن مطية لكل من استطاع أن يبعثر حروفاً سوداء على ورقة بيضاء ، بل كان الشعراء شعراء ، والشعراء الشعراء قلة فى أى مجتمع قديم أو حديث ، فلم يكن ثمة ضرر فى أن ينهض الشعراء بمهمة سن خلال الشهامة والشجاعة والمروءة والكرم ، فتسير هذه الأشعار مسير الشمس ، وتتمثل واقعاً فى أناس شعرهم أفعال ، وأفعالهم أمجاد .

موضوعنا هو موضوع الانتخابات هأنذا أذكرك بنفسى ، لئلا تتهمنى بأنى ضحكت عليك بالأشعار وحديث الأشعار . ولقد كنت أتمنى ، حقاً وصدقاً ، أن أسبقك إلى صناديق الانتخاب ، غير أنى تنبهت بعد فوات الأوان إلى أنى نسيت أن أسجل أسمى فى دائرتى الانتخابية ، ، فأنا لا أملك بطاقة أنتخاب . وإن لم يسمح لى بالإدلاء بصوتى بشهادة بطاقتى العائلية التى تتضمن محل إقامتى ، فسأكون كذلك القعدى الذى ذكره أبو نواس .

إن مهمتنا ، أخى الناخب ، فى ذلك اليوم المشهود هى أخطر مهمة فى مصر . أخطر من مهمة أى مرشح ، بل أى رئيس حزب .

فالناخب هو حكم هذا اليوم . ومع أن صوت أى ناخب بمفرده قد يبدو شيئا لا قيمة له ، قد يبدو كذلك له هو شخصياً ، وقد يعطيه لأى مرشح يتوسم فيه أنه سيدخل ابنه المدرسة ، أو سيساعده فى الحصول على وظيفة ، أو سينصره فى منازعة ، فإن هذا الصوت فيه سر عجيب ، وهو أن قيمته لا تعرف إلا بعد أن تعرف نتيجة الانتخاب .

فغالباً ما تتأرجح نتيجة الانتخاب بين أثنين أو أكثر . ومعنى ذلك أنك تراهن بصوتك على نجاح واحد دون آخر . ولكنه ليس رهاناً عادياً ، فأنت تراهن على رجل ، تراهن على قائد ، أو تراهن ـ وهذا هو الأفضل ـ على فكرة .

تراهن بفكرك أنت على مستقبلك ومستقبل أبنائك .

وإذا ربحت الرهان فمعنى ذلك أنك سترى فكرتك توضع على المحك طوال السنوات الخمس القادمة . وإذا خسرت الرهان عرفت أين تقف أنت وفكرتك من جمهرة قومك ، وفى أى شىء يمكنك أن تخالف ، وفى أى شىء ينبغى لك أن تسايره فأنت الرابح على الحالين .

الانتخاب ليس مجرد منافسة بين حزبين أو أحزاب . الانتخاب فرصة للناخب ، للشعب ، كى يصدر حكمه فى شئون بلاده ، وفرصة لكل ناخب كى يعرف دوره فى شئون بلاده .

وموقف الحكم موقف صعب ، فلكى يصدر حكمه يجب أن يتقدم إليه أصحاب الدعاوى بحججهم وأسانيدهم . والقضية المعروضة هنا ليست قضية واحدة بل قضايا كثيرة ، كلها مختلطة متشعبة . ترى ماذا سيعرض علينا أصحاب الدعاوى ؟ فأنا أكتب إليك هذه الرسالة والمحكمة لم تنعقد بعد . لايزال أمامنا خمسة وعشرون يوماً من المرافعات . وُعدنا أن تكون المنابر كلها مفتوحة للجميع على السواء ، ولكن الله وحده هو القادر على أن يلهم الجميع السداد ، فلا يُعطى وعد إلا بضمان ، ولا تلقى تهمة إلا ببرهان ، ولا يؤخذ الحاضر بذنوب الماضى ، ولا يرتهن المستقبل بقيود الحاضر .

الله وحده القادر على أن يلهمنا الشجاعة لننظر إلى مشاكلنا الجاثمة بعيون مفتوحة . والحكمة لنفكر فيها بعقول هادئة . والخيال المقترن بالبصيرة لنرى المخرج منها إلى طريق الأمن والسلامة طريق الحياة الكريمة لنا ولأبنائنا من بعدنا .

ثلاثة أسابيع أو تزيد قليلاً . هل نطمع ، صديقى الناخب ، أن نلمح فيها بعض الأضواء التى تنير لنا سبيل الحكم ، أكثر مما رأينا فى السنوات الماضية ؟

لا أكتمك أنى ضعيف الأمل فى ذلك .

فأنا أكتب إليك هذه الرسالة والقضية التى لا تزال تشغل أذهان الناس منذ أسابيع هى قضية صفقة اللبن الملوث بالإشعاع الذرى . وقد راجعت اليوم قسماً كبيراً مما كتبته الصحف حول هذا الموضوع . الذى فجر القضيـة أو الفضيحة وزير ألمانى ، ولكن الانفجار وقع فى مصر . فإذا كانت القضية بالنسبة لبعض الألمان قضية ذمة وضمير ، فهى بالنسبة لنا قضية حياة أو موت .

ولكن تعال نقلب ملف هذه القضية . وسأكتفى ببعض الأمثلة ، لا لأنها مجهولة لديك ، ولكن لتكون المقارنة واضحة بين دعاوى الطرفين ، سنترك أيضا عشرات النكت ، ومنها تلك الرسالة التى بعث بها قارىء ظريف إلى بريد الأهراف . معلنا أنه سينتخب وزير البيئة الألمانى . أكثر من ذلك . سنترك بعض الأخبار التى نشرت فى بعض الصحف القومية ، حديثا جدا ، عن إغلاق مصنع كبير للمكرونة ثبت أن منتجاته ملوثة بالأشعاع الذرى ، وتقديم مستورد الدقيق إلى المحاكمة لأنه تصرف فى الدقيق الذى فى حوزته بالبيع قبل أن يثبت فحص العينة سلامتها من الأشعاع . سنكتفى بمعاينة الصحافة لأنها جاءت بهذه الأخبار مبتسرة جدا ، ولم تحاول أن تقوم بتحقيق دقيق فى ملابسات هاتين الواقعتين ، بإعتبارها مسئولة أمام قرائها عن كشف الحقائق التى تهم الجمهور .

سننظر فى وثيقتين فقط : إحداهما تمثل الحكومة ، والأخرى تمثل المعارضة .

وثيقة الحكومة عبارة عن موضوع إخبارى نشر فى الصفحة الأولى بجريدة الأهرام يوم الثلاثاء ١٧ فبراير ١٩٨٧ . ونصه (بعد حذف العناوين) :

أكد الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء فى إجتماع عقده أمس وشهده ٦ وزراء أن مصر لم تدخلها أية أغذية ملوثة بالاشعاع بعد حادث المفاعل النووى فى تشيرنوبل منذ مايو من العام الماضى ، إذ كان يتم فحص الشحنات الواردة من الخارج بأجهزة الاشعاع التابعة لمعامل هيئة الطاقة النووية بكل من مدينتى نصر وأنشاص ، وأن الحكومة حريصة كل الحرص على صحة المواطنين ، ولا تتستر على أى انحراف فى أى موقع .

وتلى ذلك تفصيلات مطمئنة عن نظام الفحص الاشعاعى المذكور . وقد نشـر الموضوع نفسه ، بالبيانات نفسها ، وفى الموضع نفسه من جريدة الأهرام بعد

أسبوعين بالضبط ، أى فى عددها الصادر يوم الثلاثاء ٣ مارس ١٩٨٧ ، مع اختلاف يسير فى العناوين وبعض العبارات .

وثيقة المعارضة : خبر منشور على الصفحة الأولى بجريدة الأهالى ، تحت عنوان بعرض الصفحة يقول : (نجل مسئول تنفيذى كبير وراء صفقة الألبان الملوثة) . أما الخبر نفسه فيقول « كشفت دوائر وثيقة الاطلاع أن مستورد صفقة اللبن الملوثة بالاشعاع الذرى والذى حرصت كل الجهات المسئولة على إخفاء أسمه هو نجل مسئول حكومى كبير وقد تمكن من استيراد ٨٠٠ طن من الألبان المجففة الملوثة بالإشعاع من المانيا الغربية ودخلت إلى البلاد عبر ميناء الأسكندرية دون فحص ، حيث تصادف أن أنقطع التيار الكهربى فى اليوم المحدد للإفراج عنها فى الأسبوع الأخير من أغسطس الماضى وتعذر تشغيل وحدات الفحص الإشعاعى فأعطيت شهادة بخلوها من الإشعاع وتم سحبها من الميناء فى اليوم التالى .

وطرحت للبيع عبر منافذ التعاون الاستهلاكى ومحال البقالة الخاصة خلال الفترة من أول سبتمبر إلى منتصف نوفمبر الماضى ، حيث كان نجل المسئول الكبير وشريكه قد تعاقدا مع هذه المنافذ التعاونية وتجار الجملة على تصريف صفقة اللبن .

من عوامل نفوذ هذه الشركة أن شخصية قيادية كبيرة بالحزب الحاكم يتولى مكتبه الخاص للاستشارات القانونية العمل كمستشار ووكيل قانونى عن الشركة المستوردة التى يساهم فيها نجل المسئول الكبير الحكومى كشريك موصى . »

بربك ، آخى الناخب ، كيف نحكم فى هذه القضية ؟ دعوى الحكومة عبارة عن خبر فى صحيفة ، لابيان ولاتقرير لجنة تحقيق ، الخبر نفسه يكرر بعد أسبوعين بلا زيادة ولا نقصان . أهم مافيه كلمة « أكد » وخبر الصحيفة المعارضة ملىء بالأسماء المنكرة ، والتواريخ غير المحددة . لم تحاول أن تثبت التفاصيل ، وأن تجلو الحقيقة بالبرهان الدامغ . أهذا ذنب الصحيفة وحدها ، أم تشاركها فيه تلك « الدوائر الوثيقة الاطلاع » وهى الفكرة الأولى فى الخبر ؟

ولكن هل رأينا طوال السنوات القليلة الماضية ، منذ بدأت الصحف تنقد وتعارض ، كثيرا من القضايا التى ترتفع فوق هذا المستوى ، المسائل الكبيرة كالمسائل الصغيرة ، مناقشات خطابية بلا نتيجة ، ومع ذلك يا صديقى فكلنا مسئولون ! وليس من حقنا أن نستهزىء ونولى ظهورنا لهذا العراك غير المفيد ، قائلين إننا سننتخب وزير البيئة الألمانى ! لعلنا لم نذنب فى الماضى إلا بغيابنا ، ولكنه ذنب كبير ، وهذه فرصتنا اليوم لنثبت أننا موجودون ، وقد تكون الفرصة الأخيرة . .

البشر.. وسطوة التكنولوجيا

دور ألمانيا واليابان في مستقبل العالم ؟!

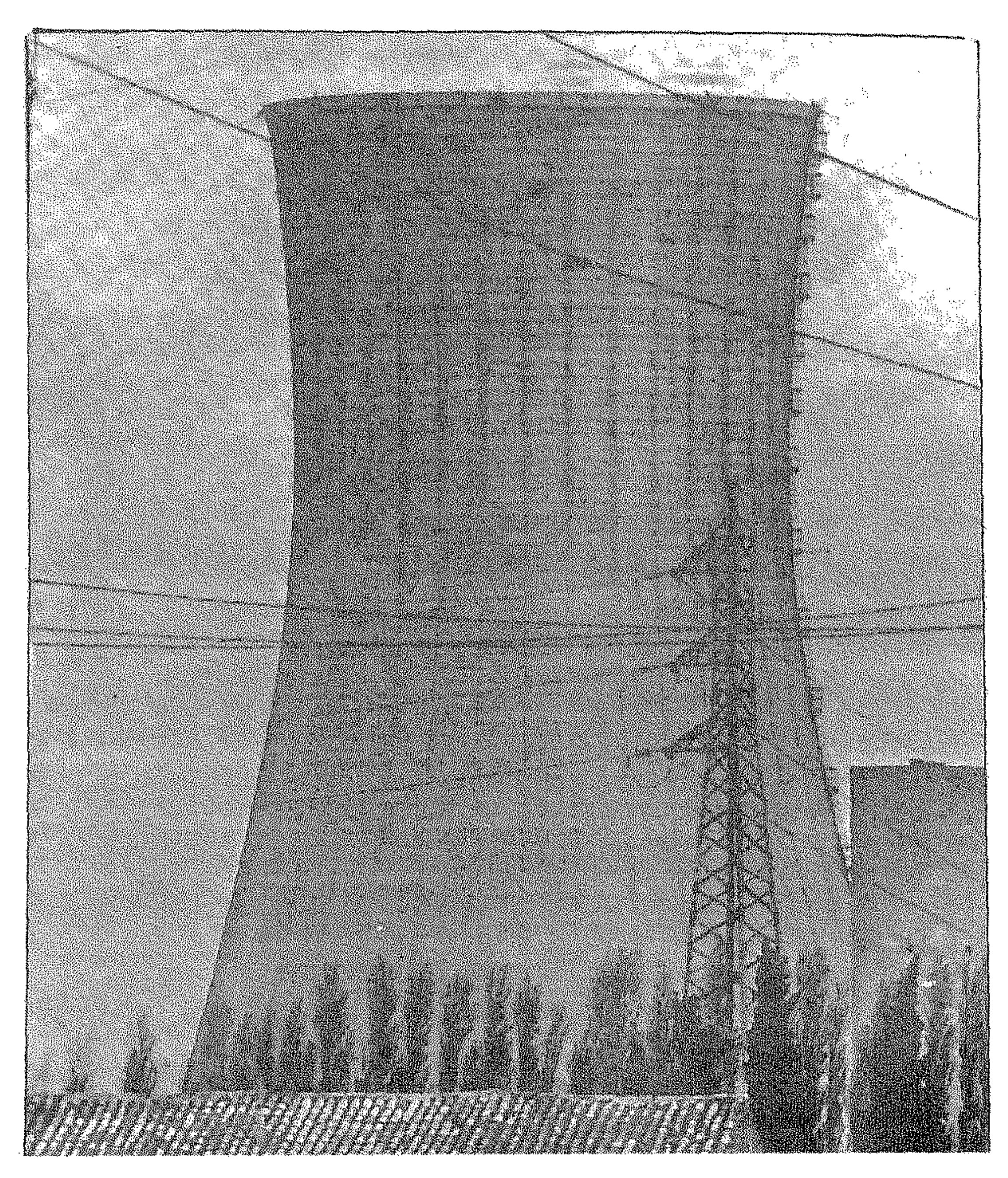
بقلم : عبد الرحمن شاكر

إذا كان إلقاء القنبلة الذرية ، على هيروشيما ونجازاكى في اليابان ، فى أواخر الحرب العالمية الثانية ، قد أرّق ضمير العالم ، بأثره على سكان تلك المناطق ، ولا يزال يؤرقه حتى الآن بعد مضى أكثر من أربعين عاما ، فقد كان « الشر » مقصوداً وقت ذاك باعتباره جزءا من الحرب ! ولكن انفجار المفاعل النووى السوفييتى فى « تشيرنوبيل » فى العام الماضى ، كان فجيعة ممضة ، أول مافجعت الداعين للتوسع فى استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية ، والمتغنين بعصرها المزدهر ! كان « الشر » الناجم عن هذا الدمار غير المقصود بطبيعة الحال ، لايقل وطأة عن القنبلة ، ويكفى مقدار الرعب الذى عشناه نحن فى مصر ، وربما لانزال نعيشه ، من احتمال تسرب مواد غذائية أصابها التلوث بالإشعاع من بعض الدول الأوربية ، نتيجة لتلوث السحب بالإشعاع الناتج عن انفجار المفاعل النووى ، ثم سقوطه أمطارا على تلك الدول ، يصيب مزروعاتها وما يعيش عليها من إنسان أو حيوان .

كان من حقنا أن نصاب بالرعب من انتقال بعض تلك المواد إلينا ، رغم ان الاصابة فى هذه الحالة تعد من « الدرجة الثالثة » ، حيث ان " الأولى " كانت من نصيب البلاد التى وقع فيها دمار المفاعل ، « والثانية » من انتقل اليها الاشعاع مباشرة ، فى تسلسل مفزع ثقيل الوطأة على النفس البشرية ، يجعل المرء يتساءل : هل أصبح علم الانسان الذى فلق نواة الذرة شرا عليه من جهله السابق بها ؟

علما بأن الانسان لم يقصّر - والحق يقال - خلال الحربين العالميتين اللتين شهدهما هذا القرن ، ومابعدهما ، فى

المفاعل النووى تشيرنوبيل .. طرح من جديدتساؤلات حول التوسع فى استخدام الطاقة النووية :



البشر..

وسطوة التكنولوجيا

التفنن فى اختراع أسباب الدمار ، والفتك الشامل المقصود '

لقد كان ماكان على كل حال .. ولم يعد هناك أحد أو مكان بمأمن من احتمال وصول الآثار المدمرة لتلك الكارثة وأمثالها .. ولم يعد هناك أمل فى احتواء تلك الآثار إلا من خلال العلم والتكنولوجيا ذاتها التى أبدعتها علاجا ، أو تطهيرا لمناطق التلوث ، أو محاصرة لها ، أو دفنا للنفايات النووية ، والغذاء الملوث قد صار جزءا منها ، أو أجهزة قياس تلك الاشعاعات ، وفحص المواد المصابة بها ..إلخ وفى هذا الصدد لم يتردد السوفييت فى الاستعانة بخبراء من الدول الأخرى منها ألمانيا على سبيل المثال ، وضمن حملة جورباتشوف من أجل العلنية وحرية النقد ومقاومة الفساد ، كانت «تشيرنوبيل» والتعمية التى أحيطت بها عندما وقعت ، هى المثال البارز الذى ضربه لقصور « المعالجة الاجتماعية » لحادث من هذا النوع ! وطبقا لما يقوله المراقبون المختصون ، فإن البلدان النامية ، التى هى أقل إنتاجا لأمثال تلك الأخطار هى الاشد تعرضا لمضاعفات آثارها المدمرة ، التى قد تصل إليها بطريق أو آخر ، بسبب قصور التنظيم الاجتماعى بها من ناحية ، ولقلة مافى أيديها من علم ومالديها من علماء ، ومايلزم من أجهزة ووسائل لاحتواء أمثال تلك الآثار لقد ذعرنا لاحتمال تسرب مواد غذائية ملوثة بالاشعاع من غرب أوربا المتقدم إلينا ، وذعرنا أكثر من مجرد احتمال وصول مواد مشابهة من تركيا التى هى مثلنا من دول العالم الثالث ، وجزء من عالمنا الاسلامى . وقد قيل إن إصابتها بالاشعاع - زروعها وضروعها - بسبب الأمطار المشعة ، كانت أشد من بعض مناطق جارتها الكبرى التى وقع فيها الانفجار ، أى الاتحاد السوفييتى ، ولا شك أن قدرتها على احتواء آثاره أو علاجها أقل من قدرته هو والدول الأوربية الأخرى .

أما نحن فلا نملك لها سوى أن نقول : لك الله ياتركيا ! إننا لم نعد نجسر على أن نشترى من هذا البلد الشقيق شيئا ، ولكن من الذى يستطيع أن يضمن أن لايتسرب منه شىء إلى البلدان العربية والاسلامية الأخرى ، وهى جارات لها وذات علاقات وطيدة معها ؟ وهل تملك تركيا أن تتخلص من كل ماتلوث بها وهو كثير قد يكون جل إنتاجها ، ومن الذى سوف يعطيها بدلا منه - وهى على حالتها لاتستطيع أن تبادله ... بل من الذى سوف يعوضها عما أصابها ويحمل معها أو عنها مسئوليتها ان لم تكن الجماعة الانسانية فى مجموعها ؟

نعم .. لقد أصبحنا فى زمن ، لا مفر فيه من إعادة التنظيم الاجتماعى على مستوى العالم والجماعة الإنسانية : إن الثورة التكنولوجية التى شهدها العالم ولايزال يشهد تطورها ، تطالب بثورة فى العلاقات الانسانية على مستواها ، والا لو بقيت الفجوة مابين

مستوى التطور الاجتماعي للإنسان ، وتطوره العلمي على حالها ، فمعنى ذلك ان يبقى البشر تحت سطوة التكنولوجيا التي أبدعها بجميع اخطارها المهلكة ، بدلا من أن تكون تلك التكنولوجيا تحت سيطرته وفي خدمته .

على أن دول العالم الثالث لها ـ قبل حكاية الاشعاع وبعده ـ متاعب اخرى تقعد بقدرتها على مقاومته .

الديون والرفاهية :

فمنذ أسابيع قليلة اعلنت البرازيل توقفها عن سداد أقساط ديونها وفوائدها ، وتبلغ جملة ديونها حوالى مائة مليار دولار ، رغم كونها من أغنى بلدان العالم الثالث واكثرها وفرة في مواردها الطبيعية ، وتقوم بها كثير من الصناعات المتقدمة ، وليست مسألة ديون العالم الثالث بعيدة عن موضوع « التكنولوجيا » وأخطارها فقبل أن تكون هناك « واردات » مفروضة من الدول المتقدمة تكنولوجيا مثل المطر الملوث بالاشعاع ، أو « مهربة » مثل مانخشى دخوله من مواد غذائية أصابها هذا التلوث ، فان وراء ارقام الديون الفلكية المثقل بها العالم الثالث واردات « تكنولوجية » اخرى ، كثير منها مفروض ومهرب أيضا ! تلك هي واردات الرفاهية التي أبدعتها التكنولوجيا الحديثة من مختلف الأشكال والألوان ، كان منتجوها في الدول المتقدمة ، يحرصون على تصديرها الى بلدان العالم الثالث بكل ماتحت أيديهم من وسائل سياسية واقتصادية ودعائية وعلاقات عامة ! لم يكونوا يبالون على الاطلاق بحقيقة كون ان معظم مجتمعات العالم الثالث لا يرتفع مستوى اقتصادها الى الحد الذى يسمح باستخدام تلك السلع على نطاق واسع ، وكثير من تلك البلدان تحتاج الى القوت الضرورى ، ولكن وفرة المواد الغذائية وانتاجها في ذات الدول الصناعية المتقدمة في غرب أوربا وشمال أمريكا جعلها تهون من أمر تلك المشكلة امام دول العالم الثالث ، وتغريها بان تعتمد عليها في شأنها ، بدلا من الاهتمام بالتوسع في إنتاجها الزراعي ، مثلا ، وأحيانا مجرد المحافظة عليه ، بينما يزداد عدد سكانها ! كان كل هم العالم المتقدم أن يصدر للعالم الثالث كل شيء لو استطاع ، ويحتسب عليه ديونا أصبحت في النهاية تجارة رابحة ، حيث يفوق مايتعين أن تدفعه بلدان العالم الثالث من أقساط الديون وفوائدها كل عام ، مجموع ماتحصل عليه من ديون جديدة في العام ذاته ! فالى متى ! ... وها هي البرازيل ـ كما تقدم ـ راضية عن توقفها عن الدفع !

إن هذا الوضع يمثل ضربا من « التلوث » التكنولوجي ، لايقل خطورة عن التلوث الاشعاعي ، لو ترتب عليه أن يمتنع « الدائنون » عن تصدير ما اعتاد المدينون أن يستوردوه منهم ، وخاصة في الضروريات مثل الأغذية والأدوية وقطع غيار ما بنيت عليه حياتهم الجديدة المعاصرة من منشآت أصبحت في مستوى الضروريات ! وهذا التمزق أو التلوث المرتقب في « العلاقات الخارجية » لبلدان العالم الثالث ، يقابله ويفعل فعله تلوث آخر في علاقاتها الداخلية ، حيث ازدادت

البشر..
وسطوة التكنولوجيا

وتزداد كل يوم الهوة مابين « القادرين » من ابناء تلك البلدان . بمعنى القادرين على شراء كل شيء من سلع الترف التى ابدعها العالم المتقدم . وغير القادرين الذين ينحدرون الى العوز لكل شيء فى الوقت الضرورى . ولم يكن ذلك ببعيد عن تاثير العالم الصناعى المسمى بالمتقدم فى تشجيعه « لزبائنه » من القادرين على الاستمرار فى غيهم ، وفى استنزاف مجتمعاتهم لحسابه وحاسبهم ! ..

حتى اذا ما جاء « الطوفان » ـ وهو عرضة أن يجيء فى آى بلد « مضروب » على هذا النحو ـ فر القادرون بما يستطيعون حمله من ثرواتهم ، او لجأوا الى ما سبق لهم ان اودعوه فى الخارج من ارصدة يسمونها مدخراتهم !!

لم نذكر ، ولايتسع المقام لأن نذكر ـ كل ماقيل ويمكن أن يقال عن تلوث البيئة فى كل مكان فى العالم ، بغض النظر عن التلوث النووى !

التقارب الصحى :

غير أن العالم يشهد حاليا ـ فى ظل تلك الصورة القاتمة ـ بريقا من امل يلوح فى ان تصل الجماعة الانسانية فى مجموعها ، الى مستوى من التنظيم الاجتماعى « العاقل » على نطاق العالم ، قبل ان « يتسع الخرق على الراقع » كما يقال ، وتتسلسل مضاعفات الكوارث المحيطة بالجنس الانسانى ، بسبب حالات التخلف والفقر والعجز .. مضافا اليها الاشعاع . حينما لايجد الفقراء او ناقصو المعلومات والوسائل مفرا من تناول اغذية مشعة ، فضلا عن المنحطين عقلا وخلقا ممن يتجاسرون على المتاجرة فيها وهم يعلمون ما بها !

أقول ان هذا البريق الذى يلوح من بعيد ، انما هو فى الاتجاهات السياسية الجديدة التى بدأت فى ذات المجتمع الذى وقع فيه انفجار المفاعل النووى وهو الاتحاد السوفييتى ، لقد حرص القادة السوفييت فى سعيهم لتوسيع نطاق الديمقراطية فى بلادهم ، الى نقل رسالة الى « الغرب » تفيد ان من اغراض تلك السياسة الوصول الى قدر من التوافق مع بلدانه التى تقف معظمها تحت راية الديمقراطية ، وتظهر الخوف عليها من الاستبداد الشمولى الذى توصف به الشيوعية . من أجل هذه الغاية ذهبت وفود منهم الى امريكا لشرح ابعاد سياستهم الجديدة ، واستقدموا وفودا منها ومن دول الغرب الأخرى لتشهد تجربتهم فى التطور الديمقراطى وكفالة حقوق الانسان ، فضلا عن الاصلاحات الاقتصادية التى سمحت بالمشروع الفردى فى بعض جوانب النشاط الاقتصادى ، واقامة شركات مشتركة مع المؤسسات الاقتصادية الغربية ، وذلك للاستفادة القصوى مما لديها من تكنولوجيا متقدمة ، وبالمناسبة فلا اظن ان اليهود السوفييت الذين قرروا العودة

الى بلادهم الاصلية ، قد شجعهم على ذلك « الجو » الديمقراطى السائد فحسب ، بل أيضا ليبادروا الى اتخاذ مواقع لهم فى تلك السياسة الاقتصادية « الانفتاحية » ، تتيح لهم زيادة مكاسبهم ، وبالأخص أن يكون لهم قدم فى الشرق واخرى فى الغرب من خلال الشركات المشتركة !

ماعلينا ، على ان السوفييت قد توجوا جهودهم فى التقارب مع الغرب ، باقتراح جوربا تشوف الأخير الذى لاقى ترحيبا كبيرا ، بنزع الصواريخ النووية فى شطرى أوربا على السواء ، والتنازل عن شرط توقف الولايات المتحدة الأمريكية عن برنامج حرب الكواكب للمضى فى تحقيق هذا الغرض . ولاتزال المفاوضات دائرة حول هذا الموضوع ومع ترقب نجاحها . غير أن الذروة التى تحلم بها البشرية هى التوصل إلى اتفاق كامل حول نزع السلاح النووى نهائيا ، وتكفى أخطار مايسمى بالاستخدام السلمى للطاقة النووية وهى ما تحتاج إلى تنظيم دولى شامل لاحتوائها .

على أن هذا التنظيم لو تحقق ، فلابد ان يأخذ فى اعتباره اوضاع العالم الثالث ، الاقتصادية والعلمية والبيئية .. الخ ، وان تكف بلدان الجزء المتقدم من هذا العالم ، عن اعتبار البلدان المتخلفة ، مجرد « خرابة » تقضى فيها حاجاتها الدنيئة ! وتعتبر ذلك جزءا من حقها « التكنولوجى » بعد ان انهكتها استغلالا لمواردها .

مثل دفن المواد المشعة بها ، أو تصدير الأغذية الملوثة بالاشعاع اليها ، بدعوى ان حكوماتها ليس لديها مانع من ذلك ! فالذى يتفنن فى تلويث « الخرابة » المجاورة لمسكنه الفاخر ، سوف يأتى يوم تفوح عليه عفونتها حتى تخنقه !

وفى إطار إعادة التنظيم الشامل للجماعة الإنسانية فى عصر السطوة التكنولوجية ، فربما تكون البلدان التى هزمت فى الحرب العالمية الثانية ، والتى فرض عليها ان تمتنع عن إنتاج السلاح ، مثل ألمانيا واليابان ، وكل منهما قد أصابه التلوث بالإشعاع الذرى ، المانيا حاليا بعد انفجار مفاعل تشيرنوبيل ، واليابان خلال الحرب العالمية الثانية .. اقول ربما يكون لهذين البلدين شأن أكبر فى المستقبل حينما تسترد الجماعة الإنسانية عقلها وتبحث عن مصير آخر افضل من الدمار النووى حربا أو سلما . فألمانيا بها أكبر أحزاب الخضر ، التى تناضل من أجل وقف تلوث البيئة ، واليابان تقف على قمة التطور التكنولوجى السلمى فى العالم ، نتيجة لاستغراق الولايات المتحدة فى إنتاج الأسلحة ، واقتصادها هو الأكثر متانة بين مختلف الدول ، كما أن خبرتها فى أحتواء آثار قنبلة هيروشيما ونجازاكى لايمكن تجاهلها .. وأخيرا وليس آخرا فإن مفكريها وساستها يتحدثون عن توحيد العالم فى القرن الحادى والعشرين ... فهل يستمع إليهم الجبابرة ، الذين شغلوا أنفسهم طويلا بإبداع وسائل تدميره ؟ !

مرت مائة وستون عاما على رحلة الشيخ رفاعة الطهطاوى الى باريس ونشر كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » .

الشيخ فى باريس

بقلم : على الشوباشى



رفاعه الطهطاوى لم ينبهر بالغرب ورفض التقليد الاعمى

منذ أكثر من مائة وستين عاما ، وبالتحديد فى عام ١٨٢٦ ، وصل إلى مدينة باريس رجل من مصر ، يرتدى الجبة والقفطان ، ويغطى رأسه بالعمامة وينتعل خفا . كان هذا الشاب قد اختير ليكون إماما وواعظا لأعضاء أول بعثة من طلاب العلم أرسلها محمد على باشا والى مصر إلى فرنسا للتخصص فى فروع العلم المختلفة ليكونوا نواة لجيشه وإدارته .

وكان هذا « الشيخ » اليافع يدعى رفاعة رافع الطهطاوى .

والغريب أن أحدا الآن ـ باستثناء المتخصصين ـ لم يعد يعرف أى اسم من أسماء أعضاء البعثة الأصلية ، بينما أصبح اسم الشيخ رفاعة الطهطاوى ـ الذى لم يكن فى الأصل عضوا أصيلا فى البعثة ـ ملء الآفاق ليس فى مصر وحدها وانما فى العالم العربى كله . لقد أصبح هذا الشاب الأزهرى ، الذى ولد فى مدينة طهطا فى صعيد مصر عام ١٨٠١ وقضى طفولته وصباه فى هذه المدينة ، علما من أعلام الثقافة ورائدا من أهم روادها فى مصر الحديثة . فهو مؤسس مدرسة الألسن ، ومنشىء حركة الترجمة عن اللغات الأوربية فى العالم العربى ، ومؤلف العديد من الكتب فى التاريخ وعلم الاجتماع وعلم التربية بالإضافة الى ما ترجمه من الكتب الفرنسية ، وخاصة فى علوم الجغرافيا والمعادن .. الخ

لكن عظمة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى لا ترجع الى مجرد إنجازاته ، التى لا تزال تقف شامخة بعد مائة وستين عاما ، وإنما إشعاعه الحقيقى يرجع إلى أنه على الرغم من انبهاره بالحضارة وبالتقدم العلمى الأوربى ، وعلى الرغم من مطالبته شعبه بالأخذ بأسباب هذه الحضارة وهذا التقدم ، لم يفقد فى أية لحظة أصالة ابن صعيد مصر ، ولم يتراخ تمسكه بأفضل ما فى قيم بلاده وتراثها العربى .

وهكذا نجح هذا الشيخ العظيم الى حد بعيد فى حل المعادلة الصعبة التى تتلخص فى وضع حد فاصل واضح ـ بالنسبة له ـ بين فضائل حضارة الغرب وتقدمه العلمى وبين عيوب تلك الحضارة الحديثة وهذا التقدم العلمى

ومثالبهما ، كما نجح بشجاعة منقطعة النظير فى عصره ، فى التمييز بين الغث والثمين فى تقاليدنا وعاداتنا بعد ما شاهده فى أوربا .

● التأثر بالحضارات

لم ينجرف « الشيخ » الشاب فى أحد التيارين الخاطئين الانبهار بالغرب انبهارا يدفع صاحبه الى التقليد الأعمى وإلى فقدان كل أصالة ، وإلى جعل معيار الصواب والخطأ هو الاقتراب أو الابتعاد عن الحضارة الغربية أو رفض الغرب جملة وتفصيلا وعد كل ماهو أوربى أو شبيهُ له رجسا من عمل الشيطان ، والانغلاق داخل أطر بالية بدعوى التمسك بالاصالة .

لقد أدرك الشيخ رفاعة الطهطاوى عندما وصل الى فرنسا وعاش فيها ، ينهل من معارفها ويعايش عاداتها وتقاليدها وممارساتها السياسية ، أن حضارة الغرب الحديثة ، التى أنارت أضواؤها العالم بأسره ، لم تكن حضارة منغلقة على نفسها ، رفضت التأثر بالحضارات التى سبقتها ، وانما هى حضارة منفتحة ، تنهل من كل ما هو ثمين من الحضارات السابقة عليها وترفض الغث ، وتماور الحضارات السابقة عليها وتحاول أن تتعمق فى دراستها اكثر واكثر .. كذلك أدرك شيخنا أن الحضارة العربية الغابرة ما كانت تبلغ الشأو الذى بلغته لو لم تحاور الحضارات السابقة عليها والمعاصرة لها ، تتأثر بها وتؤثر فيها ، تتبنى ما يلائمها فى تلك الحضارات وتلفظ مالا يناسبها .

ولعل أخطر ما تعرض له الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى فى كل ما كتبه هو موضوع العلاقة بين الحاكم والمحكوم . لقد أدرك أهمية أن يكون للدولة الحديثة دستور يحدد حقوق كل من الحاكم والمحكوم وواجباتهما ، فى وقت كانت الدولة الاسلامية فيه - أى الخلافة العثمانية - تجعل من الحاكم مصدرا لكل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، كل الحقوق له وما على الرعية إلا الطاعة . وإذا ما تنازل الخليفة العثمانى فى القسطنطينية أو نائبة فى البلاد التابعة - مثلما كان الحال فى ذلك ، الوقت مع محمد على باشا فى مصر - وسمح برخصة للرعية ، فإن هذه الرخصة لاتعد حقا مكتسبا بأية حال وإنما هى منة وأحسان ، للخليفة أو لنائبه أن يسحبها عندما يعن له الأمر . وكان كل ذلك يحدث باسم الاسلام - كما هو الحال الآن فى إيران - واذا ما عرفنا أن محمد على باشا هو الذى كان قد أرسل رفاعة الطهطاوى كواعظ للبعثة ، وأنه هو الذى وافق ، عندما طلب رئيس البعثة بعد وصولها الى باريس ان ينضم الطهطاوى الى البعثة التعليمية كعضو أصيل وليس مجرد واعظ ، لقدرنا للشيخ شجاعته حق قدرها .

لقد حرص شيخنا فى اكثر من مكان من مؤلفه الهام « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » على أن يلفت النظر إلى أن الحاكم فى الحضارة الغربية له

حقوق واضحة محددة مدونة فى الشرطة (الدستور La Charte) ، لا يستطيع أن يمارس حقوقا غير ما يسمح له به هذا الدستور ، كما أن عليه فى الوقت ذاته واجبات عليه أن يؤديها بأمانة وإلا ثار عليه شعبه مثلما ثار الشعب الفرنسى على الملك شارل العاشر عام ١٨٣٠ عندما كان الشيخ رفاعة فى باريس ، كذلك حرص شيخنا على أن يشير الى ان الملك يقسم يمين احترام الدستور .

وإذا كانت هذه المبادىء تعد اليوم ـ على الأقل نظريا ـ مسلما بها فى جميع أنحاء العالم ، فأنها كانت أيام الشيخ الطهطاوى ، وأيام الخليفة العثمانى ونوابه ، تعد تطاولا مابعده تطاول على من كان يدعى أنه هو المرجع الأول والأخير فى أمور الاسلام .

● حرية الصحافة

ولقد أكد الشيخ رفاعة الطهطاوى فى أكثر من مكان من نفس الكتاب أنه اهتم بعلم « البـوليتيقـا » - أى السياسة ، ولاشك أن البعثة لم تكن لها علاقة بعلم السياسة ، فقد كان هدف محمد على باشا من ارسال البعثة هو تكوين بعض الكوادر الفنية للجيش والادارة . كما أكد الشيخ رفاعة فى اماكن اخرى أنه كان حريصا على قراءة « الكازتات » Gazet أى الصحف لكى يعرف أحوال البلاد . ويلاحظ شيخنا أن هذه الكازتات تتمتع بحرية تامة ، يكتب فيها محرروها ما يشاءون ماداموا لم يخـرجوا على حـدود القانون . وهو يؤكد أن ثورة يوليو ١٨٣٠ ضد الملك شارل العاشر بدأت يوم قرر الملك فرض الرقابة على الصحف بدون الرجوع الى مجلسى البرلمان (الجمعية الوطنية التى كان الشيخ يطلق عليها اسم «ديوان رسل العمالات » ومجلس الشيوخ الذى اطلق عليه اسم « ديوان أهل المشورة الأولى ») ، وذلك على الرغم من أن أسباب السخط بدأت قبل ذلك بشهور .

وهكذا جرؤ كاتب عربى لأول مرة فى التاريخ وقال إن ثورة شعبية قامت ضد ملك لأنه فرض الرقابة على الصحف بدون الرجوع الى البرلمان .. والآن وبعد مرور أكثر من مائة وستين عاما على ما كتبه الشيخ رفاعة الطهطاوى يعد الكاتب العربى الذى يكرر مثل هذا القول فى الأغلبية الساحقة للدول العربية كاتبا جريئا جدا ، هذا اذا سمحت السلطات بنشره .

لكن كاتبنا ذهب إلى أبعد من ذلك واخذ يبرر ثورة الشعب ومعركته المسلحة ضد الحرس الوطنى والجيش ، بل ورفض هذا الشعب للحل الوسط الذى عرضه الملك عندما شعر بأنه خسر المعركة (ألا وهو تعيين ابنه ملكا بعد تنازله عن العرش) . وأيد اختيار الشعب للدوق دورليان ملكا جديدا باسم لويس فيكيب ، وتعهد هذا الأخير فى أول خطبة له أمام البرلمان بـاحترام الـدستـور ورأى مجلسى البرلمان

كـذلـك تحـدث الشيـخ رفـاعـة الطهطاوى فى كتبه عن تعدد الأحزاب ـ وان لم يستخدم هذا التعبير ـ فقال ان الفرنسيين ينقسمون الى أنصار الملكية المطلقة وأنصار الملكية الدستورية وانصار الجمهورية . وقال إن الخلاف

الشيخ في باريس

بينهم يتم حله من خلال الحوار بين مجلسى البرلمان والأخذ برأى الأغلبية مع احتفاظ كل طرف برأيه .

وبادر الشيخ بترجمة الشرطة » أى الدستور الفرنسى ترجمة كاملة وإن كانت هذه الترجمة غير دقيقة . فأن ذلك يرجع إلى أن التعبيرات السياسية لم تكن معروفة فى اللغة العربية آنذاك . لذلك فقد اضطر الشيخ إلى تقريبها إلى أذهان القراء العرب بعبارات يمكنهم فهم معانيها . وإذا كانت التعبيرات السياسية قد اتخذت الآن فى اللغة العربية مدلولات محددة ، فلاشك أن مدرسة الترجمة التى أسسها رفاعة الطهطاوى لها فضل كبير فى ذلك .

● العدل هو الأساس

وعلى الرغم من أن هدف الشيخ رفاعة الطهطاوى واضح من ترجمة الدستور الفرنسى والحديث بالتفصيل عن النظام السياسى ، ثم فى وصف الثورة على الملك وخلعه ، فإنه أراد ان يضع النقط فوق الحروف حتى لا يخطىء أحد فهمه فقال إنه « يكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ويستوفى غالب أحكامهم ليكون تدبيرهم العجيب عبرة لمن يعتبر » ...

هذا بالاضافة الى عبارات الاستحسان التى نجدها فى أكثر من مكان فى الفصل الذى يلخص فيه الدستور الفرنسى مثل « وأما المادة التاسعة فهى عين العدل والانصاف ، وهى واجبة لضبط جور الاقوياء على الضعفاء ... »

لكن أغرب مافى الأمر أن الشيخ رفاعة الطهطاوى لم يكن غافلا عن نقطة هامة جدا . ألا وهى أن « غالب مافيه (أى الدستور الفرنسى) ليس فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أذكره لك لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقاد الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم ، وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم فلا نسمع فيهم من يشكو ظلما أبدا ، والعدل أساس العمران »(١)

وهكذا يبدو أن هذا العالم الجليل يرى أن معيار قبول الأحكام الدستورية والقانونية فى العصر الحديث هو عدم تناقضها مع أى حكم جاء فى كتاب الله تعالى أو فى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام . فهو ينظر الى جوهر الاسلام ولا يرفض مالا يتناقض مع هذا الجوهر ، لمجرد أنه لم يرد فى القرآن الكريم أو فى السنة . إن تنظيم أحوال العباد قد يتطلب أحكاما تختلف باختلاف الزمان والمكان فى تفاصيلها ، لا فى جوهرها . ألم يكن الامام أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه عندما سئل لماذا أدلى فى نفس المسائل بأحكام فى مصر تختلف عن تلك التى قضى بها فى العراق ، هو الذى قال : تلكم كانت العراق وهذه هى مصر ؟!!

على أية حال فإن الشيخ رفاعة الطهطاوى يركز كثيرا على فكرة هامة فى أكثر من مكان فى كتابه ، ألا وهى أن الفلسفة الفرنسية ـ والأوروبية بصفة

عامة - فى الفترة التى زار فيها فرنسا كانت تقوم على أن عقل الانسان هو الذى يفرق بين الحسن والقبيح ، بين ماهو صواب وماهو خطأ . وهذا يدل على أن شيخنا قد أدرك تماما جوهر الفكر الأوربى فى تلك المرحلة ، ذلك الفكر الذى بدأ جنينا فى عصر النهضة وبلغ ذروته مع مفكرى القرن الثامن عشر ، وخاصة قولتير وروسو ومونتسكيو (الذين قرأ الشيخ رفاعة بعض أعمالهم) .

وقد أكد الطهطاوى هذا المعنى - أى معنى عدم تناقض الأنظمة السياسية الأوربية الحديثة مع الفكر الاسلامى - فى كتاب آخر هو « المرشد الأمين للبنات والبنين »

عندما قال : « من زوال علم أصول الفقه .. جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التى وصلت عقول باقى أهالى الأمم المتمدنة اليها وجعلوها أساسا لوضع قوانين تمدنهم وأحكامهم قلَّ أن تخرج عن تلك الأصول التى بنيت عليها الفروع الفقهية . فما يسمى عندنا بعلم أصول الفقه يسمى ما يشبهه عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية ، وهى عبارة عن قواعد عقلية تحسينا وتقبيحا يؤسسون عليها أحكامهم المدنية . وما نسميه بفروع الفقه (يسمى) عندهم بالحقوق أو الأحكام المدنية . وما نسميه بالعدل والاحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية (أى المساواة) .» (٢)

الاعجاب بأوروبا

كان الشيخ رفاعة الطهطاوى اذن هو أول عربى تحدث عن الدستور ، وعن الفصل بين السلطات وعن الحقوق المدنية . وهو فى هذا المجال يبدى اعجابا بغير تحفظ بالنظام السياسى الأوروبى الحديث . ولا عجب فى ذلك ، فقد كان الشرق يعيش فى ظل خليفة لاتحد سلطته أى حدود . بل لقد ذهب الشيخ رفاعة لأبعد من ذلك عندما دعا الى ضرورة تدريس علم السياسة فى المدارس ...

لكن الشيخ رفاعة الطهطاوى لم ينبهر بكل مظاهر الحياة الفرنسية بلا إعمال فكره ومن الصعب فى هذا المجال سرد كل انتقاداته عن المجتمع الفرنسى وانما سنكتفى بأبسطها فقد انتقد مثلا سلوك بعض النساء الأوروبيات عندما قال إن « الافرنج يظنون بنسائهم ظنا حسنا أصلا ، مع أن هفواتهن كثيرة معهم (٣) .

كما قال إن « الرجال عندهم عبيد النساء وتحت أمرهن ، سواء كن جميلات أم لا » (٤) . لكن على الرغم من هذه الانتقادات للمرأة الأوربية ، فان هذا الشيخ الذى كان عالما من علماء الأزهر ، استحسن وحبذ مشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، وارتيادها للأماكن العامة مثل المقاهى والمتنزهات ، بل ومجال الرقص . ولكنه يستدرك قائلا إن المقاهى « ليست مجمعا للحرافيش ، بل هى مجمع لأرباب الحشمة .»(٥)

كذلك دافع الشيخ رفاعة عن الرقص والموسيقى فقال إنهما « يؤديان وظيفة الامتاع الفنى » فى المجتمعات الأوربية « ولايعدان فيها من الملذات المبتذلة أو الممارسات غير المقبولة» ويضيف قائلا : « الرقص عندهم فن من الفنون .

الشيخ فى باريس

وقد أشار اليه المسعودى فى تاريخة المسمى مروج الذهب فهو نظير المصارعة فى موازنة الأعضاء ودفع قوى بعضها الى بعض فليس كل قوى يعرف المصارعة بل قد يغلبه ضعيف البنية بواسطة الحيل المقررة عندهم . وما كل راقص يقدر على دقائق حركات الأعضاء . وظهر أن الرقص والمصارعة مرجعهما شىء يعرف بالتأمل . ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس . وكأنه نوع من العياقة والشلبنة لامن الفسق (٦) .

لكن الشيخ الطهطاوى عرض بالتفصيل اراءه عن الدور الذى يتعين على المرأة العربية ان تلعبه فى مجتمعها فى كتابه « المرشد الأمين للبنات والبنين » . كما تحدث عن الميزات التى تتصف بها المرأة عن الرجل وعن الميزات التى يتصف بها الرجل وعن المرأة بعقل متفتح لماح ، متأثرا بالتأكيد بما رآه فى فرنسا ، لكنه لم يأخذه على علاته . وقد دافع عن تعليم المرأة العربية واضطلاعها بالأعمال التى يضطلع بها الرجال « عند اقتضاء الحاجة » .

● إعجاب بحرية العقيدة

كذلك أعرب الشيخ رفاعة عن اعجابه بحرية العقيدة الدينية فى فرنسا ، وقال إن الاسلام يحمى حرية كل فرد فى ممارسة عقائده الدينية كما يشاء : وأن اختلاف العقيدة لايرتب لمسلم حقوقا مدنية أو سياسية أكثر من غيره . فاخوة الوطن لها حقوق » .

وعلى الرغم من إعجاب الشيخ رفاعة بدقة الفرنسيين ونظافتهم وصدقهم فى المعاملات ، فقد انتقد بشدة تقلب مزاجهم وقال إن الانسان فى فرنسا « لايأمن تغير الوقت ، فمزاجها كمزاج أهلها . كما وصفهم بأنهم « أقرب الى البخل من الكرم » كذلك قارن بين نهر السين ونهر النيل . وماء النهرين فقال إن ماء النيل وماء نهر الجانج فى الهند « من الأمور المناسبة لصحة الأبدان فى فن الطب » بخلاف أنهار الدنيا الأخرى ، بما فى ذلك نهر السين . وقارن مثلا بين جزيرة « السيتية بباريس وجزيرة الروضة فقال « وشتان بين هذا وبين النيل والروضة والمقياس ، فأن نزهة الانسان فى الروضة والمقياس لاتضاهى » . والمقارنات بين باريس والقاهرة كثيرة فى كتاب « تخليص الابريز » وكلها بالطبع فى صالح القاهرة باستثناء النظافة . ويؤكد الطهطاوى فى أكثر من مكان أننا لو اعتنينا بمصر كما يعتنى الفرنسيون ببلادهم لكانت مصر أحسن من فرنسا ..

ويبدو أن الشيخ رفاعة قد أعجب بالخوخ فى فرنسا اعجابا شديدا . فقد وصف طعام الفرنسيين مرتين قائلا إنه « على الاطلاق عديم اللذة ولا حلاوة صادقة فى فواكه هذه المدينة إلا فى الخوخ » .

وأعرب الشيخ رفاعة عن اعجابه بتشجيع الدولة الفرنسية للعلماء والباحثين . وحثهم على التخصص . ويقول فى ذلك : « إن العلوم فى مدينة باريس تتقدم كل يوم ، فهى دائمة فى

الزيادة . فلا تمضى سنة إلا ويكتشفون شيئا جديدا »(٨) . واهتم اهتماما خاصا بالحديث عن المؤسسة العلمية التى أطلق عليها اسم « مجامع العلماء » وعن المكتبات والمتاحف . وقد ابدى اهتماما خاصا بالمكتبات العامة فى باريس ، فعددها واحدة واحدة ، ووضع احصاءات عن مختلف انواع الكتب التى تحتويها ، وطريقة القراءة فيها والاستعارة منها .

كذلك تحدث عن الجامعات المختلفة والعلوم التى تدرس فيها ، لكنه انبهر بالمستشرقين ومدرسة الاستشراق الفرنسية ، وإن لم يمنعه ذلك ـ على الرغم من أن اساتذة هذه المدرسة كانوا هم أساتذته من أن ينتقدهم ويختلف معهم ، وخاصة البارون سيلفستر دى ساسى

ولا يمكن بالطبع فى مقال صغير إيفاء الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى حقه . فيما كتبه عن باريس ، لكن لعل أهم ما يمكن أن يقال فى هذا المجال ان الشيخ الأزهرى الصعيدى المولد لم يكتف بالمشاهدة والاعجاب والنظرة النقدية : كما لم يكتف بالكتب الهامة التى كتبها لا لتلخيص باريس ، وانما لتلخيص عصارة ما ادركه عند احتكاكه بالحضارة الأوروبية : لكنه عمل بأقصى طاقة على أن يضع ما أعجبه موضع التطبيق فى مصر .

ان مدرسة الألسن التى أسسها الطهطاوى بعد عودته من فرنسا ، لم تكن ـ كما تصور البعض ـ مجرد مدرسة لتخريج المترجمين من اللغات المختلفة الى العربية . لكنها كانت مدرسة لدراسة آداب الدول الأخرى وعلومها وهضمها ونقلها الى العربية : لقد كانت مدرسة تستهدف نقل مصر من تخلف استمر عدة قرون ـ وبصفة خاصة تحت حكم المماليك ثم العثمانيين ـ إلى القرن التاسع عشر ـ كانت مدرسة انفتاح صحى على آخر ما وصلت اليه العلوم والفنون والآداب فى بلاد سمحت لها ظروف يطول شرحها أن تتفوق علينا فى عديد من المجالات .

واذا كان الكثير من المثقفين المصريين منذ القرن التاسع عشر قد انفتحت أمامهم آفاق جديدة تماما ، واذا كانوا بالرغم من ذلك لم ينزلقوا الى التخلى عن تراثهم القديم ، فإن الفضل فى ذلك يرجع الى حد بعيد لرفاعة رافع الطهطاوى وتلاميذه .

هامش

(١) كتاب اصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى مع النص الكامل لكتابه : « تخليص الابريز » دراسة وتعليق د . محمود فهمى حجازى ص ٢٢٩ ـ الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة عام ١٩٧٤

(٢) نفس المرجع صفحة ٤١ (٣) نفس المرجع صفحة ٨٦

(٤) نفس المرجع صفحة ٨٥ (٥) نفس المرجع صفحة ٨٤

(٦) نفس المرجع صفحة ٢٥٩ (٧) نفس المرجع صفحة ٢٠٠

(٨) نفس المرجع صفحة ٢٢٩





الباحثة بثينة عبد الجواد

●● المنديل بأويه ، غطاء الرأس التقليدى للمرأة الشعبية ، أين ذهب ، وهل هو فى طريقه إلى الاندثار النهائى مع المد الهائل للباس الغربى ؟

أم هناك ـ كما يبدو من بعض المظاهر ـ محاولة لإحيائه مرة أخرى ؟

هذا المنديل الذى تغنى به الشعراء والمغنون ، ماهى قصته من أين جاء وإلى أين هو ذاهب ؟ ●●

باحثة مصرية هى السيدة بثينة عبد الجواد الاستاذة بالمعهد العالى للتربية الفنية بالزمالك ، بعد تنقيب فى المراجع ، وعبر استقصاء ميدانى دءوب حكت الحكاية من أولها إلى آخرها فى بحث شائق .

تقول الباحثة إن فن الأويه هو جزء أساسى من « أشغال الإبرة » التى هى واحدة من الفنون التى استعان بها الانسان منذ القدم للتعبير عن أحاسيسه الجمالية .

وإذا كان الفن هو اللغة الثانية للمجتمع ، فإن الاهتمام بفن "الأويه" كغيره من الفنون ، يكشف النقاب عن جوانب اجتماعية هامة ، وعن احتكاكات ثقافية واسعة النطاق حدثت بيننا وبين شعوب أخرى مجاورة .

بأسلاك الذهب فى مقبرة تحتمس بطيبة ، وهناك بعض من القطع المشغولة بالإبرة ، فى مقبرة توت عنخ آمون كانت تعلق على جدران القصور فى منازل الأشراف . (أنظر لوحة رقم ١) .

كما وجدت فى الدير البحرى بطيبة عينات من المنسوجات الكتانية تشبه الحرير . وفى أحد قبور سقارة من العصر اليونانى الرومانى عثر على رداء من الكتان المذهب محلى بمناظر من الأساطير الدينية .

وفى العصر القبطى استمرت مزاولة غزل الكتان ، وكانت زخارف المنسوجات منقوشة بطريقة التايسترى ، وقد ورثها الأقباط عن الفراعنة وحافظوا عليها ، وهذه الطريقة هى التى سماها العرب (القباطى) .

● من الفراعنة وإلى الآن ●

وقد وجدنا عند قدماء المصريين مايشبه أشغال الإبرة ، فقد كان النساجون يقومون بصنع أنسجة موشاة بصور ملونة ، ووجدت أقمشة كتانية موشاة

● لكن ماهى « الأويه » ؟ ●

تعتبر الأويه ـ كما تقول الباحثة ـ نوعا من الدنتلة الرقيقة التى تستعمل ككلفة لأطراف الأشغال المصنوعة من النسيج

كالفساتين والقمصان الداخلية ، والمناديل ، والإيشاربات .

وهذا ينسب بالدرجة الأولى إلى الأتراك . ففى الاناضول نجد صنعة اختصت بها هذه البلاد . وهى ما يسمى فى اللغة التركية « آويا » . وذلك أن تأخذ المرأة التركية خيطا دقيقا جدا من الحرير بألوان مختلفة بحسب الأزهار التى تريد تطريزها بإبرة دقيقة . وتجعل منها شريطا طويلا تزين به عنقها ، وهذه الأويه صغيرة جدا ، وحجم كل زهرة فى الشريط بقدر حجم حبة البسلة على الأكثر ، ونرى فيه من الورد والفلفل الأحمر بأزهاره وتمره والليلك والبنفسج وما خلق الله من الأزهار ، وتحفظها يد المرأة التركية الماهرة فى شريط حريرى لاتفنى ازهاره إذا هبت الريح الشديدة ، فى برد الشتاء فى الأناضول . (لوحة رقم ١)

● مع التوسع إلى مصر ●

ويبدو أن فن الأويه - بحسب ما انتهت إليه السيدة بثينة عبد الجواد - قد انتشر من تركيا إلى الأقطار التى فتحها العثمانيون بعد سقوط السلاجقة فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وآل الحكم فى آسيا الصغرى إلى آل عثمان الذين استطاعوا الاستيلاء على القسطنطينية حتى بلغ ملكهم وادى الدانوب فى الشمال والجزيرة العربية والعراق فى الشرق ، وإلى الشام ومصر والحجاز وساحل البحر الأحمر اليمنى والافريقى فى الجنوب ، وبذلك اتصلوا بالعالم العربى اتصالا وثيقا ونشأ على يدهم الطراز التركى الإسلامى



● فتاة من دمياط ترتدى اوية المقصقص

الذى امتاز بتأثير الأساليب الفنية البيزنطية المتأخرة من ناحية والطراز الفارسى والأساليب السلجوقية من ناحية أخرى .

● تاريخ منديل الرأس ●

ولعلنا نتساءل الآن عن تاريخ منديل الرأس ، وذلك لأنه كما تؤكد الباحثة ، قد استحوذ على فن الأويه فى مصر ، أو بتعبير آخر ، لأن فن الأويه المعاصر فى مصر قد تقلص فى نطاق منديل الرأس ، الذى يطلق عليه اسم « القرطة » بمحافظة دمياط واسم « الحردة » فى الصعيد ، وفى القاهرة وبعض المحافظات يطلقون عليه اسمه الذى اشتهر به « المنديل أبو أويه »

وتستخرج الباحثة دلالات ثلاث لاستعماله :

دلالة دينية ، وثانية اجتماعية ، وثالثة دلالة جمالية . فقد التزمت المرأة فى

العصر الاسلامى بتغطية رأسها عملا بتعاليم الدين على أساس أن شعر المرآة عورة فحرصت النساء على تغطية رءوسهن .

أما بالنسبة للدلالة الاجتماعية فإن الزى القومى ، وحتى فى نطاق الشعب الواحد ، وفى العصر الواحد ، لايكون بنفس المستوى من حيث الخامات المستخدمة فى تنفيذه ، ولا من حيث مستوى الجودة فى التنفيذ ، ولا من حيث خط « الموضة » الذى يتطلب فيه ذلك الزى .

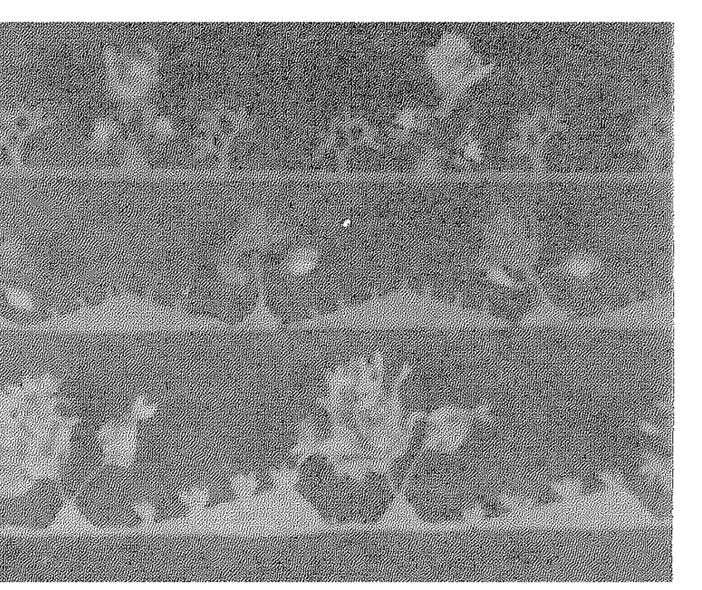
وهذا الكلام ينطبق أكثر ماينطبق على منديل الرأس سواء فى الماضى أو فى الحاضر .

لقد استخدمت المرأة الشرقية بوجه عام ، والمصرية بشكل خاص منديل الرأس ولكن المنديل اتخذ أحجاما متباينة من مستوى اجتماعى إلى آخر .

ولقد عمدت الطبقة الارستقراطية عبر العصور إلى استخدام الأويه فى المنديل بمستويات فنية متباينة .

ونجد الطبقات الفقيرة والمتوسطة قد مالت دائما إلى البساطة ورخص الثمن ، بينما عمدت الطبقات الأرستقراطية الى الانتقاء وإلى تكلفة المنديل بالخامات التى تصل فى بعض الحالات الى استخدام الأحجار الكريمة وبشغل الابرة الذى يحتاج الى جلد ووقت طويل ودقة متناهية .

أما الألوان فقد مالت الطبقة الفقيرة الى الألوان الزاهية ، أما الطبقات الأكثر يسرا فإنها تميل إلى الألوان الهادئة ، وقد استمدت الأويه أشكالها وألوانها من الزهور الطبيعية .



● أوية من تركيا على إيشارب منفذة بغرزة الزرافة .

وحيث إن الطبقات الشعبية تتمسك بالتقاليد لمدة أطول .. فأننا نجد أن المنديل الأويه يكاد ينحصر استخدامه بين نساء الطبقات الفقيرة والمتوسطة .

● أسماء الأويه المختلفة ●

أطلق على الأويه عدة أسماء حتى يميزوا فى مصر الغرزة عن الأخرى . فمثلا توجد غرزة الزرافة وهذه الغرزة استخدمها الأتراك واليونانيون ، ثم الطبقة المصرية الراقية . ثم غرزة المكوك ، ويستخدم عدد « ٢ » مكوك من العظم أو الخشب ، وهو مايستخدم فى أوروبا وإيطاليا فى عمل قماش الدانتيل اليدوى وهذا النوع يستخدم فى مصر حتى الآن ولكن بطريقة مبسطة .

« المقصقص » : وهذه أشهر طريقة فى مصر ومعظم الفتيات الدمياطيات يفضلن هذه الطريقة وهى أكثر البلاد حفاظا على شغل الأويه فيستخدمن هذه الطريقة .. وتندرج تحتها عدة أسماء تصنع بأشكال مختلفة مثل : الفل ، أثنين

فن الأوية

بترتر . مقمع . حزمة الحطاب ، الشيخ على ، الشيخ على تلاتة . مقصقص على عريجة . مقصقص مروحة على خمسة . ثم أويه الدبوس وهى نوع من الأوية تستخدم فيها الأسلاك اللينة .

تم توجد أنواع من الأويه تنفذ بإبرة الكروشيه

لقد استهوى المنديل وما كان له من تأثير جمالى . كثيرا من الزجالين والشعراء والمغنين والرسامين . ذلك لأن المرأة المصرية تفننت فى ربط المنديل بحيث يتناسب مع شكل وجهها ، ولون شعرها . فلم يكن المنديل فى جميع الحالات يغطى الشعر كله . بل إن بعض النساء كن يغطين بالمنديل جزءا من الشعر مع الإبانة عن خصلة منه . مما كان يضفى جمالا على وجه المرأة .

ولقد كانت الفتيات يتباهين بما لديهن من مناديل وبما فيها من « أويه » وكانت البنت قبل الزواج تبدأ فى الجهاز وتضمنه مناديل الرأس ، وكان له فى نظرها مكانة هامة من بين ما كانت تجهزه لزواجها من ملابس متباينة ، ولاتزال هذه التقاليد مرعية فى ريفنا المصرى .

● من أجل الحفاظ على فن أصيل ●

إننا لكى نضطلع بتطوير فن الأويه ، لابد لنا من الوصول الى العاملين فى هذا المجال ، والاتصال بهم اتصالا مباشرا ، والوقوف على أحوالهم ومعرفة الظروف التى تحيط بهم .

وحيث إن محافظة دمياط قد استحوذت على هذا الفن دون باقى المحافظات تقريبا فقد توجهت الأستاذة بثينة عبد الجواد إلى مدينة دمياط وما يحيط بها من عزب وقرى من أهمها عزبة اللحم وقرية الشعراء ، وعزبة الصعيدى ، وقرية الشهابية ومشط جريبه ، والشيخ درغام والسنانية وعزبة البرج والبلد الجديدة .

وكانت نقطة البداية هى عمل بحث ميدانى بتوزيع استفتاء مكون من ثلاثة عشر سؤالا . وبالاطلاع على الإجابات المرافقة نلاحظ الآتى :

- معظم المشتغلات بالأويه بدأن فى تعلمها منذ الطفولة وقليل منهن تعلمنها وهن كبيرات .

ويلاحظ أيضا أن تعلم هذه الصناعة يتم في نطاق الأسرة عن طريق الأم أو الأخوات الكبيرات أو من الجارات . ثم أن هذه الصناعة تقوم حول مدينة دمياط لوجود مصنع غزل ونسيج فى المدينة يستوعب معظم فتياتها .

أهل المدينة أكثر طموحا وتعلقا بالتعليم ، ولكن بالمقابل يوجد بالقاهرة من يقمن بهذا العمل فى الأحياء الشعبية كالإمام الشافعى ودرب البرابرة ، ومصر القديمة .

والآن أليس من المفيد أن ندعو إلى ماتقترحه باحثتنا بعمل مدرسة مثل مدرسة زغرب بيوغسلافيا ، فيها اجتمعت أنواع الفن الشعبى ، وقامت الدولة برعايتها والحفاظ عليها حتى أصبحت من أهم المدارس التى تحافظ على الفن الشعبى .

إننا نضم صوتنا إلى صوت الباحثة فهذه المدارس والمعاهد الحرفية هى وحدها القادرة على حماية فنوننا الشعبية من الاندثار .

دقت الساعة دقتين ..

بقلم : محمد سيد كيلانى

كان الناس فى مصر يؤقتون الزمن ابتداء من آذان الفجر ، ففى هذه اللحظة يبدأ اليوم ، وهو ما كان يعرف بالتوقيت العربى . وكان التوقيت امرا احتهاديا يحدده رجل يعرف بالميقاتى وكان لكل مدينة توقيتها الخاص بها . وكان الميقاتى يعتمد على المزاولة ان كان الجو صحوا ، او على ساعة رملية . وقد برع بعض المصريين فى صناعة المزاول وكانت توضع مزولة فى كل مسجد . ولما وردت الساعات ظل التوقيت امرا اجتهاديا كذلك .

وفى ايام الخديو اسماعيل انشىء اول مرصد فى مصر بناحية العباسية وكان العامة يطلقون عليه اسم الرصد خانة . والذى اشرف على انشائه وتولى ادارته هو اسماعيل باشا الفلكى (ت ٢٧ ـ ٧ ـ ١٩٠١) عن ٨٨ عاما قضاها فى خدمة العلم فنفع وطنه وامته نفعا جزيلا بمؤلفاته وتعاليمه المفيدة . وكان فى جملة من ارسلتهم الحكومة لتلقى العلم فى اوربا فنبغ

دقت الساعة دقتين ..

فى الهندسة وعلم الفلك . فلما عاد الى مصر انشأ المرصد الخديوى وعين ناظرا له ولمدرسة المهندسخانه. ومع ذلك فقد ظل التوقيت مختلفا بين مدينة واخرى حتى انشىء مرصد حلوان جاء فى تقرير كرومر عن سنة ١٩٠٠ ما نصه « أصلح مرصد العباسية اصلاحا عاما فى السنة الماضية ـ ١٨٩٩ ـ وجعل الوقت المدنى للقطر المصرى كله الدرجة ٣٠ شرقى غرينوتش بدلا من استعمال اوقات مختلفة فى اماكن مختلفة . وتؤخذ الارصاد الجوية الان فى ثمانية مراكز بين الاسكندرية وام درمان وترسل اخبارها بالتلغراف الى القاهرة الساعة الثامنة صباحا لتطبع وتنشر وقد دبر المال اللازم لنقل مرصد العباسية الى حلوان » .

وفى نوفمبر ١٩١١ ظهرت فكرة وضع ساعات فى بعض ميادين القاهرة والاسكندرية وكانت الساعة التى يقتنيها الانسان هى ساعة الجيب ذات سلسلة توضع فى جيب الصداره او فى جيب السترة الذى يأتى الجانب الايسر ، وتثبت السلسلة فى عروة تصنع خصيصا لهذا الغرض . ومع ان ساعات الجيب قد اختفت فالجيب مازال باقيا . اما ساعة اليد فلا يتخذها الا المخنثون لان لها اسورة كأساور النساء . واذا كانت الساعة من الذهب الخالص فهى دليل على الثراء .

ساعة ميدان التحرير

والعقرب فى اللغة اسم لتلك الحشرة السامة ولا ندرى من الذى اطلقه على ذلك المؤشر الذى يدل على الساعات والدقائق والثوانى ، اذ لا يوجد شبه بين الاثنين .

والدقيقة ـ كما جاء فى القاموس المحيط ـ انها فى حساب النجومى جزء من ثلاثين جزءا من الدرجة . فالقدماء اذن كانوا يقسمون الساعة الى ثلاثين دقيقة . اما الثانية فهى ترجمة للكلمة الافرنجية ، ولم تعرف

عند القدماء بالمعنى الذى نعـــرفه اليـــوم • ومن الشـــعراء الذين استخدموا الدقائق والثـــوانى فى شعرهم احمد شوقى وذلك فى قوله :

دقات قلب المـــــرء قائلة له
ان الحيـــاة دقائق وثـــوانى
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للانسان عمــــر ثانى

ثم صنعوا المنبه واطلقوا عليه هذا الاسم لان به جرسا يوقظ النـــائم وينبه الغافل • ثم رأينا ساعة خاصة بالمكفوفين فيستطيع الكفيف ان يعرف الوقت عن طريق اللمس ، وســاعات تحمل اسماء الايام والشـــــهور وتواريخها ، واخرى لا تتأثر بالماء •

وفى اللغات الاجنبية نجـــد كلمة تدل على الالة هى كلمة (Watch) واخرى على المسافة التى يقطعهـــا العقرب (O'cloch) وكلمة تدل على الزمن (hour) اما فى اللغـــة العربية فلا نجد سوى كلمة واحـــدة تدل على الالة والزمن معا •

وقد دخلت الساعة فى علم النحو باب المفعول المطلق فيقال دقت الساعة دقتين كما دخلت فى علم البيان فيقال دقت ساعة الخطر ، او دقت ساعـــة العمل • كما دخلت الساعة فى الاداب الاجتماعية ، فاذا زارك صديق واردت ان تنهى الزيارة نظرت فى ساعتك او حركت اسورتها فيفهـــم الجـــالس ان الزيارة يجب ان تنتهى •

وبعد انشاء مرصد حلوان وتوحيد الوقت فى جميع انحـــاء القطر كان سكان المدن والقرى يضبطون ساعاتهم على ساعات مكاتب البرق •

وفى اواخر الثلاثينيات اتخـــذت ساعة جامعة فؤاد الاول (القاهرة) أساسا للتوقيت وبدأت الاذاعة تبث التوقيت بانتظام فيقال دقت ســـاعة جامعة فؤاد الاول التاسعة فيســرع الناس الى ضبط ساعاتهم حســـبما يسمعون •

والساعة ـ علاوة على ما تقدم ـ اسم من اسماء القيامة ـ ففى سورة الروم مثلا ـ ويوم تقوم الســـاعة يقسم المجرمون •

ومنذ سنة ١٩٥٧ بدأ العمل بالتوقيت الصيفى وذلك بتقديم الزمن ســاعة ، وقيل تبريرا لذلك انه يوفر الطـــاقة والانتفاع بضوء النهار • ثم الــغى أخيرا بحجة انه يحدث ارتبـــاكا فى مواعيد قيام الطائرات او وصولهـــا من الخارج •

● فائدة تاريخية

وهناك قصة حول وضع ســـاعة لاول مرة بمحطات السكك الحـــديدية فقد كان فى مدينة القاهرة محطتـــان للسكك الحديدية • احداهمـــا فى السبتية للوجه القبلى والاخرى بجوار محطة كبرى الليمون للوجه البحرى وفى ١٤ مايو ١٨٩٢ وضع الخـــديو عباس حلمى الحجر الاساسى لمحطـــة العاصمة التى نشاهدها اليوم • وقد وضعت اصناف العقود مع ســـجل البناء ونسخ من جميع الصـــــحف العربية والافرنجية التى تصـــدر فى القاهرة فى علبة كبيرة وختم عليهـــا بالرصاص •

وكانت ترعة الاسماعيلية تخـــرج من مكان قريب من ميدان التحـــرير وتسير مارة بباب الحديد الى غمـــرة فالاميرية • وكانت شواطىء التـــرعة عند باب الحديد تتخذ كمراحيض حتى اصبحت قرارة اوضار تنبعث منهـــا الروائح الكريهة ، وبعد ردم هـــذه الترعة اتخذ ميدان باب الحديد شكله الحالى سنة ١٩١٣ ووضعت ســـاعة كبيرة فى أعلى مبنى محطة العاصمة •

الحب له قصة أخرى في السينما العربية

بقلم : مصطفى درويش

● في الحب « كتاب ألفه الأديب الفرنسي « ستندال » منذ مائة وخمسة وستين عاما أو يزيد ، وقال على صفحاته ضمن ما قال إن هناك أنواعا أربعة من الحب أولها الحب الجامح الذي يملك على النفس أهواءها وعواطفها وحسّها وشعورها . والذي يندفع كالسيل لايلوى على شيء ولايترك حظا من أناة أو رويّة أو تفكير ●

فهل ثمة وجود لهذا الحب الذي تفنى فيه النفس فيما نرى من أفلام عربية ، وبخاصة ما كان منها مصنوعا على أرض مصر ؟

اجاب عن هذا السؤال المخرج « عمر أميرآلاى » (سوريا) بفيلمه التسجيلي « تابوت الحب » او في تسميته العربية « الحب الموءود » وكانت اجابته بلا .

وقد اعتمد للوصول الى هذه النتيجة على عدد غير قليل من نماذج لنساء ورجال . اختارها بعناية من بين اناس . البعض منهم كتبت له شهرة واسعة . والبعض الآخر لم يكتب له منها شيء .

كما اعتمد على تطع باتر ، وتوليف ماكر بين المشاهد التي ظهر فيها من وقع عليهم الاختيار .

وهو في فيلمه يبدأ ـ وقبل ظهور العناوين ـ بفرح في سرادق .. عروس وعريس يرتديان ثياب الزفاف البيضاء ، مطربة تتلوى وهي تغني « ياقمر » ، منادى يصيح باحلى السلام للضيوف الكرام .

وصوت من خارج اطار الفيلم يقول ان البيت هو الاستقرار والراحة الكاملة . وان المرأة اليابانية تمثل المرأة كما أنزلت ، أما المرأة المصرية فمتخلفة « خالص » ، لأن الانسان المصري يحمل في اعماقه تخلفا دام اربعة الاف عام .



حب مستورد على الطريقة الأمريكية " يسرا وحسين فهمى فى قبل الوداع

وبعد انتهاء هذا الكلام . تبدأ عناوين الفيلم التى ما تكاد تنتهى ، حتى تظهر امرأة مثقفة تقدمت بها السن قليلا ، قليلا حتى بلغت الأربعين دون ان تورط نفسها فى زواج .. لماذا ؟

لأن شخصيتها قوية ، والرجال فى مصر لايشغفهم حب النساء الجريئات ، المقدامات .

حديث الجوزة

وفجأة نلتقى بشاب مضت به الأيام ، حتى أصبحت خمسة وثلاثين عاما .

ولقد فاته القطار ، فلم يستطع الزواج حتى الآن . وهاهو ذا يتعاطى الحشيش متصاعدا دخانه من جوزة ، وهاهو ذا مثقل بقيود التقاليد والعادات ، مقصوص الجناح ، ليس فى وسعه ان يمارس الحب ، ان يبادل من يحب هياما بهيام . فاذا ما انتهى حديث هذا الشاب الضائع فى الأوهام خرج بنا صاحب الفيلم الى شوارع القاهرة ، كى يطوف بنا من حى الموسكى الشعبى الى فوضى ميدان رمسيس المعروف بباب الحديد ، واخيرا الى عمارة غير شعبية تطل على النيل شاهقة ، شامخة ، ليصعد بنا من داخلها الى نجمة الجماهير « نادية الجندى »

وها هى « الفنانة التى حققت جزءا من

ذاتها . ولايزال امامها طريق طويلة لتحقيق احلامها » هاهى تتحدث عن الاغراء وماهيته شارحة بعينيها وبشفتيها ثم بفخذيها مالم تستطع شرحه بالكلمات « مفهومى للأغراء يختلف تماما .. مش لازم الاغراء انى اعرى رجلى ، عمكن اعمل الاغراء بنظرة تدى تاثير اكثر من لو لبست مثلا مايوه .

ممكن اعمل منظر بشفايفى يبقى يوحى بانوثة اكثر واخطر من لو لبست فستان مفتوح .

مفهومى للأنوثة يختلف تماما عن مفهوم الانوثة فى السينما الامريكية .. يعجب كافة الاذواق والطبقات»

جبروت خادمة

وما ان انتهت النجمة « الاعظم » من هذا العرض لوسائلها فى الاغراء المحتشم ـ وفيما هى تتحدث عن فيلمها « الخادمة » وموضوعه الذى « يمس البيئة المصرية » لأن بطلته خادمة تسلقت ، فسيطرت على مصائر اسرة ثرية من خلال اغراء ولدها الوحيد ، والتحريض له بالتمرد على امه سيدة الاعمال ، مما مهد لها طريق الاستيلاء على بيت العائلة وشركتها وحلى الام . وغير ذلك من عزيز الاشياء ـ فيما هى منهمكة فى هذا الحديث عن خادمتها او شيطانتها ـ تركتها الكاميرا منتقلة بنا خلسة الى خادمة حقيقية شقية (ام حماد) ، نراها صاعدة ، وهى تحمل ابنها درجات سلم عمارة سكنية ـ ومعها صوت ملكة او خادمة الاغراء . مصاحبا ـ الى حيث تسكن اسرة من تلك الاسر التى تنتسب الى الشرائح العليا من الطبقة المتوسطة .

وهنا نكتشف بعيدا عن خيالات وخادمات السينما ـ ان « ام حماد » قد عقد قرانها على رجل مسن ، وهى صبية ، بل قل طفلة لم تتهيا بعد للزواج لاجسديا ، ولانفسيا ، وبالتالى لم تكن تعرف من اسرار الرباط المقدس شيئا .

وان حياتها كانت جحيما ذاقت فيه مرارة الحرمان من القروش القليلة التى كانت تكسبها بكدها وكدحها ؛ فقد كان زوجها ، بل ـ قل ـ أبوها ، دائم الاستيلاء عليها ليصرفها على هواه .

فإذا ما ثابت الى الرشد والحزم . والتمست الطلاق . عذبها فى المحاكم ، لم يرد اليها حريتها الا بعد ان حصل منها على تنازل عن كل مستحق لها .

على انها ـ بعد الطلاق ـ لم تلبث ان تزوجت مرة ثانية .. لماذا ؟

خوفا من كلام الناس . وفى بعض حديثها عن زيجتها الثانية قالت ما مفاده انه لافائدة ، وانها لن تنعم بحياة هادئة سواء أكانت داخل جنة الزواج ام خارجها .

الفن والإيمان

وبعد هذه الكلمات التى تقطر بؤسا

وبأسا تعود بنا الكاميرا الى ملكة الاغراء أو خادمة السينما بين فساتينها الفاخرة لنسمعها تقول ان « الفن فيه كثير من الانانية .. عشان اوصل للنجاح لازم اتنازل عن نادية الجندى كامرأة لاحتفظ بنادية الجندى الفنانة » .

ومع لقطة من فيلمها « وكالة البلح » فى احضان « محمود ياسين » متعريا من أعلى حتى خصره ، مغريا لها بالقبلات الحارة تواصل النجمة المعبودة حديثها قائلة « حياتى الخاصة بامارسها بطريقة تختلف تماما .. يعنى يمكن ان أقول لك ، أنى أكثر من متدينة ، متطرفة فى الدين » .

فإذا ما قاطعها صاحب الفيلم متسائلا « ألا يعتبر هذا انفصاما فى الشخصية ؟ »

ردت بالايجاب دون تردد مرددة مؤكدة كلماته « ده انفصام فى الشخصية مائة فى المائة .. بس اتعودت على كده » !!

وطبعا لاتقتصر نماذج « الحب الموءود » على ما تقدم ثمة نماذج اخرى شقية وشائقة بثها « أمير آلاى » فى كل مشهد من مشاهد فيلمه .

الذبح العظيم

ومع ذلك فليس من المفيد الوقوف حاليا عند اى منها ، فيما عدا نموذج مستثنى وحيد .. فما هو ؟

قريبا من منتصف الفيلم ـ وبعد مشهد مع رب اسرة لم يتزوج عن حب ، وانما عن طريق امه ـ فلما سئل عن شريكة حياته وحاله معها ، أجاب بانها كانت وديعة ، مطيعة ، الا انها مع مر الزمن اخذت فى التمرد ، حتى خيل اليه انها غير صالحة ، وانه لم يبق له فيما لو خير بينها وبين امه ، الا أن يذبحها هى واولاده منها ـ بعد هذا المشهد الغريب حقا ـ تتسلل بنا الكاميرا الى صحن جامع حيث نرى فتى نقيا وسط دائرة من المصلين .

فاذا ما تكلم سمعناه يقول ان الضائقة الاقتصادية تحول دون اشباع الاشتهاء للأنثى بالطريق الحلال ، وان الشاب فى هذه المحنة ليس امامه من سبيل سوى الرحيل الى الخارج لجمع المال اللازم للزواج ، أو الامتثال الى الصبر والصوم الذى هو خير علاج للشهوة .

وما يكاد الفتى ينتهى من قولته الأخيرة « معك قرش تساوى قرشا . ليس معك شىء لاتساوى شيئا » ! حتى تنطلق الكاميرا بنا الى موكب مهيب لمشايخ واتباع الطرق الصوفية ـ ومنه ، وبفضل قطع سريع ، الى حلقات ذكر يشارك فيها فتيان بنشوة فوارة ، جذوتها لاسبيل الى اطفائها .

ثم تستأنف الكاميرا مسيرتها الاستطلاعية ، حتى اذا ما اقتربت من نهاية المشوار : عادت الى الشاب الضائع فى دخان الاوهام ، لنسمعه يقول ، والجوزة لاتزال فى قبضة يده ، انه غيور جدا ، ولن يسمح لخطيبته بالعمل ، وانه سيعقد قرانه عليها بعد العيد الكبير .. لماذا ؟

يجيب عن هذا السؤال بهذه الكلمات التى جرت على لسانه ـ وكانت آخر كلمات الفيلم ـ « اذبح واذبح .. الخروف واذبح »

الحب له قصة أخرى في السينما العربية

تتبعها ضحكة فيها من الخداع والانخداع الشيء الكثير

هذا هو حال الحب فى الاصل والصورة حسب رؤية « عمر اميرآلاى » فى فيلمه « الحب الموءود »

وعلى ما يبدو من معظم الافلام العربية الهازل منها والجاد على حد سواء ، ان الحب فيها كما فى « الحب الموءود » مختنق . أو ليس له وجود .

الرجولة اير

فالبطل فى « عمر قتلته الرجولة » لصاحبه « مرزاق علواش » (الجزائر) - وهو أحد افضل عشرة آفلام فى تاريخ السينما العربية وفقا لاستفتاء اجرته مجلة « اليوم السابع » فى عدد ٢٣ من فبراير سنة ١٩٨٧ - هذا البطل موظف صغير مقهور ، يعيش على الهامش خارج الحياة كما يعيشها الناس ، يحاول أن يملأها بنفر من الزملاء ، كلهم وبلا استثناء من صنف الرجال .

والغريب فى أمره ان الصلة بينه وبين المجتمع منقطعة ، وانه يسعى الى اعادتها فلا يجد سبيلا الى ذلك الا فى كرة القدم والسينما الهندية واقتناء جهاز تسجيل يعيش من خلاله مع الوهم محذرا تارة باغان هندية ، وتارة اخرى بأغان شبه شعبية لعبد القادر الشاوى آحد مشاهير مطربى الجزائر .

وبينما هو فى طريقه الى منزله عبر حى القصبة ، عائدا من عرس سجل فيه لهذا المطرب ، اذا بعصابة تنقض عليه ، تسلبه جهاز التسجيل .

ولاتطول المأساة الصغيرة ، فسرعان ما وفر له صديق مسجلا جديدا بالتقسيط المريح .

وفوق هذا اهداه شريطا فارغا .

وما يكاد يجرب الشريط ، حتى يفاجأ بسماع صوت نسائى مسجل يتحدث فى عذوبة ورقة عن آلام الوحدة ومرارة الفراق والحرمان .

فاذا ما استفسر من صديقه عن صاحبة هذا الصوت ، وآلح فى الاستفسار حتى اخبره بان اسمها « سلمى » واعطاه رقم هاتفها فى المصلحة التى تعمل بها .

ويسرع « عمر » بالاتصال بها هاتفيا .

وآثناء الحديث معها ، يعبر لها عن حبه لصوتها ، ويتفق معها على موعد للالتقاء ، حتى اذا ما حل الموعد ، ورآها من بعيد تنتظره قريبا من مدخل المصلحة خانته شجاعته ، فظل متسمرا فى مكانه لايتحرك ، معلقا بين اليأس والرجاء . وكأن ثمة قوة خفية تقطع كل سبب بينه وبين صاحبة الصوت الساحر ، حتى انصرفت يائسة .

وغنى عن البيان ان هذا التهرب من التعارف مع الجنس الآخر ، انما هو وليد العجز عن التحاب والمؤانسة ، هذا العجز الذى نراه متجليا فى شخصيات « وللحب



عمر قتلته الرجولة . شباب بلا حب

قصة اخيرة » لصاحبه «رأفت الميهى » والذى يعتبر واحدا من أهم أفلام منتصف الثمانينيات .

ففى جزيرة « الوراق » حيث تدور احداث الفيلم يعيش الطبيب الشاب « حسين » (عبدالعزيز مخيون) خاملا ، هاجرا زوجته وأولاده ، لانه اسير الوفاء لأم فى غيبوبة ، لاتعى من أمر نفسها شيئا منذ خمسة عشر عاما .

وهو لايتحرر من هذا الوفاء الزائف الذى هو أقرب الى الكابوس ، الا بالفسق مع بغى .

أما « رفعت » (يحيى الفخرانى) بطل الفيلم ، فهو الآخر عاجز لأنه صاحب قلب عليل ، يحاول اخفاء علته عن زوجته التى احتملت من مرارة الحرمان الجنسى آهوالا ثقالا ، بأن يوهمها بالتواطؤ مع الدكتور حسين بانه ليس مشرفا على النهاية ، بل على العكس فى كامل الصحة والعافية

الحب الغائب

وختاما فلو آلقينا نظرة طائرة على الأفلام المتقدمة لجائزة الدعم السينمائية للأفلام المتميزة ، أنتاج عام ١٩٨٦ - وعددها أثنان وثلاثون فيلما - ثم تأملناها

الحب له قصة أخرى في السينما العربية

قليلا . لوجدنا انها فى معظمها افلام بلا حب « كالبداية » لصلاح ابو سيف » و « الضائعة » لعاطف سالم » و « قاهر الزمن » لكمال الشيخ . وإما بحب هش غير قادر على الصمود للنوائب أو لأغراء الاشياء « كجذور فى الهواء » « ليحيى العلمى » و « الورشة » « لأحمد السبعاوى » و « وصمة عار » « لاشرف فهمى » و « انتحار صاحب الشقة » لأحمد يحيى » : وإما الحب فيها مستورد فى شخوصه واحداثه ، لأن قصته مستوحاة من فيلم اجنبى لعب دورا هاما فى تاريخ السينما العالمية ، كما « قبل الوداع » لحسين الوكيل . والمأخوذ جملة وتفصيلا من فيلم « انتصار الظلام » الذى مثلته « بت ديفيز » مع « رونالد ريجان » (رئيس الجمهورية) منذ خمسين عاما الا قليلا : واخيرا إما الحب وقصته فيها من ذلك النوع المشوه الماجن الذى يدخل بمن أصيب به فى مسالك الريبة والعبث لينتهى به الى مصير بشع بغيض .

الرحيق والحريق

ولعل « بلاغ ضد امرأة » بموضوعه الذى استوحاه كاتب السيناريو « أحمد صالح » من حادثة وقعت بالفعل ، خير مثل على هذا النوع الآثم من الحب . أو بمعنى أصح هذا النوع من العلاقات التى تقوم على الشهوات النارية العاجزة عن الارتفاع الى مستوى الحب الذى قال به « ستندال » : « فرضوان » (محمود ياسين) بطل هذا الفيلم الذى اخرجه « أحمد السبعاوى » زوج مخدوع . أكتشف مسالك الريبة والعبث التى تسلكها زوجته « كريمة » (بوسى) ، تركها وقتا ما حتى ظنت انه لايعلم من أمر خيانتها شيئا .

فاذا ما اطمأنت تماما الى جهله بما تقترف . دبر لها مكيدة تدل على الحزم والعزم وشدة المضاء .

طلقها مرتين لأسباب تافهة ، ثم ردها الى عصمته بعد ان كان يبدى لها فى كل مرة الندم على فعلته . ويجزل لها العطاء هدايا سخية : حتى اذا ما طلقها مرة ثالثة . وبات مستحيلا ان يعيدها شريكة لحياته دون زواجها من آخر ، تقدم اليها متضائلا ، متهالكا ، مقترحا ان تتزوج لليلة واحدة من عشيقها « مجدى » (محمد صبحى) .

ومع اشراق شمس الصباح التالى لتلك الليلة . كشف لها ولزوجها انه كان على علم بما كانا مندفعين فيه ، وكشف لهما كذلك عما دبره لهما كيدا فى الخفاء .

فهى بموجب الزواج الذى اصطنعه لها ، قد فقدت حقها فى النفقة والحضانة .

وهى لن تملك من حطام الدنيا شيئا ، فالعربة المرسيدس الفارهة ، والمجوهرات الثمينة ، والفيللا الفخمة التى تحيط بها طبيعة رائعة نسقتها يد الفن احسن تنسيق : كل ذلك قد ضاع عليها لانه لم يكتبه باسمها كما أوهمها .



الضائعة .. نادية الجندى .. امرأة بلا حب

ولنا ان نتصور تأثير لحظة الحقيقة هذه على عريس الليلة الواحدة .

فقد كشف عن ان ما كان بينه وبين معشوقته ليس حبا وانما مجرد نزوة عابرة .

وقد كان يمكن « لبلاغ ضد امرأة » ـ وهو يعرض لعلاقات خطيرة كهذه ان يرتفع الى مستوى مأساة بطلته ، تلك المرأة التى قاومت السقوط ، فلم تستطع ثم خادعت نفسها فصورته حبا ، فلم يغن الخداع عنها شيئا .

واخيرا ، وقفت حائرة ممزقة بعد ضياع كل شىء ، وأكتشفت ان ما قدم لها فى الكأس التى شربت منها لم يكن رحيقا بل حريقا .

الا ان شيئا من هذا لم يعرض له الفيلم ، وهذا امر ولاشك ليس بغريب فى سينما تجهل ان الحب امر خطير .



النوبيون في مصر

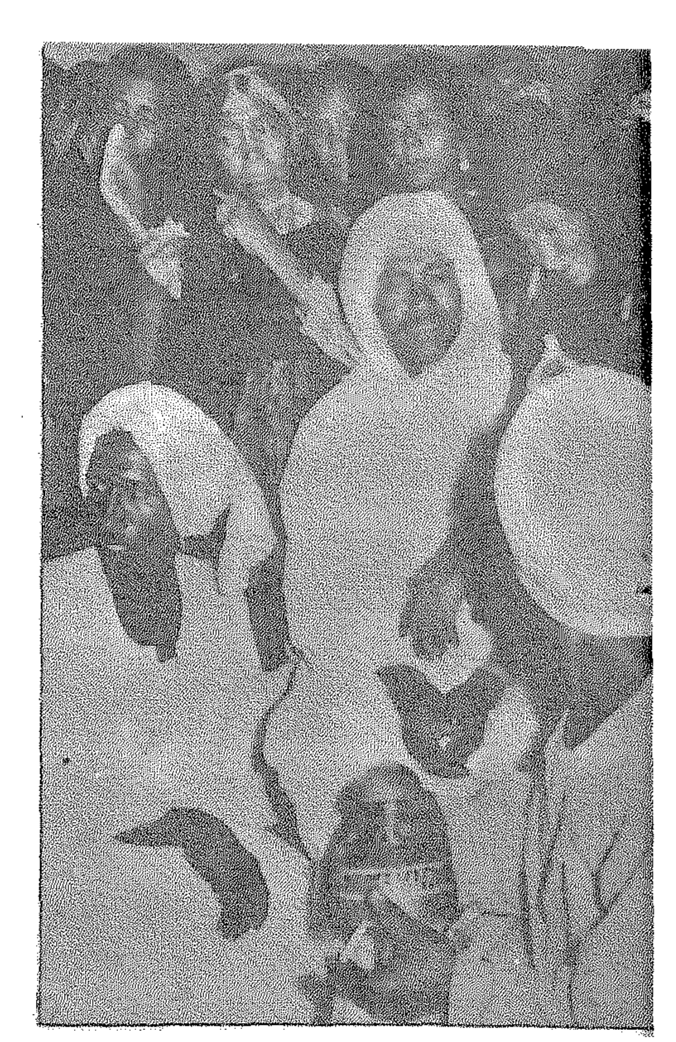
تأليف : روبرت أ. فرنيه • تصوير : چورچ جيرستر

عرض وتعليق : سيد جاد

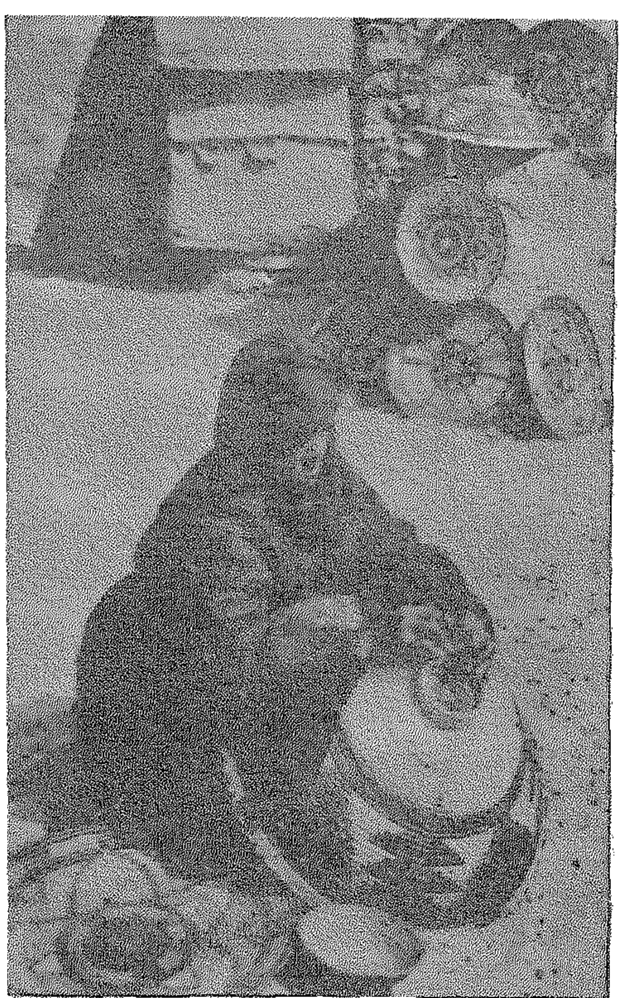
منذ بداية إقامة السد العالى ١٩٦٠ ، ومع تنبه مصر والعالم للتراث الحضارى الذى كان موشكا على الغرق ، سارع كثير من الباحثين إلى أرض النوبة للبحث والتسجيل والتوثيق لإنقاذ آثار النوبة وإعادة توطين النوبيين .

وكما تقول ليلى الحمامصى ، مدير مركز الدراسات الاجتماعية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة وقتئذ ، فى تقديمها لهذا الكتاب : "إنه لمن دواعى الحزن والسخرية معا أن ضياع النوبة القديمة الذى كان موشكا على الحدوث كان هو الفرصة التى أتاحت للكثيرين التعرف على الحضارة النوبية التى وهبت أبناءها كل هذا الثراء الداخلى الذى جعل فى مقدورهم الاحتفاظ بالانسجام الروحى وخلق الجمال من حولهم بأقل موارد مادية ».

فى هذا الإطار قامت بعثة من مركز الدراسات الاجتماعية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بعملية مسح اثنولوچى شامل لمناطق النوبة الثلاث : الكنوز فى الشمال والعرب فى الوسط والفاريچا فى الجنوب ، وللنوبيين المقيمين بالمدن الكبرى كالقاهرة والإسكندرية ، وكذلك للنوبيين الذين سبق أن هاجروا بعد بناء خزان اسوان وبعد تعلياته المتعاقبة خاصة أولئك الذين توطنوا فى قرية دار السلام شمال أسوان . وقد اشترك فى هذه الدراسات الاجتماعية عدد من الأساتذة



● فى حفل الزفاف يهدى المأذون للعروسين طاقية مزركشة معطرة



● امرأة نوبية تصنع السلال من سعف النخيل

المصريين والأجانب تحت اشراف الانثروبولوجى الامريكى د . روبرت فرنيه (خلال الفترة من ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥) مؤلف هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليوم .

أصدر روبرت ا . فرنيه هذا الكتاب عن "مطبعة جامعة تكساس (أوستن ـ لندن)" بعنوان : "النوبيون فى مصر" وتحته عنوان فرعى "قوم محبون للسلام" . والحق أن هذا الكتاب يعد سجلا فريدا لأسلوب حياة النوبيين فى موطنهم وصورة حية متكاملة للحضارة النوبية .. ويتميز هذا الكتاب **بالوحدة الموضوعية التى ارتكزت على رؤية المؤلف لطبيعة الحضارة النوبية بما تحمله من قيم وأساليب فنية مكنت النوبيين من استخلاص قوت الحياة من بيئة محدودة الموارد الطبيعه كما مكنتهم من التعايش السلمى على مر التاريخ بالتكيف فى مواجهة التغير مع الاحتفاظ فى الوقت نفسه بأصالتهم وهويتهم .**

● الماضى والحاضر

من هذه النظرة لأهمية النوبيين باعتبارهم نموذجا ناضجا للتكيف السلمى فى مواجهة

النوبيون في مصر

التغير ينطلق للبحث فى مقومات هذه الحضارة ويربطها بالماضى والجذور واللغة والبيئة ونظام الحكم بالمعنى الشامل فيركز فى كل منطقة على الظاهرة التى تبلور أسلوب حياة النوبيين فيها من جميع النواحى الاجتماعية والاقتصادية والدينية - احتفال الزواج عند الفاديجا ، وموالد المشايخ والأولياء عند الكنوز - كما أفرد فصلا كاملا لتجربة الهجرة الى المدن الكبرى وحياة النوبيين فيها . وفى نهاية دراسته يتحدث عن مستقبل النوبيين من وجهة نظره .

يتميز هذا الكتاب أيضا بتزويده بمجموعة كبيرة نادرة من الصور الدالة (حوالى ٩٠ صـورة) التقطها المصـور الفوتـوغرافى السويسرى چورچ چيرستر الذى شارك روبرت فرنيه الاقامة والترحال فى النوبة القديمة لمدة أربع سنوات ، كما زار معه النوبة الجديدة بعد التهجير . ومن الجدير بالذكر أن الكتاب تضمن أيضا دراسة قيمة عن العمارة النوبية قام بها المهندس العمارى السويسرى هـورست چاريتز قام بها على حدة ضمن بعثة المعهد السويسرى للآثار بالقاهرة لتصوير وتسجيل آثار النوبة أعوام ٦٣ - ٦٤ - ٦٥

● أهمية النوبيين

تعتبر التجربة النوبية نموذجا فريدا جديرا بالاهتمام فى ضوء مايحدث فى بعض أنحاء العالم من اقتلاع الناس من جذورهم ، وكيفية مواجهتهم الحضارية وتكيفهم مع المجتمعات الجديدة .

إن العصر الحديث بما حمله من وسائل اتصال جماعية قد قضى تقريبا على كثير من مظاهر حضارات الجماعات الصغيرة وعلى ما كانت تتميز به من ابداعات وتفرد وانجازات تطورت خلال العزلة على مر الزمن ، إنجازات تتعلق بالقيم وبتقنية استخلاص مقومات الحياة من البيئات المختلفة ، وتتعلق أيضا بطرق التعبير فى الفن التشكيلى ، فى الكلمات ، فى بناء المساكن ، وحتى فى تشكيل الأشيـاء المستخدمة فى الحياة اليومية . هذه المظاهر الفريدة للقدرات البشرية لن تتكشف مرة أخرى بعد اندماج هذه الجماعات فى المجرى الرئيسى لحياة المجتمعات الجديدة . من هنا تأتى أهمية هذا الكتاب بما فيه من تسجيل لبعض انجازات أهل النوبة المصرية وأساليب حياتهم وقيمهم التى تصور طبيعة مجتمعهم وحضارتهم التى استطاعوا بها الاستمرار والابقاء على نقائهم على مر الزمان فى مواجهة الأزمات والمتغيرات .

وإذا كان المجال لا يسمح هنا بالتجول فى جميع أنحاء ذلك العالم السحرى للنوبة القديمة والتعرف على كل جوانب الدراسة الانثروبولوچية التى قدمها روبرت فرنيه ، فإنه يمكننا التوقف عند بعض ملامح الصورة الحية التى عرضها للمجتمع النوبى .

● الزواج فى منطقة الفاديجا

عندما يشرح النوبيون طبيعة مجتمعهم المبارك للغرباء يبدأون بـوصف احتفال الزواج .. ولا تكاد تنفض إجراءات الزواج حتى تبدأ شبكة أخرى من العلاقات فى اطار المجتمع تعبر عنها بطريقة تختلف عن طريقة التحليل الاقتصادى الرسمى .. ومع تركيز المؤلف على منطقة الفاديجا التى أقام فيها جنوب النوبة وعلى عاداتها وتقاليدها .. يتوقف طويلا عند احتفال الزواج باعتباره الظاهرة الرئيسية هناك والتى تتكشف من خلالها شبكة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتى تنتقل من خلالها الثروة والعادات والتقاليد إلى الأجيال الجديدة .

يتحدث روبرت فرنيه عن تفاصيل تقاليد اعلان الخطبة وتبادل الزيارات والهدايا والولائم بين الاسرتين ، وعن ليلة الحنة وليلة عقد الزواج ويذكر ارتباط احتفال الزواج بنهر

- نقوش ورسوم عربية على بوابات المنازل النوبية



النيل وتزين العريس عند النهر ليلة الحنة ثم يركز اهتمامه على عادة تقديم النقوط والهدايا ودورها الهام فى النوبة حيث يتلقى العريس وكذلك العروس نصيبهما من الأرض وآلات الرى ونخيل البلح والبقر وحتى نصيبهما من البيوت فضلا عن الهدايا الصغيرة . ومجموع هذه الأنصبة من الثروة والهدايا هو الذى يحدد ما اذا كان العريس ستكون لديه المقدرة للإقامة وفتح بيت في النوبة أم أن الأفضل له الرحيل للعمل بعيداً عن النوبة .

كما يصور الزواج النوبى بعدا أخر للعلاقات الاجتماعية بين أفراد من نفس المجتمع - وهى علاقات التبادل عن طريق "النقوط" أى تبادل الهدايا والمساعدات المادية والمجاملات ، فمن خلال هذا التبادل يمكن أن تمتد موارد المجتمع للاستعانة بها فى الأزمات والكوارث المفاجئة التى قد تحل بافراد المجتمع . ومن خلاله يتم ترميم البيوت وحصاد الحقول وتقديم موائد الطعام لعدد كبير من الضيوف ، ولا شك أن هذه الرغبة الواعية فى تبادل المنافع والالتزامات المنظمة عامل قوى يساعد على الترابط والوحدة .

● المولد فى منطقة الكنوز

أما الكنوز الذين يقطنون الجزء الشمالى من النوبة فقد كيفوا حياتهم مع ظروف الندرة التامة لموارد القرية . وفى نفس الوقت احتفظوا بصورة من صور التنظيم الاجتماعى لم تعد لها الوظيفة الاقتصادية الهامة التى كانت لها يوما ما باعتبارها مسألة حياة ووجود .

يعتمد روبرت فرنيه فى حديثه عن الكنوز على دراسة الانثروبولوچى شارلز چلندر ومساعديه الذين أقاموا فى هذه المنطقة مدة عام تقريبا .

• الكنوز منتظمون فى قبائل تشبه إلى حد كبير قبائل العرب البدو .

من الناحية النظرية القبيلة الكنزية فرع أبوى منحدر من جد واحد .. ولكن مع وجود الكثرة من الفروع الدائرية للقبيلة لا يخلو الأمر من وجود أفراد وأحيانا فروع بأكملها تتداخل مع فروع أخرى بالتزاوج والاقامة المشتركة . أى أن القبيلة يمكن أن ينفذ إليها أفراد غير منتمين لنفس الجد وسوف يتم فى النهاية قبول تسلهم باعتبارهم من قرابة الدم . فى الاساس يختلف الكنوز عن الفاديجا فى الاهتمام الشديد بالمظاهر الإيديولوچية للتسلسل الأبوى أكثر من اهتمامهم بالناحية الاجتماعية لتنظيم صلة القرابة .

وتتبلور قوة التنظيم القبلى عند الكنوز فى أنشطة الاحتفال بالمولد والذى يهتم به الكنوز بينما الفاديجا يفتقرون الى هذه الانشطة الخاصة باحتفالات الموالد الى حد كبير . واذا كانت هذه الاحتفالات تحقق أهدافا دينية وشخصية فانها أيضا ترمز الى الاهتمام بالتنظيم القبلى والأجزاء والفروع التى تشملها .

كان يوجد فى المنطقة الكنزية فى قرية دهميت وحدها ١٥٠ ضريحا لمشايخ متفاوتى الأهمية ومن سكان لا يتجاوز عددهم ١٥٠٠ شخص . بعض هذه الأضرحة لم يكن يزيد على كومة حجارة تكون موضع اهتمام عائلة أو امرأة أو حتى أطفال يقلدون الكبار بممارسة أنشطة الاحتفال كشكل من اشكال اللعب . والضريح الأهم هو الذى تهتم بمولده القبيلة باكملها .

من اهم الأضرحة بقرية الماهناب الحسن والحسين باعتبارهما الأصل المنحدر عنه القبيلة حتى لو كانوا منحدرين فقط من نسل الحسين ، والضريح عبارة عن مبنى صغير من قبتين على أطراف قرية بجوار أرض تستخدم فى الرقص والغناء متصلة بمدافن القرية . إن الارتباط بين الجبانة والضريح يقوى دافع

الانتساب الى الجدود الواضح فى شعائر احتفال القبيلة وكانت بعض مظاهر الاحتفال بمولد الحسن والحسين تستمر طوال العام . تقوم النساء بأداء النذور إذا تحققت طلباتهم ، ويزور العرسان الضريح أثناء موكب الزفاف . كما يقوم الأشخاص المسافرون الى القاهرة وغيرها بزيارة الضريح قبل الرحيل ، وتكون قمة الاحتفال يوم المولد فى ١٥ شعبان . ومن الغريب أن تختلط هذه الاحتفالات الدينية بالنشاطات الدنيوية فى جوهرها كالرقص والغناء ، مع احلال الكسوة الجديدة للضريح محل القديمة فى موكب يطوف عبر قرى الماهناب منذ غسيل الكسوة فى ماء النيل .

وهذا المولد يعتبر أكبر نشاط للقبيلة . بالاضافة الى النذور التى يمكن تقديمها فى أى وقت ، تقوم العروس بزيارة الضريح صبيحة يوم الزواج ، وغالبا ما تقدم للضريح بعض الهبات . كما يتوقف موكب العرس عند الضريح لتقديم هدية للنقيبة التى تقوم على خدمة الضريح كما تقدم الأعلام البيضاء المخضبة بالحنة شبيهة بالاعلام التي غالبا ما توضع على مدخل باب غرفة نوم العرسان .

إن الاحتفال بالمولد هو احتفال فى نفس الوقت بالجد الأول ، مما يعطى اهمية لفكرة القبيلة ويدعم وحدة القبيلة من خلال التركيز على العادات والتقاليد والشعائر المشتركة .

● ياطالع الشجرة هات لى معاك تمرة



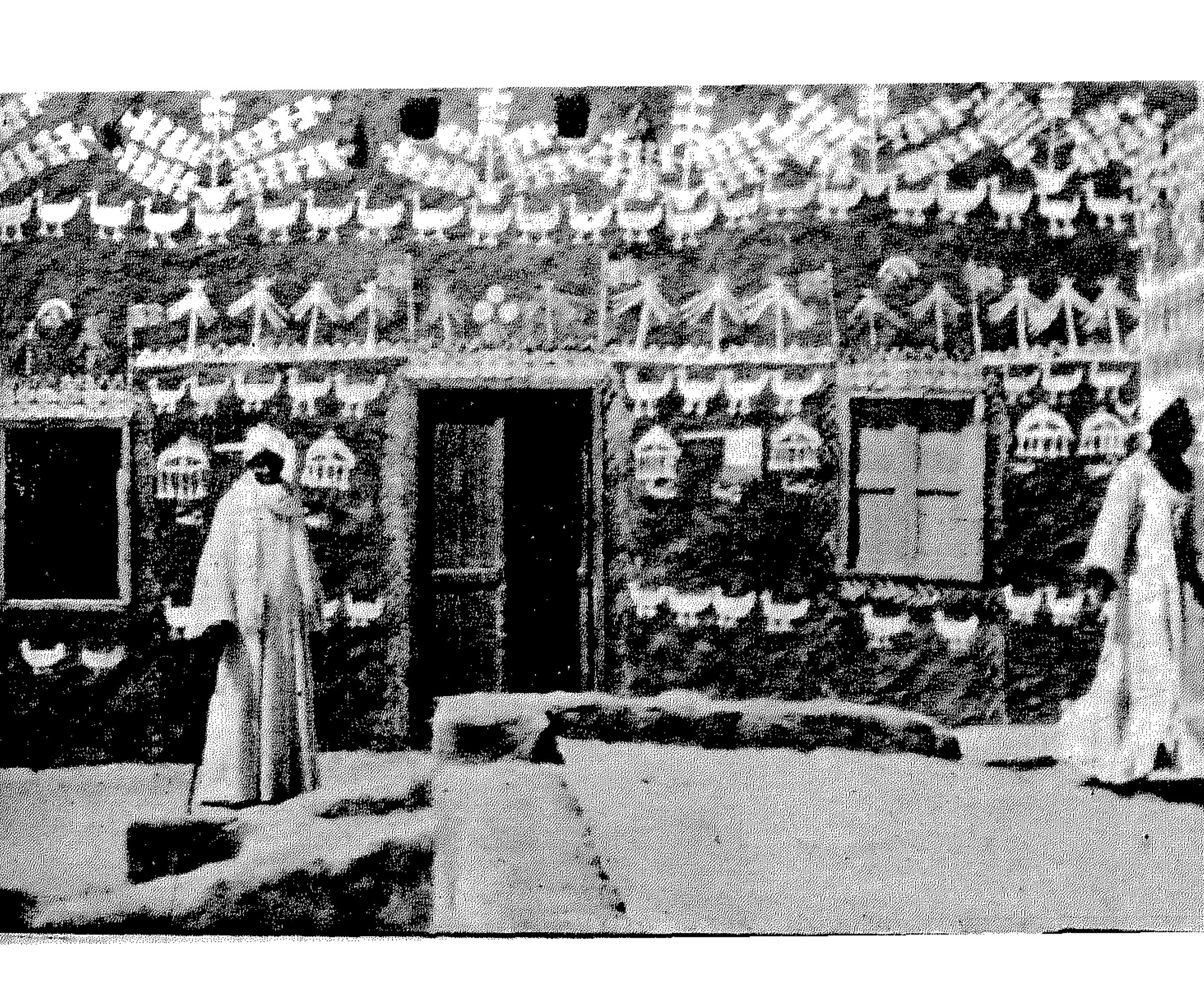
عضوية القبيلة بين الكنوز تستخدم أيضا كاساس لتكوين نواد مدنية ذات اهمية بالغة فى مساعدة النوبيين المهاجرين فى التكيف مع حياة المدن .

● المستقبـــل

يرى روبرت فرنيه أن استمرار الحضارة النوبية يتوقف على ما إذا كانت قرى النوبة الجديدة فى كوم أمبو قادرة على القيام بالوظائف الاجتماعية للنوبة القديمة . ففى الموقع الجديد تغيرت كثير من ظروف حياة القرية التقليدية تغيرا تاما .

ان منطقة التهجير بكوم امبو تبعد عدة أميال عن النيل . وبذلك لم تعد هناك حاجة

تمتلىء الجدران برسومات تعكس طبيعة البيئة





- في مراسيم الهبات يتم
تبادل النقود او الدواب

الموالد فرصة طيبة لزيارة
الاضرحة واقامة شعائر الدين

النوبيون في مصر

للتنقل بالقوارب ولم تعد تمارس العادات والطقوس المرتبطة بالنيل ، كما انتهت عزلة الجماعات القديمة ، فالنوبة الجديدة لا تبعد سوى دقائق بالسيارة عن مدن كوم امبو وأسوان . وقد انشئت القرى النوبية الجديدة على سهل واسع بلا أشجار في منطقة تلائم زراعة قصب السكر . وكان المتوقع أن يزرع النوبيون قصب السكر باعتباره مصدرهم الرئيسي للعائد النقدي بدلا من محاصيلهم التقليدية من الذرة والحبوب مع قيام الحكومة بشق الترع وتقديم الأسمدة الكيماوية ، وبالطبع لا مكان هنا للسواقي والأبقار وبالرغم من زراعة اشجار النخيل في كوم امبو فإنها تتطلب سنوات طويلة حتى تعطي ثمارها ، والذي كان يشكل موردا تقليديا للثروة النوبية .

وهكذا تختفي بعض مظاهر الحياة النوبية التقليدية .

وهناك ماهو أكثر مغزى من ذلك وهو الاتصال المتزايد بين النوبيين القرويين من الإداريين في المؤسسات المصرية : عيادات طبية ، ومكاتب الزراعة ، ومجموعة التسهيلات الاخرى باعتبارها جزءا من مظاهر الحياة اليومية . وأصبحت جميع مستويات التعليم متوافرة . ومعظم النوبيين يدرسون العربية ويتحدثون بها ، من سن الخامسة أو السادسة . وهذه العوامل مجتمعة ، سوف تعمل في النهاية على قلة استخدام اللغة النوبية .

ومن جهة أخرى فإن من الممكن لقرى النوبة الجديدة مع تحسن خواص الأرض ، أن تدر عائدا اقتصاديا افضل من النوبة القديمة ، وبالتالي تقل الضغوط على الرجال للهجرة للعمل بالمدن ، خاصة لو أمكن بقاء الرجال لزراعة الأرض بانفسهم كما تنص على ذلك عقود الانتفاع بهذه الأرض بأن يقوموا بزراعتها بأنفسهم .

وإن كان من الملاحظ ميل كثير من النوبيين للسفر للعمل بالمدن وترك زراعة الأرض ليقوم بها آخرون بالمشاركة أو بالأجر .

وربما يكون اكثر العوامل ايجابية بالنسبة لمستقبل خضارة نوبية متميزة يكمن في المدى الجديد للتفاعل الممكن الآن بين النوبيين القرويين . ان هذه الجماعات التي كانت يوما ما منعزلة في مواقع على امتداد مائتي ميل على ضفاف النيل تعيش اليوم في عشر هذه المساحة . والعائلات التي كانت منفصلة لسنوات اجتمعت مع بعضها الآن والأقارب الذين كانوا يقومون - بصعوبة بالغة - بزيارة بعضهم البعض في المناسبات الخاصة يقومون بذلك الآن ربما بمجرد المشي حتى نهاية الشارع . والشباب الذين كانوا في الماضي لا يحظون بالالتقاء بعدد كبير من اقرانهم إلا اذا ارتحلوا الى القاهرة ، يجدون الآن أصدقاء كثيرين في نفس أعمارهم في مساكن قريتهم نفسها .

على أن من المشاكل التي تواجه النوبيين في ظروف سهولة المواصلات عدم كفاية الطعام مع كثرة الحاضرين في احتفالات المناسبات كالزواج والموت والموالد التي استؤنفت في الموقع الجديد ! إن سهولة المواصلات كان لها تأثير سحري على الشباب مما ساعد إلى حد ما في مواجهتهم لصدمة التهجير ، التي أثرت بالطبع على النوبيين كبار السن بوجه خاص ، ونظرتهم تختلف عن كثير من الشباب الذين ينظرون الى اعادة التوطين باعتباره خطوة ايجابية . ورغم كل الصعوبات لا يشعر النوبيون كلهم بالتشاؤم بالنسبة للحياة الجديدة التي عليهم أن يتطوروا بها من أجل أنفسهم

إن النوبيين جزء من شعب واحد من نواح كثيرة ويشتركون في العقيدة الدينية . ولعله

من الأفضل الكف عن الاستغراق فى الحنين الرومانسى لما قد ذهب والنظر إلى تجربة اعادة توطينهم باعتبارها تحصينا مقويا لهم وظروفا تجعل من التكيف ضرورة لاستمرارهم . ولعل الأمل يكون فى ارتباطهم بما هو فريد حضاريا فى ميراثهم .. وأن يجد هذا الارتباط تعبيرا له بين الأجيال القادمة من النوبيين .

● طموحات العودة

إلى أى حد تتفق صورة النوبيين التى قدمها روبرت فرنيه فى كتابه بما فيها من تنبؤات مع واقع النوبيين اليوم (عام ١٩٨٧) ومع طموحاتهم ؟

الحق أنه رغم اندماج النوبيين فى المجرى الرئيسى للحياة المصرية وانتشار التعليم بينهم ومشاركتهم فى جميع نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتقلدهم مناصب مرموقة فى أسوان وفى غيرها من المدن .. فإننا من جهة أخرى نجد الواقع وأبحاث دراسة التغير الحضارى فى منطقة النوبة الجديدة عامى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ يشيران إلى ظواهر تفكك حضارى والى انحسار اللغة النوبية وأن التطورات فى المستقبل فى منطقة الاستيطان فى النوبة الجديدة لا تنبىء عن الامكانات الكافية .

وكما يقول د . أرنولد سبليت . Dr Arnold Splett فى دراسته "مشروع إعادة توطين النوبيين" التى ترجمها عن الألمانية فوزى محمد صالح فى ملحق العدد الثالث من مجلة "أضواء أرمنا" : إن النوبيين وخاصة الجيل القديم يعترف بهذه العوامل المؤدية إلى التحلل والاضمحلال الحضارى والعرقى - الاجتماعى بصورة أو بأخرى .. وأنهم يطلقون كل الصفات الحسنة على النوبة القديمة كمؤشر اعتراض على ماهم فيه ، بينما نحتوا ظروف المعيشة فى النوبة الجديدة بعكس ذلك بل وبكل ماهو سلبى حقا ، لذلك ما ان كشفت الحكومة المصرية عام ١٩٧٦ عن مشاريع لاستغلال بحيرة ناصر ومنطقة شواطئها ، حتى نشطت القيادات النوبيه للتعبير عن رغبتها فى إعادة تهجيرهم وتوطينهم ثانية على شواطىء البحيرة . وبالفعل قامت مجموعة من النوبيين عام ١٩٧٨ من قريتى أدندان وقسطل بمبادرة ذاتية بالسفر إلى «أبوسمبل» بغرض البدء فى تنفيذ عملية إعادة التهجير والتوطين وعبروا بحيرة ناصر واسسوا على الشاطىء الشرقى معسكرا مؤقتا ، واطلق على منطقة الاستيطان القادمة لكلتا القريتين اسم "التكامل" .. وكانت الحكومة قد بدأت فى مشروع إعادة تهجير وتوطين بعض أهالى النوبة فى منطقة بحيرة ناصر ، غير أن المشروع قد عانى فى السنوات الأخيرة من الاحباط النفسى بسبب تذبذب مستوى منسوب المياه والتخطيط غير الكافى عند تنفيذ المشروع وبالذات فيما يتعلق بآلات الرى .

لقد أتيح لنا فى العام الماضى ١٩٨٦ زيارة قرية السلام بجوار مدينة «أبوسمبل» كما عبرنا البحيرة .. ووصلنا عبر طرق غير ممهدة ، حتى قسطل وادندان قرب وادى حلفا ، شاهدنا على ضفاف البحيرة من أسوان حتى أدندان مساحات شاسعة من الأراضى الصالحة للزراعة ، ربما أكبر بكثير من الحال فى النوبة القديمة إلا أن مصادر المياه فى البحيرة تبقى على درجة كبيرة من الأهمية ، واذا كنا قد لمسنا نظرة الحزن فى عيون هؤلاء الرواد لإعادة التعمير بسبب احتراق ماقاموا به من زراعات وخاصة الفواكه فى منطقة قسطل وأدندان ، نتيجة لانحسار مياه البحيرة كيلو مترات ، فإننا قد لمحنا فى عيونهم أيضا بوادر أمل وإرادة حياة واستمرار باصطناع وسائل جديدة للتكيف مع الطبيعة المتغيرة للأرض ومياه البحيرة بحفر آبار وإقامة طلمبات عائمة بمساعدة الحكومة .. وبالفعل قامت وزارة التعمير بافتتاح عدد من مشروعات الرى وحفر الآبار عام ١٩٨٦ فى عيد أسوان القومى خلال يناير الماضى فى اطار استصلاح الصحراء وخلق مجتمعات عمرانية جديدة .



النساء والاطفال يرتدون اجمل الملابس استعدادا للمولد



النسوة يحملن مياه الشرب من النيل .. انه منظر مألوف تشهده في الصباح الباكر وفى المساء



ـ امام الفرن ، تجلس النوبية لصناعة خبزها المميز فوق الرحاية



جولة المعارض

فنانون ومجدّدون بين تجليات الروح وشطحات العقل

بقلم: عز الدين نجيب

كما هو معتاد منذ بداية الموسم ، اكتظت قاعات الفن خلال الشهر الماضى بالمعارض الجديدة المتلاحقة ، فردية وجماعية ، بشكل لا يتوفر فى مجالات الفن الأخرى ، بالرغم من أن هذه الغزارة تتم بلا دعم أو مساندة من أية جهة للفنان ، وعائده غالبا لا يزيد على كلمات المجاملة من أصدقائه فى ندوة أو تعليق ، وتجاوب قليل من جمهور متعجل يعد على الأصابع ، ومرارة كبيرة لأهمال أجهزة الإعلام لهذا الجهد الفدائى ، وللغياب التام للنقد فى الصحف والمجلات .

وسأتناول هنا بعض هذه المعارض بالقدر الذى تسمح به المساحة المتاحة .

● فنانون سكندريون :

بأتيليه القاهرة كان معرض الفنانين السكندريين : النحات أحمد عبدالوهاب ، والحفارة مريم عبدالعليم . والمصور احمد شيحا . وبالرغم من اختلاف وسائط التعبير واستقلال كل منهم بأسلوبه وعالمه الخاص ، فهناك ما أعطى للمعرض وحدة جمالية ، فالفنانون الثلاثة تجمعهم النزعة التعبيرية ، إذ يسعى كل منهم الى التعبير عن شحنة درامية أو فكرة فلسفية أو رؤية ذاتية ، كما يجمعهم الاقتراب من لغة التيارات المعاصرة فى الغرب ، ممتزجة برحيق البيئة والتراث الحضارى المصرى .

● **يقدم أحمد عبدالوهاب** تماثيله البرونزية متخذة لون الفخار الأسود فى الريف المصرى ، استمرارا لبحثه الجاد فى جذور الفن الشعبى والمصرى القديم ، خاصة الحقبة الاخناتونية ، وفيها نستشعر مسحة من الصفاء العميق والسلام الأقرب الى السكون والتأمل . وقد حاول الفنان تحريك هذا السكون بإضافة خطوط مرسومة باللون الفضى فوق التماثيل على شكل مثلثات . والمثلث هو الشكل الأساسى الذى تقدم عليه تماثيل

عبدالوهاب ، وهو قاعدة ارتكازه الفلسفية ، إذ يستهدى فيه أولا فلسفة الخلود فى الفن المصرى القديم ، ويحقق به ثانيا الرسوخ والتوازن فى كتله النحتية ويرتفع الفنان بوجوهه وأجسامه النحيلة الى درجة عالية من الرهافة والنبل ، عن طريق « ترقيق » الكتلة ، فكأننا نراها من خلال مرآة محدبة ، ويسعى عبدالوهاب الى الاقتراب بتماثيله من العمارة ، حتى ليبدو لنا بعضها أقرب الى الأبراج الأسطورية أو المعابد ، إنه ينقلنا من خلال ذلك كله الى نوع من الاغتراب والخشوع معا ، وكأنها كائنات وحيدة تأتى الينا من عالم سحيق ، تفيض بالروحانية .

● **والفنانة مريم عبد العليم ،** تعطينا من خلال لوحاتها المطبوعة (الجرافيكية) نموذجا مختلفا لهذه « الروحانية » إذ تتخذ من حوار السطوح المتباينة المجردة أسلوبا لها ، وهى سطوح تقترب فى درجاتها اللونية وملامسها الخشنة من تأثير الجدران القديمة أو مخطوطات البردى المتآكلة التى تأتينا من جوف التاريخ ، وقد تتخذ لحوارياتها عناصر من الحروف العربية فيما يقترب من المناجاة الدينية . ويصل الحس الشفيف بالألم فى إحدى لوحاتها المجردة إلى حد المرثية الحزينة ، كما يصل الحس العميق بالوحدة فى لوحة أخرى (ليس بها غير كرسى خال من الخيزران والقش) الى حد يذكرنا بلوحة فان جوخ الشهيرة لكرسيه الخالى ، وهى فى كل ذلك تهمس همسا لا تكاد تريد أن يسمعه أحد غيرها . لكن شحنة الصدق فيه تنفذ إلى وجدانك مفعمة بالشجن ، وقد تملكت مريم بأستاذية ناحية التقنية الجرافيكية ، مما جعلها صوتا متميزا وسط فنانى الجرافيك المصريين .

● وعلى عكس ذلك الهمس فى أعمال مريم ، تضج أعمال **أحمد شيحا** بالصراخ وان كانت أقرب الى التجريد ، وساعد على ذلك استخدامه للمواد المجسمة فوق سطح اللوحة ، مما جعلها أقرب الى النحت البارز ، وإن كان لا يقدم لنا الانسان بشكل مباشر فإنه يوحى إلينا بوجوده المأساوى متشنجا من الألم أو متصارعا من قوى خفية ، ساعد على تأكيد ذلك : تقلصات الملابس وتجاعيد الصخور واقتصاره على اللونين الرمادى والأسود وهو بكائناته الغامضة المتزاحمة يستثير فينا القلق والتوتر . وإن كنا لا نستطيع اليوم أن نحكم على مدى أصالة هذه التجربة نظرا لاختلافها التام عن أعماله الماضية ، وأيضا لقلة عدد الأعمال المعروضة منها وتشتتها بين أساليب مختلفة .

انه باختصار معرض يفيض بالجوهر الإنسانى ، بتجليات تتفاوت بين السلام والشجن والصراع فى وقت تكاد تخلو فيه معارض الفن من الانسان ، مظهرا أو جوهرا .

● البطل .. عود الذرة !

وينقلنا الفنان فرغلى عبدالحفيظ بمعرضه بقاعة إخناتون الى أقصى الطرف الآخر ، أعنى الى عالم المادة الخام كما هى فى الطبيعة ، يأتى بها إلى قاعة العرض ويعيد تأليفها وتنسيقها مع عناصر مادية أخرى من إنشائه ، حيث يتسيد

عربة الخيول - للمثال احمد عبد الوهاب
روح التاريـــخ ممـــزوجة بالفانـــتازيا

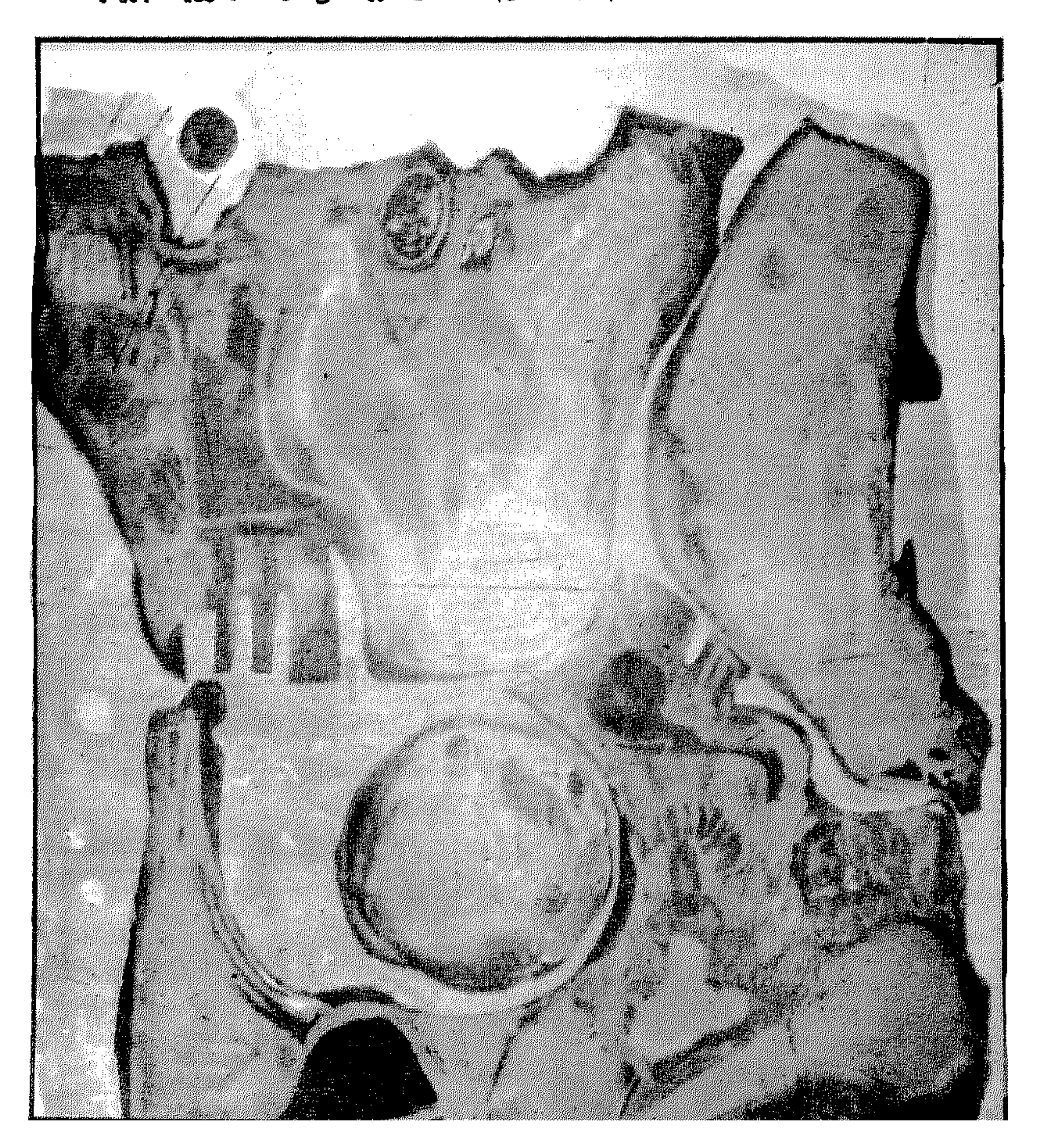
العروس واعواد الذرة للفنان فرغلي عبد الحفيظ - عناصر من البيئة المصرية مع العقلانية الهندسية في تشكيل العروس

العقل الموقف تماما ، ليرسى بهذا التأليف نظاما هندسيا متوازنا .

وحتى لا نتوه في المجردات ، دعونا نلق نظرة على أحد هذه الأعمال .

مجموعة من أعواد حطب الذرة الجافة متساوية الطول مرصوصة وقوفا في نظام كالطابور ، وقد شبكت الى بعضها البعض كالحصير ، وتدلت من شواشيها الأغلفة الجافة لكيزان الذرة بعد انتزاعها منها ، وهى ما يميز هذه الأعواد عن غيرها من النباتات (مثل القصب أو البوص أو الغاب) . وأمام هذه الحصيرة من حطب الذرة وضعت عروسة مجسمة من القماش الأبيض وقد قسمت أنصاف دوائر ومثلثات

تكوين من الحروف ـ للفنانة مريم عبد العليم ـ الحس الروحانى من خلال رؤية تجريدية



فوق شكل مخروطى ، وخلف الحصيرة أو بجوارها علق الفنان لوحة ضخمة رسمت على قماشها الأزرق شرائح أفقية قزحية الألوان ، استوحاها من طبيعة الصحراء وامتداد الحقول

وفى عمل آخر أقام الفنان من (حصير الذرة) أسوارا لكوخ على شكل مستطيل ، وعلى مدخله وضع عروسه المعهودة ، وفى داخل هذا الحيز المسور وضعت لوحة ضخمة بألوان فسفورية لصحراء ممتدة ... وهكذا

إنه معرض يحدث لك صدمة مدهشة إنه يجعلك أولا فى حيرة : ماذا تسمى هذا اللون من الفن ؟ .. هل هو تصوير ؟ .. أم نحت ؟ .. أم عمارة ؟ ... أم تصميم داخلى (ديكور) ؟ .. أم أنه أقرب الى الديكور المسرحى ؟ .. إنه فى الحقيقة يجمع بين كل تلك الأنواع ، وإن كان ليس واحدا منها على وجه التحديد .

وهو يجعلك ثانيا تسأل : ماذا يهدف الفنان من وراء كل ذلك ؟ .. هل هو اجتهاد لعقد زواج بين الطبيعة الخام وبين الشكل الهندسى النابع من العقل والذات ؟ .. أو بكلمة أخرى : بين المادة والفكر ؟ ..

وهو يجعلك ثالثا تسأل : من أى نبع يستقى الفنان هذه التجربة ؟ .. هل من خصوصية البيئة وجذور الفكر المصرى ؟ .. أم من بعض « الموضات » الشائعة فى الغرب ؟ . إننا نعرف كثيرا من هذه التجارب الفنية التى انتشرت بأوروبا منذ ربع قرن وحتى اليوم ، وسميت بأسماء محتلفة : مثل فن المادة ، وفن المدركات الحسية ، وفن الحدث ، والفن الفقير ، والفن الحى ... إلخ .. ورأينا نماذج مختلفة لهذه التيارات تعتمد على احضار عناصر من المواد الطبيعية الخام (مثل الأخشاب والأعشاب والنباتات والفحم والحصى والزلط والخيوط والخيش والمواسير ... الخ) وتنسيقها بنظام معين ، وغالبا ما ينتهى عمرها كعمل فنى بعد انتهاء المعرض ، لصعوبة الاحتفاظ بها أو توفير مكان يستوعبها .

لكن إذا كان معرض فرغلى يشترك فى جانب من عناصره الفنية مع تلك الحركات العارضة ، وهو استخدام أعواد الحطب فى حيز مكانى ذى ثلاثة أبعاد ، فإن العناصر الأخرى التى استخدمها الى جانبها تكسبها بعدا فكريا ، لكنه لم ينضج بالدرجة الكافية . لإكساب التجربة أصالة تنأى بها عن مسايرة الحركات التى ذكرتها ، ذلك أن عنصرى المادة الطبيعية والشكل المبتكر وفق نظام عقلى وجمالى فى أعماله ظلا متجاورين ومغتربين ، دون أن يحدث بينهما الحوار أو التفاعل أو التكامل الذى يجعل منهما عملا واحدا متجانسا ، وإن كان ثمة تطوير لهذه التجربة ، ففى ظنى أنها ينبغى أن ترتبط بوظيفة نفعية ، مثل المسرح أو التصميم الداخلى أو العمارة ، وهى تملك الكثير من المقومات لتحقيق هذه الوظيفة .

ويبقى أن نحيى جراة الفنان فرغلى على ارتياده آفاقا جديدة تثير حول تجاربه

الجدل والحيوية ، وتكسر أيضا جمود قوالبه سعيا الى إضافة حقيقية .

● من التجريد إلى الطبيعة :

وفى إحدى قاعات أتيليه القاهرة ، أقام الفنان الأسيوطى « سعد زغلول » معرضا آخر ، وقد شاهد جمهور القاهرة له من قبل معرضا يقوم على استخدام الحروف العربية فى نسق تجريدى يميل الى البناء العمارى . لكنه فى معرضه الجديد أعطى ظهره للحروف وللتجريد ، واتجه نحو الطبيعة يستوحى منها مناظر واقعية تعكس طابع القرية فى الصعيد . ولعل ما بقى من تجربته السابقة هو ألوانه القوية الدافئة ، وعمارية الأشكال . وفى عدد قليل من اللوحات الصغيرة بقى حس من تجريد الطبيعة الى أشكالها الهندسية الأساسية ، وهى ما لم يحاول أن يستفيد منها مع الأسف فى لوحاته الكبيرة ، حيث اكتظت بالتفاصيل التسجيلية والثرثرة الخطية واللونية ، والظلال الزرقاء والبنفسجية الأقرب الى المدرسة الانطباعية .

وأعتقد أن طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه الفنان فى أسيوط هى التى فرضت عليه هذا التحول ، وبالرغم من إمكانياته الجيدة ، ربما لأن أسلوبه التجريدى لا يجد أعترافا من ذلك المجتمع المحافظ الذى تستهويه محاكاة الطبيعة ، فاختار الفنان الطريق السهل

لكن الفن - باعتباره أقرب أنشطة الانسان الى الصدق مع ذاته - لا يقبل مثل هذه المساومة أو الحلول الوسط ، وإذا كان الفنان قد اختار الطبيعة مجالا لفنه ، فلا عيب فى ذلك ، لكن العيب هو الاقتصار على محاكاتها دون جهد فى تحليلها وإعادة صياغتها برؤية مبتكرة ... وآعتقد أن الفنان سعد زغلول قادر على ذلك .

● النفايات .. رؤية للمجهول :

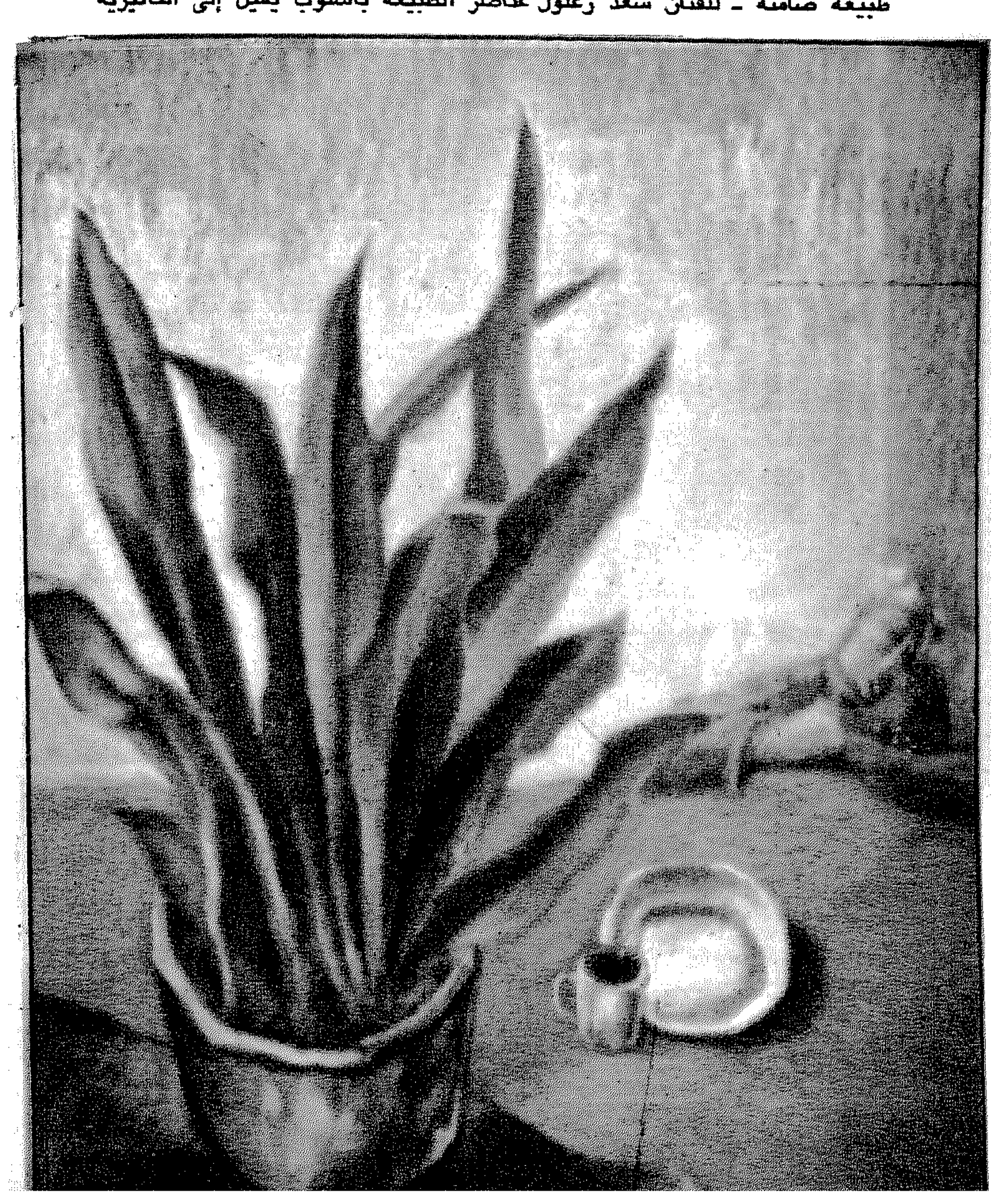
ويبدو أن هذا كان شهر فنانى الاسكندرية بالقاهرة .. فقد افتتح قبل هذا المقال بيوم واحد - بقاعة السلام - معرض للفنان السكندرى المجدد عبدالسلام عيد ، وكعادتنا معه دائما يدهشنا « عيد » بمجسماته التصويرية على سطح اللوحة ، وبالثراء اللمسى المشكل من نفايات صناعية أو منزلية لا تثير الاهتمام ،

تحولت على يده الى ما يشبه الحروف فى لغة تشكيلية شديدة الرهافة والثراء . إنها للوهلة الأولى توحى بتضاريس لأرض مجهولة وبحار لم يعرفها الإنسان ، لكنها عن قرب تعطيك إيحاءات لانهاية لها لاجواء أسطورية أو إشارات رمزية ، إنها تسوّق الانسان لاكتشاف المجهول ، وخوضه المستحيل للسيطرة على الكون وفض أسراره ، فى سباق عصر العلم المجموم

وبقدر الخشونة الصخرية فى بعض هذه المجسمات . تدهشنا الرقة العذبة فى اللوحات التى استخدم فيها الفنان شرائط الدانتلا القديمة .. هنا لا نتطلع إلى الأمام بل نعود الى ذكرياتنا المنزلية الأليفة ونهدندن بأغنية الأسرة والحنان ..

إن « عيد » يقدم نموذج الفنان الذى استوعب لغة التكنولوجيا فى الإبداع الفنى ، وهو ما كان الفنان الأوروبى رائدا فيه . وقد تفيد هنا المقارنة بين تجربته وبين تجربة زميله السكندرى « أحمد شيحا » ، حيث نرى كيف استطاع ـ بلا افتعال ـ إقامة عالم خاص به وحده ، بجهد وصبر السنوات الطويلة .

طبيعة صامتة ـ للفنان سعد زغلول عناصر الطبيعة باسلوب يميل إلى التاثيرية



الحوار الناقص وأزمة تعاملنا مع التراث

متى تظهر أمهات الكتب العربية .. ؟

بقلم: زهير على شاكر

● هزنى المقال القيّم الذى كتبه الأستاذ «حسين أحمد أمين» فى الهلال (عدد مارس ١٩٨٧) حول أزمة تعاملنا مع التراث العربى ، والذى يعتبرحلقة من دراسات الكاتب عن هموم القارىء والمثقف العربى والمسلم فى هذا العصر الذى تسيطر عليه الثقافة الغربية ـ بخيرها الكثير وشرها الكثير أيضا ـ سيطرة شبه كاملة على الفكر العالمى ●

أشير بصفة خاصة إلى القسم الأخير من المقال ، الذى عرض فيه الكاتب إلى مجموعة أمهات كتب التراث الغربى المسماة «أعظم كتب العالم الغربى» وأبادر فأسجّل موافقتى واحترامى الكامل لكل ما ذكره كاتبنا الكريم فى هذا الموضوع ـ فكأنه يعبّر أدقّ تعبير وأصدقه عما فى نفسى ، وعما أظنه فى نفس كل مثقف عربى أطّلع على هذه المجموعة أو على غيرها من كتب التراث الغربى ، وإن كان فيما يبدو ـ لم تتح له المساحة المحدودة للمقال عرض كل ملامح هذه المجموعة من الكتب ، وماتثيره من شجون واهتمامات ـ ولا أقول من هموم وحسرات ـ فى نفس القارىء العربى المسلم .

فهذه المجموعة قد صدرت أوّل مرة فى سنة ١٩٥٢ ، ثم أعيد طبعها كل عام أو أكثر قليلا ، حتى صدرت طبعتها الثامنة والعشرون فى عام ١٩٨٦ ، مشفوعة ـ فيما

يبدو - بحملة دعائية لنشرها على أوسع نطاق . وهى تتكون - كما ذكر الأستاذ الكاتب - من ٥٤ مجلداً ، واحد منها للمقدمة ، واثنان خصصا لفهرست فريد فى نوعه ، مرتب على الموضوعات والقضايا

التى ورد ذكرها فى المجموعة - يتضمن ١٠٢ من الموضوعات الرئيسية . أسماها محررها «الأفكار العظمى» - مقسمة الى ما يقارب ثلاثة آلاف موضوع فرعى أو قضية جزئية ، والمواضع التى ورد فيها ذكر كل واحدة من هذه القضايا .

أما المجلدات الباقية - وعددها واحد وخمسون - فهى تحتوى على أعظم ما كتبه اثنان وسبعون مفكرا من كبار مفكرى أوربا وأمريكا خلال الخمسة والعشرين قرنا الماضية .. فى المجالات الأربعة الرئيسية

للفكر وهى الأدب والشعر المسرحى ، والتاريخ والأخلاق والسياسة ، والعلوم الطبيعية ، والفلسفة والإلهيات وقد اعتبر المحرر «الكتاب المقدس» واحدا من هذه الكتب العظمى - بل على رأسها فى الحقيقة - وإن كان لم يطبعه ضمن المجموعة - اعتمادا على وجود نسخة منه أو اكثر فى كل بيت فى الغرب .

وأهم ملامح هذه المجموعة والفلسفة التى قامت عليها هى كما يلى - وهى كلها من هموم المثقفين الغربى والعربى على السواء ، وإن كانت - للعجب - تعكس هموم أزمتنا الثقافية فى العالمين العربى والاسلامى ، ربما أكثر مما تعبر عن هموم المثقف الغربى .

الاعتماد على اصول الكتب

خلت المجموعة خلوّا تاما من اى شرح او تعليق أو اختصار أو مقدمة ، تعرض الكتاب كما كتبه مؤلفه فقط دون زيادة أو نقصان - إلا من تفسير مختصر لكلمة غريبة او إحالة مقتضبة إلى مرجع - وهو بالضبط ما يحتاج إليه المثقف العربى سواء فى ثقافته العربية أو فى الثقافة الغربية - على الأقل كنقطة بداية وقاعدة راسخة ينطلق منها ، فالمهم أوّلا ان يعرف الأصول ويستقى المعرفة من منابعها الأصلية ، فإن شاء بعد ذلك فليطّلع على ما سواها من شروح أو نقد او تعليق .

فإن من أهم جوانب أزمتنا الثقافية أن أغلب المهتمين بمعرفة تراثهم ودينهم ولغتهم يفضلون قراءة المختصرات المخلّة ، والآراء الشخصية للكتاب المعاصرين - بكل ما يداخلها من الهوى من جانب والخطأ من جانب آخر - على الاطلاع المباشر على الأصول التى استمدّ منها هؤلاء الكتّاب معلوماتهم وبنوا عليها آراءهم .

إن الفرق بين من يقتصر على المختصرات والمهضومات ، وبين من يقرأ الكتاب الأصلى - كالفرق بين من يقف فى سفح الجبل يسأل الواقفين عما يرونه ، وبين من يصعد إلى القمة مع الواقفين ، ويرى لنفسه وبنفسه مايرونه .

فكرة الحوار العظيم

عبّر محرر المجموعة عن أن أحد الأسس التى قام عليها اختيار الكتب والمؤلفين هو فكرة الحوار ، حيث يعتبر الفكر العالمى منذ عهد هوميروس إلى فلاسفة اليونان ،

إلى علمائهم ، إلى مفكرى المسيحية ، إلى سياسيى عصر النهضة ، إلى علماء الكيمياء والطبيعة ، إلى مفكرى العصر الحديث وعلمائه حتى ماركس وداروين وفرويد . يراهم جميعا وكأنهم جلوس حول مائدة مستديرة هائلة يتناقشون ويتحاورون «ويتكلمون بالفعل المضارع» ويرد بعضهم على بعض ، كتابا فوق كتاب ، وفكرة فوق فكرة ، يعلو بها الهرم الثقافى والثروة الفكرية للأنسانية - مطروحة كلها أمام القارىء يختار منها لنفسه ما يشاء .

حتى أنه عندما أراد أن يقترح على القارىء برنامجا لقراءة هذه المجموعة ، قسمه إلى عشر مجموعات تقرأ خلال عشر سنوات ، كل مجموعة منها تتضمن حواراً بين كثير من الأضداد . فمثلا · يبدأها بمرافعة سقراط دفاعا عن نفسه أمام المحكمة التى حكمت بإعدامه ، ثم يتبعها بمسرحية لأرسطوفان يهزأ فيها بسقراط وفلسفته - ثم سيرة مؤسس الدولة العسكرية فى أسبرطة تليها قصة مؤسس الدولة الأخلاقية فى أثينا - وأخلاق أرسطو ونصوص من الكتاب المقدس ، تتبعها أفكار ميكافيللى الانتهازية - والدستور الأمريكى تتبعه آراء آدم سميث وكارل ماركس .. وهكذا .

والفكرة فى ذاتها - لاشك صحيحة وعظيمة ، ولولا أن محرر المجموعة لم يلتزم بها - فى الحقيقة - إلا فى حدود معينة ، مثل التزامه بحدود ما أسماه الفكر الغربى عامة ، دون ذكر للفكر «الشرقى» . ثم التزامه فى مجال الفكر المسيحى بالكاثوليكية دون غيرها من المذاهب القديمة كالأرثوذكسية ، ولا بمذاهب الاصلاح مثل أعمال مارتن لوثر ولا نستطيع - بالطبع - أن نلوم المحرر على هذا التحيز ، فالانسان - شاء أم أبى - لايستطيع أن يكون محايدا مائة فى المائة ، ولا أن يخرج من إهابه ليلبس إهاب غيره .

ونعود إلى همومنا الثقافية ، فنقول إن هذا الذى اعتبره المحرر «حوارا عظيما» هو - من وجهة نظرنا - حوار ناقص مبتور ، يحمل فى طياته فجوات هائلة لم يملأها إلا الفكر العربى الاسلامى . فأنت تسمع توما إلاكوينى ولا تسمع القرآن الكريم والفكر الأسلامى الدينى الذى قام توما ليدافع عن المسيحية ضدهما ، وترى أرسطو ولكن لاترى نقد الفلاسفة المسلمين له ، «وأبو قراط» وجالينوس دون ابن سينا والرازى ، تقرأ نيوتن ولاتقرأ الخوارزمى الذى ابتدع علم الجبر الذى قام على أساسه البناء الشامخ للرياضيات على يدى نيوتن ، دانتى دون المعرّى ، والدستور الأمريكى دون حقوق الانسان التى رسخها التشريع الاسلامى ، وماركس دون ابن خلدون .. وهكذا ، حوار ناقص مثل الحوار الذى تسمعه من فم ممثل فى مسرح يتحدث فى الهاتف فتسمع منه الكلمة ولا تسمع ردّها إجابة السؤال دون السؤال نفسه .

فهو - بالطبع - قد أسقط من حسابه كل الفكر الذى قام فى العالم الاسلامى منذ ظهور الاسلام وحتى عصر النهضة ومابعد عصر النهضة وهى الفترة التى يعتبرها مفكرو الغرب «عصورا مظلمة وسطى» والتى نعتبرها أزهى فترات الفكر الأنسانى - أو على الأقل واحدة من ازهى فتراته .

ولا أريد أن أنساق إلى فكرة «أن العرب عرفوا كل شىء واكتشفوا كل شىء» ، ولكن أنبه إلى الخطر الكامن فى إهمالنا لتراثنا اتكالاً على نفس هذه الفكرة من ناحية ، وإلى التكبّر على التراث الغربى الأوربى من ناحية أخرى والاقتصار على ثقافتنا العربية الاسلامية باعتبارها ثقافة «منفصلة» أو «معادية» للتراث الأنسانى

الشامل . هذا الخطر الذى يتمثل فى أن نترك المجال خاليا أمام الفكر الغربى يوهم أبناءنا أن الفكر مقصور على أوربا وأن «الحوار العظيم» هو حوار أوربى محض ، رغم أن أسلافنا لم يقصّروا لحظة فى أن يؤثروا فى هذا الحوار ويتأثروا به ، فنكون كالدّبة التى قتلت صاحبها فى المثل المشهور

يقول محرر المجموعة مبرّرا عدم قيام الغربيين ـ فى الوقت الراهن على الأقل ـ بضم كتب من التراث الشرقى إلى مجموعة أعظم الكتب «إن الوقت لمثل هذا العمل لن يحين إلا بعد أن نفهم نحن أنفسنا تراثنا فهماً جيدا يمكننا من فهم تراث غيرنا» .. وكأنه بذلك يعبر عن موقفنا نحن من فهم الثقافة الغربية ، مع فارق كبير هو أننا ملزمون بأن نقوم بجهد مضاعف فى نفس الوقت بأن نحسن فهم تراثنا وفهم تراث الغرب ، ولاسبيل لنا ، إلا أن نقوم بالعملين معا .

تراث اليونان والكتاب المقدس

اعتبر محرر المجموعة وكاتب مقدمتها (روبرت ماينارد هتشينز) تراث اليونان والرومان القدماء قسما أساسيا من التراث الغربى ، فأفرد له وحده ١٣ مجلداً تحتوى الكتب العظمى لأربعة وعشرين مؤلفاً ـ كما اعتبر الكتاب المقدس جزءاً آخر ـ بل على رأس ـ هذا التراث كما ذكرنا وهو أمر إن صحّ جغرافيا بالنسبة لليونان والرومان ، فهو بنفس هذا المقياس لايمكن أن ينطبق على الكتاب المقدس الذى يحتوى عقيدة ديانتين سماويتين نشأتا فى الشرق ، ولا تقتصران اعتقادا وانتشارا على أوربا وامريكا .

صحيح أن اعمال اليونان والرومان نشأت فى أوربا ، ولكن الأوربيين أنفسهم نسوا هذا التراث وتخلوا عنه بل اتخذوا منه موقف العداء باعتباره تراث ديانات وثنية سابقة على المسيحية ، وحمله العرب المسلمون عشرة قرون كاملة ـ لاحمل النقل كما يزعم المستشرقون ـ بل تناولوه بالترجمة والتمحيص والمراجعة والنقد والأضافة . ولم تعرف أوربا فضله إلا فى عصر نهضتها حين استندت إلى ترجمات العرب لهذه الأعمال فأعادت ترجمتها إلى لغاتها ، ولولا ذلك لاندثر كما اندثرت من قبله حضارة المصريين القدماء .

وصحيح أيضا أن اوربا وأمريكا قد «تبنتا» الكتاب المقدس بحيث صار أغلب الأوربيين مسيحيين وأغلب المسيحيين أوربيين ، ولكن نفس هذا الكتاب ظل هو محور ديانة هذا الشرق قبل أوربا ، ومع أوربا ، وأحيانا رغم أنف الطغيان الأوربى قبل أن تدين الأمبراطورية الرومانية بالمسيحية . حتى جاء الاسلام بأبلغ كلمة فى هذا «الحوار العظيم» ، فتحولت غالبية أهل هذا الشرق أنفسهم من المسيحية واليهودية الى الاسلام ، سواء منهم اقباط مصر ، ونصارى الشام ، والقبائل الكتابية فى الجزيرة العربية ، ثم أبناء الاناضول والقسطنطينية فيما بعد . بينما ظل العلماء والفقهاء المسلمون يرجعون إلى نفس هذا الكتاب المقدس فى فهم تاريخ أنبيائهم وفى فهم بعض آيات القرآن الكريم حيث يتعذر عليهم فهم تفاصيلها من الكتاب والسنة .

فالكتاب المقدس إذن هو جزء من تراثنا الدينى ، كما أن تراث اليونان هو جزء من تراثنا الفكرى والعلمى ـ بل لا أغالى إذا

قلت أننا أولى بهما من الأوربيين . ويجب ان ننظر إليهما هذه النظرة ، لانظرة الرفض والاستبعاد باعتبارهما مخالفين لما استقرت عليه عقيدتنا الاسلامية إننا بهذه النظرة الضيقة نقع فى نفس الخطأ الذى وقعت فيه الحضارة الأوربية المسيحية الأولى عندما ألغت تراث اليونان والرومان والفراعنة واعتبرته رجسا من عمل الشيطان .

الترجمة واللغة

مع أن هذه الكتب مطبوعة كلها فى اللغة الانجليزية ، فهى فى غالبيتها مترجمة إلى تلك اللغة من لغات أخرى ثلاثة أرباع هذه المجلدات الواحدة والخمسين منقولة عن اللاتينية واليونانية والفرنسية وعديد من اللغات الأوربية الأخرى ، والربع الباقى - أو أقل قليلا (١٢ مجلداً) كتبه مؤلفوه فى اللغة الانجليزية . فهى فى الواقع مجموعة مترجمة فى مجملها - إلا أنها فى صورتها الحالية قد دخلت فى تراث اللغة الانجليزية ، وإن كان الأرجح أنها قد ترجمت فى عهود سابقة على طبع هذه المجموعة ، فليس لمحررى المجموعة فى ذلك سوى فضل الاختيار والجمع والفهرسة والنشر - وهو فضل كبير على كل حال

ويعيدنا هذا إلى قضية الترجمة إلى العربية . وأشير فى هذا الصدد إلى ماذكره الأستاذ حسين أحمد أمين من جناية «محمد على» على الثقافة العربية . إن أكبر جناية له هو أنه أهمل ترجمة التراث الغربى إلى اللغة العربية ، واستعاض عنها بإرسال البعوث إلى اوربا - بناء على مشورة أهل مشورته من الأوربيين - فحرم اللغة العربية وأهلها من ثمار الفكر الغربى ، واقتصرت الفائدة على بضعة أفراد يذهبون إلى أوربا فيتعلمون علومها النافعة - نعم - ولكنهم يعودون مبهورين بعاداتها وانتماءاتها وحضارتها المادية ، فيفيدون قليلا ويضرون كثيرا ثم استمرت هذه السياسة ومازالت مستمرة حتى عهدنا الحاضر

مع انه من البديهى انك اذا أرسلت مبعوثا فقد علّمت فردا واحدا - أما إذا ترجمت كتابا إلى لغتك فقد علّمت به أفرادا من أبناء بلدك بعدد نسخ ذلك الكتاب ، وأضفت فوق ذلك ثراء جديدا إلى لغتك وتراثك

ان الدعوة التى أسماها الاستاذ حسين أحمد أمين «اقتراحا» بترجمة كتب التراث الغربى إلى العربية ، ينبغى أن يكون دعوة صارخة مستمرة لكل عالم ومثقف عربى ليعرف لغة اجنبية ان يقوم بترجمة ولو كتاب واحد من هذه الكتب العظمى او غيرها من أمهات الكتب ، ولو لم تتح له الامكانيات طباعته او نشره او الاستفادة المادية منه فتكون - على الأقل - زكاة عن علمه يقدمها لأهل لسانه .

وأعود الى اللغة التى كتبت بها المجموعة . فالملاحظ أن أغلب هذه الكتب المترجمة مكتوبة بلغة انجليزية قديمة فى الفاظها وصياغتها - اقرب إلى لغة شكسبير منها إلى اللغة التى يكتب بها الانجليز المعاصرون ، إما لأن اغلب هذه الترجمات قديمة نسبيا .. حيث يصل عمر بعضها الى مائتى عام أو أكثر ، أو لأن المترجم اراد ان تكتسب لغة الكتاب رصانة وجلالا تناسب موضوع الكتاب الأصلى ومؤلفه والعصر الذى كتب فيه .

المهم أن محرر المجموعة لم يحاول «تبسيط او تحديث» اللغة التى كتبت بها هذه الترجمات ولاغيرها من الكتب الانجليزية اصلا ككتب تشوسر وشكسبير وإعلان الاستقلال الأمريكى إلخ مع أن الفرق بين لغة ذلك العصر وبين اللغة الانجليزية الجارية الآن .لا يقل عن الفرق بين لغة غالبية التراث العربى وبين لغة

قضايا ومواقف

الكتابة العربية المعاصرة .. فالدعوة إذن إلى «النزول» إلى القارىء ، والتى يتخذها بعض المثقفين العرب ذريعة لأهمال التراث العربى أصلا أو مبررا للاستعاضة عنه بالمختصرات والمهضومات ، مازالت تطرح سؤالا قديما رغم وضوح الاجابة عنه هل «ننزل» إلى مستوى القارىء العادى ام «نرفعه» إلى مستوى الثقافة الراقية فكرا وفهما ولغة ؟ إن فى لغة هذه المجموعة وفى المقدمة التى قدمها بها محررها الاجابة بليغة عن هذا السؤال القديم .

العلوم الطبيعيه وعلاقتها بالثقافه

تتضمن المجموعة عشرة مجلدات تحتوى اعمال واحد وعشرين عالما من علماء الطب والكيمياء والفلك والرياضيات إلخ .. مما اسماه محرر المجموعة «العلوم التجريبية» ـ ابتداء بـ «آبو قراط» وجالينوس .. وانتهاء الى دارون وفرويد . ويشير المحرر فى المقدمة إلى ذلك مؤكدا أن هذه العلوم جزء لا يتجزأ من «الحوار العظيم» بما تثيره من قضايا تتعلق بالمعرفة والحقيقة ، وبما تحمله من تصور للعالم المحيط بنا ، وبما تتميز به من دقة وتمحيص للحقائق ـ مما يجعل الاطلاع عليها جزءاً ضروريا من تكوين المثقف الذى يستحق هذه الصفة .

فمن الأوهام الشائعة فى اوساطنا الثقافية المعاصرة ان هذه العلوم يجب ان تترك قراءتها والاطلاع عليها للمتخصصين فيها ـ مرة بحجة أنها لا تهم المثقف العادى ، ومرة بأن جفافها وصرامتها يقفان حائلا دون اطلاع غير المتخصص عليها ، وثالثة بان العلم الحديث قد تخطاها وتركها وراءه ، مما يجعل الاطلاع على ماكتبه القدماء فيها عبثا لا طائل تحته .

وهذه الأقوال كلها مردودة ، اولاً بأنه مهما كان اطلاع المثقف وإلمامه ـ بل ودراسته ـ للعلوم «الانسانية» كاملة ، فإن معرفته الناقصة بالعالم المحيط به والتصور الذى توصل اليه علماء الانسانية من دراساتهم الطويلة وابحاثهم العميقة لهذا العالم .. ستظل ركنا متهدما من اركان إدراكه لحقائق الوجود ، تماما كما تظل ثقافة الدارس للعلوم الطبيعة ـ دون إلمام بالعلوم الانسانية ـ ناقصة محدودة .

وثانيا لأن الانسان عدو ما يجهل فلو صبر القارىء قليلا على قراءة بعض هذه العلوم الطبيعية ، لتكسرت امامه القشرة الجافة التى تغلفها ، ولتفتحت امامه منها عوالم جديدة من معاني الجمال والعدل والحب

وثالثا لأن تيار الفكر الانسانى فى جميع مجالاته لا يتوقف ، فلو اقتصرت معارفنا منها على آخر كلمة دون الرجوع الى الأصول التى استمدت منها هذه الكلمة ، تكون كالشجرة المقتلعة من جذورها ـ لا علاقة لها بالماضى ولا امل لها فى المستقبل ، وينطبق هذا على العلوم الانسانية كما ينطبق على العلوم الطبيعية سواء بسواء .

ولو اقتصرت معرفة كل مثقف على المجال الذى يتخصص فيه او يعرفه او يستسيغه فحسب ـ لتحول المجتمع الانسانى ـ بل هو مهدد فعلا بان يتحول ـ الى مجموعة من الجزر المنفصلة المتنافرة ، ينكب كل واحد منها على مجال ضيق يهتم به او يتعيش منه : مهندس لايعرف اللغة ، وطبيب لايهضم التاريخ ، واديب لا يسيغ الرياضيات ، واقتصادى لايحب الفلسفة وهلم جرا ولا نتفى المعنى

الاجتماعى للثقافة باعتبارها رابطة تجمع بين الناس فكريا ونفسيا وروحيا .

وليست هذه الفكرة ابتداعا من عندنا ولا من عند محرر المجموعة ، فقد كان العلم عند اسلافنا المفكريين العرب والمسلمين بحراً محيطاً لاينفصل جزء منه عن جزء ، واقرب مثال هو الأزهر الشريف فى عصره الذهبى ، حيث كان الطلبة يجلسون الى اساتذة يعلمونهم الفلك والرياضيات والطب ، جنبا الى جنب مع اساتذة الفقة واللغة والأدب .

لذلك فإن من واجب من يتصدى لنشر مجموعة امهات الكتب العربية ، الذى اقترحه الأستاذ حسين احمد امين ، ان ينشر امهات الكتب العربية فى العلوم الطبيعية ، وهو جانب قد اهمله دارسو التراث العربى حتى الآن إهمالا كبيرا لا اعرف فى نطاق معرفتى المتواضعة ـ من هذه المؤلفات كتبا منشورة بين ايدى القراء سوى القانون لابن سينا ونصف كتاب المناظر للحسن بن الهيثم ، وعسى ان يدلنى اهل الخير على غيرهما إن كنت مخطئا .

أما الخوارزمى وجابر بن حيان والأدريسى وغيرهم ـ فمازالت مؤلفاتهم مجهولة لدى القارىء العربى ـ اسماء نسمع بها ولانراها ، نعرف عنها ولا نعرفها . ويقال إن اصول هذه الكتب مازالت اسيرة عند المستشرقين فى دهاليز مكتبات اوربا وامريكا ، هى وترجمات العرب لاثار اليونان من بين ما نهبته الغزوة الأوربية من تراث الشرق ـ الى جانب ما نهبته من ثرواته المادية والبشرية ، تنتظر من يهتم بها من اهلها وينقب عنها ويستخرجها .

دعوة إلى العمل

وحتى لا تتحول الدعوة التى سمّاها الأستاذ حسين «اقتراحا» إلى صرخة فى واد او اذان فى مالطة ، ارى ان تتشكل لجنة اهلية من العلماء والمثقفين المتطوعين ذوى الانتماءات الفكرية المختلفة ، تحمل امانة هذه الدعوة بجناحيها معا اختيار ونشر امهات الكتب العربية ، وترجمة ونشر امهات الكتب الغربية .

على ان تكون اللجنة اهلية لاصلة لها بالحكومة (أى حكومة) حتى لاتقع فى براثن البيروقراطية الثقافية الكفيلة وحدها بقتل اى مشروع ثقافى جاد (سؤال اين مشروع طه حسين للالف كتاب ، وكم كتابا من امهات الكتب نشر ، بل كم كتابا نشر اصلا من الألف المزعومة ؟)

وان يقوم عمل اللجنة على التطوع ، حتى لايضيع جهدها فى البحث عن المكافأة والاستمارة وبدل حضور الجلسات إلخ .. بل تتفرغ للجهد المخلص ابتغاء وجه الله والعلم والثقافة . (سؤال آخر اين خدمات جمعية الهلال الأحمر الأهلية القديمة القائمة على المتطوعين ـ مقارنة بخدماتها الحالية بعد ان تحولت الى مصلحة حكومية تعج بالمحترفين ؟

أن عبء العمل الاساسى فى مجموعة الكتب العظمى التى نتحدث عنها قد قام على اكتاف جماعة بدأت صغيرة من العلماء ، دعمتها بعد ذلك اشتراكات من الافراد والهيئات لا علاقة لها بالحكومة او الهيئات الثقافية الرسمية وليس عيبا ان نتعلم من غيرنا ـ بل العيب ألّا نتعلم .

هناك نظرية تقول ان النوع الانسانى فى سبيله الى الانقسام الى فصيلتين فصيلة من يقرأون وفصيلة من لا يقرأون . اما نحن ، فإن أبناءنا مهددون بان ينقسم جيلهم والأجيال التالية له إلى قلة قليلة يقرأون الثقافة الغربية وحدها ـ فى لغتها الاجنبية وحدها ـ وكثرة كاثرة من الذين لايقرأون شيئا على الاطلاق وهو مصير مظلم وخطر داهم يوشك ان يلتهم ابناءنا وأبناءهم من بعدهم . إلا ان تتداركهم رحمة من الله وجهد مخلص من آبائهم .

مذكرات سعد زغلول ومدرسة الافتراء

بقلم: د. عبد العظيم رمضان

فكرت طويلا فى عـــدم الرد على المقال الذى نشر بالهلال فى عدد مارس ١٩٨٧ لاحد الباحثين تحت عنوان ((الحقائق الغائبة فى نشر مذكرات سعد زغلول)) لسببين : الاول، هبوط مستوى المقال الى ما دون مستوى المناقشة، والثانى انعدام الندية والكفاءة ـ كما سوف اوضح ـ ثم فكرت مرة اخرى فى أن احترامى لقراء ((الهلال)) الذين يمثلون ـ بفضل المستوى الرفيع الذى عرفت به المجلة ـ صفوة أهل العلم والفكر ، يتطلب منى الا أدعهم فى موضع الحيرة بالنسبة لما اثاره الكاتب فى مقاله ، فليس على أن افترض اقتناءهم لنسخة من مذكرات سعد زغلول ، التى كان لى شرف تحقيقها لمعرفة الحقيقة من الافتراء . ومن هنا فان ما اكتبه فى هذا التوضيح ليس موجها بحال للكاتب المذكور ، وانما هو موجه اولا واخيرا لقراء ((الهلال))

وفى الحقيقة أنه منذ أسندت الى هيئة الكتاب ، فى عهد رئيسها المرحوم الشاعر صلاح عبد الصبور ، مهمة تحقيق مذكرات سعد زغلول ،

ومنذ أن أخذت فى فحص الاتهامات والافتراءات الموجهة ضده ، سواء من قبل الكاتب المذكور فى رسالته للماجستير ، أو من قبل مدرسة

الحزب الوطني التي كانت تناصب سعد زغلول العداء ـ كنت على يقين من انني سوف أنال نصيبي من الافتراء كما نال سعد زغلول على اني لم أتصور أبدا ان يتجاوز هذا الافتراء مداه الى حد الطعن والتجريح الشخصي ! فقد تعودنا في حياتنا العلمية الجامعية على الخلاف في الرأي والنقد العلمي ، الذي قد يختلف لينا أو شدة ، ولكننا لم نتعود أبدا على النزول الى مستوى التجريح الشخصي ولم يقبل احدنا لكرامته ان يمس كرامة زميله بأي نوع من المساس ، ناهيك عن التطاول على من هو اعلى درجة ووظيفة علمية.

وعندما اختلفت مع الكاتب في تقييم مسلك سعد زغلول في اثناء توليه نظارة المعارف ، ورأيت أن هذا المسلك كان مسلكا وطنيا اصيلا ، في الوقت الذي رآه الكاتب غير ذلك ، بل وكتب بالحرف الواحد يصفه بأنه « لم يكن الطريق الذي يسلكه ناظر وطني يريد ان يعمل وفقا لمصالح مواطنيه » ـ كان هذا الاختلاف في الرأي يدخل في اطار المشروع من الاختلاف في الرأي ، بل يدخل في اطار المشروع من الخلاف ولذلك لم استخدم غير الدليل والوثيقة لتفنيد رأيه ، واثبات رأيي ، دون أن استخدم أي لفظ جارح لشخصه ، او افتريت عليه بما لم يقله . ومن ثم فقد التزمت بالمنهج العلمي السليم في الجدل العلمي ، ليس فقط احتراما لشخصه ، وانما احتراما لنفسي أيضا . ولذا اتحدى من يبرز لي أي لفظ ناب وجهته



سعد زغلول
مذكراته اثارت جدلا كبيرا

اليه في تقديمي للمذكرات !

وحتى عندما وضعت الدراسة التي نال بها الكاتب درجة الماجستير، في اطارها التاريخي ـ وهو اطار الخصومة الشديدة التي نشبت بين الثورة والوفد ، وتحدثت عن سلسلة الكتب الجامعية عن ثورة ٢٣ يوليو، التي زيفت تاريخ مصر في فترة ماقبل الثورة ، وشوهت صورة الوفد وزعمائه ـ لم اذكر ابدا ان الكاتب او استاذه الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى قد قاما بتدريس هذه المواد، أو خطا حرفا في هذا المجال ، وانما فندت الاساس الذي قام عليه تشويه تاريخ الزعيم سعد زغلول في رسالة الماجستير المذكورة ـ وهو « مقاومة عبادة البطولة » ـ على اساس ان مقاومة عبادة البطولة لا تكون بالافتراء على الزعماء على حساب الحقائق التاريخية ، وانما تكون

بالحقائق التاريخية ـ وهذا أمر بديهى كما هو واضح ـ ومن ثم فاذا جاء من يشوه صورة الزعماء بطريق الافتراء فانه يكون قد اقام هذا التشويه على اساس غير علمى ، ويكون ـ فى هذه الحالة ـ قد انساق وراء الدراسات التاريخية التى شوهت تاريخ زعماء الحقبة السابقة على ثورة يوليو

على انى لم أكتف بكلام يساق فى الهواء ، وانما تتبعت الافتراءات التى ساقها الكاتب فى رسالته للماجستير ضد سعد زغلول ، وبينت وجه الحقيقة فيها بكل ما وسعني من التزام بقواعد المناقشة العلمية السليمة ، دون أى طعن فى الكاتب أو تجريح له من اى نوع وكان سلاحى الوثيقة وحدها .

ولعلى فيما تحدثت به عن خصومة ثورة يوليو للوفد ، لم اتجاوز الحقيقة التاريخية التى هى معروفة لا تحتاج الى تدليل . على أن البعض ـ فيما يبدو ـ فهم أننى ذكرت ان ثورة يوليو قد حاربت مذكرات سعد زغلول . ولم يكن لمثلى ان يقول هذا القول ، لان ثورة يوليو هى ـ فى الحقيقة ـ صاحبة الفضل فى صون مذكرات سعد زغلول ، وحمايتها ، ونقلها من الملكية الخاصة الى الملكية العامة ، واتاحة الفرصة للباحثين للاطلاع عليها ، واتاحة الفرصة لى فيما بعد لتحقيق هذه المذكرات . وهذا ما اثبته فى تقديمى للمذكرات فى الصفحات من ٢٦ الى ٢٩ .

على انه لما كان كل بحث يشكل مراجعة على ما سبقه من بحوث فقد كان على ان افحص نتيجة دراسة الكاتب لمذكرات سعد زغلول . ولم يكن بد من ان اكتشف خطأه فى بدايات ونهايات الفترة التاريخية التى أوردها فى كتابه عن الكراسات ، لاعتماده على البطاقات الملصقة بالكراسات دون الفحص الفعلى ، وهذا الخطأ يشمل نحو نصف الكراسات تقريبا ، اذ يشمل ٢٥ كراسة من ٥٣ كراسة ، وقد اوردت ارقام هذه الكراسات فى تقديمى للمذكرات (ص ٣٦) ، ويمكن للقارىء المقارنة بين الجدول الذى قدمه الكاتب والجدول الذى ألحقته بالجزء الاول من مذكرات سعد زغلول . ولكنى لم اوجه اليه نقدا أو لوما أو تجريحا ، ذلك أننى اعلم أن عمله لم يكن تحقيق مذكرات سعد زغلول ، وانما تقديم دراسة عن سعد زغلول يستخدم فيها مذكرات سعد زغلول كأحد مصادر دراسته وليست كل المصادر وبطبيعة الحال فلم يكن لى اخفاء هذه الاخطاء التى ارتكبها لان هذا ينافى المنهج العلمى ، ولان كل باحث عليه ان يعلم تمام العلم ان عمله العلمى ليس منزها عن الخطأ ، ومن الضرورى أن يرحب بكل نقد يوجه اليه ، باعتباره استكمالا لعمله العلمى .

ولعلى كنت اول باحث نقد بنفسه عملا علميا له ، واثبت ذلك فى دراسة لاحقة ! . فحين تبينت ان طلعت حرب لم يكن صاحب فكرة نشاء بنك مصر ـ كما اثبت فى دراستى عن « تطور الحركة الوطنية ١٩١٨ ـ

١٩٣٦ » – كتبت دراسة اخرى فى مجلة «الكاتب» اعترفت فيهـــا بخطئى ! ، تحت عنوان : « نصف قرن من كفاح البورجوازية المصرية لانشاء « بنك مصر » • بل اننى حين أعدت طبع كتابى « تطور الحركة الوطنية » السالف الذكر ، وقمت بتصحيح هذا الخطأ فى الطبعة الثانية ، أصررت على الاعتراف بخطئى الاول فى تقديمى للطبعة الثانية !، رغم عدم الحاجة الى ذلك•

لكل ذلك كان أولى بالكاتب اتباع التقاليد الجامعية،واللجوء الى المناقشة العلمية ، ومقارعة الوثيقة بالوثيقة والحجة بالحجة، على نحو ما يفعل العلماءالذين يحترمون علميتهم،بدلا من كمية الافتراءات والسباب التى ساقها فى مقاله ، والتى من شانها ان تسىء الى صورته الجامعية التى يجب ان يتوفر لها الوقار والاحترام•

فمما يثير الحزن ان يعتمد الكاتب على الظن – لا اليقين – فى توجيه اتهامه لى ، فيقول بالحرف الواحد : « واغلب الظن » ان دورى (فى تحقيق المذكرات) اقتصر على توجيههم « يقصد باحثى مركز تاريخ ووثائق مصر المعاصر » نحو تحقيق واقعة او جمع مادة أو ترجمة لشخصية او تصحيح لقراءة كلمة أو عبارة وما الى ذلك » ، وانني بذلك « وضعت اسمى على الجهد المضنى الذى بذله غيرى » •

وقد كان فى وسع الكاتب – بدلا من الاعتماد على هذا الظن – ان يقرأ تقديمى للمذكرات فى هذا الصدد ليعرف دور كل باحث كما سجلته فى علمهم ووجودهم ، فاذا شاء التأكد ، كان له ان يتحقق عن طريق سؤال هؤلاء الباحثين ، وهم أحياء يرزقون ! • وهذا هو المنهج العلمى•

ترى لو انى رفعت هذا القذف الى القضاء ، وشهد الباحثون بما يخالف « ظنه » هل يقلع عن الافتراء على الاحياء ، ويحترم المنهج العلمى فى الحوار ؟ • ولكن ليطمئن ، لانى لن اقدم على ذلك ، فحتى الحوار أمام محاكم القذف يتطلب حدا أدنى من الندية والكفاءة ، وهذا القدر غير موجود فى حالتنا هذه كما سوف أوضح !•

على ان الكاتب يفترى على الاموات ايضا ، فيتهم العقد ، الذى أبرم بينى وبين الشاعر صلاح عبد الصبور كرئيس لهيئة الكتاب ، بتحقيق مذكرات سعد زغلول بانه عقد « مشبوه » (هكذا !) • أما السبب الذى يسوقه الكاتب لوصف العقد بأنه عقد « مشبوه » ، فهو اشتراطى اختيار باحثين معينين دون غيرهم !، ويقول ان « تلك قصة اخرى جديرة بالتأمل والفحص والمساءلة » ! ••

وينسى الكاتب ان مثل هذا الشرط غير موجود فى العقد ، ولم اكن فى حاجة لاثبات مثل هذه البديهية فى العقد ، لسبب بسيط هو انه من حق أى مشرف ان ينتخب مجموعة البحث التى تعمل تحت اشرافه ممن يثق فى كفاءتهم وجديتهم ، فلا يفرض عليه أى باحث لا يثق فيه تحت أى سبب• فاشتراطى انتخاب مجموعة البحث هو تأكيد لحق ، وليس حصولا على ميزة لا يتمتع بها مشرف اخر • ولكن

الكاتب هنا يسعى أيضا الى القاء الشبهات على مجموعة الباحثين الذى عملوا فى قراءة مذكرات سعد زغلول بادخالهم فى العقد «المشبوه»!.

ومن الغريب - الذى يصور الحالة العلمية للكاتب ! - انه كان يتصور اننى لكى أصدر المذكرات بعبارة سعد زغلول التى يقول فيها : « ويل لى من الذين يطالعون من بعدى هذه المذكرات» ، « يجب أن اكملها بعبارة» « ومن حكمهم على تمكين القمار من نفسى ورسو أصوله فى قلبى » ! - كأن الغرض من الاستشهاد هو اثبات لعب سعد زغلول القمار ؟،وليس اثبات ان ما سجله فى مذكراته يتيح لخصومه طعنه والتشهير به ، وأنه كان من الشجاعة - مع ذلك - بحيث أبقى المذكرات على حالها ولم يحذف منها حرفا ؟ . فهل هناك تناقض بين المعنيين كما هو الحال فى التناقض بين اقتراب المسلم من الصلاة وهو فى حالة سكر ؟ - وهو المثل الذى ضربه - وأليس لعب القمار مجرد انموذج لوقائع اوردها سعد زغلول فى مذكراته تدينه فى نظر كثيرين ؟ . فلا يستطيع الكاتب أن يفهم هذه البديهيات ؟ .

ولكن الكاتب يسوق وابلا من السباب الذى يسىء اليه اكثر مما يسىء الى ، فبدلا من استخدام الوثيقة فى الدفاع عن نفسه ، يكتفى بالقول باننى كنت « أبعد ما اكون عن الامانة والموضوعية العلمية » ! واننى رحت « اجتزىء من غير فهم »! ويبلغ به ادبه الجم حد القول باننى « بمسلكى هذا شكلت مع من هم على شاكلتى نمطا فريدا ممن ادركوا الجامعة من بوابها الخلفية فاتلفوا بذلك العلم والجامعة والمجتمع وراحوا ينسبون الفساد الى غيرهم ، واحالوا العلم والجامعة الى «بوتيكات» جديدة ! (هكذا !) . بل يرى الكاتب ان « معظم اعمالى العلمية لا ترقى الى مستوى النقد العلمى ، لانها تخرج فى نظره عن نطاق الدراسات التاريخية لتقرب من التحقيقات الصحفية غير الجيدة ! ، لا اتحرى فيها اية دقة علمية او موضوعية منهجية أو اعتمد على مصادر علمية موثوقة أو غير ذلك (هكذا !) .

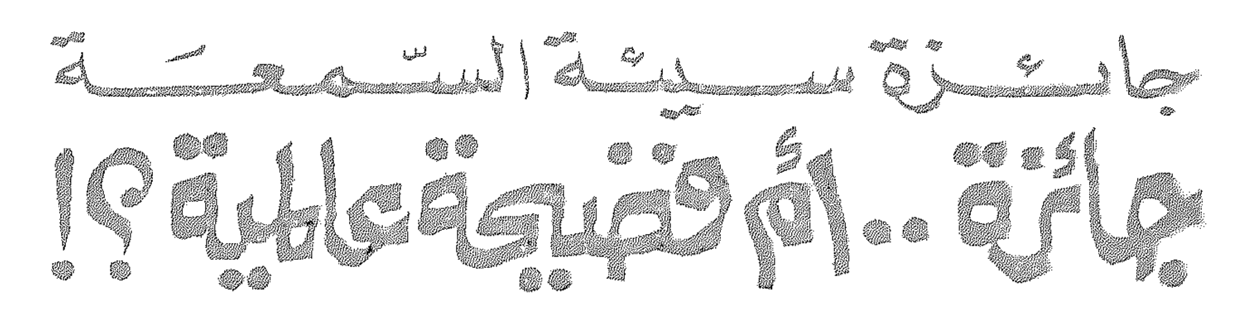
وهكذا يصل الكاتب الى قمة الجراة ، لان نقده اعمالى العلمية على هذا النحو يوحى للقارىء بأن له انتاجا علميا اكثر جودة ، ولكن القارىء سوف يدهش اذا عرف ان الكاتب أراح نفسه كلية من متاعب البحث العلمى ! ، بمعنى انه ليس له كتب معروفة سوى رسالتيه للماجستير والدكتوراه ، وكتيب صغير عن «الصحافة القطرية» الفه مع زميل له !، وهو كتيب مجهول ، وقد ترجم ثلاثة كتب مما لا يدخل فى اطار الانتاج العلمى الذى يبيح لصاحبه التقدم للترقية ، لان العبرة فى الترقية فى الجامعة هى المؤلفات العلمية التى تقدم العلم الى الامام ، وليس ترجمة اعمال الغير !.

بل يدهش القارىء اذا عرف أن الكاتب قد عجز - حتى هذه اللحظة - عن التقدم لجامعته بانتاج علمى يتيح له الترقية الى وظيفة استاذ ، رغم مرور تسع سنوات على شغله وظيفة

« استاذ مساعد » ، التى شغلها منذ عام ١٩٧٨ ، مما لم يسبق له مثيل ولكنه ـ مع ذلك ـ يتجرأ فيتطاول على استاذ ورئيس سابق لقسم التاريخ ، وعميد سابق لكلية التربية فينقد انتاجه العلمى ، ويقلب الامور رأسا على عقب ، لان الاستاذ هو الذى ينقد انتاج الاستاذ المساعد ولا يحدث العكس ! .

وهنا من حق القارىء ـ الذى اوجه له هذا الكلام احتراما ـ ان يعرف لماذا ناقشت ما كتبه الكاتب فى رسالته عن سعد زغلول ، التى نال بها درجة الماجستير ؟ لقد كان هذا النقاش احتراما لكلية الاداب التى نوقشت فيها هذه الرسالة ولجامعة عين شمس ، ولم يكن لاهمية الرسالة التى غمرها النسيان لقد تعلمنا فى البحث العلمى ـ كما ذكرت ـ ان اى بحث يمثل مراجعة على ما سبقه من بحوث ، فاما ان يختلف معها ، ويناقشها علميا بالتالى ، واما ان يقبل ما فيها ، وفى هذه الحالة لا يتعرض لها . ومن هنا فلو اننى تجاوزت تلك الرسالة ، حتى ولو كان قد طواها النسيان ، لكان معنى ذلك اننى اقبل ما فيها من احكام ضد سعد زغلول لا يوجد ما يسندها من حقيقة .

ولان اهتمامى كان منصبا على الرسالة دون الكاتب ، ولانه كان على ـ فى الوقت نفسه ـ ان اشير الى اسمه ولانى أشفقت عليه مما قد يتعرض له من سقوط هيبة فى نظر تلاميذه ، حين يقرأون ما وقع فيه من اخطاء ، ولانه لم ينتج انتاجا علميا يضفى شهرة ما على اسمه ـ فلذلك تجاوزت عن لقبه اكتفاء باسميه الاولين ، وفى اقتناعى ان ذلك لن يؤثر فى قليل او كثير على القارىء اذ يتساوى لديه اسم الكاتب باللقب او بدونه ! وكان املى ان يكون هذا محل تقدير الكاتب ، ويفهم رغبتى فى حمايته ، ولكنى فوجئت بأنه يشير الى باسمى الاولين ! وهو امر يثير السخرية والضحك حقا ! ، اذ ليس له ما يبرره الا التقليد الاعمى ! . فليس فى اعمالى العلمية ما اخجل منه ، وعلى العكس من ذلك فهى مما يشرفنى كل الشرف ، وهى اعمال تزيد على ثمانية عشر كتابا علميا ، فضلا عن عشرات البحوث والدراسات وهى معروفة فى جامعات اوربا وامريكا ، وبعضها يعقد حولها الندوات ، كما ان اسمى مدون فى بعض الموسوعات العالمية التى تعرف بأبرز الشخصيات فى العالم العربى . ومن هنا فسواء اشار الى الكاتب باسمى الاولين او باسمى الاخير ، او بجميع ما املك من اسماء ، فكلها تشرفت باعمالى العلمية ، التى امل ان يصل الكاتب الى درجة النضج العلمى التى تتيح له قراءتها قراءة متانية ، والاستفادة مما بها ، مما قد يساعده ـ فى المستقبل القريب أو البعيد ـ على التقدم للجامعة بانتاج علمى يبيح له الترقية الى وظيفة « استاذ » ، وقد يكون لى حظ الاشتراك فى فحص هذا الانتاج ! .

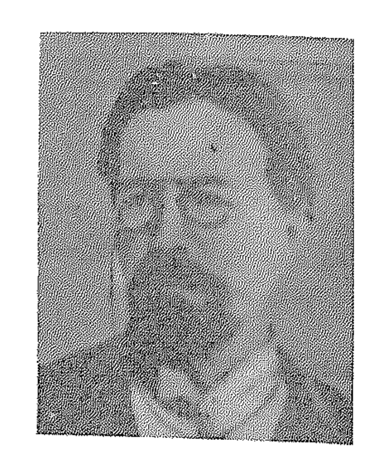
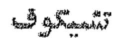


جائزة سيئة السمعة جائزة .. أم فضيحة عالمية ؟!

بقلم : عبد الله هاشم

معروف عن جائزة نوبل للاداب انها جائزة ليست فوق مستوى الشبهات وهذا ليس رأينا بل رأى كثيرين من الكتاب الاوربيين الذين رفضوها وادانوها ، ولا اقول ان جميع من حصلوا عليها غير جديرين بالتقدير ولكن القليل جدا منهم هو الجدير بالتقدير وهذا ذكاء من الاكاديمية السويدية بأنها في فترات متباعدة تحاول ان ترضى او بالاحرى ان تبعد عن نفسها التمييز العنصرى والجغرافى والحضارى وترضى بعضا من المغضوب عليهم او قليلى الحضارة او المتخلفين وتعطى لبعض من ادبائهم الجائزة ، وحتى فى هذا تقع فى المحظور ولا تبعد عن نفسها الشبهات .

ولعل اكبر دليل على ذلك منحها هذا العام لـ « وول سوينكا » الاديب النيجيرى الذى تعلم وعاش اغلب حياته فى انجلترا ويحتقر كل ما هو افريقى والذى كافح وأيد انفصال اقليم بيافرا عن نيجيريا الوطن الام ، لان الذى حضرته وربته الثقافة الاوربية هو الجدير بهذه الجائزة .. ان تجاهل جميع الادباء العرب الذين يعيشون فى افريقيا واعطاءها لاديب لا يرقى مستوى انتاجه وابداعه الادبى الى أى أديب عربى أمر له دلالته بل استطيع ان اقول ان اعمال نجيب محفوظ الروائية وتوفيق الحكيم المسرحية ويوسف ادريس القصصية تفوق أعمال هذا الاديب بمراحل كبيرة وأحيل القارىء كنموذج لاعماله مسرحيته « الطريق » والتى صدرت عن وزارة الاعلام الكويتية وروايته « المفسرون » التى صدرت عن روايات الهلال « فبراير ١٩٨٧ » لأقدر على الاجابة .. بل ان رواية « المفسرون » ذم وتشهير بالنيجيريين من مثقفين وافراد شعب وحكام بل بنيجيريا ذاتها وتخلفها ولن يخرجها من هذا التخلف سوى اتباعها طريق الاوربيين



تشيكوف


توفيق الحكيم


ليوتولستوى

في حياتها بتركها تراثها ومعتقداتها بل ودينها الذى تدين به الاغلبيــــة الكبيرة من شعبها والدليل على هذا هو رواية « الجائزة » (١) ·· التى كتبها الكاتب الامريكى ارفنج والاس» وفضح بها المحكمين الذين يمنحونها·

● تصرفات صبيانية

وعن الرواية يقول التقديم الذى قدمت به للترجمة العربية لجنة كتب جوائز عالمية ·· (٢) « وكل المعلومات والاوصاف والاحـــداث التى وقعت للفائزين الحقيقيين بجوائز نوبل فى الخمسين سنة الماضية صحيحة مائة فى المائة ، وقد رجــع المؤلف الى عشرات الكتب ، ومئات الوثـــائق وتحقق منها بنفسه ·· وقد قـــابل المؤلف عددا كبيرا من الفـــائزين بجوائز نوبل وسألهم عن حـــوادث معينة وعن تفصيلات عامة قـــابل أينشتين وميليكان وبيرل بك وأندست وغيــــرهم ··· ووقف على ادق التفاصيل بنفســه ·· ثم وصف كل التصرفات الصبيانية التى يقوم بهـا اعضاء لجان التحـــكيم ·· ووصف التيارات السياسية والعنصرية وراء هذا كله ، وانتهى الى ان جائزة نوبل هذه فضيحة عالمية ·· هل تتصور أن دول اسكندناوة التى هى الســـويد والنرويج والدنمارك تفوز باحـــدى وثلاثين جائزة ، مع اننا لا نعـــرف أحدا من كل هـــؤلاء الفائزين ·· هل تتصور أن جائزة نوبل لا يعطونها للـــروس (٣) ·· لا تولســـتوى ولا تشيخوف ·· حتى العالم الـكبير بافلوف قد ترددوا فى اعطائها له الا بعد أربع سنوات ·· والرجل الروسى الذى اخترع اللاسلكى قبل ماركونى لم يمنحوه هذه الجائزة وتولســتوى لم يفز بالجائزة مع ان اســـمه ظل معروفا لسنوات طويلة ، وربمــا كان

---

(١) الجائزة ـ ارفنــج والاس ـ الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥

(٢) ص ١٢ ، ١٣

(٣) الرواية كتبت قبل أن يأخذها شولوخوف عن نهر الدون الهــادىء وبعض الكتاب المنشـــقين بوريس باسترناك وغيرهم ·

جائزة .. أم قضية عالمية ؟!

السبب هو انه مشهور أكثر مما يجب ..

● دفاع عن الجائزة ●

والذى اثار هذا الانفعال بالنسبة لى هو ما كتبه الدكتور الطاهر أحمد مكى فى مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٨٧ تحت عنوان « أوهام عربية حول جائزة نوبل » فهو يدافع عن هذه الجائزة وعن الاكاديمية السويديه وعن المحدمين دفاعا غريبا . فلجنة نوبل لا يأتيها الباطل من فوقها او تحتها فى لحنة مثقفة متحضرة لشعب متحضر مثقف لايهمها سوى العمل المجيد ولا يهمها جنسية الكاتب فهى مع الديمقراطية ضد الدكتاتورية وتحت بند أن كلمته هى الفيصل وان من يخالفه غير موضوعى يقول«حتى»الان فيما ارى لم يحاول احد أن يدرس الامر موضوعيا أو يلقى على القضية بصيصا من الضوء بعيدا عن التشنج والانفعال او يوضح لنا بعضا من الاراء التى تفسر لنا الواقع علميا بعيدا عن التبرير العاطفى وهو لا يثبت أمام أى تفكير سليم « أى ان الرأى المعارض للدكتور سيفسر على أنه رأى انفعالى وغير موضوعى .. والمقال طويل نوعا ما - ويستطيع المتابع للقضية أن يقرأه فى مجلة الهلال .. (٤) . ولكنى سأختار نقطتين من مقال الدكتور وأناقشهما . الاولى عن تحليله الموضوعى عن عدم فوز أى كاتب عربى بجائزة نوبل . سأنقل كلامه الموضوعى بالحرف الواحد يقول (٥) « ذات يوم ادرك توفيق الحكيم بحسه الذكى هذا الواقع وعرض على الحكومة أن ترسله الى باريس ليقدم نفسه للعالم الادبى وعين فى اليونسكو فعلا ، ورغم انه كان يقبض راتبا ضخما لم يفارقه بخله لحظة فما أقام صلة بأديب ولا تعرف على احد وعاد كما ذهب وكان والحق - اخر من يصلح سفيرا اجتماعيا او ثقافيا ». يا للحسرة لقد ضيع توفيق الحكيم ببخله على نفسه وعلى العرب جائزة نوبل للادب ..

ووجهة نظر الدكتور فى هذا ان الاديب الذى يريد أن يحصل على الجائزة عليه بالاتصالات واقامة حفلات التعارف والاتصال بالمحكمين وعرض واهداء أعماله لهم .. النقطة الثانية هى أن نترجم ادبنا العربى فى طبعات شعبية للدول الاوربية لان مترجمات المستشرقين مغرضة وتطبع فى طبعات خاصة وضرب مثلا بترجمة « الايام » لطه حسين التى ترجمها المستشرق الاسبانى غرسيه غومث مدير المعهد الاسبانى العربى واستاذ اللغة العربية فى جامعة مدريد ومستشار الشئون العربية فى وزارة الخارجية طبع الكتاب فى ترجمته ألف نسخة فقط هل لم تصل نسخة الى لجنة تدعى انها تحكم وتعطى جائزة للاداب العالمية أو تطلع على ترجمات توفيق الحكيم للفرنسية والانجليزية .. أو ماذا يقول الدكتور عن وصول اعمال يوسف ادريس الى اللجنة بل أن يوسف أدريس قد وصل اسمه فى السنوات الاخيرة الى ان يكون من عشرة اشخاص رشحوا لهذه الجائزة وأعطوها لـلكاتب - وول

---

(٤) الهلال فبراير ١٩٨٧ من صفحة ١٠ الى صفحة ١٨ .

(٥) المرجع نفسه ص ١٨ .

سوينكا ــ أقل منه موهبة وتجـاهلوا الادب العربى كله ــ لغرض لا يخفى على احد ــ كاتب مشكوك فى انتمـائه لبلده وافريقيته ·· ثم تقول موضوعية وشهرة وطباعة شعبية وترجمة وعدم معرفة بالادب العربى ··

الموضوع أكبر من هذا ولا يبـرره رأيك الذى تقول فيه « (٦) واذا كان هذا هو حال طه حسين فى اشـهر كتاب له وفى ترجمة يقوم بها غرسيه غومث فما بالك بأنصاف الادبـاء والمتشاعرين ومن يكتبون أدبا فى طعم « المخللات » ومع ذلك يتحدثـون عن عالمية أدبهم الذى ترجم الى العـديد من اللغات ، ولـكن ذلك لا يعنى ان الادب العربى المعاصر خال من شوامخ تعدل وحتى تفوق بعض من حصلوا على الجائزة ، فما يكتبه نجيب محفوظ فى الطورين الثانى والثـالث من ابداعه وشعر نزار قبانى قبـل أن يتحول الى خطيب سياسى صـارخ وممل فى شعره الحر ، وغـادة السمان فى الكثير من قصصها جدير بأن يترجم ، وسيجد القارىء والمعجب وليس بالطريقة التى تتم بها ترجمـة أدبنا الان » ·· ولم يدلنا الدكتـور على الطريقة التى يجب ان يترجم بها ادبنا الان ·· كما انه تجاهل كتابا جيدين ترجمت أعمـالهم فعـلا الى اللغات الاجنبيـة كيوسف ادريس ، جمـال الغيطانى فى الزينى بركات التى ترجمت الى الفرنسية « طبعـة شعبية » عن دار لوسوى أكبر دار نشر أوربية أو اعمال مجيد طوبيا ويوسف القعيد ··· وغيـرهم كثير ، ومن الجزائر ، المغرب ، سوريا ، العراق، · ·الا اذا اعتبرهم بموضوعيتـه ــ بأن ادبهم فى طعم « المخللات » ·

ربما اكـون قد انفعلـت فى كلمتى هذه امام موضوعية الدكتور ، ولكن علينا ان نتجاهل هذه الجـائزة ولا نحتفى كما نفعل الان بمـن فـاز بها أو لم يفز فانها فى النهـاية لا تستحق كل هذا لان لادباء العظماء الذين لم يحصلوا عليها ما قللت من قيمة ابداعهم وشموخهم الادبى ومن حصلوا عليها من يذكر منهم يعـد على اصابع اليد الواحدة ·· وخيـر دليل على كلامى هـذا المقدمة التى قدمتها لجنة كتب جوائز عالميـة عن رواية « الجائزة » لارفنج والاس»(٧) فقد شاء المؤلف ان يكون فاضحا لما يجرى امام ووراء الابواب النحاسية لهذه الاكاديمية التى لها كل صفات المعابد ولكل هيئة التحكيم فيها صفات الكهنوت فوراء هذه الابواب العالمية روائح البخور وطقوس الزار ، وصـليل السـلاسل ودوى الاجراس ومسـوح الكرادلة ، والحقيقة شىء اخر ، فـلا ايديهم ثابتة ولا مقاييسـهم متزنة ، ولا عيونهم ستة على ستة ،ولا الفائزون من أعظم الادباء واعمق المفكرين ·· فهذا غارق فى الخمر ، وهذا غـارق فى الخيانة الزوجية ، وهذا يتجسس على ذاك ·· والذين يحـكمون على الاديب الفلانى بأنه اعظم المفـكرين لا يعرفون شيئا من الفكر العالمى · ولا يعرفون لماذا لم يفز تولسـتوى ولماذا لم يفز فرويد · فهم لا يعرفون ولا يعنيهم أن يعرفوا · فلا هى جائزة ما بعدها جائزة ·· ولا شـرف ما بعده ولا قبله شرف ·· فالـذين لم يفوزوا بها يجب أن يهنئوا أنفسهم والذين فازوا بها كثير ما اعتـذروا امام لجنة التحكيم وامام ملك السويد عن انهم فازوا ··

---

(٦) المرجـع نفسه صفحة ١٧

(٧) الجائزة ــ الدار القومية للطباعة للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، صفحة ٧٥ ·

قصة قصيرة

هانوفى.. فى الحى الشرقى

بقلم : فتحى رزق

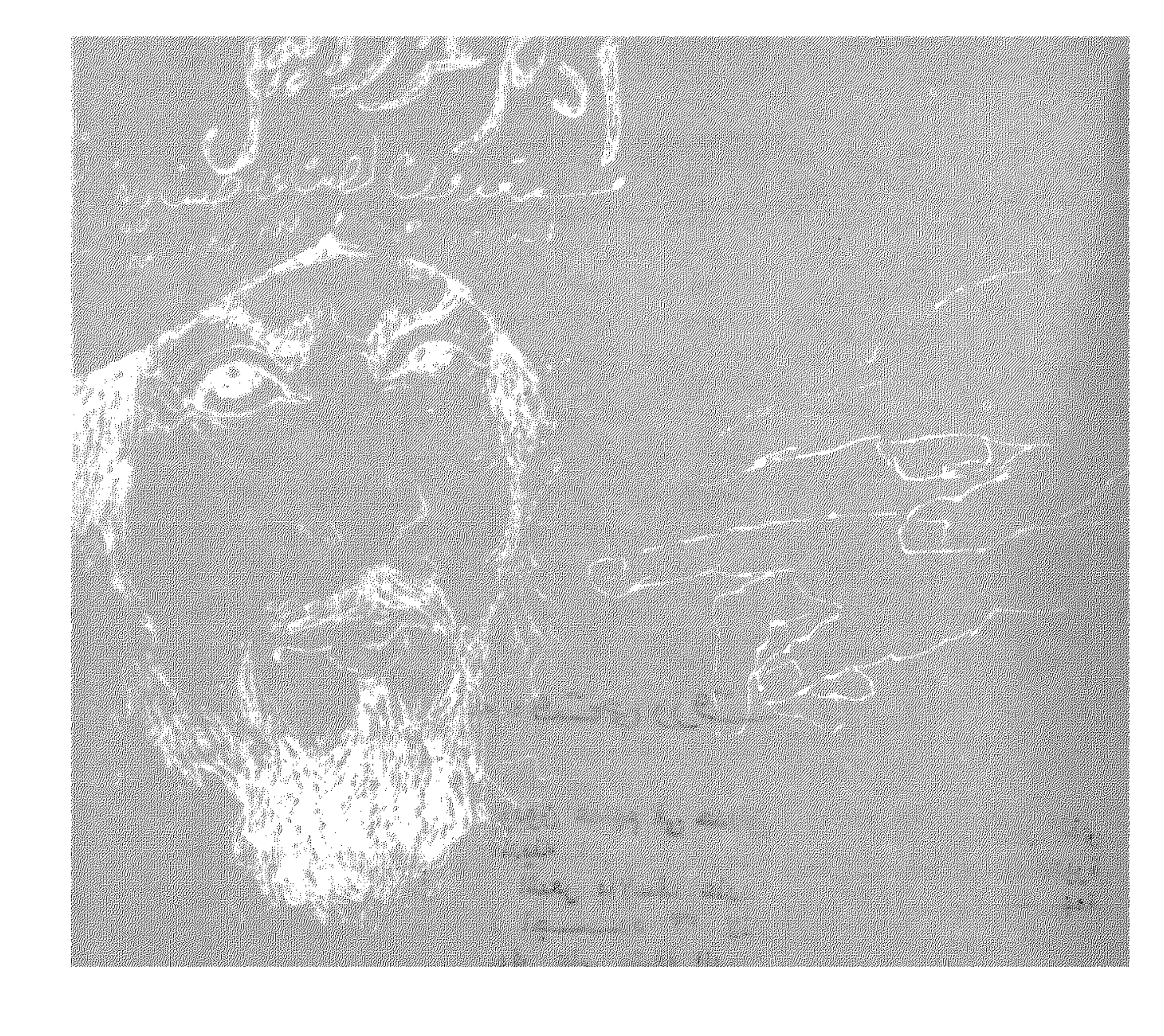
– ١ –

فى ايام الحرب القاسية .. تعودت الخروج مبكرا من المخبأ ، لاذهب لبائع الشاى فى الحى الشرقى من الاسماعيلية وهو رجل كان يقضى الليل فى ضواحى المدينة ويعود فى ساعات الصباح الاولى ليصنع الشاى للعدد القليل الباقى من سكان الحى ، وعمال الحدائق الذين كانوا لا يزالون يؤدون عملهم فى حدائق المدينة

اشعر بالاسف عندما لا اجده .. لانه يوفر على مشقة البحث عن طعام الافطار .. فهو يقدم لنا الشاى والخبز الافرنجى ، ولم يكن العجوز يتخلف عن الحضور مهما كانت الظروف ، خشيت ان يكون قد اصيب خلال المعارك الليلية ، فقد قامت قواتنا فى منتصف الليل بعملية عبور الى الضفة الشرقية ودمرت موقع العدو الكبير الذى اقامه على لسان بحيرة التمساح ، وكانت مهمة هذا الموقع مع الدشم الأخرى المساعدة له توجيه نيران المدافع والصواريخ الى الشوارع والمنازل الآمنة فى مدينة الاسماعيلية ، وقضينا طوال ساعات الليل ونحن نتابع عملية العبور .

كنت اعيش فى احداث معارك الليل عندما ذهبت الى شارع نيجريللى القديم ابحث

هذه القصة آخر ماابدعه الأديب الراحل فتحى رزق تلقتها الهلال لنشرها قبل وفاته مباشرة. وفتحى رزق له عديدمن المؤلفات من بينها ((رباعية سيناء ، جسر على القناة . ثلاثية الحب والحرب وتحت الطبع « طيورعلى بحيرة التمساح» مجموعة قصصيه



عن بائع الطعام الوحيد في هذا الشـارع وفي الحي كله ، وهو رجل غريب •• تخصص في صناعة اكثر الطعـام رداءة ، وفرضـه على المقيميـن في الحي ، وكانوا يضطرون للذهـاب اليه دائمـا ، فالمسـافة بين الحي ووسط المدينة طويلة ، والقتـال ينشب في اى لحظة ، وكان هو يعرف هذه الحقيقة ويسـتفيد منها باستمرار ••

لم اجد بائع الطعام، لم يحضر هو الآخر •• ومع انني تعودت رؤية الشوارع خـالية من السـكان ، والمنـازل صامتة صمت القبور•• فقـد شـعرت بجيوش الهمـوم تهاجم نفسي المتوترة المكدورة •• لم يعن الطعام بالنسـبة لي الشيء الكثيـر ، ولكنني تعـودت على تنـاول الشاى وقليل من الطعام حتى امارس هـوايتي السيئة في تدخـين السـجائر بشراهة ••

- ٢ -

تتجول عيناى بنظرات مرهقة على اللافتـات الباهتة فوق المحـلات والدكاكين المغلقة التي يعلوها غبـار داكن وتنتشر عليهـا خيوط العنكبوت الكثيفة •• وقفت على كلمـات مكتوبة باللون الاحمر فوق مدخل منـزل يقع بين عـدة دكـاكين •• خيـل الي انني لم ار هذه اللافتة من قبل •• عدت انظـر مرة

حانوتي.. في الحي الشرقي

اخرى لتلك الكلمات الحمراء اللون ، ثم اخذت طريقي عائدا الى المخبأ ، وبدت لى الكلمات غير مفهومة ، وانها مكتوبة حديثا لكن من صاحبها ؟ .. كنت اعرف كل السكان الذين يقيمون في الحي بعد تهجير المدينة ، وسبق أن قرأت لافتات هذا الشارع مرات كثيرة ..

مشيت خطوات قليلة ثم عدت الى المنزل ، وقفت امام اللافتة ، لا ادرى الى اى مدى بقيت في هذا المكان ، وتسمرت قدماى ، وتعلقت عيناى باللافتة .. وقرأت المكتوب عليها عدة مرات .

مستعدون لصناعة صناديق نقل الموتى من كل الاحجام والانواع . العمل ليلا ونهارا .. (ادارة آدم عزرائيل)

عدت اقرأ هذه اللافتة ، ووجدت نفسى اردد كلماتها بصوت مسموع حاولت ان اكذب عيني ، احسست برجفة اهتزت لها اعماق نفسى .. صناديق من كل الاحجام .. العمل ليلا ونهارا ..والمسئول عن ذلك آدم عزرائيل .. اي عزرائيل هذا .. ربما اكون واقعا تحت تاثير احلام الحرب ..

فجأة اهتزت الارض حولي، وانطلقت اصوات المدافع اللعينة من الغرب والشرق في وقت واحد .. انهالت قذائف الموت في اماكن كثيرة متفرقة من الحي الهادىء .. سقطت عدة قنابل في الشارع الاخر المجاور لشارع نيجريللي اسرعت الى المخبأ وانا اشعر بتعاسة هائلة ..

قضيت ساعات كئيبة داخل المخبأ قبل ان اخرج مرة اخرى الى شوارع المدينة .. لم استطع خلالها التخلص من تاثير الكلمات المكتوبة باللون الاحمر فوق منزل «آدم عزرائيل » اخذت طريقي سريعا الى مبنى المقاومة الشعبية في الحي ، وقبل أن يبدأ قائد المقاومة المحلى حديثه معى .. قلت .. أريد مقابلة عزرائيل !

عزرائيل ؟ !

آدم عزرائيل ..

رد. ببساطة وفي هدوء : لن تجده الآن، لابد انه مشغول داخل المدينة، او في الضواحي القريبة .. فهو يعمل « حانوتيا » .

أنه موجود .. كائن حقيقي .. لست أحلم .. وليست احلام الحرب .. كلمات اللافتة حقيقية .. وآدم عزرائيل هذا يعيش معنا في نفس الحي ..

منذ متى يعمل هذا الـ « عزرائيل » ؟

ابتسم قائد المقاومة قائلا : انه احترف مهنة الحانوتيه منذ فترة .. خاصة بعد ان بدأ العدو يضرب المدينة ، وبعد سقوط الكثير من الضحايا .. واللافتة الحمراء المعلقة فوق حانوته ؟

لم أرها ، ولاأستبعد أن يكون عزرائيل قام بكتابتها . انه رجل غريب الاطوار ..احترف عدة مهن منذ بداية الحرب .. عمل بائع روبابيكيا ، بائع حنظل بائعا للاعشاب البرية .. موزعا للكتب الصفراء

كيف يتصادف أن يكون اسم هذا الرجل « آدم » واسم أبيه « عزرائيل » .. ولماذا صناعة صناديق الموتى بالذات ؟ أعرف أن الحانوتيه في المدينة

يعملون من داخل المقابر .. لم يكن هنــاك فى طول المدينــة وعرضها محل واحد تخصص فى هذه المهنة قبل أن تندلع الحرب ..

ـ ٣ ـ

اختفت الشـمس فى قلب الافق الغــربى ، الهدوء يلف كل شىء فى الشارع ، وللصمت فى شوارع هذا الحى ايقاع سيىء على الاعمـاق ، لم يكن فى الشارع كله من بشر سوى عم حسان هدهد ، وهو بواب عجوز احيل للمعاش فى بداية الحــرب لكنه رفض مغادرة المدينة ، وعمل بوابا لحــراسة مبنى احــدى الشركـات . واصبح جزءا من صورة الحيــاة اليوميـة فى الشارع وقــد نشأت بينى وبينـــه عــلاقة حميمة لكثرة ما تقابلنا داخل المخبأ .

رأيت العجوز يتحرك نحوى ، راســما على شفتيه ابتسامة ، سألنى عمن أبحث فى هــذه الســاعة ، وعرض ـ كعادته دائما ـ مساعدتى

يا عم هدهد .. ابحث عن .. آدم عزرائيل .

رد العجـوز بسرعة وبنبرات خانقة : هــذا الرجل السمين الكـريه الوجه ، الذى لا عمــل له سوى صناديق الموتى . لم أره من قبل .

الان سيحضر .. فهو يختفى كثيرا بالنهار ، وربمــا يكون الان فى المقابر ، ولكنه يعــود مع قدوم الليل .. ليبدأ عمله فى صناعة هــذه الصناديق اللعينة .

يا عم هدهد .. نحن نحتاج على كل حال الى من يصنع لنا صناديق للموتى .

رد العجوز : أعرف ذلك ، ولــكننى لا احــب « آدم عزرائيل » . بل أصبحت لا اطيق رؤية وجهه .. قلبى يحدثنى انه سعيد بصناعة هذه الصــناديق ، وتزداد سعادته كلما ازداد عدد المـوتى فى المدينـــة . ورأيت هــذه السعادة المجنونة مرات كثيــرة على وجهه .. وبصوت مرتعش النبــرات .. لقد حضر «عزرائيل» .

وبحـركة سريعة .. بدأت أنظر فى اتجــاه غرب الشــارع ، رأيت رجلا غريبا يقترب منا تركــزت عيناى عليــه حتى اصبح امامنـــا ، تاكدت فى تلك اللحظة اننى بالفعل لم اره من قبل .. ربما يكون من ابناء المدينة .. او من الذين وفدوا للعمل فيها فى السنوات الســابقة على الحــرب ، ولكننى لا أعرفه .. لا اذكــر اننى رأيت رجــلا له مثل هذا الوجه وهــذه الملامح .

يبدو فى نهاية الحلقة الخــامسة ، برميــلى الجسد ، كبير الرأس ، طويل الذراعين ، قصير القدمين ، كثيف الشعر ، ويختلط شــعر الذقن بالشــارب ، يرتـدى جلبــابا مفتوحا فوق صدر غليظ ، يبرز فوقه شعر متســـخ ملطــخ بالرمال ، وقف امامنــا .. وتبادلنــا نظرات سريعة .. ووجه التحية لعم هدهد فى همهمات غريبة .

رأيت عينيـــه فى لحظات اختفاء آخــر ضوء فى الســماء .. عينين واسعتين عميقتين يعلوهما حاجبان يختلط فيهما الشــعر الاسود بالابيض .. وتبرز من الجانب الايسر شعيرات كثيرة .. عينين قلقتين .. لا تســتقران على شىء ، نظرات فيها شرود عميق ، واعياء شديد وخوف الى حد الذعر ، نظرات غريبة رافضة ، تتحدث اكثر من لغة ، وتعكس صراعا هــائلا احسست أن الرجل يبذل كل طاقته لاخفــائه ، كانت عيناه مثــل عينى تائه فى صحراء مجهولة قضى سنين يبحـث عن طريق او نبع ماء .

اخرجنى العجوز هدهد من شرودى وهو يمسك

حانوتي.. في الحي الشرقي

بيدي ، حاولت ان اتحدث ، لكنه .. عزرائيل .. كان أسرع مني .. قال . هل تريد شيئا ؟ اشعر انك كنت في انتظاري .

قلت : نحن نحتاج الى صناديق لنقل الموتى داخل المدينة .

رد بسرعة كأنه يصفعني : انا خدام .

بدأت انظر من جديد الى الكلمات المكتوبة على مدخل المنزل ، وانتقل الى وجه الرجل والشارع الخالي ، وهدهد العجوز الذى كان المغيظ قد تملك كل شيء فيه : اسرعت عيناى في حركة آلية بين وجه عزرائيل وحائط مدخل منزله ، والكلمات المكتوبة « العمل ليلا ونهارا » .. « صناديق من كل الاحجام » . وتوقفت بعد أن وقعت عيناى على وجه « آدم عزرائيل » ، ووجدته ينظر الى وجهى بثبات شديد ، نظرات غريبة ، عميقة ، باردة كالثلج .

تحرك « آدم عزرائيل » سريعا الى داخل المنزل ، وبدأت تصل الى اسماعنا حركة الرجل سريعة من الداخل

هدهد (بقرف) شديد : آدم بدأ يصنع المزيد من الصناديق .

لم ارد ، تركت المكان سريعا ، بينما كان هدهد يتجشأ بصوت مرتفع وخرجت من الشوارع الجانبية مجموعات القطط الضالة .. وهي ترسل صراخها الليلي مبكرا .. تعزف سيمفونية كل ليلة .. تبحث عن الطعام وسط اماكن غابت عنها الحياة ! .

— ٤ —

ظلت شخصية آدم عزرائيل تلاحقني وسط أيام الحرب الثقيلة ، فشلت في التخلص منها .. في طردها ، توقفت عن السير من أمام المنزل الذى تعلوه تلك الكلمات التى تحمل دعوة غريبة لمغادرة الحياة .. من خلال تسهيلات خاصة .. ازدادت ضراوة حرب الاستنزاف اليومية ، وكنت أعرف من خلال عملى عدد ضحايا الحرب عقب كل معركة ، وكلما سقطت ضحية جديدة ، قفزت امامى صورة « آدم عزرائيل » وصناديقه التى هى من كل الاحجام وأتذكر تلك النظرات الباردة كالثلج .. والعيون الشاردة .

ذهبت ظهر احد الايام من صيف عام ٧٠ الى مقابر مدينة الاسماعيلية أشارك في تشييع جثمان صديق كان يعمل مديرا لاحد المصارف ، ووقفت في ظل شجرة كافور عجوز ورأيت « ادم عزرائيل » على رأس القبر ، وأمامه الصندوق الذى يحمل جثمان صديقى الذى مات ، وبدأ عقلي يدور بسرعة ، وخيالي يقفز من صورة الى أخرى .

« آدم عزرائيل » .

استدار فجأة .. التقت عيوننا .. خيل الى آن على وجهه ترتسم ابتسامة غريبة .. ميتة .. وسرعان ما انقلبت سحنته .. في عينيه تلك النظرة الباردة .. ظل واقفا مكانه بلا حراك ، ثم استدار ، ولم ينظر نحوى مرة أخرى ، حتى تم دفن الجثمان .

في طريق العودة من المقابر ، التقيت بالعجوز « حسان هدهد » كان حريصا على ان يشارك في جنازات الموتى منذ بداية الحرب ، ضاعف من احزاني انني عرفت من « هدهد » ان « آدم عزرائيل » صنع خلال الصباح الباكر عدة صناديق لدفن الموتى من رجال المقاومة الشعبية الذين سقطوا فجر اليوم خلال غارة شنتها طائرات العدو على احد الجسور !

قلت للعجوز «هدهد» وانا احاول التخلص من تاثير ما سمعت : وماذا في ذلك ؟ ان « آدم » يقوم بدور كبير في دفن ضحايا الحرب .. وهي حرفته !

رد « حسان هدهد » .. ليس هذا سبب حزني .. انني اسكن بالقرب من منزله ، ولا انام الا ساعات قليلة خلال الليل ، وسمعت هذا المجنون في الصباح الباكر جدا وهو يغني لحنا سيئا ، بينما كان يصنع الصناديق في سرعة غريبة امام المنزل ، صدقني .. انا لااحب هذا الـ عزرائيل .

— ٥ —

لم التق مع « آدم عزرائيل » بعد ذلك كان لقاء المقابر هو الاخير ، ذهبت اكثر من مرة الى المنزل ، لم أعثر عليه .. اختفى فجأة ، كانه لم يكن موجودا على الاطلاق .. ربما انتقل من الحي الشرقي الى الحي الشعبي ، حيث عدد السكان اكثر ، ليمارس عمله في صناعة صناديق الموتى .. رايت اللافتة الحمراء شحب لون كلماتها .. المنزل مغلق .. يعلوه الغبار .. نسج العنكبوت خيوطه على المدخل مثل باقي المنازل الاخرى التي تركها سكانها منذ سنين .. « حسان هدهد » اكد لي في المرات القليلة التي التقينا فيها داخل المخبأ انه هو الاخر لم يعد يلتقي مع « آدم عزرائيل »

لم استطع في ايام الحرب ولياليها الطويلة ان انسى « آدم عزرائيل » الوجه الكئيب .. الابتسامة الميتة .. النظرات الباردة .. العيون التي لا وطن لها .. وعندما كانت المدافع تعزف سيمفونية الموت فوق رءوسنا ، وتطلق « مارشاتها » الجنائزية خلال التراشقات ثم وهي تدوي فوق بحيرة التمساح الهادئة كانت صورة آدم عزرائيل ترتسم امامي على ضوء الفانوس الشاحب داخل المخبأ ، وعلى ضوء المصباح الكهربائي في المكتب ، وفوق الاوراق الصامتة وانا اكتب .. كثيرا ما خيل الي انه ينظر الي بتهكم مجنون .. وتتحول الابتسامة الى قهقهات عالية صارخة كانها صرخات « عزرائيل » على الارض !

وذات يوم .. كنت اجلس مع صديق يعمل مصورا متخصصا في تصوير المعارك ، ولم يترك المدينة منذ بداية الحرب ، كان يقوم بتصوير المعارك اليومية ويصور جثث الضحايا . وقدم لي مجموعة الصور التي التقطها عقب معركة الليلة السابقة ، بدات اقلب الصور ، تسمرت عيناي على صورة لجثة .. رجل اصيب اصابات بشعة .. مات مفتوح العينين .. كان آدم .. آدم .. عز .. رائيل .. لم اصدق لحظات .. أطلت النظر في الصورة .. انها الحقيقة .. آدم عزرائيل مات .. قتل في الحرب على مدخل المقابر .. ولم يعثر في ملابسه على ما يدل على شخصيته او اسمه الحقيقي ؟!

عذراء الغروب وقيمة التخلي عن النزعة الطبيعية

بقلم :
د. أحمد كمال زكي

●● في الستينيات وصفوا أنفسهم بأنهم جيل بلا أساتذة ، وكانوا اذ ذاك في عمر الزهور . يرفضون بجرأة أيةمصالحة ظاهريه مع الواقع - بل ربما رفضوه - ويعماون في الوقت نفسه وباستهداء بعض كبار روائيي العصر على الافادة من حركة التحولات الاقتصادية ، والفكرية لتشكيل البنى الفنية التي تستوعب معاناتهم ●●

● ● ●

ومجيد طوبيا الذى اقدم له روايته « عذراء الغروب » من هذا الجيل . بدأ كاتب قصة قصيرة برغم صعوبة تشكيلها، وصعد منها الى الرواية حاملا همومه وهموم مجتمعه ، ومحاولا تغيير شيء ماأو أشياء مما يراه مضطربا حوله وفاقدا قيمته ، وكذلك ايجاد البديل لما تحطم من مثل ومبادىء فى ظل التحولات التى فرضت نفسها على واقعنا منذ الخمسينيات .

وقد كان لرجوعه - ورجوع زملائه - الى القرية واعتماده الصدق الرافض لاى تزييف مع ملاحقة الواقع المتغير والاصرار على ألا ينفصم عن تراثه ، اثر فعال فى تحقيق امرين :

ولانني كنت اتابع بعض روائيي العراق وأعجب بتوظيفهم التراث على أساس

ارساء قاعدة التوازى بين الاسطورة والواقع ، واللغة رموزا واسلوبا ، رأيت أن أوازن بين صنيع أولئك وهؤلاء ، بل بين من ظهر فى مصر من الروائيين الشبان ومن يعاصرهم من الروائيين العرب .

وقد استطاع طوبيا تفجير المشرق من جوانب خبرته وقد التحم بثقافة الجماعة وبالمناسب من انجازات الفن العالمى — ناقدا ومتذوقا — وذلك لتأكيد نموه الشخصى ، ولتخليق أطر أو حتى اطار واحد فى الرواية يتوازى مع ما استحدث فى عالم الشعر .

● مرحلة التجريب ●

ثم كانت نقلة فنية أخرى فى الرواية عند مجيد طوبيا .. لنسمها — مرحليا — عملية تجريب بعد ان تبين قيمة التخلى عن محاكاة الحياة الطبيعية . طالما كانت المعرفة بجوهر تلك الحياة تفضى الى جوهرها ، وكان التخلص من قيود التقليديين احد الوسائل المهمة لتقديم حبكة تقوم على احتمال الرفض الواعى للشخصية التى اعتادوا ان يواجهونا بها .

ولعلنا من هنا ندرك لماذا نجح جيل مجيد طوبيا فى الاستغناء عن كثير من قيم التكنيك الموروث . وعلى الرغم من اننا — كنقاد — لا نزال بحاجة الىوقت لتقييم الشكل الجديد على نحو قاطع ، فليس من شك فىأن رواية «عذراء الغروب» التى مثلت النقلة الفنية الاخرى عند مجيد طوبيا تصلح — فى نطاق التجريب المتواصل — لايجاد ضرب من التوازن بين ما هو تقليدى وما هو مستحدث .

وتصبح نافلة الحكم — بعد ذلك — بأنه أقدم على تعديلات دقيقة فى هيكل الرواية. وعلى الرغم من انه ساق «عذراء الغروب» فى ثمانية لا يمكن وضعها فى سلسلة الثلاثيات والخماسيات التىعرفت فى أدبنا أخيرا — وهى على غيرمسمياتها حقيقة — فانه لم يكتف بهذه الخطوة . بل عمد الى احداث عدة تغييرات على المستويين الاسلوبى والعمارى بدت بها أفكاره العامة — وهى وثيقة الصلة بجغرافية معينة وبناس مغمورين — فى تفاعل من أجل تقديم « عالم متميز » لا يمكن الفصل فيهبين الحدثوالشخصية. ومن ثم يصبح من العبث ان ندرج «عذراء الغروب » تحت نوع أدبى دأبنا على تسميته برواية الشخصيات ، أو نوع آخر يعرف عندنا برواية الحدث .

وما دام الامر كذلك فان قضية الوحدة العضوية تبدو مهيأة للمناقشة ، ولا سيما أن أحداث الرواية موزعةعلى ثمانية فصول تعقدها وجهات نظر متخالفة . ففى كل فصل من تلك الفصول أجزاء تتنامى ويكمل بعضها بعضا ، مما يدل على ان الشكل يثرى المضمون ، وأن القول : ان الشكل هو المضمون الى الحد الذى اذا انتفى شق منهما انتفى الشق الاخير صحيح أيضا .

ومن أهم النقاط التى تلفت الىالرواية — بتنحية سلامة التكنيك ودقته — عمليات التصوير للمكان والانسان التى أشرنا اليها قبل ونعود اليها لنزيد ، أنقبولنا للفصل الثامن — مع انه كما يقول المؤلف بعض الارقام الصماء والاراء الخالصة لرئيس مشروع الترعة — يتمشى مع مبدأ الوحدة المطروحة ، حتى باعتباره نوعا من التقرير . والتقرير على أية حال أحد أنواع الوصف او الاخبار ، لكنه اذا لم يحسن استغلاله صار عبئا على التصوير الذى قد يخفى دور الراوى . والمعروف ان اختفاء شخصية الراوى ، من القيم التى طمح الى تحقيقها التقليديون ، ويريد المحدثون اثباتها على طول الخط .

وكحكم عام نرى ان «عذراء الغروب» تنم عن روائى واع بأساليب الحرفة ، ومقدر أهمية الاتقان الفنى . وقد استعاض فيها — قياسا الى الدوائر مثلا

عذراء الغروب

ـ عن البساطة والغنائية بالعمق وبفهم أوسع لتجارب الناس ومشكلاتهم .

والرواية تبدأ زمانيا فى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، وتنتهى فجر اليوم التالى، وسردا بالمهندس الزراعى سامى الذىكان عليه أن يتحمل مهمته فى حفر ترعة باشراف الالفى الذى قارب الخمسين ، ومشمل بالادوات التى أعدت لتنفيذ المشروع ـ وكان من بينها حفار هادر ابدا ـ وجه الحضارة ومحصلة ربح الفلاح الذى يدأب على المعارضة اول الامر لسبب او لاخر .

وماخذ الترعة بحر يوسف ، وتتحرك هذه متجهة الى قرية « نجع الغروب » فى شريط ارضى ينهض كالسد فرقه قبر، ووري فيه جثمان سيد القرية ، وقامت على حراسته فى وجه الحفار امرأته ببندقية وخادمه الضرير باذنيه وبحبسه الغريب لهذه المراة ولابنتها الشابة خمرية .

اى أن الرواية تشكل واقعة تحد تبدو عادية جدا ، وان تكن تحمل فى ثناياها ايمانا بالموروث وتوجسا من اى جديد .

ومنذ البداية نجابه بهذا التحدى ، وقد وصل الحفار فعلا الى القرية القابعة فى حضن الجبل الغربى حيث تتناثر شراذم البدو . وهؤلاء وضعهم المؤلف فى مجموعة واحدة مع الفلاحين المغمورين بظروف متواضعة للغاية ، متحدين بالرمل والطين ومنفعلين ـ حتى فى صمتهم ـ بالطبيعة الموحشة .

وظهر أن البدو بزعيمهم الشابورى والفلاحين بعمدتهم الفاجر غرباوى فى صف المرأة العجوز ، والحفار بسائقه حسن السبع ينتظر الاشارة الاخيرة من مدير المشروع ليجرف القبر كاجراء اخير يجرى بعده ماء الترعة فتدخل القرية الى مرحلة جديدة ومتقدمة من حياتها .

وحتى هنا يكون كل شىء معدا للتقديم . فالعجوز التى اتخذت موضع المقاومة وابنتها خمرية مع سامى وغرباوى وسوسن الطبيبة والالفى المدير وغيرهم ، يتعاونون على تحريك الاحداث وقد توافرت لديهم ـ بفضل احساس المؤلف بالحقيقة ـ القدرة على استقطاب اقل نبضات الحياة خفوتا واكثرها دلالة .

ووراء ذلك كله اكثر من مأساة ، أو فلنقل من جريمة : جريمة غرباوى المتكررة مع نسوة أتقن مضاجعتهن خارج فراش الزوجية . وقد بلغت هذهالجريمة حدا لم يحتمله حسن السبع ـ وقد حمل لقب العبيط ـ بعد أن زفت اليه زكية وقالت له بعد ان تعرت له « ينوبك ثواب لا تفضحنى » .

وأما الجريمة الكبرى وعليها قامتحبكة الرواية ـ اذا تأملنا هيكلها العام ـ فهى واقعة العجوز ايام زلت فى شبابها مع على الخادم الضرير .

لم تكن هناك خيانة زوجية ـ فى رأيها ـ ولماذا تخونه وهى لا تشتهى غيره، وهو رجل القرية الاول وفارسها المهاب ؟ . غير انه لم يكن يستطيع الانجاب ، وجهلا او تبجحا ألقى بتهمة العقم فى وجه زوجته ـ ثم قرر ان يستبدل بها أخرى.
وبقدر ما رأحت ـ وهى عجوز ـ تتشبث بفكرة الابقاء على قبره فى مجرى الترعة ، كانت مدفوعة فى شبابها الى التمسك به مهما يكن الثمن . والفكرتان قائمتان ـ فيما ترى ـ على الاخلاص او فلنقل على وفاء لم يكن مبررا على طول الخط .

على أنها وقد زلت مع الضرير قبل أن يكتهل بقصد الانجاب لبعلها العظيم ، لم تكن فيجملتها رديئة، هكذا قدمها المؤلف، بل كانت أسيرة الفكرة الاولى التى تفرضها الطبيعة على المرأة فى ساعات الاحباط .

ايقاع الحياة

بل لعلها كانت غبية ، والدليل على غبائها مقاومتها للحفار حتى آخر مدى، والى ان تساقطت الاتربة والحجارة على رأسها فى ساعة الصفر ، ويبدو أنها لم تسمع صراخ ابنتها للمهندس سامى الذى نجع فى خطيبته : يقتلون أمى يا سامى !. ص ٨٨ .

ويسلط المؤلف الضوء بشدة عليها حتى بعد ان نقلت الى سريرها متداعية، وهنا نرى أن قرارها الاخير بحبس نفسها عن الناس انما كان عملية تكفير واضحة.
ولقد أنجبت خمرية ـ التى مالت الى سامى ـ ولم يكن احد سواها ومن زلت معه يعلم بواقعة الليلة المحرمة . وصارت حمرية لدى أمها لعنة ، وتذكرة مؤلمة بالخطيئة ، أو أداة لتعذيب موحش لها فراحت تسىء معاملتها .

غير أننا اذا قدرنا أن على تلك السيدة واجب الحمل لتكتمل السعادة العائلية بانجاب الولد ، واذا ادركنا انها اختارت لتحقيقها اصعب وسيلة وأحطها ، فلابد ان نستشعر نحوهاضربا من التعاطف أو قدرا من الرثاء . ثم لا نجد مفرا من الاعتراف بأن اصرارها على حماية القبر، لم يكن الا الوجه الاول للتفكير الذى لوحنا به .
كان مجيد طوبيا ـ فى عذراءالغروب ـ روائيا بادىء ذى بدء ، وكان يقول أكثرمما قاله السابقون بطريقة غير مألوفة ، واذا كان قد بعثر شيبة الزوجة الخاطئةفىمواقف متباعدة ثم حكم عليها بالهزيمة ، فقد زاد واستثمر هذه الهزيمة فى دحر قوى التخلف ووضع اللبنات الاساسية ـ الماء العذب ـ للتحضر . ومن ناحية اخرى كان يقصد بمجاوزة الزوجة الى غيرها كسوسن الطبيبة او الشابورى سيد البدو ، كان يقصد الابتعاد وسعه عن الخط التقليدى ـ فى الرواية ـ وكان غالبا ينوء بثقل الاحداث . ومع ذلك نفذ دائما الى داخل موضوعه المتشعب الاطراف ، وجمع فى الوقتنفسهمنعرجاته وممراته التى كانت تمتد وتتشعب .
واذا نحن فى نهاية الامر نتبين انه كان يعفينا من معرفة كل شىء عن اية شخصية، فقط كان يقدم الشخصيات بطريقة تعنى أنها نماذج تصلح لان تؤدى طقوسا روائية خصبة ودالة .

ونحن عندما نتأمل تلك الشخصيات فى نظرة أخيرة لا نرى اننا قادرون على اسقاط شىء عنها مما كفاناه به ، ولا على حذف جزء أو أجزاء مما شيد ، فمن الواضح أنهم « خلقوا » لابراز الفكرة العامة التى أراد أن يؤكدها .

هنا نراه ينخل الماضى ـ وقد بدا مشوها ـ ثم يأخذ فى تجميله واتاحة الفرصة للعلم أنينتصر. جعل لشخصيات عصر ما قبل الترعة جوانب ضعف لابد ان تخذله فى النهاية ، واذ يتحقق ذلك يطل المستقبل منخلال عبارة صماء يدونها مدير المشروع فى تقريره « يربح الفلاح دائما.. الحياة جميلة والمستقبل باسم ، ومهمتنا ادخال السرور الى قلوب اخواننا الفلاحين » ص ١٠٦ .

وبعد ، فقد وجدت من الضرورى وانا اقرأ فى أدب مجيد طوبيا ان اضحى ـ لضيق الوقت ـ بدراسة شاملة لفنه الروائى ، وآوثر هذه القراءة العابرة . لا انشد من ورائها الا ان تكون مجرد بداية لدراسة اكبر ، اقوم بها جيلاً زعم انه كان بلا اساتذة !.



رأى فى الثقافة

خراب السينما وأهل السينما

لم يات خراب السينما ، الذى يطرح هذه الايام كمأتم جماعى فى تقديرنا،من خارجها ، فصناعة السينما معطلة وشبه عاجزة ، حتى أن ١٧ الف أسرة تعمل فيها ، وتعيش منها ، تعانى الامرين، وفقراء العاملين فيها يبيعون أثاث منازلهم لكى يستمروا فى الحياة ، هكذا قال يوسف شاهين ، وفريد شوقى ، ويقوله كل من تلتقى به ، وتشاهده بنفسك اذا كان لك أدنى اختلاط بالعاملين فيها ٠

فى يوم قريب من الايام كانت صناعة السينما تدر على الخزانة العامة ، ما يجعلها فى المقام الخامس ، أو الرابع فى بعض الاقوال ، من الدخل القومى للدولة المصرية ٠

واذا حسبنا المسألة من زاوية ثقافية فقد كانت لغة السينما المصرية ، هى اللغة الام ، فى كل البلدان العربية ،وعن طريقها كان الوجود المصرى هو الاهم ، والاكثر تأثيرا على خريطة الوطن العربى من الماء الى الماء ٠

وعندما نقول ان أهل السينما هم السبب فى أنتكاستها ، نقول ذلك لاننا وجدنا أنهم لم يقدروا المسئولية ، فى وقت كان يوجب عليهم أن يقدروها ، وانساقوا فى موجة الابتذال ، حتى غدت مقولاتهم مرتبطة بأحط أنواع الحياة ، ولم يعوا ارتباطهم بدورهم الثقافى المؤثر والفعال ، فى مجتمعات كانت ترى فيهم المثال ، والنموذج ، فغدا أكثرهم ابتذالا، هو أكثرهم شهرة ، وأكثرهم تهربا من الضرائب ، هو الفهلوى مثار الاعجاب بين أوساطهم ٠ لقد تخاذلوا على طول الخط ، عندما فرضت عليهم رقابة خسيسة ، استجابوا لها ، وعندما صودرت كلمتهم تفرقوا ولم يتضامنوا ،ولم يحموا الكلمة الشريفة لحظة تدل على اخلاصهم للهدف العام ، وعندما دخل عليهم كل جزار ، او أمى برزم

النقود ، استجابوا له ـ دون وازع من ضمير أو احساس بالمسئولية ـ فاستجابوا للابتدال ، وانساقوا للتيار ، وعندما كان عليهم أن يكونوا قدوة للآخرين ، وسط الظلام الدامس ، كانوا أسوأ نموذج ، وأحط قدوة ٠

في ليلة كان أحد المثقفين موجودا في جمع من السينمائيين ، وأخطأ بطرح قضية جادة ، فاذا بالنجم السينمائي الاشهر ، يتحول الى التريقة ، والسخرية من « كلام المثقفين » تحت دعاوى كلها مفتعل وينم عن جهل عظيم ، وبدلا من أن يستمع الجالسون للمثقف جعلوه أضحوكة ، لا لذنب ، الا لانه طرح قضية جادة ، وكانت للمفارقة الصارخة ، قضية فى صلب عملهم الجماهيرى ٠

المشكلة الآن وصلت الى حد أنها أصابتهم فى رزقهم ، ووضعهم ، ومصداقيتهم ، فهل سيستيقظون قبل غيرهم ، أم سينحون باللائمة على الاخرين ٠٠ هل سيضعون بنفسهم القواعد التى تعيد لهم مصداقيتهم أمام الاخرين ، هل سيعملون على أن يصبح تأثيرهم قوة من أجل الهدف العام ، أم سيستسلمون لهذا الخراب الشامل الذى هم على أبوابه وسيتطلع كل منهم الى قدميه ٠

عبده جبير

لقاءات ثقافية

ندوة حول مجموعة « الليل الرحم »

عقد بأتيليه القاهرة يوم الثلاثاء ٢٤ فبراير الماضى ندوة أدبية كان موضوعها مجموعة « الليل الرحم » للقاص محمد روميش ، وهى المجموعة التى صدرت أخيرا عن روايات الهلال ٠

تحدث فى الندوة كل من د٠ عبد المنعم تليمة ، وابراهيم فتحى ، وعبد الحكيم قاسم ٠

وفى البداية قرأ روميش احدى قصص المجموعة أعقبها عرض نقدى للدكتور تليمة الذى اكد على معرفته الحميمة بالقاص منذ أمد وأنه قدم له من قبل بدراسة نقدية ثم قال انه حتى بمرور عقد من الزمان ، وبتطور المبدع، وتطور النظر النقدى فى العمل فانه مازالت هناك أشياء كثيرة ينبغى أن تطرح للمناقشة وان يعاد النظر فيها ، ويرى د٠ تليمة أن المبدع الحقيقى هو الذى يعبر عن منطق شعبه وعن أشواقه وأحلامه فى صياغة فنية راقية ، ورأى أن محمد روميش لم ينجح فقط فى التعبير عن ذلك المنطق ، بل انه قدم أيضا منطوق الناس وملامح حياتهم اليومية ٠

كما قدم الناقد ابراهيم فتحى مجموعة ملاحظات هامة حول رؤيا القاهرة ، وقدم بعض الاختلافات مع الدرس النظرى الذى طرحه الدكتور تليمة أهمها ذلك الخلاف مع توصيف تليمة للغة القص فى المجموعة بأنها أقرب الى لغة الرواية من حيث افتقادها للتكثيف الذى يميز



فن القصة القصيرة بالذات ، مقدما تصورا حول امكانية لغة القصة القصيرة فى استيعاب أشكال لغوية متنوعة حسبما يفرضه السياق الفنى للتجربة ٠

وعلق أحد الحاضرين بأن اشارة الدكتور تليمة وان كانت قد انصبت على لغة القصة القصيرة فقد كان من الواضح انها تشير الى البناء الكلى والى معطيات ذلك الفن وخصوصيته الفارقة ٠

كما تحدث عبد الحكيم قاسم عن أهمية المجموعة فى حراسة القصة القصيرة الجديدة ، ومدى استفادته الشخصية منها ، ومدى استمتاعهالعميق بهذا العمل الذى استطاع أن يغوض فى أعماق الواقع ، وان يلمس أدق ملامحه ، وتفاصيله الحميمة ، وأنه يستخدم لغة فنية محسوبة ودقيقة وقادرة على توصيل الشحنة الفنية

وحيا قاسم ست أبوها بطلة القصة الاولى فى المجموعة ٠ تلك التى مات زوجها فى الغربة بعد ان اخذهالانجليز الى السخرة ليموت بعيدا عن الوطن فما كان من المرأة التى أحبته الا أن عزفت عن الزواج على الرغم من الاغراءات لتعيد نصبا شامخا يعبر عن صمود الانسان المصرى فى مواجهة أعتى القوى الاجنبية ، وجاء روميش ليخلد تلك المرأة فى نصب آخر هو عمله الفنى ٠

هذا وقد اتفق الحاضرون على أهمية المجموعة ضمن النتاج الابداعى للأدباء الشبان على الرغم من أدواتها التقليدية ومنحاها الذى يخلو من أى ميل لتغير الاشكال الادبية المطروحة ٠

سينما

ملتقى السينما الشابة : المهرجان الموازى فى برلين وقضايا الحرب والسلام

من بين برامج مهرجان برلين السينمائى الدولى السابع والثلاثين (٢٠ فبراير ـ ٣ مارس ٨٧) هذا البرنامج الذى يتخذ اسم « ملتقى السينما الشابة » الذى يعد فى الحقيقة مهرجانا موازيا للمهرجان الرئيسى ، قائما بذاته ،له مديرة ولجنة تنظيمية خاصة ، وهو بالمناسبة يقام للمرة السابعة عشرة ٠

واذا كان المهرجان الرئيسى يضم المسابقة الرسمية للأفلام الطويلة والقصيرة التى تتنافس على الدبين الذهبى والفضى ، وبانوراما متنوعة

(٥٨ فيلما طويلا و ٣٦ فيلما قصيرا وكذا مهرجانا دوليلالافلام الاطفال احتفل بعيده العاشر ، اضافة الى تكريم خاص للمخــرج الامريكى روبين ماموليان ، وبرنامج خاص للافلام الالمانية الجديدة)

ـ نقول : ان المهرجان الموازى تمــيز بتقديمه لسينما مختلفة ، سينما لا تقوم على الاسماء الكبيرةوالنجومبلتسعى نحو الجديد شكلا وموضوعا ، مثلا ، قدم نماذج للسينما الامريكية المســتقلة عن الشركات العملاقة ، يسعى وراء المخرجين الشبان فى أفريقيا ، والهنــد ، والشرق الاقصى ، وأمريكا اللاتينية ، هو مهموم باكتشاف المناطق المجهــولة فى السينما الجديدة ، وكان جديده هــذا العام اكتشافه لسينما فنزويلا اضافة الى سينما البرازيل والارجنتين •

هذا المهرجان الشاب اذن لــــه مذاقه الخاص ، وجوه المميز ، مناقشات دافئة بين المخرجين والنقاد فى قاعة العــرض بعد نهاية الفيلم مباشرة ، تلحظ انطلاقة الشباب الآتى بأفلام ٨ ملم ، وفيــديو ، وتجارب ومغامرات جريئة ، لا يتطلعــون الى جوائز ، فليس هناك الا شـــرف الاشتراك •

الرحلة :

كان هناك شبه اجماع عــلى أن أهم ما عرض فى هذا المهرجان هو الفيــلم التسجيلى الطويل « الرحلة » (طوله أربع ساعات و ٣٣ دقيقة بالتمام) قدم عــلى ثلاث حلقات وهو من اخراج بيتر واتكنز ومن انتاج انجــليزى وان كــان لقى مساندة من جماعات كثيرة فى الـ ١٣ دولة التى صور فيها ، هيئة الســينما القومية فى كندا ، منظمات الحفاظ على البيئة ، منظمات ولجان السلام العــالمية تحت مختلف المسمّيات ، معاهد أبحاث السلام، لجان مناهضة الحرب، وجامعات ومراكز علمية كلهـــا ساهمت امـــا بالمعلومات أو المال أو الخدمات •

هو فيلم عن رحــلة الى ضــمير العالم الذى يصرف الملايين على أسلحة الدمار والعالم ملىء بالمجاعات ، يكفى جزء من هذه الملايين لانقاذه منهـا ، والفيلم يفجر بجراة قضية ســـباق التسلح ويضع نصب عينيه هدف تنوير الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقيــة فى الاستقرار ، فهى الضحية التى تعــانى والفيلم يفضح وسائل الاعلام الجماهيرية الصحافة والاذاعة والتليفزيون التى تقدم للمواطنين معلومات مضللة عن أسلحة الفضاء ، ونراه يسجل خطاب الرئيس ريجان فى أغسطس ١٩٨٤ الذى يبشر فيه المواطنين « اننى سعيد أن أنهى اليكم أننى وقعت لتوى قانونا بمقتضــاه يمكن اقتلاع الاتحــاد السوفييتى مــن الوجود » •

كما يســجل الفيــلم ذكريات أهــل هيروشيما الاليمة ، وفظائع الحــرب العالمية الثانية ، ويعايش الواقع الراهن، فيقتحم مناطق مراكز الابحاث قــرب سياتل •• ونرى قطارا طويلا يحمــل اليورانيوم والمواد المشعة والشـــبان يتظاهرون منددين بالابحاث لخــدمة أهداف الحرب ، وتنتقل مجموعة تصوير الى «سيودال» بالنرويج لتخترق الاسوار حول قاعدة للناتو ونلتــقى بأســـرة فيلكان المكونة من رجل وزوجته واطفالهما



الاربعة وهم يرفضون الجلاء عن مسكنهم القريب من القاعدة ، ويقول رب العائلة لن نذهب فليس هناك أى مأوى يحمينا فى حالة انـــدلاع الجحيم النووى ، ان الخطر المحيق بالاسرة عمق وعيهـا ، يقول لنا رب الاسرة لقد أصبحنا نقـرأ أكثر ونفكر أكثر ، كما يكشف الفيـلم أسرار تجار السلاح الذين يدعمـــون صناعة الحرب لمزيد من الربح ، كما يثير الشاهد ضد اللامبالاة التى تغذيهـا وسائل الاعلام التى تصور الحرب وكأنها من قوانين الطبيعة الحتمية •

عن شيلى :

هناك من الافلام اللافتة للنظر أيضـا « تقرير عن شيلى » ، وهو فيلم طويـل أيضا يبلغ أربع ساعات ، يعودمخرجه ميجويل ليتين الى وطنه شيلى بعـــد سنوات من الانقلاب العسكرى عـــلى حكومة الليندى ، يتسلل تحت اســـم مستعار مع مجموعة أجنبية ، يصور ما حدث من قهر وضرب للحريات ، كمـا يصـور ما خلفـه الليـنـــدى ونيرودا فى نفوس الشباب من روح المقاومة الباقية •

وكان من مدعاة الفخـــر أن يفتتح المهرجان بالفيلم الافـــريقى الوحيد فى المهرجان « ساروانيا » للمخرج الموريتانى محمد عبيد بن هندو الذى يطمح الى تحقيق سينما افريقية وطنية لها أسلوبها الخاص ، والفيلم يصور مرحلة مـــن تاريخ القارة الافريقية فى القرن التاسـع عشر حينما تعرضت للاستعمار الاوربى، وجند الغزاة الافارقة فى جيوشهم ، واستغلوا أسباب الفرقة بين القبائل ، ولكن الملكة ساروانيا تستطيع توحيد القبائل رغم الخلافات اللغوية والثقافية ورغم كونها امرأة فانهـا اسـتطاعت التغلب على الاستعمار الفرنسى الذى لم يترك عامل اغـــراء الا وقدمه ، حتى النساء ، من أجل السيطرة ، وللأسـف فان الفيلم لم يجد ما يدعمه لا جهات أوربيـة •

هناك أيضا فيلم « هل انتصرنا فى الحرب يا ماما » للمخرجة الامريكيـة الشجاعة باربارا مار جوليث ، نقـول شجاعة لانها تدين بشكل مباشر الاتجاه الامريكى الداعى للحرب والصراع بـين القوتين العظميين ، كما تدين وســائل الاعـــلام الامريكية خاصة مسلسـلات التليفزيون التى تصور غزو الاتحـــاد السوفييتى لامريكا ، تلجأ الى لقـاءات مع رجال كان لهم دور فى سياسة الحرب الباردة ، كما تلتقى بمواطنين عـاديين وكتاب وصحفيين ، وفى النهاية تحـذر من سياسة الذراع الطويلة واسـتعراض القوة •

وفى النهاية لابد أن يأسف المـــرء لعدم وصول فيلم عاطف الطيب «البرىء» الذى وصلت أوراقه ، وتكلمت عنـه الاوراق ولكنـــه لم يصـــــل •• فأى خسارة ••!!

فوزى سليمان

التحليل البنائى للقصيدة الجاهلية

واحدة من الرسائل الجامعية الهامة التى نوقشت فى الشهر الماضى بكلية آداب عين شمس ، تقدم بها ناقد وباحث شاب هو حسن البنا للحصول على درجة الدكتوراة فى الآداب ٠

أشرف على الرسالة الدكتور عزالدين اسماعيل ، واشترك فى مناقشتها الدكتور عبد المنعم تليمة والدكتور صلاح فضل

● يرى الباحث أن المنهج البنائى قد أثبت كفاءته فى الكشف عن المكونات الجوهرية للنص الادبى ، والنظام أو النظم التى تحكم تكوينه وتضبط مكوناته واستخدام هذا المنهج فى تحليل القصيدة الجاهلية ، والكشف عن قوانينها الباطنية والشكلية على السواء ، يضيف الى خبرتنا السابقة بهذه القصيدة رؤية جديدة أكثر عمقا وأدق فهما ٠٠ لكن هذا البحث يحرص على عدم التسليم المطلق بمعطيات المنهج البنائى ، بل يقيم جدلا معها ، ويأخذ منها ما يصلح لمادة البحث ، ويطور بعضها فى ضوء المناهج النقدية المعاصرة الاخرى ٠

● يهدف البحث الى اعادة طرح للمشكلات التقليدية التى أثيرت حول القصيدة الجاهلية فى النقد العربى القديم والدراسات المعاصرة على حد سواء ، وفى عبارة أخرى فان الجدل الذى يقوم مع هذه القراءات داخل البحث يؤدى الى قراءة مختلفة ، ولكنها ليست منفصلة انفصالا تاما عن القراءات السابقة ٠



المناقشون : د عزالدين اسماعيل ، د ٠ عبد النعم تليمة ، د صلاح فضل



● وفى سبيل هذا الهدف فقد بدأ البحث بطرح اشكالية تتلخص فى ان القصيدة الجاهلية ـ ممثلة فى قصيدة الاطلال ـ تجسد مثالا عميق الدلالة على أن المجتمع الذى أنتجها كان يمر بمرحلة انتقال جوهرية مما يسمى المرحلة الشفاهية الى ما يسمى بالمرحلة الكتابية، وان الفرق بين المرحلتين لا يعنى عدم وجود كتابة فى المرحلة الاولى ووجود كتابة فى المرحلة الثانية ، بل يعنى أن الكتابة فى المرحلة الثانية تمثل محورا أساسيا فى تكوين عقلية أفراد المجتمع وطبيعة تفكيرهم ومظاهره المختلفة ، بحيث يبدو هذا المجتمع فى النهاية مجتمعا متميزا عن المجتمع الشفاهى تميزا واضحا ، ينعكس فى أفضل صورة فى الفنون التى يمارسها المجتمع بشكل أصيل ·· وقد حاول الباحث الكشف عن مظاهر هذا الانتقال من خلال فحص قصيدة الاطلال ، علاوة على فحص ما يقرب من مائة وثمانين قصيدة ، بالاضافة الى ما يقرب من الربعين مطلعا طلليا ·

يقول الباحث :

حاولت فى المدخل المنظرى للبحث أن أنظر الى مشكلة وجود القصيدة الجاهلية فى ضوء الدرس النقدى المعاصر وفى ضوء الدراسات التى قامت حول القصيدة الجاهلية قديما وحديثا ، أما فى الفصل الاول فقد عالجت قضية « وصف القصيدة » فى النظرية النقدية المعاصرة من ناحية ، ثم فى النقد العربى القديم والدراسات الحديثة حول الشعر الجاهلى من ناحية أخرى ·

● أما الفصل الثانى فقد قصرته على « المقدمة الطللية » وقد انتهيت الى تحليل بنيتها تحليلا يكشف عن تآزر صورها المختلفة فيما يتصل بفكرة العبور من محور الشفاهة الى محور الكتابة داخل المجتمع الجاهلى ، أما الفصل الثالث فقد فحصت فيه نماذج للقصيدة الطللية ، وقد عالجت ثلاث قضايا ، علاقة القصيدة الطللية بالرثاء ، وعلاقة الشاعر بالناقة ، وأخيرا القصيدة الثلاثية أى التى تتكون من مقدمة طللية وجزء خاص بالناقة ثم ثالث يحتوى فخرا أو مدحا أو رثاء » ·

وقد بدأ الدكتور تليمة المناقشة فقال :

« أريد أن يكون حوارى مع الطالب ليس فى تفصيلات وليس فى اجراءات جزئية ها هنا وها هناك فى ثنايا البحث وانما أريد مادام ارتضى لنفسه أن يبلغ طموحه هذا الشأو البعيد أن تكون المناقشة على مثل هذا المستوى الرفيع من الطموح ·

● وتساءل المناقش عن المادة العلمية للبحث ، هل هى القصيدة الجاهلية باطلاق ؟ أم الشعر الجاهلى باطلاق ؟ · وقال ان رد الباحث بانه يريد أن يمتحن قدرة المنهج البنيوى فى تفسير الشعر

بعامة ، وفى تفسير شعرنا العربى بخاصة والجاهلى بوجه أخص .. فسأقول ان هذا ليس من شأن البحث العلمى، فى العلم لابد لصاحب الاطروحة أن يحدد مادة علمية وأن يحدد مرجعا لها وان ينتهى فى كل ذلك الى لون من ألوان التقويم الخاص فى منتهى بحثه، .. ولكن الطالب سارع بذكاء شديد وقيدنا وقيد نفسه بأنها دراسة تطبيقية، وفى هذا المجال سأمضى واياه فى بعض الملاحظات .. ، سألاحظ أولا من جهة الشكل أن الطالب شغل نفسه فيمايقرب من ثلاثة أرباع الرسالة بالنقد وليس بالشعر .

الغرض الاساسي عند الباحث هو اعتقاده بوجود مرحلتين كبيرتين هما الشفاهية والكتابية فى تاريخ المجتمعات والصحيح أن حساب مراحل الانتقال فى المجتمعات ليس فى هاتين المرحلتين، ولكن من خلال النظر فى كيفية ادارة البشر لحياتهم ، وكيفية تنظيمهم لهذه الحياة .

● ثم تكلم الدكتور صلاح فضل فقال انه يعد هذا البحث نموذجا للطموح العلمى ولمحاولة الاستيعاب والاحاطة والتجديد ومحاولة التحدث بلغة العصر فى قضايانا الحيوية ، قراءة مثل هذا البحث تتيح أن نتبين أن مدرسة الحداثة فى الدراسات النقدية الحديثة تنمو وتتصاعد ، وأنها تضيف بالفعل الى الصرح العلمى للثقافة العربيةصروحا تعد مفخرة لها .

● أما عن ملاحظاتى فهى تتشابك مع الملاحظات القيمة التى سبقنى بها الدكتور عبد المنعم تليمة .

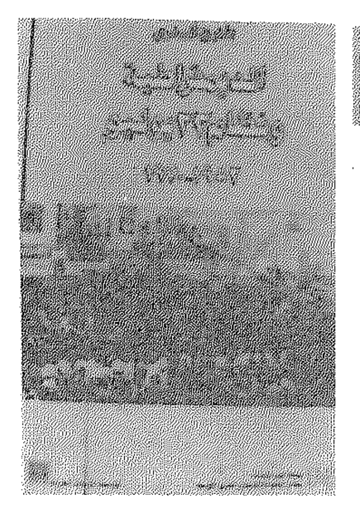
● ثم عقب الدكتور عز الدين اسماعيل معلقا على صمت الباحث تجاه ملاحظات المناقشين خاصة وانه كان أثناء مناقشته له قبل كتابة البحث كان يجد لديه حججا كثيرة ، واعتبر هذا الصمت حيلة ذكية ، وقال انه يتفق مع الباحث حول ما أثاره الباحثان كاعتراض أساسى ، اذ أنه يرى أنه من الوجهة العلمية تستطيع أن تبدأ بفرض وتكون الدراسة هى امتحانا لهذا الفرض وتحقيق ما اذا كان فرضا صحيحا أم غير صحيح ، هذا منهج علمى بالتأكيد ، بل يوشك أن يكون أصلا هو المنهج العلمى حتى على مستوى العلوم البحتة ، التجربة ليست سابقة بالضرورة على الفرض ، التجربة تأتى كثيرا لكى تمتحن الفرض وتقول انه بعد ذلك صحيح أو غير صحيح ، وبهذه الطريقة تنمو المعرفة وفقا للنتيجة التى تتحقق من خلال التجربة .

● وفيما يتصل بنفس الاشكالية فان التورط فى أن المرحلة الشفاهية مرحلة بدائية ، والمرحلة الكتابية مرحلة حضارية فهذا أصلا ليس هو التصور الذى ينطوى عليه الفرض ، لان المرحلة غير الكتابية ـ كما نعرف أو المرحلة الشفاهية ، مرحلة حضارية أيضا وليست مرحلة بدائية متخلفة ، ليس هناك هذا المعنى ، لكن هناك فارقا نوعيا بالتأكيد بين حضارة وحضارة

● وفى نهاية المناقشة نال الطالب درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى.



مكتبة الهلال



الكتاب: الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو
تأليف : طارق البشرى
الناشر : مؤسسة الابحاث بيروت ـ مكتبة البيادر القاهرة
٥جم ـ ٢١٦ ص

من موقعه كأحد مؤرخينا الموضوعيين سبق لطارق البشرى أن تناول موضوع الديمقراطية وثورة ٢٣ يوليو فى اكثر من بحث وأكثر من مقال ولكن يأتى هذا العمل كطرح شامل لوجهة نظره التى استقامت بقياس اجتماعى يقيس الديمقراطية من زاوية مصالح الجماهير العريضة ، ثم يضعها كقياس بين المضامين السياسية والاجتماعية للنظام المصرى ، قبل الثورة ، وبعدها حتى نهاية الفترة التى تتناولها الدراسة (عام ١٩٧٠)

وهو يرى أن بين المضامين السياسية والاجتماعية لاى نظام ، وبين الاوضاع والابنية التنظيمية التى تتواءم مع تلك المضامين آصرة تؤدى الى تبادل التأثر والتأثير ، بل انهما يتبادلان التشكل ، ويفرع البعض على هذا الاصل الذى يسلم به بأن معارك الاستقلال التى خاضتها البلاد والمعارك التى طرحت عامة فى الخمسينيات والستينيات تحقيقا ودفاعا عن مشروع التحرر السياسى والاجتماعى قد ارتبطت بهذا التشكل التنظيمي الذى أوضحته الدراسة ، وقد تكشف هذه الدراسة نفسها وخاصة فى فصولها الاولى عن بعض ما أملته الضرورات فى تشكل النظام على الوجه الموصوف ، ولكن مع مراعاة كل ذلك يتعين الا يغيب عن البال أن هذا التشكل نفسه يحمل قدرا كبيرا من المسئولية ان لم تكن المسئولية كلها ، فى الانتكاس بالمشروع الذى أريد بهذا التنظيم تحقيقه والدفاع عنه ٠

ومن الناحية النظرية يؤكد المؤلف أنه مع التسليم بالاواصر بين المضامين السياسية والاجتماعية والابنية التنظيمية ، فان هناك قدرا من التمييز بينها ، وهو تمييز قد تختلف فى حجمه ولكنه موجود وبه يصعب القول بأن ثمة تلازما غير منفك بين صيغة اجتماعية سياسية معينة ، وبين بناء تنظيمي حتمى معين ، تلك نزعة قالبية آلية لا يرى المؤلف انها صائبة ٠

هو يرى ذلك كما يرى أن هناك ثلاثة أسس تنظيمية للنظام السياسى٠ هى التعدد التنظيمى ، والجماعية فى اتخاذ القرار ، وفى توزيع السلطة ، وهذه الخصائص الثلاث ، يقول المؤلف ، أن علينا فى كل حالة تاريخية عينية ، وفى

كل مجتمع بعينه ، أن تبحث عن الاشكال والقنوات والابنية التى تمكن من توافرها • وكل ذلك فى اطار من تحقيق وجوه الاتصال بالمشاركة الشعبية من خلال المساهمة فى اختيار الرجال ورقابة الاعمال •

الكتاب: الحب فى زمن الكوليرا
تأليف : جابرييل جارسيا ماركيز
ترجمة : صالح علمانى
الناشر : منارات الاردن
٣٠٦ ص ـ ٢ر٧٠٠ د٠ا

بعد رواياته التى قرأناها بالعربية ، مائة عام من العزلة ، وخريف البطريرك وليس للكولونيل من يكاتبه ووقائع موت معلن وحكاية بحار غريق تأتى اخر روايات جابرييل جارسيا ماركيز المترجمة للعربية الحب فى زمن الكوليرا ، مفاجأة جديدة، أو نقول نقلة جديدة فى عالم هذا الروائى الجاد ، الذى اختط الطريق الصعب ليس طريق الدعاية الفجة لقضايا واقعه المركب بالخرافة والسحر والبؤس ، بل بتوخيه طريق الفنان صاحب الرؤية الخاصة للعالم ، تلك الرؤية المعتمدة على امكانيات كبيرة ، وقدرة فائقة على النظر والتشوف لما هو من جوهر الاشياء لا من قشورها ومظاهرها الزائلة

وهذه المرة يكون العمل قصة حب من نوع خاص يلقى بك فى أتونه فى لحظة موت ، علي مشهد من حقائق الحياة الاساسية يتركك تستوفى منه كيف أحب هذا الميت ، وزائره الذى جاء ، وهو من قبل طبيب وصديق ، ليحكى عبره حكاية الحب الممزوج بمعترك الحياة ، ونضج العلاقة بعد أن اختمرت العاطفة ، وعرف الانسان الانسان على حقيقته ، ليؤكد أن رؤياه لم تقف عند حدود المشاهد الغرامية المبتذلة ، بل انه يخوض فى اعماق الحياة مستخرجا منها جوهرها المحمل بكل النقائض ، الفرح والسخرية ، الموت والحياة ، الالوان والظلال وطعم الدنيا وهى تبتعد عنك ، أو تقترب بك من لحظة الشهوة الحقيقية بفرحها الغامر •

ولابد أن نشيد بجهد المترجم هنا ، فهى ترجمة شائقة ، وأصيلة ، استطاعت أن تقدم حلولا فنية لمشاكل كان من الممكن ان تكون عصيبة •

الكتاب : فى العتمة اصوات ، نص الطريق
شعر: سيد حجاب
مع دراسة لابراهيم فتحى
الناشر : دار فكر ـ ١٩٦ ص خ ج ٠ م

منذ نشر سيد حجاب ديوانه الاول « صياد وجنية » عن دار بن عروس التى اسسها فى الستينيات مع صلاح جاهين ، والابنودى وغيرهم من شعراء مدرسة العامية المصرية حسب الشائع الذى



ارادوه هم تسمية ارتضوها لم ينشرحجاب شعرا ، بل كدنا نظن انه ترك الشعر الى الغناء ، يأتيه فى الاغانى الفردية ، او المسلسلات والبرامج التليفزيونية والاذاعية كما المسرحيات ،ولكننا نفاجأ هنا بعودة سيد حجاب الشاعر ، فى ثلاثة دواوين دفعة واحدة ضمنها الجزء الاول من أعماله الكاملة المصنف رقم ١ وتعرف ان فى الطريق اليك ثلاث مجموعات اخرى منتهية اى تصبح عما قريب حصيلته سبعة دواوين

عودة راسخة وقوية فى قصائد من الشعر الخالص ، لعل نقادنا سيتوفرون على دراستها بجدية ، فهو بحق يعد ، مع قلة متوهجة الموهبة والوعى ـ كما تقول الدراسة ـ من الشعراء المصريين (فؤاد حداد وصلاح جاهين على سبيل المثال فحسب) قدموا اسهاما مصريا متميزا فى تطوير القصيدة العربية، وكلمة العامية عنده وعندهم تعنى الطابع الشعبى بحيويته ومرونته واثراء القاموس العربى الشعرى بمفردات وايقاعات الكلام وتراكيبه الحية فى الوجدان وعلى الالسنة •

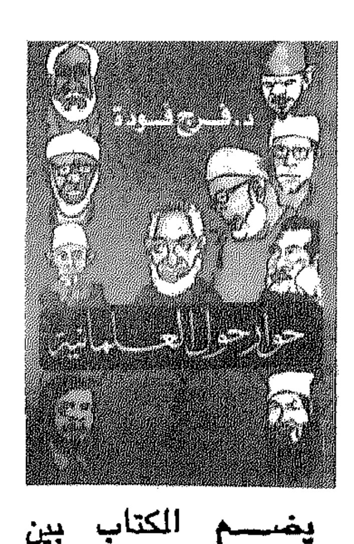
الكتاب : حوار حول العلمانية

تأليف : د• فرج فودة

الناشر : المحروسة للنشر

١٤٤ صفحة ، ٢ ج•م

يذكرنا هذا الكتاب بالمعارك الفكرية والاجتماعية التى انتشرت على صفحات الصحف المصرية فى الثلاثينيات والاربعينيات بين العقاد وهيكل ولطفى السيد وطه حسين وغيرهم الا ان الخصم الذى يتصدى لتنفيد أراء ومواقف فرج فودة ليس دائما من هذا الصنف من المفكرين والنقاد ، وانما هو خصم احيانا يلجأ الى احط الاساليب التى تمس شرفه السياسى ، وشرفه العلمى ••لكنه مع ذلك ، وبشجاعة نادرة فى زمن يطلب الناس فيه السلامة يتكلم بوضوح



يضم الكتاب بين دفتيه بابين أحدهما عن الردة الحضارية ، والاخر يجمع فيه نصوص المقالات المقاتلة التى نشر بعض منها ومنع الاخر من النشر ، فى سبيل هذه المعركة بالاضافة الى مقدمة مستفيضة بين فيها اعتزازه بالكتاب «لانه ينقل للقارىء ملامح معارك فكرية استمرت عامين ، ربما تفسر للقارىء كثيراً من القضايا » ثم تدخل الى فصول الكتاب حوار حول العلمانية ،ومشكلة التطرف الدينى فى مصر ، تعريفها وطبيعتها ثم مجموعة المقالات التى هى ردود اوهجوم فى معركة العلمانية ،او نقول الدفاع عن الوحدة الوطنية التى يخوضها د• فرج فوده بشجاعة ونبل الفارسى العربى الاصيل •

الأدب المكشوف.. يرتدى ثوبًا وقورًا !

بقلم : محمود قاسم

سيظل السؤال حول الحدود التى يقف عندها الفنان فى التعبير عن موضوعات المحرمات - التابو - المتعددة مثارا مادام هناك إنسان ... ومادام هناك إبداع . ولأن مثل هذه القضايا لايمكن حسمها بقوانين وضعية فان الكاتب سيظل يبحث دوما عن وسائل لتحطيم هذه الآلات من التابو مادام استطاع أن يدمرها .

وإذا كان الجنس يمارس فى كافة بقاع الدنيا فإن الكاتب - والفنان - هو الشخص الذى يمكنه اخراج الجنس إلى ضوء الشمس فيكسبه بعض الشرعية على صفحات كتبه ويقلل من أبعاد حرمته إلى أقصى حد ممكن .

وقد امتلأ تاريخ الأدب بمحاولات تحطيم الكاتب لتابو الجنس وان اختلفت مستويات المحاولات من كاتب لآخر ومن عصر لآخر . . واذا كان القرن العشرين قد شهد تفاعلا واضحا مع الأدب المكشوف . فان أكثر الذين كتبوا هذا النوع من الأدب اتسموا بأنهم أدباء جادون مما أكسب هذا الأدب نوعا من الوقار . فاثبتوا أن مايقدمونه ليس محاولة لإثارة الغرائز الحسية قدر ماهو كشف عن بواطن خفية فى الانسان فيسمو فى حسيته . واذا كان لورانس قد تنبأ بظهور الحاسة السابعة من خلال بعض رواياته المشهورة . فان مايهمنا هو أن نذكر اسماء بعض كتاب هذا الأدب لنعرف مدى مايتمتع به الأدب المكشوف من أهمية . فهناك الفرنسيتان أنابيس نين وريجين ديفورج - سبق أن قدمناهما على صفحات

عالم أريكا يونج

الهلال ـ وكتاب أمريكيون مثل هنرى ميللر وهارولدروبنر وأسماء أخرى سنذكرها فى المقال .

يرى هنرى ميللر مثلا انه نتيجة لعصر الآليات ، لايوجد فى الولايات المتحدة ما يستحق أن يعاش من أجله ، الفردية والضياع . ويردد فى أحد أقواله . « اعطنى قليلا من الأمل . واعطنى قليلا من بركة السماء . لكن هبنى الكثير من الحب » ... أما جان جاك يوفير فيقول فى كتابه « انطولوجيا تاريخية للأدب المكشوف » المنشور عام ١٩٨٠ فى فرنسا إن الأدب المكشوف ظهر منذ بدء الخليقة .. عندما أكلت حواء من الشجرة المقدسة . وان الخوف من الفساد قد صنع رقيبا يقف لهذا الأدب بالمرصاد ، لكنه استطاع دوما الافلات من سطوة الرقيب . وبقى بينما راح كل الرقباء .. وقال ان افضل الأعمال الأدبية المكشوفة هى تلك التى قام فيها الكتاب بوضع رقابة محدودة على كتاباتهم . وانه ليس صحيحا أن القرن العشرين ماجن أكثر من القرون السابقة التى أفرزت دى ساد وكازانوفا ودون جوان وميرابو الذين أصبحوا رمزا للإباحية الدائمة .. فأدب القرن العشرين مكشوف ... لكنه ليس أدبا اباحيا ..

● حرية المرأة .. تفقدها انوثتها

أما نحن فنقول إن مايميز الأدب



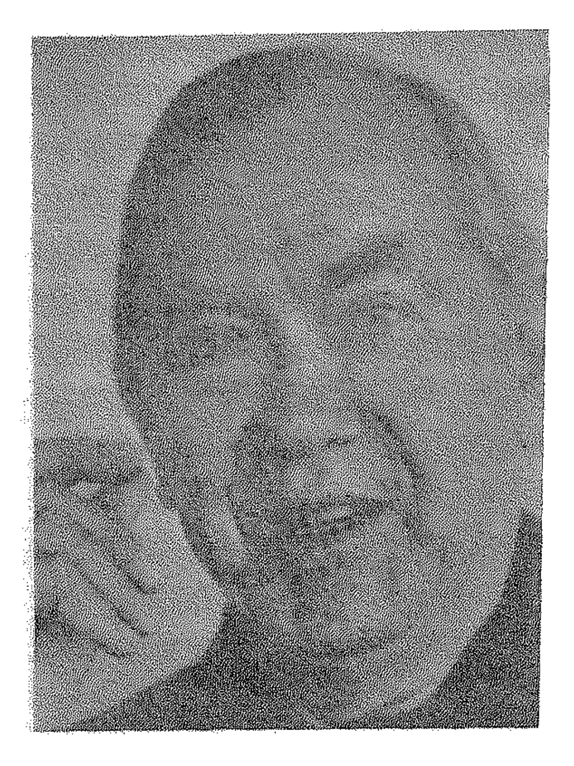
ـ غلاف «سقطة ايكاروس»

المكشوف فى هذا القرن انه شهد مجموعة كبيرة من الكاتبات يبدعن فيه ويكتسبن شهرة أكثر من الرجال ... مثل ايمانويل أرصان التى سكبت تجاربها الحسية فى خمس روايات انتقلت الى السينما فيما بعد ... ومثل بولين ريادج صاحبة « قصة أو » فضلا عن أناييس نين وريجين ديفورج واريكايونج .

اريكايونج هى إحدى أشهر الكاتبات الأمريكيات المعاصرات ... تكتب القصيدة والدراسة النقدية ... ولدت عام ١٩٣٩ . وهى كاتبة قليلة الانتاج ... يطلقون عليها « هنرى ميللر مرتديا تنورة » من أهم رواياتها « الخوف من الطيران » عام ١٩٧٤ والتى سميت فى ترجمتها الفرنسية بـ « تعقيد ايكاروس » ثم « لوح



ـ اريكايونج



ـ جراهام جرين

التحيات » ١٩٧٥ . و « فانى » أو قصة ومغامرات فانى الخليعة » ١٩٧٩ . و « مظلات ايكاروس » ١٩٨٤ . وعن الأدب المكشوف تقول : « يجب أن تكون هناك امرأة شجاعة . تتكلم عن الجنس دون مواراة ... لقد هوجم هنرى ميللر كرجل يكتب أدبا مكشوفا ... ويمكنك أن تتخيل ماذا ينتظر هذا النوع الأدبى » .

ولا شك أن هناك علاقة بين الحياة التى عاشتها اريكا وحياة بطلات رواياتها خاصة رواية « تعقيد ايكاروس ـ بيع منها ستة ملايين نسخة ـ فايزدورا ـ وايضا اريكا ـ بطلة هذه الرواية من مدينة نيويورك . تزوجت وهي فى العشرين من عمرها من طالب أصابه الجنون . مما حال دون استمرار الزواج الذى لم يدم أكثر من عام .. فتزوجت من محلل نفسى صينى مالبثت أن هجرته ... نشرت ديوانا شعريا عام ١٩٧١ تحت عنوان « فاكهة وخضرة » ... تخاف من ركوب الطائرات . ومن الاقتراب من أية مغامرة لكنها فجأة تقرر أن « تحيا » حياتها ... فتتعرف على محلل نفسى آخر انجليزى يدعى أوريان . يأخذ على عاتقه ان يعلمها كيف تعيش التجربة التى تمر بها مثلما حدث مع ايمانويل ارصان فى شرق آسيا . لكن الجنس الذى تتعلمه منه ممزوج دائما بالأحزان والخوف ... فهى تخاف من اشياء عديدة ... النحافة و البدانة ... ومن أن يجيىء يوم تصبح فيه غير مرغوبة من أحد ... تخاف من انجاب الأطفال . أو من العقم وكأنها ايكاروس . يريد أن يحلق فى السماء ... لكنه فى أعلى يصاب بالخوف ... فيهوى وهو فى أول محاولة للطيران ، لذا فان ايزادورا تترك طبيبها الانجليزى وتقرر العودة مرة أخرى الى زوجها الصينى جوش . ذى العينين الضيقتين والشفتين الرقيقتين .

ولأن أريكا هى ايزادورا . فقد تركت الكاتبة بالفعل زوجها الثانى بعد أن ذاقت طعما غير متوقع للنجاح بعد نشر هذه الرواية . وتقرر أن تعود الى زوجها الأول جوناثان قاست . تردد : « كيف يمكن أن تتحرر المرأة دون أن تفقد أنوثتها ؟ ... كيف تعطى ونحن نحتفظ لأنفسنا بأشياء . اذا لم تكن هناك حرية بدون وحدة أو حب أو انتماء . طالما أن قيود الزواج بالغة الثقل ونحن نمارسها خلف الأبواب » .

● شىء يسر الرجال

ولأن الكاتبة مرت بالعديد من التجارب منذ عام ١٩٧٤ . فإنها تسجل هذه المرحلة فى « مظلات ايكاروس » وتكشف ان الانجليز لايفهمون ممارسة أمورهم الحسية لأنهم يفعلونها باشمئزاز وقذارة ... ويكتبون عن الجنس بحقارة ، وفى هذه الرواية نرى ايزادورا وقد أصبحت امرأة وحيدة لا يؤنسها أحد سوى ابنتها الصغيرة التى لم تتجاوز الثالثة . هناك العديد من الرجال عبروا فى حياتها كخيالات يصعب عليها أن تتذكر وجه أحد منهم . فالرجال كلهم متشابهون عند نفس المرأة التى تعرف الكثيرين . ينظرون اليها على انها سلعة ... لكن هذه المرأة لاتنسى أبدا الرجل الذى عاملها برقة ... مثل « بين » الرجل اللطيف الرومانسى ولأنها جربت الزواج وقشلت . ولأنها اخفقت فى تجاربها العديدة . فإن المرأة المطلقة مدانة فى المجتمع ... تنظر اليها العيون فى طمع ... لكن هذا الأمر يختلف عند الرجل ... فهو قد عرف العديدات ... وإذا طلق .. فإنه لاشىء يمسه مثلما يمس المرأة ... وها هى ايزادورا قد تركت زوجها الصينى مرة أخرى لسبب فى غاية الغرابة ... وهو أن الرجل أحس ان زوجته كاتبة ناجحة وأكثر شهرة منه .

● كل شىء ينتهى بالطلاق

قد لاتختلف ايزادورا كثيرا عن « فانى » ... بطلة رواية اريكايونج . فهى أيضا امرأة قوية الحس عاشت فى القرن الثامن عشر .. وأثارت مشاعر الشباب الانجليز فى زمانها ... وقد أثارت حياة هذه المرأة الكاتب والمؤرخ جون كليلاند فكتب عنها كتابا ضخما يحمل عنوان « مذكرات فانى هيل . امرأة متعة » ... وهو بحث عن الحياة الداعرة التى عاشها الانجليز فى القرن الثامن عشر . وقد أثار هذا الكتاب مخيلة اريكايونج فذهبت الى المكتبات تدرس هذا العصر الذى انتمت اليه فانى . واسلوب حياتها والملابس التى كانت ترتديها ... وعاداتها ، والمواخير التى انتقلت بينها ... فقد ضمت مواخير لندن فى تلك الآونة اكثر من أربعين الف عاهرة .

كانت فانى نموذجا لامرأة وعصر ... احتوت بين ذراعيها اشهر رجال تلك الحقبة مثل جون كليلاند وجوناثان سويفت ـ صاحب روايات جاليفر ـ لدرجة جعلت منها امرأة تقف فى نفس الصف مع

شخصيات روائية معروفة مثل « توم جونز » ليفيلدنج و« بارى لينرون » لثاكراى ... والرحالة جاليفر ... ففانى فتاة لقيطة تبناها اللورد بلار احد الاقطاعيين الانجليز ... هربت من منزله وهى فى السابعة عشرة مع احد الشباب بعد أن تعرض اللورد لخسائر مالية . فأوت الى بيوت الساحرات فى لندن ... وتعلمت أول مراسيم الخروج عن المألوف بشتى أشكاله . قيل إنها ارتدت فى منازل السحرة ملابس الرجال ، حتى قابلت يوما فى احد الفنادق وصيفة أحبتها فكشفت عن شخصيتها الحقيقية ... فأخذتها الوصيفة لتعرفها على نساء عديدات فى مواخير لندن ... وكان أول رجل أحبته ضابطا اسود البشرة فى ماخور معروف فى تلك السنوات تديره امرأة تعرف فى التاريخ باسم السيدة فوكس .. وفى هذا البيت عرفت رجال الأدب والسياسة وعظماء المجتمع الذين جاءوا لزيارة مخدعها .

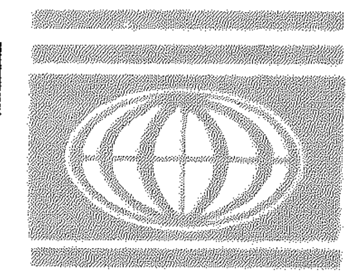
وقد جاء كتاب كليلاند عن فانى بمثابة تأريخ لعصر من خلال البيوت السرية ... والغريب أن كتابه اقل شهرة من « غادة الكاميليا » الذى يحكى نفس الحكايات ... وذلك لأن الكسندرديماس الصغير قد أحب عاهرة أطلق عليها اسم مارى جوتييه وصاغ روايته فى قالب رومانسى ... ألهبت خيال السينمائيين والقراء فى كل أنحاء العالم . وقد استطاعت كل من غادة الكاميليا وفانى هيل ان تنتقل من خلال قدرتها على بيع جسدها للأثرياء الى اعلى طبقات المجتمع وتغدو مجالا خطرا للمنافسة بين العشاق ... خاصة الأثرياء .

وقد كتب الآن فرديمان فى جريدة نيويورك تايمز أن اريكايونج كاتبة مميزة ... تفجر الكلمات بين أصابعها ... ورواياتها هى فى المقام الأول روايات أفكار . وهى على غير ما يعتقد البعض . فهى روايات ضد الأدب المكشوف رغم مايظهر منها . ومن هنا يأتى نجاحها .

وتقول أريكا فى مجلة لوبوان ـ ٢٨ نوفمبر ١٩٧٧ ـ انه اذا كان الشعر عملا فنيا خاصا . فإن الرواية مخاطرة غريبة وعلينا ان نقدمها بوجهها المكشوف ... وحول أهمية مواجهة هذه الأمور فى عصرنا تقول : « ان كل شىء كان ينتهى بالزواج فى القرن التاسع عشر . أما فى القرن العشرين فان كل شىء ينتهى . وغدا سوف ينتهى كل شىء فى العيادة النفسية »

وعند سؤالها فى مجلة بانوراما الايطالية ـ ١٥ ديسمبر ١٩٨٠ ـ عن الكتّاب الذين تأثرت بهم جاءت الإجابة غريبة . فهى لم تذكر أحدا من كتاب الأدب المكشوف ... بل جاء على رأس هؤلاء الكتاب الروائى الانجليزى جراهام جرين ـ احترمه جدا لأن لديه قدرة على الاستمرارية والمثالية فى الكتابة ، ثم دوريس ليسنج وفرجينيا وولف .

الجدير بالذكر ان السيدة يونج هى احدى زعيمات الحركات النسوية فى الولايات المتحدة . هذه الحركة التى جاءت بعد ترجمة كتاب « الجنس الثانى » لسيمون دى بوفوار الى الانجليزية وقد جاءت رواياتها بمثابة احتجاج ان تصبح المرأة سلعة جنسية ـ عكس مافعلته ايمانويل ـ فى كل العصور ، لذا تنادى دوما بحق المرأة فى ممارسة حياتها بعيدا عن سطوة الرجل .. وعن شهوة الجنس .



العالم فى سطور

نيويورك

● الستار الحديدى .. امريكى

رغم الجاذبية الشديدة التى تحدثها الشهرة للكثير من الناس أن يصبحوا معروفين فان هناك بعض الادباء فرضوا على انفسهم ستارا حديديا فلم يسعوا للاتصال بوسائل الاعلام وظلوا شبه مجهولين رغم انهم لا يزالون يعيشون بيننا • ورغم ان ابداعاتهم تتواصل كاشفة عن ابناء جادين اكثر اهمية من عشرات تنشر اسماؤهم وصورهم فى وسائل الاعلام يوميا •

الكاتب الامريكى توماس بينشون هو أحد هؤلاء الادباء .. فقد رفض دوما ان يجرى أى اتصال مع وسائل الاعلام • ولم تعرف له سوى صورة فوتوغرافية واحدة اخذت من أحد ملفاته الوظيفية وتعود الى عام ١٩٥٥

وقد صدرت فى باريس هذا الشهر ترجمة روايته « بيع بالمزاد للمجموعة ٤٩ » وهى روايته الثانية ـ نشرها عام ١٩٦٦ ـ واقصر رواياته • وتدور حول امرأة تدعى اوديبا تعمل طبيبة نفسية تستقبل يوميا عددا من المرضى الا أنها تفاجأ ذات يوم بزيارة يقوم بها توماس حبيبها القديم ساعيا للعلاج فى عيادتها من مرض العظمة الذى يعانى منه منذ سنوات

ولد بينشون فى ٨ مايو ١٩٣٧ فى احدى ضواحى نيويورك • التحق بجامعة كورنيل وتتلمذ فيها على يدى الاديب فلاديميرنابوكوف الذى عمل مدرسا بنفس الجامعة وفى عام ١٩٦٣ التحق بالبحرية الامريكية ونشر روايته الاولى « ف » التى حققت له شهرة كبيرة والتى اعتبرها النقاد اهم رواية امريكية فى الستينيات وتدور احداثها بين مدينتى القاهرة ونيويورك • ثم جاءت روايته « بيع فى المزاد » .. اما روايته الثالثة فهى « نقوش قوس قزح » عام ١٩٧٣ .. ومنذ تلك الاونة انقطع بينشون عن كتابة الرواية الا انه عاد عام ١٩٨٤ ونشر خمس قصص قصيرة تحت عنوان « الرجل الذى يتعلم ببطء » . وكتب فى المقدمة انه يعنى نفسه بهذا العنوان •

ـ توماس بينشون

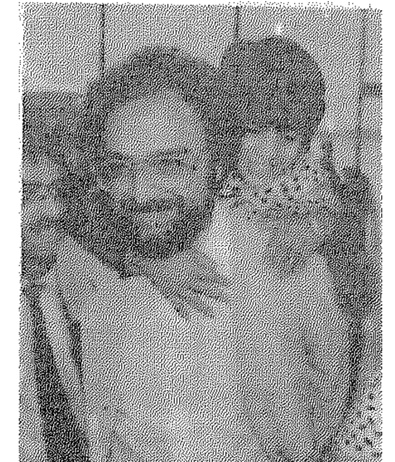


القدس

● سنوات الحب .. المستحيل

لن تكف المطابع عن اصدار روايات جديدة تتناول ما يمكن ان يقوم من مشاعر المودة بين اليهود والفلسطينيين رغم الصراعات الاجتماعية والسياسية التى تشهدها فلسطين المحتلة منذ اكثر من اربعين عاما . فأى حب يمكن ان يقوم بين فلسطينى وامرأة يهودية هو حب مستحيل فى المقام الاول . مثل ذلك الحب الذى أحسه كل من روميو وجولييت . كما انه محاولة هروبية من كلا الطرفين مما يحدث بين ابناء العشيرتين المتصارعتين دوما .

هذا الشهر صدرت رواية جديدة ـ باللغة الفرنسية ـ من هذا النوع تحمل عنوان « بعيداً عن القدس » للكاتب الفلسطينى ابراهيم الصوص يروى فيها قصة حب بين نبيل الشاب الفلسطينى الذى يقيم بمدينة القدس وبين جارته اليهودية الجميلة جابريللا التى جاءت مع اسرتها الى فلسطين هربا من المانيا النازية .. وتدور



ابراهيم الصوص

أحداث الرواية فى الاربعينيات قبل ان تقوم اسرائيل . وان تندلع الحرب بين العرب واليهود .. أو حسبما يقول الكاتب « حينما كان يعيش الفلسطينيون واليهود فى جيرة طيبة وقبل ان يكون هناك رجال مسلحون فى بلادهم يسعون للاستقرار فى فلسطين ويحولونها الى مستعمرة متعجرفة ..

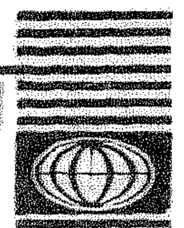
يعمل ابراهيم الصوص منذ تسع سنوات ممثلا اعلاميا لمنظمة التحرير الفلسطينية فى باريس . وهو من مواليد مدينة القدس . وقد اختار ان يخاطب الغرب بعقليته من خلال قصة حب شفافة تكسوها أحداث سياسية دامية ..

باريس

● المواطن بلموندو

هل صعد النجم المعروف جان بول بلموندو خشبة المسرح اخيرا اعلانا عن تنازله عن ادوار الحركة فى السينما ..؟ ذلك هو السؤال المثار الان فى العاصمة الفرنسية بعد افتتاح مسرحية « كين » فى الثامن عشر من مارس الماضى والتى يعود فيها بلموندو الى المسرح بعد غيبة طالت اكثر من ربع قرن ادى خلالها كل حركات الاكروبات ومشاهد العنف والحب فى عشرات الافلام الفرنسية ..

لم يختر بلموندو نصا مسرحيا سطحيا او قائما على الحركة مثلما فعل فى اغلب افلامه السينمائية الاخيرة .. انما اراد ان تكون



هويته مع النص الذى كتبه جان بول سارتر ·· ومن المعروف ان سارتر قد قام بمسرحة هذا النص عن رواية معروفة بنفس الاسم للكاتب الكسندر ديماس · كما ان ديماس نفسه استقى وقائع هذه الرواية من حياة الممثل ادمون كين اشهر ممثلى المسرح فى عصره ·· وقد ترجمت مسرحية سارتر الى اللغه العربية فى الستينيات وهى ليست بافضل اعمال الكاتب ·

اما المخرج الذى اختار لبلموندو العودة الى المسرح فهو الممثل والمخرج والكاتب روبرت حسين ـ ذو اصل جزائرى ـ والذى سبق ان اخرج للسينما والمسرح رواية « البؤساء » لهيجو ·· وعن تجربته المسرحية يقول « كنت سعيد الحظ ان اتعرف على سارتر فقد دفعنى للعمل فى مسرحيته « الابواب المغلقة » و « المومس الفاضلة » وانا فى مقتبل حياتى الفنية « اردت ان اصعد معه· ان استغل الفرصة المتاحة لى ·· وهكذا او بعد سنوات طويلة عدت مرة اخرى اليه ·· مستعينا بنجم يحبه كثيرا ·· بلموندو » ·

من المعروف ان حسين يحب كثيرا اجواء القرن التاسع عشر ·· وقد جعل اكثر اعماله المسرحية تدور فى تلك الاونة ·· السؤال الان ·· هل ينجح بلموندو على المسرح مثلما نجح على الشاشة ·· وهل يمكن أن يجعل زملاءه يفكرون فى الصعود على خشبة المسرح مثل الان ديلون وايف مونتان ·· وهل تتكرر نفس تجربة القاهرة الى باريس بعد ان صعد على خشبة المسرح اخيرا كل نجوم السينما الذين اكتسبوا شهرتهم من الشاشة الفضية اولا ؟

بلموندو الممثل كين

ستوكهولم

● ستريندبرج .. عدو المرأة

عرفنا الكاتب السويدى أوجست ستريندبرج مسرحيا فى المقام الاول .. لكننا لم نقرأ له أى ابداع قصصى اخر .. هناك نقاد لهم رأى اخر فى هذه المسألة • فستريندبرج القصصى لا يقل عبقرية عنه ككاتب مسرحى .. وذلك من خلال مجموعته القصصية الوحيدة « أزواج ! » التى صدرت اخيرا فى طبعة منقحة كاملة • ويقول الكاتب فى مقدمتها : « ان بيت المرء قبيح دوما عدا ما يحدث فى الروايات » •

تضم المجموعة ثلاثين أقصوصة كتبها ستريندبرج على مراحل مختلفة من حياته .. الا ان اغلبها يدور حول دور المرأة فى تغيير حياة الرجل وهى نفس « التيمات » التى يركز عليها الكاتب فى مسرحياته العديدة مثل « الاب » ، « الانسة جوليا » ، « الطريق الى دمشق » • فالمرأة التى ارتبطت بحياة الكاتب كأم وزوجة وابنة لم تكف عن ملاحقته بتعذيبه وتسليط السوط على ظهره تلهبه بعذابات لا تنتهى ..

وتقول مجلة الاكسبريس فى ٢٧ فبراير الماضى أن مسرحيات ستريندبرج المتعددة قد تكثفت فى هذه الروايات من خلال مرارتها • فهى تعكس الام الحياة وسعادتها مثل شخصية فريتوف فى اقصوصة « المطفل » اللقيط الذى تولت تربيته مجموعة كبيرة من نساء عائلة واحدة فانتقل بين أيديهن • وشكل لبعضهن عقبة فى استمرار حياة كل منهن .. فأخذن يلقفنه لبعضهن • وعندما

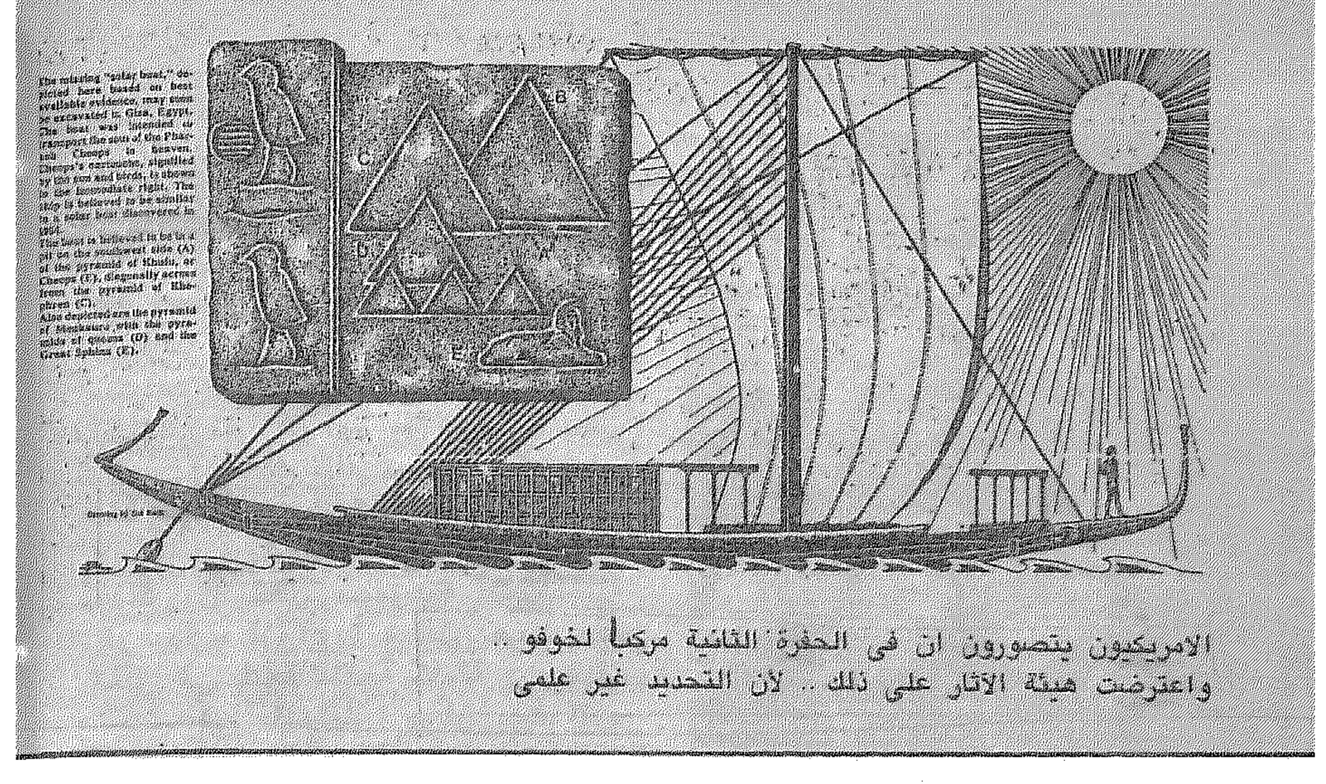


ستريندبرج وابنتاه عام ١٨٨٦

كبر أحب ابنة الجناينى • ولكنه يتزوج امرأة اخرى ليست على هواه .. فيضطر الى معاقرة الخمر حتى يتمكن من ان ينسى ..

من المعروف ايضا ان النقاد يضعون ستريندبرج فى قمة الكتاب الذين يناهضون الحركة النسوية التى انتشرت فى القرنين التاسع عشر والعشرين وقد شن حملة لا هوادة فيها ضد زميله الكاتب النرويجى هنريك ابسن حين ناصر المرأة فى « بيت الدمية » وعلى عكس مسرحياته التى عرضت فى حياته • فان كتابه « ازواج ! » قد منع من النشر لسنوات عديدة قبل أن يسمح له بالنشر داخل السويد وخارجها •

■ ■ ■



الامريكيون يتصورون ان في الحفرة الثانية مركبا لخوفو ..
واعترضت هيئة الآثار على ذلك .. لأن التحديد غير علمى

الهرم وأبو الهول الصامت أمام حشود أحدث الأجهزة وعلماء العالم

بقلم : أحمد أبو كف

فى الخامس والعشرين من أبريل الحالى تجتمع بالقاهرة اللجنة العلمية للبحث عن مقتنيات ودراسة أوضاع الحفرة الثانية جنوب الهرم الأكبر، لتقييم الدراسات والأعمال وتطوير الأجهزة من أجل أخذ عينة من الهواء القديم .. ومناقشة جدول زمنى للبحث عن مقتنيات الحفرة .. بعد دراسة لتاريخ القياسات والصور التى قامت بأخذها البعثة اليابانية فى شهر فبراير الماضى بالاضافة إلى تلك الدراسات التى أجراها الفرنسيون .

الواقع أن الهرم خضع خلال العام الماضى وحتى الآن .. إلى محاولات جريئة لفك ألغازه ، سواء من داخله ، أو حوله .. وكذلك تمثال أبوالهول وماتحته من فجوات .
ولقد حاول فك هذه الألغاز كل من الأمريكيين ، ثم الفرنسيين ، وبعدهما اليابانيون على التوالى ، ولقد تراوحت البحوث والأجهزة بين الأمل واليأس .. وحتى الآن مازال

● ● رغم اجهزة الفضاء .. وعلماء وكالتى « ناسا » و« نووا » الأمريكيتين ، ورغم العلم الفرنسى الذى تبلور فى جهاز الميكروجرافوميترى وهو سر حربى . ورغم جهود علماء جامعة واسيدا اليابانية .. رغم كل هذا فإن الهرم الأكبر مازال صامدا وصامتا .. وكذلك أبوالهول . إن هذه الآثار الهامة لم تبح بأسرارها .. ومازالت محتفظة بالغازها .
ما الذى حدث خلال أعوام طويلة من محاولات الكشف عن الهرم .
هذا ماتجيب عنه هذه السطور ● ●

محاولات لفك الألغاز ومعرفة تكوين الغلاف الجوى منذ ٤٦٠٠ عام

الهرم وأبوالهول صامتين . كل منهما لايريد أن يبوح بشىء رغم كل الأجهزة العلمية المتقدمة .. ولكن .. إلى متى يستمر هذا الصمت ؟ !

فالفرنسيون الذين تحول عملهم من فحص الشقوق ودراسة عمارة الهرم .. إلى البحث عن الفراغات خلف الممر المؤدى الى غرفة الملكة .. هؤلاء تطور الأمر بهم وأعدوا عدتهم لكى يسحبوا قبضة من الهواء من داخل هذه الفراغات التى تأكد أن أحدا لم يفتحها منذ ٤٦٠٠ عام ، أى منذ أن بنى الهرم الأكبر .

لقد جاء الفرنسيون الى الهرم ، وطلبوا نصب سقالات فى الغرفة التى تسمى تجاوزا غرفة الملكة .. ونصبوا فيها أحدث وأدق جهاز لهم وهو جهاز الميكروجرافوميترى وهو سر حربى .. وظلوا يدرسون الصخور ونوعياتها . كما ظلوا يرصدون عمارة البناء فى الداخل ونوع الأحجار

ثم طلبوا عمل ثقوب لكى يدخلوا من خلالها الكاميرات التى تصور مابداخل الفراغات من أشياء .. لكن آمالهم وحفاراتهم اصطدمت مرة بالطين ، وأخرى بالرمال ، أى انها غاصت فى محيط رمال داخل الهرم ، وعاد الفرنسيون أكثر من مرة الى بلادهم ليعيدوا قراءات قياساتهم وليستخدموا أجهزتهم الحديثة فى تحليلها .. لكنهم منذ نهاية العام الماضى توقفوا عن العمل .. وإن كانوا قد حققوا انجازات لا بأس بها تتلخص فى الآتى

أولا أن الرمال داخل الهرم ليست من منطقة الأهرامات . وإنما هى من منطقة أخرى تبعد نحو ٦ كيلومترات فى طريق الفيوم ـ القاهرة .

ثانيا معلومات جديدة عن الأساليب الهندسية والانشائية فى العمارة الهرمية ، والمواد المستخدمة ودرجة التقدم التى حققها المصرى القديم

ثالثا اتضح أن الرمال التى خرجت أثناء الثقب والشفط من عصر الأوليجسين ، وأن هذه الرمال فرزت ونخلت ووضعت فى الهرم . واتضح أيضا بعد وضع حبيبات الرمال تحت المجهر ، احتوائها على عناصر معدنية ثقيلة .

رابعا . تم تحديد قيمة متوسط كثافة مادة الهرم بمقدار طنين لكل متر مكعب

خامسا أتضح أيضا أن الحديث عن الفراغات صحيح

سادسا ان الأجهزة المتقدمة التى جاء بها اليابانيون من جامعة واسيدا ، أثبتت صدق نتائج أجهزة الفرنسيين ، كما أثبتت وجود الفراغات داخل الهرم كما قال بها الفرنسيون

● ● ●

أما الأمريكان فقد بدأ اهتمامهم بالهرم من الستينيات ، حيث جرت عدة محاولات لتطبيق بعض معطيات التكنولوجيا الحديثة على البحوث والتنقيبات الأثرية فى باطن الأرض ، وعلى اكتشاف أى فراغات أو حجرات داخل الأهرامات . وذلك من خلال جامعتى بيركلى عام ١٩٦٧ وستانفورد فى الفترة بين ١٩٧٥ و١٩٧٧ .

وتركز مشروع جامعة بيركلى بكاليفورنيا فى هرم خفرع هذا المشروع استهدف محاولة الكشف عن أى فراغات أو ممرات لم تعرف من قبل داخل الهرم .

ولقد تم استخدام الأشعة الكونية للكشف عن الفراغات داخل الهرم . وكان من المنتظر أن يتم عمل ثقوب فى هذا الهرم إذا ماكانت النتائج ايجابية ، لكن النتائج التى ظهرت جاءت سلبية .

أما مشروع جامعة ستانفورد . فقد كان مشروعا جديدا يعتمد على استخدام تكنولوجيا دراسة انتشار الموجات الكهرومغناطيسية فى الأحجار والصخور ، ومدى امتصاصها لهذه الموجات للكشف عن أى فراغات . وكذلك استخدام أسلوب التصوير الجوى ، وقياس مجالات المغناطيسية والمقاومة الكهربائية والموجات الضوئية ، فى محاولة للتعرف على هذه الفراغات ، لكن هذه المحاولات لم تسفر عن نتائج إيجابية .

وهناك مشروع حديث بدأ منذ العام الماضى ، ووضع فيه الأمريكيون علمهم وبحوثهم من أجل الهواء القديم . وقد تركز مشروع الأمريكيين هذه المرة جنوبى الهرم الأكبر ، وفى حفرة ثانية بجانب الحفرة الأولى التى استخرج منها مركب خوفو .

وهذا العمل بعد دراسات مستفيضة .. سيجرى تنفيذه فى الخريف القادم .. وسيستخدم فيه أجهزة متقدمة جدا أغلبها أجهزة تتصل بالأجهزة التى استخدمت فى جلب عينات من القمر مثل جهاز الحفر ، وجهاز البريسكوب ، بالاضافة الى الكاميرات المتقدمة التى صنعتها خصيصا مؤسسة المجلة الجغرافية الدولية الأمريكية ، فهذه



تجارب على التثقيب قبل قيام الفرنسيين باستخدام المثاقيب

المؤسسة تشترك فى العمل ، وفى كتابة التحقيقات عن هذا المشروع الكبير .

وهذا العمل تشترك فيه أيضا وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » حيث أن مدير مركز « جودر » لأبحاث الفضاء بواشنطن عضو فى المجموعة العلمية التى تخطط للمشروع . كما أنه يمثل وكالة ناسا فى اللجنة العلمية .

والأجهزة العلمية التى ستستخدم فى العمل ، نشأ معظمها من بحوث وكالة الفضاء الأمريكية خلال السنوات العشرين الماضية أثناء الاستعداد لرحلات الفضاء ، وخصوصا وصول الانسان الى سطح القمر ، فمثلا شركة « بلاك آندديكر » هى الشركة التى كانت قد صنعت وابتكرت الخرامة التى استخدمها رواد الفضاء فى أخذ عينات من سطح القمر . وهذه الشركة نفسها هى التى تقوم بصنع الخرامة التى ستستخدم فى الخطوة الثانية جنوب الهرم الأكبر فى ثقب البلاطات فوق الحفرة .

أيضا تعمل مع المجموعة وكالة أخرى اسمها « نووا » وهى الوكالة الأمريكية الوطنية لبحوث الفضاء والبحار . وهذه الوكالة ستكون مسئولة عن أخذ عينات من الهواء المختزن فى الحفرة ، ثم تقوم هى نفسها ومن خلال علمائها المتخصصين بتحليل هذه العينات فى أهم معامل الولايات المتحدة الأمريكية ، للتعرف على التغييرات التى حدثت للغلاف الجوى للأرض منذ أيام القدماء وحتى الآن .. وهذا مهم بالطبع من الناحية العلمية .. فالتعرف الكامل على بيئة الهواء القديم داخل الحفرة ، أى دراسة الحرارة والرطوبة والضغط الجوى الجزئى ، يمكن أن يفيد فى حماية الآثار ، خاصة الاخشاب والنحاس من التلف .

أيضا فإن التعرف على عناصر الهواء القديم (٤٦٠٠) وقياس نسبة ثانى أوكسيد الكربون فيه ، مهم جدا للبشرية التى تعرضت فى العصر الحديث لاحتراق الوقود والتلوث والتفجيرات النووية ، مما زاد فى نسبة ثانى أوكسيد الكربون .. وهذا له تأثير فى ذوبان جليد القطبين ، وما ينتج عن ذلك من اغراق وطوفانات . تهدد الانسان

ومن أجل ذلك فقد تمت دراسة عينات من الصخور المشابهة والتى كانت تغطى حفرة مركب خوفو ، والتى تعرف خطأ بمركب الشمس . وهذه الصخور جرى تحليلها لمعرفة صلابتها وكيف سيمكن تخريمها والتعامل معها أثناء الحفر . كما جرت دراسة اختراق الغازات لها .. حتى لايتسرب الهواء من داخل الحفرة أو من خارجها أثناء الحفر

ثم جرت الدراسات أيضا بأجهزة الرادارات المتقدمة لمعرفة عمق الغرفة وحجمها أو شكلها ، ومن أى مكان يمكن ولوج البريسكوب اى المنظار فيها ، وهو المنظار الذى سيحمل فى طرفه كاميرا دقيقة تدور ٣٦٠ درجة لتصوير مابداخل الحفرة من جميع الجهات وقد تمت عدة تجارب على بيئات مماثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية

وعلم أن الحفار لن يستخدم أثناء الحفر ، الزيت أو المياه حتى لايحدث التلوث ، وإنما سيجرى استخدام غاز النتروجين الخامل . كما أن الأجهزة التى ستستخدم لن تؤثر على درجة حرارة الحفرة .. ولذلك ستستخدم أجهزة تعمل بالألياف الضوئية

● ● ●

فى الفترة التى توقف فيها الأمريكيون ... لتطوير أجهزتهم من أجل الحفرة جنوبى الهرم الأكبر وفى نفس الفترة التى توقف فيها الفرنسيون لاجراء مزيد من القياسات التى سجلها جهاز الميكروجرافوميترى . ظهر اليابانيون فى يناير الماضى

فقد تقدمت جامعة واسيدا اليابانية بطلب الى هيئة الآثار للعمل والبحث داخل الهرم وخارجه وفى أبوالهول . . من أجل إزالة الغموض وكشف الأسرار . وأكدت أن لديها أجهزة دقيقة وحساسة يمكن أن تضيف للأجهزة التى استخدمها الفرنسيون والأمريكيون .

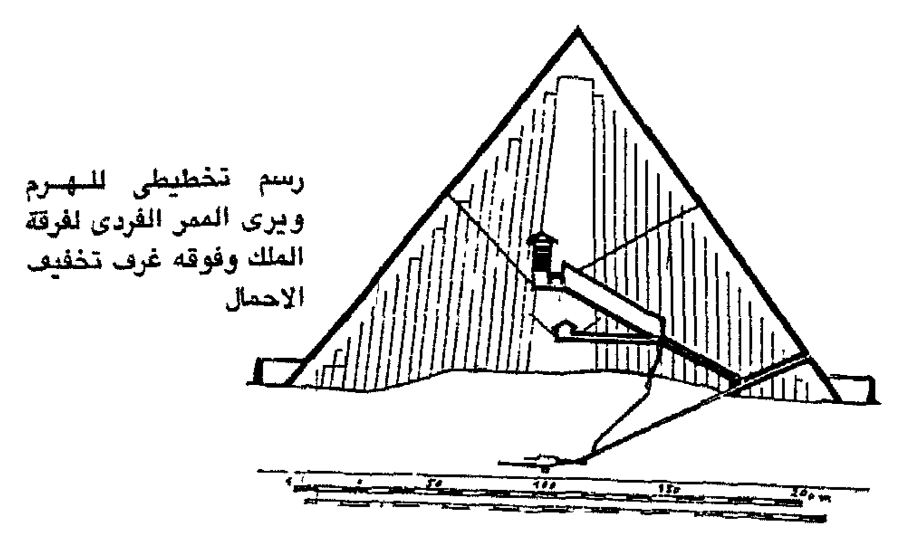
وبالفعل وافقت هيئة الآثار على عمل جامعة واسيدا الذى استغرق الفترة من منتصف يناير الى منتصف فبراير هذا العام !

استخدم اليابانيون جهاز تصوير مقطعى كهرومغناطيسى تبلغ قدرته ٢٥٠ وات عند تردد ١٩٨ ميجاسيكل ، ويعمل مداه الى عشرة أمتار تحت سطح الأرض .

ويعطى هذا الجهاز صورا فورية على شاشة تليفزيونية مفصلة لمقطع طبقات الأرض وتظهر المواد داخل هذه الطبقات مصنفة طبقا لنوعية المادة . والصور يمكن تخزينها واجراء عمليات ترشيح وتنقية الكترونية لها ، وتحليلها فى الحاسب الالكترونى لتقديم تفاصيل دقيقة لنوعية هذه المواد .

وقد كانت نتائج عمل البعثة اليابانية هى الآتى :

● وجود تجويف فى غرب الممر المؤدى لغرفة الملكة ، وتجويف آخر خلف الحائط الشمالى الغربى لغرفة الملكة .



رسم تخطيطى للهرم ويرى الممر الفردى لغرفة الملك وفوقه غرف تخفيف الاحمال

● وفى جنوب الهرم يوجد تجويف غربى الحفرة التى أخرجت منها مركب خوفو ، تغطيها بلاطات ذات سمك نحو مترين ، وداخلها تشكيلات لمواد ذات انعكاسات مختلفة .

● وعلى بعد ٤٢ مترا جنوب الهرم ، ومن بداية طرفه الغربى الجنوبى يوجد تجويف هندسى ، يمتد اسفل الهرم لمسافة غير معروفة مملوءة بالرمال .

● ويوجد تجويفان على جانبى تمثال ابوالهول فى الشمال والجنوب .

● يوجد أيضا تجويف هندسى شمال التمثال وبجوار مرفقه الأيسر .

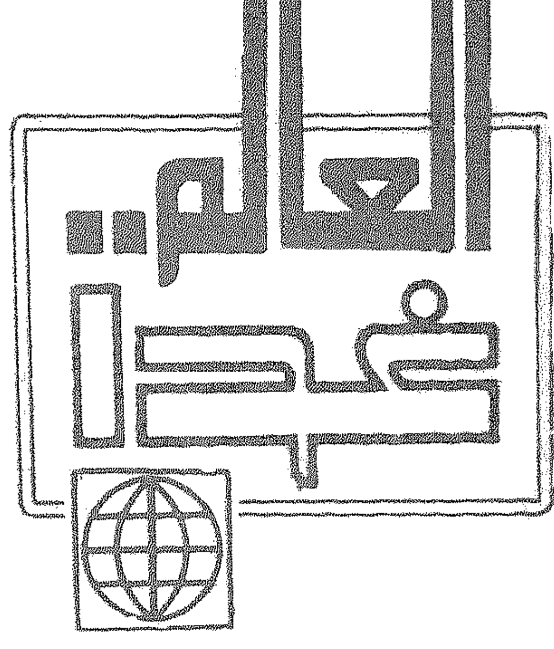
● أمام صدر التمثال فى الجانب الشرقى يوجد تجويف هندسى ، وتجويف آخر الى الغرب من مائدة القرابين الجرانيتية بين مخالب التمثال الأمامية

وبالطبع فان عمل البعثة اليابانية يعتبر عملا هاما ، فكما أنه يؤكد بحوث الفرنسيين داخل الهرم ، فهو أيضا يؤكد بحوث الامريكيين خارجه ، وخاصة الى الجنوب منه ، وهو كذلك هام لأن الأجهزة اليابانية تستطيع الكشف عن المواد التى بداخل هذه الفراغات ، وهذه سيكشف عنها النقاب بعد تحليلها بأضخم كومبيوتر فى طوكيو من الجيل الثالث ، ولهذا فإن بعض الأسرار سيجرى الكشف عنها ، خاصة مابداخل هذه الفراغات من أشياء سواء أكانت أثاثا جنائزيا أم مراكب جنائزية وغيرها

د . أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار يرى أن التنافس العلمى حول آثارنا المصرية ، خاصة الأهرامات ، مطلوب فى هذه المرحلة ، خاصة داخل الهرم الأكبر وماحوله . ويرى أن الكشف عما بداخل الحفرة الثانية جنوبى الهرم سيكون كشفا علميا كبيرا من كل النواحى . فبالاضافة الى معرفة طبيعة الغلاف الجوى منذ ٤٦٠٠ عام ... فان الكشف سيحقق بعض الخطوات فى مجال الحفاظ على الآثار ، إذ انه يمكن بعد ذلك عمل بيئات فى المعامل ... مشابهة لتلك البيئة القديمة التى حفظت هذه الآثار على مدى السنين الطويلة ..

أيضا فإنه فى داخل الهرم كانت البعثة الفرنسية تبحث عن الحقيقة العلمية ، باعتبارها مايهم العالم المتمدين والمثقفين وعلماء المصريات . . سواء أكانت هذه الحقيقة ترتبط بالأثار الجنائزى للفرعون خوفو .. أو أن هذه الفراغات هى فراغات معمارية فقط .

أيضا فان اليابانيين حينما جاءوا وجدوا ـ بعد دراسة مشروعهم ـ قلوبا مفتوحة والقلوب مفتوحة دائما لكل علم جاد وبناء من أجل الكشف عن حقيقة ألغاز الهرم وأسراره .



● تواضع مارادونا العظيم ●

فى حديث صحفى كانه الغواية لبراعم النرجسية بالتجلى جاءت ردود مارادونا - العظيم حقا - المتواضعة لتكشف بجلاء بعض اسرار العظمة :

● كثير من الخبراء يرون أن منتخب الارجنتين ليس منتخبا قويا ، ويؤكدون انه يتكون من مارادونا وعشرة لاعبين عاديين ..

●● تعنى أنهم لم يلاحظوا نقط القوة فى منتخب الارجنتين : التكتيك الذى اختاره بيلاردو ، واصراره على أن يكون التدريب الشاق والانضباط نمط حياة لكل لاعب من لاعبى الفريق .. لقد نجح الرجل فيما أخفق من سبقوه فى تحقيقه .. فى الوصول الى فريق - وأؤكد على فريق - يجمع الى المهارات الامريكيه الجنوبية السجايا الاوربيه ، من قبيل الاصرار والانضباط التكتيكى .

● لم تقتصر على تسجيل الاهداف فى مكسيكو فقد كنت ترسم طريق اللعب ايضا ..

●● الامر فى غاية البساطة اذ كنت كابتن الفريق . وقد علمنى الزمن كثيرا .. حقيقه حتى وقت قريب لم أكن لامرر كرتى الحاسمة فى المباراة النهائيه الى بورتشاجا ولعملت على تسجيلها بنفسى ، لكن الاعوام تكسب المرء خبرة ، والخبرة تساعد على اختيار أفضل القرارات الممكنه ..

● لماذا تركت المدرسة الامريكية فى الكرة بعد كاس ١٩٨٢ ؟

●● أنا مدين لاوربا بتقدممستوى لعبى . وأعتقد أن كل ما يقال حول تمتع كرة القدم فى أمريكا الجنوبية بالتفوق مجرد تبجح . ان من يرددون هذا الهراء لا يفهمون أساسيات كرة القدم .

● لكن فريقا من امريكا اللاتينية هو الذى فاز بكاس العالم .

●● بين لاعبى هذا الفريق بورتشاجا وفالدانو وهما يلعبان معى لفرق أندية أوربية . وقد ساعدنا ذلك كثيرا فبدونه لم يكن لنا التفكير



مارادونا .. شهرة وتواضع معا

فى التصدى لفرق بريطانيا والمانيا وبلجيكا .. ان التجربة الاوربية علمتنا أن نفكر فى الملعب وأن نقاتل حتى اللحظه الاخيرة كما علمتنا أن مكان الشعوذة هو السيرك وليس الاستاد .

● ماذا تعنى كرة القدم بالنسبة لك ؟

● ● انها عملى وهدية الخالق لى ورسالتى وقوام حياتى .

● المرأة ومضايقات وسائل منع الحمل ●

عديدة هى أساليب منع الحمل التى وضعت نفسها تحت طلب المرأة غير الراغبه فى الانجاب ، خلال السنوات الاخيرة . لكن لكل من هذه الاساليب عيبه . فهذا غير مأمون ، وذاك يتسبب فى أعراض جانبيه مضجرة ، وغيرهما يجلب الضيق ويقيد الحرية ... الخ ، ومن هنا لا تكف الدوائر العلمية عن بذل جهودها لابتكار أساليب جديدة دوما .

وقد توصل العالم الامريكى د . كايل أخيرا الى اسلوب جديد لمنع الحمل يعتمد على بطارية صغيرة توضع فى مهبل المرأة تكبح حركة الحيوانات المنوية ، وتفشل بالتالى فى الوصول الى البويضة لتلقيحها .

وتوضع البطارية (٢سم × ٥ر٠سم) داخل عنق الرحم بحيث يتجه قطبها الموجب الى داخل الرحم وقطبها السالب نحو المهبل ، فيتولد عنها مجال كهربى لا تزيد قوته على نصف ميللى أمبير . وعلى الرغم من أن الجسم يعجز عن الاحساس بمثل هذا التيار فبوسعه أن يشل الحيوانات المنوية لانه يؤثر على القطبية الكهربية فى ذيل الحيوان وهى التى تساعده على الابحار صوب البويضة .

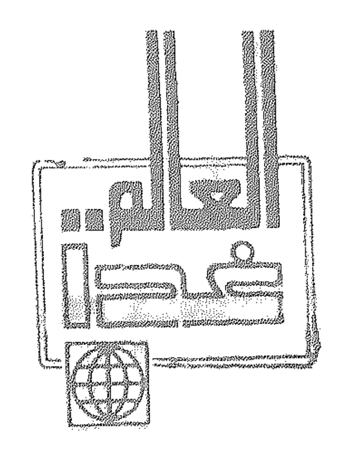
وحيث ان البطارية يمكن أن تفقد مفعولها تماما اذا ما تغير وضعها فقد اخترع د. كايل نوعا خاصا من المشابك لتثبيتها فى عنق الرحم على نحو آمن ولا يسبب أية مضايقات للمرأة ..

وقد نجح هذا الاسلوب عند تجربته على اناث القردة ، ويؤكد الخبراء أنه سينجح مع اناث البشر . وتتجه النيه الى استخدام بطاريات معمرة مثل البطاريات التى تستخدم فى تنظيم دقات القلب وتقوم بوظيفتها لعشر سنين أو أكثر ..

واستخدام مثل هذا القرص أسهل كثيرا من حبوب منع الحمل المتداولة حاليا ، التى يتم تعاطيها خلال فترة طويلة كل شهر . لكن المشكلة التى تواجه استخدامه وتجعل الافضلية من نصيب أسلوب البطارية (سابق الذكر) هى أن القرص يقوم فعلا بعملية اجهاض سريعة وبدون ألم .. وبالتالى فلن يسمح باستخدامه الا فى البلدان التى لا تحظر قوانينها عملية الاجهاض .

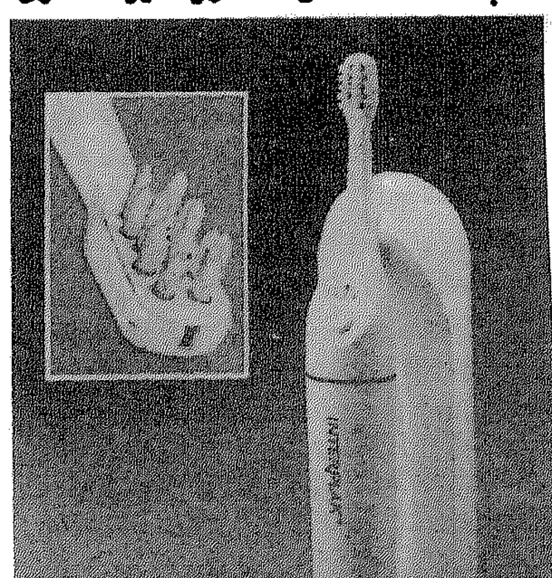
● اللسان أم الفرشاة فى تنظيف الاسنان ●

المعروف أن الاغذية العادية تحتوى على مواد سكرية ، أو نشوية تتحول فى الفم الى مواد سكرية تستخدمها البكتيريا الموجودة فى الفم كمصدر طاقه يساعدها على انتاج الاحماض التى تهاجم الاسنان محدثة ما يعرف بالتسوس ، وما يعقبه من أمراض فى اللثة والفم ، التى يعانى منها الناس فى كثير من مناطق عالمنا . وقد جعل ذلك صناعة الفرش



والمعاجين – التي تساعد في التخلص من بقايا الطعام العالق بالفم – تجارة رائجه تطلع على الناس كل يوم بمستحدثات جديدة ·

وقد ظهر في الاسواق اخيرا فرشاة تعمل بالبطاريه يدعي صانعوها انها صممت خصيصا لازاله بقايا الطعام والبكتيريا التي تتجمع ما بين الاسنان واللثة وما بين الاسنان ذاتها ،وذلك عن طريق حركة شعيرات الفرشاة حركة ترديديه (دورة ونصف الى اليسار ، ثم دورة ونصف الى اليمين ···) وبالرغم من أن بعض أطباء الاسنان صاروا يوصسون



مرضاهم باستخدام هذه الفرشاة الغاليه الثمن (٩٩ دولارا) يرى آخرون ضرورة متابعه نتائج استخدامها ، على نطاق اوسع ، بهدف معرفه مدى فعاليتها على المدى الطويل ، قبل التوصيه باستخدامها ·

وكان هناك اتجاه ينصح بمضغ العلك للمساعدة على تنظيف الاسنان وحمايتها من المرض فنده الباحثون· بعد أن بينوا مساهمة سكريات العلكه نفسها في امراض الاسنان · لكن الباحثين في جامعه ايوا الامريكية عادوا الى التوصية باستخدام نوع من العلك وربما الاكتفاء به بدلا من الفرشاة والمعجون

● طلمبة المريخ لمرضى السكر ●

من الاساليب التي شاعت خلال السنوات الاخيرة محاولة السيطرة على مستوى السكر في الدمباستخدام مضخات الانسولين · وتوفر هذه المضخات التي تزرع داخل الجسم أو توصل به من الخارج جرعات محسوبه منهرمون الانسولينللمريض ويعتبرها الكثيرون افضل من الحقن وبالذات ذلك النوع الذكي منها الذي يقدم للجسم احتياجاته ، دون الحاجة الى طبيب يشرف على العملية أو الى ممرضه لاعطاء الحقن ·

ويرجع ذكاء هذا النوع المطور من المضخات الى تحكم كمبيوتر صغير في تشغيلها ، يقرر مقدار جرعة الانسولين بمنتهى الدقه ، تبعا لحاجة الجسم ومستوى السكر في الدم ·

والطريف أن هذه المضخه كانت قد ابتكرت أصلا لتستخدم في محطة فايكنج الفضائيه الاوتوماتيكيه ، التي

ارسلها الامريكيون الى المريخ عام ١٩٧٦ . وقد قامت هذه المضخةالذكية بخلط سوائل بعينات مختلفة من تربة المريخ بحثا عن اثر لوجود الحياة هناك ، لكن التجارب التي اجريت لم تمكن من العثور على هذا الاثر .

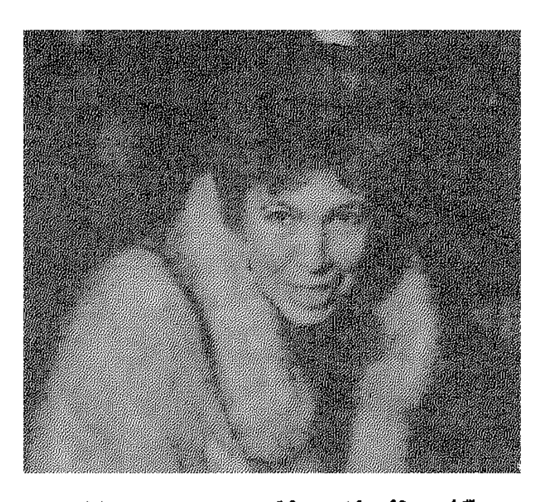
وقد طورت احدى الجامعات الامريكيه هذه المضخة بحيث تصلح للاستخدامات الطبية وجرت زراعتها بالفعل للعديد من المرضى فى تجربة قوامها ٤٠ من مرضى السكر ، تسبق الموافقة على تسويق هذه المضخة تجاريا .

وجدير بالذكر ان هذه المضخة الذكيه ليست أول جهاز يصمم للعمل في الفضاء

● بوردا بالروسية فى عيد المرأة العالى ●

خلال الشهور الاخيرة وانعكاسا لسياسة الانفتاح شهد الجمهور السوفييتى عروض أزياء لكبريات البيوت العالميه ، خلال زيارات قام بها مصممو هذه البيوت للاتحاد السوفييتى ، وبعضهم بدعوة من رئيسه جورباتشوف - بهدف دراسة امكانيات التعاون ، وامكانيات السوق السوفييتية .

وعلى صعيد آخر فى نفس الاتجاه ظهرت طبعة روسية من مجلة الازياء الالمانية الغربية الواسعة الانتشار « بوردا » ، وان كان العدد الاول (مارس ١٩٨٨) قد ظهر فى مائة الف نسخة فالمخطط ان يصل عدد النسخ الروسية ١٫٥ الى ٢ مليون نسخة شهريا ، وهو عدد لا تصدر به المجله فى اى لغة اخرى .



وكان الجانب السوفييتى ، الذى سيحصل على ٥١ ٪ من أسهم المجلة ، هو صاحب المبادرة فى طلب الطبعة الروسية . والهدف من اصدار المجلة هو اتاحة الفرصة امام السوفييتيات لرفع مستوى اناقتهن . وقد أختيرت مجلة « بوردا » بالذات لانها تهدف الى اتاحة الفرصة لاكبر عدد من النساء على خلاف أنشطة دور الازياء الفرنسية التى لا تهتم الا بالصفوة . هذا كما أن « بوردا » تسعى الى جذب المرأة الى التنفيذ بيدها ، بقدر ما تسعى الى أن تتسم خطوط الموضة بالجمال .

وقد عقب مانفريد ماور مدير دار نشر « بوردا » على الحديث عن العبء الذى ستشكله المجلة على جيوب الرجال السوفييت قائلا : « ان المرأة التى ترتدى زيا جميلا هدية للرجل يهون معها أى عبء .. » .

الطريف أن احتفال الموسكوفيتيات (والموسكوفيين طبعا) بعيد - نضال - المرأة العالمى يوم ٨ مارس الماضى شهد لمسة جديدة تماما ، فقد نظم فيه عرض ازياء يحتوى على تصميمات ونماذج عدد « بوردا » الاول .

رسالة جنيف من
جميل عطيه ابراهيم

طبيب مصري يؤلف كتابًا بالفرنسيّة عن المخترعات الحديثة

الدكتور فرج موسى ((٥٨ عاما)) مصرى من قرية ((القشيش)) وهى قرية صغيرة بالدلتا وتبعد عن القاهرة ٤٠ كيلو مترا ، وقد قادته رحلة الحياة ليقيم فى سويسرا منذ عشرين عاما، واصدر كتابه ((المخترعات موجودات)) بالفرنسية فى نهاية العام الماضى .

وقبل ان نتطرق للكتاب الذى رحبت به وسائل الاعلام فى سويسرا نود الاشارة الى ان الدكتور فرج موسى عمل فى بداية حياته بالسلك الدبلوماسى وجامعة الدول العربية واصدر العديد من الكتب باللغة الفرنسية عن الدبلوماسية والعمل الدبلوماسى وذلك قبل ان يترك العمل الدبلوماسى ويلتحق بالعمل بمنظمة الملكية الفكرية ومقرها جنيف منذ ١٨ عاما .

وعند التحاق الدكتور فرج موسى للعمل بمنظمة الملكية الفكرية «الويبو» لم تكن وكالة متخصصة من وكالات الامم المتحدة فى ذلك الحين، بل كانت منظمة مستقلة لهذا تولى مسئولية التعريف بعمل المنظمة على المستوى الدولى ، ودرس لهذا الغرض كل ما يتعلق بالملكية الصناعية وبراءات الاختراع وحقوق المؤلف . ويقول الدكتور فرج موسى انه قد لمس خلال عمله بمنظمة الملكية الفكرية «الويبو» انها لا تهتم اهتماما كافيا بالمخترع كفرد او شخص وينصب اهتمامها بالدرجة الاولى على حماية الاختراع او المصنف الادبى على المستوى الدولى بغض النظر عن المشاكل التى تقابل المخترع او المؤلف .

ومن هذا المنطلق اخذ الدكتور فرج موسى يهتم بموضوع المخترع كفرد ثم بدات المنظمة تقتنع رويدا رويدا بصحة هذا المنحى وكلفته بتنظيم اول مؤتمر للمخترعين على مستوى العالم وعقد فى جنيف سنة ١٩٨٤ وهو اول مؤتمر من نوعه تعقده المنظمة لمناقشة مشاكل المخترعين كافراد وكيفية تيسير السبل امامهم . وعقد

المؤتمر واقيم معرض لصور المخترعين ونماذج لاختراعاتهم وكان ناجحا جدا مما شجع الدكتور فـرج موسى على متابعة عمله ، ولكنه منذ هذا التاريخ اخذ يهتم بالمخترعات فى عالمنـــا المعاصر كهواية شخصية الى جـوار عمله فى المنظمة . كظاهرة اجتماعية

وكتاب « المخترعات موجـــودات يضم ٤٨ فصلا تتناول المخترعـــات وقصة حياتهن ونبذة وافية عن الاختراع فى ٢٦ دولة ، والفصـــــل الاول من الكتاب خصصه لمخترعات تتـــراوح اعمارهن من ثمانى ســـنوات حتى العشرين عاما وهو من اهم فصـول الكتاب لانه يروى قصة مخترعـــات صغيرات دفعهن الطموح والرغبة فى الابتكار الى تحقيق احلامهن وتسجيل اختراعاتهن . ومصادر الكتاب حية فقد سعى المؤلف لمقابلة المخترعـات سواء فى الصين او الاتحاد السوفييتى او اليابان وتعرف اليهن معـــرفة شخصية ورأى بنفسه البيئـات التى نشأن فيها فهو وثيقة صادقة تسجل حياتهن وتسجل عناوينهن وصـورهن فى طفولتهن وشـــهادات براءات الاختراع وغير ذلك من البيانات التى تهم الباحث .

● مخترعات مصريات

ويقول الدكتـــور فرج موسى : ان كتابه ليس سجلا او حصـــرا لكافة المخترعات فلا فائدة ترجى من القيام بمثل هذا الحصر الا اذا كان الغرض هو تكريم المخترعات فى دولة معينة ، ولكنه يقدم مجموعة من الحالات فى كافة المجالات توصلت فيهـا المرأة سواء كانت صبية او شابة او ناضجة لاختراع له قيمة علمية او تجارية من ٢٦ دولة مختلفة من بينها مصر حيث اخترعت السيدة فريال طيرة جهـازا للكشف عن مدى تثبيت الالـــوان فى



د . فرج موسى مع مدير جمعيـة المختـــرعين فى بـــكين ..

صناعة التسيج وهو اختراع وفر على مصر مئات الالاف من العملات الصعبة كما يروى الكتاب قصة فيفيان بلدى « ٢٢ عاما » وهى سويسرية الجنسية وتعيش حاليا فى جنيف « لاب مصرى» وقد اخترعت فى سن السابعة عشرة جهازا معقدا للغاية من الناحيـــة العلمية للربط بين اجهزة متباينـــة ومختلفة البرامج من أجهزة الكمبيوتر وهذا الاختراع له قيمة كبـرى من الناحية العلمية لانه يفك اســـرار الاجهزة المعقدة التى تنتجها الشركات الجبارة ويمكن من اقتحامها وتبادل المعلومات معها غير انه من الناحيـة العملية يصادف رفضا لان هـــذه الشركات ترفض اقتحام منتجاتهـــا وتفضل الاحتفاظ بأسرارها لاسـباب اقتصادية .

● اختلاف النسب

وفى مكتبه بمنظمة الملكية الفكـرية فى جنيف دار هذا الحوار حـــول المخترعات ومشاكلهن ، ففى سـؤال حول نسبة المخترعات الى المخترعين

طبيب مصري يؤلف كتابًا بالفرنسية

عن المخترعات الحديثة

فى العالم وعلاقة ذلك بالبيئة الثقافية والاقتصادية ، اجاب الدكتور فرج موسى قائلا :

– لم اتوصل الى ربط بين البيئة الثقافية فى كل بلد على حدة ونسبة المخترعات فيها وذلك على الرغم من ان الاحصائيات الخاصة بالمخترعات فى كل بلد على حدة متوفرة وذلك لاختلاف النسبة من بلد الى بلد . وعلى سبيل المثال تصل نسبة المخترعات الى المخترعين فى بلد متقدم مثل السويد الى حوالى ١٪ فقط بينما تصل نسبة المخترعات الى المخترعين فى فرنسا الى ٢ر١٪ وترتفع نسبتهن فى الولايات المتحدة الامريكية الى ٣٪ فاذا انتقلنا الى بلد مثل مصر وجدنا نسبتهن تقفز فجأة الى ٦٪ من المخترعين ، وهذه ظاهرة فى حاجة الى دراسة اخرى لتحرى الاسباب التى تحدد نسبة المخترعات الى المخترعين فى كل بلد بعيدا عن الافكار المسبقة عن التقدم او الرقى او التخلف .

وفى سؤال حول الثروة التى تحلم بها المخترعة او المخترع بعد تسجيل الاختراع ، يجيب الدكتور فرج موسى من واقع خبرته الطويلة فى منظمة الملكية الفكرية قائلا :

– للأسف المخترع وضعه مثل المؤلف عائده المادى غير مشجع ، فعدد المخترعين والمخترعات يتجاوز مئات الالاف كل عام ولكن نسبة الذين يكسبون من مخترعاتهم لا تتجاوز ١٪ وذلك لان عدد الاختراعات الناجحة تجاريا يقل كثيرا عن الاختراعات التى يتم تسجيلها كل عام واذا كان المؤلف فى مقدوره طبع كتابه على نفقته الخاصة فان المخترع ليس بمقدوره تصنيع اختراعه وتسويقه وعلى سبيل المثال اختراع فيفيان بلدى فالشركات تحجم عن تصنيع اختراع يفقدها السيطرة على اسرار برامجها .

وفى سؤال حول تشجيع المخترعين والمخترعات فى الوطن العربى ، اجاب الدكتور فرج موسى قائلا :

– يوجد اتجاه حديث للغاية حاليا فى جميع انحاء العالم لتشجيع المخترعين رجالا ونساء ، وفى مصر تكونت جمعية حديثة منذ عدة أعوام لحماية المخترعين ويرأسها السيد احمد محمد الشايب وهو مواطن مصرى سجل العديد من الاختراعات باسمه وهو حاصل على اول براءة اختراع مصرية سنة ١٩٥١ وقد حضرت الاجتماع التأسيسى لهذه الجمعية وكذلك توجد جمعيات مشابهة فى السودان والمغرب وكذلك اتحاد لجمعيات المخترعين الافارقة ويترأسه مغربى .

وعن سؤال حول المخترعات فى مصر والعالم العربى ، يقول الدكتور فرج موسى :

– المخترعات فى مصر والعالم العربى موجودات وكما ذكرت فى مصر تتجاوز نسبتهن ٦٪ وعددهن فى الثلاثين سنة الاخيرة بلغ ٢٩ مخترعة وعدد اختراعاتهن المسجلة ٣٧ اختراعا ، وكذلك فى العراق وسوريا والمغرب وعلى سبيل المثال كرم الرئيس صدام حسين احدى المخترعات منذ عامين ، فالمخترعات ظاهرة عامة فى العالم نلخصها فيما يلى المخترع قد يكون رجلا او امرأة . وهذه الظاهرة التى دفعتنى لنشر كتابى الذى من المنتظر ترجمته قريبا الى العربية .



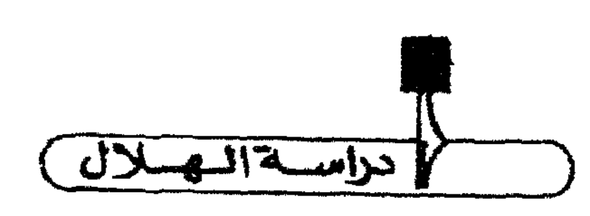
قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على إلى اليوم

عصر اسماعيل
أو الاستدانة فى عصر الرخاء

بقلم : د. جلال أمين

لايمكن لأحد يعيش فى الثمانينيات من هذا القرن ، وقد شرع فى قراءة تجربة مصر فى التورط فى الديون فى عهد الخديو اسماعيل ، ألا يصاب بالدهشة إذ يرى أوجه الشبه الصارخة بين تجربة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى ، وتجربة السبعينيات من القرن الحالي . إن التاريخ بالطبع لايمكن أن يعيد نفسه بالضبط ، وهناك بالطبع من أوجه الاختلاف ما لايمكن انكاره أو التغاضى عنه ، ولكن مامعنى الكلام عن « دروس التاريخ » و« إفادة من تجارب الماضى » ، بل مافائدة قراءة التاريخ أصلا إن لم يكن هناك بعض الصدق فى القول بأن التاريخ يعيد نفسه ؟

انظر أولا إلى تغير لهجة المعلقين الغربيين والصحافة الأوربية والامريكية فى الحديث عن السادات ، أثناء حياته وبعد مقتله ، واستعدادهم المدهش للتغاضى عن أخطائه ونقائصه طالما كان يمشى فى ركاب الغرب ويحقق مآربه ، ثم



استعدادهم المدهش أيضا للحديث عن نقائصه بعد أن بدا وكأنه قد حقق المطلوب منه وأدى مهمته هكذا كان التغير فى موقف الأوربيين من اسماعيل . فقد كالوا له الثناء طالما كان قادرا على الاستدانة والشراء وتسديد القروض ، ووصفوه بالحاكم العظيم البالغ الاستنارة والنشاط حتى وهو يطبق نظام السخرة لتنفيذ مشروعاته ، أو وهو يعرض الفلاحين للموت جوعا تحت وطأة ضرائبه ، بل عمل القناصل الأوربيون على الحصول له على قسط اكبر من الاستقلال عن السلطان العثمانى فى ادارة مصر ، كانوا قد بخلوا به على محمد على نفسه . على انه ما أن فرغت جعبته وظهر عجزه عن سداد ديونه وأبدى مقاومة لما أرادوا فرضه من مشروعات التسوية **حتى بدأوا يوجهون اليه سهام النقد والسباب واذا بالجرائد الأوربية تتحدث فجأة عن استبداده وظلمه ، ووحشيته فى معاملة عشيقاته ، ويتهمونه بترتيب موت أخيه غرقا ليستولى على العرش**

أو فلتنظر الى تورط مصر فى الاستدانة فى السبعينيات من القرن الحالى ، فى وقت لم تعرف مصر مثله ، قبله أو بعده ، من حيث تدفق العملات الاجنبية عليها من مختلف المصادر ، ومن حيث ارتفاع معدل نمو الدخل ، ومن حيث القدرة على الاستغناء عن القروض بل وتسديد ماسبق اقتراضه ، على النحو الذى سنتناوله تفصيلا فيما بعد ، وقارن ذلك ببداية تورط اسماعيل فى الديون ، فى ظل رخاء لم تكن مصر قد عرفت مثله لعشرات من السنين ، وفى ظروف هى أبعد ماتكون عن ظروف العوز والحاجة الى الاستدانة

● رخاء واستدانة

كانت الحرب الأهلية الأمريكية (٦١ ـ ١٨٦٤) قد بدأت قبل تولى اسماعيل العرش بنحو عامين ، وترتب عليها انخفاض شديد فى المعروض من القطن الأمريكى ، ومن ثم زيادة الطلب بشدة على القطن المصرى ، فارتفع سعر القطن المصرى بنحو ١٠٠٪ فى السنتين الأوليين من حكمه (٦٣ ـ ١٨٦٥) ، وزاد حجم الصادرات بنفس النسبة ، ومن ثم زادات قيمة صادرات القطن المصرى خلال هاتين السنتين إلى اكثر من ثلاثة أمثالها (من ٢٧ مليون ريال الى ٩٠ مليونا)[1] ، ومع ذلك لجأ اسماعيل الى الاستدانة حتى خلال هذين العامين ، فعقد قرضا خارجيا بمبلغ ٥,٧ مليون جنيه فى ١٨٦٤ وآخر بمبلغ ٣,٤ مليون جنيه فى السنة التالية

● تركة سعيد من الديون

كان اسماعيل قد ورث بالطبع تركة سعيد من الديون ، كما ورث عنه أخطاء أخرى لم يكن من الممكن التخلص منها إلا بالمزيد من الانفاق ، كما ورث السادات من عبدالناصر بعض الديون وبعض الأخطاء التى احتاج تصحيحها الى تحمل اعباء مالية ، كما سيأتى بيانه فى حينه ، ولكن الأمر فى الحالتين لم يكن قط مما

يستعصى على الخزانة المصرية مواجهته ، ولم يكن قط مما يفرض على مصر التورط فى مزيد من الديون لو وجهت الأمور بحكمة ، بل وأهم من ذلك ، لو لم يتعرض الحاكم الجديد لاغراء الأجانب له بالاستدانة .

كان سعيد قد ترك لمصر ديونا قدرها كما رأينا نحو ١٨ مليونا من الجنيهات ، كما أنه كان قد ورط مصر فى شرطين بالغى القسوة وردا فى امتياز شركة قناة السويس وأراد اسماعيل التخلص منهما . احدهما : توفير عمال السخرة فى حفر القناة وفى حفر ترعة تزود منطقة القناة بالمياه العذبة ، الأمر الذى كان من شأنه سحب نحو ٦٠ ألف عامل من الزراعة ، والثانى : هو التنازل لشركة القناة عن الأراضى المتاخمة لقناة المياه العذبة وتستخدم هذه القناة فى ريها . وكان على اسماعيل تعويض الشركة عن الغاء هذين الشرطين بمبلغ ٤ ملايين من الجنيهات ، طبقا لقرار التحكيم الذى قضى به الامبراطور نابليون الثالث . **ولكن علينا ان نلاحظ ان الجزء الأكبر من الديون التى تركها سعيد ، والتعويضات التى تحمل بها اسماعيل ، كان يستحق** الدفع عبر فترة ممتدة من الزمن ، فكان نحو نصف ديون سعيد مستحق الدفع عبر ثلاثين عاما ، والتعويضات المستحقة لشركة القناة كانت مستحقة الدفع بأقساط سنوية عبر ستة عشر عاما . كان القسط السنوى الواجب الدفع من هذين الدينين لايزيد على نحو نصف مليون من الجنيهات ، أى ما لايزيد على ٩٪ من ايرادات الحكومة السنوية فى السنوات الأربع الأولى من عهد اسماعيل ، وأقل من



اسماعيل باشا
ورث تركة سعيد من الديون

٧٪ من متوسط ايراداتها السنوية حتى نهاية عهده . أما الجزء الباقى من الديون ، وقدره نحو عشرة ملايين من الجنيهات ، ويشمل ديون سعيد قصيرة الأجل ، فقد كان يكفى لسدادها كلها تخفيض الانفاق الحكومى بأقل من ٢٠٪ خلال السنوات الخمس الأولى من حكم اسماعيل[٢] .

ولكن اسماعيل ، كما يعرف الجميع ، لم يفعل هذا ، كما لم يفعل السادات ذلك فيما بعد ، بل زاد الانفاق بدلا من ان يضغطه ، واذا بنا نجد ، بعد ثلاثة عشر عاما من حكمه ، أى ١٨٧٦ وهى السنة التى خرجت ادارة المالية المصرية عن سيطرته واصبحت فى يد المراقبين الماليين من الاجانب ، أن ديون مصر الخارجية (بما فى ذلك ديون الخديو الخاصة) قد بلغت نحو ٩١ مليون جنيه[٣] ، يبلغ حجم خدمتها السنوية (أى حجم الاقساط السنوية والفوائد)

أكثر من ستة ملايين جنيه ، أو مايمثل نحو ٨٠٪ من اجمالى ايرادات الدولة فى تلك السنة[٤] ، وذلك بالمقارنة بعبء خدمة الديون فى آخر عهد سعيد الذى لم يزد على ٣٦٠ الف جنيه أو مايمثل اقل من ٥٪ من اجمالى ايرادات الدولة فى ١٨٦٣[٥]

● نمط التنمية فى عهـد اسمـاعيل

مما يلفت النظر بشدة أيضا ، أوجه الشبه بين نمط التنمية فى عهد اسماعيل ونمطها فى عهد السادات . ففى كلا الحالين كان جل الاهتمام منصبا على مشروعات البنية الاساسية دون احداث أى تغيير يذكر فى هيكل الاقتصاد المصرى لصالح التصنيع . ومع ذلك فمن الخطأ التقليل من شأن ماتم فى عصر اسماعيل من تنمية لهذه البنية الاساسية ، ولاشك عندى فى أن المقارنة بين مااضافه اسماعيل ومااضافه السادات فى هذا المجال ، بالنسبة لما ورثه كل منهما عن سلفه ، هى فى صالح اسماعيل .

إن مايذكر به عهد اسماعيل عادة من بناء القصور الشامخة واقامة دار فخمة للأوبرا وتوسيع الشوارع والميادين وتجميل القاهرة ، ليس فى الحقيقة اهم مااضافه الرجل من عمران . فقد اضاف اسماعيل الى شبكة الرى ما لايقل عن ٨٤٠٠ ميل من الترع وقنوات الرى الجديدة ، فزادت المساحة الزراعية فى عهده بنحو ٧٥٠ ألف فدان بعد أن ظلت ثابتة تقريبا فى السنوات العشر السابقة على حكمه . كذلك اضاف اسماعيل ٩١٠ أميال من السكك الحديدية ربطت بين كافة مدن الدلتا الاساسية ووصلت الى اسيوط والفيوم ، وبنى ٤٣٠ جسرا ومد ٥٢٠٠ ميل من خطوط التلغراف . واصلح ووسع ميناء الاسكندرية واضاف ١٥ فنارا على البحرين المتوسط والاحمر . كان اسماعيل قد ورث عن سعيد ١٨٥ مدرسة من المدارس الحديثة فأصبح عددها عندما ترك الحكم ٤٨١٧ مدرسة . أما فى مجال التصنيع فتكاد تقتصر مساهمة عصر اسماعيل على التوسع الكبير فى مصانع السكر ، وفيما عدا ذلك لانكاد نجد مايذكر لاسماعيل الا انه اعاد فتح مصانع النسيج والطرابيش والأسلحة التى كان قد انشأها محمد على واغلقت فى عهد عباس .

● أنماط استهلاكية جديدة

فلنلاحظ ايضا ماشهده عصر اسماعيل ، مثلما شهد عصر السادات ، من تغير واضح فى انماط الاستهلاك والزيادة الواضحة فى الاعتماد على الاستيراد لتلبية حاجات هذه الأنماط الاستهلاكية الجديدة .

كانت القوة المحركة لهذا التغير هى فى الأساس تزايد عدد الأجانب المقيمين فى مصر ، الذى بلغ فى نهاية عهد اسماعيل نحو ستة أمثال عددهم فى ١٨٣٦ ، وتزايد عدد حديثى الثراء من المصريين الذين بدأوا يقطنون الأحياء الأوربية فى القاهرة والاسكندرية ويقلدون الأجانب فى نمط معيشتهم ونوع مساكنهم ، ويستوردون

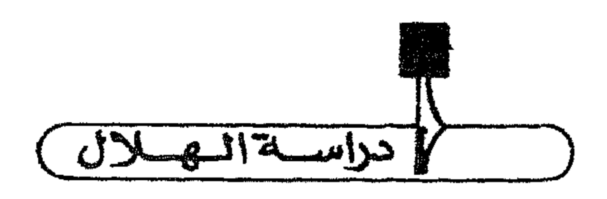
مثلهم معظم حاجياتهم من الخارج ، بما فى ذلك مواد البناء ، بل وأحيانا قطع الحجارة التى ترصف بها شوارعهم[٦]

لايمكن مع هذا ، تفسير تورط مصر

فى الديون فى عصر اسماعيل بما انفق على مشروعات البنية الاساسية أو مشروعات التنمية عموما ، وسوف نرى نفس الملاحظة فيما يتعلق بعصر السادات أيضا . إن كراوشلى يقدر ماأنفق فى عصر اسماعيل على المشروعات العامة ، من قنوات الرى والجسور والسكك الحديدية وخطوط التلغراف الى توسيع الموانىء وانشاء مصانع السكر ، بنحو ٣٩ ميلونا من الجنيهات[٧] ، أو نحو ٥١ مليونا اذا اضفنا ما كان على اسماعيل دفعه لمواجهة التزامات مصر قبل شركة قناة السويس ، ولكن بعد أن تخصم من قيمة هذه الالتزامات ماحصل عليه اسماعيل من قيمة بيع اسهم مصر فى شركة القناة . من الممكن إذن ان نعتبر هذا المبلغ (٥١ مليون جنيه) هو بالتقريب قيمة ماأنفق فى عصر اسماعيل على مشروعات التنمية . ولكن ديون مصر الخارجية زادت فى عهده ، كما رأينا بنحو ٧٣ مليونا . هناك إذن ما لايقل عن ٢٢ مليونا من الجنيهات ، أو نحو ٣٠٪ مما اضافه اسماعيل الى ديون مصر الخارجية ، مما لم تستفد منه التنمية فى مصر ، حتى بفرض أن كل ما أنفق بالفعل على مشروعات التنمية كان يمثل قيمة الزيادة الحقيقية فى رأس المال القومى ، وهو فرض بعيد عن الحقيقة بسبب خضوع اسماعيل لمختلف انواع الغش والتدليس فيما عقده من صفقات لاستيراد المعدات والتجهيزات يضاف الى ذلك بالطبع ماتحقق من زيادة فى ايرادات مصر الذاتية خلال حكم اسماعيل ولم يوجه الى مشروعات التنمية . لقد كان المتوسط السنوى لايرادات الدولة فى عصر اسماعيل نحو ٦,٧ مليون جنيه . أو مايمثل نحو ٢٩٠٪ من المتوسط السنوى لأيراداتها فى عصر سعيد (٢,٣ مليون جنيه) . هذ الزيادة فى الايرادات الذاتية للدولة يجب ان تضاف الى مايمكن اعتباره تبديدا فى غير اغراض التنمية .

● خطيئة اسماعيل الحقيقية :

من السهل ان نفسر هذا التبديد للموارد ، الذاتية والخارجية ، بصفات اسماعيل الشخصية ، من ميل طبيعى الى البذخ ، سواء فى انفاقه على نفسه وحاشيته أو فى ضيافته للأجانب ، ومن رغبة لاتقاوم فى كسب رضا ومودة الأوربيين ، وفى تحويل مصر إلى « قطعة من أوربا » . ولكن الأقرب الى الحقيقة هو أن الجزء الأكبر من ذلك الفارق بين ماانفقته اسماعيل على مشروعات التنمية وبين قيمة الزيادة فى ديون مصر الخارجية فى عهده ، لم يتسلمه اسماعيل فى الواقع اصلا ، **بعبارة أخرى ، إن حجم التبديد الاستهلاكى الذى يرتبط عادة باسم اسماعيل ، إنما يبدو ضخما حقا اذا قارنا بين ماانفقه على التنمية وماضافه من ديون ، ولكنه يظهر لنا فى الحقيقة أقل من ذلك بكثير اذا قارنا بين ماانفقه على التنمية وماستلمه بالفعل من المقرضين ، بعد خصم مختلف انواع السمسرة والعمولات**



والمصاريف التى كان المقرضون الأجانب يقتطعونها ابتداء من القيمة الاسمية للقرض . فطبقا للأرقام التى يوردها أوين ، كانت القيمة الاسمية للقروض الخارجية التى عقدت فى الفترة الممتدة بين ١٨٦٢ (وهى آخر سنة من حكم سعيد) و١٨٧٣ ، هى ٦٨,٥ مليون من الجنيهات ، لم يتسلم منها سعيد واسماعيل الا ٤٦,٦ مليون ، أى مايقل بنحو ٢٢ مليونا عن القيمة الاسمية(٨) كذلك فإنه طبقا للأرقام التى يوردها مارلو عن قروض اسماعيل وحده فيما بين سنة اعتلائه للعرش (١٨٦٣) وسنة ١٨٧٦ ، كانت القيمة الاسمية للقروض الخارجية طويلة الأجل التى عقدها اسماعيل هى ٥٣ مليون لم يتسلم منها بالفعل إلا ٣٢ مليونا ، أى ما يقل عن القيمة الاسمية بمقدار ٢١ مليون جينه(٩) ، وهو مايكاد يعادل بالضبط مااعتبرناه المبلغ « المبدد » من قروض اسماعيل الخارجية . لم تكن خطيئة اسماعيل الاساسية اذن هى « التبديد » بقدر ما كانت هى محض اللجوء الى الاستدانة فى ظل الشروط القاسية التى كانت تقدم بها القروض . ولكن هذه الخطيئة من السهل أيضا تفسيرها بما سبق أن ذكرناه من قبل من أنه فيما يتعلق بالاقراض والاقتراض ، يبدو أن مايحدث هو أن « العرض يخلق الطلب » أكثر مما يحدث العكس ، أى أن تورط المدين فى الاستدانة قد لايرجع الى حاجته الى الاقتراض بقدر مايرجع الى حاجة الدائن الى الاقراض .

● حاجة أوربا إلى التجارة والاستثمار الخارجى

لم يكن من قبيل المصادفة أن يكون تورط مصر فى الديون مصاحبا لتورط الدولة العثمانية فيها (كما سوف نرى فى السبعينيات من القرن العشرين حيث كان تورط مصر فى الديون جزءا من مظاهرة دولية عامة) أو أن يأتى افلاس اسماعيل فى ١٨٧٦ بعد سنة واحدة من افلاس الباب العالى . وإنما جاء تورط الاثنين وافلاسهما استجابة فى الأساس ، لالميل كل منهما الى التبذير وتبديد الأموال ، وإنما لشدة حاجة أوربا إلى الاقراض .

كان هناك أولا تزايد أهمية التجارة الخارجية بصفة عامة بالنسبة للاقتصاد الأوربى منذ منتصف القرن ، وتزايد أهمية منطقة الشرق الأوسط فى هذه التجارة ومن ثم تزايد الحاجة الى دفع المزيد من رءوس الأموال الأوربية لتمويل هذه التجارة من ناحية ، ولتمويل مشروعات البنية الأساسية التى تخدمها ، من مد السكك الحديدية الى توسيع الموانى الى إنشاء خطوط التلغراف .. الخ ..

يذكر أوين أن العقدين السادس والسابع من القرن الماضى شهدا معدلا للنمو الاقتصادى فى بريطانيا وفرنسا غير معهود فى تاريخ الدولتين ، مما انعكس فى حجم تجارتهما الخارجية . ففى

بريطانيا تضاعف حجم الصادرات فيما بين ١٨٤٨ ، و١٨٥٧ ثم تضاعف مرة أخرى خلال الاثنتى عشرة سنة التالية ، كما زادث الواردات والصادرات الفرنسية بما يقرب من ١٠٠٪ فيما بين ١٨٥٢ ، ١٨٦٠ ، وصاحب ذلك زيادة كبيرة أيضا فى حجم التجارة بين كلا الدولتين وبين مصر وتركيا(١٠) .

كانت هناك أيضا الزيادة الكبيرة فى حجم رءوس الأموال الجاهزة للاستثمار الخارجى ، وماصحب ذلك من نمو المؤسسات المصرفية الأوربية التى قامت لتعبئة هذه المدخرات وتوجيهها الى الخارج ، وفى وقت كانت قد انتهت فيه فرص الاستثمار فى مد السكك الحديدية فى داخل بريطانيا وفرنسا وبدأت تنضب فرص الاستثمار المجزى الأخرى فى كلا الدولتين .

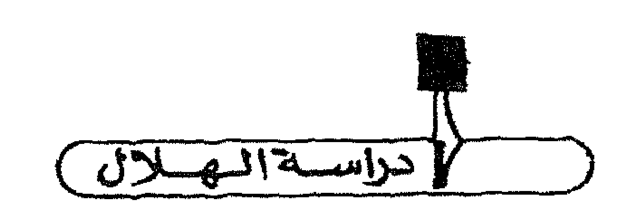
وأخيرا كان هناك محض التنافس بين الدول الأوربية على كسب موطأ قدم لها فيما وراء البحار وتدعيم وجودها الاقتصادى والسياسى ، وخشية كل منها أن تسبقها غيرها فى توسيع دائرة نفوذها .

كان الشكل المفضل من أشكال الاستثمار الخارجى فى ذلك الوقت هو تقديم القروض للحكومات .. ففضلا عن امكانية الحصول من الوالى على عائد مجز ، ومايمكن الحصول عليه من ضمانات وعمولات ، كانت قدرة الوالى على استيعاب القروض كالبالوعة التى تتسرب منها المياه بلا نهاية ، وكان من أسهل الأمور اخضاعه لمختلف انواع الاغراء أو التهديد ، واذا لزم الأمر استبدال غيره به .

● صناديق وخبراء

لاأعتقد أن من المفيد الاطالة هنا فى تتبع الخطوات التى أدت بها الديون الى فقدان مصر لاستقلاليها الاقتصادى والسياسى فى أواخر عهد اسماعيل ، فالقصة معروفة ومشهورة ، وإنما يكفى فقط أن نروى بسرعة الملامح الرئيسية للتطورات التى صاحبت آزمة الديون فى أواخر السبعينيات من القرن الماضى ؛ لكى نلفت النظر الى أوجه الشبه بينها وبين التطورات التى حدثت فى أواخر السبعينيات ، وأوائل الثمانينيات من القرن الحالى .

لقد بدأ التدخل الأجنبى بقبول الخديو اسماعيل ، تحت وطأة الديون ، أن يضع تحت تصرف « الخبير » البريطانى كيف فى ١٨٧٥ ، مايريد جمعه من معلومات عن ايرادات مصر ومصروفاتها ، بشرط ألا يعنى ذلك ، على حد تعبير المذكرات الرسمية المتبادلة حينئذ « أى تدخل أو عدوان على السيادة المصرية » ! ثم اضطر اسماعيل فى السنة التالية (١٨٧٦) إلى قبول إنشاء صندوق الدين المكون من مراقبين أوربيين يمثلون أهم الدول الدائنة تكون مهمتهم تسلم وتوزيع ماتضعه الحكومة تحت تصرفهم من ايرادات بغرض تسديد الديون ، والى أن يقبل فى نفس السنة شروط التسوية التى فرضها ممثلا الدائنين (جوشن الانجليزى وجوبير الفرنسى) بإعادة جدولة الديون ، على نحو يتشبه مايجرى فيما نسميه الآن نادى باريس .



على أن كل هذا ، ما كان يكفى لطمأنة الدائنين ، ما لم يصحبه الاطمئنان على تنظيم ايرادات ونفقات الحكومة المصرية ، بما يوفر فائضا كافيا لخدمة الديون ، مما ادى الى تكوين لجنة التحقيق فى ١٨٧٨ ، التى تذكر توصياتها ، بما يطلبه صندوق النقد الدولى فى وقتنا الراهن ، تحت مسميات مختلفة ، كاصلاح المسار الاقتصادى ، أو إجراءات التصحيح والتكيف أو ترشيد السياسة الاقتصادية .. الخ .

يقول مارلو فى وصف هذه الفترة التى انقضت بين قبول اسماعيل لشروط التسوية ، أو إعادة الجدولة ، فى نوفمبر ١٨٧٦ ، وبين تشكيل لجنة التحقيق فى مارس ١٨٧٨ :

« كان هناك ميل متزايد لدى دائنى مصر الى الاعتقاد بأن شيئا ما ، يتعين عمله لضمان السيطرة على تصرفات الخديو . وحاول اسماعيل ان يستخدم فى المعركة الدائرة بينه وبين الدائنين كل وسيلة كان بإمكانه استخدامها ، مهما كانت المحاولة يائسة ، كالاعتماد مثلا على أن الحكومة البريطانية ، قد لاتهمها مصلحة الدائنين بقدر ماتهمها مصلحتها الاستراتيجية فى مصر باعتبارها واقعة على طريق انجلترا الى الهند .. أو مسايرته وانصياعه لرغبات الحكومة البريطانية فيما يتعلق بمصالحها فى البحر الأحمر وافريقيا الوسطى .. أو محاولته الحصول على مساعدة بعض الشخصيات الأوربية البارزة التى كانت تبدى تعاطفا معه .. بل وحاول أن يستغل عاطفته الوطنية المصرية الوليدة والشعور الدينى لاثارة غضب المصريين على طريقة الأوربيين فى ابتزازه .. ولكن اضطر اسماعيل للخضوع التام والاستسلام فى النهاية . كما حدث بالضبط فى قبوله لتسوية جوشن وجوبير ، نتيجة لاتفاق الحكومتين البريطانية والفرنسية على اتخاذ مسلك واحد ازاءه(١١) .

أما محاولة اسماعيل الأخيرة لاستعادة سيطرته ، فقد كلفته عرشه . فإذ تجرأ اسماعيل على عزل مجلس الوزراء الذى فرضه عليه الأوربيون واستدعى شريف باشا لتشكيل وزارة مصرية خالصة ، وإذ حاول أن يطبق مشروعه الخاص للاصلاح المالى وتجاهل المشروع الذى اعدته لجنة التحقيق ، أرسلت الحكومتان البريطانية والفرنسية مذكرتين متطابقتين تحملان الخديو مسئولية ماصنع ، وتعتبر محاولته « للتصرف فى شئون الدين المصرى وفق تصوره الخاص » من قبيل « الاعتداء المباشر والصريح على الاتفاقات الدولية(١٢) . وسرعان ماسعت الحكومتان لدى الباب العالى لعزله وهو ماتم بالفعل فى ٢٦ يونيه ١٨٧٩ ، ولم يكن قد انقضت بعد عشرة اسابيع على قيام اسماعيل بطرد الوزارة الأوربية .

● قصة إسماعيل المفتش :

لايجوز مع ذلك ان نروى قصة الديون

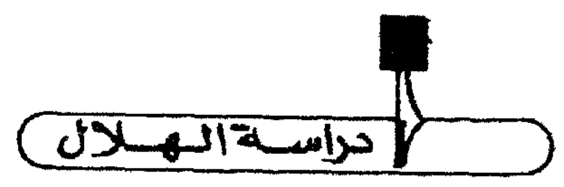
فى عهد اسماعيل دون أن نأتى على ذكر قصة اسماعيل المفتش ، ذلك اللغز الذى يكتنفه الغموض ويختلف حوّله الرأى . كان اسماعيل صدّيق ، الذى اشتهر باسماعيل المفتش ، صديقا لاسماعيل منذ الطفولة وأخاه فى الرضاعة ، ومديرا لمزارعه ، قبل أن يعينه اسماعيل وزيرا للمالية فى ١٨٦٨ .

ولكنه قتل فى ظروف غريبة فى ١٨٧٦ ، وهى نفس السنة التى انشىء فيها صندوق الدين ، والتى جاء فيها جوشن وجوبير الى مصر كممثلين للدائنين الأوربيين ، وأجبرا الخديو على وضع ايرادات مصر من السكك الحديدية وميناء الاسكندرية تحت السيطرة الأجنبية كضمان لتسديد ديونه . فى نفس هذه السنة كان اسماعيل المفتش قد اجبر أيضا على الاستقالة كوزير للمالية بناء على الحاح جوشن الذى يصفه الرافعى بأنه كان « وزيرا سابقا فى الوزارة الانجليزية ، ثم عاد الى الوزارة فى سنة ١٨٨٧ ، وهو ابن المالى جوشن أحد اصحاب بنك فرهلنج وجوشن بانجلترا ، وهو البنك الذى أقرض مصر قروضها الأولى »[١٣] . ثم أعلن رسميا عن وفاة اسماعيل المفتش بعد استقالته ببضعة أسابيع .

هناك ثلاثة مواقف مختلفة على الأقل فى تقييمٌ اسماعيل المفتش وتفسير مقتله . هناك أولا رواية الرافعى البالغة القسوة والتى يصب فيها جام غضبه على اسماعيل المفتش ويصفه بأنه كان هو نفسه « من الكوارث التى حلت بمصر فى عهد اسماعيل » وأن سنوات توليه لوزارة المالية « هى التى جرت الخراب المالى على البلاد (وانها) اتعس فترة فى تاريخ مصر الحالى » ويقول إنه « أثرى ثراء فاحشا ، وقلد مولاه فى عيشة البذخ والاسراف والاستكثار من القصور والأملاك والجوارى والحظايا ، واليه يرجع السبب فى استدانة الحكومة نحو ثمانية ملايين جنيه ضاع معظمها سدى » ويميل الرافعى الى أن الخديو اسماعيل هو الذى أمر بقتله خوفا من ان يكشف اسرار الخديو وبذخه واسرافه ومن أن يشرك الخديو معه فى المسئولية عن تبديد أموال الدولة ، « فعهد الخديو الى اتباعه بقتله فقتلوه والقوا جثته فى النيل »[١٤] .

ولاتختلف رواية الرافعى كثيرا سواء فى تفاصيل مقتل المفتش ، أو فى القاء المسئولية فى قتله على الخديو اسماعيل ، عن رواية ويلفرد بلنت فى كتابه الشهير « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر »[١٥] . ولكننا نجد موقفا مختلفا بعض الشىء عند مارلو الذى يصف اسماعيل المفتش بالكفاءة والاخلاص التام للخديو ، وإن كان قد « كرس هذه الصفات الشخصية لامتصاص اكبر قدر ممكن من المال من الشعب المصرى ، ونجح فى ذلك اكثر من اللازم .. وأثرى هو نفسه ثراء كبيرا » .

ويذكر مارلو أيضا ان اسماعيل المفتش هو الذى كان يحرض اسماعيل على رفض اقتراحات جوشن وجوبير الخاصة بتسوية الديون وتخصيص ايرادات السكك الحديدية لخدمتها ،



ويرجح مارلو وجود اتفاق ضمنى بين الخديو وبين جوشن وجوبير للتخلص من اسماعيل المفتش كطريقة للوصول الى تسوية مع الدائنين الأوربيين وكسب رضا الحكومتين البريطانية والفرنسية[١٦] .

على اننا نجد موقفا ثالثا ومختلفا الى حد كبير عن الموقفين المتقدمين لدى رودشتين مؤلف كتاب « خراب مصر » حيث يبدو الكاتب شديد التعاطف مع اسماعيل المفتش بحيث يكاد يجعله بطلا قوميا ، فيصوره فى صورة الرجل الوطنى الذى رفض التدخل الأوربى فى شئون مصر وحاول مقاومته ، ويصور مقتله على أنه الثمن الذى دفعه الرجل لهذه المقاومة ، ويجعل الدائنين الأوربيين المسئولين الأساسيين ، إن لم يكونوا المسئولين الوحيدين عن قتله . يرفض رودشتين الصورة التى رسمها المعلقون الأوربيون لاسماعيل المفتش على اساس انهم كلهم « من اصدقاء المستر جوشن وحملة السندات » حيث صوروا المفتش « كمثال للباشا الشرقى ، فقالوا إنه كان رجلا فاقد الضمير ، غليظ القلب ، خائنا ومتعصبا » لمجرد أنه كان « يقف بينهم وبين تحقيق اغراضهم الحقيرة » ، والحقيقة فى نظر رودشتين أن موقف المفتش « كان هو الموقف الصائب من جميع الوجوه ، كان يقول انه اذا وصل الأمر الى اتفاق مع الدائنين ، فإن منتهى السفاهة أن يكون اساس الاتفاق تحميل مصر بسعر فائدة قدره ٧٪ ، فى حين ان ٥٪ هو اقصى سعر تستطيع مصر دفعه دون ان تجر على نفسها الخراب وأما الرضا بوضع رقابة على المالية المصرية ، التى ليست فى الواقع إلا رقابة على الادارة المصرية كلها ، فقد كان فى رأيه لايعنى ألا تسلم البلد للأجانب ، وهو أمر لا يختلف عن الخيانة العظمى فى شىء»[١٧] أما مقتل اسماعيل المفتش فيرى رودشتين انه « إذا لم يكن قد تم بناء على التحريض المباشر من جانب الدائنين الأوربيين وممثليهم فى مصر ، فهو قد تم على الأقل نتيجة قسوتهم المفرطة فى الضغط على الخديو الى حد اضطراره لقتله » ويستند رودشتين فى ذلك الى مقاومة المفتش للتسوية التى كان الدائنون يريدون فرضها على الخديو ، واعتبارهم التخلص منه « مسألة حياة أو موت » ، والى ماكانت تنشره جريدة التايمز البريطانية من اعتبار المفتش « العدو الأول للاصلاح » وابتهاجها الشديد بسقوطه ، والرواج المفاجىء الذى أصاب بورصة الاسكندرية بمجرد أن ترددت شائعة سقوطه ، والى خطاب القنصل الانجليزى لحكومته بمجرد حدوث مقتله حيث قال انه « قد قوى الأمل كثيرا فى نجاح بعثة جوشن وجوبير عقب سقوط ناظر المالية السابق » والى انه لم يمض اسبوع واحد على مقتله حتى أعلن اسماعيل قبوله لمشروع جوشن وجوبير للتسوية . ويرفض رودشتين رواية بلنت عن مقتل اسماعيل المفتش على أساس ان بلنت قد استقاها مباشرة من السير ريفرز ويلسن ، وهو البريطانى الذى تولى وزارة المالية فى مصر بعد سقوط المفتش ،

والذى رأس لجنة التحقيق التى جاءت الى مصر لفرض إرادة الدائنين ، ومن ثم فلديه مصلحة أكيدة فى اخفاء الحقيقة . وأخيرا يذكر رودشتين ان قنصل انجلترا العام فى مصر فى ذلك الوقت (اللورد فيفيان) نسب جريمة قتل المفتش الى شخص حدث فيما بعد أن انعمت عليه الحكومة البريطانية بلقب « سير »(١٨) .

هوامش الدراسة :

(1) Crouchley, A:The Economic Development Of Modern Egypt, Longmans, London, 1938, p.134.

(٢) اعتدمت فى الوصول الى هذه النتائج الى ارقام الايرادات والنفقات الحكومية الواردة فى كراوشلى ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(3) Marlowe,J: Spoiling The Egyptians, Andre Deutsch, London, 1974,pp.224-6.

وادفيد لاندز ، بنوك وباشوات ، ترجمة د . عبد العظيم انيس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١١٥ .

(٤) حسبت بالاعتماد على أرقام كراوشلى ، ص ٢٧٦ ، ومارلو ص ٢٢٤ .

(٥) حسبت من الأرقام الواردة فى :

Owen, R: The Middle East in The World Economy, 1800-1800 1914 - ,Methuen, London, 1981, P. 124.

(٦) انظر اوين ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ، وص ٣٢١ .

(٧) كراوشلى ، ص ١١٧ ، ومارلو ، ص ١١٢ .

(٨) أوين ، ص ١٢٧ .

(٩) مارلو ، ص ١١٢ .

(١٠) أوين ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(١١) مارلو ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(١٢) مارلو ، ص ٢٥٠ .

(١٣) عبد الرحمن الرافعى . عصر اسماعيل ، الجزء التانى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ . ص ٦٢ .

(١٤) .الرافعى ، المرجع السابق ، ص ٦٣

(15) BLUNT,S: Secret History Of The English Occupation Of Egypt, Unwin, London, 1907, pp. 34-41.

وقد اعاد نشره فى مصر المركز العربى للبحث والنشر فى ١٩٨٠ .

((١٦) مارلو ، ص ٢٢٣ .

(17) Rothstein, T: Egypt's Ruin, London, 1910.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية للمرحومين العبادى وبدران ، بعنوان « تاريخ المسألة المصرية » دار الوحدة ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٤٠ ، مع تعديلات لفظية طفيفة

(١٨) رودشتين ، ص ٤١ .



● مختصر تاريخ مصر ●

● قرأت عرضا لكتابى « مختصر تاريخ مصر » فى عدد ديسمبر الماضى من الهلال ، كتبته هبه عادل عيد • واننى لفخورة أن تعرض مجلة الهلال كتابى على المجتمع العربى المثقف وأشكركم على هذا ولكننى أبدى بعض الاعتراضات على نقد الاستاذة هبة •

١ ـ تزعم الاستاذة هبة أننى « معتقدة بوجهة نظر غربية » واننى « اصر بعناد غريب » على أن العرب حينما فتحوا مصر كانوا فى نظر المصريين شعبا أجنبيا يختلف عن المصريين فى اللغة والدين • وهذا واقع تاريخى لا نقاش فيه ولا عناد أيضا •

٢ ـ تدعى الاستاذة هبة أننى وصفت الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بالطفولة « غفلة طفولية » وهذا ادعاء خاطىء يجوز أنه ناتج عن سوء فهم الاصطلاح الانجليزى ، فكلمة PETALIATION التى استعملتها معناها « مقابل بالمثل » وليس فيها معنى الطفولية •• ويبدو لى أن الاستاذة هبة خلطت بين هذه الكلمة واصطلاح آخر هو BRAIN CHILS وصفت به مشروع السد العالى وهو بمعنى « بنت فكر » الرئيس ، وهو أيضا لا يحتوى معنى الطفولية •

٣ ـ واخطأت الاستاذة هبة أيضا فى المقارنة بين جمال عبد الناصر وأنور السادات ، وانا لم ادهش من ان الشعب المصرى قد احب جمال عبد الناصر ولكننى أشرت الى دهشة الشعب الامريكى الذى لم يستطع ان يفهم حب الشعب المصرى لجمال ، وعدم حبه للسادات !••

عفاف لطفى السيد
استاذة تاريخ الشرق الاوسط

● ناصر •• لا ناهد ●

● نشر لى ببابكم المفضل لدى بضع كلمات ارسلتها الى مجلتكم عبر الخطوط البريدية واشكر لسيادتك الانتقاد الموجه الى •• ولكن الذى أدهشنى أن أبياتى جاءت تحت اسم ناهد السيد طه وليس ناصر السيد طه فهل هذا معقول ؟! ••
أرجوا الا أكون قد أخطأت فى اسمى لهذه الدرجة ؟!

ناصر السيد طه ـ السويس

● تعليق ●

ـ نأسف لهذا اللبس فى اسمك ، ولكن خطك هو السبب ، فقد قرأنا اسمك كما كتبتم حروفه ، ونرجو أن تتنبه الى توضيح حروف اســمك لانها مازالت تحتمل اللبس ، فحرف الصاد فى خطك يشبه حرف الهاء ، والراء تشـبه الدال ، ولعلك ضحية طريقة « شرشر» المشئومة المشبوهة ، كغيرك من ابناء جيلك الـذى علموه اللغــة العربيــة بالامريكانى !

● مصرية ●

اضاعوا الغناء ‥ وسـدوا السماء
باصـواتهم ‥ انها منـكرة
وها نحــن جئنـا فـداء اليـك
لنــوقظ أمجـادك الغــابرة
ونكتـب عنــك اغــاريد حــب
نعيد طيــور الهــوى الهـاجرة
ونرجــع للشـعر أيــامه ‥
قــواف شواف بنـا زاهــره
ونكتـب عنــك فهــل تقــرأين
ضـياء كتابــاتنا النــادره ؟!
اذا ما كتبنــا فـكل الوجـود
عيـون بشـوق الهـوى ناظــره
وانت التى غضـت الطـرف عنـا
لتصــلى لظى الجفــوة الســاعره



د • احمد عامر
شبين القناطر

● اعتذار الى القارىء ●

● يعتذر تحرير الهلال الى القـارىء الكريم من اخطاء مطبعية وقعت فى بعض مقالات العدد الماضى ، ففى مقالة «عزيزى القارىء » ورد بيت شوقى :

لم يــر الشرق مثـل سـعد زعيما هــزه من بطــاحه ورعــانه

وقد تبدلت فيه كلمة « ير » وهى فعل مضارع مجزوم بحرف « لم » ‥ الى كلمة « يرد » ‥ وهذه غلطة تخل بوزن الشطرة الاولى من البيت ولا معنى لهذه الكلمة هنا ! ‥

وفى مقالة « الحقائق الغائبة » وردفى صفحة ٢٠ البيت القائل :

يا ايهــا الرجــل المعلــم غيره هــلا لنفسـك كــان ذا التعـليم



وجاءت كلمة « التعليم » منصوبة « التعليما » ‥ وهذا خطأ فى النحو يؤسف له ، فضلا عن أنه يغير شكل القافية فى القصيدة كلها ! ‥

وفى مقالة « غراميات العقاد » وردت فى صفحة ٩٥ هذه العبارة : « وفيهم من لا يستحل الكذب ووضع الاخبار » ‥ وقد استبدل لفظ « يستحل » ـ وهو الصحيح ـ بلفظ « يستحمل » الذى لا وجود له فى أصل المقال ‥

ونترك لفطنة القارئ ما قد يعثر به من أخطاء مطبعية أخرى ! ‥ وقد صارت الاغلاط المطبعية مرض الصحافة العربية بعد ما تدهور تعليم اللغة العربية .

● الوردة المفقودة ●

مكتوب فى دفتر أشعارك :
الفكر جنون ‥
والعقل سجون
والشعر يقود الرحلة للمجهول
لا يا ذات العينين النجلاوين
فبحق الموج الهادر فى عينيك الدافئتين .
وبحق السحر الكامن فى شفتيك الهامستين
كلماتك تنقر نافذتى
كطيور النورس حين تلوذ بنافذة العشاق
فتبعثر فى كفى الكلمات
ورنين اللفظ الحالم فى أشعارك
يتحدى أفكارى
ويقطع أوتارى الخرساء
وأنا ‥ مملوء بالدهشة ‥ بالبهجة ‥ بالتذكار
أتطلع من خلف الليل المرهق
أرنو لسماء مشروخة
لكنى حين يقهقه خلفك ماء النهر
أعدو ‥ أسرع ‥ مذعورا أمضى
أنتشل الاحلام الوردية !

محمد بخيت ـ أسوان



● اعتذار الى بعض الادباء ●

● انهالت علينا مقالات يرد بعضها على بعض ·· فهـــذا اديب يتهم ذاك الاديب بالسرقة من انتاجه او من انتاج غيره ·· والاديب الآخر ينبرى لتكذيب ذلك جملة وتفصيلا ، حتى صرنا حائرين لا ندرى الحقيقة ، وفى الوقت نفسه بلغت لغة الاتهامات حدا غير مقبول من تبادل الالفاظ الجارحة ·· ونحن لا ناقة لنا ولا جمل فى هذه القضية ، وقد صـــارت حياة الادباء الشــبان ـ مع الأسف ـ احقادا متبادلة لا تخبو نارها ، ولــذلك نعتذر من عدم نشر شيء على الاطلاق فى هذه الامور العجيبة ، ونرجو أن يحاول السادة المعنيون بهـــذه الكلمة حـــل مشكلاتهم بالحســـنى ، ونذكر منهم : صبرى قنـديل والامير كمــــال فـــرج وعشرات التوقيعات التى جاءتنا باسماء ادباء كفر الزيات وغيرهم ·

● الادباء الشبان مرة اخرى ●

● الى متى نظل حائرين فى نشـــر انتاجنا الادبى ؟!

هل اصبح الشعر «قاصرا» على بعض الادباء الكبار أصحاب الفنادق الادبية · والاعتذار والشـــكر يصبح من نصيب لادباء الشبان « الذى » انتمى اليهم سيدى · لا أدعى اننى « شاعرا فذا » ولكنى امتلك أدواتى الفنية ولم تعـــد قصائدى تحتاج الى جبائر او «دروسا» فى اللغـــة ·

سيدى اننى لا املك القابا اتجمـــل بها ولكنى اعتز دائما باننى « ممرضا بمستشفى ١٥ مايو «بحلون» وهذا اكبر وسام لى لقد اهتزت صورة الهلال فى نظرى بعد ان أصبحت حكرا للعســـل والطحينة وتلك المهاترات الادبية بين رافض ومعارض فلقد أرسلت لكم اكثر من ثلاث قصائد · لقد ضاق صـــدرى من تلك المعـــاملة السيئة للأدباء التى تقطع عروق الابداع الادبى

وارســل اليــكم « بقدى » لقصــيدة الدكتور احمد عامر علما بانها نشرت فى هـــلال يناير ص ١٨٧ بعنـــوان (الصحراء الحديثة)

ان القصيدة ليس بها اى شيء مـــن الشاعرية بل هى مجرد رصد لجزء من الاشياء الحسية التى يراها اى انســـان عادى ·

فأيـــن اذن الشـــاعرية اذا كنـتم « حريصون » على « ذالك »

لقد كرر الشاعر كلمة هى الصـحراء خمس مرات وكلمـــة أما اليوم مرتين واعاد كتابة السطر الثانى الذى يقـول فيه نحن نعيش فى عصر العمارات التى تعلو وجاء أيضا فى السطر الرابع بهذا السطر مع تغير كلمة نعيش التى فى السطر الثانى بكلمة نحن نموت وايضا ما الفرق بين تعلو وكلمة شاهقة التى جاء « بهم » فى القصيدة وتكرار تعـلو ثلاث مرات وكذلك كلمة تحاول ·· ايضا وهذا بالطبع يرهق الاذن لمتذوق الشعر ·

اشرف محمد ابو العز حلوان



● تعليق :

● لا يعيبك ان تكون ممرضا ، ولا تمنعك اية مهنة من ان تكون من اكبر الشعراء ، ولكنك يا بنى ناشىء لا تعرف اللغة التى تكتب بها وقد وضعنا بعض اغلاطك ٠٠ فى النحو والصرف والاملاء بين اقواس ، لتعرف انك لا تستطيع حتى كتابة خطاب صحيح اللغة ، فكيف تكتب مقالا او تنظم قصيدة ؟!

انك لا تملك انتاجا ادبيا لتقول : الى متى نظل حائرين فى نشر انتاجنا الادبى ؟ !

قد سبق ان فندنا اسطورة « الادباء الشبان » الذين يضطهدهم الشيوخ ، وقلنا اننا ننشر لشاعر فى العشرين من عمره اذا كان ناضج الشعر ولا ننشر لاخر فى التسعين من عمره اذا كان شعره رديئا ، وقد تضخمت اكذوبة الاجيال والاعمار بين بعض الناشئين من الادباء ليستتروا بها عجزهم ورداءة انتاجهم ، ولا نريد لك ولا لغيرك ان تكون من هؤلاء العاجزين المستترين وراء اكذوبة صراع الاجيال ، واضطهاد الشيوخ للشبان، والمشهورين للمغمورين !

● طه حسين والهلال ●

● كم انا معجب بالجولة الخاطفة مع الدكتور طه حسين وكبار ادباء جيله ، وصولا الى جيلنا وادبائه وقرائه فى بابنا العزيز « عزيزى القارىء » تحت عنوان : « قصة الهلال وكتاب الايام » فما اقرب اليوم من البارحة ٠٠ فهل التاريخ يعيد نفسه ، فالمطالبة بمصادرة كتاب : فى الشعر الجاهلى ، وابادته ٠٠ لا تختلف عن المطالبة بمصادرة « كتاب : الف ليلة وليلة » ،وحرقه لقد ساعدت مجلتنا المحبوبة الهلال الغراء الدكتور طه حسين على نشر كتابه : « الايام » ٠٠ وقدمت لمصر والعالم ، عملاقا عظيما ٠٠ نعم ما احوجنا اليوم الى طه حسين جديد فهل يعيد التاريخ نفسه ؟!

عاصم فريد البرقوقى الاسكندرية

● الحديث المتع ●

● لكى نحسن الحديث ، يجب الا ننسى ان الحديث فى المجتمعات والندوات ، أشبه بقطعة موسيقية تعزفها فرقة كبيرة فى هذه الفرقة الموسيقية تقوم كل آلة من الآلات العازفة بدورها ، دون أن يفكر أحد العازفين فى التعدى على

عمل غيره ، أو ارسال نغمات شـــاذة تفسد نغمات الالات الاخرى ، بـل عليه ان يتذكر دائمـــا أنه واحد من فـرقة كبيرة ، وزعت أدوارها ٠

قد يدعي أحد كبار العازفين بـــين فترة واخرى الى العزف وحده ، ولـكن هذا يجب الا يطول ، ليحتفظ بأعجـــاب الحاضرين ، ولا يثير حقد الحاسدين ٠

هكذا الحـــال عند الحـــديث في المجتمعات ، يجب أن يشترك فيه جميـع الحاضرين ، كل في حدوده ، بغير اطالة أو أنانية ، فالحـــديث ليس درسا أو محاضرة يلقيها طرف واحد ، بـــل هو شيء عام ، أشبه ما يكون بلعـــب كـرة القدم ٠٠

احمد يعطى الكرة لابراهيم ، وابراهيم يعطيها لمحمد ، ومحمد يدفعها الى الامام ٠٠ وسرعان ما يصدها منير ، فيعيدها سليمان اليه ٠٠ وهكذا ٠٠ حركة دائمـة فيها لذة ومتعة ٠

ومثل المحدث الذى يستاثر بالحديث وقتا طويلا كمثل لاعب كرة القدم الذى يستحوذ على الكرة أغلب الوقت ، ينقلها من ركن الى ركن ، ومن أول الملعب الى نهايته ، دون أن يتيح لفريقه فرصـــة اللعب والاسهام فيه ٠٠ لاشك ان النظارة عندئذ تشعر بملل وضيق شديد ، وكثيرا ما ترتفع أصواتهم بالسخط عليـــه ، وعدم الرضا عنه ، لأن فى انتقال الكرة من قدم الى قدم ، ومن موضع الى آخر ، ومن فريق الى فريق ، ومن لاعـب الى لاعب ، باعثا على الرضا ومبددا للملل فى أمثال هذه المباريات ٠

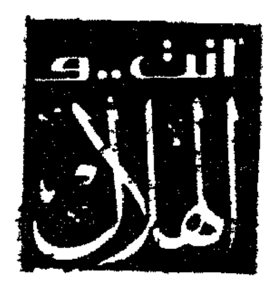
هكذا الحال فى الحديث ، يجـب أن يكون عاما شاملا كل الحاضرين ، فوردة من محمد وزنبقة من ثريا وريحانة من ابراهيم اذا اجتمعت كل ففى اجتماعها طاقة فكرية ممتعـة ، ولهذا وجـب ان يكون الحديث قصيرا يتبعـه فـترات اصغاء لتشجيع الغير على المساهمة فيه من جهة ، ولتعينه هو على ترتيب أفكاره التى سيدلى بها فيما بعد من جهة أخرى، ومثل فترات الاصـــغاء التى تتخـلل الاحاديث كمثل فترات الصمت فى القطعة الموسيقية ، لولاها لفقدت القطعة بعض سحرها وروعتها ٠

د ٠ عز الدين فراج

● عبد اللطيف النشار ●

● الشاعر الراحـــل عبد اللطيـف النشار شخصية ادبية جديرة بالتنويه ، فهو شـــاعر ونـــاقد فنى ، ومترجم لـــه بصمات خاصة فى الترجمة ، ولد بدمياط عام ١٨٩٥ وورث الشعر عن أبيه الشاعر محمد حمدى النشار وجـــده الكبير ، وتوفى عام ١٩٧٢ ٠

وتعلم فى الكتاب كسائر أبناء جيله وحفظ القرآن الكريم ثم دخل المدرسة الابتدائية وكانت دراسة العلوم كلهـا وقت ذلك باللغة الانجليزية ومن هنا كان مجيدا فى الانجليزية قراءة وترجمـــة وكتابته لها بطلاقة ، وعمل بالصـــحافة



والترجمة فى سن مبكرة جدا وقد اشتغل بالصحافة ما يقرب من ستين عاما وكان زميلا للمرحوم محمد الهيهاوى ومحمود عزمى وعبد الحميد سالم ومحمود ابو الفتح وغيرهم ممن تخرجوا فى جريدة « وادى النيل » وصدر له ديوانان صغيران باللغة العربية عام ١٩٢٠ هما «جنة فرعون» و«نار موسى» وترجم ديوان الاميرة الفارسية « زير النساء » الى الانجليزية وترجم رباعيات الخيام قبل أحمد رامى بالعربية شعرا ، وله اكثر من خمسين رواية بين مؤلفة ومترجمة • كان الشاعر عبد اللطيف النشار صديقا وفيا لابناء جيله مثل العقاد وطه حسين وزكى مبارك وأحمد زكى باشا وعزيز اباظة ويحيى حقى وفكرى أباظة نشرت قصائد المرحوم عبد اللطيف النشار فى مجلة الهلال والرسالة ورعمسيس والجهاد والثقافة والمجلة الجديدة وأخبار دمياط والسفير وصوت الشرق والملاجىء العباسية وديوان الاسكندرية والعصور ودنيا الفن والمقتطف والعزيمة •

وقد رثى كثيرين منهم شوقى وحافظ وعثمان حلمى والعقاد وعادل خيرى وفى قصيدته عن العقاد :

ترك العقاد دنيانا وقد ... زادها حسنا لمن عاشوا وحكمه
علم العقاد من خاطبهم ... انما الدنيا لذى داب وهمه
واحتفاظ بمعان ساميات ... مثل حظ الفرد فيها حظ امه

وتحدث عن زيارة السيدة ام كلثوم لمدرسة الخطوط بالاسكندرية فى قصيدة سلوا قلبى » : ـ

سلوا قلبى واحسبه اجابا ... فقد ترك الملامة والعتابا
تغنت « ام كلثوم » فكانت ... روائع لحنها قلبا مذابا

ويبلغ عدد أبيات ديوانه الضخم عشرة آلاف بيت •

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
كلية دار العلوم

● مع الاصدقاء ●

● **عبده محمد سلطان ـ الجيزة :**

ـ قصيدتكم التى عنوانها « ايمانى واحزانى » مليئة بالحزن فعلا ، نرجو ان تكون أمورك قد صارت الى انفراج ان شاء الله •• واكتب الينا ••

● **محمد عبد الله الهادى ـ فاقوس :**

ـ قصتكم بعنوان « الكلب » •• هى مجرد خواطر قصيرة لا يمكن تسميتها « قصة » ••

● السيد ابراهيم عطية ـ كفرصقر:
ـ لا نجد متسعا لنشر ما يرد الينا من الشعر الاجنبى المترجم ، ولدينا منه كمية كبيرة نحاول نشر شيء منها ٠٠ اما المدح أو القدح فلا أهمية له عندنا ٠ وقد ذهبتم بعيدا فى سوء الظن ، سامحكم الله ، وقد أغنانا الله عن مدحكم ولسنا ممن يتيه عجبا بالمدح ، أو يتاثر بالهجاء والقدح !٠٠

● محمود على الازهرى ـ نجع حمادى :
ـ نرجو أن ترسل الينا قصائد أجود ٠٠ ونرجو ان يكون الخط أكثر ظهورا حتى نستطيع قراءته بسهولة !٠٠

● عبد المجيد محمد عبد المجيد الاسداوى ـ فاقوس :
ـ نرجو ان تكتبوا رسائلكم على وجه واحد من الورقة ليسهل جمع الكلام اذا تقرر نشره ٠٠ واكتبوا الينا ٠٠

● محمد داود (مستشار) ـ الاسماعيلية :
ـ بعثتم الينا بصورة من مقالة سبق نشرها ، ونأسف لاننا لا ننشر المقالات التى نشرت فى مجلات أخرى حرفيا ٠٠

● فؤاد سليم مغنم ـ منيا القمح :
ـ لا بأس بقصيدتك التى عنوانها « أغنيات الرماد » ولكن تعبيراتك مباشرة وجارحة ، كقولك : « والشعر حين تقيح بين تجاعيد صوتى » ٠٠ وفى القصيدة خطأ نحوى كقولك : « كى تقرأين » والصواب : « كى تقرأى » ٠٠ الا أن شعرك فى مجموعه جيد ونرجو ان تستمر فى الكتابة الينا ٠٠

● حجاج حسن دالى :
ـ قصتكم القصيرة « الهرم المقلوب » تدل على ان اتجاهكم الى كتابة هذا اللون سوف يثمر ذات يوم ثمرته ٠ ونأسف لعدم نشر قصتكم هذه ، فليس المهم النشر العاجل ، بل النضج قبل النشر ٠٠

● رضا ابراهيم عبد المعطى ـ دكرنس :
ـ قصيدتكم التى مطلعها :

(تجتاز عبر الفضاء الحر سابحة عينى الى مدلهم الافق والسحب)

تنم عن شاعرية ، الا أن فيها بعض الاخطاء اللغوية ، كقولك « أظلالها السمحاء » والصواب « السمحة » ٠٠ وجمع « غيب » : « غيوب » وأنت جعلته « غيب » بضم الغين والياء ٠٠ ثم نعود لنقول ان شعركم جيد فنرجو عدم الانقطاع عن الكتابة الينا ٠

● السادة الأعزاء : منير ابراهيم عبد الحميد ، فرج مجاهد عبد الوهاب ، محمد ابراهيم الفرحاتى ، عيد على أمين حميدة ، طارق صلاح الدين بندارى محمد جمال شحاته ، عمرو محمد عبد الحميد ، نشكركم على حسن ظنكم بنا ، ونتمنى لكم التقدم فى فن الشعر ، أوزانا ولغة ومضمونا ٠٠ ونعتذر اليكم لضيق المجال ، ونرجو الاستمرار فى الكتابة الينا ، او الكتابة لانفسكم على الاقل ، فلكل منكم موهبة تنتظر الزمن ٠

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

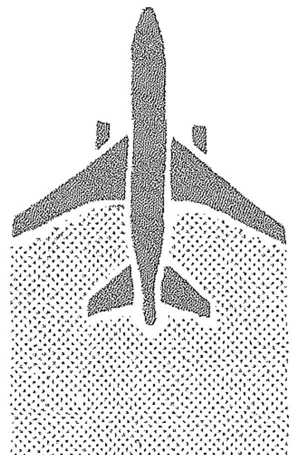
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

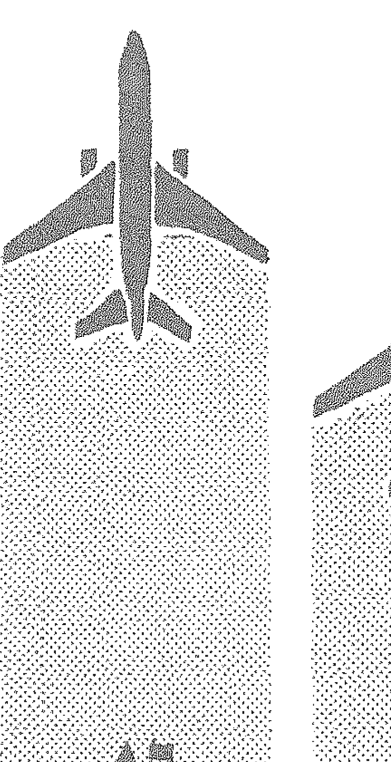
دار الهلال - ١٦ ش محمد عز العرب

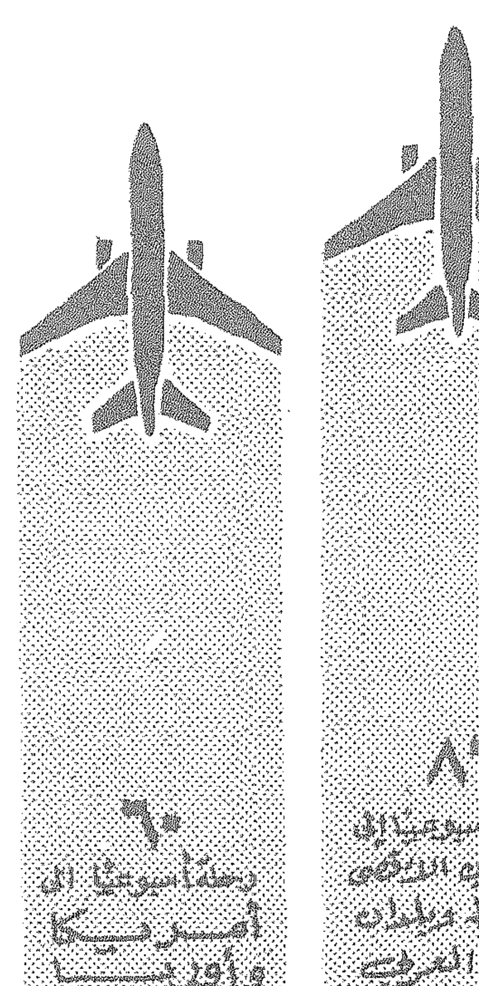
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


٢٠
رحلة أسبوعيًا إلى
أفريقيا


٨٦
رحلة أسبوعيًا إلى
الشرقين الأقصى
والأوسط وبلدان
الخليج العربي


٦٠
رحلة أسبوعيًا إلى
أمريكا
وأوربا

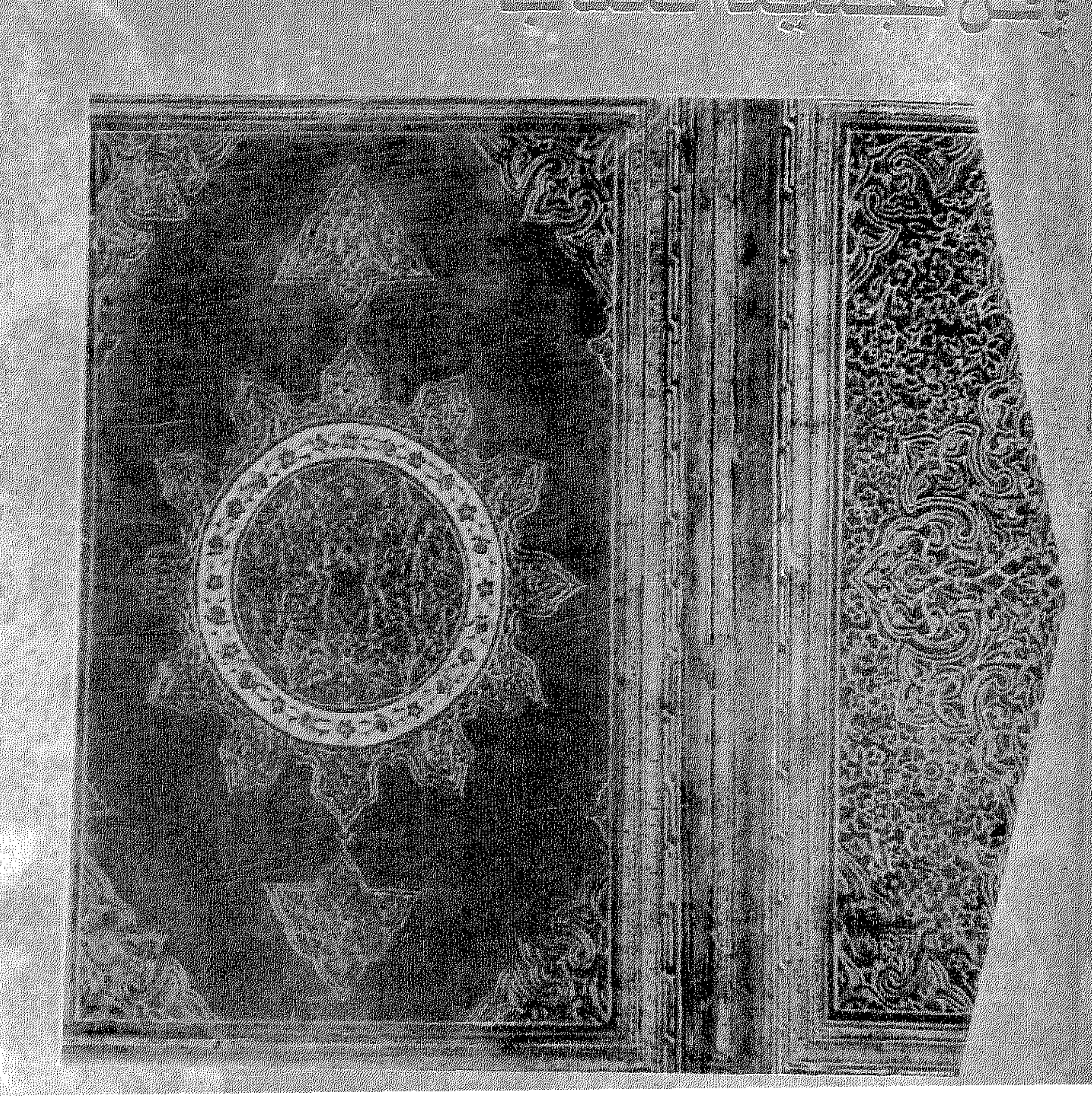
مايو ١٩٨٧ • الثمن ٥٠ قرشًا

الهلال

■ الربا حرام.. ولكن ما هو؟

■ الدين والسينما

القرآن الكريم وفن تجليد الكتاب





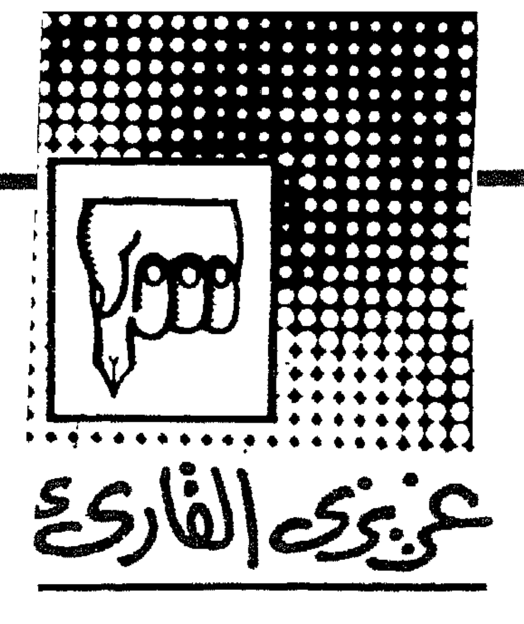
من روائع الفن الإسلامى

إحدى لوحات الفن الإسلامى المستوحاة من الشاهنامة رسمها الفنان الإيرانى مظفر على عام ١٥٧٦م . وجاءت اللوحة تأكيدا على اهتمام الفنان بالمساحة الخضراء . التى تجوب فيها أنواع مختلفة من الجياد فى أحجام متباينة تكشف كيف غير الفنان من المفاهيم التقليدية فى الفن .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان ١٨٩٢ أول ابريل ١٩٨٧ م - ٣٠ شعبان ١٤٠٧ هـ .



شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن ، هو شهر للقراءة والعلم والفكر ، فضلا عن كونه شهرا للجهاد ، وشهرا للصوم والعبادة .. فإن أول آية قرآنية نزلت فى رمضان هى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .. وبهذه الآية صار شهر رمضان موسما للقراءة والتفكير وتدبير حياة المجتمع ، واندفعت الأمة العربية قديما الى التقدم والسبق فى العلم والأدب والصناعة والفن والزراعة .. ثم أدى اهمال القراءة والفكر الى تقهقر العرب والمسلمين ، ثم انهيارهم وتفوق اعدائهم عليهم ، ثم وقوع الأمة العربية والاسلامية كلها ـ من المحيط الأطلسى الى المحيط الهادى ـ فى قبضة هؤلاء الأعداء ! ..

وكان تفوقنا قديما راجعا الى أننا قد صرنا بالاسلام أمة واحدة بعد أن كُنا قبائل متفرقة ، وتركنا الجاهلية البدائية العاجزة عن التنظيم الاجتماعى والسياسى ، الى الحياة المتطورة المتحضرة سياسيا واجتماعيا ، أى أن « الجاهلية » كانت هى فترة ما قبل التنظيم الاجتماعى والسياسى للدولة الموَحَّدة ، وليس للجاهلية معنى « لاهوتى » ساذج كالمعنى الذى حاول ترويجه بعض ذوى التفكير غير الواقعى وغير العلمى فى عصرنا .

وقول القرآن للنبى العربى « اقرأ » .. قول لا غرابة فيه ، لأن العرب أصحاب مدنية قديمة جدا .. وفيهم نشأت الكتابة والقراءة قبل ثلاثة الاف سنة من نزول القرآن الكريم .. يقول الأمير شكيب ارسلان فى كتابه : « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » إن الكتابة ـ على الأرجح ـ قد بدأت عند العرب .. « ولو فرض » أن الفينيقيون هم الذين اخترعوا الكتابة فى العالم ، فالفينيقيون فى الحقيقة أمة سامية عربية ، وكانت دائرة المدنية محدودة مقصورة على الجزيرة وما جاورها » ..

وهكذا يجدد حلول شهر رمضان ذكريات هذه الأمة العربية التى كانت أول أمة قارئة كاتبة فى العالم ، فجاءت أول كلمة فى كتابها المقدس : « اقرأ » ..

وكلمة « اقرأ » هى « فعل أمر » كما يقول النحاة ، والأمر هنا واجب التنفيذ ، وقد نفذه العرب والمسلمون فى زمانهم الأول ، ثم تراخوا فى تنفيذه فتفوقت عليهم

الأمم الأوربية حتى صَحَّت كلمة الشيخ محمد عبده . « فى أوروبا مسلمون بغير اسلام ، وفى بلادنا اسلام بغير مسلمين » !

ذلك لأن الأوروبيين قد أدركوا المعنى العظيم لكلمة « اقرأ » وجعلوه مدار عملهم فى حياتهم ، أما نحن فقد نسيناه وأخرجناه من حياتنا ، الا مايتعلق منه بالشكل دون الجوهر ، وبالثرثرة دون العمل ، فلا عجب أن تحوَّل رمضان من شهر نراجع فيه أنفسنا فى معنى الأمر السماوى : « اقرأ » الى شهر للطعام والشراب والسهر والسمر .. وفى الزمن الأخير استجدَّ للمسلمين طرائف أخرى كالنكت المصورة بالألوان والفوازير الراقصة والتمثيليات التى تصور الخرافات والأساطير وتحاول أن تلصقها بالدين ، أو تجعلها هامشا للدين على الأقل ، مُسْدِلةً على عقول الناس غشاوة من الغفلة والبلاهة !

إن الاسلام ليس دين آخرة فقط .. وكلمة « اقرأ » تشمل الآداب والفنون وعلوم الفضاء وكل ما أثمرته قرائح البشر بلا قيد على شىء من العلم والفكر ! .. ومن قال بغير ذلك ـ جاهلا أو غير جاهل ـ فقد جر على أمته مصيبة الجهالة بالعلوم الكونية التى هى فى عصرنا قوام الأمم ، وسوف تنقرض الأمم التى يطول جهلها بهذه العلوم ، ولن تستطيع الأمم الجاهلة أن تبقى ولو عيالا على الأمم التى سارت فى طريق العلم الذى لا أول له ولا آخر فى هذه الدنيا التى جعل الله قوامها كلمة : « اقرأ » ..

وإننا لنعترف ـ بكل أسف ـ أن شهر رمضان الذى كان فى الزمن البعيد شهر قراءة وفكر ، قد اقتسمه فى عصرنا تجار الفوازير والتمثيليات الخرافية ـ وتجار الدروشة والصيحات العصبية الهيستيرية فى حلقات الأذكار ! ..

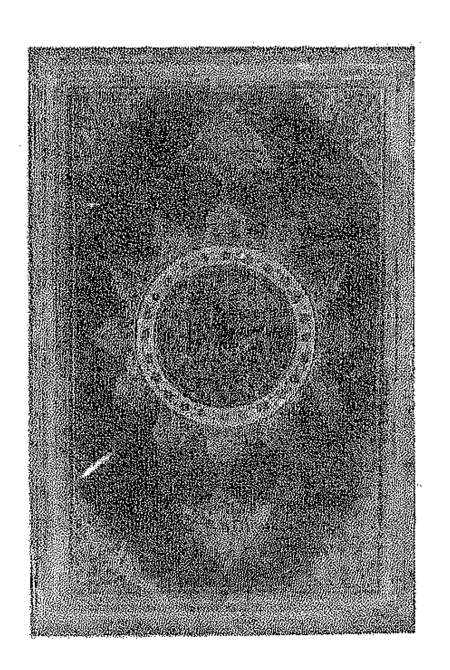
وقد ضاعت أو توشك أن تضيع تلك المعانى العظيمة التى حملها الى العرب والمسلمين فعل الأمر « اقرأ » .. مع أنهم الأمة الوحيدة التى نزل عليها هذا الأمر من السماء ! ..

وإن الانصراف عن معنى « اقرأ » لأعظم خذلان تصاب به أمة من الأمم ، فكيف إذا كانت هى الأمة التى نزل عليها ؟!

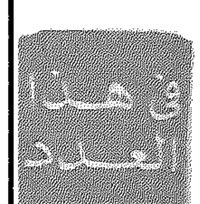
عزيزى القارىء

لانملك رغم كل شىء إلا أن نقول لك كالعادة : رمضان كريم ، وأبقاك الله إلى أمثاله ..

وآخر كلامنا ، هو أول آيات شهر رمضان . « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .. صدق الله العظيم »



القـران الكريم وفن
تجليد الكتاب ص ١١٤



● فكر وثقافة ●

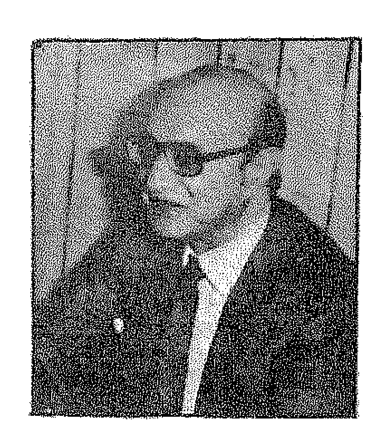
ص

● قضايا ومواقف

● قصة وشعر ●

● دراسة الهلال ●

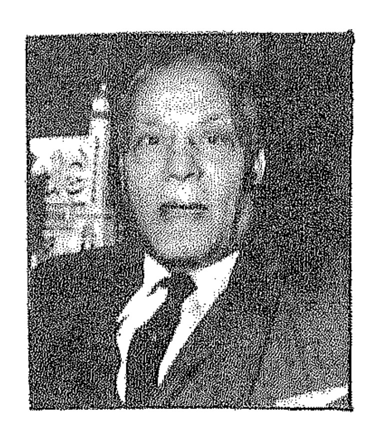
● الأبواب الثابتة ●



محمد عبد الوهاب



أم كلثوم





محمد الكحلاوى



بقلم : كمال النجمى

فى شهر رمضان يكثر مايسمى بالغناء الدينى أو الإنشاد الدينى أو الأدعية الدينية وأناشيد السحور ، وتظهر المطربات فى التليفزيون بملابس خاصة لا تبدى منهن إلا الوجه والكفين ، يؤدين أغانيهن الدينية وهن يرفعن أكف الضراعة ، فيذكرننا بشهداء الديانات الذين كانوا قديما يستقبلون ساعاتهم الأخيرة فى الحياة بترتيل الأغانى الدينية ، تحمل دموعهم وأدعياتهم إلى السماء المفتوحة لدعائهم المستجاب ..

ولعلك - مثلى - تابعت الأفلام الضخمة التى أخرجتها هوليود عن شهداء المسيحية الأوائل الذين ألقت بهم الدولة الرومانية طعاما للسباع المتوحشة ، أو وقودا للنيران ، فكانوا يستقبلون الموت الكالح ، بأغانى الفرح ، ويجعلون آخر دعواهم أناشيد يرفعونها إلى الرب ! ..

لم يكن المسيحيون أول من غنى وأنشد من أصحاب الديانات ، فإن الغناء الدينى هو توأم الغناء الدنيوى منذ بدء الخليقة ..

وقد غنى الإنسان غناءه الدنيوى الأول للربيع والصيف ليأتيا بالدفء والضوء بعد الشتاء المكفهر القارس .. وغنى للمطر الذى يحيى النبات ، وللهواء والماء والطيور .. ثم غنى للنار حين عرف كيف يستوقدها .. وكان هذا بعض غناء الإنسان الأول - أو البدائى - لدنياه العجيبة وهو يتحسسها بيديه ، متعرفا على مجاهلها ، محاولا تثبيت قدميه على أديمها .. ولم ينقطع عن غنائه الدنيوى منذ مليون عام او أكثر ..

كذلك غنى الإنسان الأول للدين ، ولم يكن بعد يعرف من الدين إلا الخوف من البرق والرعد وعصف الرياح وزئير الوحوش ، فرفع ابتهالاته وأدعياته وضراعاته ، قرعاً على الطبول ، وغناء على الدفوف ، ورقصاً على رنين الآلات البدائية ..

ثم تحضر الإنسان وتمدن فى مصر وبابل وأشور والهند والصين .. ثم فى اليونان والرومان .. وغنى فى حضاراته القديمة هذه للدنيا كما غنى للدين .. فالمصريون القدماء اخترعوا الآلات الموسيقية ، وجعلوا الغناء والعزف الموسيقى علما مقدسا من علومهم .. وكانوا أول من عرف الأبعاد الصوتية والموسيقية وانسجامها وتنافرها .. يقول صديقنا الدكتور فتحى الصنفاوى - أحد أساتذة التأليف الموسيقى - فى كتابه "موسيقى الحضارات القديمة" .. إن المصريين القدماء "كانوا يجدون شبها كبيرا بين الأجرام السماوية فى انتظام حركتها وانضباطها وبين النغمات الموسيقية ، لما بينها من نظام ثابت ، وكانت الكواكب الأساسية المعروفة خمسة ، فكان السلم الموسيقى عندهم خماسيا ، فلما زاد عدد الكواكب المعروفة لهم إلى سبعة أصبح السلم سباعيا ، وكانوا يرمزون لكل نغمة بالرمز الهيروغليفى الذى يرمزون به لمتيله من الكواكب" .

وكان هذا - فيما نظن - هو الأساس الذى بنى عليه إخوان الصفاء فى بغداد خلال القرن الرابع ، بعض كلامهم وأوهامهم عن موسيقى الأفلاك ، وتخصيصهم نغمة لكل وقت من الليل والنهار ، كما كان يفعل قدماء المصريين فى صلواتهم الغنائية الموسيقية برعاية أوزوريس - إله الموسيقى عندهم - الذى كانت تحف به ربات الفنون أو "الميوز" .. وهى الكلمة التى دخلت فى اللغة اليونانية القديمة ، وانبثق منها لفظ "ميوزيك" .. أى "الموسيقى" ..

ولم يكن "فلاسفة" إخوان الصفاء المسلمين أول من بهرته موسيقى المصريين القدماء، فقد سبقهم المؤرخ الإغريقى الشهير هيرودوت إذ قال "سمعت من الأغانى المصرية ماصار بعد حين ألحانا يرددها اليونانيون فى كل مكان" ..



وقال أفلاطون : "على اليونانيين أن يقتبسوا من موسيقى مصر وحدها ، دون موسيقى الشعوب الأخرى ، لما فيها من عناصر فنية وأخلاقية" .

وجمعت الموسيقى فى الحضارات القديمة كلها بين الدين والدنيا ، لأن ظروف الإنسان كانت متشابهة فى مصر والصين والهند واليونان وغيرها .. واقتبس اليونانيون آلهة لفنونهم من آلهة مصر الفرعونية ، ووضع إقليدس قانون الأصوات والدرجات الموسيقية ، وهو القانون الذى ترجمه وشرحه ابن الهيثم فى الحضارة الإسلامية ، وإن كان المطربون والموسيقيون المسلمون لم يأخذوا به ، فقد نشأ الغناء والعزف المتقن فى الدولة الأموية ، وازدهر فى الدولة العباسية ، ثم أخذ يندثر ، فلم تكن ترجمة قانون إقليدس بعد ذلك إلا عملا نظريا يدخل فى باب النظريات الرياضية ، وقد جاءت ترجمته بعد فوات الأوان .

وقد اندثر الغناء الدينى الفرعونى فى مصر فى عهد الاحتلال الرومانى الذى امتد سبعمائة عام ، واختفى السلم الخماسى الفرعونى وظهر بدله السلم السباعى القبطى المسيحى ، فكان خطوة فنية متطورة لأنه حمل أرباعا صوتية كان السلم الخماسى - كجميع السلالم الموسيقية البدائية - خاليا منها .. ثم اعتمدت الكنيسة المصرية على أسس الغناء العربى فى تراتيلها بعد دخول العرب مصر وانتشار اللغة العربية والغناء العربى .. وكانت الكنيسة المصرية قد ابتعدت قبل ذلك عن "الاصلاح الموسيقى" الذى أجراه البابا الروماني جريجور الأكبر فى القرن السادس الميلادى ..

وموسيقى الكنيسة الرومانية لبثت تعتمد على الموسيقى الإغريقية القديمة التى هى مأخوذة من الموسيقى الفرعونية ، حتى جاء الأسقف الإيطالى امبروز فى القرن الرابع الميلادى فاختار أربعة مقامات خاصة للغناء الكنائسى ، ثم جاء البابا جريجور فأتم بناء هذا الغناء ، حتي سمى باسمه ، وتحول الغناء فى أوربا كلها إلى فن كنائسى ، وحرم كل غناء سواه ، حتى القرن الثانى عشر ، إذ ظهرت موسيقى أوربية دنيوية خارج الكنيسة على أيدى "التروبادور" وهم مغنون أوربيون شعبيون تعلموا شيئا من الغناء الأندلسى العربى وأقاموا عليه طريقتهم فى الغناء .. ولكن الجانب الأكبر من الغناء والموسيقى فى أوربا ظل فى يد الكنيسة ، وتكاثر رجال الدين المشتغلون بالغناء والموسيقى حتى القرن الرابع عشر ، ثم بدأ هذا الفن يفلت من قبضة الكنيسة ويغنى للدنيا ، ويواكب طبقة الفرسان التى ملأت أوربا .. وظهرت اللغات القومية الأوربية ، أى اللهجات العامية المنبثقة من اللغة اللاتينية ، ثم نهض مارتن لوثر بدعوته فى الاصلاح الدينى ضد الكنيسة البابوية فى روما ، وصار لكنيسة البروتستانت تراتيل جديدة ، وظهر المغنون والموسيقيون اللوثريون فى كل مكان " .

إلا أن الغناء الأوربى الدنيوى والموسيقى الأوربية بجميع ألوانها ظلت بعد ذلك تحمل طابع الكنيسة ، فالغناء الأوربى - حتى اليوم - هو فى جوهره الفنى ترتيل كنائسى ، والموسيقى الأوربية هى موسيقى كنائسية ، ولم يخرج عن ذلك - حتى الآن - شىء من أعمال المغنين والموسيقيين الأوربيين ، لا فى غرب أوربا ولا فى شرقها ، بل إن الطابع الكنسى للغناء والموسيقى يبدو فى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية أشد منه فى أوربا الغربية التى انهمكت - مع أمريكا - فى أغانى الروك والديسكو والبوب والجاز وغيرها من أغانى التشنج العصبى .. وثار الأوربيون والأمريكيون على الغناء الأوبرالى وانصرفوا عنه ، بينما هو الآن مزدهر فى الاتحاد السوفييتى ، بل وفى الصين أيضا التى ليس لها صلة بالموسيقى الأوربية ، وأعظم مؤلفى الموسيقى الكلاسيكية الحديثة والرومانسية وموسيقى الباليه فى هذه الأيام ، هم الموسيقيون السوفيت ورفاقهم فى أوربا الاشتراكية ، ذلك أن السوفيت والاشتراكيين الأخرين يرون أنهم ورثة التراث الموسيقى الأوربى ، وأن هذا التراث وإن كان ذا أصل دينى كنائسى ، لكنه أصبح فى عصرنا فنا دنيويا يخدم الناس ، ولم يتعد هؤلاء الاشتراكيون بعد مرحلة التشبث بالموسيقى الأوربية الموروثة ، وإن كانت بعض جمهوريات آسيا الاشتراكية تحاول تطوير موسيقاها الخاصة التى هى فى الأصل موسيقى هندية أو صينية أو فارسية ..

إن هذا كله يدل على أن الموسيقى الأوربية قد صارت تراثا انسانيا عاما ، وأن هذا التراث يفتح أبوابه للانسانية جمعاء لتأخذ منه ما يصلح لها ، وتدع مالا يصلح .. وما أجدرنا نحن العرب أن نخطو فى هذا الاتجاه ، فإننا وإن كنا نعتز بموسيقانا ، لا يعيبنا أن نضيف إليها ما ينقصها من أسباب النماء والازدهار .

فالموسيقى الأوربية التى كانت ربيبة الكنيسة والبابا ، تحمل الآن - بعد تطورها الطويل - سمات ومزايا يمكن أن تستفيد منها الموسيقى العربية التى كانت فى نشأتها منذ عهد عثمان بن عفان فى الربع الأول من القرن الأول الهجرى ، طريدة الخلفاء والولاة ودعاة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

نشأت الموسيقى العربية دنيوية ، ونعنى بالموسيقى هنا الغناء ، لأنه كان ومازال هو الغالب على الأسماع العربية . وقد نشأ فى المدينة المنورة وأحبه أهل السماحة والاعتدال من المسلمين أمثال عبدالله بن جعفر الهاشمى ، ولكن الرأى الرسمى فى الغناء كان سيئا ، فالخليفة ينهى عنه ، ويعاقب المغنين وينفيهم من بلادهم ، والمتشددون يطلقون على المغنين لقب "المخنثين" .. وبعض الولاة يحول المغنين الفحول إلى خصيان بعمليات جراحية ، عبرة لكل من تسول له نفسه أن يغنى .

واضطر المغنون أحيانا إلى نقل نشاطهم تحت الأرض كما تفعل الجماعات والأحزاب السرية المحظورة ، حتى تراخت قبضة التشدد شيئا بعد شىء فظهر المغنون وانهمكوا فى تطوير الغناء



المتقن ، واخترعوا فنا غنائيا عربيا جديدا ، أعادوا به ذكرى الغناء العربى القديم الذى كان للعرب قبل ذلك بألف عام أو اكثر عندما كانت لهم حضارة ودولة أو عدة دول ذات شأن فى زمانها كما يقول المؤرخون المنصفون للعرب ..

لقد بدأ الغناء العربى المتقن طريقه الجديد فى صدر الاسلام ، معتمدا على مابقى من الغناء القديم فى فن الحداء وفن النياحة ، فترك الحداة والناحة عملهم وصاروا مغنين ، واقتبسوا من الفرس والروم ما يوافق الوجدان العربى والذوق العربى واللغة العربية ، وجددوا به الغناء العربى ، وضربوا الحانهم على العيدان الفارسية والرومية بعد ضبطها بما يوافق هذا المنحى الفنى الجديد .. حتى اكتمل هذا الفن فى بداية العصر العباسى ، واتسق الغناء مع قواعد النطق العربى والقراءات القرآنية السبع أو العشر ، فكان الغناء المتقن من أسباب حماية اللغة من التشويه فى النطق ، ولعب دورا فى حماية اللغة إلى جانب الدور الذى لعبه علم النحو وعلم الصرف تم علما العروض والقافية .. وقد يبدو هذا كلاما جديدا يقال لأول مرة ، ولا يقدح فيه أن يكون كذلك ، وليراجع من شاء تاريخ الأدب واللغة ليعرف مصداق هذا الكلام ..

إن الغناء العربى المتقن ـ وهذا كلام جديد أيضا ـ هو كالشعر العربى فى العصر الاسلامى ، يمكن أن يسمى "الغناء الاسلامى" كما يسمى الشعر العربى "الشعر الاسلامى" ..

فالغناء المتقن هو ثمرة الحضارة الاسلامية وهو منسوب إليها كما ينسب اليها الشعر .. وقد كان من الشعر الاسلامى ، شعر الأخطل ـ مثلا ـ وهو شاعر مسيحى ، ولكن شعره إسلامى بانتسابه إلى الحضارة التى عاش فيها .. فلا عجب أن ينسب الغناء العربى المتقن إلى حضارته الاسلامية التى لم يكن ليوجد إلا بوجودها ..

وهذا النسب يجعل الغناء العربى المتقن فنا دينيا كما هو فن دنيوى ، فقد خدم الغناء المتقن المروءة ومكارم الأخلاق كما خدمهما الشعر .. أما دوره فى خدمة الحياة ، فهو أبلغ من كل بيان ..

بعض الناس يقولون ـ حتى الآن ـ إن صوت المرأة عورة ، فلا يصح لها أن تغنى ، ولكن المسلمين فى حضارتهم سمعوا الآلوف من الجوارى والقيان فى بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة ، ولم يشذ عن حب السماع إلا أناس يشذ مثلهم فى كل عصر وفى كل مكان ..

قال اسحاق الموصلى ـ فيما روى أبوحيان التوحيدى فى كتاب الامتاع والمؤانسة ـ إن شخصا قال له إنه لايجد شيئا يحبه فى الغناء ، فقال له الموصلى كالمستهزىء به : "جعلت فداك . قصدت إلى أرق شىء خلقه الله ، وألينه على الأذن والقلب ، وأظهره للسرور والفرح ، وأنفاه للهم والحزن ، وما ليس للجوارح منه مؤونة غليظة ، وإنما يقرع السمع وهو

منه على مسافة ، فتطرب له النفس فذممته" ! . قال الرجل . "أما أنا فالطعام الرقيق أعجب إليّ من الغناء .. والغناء مختلف فيه وقد كرهه قوم" .. قال اسحاق "فالمختلف فيه أطلقه لنا حتى تجمعوا على تحريمه ! . أعلمت ـ جعلت فداك ـ أن الأوائل كانت تقول من سمع الغناء على حقيقته مات ـ أى مات من الطرب ـ فقال الرجل اللهم لا تسمعناه على الحقيقة إذن فنموت" ! ..

فاستظرفه اسحاق ومن معه فى مجلس الغناء وقدموا اليه الطعام فانشغل به عن ذم الغناء ! ..

هكذا لبث الغناء العربى أو الاسلامى يصطدم حتى فى العصر العباسى بمن يكرهه أو يذم سامعيه ، من جهة الدين ـ فى رأيه ـ ولكن الغالبية من الناس ، وحتى من الصوفيين وغلاة المتدينين ، كانوا يجدون فى الغناء راحة أرواحهم ، ونشأ فى الغناء من يومئذ المقام الذى يسمى حتى الآن "راحة الأرواح" وهو مستعمل فى غنائنا المعاصر ..

قالوا : كان ابن فهم الصوفى إذا سمع إحدى الجوارى تغنى

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فى بغدادَ لى قمراً
بالكرخ مِنْ فَلَكِ الأزرارِ مطْلَعُه
وَدَّعْتُه وَبودِّى لَوْ يُوَدِّعُنى
صَفْوُ الحياةِ وَأنِّى لا أُوَدِّعُهُ

ضرب بنفسه الأرض ، وتمرغ فى التراب ، وهاج وأزبد ، وتعفر شعره ، ومن يجسر على الدنو منه فإنه يعضه بنابه ، ويخمشه بأظافره ! ..

وهذه الحالة إنما اعترته من جهة الوجد الصوفى ، أى الدينى ، إذ هاج له هذا الشعر الوجدانى الرائع أطرابه وأشواقه الروحية ، وكذلك كان يفعل الغناء بأمثال هذا الصوفى . قال الإمام أبو حامد الغزالى فى مقدمة كتاب "آداب السماع والوجد" وهو جزء من كتابه الكبير "إحياء علوم الدين"

"اعلم أن قول القائل السماع حرام ، معناه أن الله تعالى يعاقب عليه ، وهذا أمر لايعرف بمجرد العقل بل بالسمع ، ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على المنصوص" "ولا يدل على تحريم السماع نَصٌ ولا قياس .. وقول الله تعالى إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ، يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ، ولو جاز أن يقال : إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون فى القرآن ، للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن ، وإذا جاز سماع صوت غُفْلٍ لا معنى له كصوت العندليب فَلِمَ لا يجوز سماعُ صوت تُفْهَمُ منه الحكمة والمعانى الصحيحة ؟"

ثم يقول الغزالى بعد كلام طويل فى هذا الاتجاه : " .. فإذن تأثير السماع فى القلب محسوس ، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال ، بعيد عن الروحانية ، زائد فى غلظ الطبع وكثافته على الجِمَالِ والطيور ، بل على جميع البهائم ، فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة " ..

هكذا قال الغزالى .. وقد رأينا نحن فى عصرنا من يرى سماع أم كلثوم ـ مثلا ـ مضيعة للوقت ، ولكن الغزالى ـ حجة



الاسلام ـ يقول "السماع فى أوقات السرور ، تأكيدا للسرور وتهييجا له ، مباح .. إن كان ذلك السرور مباحا ، كالغناء فى أيام العيد وفى العرس وفى وقت الوليمة الخ .. ووجه جوازه أن من الألحان مايثير الفرح والسرور والطرب ، فكل ماجاز السرور به جاز إثارة السرور فيه" ..

وينكر بعض الناس فى عصرنا سماع الغناء فى الحب أو فى الغزل ، ويرد الإمام الغزالى على ذلك بقوله : "سماع العشاق تحريكا للشوق ، وتهييجا للعشق ، وتسلية للنفس ، إن كان فى مشاهدة المعشوق ، فالغرض تأكيد اللذة بمشاهدته ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق ، وإن كان ألما ففيه نوع لذة إذا انضاف اليه رجاء الوصال ، فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم ، ففي السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال مع الاطناب فى وصف حُسْنِ المحبوب .. وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يُبَاحُ وصالُه" .

ذلك عن الغناء الدنيوى فى رأى الإمام الغزالى ، وقد وفاه حقه ولم نستطع أن ننقل من كلامه ـ وهوبحر لا ساحل له ـ إلا هذه القطرات التى نراها تفى بالغرض ..

أما الغناء الدينى فإن الإمام يقول فيه "سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شىء إلا رآه فيه سبحانه ، ولا يقرع سمعه قارع الاسمعه منه أو فيه ، فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاحظات لا يحيط الوصف بها ، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا ، مأخوذا من الوجد ، والمصادفة ، أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ، ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب وتنقيه من الكدرات كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات ، وهى غاية مطالب المحبين ، ونهاية ثمرة القربات كلها .. وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا . والبليد الجامد القاسى القلب ، المحروم من لذة السماع ، يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه ، تعجب البهيمة من لذة اللوزينج" ! ..

كان موقف الغزالى من الغناء فرعا من موقفه الفلسفى الكلى من الحياة والمجتمع والكون ، وهو الذى قال : "ليس فى الإمكان أبدع مما كان" .. وعاشت كلمته هذه وفسرها الناس ألوف التفاسير ، ولكن صوتا جميلا يتغنى فيطربنا ويثير وجدنا ، ويرفعنا فوق دنيانا ، ويسكب دموعنا على ثراها ، هو فى بساطته ودقته وروعته أعظم من كل تلك التفاسير ، بل هو تفسير لكل تفسير ..

لقد رأى الغزالى وسط المشكلات الدينية ، والتعقيدات الفقهية ، منفذا لفن

الغناء الجميل ، وللطاقة الفنية الإنسانية التى لن تموت إلا إذا انحط النوع الانسانى كله أو أصيب بالبلاهة

ومحصل كلامه أنه ليس حتما اضمحلال التعبير الفنى فى المجتمعات التى تستظل براية الدين ، بل إن اضمحلاله ليس ممكنا مادام الدين نفسه قد أسهم من قديم فى تطوير علاقات الانتاج ، وتعديل المسافات بين الطبقات والأفراد ، ونهض بقيمة العمل الفكرى

ولقد تخلى المسلمون عن أشكال من التعبير الفنى فى بداية الاسلام كالتصوير والنحت لأسباب تاريخية مؤقتة ، ولكن الغناء سرعان ما أثبت أنه تعبير فنى يلائم الحقائق الموضوعية فى حياة الناس الذين استظلوا براية الامبراطورية الاسلامية

ولهذا عاش الغناء العربى هذه الحقب الطوال ، ولما اضمحل فى عهود التدهور القومى والاجتماعى والسياسى بقيت تحت رماده جذوة انبعثت فى عصرنا عندما أحيت الأمة العربية تراثها فى القرن التاسع عشر ، فنهضت بنهضة العرب أمة المسلمين فى المشرق والمغرب ، لأن العرب هم مادة الاسلام قديما وحديثا

وترددت من جديد ألحان الغناء الدنيوى وألحان الغناء الدينى . وغنت أم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم حافظ وغيرهم أغانى الحب ، وسمعنا من أم كلثوم روائع أغانيها الدينية : "سلوا قلبى" .. "ولد الهدى" .. "ريم على القاع" .. "إلى عرفات الله" .. "القلب يعشق كل جميل" .. وروائعها الدينية فى البرنامج الغنائى المشهور عن "رابعة العدوية" الذى تحول بعد ذلك إلى أفلام سينمائية "دينية" أيضا ..

وصار الغناء الدينى عماد الأفلام السينمائية الدينية ، كما رأينا فى فيلم "الشيماء" الذى غنت فيه سعاد محمد عددا كبيرا من الأغانى الدينية ..

وكثرت أغانى الأعياد الدينية وأغانى الحج وأغانى شهر رمضان ، وتألفت للانشاد الدينى فرقة رسمية تنفق عليها الدولة ، بعد أن كان الانشاء الدينى جهدا فرديا ينهض به أمثال الشيخ اسماعيل سكر والشيخ على محمود وغيرهما من نوابغ المشايخ الذين سبقوهما أو جاءوا بعدهما .

واشتهر فى عصرنا مطربون دينيون أمثال محمد الكحلاوى ، ولا توجد مطربة مصرية لم تغن للحج ، من أسمهان إلى نجاة على إلى ليلى مراد إلى شادية إلى غيرهن من عشرات المطربات

ولا نستطرد وراء أسماء المغنين والمغنيات فى هذا المجال ، ولكن نقول : إن الغناء العربى دينيا كان أو دنيويا ، قد عاد من جديد إلى أزمته القديمة قبل عصر الإحياء فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، وأخذت تنحسر عنه الظلال الوارفة التى تفيأها مائة سنة تقريبا . وتتركه فريسة لأشعة الزمن الحارقة ..

ولن يتقدم الغناء الذى هو ثمرة وجدان الأمة ، إلا إذا تقدمت الأمة ذاتها .. فهل نأمل فى وثبة جديدة للأمة العربية يكون من ثمراتها ازدهار بستان الغناء العربى الذى أوشك أن يأتى عليه انقطاع الغيث ، وتشقق الأرض ، وزحف الصحراء ؟! .



بقلم: محمد سيد كيلاني

كان الناس يستقبلون شهر رمضان بترديد الموشحات الدينية ويحتفلون برؤية الهلال فى جميع انحاء البلاد . ففى صحيفة الفلاح منذ أكثر من مائة سنة نرى الوصف الآتى ((٢ - ٦ - ١٨٨٦)) .

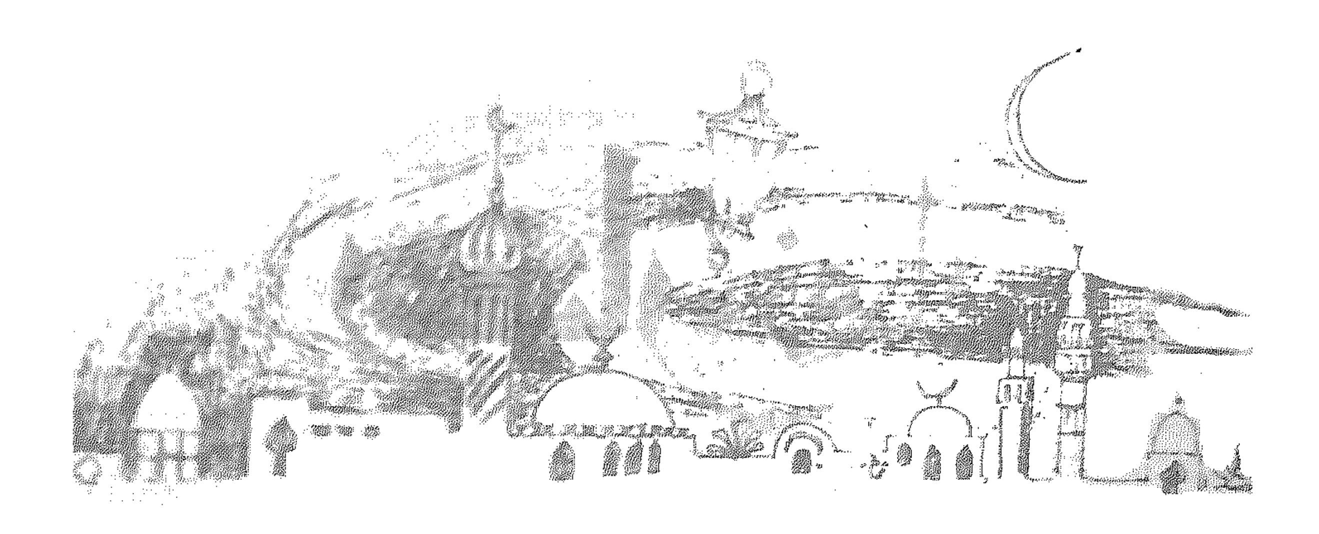
((اجتمع خلق كثير فى جهات المحافظة واخذ بعض أرباب الحرف يفدون اليها طائفة بعد اخرى وأمامها الموسيقات الوطنية تصدح بانغامها المطربة . فلما اكتمل الجمع توجهوا بنظام واحتفال عظيمين يحتاطهم فوارس البوليس ومشاتهم ويتخللهم بعض العساكر ويصحبهم الالاى المختص لاحتفال الرؤية مارين بشارع محمد على فالحلمية فسوق السروجية فالغورية حتى وصلوا ميدان المحكمة الشرعية لانتظار اثبات رؤية الهلال . وكان حاضرا شيخ الاسلام وقاضى افندى وكثير من مستخدمى المحكمة ، فتقدم الى حضرة شيخ الاسلام تسعة أشخاص لتادية الشهادة أمامه فردهم ولم يقبل الا بشهادة اثنين : احدهما الميقاتى بالجامع الحسينى والثانى احد كتبة المحكمة . فقال الاول انه رآه بعد الغروب ، والاخر رآه من شباك المحكمة .

عندئذ حكم حضرة الشيخ الموما اليه بانه لاخر رمضان المبارك ، وأرسل الخبر الى المعية السنية ، ومنها الى القلعة . . . ت المدافع عند الساعة الثالثة « عربيا » ايذانا ببدء شهر الصيام ، وصليت التراويح وازدانت المساجد بالمصابيح وتكللت المآذن بالانوار وضجت الاهالى بالسرور . وهرع كبار مامورى الحكومة والذوات والاعيان الى سراى عابدين العامرة لتأدية رسوم التهنئة لجناب ولى النعم » .

● الازهر ورمضان

ويبدو أن مثل هذا التقليد نشأ منذ عصر الدولة الفاطمية واستمر حتى يومنا هذا . وكانت روائح رمضان تتجلى بأعظم مظاهرها فى حى الازهر بعد أن قامت القاهرة المعزية وأصبحت عاصمة للدولة . وكان الجامع الازهر يظل مفتوحا ليل نهار طوال هذا الشهر . قال أبوبكر العياشى المغربى الذى وفد الى القاهرة سنة ١٠٣٧ هـ « .. وبتنا تلك الليلة بالجامع الازهر لانها ليلة سبع وعشرين من رمضان وفى الحقيقة كل الليالى بذلك المسجد كليلة القدر ، لانه معمور بالذكر والتلاوة والتعليم آناء الليل وأطراف النهار ، لا تنقطع منه العبادة ليلا ونهارا ، صيفا وشتاء ، فهو عديم النظير فى مساجد الدنيا بأجمعها »

وفى نهاية شهر رمضان تجرى احتفالات عظيمة فى الجامع الازهر . وقد وصف العياشى بعض هذه الاحتفالات فقال « .. ولما كان فى يوم تسعة وعشرين من الشهر ، - يعنى رمضان - ختم المشايخ دروسهم بختم الشيخ عبد السلام اللقانى بعد



صلاة الصبح ، وعادتهم فى الختم أن يحضر يوم الختم أنجب تلامذة المدرس ونبراء أحوانه فاذا فرغ المدرس قرأ القارىء آيات من القرآن بقراءة مطربة ، ومنهم من يقرؤها بالقراءات السبع . وبعد فراغه ينشد منشد بصوت رخيم قصيدة من انشاد بعض التلاميذ فيها مدح النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم باحسان ، ثم يترضى عن المشايخ أرباب المراتب . كل ذلك بنثر بديع ولفظ فصيح . ثم يقرأ الفاتحة ويهدى ثوابها الى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم والى من ذكر بعده ويبالغ فى الثناء عليهم الى أن يصل الى الشيخ المدرس فيدعو له وللحاضرين بأبلغ دعاء بقلب حاضر وصوت خاشع ، ويؤمن الحاضرون على دعائه ثم يختم . وبعد هذا يقوم أهل المجلس كلهم ويصافحون الشيخ ويدعون له ويدعو لهم . ويحضر الختم جمع عظيم من الناس وأهل الفضل والمجاذيب » .

ولم يكن أهل الارياف يعرفون شيئا عما يجرى فى العاصمة . فكانت كل مدينة تعتمد على نفسها فى رؤية هلال رمضان ، وتحديد بدء الصيام وأيام الاعياد .

كان سكان حى الازهر ينامون الى وقت الظهر ، وينهضون حين يسمعون الاذان لاداء الفريضة ثم ينصرفون الى أعمالهم . فيفتح التجار حوانيتهم وتبدأ المقاهى أعمال النظافة واعداد الفحم والتنباك والعسل والبن والشاى والنعناع والاراجيل والشيش . وحين يقترب موعد الافطار يتزاحم الناس على المطاعم . ويقبل كثيرون على التهام الكنافة والقطايف والفطائر ، وكانت البلاد تستورد الياميش وهى كلمة تركية معناها الفواكه المجففه من الشام وتركيا ، فتصادف رواجا كبيرا بين طبقات الشعب لرخص أثمانها اذ كانت أقه الزبيب البناتى الفاخر بستة قروش ولغه قمر الدين بثمانية قروش ، وكذلك أقة المشمش والتين . وكانت اقة الكنافة بقرشين . ورطل السمن البلدى بأربعة قروش . فلم يكن الفقير - والحالة هذه - محروما . ولم تكن الهوة واسعة بين الاغنياء والفقراء كما هى فى هذه الايام ، اذ كان الفقير لا يجد صعوبة فى الحصول على مسكن بأجر زهيد . أما فى الوقت الحاضر فحصول الفقير على سكن هو فى حكم المستحيل .

وكان وجود المسحراتى ضرورة فى تلك الايام التى لم تكن وسائل معرفة الوقت منتشرة كما هى فى أيامنا هذه . وكان هؤلاء « المسحراتية » يطوفون فى شوارع المدينة او القرية يرددون الاناشيد الدينية وينادون الناس ليستيقظوا طالبين منهم ان يوحدوا الله ، ويضربون على طار ضربات متوالية حتى يسمعهم النائمون فيهبوا من نومهم لتناول الطعام.

وكان الاغنياء يعقدون سهرات رمضان فى منازلهم فتؤمها الطبقات المتوسطة

والفقيرة لتسمع آى الذكر الحكيم من القراء الذين وهبهم الله أصواتا مطربة. وكان الناس فى المناظر يجلسون بعد الافطار فى دعة واسترخاء فلا تسمع الا كركرة الشيشة ولا ترى الا دخانا ممتزجا بالعنبر يعقد جوا سحريا .

وقد اشتهرت مصر من قديم الزمن بتخريج طائفة من القراء المطربين، وأخذت منذ أواخر الخمسينيات تبعث بهم الى مختلف البلاد العربية والاسلامية فيحوزون اعجاب السامعين . وقبيل شهر رمضان تروج تجارة المسابح والسواك والبخور وبعض الكتب الدينية . ومنذ مطلع القرن العشرين اخذ كثيرون يقتنون ساعات الجيب ، كما اخذت المطابع تطبع امساكيات رمضان حتى يعرف الانسان أوقات الافطار والامساك عن تناول الطعام والشراب .

ورأى الخديو عباس ان يعقد فى قصر القبة درسا فى التفسير قبيل المغرب . روى احمد شفيق باشا فى مذكراته (حـ ٢ ص ٢٨) ما نصه « .. وفى ذات يوم تحدث - يعنى الشيخ احمد الرفاعى - عن ارم ذات العماد فهالنا ما أورده عنها من الروايات الغريبة ولا سيما القول بانها مدينة شيدت طوبة من الذهب واخرى من الفضة ، وأنها معلقة بين الارض والسماء . ثم اخذ يتوسع فى ذلك وعرض الى علم الفلك بأسلوب يثير الاشفاق والضحك فكنا نحن والخديو نزم شفاهنا حتى يغلبنا الضحك الرنان . ولما انتهى الدرس وافطرنا اجتمعنا مع الخديو وتحادثنا فيما سمعناه من الشيخ فابدى سموه دهشته وانكاره لطريقته ، وتقرر أن يرسل لشيخ الازهر باستبداله فانتدب مكانه الشيخ الشربينى » .

وأيام الملك فاروق كان يقام سرادق واسع فى ميدان عابدين فيؤمه من يشاء لسماع القرآن الكريم . ولما جاء نظام يوليو أبطل هذا التقليد كما الغى وظيفه الامام الخاص للملك .

والآن قد اختفت مظاهر كثيرة كانت تلازم شهر رمضان . فقد اتسعت مدينة القاهرة وترامت اطرافها وليس من السهل ان يحضر الناس من الجهات النائية لقضاء بعض الوقت فى مقاهى حى الازهر . كما اختفى المسحراتى لوجود الاذاعة المسموعة والمرئية . واصبح الياميش والمكسرات وهى الجوز واللوز والبندق وعين الجمل والصنيبر من نصيب الاغنياء فقط ، كما أن الكنافة والقطايف مما لا يقدر الفقير على شرائها .

ولم يبق من مظاهر القديم الا تلك المصابيح التى يلهو بها الاطفال . وهى فى الاصل كان يحملها الرجال حين يخرجون لتبادل الزيارات اذ كانت الشوارع مظلمة . فلما عمت الاضاءة استغنى الناس عن حملها فتركت ليفرح بها الاطفال وبرع بعض المصريين فى صناعتها ووضعوا لها الزجاج الملون . على ان ارتفاع أسعار الشمع قد يحد من استخدامها ، وظهرت مصابيح أخرى تعمل بالكهرباء .

ويعتقد بعض المسلمين أن الاطالة فى صلاة التراويح مما يضمن للانسان حسن الجزاء وعظيم الثواب فيقرأون القرآن كله على مدار الشهر فى هذه الصلاة بحيث يختمون القرآن مع آخر يوم . وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التطويل بعد أن شكا له احد الصحابة. قال ابن مسعود رضى الله عنه فيما أورده البخارى : فما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى موعظة اشد غضبا من يومئذ . فقال : يا ايها الناس ، انكم منفردون ، فمن صلى بالناس فليخفف فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة. صدق رسول الله ..

وحينما كان الفرنسيون يحتلون مصر ظهر تقليد اطلاق المدافع ايذانا بانتهاء شهر الصوم . جاء فى صحيفة « كورييه دى ليجيبت عدد ١٠٣ » مانصه : « عند غروب شمس يوم ٢٥ بلوفيوز اعلنت مدفعية القلعة نهاية شهر رمضان المبارك بطلقات متتالية رددتها جميع الحصون الاخرى ».

أقـوال معـاصرة


فيلى براندت

● « الزعيم السياسى الذى لا يحمى نفسه فى الوقت المناسب ، لابد أن يدوس عليه الاخرون »

ويلى براندت

رئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى سابقا « المانيا الغربية » .

● « الرخاء جلب الى ايطاليا المادية ومعهـــــا السوفييتية »

الاديب « البرتو مورافيا »

● « لا يكفى أن تكون سعداء ، بل يجب أن يكون الاخرون تعساء »

وودى اكن

المخرج والممثل الامريكى الساخر


اوليفستون

● « المهم فى الاحداث عندما تصبح فى ذمة التاريخ، هو نتائجها ، وليس دوافعها »

المفكر محمد عابد الجابرى

● امريكا لم تتعلم شيئا من حربها فى فيتنام »

اوليفرستون

مخرج وكاتب سيناريو « فصيلة »
الفيلم حاصل على اوسكار « ١٩٨٧ »

● « ليس أمام كل دول أمريكا اللاتينيه المستدينة، سوى سبيل واحد ، يكمن فى اتفاقها على عدم دفع اى ديون »

الروائي الكولومبى جبرئيل جارسيا ماركيز

الحاصل على جائزة نوبل

● « ماهو جديد الان سيصير قديما غدا ، عندما يخرج منه جديد .. جديد »

الشاعر محمود درويش


محمود درويش

● « ليس من مصلحة الولايات المتحدة أن تعتمد عليها مصر بالكامل »

مارفين • ج رفانيم

أستاذ اقتصاد أمريكى

الأزهر والوحدة الوطنية

بقلم : الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

إن التعبير عما حدث فى بعض مدن مصر فى الآونة الأخيرة . ووصف بالفتنة الطائفية ، أعتقد أن فيه تجاوزا للحقيقة .

فواقع الأمر أن مصر منذ دخلت الإسلام ، وهى لا تعرف هذا المسمى من الحوادث ولقد عاش المصريون هذه الحقبة الطويلة ، المسلمون والمسيحيون إخوة فى الوطن يتعاملون سويا فى كل أمورهم ، يجامل بعضهم البعض فى المسرات وغيرها .

لم تثر بينهم خلافات بسبب الدين ، ذلك لأن من أحكام الإسلام ، الإحسان الى الناس جميعا ، بوصفهم أناسا ، وبالوصف الذى قال عنه القرآن « يآيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله أتقاكم » .

ولأن الاسلام إنما انتشر وينتشر ، ويعتنقه الناس دون إكراه ، فالقرآن يقول « لا إكراه فى الدين » .

بهذا الاعتبار لم تكن هناك فتنة طائفية فى مصر ، وما حدث كما قلت وأقول أنها أمر وافد على هذه البيئة . إما بسبب الأمور الجارية ، والتحركات الحزبية التى كانت سائدة ، استعدادا لانتخابات مجلس الشعب ، وإما بأسباب وعوامل موفدة ، من أعداء البلاد الذين لايريدون لمصر استقرارا ، ولا استمرارا فى أخوتها ،

أخوة الشعب التى تحدثت عنها ، وهذا أمر يتضح مما تنشره وتذيعه الاذاعات والصحف الخارجية ، من تكبير الصورة لما حدث ، وتضخيم أثار لم تحدث .

ونحن نذكر أن الاستعمار دائما كان يبدأ بافتعال الحوادث ، ويربطها بالدين ، ولعلنا نذكر تلك القصة التى حدثت فى الاسكندرية ، وآراد الانجليز التدخل بسببها ، وكانت بين مالطى ومصرى

إن هذا الذى حدث فى بعض مدن الصعيد والوجه البحرى ، لا يمثل فتنة طائفية ، وإنما كما قلت قد يكون خلافا شخصيا ، والخلاف الشخصى قد يقع بين مسلمين ، أو بين مسيحيين ، أو بين مسلم ومسيحى ، دون أن يكون ذلك بسبب الدين ، وإنما بسبب العوامل الشخصية ، كاختلاف المصالح الذاتية ، أو اختلاف الاتجاهات الحزبية ، وليس بسبب الدين اطلاقا .

إننى أؤكد من واقع التجربة والمعرفة بهذا الشعب ، أنه لا توجد فتنة طائفية فى مصر بإذن الله أو خلافات بين المصريين قد حدثت بسبب الدين فلقد ظل المصريون ، دائما ، متعاونين فى كل الأزمات السياسية والعسكرية التى تعرضت لها مصر فى ثورة ١٩١٩ ، وفى ثورات الاستقلال ومحاربة الانجليز سواء فى القرن الماضى ، أو فى هذا القرن حتى أخرجوهم من مصر ، وأيضا فى الحروب التى تعرضت لها مصر فى أعوام ٥٦ ، ٦٧ ، ١٩٧٣ ، فالمسلم والمسيحى كانا معا فى الميدان وفى الشارع وفى المصنع ، لم يقل أحد إن هذا مسلم وذاك مسيحى ، وأنما كان الكل يعمل ، بوصفه مصريا يؤدى واجبه نحو وطنه ، ولم يحفظ التاريخ إطلاقا أن صراعا نشب بين مصريين ، أو أن ثورة اشتعلت فى بقعة ما من مصر بسبب اختلاف الدين .

● دور بارز للأزهر

إن الأزهر وعلى امتداد تاريخه الذى زاد على ألف عام ، كان دائما واجهة مصر فى سيادتها وفى سياستها ، وفى استقلالها ، وفى توجيه الشعب ومعاونته فى أفراحه وأتراحه .

وعلماء الأزهر فى مصر يعملون بجد وجدية على إيضاح الأمور . والعمل على استقرار هذا الشعب وتآلفه وتعاونه ، لا يفرقون فى نصحهم بين المسلم والمسيحى ، ولا يثيرون فى أحاديثهم ما يؤدى إلى اشتعال الخلاف الدينى ، لأن الاسلام يحض على تآلف الناس ، وعلى أن يترك غير المسلم وشأنه فيما يعبد ، كما قال الله « لكم دينكم ولى دين » فلا إكراه فى الدين فى الاسلام ، ومن أجل هذا لا يعمل أحد من علماء الأزهر على إثارة إلى حقد أو فتنة ، ضد غير المسلمين ، سواء فى مصر أو خارج مصر ، عملا بالمبدأ الذى قرره القرآن « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

هذا المبدآ هو الذى يتبعه علماء الأزهر فى كل مشوراتهم ، ونصحهم للأمة ، سواء فى معاهدهم أو فى كليات الجامعة ، أو حيث يعملون فى التعليم العام ، أو حيث



الأزهـر والوحْدَة الوطنيّة

يلتقون بالجماهير ، أو حيث يعملون فى مصالح الدولة المختلفة

كما أن للأزهـر فئة متخصصـة ومخصصة للدعوة التى يطلق عليها الوعاظ ، وهم مقيمون فى أنحاء الجمهورية ، ففى كل محافظة إدارة للوعظ ورجالها يعملون متنقلين بين القرى والمدن ، يؤدون واجبهم فى كل مكان ، بالإضافة إلى علماء المعاهد الذين يعملون بالتدريس ، والذين ينتشرون الآن على مستوى القرى .

وهؤلاء جميعا مكلفون بحكم تخصصهم بأن يؤدوا هذا الواجب الدينى ، فلا يسمحون لفتنة أن تنبت ، فضلا عن أن تكون لها قائمة فى مكانها ، لأنهم كما قلت يؤمنون بتعاليم الله ، فى الدعوة وفى القول الحسن ، كما قال القرآن وقولوا للناس حسنا فلم يقل وقولوا للمسلمين فقط ، بل قولوا للناس حسنا ، وهذه هى آوامر الله فى القرآن

وعلماء الأزهر فى كل مكان يتبعونها ويعملون بمقتضاها ، ويسارعون إلى إنهاء أى خلاف قد يحدث ، ولو لم يكن بسبب الدين ، لأن من مهمتهم الصلح بين الناس ، والدعوة الى التعاون وإلى العمل الصالح فى الدين والدنيا .

وقد يقول قائل إن بعض الجماعات الدينية التى ظهرت فى الآونة الأخيرة قد يكون لها دور فيما يحدث .

وهنا أود أن أوضح أن الجماعات الدينية ، قد لحق بها الكثير من الصفات التى قد تنفّر منها ، حيث وصفت فى بعض الأحيان بالارهاب أو بالتطرف ، وتنقل الأخبار الينا دائما أن كل الشعوب الآن وكل الدول ، فيها أمثال هذه الجماعات ، وهذه الجماعات ليست ظاهرة على السطح ، بحيث يمكن الحوار معها ، أو تصحيح فكرها إذا كان منحرفا ، ولست فى حل من اتهامها ، لأنها مجرد جماعات إسلامية بإثارة الفتن أو بإثارة ما سمى بالفتنة الطائفية على وجه الخصوص ، وإنما أقول إنه قد تختلف طرائق بعض أفرادها فى التصدى للدعوة ، بأسلوب قد يكون فيه بعض التجاوز فى القول ، أو فى الفهم . ولاشك أنه إذا حدث هذا ، كان من يفعل ذلك خارجا على منهج الإسلام الصحيح فى الدعوة إلى الله ، وربما فى الانتساب إلى الإسلام والمسلمين .

وما أقوله لأبنائى أعضاء هذه الجماعات ، أيا كانت مواقعهم ، إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه إذا كانت هناك أمور لايقرها الإسلام تجرى فى مجتمعنا ، فإنه ليس من الحكمة التصدى لها بالعنف والقسوة ، وإنما تقتضى الحكمة اسداء النصح وتكراره مرة بالاقناع بالحجة وأخرى بالموعظة الحسنة ، أقول النصح بالاقناع لا بالاقتلاع .

التفسير الصوفي للقرآن

بقلم: د. محمد رجب البيومي

كان من الأوفق أن يكون العنوان هل من تفسير صوفي

لأن إطلاق لفظ التفسير على ما يتوهمه أنصار هذا اللون من الشرح الشخصي لكلمات الله بعيد بعيد، ولكن مؤرخي التفسير دأبوا على أن يكتبوا هذا العنوان، وفيهم من يؤيده، وكأنه أمر مقبول، والحق أن الذين يعارضونه هم أصحاب الدليل الملزم القاطع، ولكن كتبا ذهبت هذا المذهب في فهم كلام الله، فلابد من الحديث عنها

وحين نقارن التفسير الصوفي أو بعبارة أدق ما يسمى بالتفسير الصوفي بما يعرف من أنواع التفاسير الأخرى نجد الفرق واضحا، فالتفسير النحوى مثلا يتجه وجهة الإعراب، والاعراب فرع للمعنى الذى لايحيد عنه النحوى، فهو مقيد بمدلول اللفظ لغويا كان أو مجازيا، والتفسير البيانى يشرح ما تضمن التركيب العربى من أسرار بلاغية توضح المعنى المقصود من كلام الله، والتفسير التاريخى، يشرح الوقائع والأحداث كما جاءت فى كتاب الله فان زاد الشارح شيئا مما يعلم من كتب التاريخ، فهذه الزيادة لا تمت إلى القرآن فى أصله، ولكنها أضافات تقبل الصواب والخطأ بحيث تسند الى مصدر بشرى غير كتاب الله وهكذا نجد ألوان التفسير المختلفة تنتهى الى المدلول من النص القرآنى، بحيث يكون هو المتبادر لما يفهمه العربى العارف بمعانى لغته؟ فهل يكون ما يسمى بالتفسير الصوفى منتحيا هذا المنحى أو أنه إخضاع قسرى للآيات الكريمة لتسير مسارا غير مقصود.

والذين يتحدثون عن التفسير الصوفى يجعلونه قسمين، قسما يسمى بالتفسير النظرى، وقسما يسمى بالتفسير الاشارى ويفرقون بينهما بأن التفسير النظرى ينبنى على أصول فى التصوف قررها فلاسفة هذا الفن تقريرا



فلسفيا بحيث تكون هذه الأصول النظرية مقررة عند المفسر ، فاذا تناول الآية الكريمة لا يتجه إلى المفهوم المتبادر من المنطوق ، ولكنه يجعل النص القرآنى خاضعا لهذه الأصول ، بحيث يقسره قسرا على الاتيان بما تعززه هذه الأصول ، وأعجب شيء أن صاحب التفسير النظرى يراه وحده المراد من قول الله ، ولا شيء سواه

أما التفسير الإشارى ، فليس لصاحبه مقررات فلسفية يرتكز عليها فى فهم النص ، ولكنه يذهب مذهبا ذوقيا فى الاهتداء الى بعض المعانى الخافية ، مع اعترافه بأن مذهبه ليس هو كل ما تنطق به الآية الكريمة ، ولكنه بعض ما تشير اليه ، أما المعنى الظاهر المتعارف فمما لا يطعن فيه ، بل يكون وجها عاما يخفى بعض الوجوه

● من التفسير النظرى

يقول الله عز وجل مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان (١) ، والمعنى المتبادر أن الماء العذب يتجاور مع الماء الملح بحيث يلتقيان فى المحيط ، أو حين يصب أحدهما فى الآخر ، ومع هذا التجاور لا يؤثر الملح فى العذب ، بل يشرب الناس ماء النهر عذبا زلالا إذ أن بينهما حاجزا يمنع الامتزاج ، وهذا بعض دلائل القدرة الألهية

يقول البيضاوى ـ وهو من التفاسير الموجزة ـ (ـ مرج البحرين) « أرسلهما ، من مرجت الدابة اذا أرسلتها ، والمعنى أرسل البحر المالح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاوران وتتماس سطوحهما ، أو بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى أو من الأرض (لايبغيان) لايبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية ، أو لا يتجاوزان حدهما باغراق ما بينهما » .. اهـ

فاذا نظرت الى أصحاب التفسير النظرى فانك تجد محيى الدين بن عربى يقول · (مرج البحرين) « بحر الهيولى الجسمية الذى هو الملح الأجاج ، وبحر الروح المجرد الذى هو العذب الفرات ، (يلتقيان) فى الوجود الانسانى ، بينهما برزخ هو النفس الحيوانية التى ليست فى صفاء الروح المجردة ولطافتها ، ولا فى كثرة الأجساد الهيولانية وكثافتها ، (لايبغيان) لايتجاوز أحدهما حده ، فيغلب على الأخر بخاصية ، فلا الروح يجرد البدن ويخرج به ويجعله من جنسه ، ولا البدن مجسد الروح ويجعله ماديا » وهذا من أهون مايمكن الاستشهاد به ، فلهؤلاء شطط يستغرب العاقل كيف وقع فيه علماء ذوو فهم للحقائق وبصر بمعادن الكلام ، بل يتعجب كيف يجعلون الكافر مؤمنا صادق الايمان ، ويقلبون النص من الضد الى الضد على منحى يجعل كتاب الله متناقضا يضرب بعضه بعضا ، دون التزام ، وأفجأ مايدهشك

ان المفسر من هذا الطراز يقول فى اية كريمة عكس ماقاله فى نظيرتها . فلا يدرى القارىء أى الوجهين أصوب من وجهة نظر المفسر وحده ، والا فالوجهان باطلان باتفاق

يقول الله عز وجل (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون خَتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم) (٢)

فيقول ابن عربى (ان الذين كفروا) ستروا محبتهم فىّ دعهم فسواء أنذرتهم بوعيدك الذى أرسلتك به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك لأنهم لايعقلون غيرى ، وأنت تنذرهم بخلقى وهم ماعقلوه ولاشاهدوه ، وكيف يؤمنون بك ، وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعا لغيرى وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاما فى العالم الا منى ، وعلى أبصارهم غشاوة من بهائى عند مشاهدتى ، فلا يبصرون سواى ولهم عذاب عظيم عندى أردهم بعد هذا المشهد السنى الى إنذارك وأحجبهم عنى » .

ولا تعليق على هذا الشطح غير أن نتلو قول الله عز وجل (ولولا اذ سمعتوه ، قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم)(٣)

من التفسير الإشارى

أما التفسير الاشارى فيقول عنه استاذنا الجليل الدكتور محمد حسين الذهبى(٤) : ببعض التلخيص .. لم يكن التفسير الاشارى بالأمر الجديد فى ابراز معانى القرآن بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أشار اليه القرآن ، ونبه عليه الرسول وعرفه الصحابة .

أما إشارة القرآن ففى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا(٥) .. وفى قوله « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا(٦) . وفى قوله « افلا يتدبرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها(٧) » فهذه الآيات تشير الى أن للقرآن ظهرا وبطنا وكذلك ورد فى رواية عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله أنه قال القرآن تحت عرش الرحمن له ظهر وبطن يحاج العباد .. أما الصحابة فقد عرفوه ، ثم استشهد الدكتور الذهبى ببعض مافسر به ابن عباس .

والذى أراه أن الباحث الفاضل قد استنتج من الآيات مالا تدل عليه ، لأن تدبر القرآن وفقهه لا يصرفانه عن المدلول الواضح الذى يتفق والأسلوب العربى ، فقد يفهم العربى معنى حقيقيا ، وللنص معنى مجازى ، كما سنرى عند فهم ابن عباس ، فلا يكون ذلك من التفسير الصوفى الاشارى ، لأن التفسير الاشارى يترك الحقيقة والمجاز معا الى مايبتعد عنهما ، وهو غير المراد من فقه القرآن وتدبره .

ونضرب مثلا بما استشهد به الأستاذ الذهبى لابن عباس ، فقد عد من التفسير الاشارى رأى ابن عباس فى معنى قوله تعالى : "اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره (٨) أنه علامة لأجل رسول الله ، فكأنه بالتعبير البلاغى كناية « عن قرب

الموت . وهذا ليس من قبيل التفسير الاشارى الذى نراه لدى المفسرين ، وكذلك ما انتحاه عمر رضى الله عنه فى فهم قوله تعالى " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا (٩) " فقد فهم أنه بعد إتمام الدين وكمال الرسالة يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أدى دوره وحان رحيله . وهذا ما يؤخذ من طريق الكناية أيضا ، ولو كان التفسير الاشارى من هذا القبيل ما كان موضع النزاع ، ولكنه يتعداه الى ذوق شخصى يتصل بالمفسر ذاته دون أن تقوم الصلة الواضحة بين المشار اليه والاشارة من النص الكريم

وقد اشترط الشاطبى فى الموافقات شرطين (١٠) لصحة هذا التفسير هما

أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب بحيث يجرى على المقاصد العربية .

أن يجد شاهدا من نص آخر يشهد الصحة دون تعارض

وما اشترطه الشاطبى موضع اتفاق ، ولكننا نعقب عليه فنقول اذا جرى الكلام على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب ، وجاء شاهد آخر يؤيده فأين تكون الإشارة اذن ، انه التفسير البيانى الجارى على السنن الصحيح

ونقول المرفوض ، لأنه شبيه بالتفسير الفلسفى النظرى الذى ذهب اليه ابن عربى وأضرابه ، حيث لم يجر على المقاصد العربية ولم يأت له شاهد من نص آخر .

يقول الله تعالى : " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى ، واليتامى والمساكين والجار ذى القربى ، والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا(١١) »

(١) ذكر التسترى المعنى الطبيعى للآية ثم قال . وباطنها الجار ذو القربى هو القلب والجار الجنب ، هو الطبيعة ، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدى بالشريعة ، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله "

(٢) قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام " الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين(١٢) .

· فقال شاه الكرمانى الذى خلقنى فهو يهدينى إليه لا غيره ، وهو الذى يطعمنى الرضا ويسقينى المحبة ، واذا مرضت بمشاهدة نفسى فهو يشفينى بمشاهدته ، والذى يميتنى عن نفسى ، ويحيينى به ، فأقوم به لابنفسى ، والذى أطمع ألا يخجلنى يوم ألقاه بنظرى الى طاعتى وأعمالى ، ثم أفتقر اليه بكليتى »

(٣) نقل الدكتور الشرباصى هذا النص من قبيل التفسير الاشارى لقول الله عز وجل :

(أنزل من السماء ماء فسالت أودية

بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا)(١٣) .

يقول صاحب هذا التفسير . آنزل من السماء ماء يعني القرآن ، فسالت أودية بقدرها أى حفظتها القلوب بمقاديرها الكثيرة ، فاحتمل السيل زبدا رابيا أى ما يحمل ألفاظه ومظاهره من معانى متشابهاتها حفظتها قلوب المنافقين الزائفين .

والأمثلة أكثر من أن تحصر ، والذى يقطع بشطط هذا الاتجاه أن كل مفسر من هذا الوادى يأتى بفهمه الشخصى ، وقد يعارضه فهم آخر لزميل لم يتجه متجهه الإشارى ، فتكثر الأقوال ، فى النص الواحد ، ولا مرجح من المدلول الصحيح ، وتتكاثر النقول الباطلة ، وكتاب الله أحق بالصون والبعد عن التنازع فيما لم ينطق به صريحا ، واذا كان شرط الشاطبى لم يتحقق فى هذه الأمثلة ونظائرها الكثيرة فهى ظاهرة الاعتساف

الاستشفاف لا التفسير

لدينا نوع من الاستشفاف تلهمه الآية الكريمة للواعظ الداعية ذى الاحساس الرقيق ، فيجود خاطره بمعان تدور حول النص ولكنها لا تتجه اليه فى صميمه ، ومثل هذا الاستشفاف لايعد تفسيرا ، ولكنه انفعال باثر حى صادف روحا صافية فانطلقت تعبر عن مشاعرها ، لتحيى موات القلوب . ونعتبر ذلك فيضا دافقا من روح حساسة اطمأنت لمعانى الذكر فتفتقت عن أطايب العظات .

فقد قال الله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم)(١٤)

وهو نص مؤثر استلهمه ابن عطاء الله السكندرى فقال

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى أظهر كل شىء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شىء ، وهو الذى ظهر بكل شىء ! كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر فى كل شىء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر لكل شىء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الواحد ليس معه شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء ، وهو اقرب اليك من كل شىء ؟ كيف يتصور أن يحجبه شىء ولولاه ما كان وجود كل شىء " .

فتلك معان جميلة استشفها ابن عطاء مستلهما قول الله (فاينما تولوا فثم وجه الله)(١٥) ولكنها شىء وتفسير الآية شىء آخر بلا جدال .

هامش

(١) سورة الرحمن ١٨ ، ١٩ . (٢) البقرة . ٦ ، ٧ (٣) سورة النور ١٦ . (٤) التفسير والمفسرون جـ ٢ ص ٣٥٣ . (٥) النساء . ٧٨ . (٦) النساء ٨٢ . (٧) محمد ٢٤ (٨) سورة النصر : ١ ، ٢ ، ٣ . (٩) المائدة : ٣ . (١٠) الموافقات جـ ٣ ص ٣٤٩ . (١١) النساء ٣٦ . (١٢) الشعراء : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ . (١٣) الرعد . ١٧ . (١٤ ، ١٥) البقرة ١١٥

الإسلاميون والثورة

بقلم: د. محمد عمارة

على امتداد الساحة الإسلامية في وطن العروبة وعالم الإسلام - تتمايز الدعوات والحركات العاملة في ميدان " البعث الإسلامي الجديد " تتمايز في المناهج والأهداف وتتمايز كذلك في السبل والادوات التي تتخذها لتحقيق الأهداف والغايات

ومن بين هذه الدعوات والحركات يمثل العلامة ابو الأعلى المودودي (١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٠٣ - ١٩٧٩ م) و (الجماعة الإسلامية) التي اسسها سنة ١٩٤١ م واستمر " أميرا " لها حتى قبيل وفاته . يمثل المودودي وجماعته واحدا من أكثر نماذج البعث الإسلامي الجديد جاذبية لجماهير الشباب الإسلاميين

وحول " مقولات المودودي " يثور الجدل في صفوف الإسلاميين . ويشتد الخلاف بين أنصاره والخصوم وكذلك الحال فيما يتعلق بالأداة التي رشحها المودودي سبيلا لهذا البعث الإسلامي الجديد ، الذي وهب له حياته مفكرا ومناضلا

لقد اراد المودودي ، بما أبدع على درب الصحوة الاسلامية المعاصرة

● تجديدا ، يتجاوز " الفكر " الى " النضال " ، لوضع هذا " الفكر " في " التطبيق "

● تجديدا لايهادن " الجاهلية " ولا يسالمها .. و يأتي بخلط جديد بين الاسلام والجاهلية الغربية الحديثة .. بل يسعى الى " تنقية الاسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية .. والى العمل على احيائه خالصا محضا على قدر الامكان ...

● تجديدا يحيي ويبعث " العقلية الاسلامية " .. كنمط في التفكير والنظر للكون والمجتمع - من جديد ..

● تجديدا يتجاوز علوم الدين الى شئون الدنيا وعلومها وفنونها .. وذلك باستخلاص كليات الدين ، والنظر الى مستحدثات العصر في اطارها وضوئها .. واعادة النظر في ملامح التمدن الاسلامي القديم ، لتكييل للمجتمع المسلم ادوات الرقي ، بالشريعة المتطورة الراقية .. « فالاجتهاد في الدين يعني : ان يفهم المجدد كليات الدين ، ويتبين اتجاه الاوضاع المدنية والرقي العمراني في عصره ، ويرسم طريقا لادخال التغيير والتعديل على صورة التمدن القديم المتوارثة ، يضمن للشريعة روحها وتحقيق مقاصدها ، ويمكن الاسلام من الإمامة العالمية في رقي المدنية الصحيح .. »

● ثم الانطلاق بهذه " الثورة الثقافية الاسلامية " بواسطة " الجهاد الاسلامى " ، من " القطر الواحد " .. الى " الاقطار الاسلامية " .. ثم الى " العالم " كله .. « ليتولى الاسلام امامة العالم ورئاسته فى الاخلاق والافكار والسياسة .. » (١) ؛

وتلك مهام لايستطيع النهوض بها والوفاء بمتطلباتها مجتهد تقف جهوده عند حلقة علمية . او كاتب يقف اجتهاده عند التأليف والنشر لاجتهاداته على الناس . فالمطلوب هو : تجديد يخلص الاسلام من الجاهلية القديمة .. واجتهاد يبدع للحاضر والمستقبل ، على هدى من الكتاب والسنة « دون تقيد بمآثر احد بعينه من المجتهدين الماضين ، او انحصار فى طريقه ومنهاجه دون غيره » ، ودون رفض لكل مآثر الماضين ومناهجهم (٢) ثم تجسيد هذا الاسلام الخالص فى " تنظيم " ، ليتحول " بنضال " هذا " التنظيم " الى مجتمع اسلامى جديد ، نبنيه على انقاض المجتمعات " الجاهلية " ـ المرتدة " المعاصرة ! . ثم نحمل هذا النموذج فى " الحاكمية الاسلامية " ، بـ " الجهاد الاسلامى " ، الذى يقوض كل النظم والحكومات على امتداد ارض الله ، فنقيم هذه الحاكمية الالهية مكان حاكمية الانسان ؟ ! ..

هكذا فكر وقدر . وحلم وتخيل العلامة المودودى .. عليه رحمة الله .

فـ (الجماعة الاسلامية) ـ وليس المجتهد الفرد .. ولا الافراد الذين يقصهم التنظيم ـ هى السبيل الوحيد لحمل هذه الامانة الكبرى والمهمة العظمى ... بل لقد رآها المودودى



ابو الاعلى المودودى

السبيل لتحقيق فكرة خلافة الانسان عن الله فى الارض ؟ .. لان نظام الاستخلاف فى الارض لايمكن ان يتغير ويتبدل بمجرد وجود فرد صالح او افراد صالحين مشتتين فى الدنيا . ولو كانوا فى ذات انفسهم من اولياء الله تعالى ، بل ومن انبيائه ورسله . ان الله لم يقطع ما قطع من المواعيد لافراد متفرقين مشتتين ، وانما قطعها لجماعة منسقة متمتعة بحسن الادارة والنظام ، قد اثبتت نفسها ـ فعلا ـ امة وسطا ، أو خير أمة فى الارض . ان نظام الإمامة لن يحدث فيه اى تغير ولا انقلاب . الا بكفاح ونضال هذه الفئة المؤلفة ـ وتضحياتها ـ ضد كل قوى الكفر والفسق .. فى كل حلبة من حلبات الحياة . نضالا يثبت جدارتها بالاضطلاع باعباء الامامة فى الارض .. ذلك شرط لم يستثن منه حتى الانبياء والرسل ، عليهم الصلاة والسلام . فانى لاجد اليوم ان يتمنى على ربه ان " يستثنيه منه ؟ ! .. (٣) "

الإصلاح أم التغيير

واذا كانت هذه الاداة . اداة " البعث

الاسلاميون والثورة

الاسلامى الجديد " الفئة المنتقاة المتخلقة بخلق . " الاسلام المناضل " . والمنتظمة فى (الجماعة الاسلامية) ، تحت قيادة اميرها المطاع - طاعة شبه كاملة فى كل ماهو مشروع ؟ - .. فماذا عن " اسلوب " عمل هذه الجماعة لتحقيق هذا " البعث الاسلامى الجديد ؟ "

هل هو " الثورة " و " الانقلاب " ؟ .. ام " الاصلاح " و " التغيير الاصلاحى " ؟ " ..

ان بعضا من دارسى دعوة المودودى يرون ان حديثه عن « الانقلاب الاسلامى » - وله كتاب عنوانه (منهاج الانقلاب الاسلامى) - لايعنى انه كان " ثوريا " ، ولا حتى " انقلابيا " " بالمعنى الشائع ، اى الهيمنة على السلطة والعمل بوسائلها . فاستخدامه - فى رايهم - لتعبير " الانقلاب " لم يكن موفقا ، والاجدر بالتعبير عن وسيلته مصطلح " التحول " .. فتركيزه انما كان على التعليم والدعوة .. " (٤) وليس على وسائل " الثورة وادوات " الانقلاب " ..

وبعض من رفاق المودودى ، الذين عملوا معه ، يذهبون نحو هذا المذهب ، ويرون انه كان " يرفض ما يسمى بالاساليب الثورية ، ويؤكد انه من الممكن تحقيق البعث الاسلامى من خلال تكتيك اخر . اكثر تعقلا واكثر ثرويا ، تتم فيه دراسة النظام السائد بهدف استكشاف ما هو بعيض فيه ، ومن ثم فهو يستحق التغيير وما هو صحى ، ومن ثم فهو يستحق الحفاظ عليه " (٥)

ورغم تقديرنا لوجهة النظر هذه ، فاننا نعتقد بان المهمة التى نهض بها الاستاذ المودودى ، ما كان يمكن لواع بخطرها وخطر اعدائها - ولقد كان الرجل واعيا بذلك كل الوعى - ان يظن او يتوهم امكانية انجازها بدون التغيير الجذرى والشامل ، اى الانقلاب العميق .. وذلك بصرف النظر عن التسميات .. انقلابا .. او ثورة .. او تغييرا جذريا وشاملا من الاعماق ! .

ثم ، اننا نميل الى التمييز ، فى مراحل دعوة الاستاذ المودودى ، بين المرحلة المبكرة - والتى نعتقد انه كان فيها داعيا للثورة - وبين المرحلة المتاخرة ، بعد قيام باكستان ، وهى التى مال فيها الى الطريق الاصلاحى ، سبيلا للتغيير الشامل والجذرى الذى لم يتخل عنه ابدا . .

لقد كان الهدف واضحا ، لا مجال فيه لخلاف .. التغيير الجذرى والعميق والشامل .. ولم يتغير هذا الهدف طوال حياة المودودى النضالية ... كما كان مفهومه للانقلاب وللثورة متميزا عن مفهوم الحركات الثورية الاخرى لهذه المصطلحات .. فهو يريده تغييرا جذريا عميقا وشاملا ، لكن فى تدرج واناة تتيح لبذور التجديد ان تنمو نموا طبيعيا فتؤتى انضج الثمار .. فعنده " ان كل انقلاب سياسى لاترسخ اصوله فى العقلية الاجتماعية والاخلاق والتمدن ، يكون كالنقش على سطح الماء ، ولئن قدر لمثل هذا الانقلاب ان يتحقق ويتم باسباب مؤقتة وقوة عارضة ، فلا يمكن ان يبقى الى بعيد ، بل يمحى عن قليل ويزول ،

واذا زال لم يخلّف وراءه من اثر يذكر " (٦) ؛

والاصطلاحات الجزئية لن تقود الى الهدف العظيم المنشود · تجديد الواقع الاسلامى بالاسلام .. ذلك " ان مشروعا من مشاريع الاصلاح الجزئى لايكاد يجدى شيئا فى هذا الشأن وقصارى ما يمكنكم بانشاء المدارس الدينية وتلقين الناس الشهادتين والصلاة ووعظهم بالاقلاع عن الفسق والعصيان ومحاربة الفرق الضالة ان تحولوا بعض الحيلولة دون مصير الدين الى الهلاك ، وتمسكوا بعنانه حتى ينشأ فى عمره قليلا ، وتحظى الحياة الدينية العامة بأنفس قليلة اخرى ولكن ، كيف يرجى من مثل هذه التدابير ان تعلو كلمة الله وتذل بإزائها كلمات الجاهلية ؟ وذلك ان الاسباب والعلل التى ما زالت الى اليوم تعمل على قهر كلمة الله واعلاء كلمات الجاهلية ، تبقى قائمة حية فى هذه الحال . وكذلك اذا اردتم ان يبقى النظام الحاضر قائما على اسسه وقواعده الحاضرة ، ثم تصلحون مفسدة من المفاسد الموجودة اليوم فى اخلاقكم واجتماعكم او عشرتكم او ادارتكم او سياستكم ، فان ذلك لن يتحقق بحيلة من الحيل ابدا ، لان كل شىء منها قد تولد من المفاسد الاساسية لنظام الحياة الحاضر ورضع بلبنها ، وتربى فى احضانها ، وكل مفسدة منها مستندة الى مفاسد كثيرة أخرى . فلابد لازالة فساد شامل للحياة كلها من برنامج جامع يقوم بعمل الاصلاح من الجذر الى الفروع بغاية من الاتزان والتناسب . "[٧]

وهذا الاصلاح الجذرى والعميق والشامل ، ليس بالضرورة أن يكون « مسلحا . وعنيفا » بل لقد مال المودودى الى الطريق « السلمى » لتحقيق هذا التغيير . وضرب المثل بما احدثه الاسلام الأول فى المجتمع العربى من تغيير عميق ، بالاسلوب السلمى فعنده ان المؤرخين قد غابت عنهم حقيقة الطبيعة السلمية للانقلاب الاسلامى فى عصر النبوة ، فظنوه ، بسبب الغزوات ، « قد حدث بالحروب والمعارك الدامية » . لكن هذه الحروب التى لم تستمر الا بضع سنين . والمعارك التى لم يقتل فيها الا الف وبضع مائة رجل من كلا الجانبين ، ماكان باستطاعتها أن تحدث « هذا الانقلاب العظيم .. واذا كان لك علم بتاريخ الثورات فى العالم ، لما وسعك الا الاعتراف بأن هذا الانقلاب ، الذى ما اريق فيه الدم الا تحلة للقسم ' ، جدير بأن يسمى انقلابا سلميا[٩]

هذا عن آهداف الانقلاب الاسلامى .. واسلوبه ..

● إيمان المودودى بالديمقراطية

اما قضية « الثورة » فى فكر المودودى ، المتعلق بأداة البعث الاسلامى ، فليست خاصة بعمق التغيير وشموله فموقفه من هذا الامر لم يتغير ولم يطرأ عليه تبديل .. لكن الذى طرأ عليه التعديل هو إيمانه بالديمقراطية وأدواتها سبيلا لهذا الانقلاب

ففى المرحلة الأولى . مرحلة المواجهة مع الانجليز والهنادكة . وعندما كانت الأغلبية هندوكية ، لم يكن المودودى من أنصار الانتخابات ، سبيلا للتغيير ، لانها ثمرتها ، وهى سلطة الأغلبية ، كانت

مرفوضة منه ، لأنها ذات « الحاكمية الجاهلية » .. فكانت نبرة الثورة ملحوظة فى ادبياته بذلك التاريخ . فهو يدعو الى « خلق العقلية الثورية والفكر الثورى » وان يكن بالتدريج . ويقول « إنه من الواجب مراعاة التدرج من أجل خلق العقلية الثورية والفكر الثورى ان تقديم الغذاء الزائد عن الحد يحمل الضرر للناس ، كما أن اعطاء غذاء أقل من حاجتهم يحمل أيضا نتائج سيئة .. »(٩) .

وفى تلك المرحلة لم يكن المودودى يخفى عدم جدوى « التدابير القانونية » فى الاصلاح . إذ لابد من « الاسلوب الثورى » ... « إنه لاوسيلة أمامنا سوى اتباع الاسلوب الثورى ، وذلك نتيجة لما وصلت اليه الظروف . ولامجال الآن لنجاح التدابير القانونية .. فليس أمامنا الآن سوى التضحية بالروح والمال لتغيير مسار الأحداث .. وطالما لايمكن أن نوضح بسلوكنا وعملنا أن المسلمين لديهم القوة والشجاعة لأن يموتوا من أجل حياتهم القومية ، فلن تتغير أية كلمة فى الدستور عن مكانها ، ولن تتراجع سيطرة الدولة القومية الجمهورية - [الديمقراطية ذات الأغلبية الهندوكية] - العلمانية علينا .. فلو اراد المسلمون الحياة ، فيجب أن يكونوا - خاصة الشباب منهم - على استعداد لتقديم دمائهم الزكية رخيصة فى سبيل الحياة » (١٠) .

وعندما عرض المودودى ، فى تلك الفترة ، لموقف الاسلام من « مشروعية الثورة » على أولى الأمر من الحكام الجائرين ، نهج « نهجا ثوريا » فى تفسيره للأحاديث النبوية التى رويت فى هذا الموضوع .

ففى [صحيح مسلم] ، عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « يكون عليكم امراء تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع ؟! »

فقالوا - [اى الصحابة] « افلا نقاتلهم ؟! »

فقال صلى الله عليه وسلم · « لا . ما صلوا » !

وفى [صحيح مسلم] ، أيضا ، قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « شرار أئمتكم : الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » .. قلنا - [اى الصحابة] - « يارسول الله ، أفلا ننابذهم عند ذلك ؟! » قال : « لا ، ما أقاموا الصلاة ..لا ، ما أقاموا الصلاة !! » .

فلما عرض الاستاذ المودودى لتفسير هذين الحديثين الشريفين ، قال : ... وقد يظن من الحديث الأخير ! أو ماقبله أن ولى الأمر اذا أدى الصلاة فى حياته الفردية الخاصة فلا تجوز الثورة عليه ، لكن المراد باقامة الصلاة ، فى الحقيقة ، هو اقامة نظام الصلاة فى حياة المسلمين الجماعية ، فلا يكفى اولى الأمر أن يكونوا مصلين ، وإنما يتحتم عليهم ، الى جانب هذا ، ان ينظموا اقامة الصلاة ، ويجعلونها قاعدة فى نظام حكمهم ، لأنها الدليل على أن حكومتهم حكومة اسلامية ، والا فقد انحرفت عن قالب الحكومة الاسلامية . وهذا ما يتضح من رواية

أخرى تقول : إن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، قد عاهدنا من جملة ماعهدنا عليه ـ ان الا ننازع الأمر أهله «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان [١١] .. [١٢] »

ثم .. هل يتصور لفكر مفكر كالمودودى ، حكم على المجتمعات الاسلامية بأنها قد ارتدت عن الاسلام الحقيقى ، وعادت ـ منذ قرون ـ الى الجاهلية ، التى زادت طامتها بجاهلية الغرب الحديثة ... وهو يسعى لمجابهة الفكر والردة والجاهلية .. هل يتصور منه ـ فى مرحلة انعدام ايمانه بسبل الديمقراطية وأدواتها ـ الا أن يكون ثوريا ؟! .. وهل بالاستطاعة تخيل اعتقاد المودودى بامكانية اقتلاع الجاهلية التى تعيش فى المجتمع منذ عهد عثمان بن عفان ، والتى زادتها جاهلية الغرب الحديثة دعما وخطرا .. امكانية اقتلاعها « من خلال تكتيك غير ثورى »؟! ..

صحيح أن المودودى قد تحدث فى كتابات كثيرة عن أن « التغيير ليس له من سبيل ، فى نظام ديمقراطى ، الا الخوض فى معارك الانتخابات . وذلك بأن نربى الرأى العام فى البلاد ونغير مقياس الناس فى انتخابهم لممثليهم ، ونصلح طرق الانتخاب ونطهرها من اللصوصية والغش والتزوير ، ثم نسلم مقاليد الحكم والسلطة الى رجال صالحين يحبون ان ينهضوا بنظام البلاد على أسس الاسلام الخالص .. [١٣] .

رسالة من السجن

لكن هذه الكتابات هى فكر المودودى فى مرحلة ما بعد قيام باكستان .. المرحلة التى استقلت فيها القومية الاسلامية ، ولم يعد المسلمون فيها اقلية تخشى السيطرة الساحقة للأغلبية الهندوكية . أما فى المرحلة الأولى ، فلم يكن الانتخاب ولا السبيل الديمقراطى هو طريق المودودى للتغيير ، لأنه كان رافضا للديمقراطية ، بسبب من خطر تكريسها سيطرة الهندوك المهددة لقومية المسلمين بالتشوه والذبول والزوال .. فعندما لم تعد الديمقراطية خطرا على المقومات القومية للمسلمين نهج المودودى نهجا ديمقراطيا الى التغيير .. أما فى المرحلة الأولى فلقد كان ثوريا ! ..

ومن الكتابات التى تعكس النهج الاصلاحى ، الذى تحول اليه المودودى ، فى مرحلته الأخيرة ، وتصور هذا « المزاج غير الثورى » ، تلك الرسالة التى كتبها أثناء سجنه بالسجن المركزى الجديد بملتان ، الى السيد تشود هرى غلام ـ [فى رجب سنة ١٣٦٩ هـ ـ ٦ ابريل سنة ١٩٥٠] ـ والتى يقول فيها .

« إن « مزاج » الاسلام يختلف عن أمزجة الحركات الثورية فى العصر الحاضر . فالاسلام حين يصل الى مرحلة النجاح (أى الحكم) فانه يتبع سياسة العفو بدلا من الانتقام والعنف والشدة والقهر والعذر التى تتبعها الحركات الثورية المعاصرة .. وسياسة الاسلام فى سبيل تغيير النظام الفاسد السابق ، واحلال برنامج اصلاحى بدلا منه ، هى سياسة تتصف بالليونة والهدوء والتدرج وعدم العنف .

لقد كان قيام الوطن المستقل لمسلمى الهند ـ باكستان ـ حدثا جللا فى حياة

الإسلاميون والثورة

المودودى تخيل به أن « الحلم » قد أصبح « واقعا فبدأ مرحلة الحنو على هذا ، الحلم - الوليد » . ولقد كان يسميها « بيت الاسلام » .. وكتب عنها يقول « اننى لا اعتبر هذه البلاد بلادنا ، بل هى بيت الاسلام . لقد واتتنا الفرصة لأول مرة . بعد قرون لنقيم دين الله فى صورته الحقيقية ، ونقدم للعالم أجمع المثال العملى لفلاح هذا الدين ونجاحه . أنها نعمة كبيرة أنعم الله بها علينا ، ويجب علينا أن نصونها ونحافظ عليها بشتى الطرق وبأى ثمن . إننى أتمنى أن يشعر كل باكستانى بعاطفة تجاه هذه النعمة ، وأن يقدرها حق قدرها ، وأن يحفظها فى قلبه وروحه . وأن يشعر أنه لاتوجد آية تضحية أعظم وأغلى من الحفاظ على هذه النعمة .

وعليك ان تتذكر دائما أن تقديم الروح رخيصة من أجل الحفاظ على دين الله أعلى مرتبة وأعظم من تقديم الروح من اجل الحفاظ على الثروة أو العزة أو الكرامة ، وأن الاستشهاد تحت هذه العاطفة استشهاد له أعظم الدرجات عند رب العالمين !(١٤)

هذا عن اداة البعث الاسلامى الجديد فى الدائرة الأولى ، المحلية والقومية : « تنظيم » مناضل ، ينهض بالتغيير الجذرى والشامل لواقع الأمة ، فيجدد حياتها بالاسلام ، ويقيم الدولة الاسلامية التى تجسد هذا البعث الاسلامى الجديد ..

لكن المهمة لاتنتهى عند هذه الحدود .. فالاسلام - عنذ المودودى - فكرة انقلابية ومنهاج انقلابى ، لا للوطن فقط ، ولا للقومية وحدها ، ولاللأمة فحسب .. وإنما للعالم بأسره .. و« الجهاد الاسلامى » هو الأداة التى تحمل « الحاكمية الالهية » و « البعث الاسلامى » الى كل أرض الله وسائر أرجاء الكوكب الذى يعيش عليه الانسان

الهوامش

(١) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه - ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٢١

(٢) المرجع السابق - ص ١٢٢

(٣) الاسس الاخلاقية للحركة الإسلامية - ص ٤٠

(٤) الدعوات الاسلامية المعاصرة ص - ١٦٠

(٥) د / خورشيد احمد (نموذج المودودى للبعث الاسلامى) دراسة بمجلة المسلم المعاصر ص ١٢ عدد ٣١ - رجب - شعبان - رمضان سنة ١٤٠٢ هـ .

(٦) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه - ص ١١٥

(٧) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم - ص ١١٦

(٨) منهاج الانقلاب الاسلامى - ص ١٢٠ ، ١٢١

(٩) الامة الاسلامية وقضية القومية - ص ١٤

(١٠) المسلمون والصراع السياسى الراهن - ص ١٢٤ ، ١٢٥

(١١) رواه البخارى ومسلم .

(١٢) الحكومة الاسلامية - ص ٧٠ ، ٧٦

(١٣) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٨٨

(١٤) المرجع السابق - ص ١٤٩ ، ١٥٠

الربا حرام .. وأنواع

ولكن ما هو الربا ؟

بقلم : د. عبد المنعم النمر

حرم الله الربا بنص القرآن الكريم حينما قال سبحانه ردا على العرب الذين قالوا ((انما البيع مثل الربا)) (وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة — ٢٧٥

وأمر بترك التعامل به فقال : ((يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين)) وهدد كل من لم يمتثل ذلك فقال : ((فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)) وفتح الباب للذين يتركونه ((فان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)) .

وهذه تشعر بأن الربا هو كل مازاد عن المبلغ المقترض ، حين سداده للدائن .. وتضع مع ذلك قاعدة فى المعاملة الحلال « لاتظلمون ولاتظلمون » . وتشعر ايضا بأن الزيادة المشترطة عن المبلغ المقترض ظلم من الدائن للمدين . وان سداده بالنقص ظلم للدائن ، وكلاهما غير مقبول ..

واشعرنا فى الاية التالية ان الزيادة التى تفرض عن المدين هى من أجل مد المدة ، مدة بقاء المبلغ المقترض فى يد المدين ينتفع به ، اى تأخير وقت السداد . بعد حلوله حيث يقول الله تعالى « **وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسره** » اى ان وجد ذو عسرة ، ولم يقدر على السداد حين حلول الاجل ، فلتؤجلوا وقت السداد ، وانتظروه حين ميسرته ، دون ان تفرضوا مقابل للتأجيل والانتظار بل تعاونا طيبا منكم معه ، وتقديرا كريما لظروفه ، ومعروفا تسدونه لاخيكم .

وان شئتم ما هو افضل واحسن عند الله ، فتصدقوا بالمبلغ كله

الربا حرام .. وأنواع ولكن ماهو الربا ؟

على المدين المعسر « وان تصدقوا خير لكم » « ١ » ويفهم من هذا ان قيمة الدين فى حدود وامكان التصدق به من الدائن على المدين .

وهذه الايات هى اخر الايات نزولا من القرآن الكريم ، نزلت بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة من حجة الوداع التى نزلت اثنائها والرسول فى عرفة عصر يوم الوقوف ايه « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » من الاية الثالثة من سورة المائدة :

وقبل آيات الربا هذه ، نزلت اية اخرى فيه هى قوله تعالى « يا أيها الذين امنوا لاتاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » وهى الاية ١٣٠ من سورة ال عمران .

وكانت المرحلة قبل الاخيرة فى النهى عن الربا ، ثم نزلت الايات المتقدمة من سورة البقرة تقول « فان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » تحرم المضاعف وغير المضاعف .

لعنة آكل الربا

وقد جاءت السنة تبين القرآن ، وتعلن أكل هذا الربا ، وموكله .. وشاهده وكاتبه ، وكل من يعين عليه ، ومن هنا يكفر كل من عرف ان هذا ربا وحلله .. لانه يكون قد عارض القرآن فى قوله « وحرم الربا » لكن اذا رأى ان معاملة لايتوفر فيها معنى الربا فقال بجوازها فلا يمكن ان نقول عنه : انه أحل الربا والا كنا مفترين عليه، مادامت له ادلته على ما يقول ..

فما هو هذا الربا الملعون ؟

لم يؤثر عن الرسول صلى الله عليه بيانات تفصيلية وتطبيقية له ، ويظهر لى ان هذا راجع - اولا - الى ان مفهوم الربا كان واضحا حين نزول الايات فى الاذهان .. وثانيا - لان كانت اخر مانزل من القران ، قبيل وفاة الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتسع ليال .

ولذلك روى - كما جاء فى المحلى لابن حزم حـ ٨ .. ان عمر - رضى الله عنه - قام خطيبا فقال : انه كان من اخر مانزل من القرآن ايات الربا ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قبل ان يبينه لنا ، فدعوا ما يريبكم الى مالا يريبكم » وروى عنه أيضا « تركنا تسعة اعشار الحلال مخافة الربا » .

ولا شك ان عمر رضى الله عنه كان يعرف مفهوم الربا عند العرب حين نزول الايات ، لكنه رأى ان ذلك لايكفى عنده وتمنى أن لو بينه الرسول بيانا تفصيليا ، يوضح وجهة نظر الاسلام فى الامور التفصيلية ، ولذلك حين التطبيق كان يحتاط ، ويقول : دعوا ما يريبكم الى مالا يريبكم ، وتركنا تسعة أعشار الحلال . الخ »

والقران نزل يقول « لاتاكلوا الربا » ويقول « وحرم الربا » « وذروا مابقى من الربا » ومعنى ذلك ان الربا كان

« ١ » يرجع الى النص الكامل بهذه الايات من الاية ٢٧٥ الى ٢٨٠ من سورة البقره . وهى اخر الايات نزولا.

مفهوما باسمه ، ويتداول العمل به حينذاك ، ولذلك اكتفت الايات بذكره، دون اى تعريف وتفصيل له ، وتركت ذلك لمفاهيمهم وما اصطلحوا على تسميته بالربا ، وقال الرسول صلى الله‌عليه وسلم ـ « اول ربا اضعه ربا العباس » فكان الرسول والعباس والناس يعرفون المراد من الربا ..

ولذا قال المفسرون : ان « ال »فى الربا للعهد ، أى الربا المعروف المعهود الذى تفعلونه ، فقد ذهبوا فى بيانه الى أقوال مختلفة لكن يجمعها فى الحقيقة أن يفرض على المدين أو يطلب هو زيادةعلى الدين ، نظير مدالمدة وتأخير وقت السداد، لعدم القدرة علىالسداديدفعها فى الوقت المتفق عليه .. فهو زيادة على الدين نظير المدة .. يدفعها المدين للدائن . ويمكن ان تستمر لاستمرار عجز المدين فعلا أو تقديرا كما اذا كان الاجل لعدة سنين . وكل سنة فيها زيادة عن سابقتها وعن الاصل..حتى يتضاعف الدين ، ويستغرق ما يملكه المدين فينزع ملكه لمصلحة الدائن ..

هذا هو الاصل واللب فى ربا الجاهلية وإن كانوا قد اخرجوه فى صور متعددة وقد جمعها ابن القيم فى قوله « ربا النسيئة هو الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية ، مثل أنيأخر دينه « أى سداد دينه » ويزيده فى المال ، وكلما اخره زاد فى المال حتى تصير المائة آلافا مؤلفة » ثم يقول :

« وفى الغالب لايفعل ذلك الا معدم محتاج .. الخ « ١ » » ومن هناسيكون لنا كلام فيما بعد .

ولعل من أجل هذه الحالة ـ معدم محتاج ـ وجه الله الدائنين الىالتصدق على المدين « وأن تصدقوا خيرلكم »

فحالة المدين تستحق التصدق عليه بالدين فعلا وهذا يعنى أن الدائن أيضا فى قدرته التصدق ، وهو يملكه ، وأن الدين مما يمكن التصدق به عادة ..

● الربا نوعان :

النوع الاول هو هذا الربا الذى تحدثنا عنه ويسمى : « ربا النسيئة » اى الزيادة الناشئة عن تأخير وقت السداد .. من : نسأ « اذا أخر ، فالنسيئة : التأخير ، ومنه قولنا « عرق النسا » اى العرق الذى يؤلم فى المؤخرة الممتد فى الفخذ .. وان كان الناس ينطقونه بكسر النون «النسا » خطأ ..

ويسميه ابن القيم وغيره بالربا الجلى وقال عنه الامام أحمد « هو الربا الذى لاشك فيه » .. وبعضهم يسميه ربا القرآن .. لان القرآن هو الذى حرمه .. وهو مقابل لربا أخر حرمته السنة ولم يأت به نص فى القرآن .. وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم « ربا » أيضا ..

وهو « ربا الفضل » اى الزيادة ، وهو لايأتى فى القروض وليس نظير مدة وانما يأتى فى البيع والتبادل فىالسلع المتعامل بها بين الناس . بزيادة فى احدى السلع ، أو بعدم التقابض فى مجلس البيع كما سيأتى .. وقد حدد

الرسول كيفية التعامل الصحيح فى بعض السلع . ومنها تأخذ غيرالصحيح الذى سمى « بربا الفضل » . وخلاصة التبادل الصحيح الجائز فى بعض السلع أن تكون متساوية متماثلة كيلا او وزنا

«(١)» انظر تفسير المنار ج ٤ ص١٢٣ وما بعدها ، وكتابى « الاجتهاد » موضوع ما هو الربا ص ٣٧٥ وما بعدها الطبعة الاولى ١٩٨٦

الربا حرام .. وأنواع

ولكن ما هو الربا ؟

وأن يتم التبادل ناجزا وقبضا دون تأخير عن مجلس العقد ..

وقد صورته أحاديث مروية صحيحة منها ما رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الذهب بالذهب « أى يباع» والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد » وفى بعض الاحاديث الصحيحة زيادة هى قوله « فاذا اختلفت الاصناف كأن كانت ذهبا بفضة أو فضه بقمح مثلا تبيعه كيف شئتم « أى دون اشتراك المثلية والاستواء لانهما غير متصورين » اذا كان يدا بيد » «١» أى بشرط أن يتم التبادل فى الحال كأن تعطيه الذهب وتأخذ منه الفضة أو القمح » فربا الفضل المتصور هنا هو مثلا : أن تبيع درهمين من الذهب بثلاثة منه ، يعنى يكون هناك تفاوت فى الصنف الواحد وزنا أو كيلا : مثل كيلة من القمح بكيلة وربع مثلا ، وفى هذا جاء حديث « فمن زاد أو استزاد فقد أربى (٢)» أى فعل زيادة ، وهى غيرجائزة ..

ويأتى ربا الفضل أيضا فى عدم التقابض عند العقد كأن يبيع ذهبا موجودا بذهب مثله يسدده بعد مدة.. أو يبيع قمحا ناجزا بذهب يسدده بعد مدة ..

هذا التعامل سمى « ربا » وربا الفضل .. فى مقابل ربا النسيئة .. وسمى « الربا الخفى » لان صورة الضرر فيه غير بارزة أو واضحة . ولذا قال البعض : ان حرمته تعبدية ، أى غير مفهومة العلة والسبب . ولكن الكثيرين قالوا ان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين سبب منعه ، حين قال : لاتبيعوا الدرهم بدرهمين فانى أخاف عليكم الرما أى الربا .. فمنعهم من لبيع بهذه الزيادة خوفا من أن يستمرئوا الزيادة فيجعلوها فى القروض أيضا . ويقولوا ما دمنا قد بعنا الدرهم بدرهمين فلا مانع من أن نقرض الدرهم ونأخذ درهمين او ان يتخذوا هذا البيع « درهما بدرهمين » مؤجلين بابا للربا الحقيقى وحيلة له لو اجزنا هذا البيع . فمنعهم من ذلك سدا الباب اخر من الفساد .. يعني ان المنع ليس لسبب وضرر كامن فى البيع نفسه ولكن الامر خارج عنه هو الخوف من أن يؤدى التعامل بهذا الى الزيادة عند القروض ، وهو ربا بالنسيئه .. هذا هو معنى تحريمه أو منعه « سدا للذريعة » وهى مستعملة بين الفقهاء يريدون بها سدا لباب من الفساد يترتب على جوازه ، كما منعوا من النظرة لاجنبيه بشهوة سدا لفساد أكبر عبر عنه شاعرنا بقوله ..

نظرة فابتسامة فسلام
فكلام فموعد فلقاء

وان كان هذا سببا من اسباب منع النظر بشهوة ، لان هناك سببا اخر يحصل فى الناظر نفسه من اثارة شهوته وانشغاله بهذه الناحية الجنسية عن الجاد المطلوب من أموره ..

والشارع الحكيم يحتاط بمنع كل ما يؤدى الى ضرر ، فلا يقتصر على تحريم الضرر فحسب ، ولكن يحرم أيضا الوسائل المؤدية اليه « ولا يترك الفاس تقع على الرأس » ..

ونحن نباشر مثل هذا مع أولادنا ، فنقول لهم ناصحين : « امشوا على جانب الشارع ولا تمشوا فى وسطه ، خوفا عليهم من السيارات. أو «سوقوا على مهل » .. خوفا من الحوادث.وهكذا فنحذر من الوسائل والتصرفات التى تؤدى الى خطر .. فالمشى فى وسط الشارع جائز ، لكن لما قد يترتب عليه من خطر قلنا « لاتمشوا » احتياطا .. وقد قال الائمة جميعا فى نظرتهم الى

«١» رواه أحمد ومسلم ، وعند البخارى الذى .. «٢» رواه مسلم

« ربا الفضل » ان تسميته بالربا ، تجاوز (١) ومبالغة ، للتخويف منه وعن الوقوع فيه.. والرسول - صلى الله عليه وسلم نفسه - قال فى سبب منعه كما سبق انى اخاف عليكم من الربا أى الاصلى .. فربا النسيئة أو القروض حرام درجة أولى مثلا وربا الفضل فى التبادل والبيع لسلع مخصوصة حرام درجة ثانية أو ثالثة .. لانه حرام ومنع لسد حرام اكبر وأضخم .. فيكون قطعا اقل منه فى الحرمة والمنع .. وهو لا يمثل امرا حيويا واقعيا فى حياة الناس لربا القروض ، وانما يمثل جانبا ضيقا فيها .. فهو يتمثل مثلا بين الفلاحين حين يحتاج الواحد منهم الى « تقاوى » نظيفة وجيدة ليست عنده فيذهب لمن عنده ويقول له : أريد منك نصف اردب أرزا من أرزك الجيد لان الذى عندى غير جيد فالشريعة تحتم عليه ان تعطيه نصف أردب من أرزك نظير نصف الاردب الجيد من أرزه !! وهذا غير متصور الا أن يكون كريما متساهلا .. فما الطريقة اذن ؟ هل نعطيه زيادة من غير الجيد لا تعادل جودة أرزه ؟

الطريقة بينها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهى أن تبيع ارزك بسعر وتشترى أرزه بسعره وذلك حين استعمل رجلا على خيبر - أى ولاه عليها - فجاءهم بتمر جنيب «أى طيب»، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أكل تمر خيبر هكذا ؟ قال الرجل : انا لنأخذ الصاع من هذا الصاعين بالثلاثة - عن طريق التبادل - فقال له : لاتفعل . بع الجمع « أى الذى عندك » بالدراهم ، ثم ابتع بهذه الدراهم جنيبا ، وقال له فى الميزان - اى فيما يوزن - مثل ذلك » رواه البخارى عن ابى هريرة ..

ومع أن السعر لابد أن يكون مراعى من الجانبين دائما .. ويكون الفرق بين الصنفين فى الكيل أو الوزن مغطيا لهذا الفرق ، ولا يوجد ظلم لاحد الجانبين ، لان التبادل تم عن رضا واختيار وسعر السوق هو الحكم بينهما ، مما يحصل حتى الان عند تبادل الحبوب فى الريف الا ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أشار بهذه الطريقة لانها تقطع كل الظنون وكل الوساوس عند أحد الطرفين .. بانه مغلوب فى المبادلة للطرف الاخر .. وهذا احتياط بالغ فى طريقة التعامل ، أو المثل الاعلى فى التعامل يرشدنا اليه الرسول عليه الصلاة والسلام .. مع ان مراعاة الطرفين كل لسعر سلعته فى السوق ، وقيام التبادل على هذا الاساس الان يحقق العدل ويمنع التظالم .. لاسيما والتراضى متوفر بين الجانبين والاقتناع .. وكل واحد من الطرفين متنبه للسعر ، وليس مغفلا أو غافلا ، فصاحب القمح الجيد يعرف هو والاخر ان الاردب من قمحه يساوى ١٨ جنيها مثلا ، ويعرفا ان الاردب من الصنف الاقل يساوى ١٢ جنيها فى السوق .. ويتبادلان على هذا الاساس المعروف : الاردب من القمح الجيد باردب ونصف من القمح الاخر .. فلا جهالة ولا تظالم . والهدف الذى اراده الرسول متحقق وان لم يكن على المستوى الذى اراده بالضبط ليقطع الظنون والوساوس .. وحتى لايتخذ وسيلة ومبررا للزيادة فى القروض كما قلنا من قبل .. ويتحقق ربا الفضل بناء على ماورد فى الحديث فى أن تنزل الى السوق وتشترى قمحا أو مصافا بسعر محدد ، وتؤجلان وقت

---

(١) ولذا يقول شاه ولى الله الدهولى فى كتابه « حجة الله البالغة » عن تسميته بالربا انه كما نقول « المنجم كاهن »ويقول الدكتور عبد الله دراز فى بحثه عن الربا « وواضح ان تسميته الربح المجتلب من طريق هذا التبادل باسم « الربا » انما هى تسمية مجازية قصد بها الى ابراز ما فيه من مخالفة لقانون الاخلاق ، وذلك بتشبيهه بالربا الحقيقي

الربا حرام .. وأنواع ولكن ما هو الربا ؟

الدفع .. ويقبل التاجر والصائغ هذا .. تخفيفا على المشترى ، وتكرمه له ، وتقديرا لحاله .. لكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنظره البعيد، وحرصه على الا يحصل شيء ولو صغيرا يعكر الصفو ، ويزرع الوساوس والتنازع ، قدر ان السلعه ربما يرتفع ثمنها أو ينخفض عن وقت الشراء فربما يحدث، شيء بين المتبايعين ، فأمر بالتقابض خوفا من حدوث هذا الشيء ، لان كلا منهما يكون قد تسلم حقه ، وانتهى الامر .. فلا وجه ولا فرصة للمماحكة ، والقال والقيل ، انتهى الامر .. وربنا يبارك .. وهذا لاشك أفضل ..

لكن اذا كان سير الحياة والتسهيل على الناس فى التعامل ، وعدم التعسير عليهم ، قد أوجد عرفا جديدا استراح المجتمع له ، وتعامل على اساسه لتحقيق مصالحه وتوفير حاجاته ، فانى أرى جواز ذلك نزولا على حكم الحاجة والمصلحة للناس ..

لماذا ؟

وهنا قد يسأل سائل : كيف نترك ارشاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا لحاجة الناس ومصلحتهم ؟..

واقول له .. يجوز تقديرا لحاجة الناس ، فى مثل هذا الموضوع .. لان الفقهاء قرروا ان مامنع أو حرم سدا للذريعة والفساد ـ أى ليس محرما لذاته كربا النسيئة ـ يجوز عند الحاجة .. ومثلوا لذلك بالنظرة للاجنبية فهى ممنوعة خوفا من ان تؤدى لفساد أكبر ـ كما قدمنا ـ لكن اذا كانت هناك حاجة ـ وهى أقل من الضرورة ـ للنظر جاز مثل أن ينظر الشاب لمخطوبته ، ويدقق النظر فيها، وقد امر به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم واحدا من أصحابه خطب انصارية ،، وقال له . انظر اليها ـ أى فاحصا ـ فان فى اعين الانصار حولا .. واكتشاف الحول لايكون بالنظرة العابرة العامة ولكن بالنظرة الفاحصة .. وهي حينئذ جائزة للحاجة اليها ، لانه زواج . والمريضة حين تدعو حاجتها لكشف طبيب على جسمها للتعرف على مرضها يجوز النظر مع انه فى الاصل ممنوع ـ للحاجة الية .. وهكذا ..

وقد قال الفقهاء والمفسرون .. ان حرمة ربا الفضل هذا بالنسبة لحرمة ربا النسيئة فى القروض كنسبه حرمة النظرة واللمس بشهوة والخلوة الى حرمة الزنى .. والفرق بين الحرمتين شاسع .. ولذلك تنتفي وتزول حرمة ربا الفضل عند الحاجة الى التعامل به . .

وقد أباح الرسول بعض ما ينطبق عليه ربا الفضل لحاجة أصحابه للتفكه باكل الرطب من النخل ، فاجاز بيع الثمر بالرطب على النخل وهو اصلا ممنوع لانه لا يتحقق فيه التماثل المشروط فى مثله وذلك لما قال له أصحابه بعد أن منعه : انا نحتاج عادة لمثل هذه المعاملة، حين يكون عندنا تمر ، وليس عندنا نخل فيه رطب نتفكه به نحن واولادنا ، فأجازه لهم ، على ان يخرصوا ويقدروا الرطب بما يشير اليه من تمر حين يجف بحيث يكون متماثلا او قريبا من التماثل لان خرصهم لن يكون دقيقا جدا مهما يكونوا ، وسمى هذا فى كتب الفقه « لبيع العرايا » جمع عرية ، وهى النخلة يباع ما عليها من رطب بتمره فاذا كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اباح لهم ما تنطبق عليه حرمة « ربا الفضل » من اجل حاجتهم للتفكه اى اكلهم ما يعتبرونه فاكهة ، فهنا عندنا حاجات اشد من هذه لابد من مراعاتها . والا اسأنا الى الشريعة وعرضناها معارضة لمصالح الناس .

فواحد يحتاج الى قمح ليزرعه ، أو

ليطحنه ويأكل منه ، وليس معه الثمن الان ، ورضى البائع أن يبيع له ويعطيه القمح على ان يأخذ الثمن بعد ذلك فى موعد يتفقان عليه . هل نتمسك بأن هذا ممنوع وحرام لان التقابض لم يتم ، كما شرط الحديث ، أم نجوزه للحاجة الظاهرة .. هل يترك الارض دون زرع؟ والبيت دون خبز ؟ . اذا كان الرسول « ص» قد أجازه من أجل التفكة ، افلا نجيز من أجل هذه الحاجات ؟ ولا نكون مخطئين ولا مبتدعين ، بل متبعين. ومعروض أمامى الان حالة تتصل بهذا وملخصها :

ان مؤسسة أرادت اقامة مشروع لاستخراج الذهب ، ورات أنها ستضطر للاقتراض من البنوك بربا ، وهى اسلامية لا تريد التعامل بالربا .. ففكرت فى أن تعرض صكوكا لبيع الدينار الذهبى الذى تسكه مما تخرجه من الذهب ، وتبيع هذا الدينار بوزن وعيار محدد ، بمبلغ يقل عن سعر الذهب الحالى ، تشجيعا للاقبال على شرائه ، وحددت مواعيد استلام الدنانير الذهبية ، وضمن احد البنوك المعتمدين العالميين هذه العملية .. قال بعض العلماء ان هذه العملية فيها ربا فضل ، وغير جائزة شرعا ، وحجتهم: أن الاوراق النقدية الان كالذهب تأخذ حكمه ، فتكون العملية شراء ذهب بذهب ، فلابد فيها من التقابض ولا يجوز التأجيل ، وهنا فيه تأجيل تسليم الذهب . فيكون فيها ربا الفضل ، وهو غير جائز ..

هذه حجتهم ، وتؤدى الى ايقاف المشروع ، أو الى الاقتراض بالربا لاقامته ، وكلا الامرين مر .. وضرر على النشاط العربى الاسلامى ، لان هذه اول مرة يدخل مسلمون عرب هذه الميادين التى كانت موقوفة على الاجانب.

وكان رأيى أن هذه الاوراق النقدية كالدولار أو الجنيه لا تمثل النقد الذهبى الان .. بعد أن زال غطاؤها الذهبى ، فليس فيها تبادل ذهب بذهب ، وبالتالى ليس فيها ربا الفضل ..

وحتى لو اعتبرناها كالذهب واخذت حكمة مجاراة لكم ، فليس فيها ربا فضل لان ربا الفضل فى النقود علته وأساسه الموزونات اى ما يجرى بين الموزونات ، وهو مذهب أبى حنيفة ورواية عن الامام أحمد ، والاوراق النقدية ليست من الموزونات ، فتكون هذه المعاملة جائزة عندهما . ولان نجيزها على مذهب ، وتمضى الامور ، وتتحقق المصالح خير الف مرة من منعها على مذاهب أخرى .. وايقاف المشروع .

وأيضا لو اعتبرناها - جدلا - كالذهب وفيها ربا فضل وسلمنا بهذا للمانعين ، فاننا نقول لهم : ان فيه حاجة ماسة لهذا المشروع الذى يقتحمه المسلمون والعرب ويوظفون ويستثمرون فيه اموالهم لاول مرة لهم ، وحاجة أخرى تتمثل فى تفادى الربا عن القرض لو لجئوا الى البنك ، وهذا وذاك يمثلان مصلحة ويمثلان حاجة شديدة لاجراء معاملة بيع الذهب بدون تقابض . وقد قدمنا أن الربا الفضل يصبح جائزا نزولا على حكم الحاجة مما ضربنا له امثلة سابقة .. ومن القواعد الشرعية ايضا ان المفسدة اذا عارضتها مصلحة راجحة ، غلبنا جانب المصلحة على المفسدة .. وعلى هذا تصبح هذه المعاملة جائزة من طريقين :

الاول : على مذهب أبى حنيفة واحمد.
والثانى : نزولا على حكم الحاجة .
وعلى قاعدة المصلحة الراجحة .

وبمثل هذا يمكن لنا أن نتصرف فى المعاملات الحديثة على ضوء الشريعة فيما يتصل بربا الفضل ، أما ربا النسيئة ، ربا القرض ، فله حديث طويل اخر .



بقلم : عبد الرحمن شاكر

عز على "الهلال" ، أن يتورط أحد كتابها فى الكتابة عن كتاب لم يره ولم يطلع على مايحتويه ، وكنت أنا هذا الكاتب ، وكان الكتاب هو الذى يحمل عنوان "مقدمة فى التاريخ الآخر ، نحو قراءة جديدة للرواية الاسلامية" من تأليف الدكتور سليمان بشير . وقد قدمت عذرى فى الاقدام على الكتابة عن هذا الكتاب قبل أن أطلع عليه ، لمن احتج علىّ بذلك ، بمقدار الحفاوة التى قابلت بها صحيفة "جيرو شاليم پوست" الاسرائيلية صدور هذا الكتاب ، لمؤلف وصفته بأنه درزى يحمل الجنسية الاسرائيلية ، ومصدر حفاوتها كان فيما زعمت ، أنه ينسف الشق الثانى من صيغة العقيدة الاسلامية ، وهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ! حيث يدور الكتاب حول الشك فى الحقيقة التاريخية للنبى العربى ، وأن الاسلام قد "تطور" فى منتصف عهد الدولة الأموية فى الشام وخاصة فى أيام عبد الملك بن مروان ، كتعبير عن نزعة الاستقلال عند نصارى الشام عن الدولة البيزنطية ، وأن تاريخ الاسلام الذى نعرفه إنما كتب فى العصر العباسى ، واخترعت فيه شخصية الرسول ، لسلب الشرعية من بنى أمية عن طريق إخفاء "الرواية الشامية" لهذا التاريخ !!

وكان أن سعت "الهلال" فى توفير نسخة من الكتاب المذكور كى أطلع عليها بنصها ، وعدم الاكتفاء بما نشرته عنه "جيروشاليم پوست" ، أو الكاتب من الأرض المحتلة ، نبيه القاسم ، الذى أرسل مقالة ضافية يلخص فيها هذا الكتاب وكان أن وجدت نفسى فى ورطة أشد وأنكى من الأولى ! وهى أن كان علىّ أن أقضى أياما أقرأ فيها - من أجل أمانة "الهلال" العلمية أكثر من خمسمائة صفحة من الكلام الغث ، الذى يخلو حتى من طرافة الهذيان قرأت النص كله باحثا عن منطق ، أو ظلا من منطق يقيم عليه الكاتب ، الباحث ، الذى يحمل لقبا علميا فخما ، ما ذهب إليه فى كتابه "تاريخه الآخر" فلم أجد .. ولا حتى أثر لما زعمت جيروشاليم پوست أنه "كنز" كان مخبوءاً للرواية الشامية

المزعومة ، تحتويه مخطوطات المسجد الأموى الكبير فى دمشق ، وأمدته بنسخة منها جامعة دمشق عن طريق عمان

وكذبت فيما كتبت سابقا عن هذا الكتاب ، قد دفعت حكاية " الرواية الشامية" المغيبة هذه ، بأن الدولة الاموية ، قد استمرت بعد ست سنوات فقد من سقوطها فى الشام ـ فى الدولة التى أسسها عبد الرحمن الداخل فى الاندلس ، وهو من نسل عبد الملك بن مروان ، وكان فى استطاعته هو أو أحد من أبنائه وخلفائه ، إعلان هذه الرواية ، التى غيبها العباسيون ، على حد ما زعم مؤلف الكتاب المذكور ولكن التاريخ لم يترك لنا فيما كتبه الاندلسيون ما يخالف مجمل ماروواه كتاب التاريخ المشارقة ، عن نشأة الاسلام فى جزيرة العرب ، طبقا "للرواية العراقية" ، كما يسميها المؤلف ، ويزعم أنها قد كتبت نفاقا للعباسيين

كان ذلك كافيا ، ولايزال ، فى اسقاط نظرية هذا "الرقيع" الذى يؤلف كتابا كاملا ضخما فى تاريخ الاسلام ، ثم ـ بعد أن قرأت كل كلمة فيه ـ أشهد أنه لم ترد فيه كلمة "الأندلس" ولا مرة واحدة ، رغم الكمية الهائلة من المراجع التى أوردها فى كتابه على سبيل التظاهر بالعلم لا أكثر ولا أقل ـ ربما هى كل ماتحتويه مكتبة المسجد الأقصى فى القدس ، التى كان يعمل فيها فضلا عن مجاميع علم الحديث بالمكتبة الظاهرية فى دمشق ، والتى أمدته بها جامعتها ، والذى نبهه إلى أهميتها أستاذه اليهودى م . ى كستر ، الذى أشرف على "تعليمه" فى الجامعة العبرية فى القدس

علام إذن يبنى "نظريته" فى تاريخ الاسلام وهاهو منطقه فيها ـ الذى هو بلا منطق على الاطلاق ؟! يقول فى الفصل الأول (ص ٨) "والواقع أنه لا يوجد أى دليل تاريخى أو أثرى ملموس على وجود الاسلام قبل فترة عبد الملك بن مروان . فأقدم المساجد والنقوش والآثار النقدية والاشارات المتفرقة فى أوراق البردى تعود إلى تلك الفترة" . وفى موضع اخر ـ من بين مواضع كثيرة يقول فى ص ٢١ : "تشير الدراسات "العلمية" الحديثة (يعنى بها أساسا دراسات المستشرقين !) إلى الأدلة المتزايدة على نشوء الاسلام (!) على النحو الذى وصل إلينا زمن عبد الملك بن مروان والفترة التى تلت ذلك مباشرة ومن تلك الأدلة جمع القرآن والشعر الجاهلى ونقط اللغة وتعريب الادارة وضرب النقود الاسلامية وتشييد المساجد الضخمة وافتتاح البلدان ..الخ" .

أما عن جمع القرآن فهو يردد كثيرا الحديث المروى عن عبد الملك بن مروان وهو قوله : "أخاف أن أموت فى شهر رمضان ، فيه ولدت وفيه بويعت وفيه جمعت القرآن" وللعلم ، فهذا الأثر عن عبد الملك لم يكن من مكتشفات "كنز الرواية الشامية" ، وإنما رواه المؤرخون "العباسيون" أصحاب الرواية العراقية أيضا ، ولم يكن يداخلهم أى شك هم وكل من يحسن قراءة العربية ، أو يقرؤها دون هوى أو حقد فى قلبه . أن عبد الملك كان يقصد بها أنه جمع القرآن فى صدره بمعنى حفظه كله ، وليس جمعه بين دفتين ، كما تواضع علماء الاسلام على معنى جمع



القرآن فى مصحف . وهو ماتم فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه بشهادة عبد الملك نفسه فى آثر آخر . يورده مؤلف الكتاب ذاته فى موضع آخر . وهو قوله لأهل المدينة عام ٧٥ هجرية "يا أهل المدينة . الرموا مافى مصحفكم الذى جمعكم عليه إمامكم المظلوم رحمه الله (يعنى عثمان بن عفان) وعليكم بالفرائض التى جمعكم عليها إمامكم المظلوم رحمه الله الخ" ، ليخرج بعد ذلك إلى معنى ثالث من عند نفسه هو أن عبد الملك قد جمع القرآن ، بمعنى ألفه من القصص الدينى المنتشر آنذاك فى ربوع الشام

أما بقية الأعمال التى تمت فى عهد عبد الملك بن مروان ، فهى منطقية تماما مع وضعه التاريخى بعد نيف وستين عاما من هجرة الرسول ، فهى ليست أعمال من يبدأ الدين به . بل من تستوى على عهده الحضارة التى أنشأها هذا الدين ، مثل جمع الشعر الجاهلى ، ونقط حروف اللغة العربية (الذى ابتكره الخليل بن أحمد لتسهيل قراءة العربية على من تعلموها حديثا من الموالى) ، وكذلك تعريب الادارة . وضرب النقود الاسلامية وتشييد المساجد الضخمة ... إلخ أما حكاية افتتاح البلدان ، فقد خرج كثير من الأنصار من حكم بنى أمية بعد موت معاوية وابنه يزيد مثل العراق الذى ثار فيه المختار مطالبا بثأر الحسين ، والحجاز الذى بويع فيه بالخلافة لعبد الله بن الزبير ، ومصر التى ولى عليها ابن الزبير عبد الرحمن بن جحدم ، ثم أعاد عبد الملك إخضاع جميع هذه الأنصار لحكم بنى أمية ، وخاصة بعد وقوع النزاع بين عبد الله بن الزبير فى الحجاز ، والمختار الثقفى فى العراق ، الذى كان يريد البيعة لآل البيت ، وبالتحديد لمحمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب ، ثم قتله على يد مصعب بن الزبير ، الذى قتله بدوره رجال عبد الملك ، حتى دانت له سائر الاقطار الاسلامية من جديد ، ولم يكن فتحه لتلك البلدان إلا لتثبيت حكمه ، وليس لنشر الاسلام بها ، وهو الأمر الذى تم قبل عهد عبد الملك بنيف وثلاثين عاما فى عهد عمر بن الخطاب .

ولكن "المؤلف" بدلا من أن يستوعب وقائع التاريخ ويحاول دراستها بعقل سليم يحاول استغلال كل لبس ممكن ، بما فيه التشابه بين الأسماء أو الوقائع ، من أجل وضع "تاريخ" من عنده ، شأنه فى ذلك شأن المستشرقين ، الذين اعترف عليهم بقوله فى ص ٢٤ و"لا أنوى هنا تبرئة ساحة الاستشراق الذى كان بالفعل ظاهرة ارتبطت بشكل وثيق بنشوء مفاهيم السيطرة الاستعمارية وادارتها . كما ميزت المواقف "الأخلاقية" المعادية للاسلام الكثير من المؤلفات التى شاعت فى أوربا المسيحية منذ الفترة البيزنطية . تلك المؤلفات التى شكلت نواة لبعض التوجهات غير العلمية فى الفترة المبكرة من الاستشراق" لكى يضيف بعد ذلك قوله "غير أن ذلك لا يبرر بحال إنكار المنجزات التى حققها الاستشراق الحديث "

ويبدو أن الاستشراق الحديث الذى يعجبه هو استشراق اليهود ، بمن فيهم مرجليوث ، الذى يقول عنه فى ص ٨ إنه هو "والباحث المصرى د .

طه حسين اللذين توصلا إلى الاعتقاد بأن الشعر الجاهلي بمجموعه هو نتاج نشاط أدبي متأخر" .. رغم أن المرحوم الدكتور طه حسين ، قد رجع عن هذا الطريق بشروحه بعد ذلك للشعر الجاهلى باعتباره شعرا جاهليا ، حتى ولو كان بعض الرواة المتأخرين قد وضعوا أشعارا ونسبوها إلى الجاهليين . ولكن مؤلف الكتاب أراد الاستناد إلى قصة الشعر الجاهلى هذه لكى يمهد لبسط نظريته فى أن تاريخ نشأة الاسلام أيضا قد وضع بمجموعه فى عهد متأخر ، هو عهد العباسيين كجزء من "أدب النفاق" كما يسميه "

وفى سبيل ذلك يستخدم كل عناصر اللبس كما قدمنا ، فيقول فى مواضع كثيرة منها ص ٢٢ - "ولعل الأهم من ذلك هو ما يلاحظ عادة عن أن أكثر تواريخ نصف القرن الأول مضطربة إلى درجة لا تكاد تجد معها تاريخا واحداً تتفق عليه جميع الروايات . ثم هناك ظاهرة الخلط والازدواج فى أدوار وأقوال الشخصيات (التى) عايشت ما يعرف عن حياة الرسول من ناحية وتلك التى جاءت بعد ذلك بجيل أو أكثر ويقف على رأس ذلك الخلط بين الرسول ومحمد بن الحنفية (') وبين عمر بن الخطاب وكل من عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير وحتى عمر بن عبد العزيز أيضا . كما تخلط الروايات بين معارك الخندق والحرة ، والحديبية وصفين ، والجمل وبعض حروب الزبيريين فى البصرة الخ"

فلمجرد أن أهل المدينة قد حفروا خندقا يحتمون به فى واقعة الحرة أيام يزيد ابن معاوية يقول المؤلف . "يجب التنبيه إلى وجود تداخل فى أصداء الروايات عن كل من معركة الخندق ووقعة الحرة ، تلك الأصداء التى تختلط وتتداخل بشكل غامض ولكنه لافت للانتباه . فالرواية السائدة تجعل أهل المدينة يدافعون عنها فى يوم الحرة فئ خندق الرسول" . (ص ٢٩٩)

ويبدو أن حكاية وقعة الحرة هذه كانت مدخل المؤلف الى تأليف نظريته كلها ، فقد ألف عنها أستاذه اليهودى فى الجامعة العبرية - م . ى . كيستر كتابا بذاته ، ولكنه ترك لتلميذه "العربى" بقية المهمة فى العبث بالتاريخ كله ، من نوع قوله فى ذات الموضوع (نفس الصفحة)

"ونحن لا نستبعد أن تلك الرواية قد خلطت فى هذا الخضم بين الدور الذى خصصته لعثمان بن عفان كخليفة "راشدى" ولعثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد بن معاوية على المدينة . فأهل المدينة قد وثبوا على هذا الأخير وأخرجوه هو وبنى أمية (ومنهم مروان وابنه عبد الملك) عنها الأمر الذى شكل مقدمة للحملة الأموية التى انتهت بمعركة الحرة واحتلالهم المدينة"

والخلط كما هو ظاهر هو من عند المؤلف ومستشرقه الذى علمه وظل يناقشه عقدين من الزمان كما قال فى مقدمته . أما كل قارىء غير مغرض للتاريخ الاسلامى فيرى الفروق واضحة بين غزوة الخندق ووقعة الحرة ، وثورة أهل الأمصار على عثمان ابن عفان فى المدينة ، وانقضاض أهل المدينة على عثمان ابن محمد بن أبى سفيان وهلم جراً . ولكن ماذا نقول فيمن يخلط بين محمد بن

عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد بن الحنفية ابن على بن أبى طالب ، بمجرد تشابه الاسم ، ولأن الرسول قد سمح لأبيه بأن يكنيه مثله أبا القاسم دون سائر المسلمين ! ويخلط بين بنى حنيفة الذين منهم أم محمد بن الحنفية ، وسمى منسوبا إليها لتمييزه ، وبين الدين الحنيف ، وبين مسيلمة الكذاب من بنى حنيفة ، وكان يدعو نفسه ، "رحمن اليمامة" ، وبين دعوة الاسلام إلى عبادة "الرحمن" باعتباره الاسم الثانى من أسماء الله الحسنى .. وهكذا ؟!! أما عن الخلفاء الراشدين الأربعة فيقول إنهم قد تم "حشرهم (!) بشكل قسرى بين الأمويين ومحمد" (ص ٢٢٨) ، ويرى أنهم ربما يكونون "قد عاشوا فى المدينة بعد النبى (الذى هو عنده محمد بن الحنفية) ومارسوا بعض الصلاحيات الدينية والقضائية هناك" ! ويتكلم فى مواضع أخرى عن تضخيم دورهم فى "الرواية العراقية" !

إننى أعترف لقارىء "الهلال" أننى لا أستطيع فى مقال واحد أن أذكر له كل ركام السخف الذى يضمه هذا الكتاب ، لكى يدلل به المؤلف على نظريته عن نشأة الاسلام التى يلخصها قوله فى صفحة ٣٥٢ :

"ومهما حاولت الرواية الاسلامية طمس العلاقة بين محمد وبنى حنيفة وبالتالى جذور الاسلام الحنيفية (!) فإن آثاراً واضحة تكمن فى المقاطع فوق الصوتية (!!) التى وصلت إلينا عن شخصية محمد بن الحنيفة والفترة التى عاش فيها وقد أشرنا سابقا إلى الروايات التى تقول إنه تسمى باسم الرسول وتكنى بكنيته "أبو القاسم" ، وأن ذلك كان بترخيص من الرسول لعلى قبل أن يولد ابن الحنفية . وهنالك رواية أخرى تقول إنه قد كانت لمحمد بن الحنفية ابنة اسمها فاطمة وكنيتها "أم أبيها" وهى الكنية نفسها التى عرفت بها فاطمة بنت الرسول" ، ويضيف بعدها :

"وفى مراحل سابقة من هذا الكتاب أيضا وقفنا على جوانب من علاقة محمد ابن الحنفية بعبد الملك بن مروان . لذلك فإن الحديث عن بروز الاسلام بصيغته العربية الحنفية زمن عبد الملك بن مروان (كذا !!) من الممكن أن يكشف الاطار التاريخى الصحيح (!!) ليس لعلاقة محمد بن الحنفية ببنى حنيفة فحسب ، بل بالموقف السلبى والمعارض الذى اتخذته الكنيسة البيزنطية من انحراف - حنث عبد الملك باتجاه الدين العربى الجديد . **الأمر الذى يفسر المعنى السلبى الذى اكتسبه تعبير الحنفاء بالآرامية للموقف من ربوبية المسيح واعلان استقلال العرب بالاعتراف بمحمد بن الحنفية كرسول عربى واتخاذ مكة قبلة العرب مركزا روحيا للاسلام"** .

وطبقا لذات النظرية فإن فتح مكة عنده ليس هو فتح الرسول لها ولكن فتحها واعادة بناء الكعبة على يد الحجاج الذى سبق له أن هدمها فى عهد عبد الملك بن مروان ، الذى اعترف بمحمد بن الحنفية نبيا لأنه كان حليفه ضد الجاهلى "عبد الله بن الزبير" !!

لقد سبق أن كتبت أن هذه "النظرية" ، التى كتبها هذا المؤلف الذى يحمل اسما عربيا ، إنما يراد بها تهويد بعض ضعاف النفوس فى الأراضى المحتلة فى فلسطين ، بانكار الشخصية التاريخية للنبى العربى ، استنتاجا من حفاوة صحيفة "جيروشاليم بوست" الاسرائيلية لها ، ولكن يبدو من مطالعة نصها أن الهدف أبعد من ذلك بكثير

إن المؤلف يكشف عن خبيئة نفسه هو والقوى الصهيونية المحركة له بقوله فى صفحة ٣٦٨ . "وعلى الرغم من أن الرواية السائدة (أى التاريخ الاسلامى كما وصلنا) ، حاولت طمس هذا الجانب وربط محمد بالأمويين وقريش ، وبغض النظر عن الطابع الاسطورى للرواية الاسلامية بشأن قصى من قبله ، فإن كون هذه الرواية عرضا معكوسا للنموذج الذى سار عليه يكسبها قيمتها التاريخية . **ذلك أن دين التوحيد لم يخرج فى نظرنا ولم يسبق أن خرج من الصحراء إلى الهلال الخصيب** (!!) ، ومع أن عناصر أعتقاد وممارسات حنفية وحجازية شمالية قد دخلت عليه ، فمن الواضح أنه نتج كحركة وقوة سياسية عن توسع سلطان الأمويين واعلان استقلالهم . فى فترة اضطراب وضعف البيزنطيين وانحلال الساسانيين ، وتوحيدهم للجزيرة العربية مع الهلال الخصيب

وبغض النظر عن أن جزيرة العرب لم تكن كلها صحراء كما يبدو من ظاهر هذا القول ، وأنها كانت على صلة دائمة بالحواضر حولها سواء فى اليمن ، أو مصر ، أو فارس أو ما يسمونه الهلال الخصيب ، فان الغرض من هذا "المنشور السياسى" الذى تضمنه الكتاب واضح وضوح الشمس فالدولة الصهيونية تضع "الهلال الخصيب" ، أى الشام والعراق ضمن طريقها ، وسيطرتها الحالية على فلسطين وعربدتها فى لبنان ، واحتلال اجزاء من سوريا ، وهو مقدمة عندها للسيطرة على سائر الشام ، كما أن ضربها للمفاعل النووى العراقى ، وتحالفها مع نظام الخومينى فى إيران عن طريق امداده بالأسلحة التى تصنعها أو توسطها لصفقات تسليمه من أمريكا ، لمساعدته على ضرب العراق ، كل هذه حلقات متشابكة فى سعيها لفصل الهلال الخصيب من "الصحراء" أى سائر المشرق العربى ، وخاصة جزيرة العرب . ويحاول عميل تافه من عملائها أن يضع لهذا الفصل "نظرية" تحاول إثارة حمية "الهلال الخصيب" لرفض فكرة أن دين التوحيد قدم إليه من الصحراء علّ ذلك يساعده على العودة إلى "العالم" الذى كان يسيطر عليه لقرون مضت

إنه ليس إلا الحقد الذى تكنه الصهيونية لهذا الدين ولهذه البلاد . حيث يحمل قضيتها دخلاء عليها هم الخزر الأشكناز القادمون من القوقاز الروسى وشرق أوربا والذين يسيطرون حاليا على فلسطين ، كما سيطر الصليبيون عليها فى الماضى ، ويستعينون بكافة أشكال الفتن والدسائس لاستدامة سيطرتهم عليها وتوسيعها . ولكن نقطة البدء فى استعادة هذه المنطقة حريتها ، هى فى جو التنبه لألاعيبها ، ورفض الهذيان الذى يبشر به مستشرقوها وصنائعهم باسم البحث العلمى

بقلم: د. شكري محمد عياد

زمن القرارات الصعبة

منذ أجلسني الهلال - مشكورا - في هذا الركن (أربع سنوات الان بالتمام والـــكمال) وسمح لي أن اقول فيه ما أشاء ، وانا ألف وأدور حول موضوع « الاقتصـــاد » ، وحصيلتي في « علم الاقتصاد » متواضعة جدا كما أوضحت للقراء في مقال سابق ، ولكن العصر الذي عشته جعلني اقتصاديا من نوع ما . لقد كنت أسمع في طفولتي عن قريبنا فلان الذي قال له الخمـــار اليوناني مرة : « اتفضل يا خبيبي » ، فأعجبته الكلمة ودعاه حب الاستطلاع الى الدخول ، ومع ان ابتسامته استحالت الى تكشيرة عندما ذاق الكاس الاولى فقد أتبعها بثانية وثالثة حتى « يصل الى قرارها » كما زعم فيما بعد : فلمـا وصـــل الى ذلك القرار استمرأه ولم يزل فيه الى أن باع الفدان الوحيد الذي كان يملكه . وعندما ذهبت الى المدرسة قرأت في كتب التاريخ أن ديون اسماعيل جلبت الدمار والاستعمار لمصر . وكنت في مطلع شبابي شـــديد الاعجاب بغاندي وعنزته ومغزله ، سلاحيه اللذين هزم بهما بريطانيا العظمى .

كان الاقتصاد عندي يتمثل في مبدأ أساسي : « اذا لم تملك فاستغن » .

وبما ان أفقر النـــاس لابد له أن يقتني بعض الاشياء ، فقد كان ثمة مبدأ ثان : « قبل ان تقتني انظر ماذا تقتني ، ولأي غرض » . وبما أنني كنت أحب أن أقضي كل ما يمكنني من وقت مع الكتاب ، فقد قاومت بعنف جميع وســـائل الاتصال الاخرى . كان كل صالون حلاقة وكـل كشك ســـجائر فيه جهاز راديو عندما أقنعني صديق بأن الراديو في البيت يمكن ان ينفع لتسلية أمي العجوز على الاقل . وتحديت التليفـــزيون الذي دخل مصر بضجة كبيرة (لعل ذلك كان سنة ٦٠) الى أن جاء أخ لي بجهاز ووضعه في البيت فغلبت على أمري . ويعلم بعض الاصدقاء أني عملت في السلك السياسي مدة يسيرة وكانت لدي سيارة كبيرة مثل رجال السلك السياسي ولكني كنت تعيسا جدا في داخلها .

هكذا ترون أني أمثل مدرسة وحدي في علم الاقتصـــاد . ومدرستي مكتوب على بابها : « احترس من البياعين » . وأول درس فيها كما يلي :

عندما يوجد بائع ومشتر ، يظل البائع في موقف أضعف ، والمشتري في موقف

القوى ، الى ان تتم عملية البيع والشراء فيصبح المشترى هو الطـــرف المهزوم . فالبائع رابح لا محالة ، أما المشترى فهو بين الكسب والخســـــارة ، وهو الى الخسارة أقرب ، لانه ، في أغلب الاحيان، يشترى حين يعجبه المنظر ، أو يفرجه البائع على لعبة ما ، فلا يفكر في مقدار حاجته الى الشيء الذى يشتريه ، ولكنه يفرح بالمنظر أو اللعبة ، كما فرح قريبى الفلاح العبيط بكأس الخمر .

ماذا اشترينا ؟

حدثونى يا شطار : ماذا اشترينا من الغرب ؟

اشترينا كل ما قدموه لنا : سجاير ، روابيع ، مناديل ، شرابات ، حلويات .

اشترينا أيضا قليلا من الجـــرارات ومكنات الرى ، وملايين التليفـــزيونات والفيديوهات .

واشترينا قليلا من الباصـــــات التى ينحشر فيها النساء والرجال والاطفال ، وكثيرا جدا من السيارات الخاصة التى تزحم شوارعنا الضيقة .

وقالوا لنا : ننشيء في بلادكم مصنعا، لتصبحوا ماهرين مثلنـــــا . فاخرجنا سياراتهم وقد وضعنا عليهـــا اسما من عندنا . ثم بعد ربع قرن من التلمذة قال قائلنا - ولم يستح - اننا أصبحنا نصنع عشرين في المائة أو ثلاثين في المائة من السيارة !

والذى يبيعك صناعته لا يعطيك سر الصنعة . لذلك لم نفلح في أن نشترى علمهم ، أو لعلنا لم نعرف أين يمكن أن نشتريه . والذى استطاع من أبنائنـــا - بوسائله الخاصة - أن يصل الى أسرار علومهم سرقوه وضموه الى أبنائهم ، أو قتلوه قبل أن يرجع الينا .

(هامش : بعض الناس يشككون في هذا ، مع أن الامثلة كثيرة ومعروفة ، ويقولون أننا لا نتقن علومهم كمايتقنونها بسبب كسلنا ونشاطهم ، ويستشهدون بخبر ورد في الصحف عن طالب في احدى جامعاتهم اســــتطاع أن يهتدى الى سر صناعة القنبلة الذرية من دراسة المراجع المتيسرة في المكتبات العامة . أنا بدورى أشك في هـــذا الخبر ، بل أراه غير معقول ، وأعـــــده من أخبار الاثارة . والدليل : تجسس الدول الكبرى على بعضهــــا البعض في مجال العلوم والتكنولوجيا) .

والمشترى الجاهل هو الزبون الطيب الذى لا شارى ولا يمارى . لهذا اشترينا واشترينا . لم نســـأل ماذا نشترى ، ولا ما فائدته . اشترينا بكل ما معنا . ولما نفدت نقودنا قـــال لنـــا الخواجة ((اتفضل يا خبيبى)) . وفتح الدفتر .

نسيت أن أقول : اشترينا أيضـــا أسلحة ، يقتل بها بعضنا بعضا .

مثال صغير

دعنا من الكوارث الكبرى ، وتعال ننظر الى هذا المثال الصغير ، فهو نموذج مما ظل يجرى كل يوم ، عشرات السنين ، حتى امتلأ الدفتر ، ووصل الدين الى الرقم الرهيب الذى تعرفونه (على وجه التقريب) :

حدثنى صديقى المهندس ابوزيد راجح، مدير مركز بحوث الاسكان سابقا ((وهو معنا فاسألوه)) أنه عندما تولى ادارة هذا المركز وجد في ركن من اركانه آلة ضخمة، فسأل عن قصتها ، فلم يجد بين الحاضرين من يدله . ثم بحثـــــوا في الاوراق ، فوجدوا أنها اشتريت من شركة المانية قبل عشرين سنة تقريبا . قال : عال ! تاهت ولقيناها . ثم بدأت المراســــــلات مع الشركة الالمانية . تبين ان الشركة حلت وانتقل امتياز هذه الالة الى شركةأخرى. أخيرا عرف كل شيء عن الالة (وكانت آلة كبيرة لاختبار متانة الانشاءات) ولـكن هل استخدمت بعد ذلك ؟ لم يلبث المدير المتعب في مكانه الا قليــــلا ، ولابد أن الامور عادت بعده الى ما كانت عليــــــه قبله .

كم من أشياء اشـــتريت بدون حاجة حقيقية اليها ، لمجرد أن دولة ما منحت قرضا ، أو قدمت ((تسهيلات ائتمانية))!

والمضحك المبكى أن صحفنا ما زالت تنشر اخبار القروض الجديدة وكأنها «انجازات» مهمة . وما لنا لا نكون صرحاء ونقول ان سر الاهتمام الرسمى الكبير بمشكلة الديون فى الوقت الحاضر لا يرجع الى الخوف على مستقبل البلاد ، بقدر ما يرجع الى تلكؤ الدول والبنوك الاجنبية فى تقديم المزيد من القروض ؟ هذه هى الترجمة البسيطة لمفاوضاتنا الطويلة مع صندوق النقد الدولى ، فهو الذى يعطى اشارة الامان للمقرضين !

والمضحك المبكى ، أكثر من هذا ، ان بلادنا لم يكن فيها من علماء الاقتصاد ، يوما من الايام ، مثل هذا العدد الكبير الذى برز على الساحة فى السنين الاخيرة! أساتذة فى الاقتصاد السياسى، والاقتصاد المالى ، والتكاليف ، والمحاسبات ، ولا ادرى ماذا من التخصصات !.

وعندما بدأت أكتب عن الانتاج ، والاستهلاك ، والعمل ، والمدخرات ، والبنوك ، والاثمان ، والاسكان ، من واقع تجارب انسان مصرى شهد عهدين : عهد استعمار عسكرى وسياسى ذاهب ، وعهد استعمار عسكرى ومالى يحكم قبضته على شعوبنا فى الوقت الحاضر ، كنت أطمع أن يتحرك أساتذة الاقتصاد ويكلمونا بكلام نفهمه عن حقيقة اوضاعنا .

ولكننا تعودنا ، منذ أكثر من ثلاثين سنة ، أن نكتب عن أى شىء الا أوضاعنا الحقيقية ، لان هذه الاوضاع كانت تعالج دائما وراء أبواب مغلقة ، هذا اذا عولجت على الاطلاق ، فقد كان أصحاب القرار مشغولين بمسائل تتجاهل واقعنا ،وتتجاوز قدراتنا .

لهذا ضعفت موهبة « الكتابة » عندنا ، وصلنا الى عصر يشبه عصر « ديوان الرسائل » أو الكتاب الرسميين . فالكتابة الحقيقية لا تعيش الا فى جو ديموقراطى حيث يتوجه كل صاحب فكر الى الشعب، لان الشعب هو الحاكم (ولا سيما اذا كان هذا الشعب قارئا) . ويبدو اننا فى اتجاهنا الحالى نحو الديموقراطية ما زلنا نعيش بأسلوب الابواب المغلقة ، ولهذا لا نضع كثيرا من الثقة فى الكتابة ،فالذين يعلمون لا يكتبون ، والذين يكتبون لا يعلمون . وقد افرز عهد الابواب المغلقة عندنا طائفة من « الفنيين » او التكنوقراطيين ، الذين لا يشغلون انفسهم بالمسائل الاساسية ولكنهم يهتمون فقط « بالفن » المالى ، أو « الفن » الاقتصادى وكأنهم زوار فى معرض يقفون مبهورين أمام لوحة جميلة .

وما زلت منذ شغلتنى أمور الاقتصاد والمال أبحث فى صحافتنا ــ حتى تلك التى تسمى نفسها « اقتصادية » ــ عن مقالات لعلماء فى الاقتصاد تعالج مشكلاتنا الحقيقية بصراحة ووضوح ، فلا أجد الا تصريحات عائمة لمسئولين ، أو استطلاعا لاراء مجموعة من الاساتذة ، سوى على عجل وتحت ضغط موضوع من موضوعات الساعة . ولكننى عثرت أخيرا على مقال مهم .

مقال للدكتور عبدالمنعم القيسونى (الاهرام ١٢ ــ ٣ ــ ١٩٨٧)

نعم ، مقال ، وليس حديثا ولا حوارا ، وعنوانه « الحجم الحقيقى للمديونية وكيف نبدأ المواجهة » . وهو مقال خطير حقا ، على الرغم من اللغة الهادئة التى كتب بها . ولذلك يبدو من الغريب الا يثير نقاشا طويلا وجادا « بالجيم ! » بين زملاء الدكتور القيسونى وتلاميذه ، وخصوصا بالنسبة الى الحل الذى يقترحه . فحجم المديونية لا يحتمل نقاشا ، لانها مسالة أرقام . ويقدرها الدكتور القيسونى فى الوقت الحاضر ــ تبعا للتقديرات الرسمية ــ بسبعة وثلاثين الف مليون دولار . ويقارنها بنظيرتها قبل عشر سنوات ، أى فى آخر سنة ١٩٧٧ ،

وكانت اثني عشر ألف مليون دولار . وبمقارنة أخرى بين قيمة الجنيه المصري بالنسبة الى الدولار في السنتين المذكورتين يظهر أن حجم المديونية قد تضاعف عشر مرات ـ لا ثلاثا فقط ـ خلال عشر سنوات. واذا لوحظ ان الدين كان يمثل بالفعل مشكلة قومية كبيرة قبل أن ينمو هذا النمو الرهيب فمعنى ذلك ببساطة تامة اننا نغرق في بحر من الرمال .

ويتحدث الدكتور القيسوني باختصار ولكن بصراحة عن أسباب هذه الزيادة المستمرة. فيذكر «السياسات التي نتبعها للقضاء على بعض انتاجنا المحلي كما نفعل الان مثلا بالنسبة لانتاج البيض والدواجن في القطاع الخاص وبالنسبة للسمك في البحيرات وبالنسبة للاراضي المستصلحة التي نبيعها للرواد من الشباب بعد أن ننفق الملايين على استصلاحها ثم نتركهم دون حماية او دعاية » ، ويذكر الانفتاح الاستهلاكي و « الاستيراد بدون تحويل عملة » ، ويذكر تهريب الاموال الى الخارج « أى ان الذين يحصلون على العمولات والرشاوى والسرقات « من الدول النامية عموما » ويزيدون من مديونيتها دون مقابل لا يكتفون بتحصيل المال الحرام وانما يقومون أيضا بتهريبه الى الخارج » . ولا يكتفي بالاشارة الى خطا السياسات وفساد الادارة بل ينبه قبل ذلك كله الى مسئولية الشعب نفسه في مسائل مثل الزيادة الرهيبة في عدد السكان وعاداتنا القبيحة في التباهي بزيادة الاستهلاك .

اى ان الدكتور القيسوني لايفسر الارقام بالارقام ، كعادة الاقتصاديين «الفنيين» بل يفسر الارقام بالسلوك أو الاخلاق، على المستويين القومي والفردي ، وهذه هي اللغة التي نفهمها ويفهمها كل الناس ، ليس فقط لانها لغة بسيطة وبعيدة عن التعقيدات الاصطلاحية ، بل لان الاقتصاد هو نشاط انساني قبل ان يكون علما .

والدين العام هو في نهاية الامر وسيلة تلجأ اليها الدولة حين تعجز عن موازنة ايراداتها ومصروفاتها . ويشير الدكتور القيسوني بلباقة وأدب الى عملية الخداع التي ارتكبها وزير مالية « فني » حين ادخل القروض الجديدة في الايرادات (على طريقة الموظف المرتشي أو المختلس الذى يعتبر المبالغ التي يحصل عليها بهذه الطريقة جزءا من دخله الشهري) . وبداية المواجهة في نظره هي وقفة جادة وحازمة أمام الميزانية . وهنا تعلو نبرة الرجل الرقيق المهذب الدكتور عبد المنعم القيسوني وهو يقول :

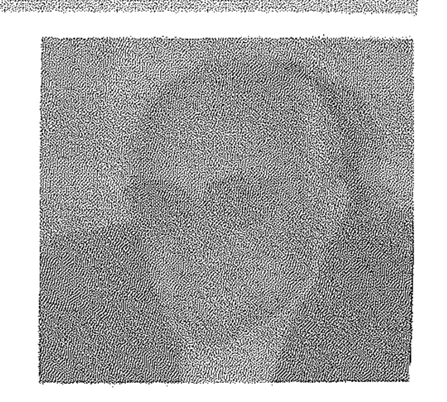
« وقد دعوت الى توازن الميزانية العامة في سنة ١٩٧٧ ثم كررت هذه الدعوة مرارا وتكرارا بعد ذلك ولكنني أصبحت اشعر كما شعر سيدنا نوح عندما ابتهل الى ربه قائلا : رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا . فلم يزدهم دعائي الا فرارا . واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . « نوح الايات ٥ـ٧»

لقد كتب كاتب في الاهرام « ٢١ـ٢ـ ١٩٨٧ » ـ وهو التعليق الوحيد الذى قرأته على مقال الدكتور القيسوني ـ ينتقد فكرة موازنة الميزانية على أساس انها تعني خفض الانفاق على الخدمات والاستثمارات . وأنا شخصيا لم افهمها على هذا النحو . بل أرى انه تفسير يتجاهل حقيقة الفاقد المرعب في تلك الخدمات والاستثمارات ، وهي ظاهرة مصاحبة للحكم الفردي . وقد اتهم بانني رجل عتيق وفلاح من الجيل الماضي « بناء على المعلومات التي قدمتها في صدر هذا المقال » . ولكنني أعتقد ان معظم المصريين الكبار في السن هم على شاكلتي ، وأن الاغلبية العظمى من الشباب لم يعد عليها التوسع غير المحسوب في الاقتراض بأية ارباح أو عمولات . وما دامت هذه الاغلبية هي التي تحكم الان « هي وحدها الملومة ان لم تحكم » فسوف تصغي لدعاء نوح، وهي تنتظر حتى يغرقها الطوفان .

ان زمن الديموقراطية هو زمن القرارات الصعبة ، والقائد الديموقراطي هو الذى يستطيع أن يقول لشعبه عند الضرورة : « انا لا اعدكم بغير العرق والدموع » .

قنديليات

بقلم: يحيى حقى



الربيع هنا وهناك

احتنم حتى حين نتحدث عن الربيع لابد أن تقــب سيرة السد العالي من تحت الارض موقفنا منه يـــا للعجب يشبه موقفنا مــن الزعيم ، فحين حلت الساعة وعد المسرح لمولد الزعيم جاءنا رجل نابغ اصــابنا بحيرة تكاد تبلغ حـــد التمزق ، له افضال جمة لا ينكرها احد فانت تحبه اعمق الحب ، وانحــرف انحرافات شــديدة فانت تلومه كل اللوم، كذلك السيد نعمة لمصر من جهة ولكنــها لا تخلو من جوانب سلبية كثيرة .

واقول انه جاء في موعده ايضا ، وقت انفجار عصر العلم ، اتى تحديا صريحا ناطقا بأن مصــــر يجب ان تدخل هذا العصر ، لان جميع الجوانب السلبية يمكن حلها بالوسائل العلمية فقط .. السماد بدل الطمى ايضـــا

اكل البحر للشاطىء حيث نجــد فى هـــولاندا ان الارض هى التى تأكل البحر ، وبالاجمال فهنــــاك حلول علمية لمشاكل اختفاء الطوب الاحمر وظهور نباتات عائقة فى المجــرى

واحتمال التلوث وارتفاع سطح المياه فى باطن المزارع .. الخ .. الخ ..

ولكن هذا السد له جانب ســلبى اخر لعلى اتحدث عنه لاول مرة وهو محوه لتفسير معنى الربيع عندنا ، وبالاخص فى صــعيد مصــر الذى اسميه العمود الفقرى لهذا البلد .. فقبل السد كان النيل طفلا يمص ثدى امه وبعد السد يبلع من بزازة ..كان نظام الرى فى الصعيد هـــو رى الحياض ..

نحن نقترب من أواخر الصيف ، رأيت الارض بعينى جفت ، امتلأت بالشقوق اطل عليها وأرى السواد واشم رائحة المعطن بل المنتن ، سطح الارض طبقة من التراب الخفيف قد تحركه اقل نسمة ، وان رهيب ان لم يأت النيل فعلى الدنيا العفاء ، ثم ها هو ذا يفى بوعده ويأتى بكل قوته وعنفوانه فيغطى الارض جميعا بطبقة كثيفة من الماء ، وتصبح القرى جزائر لا وصول لها الا بالقارب ..

اختفت الارض تحت الماء ، هل ستموت غرقا ، احتمال الموت وبرودة الماء تصيبنى بقشعريرة ولكن بعد قليل ينحسر هذا الماء تاركا على الارض هديته الغالية طبقة من الطمى الخصيب ، كان ايضا قد غسل الجسور من جحور الفئران حينئذ يخرج الفلاح وينثر الحب ، قد لا يعمل الا يوما او يومين ، وعما قليل تغطى الارض كلها خضرة ما اجمل لونها ورائحتها ..

هذا هو فصل الربيع فى مصر مع انه يسمى حسب التقويم فصل الخريف بعد القيظ الطويل اصبح الجو لطيفا والسحاب الان رقيق رشيق، الجاموسة رأيتها وهى تلوك البرسيم تنطق عيناها بلذة كبيرة بعد العليقة الجافة فى عينيها سعادة لاحد لها ، تلف الارض كلها ابتسامة حلوه..البرسيم هو الربيع بهذا الاسم ينادى عليه فى شوارع القاهرة وحواريها « ربيع غزالك » ـ بتشديد الياء ـ بهذا يكنى ابن البلد الخفيف السدم عن الحمير التى كان يملكها كثير من الناس كوسيلة للانتقال ..

معنى الربيع اذن هو البعث بعد الموت ، كان يتمثل كما رأيت فى الجفاف ثم الفيضان ، وقد اختفى هذا المعنى الان عن ارض الصعيد بفضل السد العالى .

ما كان يجرى فى مصر يجرى شىء مثله فى اوروبا ، ولكن مع اختلاف الزمن .. هناك الفروق بين الفصول بينة ، وان كان تطور فصل الى فصل يسير ببطء ها نحن فى فصل الخريف، اصفرت اوراق الشجر تساقطت هذه المخلوقات الجميلة اصبحت قمامة تنزاح بالمكنسة ولكن ما الذ السير أعليها وسماع خشخشتها ، الاشجار عارية ثم اذا بالثلج يهبط وتغطى الارض عند حلول الشتاء بطبقة كثيفة من الثلج ، صقيع وممات وقشعريرة ثم بعد شهور قليلة ينزاح الثلج وتنبت الاوراق الخضر على الاشجار وتتزين الارض بأجمل الزهور ، وبهذا تصدق تسمية هذا الفصل بالربيع كأن الارض كلها فى حفل عرس ويزعمون ان هذا الانبعاث يحس به الانسان فى بدنه ، وخاصة النساء ومن أجمل ما كتب عن تأثير الربيع على الارض وعلى الانسان رواية البجعة السوداء « لتوماس مان »

ينطبق اذن فى اوروبا اسم الربيع على حقيقته اما عندنا فقد كذبنا وتغنى شعراؤنا وادباؤنا بالربيع فى شهر ابريل الذى تهب فيه رياح الخماسين وتدخل ما بين الجفون وتسبب العمى كما كذبوا حين اشادوا بالبلبل ولم يسمعوه وكان من حقهم ان يذكروا الكروان .

ولست فيما اقول الا ناقلا عن المرحوم عباس محمود العقاد ..

نعمان عاشور همزة وصل..!

بقلم : د. على الراعى

مات مارون النقاش كسير الفؤاد ، بعد أن قَرَّ فى نفسه ان المسرح الذى اجتلبه من اوروبا لن يقدر له البقاء بعد وفاته . وفرَّ أبو خليل القبانى بفنه المسرحى الى القاهرة ، هربا من الاضطهاد وربما الموت . وأغلق يعقوب صنوع مسرحه بعد عامين . أو أغلقه غيره ـ لافرق ـ فكف عن النشاط المسرحى من بعد . ولم يجد محمد عثمان جلال فى نفسه موهبة للتأليف فمصَّر مسرحيات موليير ، مقتربا بها من حدود التأليف ، بدرجة ملحوظة . وكتب فرح انطون ومحمد تيمور وعباس علام مسرحيات جيدة التمصير ، أخذوا موضوعاتها أو هياكلها من المسرح الفرنسى .

كل هذا كان تقليبا للأرض المسرحية وحرثا لها ، تمهيدا للزرع المنتظر . وكان أول زارع هو ابراهيم رمزى ، بما كتب من مسرحيات تاريخية وعصرية لم تعرف الاقتباس بل كانت نتاجا مصريا خالصا . ثم تقدم الفاتح الكبير · توفيق الحكيم . فى روحه يتصارع فنانان

أحدهما ضحوك وافر المرح والآخر يملك عليه الجد لبه . تارة يكتب لهذا ، واخرى ينجذب لذاك .. وبين الجذب والارخاء ظل مسرح توفيق الحكيم قابعا ، ينتظر من يوصله للناس .

يقول مؤلفه ، مواسيا نفسه ، ان مسرحى ذهنى ، لايفهمه الا الخاصة بينما يوجعه فى الصميم انه لم يستطع ان يصل بفنه الى الجمهور العريض .

حسب توفيق الحكيم مجدا أنه قدم فن المسرح ـ فى تنوعاته المختلفة ـ الى الخشبة والكتاب معا . ولا عليه ان لم يكن النجاح الواسع من نصيبه . فما يفعل رجل

واحد كل شيء . وهو ـ مع ذلك ـ قد فعل الكثير . بفضله أصبح الفن المسرحى لونا هاما ومعترفا به بين الفنون والآداب وفى ظل هذا الانجاز كانت الظروف المحيطة تتهيأ لميلاد المسرح القادر على الوصول .

انفجرت ثورة يوليو المجيدة بفضل طاقات الشعب وأحلامه وطموحاته وتضحياته الغالية ووقفت مصر غداة ٢٣ يوليو عند مفترق كبير من الطرق كلها يدفع الى التساؤل والفحص والتوق . وانفتح امام المسرح باب كبير ولج منه رهط هام من شباب المسرح كلهم قرأ لتوفيق الحكيم ، وأغترف من فنه فلما جعل يكتب للمسرح وجد الأرض محروثه ، مستعدة أوفى استعداد للبذار . ومن ثم توالت مسرحيات كثيرة هامة فى خمسينيات وستينيات هذا القرن .

كان قائد الرهط شابا واسع الأفق ، خفيف الظل كبير القلب ذا طبيعة تشخيصية واضحة وكان قد عالج الكتابة فى فنى القصة والمقالة فى الصحف الوطنية والتقدمية التى كانت تصدر قبل الثورة وتمهد لها . فلما اضاءت خشبة المسرح فى عهد الثورة أخذ يكتب مسرحيات كانت تتقلب موضوعاتها فى نفسه من زمن مسرحيات عن شعب هذا



نعمان عاشور سبيقى لمرحبه فضل الرياده

نعمان عاشور همزة وصل..!

البلد ومايلقى من عنت ، وما يبتكر من طرق للوصول الى شيء يشبه العيش الكريم

كان هذا الشاب هو نعمان عاشور القادم من ريف مصر الطيب يحمل فى قلبه كل طيبة هذا الريف وحبه للحياة والأحياء . فنذر فكره وفنه لتصوير حياة الشعب ، والتعبير عن آماله وعرض وجهة نظره فى الحياة ، غير مهمل جوانب القصور والسلب فى حياة هذا الشعب ، كتب هذا فى قالب الكوميديا الاجتماعية الناقدة ، وأصبح منذ أخرج : « الناس اللى تحت » علمها الكبير .

خرج نعمان عاشور من الموقف الصعب الذى وصل اليه توفيق الحكيم بأن اختار من دنيا الفاتح الكبير شريحة واحدة فقط ، هى شريحة المسرحية الاجتماعية واعانه هذا الاختيار - الواعى والتلقائى معا - على أن يصل إلى جمهور المتفرجين بدرجة اكبر مما وصل اليه الاستاذ الكبير .

وبهذا قدم نعمان عاشور للمسرح العربى خدمة كبرى جعله ممكنا ، قابلا للتجسيد ومن ثم للوصول الى الناس . لم يعد النقاش يدور حول كتب فيها مسرحيات وانما دار الكلام عن خشبة فيها اناس من لحم ودم يتحاورون ويتصارعون حول موضوع حى ، التقطه الكاتب من صميم الحياة والبسه رداء المسرح الفاتن ودفع به الى عيون الناس وارواحهم وعقولهم .

كان حل العقدة التى لازمت مسرح الحكيم يكمن فى اختيار اللون الاجتماعى الذى - وحده - كان يهم الناس فى تلك الأيام المجيدة من اوائل الخمسينيات وهو اختيار لم يكن غريبا على توفيق الحكيم نفسه - بشهادة « مسرح المجتمع » ومسرحيات مثل ·

« الصفقة » و « السلطان الحائر » و « الايدى الناعمة » وفى هذا المضمار أصبح نعمان عاشور همزة الوصل بين فن توفيق الحكيم المسرحى الاجتماعى ، وبين جماهير الناس . لاشك ان نجاح المسرحية الاجتماعية على يدى نعمان عاشور قد حث توفيق الحكيم على الافادة من هذا النبع القوى فى نفسه - نبع الفن الاجتماعى - فما ينبغى ان ننسى أن الذى كتب مسرحيات الافكار هو نفسه الذى كتب « عودة الروح » و « يوميات نائب » و « رصاصة فى القلب » وبهذا تبادل الاستاذ وتلميذه التأثير وتحقق انتماء التلميذ للاستاذ .

غير ان اللون الواقعى الذى اختار نعمان عاشور أن يكتب فيه يحمل فى طياته - الى جوار مزايا الالتصاق الحار بالناس - بعض النواقص . هذا كان شأنه دائما مع الكتاب الواقعيين فى الفنون المختلفة من تشكيل وموسيقى وقصة ورواية ومسرحية . بعد ان يمضى الكاتب فى اخراج اعمال متوالية فى اللون الواقعى ليبدأ الشعور بدرجات متزايدة من الوضوح ان الواقعية وحدها لاتكفى وانها محتاجة الى دعم من الوان أخرى من الكتابة . ليس لمجرد اثراء محتوى العمل ، وانما - أيضا - للدفاع عن



شخصيات نعمان عاشور تمتلىء بالحياة على خشبة المسرح

المضمون الواقعى ذاته ، وزيادة قدرته على الوصول الى الناس .

ومن ثم جرب ابسن الفن التجريدى شبه الرمزى فى مسرحياته الأخيرة - خاصة « حينما نبعث نحن الموتى » وجرب من قبل المسرحية الفولكلورية فى « بير جينت » . وأقبل تشيخوف على الرمز فى مسرحياته الأربع وخاصة « بستان الكرز » وكتب برنارد شو : « بيت القلوب الكسيرة » محاولا الاقتراب من اسلوب تشيخوف فنجح الجميع بدرجات متفاوتة فى تعويض القصور الذى يبديه الفن الواقعى ، اذا لم يدعم بألوان أخرى .

وأحسب ان نعمان عاشور قد حاول شيئا من هذا حينما كتب : « لعبة الزمن » متخيلا فيها شهرزاد تعيش فى القرن العشرين وتصارع تيارات العودة الى الماضى الذى انبثقت منه . غير أن تجربة هذه المسرحية قد اثبتت ان الأرض الصلبة الوحيدة التى يستطيع نعمان ان يقف عليها بوثوق هى المسرح الاجتماعى الانتقادى ، ومن ثم كانت مسرحيته قبل الأخيرة : « مولد وصاحبه غايب » تأكيدا لهذه الحقيقة ، فهى نص جيد من نصوص المسرح الواقعى وان لم يلق الاقبال الذى يستحقه . فمرد ذلك إلى أنه ولد فى ظروف تختلف كثيرا عن الظروف التى نشأ فيها مسرح نعمان فى اوائل الخمسينيات . غير ان هذه قصة أخرى .

سيبقى لنعمان دائما فضل الريادة ، وذلك الانجاز الكبير . كتابة المسرحية القابلة للتجسيد ، ويحسب له أيضا أنه قد مهد الطريق لعدد كبير من كتاب المسرح الشباب ، كلهم اهتدوا بوقع خطواته ، واستندوا الى فنه ليبدعوا مسرحيات تشبه مسرحياته حينا وتختلف عنها حينا آخر

سعد وهبه . ولطفى الخولى . ويوسف ادريس والفريد فرج ومحمود دياب وميخائيل رومان . وغيرهم ، فى مصر ، وباقى اقطار الوطن العربى ،،

بقلم : فتحى رضوان

جاء فى الانباء ان مناقشة طويلة دارت فى المجلس التشريعى الفرنسى حول بيع احدى القنوات فى التليفزيون الفرنسى لاحدى كبريات الشركات

وكان فريقا المتناظرين فى المجالس يترافعان عن وجهتى نظر متباينتين •

الاولى ترى أن القناة المراد بيعها يجب أن تبقى حكومية لان هذا ضمان لها بالوقار والاستقرار والازدهار ، فى حين يقول الاخرون بل تباع فان القطاع الخاص أكثر حيوية وأشد حيدة وأحرص على امتاع المشاهد ونفعه • وانتهت المناظرة بغلبة القطاع الخاص، فقد قرر مجلس الامة الفرنسى بيع القناة الى شركة بويك وهى ليست شركة بويك للسيارات ، بل شركة فرنسية بحتة تقوم بتشييد العمائر وتتخصص فى اعمال البناء فى حين ان الشركة المنافسة كانت شركة نشر وطباعة وعلى الرغم من ان هذه الشركة اقرب الى موضوع الاذاعة المسموعة والمرئية ، فان العطاء رسا على شركة بناء لا تمت الى الثقافة والاذاعة لا من قريب ولا من بعيد •

وهذا كله يكون واقعة حال شديدة الارادة تتصل اتصالا صحيحا بالثقافة وهى تدعونا الى طرح السؤال التالى وهو سؤال قديم خلاصته أى الجهتين اكثر احتفالا بالثقافة واقدر على توفير اسباب النجاح والتقدم لها أهو القطاع العام أم القطاع الخاص ولقد ثار نقاش من هذا الطراز فى مصر فبعض كبار الكتاب ذهبوا الى ان سوق الثقافة بارت وعالمها كسد حينما انشئت فى مصر وزارة للثقافة وحينما خصصت الثقافة والهيمنة الحكومية : فقد افل نجم الادباء والشعراء ، وقل ظهور المواهب الجديدة ، وانصرفت الجماهير عن الكتب واقفلت المجلات الادبية أبوابها ، وقل عدد رواد الجمعيات الادبية والندوات الثقافية

لقد راجعت تراجم بعض عباقرة فاين الحقيقة فى كل هذا ؟

الموسيقى فى اوائل القرن الثامن عشر ، فرأيت كيف أن هذه الشخصيات



الفذة الموهوبة ، قد لقيت في البيت الذى نشأت فيه ومن الاهل الذين ينسبون اليهم القهر وسوء المعاملة • وكيف عوضهم الله عن هذا الخط السيء برعاية بعض الامراء والملوك، هيأوا لهم سبل الدرس واتقان الفن والتقدم الذى اينعت معه مواهبهم وصقلت صفاتهم وقدراتهم • فكان الثقافة كانت مدينة لذوى السلطة الرسمية التى تقوم مقام القطاع العام الان •

كان هايدن استاذ (بتهوفن) ابنا لنجار ، وكان النجار محبا للموسيقى وكانت زوجته حسنة الصوت ، فورث الطفل عن ابويه حبه لهذا الفن الرفيع ولكن والده أصيب بعسر مالى اضطر الاسرة كلها الى التجوال فى البلاد بحثا عن الرزق ، حتى زاره ابن عمه وكان ناظرا لمدرسة ابتدائية فلما شاهد الطفل (جوزيف) ترسم فيه النبوغ ، فطلب من أبيه ان يسمح له باصطحابه ولما كان الوالد قد رزق بعشرين طفلا فقد رحب بهذا الطلب ليتخفف من نفقات أحد ابنائه •

ولكن هذا العم كان قاسيا ، حتى كان نصيبه من العصا أكثر من نصيبه من الطعام ، ولكن مواهبه الموسيقية رغم تعاسة عيشه وما يعانيه من قسوة عمه ، واصل تقدمه فى الموسيقى عزفا وتلحينا حتى دفعه وهو فى الثالثة عشرة من عمره الى تلحين اولى اوبريتاته المسماة الشيطان الاجنب التى ما كادت تمثل حتى اقبل مديرو المسرح يظهرون له أعظم الاعجاب وترامى صيته حتى سمع به الامير باول استرهانزى وكان احد ابرز امراء النمسا وكان شديد الاعزاز لهذا الفن فضلا عن اتقانه العزف على الكمان فاستدعى اليه هايدن عام ١٧٥١ وجعله رئيسا لغرفة الموسيقى فى قصره وقد أجرى على هايدن رزقا استمر يتقاضاه من اولاد هذا الامير ومن احفاده • وتجاوزت شهرة هايدن بلاده ووصلت الى اوربا ، فدعى الى بريطانيا حيث

ثقافة للبيع

اقام نحو عشرين حفلة ، والف اثنتى عشرة سيمفونية ، وهى التى تسمى بالسميفونيات الانجليزية ، وكان الاشراف يحيطونه أينما ذهب بالرعاية والاجلال وارسلوا اليه ابناءهم ليتدربوا على يديه ، مما اتاح فراغا يجود فيه فنه حتى نظم النشيد الوطنى الالمانى فى ١٢ من فبراير سنة ١٧٩٧ المعروف بـ (المانيا فوق الجميع) وقد وقع في عيد ميلاد القيصر فى تلك السنة فى جميع مسارح النمسا وفى ربيع سنة ١٨٠٨ أقيمت حفلة فى مبنى جامعة فينا دعى اليها الامراء والوزراء واعيان المدينة وقد وضع مقعدها • بين هؤلاء القوم ، وكانوا طوال الوقت يحتفون به ، وقد توج هذا المجد كله باطلاق لقب « ابو الموسيقى الحديثة » ، ولم يلفظ انفاسه الا فى ١٦ من مايو سنة ١٨٠٩ حتى كان قد وصل الى غاية الشهرة وذيوع الصيت واحتراء الشعب والخاصة وقد عبر عن ذلك كله باقامة اول تمثال له بفينا •

موتسارت .. المعجزة

اما موتسارت الذى يعرف بالطفل المعجزة فقد ظهرت مخائل نبوغه وهو بعد صبي صغير وقبل ان يصل الى الخامسة عشرة من عمره حتى اطلق عليه لقب (اما دوس) يعنى المحبوب ويقول مؤرخوه مع ذلك • موتسارت هذا ظل طوال حياته في ضيق من العيش لا ينفعه رائع فنه ولا عظمة انتاجه ، وكان لا يجد قوت يومه الا بشق النفس فكان يقول الموسيقى من لاخير فيه •

وقالوا ايضا موتسارت هذا مات فقيرا محروما حتى من تشييع جنازته فلم يصحب جثمانه الى مقره الاخير غير خمسة من خاصة اصدقائه وحتى هؤلاء حال بينهم وبين ملاحقة جثمانه بعد الطريق فاضطروا للعودة تاركين الجثة لسائق العربة •

وقد ولد فى ٢٧ ينساير سنة ١٧٥٦ ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى حاول ان يوقع الحانا على آلة البيانو محاكيا شقيقه فلما بلغ الخامسة وقع على تلك الالة بضعة الحان من تاليفه وفى السادسة وقع الحانا أخرى على الكمان وقد اراد ابوه - والطفل فى هذه السن المبكرة - ان يشهد العالم بنبوغ ولد فسافر معه الى ميونيخ ومنها الى فيينا وماكادا يصلان اليها حتى استدعته الاسرة المالكةفاستحوذ الطفل علىحب القيصرة واغدقت عليه الهدايا وقد شجع هذا النجاح الوالد على ان يجوب بابنه كثيرا من المدن الالمانية ثم رحل الى باريس ولندن فلحن موتسارت وهو فى الثامنة للكة انجلترا عدة مقطوعات للبيانو المنفرد وللكمان المنفرد كما الف في لندن أول سيمفونية للفرقة الكاملة وهو اعجاز بشرى لم يظفر به سوى موتسارت • وبعد ان طاف بهولندا وسويسرا عاد الى وطنه سالسبورج عام ١٧٦٦ وفى سنة ١٧٦٧ لحن موتسارت الصغير بامر قيصر النمسا جوزيف الثانى اول أوبرا له غير انها لم تظهر علىالمسرح لصعوبة الحانها •

وفى سنة ١٧٨٥ طلب منه قيصر النمسا تلحين اوبرا زواج فيجارو • وفى سنة ١٧٨٦ زار النمسا شاب صغير من بلاد الراين كان يشتغل بدراسة الموسيقى فقصد الى موتسارت لشهرته ، فطلب من موتسارت ان يؤلف

لحنا موضوعا اختاره له موتسارت فلما فرغ من تلحينه وادائه قال موتسارت عليكم ان تهتموا بهذا الشاب فسيكون حديث العالم » ولم يكن هذا الشاب سوى (بيتهوفن) اعظم الموسيقيين طرا . فماذا كان يعزف بيتهوفن ؟ .

ولد بيتهوفن فى ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٠ بمنزل متواضع في مدينة بون وكانت عائلته كالعادة رقيقة الحال كان ربها موسيقيا حسن الاستعداد وانما كان لفقره مدمنا الخمر كى ينسى متاعب حياته ولكنه استطاع مع هذا الادمان ان يلحظ بواكير عظمة بيتهوفن الفنية ، فبدأ يلقنه اول درس فى آلة البيانو ، ولما ضاقت به سبل العيش لم ير متنفسا لضيقه الا ان يصبح ابنه موسيقيا يدر على اسرته اخلاف الرزق قبل الاوان فأخذه بالشدة وقسا عليه قسوة بثت فى نفس الطفل الحزن فاكتأب ومال الى الصمت واثر العزلة . والزم ابنه بموالاة التدريب على آلة البيانو بالسوط والعصا ، وعلى الرغم من ان هذا العنف كان جديرا بأنه يقهر الموهبة فى نفس الطفل الا انها كانت اكبر من ان تقتل فنضجت حتى تفوق الطفل على ابيه فلم يبلغ التاسعة حتى كان نابغة عهده فى العزف والتاليف الموسيقى .

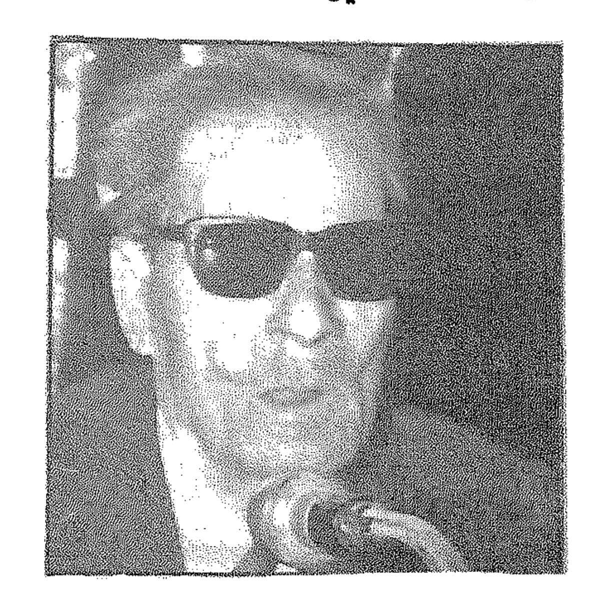
● سفر به مبكرة

ولما كان اهل بون يعرفون الطفل ونبوغه فقد كان سهلا يلحقه أمير (بون) بفرقة بلاط لامين ، ولما بهرت الامير موهبة الطفل بعث به الى فينا عاصمة الموسيقى والموسيقيين ، وكان يقيم فيها انذاك (هايدن) وموتسارت . وكان اول من قصده بيتهوفن فى فينا هو (موتسارت) الذى لم يجد ادنى صعوبة فى تبين هذه العبقرية المبكرة .

وكانت والدة بيتهوفن قد مرضت ، فترك الدرس والعزف ولازم فراشها حتى ماتت ولحق بها زوجها ، وفيما كان بيتهوفن حزينا معزولا فى بون مر بالمدينة (هايدن) الذى ذكر امير بون بيتهوفن ، فبادر الامير بارسال بيتهوفن الى فينا . ولما كان امير بون الذى بعث بيتهوفن الى فينا هو شقيق القيصر . ففتحت له القصور الملكية وقصور الامراء وهم رعاة الموسيقى فى ذلك الحين ، فتألقت موهبة بيتهوفن واخذت تلهب الامراء والاميرات واعيان القصر الملكى واساتذة الموسيقى .

الا انه اصيب بالصمم فكانت الكارثة التى سودت عيشته وافسدت حياته ، ولكن لم يكف قط عن التاليف ، والناس مبهورة بروائع فنه الا ان اوبراه المعروفة (بفيدليو) لقيت فشلا عظيما اذ اجتمع عليها النقاد ، واتخذوها جراحا الا ان بيتهوفن بقي

د . طه حسين



ثقافة للبيع

يصلح عيبها ، ويعالج نقصها الشائن ، وكان اصراره هذا رمزا على الصمود وعنف المقاومه .

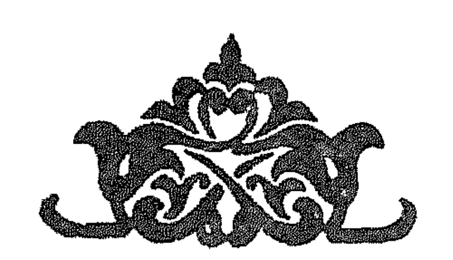
● الثقافة والتحرر

لم أرد من ذلك ان اضع الثقافه في كنف الامراء والملوك وأهل السلطة وانما اردت ان اقدم صورة من واقع تاريخ الثقافة الحديث يكشف عن حقيقة لا يجوز لنا ان نتجاهلها والا اسأنا الى الثقافة ،فالثقافة يجب ان تتحرر ما استطاعت من هيمنة التجارة عليها ، وتسلط اعتبارات السوق والثقافة مع شدة حاجتها الى الحرية ، فى اشد الحاجة الى الانفاق الذى لا يبغي ربحا، ومن هنا كانت الثقافة فى حاجة الى وزارة يمولها ، الشعب، ويغذيها بموارده .

ولقد كان القول بأن الثقافة قبل الثورة ازدهرت فلما جاءت الثورة أجدبت اذ ان الثابت ان الفترة ما بين ثورتي سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٥٢ شهدت انحسارا ثقافيا تؤيده الوقائع ، فلقد توالى سقوط المؤسسات الثقافية الواحدة فى اثر الاخرى .. فقد اغلقت السياسة الاسبوعية ابوابها، وطوت جريدة البلاغ صحائفها .وعجز سلامه موسى عن مواصلة اصدار مجلاته الشهرية – وهى المجلة الجديدة والاسبوعيه التى هى (المصرى) واختفت مجلة الشباب لمحمود عزمي، والجديد ، وهى مجلة كان يصدرها، المرصفى ومن حوله طه حسين وهيكل ومصطفى عبد الرازق كما سقطت مجلة (المضمير) التى كان يصدرها عبد الحميد حمدى ، ومعه عدد غيرقليل من الكتاب المجددين .

واذا كانت (الرسالة) و (الثقافة) ، قد عاشتا فترة غير قصيرة ، ولكن قبل ان تتفجر ثورة سنة ١٩٥٢ كانت هاتان المجلتان مريحتين للاقوال، وقارىء الاعداد الاخيرة منها يجدها خلوا من الفكره والمنيض ولونا من الكتابه المدرسية ، فقد هجرتها الاقلام التى نهضت بأعبائها ، ومضت سنوات بلا صحافة فكر أو فن او ثقافه وكانت جمعيات وروابط الادب والشعر ، قاعات لا يرتادها الا عدد قليل ينقصون ولا يزيدون ، وشجبت محاولات مثل الرابطه الشرقية ، وعجزت الجامعة ان تفتح للشباب ناديا يؤمه المحاضرون ومستمعو المحاضرات ومحبو المناظرات اذ انفردت بعض محاضرات الجامعة الامريكية بشىء من الاقبال اما عواصم الاقاليم بما فيها الاسكندرية فقد كان افقارها وجدبها باعثين على الالم والحزن . ولم يبذل جهد يستحق الاحترام لانشاء صحافة يومية أو اسبوعية او شهرية جديرة بالاحترام مع ان أكثر بلاد العالم تعرف صحافة الاقاليم التى تنافس صحافة العاصمة ولم تستطع الاقاليم ان تغرى الكتاب الكبار بالسفر الى الريف والمحاضرة فيه .

وقد انقلب الحال بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ونشأت المؤسسات الثقافية التى لم يكن لها وجود ووضعت ثقافية لا ازعم انها نجحت ولكنها كانت تعويضا عن الجدب الذى منينا به فى الفترة ما بين الثورتين وللحديث بقية ..




● يقال : فلان لاصق بالدقعاء ، اى بالارض التى لا نبات فيها .. وقد ادقع فلان : اى التصق بالارض المقفرة ، فهو مدقع ، اى شديد الفقر لان الارض التى التصق بها لا نبات فيها يأكل منه !..

● العامة تقول عن الشيء الكريه او الخبيث انه « مقرف » .. اى تعافه النفس ! .. والمقرف فى الفصحى هو الرجل الذى يختلط فيه الدم العربى والدم العجمى ، فيكون غير خالص النسب .. وهكذا يكون معنى كلمة « المقرف » فى العامية غير بعيد عن معناها فى الفصحى ، ويمكن استعمالها على سبيل الاتساع .

وفى الفصحى « القارف » هو الكاذب الظالم ، ويستعمل اهل الصعيد هذا اللفظ فى وصف الطعام الذى يطبخ بالماء وحده بدون لحم ، فكأنه فى رأيهم طعام كاذب ! ..

● يقول العامة : أوهبت لك كذا فيخطئهم بعض لغويى زماننا ويقولون ان الصواب هو : وهبت لك .. والعامة لم تخطيء فانه يقال : اوهبت له الشيء اذا اعددته له . اما وهب له ، فمعناها : رزقه واعطاه ، وما اشبه الكلمتين احداهما بالاخرى .

● يرى بعض المشرفين على التصحيح فى الصحف « اسم ابى الفرج الاصبهانى » فيضعون « الاصفهانى » بدلا من « الاصبهانى » وهذا تعنت ، لان ابا الفرج منسوب الى اصبهان ، واسمه مكتوب على كتاب الاغانى بالباء لا بالفاء ، وكان اساتذتنا قديما يتشددون فى نسبة ابى الفرج الى أصبهان ، فمن قال او كتب « الاصفهانى » نقص فى درجته عمن يقول « الاصبهانى » .. وان كانت الاصفهانى ايضا صحيحة ولكنها ليست الاصح ..

● يقال : قبض الموظف مرتبه ، فيقول المتحذلقون : الصواب ان يقال قبض راتبه ، والحقيقة ان الكلمتين صحيحتان .. يقال : رتب الامير لفلان مبلغ كذا ، يقبضه كل شهر ، فهذا المبلغ الذى رتبه الامير هو « المرتب » .. ويقال : يجيء الى فلان رزق راتب من الجهة الفلانية ، فهذا هو « الراتب » .. وكان يقال قديما : وظيفة فلان كذا دينارا ، اى مرتبه او راتبه يبلغ كذا من الدنانير ، ثم تطورت كلمة « وظيفة » فصار معناها العمل نفسه ، وفلان ذو وظيفة اى ذو عمل ! .. فما اجدر ذوى العلم القليل باللغة ان يتواضعوا ويكفوا عن تخطئة من هم اعلم منهم باللغة والادب ! ..

مارجريت ميد
نهاية أسطورة

بقلم: د. أحمد أبو زيد

علماء الانثربولوجيا (علم الانسان) فى كل مكان فى العالم لهم غرام عجيب بمهاجمة بعضهم بعضا والسخرية من أعمال زملائهم والتشكيك فى نتائج بحوثهم وتسفيه آرائهم . وهم فى ذلك أسوأ بكثير جدا من نقاد الأدب .

مارجريت ميد .. الفضيحه علمية أم اخلاقية

ولكن رغم هذه الهجمات المتبادلة فإنهم يؤلفون جبهة واحدة متماسكة فى مواجهة غيرهم من المتخصصين فى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية الأخرى ويشعرون إزاءهم بشيء غير قليل من الاستعلاء . فهم ينتمون فى آخر الأمر الى (قبيلة) واحدة متماسكة ومتمايزة ويفخرون بذلك التمايز مثلما يفخرون بفرع تخصصهم الفذ الفريد وهو - فى الأصل - دراسة المجتمعات (البدائية) التى تعيش بعيداً عن تأثير المدنية الحديثة وسط الغابات والأدغال الكثيفة المظلمة أو فى باطن الصحارى القاحلة أو على قمم الجبال المرتفعة العالية أو فى أصقاع المناطق الجليدية القارسة مثل جماعات الاسكيمو ، ويقتضى ذلك منهم الانتقال الى هذه المناطق النائية البعيدة حيث يعيشون مع تلك الجماعات التى يدرسونها لمدة سنة كاملة على الأقل حتى يستطيعوا عن طريق المعايشة والملاحظة المباشرة أن يتعرفوا عن قرب أسلوب حياتهم وطرائق معيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وقيمهم الاجتماعية والدينية ونظمهم وثقافتهم . بل انهم فى كثير جدا من الأحيان يشاركون مشاركة فعلية فى مختلف أوجه النشاط اليومى مما يخلق نوعا من التعاطف بينهم وبين أفراد تلك الجماعات ، كما أن فترة اقامتهم كثيرا ماتطول عن سنة وتتصل الى ثلاثة أعوام أو أربعة حيث تأتى كتاباتهم عن الجماعات التى درسوها سجلا وثائقيا دقيقا يقوم على الفهم العميق الذى لا يخلو من تقدير واحترام . وهذا اسلوب من البحث يختلف اختلافا كبيرا عن الاسلوب المألوف فى العلوم الاجتماعية الأخرى التى لا تتطلب هذه الاقامة الطويلة بكل مافيها من عناء ومشقة ولا تعتمد على المعايشة والمشاركة وتكتفى بالزيارات السريعة الخاطفة وملء الاستمارات أو توجيه بعض الاسئلة أثناء مقابلات عاجلة تعطى معلومات مبتسرة وسطحية الى حد كبير

وواضح من ذلك أن الباحث الذى يعيش طول هذه الفترة فى آحد المجتمعات أو احدى القبائل النائية يصبح هو الحجة أو المرجع الرئيسى عند ذلك المجتمع إن لم يكن هو المرجع الوحيد . إذ نادراً ماتتاح فرصة لباحث آخر آن يقوم بدراسة جديدة لأحد تلك المجتمعات البعيدة يكون قد سبق دراستها من قبل ، وإن كانت هناك حالات معدودة أعيد فيها دراسة مثل هذه المجتمعات من قبل باحثين جدد لمعرفة ماقد يكون قد طرأ عليها من تغيرات بعد الدراسة السابقة . وفى كل الأحوال ، لابد من أن تتوافر فى الباحث الميدانى درجة عالية جدا من الأمانة العلمية والالتزام بالمعايير الأكاديمية الصارمة والقدرة على الملاحظة والتسجيل والفهم والتحليل والتفسير حتى يمكن الاطمئنان الى صحة معلوماته ، مادام من الصعب العسير التأكد من صدقه عن طريق الرجوع الى المجتمع النائى البعيد المنعزل الذى قام هو بدراسته والكتابة عنه . وعلماء الانثربولوجيا يعتزون بهذه التقاليد والقيم

ويفخرون بها ولا يتهاونون ازاء الخروج عليها ولا يترددون ابدا فى أن يطردوا من (قبيلتهم) كل من تسول له نفسه تزييف الحقائق أو اختلاق وقائع وأحداث وعادات لا وجود لها فى الحقيقة والواقع وتصل بهم الخصومة فى هذه الحالة الى حد التشهير واهدار السمعة العلمية بل والكرامة الشخصية ومع أن هذا أمر نادر الحدوث فإنه يحدث على أية حال ، اعتقاداً من الباحث أن تزييفه للأمور لن ينكشف نظراً لقلة احتمال اجراء دراسة أخرى فى نفس المجتمع .

وتاريخ الانثربولوجيا ـ ومثله فى ذلك مثل تاريخ العلوم الانسانية الأخرى ـ يسجل بعض حالات الزيف والتزييف والخداع والكذب . وربما كان آخر هذه الحالات وأشدها وقعا على المتخصصين وإيلاما لنفوسهم وإثارة للجدل والخصومة بينهم هى حالة عالمة الأنثربولوجيا الأمريكية مارجريت ميد ودراستها الشهيرة عن البلوغ والمراهقة فى جزر ساموا . وهذه دراسة رائدة جذبت إليها الأنظار منذ البداية سواء من حيث الموضوع الحساس الطريف الذى تناولته أو الطريقة التى عولج بها الموضوع أو المعلومات الشائقة التى تضمنتها وتوصلت إليها الباحثة لأول مرة ، أو التاويل والتفسير الذى تقدمه أو النتائج التى ترتبت على هذه الدراسة وتأثيرها فى آسلوب التربية والنظر ، إلى المرأة فى المجتمع الآمريكى ذاته

● دراسة رائدة

ولقد كانت حياة مارجريت ميد نفسها (١٩٠١ ـ ١٩٧٨) مليئة بالأحداث والمغامرات .

فتاريخ الأنثربولوجيا يسجل لها أنها كانت واحدة من أوائل النساء القليلات اللاتى بلغت بهن الجرأة والاقدام وحب المغامرة إلى حد قبول القيام بدراسات ميدانية فى مجتمعات (بدائية) نائية ، فى وقت كانت هذه الدراسات والبحوث لا تزال فى مهدها ، وكان الذين يقبلون عليها من الرجال محل اكبار وإعجاب .

ولقد ذهبت مارجريت ميد بمفردها عام ١٩٢٥ وهى لا تزال فى التالتة والعشرين من عمرها وبدون خبرة تقريبا الى جزر ساموا فى المحيط الهادى وعلى بعد حوالى ألفين وخمسمائة كيلومتر من نيوزيلندة للقيام بدراستها الرائدة . وكان الموضوع الذى اختارته لهذه الدراسة ، أو الذى اختاره لها أستاذها العظيم فرانز بواس عميد الأنثربولوچيين الأمريكيين فى ذلك الحين هو حياة الفتيات المراهقات فى ذلك المجتمع البدائى الذى لم يكد يتأثر بالمدنية الغربية بكل ما تحمله من تعقيدات وتوترات ، وتعرف نظرة المجتمع الساموى الى الفتيات فى هذه المرحلة الحرجة من حياتهن وطريقة معاملته لهن وسلوك هؤلاء الفتيات بوجه عام وحياتهن الجنسية بوجه خاص . وظهرت نتيجة الدراسة فى كتابها الطريف الذى أشرنا

إليه والذى يصفه أحد كبار علماء الأنتربولوچيا بأنه كتاب (أنثوى)

والنتائج التى توصلت إليها مارجريت ميد من هذه الدراسة الميدانية نتائج هامة بقدر مافيها من طرافة لأنها ألقت كثيرا من الضوء على أسلوب التربية فى جزر ساموا واختلافه عن الأسلوب المتبع فى معاملة الفتيات المراهقات في أمريكا ، وكيف أن هذه الاختلافات فى أسلوب التربية والتنشئة أدت إلي ظهور كثير من المشاكل الاجتماعية والسيكولوجية لدى الفتاة الأمريكية دون الفتاة الساموية . فالمشكلات السيكولوجية التى تعانى منها الفتاة المراهقة فى أمريكا ليس لها مثيل فى ساموا وأن ظهور هذه المشكلات يرتبط بنوع معين من البيئة والظروف والأوضاع الاجتماعية ولا ترتبط بالطبيعة البشرية من حيث هى كذلك ، أى أنه لا يمكن ردها إلى عوامل بيولوجية ، وإنما هى تنجم عن القيود التى تفرضها المدنية الحديثة كما تتمثل فى المجتمع الأمريكى المعاصر فليست هناك أية فوارق فى عملية البلوغ ذاتها بين الفتاة الأمريكية والفتاة الساموية ولكن الفوارق والاختلافات تكمن فى الاستجابة لهذه العملية . وإذا كانت الفتاة الساموية المراهقة لا تعانى من أية مشكلات أو متاعب سيكولوجية فإن ذلك يرجع فى المحل الأول إلى أسلوب التربية ونمط الثقافة السائد فى جزر ساموا ذاتها وهو اسلوب يقوم على التحرر الجنسى إلى حد كبير . فشعب ساموا شعب هادىء رقيق مهذب مسالم ومتحرر من الصراعات الدينية ولا يعرف الغيرة ولا التنافس ولا يفرض أى قيود على الحياة الجنسية قبل الزواج ، وبذلك فإن الفتاة المراهقة تتجنب كثيرا من التوترات والإرهاصات والأزمات التي تظهر لدى الفتاة المراهقة في المجتمع الأمريكي . وباختصار ، فإن الفتاة المراهقة في ساموا تحيا حياة استرخاء وراحة وتحرر جنسى ، وكل ما تهتم به هو أن تتصل قبل الزواج بأكبر عدد ممكن من الشبان دون أن ترتبط بأى واحد منهم برابطة دائمة .

وكانت النتيجة التى يمكن الوصول إليها من دراسة مارجريت ميد هى ان معظم ما تعانيه الفتاة الأمريكية من مشكلات المراهقة راجع الى القيود المفروضة على سلوكها وعلاقاتها وبخاصة السلوك الجنسي وأنه فى الإمكان التغلب على هذه المشكلات وما يترتب عليها من نتائج اجتماعية لو أن الفتاة الأمريكية عاشت تلك الحياة المتحررة الخالية من القيود والضوابط والكبت الجنسى التى تحياها زميلتها الساموية . وهكذا كانت هذه الدراسة التى أجريت فى العشرينيات من هذا القرن مبشرا بالثورة الجنسية وحركة التحرر النسائى التى ظهرت فى أمريكا فى الستينيات . كما بدأ كثير من التربويين يراجعون فلسفتهم وسياساتهم التربوية وبخاصة فيما يتعلق بتنشئة الفتاة والعلاقات بين الجنسين .

والمهم هو أن مارجريت ميد كانت ترى سواء فى هذا الكتاب أو فى كل كتاباتها فيما بعد أن الطبيعة البشرية طبيعة مرنة ويمكن تشكيلها بسهولة وأن الظروف

مارجريت ميد: نهاية أسطورة

والأوضاع الثقافية والاجتماعية هى عوامل أكثر أهمية وفاعلية وتأثيرا من العوامل البيولوجية فى تحديد السلوك الاجتماعى ، وأنه ليس هناك شىء يمكن اعتباره أمراً طبيعيا أو عاما فيما يختص بالأدوار التى يمكن توقعها من الجنسين الذكر والأنثى

وقد حمل الكتاب اسم مارجريت ميد الى آفاق واسعة من الشهرة وذيوع الصيت وهى لا تزال دون الثلاثين من عمرها . وترجم الكتاب إلى ست عشرة لغة وبيعت منه ملايين النسخ وأصبح لايعتبر فقط من الأعمال الكلاسيكية فى الأنثربولوجيا وإنما يعتبر أيضا من أهم الكتب العامة التى يقبل على قراءتها المثقف العام غير المتخصص .

وبلغ من ذيوع صيت مارجريت ميد وارتفاع مكانتها فى الأوساط العلمية أن استعانت بها الحكومة الامريكية أثناء الحرب العالمية الثانية لدراسة الطابع القومى للحلفاء والأعداء على السواء واستفادت من هذه الدراسات والمعلومات فى حرب الدعاية . ثم بدأت بعد الحرب توجه مزيدا من عنايتها واهتمامها للمشكلات العامة والقضايا الاجتماعية الكبرى إلى أن تربعت على عرش الأنثربولوچيا وأصبحت تعتبر من أشهر وأهم الشخصيات فى هذا الميدان فى أمريكا بل وفى العالم أجمع .

وحين ماتت مارجريت ميد عام ١٩٧٨ شعرت (القبيلة) الأنثربولوجية فى العالم كله بفداحة الخسارة لفقدها ، وشعرت أمريكا بأنها فقدت شخصية قومية أو بطلا قوميا له وزنه وثقله

ثم وقعت الواقعة

● سقوط الأسطورة

فى عام ١٩٨٢ . أى بعد موت مارجريت ميد بأربع سنوات وبعد صدور دراستها عن البلوغ والمراهقة فى جزر ساموا بأكثر من نصف قرن (ظهرت الدراسة عام ١٩٢٨) أصدر دريك فريمان ـ وهو استاذ نيوزيلندى الأصل تلقى تعليمه فى جامعة كيمبردج بانجلترا ويشغل الآن منصب أستاذ متفرغ بإحدى جامعات استراليا ـ كتابا يحمل عنوانا مثيرا للغاية هو : "مارجريت ميد وجزر ساموا قيام وسقوط اسطورة أنثربولوجية" ..

الكتاب فى ظاهره تحليل نقدى ممتاز وعميق لكتاب مارجريت ميد ، ولكنه فى باطنه هجوم عنيف وقاس وتشكيك قاتل فى المعلومات التى يتضمنها ذلك الكتاب بل وأيضا ـ وهذا هو المهم ـ فى أمانة الأستاذة فى تسجيل الوقائع ، ويكاد يكون اتهاما صريحا ومباشرا لها بتزييف المعلومات وتقديم صورة عن المجتمع الساموى مختلفة كل الاختلاف عن الحقيقة والواقع . بل إن الكتاب يقرر بوضوح لا لبس فيه أنها لم تذهب إلى جزر ساموا لكى تبحث وتلاحظ وتسجل وتحلل ما تراه أمامها وما يفعله الناس فى حياتهم اليومية وإنما ذهبت وفى ذهنها فكرة

مسبقة ومحددة أرادت أن تبرهن على صحتها بأن تجمع المعلومات والبيانات التى تؤكدها وتعززها ولذا لم تكن تتورع عن أن ترى أشياء لا وجود لها وأن تختلق أمورا او احداثا لم ترها وأن تفتعل قيام علاقات وممارسات وتصرفات لم تحدث وإنما هى من نسج خيالها وهذا بطبيعة الحال هو أقسى وأعنف اتهام يمكن توجيهه إلى عالم أو باحث . أما الفكرة التى كانت تؤمن بها قبل أن تذهب إلى مجتمع الدراسة فهى السلوك الانسانى يخضع للعوامل الاجتماعية والثقافية ويتشكل بها أكثر مما يخضع للعوامل البيولوجية أو يتأثر بها

ودريك فريمان ليس أستاذا عاديا على الأقل فيما يتصل بمعرفته بمجتمع ساموا . فاذا كانت مارجريت ميد قد عاشت فى ذلك المجتمع بضعة شهور فإنه عرف المجتمع منذ عام ١٩٤٠ وظل يتردد عليه ويعيش فيه فترات متفاوتة بلغت فى مجموعها مايزيد على ست سنوات . ثم إن تدريبه الأنثربولوجى أقوى وأعمق بكثير جدا من التدريب الذى تلقته مارجريت ميد . فهو يتبع المدرسة البريطانية التى تهتم بالدراسة الميدانية المركزة التى تستمر لفترة طويلة من الزمن لا تقل بأى حال من الأحوال عن سنة كاملة وبحيث يقوم الباحث بنفسه بجمع المعلومات عن طريق المعايشة والمشاركة مع ضرورة إتقان لغة الأهالى إتقانا تاما حتى يمكنه التفاهم معهم مباشرة دون وسيط يتولى الترجمة وهذه كلها أمور لم تكن لتتوفر لمارجريت ميد التى تربعت على عرش الأنثربولوجيا .

ويعتبر غياب هذه العناصر والمبادىء المنهجية عيبا كبيرا فى الإعداد العلمى

فقد ذهبت مارجريت ميد إلى جزر ساموا ولم تكن لها فكرة وافية عن أصول البحث الميدانى وهى نفسها تعترف بان كل ما أخذته من توجيهات من أستاذها العظيم لم يزد عن نصف ساعة فقط وان النصيحة الوحيدة الثمينة التى قدمها لها هى أن تتحلى بالصبر والتأنى جمع المعلومات وألا تظن أن الوقت الذى تنفقه فى مقابلة الأهالى واستجوابهم وقت ضائع . ثم كانت هذه الرحلة إلى ساموا بالنسبة لها أول مرة تخرج فيها من حدود أمريكا لتعيش مع أقوام غرباء عنها ، ولم تكن لها دراية أو معرفة بأية لغة أخرى فضلا عن جهلها بلغة الأهالى مما كان يمنعها من أن تستخدم تلك اللغة فى التخاطب معهم مباشرة . وبدلا من أن تعيش مع الأهالى أنفسهم وتختلط بهم فى حياتهم اليومية وتشاركهم فى مختلف أوجه نشاطهم اليومى فضلت الإقامة مع بنى جنسها من الأمريكيين الذين يعيشون ويعملون هناك ، وبذلك لم تنشأ بينها وبين الأهالى تلك العلاقة الحميمة التى يحرص الأنثربولوجيون على إقامتها والتى تكسر كل الحواجز وتفتح أمامهم كل الأبواب وبدلا من هذا كله وقعت مارجريت ميد فى حبائل الفتيات الساموبات اللاتى يتمتعن بقدرة كبيرة على العبث بالأغراب والتغرير بهم وخداعهم ، فاتخذن منها العوبة يلهون بها ويقدمن لها (معلومات) كاذبة وخادعة عن مغامراتهن الجنسية وغزواتهم الغرامية مع الشبان وعن تحررهن الجنسى ووقعت مارجريت ميد فى

مارجريت ميد نهاية أسطورة

المصيدة لأنها كانت تريد أن تقع وصادفت تلك المعلومات الزائفة هوى فى نفسها لأنها تتفق على ما كانت تريد أن تصل إليه وما كان استاذها أيضا يريد منها أن تحققه ، وبذلك خدعت نفسها مثلما خدعتها فتيات ساموا المراهقات . فالكتاب كله إذن خدعة وأكذوبة من تلك الأكاذيب التى نصادفها من حين لآخر فى تاريخ العلم .

وكانت نتيجة ذلك كله :

بينما وصفت مارجريت ميد سكان جزر ساموا بالرقة والعذوبة والمسالمة والتحرر الجنسى ووصفت الفتيات المراهقات هناك بالاسترخاء والخلو من التوترات والأزمات السيكولوجية والعصبية التى تعانى منها المراهقات فى الولايات المتحدة يؤكد فريمان أن الأمر على العكس من ذلك تماما **وأن أهالى جزر ساموا شعب مشاغب تسيطر عليه الغيرة العنيفة والتنافس الحاد والميل الى العنف والجريمة وبخاصة الجرائم الجنسية بحيث إن جرائم اغتصاب الفتيات تعتبر من أعلى المعدلات فى العالم مما يدل على أنه مجتمع لا يعرف التحرر الجنسى الذى تزعمه مارجريت ميد ، وأن التربية هناك تخضع لكثير من القيود وأن عفة المرأة وبكارتها وعذريتها من أهم القيم التى يحرص عليها المجتمع ، وأن التنشئة القاسية الصارمة ينجم عنها هناك كثير جدا من المتاعب والاضطرابات السيكولوجية التى تتراوح بين السلوك العصابى والأمراض الهستيرية التى كثيرا ما تنتهى بالانتحار .**

محاولة إتقاء الفضيحة

وكان من الطبيعى أن تهتز الأوساط العلمية إزاء هذا الاتهام .

وكان من الطبيعى أيضا أن يهب الكثير من الأمريكيين بالذات للدفاع عنها وإنقاذ اسمها وسمعتها من الفضيحة بعد أن كانت هى قد ماتت قبل ظهور الكتاب بأربع سنوات

وجانب كبير من الدفاع عنها صادر عن الاشفاق من أن ينهار صرح ضخم من صروح العلم الانسانى كان له دائما احترامه ومكانته فى العالم كله . فهو دفاع عاطفى أو حتى انفعالى يصل بأصحابه إلى حد اتهام فريمان بالتهور والقسوة وعدم احترام جيل الرواد الذين وضعوا أسس العلم . ولكن ذلك لم يمنع هؤلاء المدافعين من الاعتراف فى الوقت ذاته بأن كل ماجاء به فريمان صحيح وأن مارجريت ميد لم تكن على كل تلك الدقة والأمانة العلمية التى كان الناس يعتقدون فيها .

وذهب بعض المدافعين إلى أبعد من ذلك ، واتهموا فريمان نفسه بالخروج على كل القيم العلمية . فقد انتظر طويلا جدا قبل أن يكشف عن ارائه ولم يجد فى نفسه الجرأة والشجاعة على أن يصدر كتابه أثناء حياتها حتى تستطيع الدفاع عن نفسها . فالموتى لا يتكلمون ، وليس من

المروءة فى شىء مهاجمة الأموات . ولكن أسقط فى أيدى هذا الفريق حين عرفوا أن فريمان كان قد أخبرها بالفعل منذ سنوات بنتائج بحوثه وأنه اقترح عليها بعد أن أتم كتابه أن يرسل إليها الأصول لقراءتها قبل أن يدفع بها إلى المطبعة ولكنه لم يتلق منها جوابا ثم ماتت بعد ذلك بشهور قليلة ، وأنه إنما انتظر طويلا إلى أن سمحت حكومة ساموا بالافراج عن الوثائق القديمة التى تضم المعلومات والاحصائيات عن الجريمة وبالذات عن جرائم الاغتصاب والجرائم الجنسية الأخرى وبخاصة فى الفترة التى كانت مارجريت ميد تقوم أثناءها بدراستها الميدانية ، وأن الأرقام تؤكد ما توصل إليه عن طريق الملاحظة والمعايشة والاتصال الشخصى المباشر .

ثم إذا به يلقى قنبلة أخيرة لم تصب هذه المرة مارجريت ميد وإنما أصابت الأوساط الأكاديمية كلها التى تطرق إليها الزيف والخداع والنفاق والمجاملة على حساب القيم العلمية . وهو يروى فى ذلك أنه فى احدى مراحل البحث الميدانى طلب من الجامعة تمويل رحلته الى جزر ساموا فرفض رئيس القسم ذلك واستكثر عليه أن يقوم بعمل من شأنه التعريض بسمعة أستاذة لها مكانتها وسمعتها أو أن يكشف اللثام عن حقيقة باحثة لها حجم مارجريت ميد ووزنها وثقلها فى الأوساط والدوائر العلمية والحكومية والدولية .

بل الأدهى من ذلك أن عددا من العلماء والباحثين الآخرين الذين أتيحت لهم معرفة مجتمع ساموا عن قرب كانوا قد اكتشفوا الأخطاء التى وقعت فيها وأدركوا مدى الزيف فى كتاباتها ولكنهم لم تكن لديهم الجرأة الكافية لإعلان ذلك أثناء حياتها ، ثم لم يلبثوا أن كشفوا عن هذا كله فى المقالات الكثيرة التى ظهرت بعد أن نشر فريمان نتائج دراسته . فقد آثر هؤلاء (العلماء) السلامة وتجنبوا الخوض فى أعمالها أثناء حياتها حتى لا يتعرضوا لبطشها فقد كانت تتمتع بسلطات واسعة جدا فى كل الأوساط والدوائر .

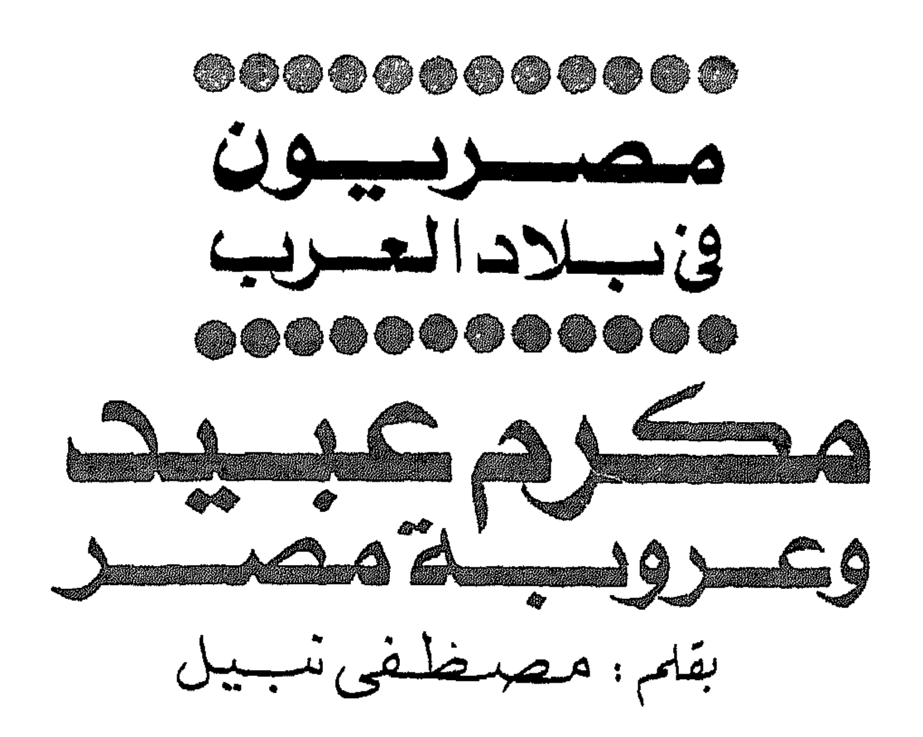
● ● ●

وعلى أية حال فإن تاريخ العلم بوجه عام ملىء بحالات الزيف والتزييف . وعدد كبير من العلماء الذين ذاع صيتهم واحتلوا مناصب عالية وحساسة لم يكونوا فى قرارة أنفسهم أمناء بالقدر الكافى وبذلك لم تتنزه أعمالهم عن التزييف المتعمد والخداع والتضليل .

ولقد كانت مارجريت ميد أسطورة أنثربولوچية فى حياتها الخاصة والعامة وفى إنجازاتها على كل المستويات . فقد جمعت بين الذكاء والقدرة على الحركة وخلق العلاقات وتركيز السلطة فى يديها ، وكان صوتها عاليا ومسموعا ومؤثرا فى المحافل العلمية والدولية . ولم يكن يخطر ببالها قط أن أمرها سوف ينكشف فى يوم من الايام . ولكن بمجرد أن أنكشفت الحقيقة انهارت الأسطورة ، فأصبحت مارجريت ميد وأعمالها وكتاباتها وانجازاتها جزءا من الماضى رغم كل ما يحاوله أصدقاؤها لإنقاذ ما يمكن انقاذه .

وقد يكون فى ذلك عظة للبعض ..

ولكن بعض (العلماء) لا يتعظون ..



مكرم عبيد .. أحد أبرز الزعماء المصريين الذين لعبوا دورا هاما فى الحياة السياسية المصرية ، ما بين ثورتى ١٩١٩ و١٩٥٢ .

طلع نجمه مع ثورة ١٩١٩ ، وتنامى هذا الدور مع نمو الحركة الوطنية ، وفى ظلال ما طرحته من قيم ومبادىء وأفكار .

أطلق عليه المصريون بحق « المجاهد الكبير » ، بعد أن تابعوه سياسيا داعية ومنظما قديرا ومحاميا مدافعا عن قضايا الوطن ، وقاده نضاله الى النفى والسجن .

فاحتل مكانة فى قلوب الجماهير ، وملامحه المصرية لها جاذبية خاصة وتشبه ملامح وجهه إلى حد بعيد « المصرى أفندى » الذى ابتكره رسامو الكاريكاتير تعبيرا عن المصرى الطيب .

فقد جاء من أعماق صعيد مصر ، يحمل معه تحديا وجلد أبناء الصعيد .

وتميز بحس تاريخى عميق ، فكان من أوائل الزعماء الذين أدركوا أبعاد انتماء مصر العربى .

ولم يكن مكرم عبيد مثل صالح حرب أو عزيز المصرى أو عبدالرحمن عزام ، فلم يقاتل معارك العرب ويشترك فى ثوراتهم ، ولكنه كان مبشرا وداعيا الى الفكرة العربية ، ومدركا بعدها التاريخى ، وطبيعة موقع مصر ، والحاجة الى ترجمة ذلك سياسيا فى مواجهة الأخطار التى تهدد الشرق .

ونادى برابطة عربية جامعة قبل قيام جامعة الدول العربية بخمس سنوات . وأصبح أحد رموز هذا الاتجاه ، ومعبرا عنه ، يحضر المؤتمرات العربية ، ويقوم بجولات فى البلاد العربية ، وتربطه بالقادة العرب علاقات وثيقة .

ومن أوائل المؤتمرات التى حضرها ، المؤتمر الاسلامى فى لندن فى أغسطس عام ١٩٣٠ ، الذى عقد من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية ، وحضره مندوبون من الهند والشام ومصر ، وأكد فى كلمة


مكرم عبيد

" إن المؤتمر لا يرمز الى الوطنية وحدها ، ولكنه تعبير صادق عن المعاناة الطويلة للأمم والشعوب الشرقية ، فالشرق هو الشرق والغرب هو الغرب ، وكلاهما يناضل ضد الحواجز التى تفرق بينهما ويعملان على صيغة جديدة للتعايش بينهما . »

وتكررت بعد ذلك رحلاته لكل من فلسطين وسوريا ولبنان ، وأدرك طبيعة الخطر الصهيونى ، عندما التقى بأهل هذه البلاد ، يلقى الخطب ويدلى بالأحاديث فى بيروت ودمشق وشتورة والقدس وعكا وحيفا .

ويحكى عن هذه الرحلات قائلا : « سافرت فى رحلة الى سورية ، وتفضل إخوانى السوريون فى الشام ولبنان وفلسطين ، فشملونى بترحيبهم وتكريمهم ، ووقفت بينهم مناديا بالوحدة العربية .. »

كما أشار الى هذه الجولات ، العديد من الكتاب العرب مثل أنيس صايغ فى كتابه « الفكرة العربية فى مصر » ، وأحمد الشقيرى فى مذكراته السياسية .

● المصريون عرب

وكتب مكرم عبيد مقالا هاما تحت عنوان « المصريون عرب » فى عدد خاص فى مجلة الهلال فى إبريل عام ١٩٣٩ ، عندما كان سكرتيرا عاما للوفد والرجل الثانى فى الحزب ، ويعبر هذا المقال عن الأفكار الجديدة فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ، وما أقامته الحركة الوطنية من مؤسسات جديدة ، ويقدم هذا المقال تصورا واضحا لمفهوم العروبة ، ومناقشة هامة للأفكار العربية المطروحة ، ومما ذكره المقال « إن تاريخ العرب سلسلة متصلة

الحلقات ، لا بل شبكة محكمة العقد وإذا علمت أن رابطة اللغة والثقافة العربية فى هذه الأفكار ، أوثق منها فى أى مكان على الأرض ، وأن التسامح الدينى نشأ وترعرع فيها ، ومازال قائما بين أصحاب الأديان جميعا ، لأيقنت آن المقصود بقول « المصريون عرب » هو هذه الوشائج ، وتلك الصلات التى لم تضمها الحدود الجغرافية ، ولم تنل منها الأطماع السياسية .

نحن عرب ، ويجب أن نذكر فى هذا العصر دائما أننا عرب ، وحدت بيننا الآلام والآمال ، ووثقت روابطنا الكوارث والاشجان ، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان » .

ودافع عن عروبة مصر التى تجد اساسا لها فى الجهاد من أجل الحرية ، وفيما يجمع بينها وبين البلاد العربية من روابط اللغة والتقاليد والخصائص الاجتماعية السياسية . وتحدث عن جهاد الأقطار العربية ، وذكر ـ منذ ما يزيد على نصف قرن ـ أن الأطماع السياسية تحاول قطع العلاقات بين الأفكار العربية ، والعمل على قتل الروح العربية بين أبنائها ، والسعى للتفرقة ، واضطهاد العاملين لتحقيق الوحدة العربية التى لاريب فى أنها من أعظم الأركان التى يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة ، فالشرق العربى وشعوبه فى حاجة الى أن يؤمنوا بعروبتهم وبما فيها من عناصر استطاعت أن تبنى حضارة زاهرة .

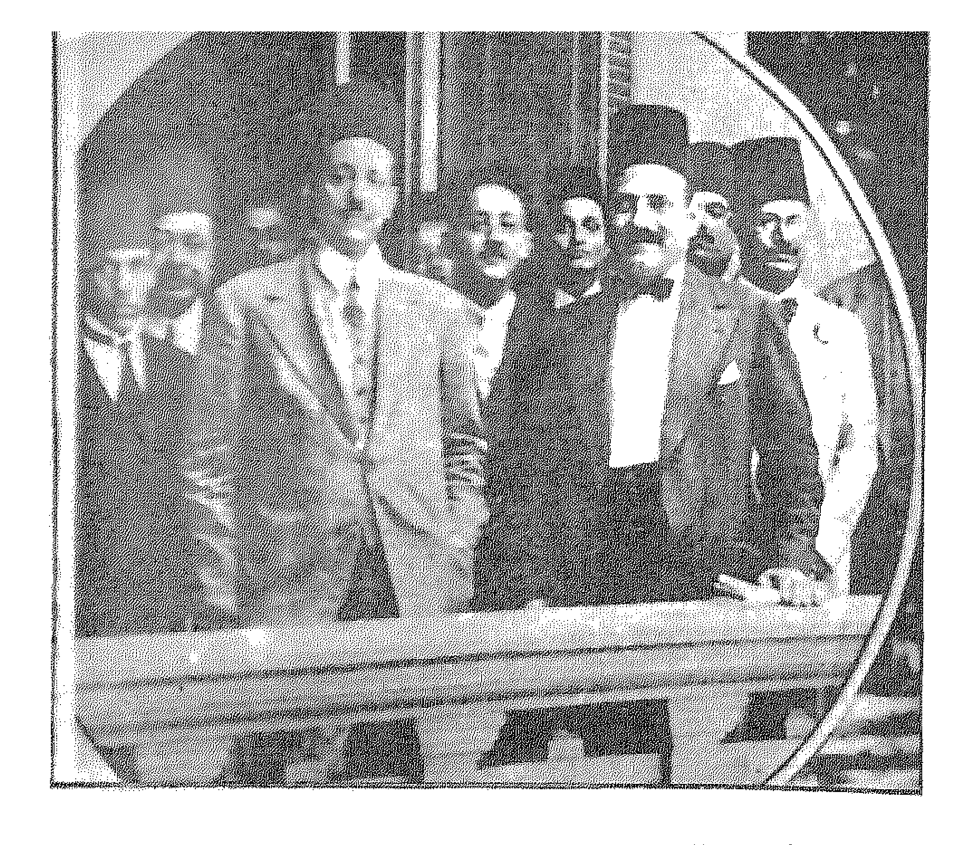
وأكد أن الوحدة قائمة ولكنها تحتاج الى تنظيم .. « لايجاد جبهة تناهض الاستعمار وتحفظ القوميات ، وتوفر الرخاء ، وتنمى المنافع وتنسق المعاملات .. »

وطالب ببصيرة نفاذة ، أن تصبح البلدان العربية .. « جامعة وطنية واحدة ، أو وطنا كبيرا تتفرع منه عدة أوطان لكل منها شخصيتها ، لكنها فى خصائصها القوية العامة متعددة متصلة اتصالا قويا بالوطن الأكبر .. »

ويعتبر هذا المقال بحق ، من أهم ما كتب ـ من مدرسة الوفد ـ تعبيرا عن التيارات الجديدة فى الثلاثينيات ، فاذا كان من غير الممكن ، أن تنسق الثورة المصرية سنة ١٩١٩ مع الثورة العربية ، فالأولى تناهض الانجليز والثانية قامت فى رعايتهم ، فقد أختلفت الظروف ، واتضحت المسالك ، وقامت الدعوة لانتماء عربى فى جامعة أشمل ، تكون خلالها الوطنية والعروبة دوائر متداخلة وليست متعارضة ، كما أولت هذه الاتجاهات مسألة فلسطين ما تستحق فى إطار الانتماء السياسى الأشمل ، ويكشف المقال بداية استجابة حزب الوفد لأفكار العروبة بعد تبين خطر المشروع الصهيونى على مصر .

فكان مكرم عبيد هو أبرز من بلور هذا الموقف الفكرى ، وهو هنا يلتقى مع الحزب الوطنى الذى دافع دائما عن الاتجاه المؤيد للجامعة الأشمل .

فلم يكن غريبا أن يصبح مكرم عبيد



ملتقى الساسة والقادة العرب ، الذين يفدون إلى مصر ، ويروى أحمد الشقيرى فى مذكراته . « أربعون عاما فى الحياة العربية » أنه عندما جاء الى مصر لاجئا فى أواسط شتاء عام ١٩٤٠ ، حرص على لقاء مكرم عبيد ، الذى تحدث اليه عن الوحدة العربية ، تاريخها ومقوماتها ، ودور مصر فيها عبر التاريخ ، وأن الأفكار العربية تكمل بعضها بعضا .. »

● فى طريق الجهاد

ولعل أهم ما يميز سيرة حياة مكرم عبيد ، أنه نموذج لما أحدثته ثورة ١٩١٩ من تغييرات فى أفراد الشعب ، فبعثت روحا جديدة فى الأمة كلها ، وأعادت تكوينها من جديد ، وربطت الجميع بالمثل العليا الوطنية ، فى لحظة تاريخية نادرة .

فمكرم عبيد ابن أحد الأسر المتوسطة من أعيان الريف ، الذى ولد فى مدينة قنا فى أكتوبر عام ١٨٨٩ ، وأقصى أحلام أسرته ، أن تعلمه تعليما يؤهله للوصول إلى أحد المناصب العالية ، وكان فتى لماحا ذكيا ونال الشهادة الابتدائية ولم يتجاوز عمره أحد عشر ربيعا ، دخل بعدها الى المدرسة الأمريكية بأسيوط والمدرسة التوفيقية الثانوية بالقاهرة ، ومثل الأسر المصرية الموسرة أوفده والده ليدرس فى جامعة أكسفورد ، عندما كان التعلم فى الجامعات الأجنبية محل المباهاة والمنافسة

ونال الفتى الحاد الذكاء درجة فى القانون من أكسفورد ، ولم يشف ذلك ولعه بالمعرفة ، فالتحق فى طريق عودته بجامعة ليون بفرنسا لاستكمال دراسته القانونية باللغة الفرنسية التى كانت سائدة بين القانونيين فى مصر .

وعندما عاد إلى أرض الوطن ، بدأ عمله محررا ثم سكرتيرا للوقائع المصرية عام ١٩١٣ ، ولم يجد



غضاضة فى الانتقال بعدها سكرتيرا للمستشار القانونى البريطانى عام ١٩١٥ ، والذى يكاد يمارس عمل وزير العدل ، وبقى فى هذا العمل حتى بدأت إرهاصات ثورة ١٩١٩ ، وأضرب الموظفون ، فوضع مذكرة تكشف مدى تعاطفه مع الثورة ، واستقال من عمله ، واعتبر خطاب استقالته - الذى نشر فى الصحف - أحد المقالات الوطنية الهامة .

ثم انتقل للعمل أستاذا فى مدرسة الحقوق الملكية ، وبعد عامين أحيل الى مجلس تأديب لاشتراكه فى مأدبة أعدت للزعيم سعد زغلول ، ووقعت عليه عقوبة خصم شهرين من مرتبه ، فترك عمله .

ويتناول الدكتور محمد أنيس فى كتابه مذكرات عبدالرحمن فهمى ، بداية العلاقة بين مكرم عبيد والوفد ، والتى بدأت فى صيف عام ١٩١٩ ، عندما كان الوفد فى حاجة ماسة إلى رجل مقتدر يجيد اللغات الأجنبية لتوفده الى الولايات المتحدة ، خلال مناقشة الكونجرس الأمريكى لمعاهدة فرساى . بعد تصور الوفد لإمكانية إحراز النجاح ، وبعد أن قرر الوفد أن يسافر زعيمه ومعه محمد محمود باشا ، لم تسمح صحة سعد بالقيام بهذه الرحلة ، ووضعت السلطات البريطانية العراقيل أمام سفر محمد محمود ، فطرحت فكرة إيفاد مبعوث من مصر يشرح المسألة المصرية ، واقترح سعد زغلول اسم مكرم عبيد فى أحد رسائله إلى عبدالرحمن فهمى ، واتصل عبدالرحمن فهمى بوليم مكرم عبيد وعرض عليه الاقتراح ، وطلب مكرم أن يدفع له مرتب ثابت لمدة عامين على الأقل ، ولا يطلب أزيد من مصروفه الذى قدره بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه تشمل مصاريف السفر والأقامة .

وتروى رسائل عبدالرحمن فهمى موافقة الوفد على أن يتقاضى مائة جنيه شهريا ، ويحصل على مكافاة خمسمائة جنيه إذا استغنى عن خدماته قبل عامين !

ولكن يبدو أن هذه الرحلة لم تتم ، ووقعت فى نفس الفتى تغييرات هامة ، وأخذ يتحول تدريجيا من مجرد موظف كفء الى مناضل على استعداد للتضحية من أجل قضية الوطن ، وفى خطاب عام ألقاه فى سبتمبر ١٩٢١ ، أعلن أنه لن يحتفظ باسم وليم لأنه اسم أجنبى ، وأصبح فى مصاف أولى العزم الذين يتملكهم شعور عميق بأنهم ليسوا ملكا لذواتهم .

وإذا كان لم يسافر الى الولايات المتحدة ، فقد تكرر سفره الى الخارج ، مبعوثا للوفد وكاتبا ومتحدثا باللغتين الانجليزية والفرنسية ، ولدى عودته من أحد جولاته وزياراته للندن ذهب سعد زغلول لاستقباله وتحيته إعزازا لما قام به من جهد .

ولم تمض ثلاثة أيام على هذا

الاستقبال ، حتى أصدرت سلطات الاحتلال البريطاني قرارا بنفي سعد وصحبه الى جزيرة سيشيل وكان مكرم عبيد واحدا منهم وكانت فترة المنفى فرصة لكي تتوثق العلاقات بين مكرم والنحاس ، كما كان المنفى فرصة لاستكمال مكرم ثقافته ، ودراسة التراث العربي واللغة العربية ، وكان من بين المنفيين عاطف بركات ناظر مدرسة القضاء الشرعي وابن أخت سعد زغلول ، وأخذ في مساعدته خلال العامين ، وبعد أن كانت ثقافته ذات جانب واحد يغلب عليها الثقافة الغربية ، تمكن من استكمال ثقافته ، وأصبح مزيجا بين علوم الغرب وتراث الشرق ، مما لم يتوافر لكثير من السياسيين .

وبعد عودة سعد ومعه مكرم من المنفى عام ١٩٢٣ ، قامت أول انتخابات لمجلس النواب بعد دستور ١٩٢٣ ، وانتخب مكرم عن دائرة قنا ، وأصبح مكرم رفيقا لسعد في المنفى وفي الجهاد ، وأحبه سعد وقدر مواهبه وقربه اليه ، وكثيرا ماردد سعد أن مكرم ابنه البكر

ومنذ هذا الوقت ، لم يدخر مكرم وسعا وهو السياسي القبطي ، في الحفاظ على نسيج الأمة موحدا متماسكا ، وتسجل مواقفه إيمانا عميقا بوحدة أبناء الوطن ، مع تجاوب عميق مع حقائق العصر ومتغيراته ، وهو صاحب تلك الكلمة الجامعة .. « وما المسيحي دينا ، إلا مسلم وطنا .. » .

ووقف مرة خطيبا فقال .. « هناك دسيسة منكرة يقوم بها المستعمرون للتفريق بين المسلمين والأقباط ، يقولون أقباط ومسلمون ، كلا ، بل قولوا لهم ، مصريون ومصريون ، آباء وأمهات وبنون ، أخوة بدين مصر يؤمنون ، أشقاء أمهم مصر ، وأبوهم سعد زغلول .. »

وقد أدرك بحسه العميق أن مصر دائما مطمع لقوى دولية تريد قهر شعبها ، وتولى دور من يحرك أبناء الوطن ، ويستنهض هممهم لمواجهة هذه الأطماع ، وكان يردد أن مصر علمت العالم ، المعنى العميق والأصيل لوحدة أبناء الوطن الواحد ، وقدمت دائما نموذج شعب ينسجم كل أبنائه ..

ولم يتهم مكرم قط بالعمل على أرضية مصالح الأقلية الضيقة ، بل كان زعيما مصريا للجميع يقتبس من القرآن الكريم في خطبه مثل سعد والنحاس

● مكرم سكرتيرا للوفد

وبعد فقدان الأمة لسعد زغلول في ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ ، تم اختيار النحاس رئيسا لحزب الوفد ومكرم عبيد سكرتيرا عاما للحزب ، وكان ذلك تعبيرا عن فكرة الوحدة الوطنية التي مثلها حزب الوفد منذ تشكيله .

وأصبح مكرم الرجل الثاني في الحزب ، وتولى وزارة المواصلات لأول مرة في مارس ١٩٢٨ ، ثم أصبح وزيرا للمالية في يناير ١٩٣٠ ، وأصبح أبرز أعضاء الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٥ ، واشترك في المفاوضات التي انتهت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ، واستمر يقوم بدور رئيسي في حزب الوفد حتى الانقسام الشهير واصدار الكتاب الأسود .

وقد قال عنه الدكتور محمد حسين



هيكل في مذكراته السياسية .. « لقد ألف الناس أن يحسبوا مكرم عبيد ، وزير المالية وسكرتير الوفد ، محرك الوفد ، ومركز نشاطه وحركته الدائمة والقوة الدافعة له في الانتخابات وفي غير الانتخابات من مظاهر النشاط الشعبي .. وكان النحاس يزيد اعتقاد الناس في سلطان مكرم قوة بما يسبغه عليه من أوصاف ، وما يظهره من ثقة به ثقة لاحد لها .. »

ويصوره الدكتور مصطفى الفقي بقوله : « كان القوة الحقيقية خلف زعامة حزب الأغلبية ، كما كان سحر شخصيته وجاذبيتها مصدر قوته في نشاطه السياسي ، إذ كانت لديه القدرة على الوصول الى الجماهير والتأثير فيها ، ولأنه كان متحدثا ممتازا يتمتع بالقدرة على اختيار الكلمات المناسبة ، وبايقاع متواتر متزن ، وجه أحاديثه الى قلب أمة عاطفية بدلا من أن يوجهه إلى عقل مفكريها ، وكان لسحر الشخصية وجاذبيتها دائما أثره ، فإذا كان ذلك هو سحر الشخصية وجاذبيتها « الكاريزما» ، فيمكن اعتبار مكرم ذا شخصية تتصف بالحيوية ، إلى جانب ثقافته المزدوجة العربية ، والأجنبية ، واتصاله السهل والمؤثر بجماهير الشعب ، كما يمكن أن نصنفه « ديماجوجيا » سياسيا إلى حد كبير ممن يقدرون على جذب الجماهير ، والحصول على الشعبية ، وإذا ما قارنا عبيد بغيره من السياسيين مثل اسماعيل صدقي لرأينا أن الأخير كان يفتقد وسيلة الاتصال السهل والعلاقات الحميمة بالشعب والتي كان يمتلكها عبيد ، مما جعله أشهر خطيب في التاريخ السياسي المصري الحديث »

ويصفه عباس العقاد بقوله .. « إنه مزيج اهتمامات متنوعة ونشاطات مختلفة ، مع موهبة في الأدب والسياسة .. »

ووصفه الدكتور محجوب ثابت بقوله .. « إنه خطيب يؤثر بالعاطفة كالموسيقى صديق مخلص ، عدو جبار ، إنه ملاك في صداقته ، شيطان في خصومته »

● دراما التاريخ

وكانت أحد الأحداث الهامة في تاريخه السياسي ، انشقاقه عن الوفد عام ١٩٤٢ ، وما أعقبه من أصداره الكتاب الأسود ، فبعد حادث ٤ فبراير سعى القصر الى الانتقام ، عن طريق ضرب إسفين في علاقة الصداقة الحميمة التي كانت تربط النحاس بمكرم ، وقام بهذا الدور أحمد حسنين رئيس الديوان الملكي

وهو أخطر انشقاق على شعبية الوفد ، رغم أنه الانشقاق الرابع ، فكان الأول انشقاق الاحرار الدستوريين عام ١٩٢٢ ، وأعقبه ما عرف باسم « السبعة ونصف » عام ١٩٣٢ ، ثم أحمد ماهر والنقراشي عام ١٩٣٧ .

وقد وصل الانشقاق الى الرأى العام

مكتوما مشوها ، فقد وقع في ظل الأحكام العرفية والرقابة على الصحف ، ومع هيمنة حكومة الوفد على الحياة السياسية ، ونظر الرأى العام إلى وقائعه بعين الدهشة ، وكأنه يشاهد أحد صور الصراع الاغريقي الذى يدور بين العمالقة ، وأحد مشاهد دراما التاريخ ، عندما تصادمت العاطفة المشبوبة مع الطموح الجارف ، وتداخل العام والخاص في الحياة السياسية .

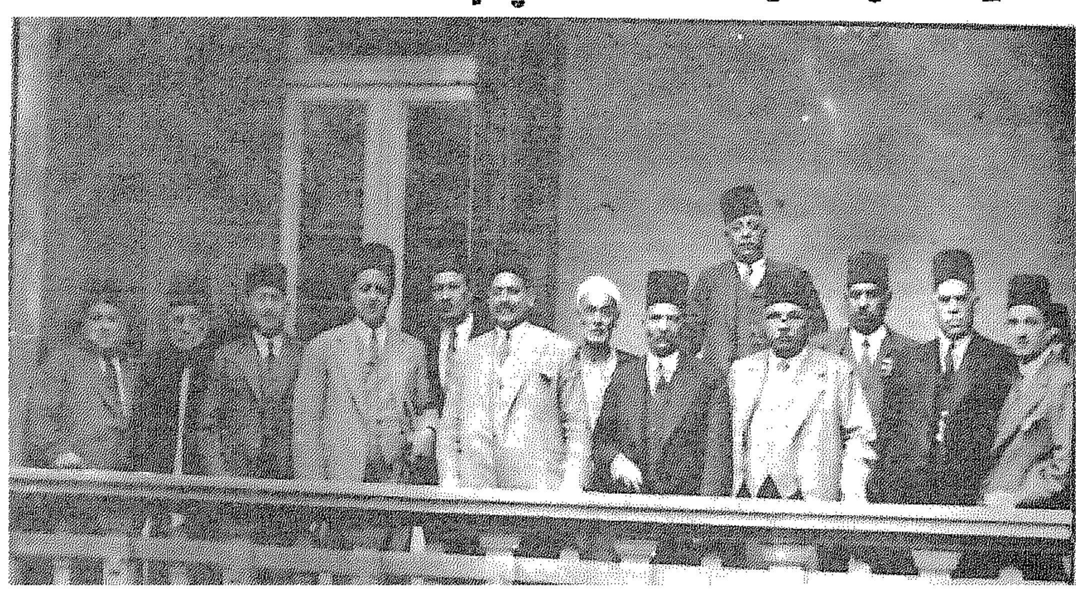
ولعل السياق الذى تم فيه الصدام يلقى بعض الضوء على ملابساته . لقد وقع الانشقاق في أحد مراحل الجزر العامة ، ومع تزايد قبضة جيش الاحتلال البريطاني خلال الحرب الثانية ، وخلال أحد مراحل الجزر الوطنية ، ومن طبيعة هذه المرحلة ، أن تبرز العيوب وتتضاعف ، وتتقلص الايجابيات وتكاد تتلاشى ، فهل كان اقتراب مكرم من نبض الشارع المصرى جعله يلمس خفوت بريق الوفد .

فبعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، التي قننت الاحتلال البريطاني ، والتي أعقبتها عودة الوفد إلى الحكم مؤيدا ـ السلطات البريطانية بعد حادث ٤ فبراير ، واعتباره تطبيقا لنصوص المعاهدة ، وسقطت في العديد من دوائر الرأى العام ورقة التوت عن معاهدة الشرف والاستقلال .

ثم ما ظهر من سيطرة طبقة كبار ملاك الأرض على الزعيم الجليل بعد زواجه من سيدة شابة وطموحه للثراء بعد السلطة ، مما جعل الفروق بين حزب الوفد وغيره من الأحزاب فروقا في الدرجة وليست فروقا جوهرية كما كان عليه الأمر ، فلم يعد وعاء للأمة جميعها .

وأصبح خروج مكرم من الوفد أختبارا للوفد ومدى كونه حزبا جامعا ويؤكد طارق البشرى في كتابه القيم .. « المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية » . « أن الباحث لا يجد سببا دينيا لهذا الانشقاق ، لا من

مصطفى النحاس .. في أحد اللقاءات الوفدية



جهة مكرم ولا من جهة الوفد ، فارجع مكرم السبب فى الكتاب الأسود ، الى معارضته خطة الوزارة فى استثناءات الموظفين فى التعيين والترقية ، وإلى وقوفه ضد صفقات التموين التى أراد أصهار النحاس الجدد ، وأقارب زوجته الشابة أن يثروا عن طريقها ، وأرجعه الوفديون بدورهم الى سعى مكرم الى الانفراد بالنفوذ فى الوفد على حساب القيادات الأخرى ، مما سبق .

وأدى الى خروج أحمد ماهر والنقراشى ، واستمرار هذا النفور فى التصاعد بعد خروجهما ، وعلله الدكتور هيكل بطموح مكرم الى منصب الرجل الأول ورئاسة الحكومة . »

ويؤكد تتابع الأحداث أن مكرم لم يكن ممثلا للقبط ، ولا كان زعيما لهم ، بل كان زعيما مصريا منهم ، سواء عندما كان فى الوفد أو بعد خروجه منه وتأسيسه حزب الكتلة .

ونرى من متابعة دوره السياسى اسهاما واعيا ومشاركة فعالة فى تعميق الوحدة الوطنية .

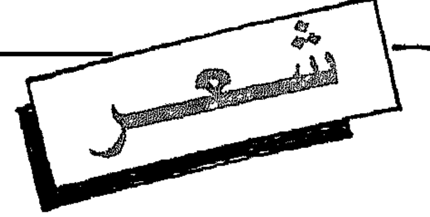
وإذا كان عنف الانشقاق ووسائله وتحالفه مع القصر ، يؤخذ على مكرم عبيد ، فيبدو أنه آدرك ذلك ، وعند لقائه بالنحاس فى سرادق العزاء عند وفاة صبرى أبو علم ، أخذ يعانق النحاس ويقبله ، آسفا على ضياع تلك العلاقة الحميمة ، كما انقلب مكرم على القصر ، وأخذ ينشر مقالاته فى صحيفة الكتلة ، بتوقيع « حكيم » ، ويتناول خلالها القصر وسياساته بالهجوم .

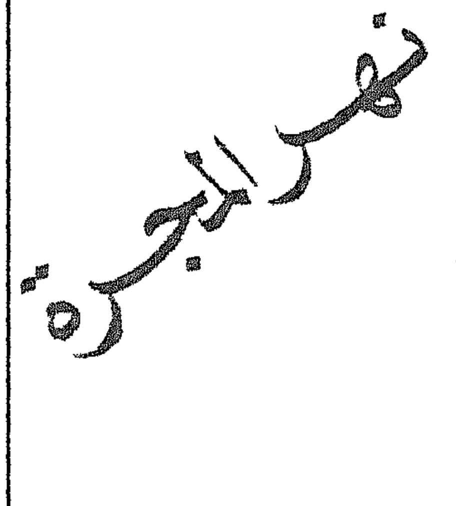
وعندما أغتيل حسن البنا كان مكرم عبيد هو السياسى الوحيد الذى تحدى القصر والحكومة ، واخترق صفوف الشرطة ، وقدم العزاء ، وصحب أفراد أسرته الى مثواه الأخير ..

ولعل مشاعره عند قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كانت مزيجا من الفرحة والأسى ، فرحة وهو يرى الملك يخلع والجمهورية تقوم ، ويحمل الأستعمار عصاه ويرحل ، وهى الأهداف التى عمل على إنجازها ، والأسى على جيل بأكمله انتهى دوره ، وعليه أن يفسح الطريق لجيل جديد ..

وأسدل الستار على حياة غنية بالجهاد فى ٥ يونيو ١٩٦١ ، وودعه شعب مصر بالاعزاز والتقدير .

المصادر :
- المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ـ طارق البشرى .
- الأقباط فى السياسة المصرية ـ د . مصطفى الفقى .
- الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ـ د . سميرة بحر .
- الوفد والكتاب الأسود ـ د . يونان لبيب رزق .





عبد الوهاب البياتى

فى نهر مجرة هذا الكون الشعرى
المسكون بروح الاسلاف
كنا / مثل فراخ لم تنبت ، بعد ، قوادمها
نسبح ضد التيار
ونحاول ليل نهار
ان نصطاد الثور الاسطورى
لنذبحه ، قربانا ، لاله الشعر المتجلى
فى غبش الاسحار
كنا نتحدى
ازمنة شاخت وعصورا تنهار
بصواعق من نار
كنا أطفالا
لكنا فى الحب كبار



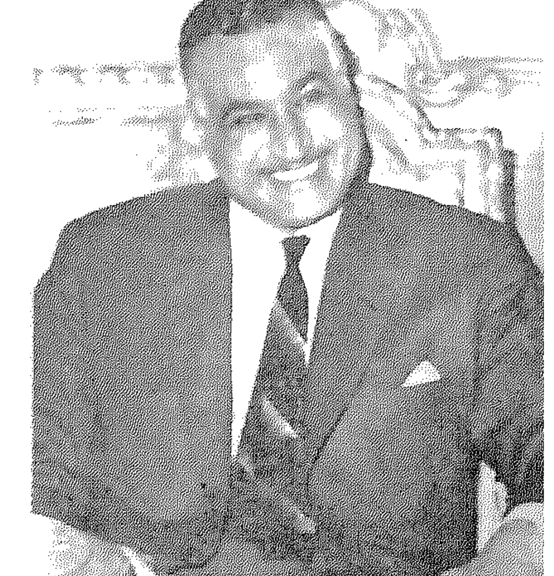
النقاد الأدعياء

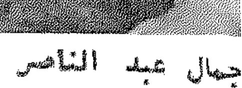
جرذان حقول الكلمات
دفنوا راس الشاعر فى حقل رماد
لكن الشاعر فوق صليب المنفى
حمل الشمس وطار

إنصاف الناصرية ظالمة ومظلومة

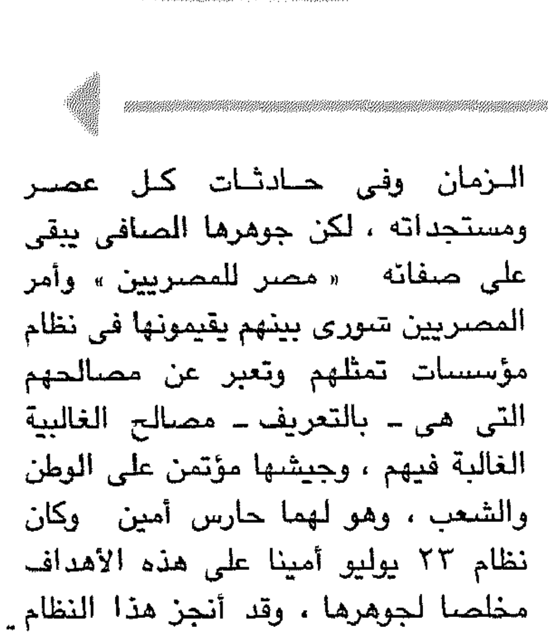
بقلم : مصطفى الحسينى

طارق البشرى كاتب متين البنيان محكم النسيج . درج القراء والنقاد على اعتباره « مؤرخا » ، بينما الأرجح أنه غير ذلك ، إنه أخطر من ذلك ، اذا حاولنا أن ندرجه تحت وصف أو تصنيف ، فهو « مفكر تاريخى » . قصارى مهمة المؤرخ ان يجلو الوقائع ما أمكن بالتحقيق والترتيب ، أما المفكر التاريخى فقد يفعل هذا ، لكنه يفعله من قبيل تهيئة أدوات عمله . ثم يبدأ عمله بعد هذا ، فيستجلى من أحداث التاريخ بعد أن اصطفت أمامه أوضح ما تكون وأقرب ما تكون الى الصحة ، ليستجلى فيها منابتها ويستجلى فيها مآلاتها . المفكر التاريخى كاتب يقع التاريخ محققا ومرجحا فى مقدمة أدواته ، لكن التاريخ يبقى هو بعض الأدوات . وهذا بالضبط ما يفعله طارق البشرى فى كتابه الأخير عن ثورة ١٩٥٢ ، وبالطبع مستعينا بأدوات أخرى ، لعل أبرزها معرفته الوثيقة بالقانون ونظمه وكيفية اعمالها ، وكيفية انتهاكها ، ومن اين تدهم الشرعية الأخطار ، كما أن من أبرزها ذلك التمثل العميق للحركة الوطنية الديمقراطية المصرية واتساع مضامينها الاجتماعية وتعمقها . لذلك ولغيره ، جاء هذا الكتاب رسالة جديرة بان تصل الى عنوانها المقصود ، الذى هو الشعب المصرى فى ما يعانيه من محنة تحذره من أن تتداوله المحن ، وتضيء له شيئا من طريقه ، وتأتى الرسالة فى وقت تتهيأ فيه « الناصرية » للعودة الى مجال الفعل السياسى . وهو تهيؤ يفرض عليها وعلى حامليها قدرا غير قليل من إعادة النظر .





جمال عبد الناصر



- ١ -

يجوز القول بقدر كبير من الطمانينة أن كتابا عن ثورة ٢٣ يوليو أو عن النظام الذى أقامته لم ينصفها قدر ما أنصفها كتاب طارق البشرى « الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ » ، أنصفها لأنه انتصف لها من بعض خصومها ، وأنصف بعض الخصوم عليها . وهو لذلك كتاب يقع فى مواقع التقدير لهذه الثورة وما أقامته من نظام .. « أنصف اخاك ظالما أو مظلوما » تنصفه ظالما بأن تبصره وتبصر الناس بما ظلم ، وتنصفه مظلوما بأن ترد عنه ما قد يتعرض له من الغى . وكلاهما حق .

ولقد أنصف طارق البشرى ٢٣ يوليو ، فأهدافها هى أهداف الحركة الوطنية الديمقراطية المصرية منذ أن تشكلت فى التاريخ معلنة عن نفسها فى برنامج الحزب الوطنى (العرابى) فى ١٨٧٩ وفى وقفة أحمد عرابى فى ميدان عابدين ، وليست الاهداف ساكنة فهى تعبر عن نفسها وتعيد تشكيل مكوناتها مضروبة فى الزمان وفى حادثات كل عصر ومستجداته ، لكن جوهرها الصافى يبقى على صفاته « مصر للمصريين » وأمر المصريين شورى بينهم يقيمونها فى نظام مؤسسات تمثلهم وتعبر عن مصالحهم التى هى ـ بالتعريف ـ مصالح الغالبية الغالبة فيهم ، وجيشها مؤتمن على الوطن والشعب ، وهو لهما حارس أمين وكان نظام ٢٣ يوليو أمينا على هذه الأهداف مخلصا لجوهرها ، وقد أنجز هذا النظام فى وجهة هذه الأهداف مالاينكر ولايجوز عليه النكران .

كما انتصف الكاتب والكتاب لهذه الثورة من نفسها أولا ، فهى قد هزمت نفسها وقوّضت مشروعها بما أعتمدته من وسائل وأدوات ، وأنتصف لها من بعض خصومها ، عندما ضربت فيما ضربت من أعدائها ، خصوما لم يكونوا بمنطق أهدافها فى موقع الخصوم إنما هى بادرتهم بالخصام فآذت نفسها وقضيتها وأهدافها ، ولم يكن هؤلاء فى موقع الخصوم منها لأنها فى الحقيقة تكونت فى حضن أفكار هؤلاء الذين خاصمتهم ،

إنصاف الناصرية ظالمة ومظلومة

وكانت تسعى الى تحقيق ما كانوا يسعون الى تحقيقه **ويقصد الكاتب والكتاب بهؤلاء من يسميهم القوى السياسية الشعبية الجديدة التى كانت تنمو قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . متمايزة عن القوى السياسية الأخرى التى كانت تتداول الحكم والمعارضة ضمن مؤسسة النظام الذى قام بدستور ١٩٢٣ ، فهم عنده ـ بالتعريف ـ الحزب الاشتراكى (مصر الفتاة) والحزب الوطنى الجديد والاخوان المسلمون والشيوعيون ، وهو تعريف لايجرح السلامة .**

ـ ٢ ـ

ولعل عنوان الكتاب « الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ » هو ألغز ما فيه وأحفله بالمعانى المطوية فالكتاب من حيث المضمون لايقف عند حدود ما يوحى به ظاهر عبارة العنوان ، فهو ليس مجرد كتاب عن موقف « نظام » ٢٣ يوليو من الديمقراطية مفهوما وممارسة ومؤسسات انه بالاحرى بل وبالحق كتاب عن هذه الثورة وما أقامته من نظام ، فهو قراءة شاملة مكثفة لتلك الثورة وذاك النظام نشوءا وارتقاءً وتقهقرا وتدهورا بما اشتمله هذا كله من كر وفر . وهى قراءة أبرز ما يميزها الحصافة ، والقراءة الحصيفة هى التى توغل فى الحدث الى ما سبقه فأدى اليه ، وتزيد على نفسها ايغالا فتجد وشائجه وتكتشف عن حبله السرى الذى يصله بالرحم الذى احتضنه ، وهى القراءة التى ترى الحدث فى ظاهره وفى باطنه وترصد كيف تخلقت أعضاوه وتشكلت مفاصله ، ثم تتابعها بدقة وهى تؤدى مالها ـ حكما ـ من وظائف ، وهى القراءة التى تشهد الحدث وتتشهد عليه ، وله ، ومعه ، فى بيئته وفى سياقه من الزمان والمكان والناس ، وهى القراءة التى ترى الحدث ممتدا فى المستقبل أو قابلا للامتداد فيه ، ولذلك فقراءة طارق البشرى لثورة ٢٣ يوليو وما أقامته من نظام ، هى رسالة الى المستقبل أو تحذير له وهما الشيء ذاته .

ومع ذلك فالعنوان ـ على نحو ما ـ لايظلم الموضوع لأن وجهة هذه القراءة أن العبرة التى يجب ان تعتبر من ذلك الحدث ، هى أن موقفه من الديمقراطية كان مقتله مقتل الثورة ومقتل أهدافها ، ومقتل نظامها الذى تقوّض ، ومقتل آمال الناس الذين علقوا عليها احلامهم والآمال أو ـ نأيا عن المبالغة ـ كان هذا الموقف من الديمقراطية هو الطعنة النجلاء التى أصابت ذلك كله .

والعنوان ، أيضا ، يتحدث عن « نظام » ٢٣ يوليو ، مع أن المتن يتبادل وصف ما حدث فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، بأنه « ثورة » وأنه « نظام » .. لكن القارىء المدقق للمتن ـ اذا دقق ـ لايلبث أن يرى أن تبادل الوصفين أو تداولهما ، ليس من قبيل إنكار الثورة على النظام ولاهو من قبيل عطالة الكلام واستخدامه فى غير موضعه فالمتن يعتمد تمييزا بين « الثورة » و « النظام » الذى أقامت . وهو ما تتطرح عليه مسألة الديمقراطية والموقف منها ، فموقف « النظام » من

الديمقراطية هو الذى جلب على « التورة » ما نعرف من مصاب .

والعنوان ، ثالثا ، يضع عمر النظام ما بين ١٩٥٢ و ١٩٧٠ . والبداية ليست موضع خلاف ففى ذلك التاريخ قامت الثورة وولد النظام لكن النهاية يجوز فيها الجدال وهو جدال جائز وفقا للكتاب نفسه . ووجه الجدال أنه اذا كان النظام هو الذى ضرب الثورة وضرب نفسه بما اعتمده من وسائل وأدوات **فإن ماهو سائد وحاكم منذ ١٩٧٠ ليس نظاما جديدا ، انما هو امتداد للنظام ذاته واستمرار له** . اليس النظام الذى أقامته قيادة تورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هو الذى أنتج ما حدث بعد سبتمبر ١٩٧٠ ؟ لكن المسألة ليست بهذه البساطة ، **فما يقصده الكتاب هو أن المضمون قد انقلب الى النقيض بعد سبتمبر ١٩٧٠** وليس هذا محلا للجدال . انما ألايجور القول إن هذا المضمون قد أنتقض فى نطاق النظام ذاته ، وخصوصا أن الكتاب يقول إنه دراسة عن « النظام » وأنه دراسة فى علاقة النظام ـ الوسائل والأدوات بالمضمون ؟

ـ ٣ ـ

ولعل مما يجلو هذه النقطة أويزيدها تعقيدا ، أنه وفقا لخلاصة الكتاب ـ وهذا استنتاج كاتب هذه السطور ومسئوليته ـ فإن النظام كان قد انتهى الى ان مابقى للمضمون من ضمانات فى النظام هو وجهة القائد الفرد الزعيم ـ فلما رحل هذا انهار الضمان ، رحل معه ، وأصبح المضمون معرضا للطعان . هذا الاستنتاج يجلو هذه النقطة لصالح الكتاب ، ولكنه لايجلوها لصالح المنهج الذى اعتمده ، اذ تحمل شبهة ازدواج فى المنهج .

إذ أن المنهج السائد فى الكتاب هو آنه دراسة فى النظام ، أى فى مكنات تحقيق المضمون ، بينما الكتاب ذاته يحكم بآن النظام لقى نهايته عندما بدأ تحول المضمون ، مع أن هذا التحول استخدم المكنات ذاتها واستبقاها ، وان طرأت عليها فى ١٩٧٦ ، ونهاية ١٩٨١ وما بعدها تغيرات لاتوصف بأكثر من أنها « تجميلية » لاتغير من جوهر النظام ، الذى يلخص نفسه فى فرد على قمة هرم ، وفى حركة سياسية ـ تقريرا وتشريعا وتنفيذا ، تجرى من قمة الهرم. الى قاعدته ، ومن سيادة آجهزة الادارة والأمن فى أمور السياسة ، والذي تغير لم يلحق سوى مؤهلات الفرد فى قمة الهرم وكفاءاته ، ما بين « الزعيم » و « الاداريين الأول » ولم يلحق سوى اختلاف فى التسميات ، اتيحت مظهر الحوار بين مكونات الجماعة السياسية ، دون أن يكون حوارا اذ آن ما يجرى منذ ١٩٧٦ (نشأة المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى) هو اختلاط أصوات تتقاطع ولا تتسامع ، لأن القابض على ناصية التقرير فى السياسة والادارة هو أعلاها صوتا وبه صمم .

جلاء هذه النقطة مهم ، لأنه ودون حاجة الى افاضة ، يجلو الوهم من الأمل فيما يداعب بعض الأحلام ـ أو يؤرق احلاما أخرى ـ بأن « النظام » الذى تحول الى النقيض فى ١٩٧٠ ، يمكن أن يتحول مرة أخرى ويقدر إذا تهيأت الظروف آو اذا تغيرت أثقال الضغوط

كما أن جلاءها مهم ، لأنه ـ من الناحية

إنصاف الناصرية
ظالمة ومظلومة

الشكلية على الأقل ـ تقوم شرعية النظام كما هو الآن ، على ما أكتسبته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من شرعية ، سواء بالقضاء على النظام الذى كان قائما قبلها ، وسواء بما أنجزت . فلا جدال فى أنه من الناحية القانونية حكم أنور السادات بوصفه خلفا شرعيا لجمال عبد الناصر ، وبحكم حسنى مبارك بوصفه خلفا شرعيا للأثنين .

ومناط الشرعية لأى نظام ـ حتى فى الشكل ـ أمر بالغ الأهمية ، ويداعب امالا متفاوتة ومتعارضة ، يداعب امال الذين يخافون تأسيس شرعية ماهو قائم على انجازات نظام ٢٣ يوليو ، خشية عودته الى مضمون أهداف الثورة التى قامت فى ذلك التاريخ ، كما يداعب أمال المتعلقين بالعودة الى هذا المضمون .

ـ ٤ ـ

ويخلو هذا الكتاب لطارق البشرى من المقدمة ، ولايعنى هذا أن المقدمة لزوم لكل كتاب ، ففى بعض الكتب لاتعدو المقدمة أن تكون قبضة ريح من بطالة الكلام ، لاتقدم ولاتضيف ، إنما الظن أن هذا الكتاب بالذات ولطارق البشرى بالذات ، أى تعرض طارق البشرى لهذا الموضوع ، جدير بمقدمة من إنشاء الكاتب ، وعلة هذا أن للمؤلف كتابات سابقة فى الموضوع ذاته أو ما يقترب منه ، وهى كتابات فى جوهر ما تحمله من رآى وتقييم تقترب مما يحمله هذا الكتاب أحيانا وتبتعد عنه أحيانا ، تتفق معه وتختلف ، كانت المقدمة ضرورة نقدا لما سبق أن كتب ، نقدا وليس نقضا ولاانتقادا .

نقدا يقول لنا طارق البشرى فيه رواية اختلافه مع نفسه واتفاقه مع نفسه فيما أختلف فيه وفيما اتفق ، وهو نقد لايطلب منه كدليل براءة أو كشهادة على سلامة القصد ، فسجل المؤلف بـرىء من الأثنين ، إنما هو نقد يطلب منه لاتصاله بالموضوع الذى يعالج . لأنه هو الذى يجيب عن السؤال عما استجد من احداث وتطورات ، وما أضاف من معرفة ، فادى الى ما يفرق بين ما سبق أن كتب وبين ما نقرأ الآن من وجهة الرأى والنظر

فى هذا الكتاب أنصف طارق البشرى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والنظام الذى أقامته وانتصف لمن وما يستحق عليها انتصافا ، فالتقط الكتاب منذ بدايته خيطين فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية الحديثة ، أو فى حركة التاريخ المصرى الحديث الى المعاصر ، يبلوران الانصاف والانتصاف فقد شهد هذا التاريخ أربعة انعطافات تاريخية رئيسية هى وصول محمد على الى السلطة فى بداية القرن التاسع عشر ، والحركة أو الثورة العرابية فى مطالع الثلث الأخير من ذلك القرن ، وثورة ١٩١٩ وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

والخيط الذى التقطه الكتاب هنا ، أن ثلاثة من هذه الانعطافات قام بها الجيش ، والاستثناء هو ثورة ١٩١٩ ، ويعلل الكتاب غياب الجيش عن تلك الثورة بوجود جسمه الرئيسى فى

السودان ، وهو بلاشك تعليل جدير بالاعتبار ، ويعنى أنه لو لم يكن ذاك هو الحال فى حينها للعب الجيش الدور الذى لعبه فى الانعطافات الثلاثة الأخرى . واذا كان من الدارج أن يقال أنه لاافتراض ولاتمنيات فى التاريخ ، فإن للافتراض المتصل بموضع الجيش - غيابا - عن ثورة ١٩١٩ ، ما يعطيه من القيمة والتماسك ماهو أكثر من الافتراض ، ذلك أن الجيش المصرى منذ أن تكون أو منذ أن أخذ فى « التمصر » كان دائما شريحة من المجتمع ترتدى الزى العسكرى وتحمل السلاح ، دون ان تنبت صلتها بمنبعها بأكثر مما تضفيه المهنة على من يزاولونها ، وهو غير قليل ، الا أنه يمس الأسلوب دون أن يخل بجوهر الانتماء وفى السياق ذاته وجد الكتاب فى غياب الجيش عن البلد فى ظروف ثورة ١٩١٩ ، تأصيلا لاعتناق تلك الثورة وسيلة الكفاح السلمى المشروع منهجا له وما قام بعدها من نظام سياسى

- ٥ -

غير أن مايريد الكتاب أن يقوله من خلال التقاطه هذا الخيط هو أن قيام المؤسسة العسكرية بإنجاز التغيير الثورى ليس استثناء على حركة هذا التاريخ ، إنما هو القاعدة فيه ، بل ان الاستثناء الذي حدث فى ١٩١٩ ، فى الحقيقة ليس استثناء وإنما هو شذوذ عن القاعدة فرضته القوة القاهرة . ومايرتبه الكتاب على هذا أنه ليس مأخذا على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن قام بها العسكريون ، وفى هذا أنصاف اساسى لمنشأ ثورة ١٩٥٢ والنظام الذى أقامته .

غير أن الخيط الثانى الذى يلتقطه الكتاب ، هو تلازم القضية الوطنية وقضية الديمقراطية فى هذا التاريخ ، فالديمقراطية فيه أداة النضال فى سبيل المطلب الوطنى والطريق الى انجازه ، ولاتعوز الكتاب الشواهد على هذه المقولة ، فالانقضاض على المؤسسة الديمقراطية ارتبط دوما بانتكاس القضية الوطنية ، كما أن انتعاش القضية الوطنية لم يقع الا فى مناخ انتعشت فيه الديمقراطية . وصلة هذه النقطة أو هذا الخيط بموضوع الكتاب لاتحتاج الى جلاء فالنظام الذى اقامته ثورة ٢٣ يوليو خلا من الديمقراطية أو تخلى عنها ، بينما كان يسعى فى السبيل الوطنى ، فكان المآل هو الانتكاس ، رغم سلامة الهدف والاخلاص له ، بل ورغم ما تحقق على طريقه من انجاز كبير . وهكذا فالانتصاف من النظام يلازم الكتاب من صفحاته الأولى

ويلاحظ الكتاب ، أولا يفوته أنه مع تقدم الزمن وتطور العصر ، تحولت ثنائية القضية الوطنية الديمقراطية ، الى ثلاثية وطنية - ديمقراطية - اجتماعية ، غير أن نظام ٢٣ يوليو ، عاد - قسرا ؟ - الى ثنائية بإسقاط الديمقراطية ، حيث كانت هذه الأخيرة لزوما لوصل طرفى ثنائية القضية الوطنية والقضية الاجتماعية .

وفى هذا السياق فان قارىء الكتاب يوشك أن يتوقع منه أكثر مما أورد ، ففى الانعطافات الثلاثة التى قام بها الجيش ، يتوقع القارىء مزيدا من التمييز ، ففى اثنين منها كان ثمة نسيج متصل بين العسكر والمدنيين ، نجد هذا فى أحداث صعود محمد على الى السلطة فى دور

إنصاف الناصرية ظالمة ومظلومة

الأزهر والأعيان المصريين ، ونجده فى حركة الحزب الوطنى والعرابيين ، مطالبة بمجلس شورى النواب ... الخ . هذا النسيج المتصل بين العسكر والمدنيين هو ما غاب فى الانعطاف الثالث منها ، انعطاف ١٩٥٢ ، كانت صلة العسكر بالمدنيين صلة « مناخ » لاصلة « تناسج » آن جاز التعبيران

ولعل هذا الفرق يفسر قسطا من منحى نظام ٢٣ يوليو النائى بنفسه عن الديمقراطية ، يضيف ولو خيطا الى التفسير الغنى والدقيق الذى يقدمه الكتاب عن طريق متابعة نشوء النظام ومؤسساته ونموها .

- ٦ -

وفى المتابعة الفاحصة المكثفة التى يقدمها الكتاب فى فصله الأول عن « الأوضاع السابقة على ٢٣ يوليو » نجد رصدا دقيقا لما اعتور بنيان الحركة الوطنية المصرية من تغير مع الزمن وتطور الأوضاع ، فنرى دخول المسألة الاجتماعية لتصبح الركن الثالث للثنائية الوطنية الديمقراطية التى حكمت تلك الحركة منذ بدايتها ، ونرى دخول المسألة الفلسطينية الى حلبة الصراع السياسى المصرى ، ويرتب عليها الكتاب تراجع « الوسائل السلمية المشروعة » كوسيلة وحيدة لتحقيق الأهداف فى فكر الحركة الوطنية المصرية ، حيث كشفت القضية الفلسطينية عن الحاجة الى السلاح كوسيلة وعن ممكناته ، **كما يرتب عليها بروز دور الجيش كقوة ضمن قوى الحركة الوطنية والصراع السياسى**

لكن أثر القضية الفلسطينية على الحركة الوطنية المصرية - عند هذا الكتاب - يقف عند هذا الحد ، حد اعادة النظر فى الوسائل . ويجوز لقارىء الكتاب ان يسأل عما إذا كانت هذه القضية قد أثرت أيضا على محتوى برنامج الحركة الوطنية المصرية أو لم يكن دخول هذه القضية الى حلبة الصراع السياسى المصرى ، هو بداية تشقق « حاجز الرمال » الذى أقامته قيادة ثورة ١٩١٩ بين مصر وبيئتها العربية ؟ ألم يكن هذا الدخول هو ركن أدراك مستجد على الحركة الوطنية المصرية بأنها لاتستطيع أنجاز أهدافها مع الانحصار داخل حدود مصر السياسية ، أو بالأحرى أنه أدراك مستعاد ، فوفقا للكتاب ذاته تجد أن التطور الفكرى للحركة الوطنية المصرية تميز بالاسلامية حتى ١٩١٩ ، وبالمصرية منذ ١٩١٩ ، **لكن ألا يمكن القول إن دخول القضية الفلسطينية الى فكر هذه الحركة ، هو بداية عودة الاسلامية السياسية الى فكر الحركة الوطنية المصرية ، وبداية وجهة العروبية فى فكر هذه الحركة ، مع ما بين الاسلامية السياسية والعروبية من وشائج متقاطعة وأحيانا متعارضة** ، خصوصا وأن هذا النظر ليس بعيدا عن بعض ما يعالجه الكتاب ، اذ كانت العروبية السياسية ثم الاسلامية السياسية (فى السياسة الخارجية على الأقل) من بين المدخلات البارزة لنظام ٢٣ يوليو . ونرى فى المتابعة الفاحصة المكثفة ذاتها ، اثر ابرام معاهدة ١٩٣٦

(على يد حكومة جبهة وطنية يقودها الوفد وبقى خارجها الحزب الوطنى) على الحياة السياسية المصرية فهذه المعاهدة التى أقرت علاقات مساواة ـ قانونية ـ بين مصر وبريطانيا ، أضفت الشرعية على الاحتلال البريطانى لمصر ، لأول مرة منذ أن دخل اليها هذا الاحتلال (ألا تفتح هذه النقطة المهمة نقاشا حول ثورية ثورة ١٩١٩ ، ومجمل الحركة الليبرالية المصرية ، خصوصا اذا أجملت مع ظاهرة قبول هذه الثورة حصر القضية المصرية داخل مصر ؟ لكن هذا خارج على موضوع الكتاب وعلى موضوع هذا المقال معا) . والكتاب يرجع الى إضفاء معاهدة ١٩٣٦ الشرعية على الاحتلال البريطانى لمصر ، ظهور أحزاب مصرية جديدة خارج اللعبة السياسية ، أى خارج اللعبة التى كان طرفاها الدستوريان هما القصر الملكى والأحزاب الأخرى باستثناء الحزب الوطنى . وهى ذاتها الأحزاب الجديدة ـ التى أمدت الضباط المتخرجين فى أواخر الثلاثينيات بوعيهم وبفكرهم الذى قادهم الى القيام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

فى هذا التأصيل وجه أخر من أوجه انصاف الكتاب لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فهى لم تكن نتاج شبق العسكريين الى السلطة ، ولم تكن استبدالا بمنظومة امتيازات اقليمية منظومة أخرى من الامتيازات لأقلية أخرى ، فالأحزاب المصرية الجديدة التى نشأت ردا على معاهدة ١٩٣٦ (وغيرها من العوامل بلاشك) كانت هى الاحزاب الأصدق تعبيرا عن مطالب الحركة الوطنية المصرية بأبعادها الاجتماعية ، وهى التى أمدت هؤلاء الضباط بفكرهم وحددت لهم آهدافهم .

ويمتد سياق الانصاف مما ليس هنا مجال التفصيل فيه ، فالكتاب يقر بما أنجزه النظام فى القضيتين الوطنية والاجتماعية ويقدره ، ولايحاول الانتقاص منه مثقال ذرة .

ـ ٧ ـ

لكن وجها آخر من الانصاف هو تأصيل المآخذ أو المثالب ، تأصيلها بالتدليل على أنها لم تكن أختيارا ولم تكن طمعا ، وفى هذا السياق ترد عزلة تنظيم الضباط الأحرار عن مجمل الحركة السياسية الوطنية بل وعن الأحزاب التى وفرت لها الأمن ومهدت لها الأرض وهيأت الناس . وفى هذا السياق تأتى لزومية أن يعتمد التنظيم العسكرى قليل العدد على جهاز الدولة الذى انقلب عليها لينفذ ما انقلب من أجله ، وفى السياق ذاته تبدو حتمية شبه مؤكدة لأن يؤدى هذا الى قيادة الفرد ومركز السلطة فى يده ، وكلها تأصيلات تؤدى الى تأصيل أشمل لظاهرتين كان لهما أخطر الآثار على مسيرة النظام ومصيره ، هما أولا ، استيعاب الأجهزة الادارية للوظيفة السياسية . أى لوظائف تقرير السياسات والتشريع لها وتنفيذها ، ثم استيعاب اجهزة الأمن للأجهزة الادارية بما تحملت به من وظائف تحمل فى وظيفة كبرى هى توجيه حركة المجتمع وضبطها أما ثانية الظاهرتين فهى سعى بعض العسكريين فى بداية تشكل النظام الى تحويل الجيش الى مؤسسة حكم ، وهو السعى الذى صفى فى حينه ـ بوسائل ادارية ـ لذلك عاد الى الظهور

إنصاف الناصرية
ظالمة ومظلومة

حتى حقق قدرا غير قليل مما يريد ، بخروج الجيش من ولاية القيادة السياسية ، ثم بانتشاره الى الأجهزة والمؤسسات المدنية : الحكومة والقطاع العام ووزارة الخارجية والاتحاد الاشتراكى . وهى الظاهرة التى استقرت انقساما فى السلطة ظهرت أخطر نتائجها فى حرب ١٩٦٧ .

هذا وجه من الانصاف لأنه تأصيل ، والتاصيل ليس تبريرا ، بل هو - غالبا نقيضه . فالتأصيل ليس محاكمة تدين أوتبرىء ، لكنه الميزان الدقيق لفهم الظواهر ، فيحبذ صحيحها ويحذر أعطابها وينذر بويلات التكرار ، فالكتاب لايحبذ شيئا مما يرصد فى هذا المجال . إنما يقول قولا من قبيل هذا هو ما حدث وهكذا حدث ولهذا حدث ، ولم يكن ثمة خيار كبير فى أن يحدث على هذا النحو .

واذا كان هذا التأصيل - على هذا النحو - انصافا ، فإنه أيضا انتصاف ، لأنه لايغفل عن هامش البدائل ، فيرصد تعدد أجهزة الأمن وتراكمها وتراكبها ، حتى تتحول من عدسة هدفها تدقيق الرؤية الى عدسات بعضها مصفوف فوق بعض مع تفاوت مواضع بؤراتها ، فتنظر خلالها فلا ترى ، فتضيف فوقها عدسة أخرى بؤرتها فى غير موضع ، فيزداد نظرك إعتاما ، ولايغفل عن رصد معرفة النظام أو بعض قيادته وبالذات قائده لمواضع الخلل الخطير فيما أقيم من بنيان النظام ، ثم القصور عن تداركها مراعاة لتوازنات ثانوية وحساسيات جزئية وشخصية ، ولايغفل عما أدى اليه ضرب الحلفاء الطبيعيين من القوى السياسية الشعبية الجديدة التى كانت قائمة قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وما أدى اليه هذا من انسحاب المواطن المصرى من المشاركة العامة خوفا أو وجلا .

وخطورة هذه النقطة الأخيرة أنها تضع المبضع على أصل الاستبداد الذى ساد مسيرة النظام وجلب عليه - وعلينا - مصيره ، فالاستبداد كما يقول الكتاب بكلمات أخرى ، ليس مجرد تفرد فرد بعينه بسلطات مطلقة ومركزة ، كما لايخفف من أو يقلل انفتاح هذا الفرد على الاستماع لآراء العارفين من الفنيين أو قراءة تقاريرهم . إنما أصله هو المسلك الذى يؤدى الى انسحاب المواطن من المشاركة فى الشئون العامة ، التى هى جوهر شئونه الخاصة .

وفى هذا يقول الكتاب الكثير فى صفحاته القليلة المركزة ، ويقوله بالرصد الموثق ، مما لامجال لسرده هنا ، لأن هذا المقال لايقصد أن يكون بديلا عن الكتاب .

وخلاصة الكتاب أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كانت استمرارا فى العصر لأهداف الحركة الوطنية المصرية وأنها كانت مخلصة لها أمينة عليها ، إلا أنها - وبحكم نشأتها وتطورها - استننت لتحقيقها من الوسائل ما أوردها مورد الهزيمة .

الخلاصة أن ثورة ٢٣ يوليو أسرفت على نفسها فأتاها العذاب بغتة فى حرب ١٩٦٧ ، وأتانا العذاب لأنها سحبت مقدراتنا من أيدينا .

لعلنا لانعود الى السرف على أنفسنا فيحق علينا العذاب .



بمجرد خروجهما ـ سارعت باشعال سيجارة ، كان قد اصابها القلق والتوتر ، كلها يؤيد الرفض ، جزء صغير منها يوافق نهرت طفلتها لانها سكبت المياه فوق السرير، عادت فضمتها بعصبية الى صدرها وقبلتها ، كانت كانها تلصقها بروحها .

ـ طب نعيش ازاى من غيره .. انت تعيشي ازاى ؟! انكمشت الطفلة وقد شعرت بان هناك شيئا غير طبيعي

ـ بس برضه انتى عاوزه فلوس عشان تعيشي ، هتتربى ازاى فى الزمان ده .. والديون والمعيشة الهم دى .

استلقت الطفلة على بطنها فوق السرير ، وقد ثنت رجلها اليمنى حتى لامست ذراعها، وظلت صامتة تتابع باذنها اعلانات التليفزيون ، بعد قليل نامت . ظلت تعانى من القلق،اوعزت الى نفسها بان المسالة تحتاج لتفكير موضوعي ثم قامت الى المكتبة المكتظة وتخيرت ديوانا من الشعر لتتلهى عن القلق،خاب تدبيرها وفرض التوتر نفسه عليها فشردت عن القراءة .

بدا الفيلم الفرنسي على القناة الثانية ، واستمر دون ان تتابعه ولم تتوقف عن التدخين بعد ساعتين افاقت على صوت اقدامه تصعد السلم ، انفتح الباب وهل باسما يحمل كيسا به خبز وبطاطس وبرتقال . طالعته باستفهام كبير مرسوم على وجهها ، اخذ يمزح معها ، ايقظ ابنته واخذ يقبلها بحنان زائد ، ملأ حجرها بالمصاصة والفول السوداني وقلد لها القرد فضحكت بشدة .

ـ محمود .. انت هتسافر عمان مع خالك ؟ شرد ، ثم قهقه

ـ يا شيخه .. مصر بردك احسن .

تنفست مديحة بعمق، وكان الهواء الداخل الى صدرها باردا .

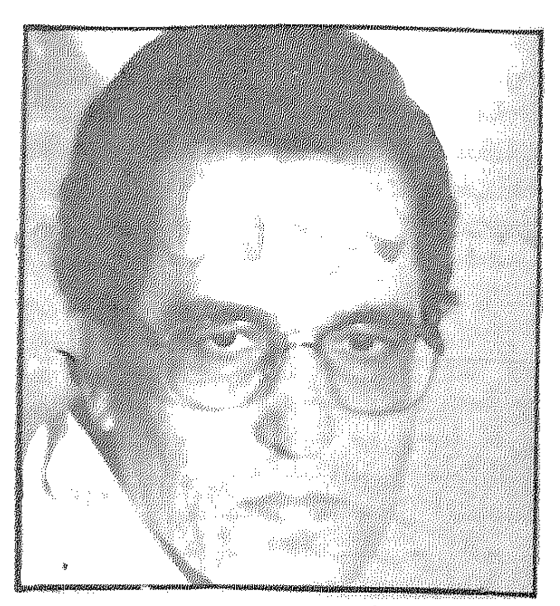
غربة .. صلاح عبد السيد

بقلم : د. سيد حامد النساج

صلاح عبد السيد واحد من الكتاب الذين عاشوا ازمة مصر فى ١٩٦٧، بعد ان تشربوا قيم المجتمع وثقافته وتمثلوا خطواته الايجابية ، وانحازوا لانتصاراته الوطنية والاجتماعية والقومية طوال الخمسينيات والستينيات فقد تخرج فى الجامعة عام ١٩٦٦ . وما لبث أن صدمته نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ . ولم يكد يتبين معالمها الحقيقيه وابعادها واسبابها ، حتى فاجاته صور اجتماعية واقتصادية واخلاقية شاذة وغريبة ، لم يجد لها جذورا فى اعماق التربة المصرية ، ولا فى فترة الازدهار الوطنى ، والعدل الاجتماعى والاستقلال الاقتصادى، اذ انها وفدت مع قوانين الانفتاح الاقتصادى فى السبعينيات

وباعتباره واحدا من أبناء فقراء المجتمع ، فانه توجه بكليته الى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، يبحث فيها عن الدوافع والاسباب التى تكمن وراء التفسخ الاجتماعى ، والانهيار الاخلاقى ، والتفتت فى العلاقات والقيم ، وما صحب ذلك من ظهور فئات طفيلية ، تملك الثروة ولا تملك القيم والثقافة والتقاليد ، ولا الجذور الممتدة المتأصلة . وقد نجح فى تصوير ذلك بشكل فنى فى مجموعته القصصية الاولى « الجثة » الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١ . بعد مشوار طويل امتد عشر سنوات من النشر المتناثر والمتواصل هنا وهناك بدءا من ١٩٦٩ حين نشرت له اول قصة قصيرة فى مجلة « صباح الخير » .

لقد كشفت مجموعته القصصية الاولى عن كاتب ذى موهبة قصصية جادة ، بدات تشق طريقها الصحيح لتاخذ مكانها وسط كتاب القصة القصيرة المعاصرين . وكان قد جمع فيها كثيرا مما سبق نشره فى الصحف والمجلات . فضمت اثنتى عشرة قصة قصيرة . حرص الكاتب من خلالها على أن يجسد بعض المشكلات الاجتماعية



صلاح عبد السيد

والاخلاقية التى يعانى منها الانسان العادى فى المجتمع المصرى «الارشيف» و «خضر» ، وما جد على المجتمع من تغير فى السلوك والعادات والقيم ، نتيجة اهتزاز البناء الاقتصادى ، واتاحة الفرصة للغرباء كى يملكوا ويتحكموا « الرجل الغريب » . بل انه عرى اخلاقيات الفئات الجديدة التى لاتستند الى تقاليد وتراث ، والتى تنتهك ابسط القيم « الدم » . كما صور معاناة شباب اليوم ازاء قضاياه الحياتية المصيرية « الحصار » كما أن من بين قصص مجموعته الاولى قصة قصيرة مبتكرة وجيدة جدا ، لم نقرأ لها مثيلا فى قصص جيله هى « الرجل الذى ليت له لدى » . وهى قصة من الممكن ترشيحها لتتبوأ مكانها اللائق بين القصص العالمى الجيد .

وكان الكاتب قد تناول الموضوعات الاجتماعية والانسانية تناولا فنيا ، يدل على فهمه لقواعد فن القصة القصيرة ، وعلى معرفته التامة باصولها . وقد حاول أن يصوغ قصصه فى أسلوب سهل ، وفى لغة مقبولة ، وفى حوار صادق فى التعبير عن الشخصية والموقف والفكرة فى آن معا . مع ملاحظة ان عددا كبيرا من قصص المجموعة الاولى ١٩٨١ تدفقت بالاحساس بالغربة : غربة الانسان عن موقعه الطبيعى ومكانه العادى ، ووظيفته اللائقة ، بل غربته عن اسمه ، وارضه ، واهله .

● تصوير الواقع

وتستمر رؤيته الى الحياة والناس فى المجتمع المصرى المعاصر ، فى قصص المجموعة الثانية «غربة» ديسمبر ١٩٨٦ . مع التركيز الشديد على غربة الانسان المصرى العادى ، والغربة التى تطبع العلاقات : علاقة الابن بأبيه وامه . وعلاقة الاخ بأخيه . وعلاقة الجار بالجار . وهو يرد ذلك الى أسباب اجتماعية واقتصادية فى المرتبة الاولى . ولو اننا لاحظنا أن معظم القصص نشر فى ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، وأن قصة أو اثنتين فقط هما اللتان كتبتا ونشرتا فى ١٩٨١ لعرفنا الى اى حد أراد الكاتب أن تجىء قصصه تصويرا حيا للواقع المعاصر الذى يعيشه الانسان المصرى . وغربة انسان صلاح عبد السيد ، ليست غربة فلسفية او وجودية ، ولكنها غربة انسانية ذات ابعاد اجتماعية واقتصادية واخلاقية ـ ان صح التعبير ـ دفعت اليها دوافع بعيدة عن الفلسفة والوجودية واللامعقول والعبث وما الى ذلك من مذاهب أوربية . انه لاينطلق من فكرة مسبقة ، ولا من نظرية مجردة ، ولا من عالم ميتافيزيقى ، ولكنه يستند الى ارضية من الواقع ، ويشكل عالمه من تناقضات هذا الواقع ، واضعا فى اعتباره ضرورة الرجوع الى هذا الواقع بالشكل الفنى الذى يجيده ، ويريد أن يقول كلمته عن طريقه .

يدل على هذا انه يقف من ظاهرة الغربة موقف الرافض لكل صورها واشكالها . كما انه رافض لكل الاسباب التى أدت وتؤدى اليها . ولا يدخل فى حسابه ـ ابدا ـ أولئك الذين يفتعلون الاغتراب او يتشدقون به .

ولا يعنى هذا انه يتفلسف ، او انه

غربة .. صلاح عبدالسيد

يقف من هذه الظاهرة موقف الواعظ ، الناصح ، الخطيب ، الذى يتوعد ويتهدد ، ولكنه يقف موقف الفنان الواعى ، الذى يلتقط بحسه الاجتماعى - باعتباره كائنا اجتماعيا حيا يعيش واقعا بعينه - تلك الظواهر اللافتة للنظر ، والمستحدثة على التركيبة الاجتماعية ، كما ينتخب بحساسيته الفنية - بحكم كونه فنانا يدرك أصول فنه وابعاد دوره الانسانى - تلك المواقف ، والشخصيات ، والكلمات التى تصلح لكى تكون لبنة فى بناء فنى ينتسب الى شكل القصة القصيرة ، ويحدث جدلا بينه وبين الواقع الذى نبع منه ، ثم يتقدم اليه .

كما انه لا يفتعل الثورية ، ولكنه يستهدف تغيير القيم ، والعلاقات ، والافكار ، والمفاهيم ، التى طرات عليها ظروف حولت مسارها وألبستها ثيابا غير ثيابها الوطنية القومية التاريخية الموروثة !

وجدير بالملاحظة ان موضوع « الغربة » و « الاغتراب » معا قد شغلا الكتاب الذين بداوا يكتبون فى اعقاب ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ثم مالبث أن سيطر على نتاج عدد من كتاب السبعينيات . لكن عددا منهم كان متأثرا فى ذلك بالاشكال الاوربية ، والمضامين التى اغرقت تلك الاشكال ، فى حين أن عددا اخر صدمته النكسة ، فاهتزت ثقته فى كثير من الفكر والنظم والعلاقات والقيم ، فراح يعبر عن ذلك بشىء من الغموض والرمز والالغاز والتضمين . لكنهم جميعا توسلوا فى كتابتهم بأدوات ووسائل معقدة ، وفى اشكال فنية ملتوية غامضة . اما صلاح عبدالسيد فانه - فى مجموعتيه الاولى والثانية - صور هذا « المعنى » وتلك « الفكرة » فى شكل فنى مقبول ، ومن خلال مواقف انسانية محتملة الوقوع ، وباختيار اناس من بيئات عادية .

وهذا يدعونا الى ان نقترب من قصص مجموعته « الغربة » . وهى اثنتا عشرة قصة قصيرة : غربة - القهر - القضبان - الشركاء - الشيخة صابرين - قطعة من العملة القديمة - الارجوحة - تصفيق حاد - زيدان يخلع جلبابه - الجدار البارد - مطلوب شخص لوظيفة - احلام عم سيد .

● تجسيد الاحساس بالزمن

وليس هذا هو ترتيب القصص كما وردت فى المجموعة ، ولكنه ترتيب اصطنعته لها بحكم جودتها الفنية من وجهة نظرى الخاصة . ومن حيث الجو العام الذى يهيمن على بعضها . فالقصص الست الاولى « غربة - القضبان - القهر - الشيخة صابرين - الشركاء - قطعة من العملة القديمة » تقف فى المرتبة الاولى ، وتتمثل فيها فكرة الغربة ، التى يعالجها الكاتب بشكل فنى تتوفر فيه خصائص مشتركة . فى حين أن قصص « تصفيق حاد - الارجوحة - زيدان يخلع جلبابه » تنحو منحى النقد الاجتماعى الساخر اللاذع . وان كانت قصة « الارجوحة » هى الاخرى تعالج موضوع الغربة من زاوية جد مختلفة . اما القصص الثلاث الاخيرة « الجدار البارد - مطلوب شخص لوظيفة - احلام عم سيد » فانها تأتى فى المرتبة الثالثة من الناحية الفنية .

بداية قصة « غربة » تجسد الاحساس الحاد بالزمن الفاصل بين ماض وحاضر ، عزلت بينهما عوازل صلدة كثيرة ، قطعت الصلة بين الزمنين تماما : «منذ البعيد» ، « منذ متى !! » ، « منذ البعيد البعيد » ، « يااااه » ، وكأنه يستخرج من اعماق الشخصية كل ادوات التعجب ، والاستفهام ، والدهشة ، مستعينا بتحديد الحركة ، وضبط الانفاس ، وتعيين مرتبة الصوت ، لينقل الينا هذا الانطباع الذى تخلفه سنوات العزلة الطويلة .. والغربة العميقة الممتدة « فبدا الزحام لعينيه بحرا هادرا يكاد يأخذه فى تياره . قاوم بحر الزحام وخرج » . انه فوجىء مع أول خطوة له على أرض المطار ، لانه غاب ، ولان كل شىء فيه قد تغير : **المظهر**

الخارجي « معطف . نظارة . قبعة » والعلاقات بالاشياء : النهر التاريخي الذى لعب فيه واستحم وكاد يغرق . والاشجار، واعمدة التليفونات . وقضبان السكك الحديدية . واحساسه بالتراث او بما يشكل الماضى : القرية ، المدينة ، البيت القديم الذى تعرف عليه بصعوبة بالغة . زوجة اخيه . الارض . الطين . الناس . الاطفال .

والاخطر من ذلك كله ، علاقته باخيه الاكبر ، الذى رباه فأحسن تربيته ، وتحمل الصعاب من أجله هو أولا ، ومن اجل تربية أخواته البنات بعدئذ ، والذى هده المرض والفقر ، فأصبح قعيد الفراش فى المستشفى القذر ، حيث الشفاء ميئوس منه .

كل شىء فيه قد تغير ، ويلمح الكاتب الى ذلك فى فقر البداية : « ماله لايبكى ! ماله لايرتمى على الارض ويقبل التراب ! ما الذى أصابه ! جزء منه يتمنى ان يبكى. وجزء لا يطاوعه على البكاء . وفى الفندق ألقى بحقيبته وتمدد على السرير . عيناه على السقف . لماذا لم يرسل الى أخيه الكبير ليحضر ! لماذا لم يخبر احدا بقدومه ! ما الذى دفعه الى ان يفعل ذلك ! هل هو الخجل ! هل هو تأنيب الضمير ! »

هذه الفقرة تشير الى احساسه الانى الذى أصبح احساسا عاديا لا شذوذ فيه ولا غرابة . الاحساس الطبيعى لانسان لا يستشعر الغربة عن شىء ، ويدرك ماهو كائن فعلا فى أعماقه ، من رفض لكل الانفعالات والاحاسيس والمشاعر التى قد تؤكد ارتباطه بهذه الارض . حتى ابلاغ الاخ الاكبر ، وهو امر طبيعى ومفروض ، يحوله الواقع الانى لهذا الانسان الغريب الى شىء شاذ مرفوض ! لقد جاء ليلقى محاضرة فى احدى الجمعيات ثم يعود الى حيث جاء ، بعيدا عن القرية والاهل والناس الذين لم يسأل فيهم او عنهم ، ولم يرسل لهم طوال تلك « السنين السنين » « كلمتين اثنتين للاطمئنان » . وقد نزل بفندق كبير ، ولولا ان المحاضرة التى جاء لالقائها قد تأجلت يومين مافكر فى زيارة أخيه واخواته البنات بالقرية .

ويجيد الكاتب تصوير الغربة الحقيقية فى ذلك اللقاء القصير اليتيم الذىحدث بين البطل وأخيه الاكبر فى المستشفى . الاخ يرحب به « أهلا وسهلا » لكنه فى عالم آخر لايدور فيه الا حول نفسه ، ومشاغله ، والمرض الذى سوف يصيبه ، والشاى الذى يخشى من شربه ، والقاذورات المحيطة به . لا شىء يصله باخيه الان : لا الوى ولا الدم ولا الصحة ولا الثقافة ولا اللغة ولا الواقع ولا المكان ولا الزمان . فيقرر فورا مغادرة المكان ، والاخ ، والقرية ، والذكريات ، والماضى ، والواقع ، وما ينبغى أن يكون . ويكتفى بدس بعض النقود تحت وسادة أخيه الذى لا يحتاج اليها وحدها ، ولكنه يحتاج اليه هو . فعلا ، وحاضرا ، ودورا ، وعلما ، وتقدما ، وتغييرا لواقع حاله هو واهله وقريته .

وينبغى الاشارة الى مفارقة مقصودة : هذا الغريب جاء ليحاضر « كأكبر خبير فى شئون تربية طيور الزينة » ، بينما واقع حياة أخيه وأهله وقريته ووطنه ، فى حاجة الى تغيير جذرى . لكنه لم يفعل شيئا على أى مستوى من المستويات التى هى فى حاجة اليه . ونهاية القصة تؤكد أن العلاقة بينه وبين بنى وطنه مبتورة ، وان اى أمل فى العودة الى هذه الارض مفقود مفقود : « واستقل عربة أجرة . متجها الى المطار . جلس فى المقعد الامامى . وفىالمقعدالخلفى كان هناك طفل يجلس مع رجلريفى . خربشت يد الطفل على كتفه . التفت الى الطفل. كان الطفل يحدق فيه . التفت الى الرجل . وكان الرجل يبدو ممصوصا . وعيناه مصفرتان ، حاول أن يضحك للطفل . لكن الطفل كان متجهما . وكان كأنه سيبكى . فاستدار موليا له ظهره . قبل أن يهم بالنزول من العربة . كانت يد الطفل قد تسلقت قفاه . وفرقعت عليه . و .. لم يلتفت للطفل . لكنه اندس داخلا من بوابة المطار » ص ٢٦ .

تجسيد الافكار

لاحظ الانتقاء فى هذه الصورة : هو فى المقعد الامامى . وفى المقعد الخلفى جلس

غربة .. صلاح عبدالسيد

رجل ريفي وطفل « الاصل ـ الماضي ـ التراث ـ الارض ـ الحاضر ، والمستقبل المرتبط بذلك الماضي » الرجل « معصوص . مصفر العينين » هذا هو الحاضر المريض الذى يحتاج الى علاج متقدم ، بمثل ماكان أخوه فى القرية مريضا يموت ، فى حاجة الى علاج متقدم يتمثل فيه هو : المنقذ ـ المتعلم ـ الصحيح ـ الطبيب . والطفل متجهم وكأنه سيبكى « المستقبل غير واضح ، عابس ، ولا يقبل الضحك والزيف والخداع » فاستدار موليا ظهره « رفض نهائى للماضى وللمستقبل المرتبطين بهذه الارض ، لانه يتجه كليا الى أوربا » وكمحاولة أخيرة قبل أن يهم بالنزول من العربة كانت يد الطفل قد تسلقت قفاه وفرقعت عليه « موقف نهائى من الطفل كأنه يوقظه وينبهه فى اللحظة الاخيرة » قابله موقف اخير صارم من هذا الغريب ، فلم يلتفت للطفل ، واندس داخلا من بوابة المطار .

هذا الموقف الاخير ، أو تلك اللقطة المكثفة ، استطاعت أن تجسد فكرة « الغربة » وان تكثف الشعور بها ، وان توصل الى القارىء « الانطباع » الذى أراد الكاتب ان يطبعه فى نفوسنا ، وكان قد هيأ له منذ اللحظة الاولى التى دخل فيها بطله المطار ووطئت قدماه أرض مصر . بمعنى ارتباط البداية بالنهاية ارتباطا فنيا وفكريا وموضوعيا !

واذا كان هذا الاخ الغريب مقيما اقامة دائمة فى أوربا ، فان بطل قصة «القضبان» يوجد فى القاهرة ـ العاصمة ، ويعمل أستاذاً فى الجامعة ، لكنه يمثل «الغربة» فى الداخل . اخوه مريض بالبلهارسيا . يتقيأ دما . يكاد المرض يفتك به ويودى بحياته . هو فى شغل شاغل عن أخيه الاكبر الذى علمه ورباه وانفق عليه حتى وصل الى درجة الاستاذية . ولولا ان ابنة أخيه المريض ارسلت اليه خطابا « ان أبى يموت فانقذه ياعمى » ما سأل فيه ، ولا فى اولاده وزوجه .. وكل الذى اقدم عليه من فعل ايجابى فى اللحظات الاخيرة ـ بعد غيبة طويلة عميقة تركت جراحا ثاخنة فى نفوس اهله ـ هربا من الموقف ، فانه يجرى باحثا عن طبيب فى مكان لايعرف عنه شيئا ، وفى ظلمةالليل التى لاتكشف عن شىء . حيث تبدو الاشياء التاريخية التراثية التى تشكل ماضيه كله وكأنها أشباح : مقام الشيخ مرزوق ، السبيل ، وابور الطحين ، الجميزة ، الساقية .

كما ان واقع أخيه يبدو عليه غريبا هو الاخر : الزوجة معصوبة الرأس . العيال كالجرذان البائسة . على الارض تراب معجون بالدم . فى الوجوه صفرة ، وخوف . نباح الكلاب . الضفادع .

وتحدث المواجهة التى لايحتملها لدقائق، والتى تعريه وتكشف غربته الغريبة . وانقاذا لنفسه هو فكر فى أن يفعل شيئا أى شىء : « كدت أصرخ . أخى . لكنى وجدت الا لزوم لذلك . لكنى كنت اريد ان افعل شيئا . فسعلت . فرفع رأسه ينظر فى اتجاهى . فرأيت عينيه الميتتين وبياضهما الشاحب . ورأيت العروق فيهما . ورقبته المكرمشة . وتفاحة آدم تتلعثم فيها . ورأيت زوجته تنظر لى . زوجته والعيال . فخفت من عيونهم . و . تراجعت . انصدع قلبى فقلت زاعقا . سأحضر الطبيب . واندفعت خارجا . وصوت أخى سمعته يتقيأ دما . ولتمتة زوجته ـ المرأة ـ يارب . وعيون العيال حاصرتنى . كجرذان بائسة . فانطلقت. انطلقت خارجا . سأحضر الطبيب . وارتطمت بالباب . بالباب فى جبهتى . ووجدتنى أجرى » ص ٧٦ . انه يحاول انقاذ نفسه هو بادعاء البطولة والفعل . وبتعويض الغربة الطويلة ، والانفصال الدائم عن اهله وقريته وواقعه . لقد كان يهرب من نفسه هو اولا ، ومنعيونهم التىحاصرته وأدانته فى صمت ثانيا والكاتب يجعله يصف نفسه بالخنزير ، دلالة على رفض هذه الصورة الادمية وهذا السلوك اللااخلاقى اللااجتماعى . وبطبيعة الحال يجعله يفشل فى العثور على طبيب الوحدة الصحية ، لاسباب

موضوعية : فهو لايعرف شـــيئا عن الطبيب ، والمكان ، والزمان ، والناس ، والعلاقات . انه يريد أن يهرب ، وهرب . والهرب يقوده الى الهرب الاكبر . نتيجة للفشل الكبير .. أدار الكاتب حوارنفسيا داخليا جيدا، أجراه على لسانه، يسأل نفسه ثم يجيب ، بما يؤكد فشله «الطبيب غائب ! غائب مثلك . لا . هاأنذا قد عدت. بعد كم من السنين عدت .. ايهـــا الهارب » ص ٨٤ .

وفى طريق العودة يكون الموقف قـــد تبلور ، وتكون النهاية التى أرادها الكاتب « .. والقضبان تحيط بى . والظلمة تتكاثف ، داخلى . والقاطرة تلك التى كنت اركبها . أكاد أسمعها بصـــوتها الثقيل . واســـمع دبيب عجلاتهـا على القضبان . فاوقن أنها قادمة . وأنهـــا ستفيني . فأسرع . على أن اسرع . لكن القاطرة يتزايد صوتها الثقيل فى سمعى . واسمع رجة الارض تحت قــــدمى . واراها . أكاد اراها . تتجه الى . وتكاد تدهسنى » ص ٨٥ .

هذه هى النهاية . والقصة منذ أول كلمة فيها حتى الكلمـــات التى اختارها الكاتب لتشكيل نهاية الموقف ، لم تفقد خصائصها الفنية ، ولا وحدة الموقف ، والانطباع . انها ترفض هذه الصوره . وتستنكر هذا السلوك . وتلمح الى ضرورة الارتباط بالارض والاهل والتاريخ .

والحاح الكاتب على قضـية الافتراب بعيدا عن الفلسفة والجرى وراء المذاهب الحديثة فى الكتابة ، يجعلنا نعتقد فى انها قضية تلح عليه الحاحا ، وفى انه ينظر اليها من زاوية اجتماعية ، وبدافع وطنى ، نستشعر منه ارتباطا أصـــيلا بالارض المصرية ، واحساسا حادا بخطورة انفصال المثقف المصرى عن واقعه ، وعن أصله، وعن دوره ، ومسئولية واضحة فىالتنبيه الى هذا الدور ، وتعرية ذلـك الخطأ ، انه مع الدور الايجابى الاجتمـــــاعى للمثقف . ومع فعالية البقاء فى المواقع التى تحتاج اليه . ومع حاجة الريف الى ابنائه الذين تعلموا وتثقفوا . فمـــن الضرورى أن يعودوا اليه ليغيروه وفقـا لثقافتهم الجديدة ، ولرؤيتهم المتطورة .

انه ليس مع الافتراب والانفصال والبعد والانحصار فى بوتقة خاصة ، من اجـل المصلحة الخاصة الذاتية .

● طريقة معينة للحكى

تؤكد ذلك من بعض الوجوه قصـــته « الارجوحة » . اذ فيها تتكشف أبعـاد هذه الرؤية ، وتتجسد ملامحه الخاصة فى كتابة القصة القصيرة ، وفى تمثل طريقة للحكى معينة . والافتراب فى هذه القصة ابتعاد عن القرية بالدفء فى حضن المدينة، والكسل باللاعمل ، والاثراء على حســاب الاخرين . نوع آخر من الغربة والانفصال عن الارض . الدفء بلا عمل . الراحة بلا جهد . الطموح الى الاسترخاء أصـــاب الناس جميعا ، حتى اولئك الشيوخ من الفلاحين الذين يرتبطون بالارض ارتباط مصير . ينتهى بهم الامر الى الاسترخاء الناعم الهادىء الدافىء ، فى ظـــل زوج البنت الذى ليس مصريا . فالـولد فى القرية حول البيت الى بوتيك . واستبدل بالدراجة « موتوسيكل » يزعج به أهـل القرية طول الليل . والبنت بعـــد ما صدمت فى حبهـــا مرة نتيجة موت حبيبها ، ثم مرة بعد خدعة واحـد من ابناء القرية تتزوج شخصا عربيا لايعرفه أهلهـا ولا أبوها العجوز ، وتعيش فى فيللا .

وبدلا من أن ينتقم الشيخ الغنـــام القروى العجوز لشرفه من ابنته التى هربت « نام على سرير ناعم . وغاص . غاص فيه . واحس بالراحة . منذ متى لم يرتح ! منذ جاء الى الدنيا . وهـو يكدح بلا توقف . يزرع نصف الفدان . ويكد ويشقى ويقوم مبكرا ويدور حوله وآخر العام تأكل الدودة جهده والجمعية والباشكاتب والمهندس والتسويق . ماذا جنى بعد كل هذه السنوات ! وشد الغطاء عليه ودخل فى السرير . المخدة ناعمة . والمرتبة واللحاف . للدفء هنـا معنى آخر غير الدفء الذى اعرفه . وللأكل هنا طعم آخر غير الاكل الذى اعرفه » ص ٧٢ .

والكاتب هنا لا يلتمس العذر للشـيخ الغنام ــ القروى الفلاح ــ ولكنه يدينه من طرف خفى . بمثل مايدين العروف

المادية التى ضغطت عليه وجعلته يتحول بهذه الطريقة ، بل دفعته الى الانفصال عن ارضه التى أفنى عمره فيها . لكنه بدلا من الثأر لشرفه من ابنته ، ارتاح الى النعيم الذى اغرقته فيه ، ونسى ثأره وبيته وأهله وأرضه وقريته وتاريخه وكفاحه . ولمة موسيقى داخلية تسرى فى ثنايا القصة . والوسيلة التى توسل بها الكاتب فى السرد والوصف والحكى ، ملائمة للموضوع ، وللحدث ، وللشخصية المحورية فى القصة .

ويظل الكاتب يضرب على هذا الوتر الحساس بنفس الاسلوب ، واللغة ، والطريقة ، فى « الشركاء » المكتوبة ١٩٨٦ وكأنه يرى فى السلب اغترابا ، وفى البعد عن اتخاذ موقف جماعى نوعا من الغربة المعمقة المخربة للنفوس . فالصمت الجماعى الاخرس ، والخوف من المواجهة ، يجعلان الناس شركاء فى المسئولية وفى أسباب الانهيار الذى يحدث للجماعة وللمجتمع كله ، مادامت الجماعة قد تخلت عن دورها ، فانها بذلك تكون قد اختارت الاغتراب عن مشاكله ، وقضاياه ، بالتزام الصمت والهروب من الواقع .

ونحن لن نستطيع الوقوف عند كل قصة بطبيعة الحال . لكننا نريد أن نشير الى أن الجماعة هنا قد تواطأت بالصمت أو بالخوف أو بالسلب ، ضد هذا النموذج الايجابى الثورى ، وقهرت نفسها هى قبل أن تقهره هو . والقهر فى اية صورة من صوره مرفوض من قبل الكاتب . وهو حين يصوره فانما ليدعو الى الحرية والانطلاق . دعوة فنية لا صراخ فيها ولا خطابية ولا زعيق . لكنه مع ذلك غير متفائل . فهو يرى ان القهر موجود وان خيل الينا انه اختفى او توارى او اندثر . القهر ملازم لنا . يقبض بيد من حديد على أعناقنا ورقابنا وقلوبنا من الداخل ، ويحبس انفاسنا بقوة وعنف .

وقد جسد الكاتب ذلك فى قصته « القهر » . انسان يستشعر القهر من الاخر ــ الاقوى ــ الاكبر . فللاخر كل شىء متميز . وله الكوم الاكبر . فى حين أن الشخصية المحورية تقف فى الموقف الاضعف ــ الاقل ــ الذى يقع عليه كل الظلم والقهر والعنف . وفى لحظة ما يتصور انه اصبح وحده : مالكا ، ساكنا ، آكلا ، متحكما . ويخيل اليه انه يفعل ما كان يتمناه . لكن عند لحظة مهينة يفاجئه الاخر بالظهور ، فينطوى على نفسه ، ويعود الى حيث مكانه وموقعه المقهور « وبلا كلمة . بلا كلمه واحدة . وجد نفسه يقوم من أمام كوم اللحم الكبير ليجلس ــ خاشعا ــ أمام كوم الجلد والعظم والشفت » ص ٣٠ . الموقف مكثف . الكلمات مدببة . لا جزئيات ولا تفاصيل جانبية . انطباع موحد . حركة داخلية تسرى فى القصة كلها .

كذلك نشير الى قصة « قطعة من العملة القديمة » . وهى من القصص الجيدة جدا فى هذه المجموعة . ولا تخرج عن تجسيد « الغربة » الانسانية والاجتماعية . غربة الابن عن الام وعن الاب . وضياعه بسبب اغترابهما عنه . كل يبحث عن ذاته بعيدا عن الابن . ومعظم القصص التى كتبها ١٩٨٥، ١٩٨٦ تحمل هذه الرؤية الاجتماعية للاغتراب .

اهتمام بالدراما

ومما يسم القصص بسمة أساسية طريقة الحكى والسرد . وهى وسيلة اصطنعها الكاتب صلاح عبد السيد اصطناعا . وقد استمدها من الطريقة التى يتوسل بها الرجل العادى فى قص قصة أو سرد حادثة او وصف شخص . مستعينا فى ذلك بتمثيل الموقف ، ومحاكاة الشخصية ، وتقليد الحركة ، والصوت ، والاشارة ، وما الى ذلك من وسائل يستعين بها القروى العادى لكى ينقل صورة كاملة الحركة ، شديدة الدقة

والاحكام ، دون أن تفقد صدقها وواقعيتها . ودون ان تنسى دورها فى التعليق ، او الغمز ، أو الاشارة ، أو السخرية . هو فى كل لايخرج على قواعد اللغة ، ولا على الانتخاب منها ، وان استخدم كلمات عامية موحية دالة ، ومنسجمة مع الموقف ، والشخصية ، وللدقة اللغة الخاصة بالقصة . وفيما يبدو ان الكاتب حريص على أن تكون هذه هى طريقته . اذ انه يؤكدها من خلال قصص هذه المجموعة . وكانت قد برزت بوضوح فى قصص مجموعتــــه الاولى « الجثة » ١٩٨١ .

والكاتب يهتم اهتماما ملحوظابالدراما، بالفعل . بالحركة . ومن ثم كان حرصه على ان يضبط كل حركة . ويقـــدم شخصياته وهى تفعل ، وهى تتحرك ، وهى تعمل . ولو أننا عرفنا أن صلاح عبد السيد ممن يمارسون كتابة المسرح ، فانا سوف نجد « الحركة » و « الصراع » عاملين بارزين فى قصصه القصيرة ،جاءا متأثرين بتقنيات الكتابة للمسرح . فهو يتتبع الحركة ، والنأمة ، والاشارة ، ونبرة الصوت . ويتقمص شخصياتهبشكل كامل . فقد حول واحـــدة من قصص مجموعته الاولى ، وهى قصة « الارشيف » الى مسرحية قصيرة هى « الارشيفجى » التى قدمها مسرح الطليعة ١٩٨٣ . وكانت الثقافة الجماهيرية قد قدمت له مسرحية « تول يارب » ١٩٧٢ . كما قدم له المسرح الحديث فى ١٩٨٥ مسرحية « هنا مقص وهنا مقص » .

فى صفحة ٤٣ يصف حركة الشخصية على هذا النحو : « مد رقبته ناحيتى يفتش بعينيه عنى . يعرف صـــوتى . ويحينى . كان يبتسم لى حين يرانى » ويقول : « اجلس ياابراهيم . لكنه سحب راسه ، ولملم جسده ، ومضى . مضى يدب فى الحارة » . لاحظ اســتخدام الافعال . مرة يستخدم الفعـــل الماضى « مد » للانتهاء من حركة . ثم يستخدم الافعال المضارعة للدلالة على الحـــركة الآنية : « يفتش » بعينيه . « يحينى » . « يعرف » صـــوتى . وكذلك قوله : « سحب رأسه ، ولملم جسده ، ومضى » كلها أفعال تدل على حدوث الفعل فى زمن مضى . ثم يحدد نوع الحركـــة بفعل مضارع « يدب » فى الحارة ، لتثبيت معنى القوة . كل ذلك على اثر فعل الامـــر « اجلس » ، سحب رأسه أولا ، ولملم جسده بعدئذ ، واخيرا « مضى » ، وهو « يدب » فى الحارة .

ثم انظر معى الى هذه الحركة الكاملة التى يحتــاج تجسيدها وتصــويرها الى صـــفحات وصفحات ، فى صـــفحة ٤٦ يريد أن يصور تواطؤ شيخ الخفراء مع اللص الكبير « أبو الحجاج » : « لحظتها كنت واقفا . ورأيت عينى أبى حجـــاج تتسلقان وجه شيخ الخفراء . ورأيت عينى شيخ الخفراء تطمئنانه . بعـــدها انحنى شـــيخ الخفراء يفك وثاقه » فالفعلان المضارعان : « تتســـلقان » ، « تطمئنانه » يشمان حركة ودلالة . حوار صامت حافل بالحركة والحيوية . ثم بعد « انحنى يفك » حركتـــــان مترابطتان متتابعتان . جاءت الثانية نتيجة للاولى. والحركتان جاءتا نتيجة وخاتمة لحـــركة سابقة « تطمئنانه » .

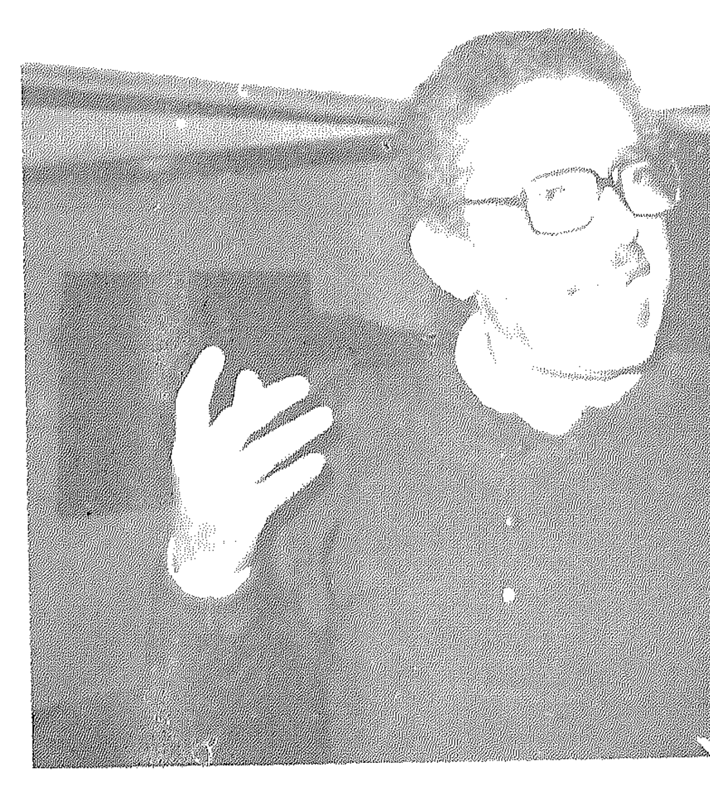
ومن تشبيهاته ايضا ص ٣٦ : « تقلب على فراشه واعتدل ألف مرة . وبسمل . واستغفر . وقرأ الصمدية . ولكن بلا فائدة . وصدره يمتمل كانه وابور طحين خرب . يلفظ أنفاسه قبل أن يتوقف » ووصفه النهار بأنه « شاحب وراكد ولونه أصفر » ٣١ والصوت « قد بلله العرق فأصبح واهنا » . صوت مبلول بالعرق . اما طريقته فى الحكى والقص والسرد فانا أشرنا اليها . وقلما تخلو قصة من هـــذه السمة المميزة « انظر ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٦ » . وهكذا اختار الكاتب صـــلاح عبد السيد موضوعه ، وشخوصـــه ، ومواقفه ، كما شكل لنفسه بناء فنيـــا واقعيا ، وانتقى أسلوبا بسيطا ولغـــة غير معقدة ، احتفظ فيها بتشـــبيهاته الخاصة ، وصفاته ، ونعوته ، وادرك أن العنصر الدرامى فى القصة القصيرة أساسى وضرورى . وارتبط بواقعه ، بل انتقـــد هذا الواقع . ورفض الاغتراب وغمز ولمز التهريج السياسى . وكان فى كل حريصا على شكل القصـــة القصيرة الدرامية .

معرض آدم حنين في قاعة مشربية

آدم يعود إلى القاهرة!

بقلم : فتحى غانم

عندما سافر الفنان آدم حنين إلى باريس ليقيم فيها منذ عام ١٩٧١ ، كان عبد الناصر قد لاقى ربه ، وكل شيء في مصر يوشك أن يتغير ، وكثير من القيم قد اهتز وكثير من المؤسسات والمناصب قد اعتراه ذبول النكسة .



آدم حنين .. الهدوء والعزلة

وكان آدم معروفا بأنه نحات اشتهر بتماثيله التى كان يعرضها بين وقت وآخر فتلاقى اهتماما خاصا من الفنانين ونقاد الفن فى مصر ، وكان محمد حسنين هيكل قد طلب منه اقامة تمثال فى مدخل مبنى الاهرام الجديد ، وكان يستعد لاقامة تمثال فى دار التحرير التى تصدر جريدة الجمهورية ، وكان مجتمع الفنانين مازال يذكر معرضه الذى اقامه لتماثيله فى بيت السنارى بحى السيدة زينب ، وكان تظاهرة فنية جديرة بهذا الفنان المعروف بتواضعه إلى حد الغرور ، وابتعاده عن أساليب الدعاية وعزوفه عن الحياة الاجتماعية رغم قوة صلاته الشخصية بمجتمع الفنانين والادباء والكتاب . وكذلك

كان مجتمع الفن العالمى يعترف بأعمال آدم حنين فقد شهدت الستينيات معرضا له فى ميونيخ ، واحتل تمثاله حامل القدور مكانة فى حديقة عامة مشهورة بمدينة دالاس بالولايات المتحدة ضمن أربعين تمثالا عالميا من أربعين دولة فى العالم وكان تمثاله صبى الفلاح الذى يركب الجاموسة قد دخل متحف الفن الحديث بلندن واحتل مكانه هناك . وكان تمثالان خشبيان لتمساح وصقر قد برزا فى معرض للفن الافريقى فى دكار وقد ذهب أندريه مالرو الكاتب الفرنسى الكبير ووزير الثقافة فى عهد شارل ديجول ليفتتح المعرض وأعلن أنه بعد مشاهدته للتماثيل الأفريقية وجد فيها أخطر عمل تم انجازه ـ حتى اليوم ـ ويكشف عن مستقبل القارة الافريقية !

كان آدم حنين مثالا له وضعه المتميز لاتخلو فى الغالب دراسة عن النحت فى العالم من اسمه وكان وجوده فى القاهرة مصدر اشعاع فنى هادىء وعميق وكانت صداقاته حميمة وتماثيله وصوره فى بيوت اصدقائه عبد الحليم حافظ وجمال كامل واحسان عبد القدوس وأحمد بهاء الدين وأحمد حمروش وراجى عنايت وبهجت عثمان . وإذا كان هناك مثال حى على أن الفنون تتأثر ببعضها فى جيل واحد ، فهذه العلاقة الصامتة وغير المعروفة اعلاميا بين آدم حنين ومجتمع الفنانين ، والتى كانت بعيدة تماما عن أضواء الشهرة والدعاية اكدت أن هناك وجودا فنيا له مذاق خاص وحساسية من نوع خاص يشترك فيها الفنانون من كل جيل ويتعاملون بها على نحو أو آخر سواء فيما بينهم أو مع جماهير المستمعين الى الغناء



عبقرية الشموخ وتماثيل آدم حنين

والموسيقى أو القراء أو المشاهدين للوحات الرسم أو التماثيل أو المتلقين لأبيات الشعر .

● بيت السنارى والاكتشاف

ولقد كان آدم حنين فى طرف من عالم الفن ، غارقا فى الهدوء والتأمل والعزلة ، بينما فى الطرف الآخر عبد الحليم حافظ وكمال الطويل وصلاح جاهين ، ولكنهم كانوا أصدقاء وصلاتهم حميمة على

المستوى الشخصى لأنهم كانوا ابناء جيل واحد بهمومه وأفراحه وآحزانه .

وكان هناك معرض لتماثيل آدم حنين - فى الستينيات - أقامه فى بيت السنارى بالسيدة زينب ، من أسباب الكشف عن بعض اعماق هذا الفنان الكبير . فقد كانت وزارة الثقافة تستعد لاقامة معرض يجمع اعمال المثالين المتفرغين ومن بينهم آدم حنين ثم تعطل مشروع الوزارة بعد أن استعد المثالون فقد تبين أن الوزارة . كالعادة ! - تعانى من عجز مالى فى آخر السنة المالية .

ولقد فاجأنا آدم بتصميمه رغم عجزه الشخصى المالى على ان يمضى فى تنفيذ المعرض لتماثيله . وقرر أن يتحمل نفقات طبع كتالوج وبطاقات دعوة وكان أهم سبب لرغبته فى إقامة المعرض اعجابه ببيت السنارى بالسيدة زينب . أعجبه البيت لأنك حين تدخله من حارة « مونج » يخيل إليك أن البيت عادى مثل أى بيت آخر . ولكن جدران البيت تخفى وراءها الجمال المستور ، شأن كل البيوت فى العمارة العربية ، التى تهتم بأن يظل الداخل مستورا بكل أسراره وبكل جماله الفناء والنافورة والقاعات والدهاليز متصلة متشابكة فى لحن أشبه بالوحدات الزخرفية تحيط به مشربيات واعمدة وبواكى وأقواس . وكانت تماثيل آدم ، الطيور والقطط والحمار والعنزة وحامل القدور والرجل والسمكة والمقاتل الذى يحمل الدرع تقف جميعا فى رحاب هذه العمارة والزخرفة العربية .

قلت لآدم فى ذلك الوقت .

تماثيلك فى هذا البيت تقول نحن السر تحت القبة ، نحن الحقيقة الصوفية نحن الباطن الذى يخفيه الظاهر نحن نهاية المطاف بعد مغامرة البحث عبر ميدان السيدة زينب والحوارى المتفرعة منه حتى نصل إلى هذا البيت بجدرانه وأبوابه وسلالمه ودهاليزه .

وفى ذلك الوقت - منذ اكثر من عشرين عاما - كنت أرى فى فن آدم محاولة خلق وجود ، وجود من خشب أو حجر أو برنز ، او وجود بالألوان والخطوط والمسطحات على لوحة من قماش ولكنه وجود حقيقى ، بمعنى أنه ليس مجرد مادة خام ، وأهم وسيلة للتفرقة بين الوجود الحقيقى ووجود المادة الخام . هو أنك أمام الوجود الحقيقى تشعر فى نفس الوقت بوجودك أنت . أما المادة الخام فتشعر بأنك تريد أن تحصل عليها وتستغلها ولكنها لا تشعرك بوجودك الحقيقى . إنها قد تشعرك بحاجاتك أو اطماعك ، ولكنها لاتشعرك بحقيقة نفسك

وكتبت عن هذا المعنى أقول .. تماثيل آدم هى بطبيعتها بناء وهى موجودة لها كيانها ولها شخصيتها لاتستطيع أن تتجاهلها ، بل تدعوك لأن تكون على صلة بها ، وهى تشعرك بوجودك أنت فى اللحظة التى تشعر فيها بوجودها ، تماما مثلما تمتلىء نفسك بالمشاعر عندما تواجه البحر أو غروب الشمس أو الطير الأبيض فى السماء أو شراع مركب أو لفتة امرأة جميلة أو وردة أو وجه طفل أو صوتا جميلا يردد أغنية أو كلمة صدق ، أو عملا يتحقق

أو لقاء مع صديق إنها اللحظة التى تمتلىء فيها نفسك بالوجود أو بالثقة وهى اللحظة نفسها التى ترتبط فيها بعلاقة أو معاملة تؤكد فيها ذاتك ووجودك فى مواجهة وجود آخر حقيقى لاريب فيه ولا زيف فيه

ولقد كان سفر آدم إلى باريس بعد حوار عنيف صاخب مع نفسه ، قبل ان يكون مع الآخرين ، وكنت واحدا من هؤلاء الذين ناقشوه فقد كان يستعد لاقامة تمثال لدار التحرير التى كنت رئيسا لمجلس ادارتها وكانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ قد عصفت بكثير من المسلمات وفقد آدم قدرته على التعبير كما يريد لأنه لايعبر بخطاب أو منشور سياسى وهو بعيد عن عالم المناورات السياسية والضجيج والصخب إنه يتعامل مع الجرانيت الصلد ويتعامل مع أشكال وكيانات قيمتها فى وجودها الحقيقى ، الذى لايتعرض لاهتزاز أو شكوك فى شرعيته ، أو ريبة فى جدواه أو خيبة أمل فى سقوطه وهزيمته .

قال آدم إن الفرصة متاحة له للتفرغ فى باريس فهل يكون هذا تخليا عن بلده .

قلت له على الفور :

- التخلص الوحيد عن بلدك هو أن تتخلى عن فنك .. والا تكون صادقا مع نفسك ثم أضفت قائلا :

- ولعل البعد يمنحك رؤية أشمل وأصدق نحن فى حاجة إليها اليوم لأن ماحدث لنا يواجهنا بأن رؤيتنا للواقع ليست صحيحة وفى اعتقادى الذى لا أتخلى عنه أن الفنون الصادقة هى الطليعة الكاشفة عن الواقع اكثر من غيرها وهناك قول معروف لانجلز أنه عرف الثورة الفرنسية من رواية شارلز ديكنز « قصة مدينتين » اكثر مما عرفه عنها من كل ماكتبه المؤرخون والسياسيون .

ولا أستطيع ان أحدد مدى تأثير كلماتى فى قرار آدم حنين كل ماعرفه أنه عانى من صراع نفسى حاد قبل أن يسافر عام ١٩٧١ ، ومنذ ذلك الوقت افتقدت رؤية أعماله حتى زرته فى باريس فى خريف عام ١٩٧٦ وشاهدت مجوعة تماثيله الجديدة فوجدتها تتحدث بنفس اللغة التى كانت تتحدث بها فى مصر . كان أهم مافيها هو وجودها فى حد ذاته . كانت تؤكد وجودها وانها تحتل مكانها وتتعامل بمنطق الخلود فى المكان والاستمرار الى الأبد فى الزمان . وانها لاتتحدث عن شعارات ولا تخطب ، تدعو إلى قوة أو تطالب بحرية انها تتعامل مع الوجود كما لو كانت جبلا قائما بذاته أو طلسما لايعرف أحد سره ، ولكنه طلسم يرمز إلى مجهول مستور

قلت لآدم

- ينقص هذه الأعمال شىء هام .

قبل أن يسألنى كان يجيب معى أن الذى ينقصه هو أن نرى هذه الكتل من الوجود التى تقف أمامنا فى استديو فى باريس وهى غارقة فى شمس مصر ، وضوء نهار مصر وظلال مصر .

وحدثنى آدم عن احلامه ، وكانت مرتبطة بصحراء واشكال من الكتل الحجرية متناثرة هنا وهناك تراها العين على امتداد الافق وهى مقبلة عليها ، وهى

معرض آدم حنين في قاعة مشربية

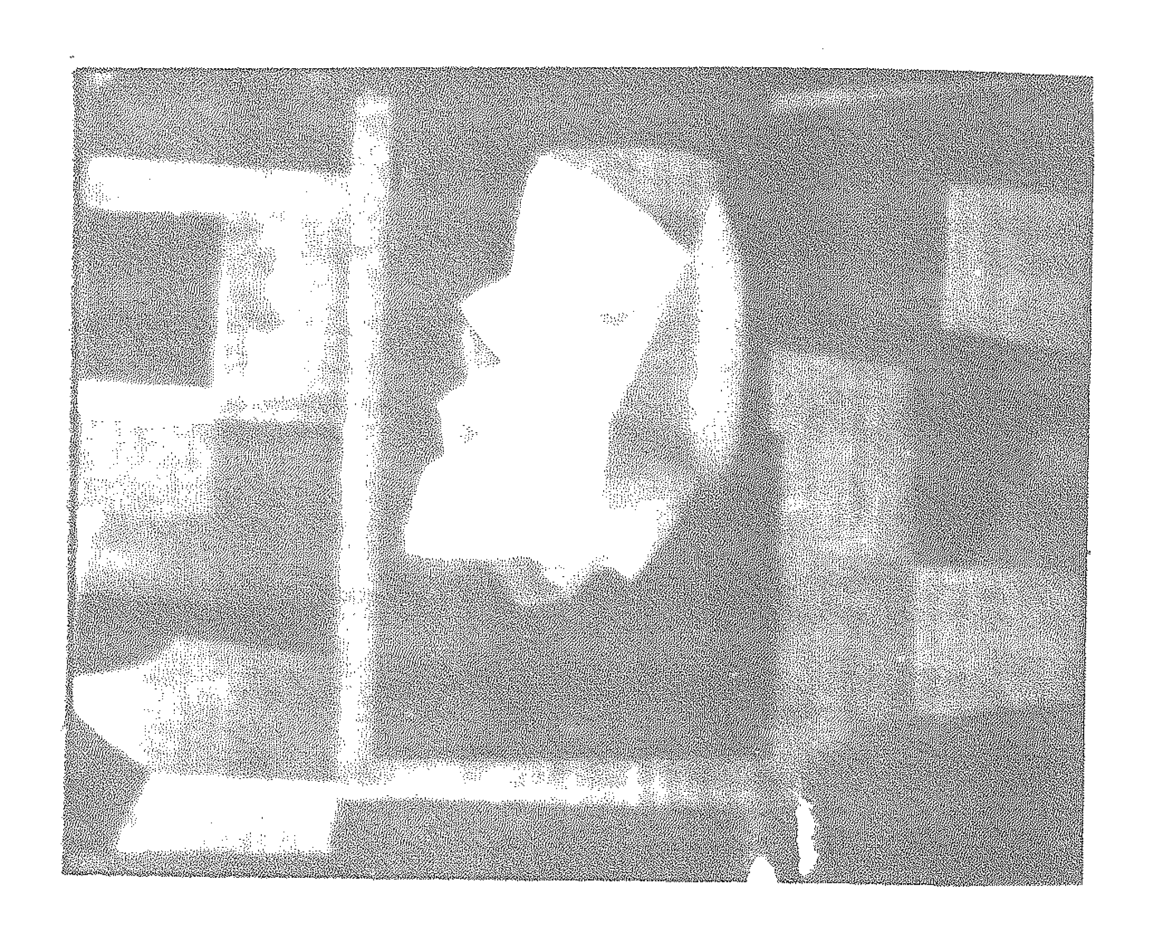
مدبرة عنها كان فى باريس وعيناه فى الصحراء

وكنا نناقش صلته بالتراث الفرعونى والعربى ولاشك أنه قد تأثر بهما . ولقد رأيت معه أن مايسمى بالحداثة ليس معناه تقليد المدارس الأوربية وهناك فرق كبير بين مايسمى بالمعاصرة ، ومايسمى بالحداثة . فالفن الحديث هو الذى يعتمد على اصول من التراث يراها من جديد بمنظوره الخاص ويتعامل معها بحريته الكاملة أما المعاصرة بمعنى التأثر بالمدارس الأوربية العصرية فقد كان هذا مثار سخرية آدم ، ورفضه التام له وهو لايعترف بما تلقاه فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة والتى تخرج فيها عام ١٩٥٣ ويرى أن ماتعلمه هناك لايعبر عنه بقدر مافيه من تقليد أعمى للمدارس الأوربية وكان يردد . ما الذى أستطيع أن أصل إليه بتقليد هنرى مور ، أو موندريان ، او شاجال .

ولكن ظروفه فى باريس فرضت عليه ان يقلل من انتاجه فى النحت فالتكاليف باهظة وشمس مصر غير موجودة ولاتوجد فى باريس مبان عامة مثل مبنى الاهرام ، تطالب بتماثيله وهكذا كان تركيزه يزداد على أعمال التصوير . وهى فى جوهرها تنبع من نفس المصادر الفنية التى يتعامل بها . إنه يقيم مسطحات وظلالا وخطوطا بالألوان تشعر بوجودها فى ذاتها وليس من السهل أن تعبر عنها بدقة بالكلمات تماما كما تقابل إنسانا ممتلئا بالحيوية وتشعر بوجوده معك ثم تحاول أن تحدد وجود هذا الكائن الحى بكلمات فتجد أن هذا شبه مستحيل وكل ما فى وسعك هو أن تطلق الكلمات تحوم حول الرجل كفراشات تلمسه اذا اقتربت منه ، وتشعر به ، ولكنها لاتملك أن تحدده بكلمات حاسمة قاطعة ويكفيها أن تحوم حوله !

● لحظات التجلى الصوفى

ولقد استطاع آدم حنين أن يطلق وجود لحظات فى حياته من خلال لوحاته فإذا ما تأملت هذه اللوحات التى عرضها خلال الشهر الماضى فى القاهرة بقاعة مشربية . فسوف تجد ما استوعبه من وجود للطبيعة المصرية والحياة فى أرضها ، عندما هاجر إلى النوبة وظل مقيما فيها حتى اغرقتها مياه السد العالى ، ثم تأملاته للنهر والصخور والنباتات فى أسوان وقد عاش بها سنوات يرقب طيورا وحميرا وماعزا وصقورا وتماسيح محنطة أو وهو يزور أديرة قديمة أو يتجول بين جبال سيناء ، ولقد تشكل مزاجه فى اللون والتكوين بكل هذا بالاضافة إلى التراث وهو لايدرى ما الذى يحدث من تفاعل داخله ، ولايعرف على وجه الدقة ، ماذا كانت نتيجة هذا التفاعل حتى يجلس أمام لوحة بيضاء فإذا اقترب منها بأصابعه فهو لايرسم بل يشق البياض لتخرج منه الاشكال التى نضجت فى ضميره على مر السنوات تتجلى له فى لحظة من لحظات التجلى الصوفى التى ينتمى فيها الانسان إلى ماهو أكمل وأشمل وإلى الوجود فى ذاته خارج المكان



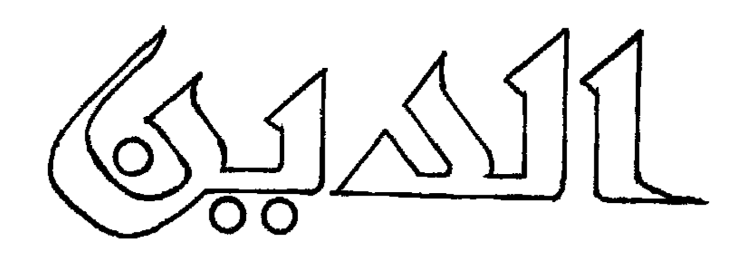
والزمان واللذين يتعامل معهد في اطار الخلود أو الأبدية .

والذى يتابع لوحات آد. الجديدة يستطيع ان يتابع فى نفس الوقت ، كل ماتعنيه الحداثة فى الموسيقى او الشعر أو الأدب الروائى والقصص

ولست أجد أفضل من تلك الكلمات التى كتبتها عندما طلب منى آدم حنين أن اكتب تقدمة لمعرضه الأخير فى الكتالوج الخاص به .

هناك فى عالمنا اليوم فنانون كبار لهم القدرة على ان يقدموا رموزهم وطلاسمهم ومن بينهم آدم حنين وهو يختلف عنهم فى مكونات رموزه لأن اللقاءات السعيدة لمسطحات واضواء وظلال عالم آدم حنين لها علاقة خاصة وحميمة بصخور ورمال حرقتها شمس مصر ونسيج وسجاد صنعتها أيدٍ مصرية ولحظات تأمل فى فناء دير أو شاطىء ترعة أو دكة فى الريف من النوبة حتى سيناء تم مشاعر غربة ووحدة أمام مساحة جرداء من القماش فى انتظار أن يتجلى فى فراغها اللقاء السعيد .

ولسوف ترى العيون هدوءا وصخبا وسماحة وعنفا وسلاما ورعبا لأننا أمام الرموز الأصيلة نستطيع ان نرى أنفسنا كما لم نرها من قبل .



بقلم : مصطفى درويش

يكفي القاء نظرة طائرة على الواقع الفعلي في حياتنا الثقافية السينمائية ، لنلحظ ندرة البحوث القائمة على اساس استطلاع اراء الجمهور في مصر فيما يشاهد من افلام وعلى كل ، فرغم هذا الاهمال ، ثمة بحث في العوامل التي تجذب هذا الجمهور الى الافلام . او تصرفه عنها نشرته المجلة الاجتماعية القومية في عددها الصادر في مايو ١٩٧٤ .

وانواع الافلام المصرية التي يرتادها المشاهدون وفقا لما جاء في هذا البحث : قد جرى ترتيبها على النحو التالي :

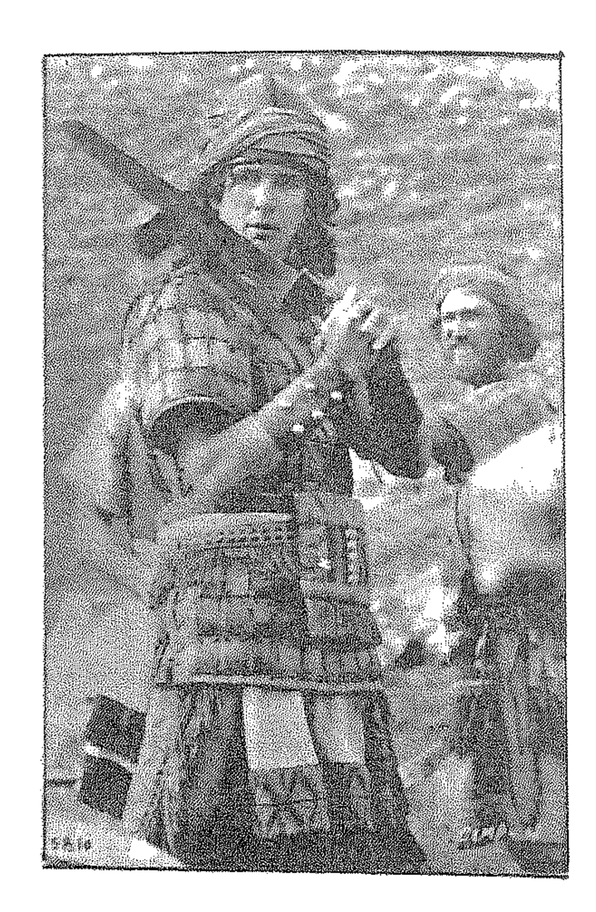
(أ) الافلام المؤثرة (بنسبة ٦٠٪)
(ب) افلام المشكلات الاجتماعية (بنسبة ٩ر٥٠٪)
(ج) الافلام الفكاهية (بنسبة ٣ر٥٠٪)
(د) الافلام التاريخية والدينية (بنسبة ٥ر٢٨٪) .

ومن الحق علينا ان نستخلص من هذه النتيجة ان الحاجة الى الافلام الدينية كبيرة ، لا تنقضي ، فاكثر من ربع المشاهدين يميل اليها ، يقبل عليها ، ويقول هل من مزيد .

ومما يدخل في باب العجب العجاب ، انه ، ورغم هذا الاحتياج الشديد ، فحتى بداية السبعينيات،كان عدد ما اخرج للناس على ارض مصر من افلام عن الاسلام ستة افلام لا تزيد .

والاعجب ان الاسلام لم يدخل السينما عندنا الا بفضل فيلم «ظهور الاسلام» (١٩٥١) المأخوذ عن قصة الوعد الحق للاديب « طه حسين » ، اى بعد ان انقضى على صنع اول فيلم روائي طويل في مصر (ليلى ١٩٢٧) خمسة وعشرون عاما الا قليلا

والاعجب من هذا العجب ايضا انه ولئن كان ظهور الاسلام قد حقق لمخرجه ومنتجه « ابراهيم عز الدين » من النجاح والارباح ما كان سببا في





استغنائه نهائيا عن السينما وسيرتها - لئن كان ذلك كذلك - الا ان احداً من صانعي الافلام عندنا لم ير في احداث التاريخ العربي الاسلامي ما يستطيع ان يلهمه حين يكتب بلغة السينما ٠

حقا نظر نفر منهم بين حين وحين الى هذه الاحداث ، واستخرج منها افلاما « كبلال مؤذن الرسول » لاحمد الطوخى (١٩٥٣) : و« السيد احمد البدوى » لبهاء شرف الدين (١٩٥٤) و « خالد بن الوليد » لحسين صدقى (١٩٥٨) و « شهيدة الحب الالهى لعباس كامل (١٩٦٢) و « رابعة العدوية » لنيازى مصطفى (١٩٦٣) و « هجرة الرسول » لابراهيم عمارة (١٩٦٤) و « فجر الاسلام » لصلاح ابوسيف (١٩٧١) و « الشيماء اخت الرسول » لحسام الدين مصطفى (١٩٧٢) ٠

ولكن نظرتهم هذه كانت نظرة سطحية اضاعت ما لتلك الاحداث من جلال وتاثير ٠

والغريب هنا ان منذ عام ١٩٧٢ وحتى يومنا هذا ، قد توقف انتاج اى افلام مستوحاة من احداث الاسلام ، وذلك رغم كثرة الكلام عن الاصالة والمعلم والايمان ٠

والاكثر غرابة هو جنوح رقابتنا في ظل هذه الازدواجية الخبيئة الى منع فيلم « الرسالة » لصاحبه « مصطفى العقاد » ، وجنوح احد وزراء الثقافة والاعلام الى تقاليد السلف ايام الملكية بكل قلبه ٠٠كيف؟ بان قام باصدار قرار وزارى تحت رقم ٢٢٠ لسنة ١٩٧٦ بشان القواعد

الدين في دنيا السينما

الاساسية للرقابة على المصنفات ، حدد فيه المشروع والممنوع .

وكان من بين الممنوع بطبيعة الحال اظهار صورة الرسول صلى الله عليه وسلم صراحة أو رمزا او صور احد من الخلفاء الراشدين واهل البيت او سماع صوت أى منهم .

ولم يقتصر الممنوع على ما سلف بل انصرف كذلك الى العشرة المبشرين بالجنة ، حاظرا اظهار صورة او سماع صوت أى واحد منهم

عهد وميثاق

وهنا ، قد يكون من اللازم والمفيد من باب المقارنة لا غير ، ان نقف عند السينما فى الغرب وتناولها للدين ، متى بدأ، وكيف ؟

لو رجعنا الى كتابى « الدين السينما » للناقد « ايفان بتلر » و « فيما وراء الصورة .. اجتهادات حول البعد الدينى فى السينما » للناقد « رونالد هولودبى » لوجدنا ان الدين عند السينما فى الغرب ، وعند المتكلمين عنها هو اما العهد القديم او العهد الجديد ، ولا شيء آخر .

وان عمر الدين فى الفن السابع مواكب لعمر السينما ، فما ان تحركت الصورة بفضل الاخوة « لوميير » على شاشة بيضاء باحد مقاهى مدينة النور فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٨٥ ، حتى بدأ تهافت صانعى الافلام على القصص الدينى، بحيث اتسعت بحور السينما لكل ما هو مستوحى من التوراة ، ومن عذابات السيد المسيح ، ومن المعجزات واساطير الاولين ، الى سير الوعاظ والمبشرين والرهبان والقديسين والقديسات الاحياء منهم والاموات

عذراء الشاشة

وقصة الدين فى السينما بدأت عام ١٨٩٧ بالسيد المسيح وسيرته مستوحاة من مسرحية عن عذاباته ، صورها « ماركو كلو » و « ابراهام ايرلانجو » .

ثم « بجان دارك » فى العام التالى يخرجها « جورج هانو » ومن ملاحظات صاحب «الدين فى السينما» ان خط « عذراء اللورين » من الافلام يفوق خط أى شخصية تاريخية اخرى .

فلا احد من مشاهير التاريخ ينافسها فى عالم الاطياف سوى نابليون وراسبوتين الملعون .

وقد يكون من المناسب هنا ان اسوق سردا تفصيليا مستمدا من هذا الكتاب لافلام القديسة الفرنسية ، وافلام الراهب الروسى ، لعله يوضح مدى استغلال السير الدينية سينمائيا وحكمته سياسيا .

فمع بداية القرن العشرين (١٩٠٠) اخرج « جورج ميلييس » فيلما عن « جان دارك » عبارة عن « استعراض ضخم من اثنتى عشرة لوحة وخمسمائة ممثل يرتدون ملابس رائعة » .

وبعد ثمانية اعوام انتجت كل من شركة « باتى » الفرنسية وشركة « شينى » الايطالية فيلما عن العذراء البتول .

وفى عام ١٩١٣ اعادت ايطاليا التجربة بفيلم من اخراج « نينو او كسيليا » ادت فيه « ماريا جاكو بيتى » دور عذراء اللورين

ثم تتقدم الاعوام شيئا ، وها هى الولايات المتحدة تعد شعبها لصدمة

الزج به في اتون الحرب العالمية الاولى الى جانب فرنسا ، فتنتج هوليوود فيلما عن العذراء المحاربة اخرجه « سيسيل · ب · دي ميل »

ومن بعد هذا الفيلم الذي انتجه مصنع الاحلام في عاصمة السينما ، مكثت العذراء بعيدة عن الشاشة البيضاء زهاء احد عشر عاما . وذلك الى ان كتب لها خلال عام ١٩٢٨ ان تعود في واحد من اجمل افلام الفن السابع بفضل « كارل درايير » المخرج الدنمركي الكبير ووجه « فالكونيتي » الممثلة الايطالية التي ابدعت فخلدت طيفا .

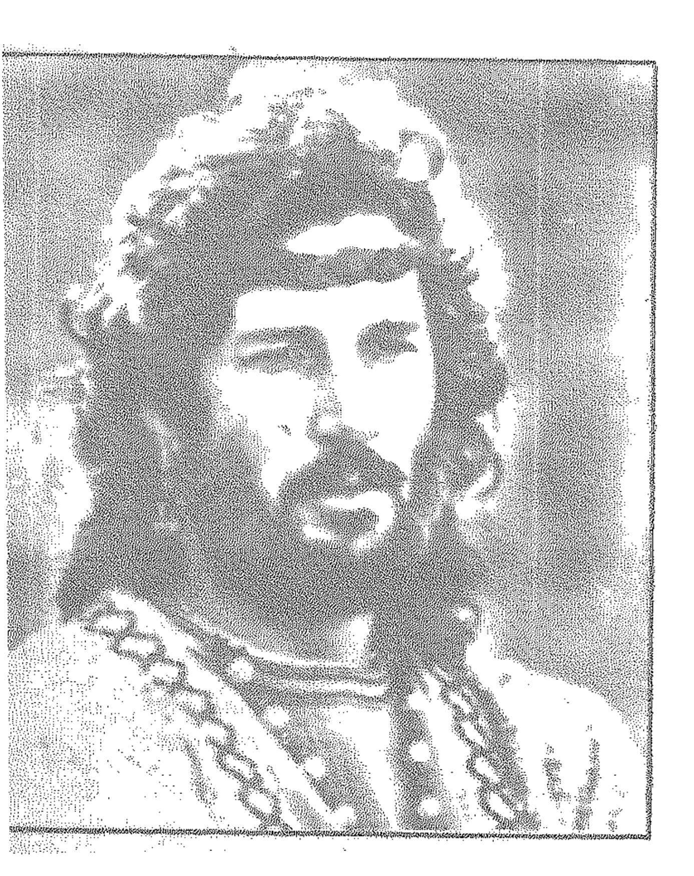
وما كاد يمر عامان على رائعة « درايير - فالكونيتي » حتى ظهرت العذراء من جديد في فيلم تحت اسم « القديسة جوان العذراء » .

ثم جاء دور الالمان ، فانتجوا حول سيرتها فيلما اسموه « جوان العذراء » (١٩٣٥) .

وتعيد هوليود الكرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، فتنتج هذه المرة فيلما ملونا فاشلا عنهسا من اخراج « فيكتور فليمنج » وتمثيل انجريد برجمان » التي قامت باداء الدور في فيلم ثان من اخراج عشيقها رائد الواقعية الجديدة « روبرتو روسولليني » (١٩٥٤)

وقبل ذلك بعام كان الفرنسي « جان ديلنوا » قد اخرج فيلما من اجزاء ثلاثة ظهرت العذراء في الجزء الاول منها تمثلها نجمة فرنسا الاولى « ميشيل مورجان »

فاذا ما مرت على عذراء « روسيلليني - برجمان » ثلاثة اعوام . اختار المخرج الامريكي « اوتو برمنجر » الممثلة الناشئة « جان سيبرج والتي جاءها الموت (١٩٧٩) بالانتحار ، اختارها لتؤدي دور « القديسة جوان » عن سيناريو



داود ..
في نظر هوليوود

كتبه الاديب الانجليزي الشهير « جراهام جرين » ماخوذا عن مسرحية الاديب الايرلندي الساخر « جورج برناردشو » التي بنفس الاسم .

ثم جاء عام ١٩٦٢ ليخرج « روبير بريسون » - وهو واحد من عمالقة الابداع السينمائي في العالم - الفيلم الرابع عشر عن العذراء الشهيدة « محاكمة جان دارك » .

وكان خروج الفيلم الاخير الى الناس ايذانا باختفاء العذراء .

فمن بعده لم تظهر على الشاشات البيضاء

اما « راسبوتين ، جنسرودين فقد بدا ظهوره في السينما متاخرا عن « جان دارك » لان العالم لم ينتبه الى الراهب الفاسد الا عام ١٩١٧ ، عام

سقوط امبراطورية ال رومانـــوف ، واقتضاح الدور الذى لعبه راسبوتين بمجونه ، وباسم الدين فى هــــذا السقوط المدوى

ففى عام السقوط هذا اخرج فيلم عنه تحت اسم « راسبوتين الـرزاهب الاسود » •

وظل نسيا منسيا الى ان تذكرتــه السينما السوفييتية عـــام ١٩٢٩ ، فاخرجت عنه فيلما صامتا ••• من بعده تصدى الالمان لسيرته فتناولوها فى فيلمين خلال عام واحد (١٩٣٠)

ثم جاء دور هوليوود التى انتجت فيلما « راسبوتين والقيصره » مثله الاخوة « باريمور » (١٩٣٣)

وغاب الراهب المفسد فى الارض عن الشاشات الى ان اخرج عنــه فيلم فرنسى مثله « بيير براســـــور » (١٩٥٤)

وبعد ستة اعوام عاد الى جمهوره فى فيلم ايطالى « ليالى راسبوتين » ثم فى فيلم امريكى « راســـبوتين الراهب المجنون » (١٩٦٥) ليعقبه بعد عامين فيلمه التاســـــع « قتات راسبوتين » الذى افتتح به مهرجان كان ١٩٦٧

ومرة ثانية ظل غائبا زهاء تسعة اعوام الى ان عاد مع « نيقـــــولا والكسندرا » ومع فيلم للمخـــرج السوفيتى « اليم كليموف » اســــمه « اوجاع » ظل ممنوعا من العـــرض داخل الاتحاد السوفييتى وخارجــه لسنوات طوال •

مكتابا الناقدين كلامها حافــــــل

بالمعلومات عن الافلام المستوحاة من العهدين القديم والجديد •

وهى معلومات يتضح منهــا ان اهتمام السينما الامريكية بالعهــــد الاول يفوق اهتمامها بأى عهد •

وان هذا الاهتمام زاد قبيل اعلان وعد بلفور وبعده •• وتفاقم بعــد اعلان قيام دولة اسرائيل •

فقبل الوعد بقليل انتجت شـــركة فيتاجراف الامريكية « ابنة يفتــاح » و « سالوم » و « قضاء سليمان » و « شاءول ودود » و « حيـــــاة موسى » واخرج « دافيد جـــريفيت فيلمه « جوديث » الذى يعتبر باكورة الافلام الضخمة المســـــتوحاة من التوراة •

كما انتجت شركتا « تنهـــاوزر » و « يونيفرســال » ، فيلمى « يوسف فى ارض مصر » و « شمشون »

وبعد الوعد انتجت الســـــينما الامريكية « سالوم » مرتين وفيـــلم الوصايا العشر من اخراج «دي ميل » (١٩٢٣) و « سفينة نوح » (١٩٣٠) والمراعى الخضر (١٩٣٦)

وما ان ظهرت دولة اسرائيل الى الوجود حتى اسرعت هوليـــوود الى انتاج فيلم « شمشــــــون ودليلة » للمخرج « دى ميل » (١٩٤٩) وفيلم « داود وبتشيبا » (١٩٥١) وخطـــايا جيزابيل » (١٩٥٣) ومرة ثانيــــة « الوصايا العشر » (١٩٥٦) لنفس مخرجها ايام السينما الصامته وفيلم « سليمان وملكة سبأ » للمخـــــرج كنج فيدور » وفيلم « استر والملك » للمخــــــرج راءول والشن (١٩٦٠) « وسدوم وعامورة » للمخرج روبرت الدرش (١٩٦١) و « التـــــوراة فى البداية للمخرج « جون هوســـتون (١٩٦٦) و « الملك داود » (١٩٨٥)

ولعل اخطر هذه الافلام المستوحاة من العهد القديم هما « التوراة ••

فى البداية » و « الوصايا العشر »
فالاول فيلم طموح يبدأ بالتكوين ، وبطرد ادم وحواء من الجنة ، ثم يمر مرورا عابرا على قتل « قابيل » لاخيه « هابيل » وعلى نمرود وهو يبنى برج بابل متحديا به السماء .. ثم على سفينة نوح ، وهى تحمل من كل زوجين اثنين ليقف عقب انتهاء الطوفان وظهور حمامة السلام وقفة طويلة نهائية عند ابراهيم .. وقفة مليئة بالايمساءات الى ان ارض اسرائيل تمتد وعدا الى النيل .. بالتصريح والتلميح الى ان هاجر ام اسماعيل امة .. وان سارة ام اسحق اميرة .. وهذا كله ابتغاء ان يترسب فى عقل المتفرج ان العرب عبيد بلا اصل .. وان اليهود اسياد اختارهم الله لتكون لهم الارض ومن عليها .

اما الفيلم الثانى فيعتبر مكملا لفيلم « التوراة » رغم انه سابق عليه فى تاريخ الانتاج بحوالى عشرين عاما .

و « دى ميل » مخرج « الوصايا العشر » صامتا ثم متكلما ملونا ، قد تناول قصة موسى وبنى اسرائيل اثناء وجودهم على ارض مصر ، ثم اثناء خروجهم منها ـ تناوله على وجه مشوه يراد به باطل ، هو تصوير اهل مصر وكانهم شعب منبوذ كتب عليه ذل العيش فى اغلال العبودية لفرعون وقومه الظالمين الى يوم الدين

وهذا السبيل الذى سلكه «دى ميل» لا يثير دهشة احد ، فالتاريخ ليس من الامور التى يهتم بها ويهتز لها ، اية ذلك انه لما اعترض النقاد على استعمال اسم الاميرة «نفرتيرى» او « نفرتيتى » فى « الوصايا العشر» رغم ان التاريخ يقول ان هذه الاميرة عاشت فى غير عصر « موسى » ، لم يعر اعتراضهم التفاتا .

وزاد من حيرة نقاده حين قال فى استهتار فاضح ان ثمة اميرتين بهذين الاسمين ، يفصل بينهما قرن ونصف من عمر مصر القديمة ، وان الاميرة العاشقة « ان باكستر » لنبى فيلمه « شارلتون هستون » هى نفرتيرى ونفرتيتى فى ان واحد .

وهذا التحريف والتشويه ليس بغريب على صاحب الوصايا العشر فان من يقرأ سيرته ليندهش لغروره وجرأته على الحق ونفاقه الظاهر

فهو دائم الزهو والتباهى بالحيل السينمائية التى استعملها مرة أيام السينما الصامتة فى جواد لوب ، ومرة ثانية ايام السينما المتكلمة من « أبى رواش » بالبحر الاحمر لتصوير هذا البحر ، وهو ينفلق كالطود العظيم لينجو موسى ومن معه اجمعين ثم يغرق الله الاخرين اى فرعون ومن معه من الجنود المصريين ، ممتنع عن انشاء سر هذه الحيل ، وكانها سر الهى اوحى به اليه ، ولن يوحى به الى احد سواه

مجمع الاديان

وهو ممتنع كذلك عن ذكر اسم الممثل الذى نطق كلمات الرب الى موسى بالوصايا العشر فى سيناء ، لا لشىء الا لاحساسه بما يجب لهذه الكلمات منتوقير وتبجيل .

وهذا النفاق له اصول تاريخية تبين من قراءة الباب الذى خصصه صاحب « الدين فى السينما » للمسيح فى دنيا الاطياف .

« فدى ميل » يقوم خلال عام ١٩٢٧ باخراج فيلمه عن المسيح « ملك الملوك »

الدين في دنيا السينما

وهو كعادته ينظم حملة دعائية يزعم فيها ضمن ما يزعم ان اليوم الاول للتصوير بدأ بصلوات اداها ممثلون للمسيحية واليهودية والاسلام والبوذية !!

وان الفيلم يجرى تصويره في حضور رجال من « الجيزويت » واتحاد مجلس الكنائس لاخذ رأيهم في كل صغيرة وكبيرة .

وان مسئولية موت المسيح قد القيت على « كايفاس » بدلا من « يهوذا » مراعاة لشعور اليهود .

فضلا عن ان « وارنر » ممثل دور المسيح لا يكلم - وهو مرتديا ثوب المسيح - احدا سوى المخرج ولا يتناول وجباته في حضور احد

هذا الى ان صلوات اقيمت امام مشهد الصلب الذى روعى أن يكون تصويره ليلة عيد الميلاد

وردا على هذا النفاق الامريكي المزائد - وبعد حوالى اربعين عاما - اخرج الفنان الايطالي « بيير باولو بازوليني الذى مات مقتولا (١٩٧٥) فيلما روائيا قصيرا اسمه « جبنة بيضاء » (١٩٦٣) عرض فيه لحقيقة تصوير مشهد الصلب في السينما ... وهي حقيقة بعيدة كل البعد عن ادعاءات صاحب « ملك الملوك » .

فادوار القديسين والقديسات يقوم بادائها ناس من الناس ياكلون ويشربون .. يلهون ويهرجون اثناء التصوير

ودور اللص التائب المصلوب الى جوار المسيح « اذكرني يارب اذا جئت في ملكوتك » يقوم بادائه في « جبنه بيضاء » ممثل « كومبارس » عاطل جائع يداعبه زملاؤه المشتركون معه في تمثيل المشهد الحزين مداعبات غليظة .

وهو من فقره وجوعه يلتهم خلسة كميات هائلة من الجبن تؤدى الى تخمة ، تنتهى به الى الموت على الصليب امام المخرج « اورسون ويلز » داخل الفيلم .. وبجوار المسيح الذى لا يموت .

ولما في هذا الفيلم من قسوة كاشفة منع عرضه في ايطاليا ، وهدد مخرجه بالسجن ، واخيرا عوقب باربعة شهور حبس مع وقف التنفيذ

وهذه العقوبة ثم مصرع «بازوليني» بعدها باحد عشر عاما دليل ما بعده دليل على ان الدين في السينما باق كما هو .. باق كما يريده مصنع الاحلام .. ولاجل طويل .. طويل .

جان دارك
أكثر القديسات انتشارا



ابتسامات

اسباب الارق

في غرف احد الفنادق الكبرى التي يؤمها في الغالب رجـال الاعمال العالميون ، علقت الملاحظة الاتية : « اذا لم تتمكنوا من النوم فلا تبدأوا بالقـاء اللوم على السرير ، بل حاسـبوا ضمائركم اولا » .

غـرور

كان المدير يجادل زميله حول شخص ثالث ، فقال : « الواقـع انى لن أصـفه بالغرور . لكنـه مقتنع تمـاما بأنه لو لم يولد لتساءل الناس عن السبب ! »

صندوق الاعانة الدائمه

سمع رجل يقول لصديقه :

« قبل ان اتزوجها كانت سكرتيرتي اما الان فهي امينة الصندوق ! »

فن السياسة

مرة سـئل السيد ونستون تشرشل عن المؤهلات التى يظنهـا ضرورية لسياسي ناشيء . فـزم شفتيه بطريقته المعهوده ودمـدم بعد تفكير : « انها القـدرة على التنبؤ بما سيحدث غدا او بعـد اسبوع او شهر او سنة » . وبعد هنيهة اضاف : « ومن ثم القدرة على ان تفسر اسباب عدم تحقق التنبؤات ! » .

آدم وحواء

قال بائع الفسـاتين المتعب لزبونته : « هل تساءلت يوما كم ورقة توت جربت حـواء قبـل أن يستقر رأيها على واحدة ؟!

سبب وجيه

سال المدير سكرتيرته الشابة الجذابه : « هل لديك ارتبـاطات خاصة خلال عطلة نهاية الاسبوع؟» فاجابت الفتاة فى خجل : « لا »

ـ حسنا « اذن ارجو الا تتأخري عن موعد العمل صباح الاثنين !

الفن والتجارة

اراد فنان معاصر ان يبيـع احدى لوحاته فعرضها على تاجر لوحات اخذ ينظر اليها بسخرية، ثم وافق على دفع جنيه واحد ثمنا لها . فهب الفنان ساخطا وقال : « لكن قماش اللوحة وحده كلفنى اكثر من ذلك » .

وهنا جاء جواب التاجـر : « اعرف ذلك . لكنه لم يكن ملطخا بهذه الاصباغ حين اشتريته ! »

القرآن الكريم وفن تجليد الكتاب

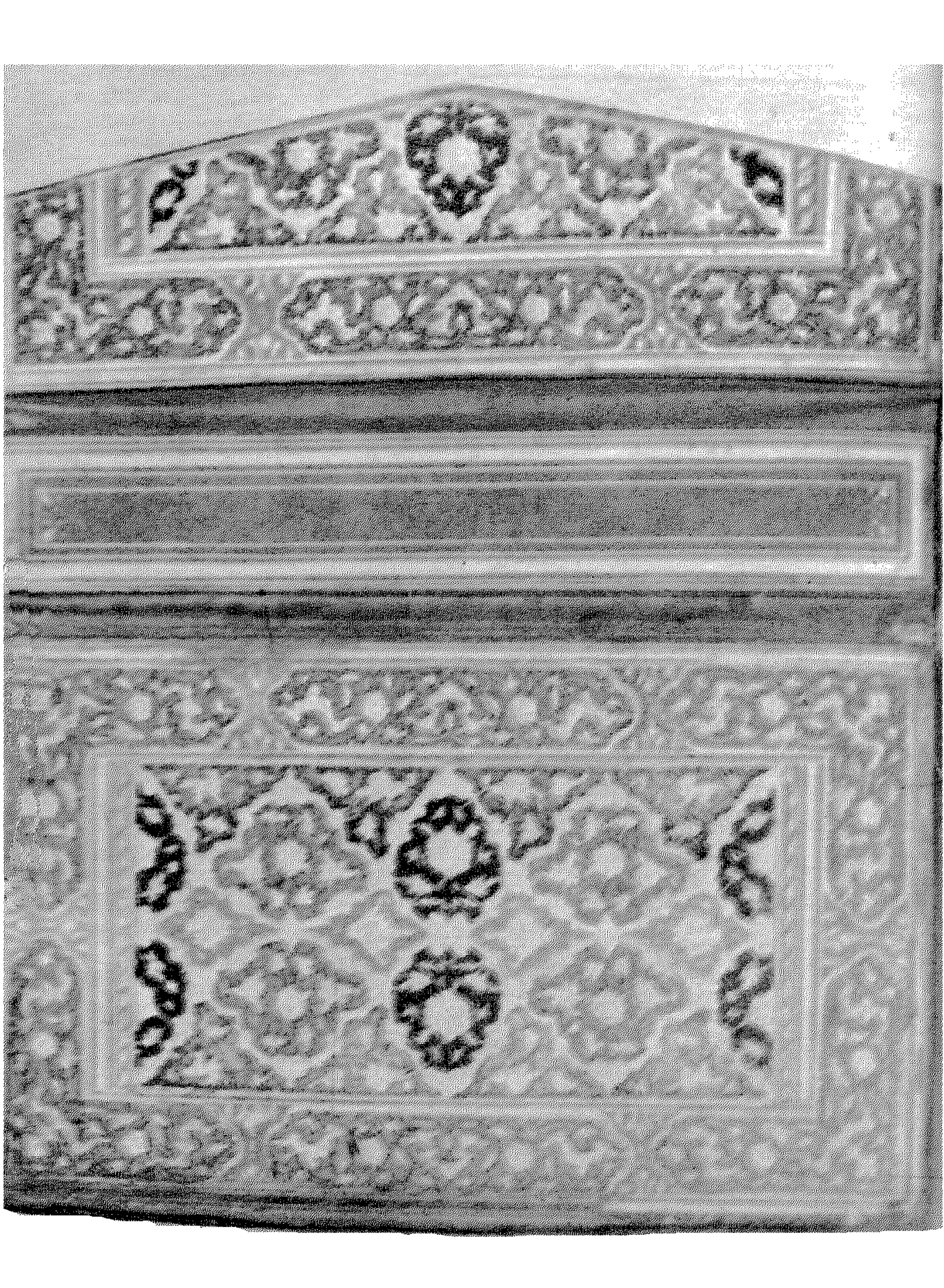
بقلم: حلمى التونى

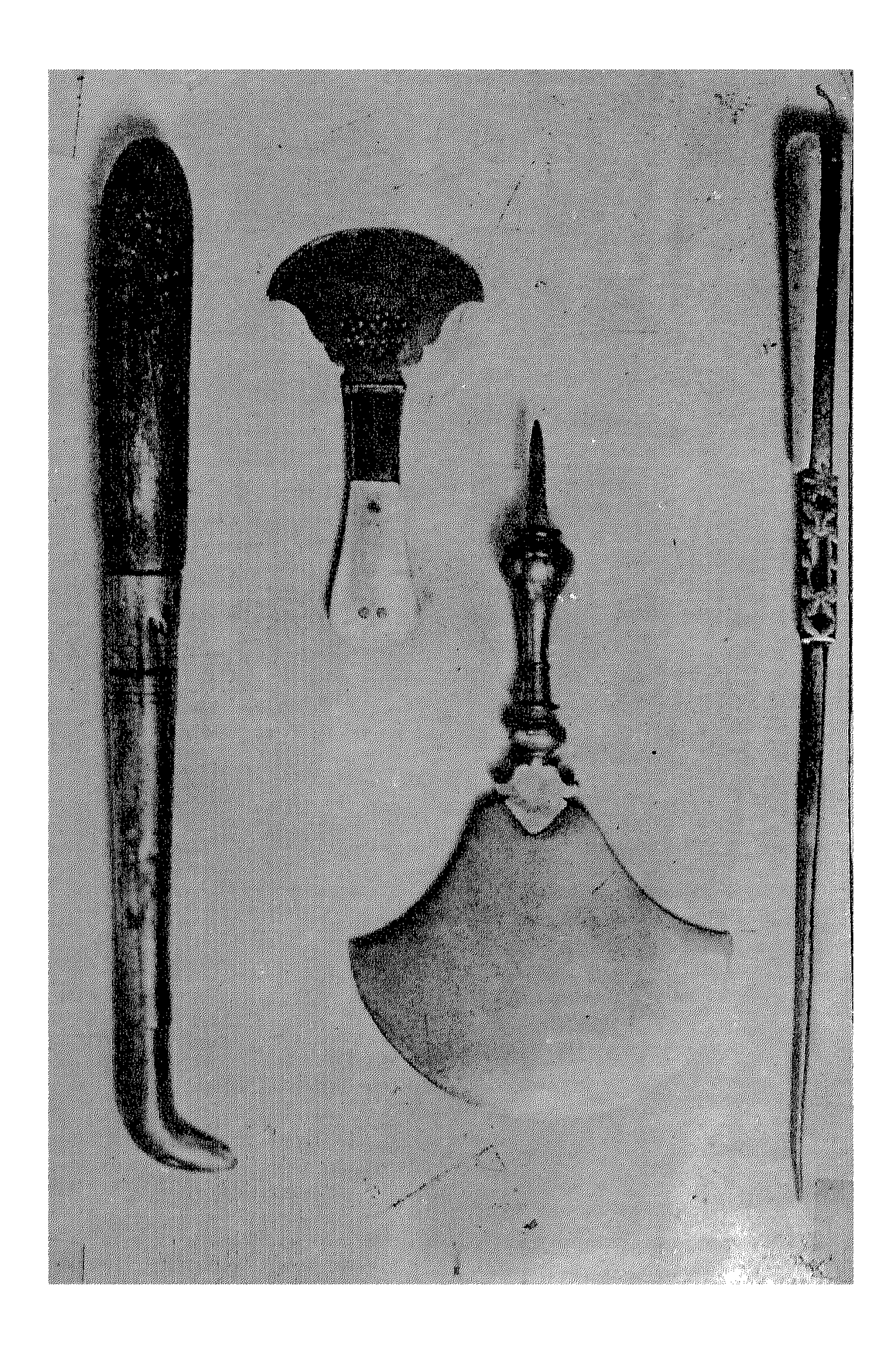
فن تجليد أو حماية المخطوطات هو فن قديم قدم الكتابة ذاتها . فبعد الكتابة على ألواح الطين انتقل الانسان إلى الكتابة على اللفافات ، وكانت قراءة هذه اللفافات غير مريحة خاصة أن بعض لفافات البردى المصرية القديمة كان طولها يصل الى أكثر من ستة أمتار ولم يكن الرجوع إلى فقرة مطلوبة فى تلك النصوص عملية سهلة .

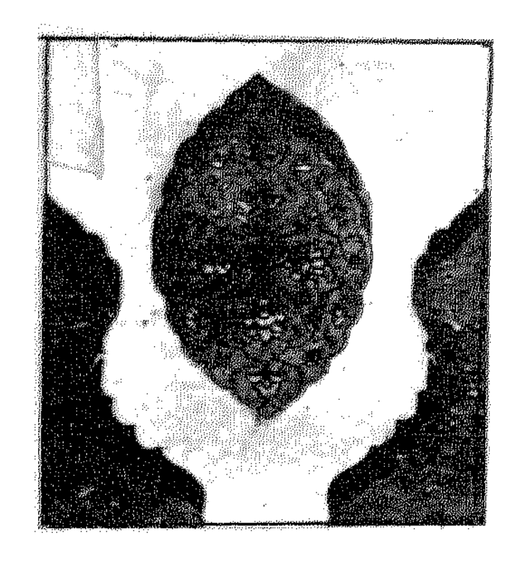
وكان الصينيون هم أول من لجأ الى طى اللفافات بشكل متعرج (زجزاج) فكان لهم فضل أكتشاف عملية التصحيف اى تحويل النص المكتوب الى صفحات ، وكم للصينيين القدامى من أفضال فى عالم الكتابة والكتب

وكان أول شكل للكتاب كما نعرفه حاليا هو الأناجيل القبطية المصرية القديمة وقد تم خطها أثناء القرون الستة الأولى بعد الميلاد ، على صفحات من ورق البردى وصنع لها غلاف مكون من طبقات عديدة من ورق البردى مغطاة بالجلد .

وقد عرف الكتاب منذ بداية الاسلام ، ومن المتفق عليه أن المصاحف عرفت أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وكانت الصفحات القليلة المخطوطة تحفظ بين لوحين من الخشب . الى أن قام زيد بن ثابت فى أواخر القرن السابع الميلادى







● على الصفحة المقابلة أدوات فن التجليد فى القرن التاسع عشر مصنوعة من النحاس والصلب ولها مقابض من العظم والصدف مزخرفة بالذهب ●

● ثم قوالب للبصم مصنوعة من النحاس من ايران القرن الثانى عشر

بنسخ القرآن الكريم كاملا على شكل الكتاب الذى نعرفه اليوم .

● العناية بفن التجليد

برع المسلمون الأوائل فى فن تجليد الكتاب وأولوه عناية فائقة لارتباطه بالقرآن فمنذ أنتشار الاسلام واستقراره فى مراكز الحضارة المدنية ، بعد خروجه من الصحراء ، نشأت مراكز متنافسة فى هذا الفن خاصة بالمدن ذات الحضارة العريقة السابقة مثل القاهرة والاسكندرية والقيروان فى تونس . وقد وضعت والفت الكتب المتخصصة فى هذا الفن ومن أشهرها كتاب « نفائس الفنون » الذى الفه محمد بن محمود عام ١٣٤٢ ميلادية ، وكتاب « عدة الكاتب » لمحمد بن حسن الدمغانى ، وكتاب « مطلع العلوم ومجمع الفنون » الذى يحصى أساليب الخط العربى والزخرفة والتلوين وصناعة الأحبار ، ويعتبر كتاب « عمدة الكتاب وعدة ذوى الالباب » لصاحبه المعز بن باديس المولود فى المنصورية بالقرب من القيروان عام ١٠٠٧ ميلادية ، يعتبر هذا الكتاب موسوعة كاملة لهذا الفن .

واستخدم المسلمون أدوات مختلفة فى فن التجليد ، فاستخدم العرب منهم الفرجار والمسطرة لوضع التخطيطات الأولية على الجلد المبلل قليلا بالماء ويقترح ابن باديس فى كتابه تسخين الأدوات المستخدمة للحصول على تخطيط أوضح ، أما الاختام أو « الكليشيهات » التى ينتج عن استخدامها وحدة زخرفية كاملة فقد كان أول من استخدمها المسلمون فى ايران وان كان المماليك قد عرفوا شكلا مبسطا منها ، استخدم لعمل البراويز الزخرفية والأركان .

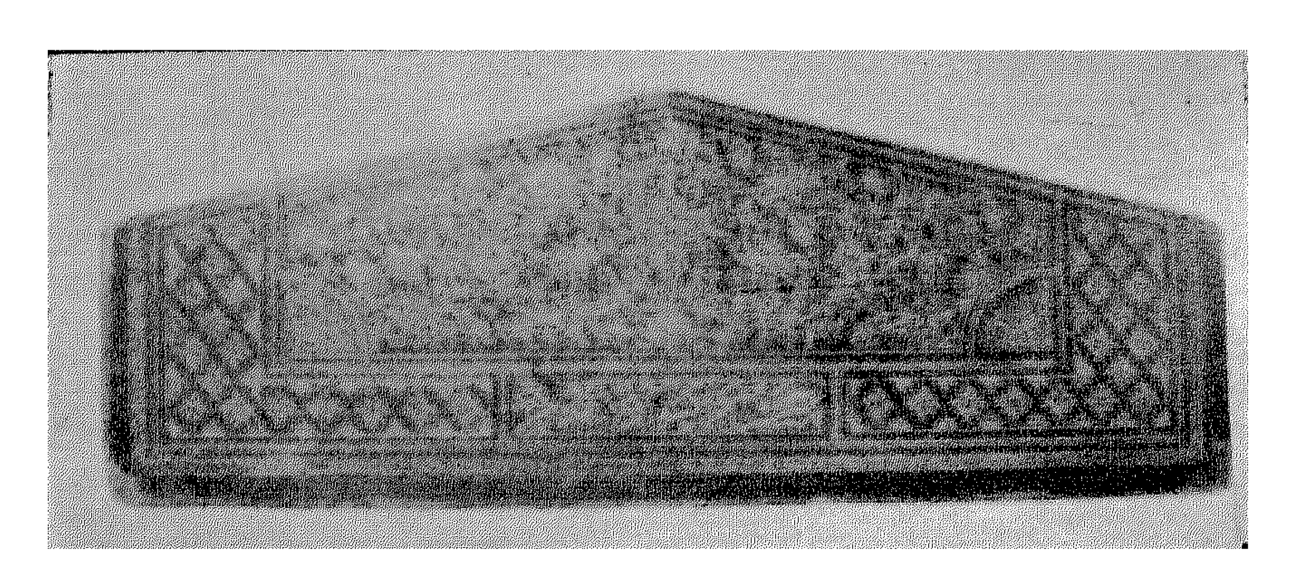
ويرجع الفضل الى المسلمين فى اختراع الجزء المعروف باللسان وهو قطعة مثلثة فى حافة الغلاف الأخير للكتاب تدخل ، عند غلق الكتاب ، تحت غلافه الأول لتحميه من دخول الغبار بين صفحاته وتستخدم أيضا كعلامة للصفحة المقروءة .

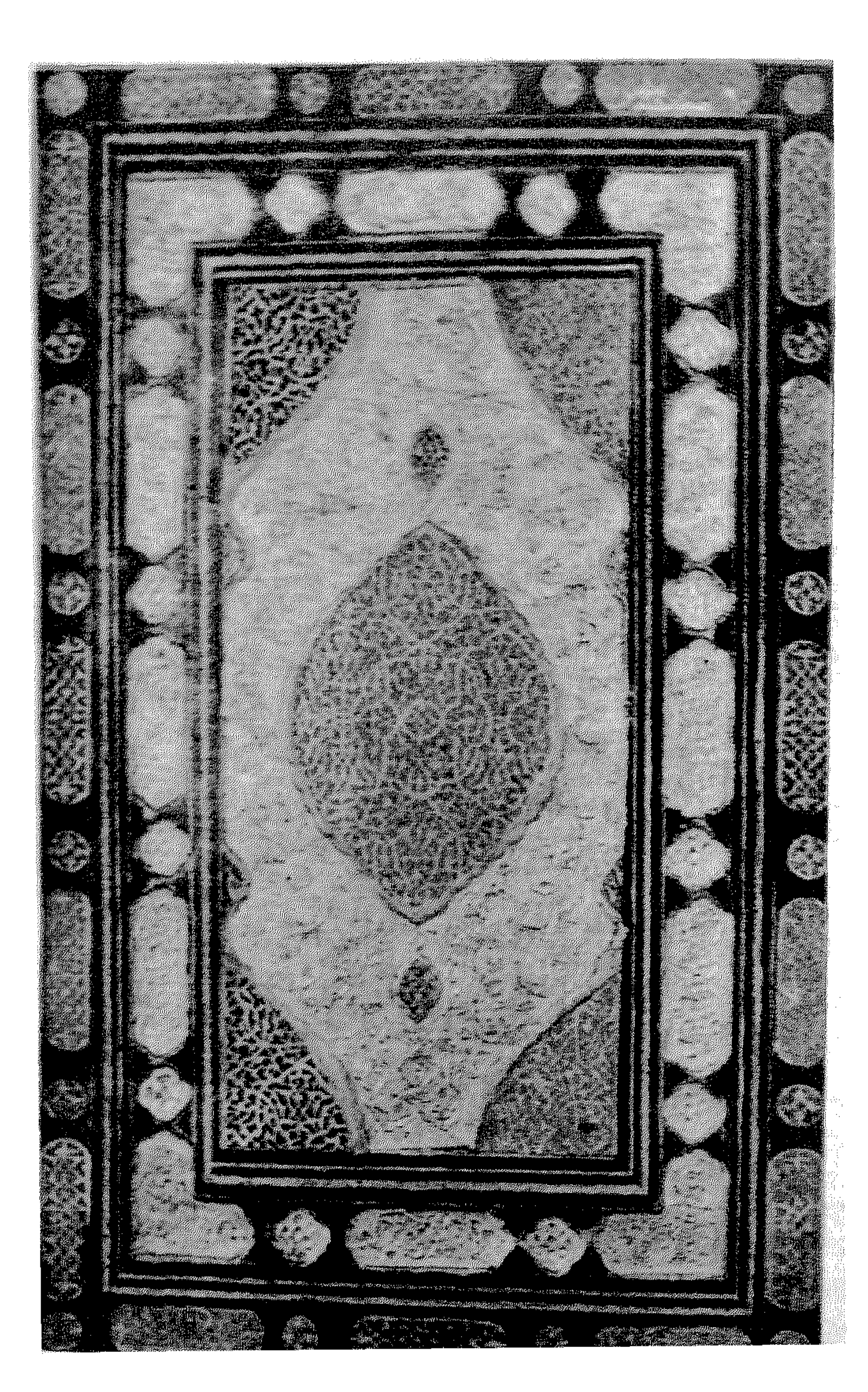
كان جلد الماعز هو المادة الأكثر

● كتاب « دلائل الخيرات » في شمال افريقيا مخطوط بالخط المغربي وغلافه من الورق المغطى بجلد مبصوم بالذهب ●

● نموذج في فن التجليد في ايران القرن الثاني عشر تتوسطه وحدة على شكل لوزة زخارفه نباتية ومستخدم فيه ثلاثة الوان بالاضافة الى اللون الذهبي ●

● « اللسان » اختراع اسلامي نموذج للطراز العربي في فن التجليد لون واحد ذهبي على ارضية من الجلد ●





استخداما عند المسلمين لوفرة حيوان الماعز فى البلاد الاسلامية وقد تلاه فى كثرة الاستخدام جلد الخراف .



يمكن تقسيم مدارس أو طرز فن التجليد الاسلامى الى ثلاثة طرز : الطراز المصرى والسورى ، والطراز المغربى ، وطراز ، اليمن وجنوب الجزيرة العربية .

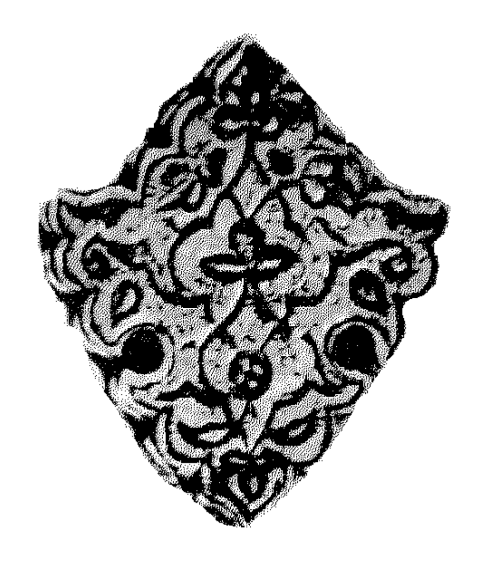
وعموما فالتجليد العربى يتميز بأنه أكثر بساطة فى التصميم والزخارف والالوان عن فن التجليد الفارسى والتركى ، ونادرا ما كان يشتمل على أكثر من اللون الذهبى مستخدما فى زخارف هندية أو مضفرة ومتداخلة ذات جمال خاص وقد أختلف الأمر بعد ذلك عند انتقال هذه الأشكال الى ايران وتركيا فصبغتها حياة الترف والقصور بطابع بالغ الغنى والتعقيد .

وبقى تجليد الكتب فى ايران متأثرا وتابعا للمدرسة العربية حتى أوائل القرن الخامس عشر عندما انتقل مركز الثقل الحضارى والفنى شرقا من مصر وسوريا الى ايران وبدأت مرحلة جديدة فى التطوير والتحسين فى فن التجليد ، فاستبدل بالأسلوب العربى ذى الزخارف المصبوبة بدون تلوين أساليب أكثر غنى ورقة ، وأصبحت « هراة » عاصمة التيموريين وقبلها (سمرقند) عاصمتين للفن الايرانى .

وقد كان (الأمير الوزير باى سنقر ميرزا) ابن (شاه رخ ميرزا) محبا وهاويا للكتب وفن الكتاب فأنشأ مكتبة وأكاديمية كانت بداية مرحلة هامة وطفرة كبرى فى هذا الفن وقد دامت هذه الأكاديمية أكثر من مائة عام وأخرجت فنانين كبارا حملوا أسس هذا الفن الى البلاط الصفوى فى « أصفهان » و« تبريز » ثم إلى الامبراطورية الاسلامية المغولية فى الهند والامبراطورية العثمانية فى القسطنطينية ، وقد قلد حكام الأقاليم « الأمير باى سنقر » فلعبت مدن أخرى مثل « ميرف » و «سمرقند » « وبلخ » و « مشهر » ونيسابور دورا فى تطوير فن التجليد الاسلامى الفارسى ، وكان هناك تبادل للمعلومات والخبرات بين عواصم العالم الاسلامى المختلفة ، فكان المشرف على اكاديمية هرات ، الخطاط جعفر التبريزى يعد التقارير الفنية ويقدمها الى « باى سنقر » لارسالها الى المدارس الفنية الاخرى .

وقد بلغ فن التجليد فى هذه الفترة درجة مذهلة من الغنى والتقدم والدقة حتى أن أحد الأغلفة المحفوظ حاليا بمجموعة شستر بيتى فى مدينة دبلن ، قد استلزم اخراجه وزخرفته استخدام نصف مليون بصمة بدون ذهب وثلاثة وأربعين الف بصمة مذهبة ولابد ان صنعه قد استغرق حوالى العامين .

تأثر فن التجليد العثمانى بالمدارس الايرانية حتى حلول القرن السابع عشر الميلادى فتميز الفن العثمانى وتقدم وبدأ بدوره يؤثر على الفن الايرانى وإن كانت المدرسة الايرانية قد اتصفت بالتنوع نظرا لتعدد مراكز فن التجليد ، فان الفن العثمانى تميز بطراز واحد متشابه تقريبا بسبب ثبات السلطة . وتمركزها فى استانبول منذ عام ١٤٥٣ ولمدة اربعمائة



● غلاف من تركيا ، بصم ذهبى على جلد أسود وتظهر فيه الأجزاء الكاملة للغلاف الإسلامى الغلاف الأول والكعب والغلاف الأخير ثم الصدر واللسان ●

● ثم قالب نحاسى للبصم على شكل مروحة ●

وخمسين عاما وحتى نهاية الأمبراطورية عند الحرب العالمية الأولى ، يحدثنا الرحالة التركى افليا تشليى (١٦١١ ـ ١٦٨٠) أنه كان فى « استانبول » وحدها ثلاثة الاف دباغ للجلود وسبعمائة ورشة دباغة .

كانت هذه أبرز مدارس فن التجليد فى العالم الاسلامى وقد وجد غيرها كثير فى الهند وجنوب الجزيرة العربية وأقطار المغرب العربى وإن كانت اقل أثرا ودورا فى تطوير هذا الفن وقد تأثر معظمها بمدارس أخرى مجاورة

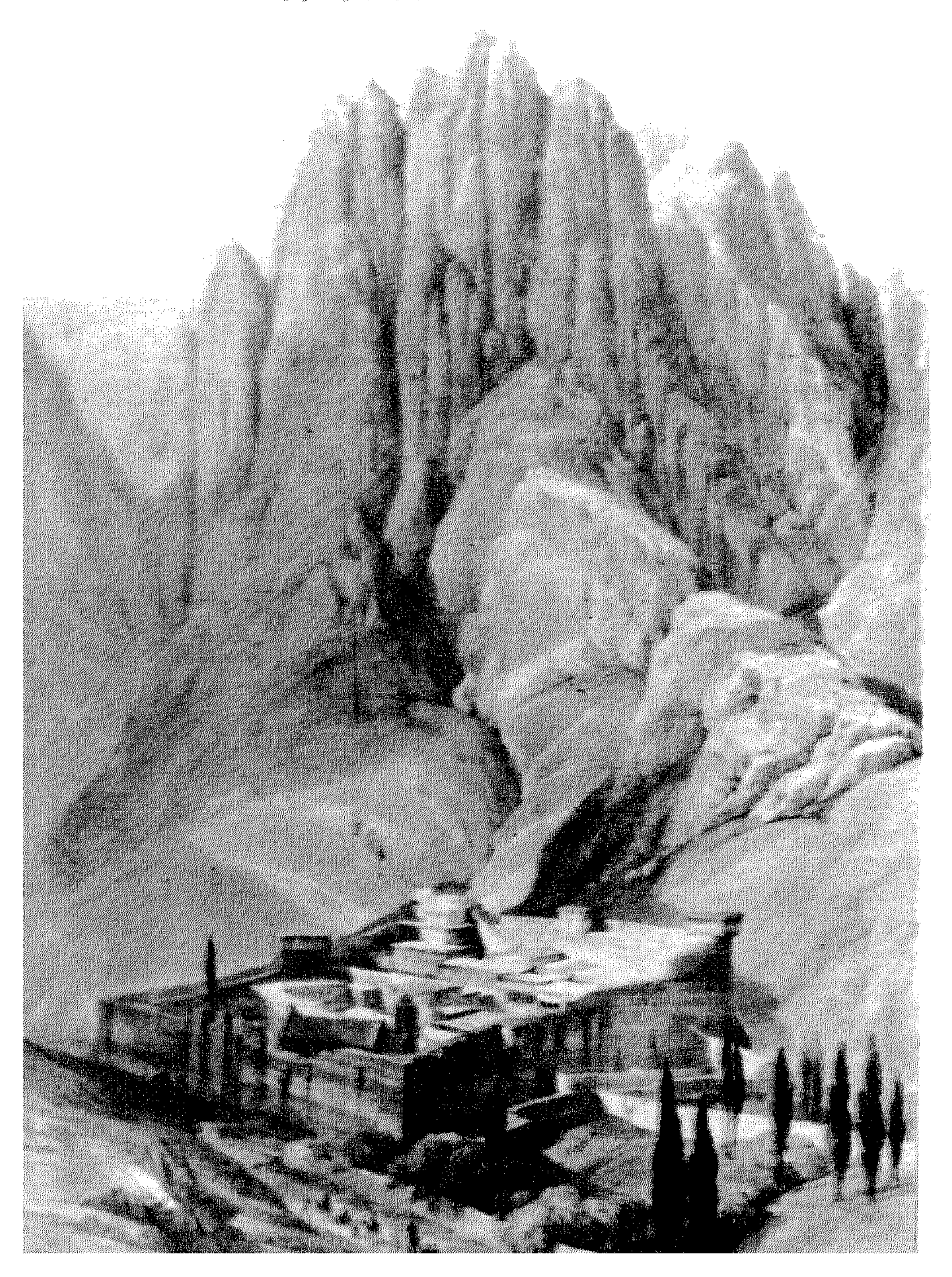


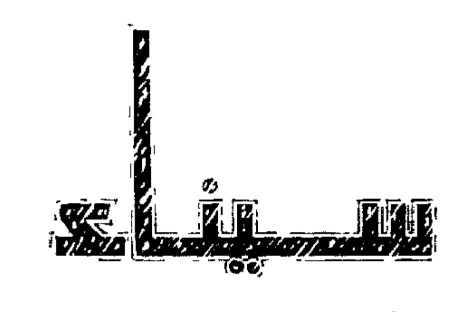
خففت السيارة من سرعتها . وتوقف الغناء . سمعنا وجيب باطن الأرض . همس السائق كأنما يفضي إلينا سراً .. نحن الآن تحت مياه القناة ، كان مثلنا غير مصدق رغم أنه عبر هذا الطريق عشرات المرات . أنبوبة النفق تمتد منحنية بحيث لا نرى نهايتها ، نغوص فى الضوء الأصفر الشاحب ، كأننا نعيش فى اليقظة ذكريات ذلك الحلم الذى يعاودنا جميعا . عندما نسقط فى قاع مظلم بلا قرار ، ونصرخ دون صوت ولا نتشبث سوى بالفراغ . حلم مقتطع من ذكريات لحظة الولادة كما يقول علماء النفس . ولكن هذه لحظة ميلاد بالغة الخصوصية . نعبر فى زمنها الوجيز من قارة إلى قارة ، خطا وهميا على جسد الوطن ، ولكنه شديد التباعد يصل الوادى القديم بالأرض التى اكتشفنا فجأة مدى جدتها ..

ثم بدت سيناء فجأة . وهجاً من الرمل الأبيض الناعم .. وسماء لا تكف عن الاقتراب من الأرض . وجبالا بالغة الصرامة من فرط الصمت الذى يحيط بها ..

إيه يارمل سيناء .. كيف تبدو بعد مرور كل هذه السنوات ؟..

دير سانت كاترين رابض وسط الجبال . فيه صلابة الصخور ولانهائية الزمن





مازلت أذكر المرة الأولى التى رأيت فيها حفنة من رمل سيناء . مازالت الرعدة تهز كل خلية من خلايا جسدى . كنت طالب طب ضئيل الشأن .. أرتدى البالطو الأبيض خلسة . وأضع السماعة على أذنى فلا أسمع إلا "وشيشاً" غامضاً . ثم دوت حفارات الحرب عند الظهيرة . وبدأت على الفور عملية إخلاء المستشفى من المرضى التقليديين الذين كانوا يظلون تحت رحمتنا ـ نحن الطلبة ـ طوال العام ، حتى إذا جاءت لحظة الامتحان أصبحنا نحن تحت رحمتهم . ذهبوا جميعا وفرشت الأسرة بملاءات نظيفة . وجهزت غرفة العمليات . وبقينا ننتظر ضحايا دوى المدافع . ولم يأت الجرحى إلا فى اليوم التالى . ولم يكونوا جرحى بالمعنى الحقيقى . كانوا فى معظمهم يعانون من حالات الهستريا من جراء صدمة الحرب الأولى ، صدمة العبور ..

وكان الجندى الذى استلقى على السرير امامى أصغر منى سنا ، أسمر اللون تلك السمرة المصرية المميزة . جسده كله ينتفض ، لم يكن مصابا إلا ببعض السجاحات البسيطة . ولكن رعدته اصابتنا جميعا بالقشعريرة . كان يضم اصابعه الى بعضها ، ويضم ذراعه الى صدره ويبكى فى رعب ، وهو يضم أسنانه الى بعضها محاولا التماسك . كانت هناك حالة من الفوضى والهلع قد أصابت عالمه الهش . ولعل منظر الدمار المفاجىء قد أحدث شرخاً فى أعماقه . حاولنا أن نفرد ذراعه أو نفك أصابعه دون جدوى . وكان لابد من استعمال المخدر لعل جسده يسترخى ويحصل على شىء من الراحة . وعندما سرى المخدر فى عروقه أخيراً بدا أقل سمره وأصغر سنا . واستطعنا أن نفك أصابعه ..

لم يكن بها إلا حفنة من الرمال ، رمال بيضاء .. ناصعة البياض ، فيها قليل من ذر البارود الرفيع . استكان فى شقوق يديه وتعرج معها وبدا كأنه طبقة باهتة من الخلايا فوق خلاياها .. كانت هذه هى الذرات الأولى من رمل سيناء . مددت أصابعى الى كفه وتناولت بعضاً منها وتحسستها بهوادة . رأيته وهو يثب فوق هذه الارض المحرمة عبر فوهات النار ، وهو ينحنى ويحاول التشبث بهذا الرمل المنسرب . كان الجندى قد ظفر بابتسامة مريحة أخيراً وكف جسده عن الارتعاد ، وبكت الممرضة الواقفة بجوارى فى صوت خافت وواصلت تحسس الرمل وقد بدا الموقف كله غير واقعى .. تماما كتلك اللحظة الذى تعبر فيها السيارة أرض سيناء والتى نقف فى حضرة رمالها للمرة الثانية . تلك المثلث المقلوب الذى لم يخفت ذكره أبداً ..

ليست أرضنا جبلية كما تبدو .. ولكنها منبسط من الأرض تنبثق منه الجبال . تحاصرك بذلك الجمال البدائى الخشن ويبدو الزمان من خلالها موحشا وبلا نهاية .. ولا تكف الصخور عن التلون .. ولا عن التشكل ، تقيم عالمها الخاص من الصخر .. أناسا وحيوانات واشجاراً صخرية صامتة وأبدية ميثولوجيا العالم القديم تربض وسط هذه الوديان .. كلها آهلة بالقصص والحكايات رغم خلوها من

البشر . والرمال التى تطمس كل شىء لم تستطع أن تطمس معالم التاريخ ، إنها ليست صحراء عادية بكل المقاييس ، فالكتب المقدسة وهدير آلات الحرب الحديثة زادت من رهبة هذه البرية الموحشة .

قديما قال عنها أحد الحجاج المسيحيين . كل يوم .. وربما كل ساعة تقودك سيناء إلى أرض جديدة لها طبيعة مختلفة وتربة مختلفة وحالة مختلفة من حالات الطقس ، ومع مرور الجبال والتلال واختلاف الشكل واللون تجد نفسك فى حالة دائمة من الدهشة عما تتوقع أن يكون فى الخطوة القادمة ..

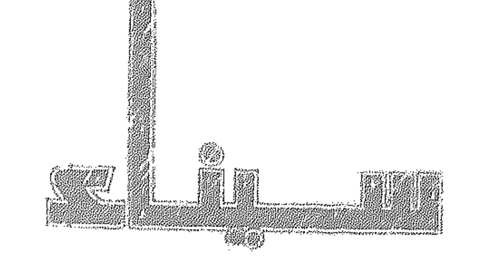
وقال عنها الكسندر ديماس الابن فى كتابه انطباعات من مصر والصحراء العربية . "إنها منطقة مليئة بالشعر والسحر والوحشة .. ولا يوجد مكان يترافق فيه الجمال بالخوف مثل هذه المنطقة .."

● الوقوف فى حضرة الماضى البعيد

الصخور الصامتة هى شواهد لكل الأقدام التى عبرت هذه الأرض .. كل الغزاة الذين جاءوا إلينا مروا من هنا وأصبحت صخور سيناء شاهدة على انكسار الموجة إثر الموجة ، هنا اختلطت الاسطورة بالحقيقة ، وشربت الرمال العطشى من الدم أكثر مما شربت من الماء . ولم تكف الشهب عن التساقط فوق قمم الجبال . وربما كان علينا ونحن نعبر سيناء أن نتعقب آثار هؤلاء الغزاة .. ففى هذه الرحلة الغريبة تتخلى الصحراء عن صمتها وتبوح بشهادتها الصخرية

منذ بداية التاريخ وهذه الأرض تتعرض لموجات لا تهمد من الغزاة .. مر على ترابها حوالى خمسة عشر جيشا من شتى أمم الأرض .. تركوا آثارهم فوق كل صخرة ، وربما كان الدم هو التاريخ المشترك فى كل هذه الغزوات ، إنه موقع متميز وتعيس بين الشرق والغرب . خلف رماله ترقد الجائزة الكبرى وحلم كل غاز . يرقد الوادى . ومن المؤكد أن الفترة الوحيدة التى لم تعرف غزاة لهذه الأرض هى فترة ماقبل التاريخ .

ولكن الغزاة لم يكفوا من أول الهكسوس حتى الإسرائيليين عن تدوين تاريخهم الدموى ، ولا يوجد فرق كبير بين أول الغزاة وآخرهم .. فعندما قام الهكسوس بغزو مصر وجدوا أعوانهم الطبيعيين من اليهود الذين كانوا يسكنون شمال سيناء فى ذلك الحين .. بل وتقول بعض الأبحاث التاريخية إن الهكسوس هم بعض فصائل العبرانيين .. وكأن مؤامرة تقسيم الغنائم مازالت مستمرة عبر كل هذه القرون السحيقة . على مدى قرن من الزمن حكم الهكسوس مصر ثم طردوا على يد أحمس من نفس الطريق الذى جاءوا منه .. تركوا أثراً وحيداً فى سيناء هو معبد للاله هاتور إله الفيروز ومازالت اثاره باقية فى سرابيت الخادم .. اسم سيناء نفسه اسم أشورى .. وهو مشتق من اسم الاله "ش" اله القمر عند الاشوريين . كانوا هم أيضا إحدى موجات الغزاة التى لم تنقطع .. جاء الحيثيون والبابليون والفرس واليونان .. موجات متعاقبة كأنها ضربات معاول لا تنتهى .. تهوى على جدران الفراعنة الصلدة حتى تصيبها بالوهن والتحلل . كأن هذه الحضارة



رهبان وجبالية جمعتهم الوحدة والعزلة رغم اختلاف الدين



الغربية التى نشأت على ضفاف النيل لم تدع لها البشرية اى فرصة حتى تقول كلمتها الاخيرة ..

لا احد يعرف على وجه الدقة اسم الفرعون الذى طارد موسى وقومه حتى أرض سيناء ، ولكن من المؤكد أنه

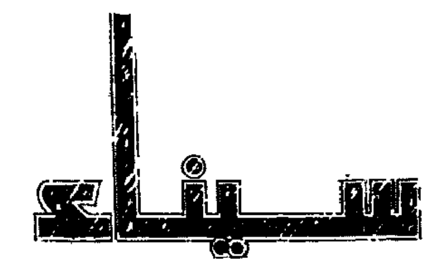
السلم الحجرية المؤوية الى القمة المقدس ..



الفرعون الذى حظى بأكبر قدر من اللعنات فى كل الكتب السماوية .. ولكننى أشعر – بعد مرور كل هذه الأحداث المعاصرة – بالرثاء له . كم كان محقاً ، ومهما كانت نوعية العقاب الذى تلقاه فإنه لم يكن أمامه سوى أن يفعل مافعله بالضبط .. لقد استوطن اليهود الأرض التى استضافتهم فى سنوات المجاعة . ثم تحكموا في تجارتها مع الشمال . وسلبوا أموال أهلها بالربا ، وتعاونوا مع أعدائها القادمين عبر الحدود .. ثم سرقوا ذهب جيرانهم وهم يستعدون للهرب خلف موسى .. ماذا كان عليه أن يفعل ..؟!.. لم يكن أمامه إلا أن يطاردهم .. وسواء كان هذا الفرعون هو رمسيس الثانى الذى أطبقت عليه مياه البحر أو أنه لم يمت ولكن الصدمة زلزلته ثم طهرته وعاد ليبشر بدين التوحيد وسمى نفسه إخناتون .. سواء كان هذا أم ذاك فإننى أرثى لهذا المصرى الوحيد الذى نجح فيما قام من أجله لخلصنا من الورطة المعاصرة التى نجد فيها أنفسنا الآن ..

ثم جاء الرومان وادركوا بحسهم العسكرى اهمية هذه الرقعة من الأرض وأنشاوا فيها سلسلة من الحاميات الصغيرة بين كل واحدة والاخرى اربعة عشر ميلا هى مسيرة اليوم الواحد للجيش الرومانى .

ثم جاء العرب أخيراً .. كانت الحضارة الفرعونية قد ماتت .. والبطلمية شائخة .. والرمال من كثرة الاقدام التى وطئتها لم تعد تحس بالألفة حتى جاء العرب يحملون اليها دفئا روحيا جديداً وكان بدو سيناء – الذين عبروا اليها من خليج العقبة – سعداء باستقبال ابناء عمومتهم فاعتنقوا الاسلام على الفور ، بما فيهم قبائل الجبالية ذات



الأصول الرومانية والتى كانت قائمة على خدمة دير سانت كاترين ..

الصليبيون جاءوا أيضا . ومنذ أن استولوا على بيت المقدس وهم يحاولون عبور صحراء سيناء إلى مصر .. واحد منهم هو "الماريك" ملك بيت المقدس حاول أن يغزو مصر أربع مرات .. وقطع طريق الحج حوالى تسع مرات .. وعندما تولى صلاح الدين حكم مصر بنى قلعة شهيرة فوق جزيرة فرعون بالقرب من خليج العقبة لعله يحمى هذا الطريق النازف وتعرضت القلعة فى فترة من فتراتها الى حصار صليبى قاس .. وقد مهد وجود هذه القلعة لصلاح الدين أن يعبر سيناء ويهاجم ملوك الصليب فى عقر ملكهم ..

ولم ينته موكب الغزاة .. جاء العثمانيون فى القرن السادس عشر . أطول كابوس استعمارى عاشته مصر .

فى العريش بقايا القلعة العثمانية التى استطاعوا منها أن يقفزوا على العقبة ومنها الى الحجاز . ومن الاتجاه المضاد عبر نابليون سيناء ذاهبا الى عكا . ثم عاد منها كسير الفؤاد . ولم يجل الترك عن سيناء إلا بعد أن اكتسحهم ابراهيم باشا وظل يواصل مطاردتهم حتى الحدود التركية .

ولم يغب الضوء عن سيناء .. شقت فى رمالها قناة السويس عام ١٦٩ وجاء الاستعمار البريطاني وداعبت سيناء أحلام تيودور هيرتزل فى نهاية القرن التاسع عشر عندما أراد أن يكون هناك وطن قومى لليهود ، ولكن المشكلة كانت أين يمكن أن يكون هذا الوطن ؟.. وأختار شمال سيناء بما فيه مدينة العريش والساحل الممتد على البحر المتوسط حتى بحيرة البردويل ووافق الانجليز بل وأرسلوا بعثة مكونة من اليهود والبريطانيين للمنطقة فى عام واكتشفوا أنه من الصعب توفير إقامة مثل هذه الدولة .. وقفزت الأحلام الصهيونية إلى فلسطين على الفور

● الوقوف فى حضرة الجرح القريب

"كان خطأ اسرائيل بترك سينا يعوض .. لقد فقدت عمقها الاستراتيجى . وفقدت مصدرها المجانى من البترول والمعادن . وفقدت الأرض التى تحمل لها إمكانية التوسع وبناء مجتمعات صهيونية جديدة . وفقدت الأرض التى تفصل بين الشرق والغرب . وأعطت الفرصة لمصر لكى تطل لما هو أبعد من وادى النيل ..

لامست السيارة الرمال فبدت اثار المعدات المحطمة وبقايا آخر التحصينات .. تذكرت هذه الكلمات التى نشرت فى أحد التقارير عن استراتيجية اسرائيل .. أدركت فجأة وبحدة أن الحرب قد توقفت مؤقتا فقط .. فى أماكن متفرقة شاهدنا العلم البرتقالى للقوات المتعددة الجنسيات .. وبقايا آخر البصمات الاسرائيلية .. الطرق . القرى السياحية .. النصب التذكارى .. كان الأسف الاسرائيلى باقيا . حتى على أطلال ياميت .. وبدا كأن هذا العلم البرتقالى .. والبراميل البرتقالية .. وكل شىء يحمل هذا اللون ، مهمته أن يبقى سيناء مرهونة حتى تتخلى اسرائيل عن أسفها وتقرر اقتطاع رطل اللحم الذى أحلت قطعه مؤقتا . كان الطريق الأسفلتى الأسود الذى يقود الى كل مدن سيناء

الرئيسية قد قام الاسرائيليون برصفه

بصمات آخر الغزاة تبدو أوضح ماتكون
شرم الشيخ . المباني .. الفنادق
سيم الشوارع والأراضي التى لم تعمر بعد .. قبل حرب ٦٧ لم تكن شرم الشيخ أكثر من قرية صيادين على حافة الخليج ، لكنها الآن نواة مدينة يمكن أن تكون واحدة من أجمل وأهدأ مدن الأرض . ولا تعزف الى أى شيخ من شيوخ البدو ينتسب الأسم .. ولكنها اكتسبت أهميتها الدراماتيكية من كونها أحد أسباب حرب ٦٧ ، ومازالت هناك منطقة بالقرب منها تدعى مدافع عبد الناصر وهى المنطقة التى نصبت فيها المدافع التى كان من المفروض أن تسد خليج العقبة . وقد أحسن الاسرائيليون بيعها للسائحين كما أحسنوا بيع قطعة مشوهة من الصخر ادعوا أنها تشبه رأس "كيندى" ..

المنطقة هادئة الآن .. والشاطىء ناعم على حافة الخليج يشكو قلة الرواد .. والسائحون غريبو الهيئة .. "المتسخون منهم من اليهود بالتأكيد .." أكد لى ذلك أحد البدو .. ولقد وجدت اعداد هؤلاء السياح المتسخين أكثر فى دهب . الصوره مختلفة الأن طبعا عما كانت هذه المنطقة عندما كانت تحت الاحتلال الاسرائيلى ..

انحسرت شواطىء العراة الآن وأخذت لها اماكن مختبئة فى حضن الجبل .. واختبأ السياح المتسخون فى عشش القش واكواخ الصفيح وظهر نمط من رجال البدو يستغل الشواطىء بطريقته الخاصة .. يؤجر العشش ويقبض بالدولار والشيكل ، ويجهز الشاى للمصريين ويعزف لهم على ربابته المكونة من عصا وعلبة صفيح ويقبض بالجنيه المصرى ويبيع الأصداف البحرية ويهرب المخدرات ويؤمن أن للصحراء قانونها الخاص الذى لا يتبع أى قانون .. التواجد الاسرائيلى فى سيناء محسوس فى مثل هذه المناطق .. بعد الجلاء مباشرة حدثت أول جريمة قتل ولا تزال سيناء كلها تتحدث عنها .. اختفت فتاة اسرائيلية بعد أن عبرت منفذ الحدود الضيق عند طابا . وعلى الفور سارعت إسرائيل بإتهام السلطات المصرية بأنها اختطفت الفتاة . كانت العلاقات مازالت هشة بين الجانبين .. وعندما بحثت مصر عن الفتاة الضائعة دون أن تجدها تصاعدت حدة الاتهامات .. كان حل اللغز موجوداً فى تلافيف تل ابيب وليس فى رمال سيناء فقط .. فقد أرسلت اسرائيل تسأل بعد ذلك عن شخصين إسرائيليين قد دخلا سيناء فى نفس الفترة التى دخلت فيها الفتاة وغادرا البلاد بعد ذلك ، وكان هذا ثابتا فى السجلات المصرية .. وطلبت اسرائيل الإذن بالدخول الى سيناء لمعاينة مسرح الجريمة كان الشخصان مقيدين بالسلاسل .. وكانت هناك جريمة حاولا أن تكون كاملة .. فالفتاة كانت الشاهد الوحيد لجريمة قتل .. أو ربما جريمة تهريب .. قامت بها جماعات الجريمة المنظمة داخل اسرائيل ، وكان القرار هو التخلص من الفتاة ولكن ليس داخل حدود اسرائيل الضيقة حيث يفتح البوليس الاسرائيلى عينيه جيداً ، وهكذا تم استدراج الفتاة بواسطة الشابين بدعوة قضاء أيام جنسية حافلة على رمال نويبع الدافئة .. وبدلا من المتعة كان الموت فى انتظارها .. وعندما

جبـل سيـناء   هـنا اقتـربت الارض مـن السماء الى حد لم يحدث فى اى مكان اخر

القوافل خارجة من مدينة العريش والمجهول ينتظرها فى الصحراء

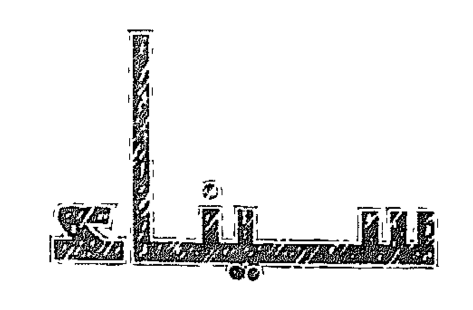
آخرجت الجثة كان هناك ثلاث طعنات واضحة فى صدرها **وانتهى لغز الفتاة المختفية وآدركت آسرائيل آن قاتليها قد حافظا على التقاليد وهى ارتكاب الجريمة الاسرائيلية خارج آرض آسرائيل - هذا إذا كان لها آرض آصلا - ولست آدرى هل يمكن آن يأتى يوم تطالب فيه اسرائيل بإقامة نصب تذكارى للفتاة آسوة ببقية جنودها الذين قتلوا فى سيناء** " ..

● الوقوف فى حضرة [illegible]

ولكن آلغاز سيناء لا تنتهى تقودنا إليها الطبيعة الزلقة آحيانا ونحن ننحدر إلى وادى التيه الرهيب هنا حيث ضاع اليهود لمدة أربعين عاما كما تروى الميثولوجيا الدينية من أجل لحظة من الشك ولكن . كيف تم العبور . هل حدثت المعجزة فعلا وانشق البحر أم آن هناك سببا منطقياً آعطته الطبيعة المراوغة التى لا تبوح بأسرارها .

على أية حال هناك طريقان لهذا العبور الطريق التقليدى الذى ذكرته التـوراة والكتب المقدسـة . الطريق الجنوبى ، لقد عبر موسى وقومه من مكان ما على البحر الأحمر يرجح آنه عند نقطة "ضيقة" فى البحيرات المرة بالقرب من مدينة الاسماعيلية حاليا ثم ساروا جنوبا مع ساحل البحر الأحمر الى وادى فيران وهو آشبه بواحة مليئة بالخضرة والنخيل .. ثم استمر سيرهم إلى طور سيناء المكان الذى تحدث فيه موسى مع ربه وشاهد شجرة العليق ، ثم واصلوا السير إلى واحة قاديس وهناك حدثت لحظة الشك المؤلمة سأل الله آن يفجر له الآرض بالماء وعندما تآخرت الاستجابة ضرب موسى الصخرة بعصاه فى نفاد صبر . وقد كلفته هذه الضربة آربعين عاما من التجوال فى وادى التيه .. لقد طمرت عين الماء المتدفقة فى واحة قاديس .. ثم اكتشفت من جديد عندما كان احد البدو يستريح فى ظل صخرة فإذا الماء يتدفق منها معيداً ذكرى موسى ورحلة التيه .

هذه هى الخطوط العامة للنظرية التقليدية للعبور . ولكن علماء الأديان ظلوا يبحثون دائما عن سند من الواقعية لهذه الرحلة عبر البحر .. لم يصدق بعض العلماء المعاصرين - وهم بالمناسبة يهود أيضا - حكاية شق البحر بواسطة العصا ، لذلك ظهرت النظرية الأكاديمية التى تؤكد آن اليهود لم يعبروا البحر الأحمر على الإطلاق . لقد صعدوا شمالا حتى بحيرة البردويل على ساحل البحر المتوسط وهناك ساروا على شريط رملى ضيق ، يفصل بين البحر والبحيرة وآثناء العواصف تعلو الأمواج وتصبح مياه البحر كتلة واحدة تخفى تحتها ذلك الشريط الرملى ، لقد عبر اليهود آولا .. وعندما حاول فرعون آن يتبعهم انهارت الرمال تحت ثقل المركبات الحربية .. واستطاع موسى ان يواصل سيره شمالا الى جبل هلال ثم الى واحة قاديس .. ويؤكد العلماء آن نظرية العبور من الشمال هى الأكثر منطقية فبقايا المن والسلوى لا تزال فى المنطقة .. المن هى درنات مسكرة فى باطن الأرض .. والسلوى هى طيور السمان التى لم تنقطع هجراتها الى المنطقة ..



وسيناء تقودك بطبيعتها التى لا تعرف العشوائية الى آخر وديانها .. وادى الراحة . الراحة من المتاهات ومن القيظ ومن التجوال الصحراوى الخشن .. قلب العالم .. وحافة السماء .. هنا صعد موسى وهبط حاملا الألواح .. وهنا آثار أقدامه . وعلى صخور الجبل رسم غريب للثور الذى آثار فتنة بنى اسرائيل وما أكثر فتنهم .. وهنا أيضا يقال إن محمداً (ص) قد مر فى سنوات القوافل الأولى . وهنا يرقد قبر نبى صحراوى غريب يدعى النبى صالح . وهنا وجدت رفات القديسة كاترينا وامتدت الكاتدرائية بل مافيها من رهبان متوحدين يتحدثون العربية بلكنة غريبة وتغلب عليها النبرات اليونانية .. هنا تركت الاديان السماوية الثلاثة بصماتها فى تلك البقعة النادرة من الأرض . هنا أراد الرئيس السادات أن يبدأ مشروعه ببناء مجمع الأديان ولم يبق من ذلك الحلم إلا البيت الضيق المصنوع من الالمونيوم والمفروش بالسجاد المتسخ ولا يحتوى من الأثاث إلا على التسيتة الزجاجية التى كان يسرى بها عن نفسه فى أوقات الاعتكاف

عمر الدير الآن يبلغ أربعة عشر قرنا من الزمن الطويل . قاوم قسوة الطبيعة والعزلة وحفر الرهبان الآبار وجمعوا مياه المطر وفرضوا وجود الكنيسة وسط البرية الشاسعة ولم ينقطع رنين اجراسهم منذ ذلك الزمن الامبراطورة هيلانه زارت المنطقة بنفسها وصعدت الجبل العالى ووضع الامبراطور الاسوار العالية حول الدير لحمايته وآوفد بضع عائلات من بنطس والاسكندرية كى يقيموا بجوار الدير ويقوموا على خدمته .. كان هؤلاء هم بذور قبيلة "الجبالية" التى يتميز أفرادها عن بقية البدو بعيونهم الملونة واطوالهم الفارعة ..

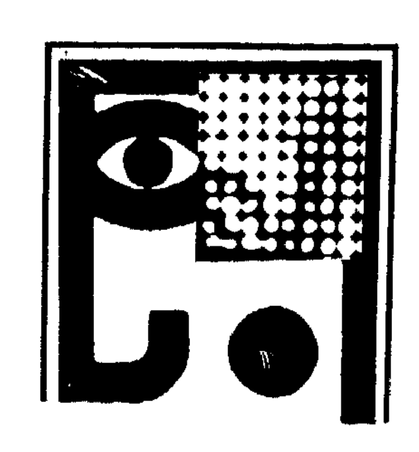
الدين حاضر فى المكان والاسلام حاضر أيضا وسط الدير . على هيئة مسجد صغير بناه عمرو بن العاص يقال إنه فى نفس المكان الذى مر به النبى محمد (ص) فى طريقه مع قوافل مكة . الكتاب الذى يحكى تاريخ الدير يقول إن هذا المسجد قد بنى فى فترة عصيبة مر بها الدير .. ربما كان الامر كذلك .. وربما كان الاسلام هو الذى حمى هذا الدير وآعطاه حياة جديدة فى وجه البربرية القادمة من جوف الصحراء .. لقد توافدت صنوف الغزاة عليه . وكتاب الدير يصفهم وصفا محايدا إلا أنه يذكر العرب بـ "الاحتلال العربى" واللفظة تبدو غريبة فى سمعنا نحن العرب الذين اعتدنا أن الدير وبقية الاديرة جزء من رحلة الإيمان التى قطعها شعبنا . وعلى مايبدو فالدير ليس حزينا لدرجة كبيرة على هذا الاحتلال . فهو أكثر حزنا على سقوط القسطنطينية على يد الاتراك (المسلمين ") ومازالت هناك شمعتان ملونتان بالغتا الضخامة أهداهما قيصر روسيا للدير ولكنهما لم توقدا حتى الآن فى انتظار تحرير القسطنطينية .

والدير احتل مكانة فى معتقدات البدو الذين يحيطون به يؤمن البدو أن لدى الرهبان كتابا إذا فتحوه هطل المطر .. وإذا أغلقوه توقف المطر أما إذا انحدرت السيول من أعلى الجبال فهذا يعنى أن الرهبان قد تركوا الكتاب مفتوحا .. وفى أحد هذه السيول فقد أحد البدو منزله وأثاثه ، فما كان منه إلا أن أخذ بندقيته وأطلق النار على الدير لعل الراهب يستيقظ ويغلق "كتاب

وفوق الدير يرتفع شامخاً طور سيناء الشهير .. ومن فوق قمته يبدو المنظر نادراً وغريبا . ففى لمحة واحدة ترى خليج العقبة وخليج السويس . وتنساب الريح كأنها لكمات غامضة قبلت ذات لحظة فى الزمان ولم تتبدد أصداؤها .. وسواء أكان المرء مؤمنا أم لا فإن الوقوف على هذه القمة التى اقتربت فيها الأرض من السماء إلى حد لم يحدث فى أى مكان آخر فى العالم يبعث بالرعدة وبمفعول السحر فى النفوس .. قمة الجبل مزدحمة بالمزارات والتذكارات الغريبة هناك كنيسة صغيرة تسمى كنيسة البراغيث ، وهى تحكى عن فترة من حياة الدير امتلأ فجأة بالبراغيث وهرب الرهبان إلى القمة وبنوا هذه الكنيسة وظلوا بها إلى أن جاء لهم الهاتف أن الدير قد أصبح نظيفا فعادوا اليه . هناك أيضا الكهف الذى كان يتعبد فيه النبى إيليا قبل أن يعود الى فلسطين ويجتاز نهر الأردن ويدفع حياته تمنا لكلمته هناك اثار أقدام يقال إنها أقدام النبى موسى أو أقدام النبى صالح أو أقدام النبى محمد فى بقعة مثل هذه يمكن أن يمر العديد من الانبياء أغرب الموجودات على الاطلاق هى بقايا قصر الخديو عباس كان الخديو معتل الصحة يعانى من الخوف والتردد وعندما نصحه الأطباء بالبحث عن مكان يستنشق فيه الهواء النقى فكر فى سيناء . وكما تقول الروايات وضع الخديو قطعا من اللحم فى أماكن متفرقة من سيناء ليرى أى قطع اللحم سوف تصمد حتى النهاية دون أن تفسد وفسدت كل قطع اللحم إلا الواحدة التى كانت فوق قمة طور سيناء . وبنى الخديو القصر فى هذا المكان وفى نيته أن يعتزل الحكم ثم مالبث كعادة معظم الحكام المصريين أن تراجع فى كلامه بعد أن وجد أن نشوة الحكم المطلق أشد إثارة من الصحة الجيدة ترك القصر دون أن يكتمل وعاد للعرش وقتل فى الحريم على يد غلمانه الذين كان يفضلهم على حريمه وكانوا هم يفضلون حريمه عليه ..

إلى متى يمكن أن تتواصل حكايات الصخر والرمل ؟!

الطبيعة ليست صماء .. والجبال ليست صامتة .. وسيناء تصرخ فينا حتى نستعيدها بالفعل وليست على الخارطة . ربما كان علينا أن نفكر فى معجزة ما .. حتى يذهب الفلاحون الى سهولها ويزرعوا القمح .. وربما كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لاستعادة سيناء



قضايا و مواقف

مذكرات سعد زغلول وأزمة الحوار

بقلم: عبد الله خيرت

يتوقع قارىء ((الهلال)) ان يجد نفسه دائما احد المشاركين فى مناقشة القضايا المهمة التى تطرح على صفحاته ، ذلك ان تلك القضايا فى الغالب ترتبط بهموم الوطن واحلامه ، وتطمح الى تصحيح المفاهيم الزائفة ، وتحاول تشخيص المشكلات التى اخذت تلتف حول رقابنا .

هكذا حدث لى منذ شهور وانا اتابع من خلال «الهلال» قضية ٥ يونية ، التى بدأ الدكتور فؤاد زكريا الحوار حولها ، بعد ان اصبحنا على بعد كاف ، من احداثها المزيفة والحقيقية ، يتيح لنا الرؤية الصحيحة والمناقشة الموضوعية الهادئة . ولم اكن اترك حلبة النقاش المثمر هذه ، او على الاقل اسد اذنى ، الا حين كان الاستاذ محمد عوده يتحدث ـ متصورا اننا لا نزال نخوض فى الدماء وان المعركة مستعرة .

ورغم ذلك كنت أرى ان هذا من طبيعة الامور فى زمن اختلط فيه الحق والباطل ، زمن « لا يعرف فيه مقتول من قاتله ومتى قتله » كما يقول صلاح عبد الصبور فى الستينيات ، فما بالك لو كان معنا الان ؟ وكنت اقول لنفسى انه لابد ان نجد وسط المناقشة الجادة التى تستهدف خير الوطن بعض الضجيج ، ولابد ان يكون بين من يطالبون بحق الكلام معترفين بأنهم قد يخطئون ، بعض الذين يحرمون الكلام تحريما مطلقا سواء كان خطأ او صوابا . والمهم فى النهاية ان تستمر المناقشة ، لانها اذا استمرت ستصل الى نتيجة هى بالتأكيد لصالح هذا الوطن الذى نحبه جميعا ونسعى لخيره .

الاستاذ عبد الله خيرت يعمل مديرا لتحرير مجلة ابداع

ولكنني فوجئت وانا اتابـــع فى العدد الماضى مسألة مذكرات ســـعد زغلول ، اذ ادركت ان الحوار اصبح مستحيلا ، وان الازمة اكبر بكثير من ان يتصدى لحلها اساتذة جــادون مدركون لمسئوليتهم محبون لبلادها ومشفقون عليهـا مثـــل : زكى نجيب محمود وفؤاد زكريا وشكرى عيـاد واحمد عبد الرحيـم مصطفى ، فكيف تسمع اصواتهم الو'هنة ، التىتعتمد على قوة الحجة وحدها ، وســـط هذا الصخب الاجوف ؟ وكيف تثمـر دعوتهم الى التجرد والموضوعيـــة ونشدان الحقيقة اذا كانت تضيع هباء حين يطغى عليها صراخ من يعشقون ذواتهم ويتعـــالون على الاخـــرين ويستهينون بعقل القارىء ؟

هذه فقرات من « الحوار » او مـا
معته الهلال تحت عنوان قضـــايا
قف بالعدد الماضى ، ان الكـاتب
على مقال سابق فى عدد مارس
ل انه لم يكن ليرد على ذلك المقال
بين :

« الاول : هبوط مسـتوى المقال ـ السابق ـ الى ما دون مستوى المناقشة والثانى : انعدام الندية والكفاءة »!!

« .. كنت على يقين من اننى سوف انال نصيبى من الافتراء كما نـــال سعد زغلول » !!

« .. ناهيك عن التطاول على من هو اعلى درجة ووظيفة علمية ولكـن ليطمئن ـ انه لن يرفع على صاحبـه قضية قذف ـ فحتى الحـــــوار امام محاكم القذف يتطلب حـدا ادنى من الندية والكفاءة ـ مـرة ثانيـة !! وهذا القدر غير موجود فى حالتنـــا هذه .. » !!

« ولكنه رغم ذلك يتجرأ فيتطـاول على استاذ ورئيس سابق لقســـــم التـاريخ وعميـــد ســــابق لكلية التربية » !!

وكل هـــــذه « السـوابق لم تخفف من حدة الاستاذ وانفعاله كما هـــو متوقع ، ولم تسلمه الى هذا الهـدوء الذى يتحلى به شيوخ العلماء بعد ان خبروا الحياة والناس ، ولم تقنعـــه وهو الذى يقرأ التـــاريخ ان « الكل باطل وقبض الريح » ، وان الحيـاة كلها حكاية تافهة ، وهذه الحقيقـــة على بساطتها لا ندركها ـ للاسف ـ الا فى النهاية ، فلو كنا نملك حكمـة الشيوخ وهدوءهم وتجـــــردهم ، لاستطعنا ان نبنى حياتنا بطـــــريقة افضل .

ولكن الدكتور عبد العظيم رمضان ـ على عكس ما هو متوقع من امثاله من الشيوخ ذوى الخبرة يفاجئنـــا بهذه الحدة التى تضيع الحقيقـة فى صخبها وبهذا التعالى الذى لامبرر له، فيرى ان الدكتور عبد الخالق لاشين ليس ندا له ، ولماذا ملأ حـوالى مائة صفحة فى مقدمته عن مذكرات ســـعد زغلول ليرد عليه ويفجر بذلك هـــذه المشكلة ؟ واذا كان هذا الرجل ـ وهو دكتور مثله ، وكل الفرق بينهمـا ان الدكتور لاشين استاذ مسـاعد اما الدكتور رمضان فهو استاذ سابق ـ اذا كان ليس ندا وليس كفئا ويهبـط مستوى كلامه الى ما دون مســتوى المناقشة ـ انها ازمة لغة عربية ايضا وليست ازمة حوار فحسب ـ فماذا يقول الدكتور عن صلاح عبد الصبور الذى لم يكن استاذا سابقا ولا مساعدا ولا مدرسا ولا معيدا ؟ وما رأيه فى امثالنا من القراء المساكين وبعضنـا لم يكمل تعليمه المتوسط ؟

وهل يليق باستاذ سابق او حـال للتاريخ او لاى مادة اخرى ان يعزى نفسه بقوله انه ليس اول من تعـرض للاذى واول من افترى عليه ، فقـــد حدث هذا لسعد زغلول من قبل ؟ سعد زغلول يا دكتور عبد العظيم محمـــد

رمضان ؟ كأنك تريد ان تقول لنا ان قراءة التاريخ عبث ، واننا لا يمكن ان نتعلم ، وان امثال قطز واحمد عرابى وسعد زغلول وغيرهم من الذين حملوا رءوسهم على أكفهم وتقدموا الصفوف بثبات كلفهم حياتهم يشبهون أولئك الذين يغيرون مواقفهم وآراءهم ويميلون مثل عباد الشمس - مع كل اتجاه ، وان دراما التاريخ الدامية يتساوى ابطالها وصانعو احداثها مع الكومبارس والمتفرجين القابعين فى الظل .

● اين التطاول

ومع ذلك ، فأين « التطاول على من هو أعلى درجة ووظيفة علمية » ؟ رجل يناقشك هو « واستاذه » - الذى كان استاذك ايضا كما قلت فى كتابك الحركة الوطنية - فى انك تركت الحديث عن المذكرات وهى صلب الكتاب وأخذت تفند ما وصل اليه من نتائج وتتهمه فى امانته العلمية وكأنه هو الوحيد الذى كتب عن سعد زغلول، ثم يدفع عن نفسه وعن استاذه واستاذك السابق تهمة انهما كانا من حملة المباخر لثورة يوليو التى استشفها من خلال كلامك . فأين التطاول هنا ؟ وهل يستحق كل من يناقشك ان تكيل له التهم وتذكره بانك « وطنى » ؟ وكيف يحدس الدكتور لاشين انك أخفيت - وانت تناقشه - اسمه الذى يعرف به خوفا عليه من طلبته وسقوط هيبته فى جامعة عين شمس ؟ كيف يرجم بالغيب فيعلم نيتك الطيبة وانت تجرحه وتسخر منه ومن عمله ؟ وما هذا الخوف من او على جامعة عين شمس ؟ الم تقرأ وانت المؤرخ الذى يطالع الوثائق عن قضية السرقة التى حدثت فى العام الماضى ووصلت الى المحاكم بل وصلت الى حد التحفظ على الكتاب موضوع السرقة ؟ ومع ذلك فلا الجامعة ولا اساتذتها ولا طلابها تعرضوا للاستاذ المتهم او وجهوا له اتهاما فاذا فعل الدكتور لاشين فعلك واكتفى بذكر اسميك الاولين قلت عن ذلك « .. وهو امر يثير السخرية والضحك حقا » حقا !! الم اقل انهما أزمة لغة كذلك ؟ .

● الحب فى قلوب الناس !

ثم يأخذ عليك الاستاذ - مع تقديره لعملك فى المذكرات - انك اوردت جملة ناقصة من كلام سعد صدرت بها المذكرات على طريقة « لا تقربوا الصلاة » وهو يصيب تماما او حقا كما تقول فى ملاحظته هذه ، لان سعد زغلول - وهو الذى درس فى الازهر - كان يعنى هذه الجملة تامة ويقصدها كلها ، الا اذا اخذنا باجتهادك المبنى على الظن

فكيف نجادلك وسعد زغلول لدس معنا لنسأله عما كان يقصده منهذه الجملة؟

لقد قلت فى المقدمة ان سعد زغلول كان يتردد فى شبابه على صالون الاميرة نازلى كاظم فلعله انساق فترة الى فعل ما كانت تفعله هذه الاميرة وضيوفها ، وامثال سعد زغلول لايعيبهم ان يخطئوا فى شبابهم ، والذى يبقى لهم فى قلوب الناس حب عميق صاف،لانهم يدركون الزيف من الحقيقة ، ولانهم يصدقون ان هذا الرجل الصامت عرض نفسه للموت - او ما نسميه باللغة العامية الوحية « للبهدلة » - من اجلهم .وقد حدثنى الاستاذ يحيى حقى همسا - حين كان الجهر غير مسموح به ونحن نرى جنازة عبد الناصر ، انه شهد جنازة سعد زغلول ورأى هذا الصمت البليغ لالاف الناس تقابله فى النوافذ والشرفات دموع صادقة تلمع فى عيون السيدات و الفتيات الصغيرات. بل لا ازال اذكر اننى كنت اجلس

طفلا مع الناس فى قريتنا امام الراديو حين سمعنا مصطفى النحاس يصيح « طلعوا الجدع ده بره .. طلعوه بره » ولم يفكر واحد منهم للحظة واحدة ان هذا الرجل العجوز الذى كان يتحدث بعد الغاء معاهدة ٣٦ يتعالى او يتسلط وفرق كبير بين هذا الموقف ومواقف السادات حين كان يضغط على حروف الكلمات الجارحة وهو يرد بالصوت والصورة على من يجرؤ على مراجعته فيقول يا ابنى .. انا .. انا .. انا علمتكم الصراحة .. مش الوقاحة.»

● الخطأ والصواب

ولذلك كان على الدكتور رمضان ـ وهو الذى يحب سعد زغلول كما يحبه الناس ـ ان يطمئن ويورد نص كلامه كاملا ، فقد سئم الناس حتى الموت من هؤلاء الزعماء المعصومين الملهمين الذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا النقص ، بل سئم الناس من هؤلاء الاساتذة المتعالين المغرمين بذواتهم الكاملة . ان الناس يحبون ان يروا بشرا مثلهم يخطئون ويصيبون .

وماذا سيقول الدكتور يا ترى ـ وعنده لكل اعتراض رد مفحم وتعبير وتذكير لمن يتعرض عليه بضالته ـ اى هذا المعترض ـ امام شموخه ، وقلة انتاجه وعدم جدواه امام ابحاثه الضافية ، وماضيه المتقلب امام ثباته وصلابته ـ ماذا سيقول اذا اكملنا ملاحظات الدكتور لاشين فقلنا انه ترك الكلام ناقصا وهو يشكر الذين ساعدوه فى اخراج هذه المذكرات ، فهو يقول « كما اشكر الباحثة هويدا عبد العظيم رمضان ـ لعله تشابه اسماء ـ المعيدة بكلية البنات بجامعة عين شمس ، والسيدة نعمات البربرى ، فقد ».. اليس هذا كلاما ناقصا ؟ الا يمكن ان تغضب السيدة نعمات البربرى من المحقق الذى لم يعطها ما اعطى زميلتها من تعريف وتحديد ؟ هل هى معيدة كذلك أو استاذة سابقة ، أو ربة بيت ؟

كذلك الا يمكن ان يغضب الدكتور محمد انيس رحمه الله ـ وقد كان وفديا وانضم الى حزب الوفد الجديد فترة ـ او على الاقل يعتب على الباحث حين يقارن بين كلام تلميذه عنه فى كتاب تطور الحركة الوطنية حيث يقول :

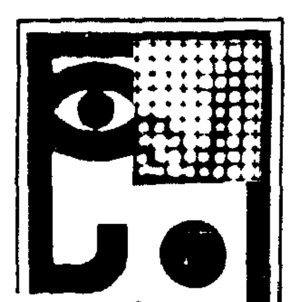
« .. لم يكن الدكتور محمد انيس استاذا ومعلما فحسب ، بل كان هاديا مرشدا ورفيقا كبيرا ..

ولم يكن صاحب هذه الرسالة للدكتور محمد انيس تلميذا فحسب بل كان متأثرا مؤتمنا .. بل كان مريدا .. »

وبين كلامه فى مقدمته لمذكرات سعد زغلول حيث يقول : « .. معترفا باننى لم أكن فى حاجة الى توجيه فى هذا الاتجاه او تأثير من الاستاذ المشرف ـ يقصد الدكتور انيس ـ بل لعل التأثير من جانبى كان اقوى بحكم امتلاكى الادلة التاريخية المستندة الى الوثائق الدامغة » .

فكيف ـ هكذا سيعاتبه الدكتور انيس ـ لم تكن بحاجة الى توجيه وانت الذى تقول اننى كنت لك مرشدا.. وانك كنت متأثرا ومؤتما..بل ومريدا؟

نحمد الله ان سعد زغلول ليس بيننا الان ، والا زاد عذابه وتضاعف حزنه حين يجد أبناءه واحفاده يتنابذون بالالقاب ويفتعلون المعارك الوهمية وينشغلون بذواتهم غافلين عن هموم الوطن العزيز المقدس الذى احبه هو وظن انه اورثهم هذا الحب



قضايا
و
مواقف

تصحيح الأخطاء التي وردت فيما نشر من مذكرات سعد زغلول

احتراما للقارىء ، والتزاما بادب الحوار العلمي الــذي يهدف بالضرورة الى السعي نحو الكشف عن الحقيقــة ، وليس الانتصار على خصم لا وجود له . يسعدني أن اقدم للقارىء العربي « عينة » من الاخطاء التي وقع فيها الدكتور عبد العظيم رمضان فى احدى عشرة صفحة فقط من الجزء المنشور من المذكرات تقع بين صــفحات ١٥٩ ــ ١٧٠ ، وليست كل ما ورد فيما نشر من اخطاء لان ذلك امر آخر ،

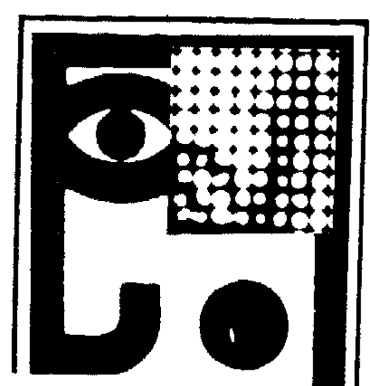
وتاكيدا مني واســتجابة لحصر الخلاف والناى به عن دائرة التقاذف والتهاتر الذى لا يخدم احدا او تعنية علمية او فكرية

اربا بنفسي عن الانسيــاق وراء الوقوع فى هذه الحلقة المفرغة . واترك للقارىء الكريم حق الحكم على اى منا كان اقوم سبيلا ، وانيا كان اكثر التزاما بالحقيقة او الابتعــاد عنها ..

د . عبد الخالق لاشين

صفحة المذكرات الخطية	صفحة الكتاب المنشور	الخطـــا	التصويب
١٩٧	١٥٩	لمن	
١٩٧	١٥٩	فيه	—
١٠٧	١٥٩	أحمد عزى	أحمد عزمى
		مليما قرشا	مليما قرشا
١٩٨	١٦٠	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
١٩٨	١٦٠	٣٣١	٢٣١
١٩٨	١٦٠	٢ ٢٩٢	٢٠ ٢٩٢
١٩٨	١٦٠	كمريرة	كورة
١٩٨	١٦٠	«	سعر قزاز
١٩٨	١٦١	٤٨٦١	٤٨٩٠
١٩٨	١٦٢	وانهم	مع انهم

صفحة المذكرات الخطية	صفحة الكتاب المنشور	الخطأ	التصويب
٢٠١	١٦٢	« »	لا وجود لهذه الاقواس في النص
٢٠١	١٦٤	ويظهر	يظهر
٢٠١	١٦٤	يقبل	تعين
٢٠١	١٦٤	الاشهر	أشهر
٢٠١	١٦٤	ابتدىء	ابتدت
٢٠١	١٦٤	تشكلت	شكلت
٢٠١	١٦٤	« .... »	موسيو دولبرغلو
٢٠٢	١٦٥	حققت	خففت
٢٠٤	١٦٥	مطلوبات العمارة	
٢٠٥	١٦٦	احمد بيك عزى المقاول	احمد بيك عزمى المقاول
٢٠٥	١٦٧	٣١	٣٠
٢٠٥	١٦٧	ثمن « ... »	ثمن خشب مفروز
٢٠٦	١٦٧	الخشاب	اخشاب
٢٠٦	١٦٩	ثمن أجرة	أجرة
٢٠٦	١٦٧	مناولة محمود أحمد عماله	
٢٠٦	١٦٧	الرخامين من اصس ثمن الرخام	الزجاجين من اصل ثمن الزجاج
٢٠٦	١٦٨	الخواجة ماركو بلو	الخواجة ماركوني
٢٠٦	١٦٨	وبنتالي الرخامين	ثمن الزجاج
٢٠٦	١٦٨	الى الثاني في أول يناير	الى النجار على دفعات
٢٠٦	١٦٨	موضح بيانها المشار لها في	موضح بيانها ومصارفها في
٢٠٦		الكشف المقدم منه بتاريخ	الكشف المقدم في مايو ٩٠٣
٢٠٦	١٦٨	الفاز	النور
٢٠٧	١٦٨	لوجي	لو تجي
٢٠٧	١٦٨	الى « .... »	الى مرسى
٢٠٧	١٦٨	« .... »	لمجدد لون السراير
٢٠٩	١٦٩	٢ ٢٩٢	٢٠ ٢٩٢
٢٠٩	١٦٩	النجار المعلم	النجار المصلح
٢٠٩	١٦٩	مشترواته من عند « ... »	مشتروات من عند ذكر
٢٠٩	١٦٩	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١٠	١٦٩	من بيان	من حساب
٢١٠	١٦٩	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١٠	١٧٠	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١٠	١٧٠	٢ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١٠	١٧٠	في ٨ منه مساء	في ١١ منه مساء
٢١٠	١٧٠	٣ ٩٧	٢٠ ٩٧
٢١١	١٧٠	تواريخ اسمنت في	تواريخ استحقاقات
٢١١	١٧٠	تحسين أودة	تخشيب أودة
٢١١	١٧٠	تقديم مقايسة	تقدير مباشرة



قضايا ومواقف

رد على مقال السلطان عبد الحميد والثورة العرابية

ما هكذا ينقد التاريخ العثمانى!

بقلم : د. محمد حرب

مقال الدكتور سعيد اسماعيل على ، المنشور فى عدد فبراير ١٩٨٥ من الهلال ، بعنوان السلطان عبد الحميد والثورة العرابية ، مقال طويل ، احتوى على عدة قضايا ، تحتاج كل منها لمقال كامل للرد ، وزاد الامر طولا ، قضية أخرى هى ما قدمت به الهلال المقال . ورغم انى لا استطيع - وأنا خارج مصر - تتبع النشرات المصرية ، فانى فهمت من تقديم الهلال بأن مقالا أو ربما كتابا صدر فى مصر ، فى اتهام الحركة العرابية .

وفى البدء اقول ، اننى اتردد فى قبول مقولة الهلال : « من اكثر الافكار غرابة ومدعاة للدهشة ، القول بان الزعيم أحمد عرابى كان بداية الانحراف فى التاريخ المصرى الحديث عندما تمرد على السلطان عبد الحميد » .

والذى قال ببداية الانحراف ، مقولته صحيحة ، الا أن الكتاب فى مصر ، وخاصة الذين يدينون بالقومية منهم ، يتصدون للدفاع عن قضاياهم ، دون ترو ، لفرط حساسيتهم القومية . وأرجو الا يفهم من كلامى هذا أننى ضدهم ، فلا أحد بامكانه الغاء انتمائه لقومه الذى هو منهم ، ولا ابطال احاسيسه الجميلة تجاههم

ان حركة عرابى باشا ، كانت أول حركة قومية عربية فى مصر ، ولعلها كانت الاولى فى العالم العربى ، ولاتجاهها القومى العربى تكون بالفعل قد انحرفت عن المفهوم السائد فى القرن التاسع عشر الميلادى فى منطقة البلدان الاسلامية ، وهو مفهوم الولاء للسلطة الدينية ، واقصد بالسلطة : الانتماء . ولعل المثال الاتى يوضح المسألة بعض الشيء : فى ايران اليوم دولة دينية بمفهومها الخاص ، وايران دولة تضم عدة أجناس : عرب ، فرس ، اكراد ، تركمان .. فلو قام

الاكراد الان بالمناداة بالقومية الكردية ويطالبون بدولة مستقلة ، ســيقوم الحكم في ايران باعتبار الاتجاه القومي الكردى انحرافا ، لكن هـذا الاتجاه قد يكـون بالنسبة للاكراد ، أمرا طبيعيا ، وفطريا ، وحتمية تاريخية ، بالنسبة للمفهـوم القومي لكنه أيضا يكون الاتجاه الصحيح لدى الاكراد ، في تفكيرهم .

لماذا يفترض « الهلال » ان الاتجاه الصحيح هو ما خطته حركة عرابى باشـا ، وهو شخصية تاريخية تقدر ويقدر دورها ، واسهامها التاريخي . لكن الاتجـاه الصحيح كتعبير أيضا لا يمكن فرضه على كل الناس ، وهو يختلف من مجمـوعة فكرية الى مجموعة فكرية أخرى .

● حماس التيار الديني

ان انتصار الفكرة القوميه فى العالم الاسلامى ، على الفكرة الدينية ، منذ القرن الماضي هو الذى جعل البعض يعتبر ان الاتجاه الصحيح هو الفكر القومي ، ولكن السؤال الان : ترى هل كان يمكن ان يلتزم هذا لو كان الفكر القومى فى العالم الاسلامي ، قد انهزم أمام الفكر الاسلامي - سياسيا - وأرجو الا يفهم من هذا انى أؤيد صاحب المقولة الاولى اذا كان تصويرى عنه صحيحا ، وأكاد أخمن أنه ينتمى الى التيار الدينى ، وهذا التيار قد يكون فيه حماس يبدو معقولا حينا ، ويبدو زائدا عن حده أحيانا . على كل حال ، ليس للاتجاهات الفكرية محل فى ردى هذا ، وفي مقالي الثانى المكمل لهذا ، سأنشر فيه وثائق جديدة وهامة عن حركة أحمد عرابى باشا ، وستتضح رؤيتى لها .

لكنني عندما نظرت فى مقال الدكتور سعيد اسماعيل على ، نظرت فيها بوصفي باحثا فى التاريخ . تساءلت أولا فى نفسى : ربما الدكتور صاحب المقال ، باحث فى التاريخ ، لكنه قد يكون دكتورا فى الدراسات الانسانية عامة ، أو لعله محب فقط لدراسة التاريخ ، ودراسة التاريخ عند أصحابها ، معاناة . لانها تفرض عليهم أمورا كثيرة أبسطها متابعة الجـديد من النشريات ، في ميدانهم . لكن صاحب المقال - وبكل احترام لشخصه - أراه « يغامر » بوضع آرائه فى المقال ، وباحث التاريخ ليس كذلك ، فمهمته ان يبحث فى التاريخ ليخرجه لنا نتعلم منه ، ثم اذا أردنا أن نكون فكرة أو أردنا تأويلا لاحداثه ، أمكننا ذلك ، لكن تعـال الى مسألة عبد الحميد بمفردنا : وثائقيا عنها نادرة . ولم نعرف بعد واقعها الا فى ضوء ما معا . فاذا جئنا الى قضية أحمد عرابى باشـا ، فأين نحن من موادها التاريخية بعد !!

يعتمد الدكتور سعيد أسماعيل على على مراجع ، فى مقاله هذا ، قدمت مع تطور أبحاث التاريخ ، كما اعتمد على مصادر ليست من أصل الموضوع ، ان نظرة الى مصادر سيادته لتؤكد لنا هذا ، كتاب القومية العربية لابى الفتوح رضوان ، القاهرة ١٩٦٨ (نحن الان فى عام ١٩٨٧ ، والكتاب وصفى تنظيرى) معلوماته اولية ، ان كنا صدقناها قبل عشرين سنة قبل الان ، فاننا تقابلها اليوم بدهشة وفقرة هذا الكتاب التى استشهد واسترشد بها كاتب المقال المذكور تقول : (ولولا الازهر الشريف لاصيبت اللغة العربية ، والعلوم الدينية ، بأضرار ، ولغلبت عليها اللغة التركية) .

هذه مقولة مجافية تماما لتاريخ التربية والتعليم « يا دكتور اسماعيل » من قال ان العثمانيين تدخلوا فى مقررات الازهر ، ولا فى دراساته ؟! ومن قال انهم وقفوا ضد اللغة العربية ؟! بل من يستطيع منا ان يقول ذلك ونحن نشتغل بالتاريخ ؟! من يستطيع ان يقول ذلك فى الدولة العثمانية التى حمت اللغة العربية ودافعت عنها . وكانت اللغة العربية هى اللغـة الرسـمية فى مؤسسات التعليم العثمانية كلها ، فى أوربا الشرقية (بلاد الروملي) وفى الاناضـول وفى بلاد الاكراد (التابعة للدولة) وفي بلاد الغرب : فى بلغراد وبودابست وبوخارست وصوفيا واستانبول وقونية وحلب وبغداد وصنعاء والقاهرة والحجاز والقائمة طويلة

ثم ان انتاج العثمانيين باللغة العربية ، انتاج هائل وعميق وقائمة الامثلة طويلة أيضا . حاجي خليفة صاحب كشف الظنون ، ومنجم باشي صاحب جامع الدول، وجنابي صاحب العيلم الزاخر وخليل فوزي صاحب السيوف القواطع ، ومعلم جودت صاحب ذيل على ابن بطوطة والشيخ ابو السعود وتفسيره ، والبيضاوي وتفسيره ، ومصطفى صبري وكتابه موقف العقل .

وأشير هنا اشارة الى جهود العثمانيين في التأليف في نحو وصرف اللغة العربية والى ابن كمال باشا ، الذي وصفه صاحب الفوائد البهية بقوله (واقر له علماء القاهرة بالفضل) و (يكاد يكون ابن كمال باشا ، والسيوطي ، نجمي عصرهما) و (ان كمال باشا ادق نظرا من السيوطي وأحسن فهما) . لابن كمال باشا ، هذا ، رسائل لغوية عربية كثيرة منها (رسالة في تحقيق معنى كاد) و (رسالة في رفع ما يتعلق بالضمائر من الاوهام) و (دقائق الحقائق في اللغة) و (رسالة الكلمات العربية) .

ونظرة الى المقررات الدراسية في مساجد ومدارس وكليات الدولة العثمانية على كل مراحل تطورها تشهد بالاهتمام البالغ الرفيع المستوى ، ليس باللغة العربية فقط بل وبآداب العربية أيضا . ثم أوجه لكم هذا السؤال : متى فرض العثمانيون اللغة التركية كلغة علم أو حتى تحدث في مدارس مصر ؟!

ومن مصادر الدكتور صاحب المقال المذكور أيضا كتاب الدكتور محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، وان لم يذكر الكاتب سنة طبع الكتاب لكننا كنا نقرأه في أوائل الستينيات ، ومعروفة مصادر الدكتور محمد أنيس في هذا الكتاب لدى المتخصصين ، والكتاب يحتاج الى نقد مصادره .

● فكرة الجامعة الاسلامية

من قضايا مقال السلطان عبد الحميد والثورة العرابية ، قضية السلطان عبد الحميد نفسه . والحديث عن عبد الحميد طويل ،وليس هنا محله ، لكني ساستخدم من الاشارات بعضها ، يقول كاتب المقال المذكور (.. فالذين هاجموا وانتقدوا سياسة السلطان عبد الحميد ، لم يقصدوا أن يهاجموا فكرة الرابطة الاسلامية ، وانما كانوا يهاجمون اتخاذه لها ستارا يخفي أمورا أخرى غاية في السوء) .. أي سوء يا دكتور ؟! فكرة الجامعة الاسلامية كانت لمقاومة الاستعمار الغربي واعادة ثقة العالم الاسلامي بنفسه ، وعبد الحميد بشر قد يخطيء وقد يصيب لكنه كان حريصا على وحدة العالم الاسلامي الشعورية وليست السياسية كما تصورت سيادتك في مقالك . ولم يكن للجامعة الاسلامية مطامع شخصية للسلطان ، لكنها مصلحة عامة للمسلمين . من الجامعة الاسلامية التمسك بالقدس وتمسسك بها ، وقاومه اليهود وقاومهم مع معرفته بان المقاومة ـ ان كانت مطمعا ـ ستؤدى الى عزله عن العرش ، ومع معرفته بهذا فقد قاوم رافعا لواء هذه الجامعة ، التي لم تدر عليه الا تكاتف اعدائه عليه هو شخصيا . فاى مطامع واى سوء يا دكتور سعيد ؟! وتعبير من هذا : (جاء نيولنسكي وقال لي انه تحدث مع السلطان عبد الحميد ، وان السلطان قال انه لن يتخلى (!) أبدا عن القدس ، ويجب أن يبقى جامع عمر (= المسجد الاقصى) بيد المسلمين دائما) و (لا يجرؤ أي رئيس للحكومة البريطانية أن يساند السلطان ، ذلك لانه يثير بذلك الرأي العام ضده) ولان السلطان عبد الحميد ماكر جدا ، خبيث جدا ، ولا يثق بأحد) . **ان قائل كل هذا الذي بين قوسين انما هو هرتزل يا دكتور ، وبالطبع معروف من هو هرتزل !**

اما عن أعداء عبد الحميد ، فكانوا : كل المخالفين للوحدة الاسلامية ،الموميون،

الذين رأوا أن الجامعة الاسلامية ضد المصالح القومية ، وهؤلاء لم يكونوا فى البلاد العربية فقط ، بل كان الاكراد والالبانيون والعرب والترك واليهود والارمن والشركس وغيرهم ، فالثورة الفرنسية ـ كما نعلم ـ كانت كالطوفان العظيم ، اجتاح الافكار وأثر على الشخصيات واعطى الامال الكبار فى ان تفتيت الدولة العثمانية يعنى تحرر الشعوب الى قوميات ، والقومية الحادة والاسلام ، لا يتفقان وكان راى عبد الحميد أن وحدة الدولة فى ظل الاسلام أفضل من تفتيتها الى دول قومية صغيره • لذلك تجد يا دكتور أن صورة عبد الحميد عند القوميين ـ ليس العرب فقط ـ بل كل القوميين صورة مشوهه مبالغ فيها . تقول مخابرات عبد الحميد وأين هي في دولة ضمت أغلب منطقة الشرق الاوسط وغيرها ، من مخابرات دولة واحدة من دول الشرق الاوسط ، عقب سقوط الجامعة الاسلامية وقيام الجامعة القومية ودولها ، صورة عبد الحميد اليوم ، فى الكتب الدراسية فى تركيا ـ على سبيل المثال ـ انه السلطان المزعج الذى تعقب القوميين وشل حركتهم ، وهو ـ فى تركيا ـ السلطان الذى ظهرت على يده وبنشاطه فكرة الجامعة الاسلامية ، وهو ـ فى تركيا أيضا ـ الحاكم الذى اهتم بالعرب ، اكثر من اهتمامه بالاتراك ، والذى عمر بلاد العرب ، وأهمل الاناضول ، وهو عند القوميين الاكراد السلطان الفظ الذى أفشل أول محاولة للتجمع القومى الكردى المتمثل فى محاولة توحيد ثلاثين عشيرة كردية متنافرة •

وعبد الحميد ، فى الكتب الدراسية في اسرائيل هو السلطان الذى وقف بقوة وغطرسة أمام محاولة اليهود تحقيق احلامهم فى اقامة دولة قومية لهم فى فلسطين، صورته سيئة كذلك فى مناهج الدراسة فى العالم العربى ، ولا أدرى ماذا يقول الفلسطينيون ويكتبون عنه عندما تقوم لهم دولتهم • ولو لم يكن عبد الحميد صاحبا حقيقيا لوحدة العالم الاسلامى ما هاجمه أحد : لا اليهود ، ولا القوميون، ولا الاوربيون •

● ميزان الحقيقة

اذا كان انصار الوحدة الاسلاميه يحاولون رد الاعتبار للسلطان عبد الحميد ونصويره ـ كما تقول ـ بأنه كان مظلوما ، فكذلك يفعل الفلسطينيون • ويفعلون **ما يتصورونه لكننا نحن اصحاب الدراسات التاريخية ينبغي أن نكون منصفين للحقيقة بقدر ما تسعفنا به ادواتنا من وثائق وغيرها • فاذا مال ميزان الحقيقة** لانصاف مظلوم ، مادامت الحيثيات صحيحة وموجودة أمامنا ومع ذلك فانى من مدرسة تقول ان على باحث التاريخ ، أن يكتب التاريخ كما يجده فى مادته الاصلية والمؤرخ عليه أن يبحث عن الحقيقة وليس عليه ان ينصب نفسه قاضيا ، ولعل الذى يقرأ تقديمى لمذكرات السلطان عبد الحميد (كتاب الهلال العدد ٤١٨ فى اكتوبر ١٩٨٥) يجد اننى أقول : (أريد أن أقدم شخصية السلطان عبد الحميد الثانى الى المثقف العربى العام ، والى المتخصص الباحث العربى فى التاريخ، تقديما يعتمد على المصادر العثمانية والتركية ، وهى مصادر ناقصة فى ذاكرة العرب غالبا ولعل هذا راجع الى أن المثقف عندنا قد استقى معلوماته ـ حتى الان ـ من المصادر الاوربية ، ومن الكتب التى صدرت بهذه اللغات) •

وعبد الحميد كان حاكما واقعيا، يعترف بأنه صاحب بلاد ضعيفة ، تتحين أوربا الفرصة لالتهامها ، ولابد للضعيف من عمل شىء حكيم تجاه القوى المقابلة له ولم يكن أمامه المال ولا السلاح ، وانما اسلام ودولة اسلامية ، ووجد أن سياسة من سبقه من حكام الدولة العثمانية ، قد اتجهوا لتجديد دولتهم واصلاح ضعفها ، اتجهوا الى الاخذ عن الغرب أى الى العدو المتربص ببلادهم • وكانت النتيجة كما رآها هو : الارتماء فى أحضان الغرب ، ولم يجر هذا على بلاده الخير ، لكنه جر عليها الفساد الاخلاقى العام ، وكثرة الديون ، **فعمل هو على سياسة (الاتجاه الى الذات) للاصلاح وتقوية دولته ، ووجد أن هذا لا يكون الا بربط المسلمين الذين**

بحكمهم بالمسلمين خارجهم بحيث ينضم الضعيف الى الضعيف فيقوى الاثنان وهو الجامعة الاسلامية . أما الذي حلف هذه الجامعة من سوء - كما يقـول الدكتور صحاب مقال السلطان عبد الحميد والجامعة الاسـلامية ، فليس في التاريخ الذى درسناه من مصادره الاولى شاهد واحد حتى الان على اساءة عبد الحميـد لاستخدام ما أسماه هو (سلاح الخلافة) فى مأرب شخصي له . وحسب علمي انه نجح فى ابراز هذه الوحدة الدينية ، وحسب علمي أيضا نال السلطان عبد الحميد احترام المسلمين في كل بقاع العالم .

اذكر جيدا أن زارنى فى بيتى فى استانبول فى نهاية الستينيات، زائر من جنوب أفريقيا ، كان قد قصد زيارة جار لى فلم يجده ، فاستضفته بعض ساعات حتى حضر جارى ، وأثناء تأمله فى مكتبتي وجد كتابا عن عبد الحميد فقال لى : اننا نذكر بكل الخير خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد ، فى مساجدنا فى جنـوب أفريقيا ، فى خطبة الجمعة ! وقال لى الاستاذ يوسف قراجا وهو تركى تلقى دراسته بالهند ، وهو زميل فاضل ، قال لى ان خطبة الجمعة فى بعض مناطق الهند النائية مازالت ، باسم خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثانى ! .

هذا ما أعلمه ، أما اذا كان الدكتور سعيد يعلم شاهدا واحدا على سوء استخدام عبد الحميد لسلاح الجامعة الاسلامية ، أو مثالا واحدا على استغلاله لحركة هـذه الجامعة ، لصالحه الشخصى ، فليمل لنا لنتعلم منه بل واني بالتأكيد سأكون له من الشاكرين ان استطاع ، ان يدلني على شيء ثابت يوافق العلم والتاريخ ، يعني وثيقة أو مصدرا أصليا موثقا . وبالطبع يا دكتور لابد أن استبعد - من الان - تقديم سيادتك - الوثائق اليهودية أو ، بيانات جمعية الاتحـاد والترقى وكذلك بيانات الجمعيات الماسونية فى عهده واجنحتها العسكرية .

● عدم تجانس الامة

يقول مؤلف كتاب (حقائق الاخبار) فى مسالة الحكم الدستورى فى عهد عبد الحميد (ولما كان بعض دول أوربا لا تحب أن ترى اتفاق الامة العثمـانية وان يكون لها مجالس نيابية شوريه أحدث تدس الدسائس من يوم ظهور هذا المجلس الى عالم الوجود ، ولما خافت الدولة من رواج الدسائس الاجنبية بين بعض الاعضاء يؤدى بلا شك الى المشاكل والاختلالات التى أرادت الدولة التخلص منها بتشكيل هذا المجلس فتكون جلبت على نفسها الضرر من حيث أرادت المنفعة صدر أمر سلطاني بعد اتفاق وزراء الدولة وأعيانها بارجاء اجتماعه الى أجل غير محدد (١٠ صـفر ١٢٩٥) وقد قال كثير من عقلاء الامة الذين خبروا أحوال الدولة العثمانية وأحوال شعوبها ، ووافقهم على قولهم هذا من تنزهوا عن الاغراض من رجال سياسة الدول الاجنبية بعدم امكان تأليف مجلس كهذا للامة العثمانية فى ذلك الوقت لاسـباب عديدة أهمها عدم تجانس الامة العثمانية وميل جميع الطوائف الغير مسلمة بها الى ترويج مصلحة الدولة الاوروباوية التى تستند عليها تلك الطائفة لانه من المصائب التى ابتليت بها هذه الدولة ان مالت كل طائفة غير مسلمة الى دولة اوروباوية . ومنها عدم بلوغ الامم العثمانية درجة التعليم التى تؤهلها الى تفضيل مصـلحة الوطن على غيرها ، ومنها سعى كثير من دول أوربا فى تفريق الجامعة العثمـانية لينالوا بذلك مآربهم الخصوصية) .

أوقف عبد الحميد العمل بالمجلس النيـابى المتعدد الولاءات للدول الاجنبيـة للاغراض التى ذكرها اسماعيل سرهنك . وثار عليه ضباط الاتحاد والترقي ، ومن اهم اسباب ثورتهم - أقصد الاسباب المعلنة ، ضرورة اعادة المجلس النيـابى ، وبالفعل اعدوه ، فماذا كانت النتيجة : حركات انفصالية عن الدولة ، غذاها أعضاء

هذا المجلس النيابى ، كل واحد سائد عرفه وساندته دولة أوربية . ثم انقضت الدول الغربية على الدولة العثمانية ، فى هجمة أنهت بها الوجود العثمانى من التاريخ وباسم الحياة الدستورية ، تم تطبيق سياسة الطورانية ، وباسم المجلس النيابى دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى وهى حرب لم تكن لها فيها ناقة ولا جمل أدت الى انهيارها ، وهروب ثلاثى الاتحاد والترقى من البلاد : أنور وطلعت وجمال .

من غذى هذه الحركة الدستورية يا دكتور ؟! اليهود العثمانيون ويهود الخارج بكتابات موئيز كوهين ، ودراسات المستشرقين اليهود فى أوربا . غذاها أيضـــا أقطاب الفكر القومى المتطرف من الكتاب الاتراك الذين درسوا على أساتذة وكتـاب وفلاسفة يهود .

وبالطبع ، لا يقف كاتب هذا المقال ، فى رده هذا ضد الديمقراطية ، لكنى أحاول ان أضع المحاولة الدستورية التي وقف ضدها عبد الحميد فكرا وعملا ، فى مكانها حسب وقتها ، ذاكرا دوافعها وظروفها . وعبد الحميد يقول انه يحـــاول النظر للمسائل السياسية نظرة تعقل وليس نظرة اندفاع .

وفيما كتبه الدكتور صاحب مقال عبد الحميد والثورة العرابية تحت عنـوانه الفرعى (هل تخلف المسلمون فى العهد العثمانى) أقول له : من أين أتيت سيادتك بالادعاء الذى تقوله : (نجد أنه على الرغم من تولى حكام من جنسيات مختلفة قيادة الدولة أو الدولة الاسلامية فانهم جميعا ذابوا فى الثقافة الاســلامية .. فكانت اللغة العربية هى اللغة الاسلامية .. لكن هـــذا لم يحدث للدولة العثمـانية ، فالاتراك وان كانوا مسلمين فانهم لم يتعلموا اللغة العربية ، فبقوا بعيــدين عن روح الثقافة الاسلامية ، لانها كانت باللغة العربية ، ولعل هذا يفسر بعض الشيء السبب الذى جعل هذه الثقافة تتخلف فى هذا العهد ، على عكس العادة التى جرت طوال العصور الاسلامية .. فكلما نهض حكم جديد قوى يلم اطراف العالم الاسلامى شهدت الثقافة الاسلامية ازدهارا وقوة .. الا فى العهد العثمانى ..) ويمضى الدكتور سعيد اسماعيل فيقول (ان سلاطين آل عثمان ما فتئوا ينقلون من العلماء ومهرة الصناع والفنانين الى قصبة ملكهم حتى أفقروا العالم العربى من أفذاذ رجاله فى مختلف الميادين ، لذلك لا نعجب اذ اسجل التاريخ هبوطا فى مستوى المدنية الاسلامية فى هذه الفترة حتى زحفت العجمة على اللغة ، واختفت البحوث العلمية والفلسفية ، وأغلق باب الاجتهاد فى الفقة ، وانعدم التاليف الا من الملخصـات والمختصرات للمؤلفات التى ألفت فى العصر الذهبى الســالف ، وانحط الفن الحربى .. وانعزل العرب عن مجرى المدنية الانسانية ..)

ما كل هذا التحامل يا دكتور ؟ لنأخذ أقوال سيادتك من البداية فنقـول ان المدنية الاسلامية قد بلغت أوجها فى عهد العثمانيين ، فالحضـــارة العثمـــانية ـ المتجاهلة عن عمد فى أوربا والعالم العربى ـ هى الحلقة الاخيرة من حلقات تطور هذه الحضارة ، وجمع العثمانيون فى عهدهم كل مكاسب حلقات الحضارة الاسلامية السابقة عليهم وأضافوا اليها العديد مما جلبوه معهم من اسيا الوسطى ، ومن البلاد المفتوحة فى أوربا ، وحققت الدراسات العربية دراسات متقدمة فى مختلف فروعها فى العهد العثمانى ، ولم تختنق البحوث العلمية بل ان للعثمانيين مكانة فى العلوم بلغت اوجا كبيرا ، وباب الاجتهاد فى الفقه لم يغلقه العثمانيون ، وانما حدث هذا قبلهم بكثير . ولم ينعدم التاليف ، لكن هذا لم يمنع من اســتمرار تدريس الحواشى لاهميتها ، مع العلم بأن جامعات العالم الاسلامى حتى اليوم تدرس الحواشى لانها غير مرفوضة ، بل أن الدراسات الاسلامية مازالت فى حاجة اليها ، ومن ذا الذى يقول بانعدام التاليف ؟! ومن ذا الذى يقول بانحطاط الفن الحربى عند العثمانيين ؟! ان هذا كلام لا أجد له سندا واحدا من الحقيقة المدروسة . ومن ذا الذى يقول بان العرب فى مصر أو سوريا أو المغرب قد انعزلوا عن مجرى المدنية

الانسانية بفعل العثمانيين ؟ ومن قال ان العثمانيين منعوا اتصال العرب بأوربا ؟ من يقول كل هذا لم يفهم بعد طبيعة الحكم العثماني • ومن هم — يادكتور — علماء العالم العربي الافذاذ الذين أخذهم العثمانيون الى بلادهم • اذا كنت تقصد ما قاله ابن اياس من أن سليم الاول أخذ بعض أصحاب الفنون من مصر ، فهؤلاء عادوا بعد موت سليم الاول وهو موت مبكر ، عادوا مباشرة ، بل ان بعضهم رفض العودة • وغير هذا المثال الجزئي الذي أورده ابن اياس •

اعطنا يا دكتور ما يؤيد قولتك من التاريخ وبالمناسبة ، لم يظهر لمن اخذهم سليم من الفنانين ،أى أثر في الحضــــارة والمدنية العثمانية ، ولم يمكثوا في استانبول أكثر من ثلاث سنوات ، ثم عادوا •

أرجو أن يلاحظ القارىء هنا ، والدكتور سعيد على خاصة ، أنه كان للعثمانيين سياسة تسمى التهجير وذلك بأنهم كانوا عندما يفتحون بلدا ما يهجـرون بعض قطاعات من الناس من اماكنهم الاصلية الى المناطق المفتوحة وبالعكس أحيانا ، نوعا من الوحدة. والاختلاط ولم يطبق العثمانيون — فيما أعلم حتى الان — نظـام التهجير على البلدان العربية •

ثم قال ان دولة العثمانيين قامت على السيف ؟ مثلما يرد في مقالتك يا دكتور سعيد ؟ هل من المعقول أن هذه الدولة الحضارية ذات الســتمائة سنة وأكثر في التاريخ تقوم على السيف ؟ ان أصحاب الدراسات التاريخية يعرفون أن طول عهد دولة ما في التاريخ انما يعتمد على حضارتها ، والعكس صحيح • فالدولة الرومانية ذات الاربعة قرون ونيف في التاريخ طالت لحضارتها القوية ، والدولة العثمانية استمرت اكثر منها ، والسيف ان أقام دولة فانه لا يقيم حضارة ولا تســتمر الدولة طويلا •

وتعبير دولة الاتراك الذي يرد في مقال «السلطان عبدالحميد والثورة العرابية» تعبير ، أرجو أن تراجعه ، فالمعروف أنك تقصــد العثمانيين ، لكن التعبير الذي استخدم في المقال ، لا يقصد به تاريخيا ، الا دولة المماليك في مصر ، فهي الدولة التركية واذا لم تصدقني فيمكن الرجوع الى المصادر المملوكية نفسها وابن اياس وغيره حتى يمكن الاطمئنان الى صحة قولي •

وأذكر على سبيل المثال على عدم التروي الذي يصاحب العــاطفة السياسية أن صاحب المقال الذي نرد عليه هنا أصابته حساسيه القــومية فأطلق تعبير دولة الاتراك على العثمانيين ، المثال الذي أورده ان كاتبا اســلاميا أيضــا طغت عليه حساسيته الاسلامية فأطلق على كتاب ألفه لنصرة العثمانيين ، أطلق عليه اسم أو عنوان « صفحات مضيئة من تاريخ الاتراك العثمانيين » ، وهو زياد أبو غنيمــة ، والدولة العثمانية لم تكن أبدا تركية ، فهي دولة لم تعتمــد على الايديولوجية التركية ولا على الشرائع التركية الســابقة للاسلام ولم تكن ثقافتها تركية ، بل انها لم تستخدم اللغة التركية وكانت لغتها تسمى اللغة العثمانية ، وهي لغة مشتركة بين شعوب العالم الاسلامي أكثر من ٨٠٪ من كلماتها لم تكـن تركية وأدواتهــا التركية قليلة ونحوها يغلب عليه النحو العربي والفارسي ، وللسلطة فيها لم يكن للترك فيها الا منصب السلطان لكن الذي يهيمن على الدولة جناحان الاول مشيخة الاسلام والاخر الصدارة العظمى •

الاولى تشريعية والاخرى تنفيذية ملتزمة بالشرع الذي تتمسك به الدولة وليس للترك فضل في الدولة العثمانية الا فضل تكوين الدولة على نهج اســلامي ملتزم بالشريعة الاسلامية بعيدا عن التأثير التركي • ومشيخة الاسلام والصدارة كانتا دولة بين كل شعوب الدولة •

بهذه المناسبة اقول أن نظام الحكم العثماني لم يكن استبدادا كما هو شــائع في المصادر الاوربية التي تنقل عنها ، والفقرة السابقة ، لعلها أعطت الضــوء على

هذا ، الا أن السلطان العثماني يرأس جناحي الحكم في الدولة ، وهو مقيد بالشرع ، وهو نفسه أجبر منذ أن كان أميرا ، على دراسة الفقه الاسلامي ودراسة اللغة العربية دراسة متخصصة بالاضافة الى العلوم الغربية الاخرى التفسير والحديث مثلا ، وكل سلطان عثماني مر بمرحلة الدراسة الاجبارية هذه .

● احياء فكره مواجهه الغرب

تبني السلطان عبد الحميد لفكره الجامعه الاسلامية - يا دكتور سعيد - لم يكن كما بفضلت (لتحقيق اهداف هي : ضمان التفاف العالم العربي ، وتاكيد استبداده اعتقادا منه ان فكره الجامعه الاسلاميه تعني الحكم الاستبدادي ، وذلثا : اتخذها اداة للضغط على الدول الاوربية)!

ليس الامر كذلك يادكتور ، فلقد التف العالم العربي حول الحكم العثماني منذ قرون قبل ظهور عبد الحميد ، ولم يكن عبد الحميد مستبدا ، بل كان حاكما شوريا ، نموذجا رائعا لاحترام كلمة القضاء أثناء حكمه . يعيبه انه كان يرفض العمل بالفكره العربية في الديمقراطية . لم تكن الجامعة الاسلامية عنده أداة ضغط فقط ، بل احياء لفكرة لمواجهة الغرب بها ، ولم يكن العالم العربي يشكل الا جزءا من عالم اسلامي واسع الارجاء .

اشتكى عبد الحميد من أن قصره وحكومته يسيطر عليهما اليهود والدونمة والماسونية ، وان ذلك يعرقل سعيه الى الجامعة الاسلامية . كما اشتكى من أن السفارات الاجنبية - بحكم امتيازات سابقة - كانت مأوى للمناهضين له ، وبلغت به الشكوى الى تصريحه بأن صدره الاعظم مدحت باشا وقائد جيشه حسين عوني باشا ، يخونانه بالتعامل مع بريطانيا ، من خلف ظهره أي ظهر السلطان .

ان تعبير عمد(المثقفين الى تشكيل جمعيات سرية في داخل الامبراطورية واخرى علنيه في أوربا) نتيجة لسياسة عبد الحميد ، تعبير غير صحيح .

ان تشكيل جمعيات سرية داخل الدولة العثمانية لم يكن في عهد عبد الحميد ولا من جراء سياسته ، وانما هي جمعيات تشكلت قبله بزمن ، منذ بدأ الصراع بين الفكرتين الاسلامية والقومية في السيطرة على الدولة العثمانية ، منذ أن قام المثقفون بمحاولة احلال الفكر الغربي محل الشريعة الاسلامية في حكم الدولة ، ايمانا من هؤلاء الثوار أن الانقاذ الوحيد لبلادهم يكمن في التغريب ، وهي قصة طويلة ، بدأت منذ عهد عبدالمجيد وولده محمود وانتهت بقيام الحركة الكمالية والجمهورية التركية محل دولة آل عثمان ، وهذه الجمعيات نجحت واتسعت في عهد عبد الحميد نتيجة لحماية الغرب واليهود لها، لاختلاف عبد الحميد مع الحركة اليهودية العالمية وقتها ، وقام اليهود بعمل الدعاية اللازمة لصالح هذه الجمعيات في أوربا بحيث كونت لها رأيا عاما عالميا ، لصالحها ، بالاضافة الى تقديم المعونات المختلفة للحركات السرية عند عبد الحميد ، وهذا أمر أصبح معلوما اليوم ومشاعا . ومذكرات هرتزل ما زالت موجودة ويمكن الرجوع اليها .

ان تعبير الوحدة السياسية للعالم الاسلامي الذى استخدمه الدكتور سعيد يكاد يكون في غير محله ، لان عبد الحميد لم تكن له مناداة بوحدة سياسية شاملة للعالم الاسلامي - فيما أعلم - وليس بين أيدينا ما يفيد بانه يؤيدها أو يرفضها لكننا لانجد ما يثبت انه نادى بها ، واغلب الظن انها كانت بعيدة عن ذهنه ونظرته العاقلة لمجريات الامور في العالم وقتها .

اعود فاقول ان مقال الدكتور سعيد طويل جدا ، واشتمل على عدة نقاط ، كلها تحتاج للمناقشة وكل نقطة تحتاج في ردها الى مقال ، وهذا أمر يحتاج الى وقت ومساحة ، لذلك رددت المقال في اشارات ، كما انني لم استطع الرد الا على الشطر الاول من المقال وهو الشطر الخاص بالدولة العثمانية والعثمانيين وعبد الحميد . اما كلام الدكتور في الثورة العرابية ، فله وقفة اخرى ، خاصة فبين يدى وثائق لم تنشر بعد عن حركة احمد عرابي باشا .



القرار

بقلم : محمد الكاشف

الليلة يعانى سهادا لم يعرفه من قبل ·

ـ والله ياوله السعر يغرى ·· مين يصدق ان المتر بـ ٣٠٠ جنيه مرة واحدة ابيع النص فدان واشترى تلفزيون ملون ·· و ·· و ·· مئات الافكار تطارده كاشباح الليل ·· لكنه من جديد صار يفكر :

« ـ صحيح يا واد يا عبد الموجود دى فرصة العمر ·· تاخد

الفلوس وحطها فى البنك زى ش الناس ما بيعملوا » •
حاول ان يحسبها • لم يستطع ان يتخيل كم الف من الجنيهات ستدخل جيبه •• فقط لو انه اتخذ قرارا فى كلمة واحدة : موافق •

همس لنفسه : (وتقف فى طابور ثم تمضى ورقة •• مجرد تحط عليها اسمك وبعدين ينادون عليك •• فتتسلم الفلوس التى يسمونها عائد الارباح فى البنك)
« ده انت ياوله عندك تلات اولاد فى المدارس غير اللى طلعوا عشان ساعدوك فى زراعة الارض •• اه لو قلبى يطاوعنى كنت ابيع •• لكن مش قادر •
المشكلة ان عبد الموجود فلاح عنيد كان زمان اصغر اخوته ابوه يقول عنه « لو كل الابناء زى السواد المفعوص ده ما كنتش اخاف غدر الايام ••

ــ « انا معاك يابا »
تارة يحمل له الطعام • وتارة يركب المحراث • اخرى يسقى البهائم حتى اشتد عوده وامسك الفاس •• يضرب الارض فتمنحه الخير • شرب حب الارض منذ زمن طويل طويل •

مات ابوه منذ زمن تفرق الابناء • كل له حياته • قطعة الارض قسمت بينهم •

كل مسئول عما يملك • الذين توظفوا ومن سافروا باعوا ارضهم او شيدوا عليها المساكن •• الا هو •• ظل فى بيت العائلة الكبير يحدق فى داخله روح اجداده •• ويشم فى ثنايا البيت القديم رائحة تاريخ هؤلاء الاجداد وماضيهم •

ــ الان جاء دورك •
هكذا قال لنفسه • مشكلته ان النار وصلت الى بيته • زوجته قالت له :
ــ والنبى ياعبدالموجود نفسى فى عقد ذهب زى كل الستات الهوانم •

قال اصغر ابنائه : ــ وانا يابا نفسى فى بسكلتة اروح بها المدرسة زى اصحابى •
قالت كبرى بناته : ــ يابا هى الارض بيجى منها الا الشقا •• عايزين نعيش زى كل الناس • لكن عبد الموجود كل شىء • قال لنفسه : ــ جيل لا يعرف سوى مصلحته ••
لم تكن القضية منتهية بالنسبة له تماما فى قرار البيع •• فالسعر حقا يغرى بالموافقة وكل جيرانه باعوا من قبل بسعر ارخص من هذا السعر المعروض •• لكن ثمة سؤالا واحدا يشغله :ــ ماذا سيفعل لو باع الارض وهو قد جاوز الستين من عمره ؟ •• ان هذا النصف فدان بالنسبة له ليس مجرد مصدر رزق لكنه عمر كامل •• لكم يفرح لحظة ان ترتوى الارض من مياه النيل الذى لا يبعد عنه سوى امتار قليلة •• ولكم يشعر ان قلبه يوشك ان يقفز من بين جنبيه كلما اعطته الارض ••
« مرة برسيما تاكل منه اغنامه وماشيته » •• ومرة خضروات يبيعها فى سوق المدينة » •• والخير دايما على اد الشقا » •• وهو لم تعد صحته تتحمل التعب ••

الكل يضغطون عليه ليوافق •• تجار •• اصحاب بوتيكات •• وحتى زوجته واولاده ولعدة ليال طويلة كابد فيها السهاد • عرف لوعة الضنى حين يوشك



القرار

الانسان ان يفقد شيئا عزيزا ابنا او حبيبا يتمنى الف مرة لو ان الذى حدث لم يحدث . يكز على اسنانه ويقول اه لو ان اللى راح يرجع . تمتلكه لوعة واسى تفقده صوابه .. لكن الذى يذهب ابدا لايعود .. وهو قد يفرح بالمال الوفير الذى سيجرى بين يديه .. سيشترى كل ما يريد وكل ما يطلبه اولاده وزوجته

.. لكن سوف ياتى ذات صباح ليجد نفسه غريبا عن هذه الارض .. وقد ياتى احدهم لينشىء عليها عمارة وبوتيكات ومحلات .. حتى لو باع قطعة صغيرة منها قد يزحفون عليها بجدران الاسمنت المسلح ويطردونه او يرغمونه على بيع الباقى منها .. من يدرى ؟ ..

ظل عبد الموجود وحيدا حزينا . يكابد فى صمت ويعانى الشىء الذى لم يعرفه ابدا فى حياته . احس الجميع بما يكابده الرجل وانتظروا بصبر وشوق قراره .. الكل يحلم بالمكسب .

لكن شيئا ما ذات صباح جعل عبد الموجود يستيقظ من نومه جذلا فرحا . كانه عاد فتيا من جديد . شىء لم يفهمه عبد الموجود ولا حاول ان يفهمه وبالطبع لم يفهمه احد حوله . شىء جعله يقسم يمينا بالله العظيم « لو كان السعر بمليون جنيه مش هابيع » ثم خرج الى حقله . امسك الفاس نظر الى حبات التراب السوداء احس برائحتها تملأ صدره . ضرب الارض بالفاس .

كانت ذرات التراب تتصاعد . ورغم كل شىء كان صدره يمتلىء بهواء الزفير والشهيق .. يضرب بسرعة تماما كما لو انه شاب فى العشرين من عمره .

احس بعد ذلك آخر النهار براحة شديدة فقد انزاح من فوق صدره هم ثقيل .





• رأى فى الثقافة •

النادى الثقافى مهمة عاجلة

هذه الاعداد الهائلة من الشبان الموهوبين هم الذين سيشكلون وجـــه مستقبلنا الثقافى فى المستقبل ، وهم الآن بالمئات، تراهم فى المنتديات الثقافية التى ضاقت بهم حتى اصبحت المطالبة بانشاء النوادى الثقافية ضرورة يجب أن يضعها من فى يدهم مقادير الامور نصب أعينهم كمهمة ملحة من مهمات العمل الثقافى العام

فالنوادى الثقافية هى البديل الاساسى لانتشال هذه المواهب من الغرق فى بحر اليأس الواسع ، ودوامة الحياة الطاحنة التى تؤدى الى ما نعرف جميعاً من طرق ، هاهى ذى تدفع الدفه الى هوة سحيقة لا يعرف لها أحد قراراً .

ان محاولات عديدة تبذل لنشر انتـاج هؤلاء الشبان الموهوبين ان يكن من جانب دور النشر الخاصة، او من بعض دور النشر العامة لابد من دفعها والاخذ بيدها ، وفى هذا السبيل لابد من القضاء على اى عقبة قد تكون لا تزال تقف فى سبيل العودة بسعر الكتاب والمجلة ، الى القوة الشرائية لهؤلاء ، فهم الاساس الذى يتشكل منه هيكل الحياة الثقافية العريض .

لكن هذا لا يكفى .

فهؤلاء ايضا يحتاجون الى التفـاعل فيما بينهم ، كما يحتاجون الى التقييم، وهـو دور أن يكن النقـد المكتوب يقـوم بجانب منه الا ان النوادى الثقافية هى التى تقوم بصقله وتقويمه ، وخلق روح المنافسة البناءة ، بالاضافة الى الاحتكاك المباشر الذى يولد القدرة على الحـوار الخلاق .

المثقفون كما الاحزاب بالاضـافة الى المؤسسات الثقافية مطالبون اليوم بهـذه المهمة .. وبامكان العديد من مثقفينا ان يكرسوا هذه المهمة للوجود .. فظاهـرة المؤتمرات التى تنفـق الالوف تطغى الان على محاولات انشاء النوادى والجمعيـات الثقافية ، وقد يكون انشاء ناد او جمعية تبقى وتستمر افضل بما لا يقاس من اقامة مؤتمر تنفق الاموال الطائلة عليه ثم ينفض وينتهى أثره .. علينا ان نقيم البـاقى قبل أن تدهمنا الموجة لان المستقبــل مكتظ بالمخاوف والحفر والآبار .

عبده جبير



ذكرى

عبد الرحمن الخميسى وداعا :

● لانه كان ظاهرة كاملة ، ظل تأثيره باقيا على الرغم من البعاد ، ولانه كان فنانا شاملا اتسعت دائرة هذا التأثير فى جميع الاوساط .

فانتاجه الشعرى ، وتجاربه العديدة فيه ، ووجهة نظره التى رأت أن الشعر سلاح فى معركة التغيير ، وقد يكون فى هذا تضحية بالفن فى هذا الشعر ، لكنه كان مسموعا بين الشعراء وبين محبى الشعر .

ولانه تجول مع الفرق الشعبية المسرحية ، وانشأ واحدة ، وساهم فى انشاء الكثير منها فان أثره المسرحى يذكره له المسرحيون فى كل مكان حل ، داخل مصر ، فى القاهرة والاقاليم ، أو فى بيروت أو فى موسكو .

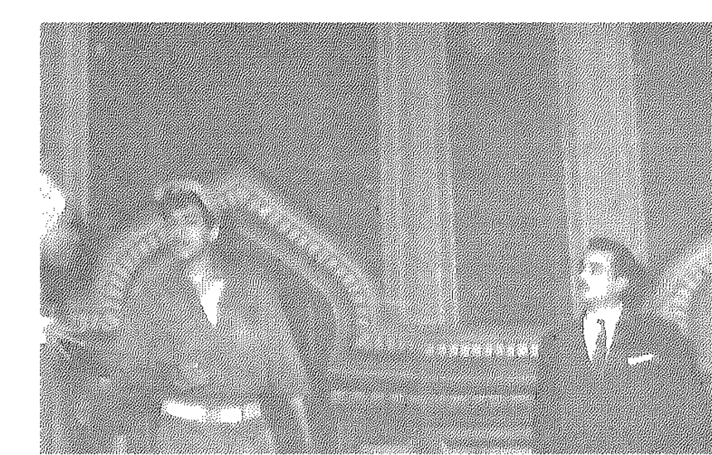
ولانه انتج فى القصة الكثير من الاعمال، فان القصاصين وعشاق القصة ونقادها اعتبروه واحدا من روافد القصة الواقعية المصرية ، فامتد تأثيره الى هذه الناحية .

ولانه اكتشف أهمية فن السينما كفن جماهيرى ذى تأثير خطير على أعرض شريحة من متلقى الفن ، فانه قدم أفلاما بارزة ، ممثلا ومخرجا وكاتبا للسيناريو وكان مؤثرا .

ثم انه كان موهوبا لايخاف الموهوبين كما يفعل أصحاب العقول البيضاء ، انصاف المثقفين ، عديمو المواهب ، دفع بكل موهبة التقى بها الى الامام وفتح لها الابواب على مصاريعها .

يكفى أنه نشر أول قصة ليوسف ادريس وقدم سعاد حسنى لفن السينما .. فكان بذلك معلما من هؤلاء المعلمين الذين يمدون أثرهم خارج ذواتهم . كان نعم الراعى العالم .. لذا لا نقول له وداعا ، الا لنقول : نعم المثل .

الخميسى على المسرح فى مسرحية عزبة بنايوتى



عبد الرحمن الخميسى



مهرجان طه حسين الثالث عشر

● فى المنيا وفى الفترة من ٢٨ الى ٣٠ مارس الماضى عقدت كلية الدراسات العربية المهرجان الثالث عشر الذى حمل منذ انشائه اسم عميد الادب العربى طه حسين الذى اعتادت جامعة المنيا أن تحتفل بذكراه ، لا تملقا بالاوصاف التى اغدقت عليه ، وانما عملت على أن تتخذ من هذه الذكرى نقطة انطلاق لتكريم واحد من ابناء مصر ممن يعدون امتدادا لمدرسة طه حسين ، وأن تطرح موضوعا ثقافيا رئيسيا يدور حوله الحوار والنقاش طوال فترة انعقاد المهرجان .

وقد رات الجامعة فى هذه المناسبة ان تكرم الدكتور سليمان حزين نظرا لدوره الرائد فى انشاء الجامعات الاقليمية ، واخلاصه المتفانى فى خدمه قضايا الفكر والثقافة ، سواء أكان ذلك عن طريق التاليف النظرى أو عن طريق الممارسات العملية .

وقد تقدم كثير من المفكرين واساتذة الجامعات والباحثين هذا العام بدراسات تقلب كل وجهات النظر والزوايا المختلفة للفكر العربى ، ومن هنا رات أمانة المؤتمر أن تصنفها الى ثلاث لجان رئيسية .

اللجنة الاولى وكانت تدور حول مساهمات طه حسين فى الفكر العربى ، قديمه وحديثه ، وقدمت فى هذه اللجنة دراسات كثيرة حول فكر طه حسين ، ولم تقف هذه الدراسات عند حد الثناء على طه حسين ، بل رأت أن خير تكريم لهذا الرجل هو أن تكتشف خطا تطوريا فيمن بعده ، وان تجد امتدادا لاجيال اخرى تحمل الشعلة من طه حسين ولكنها تمدها لتكشف الطريق بصورة أوضح ، ومن هنا نظرت نظرة نقدية الى موقف طه حسين من التراث ، والى موقفه من الشك الديكارتى الذى طبق بطريقة متطرفة ، ووقفت موقفا ناقدا للعملية التوفيقية التى نادى بها طه حسين للتوفيق بين القديم والجديد ، أو بين الشرق والغرب ، ورأت أنها عملية التقائية تقوم على جمع الافكار من هنا وهناك ، وان الافضل من ذلك خطوة تالية تمزج القديم والجديد فى بيئة واحدة ، تضيع فيها خصائص القديم والجديد ، وتظهر صورة أخرى تنطلق من الاثنين كرافدين ، ولكنها تقدم فى النهاية وجهة نظر مختلفة عن الاثنين .

أما اللجنة الثانية فكانت تدور حول الفكر العربى وعلاقته بالتيارات الاجنبية ، وقد برزت فى دراسات هذه اللجنه ظاهرة جديرة بالتأمل ، وهى أننا لم نعد نقف عند حد العلاقة بين الفكر العربى والفكر الاوربى ، بل اتسعت النظرة فشملت العلاقة بين الفكر العربى والفكر الافريقى مثلا ، من خلال دراسات حول الثقافة العربية فى قارة افريقيا ، وهى ظاهرة جديرة بالتأمل لان الوقوف عند العلاقة بين الفكر العربى والفكر الاوربى يجعلنا نحس بالهوان والتبعية .

أما دراسة العلاقة بين الفكر العربى وأفكار المنطقة المجاورة فتجعلنا نحس بقيمه هذا الفكر العربى وقدرته على الانتشار واحتوائه لكثير من التيارات الاخرى .

أما اللجنة الثالثة فكانت تدور حول الفكر العربى بين الاصالة والمعاصرة ، وقد كانت الدراسات فى هذه اللجنة كثيرة للغاية ، ومن متخصصين ومفكرين مديرين لدرجة أن الامانة رات أن تمتد أعمال هذه اللجنة الى يوم ثالث حتى تستوفى كافة الزوايا والنقاط والحوار .

وقد أكد الحاضرون فى هذه اللجنة على ضرورة الاهتمام بالافكار الثورية التى تغير الانسان العربى من داخله وتجعله يحاول أن يحدد موقفه وعلاقته بالغير ، وبالكون ، وبالطبيعة ، وأن يتخلص من عملية التخاذل واجترار الهموم الذاتية والجرى وراء الهامشيات التى تعد ترفا فى ظرفنا الراهن .



وظاهرة جديدة تلفت النظر هذا العام هى ظهور فكرة جائزة طه حسين ، التى ساهمت المحافظة مع الجامعة فى تقديمها ، وقد تقرر أن تكون جائزة سنوية تمنح لكتاب مطبوع يدور حول المحور الرئيسى للمهرجان فى نفس العام ، وقد نال الشهادة التقديرية هذاالعام الدكتور سليمان حزين والدكتور زكى نجيب محمود ، أما الجوائز فكانت من نصيب الدكتور احمد طاهر حسين ورشحت كتابه الجامعة الامريكية بالقاهرة ، والاستاذ مصطفى عبد الغنى ورشحت كتابه مؤسسة الاهرام ..

ندوات

ندوة العرب فى افريقيا :

ضمن اتجاه قوى يسود كثيرا من الاوساط العلمية والسياسية فى مصر والعالم العربى جاء السمنار الثانى الذى اقامه قسم التاريخ بكلية اداب القاهرة الذى يشرف عليه الدكتور رءوف عباس خطوة فى هذا الاتجاه الساعى الى تأكيد أهمية العلاقات العربية الافريقية تاريخيا وسياسيا وحضاريا واقتصاديا .

ويمكن القول بشكل عام ان القضايا التى طرحها السمنار كانت متنوعة ، أن يكن فى الابحاث التى قدمت اليه ونوقشت فى جلسات ست خصصت لاستعراضها ، أو فى حلقات النقاش الثلاث التى جاءت خلال ثلاثة أيام متتالية كختام ليوم عمل كامل .

واذا كان من المستحيل من الناحية العملية أن نعرض لما تم فى جلسات المؤتمر كلها ، فانه يمكن القول بشكل عام أن الابحاث وحلقات النقاش تفرعت الى عدة محاور بارزة .

فمن الناحية التاريخية كان هناك اهتمام ملحوظ بتتبع العلاقات المصرية والعربية والتاريخية بأفريقيا ، وفى هذا الاطار جاء بحث الدكتور عطية القوصى محاولة العرب المسلمين كشف منابع النيل فى القرون الاولى للاسلام ، كما جاء بحث الدكتور سليمان عبد الغنى المالكى « أثر العرب على الحياة الاجتماعية فى شرق افريقيا » وكذلك بحث الدكتور أيمن فؤاد السيد وصف افريقيا فى المصادر الاسلامية ، بالاضافة الى بحث الدكتور جمال ابوالنصر المعنون« موقف الافارقة السود من ارتباط الاسلام بالثقافة العربية » ، وكذلك بحث الدكتور قاسم عبده قاسم عن علاقة مصر بالحبشة فى عصر سلاطين المماليك .

المحور العام الثانى الذى يمكن أن تنضوى تحت لوائه كثير من ابحاث هذه الندوة هو المحور السياسى ، وان كان التاريخ هنا يمكن أن يمتد بالعلاقات العربية الافريقية من الناحية السياسية الى اتجاهين : الماضى والمستقبل بالاضافة طبعا الى الحاضر ، وتحت هذا المحور يمكن ان تدرج ندوة النقاش الاولى التى جاءت تحت عنوان «حركةالتحرر الافريقية الى اين»، وقد شارك فيها كلمن الدكتور عبد الملك عودة والسفير فؤاد البيومى وحلمى شعراوى وأسامة الغزالى ، بالاضافة الى بحث الدكتور يونان لبيب رزق « دور مصر فى اوغندا فى القرن التاسع عشر » ، وبحث الدكتور عبدالقادر زبادية الزعماء « المتطورون » فى حزب التجمع الافريقى ، وبحث الدكتورة سلوى لبيب «العرب وقضية التفرقة العنصرية» وابحاث أخرى عديدة منها بحث الدكتور حسن ناقصة «الحوار العربى الافريقى».

المحور الثالث يمكن تصنيفه تحت لواء الاقتصاد ، وان كانت الابحاث فى هذا المحور قليلة ، لكنها هامة على أية حال ، وفى هذا المجال يأتى بحث الدكتور على السيد على التبادل التجارى بين مصر وبلاد التكرور وانعكاساته على أحوال مصر الاقتصادية ، وبحث الدكتور محيى الدين مصيلحى دور العرب فى النشاط التجارى فى شرق أفريقيا .

المحور الرابع والاخير الذى يمكن أن تنضوى تحت لوائه عدة أبحاث هو فى تقديرنا اخطر المحاور ، ويمكن وصفه بمحور الامن القومى العربى ببعده الاستراتيجى الافريقى ، وهنا جاءت حلقة النقاش الثانية لتؤكد هذا مباشرة عبر العنوان الذي جرى حوله النقاش وهو قضايا الامن والاستراتيجية فى أفريقيا ، وكذلك كانت حلقة النقاش الثانية التى جاءت تحت عنوان العرب وافريقيا فى مواجهة المستقبل ، والى هذا المحور أيضا يمكننا ان نضيف بحث الدكتور ابراهيم نصر الدين التعاون العربى الافريقى رؤية مستقبلية ، بالاضافة الى بحث اللواء محمد رضا فوه باب المندب والامن العربى الافريقى .

وكان للمراة نصيب فى بحث الدكتورة عواطف عبدالرحمن المعنون ، المراة العربية والافريقية فى اطار حركات التحرر الوطنى .

رسائل جامعية

حرية الصحافة فى لبنان

● فى التاسع والعشرين من مارس الماضى نوقشت بكلية اعلام القاهرة رسالة الدكتوراة المقدمة من حازم عبد الحميد غالب ..

وفى البداية افتتح الدكتور مختار التهامى عميد كلية الاعلام ورئيس لجنة المناقشة والمشرف على الرسالة المناقشة بأن طلب من الباحث تقديم عرض ملخص من الرسالة ، ثم قام بتقديم المناقش الزائر من خارج الجامعة « كما تقضى التقاليد الاكاديمية » وهو الكاتب الصحافى كامل زهيرى .

وتركزت ملاحظات الاستاذ زهيرى على الفصل الاول من الرسالة الخاص بعرض ملخص لتطور حرية الفكر وحرية الصحافة فى تاريخ المجتمعات المختلفة منذ العصور القديمة ، ولاحظ المناقش ان الاختصار والعجالة فى هذا الفصل ادت الى وجود اضطراب وعدم اتساق فيه بعكس ماهو عليه الحال فى باقى الفصول المتضمنة لموضوع الرسالة .

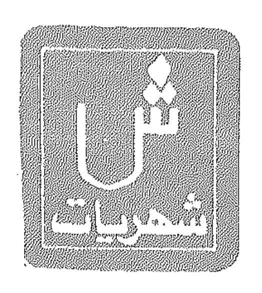
وقد رد الباحث على الملاحظات الموجهة اليه بأنه قد عرف الفصل الاول فىعنوانه بأنه «مدخل عام» ولخصفيه مواضععديدة وفترات تاريخية طويلة فى صفحات معدودة ، وهذا ما أدى الى وجود مايشبه النمط لبعض التجارب والمراحل ، ولكنه فى الوقت نفسه لايستطيع ذكر كلالتجارب والمراحل لان ذلك يعني توسعا كبيرا فى المدخل مما سيجعله يطغى على موضوع الرسالة ، وأشار الباحث الى انه يعتقد بضرورة هذا المدخل الملخص لكى يمكنه ايضاح الارضية التى ينطلق منها لمفهومه حول حرية الراى والصحافة .

وعلق الدكتور التهامى فى مناقشته حول الموضوع ذاته ، بأن هذا الفصل او المدخل ينبه الى عدم وجود بحوث نظرية حول التطور التاريخى لحرية الصحافة والمراحل التى مرت بها فى تجارب الدول المختلفة ، مما يستدعى من كلية الاعلام تكليف بعض طلبتها فى الدراسات العليا لاعداد رسائلهم حول هذه المواضيع .

واعترض كامل زهيرى على التعريف الذى أعطاه الباحث لحرية الصحافة ، حين اشترط فيه أن تكون هذه الحرية خارج الضغوط الحكوميه والسياسية والادارية والاجتماعية والتمويلية ، اذ يرى ان هذا تصور مثالى لا يمكن حدوثه فى الواقع .

وقد أجاب الباحث عن ذلك بأنه قد شرع تعريفه الوارد فى بضعة أسطر عبر ثلاث صفحات احتوت على تسع نقاط تفصيلية ، وانه قصد أن تكون حرية الصحافة بعيدا عن الضغوط السلبية المختلفة الاشكال والمصادر الهادفة الى صرف الصحافة عن اداء دورها ورسالتها تجاه القارىء والمجتمع .

وبعد أن شكر رئيس اللجنة المناقش الاول قدم الثانى الدكتور فاروق أبوزيد استاذ الصحافة بجامعة القاهرة .. وقد ركز الدكتور أبو زيد ــ بعد مقدمة أثنى



فيها على الرسالة والبحث ـ على النواحى المنهجية فى البحث . اذ ذكر أنه يعتقد أن الباحث تداخلت لديه طبيعة النظام الصحافى اللبنانى وقضية حرية الصحافة فيه .

وقد رد الباحث على ذلك بأنه يتفق مع الدكتور «أبو زيد» فى ان موضوع البحث بشكل دقيق هو « النظـــام الصحافى اللبنانى » وأنه لم يستطع تغيير العنوان، بعد فترة من البحث اعتقد خلالها أن عنوان النظام أصح وذلك بسبب الشروط الاكاديمية التى تعتبر تغييرالعنوان تسجيلا جديدا للرسالة بينما تمكن الباحث من تغيير جميع محتويات الرسالة الاخرى ..

وطرح الدكتور أبوزيد ملاحظة أخرى حول ماذكره الباحث من انالرسالة تسعى لدراسة العلاقة بين متغير النظام الصحافى او حرية الصحافة فى لبنان من جهـــة وبين متغيراته الاخرى كالنظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى والقـــانونى وما اليها .

وقال المناقش ان الاصح ان اعتبـــار النظام الصحافى وحرية الصحافه ظاهرة ودراسة تأثيرات المتغيرات الاخرى عليها .

الدكتور مختار التهامي والدكتور فاروق ابو زيد والاستاذ كامل زهيرى



وقد رد الباحث بأن مسألة « الظاهرة » تعنى تثبيتا تجريديا لمتغير وهو ما لايمكن حدوثه فى الواقع والمجتمع ، وحرية الصحافة ليست عنصرا من عنـاصر العلوم الطبيعية ليمكن تثبيتـــه وقياس تأثير المتغيرات الاخرى عليه ، اذ أنها تدرس ضمن العلوم الاجتمـــاعية ، ولو اعتبرنا النظام الاجتماعى أو حرية الصـــحافة ثابتة لاستدعى ذلك استبعاد تأثيرها فى النظام السياسى ، وكمثـــال على ذلك مساهمة الصحافة اللبنانية فى اسقاط الرئيس الخورى عام ١٩٥٢ .

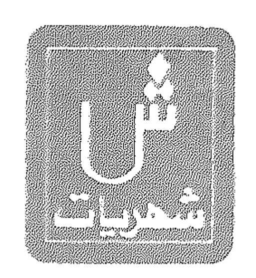
وأبدى الدكتور أبوزيد اختلافه حول تحديد طبيعة النظام السياسى اللبنانى ، اذ يرى أنه نظـــام اقطاعى متخلف وليس نظاما ليبراليا . وقد رد الباحث بأن رسالته تبين أن النظام السـياسى اللبنانى هو نظام يدعى أنه ليبرالى ، ولكنه يمتلك عدة سمات وخصائصمختلطة من أشكال انظمة مختلفة مما يصـــعب تصنيفه ، ولكن ذلك لا ينفى قيـامه على أسس ليبرالية سياسيا ورأسـبمالية اقتصاديا .

وبين الدكتور أبوزيد تفضيله لاتباع أداة تحليل المضمون الظاهرى الاحصائى فى بحوث الاعلام ، وأنه كان يرى أفضلية اتباع هذا المنهج فى اعداد الرسالة على منهج التحليل الوصفى .

واختتم الدكتور مختار التهـــامى المناقشة ، بأن أشاد بجهـــد الباحث وثقافته ، وجرأته فى التصدى لموضـوع شائك كهذا ، ولاحظ أن المدخل الذى تعرض لتطور حرية الفكر والصـــحافة

وان كان يعانى من بعض الهفوات فانه وضع الباحث لعرض وجهة نظره حول هذا التطور وبيان الارضـــية التى يقف عليها فى موضوع بحثه تغفر له هـــذه العجالة والاختصار الشديد .

وقد أصـــدرت اللجنة بعد المداولة قرارها بمنح الباحث درجة الدكتوراه فى الاعلام بمرتبة الشرف الاولى مع التوصية بتبادل الرسالة مع الجامعات الاخرى .



كتب جديدة

المرأة فى عهد الفراعنة

كتاب ممتع انيق ظهر عن دار ستوك لورنس بيرنو بباريس لعالمة الآثار المصرية الجليلة كريستيان ديروش نوبلكور رئيسة قسم العاديات المصرية سابقا بمتحف اللوفر واستاذة الاثار المصرية بمدرسة اللوفر للفنون ، ومستشارةاليونسكو بمركز تسجيل الاثار المصرية بالقاهرة وأحد اقطاب مشروع انقاذ آثار النوبة» وصاحبة عدد ضخم من المؤلفات ذات الشأن فىمجال تخصصها . وقد وجه لها الدكتور ثروت عكاشةرئيس جمعية الصداقة المصرية الفرنسية الدعوة لالقاء محاضرة عن هذا الكتابفى ٧ ابريل ١٩٨٦ بمقر الجمعية ، ولبت السيدة قرينة رئيس الجمهورية الدعوة للاستماع لهذه المحاضرة مع لفيف منكبار المثقفين والفنانين» والكتاب يتحدث عن مصر التى فتنت العالم بفراعينتها وتوابيتها الذهبية .. وأهراماتها الغامضة وهل كان للمراة نصيب فى هذا كله أم كانت بعيدة عنه كل البعد ؟. فلقد احتلت المرأة فى المجتمع المصرى مكانة مساوية للرجل حتى باتت تتلقى العلم مثله ، وكذا ترث وتوصى وتورث. أما فى الاسرة الملكية فالعروس الكبرى هىمانحة الدماء الملكية والولاية الفرعونية» وهى التى تلى الفرعون شأنا ، وتقدم له النصح والمشورة . وثمة غيرها أيضا ممن يشاركن فى السلطة مثل نساء حريم فرعون اللائى يمارسن حبك الدسائسوالمؤامرات» وعذراوات الاسرة المالكة عرائس الاله اللاتىيتخلصن من كبار الكهنة كى يحللن مكانهم فى ممارسة السلطة الدينية التى ينافسن بها السلطة الملكية . كذلك خضع العالم الدينى المسيطر على حياة الناس اليومية .

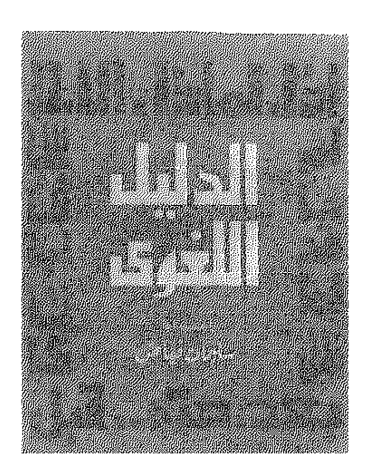
لايزيس مثال الزوجة الوفية والام الرءوم التى قال فيها الشاعر المصرى: ((أى ايزيس .. سيدة العالم الارضى . يا من جعلت المراة كفئا للرجل». والكتاب زاخر بالقصص الشائق والنوادر الفكهة والمؤامرات المحبوكة والاحداث الطريفة» ومزود بأربع وعشرين صفحة محتشدة بالصور . هذا الى الرسوم الايضاحية المصاحبة للمتن والحق انه كتاب يلقى ضوءا جديدا اليفا على عصر كان الى وقت جد قريب مقصورا علىسيرة الملكاتدونالعامة. فتتحدث المؤلفة . أول ما تتحدث عن الانوثة فى عالم الالوهية ثم الانوثة فى عالم الملكية ، وعن زوجات الالهة ، كما تبين لنا بوضوح ما كانت تتمتعبه المرأة المصرية من حرية ، ومكانتها فى المجتمع . وتسهب فى الحديث عن زيها واناقتها ، وعن الطفولة والتعليم والحب والخطوبة والزواج والطلاق وعن الحياة فى البيت المصرى ، وعن مسئوليات ربة المنزل وعن المحظيات» وعن الحداد والختان والتحنيط والدفن والولائم الجنائزية ، وعن الارامل وحماية المطلقات وتعليم الابناء والبنات وبيوت الجعة والمتعة ..



كرستيان دى
روش فوبلكور

مكتبة الهلال

الكتاب : الدليل اللغوى
تأليف : سليمان فياض
الناشر : دار المريخ
١٥٢ ص ، ٣ ج م



هل تكتب الهمزة على الالف ام على الواو ام على النبرة ام على السطر ؟. هذا السؤال اصبحنا نسمعه كثيرا هذه الايام ، فى بيوتنا ، وفى مصالح أعمالنا ، بعد تراجع الاهتمام باللغة العربية وقواعد الاملاء لتحل مكانه اهتمامات اخرى ، تقتضيها ظروف حياتنا .

من هنا تاتى اهمية هذا الكتاب الذى هو دليل جيب لغوى يمكن ان يحمله المرء فى كل مكان حل ليستعين به متى شاء وهو دليل عام ، موجز ، شامل بقدر المستطاع ، عن الالفاظ والادوات والمشكلات فى اللغة العربية ، التى ينسى متعلم العربية - اذا لم يكن من المتخصصين الضليعين فيها - معانيها، وكيفية استخدامها اللغوى فى شتى التراكيب الاسلوبية واحوالها مع المعانى ، ومع اوجه البناء والاعراب ، وكيفية الاستخدام لها فى سياقاتها المناسبة الصحيحة نحويا وصرفيا ، واملائيا.



الكتاب : رؤيه اسلاميه
تأليف : د. زكى نجيب محمود
الناشر: دار الشروق
٤١٢ ص ، ٥ ج

ضمن سلسلة المقالات التى نشرها الدكتور زكى نجيب محمود فى السنوات الاخيرة ، والتى تعبر عن مشاركته الايجابية فى القضايا المطروحة على الساحة ، تأتى هذه

المجموعات الاربع التي تضمها دفة هذا الكتاب الجديد الصادر اخيرا للكاتب ، سبع مقالات تأتى تحت العنوان الاول « مع العلم بعمق الايمان » تأتى لتجيب عن السؤال :

ما الذى اصاب العالم الاسلامى فتخلف حتى اصبح فى مؤخرة الركب الحضارى فى عصرنا هذا ، بعد ان كانت له ، يوما ما ، قيادة وريادة ؟ وهو السؤال الذى يطرحه المؤلف نفسه وهو يفسر مساهمته فى المسألة الاسلامية فيقول : فى القسم الاول حاولت ان ابين كيف يعود العالم

الاسلامى الى قوته ، اذ هو جعل العباده تتسع فى معناها ، حتى تشمل بكل جدية واهتمام محاولات الكشف العلمى عن اسرار الكون ، اما القسم الثانى فيؤكد على عناصر القوة فى حياتنا الفكرية كما هى قائمة الان والتى تحتاج الى تقوية وتنمية ، ثم يأتى القسم الثالث ليبرز جوانب الضعف واليأس والخمول وضيق الافق فى حياتنا الثقافية الراهنة ، ويقول المفكر : وعقيدتى هى ان ادراك مواضع العلة هو اول خطوة على طريق العلاج الصحيح

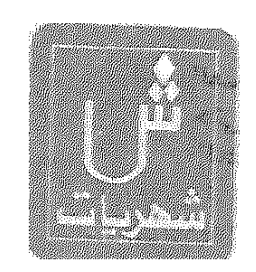
واما القسم الرابع والاخير فيبين دوائر الانتماء المصرى اولا فى دائرته المحلية ثم فى الدائرة العربية ثم ثالثا الدائرة الاسلامية الاكثر اتساعا ، وهو تبيان معمق يستحق النظر .

الكتاب : مرايا النهار البعيد
شعر : محمد ابراهيم ابو سنة
الناشر : الهيئة العامة للكتاب
١٢٠ ص ، ١٢٥ ق



هذا هو الديوان السابع للشاعر الرومانسى الرقيق محمد ابراهيم ابو سنة بعد دواوينه « قلبى وغازله الثوب الازرق ، حديقة الشتاء ، الصراخ فى الاثار القديمة . اجراس المساء ، تاملات فى المدن الحجرية ، والبحر موعدنا .. وهى الكتاب الرابع عشر فى سلسلة اعماله الاخرى التى ضمت مسرحيتين شعريتين وعددا من الدراسات الاخرى المتنوعة .

فى هذا الديوان تتجلى خصائص الشاعر التى رايناها فى دواوينه الاخرى، تلك النغمة الحزينة التى



تسرى فى مفاصل الابيات، وحتى فى المفردات والتراكيب والجمل ، فهو ينشد الظلال والسنديان ، كما ينشد صوت اليمام - كان صوت اليمام نابضا فى السهول - والنسيم الملول - يتحلق حول رءوس النخيل - كنت أعشق هذا اليمام اليتيم - كان يحمل حزنى - وكان يأسره - فى الظلام البهيم - آه كنت ارافقه فى الظلال - وكانت ترافقنا فى السماء الغيوم .

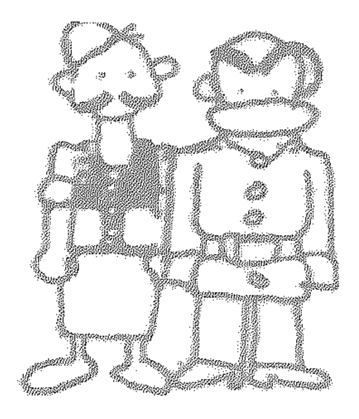
فى هذا الديوان قصيدة ينشرها الشاعر فى فبراير عام ١٩٥٩ فى الملحق الادبى لجريدة المساء وهى بعنوان « القارة الغاضبة » وكما هو واضح من العنوان هى تدور حول « افريقيا اثناء انتفاضة اقطارها ضد الاستعمار وضد التمييز العنصرى » وهى على ما بها من ضعف تعكس الروح الثائرة التى كانت سائدة فى تلك الايام .

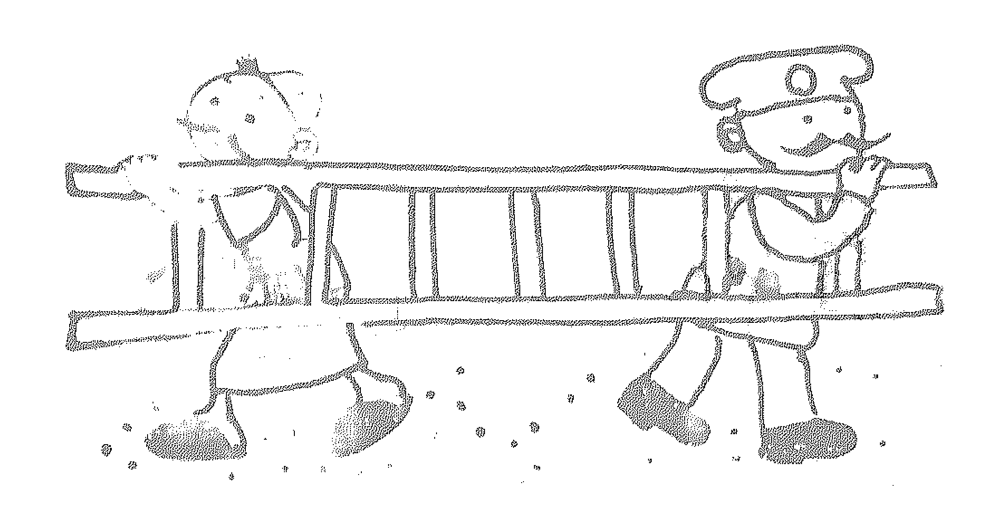


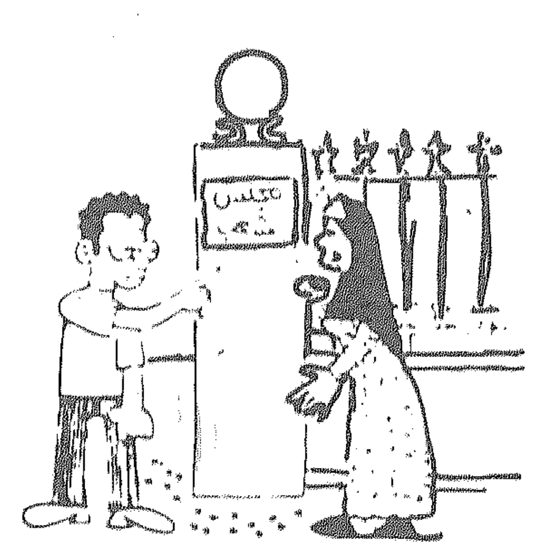
الكتاب : حكومة وأهالى
رسوم : بهجت عثمان
الناشر كتاب الاهالى
١٦٠ ص ، ٣٥٠ ق

نوعية جديدة من الكتب بدأت تثرى فى حياتنا الثقافية ، كتب تعتمد على الرسم والصورة واللوحة اكثر من اهتمامها بالكلام، من هذه النوعية ياتى هذا الكتاب الذى جمع فيه بهجت عثمان لاول مرة مجموعة من رسومه الهامة التى تدور حول شخصيتين اصبحتا شهيرتين، شخصية العسكرى وشخصية ابن البلد البسيط الذى يحمل همومنا ويعبر عنها ببساطة وقوة فى نفس الوقت . هنا مختارات من هذه الرسوم نقدمها بدلا عن اى كلام يمكن ان يقال :

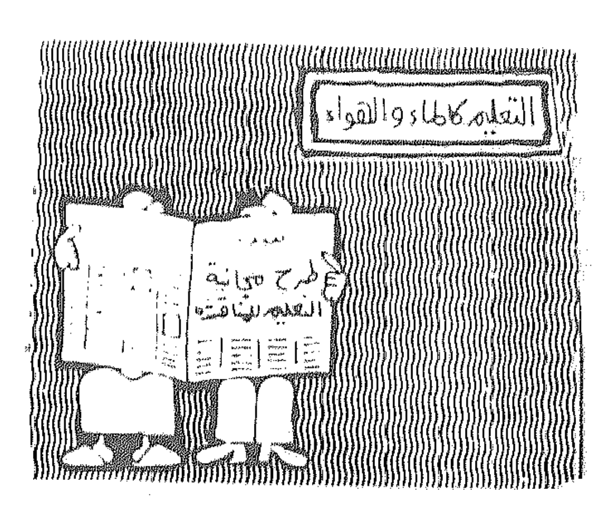




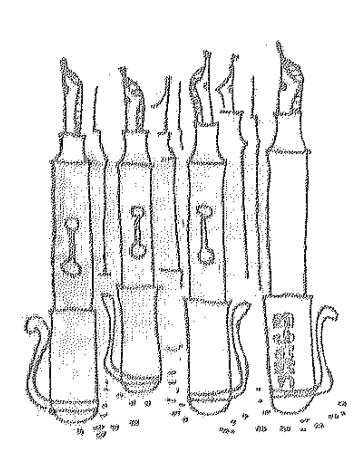


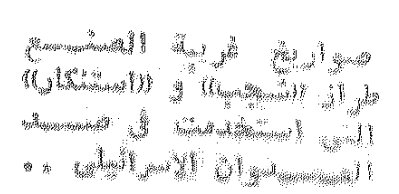


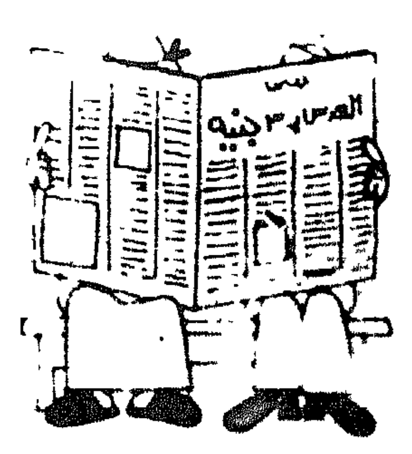
لا ده ((مجلس)) الشعب ، انا
بسألك على ((موقف)) الشعب !



دول قطعوا الميه .. ولونوا الهوا -
علشان يلغوا مجانية التعليم



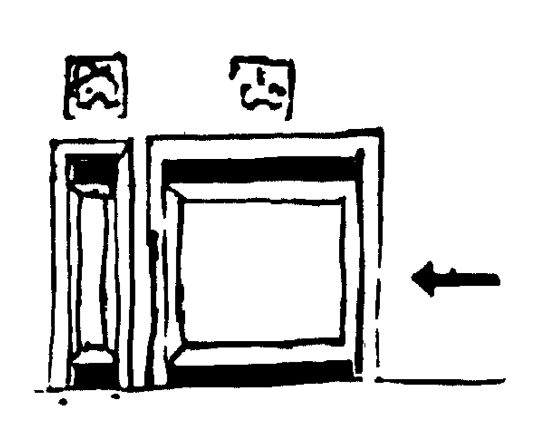

صواريخ عربية الصنع
طراز ((شجب)) و ((استنكار))
التي استخدمت في صد
العدوان الاسرائيلي ..

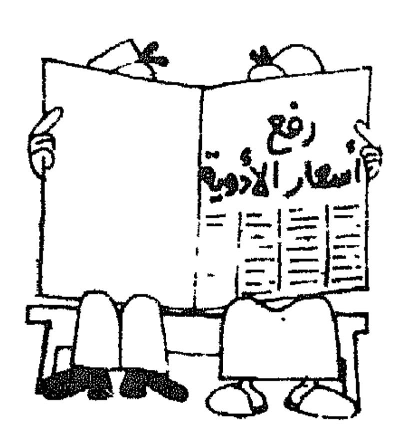


اصله من السلع المعمرة .. لانه
بيصمد فى البطن مده طـــويلة..

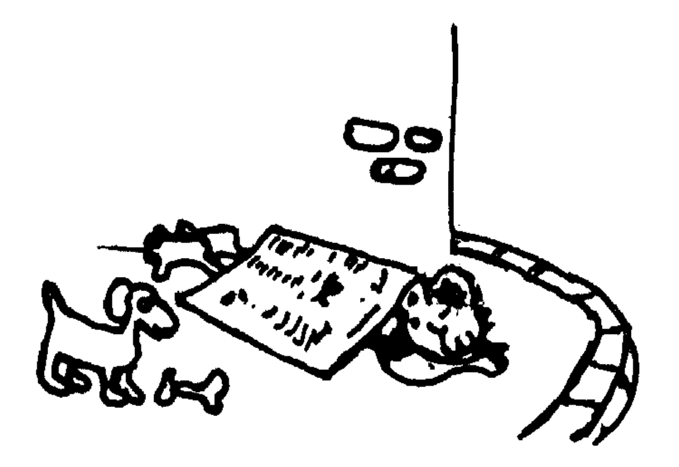


همه لوفاهمين كانوا كتبوه
بالقاف مش بالهمـــزة ..





ده بقى مساس بمحـــدود
الدخل والصحه والعمر .



الصحافة تغطى
الأحـــــداث

الأدب العربى المكتوب بلغة أجنبية

آسيا جبار

بقلم : محمود قاسم

آية حيرة يمكن للكاتب المهاجر ان يقع فيها . تلك التى تهتف فى اعماقه تجذبه الى هويته القومية التى جاء منها . وبين ثقافة البلد الذى هاجر اليه . يجد مثل هذا الكاتب نفسه اشبه بطائر فقد جناحيه فلا هو انتمى الى سكان الارض ولا الى طيور السماء .

هذا الكاتب الذى تعلم منذ نعومة اظفاره لغة قوم استعمروا بلاده لاكثر من مائة عام وحاولوا طمس هويته الثقافية والتاريخية يشعر - عادة - انه يسبح فى تيار يمكن مقاومته ، فيتعلم السباحة لكن ذراعيه اضعف من التيار .

فرغم ان الادب العربى المكتوب بلغة فرنسية قد اتسم بسمات خاصة اكثر تمردا من الادب المكتوب باللغة العربية نفسها . لكن هذا الادب مهاجر الى لغة اخرى . يقرأه قوم غرباء عنه اما اصحابه العرب فلا يعرفون عنه شيئا . ولا يعرفون الكثير عن هؤلاء الادباء الذين يحترقون «عروبة» فى عواصم اوربا ومن امثلة المغربة التى يعانى منها هؤلاء الادباء ان احدى المؤسسات الثقافية فى مصر تعد الان موسوعة للادباء المصريين الذين عاشوا فى القرن العشرين . وعندما طرحت عليهم اسماء ادباء مصريين يعيشون فى الخارج مثل البير قصيرى وجويس منصور كان السؤال هو : ومن هم اصحاب هذه الاسماء ، وما هى حدود اهميتهم ؟

● الرصيف .. لا يمنح جنسية

الكاتبة الجزائرية اسيا جبار هى احد اشهر النماذج الادبية التى تعيش بادبها ولغتها فى بحر متلاطم من الحيرة . فهى كاتبة مجهولة تماما لقراء اللغة العربية رغم اهميتها وعندما قررت الكتابة باللغة العربية عجزت تماما عن الاستهلال الادبى بهذه اللغة مثلما اعتادت ان تفعل باللغة الفرنسية . فهربت الى الاخراج السينمائى لان مفردات التعبير هنا تختلف تماما . ولم تنجز اسيا جبار الكثير فى مجال الاخراج


آسياجبار

فقد دب حنين الكتابة فى وجـدانها يدفعها الى ان تكتب من جديد لدرجة انها نشرت اخيرا روايتين بعد انقطاع طويل عن الكتابة • الاولى هى « الحب والفنتازيا » عام ١٩٨٥ ثم « ظـل سلطانة » عام ١٩٨٧ •

تقول الناقدة لالا خناجة فى احدى المجلات العربية انه « اذا عاش المرء فى قلب العملية الحضـارية وعلى تخومها • فانه ليس موقفا محايدا بين التلوث واللاتلوث • لكنه ممارسـة للحالتين معا • حاولت الكاتبة الجزائرية ان تفعل هذا عندما تكـون امرأة من العالم الثالث على رصيف باريس • فان الرصيف لا يعطيها جنسية اخرى سوف يظل انتماؤها للأيدى الخشـنة لاناس يريدون ان يصنعوا شـكلا مختلفا للحياة » •

وآسيا جبار المولودة فى الجـزائر عام ١٩٣٦ هى نموذج لنساء عديدات تائهات بين حضارتين متباينتين • وقد قيل انها حاربت الفرنسية بالفرنسية • وذلك حسبما يقول الكاتب المعروف الان بوكيه ان الكتابات التى وضعها كتاب شمال افريقيا العرب قد احدثت الزلزال • مؤكدا انه كان من المفروض ان تترهل الثقافة الفرنسـية من السياسة الفرنسية •

● الفجر الدامى فى الجزائر

نشرت آسيا اولى رواياتهـا « العطش » عـام ١٩٥٦ اى وهى فى العشرين من عمرها • ويؤكد مسراد بوربون فى مجلة جون آفريك ـ ديسمبر ١٩٨٤ ـ انها رواية تحمـل روح الشباب وتؤكد موهبة الكاتبة • ومدى ما تتمتع به من سـحر وذكاء مما مكنها من الاسترخاء فى مخـدع الادب وقيل ان اسـيا جبـار هى فرانسواز ساجان الجـزائر تمتلك قلما خاطفا من سرد بعض الوقائـع الباريسية •

وعلى مدى ثلاثين عاما لم تنشر آسيا جبار سوى خمس روايات بحثت فيها جميعا عن الجذور الاجتماعيـة والتاريخية لابناء شعبها • فعندمـا حصلت الجزائر على استقلالها عـام ١٩٦٢ • عادت الى بلادها للتهنئـة وهى تحمل بين ذراعيها مسـودة روايتها الثانية « اطفـال العـالم الجديد » • وقد فتحت لها جامعـة الجزائر ذراعيها • فقامت بتـدريس التاريخ • ولكن الابداع يطـارد الكاتبة فلم تهتم كثيرا بالاستقرار فى التدريس • وعادت عـام ١٩٦٧ الى فرنسا لتنشر روايتها الثالثة « القبرات الساذجة » حول وضـعية المـرأة المسلمة فى الوطن وفى المهجر ومنـذ ذلك الحين تزعمت اسيا جبار الحركة النسائية العربية فى شمال افريقيا • ففى عام ١٩٦٨ رأست مهرجان الثقافة الافريقية المنعقد فى الجزائر وقدمت مسرحية مكتوبة بالفرنسـية تحمـل عنوان « الفجر الدامى » حول سنوات الاحتلال الفرنسى للجزائر وعند ترجمة النص المسرحى الى اللغة العربيـة بدا اكاديميا خاويا من الحيـاة وعبثا حاولت اعطاء النص روحها بالعربيـة

آسيا جبار

لكن بلا جدوى . وكأنه من الصعب عليها ان تعود من منفاها داخل لغة اوربية الى موطنها اللغوي الذى سرعان ما انتبذها .

اما علاقتها بالسينما الجزائرية فقد جاءت اولا حسبما يقول مراد بوربون - من ان السينما القومية قد بدت لها اكاديمية للغاية . وعندما عهد اليها التليفزيون الجزائري باخراج فيلم تسجيلي اقلت سيارة صغيرة وحملت آلة التصوير ورحلت الى القرى لتصور البسطاء من الناس وجاء فيلمها تعبيرا عن دور المرأة العربية الريفية ابان حرب التحرير . وقد حصل هذا الفيلم على جائزة النقاد فى مهرجان فينسيا عام ١٩٧٩ . مما دفعها الى اخراج فيلم ثان يحمل اسم « زردة » » .

المرأة .. والحجاب

يقول طاهر بن جلون فى مجلة اليوم السابع - ١٢ يناير ١٩٨٧ - : « ولاننا لم نكن قادرين على الكتابة مباشرة بالعربية ، فاننا بذلنا جهدنا لكى يصار الى ترجمة اعمالنا سريعا الى هذه اللغة واسفر الامر عن ظاهرة غريبة : اذا تحول ادبنا الى اللغة العربية . لم يحقق النجاح المرتجى . والذنب هو ذنب عملية العبور هذه . اكثر مما هو ذنب نوعية الترجمة . فالجمهور لا يحب هذا النوع من التكييف الجمهور الذى يقرأ ابدى الكثير من الحذر . لانه يفضل ان يكشف الكتاب المغاربة عبر نصوصهم مباشرة » .

وايمانا بهذا الرأى عادت اسيا جبار عام ١٩٨٥ لتكتب مرة اخرى باللغة الفرنسية روايتها « المحب والفنتازيا » وهى عبارة عن قصيدة سيمفونى فى خمس حركات - حسب لوموند فى ١٠ مايو ١٩٨٥ - تصاحبها اصوات غنائية حول امرأة تتحدث عن تاريخ بلادها بدءا من حرب الجزائر الاولى (١٨٣٠-١٨٧١) حتى قيام ثورة المقاومة الثانية التى قام بها الفلاحون الجزائريون . واشتركت فيها النسوة خاصة الارامل .. لم يمارس هؤلاء السيدات الادب فى حياتهن . بل عانين من الحرب . كانت كلماتهن خناجر . سمعت حكاياتهن ترددها الالسنة واردت ان اترجمها . كى انتزل القرن التاسع عشر داخل صوتى من خلالهن » .

لقد اكتشفت الكاتبة وهى تبحث فى التاريخ ان اللغة الفرنسية التى تكتب بها ملطخة بالدم وهى تقرأ عن العلاقات التى ربطت الضباط الفرنسيين بأثرياء الجزائر " رأت ان العنف هو الشاهد الذى كتب التاريخ : « انا وريثة هؤلاء القتلى . حاولت من خلال هذا الكتاب ان أوكد ان هناك دماء فى ميراث اللغة » . ففى احدى الحركات الدامية التى تتغنى بها تتحدث عن وقائع حرق خمسمائة جزائرى فى عام ١٨٤٥ على ايدى الجنود الفرنسيين بعد تعذيبهم .

يقول ابن جولون ان هذه الرؤية حول الحب الذى تعانيه أسيا تجاه اللغة العربية انه حب لم تتحدد تسميته بعد ففى المجتمع المغربى التقليدى لا يسمى الرجل زوجته ابدا . بل انه يطلق دائما على اسرته اسم « البيت » اما والد أسيا فقد حطم هذا التقليد حين ارسل بناته الى المدرسة الفرنسية متمنيا ان يكن فى طليعة المجتمع . وكان ينادى زوجته دائما بلفظ « سيدتى » . اما الكاتبة فتقول : « درست الفرنسية وأصبح جسدى منسقا على الطراز الاوربى »

وعندما كان يسأل ابوها : لماذا لاتضع بناتك الحجاب • فيرد لانهن يذاكرن وبفضل المدرسة الفرنسية استطاعت البنات الهرب من الحبس كي يعبسرن عن رغباتهن • واصبحت الفرنسية لغة كتابة عند آسيا جبار التي تقول انها سرقت اللغة الفرنسية من عدو الامس •

● وخرجت بدون اذن زوجها

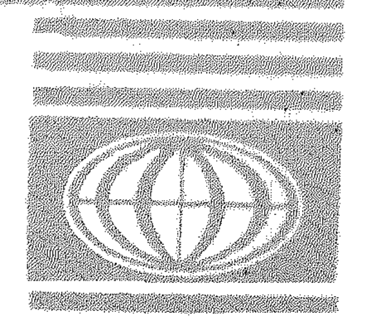
وفى الاغنية الاخيرة المسماة النای » روت الكاتبة انه فى زمن النخيل قدمت لها احدى النساء يدا مقطوعة عثر عليها فى احدى المستعمرات الفرنسية • وقد الهبت هذه اليد للكاتبة حكايات عن فتاة عربية تاخذ قلمها من ابيها وتذهب الى المدرسة كي تتعلم الكتابة عن طفولتها التى نفت بنفسها فيها •

وقد كتب المستشرق جاك بيرك عن هذه الرواية فى مجلة لونوفيل او بسرفاتور انها « مشعلة رومانسية وفكر اجتماعى وسيرة ذاتية حقيقية من خلال شخصيات خيالية • وقصائد شعرية مدونة فى كتاب لا يخلو من تعقيد • كما انها نص يعبر عن اجواء البحر المتوسط اكثر من ادب البيركامى » •

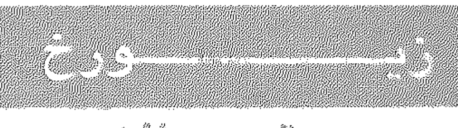
اما روايتها الاخيرة « ظل سلطانة» فهى بمثابة تكملة للرواية السابقة وهى كما تقول الكاتبة «.قسم من الرباعى بالمعنى الموسيقى تمثل الحركة الاولى منها آلة الكمان لان صوتها جهورى يعكس حركة التاريخ • اما ظل سلطانة فتمثل نايا يصدر انغاما رقيقة » • وبطلة الرواية تدعى حجيلة • امرأة عربية تقيم فى احد الاحياء الشعبية بالجزائر • تزوجت من رجل شرقى طموح • يؤمن بالتحفظ أو الانغلاق • قليلا ما يبتسم الة التخاطب بينه وبين امرأته هى الاشارات • يأمر وينهى فقط يتلذذ بأن يطلب منها احضار منفضة السجائر • انه انسان بلا اسم • اما هى ـ فكما يقول خميس خياطى فى اليوم السابع (٣٠ مارس ١٩٨٧) ـ فامرأة طيبة• رقيقة : تتأثر بسهولة وبدون عنف • من هنا يأتى اختيار اسم حجيلة • وهو اسم طائر رقيق • فهى فى بداية الطريق بعيدة عن التمرد والثورة عاشت مع امها واختها كنزة حياة الفقراء • وقد ودت حجيلة ان تتمرد لمرة على هذا الزوج الطاغية فتقرر الخروج من الدار دون اذن وبلا حجاب يستر وجهها فتشعر لاول مرة وكأنها تفقد جسدها وكيانها وحريتها و « تصبح مجرد عيون ترى ولا ترى ، تنمو لديها رغبة السرقة خلسة » ••

والرجل دائما عند آسيا جبار اشبه بضمير الغائب•بلا هوية محدودة مجرد شبح كبير يتحرك هنا وهناك وعندما يعرف الرجل ان امرأته خرجت من الدار كاشفة وجهها يدخل عليها المطبخ وينهال ضربا •

وعن هذه الرواية تحدثت آسيا جبار ـ فى اليوم السابع نفس العدد المشار اليه ـ قائلة : « تمثل الحب والفنتازيا ، علاقتى بأبى ، اما ظل سلطانة فهى تصور علاقتى بامى • والقسم الثانى من الرواية هو تعبير عن علاقة فتاة بابيها وبالتالى باللغة فاللغة الفرنسية هى لغة الغير ،لغة المستعمر كانت بالنسبة لى لغة الادب وهذه اللغة فتحت لى ابواب العالم• واصبحت علاوة على كونها لغة الاخر، لغة الحرب ، حينما آحاول تحليل ذاتى ، اجد ان اللغة الفرنسية مكنتنى من الهروب من سجن المنزل • لقد حاولت فى هذه الرواية الاخيرة التقريب من اللغة المحلية الجزائرية• وان استعمل لغة النساء اللواتى حافظن على هويتهن » •



العالم في سطور



● زهرة .. واذن .. ب ٣٦ مليون دولار

منطق عجيب ان يكون الانسان رخيصا .. بينما تباع اعماله بملايين الدولارات .. حدث هذا اخيرا لاحدى لوحات الفنان فان جوخ حيث بيعت « زهور عباد الشمس » فى احد المزادات بزيورخ بمبلغ ٣٦ مليون دولار .. انها نفس اللوحة التى تمنى صاحبها ان يبيعها فى عام ١٨٨٩ بمبلغ ٥٠٠ فرنك فرنسى لا اكثر وذلك قبل ان ينتحر بعام واحد ..

فان جوخ هو صاحب احدى اغلى اثنتى عشرة لوحة فى العالم مثل .. «منظر فى شمس مشرقه» و « زهرة الخشخاش » ولوحات اخرى عديدة . عاش فى الفترة بين عامى ١٨٥٣ و١٨٩٠ . وهو احد التاثيريين الذين لعبوا دورا فى تغيير الصورة الحديثة . رسم اولى لوحاته وهو فى السابعة والثلاثين من عمره .. اتسمت اعماله الاولى بالقتامة السوداوية لكنه عندما رحل الى باريس ، اتصل بالفنانين بيسارو وديجا وجوجان الذى أصبح صديقه الحميم . وانعكست هذه الفترة على فنه فتميزت لوحاته بالالوان البراقة والحركات الديناميه . وقد اتضح ذلك الى حد بعيد فى لوحته « عباد الشمس »

اهتم فان جوخ بتصوير بورتريهات للعديد من الاشخاص منهم صورته كفنان ، كما اهتم بتصوير بعض من حياته اليومية وهو ذاهب الى الحقول ليرسم حاملا أدوات الرسم ومرتديا قبعة من القش، كما شغف بالطبيعة خاصة فى مواسم الحصاد . لذا غلب اللونين الاخضر والاصفر على اعماله .

انتابت الفنان فى أواخر حياته نوبة جنون كانت تلازمه على فترات . وقد دفعته احدى هذه النوبات الى ان يقوم بقطع اذنه ويرسلها الى امراة أحبها من طرف واحد دليلا على حبه الشديد لها وارسلها مع خطاب غرامى .. وبعدها بأيام مات وحيدا بعد أن عانى الامرين..

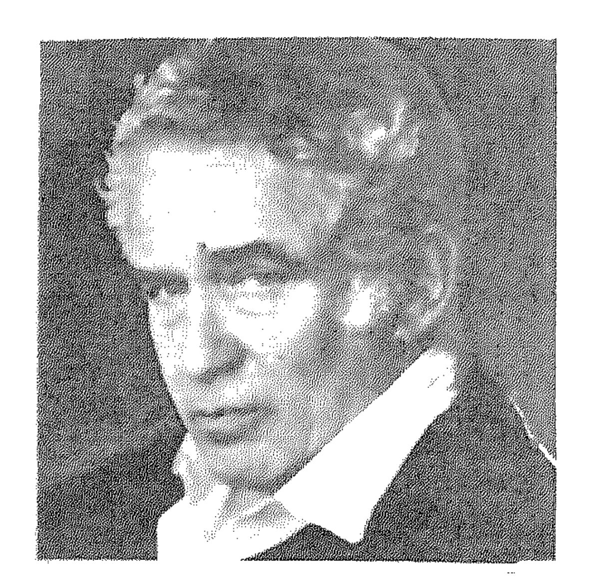
اهتم الفنانون فى مختلف الميادين بحياة فان جوخ . فانتجت السينما فيلما عن حياته تحت اسم « شهوة الحياة » قام ببطولته كيرك دوجلاس عام ١٩٥٧ اما الشاعر الفرنسى رينيه شار فقد قدم منذ عامين كتابا يحمل اسم « جيرة فان جوخ» قال فيه أن هناك علاقة حميمة بين ألوان الفنان وخطوطه الخاطفه. وبين الاشعار التى كتبها شار فكلاهما لاهث حائر مثل الحياة نفسها .

فان جوخ



بوسطن

● عندما يصبح الاديب .. مخرجا



نورماند مايلر

هل يمكن ان تتصور ان يقوم الكاتب الكبير نجيب محفوظ فجأة باخراج رواياته بدلا من ان يترك الاخرين يقدمونها بمناظيرهم المتباينة .. ? قد يكون من الصعب أن نتخيل هذا ليس بالنسبة لنجيب محفوظ فقط، بل بالنسبة لاغلب ادبائنا .. لكنه لم يكن غريبا على الكاتب الامريكى نورمان مايلر الذى انتهى اخيرا من اخراج فيلمه الاول. « الالام الحقيقية لا ترقص » بطولة ريان اوليل وايزابيلا روسيلليني .. وحول هذه التجربة يقول « كتبت هذه الرواية دون ان أفكر فى أننى أنا الذى ساحولها الى فيلم لقد كتبتها فى شهرين .. اما السيناريو فقد استغرق امداده ستة اشهر . انا كاتب منذ اربعين عاما. اما الاخراج فلم يكن بالنسبة لى سوى اجازة من الكتابة ... فالكتابة - بالمقارنة - مثل العمل فى منجم . حيث تحس ان راسك فى واد بعيد من جسدك »

اما ريان اونيل - بطل فيلم تصةحب - فيقول : « اكن احتراما كبيرا لادبه .. واشعر بالاسف اننى لم تعرف عليه منذ فترة . قرات له « اغنية الجلاد » .. وعندما اقترح على بطولة فيلمه .. لم املك سوى القبول .

ويدور الفيلم حول حكاية ملاكم قديم يصبح كاتبا . ويستيقظ ذات صباح بعد ليله تجرع فيها الكثير من الكحول .. تنتابه حاله جنونيه تدفعه لقتل زوجته .

من الجدير بالذكر أن ظاهرة الاديب الذى يتحول الى الاخراج السينمائى ليست جديدة فى السينما العالمية خاصة انها انتشرت لدى كتاب الرواية الجديدة فى فرنسا . مثل الان روب جرييه ومرجريت دورا وجودج .. وكان السبب فى ذلك أن ايا من المخرجين التقليديين لا يمكنه أن يخرج هذه الروايات التجريبية ولا أن يفهمها بنفس مفهوم الكاتب .

السؤال الان .. هل يمكن أن تجر هذه التجربة كتابا آخرين يتحولون الىالكتابة بالصورة بدلا من الكلمة .. وهل يمكن ان تشهد السنوات المقبلة اقبالا من الكتاب المعروفين لخوض هذا المجال .. من الجدير بالذكر أن الكاتبة سيمون دى بوفوار تمنت ان تفعل ذلك كى يمكنها كسب جمهور آخر يختلف عن الجمهور الذى يقرا لها .

مدريد

● خوان .. والمدينة الاندلسية

هو احد الكتاب الاندلسيين الشغوفين كثيرا بالثقافه العربية .. اسمه « خوان جويتسولو » ٥٦ عاما - روائى اسبانى معروف على مستوىواسع فى اوروبا ومقروء بكل اللغات الحيه

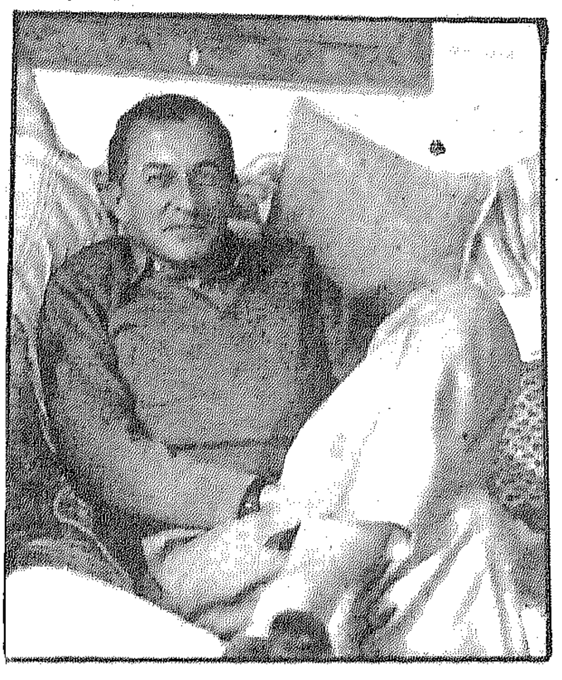
العالم في سطور

.. نشر روايته الاولى عام ١٩٥٤ . أحب دون كيشوت ومالرو وجوستاف فلوبير. جابه ديكتاتوريه فرانكو . فعاش فى المنفى سنوات طويله ، عاش فى المغرب سنوات طويله . ووقف الى جانب الجزائر فى حربها التحريرية .. وعشق الخط العربى بلا حدود .. نال جائزة فيمينا فى فرنسا عام ١٩٦٩ عن احدى رواياته . كاتب غزير الانتاج . من أهم رواياته « لعبة الايدى » ، « صراع فى الفردوس» و « رقصات الصيف » و « خوان بلا أرض » .. اما آخر رواية صدرت له فى الشهر الماضى فهى « الحظيرة المحجوزة » وبمناسبة صدور هذه الرواية قامت مدينة « المرية » الاندلسية بتكريمه فى مهرجان كبير دعت اليه عددا من النقاد العالميين والاسبان .. هذه المدينة التى خصص عنها الكاتب رواية فى العصر الفرانكى يبين أثر الديكتاتورية على انتشار الفقر والاهمال والقاذورات فى أروقتها .

قال الروائى البرازيلى فونتس عن هذه الرواية ان « جويتسولو قد خرج بها من دائرة النار .. فوجد لغته .. فى بداية رحلة طويله من الصراعات واللعنات .. والغياب . والنضال . والعزلة . والوحدة . »

والكتاب الجديد للكاتب عبارة عن اول جزء من سيرته الذاتية يروى فيها سنوات الطفولة والشباب . أو كما يقول انها سنوات البحث عن هوية . وسوف يتناول الجزء الثانى من المذكرات ما اسماها بسنوات المنفى حيث رحل الى باريس عام ١٩٥٧ ، وظل يناهض حكم فرانكو حتى مات فآثر العودة مرة أخرى الى بلاده . ثم وجد الفرصة سانحة كى يدون مذكراته بتفاصيل بالغة الدقة ودون مواربة حتى فيما يختص بعلاقاته الحسية المشبوهة .

خوان جويتسولو



الاقصر

● عايدة .. وملوك القرن العشرين

يبدأ فى الثانى من مايو الحالى بمدينة الاقصر بالعرض العالمى الاول لاوبرا عايدة وسط احضان معابد المدينة التى تخيل فيردى أحداثها تدور بين رحابها .. تقول مجلة لوبوان الفرنسية أن وراء العرض أحد الكشافة القدامى المصريين ويدعى فوزى متولى ـ ٥٤ عاما ـ يعيش فى النمسا منذ عدة سنوات وأصبحت له شهرة المواطن كين فى فيينا . وأنه حلم دوما بتقديم أوبرا عايدة فى بلاده.. هذا الحلم الذى تمنى المخرج المعروف

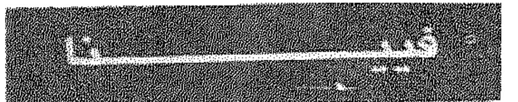


بلاثيدو دومينجو

فرانكو زيفيريللى تقديمه تحت سفح الهرم منذ سنوات . وهذا العرض الجديد هو بداية لعشرة عروض للاوبرا ستتم فى اوروبا وبعض العواصم العالمية. يقوم بدور الملك رمسيس الثانى المطرب الاوبرالى المعروف بلاثيدو دومينجو الذى قام اخيرا بدور « عطيل » فى الفيلم الذى عرض فى مهرجان كان فى العام الماضى . وقد تكلف العرض عشرة ملايين دولار ويشترك فيه ٥٥٠ فنانا وتقنيا .

تقول المجلة أن فوزى متولى قد واجه عدة مشاكل لانتاج اوبرا عايدة منها انه عندما عرضها على المسئولين فى مصر اكتشف انهم يودون انتاج « عايدة » اخرى بجوار الاهرام باللغة العربية . اما المشكلة الثانية فهى توفير كم كبير من الفنانين ليؤدوا أدوار النوبيين فى العرض. ثم حجز الفى غرفة فى مدينة الاقصر .. « لا يمكن ان نبيع التذاكر دون أن نبيع الاسرة » .. كما ان العرض سيبدأ فى ساعة متاخرة بدلا من الساعة السابعة والنصف وذلك بسبب حلول شهر رمضان المعظم . وتقول لوبوآن ان المشرفين على العرض يتمنون أن تكون أيام العرض صحوة خالية من رياح الخماسين المتربة التى تهب فى مثل تلك الايام من العام .

وتقول المجلة ايضا انه حتى أول ابريل الماضى . تم حجز اكثر من ٧٠٪ من الاماكن . وان من بين الذين سيشاهدون العرض ملك اسبانيا .. والملك حسين . والملك الحسن الثانى والامير شارلز وزوجته ديانا . . وقد خصص مقعد خال كل ليلة من اجل الموسيقار الكبير فيردى .



القيثار الحزينة

اجتمعت فيه صفات متناقضة ، سحر الشخصية وعذوبة النفس ، مع الضيق بالناس والميل الى الاعتزال .

جمال يشيع فتنة تستحيل الحانا تملأ السهل والجبل ، مع قلب لا يتقد اشتهاء، لا يرتعش لناعم همسات الحب .

حقا ، كان ثمة زواج فى حياته ، ولكنه زواج ما كاد ينعقد حتى انقطع ، منتهيا به الى كارثة اوشكت ان تعصف بكل ما فى حياته من عزيز .

قال الناس عنه انه يخاف الحب ، يخاف الصداقة ، يخاف اى وصال انسانى حميم .

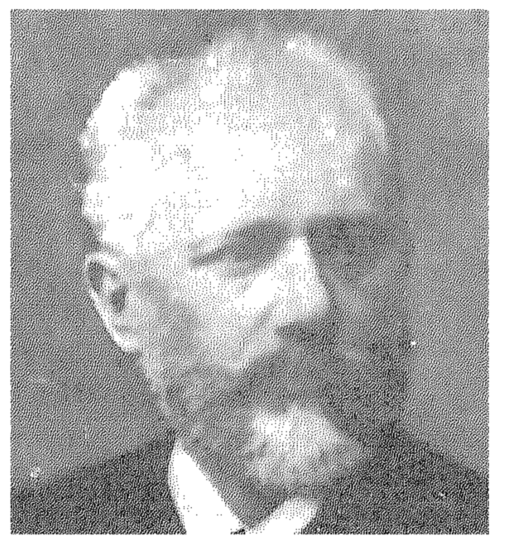
غير انه ، وعلى عكس ذلك ، اتصلت نفسه بأرملة راجحة العقل ، عاشقة للموسيقى ، زمنا طويلا ، تزيدت من فهمها وثرائها ما وجدت الى ذلك سبيلا .

ولكنه كان اتصالا غريبا لم ينزل ابدا عن مكان الحب النقى البرىء .

فقد أبا الاثنان أن يتلاقيا ، اكتفيا ، ويا للعجب ، بالتراسل .

ومع ذلك ترك فيه هذا الاتصال بغير التصاق جذوة لا تعرف قصدا ، ولا اعتدالا .

هذا هو بيتر اليتشن تشايكوفنسكى الذى ولد منذ مائة وخمسين عاما الا قليلا « ٧ - ٥ - ١٨٤٠ » .


تشايكوفسكى

وسيرته ، كما هى مدونة فى الموسوعات والدراسات ، لم تكن هذه الارملة المثقفة تعرف من أمرها سوى ما تسلل بين حين وحين فيما كتبه هو عن وقائع حياته فى رسائله اليها .

لقد كان ابنا لمهندس ، طالبا لعلم القانون ، أعدته عائلته اعدادا يؤهله لشغل احدى الوظائف الحكومية ، لولا انه لم يلبث أن تعلق بحب الموسيقى ، بل - قل جن بها جنونا - فكان ان درسها بكونسرفاتوار موسكو على يد « روبنشتين » عازف البيانو الشهير .

وها هو ذا الان فى السادسة والثلاثين من العمر « تائها فى بحر الصوت ، بغير مرفأ آمن على مدى البصر » .

وما أن سمعت الارملة الخيرة موسيقاه النبيلة (افتتاحية « العاصفة » معدلة لتلعب على البيانو) ، حتى رجته فى رسائلها الاولى أن يستمر فى الابداع ، وفرت له بمالها القدر اللازم لذلك من الامن والامان .

وتمر الايام والسنون تحت رعايتها حافلة بجلائل الاعمال الموسيقية ، تأتى لصاحبها بالشهرة والمال .

فمن بعد اتصال المعرفة بينهما أبدع سيمفونيته الرابعة (١٨٧٧) التى أقامها كما سيمفونية « بيتهوفن » الخامسة على موسيقى ذات قصة تحكى مأساه الانسان، عجزه فى مواجهة القدر العاتى الذىيقف لاستمرار سعادته بالمرصاد .

وقريبا من بداية الثمانينيات فاجأ تشايكوفسكى «فيينا» ومن بعدها «لندن» بكونشرتو الكمان الذى اشتد الناقد النمساوى « ادوارد هانسليك »فى هجائه له بفاحش القول « موسيقاه تبعث برائحة نتن الى الاذن » ، وذلك بسبب انحيازه بغير عقل لكل ما هو المانى « براهمز » ، ضد كل ما هو سلافى .

والان ، ويا لسخرية الاقدار من النقاد، فما ان يعزف هذا الكونشرتو ذو الرنين والانين ، حتى يتزود المنصت المتسد لرحلته المرهقه مع الايام ، فاذا بالتوازن المفقود يعود ، واذا بالحياة حلوة مشرقة من جديد .

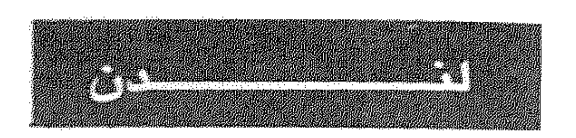
ورغم اشتطاط البعض فى كراهية تشايكوفسكى والاساءة الى أعماله ، ظل يبدع من روائع النغم ما لا سبيل لذكره الا على سبيل المثال كالسيمفونية الخامسة، وأوبرا « ملكة البستونى » وافتتاحية « هاملت » فضلا عن الباليهات الثلاثة الشهيرة « بحيرة البجع » و « الحسناء النائمة » و « كسارة البندق » .

وفجأة ، ومن حيث لا ينتظر جاءته ضربة قاتلة ، رسالة من صديقة العمر الارملة « فون مك » تنهى فيها لاسباب، أوهى من خيط العنكبوت ، ما كان بينهما من وصال دام أربعة عشر عاما أو يزيد.

ومع هذه الرسالة الاخيرة ، هاجت شجون « لتشايكوفسكى » ، طفق يتغنى قصته المشجية ، يرسلها خلال أنغام سيمفونيته السادسة والاخيرة المعروفة بالحزينة ، وملأ الحانها اليتيمة ، حتى الممها قبل أيام من موته بالكوليرا

منتحرا فى بعض الروايات (١٨٩٣/١١/٦)
وما أن انقضى عام او بعض عام على سكوت القيثار الحزينة ، الا وكان الموت قد غلب ملهمتها الارملة « فون مك » .

وهنا ، قد يكون من المفيد ترديد ما قاله الشاعر « جوته » فى بعض كتبه: « ان القلب الانسانى كبير يسع كل شىء ، وضعيف يحطمه أيسر شىء » .



بناة الاهرام : معلومات جديدة تؤكد انهم لم يكونوا عبيــــدا

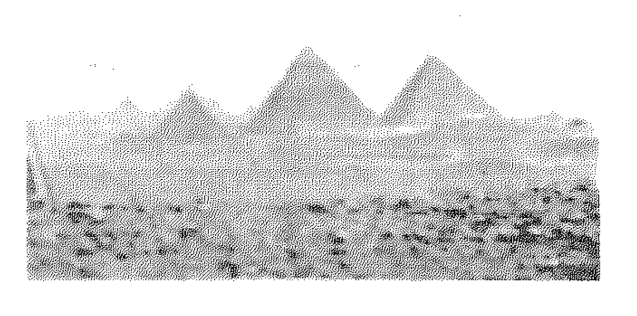
● كان من الشائع المتواتر حتى وقت قريب أن الاهرامات الفرعونية قد بنيت بأيدى آلاف مؤلفة من العبيد المسخرين الذين أرغموا قسرا على حمل وجر كتل الحجارة الضخمة التى بنيت بها تلك المقابر الكبيرة ، وهم يئنون ويتحركون فى طوابير طويلة تحت لهيب السياط .

لكن جاءت الان عالمة الاثار الانجليزية « روزالى ديفيد » لتقول ان الامر لم يكن بالضرورة هكذا ، فهى تعتقد أن القوى العاملة التى بنت الاهرام كانت تتكون من حرفيين مستقلين ينتمون ، كما تؤكد ، للطبقة المتوسطة .

لقد قامت روزالى ديفيد وهى عالمة آثار فى متحف مانشستر فى بريطانيا باعادة تحليل المصنفات الفنية التى عثر عليها عالم الاثار البريطانى فلندرز بترى فى مدينة « كاهون » المصرية عام ١٨٨٧ .

وكاهون هذه مدينة ملكية مسورة تضم آلاف الحرفيين الذين كانوا يسهمون فى بناء مقبرة الفرعون « سيزوســــتريس » واشتملت الاثار التى جمعها بترى منهـا على وثائق قانونية وعقود توريث تثبت كلها أن السكان الذين عاشوا فى هـذه





المدينة لم يكونوا عبيدا بالمرة ، ولكنهم كانوا يعيشون فى مجموعات أسرية كبيرة مترابطة .

وتذكر روزالى ديفيد أن احدى البرديات التى عثر عليها بترى فى منطقة الاهـرام هذه يوجد بينها ما يدل على انه كانت هناك صراعات حول العمل ، وأن أحد هؤلاء الحرفيين كان يخطط للقيام باضراب ، هذا بالاضافة الى أن روزالى تؤكد على ان مجموعة كبيرة من جثث الاطفال التى وجدت مدفونة فى تلك المدينة فيما بين الاسوار والقصر الملكى قد تفرقت فى متاحف العالم منذ اكتشافها فى القرن الماضى .

وتحاول روزالى ديفيد الان أن تعثر على جثث هؤلاء الاطفال لتقوم بفحصهم فحصا طبيا حديثا لعلها تتوصل الى معـلومات جديدة عن غذاء المصريين القدماء وأمراضهم .. وتقول فى هذا الصدد أن هذا العمل يتطلب جهدا أشبه بذلك الذى يقوم به رجال المباحث وهم يحققون الحوادث ، وعليها أن تحقق تلك الادلة القـــديمة المتنـــاثرة باستخـدام التقنيات العلمية المتقدمة للوصول الى حقائق جديدة .

بمناسبة ذكراه الرابعة

جدل الماضي والحاضر في تجربة الشاعر

أمل دنقل

بقلم: أمجد ريان

تجربة الشاعر امل دنقل (١٩٤٠ – ١٩٨٥) هى واحدة من اكثر التجارب الشعرية التى نجحت فى تحقيق شعبية وانتشار بقطاعات عريضة من الناس فى مصر والوطن العربى .. لقد قدر لهذه التجربة أن تجىء فى مرحلة اجتماعية خاصة تأزم فيها الواقع العربى بعد النكسة ١٩٦٧ الاليمة وما جرته من أهوال على حياتنا، كان لنا ان نعيد النظر فى بحثنا عن معنى وجودنا، عن هويتنا وبدأنا نطرح اسئلة جذرية تمس حياتنا وفكرنا ومعنى المستقبل فى مسيرتنا العقلية والحضارية

جاءت تجربة الشاعر أمل دنقل لتكون تعبيرا فنيا صادقا عن رد الفعل الاجتماعى والفكرى ازاء الهزيمة، ومن هنا كان انتشارها الواسع لما تنبض به من تلقائية متمردة مليئة بالنقاء وحرارة المشاعر.

ان اهم واخطر قضية يمكن ان تطرحها تجربة الشاعر امل دنقل هى قضية العلاقة بين الايديولوجيا والفن، العلاقة بين الالتزام الفكرى والسياسى من جهة والتعبير الابداعى عن ذلك الالتزام من جهة اخرى. جاءت قصيدة امل دنقل فى لحظة تجسد مفترقا شعريا اهلها لان تتقدم الى الصفوف الاولى شهرة وترديدا بين الناس.

وكانت تلك اللحظة ايضا هى التى استقرت فيها ملامح قصيدة الشعر الحر الى الدرجة التى أصبحت تجتر فيها نفسها، وتكرر معطياتها، غير قادرة على التعبير عن ظروف واقع اجتماعى ينمو، واصبح طقس قصائد السياب – عبد الصبور – حجازى هو النموذج او المثال الذى يحتذيه الشعراء ليعيدوا انتاجه بلا قدرة على الاضافة او التطوير مما يتنافى أصلا مع روح الابداع الشعرى التى ينبغى أن تظل خلاقة، وأن تتجاوز نفسها يوما بعد يوم، حتى سقطت حركة الشعر الحر فى النمطية من جديد ولم تعد قادرة على أن تقدم سوى القرابين لتماثيلها المقدسة كل يوم، حتى أن مجلة «الشعر» فى الستينيات لم تقدم فى معظم مانشرت تقريبا سوى تنويعات باهتة على النماذج الاولى لقصيدة الشعر الحر فى الخمسينيات.

ثم تأتى تجربة الشاعر امل دنقل الى جوار تجارب اخرى لشعراء من مثل محمد عفيفى مطر وسعدى يوسف ومحمود



امل دنقل

درويش وغيرهم ، تأتي في تلك اللحظة الشعرية بعينها لكي تلقي بحجر في ذلك السكون الذي يهوى ـ كما عبر احد النقاد وكتئذ ـ جاءت تجربة دنقل لتبلور فكرة الرفض من خلال روح شعرية جديدة ، لتتحرر من كلاسيكية الشعر الحر التي اصبحت صارمة ومقننة بشكل نهائي ، ولتمثل بذلك التحرر لحظة مضيئة في تاريخ الشعر المصري والعربي ، بامتداد عقدين من الزمان حيث انفتح مجال جديد للتجريب في حدود الظروف الفكرية والجمالية حينذاك .

● جهد ابداعي مميز

ولقد اعطت تجربة امل دنقل في مرحلتها الاخيرة مذاقا مختلفا عما قدمته تجربته في المرحلة الاولى ، وعبرت القصائد عن جهد ابداعي بذل من داخل تصور اكثر خبرة ونضجا وايمانا باهمية العمل المدروس المنظم الذي يشارك في صنع القصيدة الى جوار المعطيات الانفعالية واللاواعية الاخرى . بحيث يشكل العمل في النهاية كلا متجادلا بين معطياته جميعا .

كما نستطيع ان نتابع الطرح النظري الراقي الذي قدمه الشاعر امل دنقل من خلال الحوارات النقدية والفكرية التي اجريت معه في نفس الفترة لكي نتعرف الى اي حد قد اختلفت عما كانت تقدمه الحوارات السابقة معه والتي كانت قد تناولت الرؤية الشعرية من خلال منظورات اقل عمقا واقل قدرة على تصور كيفيات تكون العلاقة بين الفكرة الملتزمة ، ومعطيات صياغتها الجمالية

ومن الفضائل التي قدمتها تجربة دنقل الشعرية ، الانتقال الجري، الذكي من الغنائية الى الدرامية ان صح التعبير ومن السرد البسيط الذي لا يشي الا بانفعال الشاعر بما يجيش بصدره من احاسيس الى البناء الذي يتصف بكثرة البنائية وتضافر مستوياتها المتباينة .

ولقد كانت التجربة الشعرية عند دنقل من افضل التجارب الشعرية العربية التي عبرت بشكل مباشر وحميم عن النكسة والهزيمة المرة التي مني بها الانسان العربي على كافة المستويات، من حيث ان التجارب الشعرية الاخرى قد ارتمت في الاحزان والضياع والتشتت وعبرت عن موقفها من خلال اداة فنية لا تقل ارتدادا ، او ارتمست في التقليد المباشر والفج للانجاز الاوربي المعاصر في اشكاله المغتربة والعبثية التي لا علاقة لها بواقعنا كنوع من الهروب او اقتناص الحلول السريعة المتهافتة ، غير المجدية ..

جاءت تجربة امل لتعطي ذلك الوهج الفني الخاص الممتليء بشموخ الانسان وصلابته وقدرته على الصمود النحقق والاصالة .

ولعل ذلك الهم الكبير الذي عكست قصيدة امل دنقل على بلورته ، وهو هم التعبير عن صمود الانسان العربي في مواجهة محنته التاريخية ، ذلك الهم هو الذي دفع بالتجربة الى ان تكون اكثر ميلا الى المباشرة والى تسييد المضمون

أمل دنقل

فى احيان كثيرة على حساب التشكيل الجمالى ، كما دفع الهم الكبير للتجربة بالقصيدة الدنقلية فى احايين كثيرة الى ان تصبح ذات ملامح ثابتة داخل مجموعة من الخبرات الجمالية التى لا تتغير .

لقد عرفت تجربة الشاعر أمل دنقل بعدة ملامح وطرائق فنية تكاد تميز بشكل قاطع وتميز اضافته الفنية ، وتصبح مثل البصمة التى يتركها الفنان الصادق دائما ، ولعل ابرز هذه الملامح بشكل عام محاولته الدؤوب فى أن ينتقل بالقصيدة العربية من طور الغنائية البسيطة الى ما شبه البناء الدرامي وتداخل الاصوات المتعددة من خلال حوار يحيل بعض القصائد الى مايشبه مسرحية قصيرة ، وكان لهذا الشكل فائدته التى تجسدت فى امكانية توسعة الفضاء الشعرى وتقديم المزيد من الاضافات البنائية الكليـة والتفصيلية .. وقصيدة ايلول فى ديوانه الاول « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة» توضح تلك المسألة حيث نتعرف على صوتين فى نفس السطر الشعرى .

والتركيبة اللغوية فى شعر امل ونقل وطبيعة الجملة الشعرية ستفضيان دائما الى مايشبه تركيز الحكمة وكثافتها ، بالمعنى الذى قد نجده عند المتنبى فى معظم أبيات شعره ، وهنا سيختلف الامر من معنى الحكمة التى قد نجدها فى نهاية القصيدة الجاهلية على سبيل المثال ، والتى ينبغى أن تنتهى اليها القصيدة كمحصلة لرحلتها بين الاطلال فمثال المتنبى اقرب من حيث انه يخص ذلك الشوق الى المجد الذى مضى ، واعتزاز بالنفس ، والتزام بالجرس العربى الفخم الرصين واللفظ الجزل القوى ولكنه لا يخلو من ملامح الذات الشاعرة بكل مالديها من احساس بالتفوق والطموح ، وتعمل تجربة الشاعر امل دنقل داخل هذا الاطار على رصد التناقض فى الكون والانسان والتاريخ وتأخذ من احداث الواقع السياسى مجالا مباشرا للعمل الشعرى مما يعطى القصائد حيوية المتابعة الانية ومن هنا جاءت خصوصية التجربة

● تجربة شعرية فريدة

نستطيع ان نتلمس اجواء النكسة الكئيبة فى قصيدة « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » فى ديوانه الاول كذلك يتضح موقفه السياسى من كافة الشئون والاحداث الجارية ، ببساطة تسددة بين ثنايا سطور القصيدة فى معظم انتاجه الشعرى .

هذا ونستطيع ان نتابع حدين كبيرين فى تجربة الشاعر : — روح الواقع السياسى من جهة ، وتراث الامة الفريق من جهة اخرى وهما حدان متفاعلان يسمان التجربة بمذاق أمل الخاص ، انه التوازن بين حاضر يعانى ، وماض تليد وبالتالى فقد اعتمدت التجربة لغة شعرية مستفيدة من التراث العربى والاسلامى من ناحية وتجسد الهم الاجتماعى والفكرى والسياسى من ناحية اخرى ، ذلك هو نهجها الذى انتهجه بامتداد رحلتها .

واذا كان الافق التراثى قد اعطى رموزه الفنية : قطر الندى — زرقاء اليمامة — المتنبى — حرب البسوس — صلاح الدين الايوبى .. الخ ، فان الافق المعاصر سيطرح الهموم اليومية للانسان العادى سيطرح معطيات واقعنا المعاش ، ولنتابع ذلك المقطع الذى هو لوحة للحظة قد يعيشها اى انسان بسيط تدق فوق الالة الكاتبة القديمة وعندما وعندما ترفع راسها الجميل فى افتراق الصفحتين

تراه في مكانه المختار .. في نهاية الغرفة
يرشف من فنجانه رشفة
يريح عينيه على المنحدر الثلجي ، في انزلاق الناهدين
« .. عينيه هاتين اللتين
تغسل آثارهما عن جسمها - قبيل ان تنام - مرتين !! »
وعندما ترشقه بنظرة كظيمة
فيسترد لحظة عينيه : يبتسم في نعومة .
وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتين .

• • • • •

في آخر الاسبوع
كان يعد ضاحكا - اسنانها - في كتفيه
فرفعت آذنية ..
وهي تدس نفسها بين ذراعيه .. وتشكو الجوع
ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة
قصيدة : يوميات كهل صغير السن
وهكذا تعمق التجربة التفاصيل العادية للحياة وحتى لغة الحديث اليومي العادية ومن ثم سيتضح بالتدريج ذلك البناء المتناقض للانسان وللاشياء
وكما التقطت اللغة نكهة التراث ووظفتها في صياغة التجربة فانها تستمد البعد الموسيقى لنفس الروح التراثية تلك ، فبحر الرجز بكل تفريعاته وتجسيداته سينتشر ليملأ معظم التجربة ، واذا كان بعض النقاد قد اعتبروا ان ذلك البحر من اكثر البحور الشعرية اقترابا من لغة النثر في قوتها وفي المامها بالعيني من اشياء الحياة واكثر البحور قدرة على نقل مشاعر الوجدان بشكل مباشر وممتلىء بالقدرة على التفسريغ السريع للشحنة الانفعالية ، فهو الذي يملى خطوات الركب العسكرى الرتيبة في العصر القديم وكذلك يعطى موسيقى النشيد او المارش في العصر الحديث، فسوف يكون اكثر البحور قدرة على التعبير عن تجربة أمل دنقل .

ان الطبيعة الخاصة لموسيقى شعر دنقل هي أحد الملامح الرئيسية لتجربته ايضا ومن اكثر الملامح الفاصلة فيها ، فهو يستخدم معطيات موسيقية متميزة ، كالتقطيع الموسيقى المفاجىء من خلال حركة السكون « ٥ » او في التقابل الموسيقى الهندسي الذى تتساوى فيه القيم الموسيقية من حيث الطول بين جملتين متتاليتين ، وهذان الاسلوبان يشكلان وسيلتين يعتمدهما الشاعر ضمن الوسائل التي يحاول بها الشاعران يحافظ على بعض القيم الموسيقية المستخلصة من عمود الشعر العربي التقليدى بحيث تثرى طعم حداثته وتفجره الشعرى في نفس الوقت :
دقت الساعة المتعبة
رفعت امه الطيبة
عينها
« دفعته كعوب البنادق في المركبة ! »

• • •

دقت الساعة المتعبة
نهضت ، نسقت مكتبة
صفعته يد ..
- ادخلته يد الله في التجربة »
الكعكة الحجرية : ديوان العهد الآتي
وكذلك نظام التقفية الخاص جدا في جميع شعر امل دنقل ، والقافية عنده تجسد الجانب الروحى العميق الذى يتجزر في التجربة اتيا من أعماق التاريخ الشعرى العربى ، وهى تنتشر بشكل زوج أو زوجين من القوافى تتناثر بشكل مخفف بامتداد القصيدة وتتميز بتنوعها او تجانسها وبانها مفتوحة ومسكنة وفى النموذجين السابقين لعرفنا على القافيه « الهاء » الساكنة بامتداد المقطع وفى النموذج التالى سنتعرف على ازواج القوافى المتنوعة : « المحاذرة - بالمغادرة » « الشطريز - الافريز .
اسمع تمتماتها المحاذرة
حفيف ثوبها ، وهى تدور في مكانها
.. تهم بالمغادرة !

أمل دنقل

ديومان ، وهى أن دخلت
تشاءلت بقطعة التطريز ..
بالنظر للعابر من شباكها الى الافريز
« يوميات : ديوان البكاء بين يدى
زرقاء »

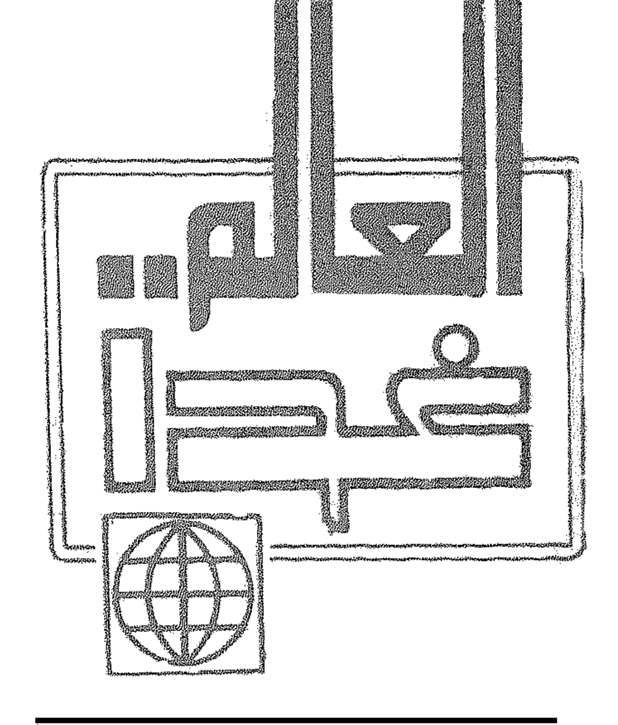
وبناء القصيدة يمتلك طبيعته الخاصة فالقصيدة بشكل عام متوسطة الطول وهذا الحجم الثابت للمعالجة الشعرية **يتسق فعلا مع تجربة دنقل ، لان القصيدة** القصيرة لن تسعف رؤياه المتلثة المشحونة بمعطياتها الكثيرة ، كما ان **القصيدة الطويلة ، المفرطة فى طولها تتطلب احتشادا فنيا ممحصا يدخل الجانب الذهنى التخطيطى الشمولى** لعناصر البناء المختلفة والمستويات **الكبرى مما لاتجد تجربة أمل له صبر** الذات السبب ، فالتجربة الدنقلية تريد ان تقول بسرعة ، وأن تفرغ شحنتها **مباشرة . وأستخدام الحوار عند امل** يعطى دفعة درامية قوية ايضا . ويغذى **تلك الدرامية استخدامه للحكايا وعرضه** جزئيات الاساطير والحكايات العربية **القديمة .**

ومن اهم العناصر البنائية التفصيلية التى يستخدمها الشاعر هو القناع **التراثى ، وفائدة القناع فى الشعر بشكل عام انه يزيل او يخفف من حدة الذات وتجردها ، فيأتى القناع ليخفف من سطوة استيلائها على جسد القصيدة** ولكن القناع لا يلغى الذات نهائيا ، **فهو مجرد وسيط ذكى ، وبخاصة عندما يكون الطرف المستدعى شخصية** من تراثنا وتعبر عن خصائص وظروف **واقعنا المعاصرة وتوجهاته الفكرية والعقلية ، نستطيع ان نتابع فى قصيدة** الشاعر احداثا وشخصيات من تاريخنا الادبى والسياسى والتاريخى : عنترة ـ ابو نواس ـ قطر الندى ـ زرقاء اليمامة **ـ صلاح الدين : ـ**

ماتزال مواعظ الخصيان باتسم
الجالسين على الحراب
وأراك .. و « ابن سلول » بين المؤمنين
بوجهه القزحى
يسرى بالوقيعة فيك
والانصار واجمة
وكل قريش واجمة
فمن يهديه للرأى الصواب
ملثما يخطو .
قد شوهته النار !
هل يصلح العطار
ما أفسد النفط
لم يبق من شىء يقال
يا أرض :
هل يلد الرجال
قصيدة الارض والجرح الذى لا ينفتح
ـ البكاء بين يدى زرقاء اليمامة »

صدر للشاعر

١ ـ البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ١٩٦٩
٢ ـ تعليق على ما حدث ١٩٧١
٣ ـ مقتل القمر ١٩٧٤
٤ العهد الآتى ١٩٧٥
٥ ـ مقتل كليب ـ الوصايا العشر ١٩٧٦
٦ ـ احاديث فى غرفة مغلقة ١٩٧٩
٧ ـ اوراق الغرفة «٨» ١٩٨٣
٨ ـ الاعمال الكاملة ـ دار روزاليوسف ١٩٨٥





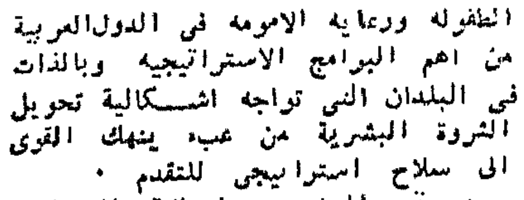
السيدة سوزان مبارك

● مجلس عربي للطفولة والتنمية

شهدت عمان عاصمة الاردن الاجتماع التاسيسي لـ « المجلس العربي للطفولة والتنميه » ، الذى تراسه الامير طلال ابن عبد العزيز رئيس برنامج الخليج العربى لدعم منظمات الامم المتحده الانمائية والامير الحسن ولى عهد الاردن ، وحضرته سوزان مبارك والملكه نور وحرم الصادق المهدى ، واختار الاجتماع القاهرة مقرا للمجلس والامير طلال رئيسا له .

والمجلس مؤسسة طوعية استشارية مستقلة تهدف الى تطوير اوضاع الطفل العربي وبناء شخصيته وتاكيد هويته واصالته العربيه الاسلامية وتنمية حسه الروحية وقدراته العلمية وملكاته الابداعية . وتهيئته للمشاركه الفعالة في صياغه مستقبل مجتمعه وفي المشروع الحضاري لامته

ويجيء المجلس كمحاولة لبلورة الانشطه العربيه فى ميدان الطفوله بعد أن خرج بعضها الى الافاق الدولية ، مثل برنامج الخليج العربى لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية ، الذى يقوم بنشاط دولى ويقدم منحا لاترد الى ١٤ منظمة دولية ترعى الطفوله والامومه . وتنطلق هذه المحاوله من اعتبار تنمية



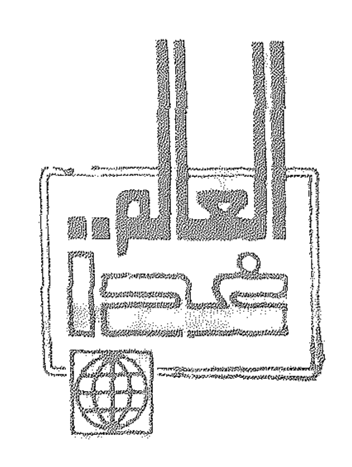
الطفوله ورعايه الامومه فى الدول العربية من اهم البرامج الاستراتيجيه وبالذات فى البلدان التى تواجه اشكالية تحويل الثروة البشرية من عبء ينهك القوى الى سلاح استراتيجى للتقدم .

وسيقوم المجلس بدراسة أحوال الطفل العربى من خلال رؤيه تنموية متكاملة يجرى على اساسها تحديد الحاجات الاساسيه ووضع اولويات العمل . هذا كما سيهتم المجلس بمواجهة الظروف الطارئة والاستثنائية التى يمكن ان يتعرض لها الاطفال العرب ، وبالذات مع وجود مليون طفل عربى فى لبنان والمخيمات والعراق والسودان يعانون من المجاعه والامراض ..

● سموم فى صبغة الشعر والحناء

صباغة الشعر من العادات المنتشرة فى جميع انحاء العالم ، التى ظلت قرونا طويله بين العادات البريئة ، المحببة الى قلوب النساء . لكن سيدتين توفيتا اخيرا فى احدى مستشفيات بلفاست وضعتا علامات استفهام كبيرة حول براءة هذه العادة ..

ومع ان السيدتين توفيتا نتيجة لتلف أصاب الكلى فان دراسة حالتيهما بينت انهما كانتا من المغرمات بصبغ شعرهما ، بصبغة تحتوى على مركب



بارافينيلين دايامين . ولما كانت دراسة سابقة قد أكدت أن محاولات الانتحار التي تتم بمواد تحوي مركبي بارافينيلين دايامين يصحبها نوع من التلف الخلوي الذي يصيب الكلي ، فقد مال الاطباء في بلفاست الى الظن بأن التعرض الطويل الامد لهذا المركب في صبغة الشعر هو الذي تسبب في تلف كلي السيدتين المتوفيتين ..

وعلى الرغم من أن العلاقة بين المركب المذكور « الذي يستخدم بهدف تثبيت معظم صبغات الشعر» وبين تلف الكلى لم تتأكد بشكل نهائي بعد ، وعلى الرغم من أن التلف الذي تعرضت له كليتا السيدتين المتوفيتين قد يكون ناجا عن حساسيه خاصة لايمكن القياس عليها لندرتها ، وعلي الرغم من ان دائرة معارف السموم البريطانية لاتتطرق الى أي اثر سام لاستخدام المركب المذكور استخداما ظاهريا .. على الرغم من كل ذلك فان التقرير الطبي حول التأثير



السام للمادة الموجودة في صبغة الشعر ، الذي نشرته المجلة الطبيه البريطانية سوف يساعد على التنبيه لاي حوادث تسمم بالصبغه قد تعرض للاطباء ، مما يساهم في حسم الجدل القائم في هذا الصدد ..

ومن الجدير بالذكر أن عام ١٩٨٢ شهد تسمم ٢٠ امرأة افريقيه « من السودان » نتيجة استخدامهن مركب بارافينيلين دايامين مضافا الى الحناء ، لتثبيت لونها على الجلد .. وخلال ساعات قليلة أصيبت النسوة باعراض استسقاء شديد في الوجه والعنق والشعب الهوائيه . وأمكن علاج بعضهن عن طريق الاستعاضة بالكلي الصناعية بدلا من كلاهن المعطبة بينما فشل الاطباء في انقاذ من اصيبت كلاهن بالتلف التام ...

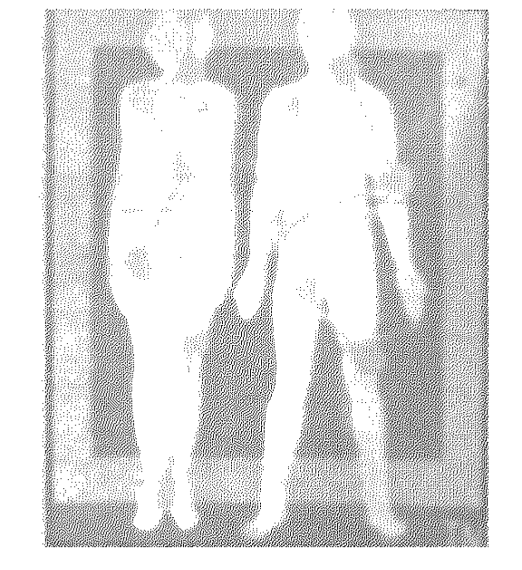
وفي مواجهة التساؤلات الكثيرة المثارة ينصح صناع صبغات الشعر الزبائن الذين يستخدمون صبغاتهم للمرة الاولى بتجربة الصبغة على مساحة صغيرة من البشرة للتأكد من عدم تسببها في الحساسية ، هذا كما ينصح الاطباء بعدم المبالغه في استخدام هذه الصبغات وتجنبها قدر الامكان ..

● النساء ورائحة الرجال

المعروف أن الحشرات وبعض الثدييات تتفاهم بروائح بعض الكيماويات الطيارة « الفيرومونات » ، اذ يتعرف افرادها على ذويهم واصدقائهم واحبائهم ، لما يتبادلون رسائل الحب والضيق ، بل والانذار تحذيرا من المخاطر ، من خلال هذه الروائح ...

ومنذ القدم توجد دلائل تشير الى انبعاث مثل هذه الروائح من الانسان « مايمكن الكلب من اقتفاء اثره مثلا » لكن الدور الذي قد تلعبه — الروائح —

ويرى الخبراء أن التجار سينكبون على انتساج سلعهم بالرغم من أن «روائح» الرجال والنساء تحوى مايقرب من ٢٠٠ مركب كيماوى لم يجر تصنيفها بعد ، مما يجعل مثل هذه السلع غير ذات موضوع لخمس سنوات مقبلة على الاقل ..



في التفاهم بين البشر ظل منطقه مجهولة حتى وقت قريب ..

وفي عدد من الدراسات التى أجريت بهدف الكشف عن التاثير الفسيولوجى للعلاقة الزوجية على وظائف المرأة الاخصائية تاكد أن من يمارس هذه العلاقة بانتظام يخاصمن مشاكل الاخصاب ، كما يتمتعن بانتظام الدورة الشهريه ، ويجتزن مرحلة توقفها بيسر . ولكن واحدة من نتائج هذه الدراسات وضعت امام العلماء علامة استفهام كبيرة ، اذتبين أن مجرد وجود الزوجين معا ، حتى دون ممارسة العلاقة الزوجية ، له نفس التاثير على انتظام الوظائف الاخصابيه .

ودفع ذلك عددا من الباحثين الامريكيين في مجال سلوكيات الغدد الصماء والكيمياء العضوية الى التفكير في دراسة تأثير خلاصات روائح الرجال عن النساء وخلصوا الى أهمية رائحة الرجل لعمل الوظائف الاخصابية في المرأة على نحو طبيعى ..

المهم أن المهتمين بالتجارة سرعان ماتلقفوا الفكرة وسعوا الى صنع روائح وكريمات « وسبراى » تحتوى على روائح الرجال بدعوى تأثيرها على احوال النساء ودرجة انتعاشهن .
وبالفعل سجلت بعض المؤسسات الامريكيه براءات اختراع حول عدد من الفيرومونات واشترى اليابانيون حقوق البحث والتسويق الخاصه بالمنتجات المصنعه من « الفيرومونات » .

● هل ينقل البعوض الايدز ؟

منذ تأكد أن الاصابه بمرض الايدز تتم عن طريق وصول فيروسه الى دم الانسان ، بأى سبيل من السبل أقلق العلماء « والمطلعين بوجه عام » أسئلة تدور حول امكانيه انتقال الفيروس عن طريق لسعات البعوض .

لكن الابحاث التى اجريت تشير الى أن البعوض لاينقل فيروس المرض . وقد تأكد ذلك عند دراسة الفئات العمريه التى ينتشر بينها المرض فى أفريقيا ، اذ ثبت أنه يسود بين الفئات من ١٥ الى ٦٠ سنة، وهى مرحلة النشاط الجنسى للانسان . ولو كان البعوض ينقل المرض لانتشر بين جميع الفئات العمريه ..

وبصدد البحث عن الاسباب التى تفسر انتقال فيروس الايدز بأبرة الحقن وعدم انتقاله بلسعات البعوض رجح الدارسون أن تكون ميكانيكية اللسعات هى السبب ذلك أن البعوضة تمتص جزءا من دم المريض ينتقل مباشرة الى جهازها الهضمى وحين تعود البعوضه للسع انسان اخر لاتبث اى جزء من الدم السابق . هذا كما رجحوا أن كثافة الفيروس فى دم المريض قليلة جدا « مقارنه بفيروس الالتهاب الكبدى مثلا »

ولاتقتصر نتائج نقل فيروس الايدز السلبيه على البعوض وحده اذ ثبت أن الحشرات الاخرى « كالبق مثلا » لاتساعد على نقل الفيروس ..

دراسة الهلال



قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على إلى اليوم

عصر الاحتلال

أو الاقتصاد المصرى فى خدمة الدائنين

بقلم : د. جلال أمين

اذا كنا قد وصفنا عهد محمد على بانه كان عهد التنمية بلا ديون ، فان من الممكن وصف عهد سعيد واسماعيل بأنه كان عصر الديون بلا تنمية . حقا لقد شهد الاقتصاد المصرى نموا لايستهان به فى عصر اسماعيل ، ولكننا اذا اعتبرنا التغير فى بنيان الاقتصاد وفى هيكل الجهاز الانتاجى شرطا ((للتنمية)) ، تمييزا لها عن مجرد النمو ، فاننا لا نبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان عصر اسماعيل كان بالفعل ، كما كان عصر سعيد ، عصرا تورطت فيه مصر فى الديون دون تنمية . وقد ذكرنا ان شيئا شبيها جدا بذلك قد عاينته مصر بعد مائة عام من عصر اسماعيل ، حيث اقترنت السبعينيات من القرن الحالى بالتورط فى الديون ، مع النمو السريع فى الدخل ، دون ان يحدث اى تقدم يذكر فى هيكل الجهاز الانتاجى بل مع تدهور ملحوظ فيه ، كما سنبين تفصيلا فيما بعد .

وقد تركنا عصر اسماعيل ومصر على أعتاب الاحتلال ، ودخلت مصر مع قدوم الاحتلال فى ١٨٨٢ عهدا تختلف سماته الاقتصاديه اختلافا بينا عن عصر سعيد واسماعيل . فخلال العقود الثلاثة الاولى للاحتلال البريطانى « ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ » كانت السمه الاساسية للاقتصاد المصرى هي النمو السريع الموجه لخدمة الدائنين ، اذ تحولت مصر الى دولة مصدرة لرأس المال بدلا من أن تكون مستوردة له ، واصبح من بين الاهداف الاساسيه للادارة الاقتصاديه فى ظل الاحتلال توليد الدخل الكافى لخدمة الديون التى تورطت فيهما مصر فى العقدين السابقين . وهو أمر لابد أن يثير التساؤل بقوة عما اذا كانت مصر اليوم تدخل مرحلة مشابهة ، وعما اذا كان ما تحاول الدول الدائنه والمؤسسات المالية الدولية الخادمة لها نرضه على مصر اليوم يستهدف فى الاساس توليد الدخل الكافى لخدمة ديون السبعينيات .

شايلوك يطالب برطل اللحم :

كانت اول حجة قدمتها الحكومة البريطانية لتبرير احتلالها لمصر هى حماية حقوق الدائنين الاوربيين وبصرف النظر عن الاهمية النسبية لهذا الدافع بالمقارنة بسائر دوافع بريطانيا لاحتلال مصر فمن المؤكد انه كان من بين المحددات الاساسيه للادارة البريطانية للاقتصاد المصرى خلال العقود الثلاثة الاولى للاحتلال . يصف الدكتور على الجريتلى اهداف هذه الادارة بقوله :

« كان الهدف الوحيد للادارة البريطانية فى السنوات التالية ل ١٨٨٢ ، هو زيادة مساحة الاراضي المروية ريا دائما والمساحة المزروعة بالقطن بدافع توليد ايرادات كافية من النقد الاجنبى لخدمة الدين الخارجي الضخم ، وكان من المهم ان يتغاضى عن اية اعتبارات او اهداف اخرى والتركيز على اعادة ترتيب المالية المصرية من اجل تمكين اصحاب السندات من الحصول على « رطل اللحم » من جسم الاقتصاد المصرى » . مشيرا بالطبع الى مطالبة شايلوك برطل اللحم من جسم انطونيو فى المسرحية الشهيرة . كما تقتطف وثائق الحكومة البريطانية الرسمية الصادرة فى ١٨٩٨ قولا للورد كرومر يبرر فيه بناء خزان اسوان بنفس الاعتبار ، وهو توليد الايرادات الكافية لخدمة الديون .

ان من الخطأ الظن بأن مصر لم تشهد خلال الثلاثين عاما الاولى للاحتلال البريطانى نموا اقتصاديا يستحق الذكر ، فالعكس بالضبط هو الصحيح . لا تتوافر لدينا بالطبع احصاءات عن نمو الدخل القومي او الناتج القومى الاجمالى خلال هذه الفترة ، ولكن عددا من المؤشرات الاخرى يدل على نمو الاقتصاد بمعدلات لم تعرف مصر مثلها منذ عصر محمد على ولم تعرف مثلها منذ ذلك الحين وحتى اليوم . كان محور الاقتصاد المصرى بالطبع هو الزراعة ، واذا كانت المساحة المنزرعة لم تزد باكثر من نحو ١٠٪ طوال تلك العقود الثلاثة ، فان المساحة المحصولية زادت خلالها بنحو ٦٠٪ (١٨٧٧ ـ ١٩١٣ » ، وزاد انتاج القطن بنحو ثلاثة امثال وقيمة صادرات القطن بنحو اربعة امثال نتيجة زيادة انتاجه وارتفاع اسعاره معا . ولكن هذه الزيادة الكبيرة فى الدخل لم تقترن باى تغير يذكر فى بنيان الاقتصاد المصرى ، او بزيادة درجة التنوع والتوازن بين مختلف عناصر الدخل . ذلك انه لم يكن يتصور فى ادارة اقتصادية تستهدف بدرجة اساسية توليد مصادر للنقد الاجنبى تكفى لخدمة الديون ان تعطى الاولويه للانتاج للسوق المحلية بالمقارنة بالانتاج للتصدير ، او أن تسمح « بتبديد » النقد الاجنبى فى تنمية صناعات جديدة لا تجلب موارد جديدة للدولة الا فى المدى الطويل . وهكذا انحصرت الاستثمارات الموجهة الى قطاعى الزراعة والبنية الاساسية فيما يخدم صادرات القطن ، وانحصر النمو الصناعى فى تلك الصناعات التى تتمتع بحماية طبيعية ، مثل حلج وكبس القطن وصناعات الزيوت والاسمنت والبيرة ، بالاضافة الى صناعة السجاير التى كانت تعتمد على استيراد الدخان من تركيا ، المعفى من الضرائب الجمركية بمقتضى خضوع مصر اسميا للدولة العثمانية . ولم تسمح سياسة كرومر ، كما هو معروف ، باى تحول فى هيكل الصناعة ، كاقامة صناعة حديثة للمنسوجات تنافس المنسوجات

البريطانية المستوردة ، متعللا بانه لو سمح بذلك « لقامت لانكشير بحمل السلاح ضده » . وهكذا تجد ان الاستثمار في الصناعة لم يستوعب خلال هذه الفترة الا نسبة ضئيلة للغاية من حصيلة الصادرات ، لا تزيد على ٩٪ ، بالمقارنة بنسبة تزيد على الثلث في عهد محمد على ، اما نصيب الاسد في حصيلة الصادرات فقد ذهب لخدمة الديون .

لقد سبق ان راينا ان اجمالى ديون مصر الخارجية « بما في ذلك ديون الخديو الخاصة » قدر بمبلغ ٩١ مليون جنيه في ١٨٧٦ ، وهي السنة التى خرجت فيها ادارة المالية المصرية عن سيطرة الخديو واصبحت في يد المراقبين الماليين الاجانب . على انه طبقا لتقرير لجنة التصفية الذى صدر بمقتضاه قانون التصفية في ١٨٨٠ قدرت ديون مصر الخارجية ، بما في ذلك ديون الدائرة السنية والقرض الاضافى الذى عقد مع روتشايلد في ١٨٧٨ ، بمبلغ ٩٨٫٤ مليون جنيه . ثم زادت الديون خلال العشرين سنة التالية بما عقدته ادارة الاحتلال من قروض حتى بلغت ١١٦ مليون جنيه في ١٩٠٠ خلال هذه الفترة خصصت ادارة الاحتلال نسبة تتراوح بين ٢٤٪ و ٤٠٪ من اجمالى حصيلة الصادرات لخدمة الدين ، أو ما يعادل ما بين ٣٥٪ و ٤٦٪ من اجمالى الايرادات الحكومية . واستمرت مصر تدفع لخدمة ديونها « بالاضافة الى الجزية التى كان عليها دفعها للباب العالى » حتى بداية الحرب العالمية الاولى ، ما بين ٤٫٥ و ٥ ملايين من الجنيهات سنويا في المتوسط (١) معنى ذلك ان مصر دفعت لخدمة ديونها خلال الثلاثين عاما الاولى من الاحتلال نحو ١٤٥ مليون جنيه ، ومع ذلك كانت مازالت مدينة في ١٩١٤ بمبلغ ٨٦ مليونا . اى ان مصر دفعت ١٤٥ مليون جنيه لانقاص مديونيتها بمبلغ ٣٠ مليون جنيه فقط ، وذهب الباقى « ١١٥ مليونا » في صورة فوائد !

يجب الا يستهين القارىء ، الذى تعود في ايامنا هذه على سماع ارقام خدمة الديون الحالية التى تقدر بمئات الملايين ، بمبلغ اربعة او خمسة ملايين كانت تدفع سنويا لخدمة الدين في اوائل القرن . ذلك ان حجم الدخل القومى في ذلك الوقت لم يكن يتعدى نحو مائة مليون جنيه ، ومعنى ذلك ان خدمة الدين كانت تستوعب ٤ او ٥٪ من الدخل القومى ، وهو ما يكاد يمثل اقصى قدرة الاقتصاد المصرى على الادخار في ذلك الوقت ، ولا يكاد يترك لمصر شيئا يمكن ان تنفقه على النهوض بالتعليم او الصحة او التنمية الصناعية . او فلنقارن هذا المبلغ « ٤ ـ ٥ ملايين » بكل ماتكلفه بناء خزان اسوان في ١٩٠٢ ، وهو اهم مشروع استثمارى قامت به الحكومة في تلك الفترة ، اذ لم تزد نفقاته ، بما في ذلك ما دفع كتعويض لاصحاب الاراضى ، على ثلاثة ملايين من الجنيهات (٢) .

الاستثمارات الاجنبية الخاصة :

اقترن هذا التدفق للموارد الى خارج مصر ، بورود بعض الاستثمارات والقروض الاجنبية الخاصة اليها ، ولكن هذه كان يقابلها بدورها تحويلات لارباح وفوائد على هذه الاستثمارات والقروض الخاصة ، بحيث لم يتعد صافى تدفق راس المال الخاص الى مصر خلال الفترة « ١٨٨٤ ـ ١٩١٤ » مبلغ ٣٣ مليونا من الجنيهات (٣) بالمقارنة بنحو ١٤٥ مليونا خرجت من مصر لخدمة الديون . معنى ذلك ان مصر كانت خلال هذه العقود الثلاثة مصدرا صافيا لراس المال بنحو ٣٫٤ مليون جنيه سنويا .

من المفيد ان نلاحظ ايضا ما طرا من تغير على معدل تدفق رءوس الاموال الاجنبية الخاصة الى مصر في هذه الفترة ، اذ قد لا يخلو هذا من مغزى بالنسبة لظروف مصر الراهنة ، لما يفصح عنه من تاثير هذا التدفق بالظروف السياسية الداخلية وبتغير الظروف السياسية والاقتصادية خارج مصر . فطوال السنوات العشر التالية لبدء الاحتلال « ٨٣ ـ ١٨٩٢ » لم تطرأ اية زيادة تذكر على حجم

الاستثمارات الاجنبية الخاصة في مصر ، اذ بقى هذا الحجم ثابتا تقريبا عند ٦ ملايين جنيه . والراجح ان الاستثمار الاجنبى الخاص كان ينتظر تحقق الاستقرار السياسي في مصر بعد ثورة عرابي وعزل الخديو ، كما كان ينتظر اصلاح المالية المصرية ، والاطمئنان على قدرة الاقتصاد المصرى على توليد فائض من العملات الاجنبية يكفى لخدمة الديون وتحويل الارباح . فما ان تحقق هذا الاستقرار واطمأن المستثمرون على استمرار الاحتلال وزاد تفاؤلهم بامكانيات زياده الدخل حتى قفزت الاستثمارات الاجنبية الخاصة في السنوات الخمس التالية بنحو الضعف (من نحو ٦ ملايين جنيه في ١٨٩٢ الى ١١ر٤ مليون فى ١٨٩٧) ، ثم تضاعفت مرة اخرى فى السنوات الخمس التالية (الى ٢٢ر١ مليون فى ١٩٠٢) . ثم قفز الاستثمار الاجنبى مرة أخرى الى ما يقرب من ثلاثة امثاله خلال السنوات الخمس التالية (الى ٦٠ مليونا في ١٩٠٧) بعد ان تم الاتفاق الشهير بين بريطانيا وفرنسا فى ١٩٠٤ ، الذى اطلقت بمقتضاه يد السياسة البريطانية فى مصر مقابل ان تطلق يد فرنسا فى المغرب العربى . تلت ذلك فترة تراخى فيها معدل الاستثمار الاجنبى فلم يزد الا بنسبة ٢٥٪ خلال السنوات السبع التالية بسبب الازمة العالمية فى ١٩٠٧ ، وما ترتب عليها من تضييق سوق الائتمان .

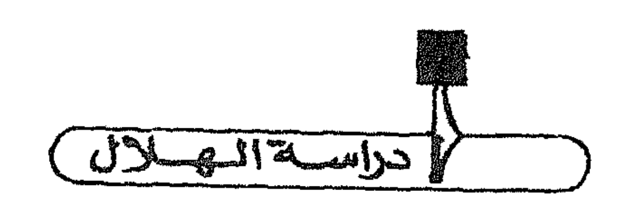
من الحرب العالمية الاولى الى الكساد العظيم :

استمرت مصر بعد نشوب الحرب العالمية الاولى فى تحقيق فائض فى ميزانها التجارى ، بل زاد هذا الفائض بشدة بسبب الارتفاع الكبير فى أسعار القطن وصعوبات الاستيراد بسبب ظروف الحرب فاذا اضفنا الى ذلك ما انفقته بريطانيا على قواتها المرابطة فى مصر نجد ان مصر استطاعت خلال سنوات الحرب والسنوات التالية مباشرة لها ان تحقق فائضا متراكما فى ميزان مدفوعاتها يبلغ ١٣٩ مليونا من الجنيهات ولكن استمرت خدمة الديون تستأثر بنصيب الاسد فى استخدامات هذا الفائض ، واذا بهذا الفائض الذى كان يمكن ، على حد تعبير مابرو « ان يحمى مصر من وطأة الكساد العالمى المقبل ، وان يعدها لتحقيق نمو بعيد المدى فى جهازها الانتاجى ، تلتهمه اقساط الديون » . (٤) وهكذا انخفضت مديونية مصر الخارجية فى السنوات العشرين التالية للحرب الاولى (١٩١٤ - ١٩٣٤) من ٨٦ مليون جنيه الى ٣٩ مليونا ، أو ما يمثل ٢٠٪ من الدخل القومى ، بالمقارنة بأكثر من ١٠٠٪ عند بداية الاحتلال الانجليزى اى ان مصر دفعت للدائنين الخارجيين خلال هذين العقدين نحو ٤٧ مليونا من الجنيهات عدا الفوائد .

من دولة مدينة الى دولة دائنة :

جاءت نقطه التحول الاساسية التالية فى قصة ديون مصر الخارجية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، اذ استطاعت مصر خلالها ليس فقط ان تسدد بقية ديونها بل وان تتحول من دولة مدينة الى دولة دائنة ذلك أنه على الرغم من العجز فى الميزان التجارى المتولد خلال سنوات الحرب ، بسبب انخفاض صادرات القطن ، جاء الانفاق العسكرى لقوات الحلفاء فى مصر فعوض هذا العجز وزاد عليه ، واذا بمصر تتمكن فى ١٩٤٣ من تحويل ما بقى من ديونها الخارجية الى دين محلى ، الدائنون فيه هم المصريون او اجانب مقيمون بمصر .

كانت مصر عندما قامت بتسديد مابقى من ديونها الخارجية مازالت ترزح تحت الاحتلال ، كما كانت بقيامها بذلك تسدى خدمة أخرى لسلطات الاحتلال التى كانت قد تحولت من دولة تبحث عن مجال لاستثمار فوائض رأس مالها الى دولة تحتاج الى استرداد مستحقاتها بل والى الاقتراض ، فاذا بمصر تنهض بعبء المهمة الثانية كما نهضت بالاولى. كانت بريطانيا قد انهكتها نفقات الحرب، وبلغت نفقاتها العسكرية فى مصر وحدها فى سنوات الحرب ٣١٤ مليون جنيه ، أى نحو ثمانية أمثال اجمالى ديون مصر الخارجية عند بداية الحرب . كان مما يلائم سلطات الاحتلال اذن أن تسرع مصر بسداد مابقى من ديونها ، التى كان



لبريطانيا أكبر نصيب فيها .. ووقع عبء هذه المهمة على أمين عثمان وزير المالية فى ذلك الوقت ، والذى اشتهر باخلاصه لبريطانيا اكثر مما اشتهر بالوطنية ، فقدم مذكرة الى مجلس الوزراء فى سبتمبر ١٩٤٣ صور فيها ((تمصير الدين)) على انه عمل من أعمال الكرامة الوطنية اذ قال :

((كان اول ما عنيت به منذ تقلدت وزارة المالية أن أبحث مع الاخصائيين عن خير طريقة لتمويل دين مصر من دين دولى الى دين داخلى بحث ، وبذلك نعدم الدين القديم ونعدم معه ذكرياته السيئة التى جرت على البلاد فى الماضى ويلات الاحتلال ، وساعدت على تدخل الدول الاجنبية فى أخص شئون مصر الداخلية ، وفضلا عما فى تحقيق هذا الهدف من ارضاء الكرامة الوطنية فانه يرمى الى تخفيف عبء الدين الى حد بعيد » (٥) .

وعندما عرض الامر على مجلس النواب اشتم بعض الاعضاء أن المقصود بقانون التمصير خدمة المصالح البريطانيه ، وأنه لن يؤدى الى ((تمصير)) الدين بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة . ذلك أن القانون المقدم من الحكومة يطرح السندات الجديدة لا على المصريين فقط بل وعلى الاجانب المقيمين بمصر ، ومن ثم ((فلن تنتج عملية التحويل الا انتقال هذا الدين من أيدى الاجانب المقيمين فى انجلترا وفرنسا وغيرهما الى أيدى أجانب مقيمين فى مصر ، أو أجانب أيضا مقيمين فى الخارج يشترون بواسطة ممثلين فى مصر ما يريدونه من سندات هذا القرض عندما يعرض على الاكتتاب العام)) .. ورد امين عثمان على هذا بقوله :

« اننا لم نلجأ الى القرض الا لتتمكن الحكومة من تحويل الدين من قرض دولى الى قرض مصرى ، أعنى قرضا بالعملة المصرية يدفع فى مصر لا قرضا لايكتتب فيه غير المصريين . وانى لارحب بكل مكتتب فى القرض سواء أكان مصريا أم اجنبيا لأنى أعتبر الاجنبى مصريا ما دام يعيش بيننا ويتمتع بخيرات بلادنا ، فنحن فى هذا السبيل سواء » (٦) ..

ووفق على القانون ، وعرضت القروض التى سميت بالقروض الوطنية على الاكتتاب فى نوفمبر ١٩٤٣ وغطيت بكامل قيمتها .

وهكذا اسدلت سنوات الحرب العالميه الثانية الستار على مرحلة طويله كئيبة من تاريخ المديونية المصرية ، استغرقت من تاريخ مصر الاقتصادى نحو ثمانين عاما . فلم يتم سداد الديون الخارجية التى بدأها سعيد باشا فى ١٨٦٢ الا بقانون تمصير الدين فى ١٩٤٣ وصندوق الدين الذى فرض الرقابة الاوربية على المالية المصرية فى ١٨٧٦ ، لم يتم الغاؤه الا فى ١٩٤٠ . وخرجت مصر من الحرب العالمية الثانية دائنة لبريطانيا بمبلغ قدره ٤٣٠ مليونا من الجنيهات ، وعانت مصر الامرين فى استيفاء حقوقها مثلما عانت من قبل فى تسديد ديونها .

نقترض فى الرخاء ونسدد الديون فى زمن الركود :

مرة أخرى نلاحظ ان تحول مصر من دولة مكتفية بمواردها الى دولة مدينة، ومن دولة مدينة الى دولة دائنة لم تحكمه حاجة مصر الى الاقتراض أو قدرتها على السداد بقدر ما حكمته تقلبات ظروف الاقتصاد الدولى . ففى عصر من الرخاء لم تكن لدى مصر فيه أدنى حاجة الى الاستدانة لتنمية اقتصادها ، أقدمت مصر على التورط فى الديون ، وفى فترة انكماش وكساد شديد الوطأة وفى ظل ركود شبه تام فى متوسط الدخل ، كالذى ساد مصر فيما بين ١٩١٣ و ١٩٥٦ قامت مصر بسداد جزء كبير مما سبق لها اقتراضه .

لقد بين هانسن بدراسته لاحصاءات الدخل القومى المصرى خلال الفترة ١٣ - ١٩٥٦ ، أن متوسط الدخل القومى عند قيام حرب السويس كان تقريبا عند

نفس مستواه عند قيام الحرب العالمية الاولى . فالتقدم الضعيف الذى احرزته الزراعة المصرية بالاضافة الى نمو الناتج الصناعى ضاع اغلبه بسبب اتجاه معدل التبادل الدولى لغير صالح مصر (بانخفاض أسعار القطن بالمقارنة بأسعار الواردات) والتهمت الباقى الزيادة فى السكان (٧) فاذا كانت مصر فى حاجة ماسة الى الافتراض فى أية فترة فى تاريخها الحديث فقد كانت هى هذه الفترة . ولكن هذه هى بالضبط الفترة التى قامت فيها مصر بسداد ديونها وتحولت فيها الى دولة دائنة ! ذلك ان هذه الفترة كانت هى أيضا الفترة التى انكمشت فيها بشدة حاجة الاقتصاديات المتقدمة الى ولوج أبواب الاستثمار الخارجى . فاوربا كانت مشغولة بالاستعداد او الانفاق على الحربين العالميتين ، أو باعادة ما دمرته الحربان او بدفع التعويضات المفروضة على من انهزم فى الحرب الاولى ، او بالكساد العالمى الذى حل بها جميعا فى الثلاثينيات والولايات المتحدة كانت منشغلة باستغلال مواردها الاقتصادية الهائلة وسوقها الواسعة . ادى كل ذلك الى ان تباطات حركة الاستثمارات الدولية تباطؤا مذهلا ، فلم يعد لبريطانيا فائض من راس المال لتصديره ، وانتهى تاريخها الطويل كمصدر صاف لراس المال ، وانخفض معدل الادخار فيها من ١٧٪ فى ستينيات القرن الماضى الى ١٢٪ فى ١٩٠٧ الى ٧ ٪ فى ١٩٢٩ . واتجه الجزء الاكبر من المدخرات الامريكية الى الاستثمار فى الداخل بحيث قدر البعض أن حجم الاستثمارات الخاصة للولايات المتحدة فى الخارج كان فى نهاية الحرب العالمية الثانية اقل مما كان فى ١٩٢٩ . وعلى الجملة فاق حجم سداد الديون الدولية القديمة خلال الثلاثينيات ، وتصفية الاستثمارات الخارجية التى كانت الدول الصناعية قد قامت بها فى فترة سابقة ، فاق ذلك حجم القروض والاستثمارات الجديدة ومن ثم انخفض الاستثمار الدولى الصافى الى ما يقرب من الصفر

نبيذ قديم فى أوانى جديدة :

فى منتصف الخمسينيات من القرن الحالى ، عندما رحل آخر جندى من جنود الاحتلال عن أرض مصر ، كان وضع مصر من حيث المديونية الخارجية لا يختلف كثيرا عما كان عليه قبل ذلك بمائه عام . ففى ١٩٥٦ كانت مصر ، كما كانت فى منتصف القرن التاسع عشر غير مدينة للخارج بشىء ولكن كان على مصر فى ذلك الوقت الشروع فى برنامج طموح للتنمية تدشن به عهد الاستقلال الحقيقى فى نفس الوقت كان العالم الصناعى يدخل بدوره عهدا جديدا ، اهم ما يميزه ان استقطابا دوليا جديدا يتمثل فى التنافس على مناطق النفوذ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى قد حل محل النظام الاستعمارى القديم الذى تزعمته بريطانيا وفرنسا . فاذا بقصة مديونية مصر الخارجية ابتداء من ذلك الوقت تعكس ما طرأ على النظام الاقتصادى والسياسى العالمى من تغيرات ، واذا بنا نقرأ قصة جديدة تمتد من منتصف الخمسينيات الى منتصف الثمانينيات ، لها بالطبع ملامحها الخاصة التى اكتسبتها فى الاساس من الملامح الجديدة للنظام العالمى ، ولكن لها ايضا اوجه شبه مذهلة بقصة القرن التاسع عشر .

(١) مابرو ، المرجع السابق ، ص ١٩
(٢) مابرو ص ٢٠ ، ٢٣٦
(٣) حسبت من مابرو ، ص ٢١
(٤) مابرو ، ص ٢١
(٥) نبيل عبد الحميد سيد احمد النشاط الاقتصادى للاجانب وأثره فى المجتمع المصرى ، ١٩٢٢ - ١٩٥٢ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ١١٠ .
(٦) نبيل سيد احمد ، المرجع السابق ، ص ١١١ - ١١٢ .
(٧) جلال أمين : المشرق العربى والغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص ٣٦-٣٧ .



● عزيز المصرى وحلم الثورة ●

● كتب الدكتور محمد حرب تعليقا على مقال مصطفى نبيل « عزيز المصرى وحلم الثورة » والذى نشر فى عدد فبراير الماضى يقول :

احرص كل الحرص فى كتابة هذه الحاشية على الا اتعرض باى شكل لعاطفة قارئها ، سواء كانت هذه العاطفة ، دينية او قومية او سياسية كما احرص ايضا على ان انبه هنا ، انني لا اقف موقف المؤرخ او الباحث فى التاريخ ، بل انى ناقل احيانا ممن نسميهم بالتاريخ الحى ، و معلق احيانا ، فى حدود معرفتى ، وفى احيان اخرى اقف موقف المستفسر .

اقول ان عزيز باشا المصرى عاش فى عهد بلغ فيه الصراع اشده بين اصحاب الفكر الدينى واصحاب الفكر القومى ، الذى كانت نتيجته نجاح الفكر القومى فى بلاد المسلمين متمثلا فى تسلم حزب الاتحاد والترقى الحكم وعزل السلطان عبد الحميد . ويكاد يكون معروفا ان الجيش الموالى لحزب الاتحاد والترقى هذا ويسمى جيش الحركة ، خرج من مدينة سلانيك وتحرك الى استانبول ليجبر عبد الحميد على اعادة العمل بالدستور ، ثم عزلوه بعد حين ، وكان هذا الجيش الثورى جيشا عثمانيا جديد الفكر يراسه القائد محمود شوكت باشا العربى العراقى، وكان له ضابطان شابان هما « اركان حرب » واحد منهم مصطفى كمال والذى عرف بعد ذلك باتاتورك ، والاخر عزيز افندى والذى عرف بعد ذلك بالمصرى . وكان هذان الضابطان الشابان ينتميان الى نفس الفكر ، وكانا صديقين واذكر ان مصر قد طلبت من حكومة الجمهورية التركية ضباطا اتراكا للاسهام فى تدريب الجيش المصرى . فكان رد اتاتورك : « يكفيهم عزيز باشا » ويقصد بذلك ان مادام عزيز باشا موجودا فى مصر ، فلا حاجة بمصر الى خبرة عسكرية اجنبية .

والواقع اننى اضع كلمة(المصرى) لقب عزيز باشا ، دائما ، بين قوسين. لانه لم يكن مصرى الاصل بل كان جركسيا (وتكتب احيانا شركسيا) ويتمتع عزيز باشا بكل صفات الشركس : القوة والصلابة والانضباط وسرعة الغضب وكان مع شركسيته وتحدثه بلغته هذه - فقد كان ككل متخرج من استانبول يتحدث التركية بطلاقة ، ويتحدث بها فى مصر دائما يذكر استاذنا الاديب والشاعر التركى نهاد يازار - وكان استاذا للغة التركية فى جامعة عين شمس بالقاهرة وكان من قبل ذلك مقيما فى مصر ومن خواص عزيز باشا وجلسائه يذكر نهاد يازار ، انه لم يكن يجد

فى عزيز باشا تمسكا بمصــــرية ولا اعتدادا بالتحدث بالعربية •
وقد عين عزيز باشا فى اوائــل عهد الجمهورية فى مصر ، ســفيرا لمصر فى الاتحاد الســوفييتى • وفى موسكو ، حن الى قوميته ، والقومية مسالة غريزية فى الانســان ، فطلب من السلطات السوفييتية الســماح له بزيارة اقاربه فى بلاد الشــركس الخاضعة للاتحاد السوفييتى • وسمح السوفييت لعزيز باشــا فى ذلك ، لاعتبارات كثيرة منهــا انه الاب الروحى لثورة ٢٣ يوليو ـ كما قــال الرئيس جمال عبد الناصر •
زار الباشا اقاربه هناك ، وتعرف اليهم ، لكنه اعلن لهم فى دهشــة تعجبه من تمسكهم بالاسلام ، رغــم موقف الماركسية من الدين ، ورغــم تدريس الماركسية فى المدارس وفى كل مكان • بكى عزيز باشا (وكان فريقا) بكاء شديدا لامرين : تحقق الحنين ، وتحقق الايمان • ذلك لان عزيز باشا كان ـ حتى زيارته هذه التى اتحدث عنها ـ علمانيا وملحدا ، فهــو ابن الاتحاد والترقى فكريا وان اختلف مع اقرانه منهم حركيا •
اتجه عزيز باشا ـ بعد انتهــاء مهمته فى الاتحاد الســوفييتى الى الايمان ، وكان يصلى ويبكى ، ويردد كثيرا الاية القرانية : (قتل الانسان ما اكفره) كان الباشا يبــكى نادما على مسالتين ، رددهما كثيرا على زواره من الاتراك ، وفيهم نهاد يازار ، وهما : اشتراكه فى الثــورة العربية الكبرى التى ضربت الترك فى المدينة المنورة من الخلف وغدرت بهم، والاخرى حرمانه من الايمان فتــرة طالت كثيرا فى حياته •
لم يكن مقر عزيز باشا فى القاهرة ملتقى للثــوار فقط ، ولا للقوميين فقط ، ولا للاســلاميين فقــط ، ولا للملكيين فقط !! وانما كان ملتقى لكل هــؤلاء ثائرين كانوا ام عاقلين عصبيين كانوا ام وقورين •مثلا كان الباشا صديقا شخصيا للامير محمود شوكت ، الامير العثمانى الذى طرده اتاتورك من تركيا والامير شوكت كان مرشحا ليكون ملكا على فلســطين عام ١٩٤٨ ، وكان عزيز باشا مؤيدا لفكرة ان يكون الامير ملــــكا لفلسطين ، واخذ على عاتقه اقنــاع الحاج امين الحسينى مفتى القدس ورئيس اللجنــة العليا لفلسطين ، وجمع عزيز باشا اعضاء هذه اللجنة بمنزله فى القاهرة ، ليقول لهــم انه يريد هذا وعليهم التنفيذ •
كان الباشا صديقا حميما للشيخ امين الحسينى ـ والرجل معــروف باسلاميته ـ كما كان منزل الباشــا ملتقى للضباط الشبان الذين قــادوا ثورة مصر عام ١٩٥٢ ، وبهــذه المناسبة اسال واستفسر ترى هــل عرضت قيادة ثورة الشــبان على الباشا ، واذا كان كذلك فهل قبلتهــا وما ظروف هذه المسالة التاريخية ؟
عزيز باشا ، كان ثوريــا فى انتمائه لحــركة الاتحاد والترقى ، ثــم ثوريا فى انتمائه للتيار القومى العربى، وكان ثوريا فى ليبيا ،وكان ثوريافى نبذه لكل هذا ودعوته للايمان•عزيز باشا كان ثوريا ايضا فى تعــاونه مع الاخرين • مع العثمانيين ، ومع الاتــراك ، ومــع العرب ، ومــع المصريين ، ومع الانجليز • يعمــل مع كل هؤلاء عندمــا كان يريد وينسحب من التعامل معهم عندمــا يريد •
استفسارى ايضا يتجه الى الاتى: هل يمكن الحكم على عصبية الباشــا



لانه كان يجيد الانسحاب بعد احتداد التيار الذى يناصره ؟ وهل ايد كل ما نادى به حتى النهاية ؟ ولماذا ؟

ترى هل يمكن القول بان الانجليز استطاعوا استخدام الباشا بنجاح وذكاء ، معتمدين على دراستهم لنفسيته ؟ اولا يمكن القول بهذا ، ثم ما الدليل ؟ ترى كيف تدرج الباشا من رتبة ضابط صغير فى جيش الحركة الى ضابط مشهور فجاة ، بل ومن ابرز الضباط العثمانيين ، مما جعل قادة الاتحاد والترقي العسكريين ، يغارون منه ، ٠٠ الى ضابط له مكانته الخاصة فى جيش الشريف حسين الذى يؤيده الانجليز ضد العثمانيين ؟ ثم الى ضابط بالجيش المصرى الذى سيطرت عليه قوات الاحتلال الانجليزى وقتها ، والانجليز كانوا ضد وحدة منطقة الشرق الاوسط تحت القيادة العثمانية بل كانت انجلترا عاملا من عوامل انهيار هذه القيادة ؟

اسئلة واستفسارات واضواء ، وهناك اسئلة اخرى يمكن ان تضاف الى ملف عزيز باشا ٠ بل وهناك وثائق كثيرة عن الباشا فى كل ساحات عمله ، لم تنشر بعد ، وقد وعد جمال قوطاى بنشر الوثائق التى عثر عليها بعد بحث ، لكنه لم يوف بوعده حتى الان ٠ وعندما ينشرها ستتغير معارف كثيرة عرفناها عن عزيز باشا ، القائد صاحب الشخصية المهيمنة القوية ٠

د٠ محمد حرب

● تعودين ٠٠ اهلا ●

تعودين مرحى بعود القصيد
فجودى على بلقياك جودى
لاجلك حررت كل الاحاسيس
اطلقت حرف الهوى فى نشيدى
ورحت اهيم بليل الاغاريد
ليل الاناشيد عمر الخلود
تعودين ٠٠ اهلا باحلى عيون
ومرحى بعود الهوى فى عهودى

رفعت محمد بروبى
سوهاج

● حقوق العباد ●

وتسال هل عمرة كل عام
فافتيك أن الاله غني عن
واولى بك البحث عمن ظلمت ،
تسال هل يرفع التائبون
فافتيك لن تشفع التمتمات
إذا لم تؤد حقوق العباد ،
فلست وحيدا تجوب الحياة ،
تخلف في الارض حيث
ولكن شرع الاله الحكيم
لقد خلق الناس في اسرة ،

تكفر ما قبلها من ظلم
السعي بالمال او بالقدم
بارضاؤه قبل ان يختتم
أكف الضراعة عند الندم
ولو طاف صاحبها بالحرم
فتبرا - قبل الدموع - الذمم
وتختال فيها بلا معتصم
انطلقت جراحا وراءك لا تلتئم
يشد الخليقة كي تلتحم
رعتها الرسالات منذ القدم

محيى الدين عطية
الكويت

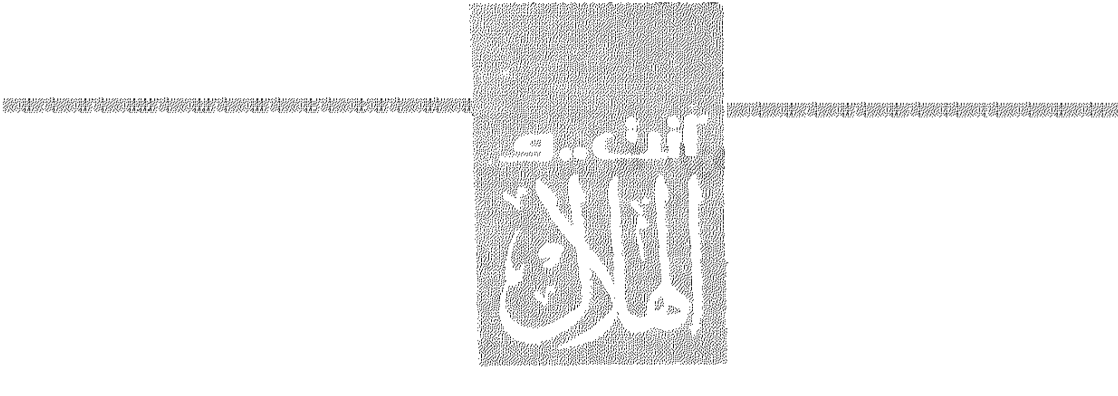
● حفني ناصف والتقاعد ●

● تذكرني الاحالة الى التقاعد موقفا للمرحوم الشاعر حفني ناصف يحسن ذكره هنا للقراء الكرام ففيه ظرف وطرافة :

عندما قارب الشاعر الكبير سن انهاء الخدمة تقدم الى المرحوم حسين رشدى باشا رئيس الوزارة انذاك (حوالى سنة ١٩١٥) برسالة شعرية يطلب فيها مد خدمة لاسباب ذكرها وهى لا تختلف في مجملها عن الاسباب التى تتوافر الان لكل عامل بالحكومة في مثل حالته فيما عدا سببا واحدا تضمنه البيت الاخر وهو امهاله حتى يفرغ من الاشراف على اعادة رسم المصحف الشريف الى الرسم العثمانى وكانت الحكومة قد كلفته القيام بهذا العمل الجليل الذى استغرق سبع سنوات كاملة منها ثلاث وهو متقاعد وقد انتقل الى رحمة الله بعد انجازه بقليل ، وقد وافق رئيس الوزراء على مد خدمته حتى ينتهى من رسم المصحف تحقيقا لرغبة عدلى يكن باشا وزير المعارف • ولكن المستشار الانجليزى اصر على رفض هذا المد •

ان شعر حفنى ناصف جدير بالقراءة فهو يتسم بالاصالة والسلامة والاستقصاء والطرافة وتتضح فيه شخصيته كقاض من شانه تقديم « الحيثيات » فماذا قال - رحمه الله في رسالته :

صاحب الدولة يا شيخ الوزارة
حاجتى ان شئت تقضى باشارة
نالها قبلى السوف لم اكن
دونهم علما ولا ادنى ادارة
ناهز الستين عمرى ، انما
لم ازل جسم القوى جم الجدارة
واذا لم يشك مثلى علة
هل من الحكمة ان يلزم داره ؟



ان تركى خدمة الاوطان مع
طول ما مارست فى الدنيا خساره
وحياتى كلها قضيتها
تاره فى العدل والتعليم تارة
ليس عندى صنعة تكفل لى
رزق أولادى ولا عندى تجارة
ان أولادى على كثرتهم
ليس فيهم بعد من يكسب « باره »
أبقنى بضع سنين ريثما
يقدر الاكبر أن يسوى صغاره
أو الى ان ينتهى ما فى يدى
وهو ـ ان تم ـ فخار للنظاره

احمد قاسم امين ـ بالمعاش ـ قنا

● الشاعر خالد الجرنوسى ●

● ولد خالد الجرنوسى سنة ١٨٩٨ فى قرية الجرنوس مركز بنى مزار بالمنيا ونشأ فيها على الادب والشعر، وبين يدى والديه ، أمه الصالحة ، وابيه المؤمن المجاهد احمد جاد الحق من ضباط الثورة العرابية ودرس فى مدرسة القرية وحفظ القرآن على يد الشيخ مصطفى القاياتى فى الكتاب وقرأ كل ما وقع تحت يديه من كتب السيرة النبوية والشعر والتهم دواوين الشعر التهاما والتحق خالد بالازهر الشريف عام ١٩١٦ وشتغل بالتدريس بعد تخرجه فى كلية اللغة العربية وعمل بالصحافة فترة وانضم فى سنة ١٩٤٦ الى جامعة ادباء العروبة التى اختير لرياستها الوزير ابراهيم دسوقى اباظة باشا وحلت الجماعة ادباء العروبة بعد ثورة ١٩٥٢ ، رغم انها ساعدت ونشرت مبادىء الثورة قبل قيامها . وبدا خالد الجرنوسى عقد ندوة الادب الشعرية الشهرية منذ عام سنة ١٩٤٩ الى سنة ١٩٦١ فى جمعية الشبان المسيحية .

كتب الشاعر خمسة دواوين شعر طبع أولها سنة ١٩٢٤ واخرها سنة ١٩٧٣ .

وقد احتفلت كلية اللغة العربية بجامعة الازهر في ◻ - ◻ - ١٩٨٦ بذكرى الشاعر خالد الجرنوسي ومرور ٢٥ عاما على وفاته وجاء احتفالا باهتا لا يليق بذكراه ونحن نناشد الدكتور احمد هيكل وزير الثقافة والدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة العامة للكتاب اعادة طبع دواوين الشاعر خالد الجرنوسي

رجب عبد الحكيم بيومى
كلية دار العلوم

● اشراقة الربيع ●

كان الشتاء رهيبا في برودته
كم ظل يدع ذا يسر ومسكينا
كادت معاطفنا تمسي مخابئنا
من فرط رعدتنا زدنا « البطاطينا »
من تحت الحفة غصنا بمرتبة
وللزكام لظى اعيا المداوينا
وبعد توديعه عادت مسرتنا
واصبح الناس في الترويح لاهينا
هذى زهور الربا تزهو بوادينا
سبحان من صاغها وردا ونسرينا
اشراقة الحسن قد فاضت سبائكها
في الكون تفتن تنميقا وتلوينا

وفيقة عواد سلامة

● العقاد والهلال ●

● احتفل الهلال في عدد مارس الماضي بذكرى العقاد .. وكم كان الهلال وفيا كريما للعقاد في ذكراه ، كما كان صديقا وخليلا للعقاد في حياته ، فعلى صفحات الهلال ومنذ عشرينيات هذا القرن والعقاد يوالي كتاباته والى وفاته في ١٢ مارس سنة ١٩٦٤ ، وعندما صدرت سلسلة كتاب الهلال استهلها العقاد بكتابه « عبقرية محمد » ، وتولى الهلال نشر مؤلفات العقاد في سلسلة كتاب الهلال . وكان العقاد يخص الهلال بمقالاته القيمة طوال الاربعينيات والخمسينيات وبداية الستينيات وتوثقت الصلة بين اصحاب الهلال وكاتبنا من ناحية ومن ناحية اخرى بين العقاد والمرحوم الاستاذ طاهر الطناحي مدير الهلال الاسبق ، فتجد ان علاقة الطناحي بالعقاد تجد مفتاحها الاعجاب بالعقاد الكاتب والمفكر والانسان ، ومن هذه العلاقة يتوافر الطناحي على جمع تراث العقاد في الهلال وينشرها في كتب ومنها « رجال عرفتهم » و « انا » و (حياة قلم) وينشر الطناحي كتاب « انا » في سلسلة كتاب الهلال بعد رحيل العقاد وفاء وذكرى ولا يترك طاهر الطناحي فرصة عند صدور كتاب



المعقــــاد او ديــوان شــعر الا واهتبلها ليسجل فى حــديث القلم » فى الهلال ايات التقدير والثناء لعبقرية العقاد فى كل ما كتب ٠٠ وفى حديقة الادباء فى الهلال كتب طاهر الطناحي عن العقاد مقالا تحليليــا وصفيا فوصفه باوصاف عقــــاب الجو وجعل عنوان المقال ـ العقــاب المنيع ـ وكان ان قدم المرحوم الاستاذ العقاد لكتاب الطناحي حديقة الادبـاء بمقال قيم عن نفسية الانسان والحيوان وجوانب من علم الفراسة الحــديث وشرح فكرة الكتاب والقى الاضواء على جــوانب من ادب الطناحي ، وعندما بلغ العقاد السبعين اهدى اليه الطناحي قصيدة عصماء نشرها فى الهلال ، ورد عليها العقـــاد فى نفس العدد ، وكان مما قاله الطناحي فى العقاد !

اهديت للفن الرفيـع ذخــائرا ورفعت ركنــــا للعلوم مكينــــا

ان العلاقة بين العقاد والهــلال تحتاج الى بحــوث مستفيضــة ، ودراسات جــادة وامينة يتوافــر عليها من الباحثين والدارسـين من بكتب ويضيف صفحات جديدة لتاريخنا الثقافى والادبى المعاصر ٠

عمرو عبد المنعم حمودة

● ترنيمة جريحة ●

نفســى تطــالبنى المزيــد
واليــاس قــد شــل القصيد
الليل يعصف ٠٠ بالامـــــان
ـ وبالمنى عصبف الجــــديد
والقـــلب ينهشـــــــه الاسى
والنبض اضـنــاه ٠٠ الشــــرود
قـــد جئت فى زمن عقيــــم
٠٠ والجـــراح به وئــــود
الحـلم مخنــوق الصـــدى
ولــه انين فى الـــــوريد
والحب مذبوح الجميـــــــل
مقيد ٠٠ قيـــــد العبيـــد

ايمن دسوقى ـ القاهرة ـ مصرالقديمة

● على الجارم

شـرف له حـذق الصيال مثـارا يطـوى التــلاع يشـرف الاعمارا

ميدانه الفصحى ولفظة يعرب
دار العلوم تشامخت بجهوده
كم طاف بين معاهد مستنطقا
اعلى كم الذت نحوا واضحا
وادرت اطراف الحديث جدارة
فى مجمع اللغة استطار نشاطه
اعلى كم القيت شعرا نابضا
كم قمت من شوقى مقام انابة
ان العروبة تستحث بك الخطى
الضاد انت حفيها ورشيدها

ووعي المعاجم قبله ومزارا
ولواؤه استن الهدى انوارا
أدب العروبة ، كم افاد حوارا
واتحت علما سائغا مختارا
فى قصة تصف الشجاعة نارا
بحثا يفوح طلاوة وثمارا
هز العواطف واستعيد مرارا
تلقي قصيدته هو وفخارا
كم كنت رائدها وكنت منارا
بلغت بك اللغة المدى اطوارا

عبد العزيز بيومى على
مدير بالمدارس الثانويه سابقا

● حوار مع الاصدقاء ●

● طلال عبد المقصود على ـ ابو حماد :
ـ اهم باتقان تكنيك القصة القصيرة ، فليست القصة القصيرة فنا سهلا ولا قصير الانفاس ، ولابد من الصبر حتى اوان النضج

● عبد المرءوف عبد الله رزق ابشواى .
ـ زجلكم الذى ارسلتموه الينا لا باس به ، ولكن الهلال ينشر الانتاج الادبى باللغة القومية للامة العربية كلها ، والزجل كلام عامى لا يعرفه الناس خارج حدوده

● عبد اللطيف عوام ـ الدار البيضاء ـ المغرب .
ـ انت تطلب منا ان ننشر ابداعات الشباب ، والبحوث الادبية المعاصرة، والنحو والفلسفة والقانون والاقتصاد والتاريخ ، وهذا ما نفعله فى الواقع ولو داومت الاطلاع على الهلال لعرفت ذلك .. واما قصة مدام بوفارى فاكتب بشأنها الى قسم التوزيع بدار الهلال ، وسنحيل نحن خطابك الى هذا القسم ..

● عبد الله سعيد بن سلمان ـ المكلا ـ حضرموت ـ اليمن الديمقراطية
ـ موضوعك عن العقاد والرافعى، تلخيص من كتاب للدكتور عبد العزيز المقالح كما تقول ، وهو بشكله هذا يبدو للقارىء المصرى والعربى معلومات مكررة ، ولعلك لا تعرف أن الرافعى والعقاد لا يحتاج التعريف بهما الى تلخيص كتاب وعذرك ان الهلال لم يكن يصل اليكم فى الماضى ثم عاد اليكم اخيرا بعد استتباب الاحوال ، وهدوء البال ..

● نشكر السادة الادباء والشعراء صبرى الزحاف .. عاصم البرقوقى، اشرف ابو العز .. محمد سلطان سيد حسن .. محمد عثمان جبريل موسى محمد هلة .. طارق صلاح بندارى .. عبد القادر المصرى .. نبوية محمد حسين .. خالد سعدالدين الصغير .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			


كتاب الهلال
يقدم :
المسيحية والإسلام
بقلم : محمد عبده
يصدر
٥ مايو
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم :
الزهراء في مكة
بقلم : فاروق خورشيد
تصدر في
١٥ مايو ١٩٨٧

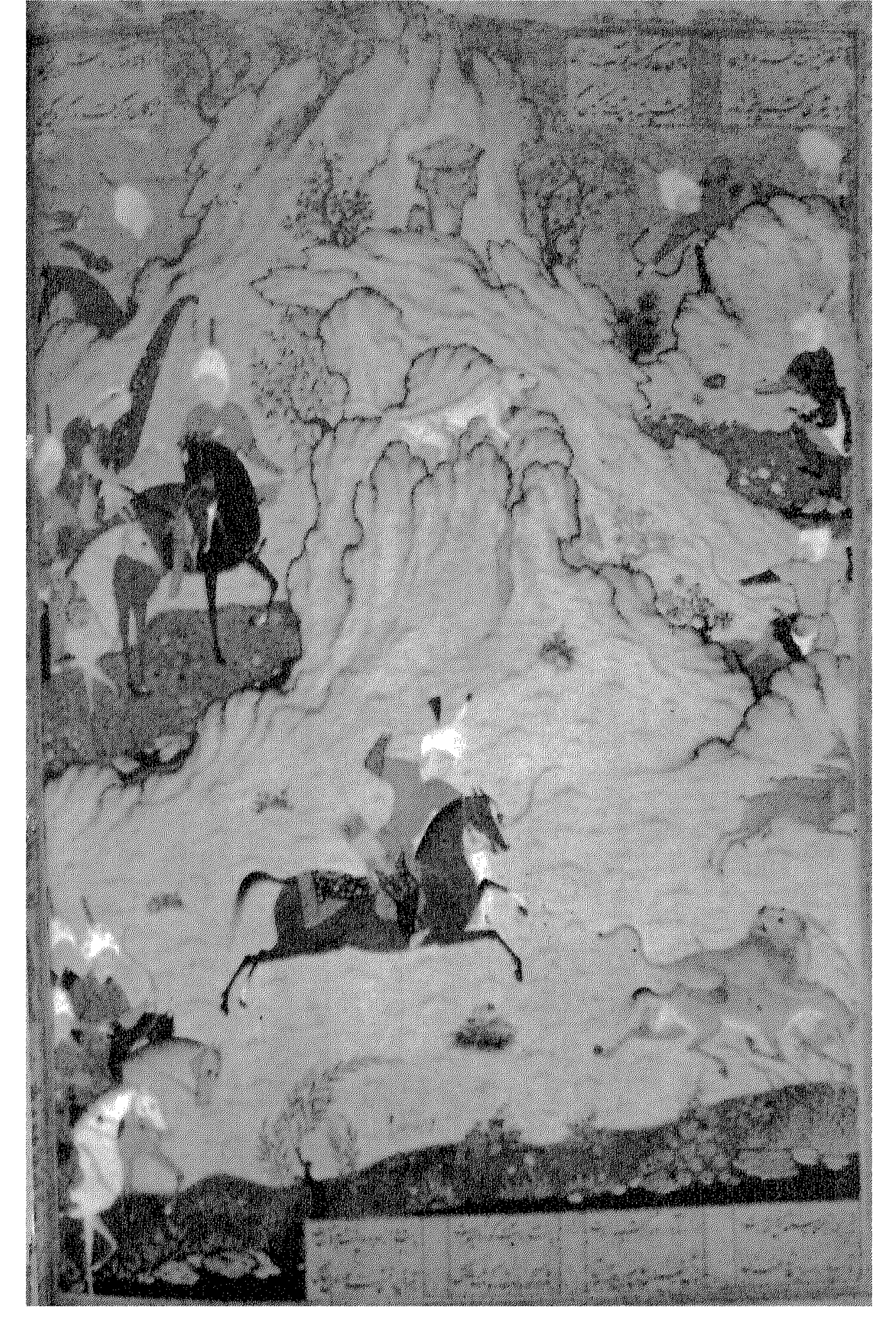
الهلال

يونيو ١٩٨٧ • الثمن ٥٠ قرشا

الصفوة.. والعامة
العقاد وقصة ابنته المنتحرة
الجذور التاريخية للتطرف الديني

مصر أرض التوحيد





من روائع الفن الإسلامى

لوحة مستوحاة من الخماسية التى كتبها الشاعر الايرانى نظامى (٢٠٢ بيت) تصور الأمير بهرام فى رحلة صيد إلى اليمن عبر الجزيرة العربية . حيث كشفت هذه الرحلة عن مدى مهارته فى الصيد

تنتمى اللوحة الى فن المنمنمات . وتصل مساحتها إلى ٣٠٠ × ١٧٠ مم ومحفوظة فى المكتبة البريطانية فى لندن .

الهلال

السنة الرابعة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان عام ١٨٩٢ أول يونيو ١٩٨٧ م - ٥ شوال ١٤٠٧ هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتيرا التحرير الفنيان
محمود الشيخ
عيسى دياب



عزيزى القارئ

بعد ست سنوات تكمل مجلة الهلال مائة عام من عمرها المديد التليد الذى انفردت خلاله دون سائر المجلات المصرية والعربية بالصدور المتواصل بلا انقطاع برغم نشوب الحروب الطاحنة ، واندلاع الثورات الدامية ، وحلول المجتمعات الجديدة محل المجتمعات القديمة ، وأفكار القرن العشرين محل أفكار القرن التاسع عشر ، ثم وقوف الأيديولوجيات الأجتماعية والسياسية المختلفة فى مبارزة بالأسلحة النووية ! ..

قبل أربعة وتسعين عاما أخذ جرجى زيدان اسم مجلة « الهلال » من « الهلال العثمانى » الذى كان رمزاً للدولة العثمانية عند صدور الهلال سنة ١٨٩٢ وكان رسم الهلال يتوسط العلم العثمانى الأحمر الذى كان أيضا علما لمصر ، وتحت ظلاله خاض الشعب المصرى ثورة ١٩١٩ فأصبح اسم مجلة « الهلال » عند قرائها يشير إلى الثورة الوطنية والاستقلال

لقد رأت مجلة الهلال فى أواخر القرن التاسع عشر انتصارات العثمانيين التى قال فيها شوقى أمير الشعراء يخاطب السلطان عبد الحميد

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب

وينصر دين الله أيان تضرب ..

ثم رأت « الهلال » هزيمة العثمانيين التى قال فيها شوقى يرثى مدينة أدرنة

يأأخت أندلس عليك سلام

هوت الخلافة عنك والاسلام ..

ثم رأت « الهلال » زوال الدولة العثمانية واستيلاء الأوربيين على ما تبقى من بلاد العرب والمسلمين عقب الحرب العالمية الأولى .

ثم أطلت عيون « الهلال » على معارك الحرب العالمية الثانية التى شاء التاريخ أن يجعل من نتائجها تحرر جميع البلاد العربية ما عدا فلسطين

ثم تقلبت الدنيا تحت أنظار « الهلال » منذ فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ إلى يومنا

هذا ، بين مد وجزر ، فرأت مصر ورأت دنيا العرب مشرقا ومغربا تفور وتمور ، وتسعد وتشقى ، وتتقدم وتتقهقر ، وتنهزم وتنتصر .

وهكذا اجتمع لمجلة الهلال خلال ٩٤ عاما من عمرها الحافل بالأحداث أربعة وتسعون مجلدا ، هى سجل مصر والعرب والمسلمين والشرق والغرب فى الأدب والعلم والفن والسياسة والدين والقانون وكل معقول ومنقول من ثمرات العقول البشرية في جميع العصور .. فكان لزاما علينا ـ نحن العاملين فى الهلال ـ أن نضبط هذا كله ونبسجله فى « كشاف » دقيق يجمع بين الفهرسة والتسجيل والتلخيص لمادة الهلال ، على أحدث المناهج فى هذا المضمار ..

وقد أصدرنا منذ سنوات كشاف أثنين وعشرين عاما ، من أول صدور الهلال إلى سنة ١٩١٤ ، ثم أكملنا أخيرا هذا الكشاف حتى سنة ١٩٣٦ ، كما تم الاتفاق مع إحدى المؤسسات المختصة ذات الامكانات التكنولوجية المتقدمة ، على تحويل مجلدات الهلال الضخمة التى اصفر ورقها من تقادم السنين ، إلى « ميكروفيلم » يحفظ مادة هذه المجلدات من الضياع ، ويجعلها سهلة التناول فى جميع الظروف ، وبأيسر السبل لجميع طالبيها .. وما أكثرهم ..

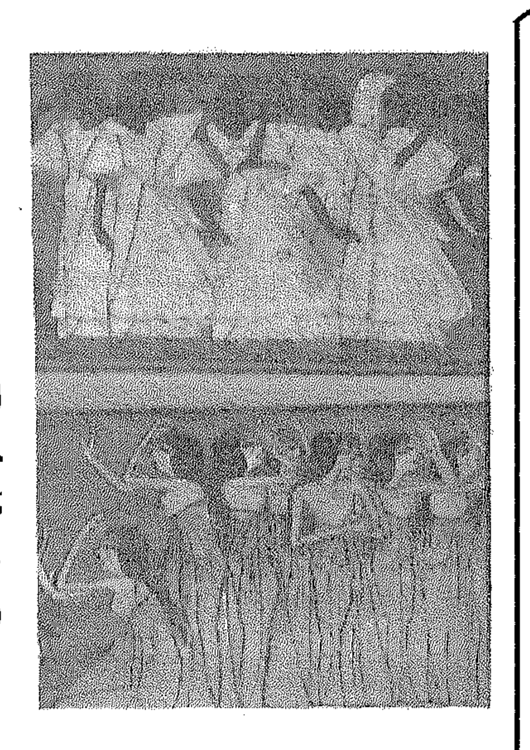
ومن أحدث مشروعاتنا وأهمها إصدار طبعة جديدة كاملة لمجلد السنة الأولى من الهلال ، وستكون هذه الطبعة فى أيدى قرائها خلال مدة وجيزة ، ثم يتتابع إصدار طبعات أخرى كاملة لمجلدات الهلال كلها ..

وهكذا تتسع صورة مجلة « الهلال » في عيون قرائها ، فهى ليست مجرد العدد الذى يصدر كل شهر ، بل هى ـ إلى ذلك ـ ألف عدد صدرت حتى الآن ، بل ألف ومائتا عدد تكتمل فى عيدها المئوى المأمول ! ..

عزيزى القارىء ..

إننا نعتقد أنك مثلنا ـ وربما قبلنا وأكثر منا ـ تشعر كلما تلقيت عددا جديدا من الهلال بأنك تتلقى فى هذا العدد الواحد ، أو تتلقى معه ، أكثر من الف عدد ، وتطالع تراثا مؤثلا من الثقافة ، فإن الهلال الذى يتتابع صدوره فى شهور سنة ١٩٨٧ يمتد صدوره إلى الف شهر مضت ، ويمتد فى الف شهر من المستقبل الذى نرجوه للأبناء والأحفاد ، ثم إلى ما شاء الله من ألوف الشهور ..

وقد كان ماضى « الهلال » هو ماضى الثقافة العربية ، وسوف يكون مستقبله المرجو هو مستقبل الثقافة العربية التى يفتح لها المستقبل ذراعيه ويدعوها إلى التقدم إليه متحررة من كل الآصار والأثقال والظلمات ! ..



الغلاف تصميم الفنان
حلمي التوني
كتاب الموتى بين
عقيدة التوحيد
والكتب السماوية ص ٨٣

في هذا العدد

فكر وثقافة

ص

كان ياما كان

●● قضايا ومواقف

● قصة وشعر ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●

مذكرات شيخ وهمى

صفحات من سفر الحياة فى مطلع القرن

بقلم : د. ناجى نجيب

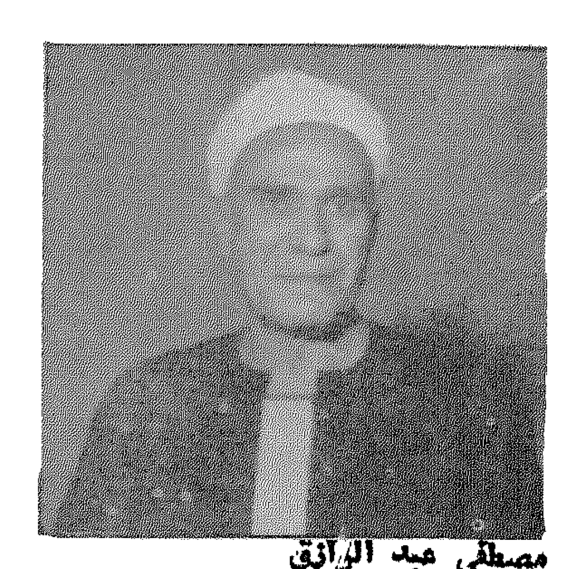
لـ « مذكرات الشيخ الفزارى » (١٩١٤) فضل السبق فى تصوير البيئة الأزهرية فى صورتها التقليدية التى خلفتها تراكمات الماضى ، هذا قبل أن يكتب طه حسين « الأيام » (الجزء الثانى) بنحو ربع قرن من الزمان ، كما أنها من الأعمال الأولى فى الأدب العربى الحديث التى تنتحل صيغة اليوميات أو المذكرات ، وتستعين بفن التصوير الساخر عن طريق تجسيم المواقف والشخوص لاعن طريق اللعب بالألفاظ . وأخيرا وليس آخرا فهى تعبر عن القدرة على الارتفاع فوق حدود الذات أو القدرة على مواجهة الذات على ما قد يكون فى هذه المواجهة أحيانا من إيلام

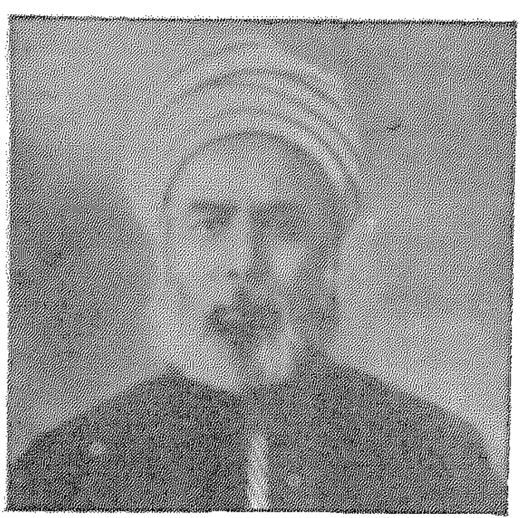
المأسوف على شبابه

صاحب هذه الصحائف أو المذكرات هو المأسوف على شبابه الشيخ حسان عامر الفزارى ، الذى وافاه الأجل عام ١٩١١ فى باريس بعد نحو عامين أو يزيد قضاها فى الدرس والتحصيل فى السربون .

والشيخ الفزارى ـ كما يعرفنا به ناشر هذ الصحائف ـ قد درس فى الأزهر الشريف ، واستمع الى دروس الأستاذ الامام محمد عبده ، ثم دخل دار العلوم ونال شهادتها ، وقد لمس فيه أحد « الباشوات » ملامح الجد والنبوغ ، فأرسله إلى فرنسا كى ينمى معارفه ويصقل مداركه وأحاسيسه ، ويتعرف على ماعند القوم من « مدنية وعرفان » وعلم لاغناء عنه لنهضة البلاد .

ولكن الأقدار شاءت أن يصيبه المرض على غير انتظار وهو ينهل من منابع العلم


مصطفى عبد الرازق


الشيخ محمد عبده

الجديد ، فلما أحس دنو الأجل دفع بصحائفه هذه إلى رفيق من رفاق الدرس والرحلة ، وأخذه العهد أن يحفظها حينا ثم يخرجها إلى الناس ، إذ قد تكون منها منفعة ، ولأنها حقائق لم يلعب بها الهوى ، وهاهو الناشر يعمل بوصية الشيخ الفزارى .

« وها انذا أنشر منها على الناس ما أشار بنشره فى سلسلة مقالات .

ولاشك عندى فى أن القراء سيعرفون لتلك الصحائف موقعها من دقة الملاحظة ولطف الأسلوب ، وسيقبلون عليها اقبالا يضمن لها الرواج الذى يشجعنى على الاسراع بطبعها ، تحقيقا لأمنية صاحبها المرحوم وتخليدا لاسمه الجدير بالخلود »

أما الناشر فهو الشيخ مصطفى عبدالرازق الذى نشر هذه المقالات تباعا فى الفترة من ٢ مايو الى ٦ أغسطس سنة ١٩١٤ فى صحيفة « الجريدة » (التى كان يرأس تحريرها لطفى السيد) ، ولا حرج على الناشر ، فما دوره إلا دور الوسيط الذى يفى بالأمانة . أما اللوم ، إذا كان هناك لوم ، فيقع على صاحب الصحائف ، وما أبعده عن لوم البشر

الشخصية الخيالية الأساسية فى هذه الصحائف هى شخصية الشيخ الفزارى ، أما جميع الشخصيات التى يوردها فى أوراقه فهى مأخوذة من الواقع أولها أصول فى الواقع ، والشيخ الفزارى أو الشيخ مصطفى عبدالرازق حريص على أن يذكرنا بذلك فى الهوامش ، ولا يحدثنا الشيخ الفزارى الذى توفاه الله فى باريس ، ودفن فى مقبرة « بيرلاشيز » عن رحلته الى فرنسا أو تجاربه فى الحى اللاتينى أو مونمارتر ، وانما عن حياته بين قومه فى الأزهر ودار العلوم ، وعن

صفحات من سفر الحياة

الشيوخ والمجاورين ، وعن انقسام « الطبقة العلمية » الى ازهريين ، وأفندية ، وعن صناعة البيان وأساليب العلم التى تجذب العقول ، وعن الفرق بين « الابتيار » و« الابتهار » ، وعن الأذكار وما تورثه من أسقام ، وعن الصيام وتجهم الوجوه فى رمضان ، وعن الزواج والطلاق ، والحرمان ، والحب عن طريق الوهم أو الشعر . وأيضا عن الريفيين والأفندية .

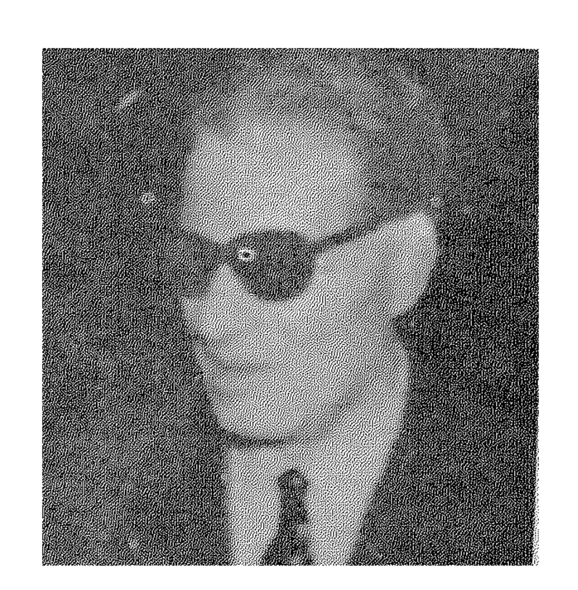
وقد نتساءل . لماذا إذن الإغراب ، ولماذا الرحلة والحيلة ، والتخفى خلف وظيفة الناشر الذى يخرج الى الناس أوراقا ليست من وضعه ؟

● التحرر من القيود

ولذلك أسباب ، لعل أهمها شخصية الأزهرى النمطية التى تخلقها البيئة الأزهرية بميزاتها الذهنى والنفسى الطويل ، والشيخ مصطفى عبدالرازق ـ كالكثير من أبناء جيله ـ ثائر على هذا الأزهرى الذى يراه من حوله ، والذى يقيده أيضا فى نفسه ، وهو تواق الى الحياة والجمال و« الدعابة » و« الضحك » ولكنه حتى خلال اقامته فى باريس ، يراوده احيانا الاحساس أنه « معمم » فى الداخل ، وأن شيئا يحول بينه وبين الحياة فى عفويتها وانطلاقها ، وحين يتخذ الشيخ عبدالرازق من الشيخ الفزارى قناعا له ، فهو يفعل ذلك كى يتحرر من هذه القيود والأثقال ، وكى يتحرر ايضا من « الحياة العابسة التى تذيب البشاشة ، وتصيب الأجسام والأرواح والأساليب بالهدم » كما يقول فى مقال له . ثم إنه من خلال الشيخ الفزارى يخلق المسافة التى تحرره من الحرج وتكسبه حرية القول والنقد ، والقص والتصوير ، وممارسة صناعة الأدب .

وبالاضافة الى ذلك فقد كتب الشيخ عبدالرازق هذه الصفحات من « سفر الحياة » فى فرنسا عام ١٩١٤ خلال فترة كان يستشفى فيها من مبادىء الاصابة بمرض الصدر أو من شبه الاصابة بهذا المرض . ومن البين أن هاجس المرض قد أوحى اليه بقصة الشيخ الفزارى الذى لقى حتفه فى فرنسا .

قضى الشيخ مصطفى عبدالرازق فترة الاستشفاء هذه بين ليون وجنيف ، وشغل نفسه خلالها بكتابة يومياته وتسجيل صحائف الشيخ الفزارى . ولم يمنعه من مواصلة هذه الصحائف غير اندلاع شرر الحرب العالمية واضطراره الى العودة الى ارض الوطن . ونراه يعتذر الى القراء بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩١٤ بأن عليه الآن أن يؤجل الى حين نشر هذه الصحائف ، وقد يكون الشيخ حسان فى قبره بباريس ـ كما يقول ـ غافلا عن هتاف تلك الجماهير التى « تدفعها الحمية الى ساعات الوغى بوجوه كالدنانير .. كأنهم لايخرجون من الدنيا إذا قتلوا » ... ولكن ناشر مذكرات الفزارى يعيش فى فرنسا فى هذه الساعات ، ويرى « أمة الجمال والسرور » فى صورة غريبة ، وهو يكره الحرب ، ويريد للبشر رقيا منتظما فى ظل



الدكتور طه حسين

السلام والحرية ... ، و« الفزارى الضاحك » لايتفق مع هذه الأيام العابسة .

● حقائق لم يلعب بها الهوى

وما يقدمه الشيخ عبدالرازق فى « مذكرات الفزارى » هو « جد فى ثوب هزل » ، وهو أشبه فى منحاه هذا بما فعله محمد المويلحى فى « حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمان » التى نشرها أولا ، فى صحيفته « مصباح الشرق » (١٨٩٨ ـ ١٩٠١) أراد المويلحى أن يصور ماحل بالمجتمع من خلط واختلال وبدع ومحدثات تحت تأثير الغرب ، فاختار أن يبعث من رقاده أحد الباشوات القدماء ليرى بعين الدهشة والاستنكار انقلاب الموازين وتغير الأحوال ... وقد وضع المويلحى رحلته التخيلية عبر المجتمع فى صورة المقامات .

أما الشيخ مصطفى عبدالرازق فهو ينظر بألم وحزن الى مجتمعه القديم العارى من أسباب الجمال والحياة النابضة والحب ، الذى يصيب النفس بالسأم (أو كما يقول على لسان الشيخ الفزارى · « إن فى أعماق نفسى قلقا ينزع بى الى أمان لاموضع لتحقيقها فى هذا الوسط ») .

ومع هذا الاختلاف فى الوجهة فكلاهما قد اختار أسلوب التصوير الهزلى الكاريكاتيرى ، وكلاهما يفكر الواقع لايفكر الفكر أو الوهم ، ويفكر بالصور ، وأحيانا ينتقل من التصوير الى التعليق . طوع المويلحى أسلوب المقامة القديم لأغراض العرض التصويرى الساخر ، ووظف السجع والمحسنات اللفظية والاقتباسات الشعرية لهذا الهدف . أما الشيخ عبدالرازق فيستخدم أسلوبا أدبيا مصقولا ، يمتاز بالدقة والوضوح لتصوير مظاهر حياة مغرقة فى القدم ، بعيدة عن الوعى بنفسها . ويسعى عن قصد إلى استنباط « الفكاهة » من المواقف والمعانى لامن اللعب بالألفاظ ويعبر على لسان الشيخ الفزارى فى احدى صحائفه عن خشيته من أن تكون بهجة مايكتبه لفظية أكثر منها معنوية ، ويقول إن من أمانيه العلمية « الآن بعد أن رقت مداركه أن يغير « ذوق قومه » من هذه الجهة » .

على أن « مذكرات الشيخ الفزارى » قد ظلت شذرة ، فهى تتكون من أربع عشرة مقالة ومقدمة وخاتمة ، وتستغرق نحو ٤٢ صفحة من القطع الكبير ، وتنقصها تلك الوحدة التى تنتظم فصول « حديث عيسى ابن هشام » لمسافات طويلة .

● من تلاميذ الإمام

الشيخ الفزارى كما نتعرف عليه من

صفحات من سفر الحياة

صحائفه من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، ومن المتشيعين لدعوته الى التجديد والاجتهاد ، وعنه أخذ الدعوة الى تعاطى الأدب وممارسة الكتابة واعمال الفكر والعقل .. قال لهم الأستاذ الامام .

« أقرأوا كتب الأدب ، واحفظوا من مختار الشعر وجيد النثر ، وحركوا افكاركم وخيالاتكم ، وهذبوا ألسنتكم وأقلامكم »

فأساليب العلم القديم تقتل ملكة الفكر والبيان ، وتلك العقول المحشوة « بشروح التلخيص وحواشيه وتقريراته » عاجزة عن التعبير ، وقضية العجز عن التعبير بين الأزهريين فى غير مادرجوا عليه قضية قديمة أبرزها الاحتكاك بالغرب ، وأبرزتها الحاجة الى نقل علوم الغرب ، وعبر عنها الكثيرون (رفاعة رافع الطهطاوى ، أحمد أمين) ..

ثم إن « الأدب » يقع فى الأزهر إذ ذاك منذ أزمنة موقع الريبة ، وتحيط به شبهة الكذب والشىء الذى لانفع فيه ، وقد كانت دعوة الشيخ محمد عبده الى الاشتغال بالأدب وسيلة من وسائل الثورة على جمود القديم .

الشيخ الفزارى ثائر على « دروس الأزهر » وأساليبه ، وهو يقضى يومه متنقلا من حلقة أستاذ الى حلقة أخرى ، وتارة ينفرد بالدرس وتارة اخرى يشارك غيره ، دون أن يجد معنى فيما يأتى ، بل ويلازمه شعور تقيل بأنه مضيع وغريب فى هذا « الوسط » ، فيتوجه الى الشيخ محمد عبده فى دار الافتاء شاكيا حاله ، بعد ان استقال الشيخ نفسه من الأزهر .

« فانى قد سئمت دروس الأزهر ، ولم أعد استطيع أن استمر على الاشتغال بتلك البحوث العقيمة ، اننى أشعر بأنها تجنى على عقلى وذوقى . قال . يابنى انا أعرف ذلك السأم الفعلى ، وهو يدلنى منك على ماتفرسته من فطرة صالحة ، استعد لدخول دار العلوم » .

● أحمد الله أولا وثانيا

وينقل لنا الشيخ الفزارى صورة من صور العلم وأساليبه ، ففى عصر يوم من الأيام تدفعه شهرة أستاذ له تاريخ وهيبة بين أهل الأزهر الى جامع الحسين يستمع اليه .

أقبل الشيخ فى قفطان أصفر زاه ، ويحيط « بصدره الضيق » نطاق من حرير أزرق « مطرز بأعلام مخضرة » ، وفوق ذلك جبة حمراء فى « لون الدم » ، ويتدثر بدفية من صوف برتقالى لامع » . نظرت إليه « فرأيت وجهه القليل المساحة يعوم فى لحية كثيفة محمرة الشعر الا مانصل عنه الخضاب من أطرافها وجذورها الشمطاء » .

جلس الشيخ فى كريسيه ولبس نظارته ثم أخرج ملزمة المنار (فى أصول فقه الحنفية) وقرأ عبارة المتن « احمد الله أولا وثانيا » .

« كانت الساعة ٩ عربى فما برح العالم النحرير يقتل هذه الجملة المسكينة بحثا وتحقيقا حتى أذن مؤذن المغرب .

ولما اضجرنا باطالته على غير طائل فى

تطريق الاحتمالات وتوجيه الاعتراضات ، قلت : ياسيدنا الشيخ : ألا يجوز أن يكون كل مراد المصنف هو التلويح الى البيت المشهور :

لله الحمد أما مانحب فلا نرى
ونبصر مالا نشتهى فلله الحمد

لوى الشيخ عنقه ، ووجم مفكرا ثم أجاب : هذا الاحتمال غير وجيه ، لأن الحمد فى المتن مطلق وهو فى الشعر مقيد ، ومضى فيما كان فيه .

ولم يكد يفرغ الشيخ من الدرس حتى تزاحم عليه الطلاب يقبلون يده ، ويعلق الشيخ الفزارى على ذلك فيقول :

« ويارحمتاه للمجاورين : لايفتأون يقبلون تلك الأيدى التى لاهى أيدى النساء الناعمة ، فنحى فيها نعمة الله على الناس بالجمال والحب ، ولاهى مرتجاة لخير فتكرم لخيرها ومعروفها ، وكم فى تلك العادة السيئة من مضار » .

● مشايخ وأفندية

ويسجل الشيخ الفزارى انقسام « الطبقة العلمية » الى طلاب المعاهد الدينية والمدارس النظامية ، أو الى أزهريين وأفندية ، ويصف الجفوة بل العداوة التى تحكم العلاقة بينهم ، فكل فئة ترمى الأخرى بالجهالة وتحقر من شأنها .

« فالمدرسيون » لايكتفون بالعلم الدنيوى وانما يريدون ايضا حمل لواء الدين « ليكونوا زعماء الدنيا والآخرة » ، ورجال المعاهد الدينية ينكرون العلم الحديث ، ويريدون « أن يكونوا هم العلماء من غير قيد ولا حد » ، وهكذا ساد التشويش ، الحركة الفكرية الناشئة .

ويرى الفزارى ان الخلاف بين الفئتين هو اختلاف فى الذهنية وفى التوجه وفى طريقة الادراك وأسلوب الحياة ، ويقول : « .... فالذى يسترعى نظرى بوجه خاص هو أمر الانقسام الاخلاقى الواضح فى فتياننا من أثر التربية المدرسية والتربية الأزهرية ... »

و« المدرسيون » ـ كما يرى بوضوح ـ يكونون فئة طبقية صاعدة ، وهى فئة فتية تطرق فى زهو وتعال . ميادين منهجية وعملية جديدة

بعيدة تماما عن آفاق رجال المعاهد الدينية الذين يهمشهم التطور اقتصاديا واجتماعيا وذهنيا ، فينكبون فى مواجهة « المدرسيين » على تلك المقولة التى تزيدهم ضعفا « علم لاينفع وجهل لايضر »

● علم آخر الزمان

فى أول جمعة من رمضان يعتلى الشيخ الفزارى المنبر فى بلدته تحت الحاح جماعة من الأصدقاء ليلقى خطبة الجمعة :

« تناولت تلك العصا المعوجة (السيف الخشبى) وتسلقت ذلك المركب العالى ، وكانت وطآت قدمى فوق سلالم المنبر تثير الغبار الراكد ، فأظل أعطس كلما نقلت قدمى من درجة الى درجة ، وكان التراب ينتثر يمنة ويسارا فيجهش بالعطاس من حولى . وإن معظم الناس فى الريف ، بل فى القاهرة نفسها ، بين سمع الأوقاف وبصرها ليعتقدون أن تراب المساجد مقدس لاينبغى أن يخرج منها ، فإذا خرج ، جعل يصيح حتى تحمله الملائكة الى موضعه ! »

صفحات من سفر الحياة

ويبدأ الشيخ الفزارى خطبة الجمعة ، فيحدث الناس فى أمر الزواج ، ليبين لهم أن تعدد الزوجات يقلع الحب من الأساس ، لأن الحب « موحد لايعرف الشرك » ، وإذا ذهب الحب فقل على السعادة ، بل على الدنيا العفاء ، وما أن يبلغ من الكلام هذا الحد حتى يصيح به الجمع :

« هذا هو علم آخر الزمان لم يبق الا أن نسمع من فوق منابر الوعظ الدينى الكلام عن النسوان والحب

ومأجرى من خطب الشيخ البولاقى والشيخ السقا التى تذكرنا بالموت وتحبب الينا الفقر ؟ » .

وينقسم الجمع الى خصوم وأنصار ، وينتهى الأمر الى التشاحن والقذف بالأحذية وغليظ القول .

ومن الجامع الى السوق يرى الشيخ الفزارى نفسه وسط حلبة نزاع حول « العرتمة » (وهى قطعة من لحم العجل لايعرف المراد بها) ، ولا يحسم هذا النزاع بين العمدة وبين أحد البكوات غير المأذون الذى يفوز « بالعرتمة » نظير فتواه .

ويهرع الشيخ الفزارى من هذه المشاحنات الرمضانية الى غرفتـه ، فيشعل دون وعى سيجارته ، وحين يكتشف ذلك يحدث نفسه ، فيقول · « لئن كان يرضى الله هذا الصيام الشعوب اللغـوب ، فلن يغضبه هـذا الفطـر السلمى ... »

● فى الكحكيين

ويبلغ فن التصوير الكاريكاتيرى ذروته فى كـوميديـا « شارع الكحكيين » ، ومحورها هو الشيخ محمد عيد الذى يقول عنه الناشر فى الهامش أنه كان عالما صـالحا ذكيـا ، وكان من أسـاتـذة « المرحوم » الفزارى فى علم النحو . وقد عرف الشيخ عيد بأنه مزواج مطلاق ، ونرى الشيخ وهو ينفى عن نفسه هذه الشبهة بحرارة واصرار ، وان كانت وجهته دكان المأذون الشـرعى ، كى يطلق امرأته ، التى تتبعه فى الطريق على بعد خطوات ، ذلك أنها على الرغم من مضى شهور ثلاثة على زواجه منها لم تحمل منه ، وفى منعطف شارع الكحكيين يلمح فتاة تروقه ، فيوسط الفزارى أن يسألها ، ان كانت تريده زوجا لها ، وما أن يتم المأذون كتابة ورقة الطلاق حتى يدعو الشيخ صاحبه الفزارى أن يرافقه الى اسرة هذه الفتاة ... ومصدر الطرافة لايكمن فى تلاحم المتناقضـات فى شخصية هذا الشيخ فحسب أو فى غفلته عما يأتيه ، وانما فى اسلوب العرض ، وفى المواقف التى نصادفـه فيها فالمتناقضات والغفلة لا تخلقان بالضرورة « الكوميديا » أو الفكاهة .

● قمة الحوار : « أوحشتنا ! »

حين يفترض شخص ما الاتفاق التام مع الغير ومع الكون ، أو امتلاك الحقيقة

قد تتحول اللغة الى مجرد اشارات او ترديدات . صوتية ، بلا مضمون او مضمونها السكون ، وهدفها الدفين هو اخضاع الغير ، ويتمثل ذلك بصورة فريدة فى المنظر التالى من « مذكرات الفزارى » ، فقمة الحوار فى هذا المنظر هو لفظ « أوحشتنا ! » ، على أن هذا اللفظ يتحول فى النهاية الى شىء رهيب ، وكأنه سوط مشرع ، ذلك أن أحد طرفى هذا « الحوار » ، وهو الشيخ الفزارى يرفض فى الباطن التوافق مع الفراغ الذى يعيش فيه الطرف الآخر :

« تقام فى بيت شيخ الرواق حفلة ذكر ليلة الجمعة من كل أسبوع يحضرها كثير من المجاورين وبعض العلماء ، ولم يكن من عاداتى أن أذهب الى تلك الليالى ، لأننى لست كثير التردد على الشيخ ولكننى أزوره حينا بعد حين ... أدخل عليه فى مجلسه العادى قبالة الباب ، وبيده سبحته لاتفارق يده . أصافحه وأجلس يمينه ... فيصيح : يا أبا سيف ، هات قهوة .

ثم تتحرك شفتاه ، وتدور السبحة فى يمينه ، حتى إذا انقضت دقائق التفت إلىّ غير باسم كدأبه ، وقال : أوحشتنا .

أقول : الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ .

وبعد ساعة ينظر الى جهتى مرة أخرى قائلا : أوحشتنا .

ـ الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ .

ويأتى أبوسيف بالقهوة فيقطع الشيخ تسبيحه لحظة ، ويقول لى : تفضل ، فأقول : الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ .

وبعد أن أشرب فنجان القهوة انتظر وقتا يكرر الشيخ تحيته :

أوحشتنا . وأكرر أنا : الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ .

ثم أستأذنه فى الانصراف ، فيمد الى الأستاذ يمينه وسبحته قائلا لآخر مرة : أوحشتنا . وأجيب مسرعا الى الباب الله يحفظكم ياسيدنا الشيخ » ...

● حاجات القلب

ويعيش الشيخ الفزارى أو الشيخ مصطفى عبدالرازق فى سعة . ولكن أين للقلب فى هذه البيئة أن يشبع حاجاته ، وأين مباهج الحياة ؟ وهذا مصدر من مصادر الشجن والألم .

ويجول الفزارى بين المزارع يحدث نفسه بالشعر والحب على طريقة العصر ، أو يعتصر الحب أو الوهم بالحب من الشعر والخيال ، ويحدث نفسه عن الحب الذى لايحيا إلا فى النفى والحرمان ، فينشد مع القائل

يموت الهوى منى إذا لقيتها
ويحيا اذا فارقتها فيعود

فالوهم بالحب يفوق الوصال ، ذلك أنه لاسبيل الى الوصال .

وقد حدثنا المنفلوطى فى « نظراته » و« عبراته » فى الربع الأول من هذا القرن طويلا عن ذلك اللون من الحب الذى يقوم على تحريك العواطف والأشجان فحسب .

صاغ الشيخ مصطفى عبدالرازق هذه الصفحات الأدبية عند مطلع القرن ، ومن يقرأ هذه « اللوحات القلمية » الفنية قد يحسب أنها قد كتبت هذه الأيام ، كما يقول أديبنا الناقد يحيى حقى .

وبالاضافة فهى وثيقة تاريخية تعبر عن مرحلة من مراحل الفكر والتنوير والبحث عن الحياة ، كما تعبر عن القدرة على الرؤية والتصريح والصدق مع النفس

الوشم
عالم من الأسرار والمعتقدات

● الوشم او الطوطم كما يسميه الاوربيون هو فن شعبى ، وراءه الكثير من الاسرار والمعتقدات .. انه ذلك العالم السحرى الممتلىء بالرموز الموشومة أو المرسومة على الاجسام بحرفية المتمرس وتلقائية الفنان الشعبى ، عالم من الانس والجن ، من الطيور والحيوانات والزواحف المختزنة فى أعماق الوجدان الشعبى لها دلالات رمزية راسخة .

تحقيق : نجوى صالح

وهذا الفن المثير لم يجد الا قلة من الباحثين اهتموا به وبينوا أصوله وجذوره ، وغالبا ما كان موضوعه يجىء فى سياق الكتب التى تبحث فى الفن الشعبى ، أو تلك التى تتناول حياة القبائل القديمة من الوثنيين . لكنه لم يكن أبدا موضوعا خاصا للبحث والكتابة ، ولكن باحثة مصرية هى الفنانة سوسن عامر عنيت به عناية خاصة ، بعد أن اكتشفت انه ذو صلة وثيقة بالتراث الشعبى العريق منذ عصور ضاربة فى التاريخ .

لقد قامت هذه الباحثة برحلات عديدة فى أرجاء مصر بحثت ونقبت

وناقشت « المعلمين » الذين يقومون بالوشم الذى يزين به الريفيون أيديهم وصدورهم وشفاههم ووجوههم ، وهو لم يكن فى يوم من الايام مجرد عبث لهؤلاء المعلمين ، وانما يعود الى التاريخ القديم ، عندما كان الناس يعيشون حياة بدائيه يقدسون فيها بعض الحيوانات ويخشون مظاهر الطبيعة كالمياه والرياح والطير والرعد .

اصل الطوطم

وتعود بنا الباحثه الى الاصول التاريخية لاصل الطوطم فنجد انها كلمه تدل على كل أصل حيوانى أو نباتى تتخذه عشيرة ما رمزا لها

خمسمائة طوطم كشف عنها العالم « هويت » عند العشائر الجنوبية من سكان استراليا يرجع أربعمائة وستون منها الى طواطم حيوانية ونباتيه وأربعون فقط الى طواطم غير حية من مظاهر الطبيعه كالشمس والقمر والنجوم والصيف والشتاء والبرد والريح والدخان ٠

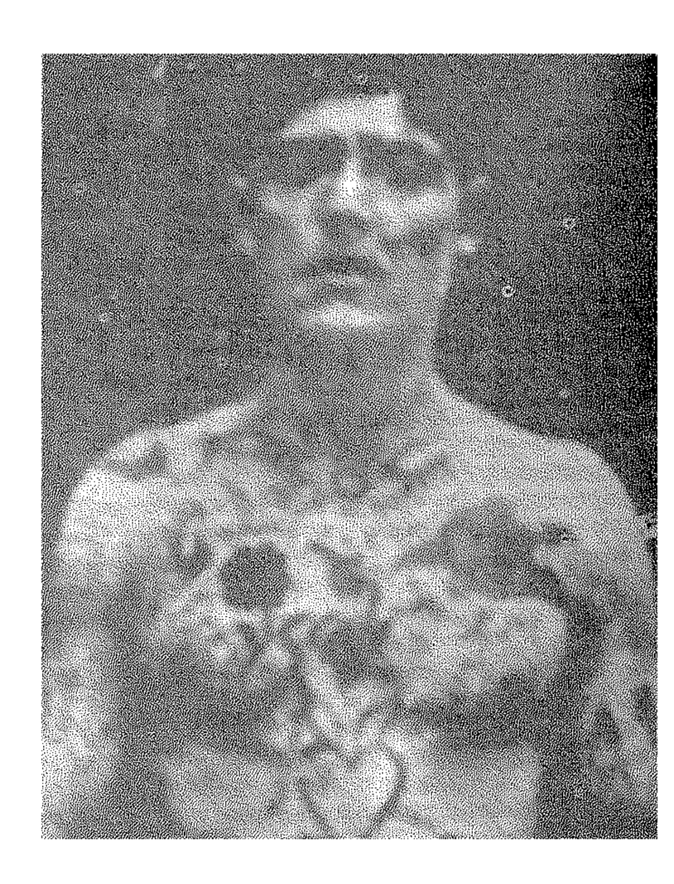
وبجانب الطوطم الخاص بالعشيرة هناك الطوطم العام الذى تجتمع حوله جميع العشائر او القبائل وتقدسه كما تقدس طوطمها الخاص ، بأن لا تأكله اذا كان مما يؤكل ، وتبجله أعظم التبجيل ٠

ويرمز للطوطم برسم على هيئته . فى القبائل المتقدمة فنيا كالهنود الحمر ، او يرمز له بجلد حيوان واقف في بعض القبائل الاسترالية التي ينقصها التعبير الفنى ٠

● الامتزاج

تضيف سوسن عامر أن هذه العقيدة قد تحولت الى ما يشبه الاساطير عند قبائل عديدة يرجع أهمها الى طائفتين الاولى أن بعض أفراد الطوطم الحيواني او النباتي قد تحولت الى اناس وأن من هؤلاء انحدرت العشيرة ، أما الثانية فتذهب الى عكس ذلك أى أن أفراد الطوطم هم الذين كانوا في الأصل اناسا ثم تحول بعضهم الى حيوان أو نبات ، وبقي بعضهم الاخر محتفظا بصورته الانسانية ، وأن من القسم الاول تتألف فصيلة الطوطم ، ومن القسم الثانى تنحدر العشيرة ٠

وتختلف هذه الاساطير فيما بينها فى تصوير هذا التحول وبيان تفاصيله ، فيذهب بعضها الى أن قوى خفية قاهرة أو كائنات غريبة قد مسخت بعض افراد الحيوان والنبات الى انسان ، أو العكس ، وتذهب هذه

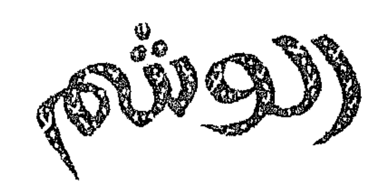


القلب ، الزهرة ، الاسد
رموز تختلط بالوشوم

وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية ، وتنزل الامور التي ترمز اليه منزلة التقديس ، فاذا كان الذئب مثلا طوطما لعشيرة ما ، فمعنى ذلك أن هذه العشيرة تتخذ هذا الحيوان رمزا لها يميزها عن غيرها من العشائر ، ولقبا يحمله جميع افرادها ، كما تعتقد بانها والذئب وحدة جماعية وأسرية ولذلك تنزله منزلة التقديس

وتتألف معظم الطواطم من فصائل حيوانية ونباتية كفصائل الذئب والثعلب والنمر والحمام والطاووس وكشجر البلوط والموز والمطاط ٠

وتضيف الباحثة انه من بين



الاساطير الى ان التحول قد حدث بصورة تلقائية على النحو الذى تتحول به دودة القز الى فراشة .

ونأخذ مثلا على ذلك ان فى احدى العشائر التي تتخذ السلحفاة طوطما لها تذهب الى ان بعض السلاحف قد اضطرت لمغادرة البحيرة وذهبت تبحث عن مأوى ، وكانت احداها مفرطة السمنة والضخامة فأجهدها السير الطويل وغلافها الثقيل فأخذت تزيحه عن جسمها حتى نمت قامتها واستقامت واستحالت الى انسان ومن هذا الانسان انحدر جميع أفراد العشيرة .

● الدماء والطوطم

وقد كان كل فرد من أفراد العشيرة يحمل شيئا من قدسية الطوطم الذى ينتمى اليه ، وهذه القدسية فى جميع أجزاء الجسم وعناصره ، ولكنها اكثر تمركزا فى دم الانسان وشعره .. لذلك كانت الدماء والشعر اكثر الاشياء استخداما فى الشعائر والطقوس . وعلى هذا الاساس فانه حيثما كانت تطبع صورة الطوطم على جسم الانسان المراد امتزاجه بطوطم كان لابد من خروج الدم لكى يمتزج به امتزاجا ماديا (وروحيا) . ومن هنا نشأت عادة « الوشم » .

وهناك رأى شائع خاطىء هو ان الشعوب البدائية لا يحكمها قانون أو نظام ، ويظن البعض ان نظمها وقوانينها ساذجة بسيطة تسيرها الغرائز ، ولكن النظام الطوطمى فى الحقيقة يضع لجميع فروع الحياة نظما وقواعد لا تقل فى دقتها وتعقيدها عن نظمنا الحاضرة .

ومن وجهة نظر باحثتنا فان للطوطم رواسب كثيرة فى العصر الحاضر ، ففى بعض العشائر التى تسير على هذا النظام يرمز الافراد لطواطمهم بأن يحمل كل منهم جلد الحيوان أو خصلة من ريش الطائر الذى اتخذه طوطما ، وفى بعضها يرسم كل فرد طوطما على أسلحته وأمتعته ، ويعد هذا بمثابة البطاقة الشخصية أو « الخاتم » الذى يميزه عن الآخرين .

● بدايات الوشم عند المصريين

وقد أشار احد الباحثين الى ان **الوشم كان ايضا عند قدماء المصريين ، وقد بين آثاره فى مومياوات راقصات فرعونيات ، ويرى أن الاجزاء التي بها وشم على اجسام المومياوات تطابق مكان وضع الحلى والاحجبة . مما حمل على الاعتقاد** بأن الحلى التى تضعها الراقصات الآن ترجع الى أزمنة سحيقة ، كان الرقص خلالها مرتبطا بالمعتقدات الدينية .. وكذلك يمكن القول أن الرموز التى قامت الراقصات بوشمها — فى الماضى القريب — على صدورهن ارتبطت بعقائد الدين ، ولا يزال لذلك بقية نراها عند بعض نساء الريف فى مصر العليا ، حيث لا يزال الوشم محتفظا بطابعه المصرى القديم الى حد كبير ..

وصورة هذا الوشم أن شفة الفتاة الموشومة السفلى كلها تكون باللون الاخضر ، اما الذقن فيرسم عليها حتى أسفلها ارتباطا بالشفة السفلى ، وكثيرا ، خاصة فى الصعيد ، ما « تدق » العلامة المميزة « نفر » وهى كلمة تعنى بالهيروغليفية « جميل » وهى الدقة المفضلة لدى الفتاة الصعيدية حتى الآن ومنذ الاف



الباحثة سوسن عامر



مارى جرجس .. فارس احبتـه المسيحية

السنين .. وطبعا فى الغـالب هى لا تعرف معناها .

وفى مصر العليـا ايضا مازالت « دقة » النخلة والسمكتين وهما من علامات الاخصـاب عند المصريين القدماء .

أما العصفور الاخضر الذى نراه كثيرا فى الوجهين القبلى والبحرى فى مصر على السواء ، فيرجع الى أسطورة ايزيس وأوزوريس ويعد فالا حسنا للنصر والخير .

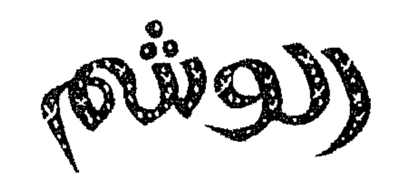
تقول الاسطورة أن ايزيس علمت بأن تأبوت زوجها أوزوريس قد جنح الى شاطىء مدينة بيبلوس ، ونبتت شجرة احتوت التابوت ، فجلسـت ايزيس تحتها تبكى بكـاء مرا حتى تحولت الى عصفورة اخـذ تحلـق هائمة حـول الشجرة حتى خـرج التابوت بعظام أوزوريس التى دفنت فى الدلتا .. الممتلئة بالخير والنماء بسبب هذا الرفات .

● وشم مارى جرجس

ومن ابرز علامات الوشـم التى ظهـرت وقت الاضطهاد الرومـانى للمسيحيين وشم القديس مارى جرجس .. والمعروف أن القـديس جرجس كان فارسا من فرسان الحبش جميلا وذا حظوة ومكانة ، ثم تفتح قلبـه للدين الجديد فاتجه بوجدانه كله ، وصـار واحدا من اشد الدعـاة للمسيحية متحديا جبروت الرومان حتى استشهد على أيديهم .. فتاثر الفنان الشـعبى ليعبر عن حبه له بايجاز بليغ . فرسم الوشـم على هيئة فارس نبيل يمتطى جواده ، أما قوى الشر فرسمها على هيئة ثعبـان ضخم .. ولأنه كان فارسا مؤمنـا بالهدف الأسمى فان ملامح وجهـه تظهر عليها علامات البطولة والجمال أما الخـوف فجاء على ملامح وجه الحصـان ، ذلك الحيـوان الذى لا يعرف هذا التسامى الروحى .. وحتى يومنا هذا يسـتخدم الاقباط المصريون هذا الوشم فى مصر العليا .

● وحدات زخرفية فى العصر الاسلامى

وفى العصر الاسلامى ، وكما هو معروف ، حلت الوحدات الزخـرفية محل التشخيص فى الفن الاسلامى ، واتجه الوشم ايضا هذه الوجهـة ،



فرسم الفنان الشعبى النجمة والقمر والهلال والزهرية .. حتى بدأ عصر أكثر جرأة على التشخيص . هو العصر الذى ظهرت فيه الملاحم الشعبية على ألسنة الرواة ، ويبدو أنه كان عصرا ينحو نحو البطولة الرومانسية ، فرسم الفنان الشعبى ابو زيد الهلالى ، وعنترة وعبلة والزير سالم وسيف بن ذى يزن فى الوشم الذى نجده حتى يومنا هذا .

وقد يكون عنترة بن شداد ذا دلالة تفوق تمثل الفنان الشعبى للبطولة والرجولة تلك المعانى نجدها فى رسمه للزير سالم والهلالى ، هذا المعنى يفرض علينا القول بأن الفنان الشعبى العربى لم يكن يعرف النظرة العنصرية ، فمعروف أن عنترة من أم كانت « عبدة » ومع ذلك فقد وضعه الفنان الشعبى فى قائمة ابطاله الذين يستمد منهم معانى البطولة .

● فى أوربـــا التمسك بالوشم

وقد لا يعرف الكثيرون أن شعوبا أوربية عديدة لا تزال تتمسك بعادة الوشم حتى الآن ، خاصة الوشم الزخرفى المرسوم على هيئة صلبان وخطوط مستقيمة ومثلثات وأشكال هندسية متنوعة كنقش ، خاصة على الجبهة والايدى والصدر والذقن .

ويشاهد فى فرنسا بصفة خاصة بين الرجال الذين يخدمون فى الفرق العسكرية العامله فى أفريقيا ، وبين محترفى الاجرام ، وهؤلاء يرسمون الوشم على هيئة أزهار ورءوس نساء وأشكال رمزية فاضحة أو عبارات غريبة مثل عبارة « سىء الحظ » أو « مولود تعس الطالع »

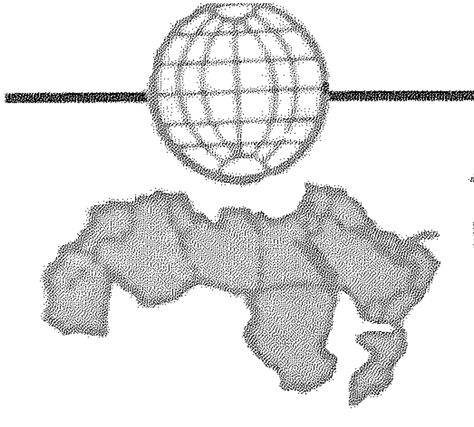
وحديثا نجد الكثير من الشباب الاوربى يرسمون بالوشم عبارات ذات دلالة مثل كان قانون التجنيد سببا فى بكاء والدتى ، أو « كل شىء يدعو للضحك » أو « افكر فى أمى لكن قلبى ملك زوجتى » وغيرها من العبارات الساخرة ذات الدلالة .

وقد يسأل البعض لماذا يقبل الناس على عادة الوشم ؟

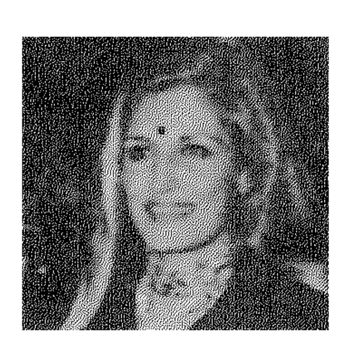
والباحثة تقول : لعل فيما راه عالم التحليل لنفسى سيجموند فرويد بعض الجواب ، فهو رأى أن هذه رموز لها علاقة وثيقة بالجنس ، وعلى سبيل المثال ذلك الوشم الذى ترمى فيه فتاة يحيط بها سمكتان وتعبان ، ان رجلا « يدق » على صدره مثل هذه الصورة لابد أنه يشير الى رغبه كامنه فيه لامتلاك فتاة مدينه كعروس مشتهاة ، ووضع السمكة الى جانبها يشير الى رغبته فى النسل والحياة الرغدة .

على أية حال فان عملية الوشم تتم باستخدام أبر ومشارط تغرس فى المكان المراد وشمه بالصورة المطلوبة حتى تدمى ويوضع عليها الحبر الصينى والهباب ، أو الفحم المسحوق بعد اذابته فى الماء ، كما يستخدم مسحوق القرميد الاحمر أو أحمر الشفاة أو السلقون حسب اللون ودرجته التى يريدها الموشوم .. وفى تطور أخير نجد الناس فى أوربا الآن يرسمون الوشم باستخدام ابر تعمل بالكهرباء .

أما الوشامون المصريون الذين نطلق عليهم « المعلمين » فلا يزالون يستخدمون الطريقة اليدوية بالابر والمواد الطبيعية كالهباب ومسحوق الفحم والقرميد . **ويتميز الوشم المصرى بدرجة الاخضرار التى تدل على خصوصية « الخلطة » التى يحسنها المعلم المصرى دون سواه .**



أقـوال معـاصـرة



● « الحياة لا تطاق »

داليدا

● « عالم بدون اسلحة نووية سيكون اقـل استقرارا واكثر خطرا بالنسبة لنا جميعا »

مارجريت تاتشر

● « كل ما اريده ، هو ان يحب الناس بعضهم البعض اكثر قليلا » .

فيروز

داليدا

● « خفة اليد السوفييتية قد تخدع العين الغربية

جيوفرى هاو

وزير خارجية بريطانيا

● « الحكومة الامريكية تسير مرتدية حذاء باليا»

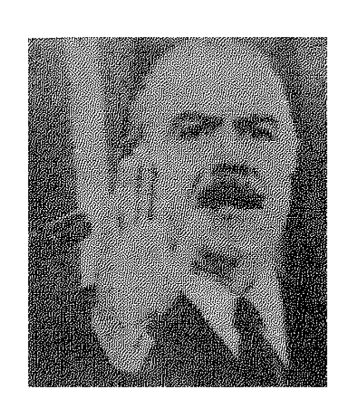
المعهد الدولى للدراسات السياسية والاستراتيجية

« فى لندن »

● « لن نسدد الدين بجوع الشعب »

الرئيس البرازيلى

خوسيه سارنى



خوسية سارنى .

● « ما من شيء يمكن ان تطـاله الدولة الا وللاحتفاظ به ثمن .

المفكر محمد عابد الجابرى

● « الانشقاق الفلسطينى الدائم هـو المطلب الرسمى العربى العام ، وهـو المطلب الامريكى ، وهو المطلب الاسرائيلى »

الشاعر محمود درويش

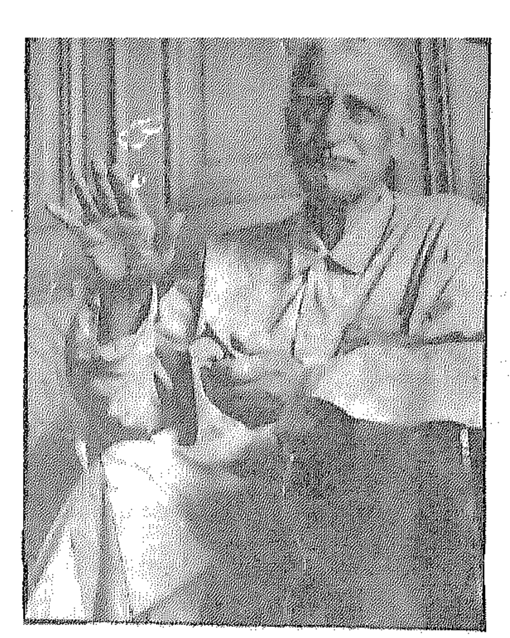
● « يبدو اننى سانتهى مثل هيمنجواى ـ »

بول نيومان

الحاصل على اوسكار احسن ممثل ١٩٨٧



بول نيومان



العقاد وقصة ابنته المنتحرة

بقلم: كمال النجمي

كانت «غراميات العقاد» مدار مقال لنا فى الهلال ـ شهر مارس الماضى ـ فأثارت تعليقات ونقدات شتى، تتابعت علينا، فصار لزاما أن نعود إلى هذه «الغراميات»، نجلو ماغمض من كلامنا حولها، ونرد شبهة من هنا أو هناك حول بواعث ماكتبناه عن هذا الجانب «الحساس» الذى استعظم أمْرَ الكلام فيه بعضُ محبى العقاد، كأنما كان العقاد راهبا فى دير، أو عاشقا من بنى عُذْرَةَ فى سالف الزمان ..

وليس أحد ممن أبدوا الغيرة على تاريخ العقاد أو اسمه الكبير، أغْيَر منا على تاريخه واسمه، فله علينا يد نحفظها، وهو عندنا واحد من أبلغ كتاب العربية من لَدُن بداية النثر الفنى فى عهد عبدالحميد أو ابن المقفع، أى خلال أكثر من ألف ومائتى سنة ..

ولم نكتب عن غراميات العقاد إلا بعد أن كتب عنها أَخْلَصُ أصدقائه، وأقرب ذوى قرابته، وحسبك منهم عامر العقاد ـ

ابن أخيه ـ الذى ألف كتابا عنوانه «غراميات العقاد» .. ومنه استعـرنا عنواننا ! .. وطاهر الجبلاوى ـ صديقه الصدوق وكاتم أسراره ـ وأنيس منصور أشهر تلاميذه وصاحب أعظم الكتابات عنه وأشدها صراحة واستفاضة ..

ولم نقصد بمقالنا السابق إلا إلقاء الضوء على جانب من حياة العقاد ، وقد جرت العادة على عدم إغفال مثل هذا الجانب عند الكتابة عن أمثاله من عظماء الأدباء والمفكرين .

والسادة الذين كتبوا إلينا مختلفو القرائح والفهوم والعلوم ، أخذوا من مقالنا على قدرْ اختلافهم فى هذه المواهب ، فاختلفت كلماتهم ونبراتهم ، ولكن أكثرهم يرى أننا أخطأنا على العقاد ، أو تَزَيَّدنا عليه ، أو جحدناه حقه ، فى النقاط التالية :

● علاقته بالأديبة الأنسة مى ، وقولنا إنها بادلته حب الأدب والفكر ولم تبادله حبا وراء ذلك ، وأنه لو كان طاردها بغرامه لقدمت فيه شكوى إلى النائب العام كما أوشكت أن تفعل ذلك بمجنون غرامها الأول الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ورحم العقاد ..

● قولنا إنه اكتوى بنار الحب والغيرة والشك ، وإن حبائبه كُنَّ خبيرات بهذا المضمار ، وكان ساذجا فيه ، يخلط بين حبيبات القصائد الشعريـة وحبيبات السويعات العابرة .

● حديثنا عن «ابنته» التى انتحرت يأسا عقب وفاته إذ أنكر عليها الآخرون حقها فى ميراثها منه ، وكان مسجلا فى وصية بخط يده أخفاها أولئك الآخرون ..

● ماوصفنا به العقاد بأنه كان «عزهاة» كأبى الطيب المتنبى ، وأنه كان له فى الحب «يد من حديد فى ذراع من جريد» .

● قولنا إن العقاد لم يكسب مالا من تأييده للوفد وسعد زغلول باشا ، وأنه لم يقتن عمارة ولابيتا ولاسيارة من تأييده لسعد والوفد ..

● استعظام بعضهم أن «نرمى» العقاد الكاتب الإسلامى العظيم «بتهمة» حب نساء لم يكن زوجات له .. من أمثال سارة وسمراء الفن والمرأة التى أنجبت له ابنته .. وأخريات ! ..

وعلى هذه النقاط نتكلم بوجازة ، لأن المقام لايتسع للإسهاب وإن كان الإسهاب ممكنا ..

ونتخذ من أقوال أصدقاء العقاد مصداقا لقولنا ، فلا نقول من عندنا شيئا إلا بسند من قولهم ..

فأما الأنسة مى ، فيقول من كتبوا إلينا إنها بادلته الحب ، أو بادأته بالحب ، أو أعلنت عليه الحب كما ظهر ذلك فى المسلسل التليفزيونى الساذج الذى صنعوه عن العقاد . ولكن الحقيقة غير



مى زيادة

العقاد
وقصة ابنته المنتحرة

ذلك ، وكنا نود لو أنها كانت كذلك ، إذن لصنعت للعقاد تاريخا فى الحب غير تاريخه الذى نعرفه ، ولصنعت للآنسة مى تاريخا فى الحب والحياة ، وقد أجمع معاصروها على أن العقاد كان فى آخر صفوف محبيها أو عاشقيها ، ولم يجعل منه ومنها حبيبين متفاهمين إلا صديقه طاهر الجبلاوى فى كتابه الذى عنوانه «فى صحبة العقاد» .. ولم يجد دليلا على ذلك إلا قصيدة كتبها العقاد تشوقا إلى مى حين سافرت إلى الفاتيكان ، للحج أو للسياحة

ولو أن كل من كتب شعرا أو نثرا عن مى كان فى الواقع - الذى صار الآن ماضيا - متفاهما معها على الحب ، لكان قد سبق الناس جميعا إلى حبها مصطفى صادق الرافعى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس بكتابته عنها شعرا ونثرا منذ عرفها إلى آخر حياته رحمه الله ! ..

وأقصى مابلغه العقاد فى حب مى ماأشار إليه الجبلاوى بقوله فى كتابه : «كان يداعبها فتقبل منه المداعبة البريئة ، فإذا تعدى هذه الحدود ، أشارت إليه ليقف عند حدوده» ! ..

أهذه حال امرأة محبة مع محبوبها ؟! .. لقد كانت الدعابة بين شاب وشابة أو رجل وامرأة فى الأوساط المختلطة ، تجرى مجرى الدعابة بين انسانين متساويين فى الحظ من حرية القول والعمل فى الحدود الاجتماعية المتعارف عليها . وأقصى مابلغه العقاد من حب مى هو هذه «الدعابة البريئة» التى كان يحاول أحيانا أن يتعدى بها الحدود فتصده باشارة حازمة من يدها أو إصبعها أو قسمات وجهها ! .. وما أبلغ هذه الاشارة ، كأنها تقول له الحب شىء آخر ، ولست أنت صاحبى فيه

أما كتابته إليها - على نحو ماذكر الجبلاوى - فلم يجلس فى ندوتها أديب إلا كتب إليها ، وكان بعضهم يعلن شوقه إليها علانية - وقد ذكرنا الرافعى - ونضيف إليه ولى الدين يكن - وقصائده فى ديوانه تفصح عن شأنه - ونضيف إليهما إسماعيل صبرى باشا الذى ذاع وشاع قوله الجميل عن ندوتها التى كان موعدها الأسبوعى يوم الثلاثاء

روحى على دُورِ بعض الحيِّ حائمةٌ
كظامئ الطير رَفَّافاً على الماء
إن لم أُمَتَّعْ بمَىٍّ ناظرى غدا
انكرت صُبَحَك يايوم الثلاثاء

لقد كانت مى أشبه ببعض جوارى العصر العباسى - والتشبيه مع الفارق اللاتى كن أديبات شاعرات مغنيات ، فكان الشعراء والأدباء ينظمون فيهن وينثرون ، وليس فيهم من يظفر بغير المجالسة والمشاهدة والمتعة بالنظر والحديث والغناء .. ولم يكن للعقاد فى مى نصيب أكبر من نصيب شاعره المفضل «ابن الرومى» الذى جلس مرة أو مرتين فى «صالون» الجارية المغنية «وحيد» فقال

فيها قصيدته الرائعة «ياخليلى يتمتنى وحيد» التى لم يقل مثلها شاعر حتى اليوم فى مغنية ولا أديبة ، ولو كان ابن الرومى قد بعث فى عشرينيات القرن العشرين وقال فى «مى» قصيدة كقصيدته ، الرائعة فى «وحيد» لما ظفر من مى بنصيب أوْفَى من نصيب العقاد الذى لم يقل فى «مى» إلا شعره العادى المعروف .

وقد بلغ من جنون حب الرافعى لمى أنه فكر فى الزواج منها ، كما يقول عنه تلميذه محمد سعيد العريان فى كتابه الرائع «حياة الرافعى» .. أما العقاد فكان الزواج عنده أبعد شىء عن حبيباته .. يقول الجبلاوى إنه «طبع على ألا يشاركه أحد فى حياته ، ولايطيق هذه المشاركة» .. فالحب عنده ، أحلام رومانسية ، كحبه لمى ، أو علاقة رجل بامرأة كسائر علاقاته بالنساء اللاتى تحدث عنهن من اطلعوا على حياته من قريب .

فأين تقع مى من العقاد ، وأين يقع العقاد من مى ؟! .. لشتان ماحالها وحاله ، ومأبعده عنها وأبعدها عنه ! ..

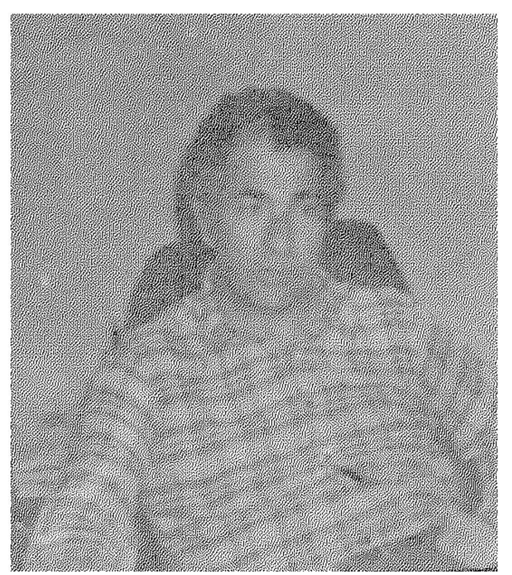
السمراء والصرصور

أما أنه اكتوى فى حب سارة الشقراء والأخرى السمراء بنار الشك والغيرة ، فيقول الجبلاوى إن العقاد بعد أن امتلأت حياته سرورا بحب سارة بدأ الشك فى سلوكها يساوره .. «رآها مصادفة فى عرض الطريق ، فلفت نظره تغير فى نظام ملبسها ، وتناثر فى خصلات شعرها ، وقد اشتم رائحة من الطيب لاتستخدمها لغير «غرض» فلم يستطع أن يعلل مارآه .. وسمع ابنتها الصغيرة التى كانت تلازمها تنبس بكلمات مريبة فدب دبيب الشك فى نفسه وانصرف إلى منزله مكتئبا حزينا فلم تطب له راحة ولم يهدأ له بال وجافى عينه الرقاد» .. «وعرض عليه صديق من خلصائه أن يقبل سارة كامرأة ويستمتع بما تهبه من متع الحياة ولهوها فأبت

اسماعيل صبرى



انيس منصور



العقاد وقصة ابنته المنتحرة

نفسه» ! .. فهو يريدها خالصة له دون سواه .

وكان بعد ذلك ماكان من مطاردته لها فى كل مكان ، وقد اشترك صديقه الجبلاوى فى هذه المطاردات حتى تبت للعقاد أن سارة ذات نشاط واسع ، وأن قلبها مفتوح للرجال ، فقهر نفسه على قطع علاقته بها وهو بها متيم جريح الفؤاد مغلوب على أمره ..

وخيل إليه بعد مدة أنه نسيها ، حتى سمع يوما أغنية على القونوغراف لمطرب لبنانى يقول فيها بلهجته العامية الشامية

نار الغرام لم تنطفى
ولا المحبة بتختفى

يقول الجبلاوى إن العقاد لم يكد يسمع مطلع هذه الأغنية حتى بكى وأغلق الفونوغراف ولم يفتحه إلا بعد سنوات

وكان العقاد يقول - وقد تهاجرا وتخاصما - إنها حبه الأخير الذى لاحب بعده ، ويتمثل بقول المتنبى .

وَلَسَوْزُلْتُمُ ثُمَّ لم أبككم
بكيت على حبى الزائل

ولعله كان يتمثل بقول المتنبى أيضا :

يُراد من القلب نسيانكم
وَيَأْبَى ٱلطِّبَاعُ على الناقل

أما الفتاة السمراء الجميلة التى عرفها وهى فى سن العشرين وهو فى الخمسين - سنة ١٩٣٩ - فقد أحبها حبا جارفا وظن لقلة خبرته أنها تخصه بحبها دون سواه ممن تعرف من الرجال وهم كثير حولها لأنها تشتغل بالفن ، فلما عرف أن الأمر لم يكن على ما صورته له أوهامه ، فارقها باكيا محطم القلب ، مقهورا بالوحدة والفراغ والهجر المؤلم الموحش بعد الوصال الممتع الصاخب ، فتكررت مع السمراء قصته مع سارة ، «وما أشبه الليلة بالبارحة» .. كما قال الشاعر الجاهلى طرفة بن العبد ..

وظن العقاد لسذاجته أنه انتقم لنفسه. منها عندما اقترح على رسام صديق له أن يرسمها فى صورة «فطيرة حلوة تورتة يتوسطها قدح من العسل الأبيض وقد تجمع حولها الذباب والصرصور ، فأصبحت تعافها النفس» ! .

كان يخدع قلبه ووجدانه بهذه الصورة التى تعافها النفس لمحبوبته السمراء التى كانت ترضى بالبقاء معه «لو أن صاحبها ممن يقبل المشاركة فى هواه» .. كما يقول الجبلاوى .. «وافترقا على رغم ، وكان العقاد يذكر لى وقع هذا الفراق الذى رضيه كارها ويقول لى . ماظنك برجل يحس يده وقد قطعت وفصلت عن جسمه وهو يراها بعينه بعيدة عنه ؟! .

ومع ذلك هجاها العقاد - على المكشوف بقوله متهما إياها بالتنقل حيث شاءت من الهوى ، حتى هانت - فى رأيه - على الرجال وعلى نفسها بعد أن هانت عليه .

خذى عشيقين مثلى

لابل خذى الناس طرا
يلقاك هذا بليل
وذاك يلقاك ظهرا
قد هنت والله هنت

يقول هذا ثم يلجأ إلى سماع الغناء من وقت إلى وقت ، يتداوى به من داء الغرام ، ويسمع أم كلثوم تغنى فى اسطوانة لها قديمة من شعر اسماعيل صبرى باشا وتلحين الدكتور صبرى النجريدى :

ياآسى الحىَّ هل فَتَّشْتَ فى كبدى
وهل تَبَيَّنْتَ داء فى زواياها ؟!
أَوَّاهْ من حُرق أَوْدَتْ بمعظمها
ولم تَزَلْ تتمشى فى بقاياها !!

هكذا اكتوى العقاد بنار الحب والغيرة والشك والخيبة والعجز ، والى هذا الحد كان مثاليا وطيبا وساذجا فى حب امرأتين خبيرتين بالرجال سارة والسمراء ! ..

قصة ابنته المنتحرة

أما حديثنا عن ابنته وكيف كان يغسل ملابسها بيديه وينشرها على حبل الغسيل فى شرفة البيت غير مبال بنظرات الجيران ، فقد أزعج المعجبين بالعقاد «الكاتب الاسلامى» .. وتساءلوا . أليس مافعله حراما ؟! .. وتساءلوا أيضا : أليس وضعا من اختلاق الوضّاعين والرواة ؟! .

ولكن صديقا قديما لنا هو الدكتور عصام الطاهر الطبيب ورجل الأعمال بالكويت بعث إلينا قصاصة كبيرة من إحدى الصحف الكويتية ومعها رسالة يقول فيها : «طالعت عدد مارس من الهلال وقرأت بشغف كبير مقالك الممتع عن غراميات العقاد ، والذى أضاف إلى معلوماتى الشيء الكثير ، ذلك أنى من المهتمين بالعقاد وقد كتبت عنه مرات فى صحف الكويت .. وقد وجدتك تطلب من أصدقاء العقاد أن يلقوا الأضواء على حياة العقاد الشخصية التى أتيح لهم أن يعرفوها ، وقدرت أنك لابد لم تطلع على مانشره الأستاذ خليفة التونسى ـ صديق العقاد ـ فى مارس سنة ١٩٨٦ بجريدة القبس على ثلاث حلقات ، فرأيت أن أحصل لك عليها وأرسلها إليك مع رسالتى هذه ..»

وصديقنا الدكتور عصام هو ابن شقيق المجاهد الفلسطينى الصحفى الكاتب المرحوم محمد على الطاهر .. تعلم الطب فى جامعة القاهرة وعرفته حين كان طالبا قبل ثلاثين عاما ، وغابت عنى أخباره طويلا بعد سفره ، وهو الآن رجل أعمال ترك الطب واشتغل بالأدب إلى جانب الأعمال ..

جاءتنى قصاصات الأستاذ التونسى فى وقتها لأننى كنت أبحث عن شاهد صدق على ماذكرته من قصة ابنة العقاد .. وننقل هنا ـ باختصار ـ شهادته .. قال «لم تكد تمضى ساعة على نعيه حتى رأينا البنت وأمها حضرتا وهما تلبسان الملابس السوداء ، والبنت تصرخ وتتلهف ، حتى دخلتا غرفة نومه ، فأغلقت وراءهما باب حجرته ولكنى عندما سمعت الفتاة تولول خانتنى دموعى ، إذ تصورت كأننى أنا الميت ، وكأن بنتى الكبرى قد أكبت على رأسى تقبله وتعاتبنى لأنى تركتها ، وذلك مارأيت الفتاة ـ يقصد بنت العقاد ـ عليه عند دخولها غرفة نوم الأستاذ ، فأدركتنى الرقة والضعف وسالت منى الدموع» .
«واستمر صراخ الفتاة بضع دقائق فلم

العقاد
وقصة ابنته المنتحرة

أجد بدا من الذهاب إليها وتعزيتها ، وكانت الفتاة مكبة على رأسه تحتضنه وتقبله وتعاتبه فى مرارة كيف تتركنى وحدى يابابا؟! كيف هان عليك أن تتركنى وكنت غالية عندك ؟ .. لن أعيش بعدك .. كما كانت السيدة ـ والدة الفتاة ـ منبطحة على الأرض تجول يمينا ويسارا على سجادة الغرفة كأنها أفعى ضربت على رأسها ! وقبل خروجها وقفت فى تحد وقالت للشاب عامر : ياعامر افتح هذا الدرج من هذا الدولاب .. ولما فتحناه لم نجد سوى بعض الملابس فقالت لى إن الاستاذ كتب وصيته قبل موته بمدة طويلة وكان يضعها فى هذا الدرج ، وأنه أوصى بإيراد سبعة عشر كتابا حددها بأسمائها لتكون لهذه البنت ! .. وخرجنا إلى غرفة الجلوس والفتاة تولول · آه يابابا لمن تتركنى يابابا ؟! لن أعيش بعدك» ! . ثم بدأت أفكر فى الخلاص من السيدة والفتاة قبل أن يطلع النهار ويأتى المعزون ، توقيا للفضيحة ، ولم أجد بداً من الاستعانة بأوثق أصدقاء العقاد محمد طاهر الجبلاوى . فحضر وعزاهما وحاول التسرية عنهما ثم طلب منهما العودة إلى بيتهما اتقاء للفضيحة»

وأول كلمة قالها التونسى للشيخ أحمد خادم العقاد عندما قضى العقاد نحبه : هل أعلمت الفتاة ـ يقصد بنت العقاد ـ الخبر ؟! .. قال خادم العقاد لا فسأله التونسى هلى تعرف رقم تليفونها ؟ . قال . نعم . فلما أمره التونسى باستدعائها عارض فى ذلك أقارب العقاد ، لكن الخادم نفذ أمر الأستاذ التونسى وجاءت البنت وأمها ..

هذه هى قصة بنت العقاد كما رواها شاهد صدق كان من أعز أصدقائه وهو يستشهد فيها بأقرب أصدقاء العقاد وكاتم سره الجبلاوى ، وبألصق الناس بالعقاد وهو خادمه «الشيخ أحمد» وواضح جدا أن جميع أقارب العقاد كانوا يعرفون الفتاة ووالدتها ..

وفى كتاب «صالون العقاد» قال أنيس منصور إن الفتاة ووالدتها ضربتا بالاحذية فى بيت العقاد بعد موته

وبهذه الكلمات التى نقلناها عن أقرب الناس من العقاد نختم الكلام عن ابنته ووالدتها .. والقصة أبلغ من كل كلام ، والبراهين عليها تكفى لاثبات مائة قضية شرعية لاثبات البنوة برغم كل «الدفوع الشكلية» على حد تعبير أهل القانون

من كان بلاخطة

بقيت النقاط الثلاث الأخيرة ، فقولنا إن العقاد كان «عزهاة» كالمتنبى لايعنى أنه كان ضعيفا فى خلوته بالنساء ، بل معناه أنه كان مشغولا عنهن أغلب وقته بطلب العلم والأدب .. ولاتوجد أية إشارة إلى ضعفه فيما قلناه من أن العقاد كانت له مع النساء «يد من حديد فى ذراع من جريد» فإن هذه عبارة شهيرة من عباراته

السياسية قالها فى المرحوم محمد محمود باشا حين صار رئيسا للوزراء قبل ستين عاما وأعلن أنه سيحكم البلد بيد من حديد ! .

أما البيت والسيارة ، فلم يقتن العقاد بيتا من تأييده للوفد ولا اقتنى سيارة ، وإنما اشترى السيارة بعد أن صار عضوا فى مجلس الشيوخ على عهد السعديين والأحرار الدستوريين ، وقد رأيته وهو يتجول بهذه السيارة فى شوارع القاهرة فى مطالع الأربعينيات ، وكان له سائق ، ثم ضاق ذرعا بالسيارة فنفض يديه منها وعاد الى التنقل بالمترو والتاكسى والترام ، وكانت المواصلات العامة أيامئذ فى غاية السهولة .. والمتعة ، والمدينة هادئة كأنها تحلم ! ..



ام كلثوم

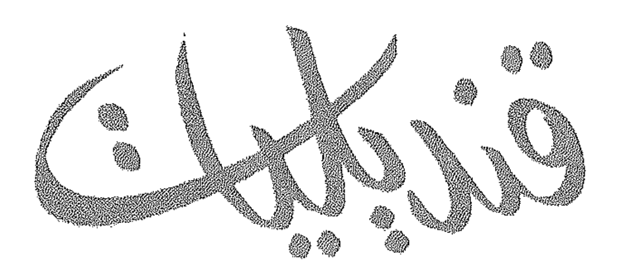
أما المستنكرون لحب العقاد نساء كثيرات وهو الكاتب الاسلامى العظيم ، فلا تعليق لنا على استنكارهم ، ونقول لهم : الله أعلم بالسرائر ، وليست حياة الرجال نمطا واحدا ، ولوكان العقاد قد عاش فى العهد الذى يباح فيه شراء مائة جارية من سوق الرقيق ، فماذا تراه كان يفعل ؟! ..

من الوجهة الدينية ، لاأدرى الحكم فى قضية العقاد مع حبائبه ومع المرأة التى ولدت له ابنته التى لاشك فى أنها ابنته !

وقد مات العقاد وماتت ابنته ومات الذين مزقوا وصيته ، ولم تبق لهم جميعا إلا رحمة الله التى وسعت كل شىء .

وقد أنجب العقاد ابنته سنة ١٩٤٤ أى بعد هجره حبيبته السمراء ، ولم يشتهر العقاد بالكتابة الاسلامية إلا منذ ذلك الحين تقريبا ، ولايعرف له أحد «غراميات» بعد ذلك التاريخ .. وكان بينه وبين والدة ابنته ـ فيما قيل ـ عقد غير رسمى ، هو بمنزلة العقد الرسمى فى نظر الدين ، وشهوده كثيرون .. وليت طاهر الجبلاوى كان حيا ليشهد على ذلك .

فالعقاد معذور من هذه الجهة ، ولكنه فر من ميدان أبوته وربط اسم ابنته باسم شخص من الأشخاص وجنى عليها ذلك فى حياتها ومماتها .. وليغفر الله للجميع .. ومن كان منكم بلا خطأ كبير أو صغير ، فليرم ذوى الأخطاء الكبيرة والصغيرة بما شاء من الأحجار الكبار والصغار وليعلن أنه مبرأ عصوم ! ..





بقلم : يحيى حقى

اقتراحات

« باجانيني » الايطالي العازف الشيطاني على الكمان ، أطبق فمه سنة ١٨٤٠ م ولكنه لايزال يقول لنا كلمة منذ وعيتها قبل زمن بعيد جعلتها حلقة فى أذنى :

– اذا تقاعست عن التدريب على العزف ثلاثة أيام متصلة أحس الجمهور انني لست كما كنت ، واذا تقاعست يومين لم ينتبه لتقصيرى الا النقاد المتمرسون ، واذا تقاعست يوما واحدا لا غير لا ينتبه الا شخص واحد هو انا .

العمل الفني الخارج فى عالم الظاهر للناس ما هو الا نسخة تحاول أن تكون طبق أصل تخلق فى عالم الباطن اما بغتة او بعد عناء ، كل عالم النفس او الافضل عالم الروح .

هل من همس الماضي او من همهمات تراث ممتد الى ماض سحيق حتى يبلغ الانسان البدائي .

وليس فى انتزاع نسخة تكرار بل هو صراع مع الزمن العابر لتخليد لحظة الابداع مع التيقن بأنها هى الاخرى عابرة ، فالفن شعور مأساوى ، فانت ترى أن لا ناقد للفنان الا نفسه ان كان اصيلا .

كان « هيمنجواى » لا يترك أحدا يطلع على مخطوطه أو يسأله رأيه فيه بل يسلمه كأنه من الاسرار او المهربات الى ناشر ، فاذا به فى فترة من حياته يجد نفسه يدور على بعض أصدقائه ومعه مخطوط له يسألهم الرأى فيه .

تزعزع ايمانه بصدق قوله وجدواه، ومبلغ انطباقه على الفن هذا هو

الانهيار المميت للفنان لا خلاص منه الا ان يطلق على نفسه النار •

ووصف لنا « توماس مان » فى قصة « الموت فى البندقية » مأساة كاتب مبدع بدا على غير عادته يراجع مخطوطه مرة بعد مرة ، الكلام جميل والنص مفهوم والاصول مرعية ولكن صوتا خفيا من ضميره يهمس له : ليس هنا هذا الاتقاد الباطني الذى جعل من اعمالك السابقة تحفة فنية ، فمضى كالجائع يبحث عن نبع جديد من الجمال فلم يجده الا فى فتى يافع خلب لبه •

انتحار خلقي اسوأ من انتحار « هيمنجواى » •

وليس الفنان فى نهاية الامر حرا فلا تكتمل حريته الا فى عالم التجريد والمطلق وهو عالم ممتنع عليه فهو مضطر الى اتخاذ اداة للتعبير عن نفسه من عالم الواقع عالمالتشخيص والابعاد فهو بشر يعيش فوق كوكب اسمه الأرض ، وهذه الاداة لها مع الاسف قوانينها الكاشفة عن طبيعتها فهو مضطر للخضوع لها حتى لايدرى هل هو الذى يملى عليها ام هى التى تملى عليه ، فحين يضع الرسام على لوحته الصغيرة الملتوية عجائن بين اسود واحمر واخضر تمثل له على الفور عالم الالوان ، كيف تكون اذا انفردت او اجتمع اثنان او اكثر ، فيظل همه بادىء ذى بدء ان يدرك سر التوافق والتنافر وتميز الدلالات ومظهر هذا التفاعل بين الالوان فى الكون كله ، فليست العلاقة بينهما توفيقية بل توقيفية كانها قوانين كونية ثابتة فهذا الرسام لابد يخضع أولا لاحكام الوانه قبل ان يحاول ان يخضعها لاحكام فنه •

واداة كاتب هى اللغة والحال بين الالفاظ هو الحال بين الالوان بالنسبة للرسام • الفاظ متحابة والفاظ متنافرة فلابد له ان يخضع لاحكام هذه اللغة وتبين كل لفظ على حدة لادراك دلالاته ، لا كل لفظ فحسب بل كل حرف فى اللفظ ، فكل حرف فى اللغة العربية له دلالته •

اذا لم تصدقني فدعنى استرجع لك مقالا كنت كتبته تعليقا على الطبعة الاولى للقاموس المحيط الذى اصدره مجمع اللغة العربية والذى ارتضى فيه بعض الالفاظ العامية الشائعة ويعرفها بعلامة « مج » اى من اقتراحات المجمع فوجدته ارتضى كلمتين «طرابيذة وتوربيد » ووضعهما فى باب التاء ثم وضعهما من باب التحرز ايضا فى باب الطاء لانهما تنطقان بها ايضا ، قال عنهما فى باب التاء « منضدة صغيرة وقذيفة تطلقها غواصة » ، اما فى باب الطاء فعرفهما بانهما « منضدة كبيرة وقذيفة ضخمة » فانت ترى ان حرف الطاء حين تنطق به يخيل اليك ان لسانك قد تورم وتضخم ولابد ان ينعكس هذا التضخم على المعنى ، ولست ازعم أن مقالي كان سبب عدول الطبعة الثانية عن هذا الوهم•



بقلم : مصطفى نبيل

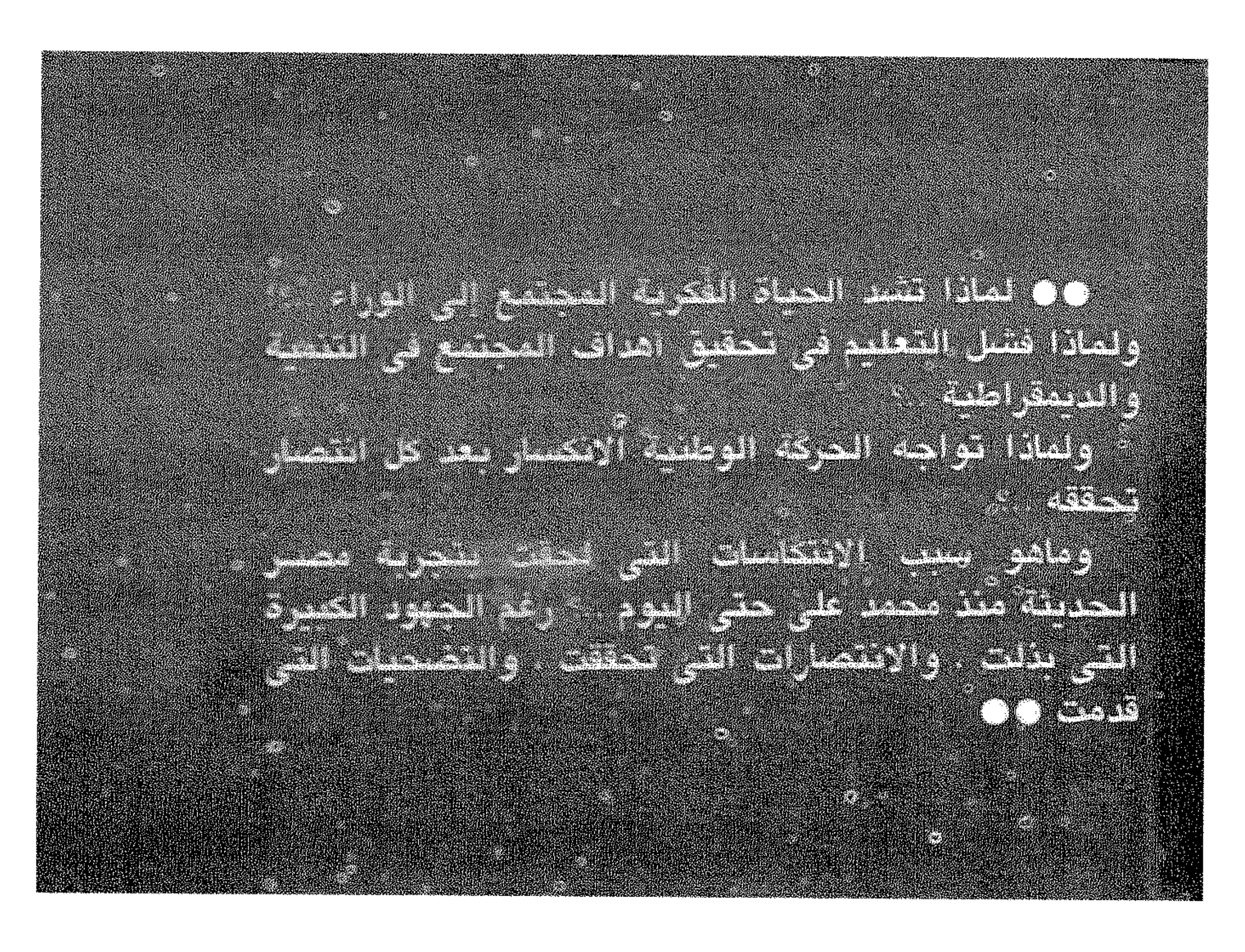
يعود هذا كله إلى تلك الفجوة الواسعة بين النخبة والجماهير - وهنا استبعد المطامع الدولية التى لعب موقع مصر وأهميته الاستراتيجية دوراً هاماً فيها . والذى يفسر عداوة الغرب لكل محاولات مصر فى التقدم - وهذا الاستبعاد ليس تقليلا من خطورة هذه المطامع .. بل للانتقال مما هو خارج السيطرة الى مايقع فى صميم مسئوليتنا وقدرتنا

لقد حان الوقت لكى نعمل على سد هذه الفجوة ، والخروج من هذا المأزق ، وتنصت الصفوة إلى صوت العامة ، وتضبط ايقاعها على إيقاع المجتمع ، وأن تتناغم كل الأصوات في معزوفة واحدة

فكثيراً مايدور الحوار حول قضايا حيوية تدخل فى هموم الصفوة ،

وتراها العامة ، مجرد ترف لايمس همومها ومعاناتها .. وهذا هو سر ما نلحظه من تعثر فى مسار تطورنا الحديث ، فالنهضة الحقيقية هى التى يشارك فيها الصفوة والعامة ، وتغير حياتهما معاً ، ولا يحقق التنمية والديمقراطية سوى حركة المجتمع ككل لا حركة صفوته وحدها

عندئذ يصبح ماتحقق غير قابل

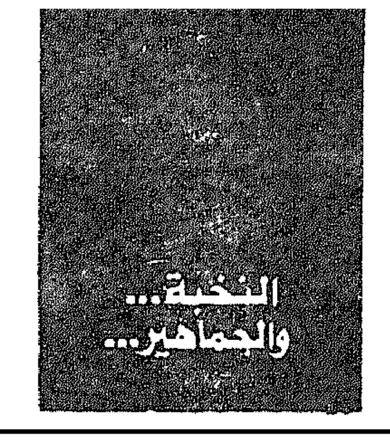


للارتداد أو الانتكاس .. بل قابل للتنامى ..

ولكن أين هى علامات ذلك الانقسام ، وما هى ملامح التباين الشاسع بين الصفوة والعامة التى تعرقل خطانا ..؟

إن أول مظاهره هو استمرار الأمية التى تمنع المشاركة الايجابية الواعية لكل المواطنين ، والفروق الواسعة التى تشمل الدخول والأذواق والمعارف والقيم ، وتصل الى نوعية التعليم ومستوى الاستهلاك ، وتشمل التفاوت فى الأزياء والخدمات ، والفجوة بين القرية والمدينة ، والفروق داخل المدينة ذاتها بين الأحياء الراقية وتلك الأحياء العشوائية أو الشعبية التى تحاصر المدينة وتكاد تخنقها ، **والفروق بين السلع الفاخرة المستوردة أو الاستفزازية فى مواجهة السلع المسماة بالشعبية ، والفروق بين نوادى الصفوة مقارنة بملاعب العامة فى الحوارى الموحلة والساحات المتربة !**

ويصدم الكثيرين مايصل الى أسماعهم من حديث فى الحارات ، الذى سرعان ما يتسلل الى وسائط الاتصال بما يتضمنه من كلمات سوقية واشارات مبتذلة .



واذا كان الخبراء يعتبرون أن أهم مؤشرات التقدم فى أى مجتمع هى مدى اقتراب الحد الأقصى للدخل من الحد الأدنى ، واذا كانت النسبة قد وصلت فى مصر فى الستينات إلى حوالى عشرين ضعفا ، فقد انفلتت هذه النسبة فى السبعينات ، ولم يعد من الممكن السيطرة عليها أو حتى حسابها ..

وتلمح آثار هذا الانقسام الاجتماعى فى الكثير من الأحاديث العابرة ، والتجارب الشخصية المباشرة ، والكلمات التى تتردد ولاتخفى دلالاتها مثل « أبناء الذوات » و« أولاد الناس » وكثيراً ماتلتقط أذنك تعبيراً مثل . « أنت عارف انت بتكلم مين ..؟»

واذا تصادف وتابعت كيف يعامل أصحاب النفوذ والثروة ، وكيف يعامل « العامة » ؟ فى اقسام الشرطة مثلا . أو اذا تابعت حواراً يدور بين رئيس مصلحة وموظف الأرشيف ، أو بين مفتش التموين وبائع متجول .. لأدركت عمق هذه الفجوة ..!

ولعل البعض يذكر عند بدء العام الدراسى فى المرحلة الأولى للتعليم ، السؤال التقليدى عن عمل ولى الأمر ، وبناء على الاجابة يتحدد وضع التلميذ على خريطة الاهتمام فى المدرسة ..!

ويعكس الاقبال الشديد على التعليم الجامعى رغم أهمية التعليم الفنى ، وزيادة فرص عمل متخرجيه ، يعكس رغبة ملحة فى الحراك الاجتماعى تدفع اليه تلك الهوة السحيقة بين الصفوة والعامة ..

وهذه التجارب والمشاهدات التى تمر بنا جميعاً ترسم ملامح حدود نظام اجتماعى صارم .

● أهمية النخبة ●

يتفق الجميع على ان المجتمع يتطلب نخبة تتولى قيادته ، وتتمتع هذه النخبة بدور متميز ، على أن تكون ذات اعداد خاص ، ويسلم لها المجتمع بأنها مؤهلة للتصدى لقيادته وتحقيق أهدافه على أن تكون أحقية هذه

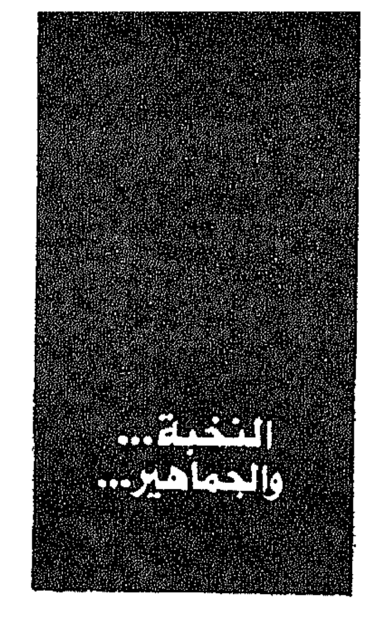
القيادة مستمدة من تميزها الفكرى وولائها العميق لمجموع المواطنين ، لا لثرواتها وأصولها ..

هذا مايحدث فى العالم المتقدم ، الذى لاتوجد فيه هذه الفجوات الواسعة والفروق الحادة بين الصفوة والعامة ، فى العالم الممتد من واشنطن حتى موسكو ، ورغم الاختلاف فى طبيعة النظم الاجتماعية يشترك الجميع فى أن المعرفة فى متناول كل الشعب ، ويذهب الجميع الى ذات المدارس ، ويرتادون ذات النوادى والمعارض والمسارح ، ويتذوقون ذات الفنون ، ويقرأون ذات الكتب وتتقارب أذواقهم وأزياؤهم .

يسعى كل واحد منهم لكى يطوف العالم ، بعد أن أصبح السفر متعة الملايين ، ولم يعد يقتصر على الرحالة وحدهم فالصفوة عندهم ترتاد أفخر الفنادق وأجمل الجبال والشواطىء والغابات ، ويقوم العامة برحلات جماعية ، تزداد معرفة الجميع بالعالم من حولهم .

وكثيراً مايجمع بين الصفوة والعامة هواية واحدة أو عمل مشترك .. وجاء هذا التطور خلال القرنين الماضيين بعد أن شهد العالم تغيرات متلاحقة ، وسقطت الكثير من النظريات التى تتوجه للصفوة وتتجاهل العامة ، وتكشف عن مدى مافى القيم القديمة من قصور ، مثل مازعمه الفيلسوف الاغريقى أرسطو عندما زعم « أن من الناس من يخلق ليأمر ، وأن منهم من يخلق ليطيع ..! » أو مابشر به أفلاطون فى جمهوريته .. التى يعمل فيها العبيد وتستمتع الصفوة بالحكم والفكر والفن .

وبدأت أفكار القرون الوسطى التى تقوم على التفرقة بين البشر على أساس الدين أو اللون أو الأصل تتلاشى ، وتتغير جذريا ، ولعب ظهور المطبعة وشيوع المعرفة دوراً رئيسيا فى هذا التطور ، وجاءت الثورة الصناعية وما أحدثته من قيام المدن الكبرى ، وتبعها التطور الواسع فى وسائط الاتصال الحديثة ، مما جعل للعامة وزنا كبيرا ، لم يكن لهم من قبل ولم يعد مقبولاً اطلاق لفظ « الدهماء » أو « الصعاليك » أو « الحرافيش » عليهم وتحول الفنانون من تزيين جدران القصور والكنائس الى نشر فنهم فى المدن ، وخرج الكتاب والشعراء من بلاط الأمراء الى عموم الفقراء بعد انتشار التعليم وأصبح المفكر والأديب والفنان ، لايخاطب



الصفوة وحدهم بل يتوجه الى جمهور واسع ينتظر حكمه ، وتشققت النخبة وأصبحت تقوم على أساس فكرى وثقافى لا على أساس وراثى ..

وفى العصر الذى نعيشه تفجرت ثورة المعلومات ووسائط الاتصال ، وأصبحت المعرفة فى متناول الجميع ، مما يفرض ضرورة الاستجابة لكل هذه المتغيرات وتحقيق التوازن داخل المجتمع .

● محاولات لم تكتمـــــل ●

فلماذا تستمر الهوة الواسعة لدينا رغم العديد من المحاولات التى لم يقدر لها أن تكتمل ..؟!

وتكاد تكون هذه القضية هى محور الصراع الذى حكم التاريخ المصـرى الحديث ، منذ محمد على حتى اليوم ..

وعكس التاريخ الحديث الرغبة العارمة فى التحرر والمساواة ، ووقر فى وجدان الحركة الوطنية أن من يسعى الى رفعة الوطن ، عليه أن يتوجه للجماهير لكى تشارك فى الانتاج وفى التقدم وفى البناء الذى لايمكن تحقيقه دون الاعتراف بحقوق الانسان وتفجير طاقاته ..

لذلك يلاحظ الامتزاج فى تاريخ الحـركة الـوطنية بين المطـالبـة بالاستقلال والمطالبة بالدستور وسُجل فى التاريخ الحديث قول الزعيم أحمد عرابى .. « لسنا عبيداً ، ولن نورث بعد اليوم ..» ردا على ما قاله الخديو تـوفيق .. « مـا أنتم الا عبيـد احساننا ! »

وفى هذه الفترة أصدر عبدالله النديم صحيفته التى كان يكتبها باللغة العربية واللهجة العامية على أمل أن يصل خطابه الى العامة ويحركهم ويؤدى الى زيادة وعيهم ، وكانت هذه الصحيفة بداية توجيه الخطاب الى الكافة .

وخطت مصـر خطوات هامة فى الخمسينات والستينات فى سد هذه

الفجوة بين الصفوة والعامة فالغيت الألقاب ، وسقط العديد من القيود التى تعوق الحراك الاجتماعى ، ولم يعد الجيش أو الشرطة أو القضاء مقصوراً على طبقات بعينها ، ورسخت فى المجتمع المجانية فى كل مراحل التعليم ، وشارك العمال فى مجالس الادارة ، وشارك العمال والفلاحون فى المجالس المحلية والنيابية .

وفى ذات الوقت يقوم النظام القانونى على أساس المساواة أمام القانون ويؤكد الدستور على الحقوق الانسانية السياسية ، ولايملك أى فرد حقوقاً خاصة ناتجة عن أصله أو مركزه ، ويقوم النظام السياسى على مبادىء الحرية وتكافؤ الفرص لابناء المجتمع الواحد ، ويأخذ بالتعددية الحزبية .. ..

● ازدواجية الثقافة ●

ورغم كل هذا .. مازلنا نعيش فى ظل ازدواجية اجتماعية وثقافية صارمة ، ولعل المسألة تتركز فى نظام القيم السائد ، وفى الازدواجية الثقافية داخله ، التى تحكم ضمائر الأفراد ووجدانهم ، بوعى أو بغير وعى ، أولئك الذين يعتبرون هذا الانقسام مثل الزلازل والبراكين وكالقدر يستحيل الفكاك منه

والنظام القانونى القائم يعيش فى ظل أوضاع اجتماعية تمده بالحياة فاذا كانت الحكومات المعاصرة قد أخذت بمبدأ الاعتراف بحقوق المواطن ، فإن هذه المبادىء بقيت شكلية وظلت الدساتير نصوصاً بعيدة عن الواقع ، ولم تول المجتمعات العربية اهتماماً بالوسائل والاساليب التى تعطى مضموناً لهذه المبادىء .

وبقيت هذه القيم لا يستطيع الكثيرون التحرر من آثارها فى عقولهم ووجداناتهم وتضيع الفكرة الرئيسية التى يقوم عليها أى تنظيم اجتماعى حديث والذى يتعامل مع المواطن بوصفه إنساناً قبل أية صفة أخرى تتصل بلونه أو دينه أو عائلته أو طبقته

ويُشقى هذا الانقسام المجتمع ، سواء الصفوة أو العامة ، ويفقد المجتمع حيويته .. فالصفوة المتعالية ، يعجزون عن تقديم ماهو مفيد ، عندما ينتظرون الجزاء على



كفاءتهم ، وتعيش الصفوة ممزقة بين مسئوليتها وانتظار ثمن كفاءتها ،

وتعجز عن جذب القاعدة الواسعة من العامة الى مستويات أرقى من الحياة والثقافة والاستنارة

والعادات والتقاليد المناسبة للعصر ، ويعيشون فى فزع من تطور العامة ومشاركتهم فى خيرات البلاد ، ويسعون لكى يظل الصراع السياسى يقتصر عليهم بعيداً عن العامة ، وكثيراً ماتؤدى هذه الازمة الى مايعرف بمشكلة هجرة العقول .. التى تمكن أفراد النخبة من الهروب على أمل تحقيق ذواتهم ، فى بلاد غير بلادهم ..

وحتى عندما ينتقل الواحد من صفوف العامة الى الصفوة ، فسرعان ما ينفصل عن بيئته الأصلية ، **فاذا كانت أصوله تمتد إلى احدى القرى ، فسرعان ما تنقطع صلته بقريته أو تكاد ، فمثلا .. كم طبيبا تمتد أصوله الى الريف .. صمم على أن يضع خبرته لخدمة أبناء قريته .. ؟**

● الهوة السحيقة ●

وعلى الجانب الآخر من النهر ، يفتقد العامة الشعور بالمساواة ، ويعيشون كأنهم على هامش المجتمع ، يصادر الصفوة حقهم فى الطموح ، ويعاملونهم على أنهم أدنى شأناً ، بالنظر الى ظروفهم أو فقرهم ، ويضعونهم أدنى درجات السلم الاجتماعى ، وبعد ذلك يتوقعون منهم القيام بدور فى بناء الديمقراطية والتنمية أو يقدمون عن طيب خاطر عرقهم لخير الوطن ، بعد أن مست هذه الهوة السحيقة جوهر انسانيتهم ، وصادرت حقهم فى الحياة الكريمة ، مما يعرض الوحدة العضوية للبناء الاجتماعى للخطر ..

ومن أخطر نتائج هذا الانقسام مانشهده اليوم من غياب الاتفاق العام ، الناتج عن التفاوت الثقافى ، وحدة الفروق الطبقية ، ومايؤدى

اليه ذلك من تفاوت النظرة الى الذات وإلى العالم .

ومنذ نصف قرن كتب الدكتور طه حسين ... « ان الواجب الوطنى هو أن نبذل مانملك وما لانملك من القوة والجهد ، ومن الوقت والمال لنشعر المصريين أفراداً وجماعات ، ان الله قد خلقهم للعزة لا للذلة ، وللقوة لا للضعف ، وللسيادة لا للاستكانة ، وللنباهة لا للخمول .. »!!

فاذا كانت القيم الأساسية فى مجتمعنا تستمد من الموروث القيمى ، فلقد ظهر الاسلام لكى يعلى فكرة العدل والمساواة بين بنى البشر ، وتوجه الدين الحنيف إلى الناس كافة ليرفع شأنهم ، ويرتفع بذوقهم بصرف النظر عن لونهم وأصلهم .

ولسنا فى هذا مثل الهند التى تعانى من نظام طبقى صارم ، يستمد أصوله من الموروث عندما ينظر الى المجتمع نظرته الى هرم يقف على قمته البراهمة ، وفى قاعدته المنبوذون الذين لايجوز الاختلاط بهم أو حتى ملامستهم .. ورغم ذلك نجحت الهند فى التخلص الى حد بعيد من هذا النظام الطبقى الصارم .

ويستمر هذا النظام فى مجتمعنا رغم مجافاته للموروث القيمى ، ولعل الاخفاق يعود الى أن « الانسان » لم يكن الأساس فى الأفكار التى سادت والتى ادعت اقترابها من العصر ، أو فيما حملته بعض الدعوات من عصور الانحطاط والتخلف ، وكأنه جزء من ذلك الموروث .

وتقع مسئولية سد هذه الهوة السحيقة التى تقسم المجتمع على عاتق كل المخلصين ، التى ينبغى أن تواجهها حركة اجتماعية وفكرية نشيطة ، تدرك تاريخ المجتمع والعوامل التى تحكم حركته ، وتعمل على صهر الوجدان الاجتماعى واعادة صياغته ليكون أكثر تعبيراً عن الحلم الانسانى فى العدل والحرية الذى يشترك فيه الجميع ..

ويبدأ العمل بإعادة النظر فى مضمون ما يقدمه التعليم والثقافة والإعلام ، ونعمل بما ذكره الفقيه ابن تيمية .. « ان الأمة الواحدة تصبح كذلك بالمشاركة بين أبنائها فى عمل واحد » ..

وبذلك يقف المجتمع كله على بداية طريق حل المعضلات التى تعرقل خطانا .

محنة الأدب والثقافة

• ارتفاع كلفة العمل الثقافى وعجز الأفراد عن القيام به
• لماذا! توقف أمين الرافعى عن إصدار صحيفة الأخبار .. ؟!

بقلم : فتحى رضوان

●● من متناقضات الحياة أن السلعة الثقافية أغلى ثمنا .. وأعظم كلفة من السلعة العادية التى تسد حاجات الانسان الغريزية من طعام أو ملبس أو مشرب أو مطية يركبها الانسان ليبلغ هدفا أو سلاحا يدفع به عن نفسه عادية الأخرين .

فالكتاب والمسرحية واللوحة زيتية كانت أو مائية كلها سلع ثقافية تكلف الكثير من الأموال وتستنفد الطويل من الأوقات ، والعظيم من جهة التحضير والاعداد والتنفيذ والاخراج ومن ثم حصل التناقض الذى قوامه أن الإنتاج الثقافى لايتأتى لعامة الأفراد ، وهم لايقوون على أداء تكاليفه فى صورته اللائقة به ، ومن يتصدى لادارة واستغلال مكتبة أو مطبعة أو مسرح لتعرض للأفلاس فى الأغلب الأعم ، فتقفل الصحيفة أبوابها بعد شهور قليلة من بدء نشاطها وتسدل الجريدة الستار على مسرح أعمالها ، وقد يحاول صاحب المكتبة أو الجريدة أو المسرح الاتصال بالجماهير وعرض إنتاجها فى مثل الصورة القديمة أو فى صورة جديدة معدلة ●●

وكم من جريدة ومسرح ودار نشر فى مصر ، لحق بها الكساد فتوارت عن الأنظار ، وعاش صاحبها بعد ذلك سنوات يحاول أن يسد ديونه ، ويتفق عن طريق (سنديك) عينته المحكمة او عن طريق التراضي والحل الودى .

يحدث هذا فى حين تقوم الى جانب الجرائد الكاسدة والمسارح التى بارت سوقها ودور النشر التى دهمها الافلاس مشروعات تجارية ناجحة اشد النجاح تدر على اصحابها الدخل الوفير والمال الكثير .

وقد يحدث استثناء فى الظاهر فيكسب صاحب الجريدة او المسرح او المطبعـة او المكتبة رزقا وفيرا والحقيقة ان هذه المنشات الثقافية قد وقعت الى مصادر رزق لاتمت الى العمل الثقافى بادنى صلة فاستطاعت ان تعيش وتواجه ظروف الزمان التى تثقل العامل فى الحقل الثقافى بالنفقات الباهظة .

ففى مصر ، ظهرت صحف كان اصحابها من غير المصريين ، إذ كانوا من اهل المشرق العربى ، وقد تبنت دول فى الغرب بعض هذه الصحف ، لتروج بين المصريين فكرة ، الذين اتخذوها سبيلا لنشر زعامتهم وبث مذاهبهم ، فنجحت هذه الدور نجاحا عظيما ، ودرت على المشرفين عليها ، والمتصلين بها وافر الرزق ، فاصبح هؤلاء من ذوى الثراء العريض ، وتصدروا المجتمع ، ووصلوا الى اعلى المراتب ولا احد ينكر ان هذه الصحف اسدت يدا جليلة الى الثقافة ، فخلقت هذه الصحف مجالات فكر ، ونقد



مصطفى صادق الرافعى عزيز عيد

ودعوة عادت على البلاد كلها بخير غير قليل ولما تطورت الأحوال تخلصت تلك الصحف من شوائب صلاتها بجهات النفوذ التى دفعت بمحررى هذه الصحف والمشرفين على إدارتها الى مجالات الراى ، وانتهى الامر ناسين هذه الصحف التى انصرف المصريون عنها ، وساء ظنهم بالقائمين على امرها ، وتحولت وربما على الرغم من اصحابها او برضائهم الى منابر راى وفكر .

ولسنا بصدد نقد هذه الظاهرة ظاهرة النشاط الثقافى الذى يقف خلفه اناس لاصلة لهم بالثقافة ـ انما نحن بصدد ارتفاع كلفة العمل الثقافى وعجز الفرد العادى عن النهوض به وتحمل اعبائه واذا تجلد صاحبه وباع ما يملك واقترض واشرك معه سواه فان هذا الجهد الدامى الجدير بالثناء والاشادة لايمكن ان يطول وقد يخرج الصحافى المجاهد من جهاده مصابا ، باكثر من علة تضعف جسده ، او تهرم قلبه ، او تطفى نور عينيه ، والذين شاهدوا امين الرافعى صاحب (الأخبار) بعد أن كانت رائجة يطبع عشرات الالوف فى

محنة الأدب والثقافة

اليوم الواحد كسدت تماما وقل قراؤها، وخفت صوتها ثم اختفت من الوجود ، وبعد قليل انحنى ظهر صاحبها وشابت رأسه ، واصبح يسير فى الطريق وحيدا وساقاه لاتقويان على حمله .

ذلك لان الاخبار كانت لسان حال الاغلبية ، فلما اختلف امين الرافعي مع هذه الاغلبية ، تخلت عنه واستمرت جريدته في الاضمحلال ، والرافعي يابى أن يغير موقفه او يخفف من غلوائه .

وقد نقول إن هذا امر طبيعي لان الصحيفة سياسية ، والسياسة امرها قلب ، ولها فى كل حال شان وهذا صحيح الا ان ماجرى على امين الرافعى صاحب الجريدة اليومية السياسية ، جرى على اصحاب مشروعات ثقافية ، فعزيز عيد الذى حاول ان ينشىء مسرحا يعرض فنا جادا انصرف الناس عنه ومعه زوجته الممثلة الشهيرة فاطمة رشدى التى اسماها المعجبون بها بـ « سارة برنارد الشرق » وحدث هذا ليوسف وهبى الذى عاش سنوات يدير مسرحا من اكثر مسارح القاهرة رواجا ، بفضل ما تمتع به من قدرة فائقة فى الدعاية ، واستثارة لاهتمام الجماهير ، بانتاجه واخباره الخاصة ، ولا انسى الأيام التى كنت ارى فيها يوسف وهبى الممثل الشهير ، بمكتب اخيه المحامي اسماعيل وهبى ، وهو لايخجل من ان يمد يده لياخذ سيجارة من صديق يعطف عليه ويود ان يواسيه .

ان هذه صورة من محنة الادب والثقافة في بلادنا اثرت ان يعرفها الناس من جهة ، وان يعرفوا الأهوال التى تعترض سبيل الذين يريدون ان يخدموا الثقافة .

وإذا كان أمراء الاقطاع والأثرياء الذين كانوا يبسطون الرعاية على الشعراء والفنانين وهواة الموسيقى ، ويقتنون ما ينتجه المصورون والرسامون من تحف وروائع - اذا كان هذا العصر انتهى واختفى معه هؤلاء الاغنياء الذين كان بعضهم أقرب مايكون من غنى الملوك وثرائهم ونفوذهم فلم يعد من يحل محلهم سوى الحكومة فالثقافة الأن - ولاسيما فى العالم الثالث - هى البديل عن الأمير الاقطاعى الذى تولى الانفاق على فرق الموسيقى التى أسمعت الشعب موسيقى موتسارت وبتهوفن وفاجنر ، والتى شغفت بفن الباليه وانفقت على فرقه ألوف الجنيهات ولابد من أن نضع خطة للنشاط الثقافى للدولة ، فإن حياتنا الثقافية هزيلة الى أبعد حد ، ولايزال الانتاج الثقافى إرتجالا من جهة ، وقاصراً الى أبعد الحدود من جهة أخرى وكلنا نعرف قداسة الانفاق الحربى ، والحرص على استمرار

● ماهو سر انصراف الناس عن مسرح عزيز عيد وفاطمة رشدى ؟!

وجوب توسيعه حتى فى السنوات العجاف ، فهذا إنفاق على مرفق تتعلق به حياتنا ، ويرتهن به وجودنا ولكنى أزعم ـ وهو زعم لن يلقى ما يستحق من الاحتفال والتصديق ـ أن الإنفاق الثقافى ، يجب أن يأتى بعد الانفاق الحربى مباشرة وهو أهم بكثير من الانفاق على التعليم ، ومن الناس من يخلط بين الثقافة والتعليم ويحسبهما أمرا واحدا والواقع أن الفرق بينهما شاسع ، وتأثير كل منهما يختلف عن تأثير الآخر ، بمقدار عظيم

فالتعليم يخلق العظم الذى ينشيء الوجود القومى ، ولكن الثقافة هى التى تكسو هذا العظم لحما ، والثقافة تسبق الحرب ، وتصاحبها وتبقى بعدها فالانتعاش الروحى ، والرغبة فى التغيير ، وكراهية القصور فى حياتنا والتخلف والتطلع الى مزيد من الحيوية ، والاتساق ، والحركة ، لاتتم الا بالثقافة ، فهى التى تحمى حياتنا من الرتابة والسوقية والجمود والفجاجة والغلظة والقبح . وإذا كنا نشكو هذه السمات فى حياتنا التى تؤدى الى التحلل والتخلف والأهمال الشديد وجهل الواجب والفتور فى أدائه ، فذلك لأن ثقافتنا مضمحلة وسطحية ولانعتنى بها عنايتنا بمرافق أقل منها شأنا .

والفرق ـ فى الواقع ـ بين أمة وأمة ، هو الفرق بين ثقافة وثقافة . وأى إصلاح نطمع فيه ونطمح له ، لايمكن أن يتحقق بكل ما نقترحه من وجوه التغيير والتقدم ، فسبيله الوحيد والفعال والناجح والسريع هو ثقافة واسعة النطاق وعميقة الأغوار ، يقوم على نشرها وتوصيلها الى جميع طبقات الشعب ، أناس يعتبرون العمل الثقافى لونا من الجهاد الروحى ، أو قل ضربا من الاستشهاد .

فإذا كنت تسير فى القاهرة وكأنك تسير فى مدينة ضربتها طائرات الأعداء بالقنابل فهى كأطلال مدينة سابقة عليها ، وأذا كنت ترى جهارا نهارا عمائرنا الأثرية اماكن لطهو الفول والخضراوات وتقديمها للناس واذا كانت المدينة العظيمة لا روح فيها ولا عمل ، واذا كنا الى الأن لم ننتج دائرة معارف عربية ، ولم نترجم أعمال الفكر والفن والأدب العظيمة والشامخة فى بلاد الآخرين ولغاتهم .

فلأن الثقافة نشاط حيوى مهمل ومتروك ولا يشغل بال أحد من الحكام وكذلك لا يشغل بال أحد من المحكومين واذا كانت فرنسا قد أقامت مناحة لقطع أربع شجرات قديمة توطئة لاقامة مبنى معرض الفنون الأربعة (كاترارتو) فيتبارى الشعراء والكتاب والمصورون وكبار المسئولين فى البكاء على هذه الأشجار .

وكنا قد قطعنا فى السنوات الأخيرة أشجارا جديرة بمثل هذا الأعزاز دون أن يحس أحد أو يتحرك أحد .

وإذا كانت الأحداث الكبرى تقع فى بلادنا ، فلا يبدو أن نبأها قد وصل الى سمع أو اتصل بنفس ،فذلك كله لاننا أمة بلا ثقافة ، ولابد إذن من دعوة مجلجلة ومعضلة لتصبح الثقافة ثقافة لا شيئا شبيها بحاجياتنا الدنيوية التافهة والصغيرة .

المتمرد على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

الديون وتحرير الإرادة!

لاشك أن قراء الهلال قد تابعوا ـ مثلما تابعت ـ دراسة الدكتور جلال أمين القيمة عن ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم . إن أظهر ما تمتاز به هذه الدراسة هو أنها تضع مشكلة الديون في إطارها العالمي ، أو بعبارة أخرى أنها توضح الدور الإيجابي الذي يقوم به الدائن في إغراء المدين بالاقتراض ، أو إجباره على ذلك ، بمختلف طرق الإجبار ، إن اقتضى الأمر .

وإذن فليست حصافة محمد على وحدها هي التي عملت على تنمية اقتصاد مصر بدون حاجة إلى الاقتراض في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن ، وليس ضعف سعيد ولا تهور إسماعيل هما السببين الوحيدين في كارثة الديون التي حلت بمصر في الستينيات والسبعينيات . فالتغيرات التي مر بها الاقتصاد الأوربي خلال تلك الفترة كانت عاملاً مهما في نشوء مشكلة الديون . كان تراكم رأس المال في الغرب ، وضيق مجالات الاستثمار في الأسواق الداخلية يدفعانه إلى البحث عن فرص للاستثمار في الخارج وكان اقراض بلد كمصر يمثل فرصة مزدوجة : فهناك أرباح الديون من جهة ، وهناك المشروعات التي تقام بهذه الديون ، ويسند إلى الشركات الأجنبية إنساؤها ثم إدارتها من جهة أخرى

والحق أن مشكلاتنا الاقتصادية والسياسية ، التي تبدو داخلية محضة ، لا يمكن أن تتضح لنا طبيعتها وأبعادها إلا من خلال رؤية عالمية . ولكن ...

هل هو نوع من الجبر التاريخي ؟

هل يعني وجود قوى عالمية عاتية تدفعنا في اتجاه معين ، أننا لا نملك إلا أن نسير في هذا الاتجاه ؟

إن دراسة الدكتور جلال أمين لا تؤدى بالضرورة إلى هذا الاستنتاج ، ولكننى أخشى أن يميل البعض منا إليه ، بحكم القانون النفسى المعروف "الخط الأقل مقاومة" ، أو اختيار أسهل الحلول . بل أخشى أن يكون من هذا البعض اقتصاديون ومفكرون وقادة . وقد قرأت منذ وقت غير بعيد مقالة عن ديون العالم الثالث ، تجادل بأن مسئولية الدول الدائنة عن هذه المشكلة لا تقل عن مسئولية الدول المدينة ، وأن العجز الاقتصادى الناشىء عنها لابد أن يضر بالدول الدائنة نفسها ، واذن فعلى هذه الدول أن تهتم بايجاد حل مناسب ، يسمح للدول المدينة أن تستمر فى القيام بدورها داخل النظام الاقتصادى العالمى

أى أن الدول الدائنة الغنية قد اشتركت فى خلق مشكلة الديون للدول المدينة الفقيرة . ولكن الدول الغنية هى القادرة على حل هذه المشكلة ، وحاجتها إلى بقاء الدول الفقيرة لا تقل عن رغبة الدول الفقيرة فى البقاء ، كما أن الرأسمالية لا يمكن أن تقوم بدون بروليتاريا

وظاهرة الوعى البروليتارى بين الدول المدينة ظاهرة طريفة تستحق التسجيل . فبينما نجد بعض الدول تتنمر وتشهر سلاح «الإضراب» عن دفع فوائد الديون ، نجد الأكثرية ، والأكثر فقرا ، تتودد وتصانع ، لأنها أصبحت معتمدة اعتمادا كليا على الممول الغنى .

أما نحن فى مصر فأخشى أن نغمة «مسئولية الدول الدائنة» تضرب على وتر حساس عندنا : وتر «القدرية» وانتظار الحلول التى تأتينا من حيث لا نحتسب .

وهو وتر لم ينفع فى علاجه قول علماء الدين إن اتخاذ الأسباب واجب على المؤمن ، ولا قول الماركسيين إن الوعى هو العامل الحاسم والمباشر فى حل الصراع الطبقى . وانى لأنظر حولى فأرى الجماعات الإسلامية تقول بكل بساطة : علينا أن نتبع «منهج الله» ، وسوف تزول المشاكل من تلقاء نفسها ، وأرى الماركسيين يتحدثون عن تناقضات الرأسمالية وحتمية الحل الاشتراكى ، فأقول إن مشكلتنا الأصلية التى لن يصلح لنا دين ولا دنيا إلا بالتغلب عليها هى مشكلة «تحرير الإرادة» .

ولكن من « نحن » ؟

بعض كتاب الصحافة القوميين يتكلمون بصيغة الجمع فتلاحظ على الفور أن « نحن » فى كلامهم تعنى المشرعين وواضعى السياسة . وقد لا يستغرب ذلك منهم . ولكن أساتذة الجامعات يكتبون بالطريقة نفسها ، بل إن هذه هى الطريقة المسلوكة فى كل كلام عن القضايا العامة ، مهما كان قائله . أهذا أيضا مظهر من مظاهر تكبيل الإرادة ؟ فالإرادة الحرة تتعامل مع الواقع وتغيره قليلا قليلا ، والإرادة المكبلة تحلم بتغيير شامل ،

ناسية أو متناسية ألوف العقبات التى تحول دون هذا التغيير . ولو فرض أن هذا الذى يبتكر الحلول من موقع السلطة ، وهو بعيد عنها ، وجد نفسه فعلا فى موقع السلطة ، لظهر عجزه عن اتخاذ أى خطوة عملية فإما قرارات غير قابلة للتنفيذ ، وإما بقاء الأمور على ماهى عليه ، وترك المشاكل تحل نفسها بنفسها ، بالأسلوب

القدرى المعهود . لا جرم أننا إذا أردنا تغييرا حقيقيا فيجب أن نتسلح بفهم جيد لآليات التغيير فى الفرد والمجتمع ، ودراسة هذه الآليات هى مهمة علماء النفس وعلماء الاجتماع عندنا ، ولكنها مهمة لا ينهضون بها ـ مع الأسف ـ كما يجب ، لأنهم هم أيضا محتاجون إلى شىء من تحرير الإرادة .

وفى حدود علمنا المحدود ، وقدراتنا الضئيلة ، نتحدث «نحن» عن المشكلات ونقترح الحلول . وما «نحن» إلا عامة الشعب ، الذين لا يملك الواحد منا إلا صلاحيات محدودة داخل دائرة محدودة ، ولكننا بتصرفنا داخل هذه الدائرة المحدودة نجعل بعض القرارات السياسية العليا ممكنة أو غير ممكنة .

الذى أخشاه ، حين أتخذ هذا الموقف ، أن يبدو كلامى شبيها بالوعظ ، وخصوصا حين أتكلم ـ كما أنوى أن أفعل ـ عن عاداتنا الاستهلاكية . و«الوعظ» فى نظر الكثيرين كلمة قبيحة ، لأنها تعنى أن يقول القائل كلاما لا يعمل به ، ولا ينتظر من السامعين أن يعملوا به أيضا ، كما كان الخليفة أو الأمير يستدعى الفقيه إلى مجلسه ويقول له : «عظنى» ، فيلقى الفقيه على مسامعه بعض الأحاديث الشريفة والوصايا والحكم ، وربما كان بليغا فابتكر كلاما من عنده فى ذم الدنيا ولذاتها الزائلة ، وربما أمعن فى ذلك حتى يجعل خليفة مثل هارون الرشيد يزرف بعض الدموع ، ثم يخرج الفقيه راضيا عن نفسه ، وينام الخليفة أو الأمير نوما عميقا ، ويستيقظ كل منهما ليستقبل ما تعود أن يستقبله من شئون يومه .

ولكننى لا أحسبنا قادرين على المضى فى عاداتنا الاستهلاكية التى دأبنا عليها منذ بضع عشرة سنة ، أى فى سنى الرخاء البترولى الطارىء . وليس من الصعب أن نتذكر ماضينا القريب ، عندما كان المصرى العادى يكره التبذير ويرى فيه نوعا من التخنث ، بقدر ما كان يبسط يده عندما تدعوه الشهامة والرجولة إلى ذلك وما أعجب الإنسان ! أنت تعلم ياصديقى أن هذه الأشياء الصغيرة التى أدخلناها فى حياتنا ، بمحض إرادتنا وبدون حاجة حقيقية إليها ، قد خلقت هى نفسها الحاجة إليها ، واستعبدتنا . تماما مثل التدخين . والذى تعود التدخين فترة ما ثم أقلع عنه يعرف قيمة الشعور بحرية الإرادة ، التى تجعل لذة التدخين تبدو له سخيفة وعبث أطفال .

أنا لا أقول إن تغيير عاداتنا الاستهلاكية ـ بمحض ارادتنا وقبل أن يفرض علينا حرمان أشد ـ يحل مشكلة الديون . هذه سذاجة . ولكننى أقول إنه يوقظ الإرادة الشعبية لحل المشكلة . ولابد عندئذ أن تؤثر الإرادة الشعبية فى اتجاه الحكومة ، ولابد أن تتجاوز الإرادة الشعبية هذا الموقف السلبى ـ رفض البضائع الأجنبية غير الضرورية ـ لتتخذ

مواقف أكثر إيجابية تؤدى إلى مضاعفة الانتاج .

هل نشعر ـ نحن المصريين ـ شعورا كافيا بأن مشكلة الديون هى مشكلة وطنية ؟ أخشى أن الحادث فعلا هو أننا نكبت هذا الشعور ولا نسمح له بأن يؤثر فى سلوكنا ، ولكى لا نظلم أنفسنا يجب أن نعترف بأن سنين طويلة من القرارات الفردية التى تؤخذ بدون موافقتنا ـ وأحيانا بدون علمنا ولكننا نضطر بوسائل البطش والارهاب إلى قبولها وتحمل نتائجها ـ قد علمتنا أن نقف من مشكلاتنا الوطنية موقف المتفرجين . وأنا لا أدافع عن هذا الموقف ولا أقول إنه يعفينا من المسئولية ، ولكننى أصف حالة . وأعتقد أننى لا أتجاوز الواقع حين أقول إن معظمنا يتابعون أخبار الديون العامة ومفاوضات الحكومة مع صندوق النقد الدولى من موقف المتفرج . وعندما نفكر فى المشكلة ـ كأفراد ـ بطريقة جدية فإن سؤالا واحدا هو الذى يعنينا : هل يبقى الدعم أو يلغى ؟

وقصة «التبرع لسداد ديون مصر» قصة جديرة بالاعتبار . فالفكرة ـ رغم سذاجتها ـ تدل على بدء الشعور بأن مشكلة الديون مشكلة وطنية لا تعنى حكومة تبقى فى الحكم سنوات تطول أو تقصر ثم تذهب ، ولكنها تعنى الشعب الذى لا يزول ولا يحل محله شعب غيره . ولكن الطريقة التى قدمت بها الفكرة أوحت بأنها حيلة من جانب الحكومة للتخلص من أهم مشكلاتها بطرحها على كاهل الشعب دون تمييز بين غنى وفقير ، وعامة الشعب يعلمون كما تعلم الحكومة أن الثروات الضخمة التى توجد فى البلد الآن ـ والتى يمكنها بالفعل أن تتحمل عن الحكومة المنهكة جانبا ، على الأقل ، من عبء الدين العام ـ إنما توجد بأيدى أناس جمعوها بأشد الطرق أنانية وأبعدها عن الشعور بالمسئولية الاجتماعية .

لهذا كانت الحصيلة كسرا ضئيلا من الفائدة السنوية التى تدفع لـ «خدمة» الدين ، وبقى كل من الشعب والحكومة حيث هو . هذا يتفرج ، وهذه تسعى للبحث عن حلول مؤقتة لأنها لا تملك غير ذلك ستحل ، مشكلة الديون ! فليس ثمة مشكلة يمكن أن تبقى بدون حل .

ولكن السؤال هو : هل تحل بصندوق دين جديد ، أو تحل بإرادة الشعب ؟

الحل الأول معناه أن نبقى فى دائرة التبعية وإن تغير نوعها . والحل الثانى معناه أن ننجح فى اختراق الشبكة التى يحكم ربطها حولنا .

وقد يبدو أن الحل الذى نقترحه لا يقل خيالية عن فكرة «التبرع لسداد ديون مصر» . فتغيير العادات الاستهلاكية عملية بطيئة وضعيفة الأثر . ولكننى أقول لك إن هذا ليس حلا ولكنه بداية الحل ، الذى يكمن فى تحقيق الاستقلال الحقيقى وبناء العزة الوطنية ، وهو حل يتجاوز مشكلة الديون بحيث يمحوها محوا .

وأقول لك ثانيا إن هذه البداية المتواضعة ـ كهذه الغاية المرموقة ـ أمر يملكه الشعب ولا تملكه الحكومة ، بل إن الحكومة لا يمكنها أن تتناوله إلا بحذر ، فهى تستطيع أن تشجع ولكنها لا تستطيع

أن تمنع ، لأن الدول الصناعية الكبرى تتمسك بحرية التجارة ، وكثيرا ما تلجأ إلى تهديد الدول الصغرى إذا حاولت أن تضع قيودا شديدة على وارداتها

ثم إنى أضرب لك مثلا !
هب أن أمامك شجرة عاتية وخبيثة كشجرة الزقوم ، وتريد أن تسقطها ، فهل تمسك بفأس وتضرب فى جذعها المتين ، حتى ترتمى على الأرض إعياء ويأسا ؟
أم الأولى أن تحفر حول أصلها لتمنع عنها الماء والغذاء ، حتى تسقط من عليائها ؟
كل شىء يبدأ من الجذور .
وأمامنا مثل اليابان

وما أكثر ما نتمثل باليابان ولا نفعل فعل اليابان !

ما سر الأزمة بين الحكومتين الأمريكية واليابانية ؟

معلوم أن هناك فائضا ضخما فى الميزان التجارى بين أمريكا واليابان ، لصالح اليابان بالطبع . (يبلغ هذا الفائض ثلاثة أضعاف فائض الدول الخليجية البترولية مجتمعة !) ولا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تمنع استيراد السلع اليابانية لأن هذه الخطوة تنافى مبدأ حرية التجارة الذى تدعو إليه أمريكا

إذن فلا حل إلا أن تستورد اليابان من أمريكا بقدر ما تصدر إليها أو أكثر ، حتى يستنفد ذلك الفائض .

ومثل هذه المشكلة قائمة أيضا - وإن بطريقة أقل درامية - بين اليابان ودول السوق الأوربية .

وأعتقد أن «الحكومة» اليابانية ما كانت لتمانع فى حل المسألة بالكيفية التى ترضى الصديق الذى ما من صداقته بد . ولكنها لا تستطيع

فكما أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تمنع شعبها من شراء البضائع اليابانية ، فحكومة اليابان لا تستطيع أن تجبر شعبها على شراء البضائع الأمريكية !

كل من زار اليابان أو عرف شيئا عن طبائع الشعب اليابانى يحدثك بأن هذا الشعب يكره استعمال البضائع الأجنبية . عادة متأصلة فيه ، تغذيها العزة الوطنية ويدعمها الذكاء والمهارة والنشاط . شعب لا يستريح حتى يعلم ما لم يكن يعلم ، ولا يكتفى بالعلم حتى يحول علمه إلى الإبداع فيزيد على ما أقتبسه من غيره ، ولا يكتفى بالعلم والإبداع حتى ينشر ما أبدعه فى مشارق العالم ومغاربه ، حاملا شارة «صنع فى اليابان» .

مشكلة الديون مشكلة هينة إذا صدق عزم الشعب والحكومة مجتمعين على حلها . وشاعرنا القديم يقول :
ولا يحسبون الخير لا شر بعده
ولا يحسبون الشر ضربة لازب

السّادات في بركة الفيل

بقلم : محمد سيد كيلاني

على مساحة متسعة من الارض المطلة على بركة الفيل اقيم قصر ضخم فخم حوى من انواع الترف والوان النعيم شيئا كثيرا ومن الخدم والحشم والجوارى والعبيد عددا كبيرا ، ومن الجياد العربية الاصيلة ذات السروج المزركشة بالفضة والذهب ما يخلب الالباب ويأخذ بمجامع القلوب ، ومن الازهار والرياحين ماتطيب به النفس حينما يصل اليها عبيره ، ويرتاح الخاطر عندما يسرى اليه نسيمه ، هذا الى جانب مكتبة حوت عددا كبيرا من كتب الادب والتاريخ وعلوم الدين .

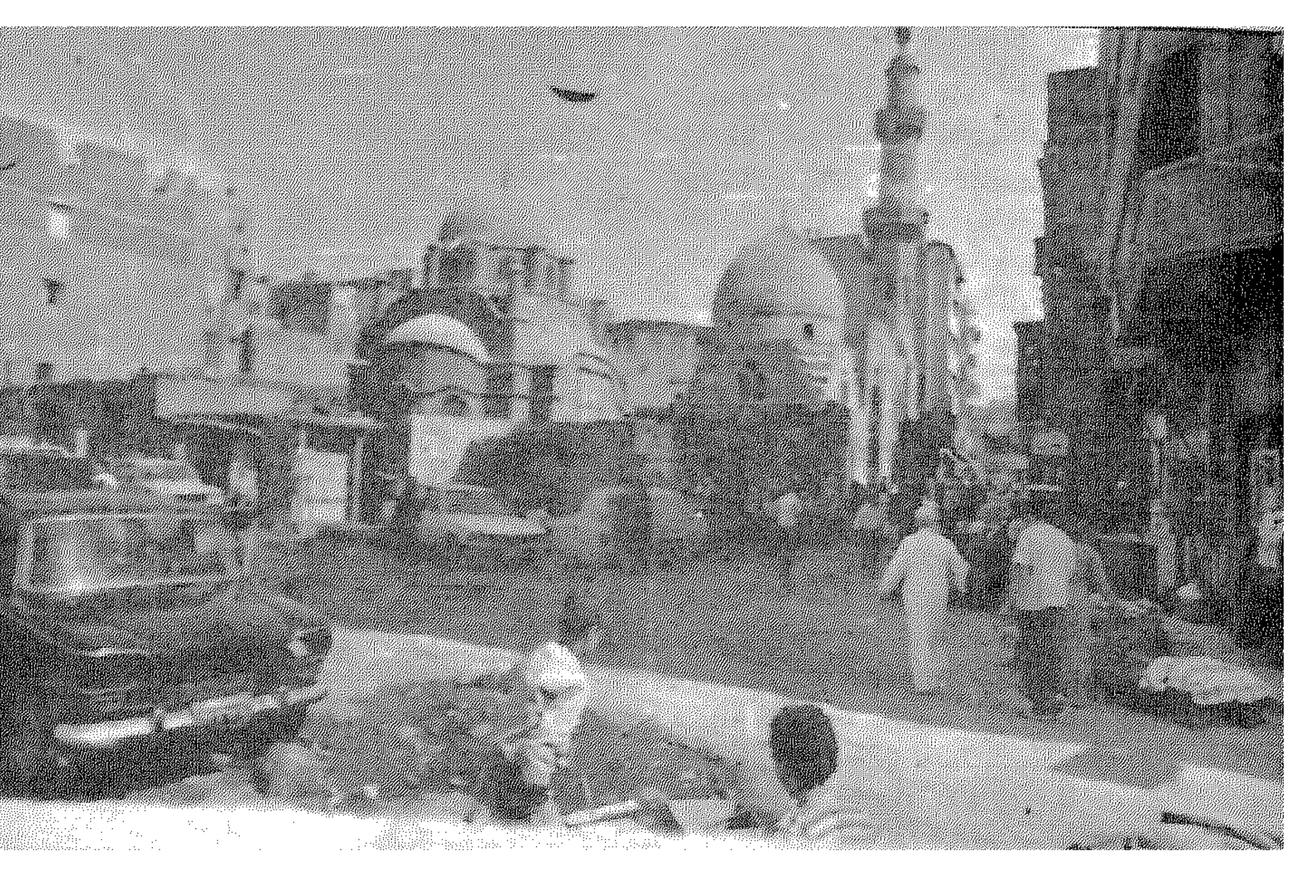
في هذا القصر كان يعيش الشيخ محمد ابو الانوار شيخ السادات كأنه ملك مستقل ، لا سلطان لاحد عليه ، بل كان الوالى العثمانى يهابه ويلتمس رضاه . وكانت الدولة العثمانية قد منحته اقطاعا واسعا فى ناحية زفتى وفى جهات اخرى واعفته من دفع كافة انواع الضرائب فكانت الاموال تتدفق عليه من كل جهة . واتفق ان احد كبار الموظفين توقف معه فى امر فاستدعاه الى قصره ولعنه واهانه وكشف رأسه وضربه بزخمة من الجلد ، ولم يراع مقام سيده الذى هو أمير البلد .

وحدث ان جماعة من الناس التقوا فى منزل احدهم ، واخذوا يسخرون من بعض الكبراء ، ويقلدونهم فى حركاتهم وطريقة كلامهم ، ومن ضمن من سخروا بهم شيخ السادات . فلما بلغه ذلك استدعاهم واحدا بعد واحد واهانهم وضربهم ضربا موجعا . قال الجبرتى « فكان من حين الى حين يقع فى بيته الضرب والاهانة لافراد من الناس ، وكذلك فلاحو الحصص التى حازها والتزم بها ، فانه زاد فى خراجهم ، وفرض عليهم زيادات كان يحبسهم عليها شهورا ويضربهم بالكرابيج وبالجملة فقد

بركة الفيل كما صورها
الفنان الفرنسى مع مطلع
القرن التاســـع عشر



بيوت أثرية فى بركـــة
الفيل تحاصرها العمارة
الحديثة



الوجه المعاصر من بركة الفيل.بعدان أصابه الكثير من الترهل

قلب الموضوع وغير الرسم المطبوع ، بعد ان كان منزلهم محل سلوك ورشاد ، وولاية واعتقاد صار كبيت حاكم الشرطة يخافه من غلط أدنى غلطة ويتحاماه الناس من جميع الاجناس » ـ

واتخذ لنفسه قاعة على مثال قاعات العرش فى القصور الملكية واطلق عليها « أم الافراح » قال الجبرتى انها مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشانى الصينى بجميع حيطانها والرخام الملون وأنشأ بجوار بيته مسجدا ليصلى فيه ، وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره ، وتعاظمه على السعى الكثير والاختلاط بالعامة وانشأ بستانا كبيرا وغرس به الاشجار والرياحين والثمار . وأفنى غالب عمره فى تحصيل الدنيا وتنظيم المعاش والرفاهية واقتناء كل مرغوب للنفس وشراء الجوارى والمماليك والعبيد والحبوش والمخصيان والتانق فى المآكل والمشارب والملابس واستخراج الادهان والعطريات والمركبات المفرجة والمنعشة للقوة » .

● المهدى المنتظر

وقد شاعت فكرة فى هذا العصر

السادات في بركة الفيل

ان هذا الشيخ الذى يحيط به الترف من كل ناحية هو المهدى المنتظـر الذى سوف يملأ الدنيا عدلا ورحمة بعد ان ملئت جورا وقسوة • قال أحد الشعراء

اذا لم يك المهدى هذا تيقنـوا
ببطلان ما قد يزعمون فلا مهدى

فان لم يكن أبو الانوار هـو المهدى الذى ينتظره الناس • فـلا مهدى اذن على الاطلاق

وقال أخر من قصيدة داعيـا الشيخ لينهض ويطهر المجتمـع من كل ما يخـالف الشرع الشريف ومحرضا له على الثورة فى وجـه الدولة العثمانية ؟

فقم يا أبا الانوار لله حسبـة
فانك فى كل الامـور المظفـر
وكن واثقا بالله معتصـما به
على ثقـة بالفـوز والله ينصـر
فانك داعى الحق ، والحق دافع
لباطلهم وهو الزهوق المتبـر
وانك مهـدى الزمان فلا تـدع
بمصرك شيئا ماله الشرع ينكر

وصوره فى صورة ملك تدين لـه الملوك •

ملك تدين له الملوك وسـيد
ورث العلا عن سادة أطهـار

وقال اخر :

لولا انحصار الملك فيـكم لم تـكن
فى بابـكم كل الملوك عبيدا

واسندوا اليه علم الغيب • قـال احدهم

له قلم بعلم الغيب يجـرى
وبالارزاق والقدر المتـاح

وزيارة شيخ السادات فريضـة كالحج ، بل اكثر • قال احـدهم

والحج مفروض علينـا مـرة
ولبيتهم عـدد من الـسكرات

وكانوا يذكرون اسمه كما يذكرون اسم النبى محمد عليه السلام • مثال ذلك :

سـريرته كسـيرته واسـنى
فياحسناه اذ يعنى ويقصـد
فذاك السـيد السند المفـدى
أبو الانـوار سـيدنا محمد

الشيخ السادات بريشة
رسامى الحملةالفرنسية



واتخذ له وزيرا اسمه الشيخ ابراهيم السندوبى . وبذلك جمع فى قصره كل شارات الملك وقصد سفر الشعراء والكتاب ومنهم مرتضى الزبيدى ذو الكلمة المسموعة اذ ذاك لتمهيد الاذهان للانفصال عن الدولة العثمانية وقيام حكومة شيعية فى مصر او خلافة على رأسها خليفة قرشى . وربما كان حرصه على جمع الاموال والاكثار من العبيد والمماليك يخفى وراءه غرضا بعيدا ، وهو الرغبة فى الاستيلاء على مقاليد الحكم . وعلى ضوء هذا نستطيع ان نفهم قول الجبرتى ... « وصار - يعنى شيخ السادات - يلبس قاووقا بعمامة خضراء تشبها باكابر الامراء ، وبعدا عن التشبه بالمعممين والفقهاء والمقرئين » وقد كانت احوال الدولة العثمانية فى ذلك الوقت مضطربة كل الاضطراب، والثورات تعصف بها ، والحركة الوهابية على اشدها ، اضف الى ما تقدم ان نفوذها فى مصر كان قد تلاشى تماما فى تلك الفترة ، وكان امراء المماليك يهابونه ويخضعون لاوامره خضوعا تاما ، ولكن قدوم الحملة الفرنسية وما تلاها من الحوادث التى انتهت بتولى محمد على حكم مصر قد قطع عليه آحلامه، وسد كل طريق امامه .

***

وكانت لشيخ السادات مواقف مشرفة فى مواجهة الفرنسيين . فحين اعتقل بونابرته ابن القاضى التركى وحبسه فى القلعة ، تشفع المشايخ عنده ليطلق سراحه . وكان الشيخ حاضرا فضم صوته الى صوت العلماء واضاف قائلا « انكم تقولون دائما ان الفرنساوية احباب العثمانية ، وهذا ابن القاضى من طرف العثمانى ، فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم وخصوصا عند العامة ، فغضب بونابرته من كلام السادات واستدعاه الى مجلسه وعاتبه ولامه وحجزه مدة من الليل ، وأخيرا اطلق سراحه- وأمره بالانصراف الى منزله .

ولما نشبت الثورات ضد الفرنسيين وقف الشيخ ابو الانوار الى جانب الثوار ولكن الفرنسيين نجحوا فى اخماد تلك الثورات ، وقبضوا على الشيخ واجروا عليه انواع التعذيب والاهانة وصادروا املاكه والزموه بدفع غرامة كبيرة وقد ظل محبوسا فى القلعة الى ان قتل كليبر وخلفه مينو فأفرج عنه بعد ان دفع الغرامة المفروضة والزموه بأن يظل فى بيته ولا يخرج منه الا باذن منهم .

ولما جلا الفرنسيون عن مصر عوضته الدولة العثمانية عن خسائره الكثيرة التى اصابته من المحتلين . فاستعاد بعض ثروته ولكنه ماليث ان توفى اوائل حكم محمد على ، فاستولى هذا على كل ما تركه الشيخ من اموال وأطيان

وبعد موته تفرق عنه عبيده ومماليكه وخدمه . وقد حمل بعض هؤلاء العبيد لقب « الساداتى » ومازال بعض احفادهم يعيشون بيننا الى الان . وقد ورثوا عن سيدهم الكبير حبه لجمع المال والاكثار منه . وحبه لحياة الترف والنعيم . وميله الى التأنق فى المأكل والمشرب والملبس .

أتاتورك وطربوش السفير المصرى

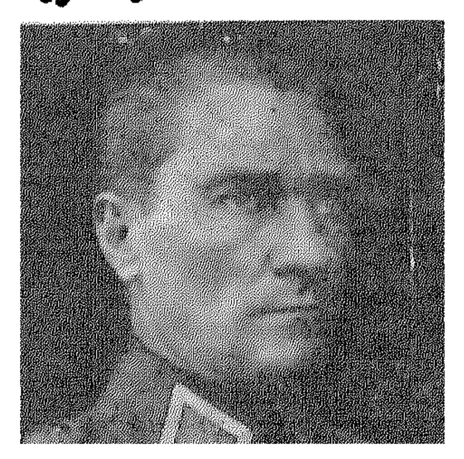
بقلم : د. محمد حرب

بموجب معاهدة لوزان (١٩٢٣م) تنازلت تركيا عن ادعاءاتها في مصر والسودان وبعد ذلك اقيمت العلاقات الدبلوماسية بين مصر وتركيا على مستوى السفراء . ثم لما الغيت الخلافة عام ١٩٢٤، وظهر من يقول بأن الملك فؤاد ملك مصر ، يفتح احضان بلاده امام كل الهاربين من تركيا سواء من الاسرة المالكة العثمانية ، أم من الذين سموا بالمائة والخمسين وهؤلاء طردهم اتاتورك ايضا من تركيا ، ومن ضمن هؤلاء الاخيرين شيخ الاسلام مصطفى صبرى صاحب كتاب موقف العقل .



الملك فؤاد الاول

كمال آتاتورك



ربوش وزيرنا المفوض فى أنقره ؟

الغازي يتكلم بشدة ويأمر الخادم برفع الطربو

نكتب هذه الكلمة فى صباح يوم الاربعاء ولا يزال معالى وزير الخارجية يفتل شاربيه ويدرس مذكرة الحكومة التركية ، فلا نعرف والحالة هذه فحوى هذه المذكرة ولا الرأى الذى استقرت عليه حكومتنا وما اذا كانت تعتزم أن تبعث أولا الى وزيرنا فى أنقرة طربوشا جديداً بدلا من الطربوش المهان !

ولقد كانت الصحف عند ما ذاع خبر هذه الحكاية ... كانت الصحف أذاعت أن الغازى مصطفى كمال اعتذر عقب الحادثة مباشرة لعبد الملك بك حمزة وزير مصر المفوض ، وأن وزير الخارجية التركية ذهب اليه وكرر الاعتذار .

وقلنا نحن أن شيئا من هذا لم يقع وأن [illegible]ازى لم يعتذر ، وأن وزير خارجيته لم [illegible] وأن كل ما حدث هو أن وكيل [illegible] التركية ذهب الى عبد الملك حمزه [illegible] بكلمتين

[illegible]لحوادث حتى اليوم صدق [illegible] الصحافة التركية

عيد الجمهورية . ولا شك أن اللذين تاريخ تركيا بعد الحرب العظمى والجهود الجبارة الخارقة التى بذلها مصطفى كمال لانقاذ وطنه من الهاوية ورد كرامته عليه بعد أن مزقتها معاهدة سيفر ... لا شك انهم يفهمون ابتهاج الغازى وحماسه بل ويعذرون فخامته اذا كان قد ذهب فى حماسه الى حد غير مألوف

من ذلك أن فخامة الغازي الذى يجيد أكثر من لغة أجنبية واحدة أبى فى تلك الليلة أن يتكلم — حتى الى ضيوفه من وزراء



الدول المفوضين — بغير اللغة التركية

[illegible] الوزير المفوض [illegible] ودعا فخامته قرينة سفير [illegible] ولكنها اعتذرت لانها تجهل [illegible] ذلك فقد رفض فخامته أن [illegible] ورقص معها .

ويأتى الآن دور طربو[illegible] فقد طلب الغازى من عبد [illegible] أن يرفع طربوشه ، وترد[illegible] فى اجابة الطلب ... وهنا [illegible] وجه الغازى والتفت بسر[illegible]

نجاح [illegible]

فى سراية [illegible]

وعندما الغى اتاتورك ارتداء الطربوش وغيره من اغطية الرأس وفرض القبعة بديلا ، اصدر قانونا بهذا سماه قانون القبعة وكان عام ١٩٢٥ م

وفى عام ١٩٣٠ ، تم تعيين عبد الملك حمزه بك سفيرا لمصر فى انقرة ، وظل يرتدى طربوشه فى انقره مدة عامين كاملين منذ تقديمه لاوراق اعتماده لاتاتورك فى نوفمبر من نفس عام تعيينه ، حتى يوم الاحتفال بالعيد الوطنى التركى فى اكتوبر ١٩٣٢ ، وكان اتاتورك قد اقام مأدبة رسمية مساء فى انقرة بالاس اعقبها حفل راقص حضره اعضاء السلك الدبلوماسى الاجنبى فى تركيا . وكان المدعوون كثيرين (٢٠٠ شخص) . وكان اتاتورك يأكل قليلا ويشرب بشراهة . انتهى الحفل عندما قام اتاتورك واقفا ، وشرب كأسا فى « سبيل وحدة الانسانية » ومر اثناء خروجه بجانب السفير المصرى الذى كان يرتدى الطربوش، وكان الطربوش فى ذلك الوقت رمز الوطنية والاستقلال فى مصر .

يروى السفير الانجليزى فى انقرة وقتها ، وهو سير جورج كليرك ، المسألة كالاتى : (اتاتورك (للسفير

المصـــــرى) : قل للملك ، اننى انا مصطفى كمال ! واننى اصدرت أوامرى لك ، بان تخلع هذا الطربوش من على راسك ، من الآن) •

ونادى مصطفى كمـــال اتاتورك ، جرسونا •• السفير المصرى يخـــلع طربوشه •• يعطيه للجرســـــون •• الجرسون يأخذ الطـــربوش ، ويختفى بين نظرات الدهشة فى اعين المدعوين •• سفير مصر ينسحب حـــزينا ، من من المكان فورا •

ويقول السفير الفـــرنسى الذى كان حاضرا ايضا الحفل وهو الكونت دى شامبرون : (كان أتاتورك ينظر بين الفينة والفينة بنظرات سخـــرية الى السفير المصرى ••) •

وفى اليوم التالى للحفل ، اعتذر توفيق رشدى بك للسفير المصرى بشأن ما حدث من أتاتورك • وعلل وزيـــر الخارجية التركية الحادث تعليـــــلا اخويا اذ قال : (ان ما حـــدث كان حديثا وديا بين اتاتوركوسفير مصر، وان السفير خلع طربوشـــه بارادته حتى يتحدث براحة مع اتاتورك) •

لكن وزير الخارجية المصرية عبـــد الفتاح يحيى باشا ، صرح بقوله (ان اتاتورك قال بشكل قاطع لسفير مصر فى انقرة بان يخلع طربوشه • ولما لم ينفذ السفير هذا ، اصـــدر اتاتورك أمره الى احد الخدم ليخلع الطربوش من على راس سفير مصـــــر ، فرأى السفير ان يخلع بنفســــه الطربوش وامام هذا الموقف غير المتوقـــع من اتاتورك وجد الســـفير المصرى ، ان يترك القاعة) •

وفى ١١ نوفمبر نشـــــرت الديلى هيرالد الانجليزية خبرا يقول (تسبب الطربوش فى قيام مشـــــــادة بين الديكتاتور التركى مصطفى كمال وبين السفير المصرى فى انقرة حمـــزة بك امر مصطفى كمال ، الســــــفير ، بأن يخلع طربوشه •• وغادر الســـفير القاعة فورا •• واعتـــــــذر رئيس الجمهورية التركية بعد ذلك رســــميا للسفير ، وقبل السفير اعتذار الغازى (مصطفى كمال) لكن الحادث انتشر فى مصر واحدث رد فعـــل عنيف) • ولم تذكر الديلى هيرالد مصدرها ••

وفى ١١ نوفمبر ١٩٣٢ ابرقت رويتر بالخبر الى مصر ، فعرفته مصر لاول مرة ، ونشرته الاهرام • وكذبته وكالة انباء الاناضول ، ونشـــرت الصحف المصرية هذا التكذيب •

لكن حزب الوفد ـ وكان فى المعارضة ـ اراد استغلال الحادث ، وضـــخمه فقالت جريدة البلاغ الناطقة باسمه : (ان هذا الحادث اهانة لمصر ، وانها لاهانة ان يقوم شـــخص لا يملك حـــق توجيه الامر لمصر ، اصدار الامر الى ممثل مصر ، وهو موضـــــع الاحترام حسب قواعد القانون الدولى) •

قالت البلاغ الوفدية أيضا : (هل كان من الواجب اعتذار مصطفى كمال اتاتورك ، للسفير ، ام لمصر ؟! وهـــل من حق السفير قبول الاعتـــذار دون الرجوع الى مصر أولا • ان قبـــــول عبد الملك حمزه بك اعتذار اتاتـــورك معناه انه جاوز حدود صلاحيــــــياته كسفير) •

اراد الملك فؤاد تضخيم المسألة ، حتى وصلت الى مذكرة تهديد بسحب البعثه المصرية الدبلوماســـــية من انقرة •

وقالت اللطائف المصورة : (لقد تدخل اتاتورك فيما لايعنيه) وقالت: (المصريون احرار يرتدون فوق رءوسهم ما يريدون) و (ان الشعب المصرى الحر ، يريد ان يعرف - وهو محق في هذا - ماذا سيتم في مسألة الطربوش) •

واستخدمت روزاليوسف الكاريكاتير ضد اتاتورك ، لكن جريدة المقطم المصرية كانت في صف اتاتورك ، ووصفته برقة التعامل ، وقالت المقطم ان ليس هناك مشكلة اصلا •

وترددت اسئلة في انقرة عقب ذلك لماذا خرج هذا الخبر من لندن ، ولم يخرج من مصر ؟ وما هو هدف الصحافة المصرية من اذاعة الخبر وتضخيمه ، ومادور الاوساط السياسية الانجليزية في هذه المسألة؟! ولماذا لم تذكر الديلى هيرالد التي كانت اول من اذاع النبأ ، مصدرها الذى استقت منه الخبر ؟!!

وقال عاصم اوص (ان الملك فؤاد يريد الاضرار بالاقتصاد التركي في مصر ، لذلك اختلق هذه الحادثة حتى يفسد - علينا - نحن الاتراك - الدخان التركى ، والتفاح التركى)

وذهب بعض الاتراك الى (ان المعتمد البريطاني في مصر استخدم نفوذ بلاده في مصر ، لكي يغير الجو ويكهربه بين مصر وتركيا) ونشرت الاهرام ان ليس بين البلدين مشكلة وانتهى الامر بتقديم مذكرة مخففة من الخارجية المصرية الى الخارجية التركية ، تقبلها الاتراك بقبول حسن، وانتهت المشكلة •

في حوار بين اتاتورك والسفير المصرى حمزه بك،في حفل راقص اقامه الهلال الاحمر التركى بمناسبة عيد راس السنة ، استدعى اتاتورك ،حمزه بك - وكان حاسر الرأس بغير طربوش - الى جانبه ، ودار الحوار بينهما على الوجه الاتى :

اتاتورك : (باستهزاء بالغ) لماذا لا تلبس الطربوش ؟

حمزه بك : (مندهشا) ••

اتاتورك : لماذا كتبت عنى تقريرا الى حكومتك ؟

حمزه بك : •••••

اتاتورك : اذا لم ترتد الطربوش فى حفل ٢٩ اكتوبر القادم ، فانى انا الذى ساكتب عنك تقريرا وارسله الى حكومتك ، اقول فيه انك لا ترتدى الطربوش •

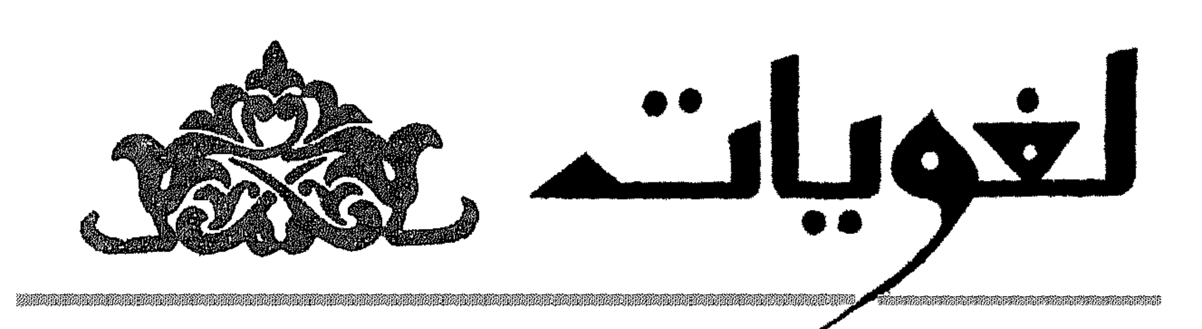
حمزه بك : •••

عبر اتاتورك في هذه اللحظة عن حبه لحمزه بك وللملك فؤاد ، وقال للسفير ان المذكرة المصرية الثانية احدثت في تركيا ارتياحا ، وبالتالى فان المشكلة انتهت •

وصدر بيان الحكومة في البرلمان المصرى ٢٣ يناير ١٩٣٣ بأن لم تكن هناك مشكلة ، وان العلاقات طيبة بين البلدين •

وعندما مات الملك فؤاد في ٢٨ ابريل ١٩٣٦ ارسل اتاتورك برقية تعزية الى الملك فاروق ، وقدم سفير تركيا في مصر اكليل زهور باسم اتاتورك فاق كل ما قدمه السفراء الاخرون •

وبمقدم الملك فاروق ، بدأت صفحة جديدة من العلاقات المصرية التركية، ففى السابع من ابريل عام ١٩٣٧ وقعت معاهدة الصداقة المصرية التركية •



● الأدباء الفصحاء لا يستعملون الفعل : « زغزغ •• يزغزغ » ويستعملون بدله : « دغدغ •• يدغدغ » •• ولكن الدغدغة والزغزغة بمعنى واحد فى اللغة ، واللفظان فصيحان ، الا ان معنى الفعل « زغزغ » قد تطور على الالسنة واخذ معناه الخاص ••

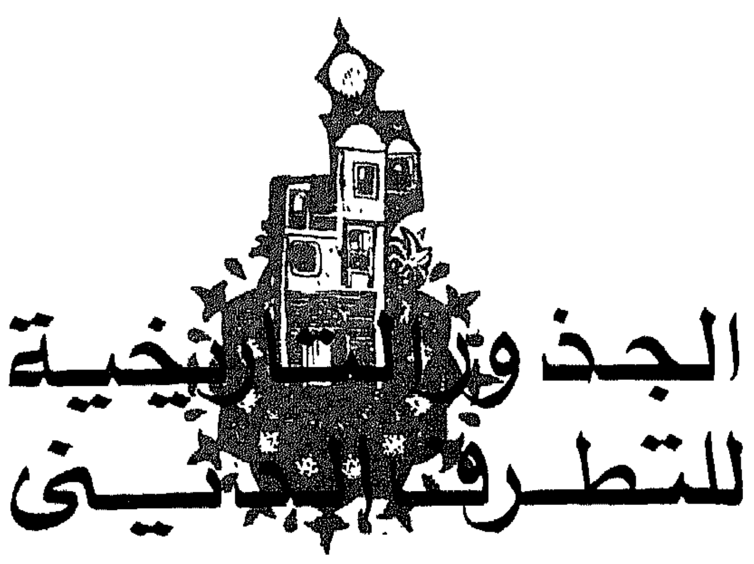
● « المقطف » بفتح الميم وتسكين القاف وفتح الطاء ، وهو موضع قطف الثمر من الشجر •• استعار الناس هذه الكلمة للوعاء الذى توضع فيه الاثمار المقطوفة فسموه المقطف ، ثم اتسعوا فى معناه فصار المقطف عندهم ما يملأ بالثمر او بالتراب أو بالرمال •• وفى المعنى « الأصلى » للمقطف قال بعض البلغاء يصف بستانا : « لكل عين فيه منظر ، ولكل يد منه مقطف ، ولكل فم منه مذاق » !

● الناس فى بلادنا يطلقون على أولادهم الآن اسم « تامر » تشبيها بأسماء الأولاد فى البلاد البترولية •• والتامر هو صاحب التمر أو البلح ، فاذا كان معه صاحب لبن أو بائع لبن فهذا « لابن » •• وهو اسم معروف فى البلاد البترولية أيضا •• وقديما قال الشاعر :

وغـررتنى وزعمـت انـك
« لابن » فى الصيف « تامر »

● يقول العامة : فلان يقبص ـ بالصاد ـ الشىء بأصابعه ، فيخطئهم بعض المتأدبين ويقولون : فلان يقبض ـ بالضاد ـ وقد أصابت العامة واخطأ أولئك المتأدبون ، لأن « القبص » يكون باطراف الاصابع ، ويكون « القبض » بالكف وهي مقبوضة ، فاذا فتح الرجل كفه واخذ فهو « يحفن » لأن الحفن بالكف والراحة مفتوحة قليلا •

● فى الاردن بلدة اسمها « معان » بفتح الميم ، يختلط اسمها عند بعض الناس باسم مدينة عمان ـ العاصمة الأردنية ـ ويختلط أحيانا باسم سلطنة عمان ! •• ومعنى «معان» : المنزل ، •• وهذا المعنى هو الذى أعطاها اسمها منذ نزلها العرب من قديم ••



الجذور التاريخية للتطرف الدينى

بقلم : د. محمود إسماعيل

كثر الجدل حول الأصول المرجعية للجماعات الدينية المتطرفة ، فمن قائل بردها إلى الخوارج أو إلى غلاة الشيعة بينما تذهب هذه الجماعات نفسها إلى أصولها المستمدة من القرآن والسنة فضلا عن الدعوة السلفية التى أصل لها الإمام ابن تيمية .. وفى كل الأحوال يجرى تأويل النصوص الدينية واعتساف هذا التأويل بما يخدم غرض كل من عرض لاستقصاء جذور هذه الجماعات . وفى كل الأحوال أيضا يشكل "المنهج الانتقائى" حجر الزاوية إذ يستباح التراث والتاريخ الإسلامى معا لمزاعم هؤلاء وأولئك .. والحصاد النهائى لتلك التحليلات مزيد من طمس الحقائق ..

ومن هنا تبرز أهمية المنهج فى وضع الأمور فى إطارها الصحيح . ذلك أن المنهج هو الوسيلة بين الحقائق باعتبارها وقائع عيانية وبين تحويلها إلى صور منطقية ترسم فى العقل . ومن هنا أيضا تبرز قيمة "التاريخانية الاجتماعية" كمنهج ورؤية أيضا لدراسة ورصد وتحليل وتفسير ظاهرة التطرف الدينى باعتبارها حقيقة اجتماعية واقعية من جهة وباعتبارها نشأت وتطورت نتيجة معطيات موضوعية فى المكان والزمان .

لذلك نلح فى الدعوة للحوار على تناول "إشكالية المنهج" لأنه ـ فى تقديرى ـ لو حسمت هذه الإشكالية أمكن حسم الكثير من القضايا الخلافية حول الموضوع .

إن ظاهرة التطرف الدينى ظاهرة شهدتها المجتمعات الإسلامية منذ صدر الإسلام حيث نشأت الفرق والمذاهب



عاكسة صراعا اجتماعيا وارتبط التطرف والاعتدال حول المسائل الخلافية بالعوامل الجغرافية وصيرورة التطور التاريخى الاجتماعي . لذلك تباينت المواقف وتباينت بالتالى التأويلات للنصوص الدينية بما يخدم أهداف القوى المتصارعة .. وشكل كل ذلك "ثقافة تاريخية" عكست فعاليتها على ذات القوى إبان تطور المجتمع الإسلامى فى الحقب التالية وحتى اليوم

ونلاحظ انطلاقا من تلك الرؤية حقيقة هامة ـ أرجو أن تنال حظها من الحوار ـ وهى ارتباط ظاهرة التطرف الدينى خصوصا والفكرى بوجه عام بالصراع بين البورجوازية والاقطاع . إن جدلا طالما أثير ومازال يثار حول تلك المنظومة التى تشكل فى قناعتنا ـ حجر الزاوية فى حركة التاريخ الإسلامى العام . وإذا ما سلمنا بصحتها ـ أو على الأقل وجاهتها ـ نقف دون لأى على حقيقة ارتباط ظاهرة التطرف بسيادة النمط الإقطاعى .. بينما تذوب وتذوى هذه الظاهرة فى أحضان الصحوات البورجوازية المحدودة التى شهدها العالم الإسلامى . إن طغيان ظاهرة التطرف الدينى وهيمنتها على معظم قرون التاريخ الإسلامى ترجع بالتالى إلى "أزمة البورجوازية الإسلامية" وعدم نجاحها فى إنجاز ثورة بورجوازية كاملة تسفر عن حركة إصلاح دينى إذا ما جاز لنا الأخذ بمنهج المقارنة بصيرورة التاريخ الأوربى . ولعل الأخطار الناجمة عن هزال البورجوازية الإسلامية هى التى جعلت مفكرا فذا مثل ابن خلدون يحملها مسئولية انهيار الحضارة الإسلامية أو "خراب العمران" على حد قوله .

إن غلبة التقليد والسلفية والإتباع ورواج الصوفية المشعوذة قرينة على تسلط النمط الإقطاعى وسيادته مسرح التاريخ الإسلامى ومحصلة من محصلاته . إن هذا يدفعنا أن نقرر بأن أزمة التطرف هى بالضرورة أزمة واقع قبل أن تصبح أزمة تفكير ..

● ظواهر التطرف

والحقيقة الثانية التى نود إبرازها ـ ونطرحها بالمثل للحوار ـ هى ما اصطلح على تسميته باسم "سوسيولوجيا الدين" . وهنا تلعب الأبعاد الجغرافية دورا محوريا باعتبارها تلعب ذات الدور فى الأساس "السوسيو ـ اقتصادى" .. فليس جزافا أن تتسم المجتمعات ذات الموقع المنفتح والتضاريس السهلية ووديان الأنهار الفيضية بدور هام فى توجيه "قوى الإنتاج" وبالتالى فى تخليق عقائد ومعتقدات وأخطار ورؤى معتدلة متسامحة خصبة ومعطاءة . وعلى العكس شهدت المناطق "المنغلقة" طبيعيا والمتطرفة مكانيا والجبلية والرعوية مزيدا من ظاهرات التطرف والتقوقع والتحجر الدينى والفكرى ، كما أنها كانت مستودعا للهرطقات وأدعياء النبوة والتأثر بالمعطيات العقائدية القديمة . لم يكن جزافا أن تشهد مرتفعات الشام والهند وأطارف المغرب الأقصى مثل تلك النزعات المتطرفة بل وتحتفظ بها إلى الآن .

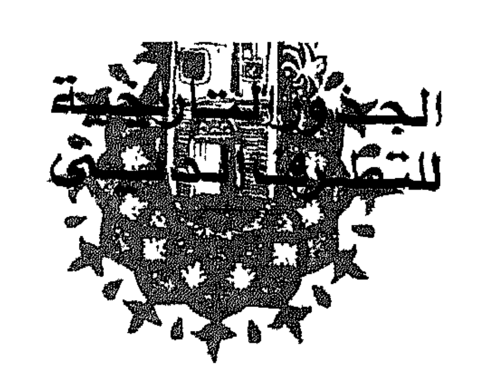
أما الحقيقة الثالثة فتكمن فى دور "النظم السياسية" التى ترجع بدورها إلى تأثير المعطيات السوسيو ـ اقتصادية. فمراحل الصحوات البورجوازية المحدودة على مسرح التاريخ الإسلامى أفرزت نظما أقرب ما تكون إلى "الديمقراطية". نظما مستنيرة نهلت من الثقافة بمنابعها الواسعة والعميقة فانفتحت على التراث القديم والوافد وواءمت بينهما وبين الأصول الإسلامية. بل شجعت وتبنت حركات علمية ـ كحركة الترجمة مثلا ـ وشجعت العلماء وتميزت بالعقلانية. وبتأثير الرخاء الاقتصادى خففت من غلواء التطرف واثر عنها التسامح. ألم يكن رؤساء الملل والنحل يتحاورون فى بلاطات بغداد العباسية وقرطبة الأندلسية والقاهرة الفاطمية دون تعصب أو جمود ؟. هذا بينما صادرت "النظم الإقطاعية" ـ وخاصة العسكرية ـ على الليبرالية وتشبثت بالنصية وروجت للطرقية الغيبية .. وفى ظلها سادت الصراعات المذهبية والطائفية وسالت الدماء أنهارا انطلاقا من رؤيتها الضيقة واذكائها نزعات التعصب الأعمى. ألم يتفاقم الصراع بين الحنابلة والأحناف والشافعية والزيدية والسنة والشيعة عموما .. ألخ فى ظل "عسكرتاريا" السلاجقة وسلاطين الهند الغزنويين والغوريين وجفاة المرابطين فى الغرب الإسلامى، ألم يتعرض أهل الذمة ـ الذين اعترف بإسهاماتهم الفكرية وأتيحت لهم الحرية فى ظل الحكام المتبرجزين ـ إلى العسف والمصادرة وسفك الدماء فى عصور العسكر الأيوبيين والمماليك ؟ ومن قبل الأمويين ؟.. ألم تتفشى الطرقية الصوفية فى العالم الاسلامى بأسره فى ظل "عسكرتاريا" المماليك ومن بعدهم العثمانيين ؟

صفوة القول ـ أن الصلة وطيدة بين التطرف وبين نمط الإنتاج الإقطاعى، كما أن الاعتدال قرين سيادة البورجوازية. ومن ثم تبرز مقولة "سوسيولوجيا المعرفة" حتى لو تعلق الأمر بالمذاهب والعقائد بالملل والنحل. كما أن المعطيات الجغرافية وطبيعة النظم السياسية تعكس ذات المقولة.

● مكانة خاصة للدين

وبتطبيق ذات المنهج وذات الرؤية على مصر والمصريين نلاحظ الآتى :

اولا أنه بفضل تلك المعطيات اتسم الدين فى مصر بمكانة خاصة. وكان له دور إيجابى طوال تاريخها .. كما أن رصيدها الحضارى الضخم نأى بها عن "التطرف" وغيره من الظواهر المرضية. بل شكل الدين عامل بناء حضارى وحافزا على تبنى رسالة حضارية ذات طابع عالمى. ألم يبزغ فجر التوحيد بفضل إخناتون ؟ أو لم يقدم القديس أنطون الى العالم المسيحى ظاهرة الرهبنة ؟ أولم يقدم ذو النون المصرى إلى العالم الإسلامى التصوف المفلسف ؟ ألم يكن الدين فى مصر القديمة وراء الحضارة والعمران الذى تشهد عليه الآثار المتحدية لصروف الزمن ؟ أو لم يكن الدين من وراء تخليق "الشخصانية" المصرية السوية التى أنتجت فكرا وعملا قيما وسلوكا ومعارف ؟ ألم تكن "كنيسة الإسكندرية" موئلا للنضال المصرى ضد بيزنطة كما كانت معابد آمون ورع وبتاح وغيرها مراكز للنضال ضد البطالمة ؟



ثانيا : أما عن مصر الإسلامية فحدث ولا حرج . لقد أقبل المصريون على الإسلام فى يسر وعمق وشمول . فى ذات الوقت الذى تمتع فيه "أهل الذمة" منذ الفتح بحرية العقيدة وحرمة النفس والمال والعرض . وفى مجال العلوم الدينية أنجبت مصر علماء وفقهاء أفذاذا من أمثال الليث بن سعد والإمام الشافعى وكثير غيرهما . لم تعرف مصر الصراع بين المذاهب الأربعة بل اعتمدتها جميعا وجرت فى قضائها على الأخذ بأحكامها جميعا كل حسب مذهبه . بل لعبت دورا ما فى التوفيق بين المذاهب النصية كالمالكية والحنابلة وبين المجددة كالحنفية . لقد كان الإمام الشافعى المصرى رائدا فى هذا المجال .. وزاد على ذلك بما هو جدير بمكانة مصر حين أسس "علم أصول الفقه" الذى يعد - فى تقديرى - من أعظم ما أنجب الفكر الإسلامى . وبالمثل لم يكن التصوف فى مصر ضربا من الشعوذة إلا فى العصور المتأخرة حين صدر لها من بلاد المغرب . لكن إسهامها الأعظم فى هذا المجال تمثل فى التصوف المتفلسف القائل "بوحدة الوجود" وبالتالى الذى يساعد على التوحد لا التشرذم والفرقة . ناهيك عن إسهاماتها الأدبية والفنية والعلمية بما هو غنى عن التعريف . إن أمجاد "مدرسة الإسكندرية" على صعيد نشر الحضارة الهللينية فى العالم لا تقارن إلا بدور علماء وفقهاء مصر الإسلامية على صعيد نشر الإسلام وثقافته وحضارته خاصة فى الغرب الإسلامى .

ثالثا : على صعيد المذاهب والفرق - وهذا هو الأهم بصدد موضوع الحوار - رفضت مصر التطرف . فلم ينتشر فيها مذهبا الخوارج - الأشد تطرفا - والشيعة المتطرفة . بل ظل إسلام أهلها معتدلا بسيطا أقرب إلى الفطرة .. ورغم كونها مقرا للفاطمية الإسماعيلية لم يأخذ أهلها بهذا المذهب . وظل الأزهر طوال العصور الوسطى - بعد الفاطميين وحتى العصر الحديث "جامعة إسلامية" يؤمها طلاب العلم من الشرق والغرب ، ويدرسون بها كافة المذاهب والعقائد والعلوم الإسلامية دون تعصب أو تطرف .

وحين فشا التخلف فى العالم الإسلامى واضطهد العقل وساد التقليد أعطت مصر "ابن تيمية" بدعوته السلفية التى أثرت فى الكثير من الحركات الدينية السياسية من الوهابية والسنوسية وحتى اليوم . وبرغم ذلك لم يقف الفكر الدينى فى مصر عند ابن تيمية ولم يصل هذا الإمام إلى مكانة "التقديس" بين المصريين كما هو الحال بالنسبة للبلدان الأخرى . كما تبنت مصر معظم "دعوات الإصلاح الدينى" فى العصر الحديث من دعوة الأفغانى التى نظر لها الإمام محمد عبده ثم "مدرسة المنار" التى ما زالت تعاليمها فى وجدان الشعب المصرى المسلم . وكل هذه الدعوات اتسمت بالإصلاح والتجديد ولم تجنح نحو التطرف أو التحجر ألبته . ولا يزال الكثير من تراثها فى عقول

المستنيرين من فقهاء الأزهر من أمثال الشيخ محمود شلتوت

● **المصريون والاسلام**

رابعا : أن الإسلام فى مصر بفضل اعتداله وإيجابيته كان دائما صمام أمن عصم المصريين من أخطار الغزاة فضلا عن جبروت السلاطين . والحديث عن دور مصر فى الفتوحات الإسلامية فى الغرب حديث يطول . وعن دفاع المصريين عن العالم الإسلامى ضد أخطار المغول والصليبيين غنى عن البيان . ألم يكن "ابن تيمية" مجاهدا إلى جانب كونه فقيها مجددا ؟ . ودور العلماء والفقهاء فى مساندة السلاطين نغمة سائدة فى حوليات التاريخ الإسلامى . من أجل مواجهة الأخطار الخارجية ضد القوى الأوربية وغير الأوربية الغازية .. ونضال الأزهر ضد الإنجليز ١٨٠٧ والفرنسيين عن البيان .

وفى مواجهة الطغيان فى الداخل لطالما كان لرجال الدين مواقفهم المشهودة لقد كانوا واسطة الرعية لتخفيف المغارم والمكوس والجبايات طوال تواريخ الطولونيين والإخشيديين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين ومواقف الطهطاوى والشرقاوى ومحمد عبده والمراغى معلومة لدى الخاص والعام فى الوقوف إلى جانب الشعب ضد جبروت الحكام .

ودور مصر الإسلامية فى حماية الأماكن المقدسة بالحجاز وبيت المقدس من الأمور التى أصبحت فى حكم البديهيات.. وثورة ١٩ كانت انتفاضة ضد الانجليز التأم فيها المسلمون والأقباط سواء بسواء . ونضال الإخوان المسلمين فى حرب فلسطين والأعمال الفدائية بمنطقة القنال أمر لا ينكره إلا جحود

صفوة القول إن إسلام المصريين ذو أبعاد حضارية إيجابية على الصعيدين الفكرى المعتدل والنضال السياسى الجسور .. وأن التطرف الدينى لم يعرف طريقه إلى مصر إلا نادرا . فمتى ظهر هذا التطرف ؟ وماهى أسبابه ؟ وماهى مظاهره ؟

نرجو أن يكون فى ذلك موضوع المقال التالى

● الرشيد مع المأمون ●

دخل الرشيد على المأمون فى داره فوجده وقد أمسك بكتاب يقلبه بين يديه . فقال له : ما هذا الذى بيدك ؟ فقال : بعض ما تشحذ (تهذب) به الفطنة . وينبه به من الغفلة ويؤنس به من الوحشة . فقال له : ما تحب أن أهدى لك ؟ قال : حسن رأيك

فقال الرشيد : الحمد لله الذى رزقنى من ولدى من ينظر بعين عقله أكثر مما ينظر بعين جسمه وسنه

التدرّج..؟ أم الطفرة..؟
فى العودة إلى قانون الإسلام

بقلم: د. محمد عمارة

فى إطار « الصحوة الإسلامية » لاخلاف على أن العودة الى الاحتكام لأحكام « الشريعة الإسلامية » فى تنظيم الحياة المدنية وشئون الدولة وسياسة المجتمع شرط لاغنى عنه ، وسبيل رئيسى لتحقيق المسلمين : إسلامية حياتهم والمجتمعات التى فيها يعيشون .. وفى ذلك صلاح دنياهم ، والسعادة الأخروية التى وعدهم بها الله ..

● لاخلاف على هذا الهدف و« الشعار » بين الاسلاميين .. لكن ... إذا تجاوزنا « الشعار » الى ميدان « التصورات الواقعية » لكيفية وضعه فى « الممارسة والتطبيق » ظهرت لنا التمايزات فى التصورات ..

فالبعض يختزل قضية الشريعة الاسلامية فى العقوبات الاسلامية .. وفى مقدمتها « القصاص » و« الحدود » ... دونما تقديم لنمط الحياة الاسلامي والعدل الاجتماعى الاسلامى قبل هذه العقوبات والحدود ..

والبعض يقف بهذا الهدف عند مجرد إحلال النصوص القانونية المستمدة من تراثنا فى فقه المعاملات محل القوانين الوضعية التى فرضها « التغريب » الذى هيمن على عالمنا الاسلامى فى حقبة الغزوة الاستعمارية الحديثة ..

لكن آخرين يرون هذه الجزئيات مجرد لبنات فى بناء حضارى متكامل .. فالعودة

الى الاسلام الكامل انما تمتل « نهضة حضارية » مصبوغة بالصيغة الاسلامية المتميزة عن هوية الحضارة الغربية فهى يقظة امة ، تنعتق بها من اسار الاستلاب الحضارى ، وتتقدم بها كى تستكمل بناء نموذجها الحضارى الخاص .. وهم لذلك يدركون عظم المهمة وضرورة التخطيط ، والحاجة الى حشد كل الطاقات ، واهمية تحديد الاولويات .. كما يؤكدون على اهمية « الوسائل » و« الادوات » القادرة على ابلاغنا « الاهداف » و« الغايات » .

وفى هذه القضية تأتى اهمية هذا « النص » الذى كتبه العلامة ابو الاعلى المودودى (١٣٢١ ـ ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩ م) عن تصوره لعودة « الحاكمية الالهية » فى ميدان القانون الاسلامى ـ الى مركز الهيمنة والسيادة فى عالم الاسلام ومجتمعات المسلمين .

* * *

فإذا كانت « الحاكمية الالهية » انما تتجسد فى هيمنة شريعته على الدولة والمجتمع وكل شعب المعرفة وشئون الحياة .. وتعنى عودة السيادة والمشروعية للشريعة الاسلامية فى عالم الاسلام ودنيا المسلمين ، بعد ان انحرف عن نهجها المماليك الى « ياسة » جنكيزخان .. ثم جاء الاستعمار فاستبدل بها قانونه الوضعى المعبر عن فلسفة حضارته الغربية فى التشريع والقانون .. اذا كان هذا الانجاز وهذه المهمة هما مطمح الاسلاميين من أعلام الصحوة الاسلامية وجمهورها .. فكيف كان تصور المودودى لطريق الوصول الى هذه المهمة وتحقيق هذا الانجاز ؟.

● إحداث نهضة إسلامية

قد يعجب الكثيرون اذا علموا ان الرجل لم يكن من السذاجة بحيث يتصور ان الاثار التى زرعت فى واقعنا ـ شوائب غير اسلامية سماها « الجاهلية » منذ قرون مضت ، والتى رعاها ونماها الاستعمار الغربى . ان هذه الاثار يمكن اقتلاعها واحلال الشريعة واحكامها محلها فورا وبمجرد الاستيلاء على السلطة من قبل الاسلاميين .. فلقد كان المودودى يدرك ان الامر الذى يواجه الاسلاميين ، والتحدى الذى لابد لهم من اعداد العدة لمواجهته هو احداث « نهضة اسلامية" ، وليس مجرد تغييرات جزئية تحدث هنا أو هناك .. . وهذه "النهضة" لابد لها من رجال وادوات ، من الضرورى أن تصاغ صياغة اسلامية تتفق وعظم المهمة وتتناسب مع طبيعتها الاسلامية ولقد تحدث الرجل الى الذين يفكرون فى هذا الأمر تفكيرا سطحيا متعجلا ، فقال : « وإنى على مثل اليقين فى نفسى من انه لو خُوِّل المسلمون اليوم أن يؤسسوا دولة لهم فى بقعة من بقاع الأرض لما استطاعوا أن يقوموا بإدارة شئونها وتسيير دفتها وفق المبادىء الاسلامية ولا ليوم واحد ! فإنكم ، معشر المسلمين ، لم تعدوا المعدات اللازمة ولا هيأتم العوامل الكافية لتنشئة رجالكم وشبابكم على الطراز المخصوص للتفكير والأخلاق الذى تحتاج اليه الدولة الاسلامية لتسيير دفة أمرها وتنظيم شئونها العديدة المتشعبة .. فقل

لى ، بربك ، ماذا أقول فى الذين يلهجون بذكر "الدولة الاسلامية" ثم لا يعدون لها معداتها ، ولا يتذرعون لها بشىء من الوسائل سوى انهم لم يعرفوا حقيقة "الدولة الاسلامية" ، ولم يدركوا مغزاها أصلا ؟! .. »[1] .. ذلك أن الاعلان عن التطبيق الاسلامى واقامة الدولة الاسلامية دون تهيئة المناخ وتوفير العاملين الأكفاء ذوى التأهيل الاسلامى والرؤية الاسلامية الواضحة ، لابد أن يقود المشروع الى الفشل ، والجيل المتطلع الى هذا الحلم لاحباط شديد !.

ولقد نظر المودودى نظرة واقعية إلى هدف · العودة للقانون الاسلامى ، وسيادة أحكام الشريعة وهيمنتها على مؤسسات الدولة وقضائها وواقعها ومعارفها .. ونبعت واقعيته هذه من ادراكه عظم المهمة ، وعظم العقبات المزروعة فى الواقع الاسلامى ، والتى ظل أصحابها يرعونها الحقب الطوال .. فلم يدع إلى « التطبيق الفورى » للقانون الاسلامى ، وانما دعا الى « التدرج » فى بلوغ هذه الغايات .. وفى نص هام ـ وأن يكن طويلا ـ يقول الرجل فى هذه القضية المطروحة والمثيرة للجدل فى المحيط الاسلامى هذه الأيام .. « **أريد ، قبل كل شىء ، أن أزيل شبهة تخالج أذهان كثير من الناس حول القانون الاسلامى فإنهم عندما يسمعون أننا نريد أن نقيم فى هذه الدولة ـ [باكستان] ـ حكومة إسلامية يكون القانون الاسلامى هو قانون الدولة فيها ، يظنون أن جميع القوانين الماضية ستلغى فى تلك الحكومة دفعة واحدة ، وينفذ مكانها القانون الاسلامى فجأة بمجرد اعلان التغيير فى نظام الحكومة ! وهذه الشبهة لاتخالج أذهان العوام فحسب ، بل نجد أنه قد تورط فيها كثير من طبقاتنا الدينية أيضا ..**

الحقيقة أنهم لايعرفون أن القانون فى كل بلد له علاقة وثيقة بنظامه الخلقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، فمادام لا يتغير نظام الحياة فى ذلك البلد بكل شعبه ونواحيه ، من المحال قطعا أن يتغير نظامه القانونى .

إنهم لابصر لهم فى المسائل العملية ، وما إحداث الانقلاب فى النظام الأجتماعى عندهم إلا كلعبة الأطفال ! أو هم يتمنون أن يحصدوا زرعهم بعد غرسه على الفور ! ... »

ثم يستطرد المودودى ، فيكتب تحت عنوان [قاعدة التدرج]

« **فنحن إن كنا نريد حقا أن يحالفنا التوفيق فى إلباس هذه الفكرة ـ [اقامة الدولة الاسلامية] ـ حلة العمل والتنفيذ ، لا ينبغى أن نغفل قاعدة للفطرة لا تقبل التغيير ، وهى انه لا يحدث الانقلاب فى الحياة الاجتماعية الا بالتدرج ، ولابد أن يكون كل انقلاب بدءا غير محكم على قدر مايكون فوريا متطرفا ، ولابد لكل نظام راكز المبادىء والأصول أن يجرى فى كل جهة من جهات الحياة وناحية من نواحيها باتزان تام حتى تساند كل ناحية نواحيه الأخرى ...** »

● القيام بالإصلاح

وعند هذا الحد من الحديث يشرع

المودودى فى ضرب الأمثال على أن التدرج قد كان سبيل الانقلابات التى أتت أكلها .. ويبدأ بالحديث عن [أسوة العهد النبوى الزاهر] فيقول

« وأحسن أسوة لنا فى هذا الصدد ذلك الانقلاب الذى تم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بلاد العرب فغير خاف على من له أدنى إلمام بسيرته ، صلى الله عليه وسلم ، انه ماكان طبق القانون الاسلامى بجميع شعبه ونواحيه دفعة واحدة ، بل كان قبل هذا الانقلاب قد مهد الأرض وأعد المجتمع بقبوله ، ومازال ، شيئا فشيئا مع هذا الاعداد ، يبدل طرق الجاهلية ويستعيض بها طرق الاسلام وقواعده الجديدة .. فهكذا بعد أن تسلم النبى ، صلى الله عليه وسلم القوة السياسية ووسائل البلاد وتمكن منهما كل التمكن ، قام بمهمة الاصلاح والتعمير .... وعلى قدر ماظل الانقلاب ، يحصل فى مختلف نواحى الحياة بفضل هذا السعى الجديد للاصلاح الشامل ظل صلى الله عليه وسلم يطبق أحكام القانون الاسلامى بكل تناسب واتزان ، حتى اذا مرت على ذلك تسع سنوات ، تم فى البلاد فى جانب بناء الحياة الاسلامية ، وفى الجانب الآخر نفاذ القانون الاسلامى بأسره ..

اننا اذا درسنا القرآن والسنة دراسة عميقة ، علمنا بدون إلتباس ولا ارتياب ، كيف وبأى تدرج وانسجام تم الانقلاب الاسلامى فى بلاد العرب على يد النبى ، صلى الله عليه وسلم . فقد نفذ قانون الوراثة فى سنة ثلاث من الهجرة ، وتمت قوانين النكاح والطلاق - شيئا فشيئا - الى سنة سبع ، ومازالت القوانين الجنائية تنفذ مادة مادة الى ان اكتملت فى سنة ثمان ، ومازال يعمل بصفة غير منقطعة الى عدة سنوات لتمهيد الأرض وتوطيد الجو لتحريم الخمر ، الى أن اعلن تحريمها النهائى بصفة قطعية فى سنة ثمان . والربا ، وإن كان قد نُعى على المتعاملين به بكل صراحة ، لم يُلغ على الفور مع قيام الدولة الاسلامية فى المدينة ، ولكن لما تم العمل لإفراغ نظام الاقتصاد كله فى القوالب الجديدة ، أُعلن تحريمه والغاؤه بصفة نهائية قطعية فى سنة تسع فكأنه صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك كمهندس جمع حوله البنائين والفاعلين لرفع بناء كان قد خط له رسما فى ذهنه واستجمع له الوسائل والأسباب ومهد له الأرض وحفر له الأساس ثم مازال يرفعه من كل جهة واضعا لبنة فوق لبنة حتى أكمله أخيرا بعد بذل الجهود لعدة سنوات متواصلة ... »

وبعد أن ضرب المودودى مثل الانقلاب النبوى الأول ... ضرب لنا على ضرورة التدرج مثل الانقلاب المضاد ، الذى أحدثه الاستعمار الانجليزى فى الهند .. فكتب تحت عنوان . [مثال العهد الانكليزى فى الهند] يقول

« ... والانكليز صرفوا مدة قرن كامل تقريبا فى تبديل نظام البلاد القانونى . بدلوا نظام حياتها أولا شيئا فشيئا ، وأعدوا رجالا لا يتفكرون ولا يعملون الا حسب نظرياتهم وأفكارهم ، وعملوا عملا متواصلا على تغيير أذهان الناس وأخلاقهم ونظامهم الاقتصادى بنشر

الأفكار وبتأثير السلطة والاستيلاء ، أى ظلوا يلغون القوانين القديمة وينفذون مكانها قوانينهم الجديدة على قدر ماظلت تأثيراتهم المختلفة تغير من نظام هذه البلاد الاجتماعى ... »

وبعد أن استدل المودودى بالانقلاب الاسلامى . والانقلاب المضاد للاسلام على أن النجاح فى أى انقلاب مرهون بالتدرج ، وبسبق التغييرات فى أرض الواقع لسن القوانين المنظمة لهذه التغييرات . استطرد فكتب تحت عنوان [لابد من التدرج] يقول

« فنحن إن كنا نريد الآن احياء القانون الاسلامى وتنفيذه من جديد فى دولتنا الفتية فإنه من المستحيل قطعا أن نمحو آثار الحكم الانكليزى ونثبت مكانها آثارنا الجديدة من عندنا بهزة واحدة من القلم . إن تغيير نظام البلاد القانونى دفعة واحدة - إن أمكن على فرض المحال - لا يكاد يجدى بشىء ، لأن نظام الحياة ونظام القانون لابد أن يكونا فيها على غير ما علاقة ، بل متضاربين بينهما ، ولابد أن يبوء هذا التغيير بمثل الفشل الذى يبوء به غرس شجرة فى أرض وطقس لا يلائمان طبيعتها فمن المحتوم إذن أن لا يتم هذا الاصلاح والتغيير المنشود الا على مبدأ التدرج ، ولا أن يتغير نظامنا القانونى الا بطريق متزن يساير التغيرات الخلقية والثقافية والاجتماعية والمدنية والاقتصادية فى البلاد .

ولعمر الحق ، انه اذا انتقلت سلطة الدولة الى أيدى رجال من الصالحين المفكرين أولى الخبرة والتجربة والجد ، وبدأوا يسيرون على نهج محكم يرسمونه للاصلاح ، مستعينين فى ذلك بوسائل الدولة وجهاز الحكومة وادارتها فعسى أن لا تلبث حياة البلاد الاجتماعية أن تنقلب رأسا على عقب قبل أن تمر عليها عشر السنوات الآتية ، ويبدأ فيها العمل لالغاء القوانين القديمة واصلاحها وتطبيق القوانين الاسلامية الجديدة مكانها بصورة منظمة متزنة ، حتى لا يبقى فيها قانون من القوانين الجاهلية سائرا ، ولا قانون من قوانين الاسلام موقوفا عن السير إن شاء الله ... »

ثم حدد الأستاذ المودودى ثلاث مهام أمام الحركة الاسلامية ، تعد بها الضرورى من الأدوات للتغيير الاسلامى المنشود .. وهى

١ - تقنين تراثنا فى القانون الاسلامى . وكتب أصول التشريع الاسلامية .. والاجتهاد لمستحدثات الأمور .. وأن نعيد إعداد تراثنا الفقهى ليكون مصدرا سهل الورود للقانونيين المعاصرين ..

٢ - وصياغة هذا القانون الاسلامى صياغة عصرية ..

٣ - واسلامية التعليم القانونى فى كليات الحقوق ، اعدادا للرجال الصالحين والقادرين على اقامة قانون الاسلام .

فكتب ، عن هذه المهام يقول

« .. فالمعقول ، بالنسبة لأنفسنا ، أن نستفيد فى حاجاتنا الراهنة مما ترك لنا أسلافنا الأمجاد الميامين ، ونستمر فى رفع البناء على قدر ماتعرض لنا من الحاجات والمطالب فى الحاضر والمستقبل .. فالحاجة ماسة اليوم الى

أن نوسد الى عدد من أرباب العلم والفكر مهمة أن يستعرضوا ماترك لنا أسلافنا من التراث القانونى ، فيرتبوا كل ماعسى أن يوجد فيه من الموضوعات المفيدة ترتيب كتب القانون الجديدة ... ثم علينا أن نتناول الكتب المهمة فى أصول التشريع وحكمته ، ونرتب موضوعاتها على أسلوب كتب القانون فى العصر الحديث ، ونضع لها العناوين الجديدة ، ونجمع مافيها من المسائل المنتشرة تحت عنوان واحد ، ونرتب الفهارس لموضوعاتها وأعلامها ، ليستعين بها أرباب القانون فى العصر الحديث على الفهم الصحيح والمعرفة الرصينة للفقه الاسلامى ..

والعمل المهم الثانى ، فى هذا الباب : أن يؤلف مجلس من العلماء المسئولين وأهل الخبرة والتجربة من رجال القانون ، يدون أحكام الاسلام المتعلقة بالقانون على طراز كتب القانون فى الزمن الحاضر .....

والعمل المهم الثالث فى هذا الشأن أن نغير الطريق الجارى لتعليم القانون فى كلياتنا الحقوقية ، وندخل فى مادة تعليمها وأسلوب تربيتها اصلاحات جديدة تعد الطلبة من الوجهة العلمية والخلقية اعدادا تاما لتطبيق القانون الاسلامى .. »[1]

ذلك هو منهج التدرج نحو الانقلاب الاسلامى ، ووسائل نجاح هذا الانقلاب !.. وهذا هو السبيل الذى حدده المودودى لعودة « حاكمية الشريعة الالهية » من جديد للهيمنة على الدولة والمجتمع وكل شعب الحياة المادية والفكرية فى عالم الاسلام ..

● فتغيير القانون مصاحب ـ أو هو ثمرة ـ لتغيير الواقع الخلقى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

● ونجاح التعبير رهن بتدرجه . لأن التدرج هو السبيل لعموم آثار التغيير كل شعب الحياة ، فتتساند هذه الشعب ويبلغ التعبير الأعماق

● ويشهد لضرورة التدرج فى عودة « حاكمية الشريعة الالهية » ، أن هذا التدرج قد كان سنة كل الانقلابات الناجحة . سواء منها الانقلاب الاسلامى النبوى الأول . أو الانقلاب المضاد للاسلام الذى أحدثه الاستعمار الانجليزى فى الهند بعد احتلالها ..

● فتغيير الواقع وأسلمته شرط لصلاح القانون الاسلامى الجديد للارتباط الوثيق بين القانون ـ أى قانون ـ وبين واقع الحياة الذى ينظمه ويضبط حركته هذا القانون

● ولابد من اعداد الأدوات والوسائل اللازمة لاحداث هذا الانقلاب الاسلامى وادامة استمراريته وترسيخ نجاحه فكرا كانت هذه الأدوات أو رجالا تتم صياغة عقولهم وأخلاقهم وفق الفكر الاسلامى الحديد ..

(١) المودوى [منهاج الانقلاب الاسلامى] ص ٩٢ ، ٩٣ ترجمة مسعود الندوى طبعة بيروت ـ ضمن مجموعة عنوانها « نظريه الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور » سنة ١٩٦٩ م

(١) [القانون الاسلامى وطرق تنفيذه فى باكستان] ص ١٨٩ ـ ١٩٧

دعوة مفتوحة لعمل علمي كبير :

قبيلة عربية بائدة

الوقائع التاريخية فى التوراة جرت فى الجزيرة العربية وليست فى فلسطين

بقلم : عبد الرحمن شاكر

الشيء بالشيء يذكر .. فقد ناقشت في عدد مايو الفائت من « الهلال » كتاب « مقدمة في التاريخ الاخر ، نحو قراءة جديدة للرواية الاسلامية » . لمؤلفه الدكتور سليمان بشير ، الذي يحمل الجنسية الاسرائيلية ، واوردت ان النظرية التي افتعلها حول نشوء الاسلام في بلاد الشام « وتطوره » بين نصارى الشام على عهد عبد الملك ابن مروان ، انما يصدر فيها عن اعتقاده الذى عبر عنه بقوله : « ان دين التوحيد لم يخرج في نظرنا ولم يسبق ان خرج من الصحراء الى الهلال الخصيب»! كان من المحتم لدى ان تتمثل امامى النظرية المضادة التى كتبها مؤلف آخر ، ومؤداها ان دين التوحيد قد خرج كله من « الصحراء » اى من جزيرة العرب ـ مع التحفظ على وصفها كلها بالصحراء ـ ذلك هو الدكتور كمال سليمان الصليبي في كتابه « التوراة جاءت من جزيرة العرب » .

وقد سبق لى أن علقت على هذا الكتاب الاخير أيضا ، قبل أن أطلع عليه . وذلك حينما كتب عنه الاستاذ محمد العزب موسى مقالا « للهلال » . ودار تعليقي آنذاكحول كونه سواء لدينا ان تكون التوراة قد جاءت من عسير في الجنوب الغربى لجزيرة العرب ، أو في شمالها في فلسطين،فكلها بلاد العرب، وادعاءات الصهيونية يكفى في دحضها بيان ان غزاة فلسطين من الصهاينة ، المعروفين باسم اليهود الاشكناز ، انما ينحدرون من شعب الخزر في القوقاز ، الذين تهودوا في زمن متاخر بعد ظهور كل من المسيحية والاسلام .

غير أنه بالاطلاع على نص كتاب الدكتور كمال الصليبى ، تكون ذمة « الهلال » وذمتى قد برأتا تماما من شبهة الكتابة عن كتب ـ على السماع ـ أى قبل الاطلاع عليها كاملة ! لاجد فى هذا الكتاب الاخير ، اكثر بكثير مما قدرت حينما علقت عليه اول مرة . أجد نفسى امام عمل جاد كل الجدية ، بما لا يقارن به على أى وجه ، عمل ذلك الماجن المسمى سليمان بشير ، واكثر من

اليوم لا حقـــوق تاريخية لهم فى أرض فلسطين . والصـــحيح أن الحقـــوق التاريخية للشعوب تزول بزوالها . فيهود اليوم ليسوا اســـتمرارا تاريخيـا لبنى اسرائيل ليكون لهم شيء يســمى حقوق بنى اسرائيل . وذلك سواء أكانت أرض اسرائيل أصلا فى فلسطين أو فى غـير فلسطين ، وقـد رأيت أن هذا التوضيح، وان كــان بديهـــيا ، حـتى لا يساء فهم القصد من مقولة هذا الكتاب ، وهو قصد علمى بحت ، لا يمـت الى واقـع عصرنا هذا بصلة الا بقدر ما فى المقولة بطبيعة حـــالها من دحض للمفهــــوم الصهيونى المغلوط للتوراة ، وهو مفهوم تتبناه اليوم فئة كبيرة من اليهـــود ، ويتبعهم فى ذلك الكثيرون من جهـــلة المسيحيين فى الغرب » .



ذلك: ان كتاب الدكتور كمال الصليبى من الممكن جدا ان يدخل التاريخ باعتباره واحدا من الكتب التى تصـــنع مراحل التاريخ وتحدد معالمه ، مثل كتاب اصل الانواع لداروين وهـــذا الكتاب بين أيدينا كان يمكن أن يحمل اسم « أصل الاديان » ـ وكتاب رأس المال لكارل ماركس ، وهلم جرا .

ويبدى المؤلف فى مقـــدمته ، ودار النشر التى طبعـــت كتابه ، ضيقهم بالاشتباك السياسى المزدوج ، الـــذى ترتب على تأليف هـــذا الكتاب ، حيث بدأت ـ كما تقول مقدمة الناشر ـ «حملة اعلاميه واسعة ضد الكتاب ومؤلفه فى أجهـــزة الاعـــلام والدوائر الغـــربية والصهيونية ، داخل فلسطين المحتـــلة وخارجها ، والمؤلم فى الامر ليس قيـــام مثل هذه الحملة ، وانما وقوف أوســاط عربيه موقفا سلبيا من الكتاب » ، أما المؤلف فيقول : « والواقع أن هذا الكتاب يبحث فى الجغرافيا التاريخية للتـــوراة وليس فى أى أمر آخر ، بما فيـــه قضية الصهيونية . الغرض منـــه هو توضيح غوامض التاريخ التوراتى عـــن طريق اعادة النظر فى خريطـــة التـــوراة . وقد يستنتج القارىء من الكتاب أن يهود

● مبدأ خطأ

أما عن اعتراضـــات بعض الدوائر العربية فتنقل مقدمة الناشر عـن المؤلف قوله فى مجلة « الشراع » البيروتية « ان البعض يتهمنى بأنى أدل اليهـــود على عسير لكى يستردوها . وأنا أجيب بأن من يقول هذا القول فانما يعـــترف بحق الدوله الصهيونيه ويؤمن بصحتها من حيث المبدأ ، وهكذا نكون كمن يوافق على حق شعب فى أن يعـود الى الارض التى كان موجودا فيهـــا منذ الفى سنة . فالمبدأ خطأ ، فأنا لا أضع الكتاب لاقول لليهود عـــودوا الى عســـير واتركوا فلسطين . فعسير أرض عزيزه عليـــة على كارض فلسطين أو لبنان أو سورية، أو اية ارض عربية أخرى » .

وخلاصه الكتاب ـ كما يقول المؤلف : « أن البيئة التاريخية للتوراة لم تــكن فى فلسطين ، بل فى غرب شبه الجـــزيرة العربية بمحاذاة البحر الاحمر وتحديدا فى بلاد السراة بين الطائف ومشـــارف



اليمن ، وبالتالي فان بني اسرائيل من شعوب العرب البائدة ، أي من شعوب الجاهلية الاولى • وقد نشأت الديانة اليهودية بين ظهرانيهم ، ثم انتشرت من موطنها الاصلي ومنذ وقت مبكر الى العراق والشام ومصر وغيرها من بلاد العالم القديم » • ويقول في موضع آخر •

« ولابد في البداية من توضيح الفرق الاساسي الهام بين مفهوم «بني اسرائيل»، ومفهوم « اليهود » و « اليهودية » • فبنو اسرائيل كانوا في زمانهم شعبا دان باليهودية • وقد كان لهم بين القرن الحادي عشر والقرن السادس قبل الميلاد، ملك في بلاد السراة (أي في جنوب الحجاز وفي المنطقة المعروفة اليوم بعسير) • وقد زال هذا الشعب من الوجود بزوال ملكه ولم يعد له أثر بعد ان انحلت عناصره وامتزجت بشعوب أخرى في شبه الجزيرة العربية • وهذا تماما ما حدث لغيره من الشعوب البائدة أما اليهودية فهي ديانة توحيدية وضعت أصلا على أيدي أنبياء من بني اسرائيل» •

« **وأساس الكتاب ـ كما يقول المؤلف ـ هو المقابلة اللغوية بين أسماء الاماكن المضبوطة في التوراة بالحرف العبري ، وأسماء أماكن تاريخية أو حالية في جنوب الحجاز وفي بلاد عسير مأخوذة اما عن قدامى الجغرافيين العرب** (ومنهم الحسن الهمداني ، صاحب « صفة جزيرة العرب » ، وياقوت الحموي ، صاحب « معجم البلدان » ، أو عن المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية ، الذي بدأ في الظهور عام ١٩٧٧ م • وقد قام بجمعه عدد من العلماء السعوديين (حمد الجاسر ، ومحمد العقيلي ، وعبد الله بن خميس وعلي بن صالح السلوكي الزهراني) أضف الى ذلك « معجم معالم الحجاز » و « معجم قبائل الحجاز » ، اللذين صنفهما المقدم عاتق بن غيث البلادي ، و « معجم قبائل المملكة العربيةالسعودية الذي صنفه الشيخ حمد الجاسر • ومن أسماء الاماكن في جنوب الحجاز وعسير ما أخذته أيضا من الخرائط المفصلة لتلك المناطق » •

● اليهود وتحريف الكلم

ويستدل المؤلف على صحة نظريته بالقرآن الكريم ، فيقول : « والواقع أن القرآن الكريم يقول بكل وضوح ان مقام ابراهيم كان ببكة (سورة آل عمران ٩٦ ـ ٩٧) • وليس هناك في النص القرآني ما يشير الى أية علاقة بين بني اسرائيل وأرض فلسطين • ناهيك عن أن مفسري القرآن الكريم لم يستبعدوا وجودا لبني اسرائيل في غرب شبه الجزيرة العربية • والوجود التاريخي القديم في شبه الجزيرة العربية مشهود به في التواريخ العربية وفي الشعر الجاهلي • وقد كانت اليهودية ديانة آخر ملوك حمير باليمن • وربما كانت أيضا ديانة واسعة الانتشار في مملكة حمير منذ أن قامت هذه المملكة عام ١١٥ قبل الميلاد » •

ويمضي المؤلف قائلا : « ويقول القرآن الكريم ان هناك من اليهود من « يحرفون الكلم عن مواضعه » وأنهم يفعلون ذلك « ليا بألسنتهم » (سورة النساء ٤٦) وفي هذه الآية اشارة واضحة وبالغة الدقة في الوصف الى العمل الذي كانت تقوم به فئة دون غيرها من أحبار اليهود ، وهم المعروفون بالمسوريتيين (أي أهل التقاليد) • ابتداء بالقرن الميلادي السادس • وقد استمر المسوريتيون في عملهم هذا

حتى القرن العاشر · وبالفعل فقد قام هؤلاء بتحريف النصوص التوراتية عن طريق ادخال الحركات والضوابط عليها بصورة اعتباطية فى أحيان كثيرة · مما غير اعراب الجمل وحور المعاني · ولم يرق عمل المصوريتيين هذا لغيرهم من أحبار اليهود المعروفين بالربانيين فى البداية · لكن الربانيين قبلوا ماعمله المصوريتيون مع الوقت ، بحيث أصبح النص التوراتي المصوريتي المضبوط من التوراة هو النص المعتمد من اليهود · وقبل المسيحيون أيضا بهذا النص المصوريتي للتوراة ، وأخذوا عنه ترجماتهم المعتمدة للعهد القديم من الكتاب المقدس · وعلماء التوراة اليوم ، بمن فيهم العلماء اليهود، يعرفون تماما أن ضبط المصوريتيين للتوراة لم يكن صحيحا فى مواقع كثيرة، وقد قامت عدة محاولات لاعادة النظر فى هذا الضبط ، خصوصا من قبل العلماء الذين حاولوا ومازالوا يحاولون تصحيح ترجمة الاسفار التوراتية · لكن هذه المحاولات لم تف بالمطلوب حتى الآن ، لان التحريف الذى أدخله الضبط المصوريتى على النص التوراتى هو أضخم بكثير مما يتصوره علماء التوراة » ·

« وبناء على ذلك فقد عمدت فى معالجتى للنصوص التوراتية فى هذه الدراسة الى اهمال الضبط المصوريتى لهذه النصوص · واجتهدت قدر الامكان فى فهم المقصود منها كما وردت أصلا بالاحرف الساكنة · نتج عن ذلك فهم جديد لمقاطع توراتية عديدة · وذلك زيادة على النتائج التى توصلت اليها بشأن جغرافيا التوراة التى هى موضوع الكتاب » · ليمضى قائلا : « ومن علماء التوراة من يفترض بأن المصوريتيين لم يكتفوا بتحريف النص التوراتى حسب ما ارتأوا ، بل انهم ذهبوا الى أبعد من ذلك فغيروا الاحرف الساكنه فى بعض الاحيان · وربما حدث ذلك بالفعل دون أن يمس بأسماء الاماكن · والدليل على ذلك هى ان الاكثريه الساحقة من اسماء الاماكن التوراتيه مازالت موجوده الى اليوم ، بشكل او باخر فى غرب شبه الجزيره العربيه » · بينما ـ كما يقول فى موضع اخر : « الاراضى الشماليه للشرق الادنى قد مسحت وحفرت من قبل اجيال متوالية من اقصاها الى اقصاها . وان الحضارات المنسية قد نبشت من تحت الارض ودرست وارخت ، فى حين انه لم يعثر فى أى مكان على أثر واحد يمكن ان يصنف جديا على انه يتعلق مباشرة الى أى حد بالتاريخ التوراتى ، واكثر من ذلك ، فان التوراة العبرية تذكر الالاف من أسماء الامكنة وليس بين الاسماء هذه أكثر من قلة قليلة مع أسماء أمكنة فى فلسطين · مع العلم أن أسماء الامكنة هناك ، مثلها مثل أسماء الامكنة فى كل انحاء الشام ، هى فى معظمها أسماء عريقة جدا فى القدم، وهى فى معظمها كنعانية أو آرامية فى بنيتها ، وليست عربية · وحتى فىالمواقع القليلة التى تحمل فيها مواقع فلسطينية أسماء توراتية فان الاحداثيات المعطاة فى النصوص التوراتية للأماكن التى تحمل هذه الاسماء فى اطار الموقع أو المسافة المطلقة أو النسبية ، لا تنطبق على المواقع الفلسطينية · وفى حالة بارزة وهى حالة بئر سبع الفلسطينية ، فان بلدة يظهر اسمها ببروز فى الروايات الآبائية لسفر التكوين ، بالتالى يفترض أن تعود أصولها الى أواخر العصر البرونزى على الاقل ، لم يعثر فيها الا على مواد أثرية تعود بتاريخها الى المرحلة الرومانية على أبعد حد · وقد اضطر علماء الآثار فى السنين الاخيرة

قبيلة عربية بائدة

الى التنقيب على بعد خمسة كيلو مترا تقريبا عن بئر سبع للعثور على مواد اثريه يعود عهدها الى زمن التوراة ، دون أن يعثروا على أى برهان قاطع بأن لهذه المواد أقل علاقه بالتوراة أو بتاريخ بني اسرائيل » .

ثم يمضي المؤلف في بقية كتابه مدللا على أن كل الاماكن المذكورة فى التوراة ولم يتم العثور عليها فى فلسطين يمكن العثور عليها في عسير ، بل انه يذهب الى أبعد من ذلك في قصة خروج بني اسرائيل من مصر : فعنده أن تلك القصة قد وقعت فى مكان ما بعسير وما جاورها وليس من مصرنا المعروفة ، يقول :

« وبالنسبة الى اسم المكان مصريم ، لابد من لفت الانتباه الى أنه نادرا ما استخدم فى التوراة العبرية للاشارة الى « مصر » ، كما يفترض عادة . وحيث لا تشير الكلمة الى المصرمة فى جوار أبها وخميس مشيط ، فهى تشير الى قصر فى وادى بيشة ، أو الى المضروم فى مرتفعات غامد ، أو الى آل مصرى فى منطقة الطائف . و « فرعون » التوراتى (فرعه) ، كما سيذكر لاحقا ، لم يكن ملك مصر ، بل يبدو أنه كان الحاكم المتسلط فى وقت ما على « المصرمة » وجوارها ، امتدادا الى « مصر » فى حوض وداى بيشه . فرع (فرعء) اسم لقبيلة مازالت موجودة فى وادى بيشه الى اليوم . واسم هذه القبيلة لا يختلف عن فرعه التوراتية ، ولعله استمرار فى الوجود للقب حكام هذه الناحية فى الازمنة الغابرة .

وكذلك « الأردن » ، وهى عنده ليست اسما لنهر ما ، بل لفظة تعنى «الجرف، القمة ، المرتفع » أو هى اسم مكان مثل ريدان يحمل المعنى نفسه » .

أما عن فلسطين فعنده أن الاصل فى هذه الكلمة هو مكان فى عسير اسمه « الفلسة » كان أهله جيرانا لبنى اسرائيل هناك ، فنسبوهم اليها بالعبريه فقالوا « فلشتيم » ، أى الفلستيون » ، وكما يقول مترجم الكتاب عن الانجليزيه: « هذه هى الترجمة الصحيحة لكلمة ، التى ترد عسادة فى الترجمة العربية للتوراة العبرية «الفلسطينيون» ، مما يوحى بالنسبه الى ارض فلسطين خطأ ، والواقع هو أن اسم ارض فلسطين هو تحريف لاسم شعب الفلستيين وليس العكس »

وتفسيرا لظهور هذا الاسم وغيره فى فلسطين الحاليه ومنطقة الشام عامة يقول المؤلف : « ومهما كان شأن الهجرات الاولى من شبهالجزيرة العربية الى الساحل الشامى ، فان الهجرات الفلستية والكنعانية الى هناك لابد أن تكون نمت حجما عبر الزمن . واستنادا الى الكتب التاريخية للتوراة العبرية ، فالواضح أن المملكة الاسرائيلية أسست فى غرب شبه الجزيرة العربية بين أواخر القرن الحادى عشر ومطلع القرن العاشر قبل الميلاد ، والى حد كبير على حساب مجتمعات مثل الفلستيين والكنعانيين الذى كانوا من سكان تلك الاراضى أصلا ، ولعل هجرة هؤلاء الفلستيين والكنعانيين من شبه الجزيرة الى الشام ، ازدادت حجما فى تلك الفترة على اثر الهزائم المتتالية التى ألحقها بنو اسرائيل بهم فى مواطنهم الاصلية .

« وفى فلسطين يبدو أن الفلستيين أطلقوا على عدد من مستوطناتهم (مثل غزة وعسقلان) أسماء هى فى الاصل أسماء لاماكن فى غرب شبه الجزيرة

العربية جـــاءوا منها • والقـــرية الفلسطينية « بيت دجن » (ومعبد) دجن أو داجون ، قرب يافا ، مازالت تحمـــل اسم الههم في غـــرب شبه الجـــزيرة العربية ، وفي شـــمال فلسطين أعطى الكنعانيون أيضا أسماء من غرب شبه الجزيرة العربية لبعض مستوطناتهم ، وهي أســماء مثـــل : صور وصيدون وجبيل وأرواد ولبنان ، وعندما بـــدأ اسرائيليو غرب شبه الجزيرة العربيـــة (وربما يهود آخـــرون من غـــير بنى اسرائيل) بالهجرة الى اتجاه الشـــمال للاستيطان في فلسطين ، كائنا ما كـــان زمن الهجرة ، أطلقوا بدورهم أيضـــا أسماء من غرب شبه الجزيرة العربيـــة على بعض مستوطنـــاتهم الفلســـطينية (وليس كلها بالتأكيد) أو على أوابـــد دينية محلية استولوا عليها وعرفـــوها بأوابد يهودية في غرب شبه الجـــزيرة العربية ، وهي أســـماء مثل يهسوده ، ويروشليم ، وبيـــت لحم ، وحبـــرون (الخليل هو اسمها الحالي بالعربية ، وشمرون وتعريبها السامرة ، وجزريم وعيبل ، والكرمل (كرمـــل) ، وربمـــا الجليل (جليل) ، وحرمون والاردن (هـ ـ يردن) والظاهرة هذه مرتبطـــة بالهجرة في كل زمن ، وفي كل أنحـــاء العالم ، فالمهاجرون دائمـــا يحنون الى اوطانهم الاصلية وكثيرا ما يســـمون البلدات والاقاليم والجبال والانهـــار ، او حتى بلدانا وجزرا بأكملها بأسماء مألوفة حـــملوها معهم مـــن مواطنهم القديمة • ولم تكن هناك فوارق بعيـــده في اللغـــة بين غرب شبه الجـــزيرة العربية والشام في أيام التوراة » •

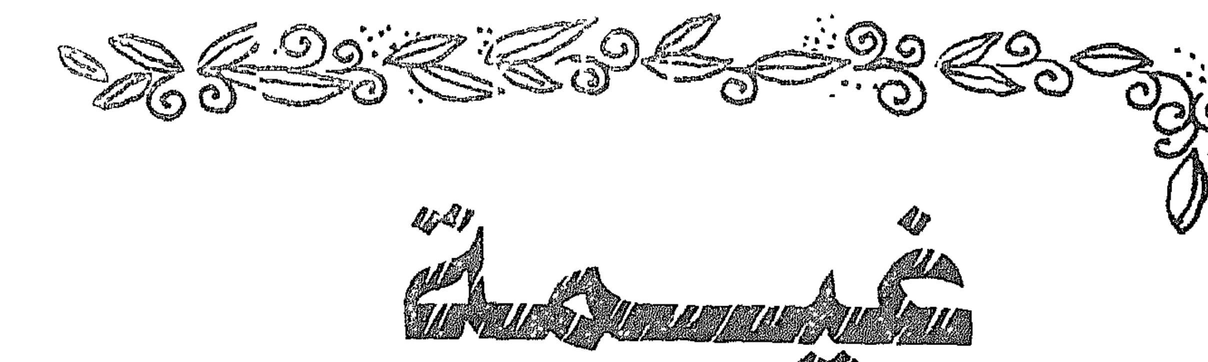
***

على أن المؤلف لا يجزم بكل ما انتهى اليه من نتائج ، اذ يقـــول في مقـــدمته « ومهما كان الامر بالنسبة الى صـــحة مقولة هذا الكتاب عـــلى وجه العموم فلابد انى وقعت في أخطاء كثيرة في التفاصيل » •

قد يكون من أخطـــاء المؤلف تأويله لقصة خروج بني اسرائيل من مصر ، كما تقدم ذكره ، بأنهـــا اسم مكان في عسير ، أو غرب شبه الجزيرة العربية . وربما يكونون قـــد خرجـــوا من مصرنا المعروفة واتجهوا جنوبا الى عســـــير بدلا من الشـــــام ، وبذلك ينتفي بعض التناقض بين القصور الديني لقصـــــة الخروج ، ونظريته التي تفسر كثيرا مما يحتويه هذا التصور ذاته ، مثل الحاق مملكة سبأ بملك سليمان فاليمن تقـــع مباشرة جنوب عسير ، وتسمية المسجد الاقصى في القدس بهذا الاسم ، بـــأنه اقصى ما وصـــل اليه الموحـــدون الذين انطلقوا من جزيرة العرب ، وهلم جرا •

علي أن الكتاب يبقى في النهاية دعوة مفتوحة لعمل كبير ، حيث يقول فيخاتمة كتابه : « يمكننا طبعـــا أن نتابع اعادة تأويل جغرافيا التوراة العبرية في اطار غرب شبه الجزيرة العربية بـــدلا مـــن فلسطين • لكن مثل هذا العمل يخـــرج عن الغرض المحـــدود لهذا العمل الذى لا يتعدى اظهار واقع الامر عن طـــريق ما يكفي من التفاصيل » •

هذا العمل لاينبغي أن يترك للمغرضين من الدخـــلاء الذين اغتصبوا ويغتصبون اليوم فلسطين باسم اسرائيل ، وهو كما يقرر مؤلف الكتاب لا يعدو أن يكون اسم قبيلة عربية بائدة ، وتفسيره التقليدى هو « سرى الله » ، ومازال قـــوم في جزيرة العرب يعرفون هم وبلادهم باسم السراة حتى الآن ! تاريخ هذه القبيـــلة وكتابها هو جزء من تاريخ الامةالعربية وتراثها ، ينبغى لهذه الامة أن تأخـــذه في أيديها ، بما يجب عليها ، كجزء من نضالها لاسترداد كافة حقوقها •



غيمة

شعر : ماجدة بركة

ضع فى جيبك هذى الغيمه
ضعنى فى جيبك
انى المفتونة ابدا ..
مطرا - صيفيا - كنا
واذن .. هل يبتهج الاطفال بنا
ام أنا جئنا فى غير أوان ؟
ضع فى جيبك هذى الغيمة
ضعنى فى جيبك
خبئنى منى . من نفسك
فى عينيك .. اتبدى الوانا
فاكهة الموسم أصبح
تينا .. رمانا . عنبا
أو اوراق خريف تسقط
اعكس عينيك وتعكسنى
أصبح .. خضراء بلون الأحراش
زرقاء بلون هدوئك
سوداء بلون الخشب المحروق !
أمسك بشعاعى المتبدد
لاتفلتهُ فأضيع
ضع فى جيبك هذى الغيمة
ضعنى فى جيبك
انى احببتك حتى اخر كلمة
فى كتب الله
حتى اخر ومضة صدق فى اسطورة



لاتهدرنى قطرات فى الرمل
تغذوك صباح مساء وتستانس فيك
بغير استئذان
خذ منى قبسا يضوى فى عينيك الساهمتين
ولايغرب
ضع فى جيبك هذى الغيمة
ضعنى فى جيبك
انى المذهولة ابدا
انى المرتعبة ابدا فى بستان الرمل
سرت طويلا لأحج اليك
فأرحنى عندك سنوات او لحظات
فلكم ارهقنى الترحال !
قدم لى كوبا من شاى دافىء
ودثارا
اشعل لى نارا
واحك احاديثك حتى انعس
انى اشتقت الى النوم
داعب خصلاتى حتى تطرد منى عفريت الخوف
واسكن فى قلبى هذى الليلة فالليل طويل
ومحطتنا لاتثبت
اليوم هنا
وغدا .. فى غير مكان
ثبتنى لاطير
والخيط بكفيك
طائرة ورقية
ترسم غيمة
وتجوب الدنيا
لتعود اليك
ثبتنى فى بؤبؤ عينيك
وشما فى صدرك : غيمة
حتى .. لا اهدر فى الرمل

سينما مؤجلة إلى متى؟



بقلم : مصطفى درويش

عندما أعددت نفسى لأكتب هذه الكلمات عن « السينما المؤجلة » لصاحبه الناقد « محمد سويد » ، قفزت الى ذهنى من ظلمات الماضى القريب نتائج استفتاء أجرته مجلة « اليوم السابع » لمعرفة أفضل عشرة أفلام فى تاريخ السينما العربية (٢٢ فبراير و ٢ مارس عام ١٩٨٧)

تركت قلمى حيث كان وطالبت نفسى أن تبحث عن الخيط الذى ربط فى خواطرى المنسابة بين هذا الاستفتاء ونتائجه وبين ما كنت قد هممت بكتابته عن « السينما المؤجلة » .

وبعد تفكير بدت أمامى رابطة أرجّح انها هى الخيط الذى جذب نتائج استفتاء « اليوم السابع » فى سيل الخواطر .

فما هى هذه النتائج ، وما هى الرابطة بينها وبين دراسة الناقد البيروتى ، تلك الدراسة التى تدور وجودا وعدما حول ما يسمى بالسينما اللبنانية فى زمن الحرب ؟

الافلام العشرة التى هزت السينما العربية وفقا للاستفتاء .
وحسب عدد الأصوات الحاصلة عليها ممن جرى استفتاؤهم هى (١) المومياء شادى عبد السلام (٢) الارض ـ يوسف شاهين (٣) باب الحديد ـ يوسف شاهين (٤) المخدوعون ـ توفيق صالح (٥) بداية ونهاية ـ صلاح ابو سيف (٦) العزيمة ـ كمال سليم (٧) أحلام المدينة ـ محمد ملص « سوريا » (٨) الحرام ـ هنرى بركات (٩) عمر قتلته الرجولة ـ مرزاق علواش « الجزائر » (١٠) كفر قاسم ـ برهان علوية « لبنان »
وقراءة سريعة لهذه النتائج يتبين منها اولا ، ان سبعين فى المائة من مجموع هذه الأفلام لمخرجين من اهل مصر .
ثانيا ٠ ان فيلما واحدا « كفر قاسم » (١٩٧٤) لمخرج من اهل لبنان ، وبالتحديد جنوبه « برهان علوية » .
ثالثا : إن جميع الأفلام الفائزة ، فيما عدا « العزيمة » الذى انتجه « ستديو مصر » (١٩٣٩) و « باب الحديد » الذى انتجه واحد من اهل فلسطين « جبرائيل تلحمى » (١٩٥٦) - جميعها من إنتاج مؤسسات القطاع العام على امتداد الوطن العربى من مشرقه « سوريا » حتى مغربه « الجزائر » ، مرورا بقلبه « مصر »
رابعا : إن « كفر قاسم » إنتاج مشترك بين مؤسسة السينما فى سوريا ومخرجه ..

وهو فيلم لايعرض لمحنة الشعب العربى على ارض لبنان ، وانما يعرض لمأساة الشعب العربى فى ارض اخرى ، هى ارض فلسطين المحتلة ، فى أيام لها تاريخ فيما بين قرار تاميم قناة السويس وقرار العدوان الثلاثى على الشعب العربى فى ارض مصر .
وعنه قال صاحب دراسة « السينما المؤجلة » انه فيلم « بقى فى اطارد الفردى ، ولم يشكل فى حد ذاته التيار المؤثر والقابل للاستمرار »

● عبقرية المكان

ويستفاد من هذه القراءة أن سينما القاهرة لها نصيب الاسد فيما هو ممتاز وذو تاثير على مسار السينما فى الوطن العربى من الافلام ، اما ما عداها من مراكز سينمائية فى دمشق وبيروت والجزائر العاصمة وغيرها من امهات مدن هذا الوطن الفسيح ، فهى بإنتاجها المتقطع القليل ، ذى التاثير الضئيل ، لاتعدو أن تكون روافد سينمائية لتيار سينما القاهرة الجارف
ولا غرابة فى هذا ، ففن السينما قد ظهر فى الوطن العربى أول ما ظهر على أرض مصر سنة ١٩١٢ اى قبل التاريخ الرسمى لظهوره على أرض لبنان بفضل فيلم « مغامرات الياس مبروك » (١٩٢٩) لصاحبه « جوردانو بيدوتى » المنحدر من اصل ايطالى ، والذى « كان يعمل سائق سيارة مياومة عند عائلة چاك تابت بحى السراسقة فى الاشرقية » .
وهنا من المفيد التاكيد مرة اخرى على ان انطلاق الأنتاج السينمائى فى الوطن العربى بدءا من ارض مصر لم يأت من فراغ فمصر بحكم وضعها الجغرافى المركزى الذى يجعلها بمثابة القلب من الوطن الكبير .

وبحكم التقدم النسبى لاقتصادها . ومتعة مدنها الكبرى المشعة ثقافه وفنا وبهجة ، فضلا عن تعرضها لتاثير الافكار الحرة السائدة فى العالم وبالتحديد اوروبا ، بحكم ذلك كله كانت مؤهلة لان تكون قاعدة وطليعه للوطن العربى فى الفنون ، لاسيما ما كان منها متصلا بالفن السابع .

● لبنان . أولا

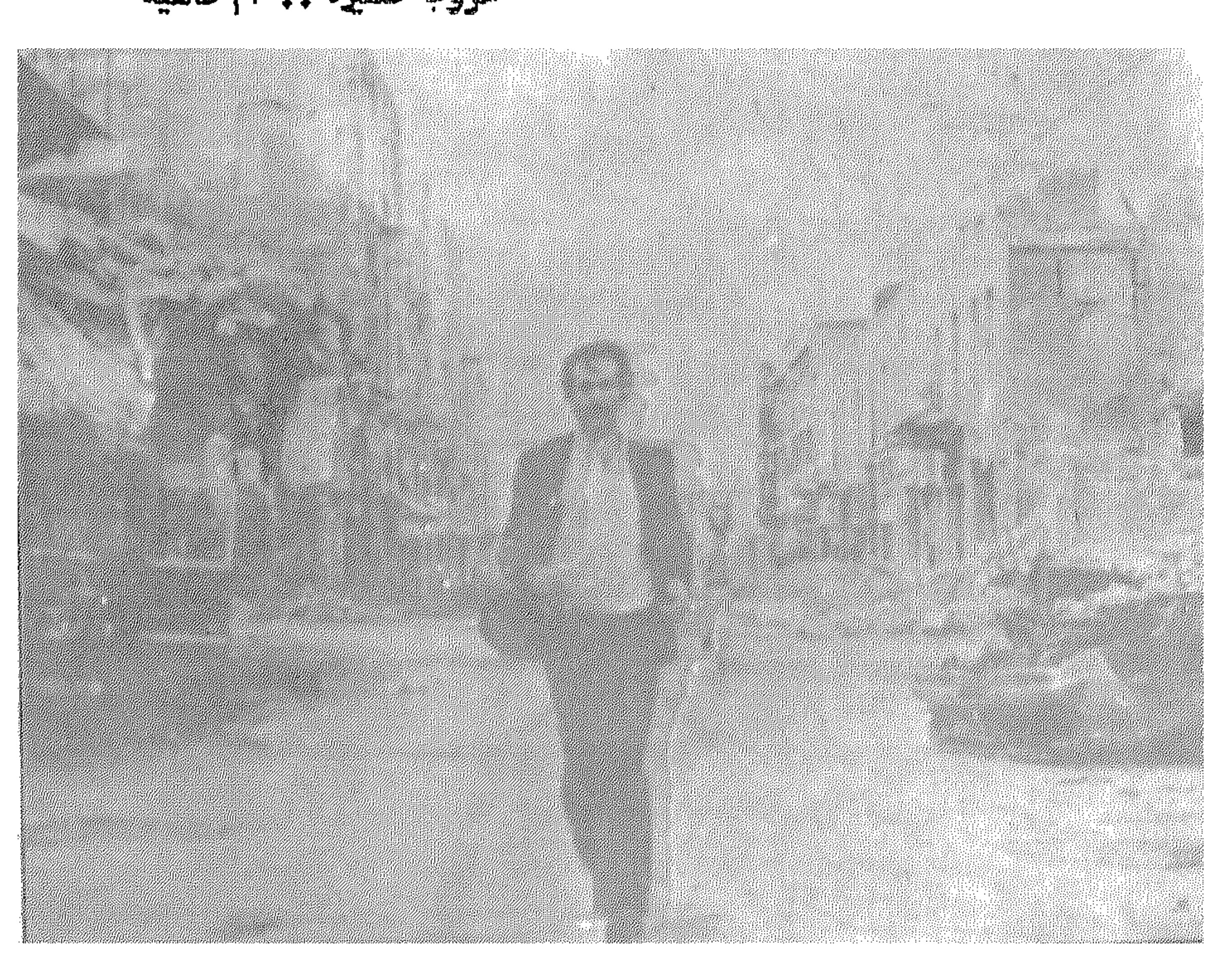
والعجيب .. العجيب ان هذه الواقعة التى لا منصرف عنها ، ولا تخلص منها قد وجدت من يعارضها . يكابر فيها وأين ؟

على أرض لبنان حيث ثمة اسباب طبيعية حتمت وجود الفيلم التجارى على مراحل متباعدة زمنيا

او كما يقول الناقد صاحب الدراسه بحق « من السابق لاوانه الاشارة الى سينما لبنانية فعلية . يقوم فيها الانتاج على تراكم منتظم (ص ٤٦ ، ٤٧) ومتى ؟

عندما صدرت قرارات التاميمات الكبرى فى مصر (١٩٦١) لتشمل صناعة السينما . فكان أن انتهز اقتصاد الخدمات فى بيروت الفرصة ، ففتح الابواب لبعض الطيور المهاجرة من القاهرة مما عكس ازدهارا عابرا فى انتاج سينمائى هابط بلا هويه

حروب صغيرة .. أم طائفية



وعن هذه الفترة من عمر السينما في بيروت كتب صاحب الدراسة قائلا

« لبنان الستينيات ومطلع السبعينيات عرف فترة فنية غنيه ، لكنه كان على صعيد السينما يعيش مرحلة انحطاط في الأنتاج رغم غزارته واختلاطه بالتجربة المشتركة مع السينما المصرية (يقصد السينمائيين المهاجرين من مصر تخوفا من التاميم) ولصاحب الدراسة تفسير لظاهرة معاناة السينما على ارض لبنان من انقطاعات مفاجئة تستبعد اى تواصل او استمرارية او تكامل في التجارب والأجيال ..

فهو يرجعها أولا الى وجود خلاف أصلا حول وطنية لبنان أو بتعبير ادق حول لبنان - الوطن (ص ٥٠)

وثانيا الى قيام تاريخ السينما في

لبنان على افلام وليدة ومغامرات فردية ، باء معظمها بالفشل بحكم انها لم تعط المردود الكافي لاستمرار عجلة الانتاج فضلا عن بقاء العديد منها اسير العلب ، كفيلم « برهان علوية » الاخير» «بيروت اللقاء » (١٩٨١)

باختصار هي افلام لاتشكل تيارا متجانسا يمكن ان يطلق عليه «تسمية السينما اللبنانية » .

الحرب القذرة

وفي محاولة اخرى منه لتفسير هذه الظاهرة أرجع تقطع مراحل الانتاج السينمائي في لبنان إلى كثرة الحروب « فما ان كانت الثلاثينيات حتى جاءت الحرب العالمية الثانية وعهد الاستقلال .

وما آن كانت الاربعينيات والخمسينيات حتى كانت احداث عام ١٩٥٨ ، وما آن كانت الستينيات مرحلة خصبة للإنتاج التجارى المشترك مع مصر ، حتى جاءت حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ثم كانت السبعينيات وتقلص نفوذ هذا الأنتاج لتحل مكانه بعض المحاولات اللبنانية المتواضعة التى لم تلبث ان عطلتها قذائف الحرب في ١٣ نيسان ١٩٧٥ » (ص ١٨)

والغريب آن يتبنى صاحب الدراسة هذا التفسير ، ولايكاد يفطن آن مصر قد تعرضت هي الأخرى للحرب العالمية الثانية ، فضلا عن حروب خمسة مع اسرائيل وحلفائها ، ومع ذلك لم ينقطع الانتاج السينمائي على آرضها رغم ما صاحب هذه الحروب من خطوب

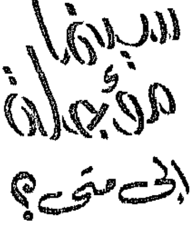
ومهما يكن من امر . فثمة حرب تصلح تفسيرا لتلك الظاهرة ، بل قل سببا لاعتبار السينما على آرض لبنان - بشروط انتاجها الحالية - معامرة محكوم عليها سلفا بالأعدام

في الفصل السابع والأخير من الدراسة وعنوانه « آفاق المستحيل يجنح صاحبها الى مزيد من اليأس

فلبنان يشهد احداثا تصرف الانتباه عن التطلع الى القضية القومية الكبرى ، يتفتت ، يقع فريسة افتعال نظريتي الخوف المسيحي . والغبن الاسلامي ، يغرق في دوامة حرب آهلية بين الطوائف ..

● نهاية حلم

ومع هذا التمزق والتشتت وفقدان



بيروت اللقاء

.. فيلم متشيع

الأصل ، ومن هذا الواقع المتشرذم الأفاق ، وعلى خريطته المبعثرة الأطراف . تورط سينمائيو لبنان فى

توازنات ومعادلات هذه الحرب القذرة ، سقط رائدو السينما البديلة أو الأخرى فى مستنقع « طوائفية المرحلة » عندما قاموا فى أفلامهم برسم صورة للتفكك والتجزئة الطائفية فى بنية لبنان على وجه كان لامفر معه مثلا من « ملاحظة مسيحية » « ثريا » فى « حروب صغيرة » للمخرج « مارون بغدادى » او شيعية « حيدر » فى « بيروت اللقاء » وكذلك مسيحية البطلة وأسلامية البطل فى « الانفجار » للمخرج « رفيق حجار »

ومع بقاء « بيروت اللقاء » فى علبه ورفض حروب صغيرة » فى منطقتى بيروت الشرقية والغربية ، بدا طغيان نجاح « الانفجار » ، فى بيروت الغربية على نجاحه فى بيروت الشرقية بمثابة نوع جديد من الانقسام المناطقى بالنسبة للفيلم اللبنانى (ص ١٠٤)

واذا كان الامر كذلك بالقياس الى السينما البديلة أو الاخرى ، فالسينما كلها على أرض لبنان سواء اكانت سائدة ام نخبوية أم توفيقية ـ وقد اشتدت عليها أزمة تمزق المجتمع ، وأخذتها الخطوب والأهوال من جميع وجوهها ـ هذه السينما قد انكشف أنها بدون بنية تحتية ، بدون سوق لتصريف انتاجها .

وأى سينما بغير توافر هذين الشرطين مصيرها حتما إلى الزوال ، وذلك لانه كما جاء بحق ختاما للدراسة من العبث اختراق المستحيل بحثا عن آفاق ليست سوى اوهام ..



بقلم : د. سيد كريم

منذ اكتشف علماء المصريات في نهاية القرن الماضي "كتاب الموتى" ولا يزال هذا النص القديم البالغ الأهمية بعيداً عن متناول القارىء العربي ، رغم ترجمته لمعظم لغات العالم ..

ويقدم هذا الكتاب رؤية فلسفية متقدمة ، وتبين القوة الخفية التي تهب الحياة وتسير الكون ، ومغزى الموت والحياة والجزاء والعقاب .

يكتب هذه الدراسة القيمة الدكتور سيد كريم في محاولة لتقديم هذا النص القديم للقارىء العربي ، ومد وشائج التوحيد في العقيدة الدينية لمصر القديمة مع الرسالات الدينية الكبرى .

وهذه دعوة لكي يترجم هذا الكتاب ، ويقدم للقارىء العربي



الانسان المصرى عرف العطاء منذ ان شهد مولد الزمان فالمصرى صنع الحضارة لا في مصر وحدها بل فى العالم اجمع .. ان عطاء مصر للحضارة والانسانية دائم ومتجدد واعظم ماجادت به القريحة المصرية كان في مجال الاديان والعقائد .

فقصة الدين وتتبعها على مدار العصور تنهض على عبقرية اصيلة ووجدان مرهف لشعب وادى النيل وهى عبقرية لم تنقطع قط وستظل تؤدى دورها ما بقى نسيج حياة ذلك الانسان العظيم .

فشعب مصر أول من آمن بأن هناك الها واحد للجميع ، آمن بهذه الحقيقة قبل مولد الزمان فكان أول من نادى بالتوحيد ، توحيد الاله الواحد رع (لة) خالق الكون ، الذى رمز اليه بقرص الشمس المجنحة التى تتربع فوق عرش السماء لتعبر عن القوة الخفية التى تهب الحياة وتسير الكون والذى "لا تدركه الابصار"

لقد شد ذلك اللغز اهتمام الباحثين فى علوم اللاهوت وتاريخ الحضارات من قديم الزمان وهم يحاولون الوصول الى جذور تلك العقيدة وموطن نشأتها وعوامل تطورها وانتشارها فتقابلت نتائج بحوثهم عند مدينة "اونو" موطن العقيده واقدم ه فى تاريخ مصر .

وصفها المصريون القدماء بانها "افق السماء" وموطن نشأة جميع المعبودات والأرباب وخرج منها رسل المعرفة ومجمع القضاة ومنها خرج "اوزوريس" بأول رسالة للتوحيد .

وقد حددها مانيتون المؤرخ المصرى واخر من تولى مركز الكاهن الأكبر لمعبد اون ونقلها عنه المؤرخ يوسيبيوس عالم اللاهوت وتاريخ الاديان فى موسوعته "تاريخ العالم من الخليقة الى نزول المسيح"

وذكر يوسيبيوس فى موسوعته نقلا عن مانيتون ان رسالة التوحيد الأولى فى تاريخ البشرية نزلت فى مدينة اون فى عهد الكهنة المبجلين من انصاف الالهة عندما ارسل لهم الاله الخالق الملاك اوزير (اوزوريس) احد حملة العرش على شكل بشر لحمل رسالة التوحيد الأولى والتى بدأت بتعريف الخالق رب الأرباب بقوله :

كان الكون فضاء ازليا يغمره الظلام وتنعدم فيه الحركة حتى خلق الاله الاعظم نفسه بنفسه . فسارت الحركة الدائمة وغمر نوره الكون كله . ومن انفاسه انجب ملائكة التكوين او ملائكة العرش الثمانية .

وفى البداية كانت الكلمة والكلمة مصدرها الاله رب الأرباب قالها لكل شىء فكان كل شىء ، علم الانسان الحرف والكلمة والاسم والنطق ليقرأ رسائل الاله ويتلقى تشاريع السماء .

وهى الرسالة التى قدمت بها جميع الكتب السماوية الى البشر فكان شعب مصر أول شعب عرف الكتابة والقراءة .

ومن اون مهبط العقيدة خرج أول تقويم شمسى فى الوجود ظهر عام ٤٢٤٢ ق . م فبالعقيدة عرف المصرى حساب الزمن . وقسم الزمن الى سنوات والسنة الى ديكانات او اسابيع وايام كما قسم اليوم الى ساعات ودقائق وثوان ـ وهو التقويم وحساب الزمن الذى خرج من مصر الى مختلف الحضارات قديمها وحديثها ولم يجد له العالم بديلا الى يومنا هذا .

ومن عقيدة اوزوريس الأولى كان المصرى أول من عرف معنى الخلود



اتوم - وأوزيريس ..
أوزيريس (أوزيرا) حمل
أول رسالة للتوحيد
عرفتها البشرية ،
وعاش في منف

تمثال مجهول
للمعبود أوزيريس
(متحف دمشق)



الكاهن الاكبر لمعبد
اون يحمل الكتاب
المقدس بين يديه

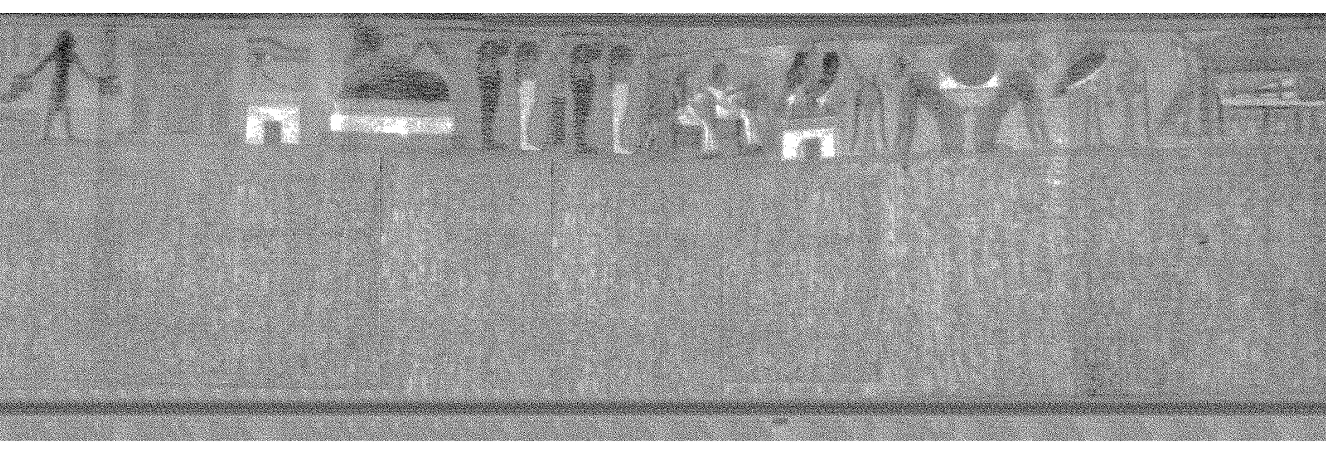
والبعث والحساب والجنة والنار والتى نادى بها الرسل ونادت بها الكتب السماوية التي ظهرت بعد رسالة توحيد اوزوريس بآلاف السنين .

● بداية تعاليم الإله

لقد حدد مانيتون تاريخ نزول عقيدة أوزوريس بإقامة معبد رع اله السماء عام ٩٥٠٠ من التاريخ الكهنوتى اى من ١٧٥٠٠ سنة في عصر ملوك الشمس أول ملوك ماقبل الاسرات . كما أن التشابه القريب بين اوزوريس واوصافه التى وردت فى برديات كتاب الموتى والنبى ادريس الذى ورد ذكره فى الكتب السماوية اتاحت الفرصة لكثير من كتاب العقيدة من تأكيد العلاقة بين شخصية كل منهما . وصف كتاب الموتى اوزوريس بأنه احد ملائكة العرش الثمانية وان الاله الأعظم رب الأرباب ارسله الى الأرض على شكل بشر ليحمل الى الناس رسالة السماء فعلم الناس القراءة والكتابة ليستمعوا الى تعاليم الاله وتشاريعه وعاش فى منف ليعلم الناس الزراعة وارتداء الملابس ثم صعد الى السماء ليأخذ مكانه فى محكمة الآخرة ليرأس محكمة البعث والحساب

فتلك الأوصاف تنطبق جميعها على النبى ادريس الذى وصفته الكتب السماوية والقرآن الكريم بأنه رسول نزل من السماء مناديا بالاسلام والتوحيد وانه علم الناس الحرف والكلمة والزراعة ولبس المخيط ويصفه القرآن الكريم بأنه « كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا » (مريم) كما وصفته بعض طوائف اليهود بأنه ابن الله « وقالت اليهود عزير بن الله (التوبة)

إن بداية تعاليم الاله فى رسالة توحيد أوزوريس هى القراءة والكتابة وهى الدعوة التى تصدرت جميع الرسالات السماوية ونادى بها جميع الأنبياء ، ووصفتها



برديات كتب الموتى في كل من تشريح افندتون وايموتب وآني وارقي بقولهم . اقرا فالقراءة اول مراتب الايمان بالله السماء . فالقراءة تنير لك طريق السعادة في الدنيا والخلود في الاخرة . .

وتقول التوراة : اقرأوا كلمات الاله واعملوا لها ودونوا تشاريعه لتكونوا على اتصال دائم برب العرش . .

ويبدأ القرآن الكريم بقوله ..... اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم .

● السياسة والعقيدة

وهكذا تكشف [illegible] رسالة للتوحيد عرفتها البشرية عندما [illegible] بها اوزوريس على ارض مصر المقدسة وسجلها في كتاب الموتى بالخط المنسوق والنقش المرسوم حتى لا تصل الى البشر عن طريق السماء .

وكانت عقيدة دينية او رسالة سماوية تخضع في تطورها الى مختلف [illegible] الدينية بجانب متغيرة السياسية من حيث في الصراع بين الطوائف مما يعمل على تفكك العقيدة واضمحلالها فقد تعرضت رسالة التوحيد الاولى الى [illegible] بتنوع السلطات الدينية بين مختلف الطوائف والمعابد والاقاليم فتتخذ كل منها معبودا خاصا يعبر عن صفة من صفات رب الارباب يرى الكهنة انها دون غيرها كالقوة والحكمة والعدالة والجمال والتناسل او الخصب او الفنون كما رمز [illegible]

[illegible] من مختلف الحيوانات والكائنات الحية والاسطورية والخرافية كالقطة والعجول والقرود والاسد والتماسيح . ومنذ اتخذت كل منها كرمز لرب الارباب ثم تحول الى معبود مستقل ومنافس لبقية المعبودات فتفككت العقيدة بتعدد

المعبودات وهو ماوصفه مؤرخو العقيدة بعبادة الأوثان .

لقد تبع اضمحلال العقيدة وتفككها في كل مرة تفكك وحدة البلاد وانفصال قطرى الوادى عن بعضهما وتحول البلاد والاقاليم الى اقطاعيات متباعدة ومتصارعة حتى يظهر رسول ينادى بالعودة الى الايمان بالاله الواحد .

وكان القائد "نعرمر" موحد القطرين أول من نادى بالعودة الى توحيد الاله . واتخذ القائد نعرمر (الملك مينا) موحد القطرين الصقر حورس شعار الحرية المقدسة لتوحيد البلاد بتوحيد العقيدة . فكانت في جوهرها حربا دينية او زحفا دينيا وليست حربا سياسية أو عسكرية لدعوة البلاد الى نبذ الهتهم المحلية ومعبوداتهم الأرضية والدخول فى عقيدة اله التوحيد اله السماء . ولذا فقد وجدت دعوته استجابة سريعة وبغير حرب فى اقاليم الدلتا والشمال وكان الفضل في ذلك لكهنة معبد اون الذين ناصروه وامنوا

بدعوته التى تنادى بالعودة الى توحيد الاله رع وقد رمز له بالصقر وهو يحمل فوق راسه قرص الشمس رع . وقد اتخذ نعرمر الصقر كرمز للتعبير عن الاله رع لان اسم الصقر "حور" معناه الرفعة والسمو كما ان اجنحته تمتد لتظل اطراف المعمورة لنشر السلام على الأرض وعيناه لا تغمضان طوال الليل والنهار وتعبران عن العناية الالهية التى لا تغمض عن حراسة المخلوقات والعناية بهم .

وعندما اتم نعرمر رسالته توج ملكا باسم مينا مؤسس الأسرة الأولى ونقل عاصمة بلاده الى منف لتكون بمثابة قلب العقيدة النابض على ارض مصر عند ملتقى القطرين الدلتا والصعيد ومن القابه التى وصفه بها كهنة اون انه ينتمى الى انصاف الالهة الذين يتلقون تعاليمهم من السماء .

لقد تفككت عقيدة توحيد أو رسالة نعرمر بنهاية الأسرة الأولى بعد أن استمرت الى مايقرب من ثلاثمائة عام كما

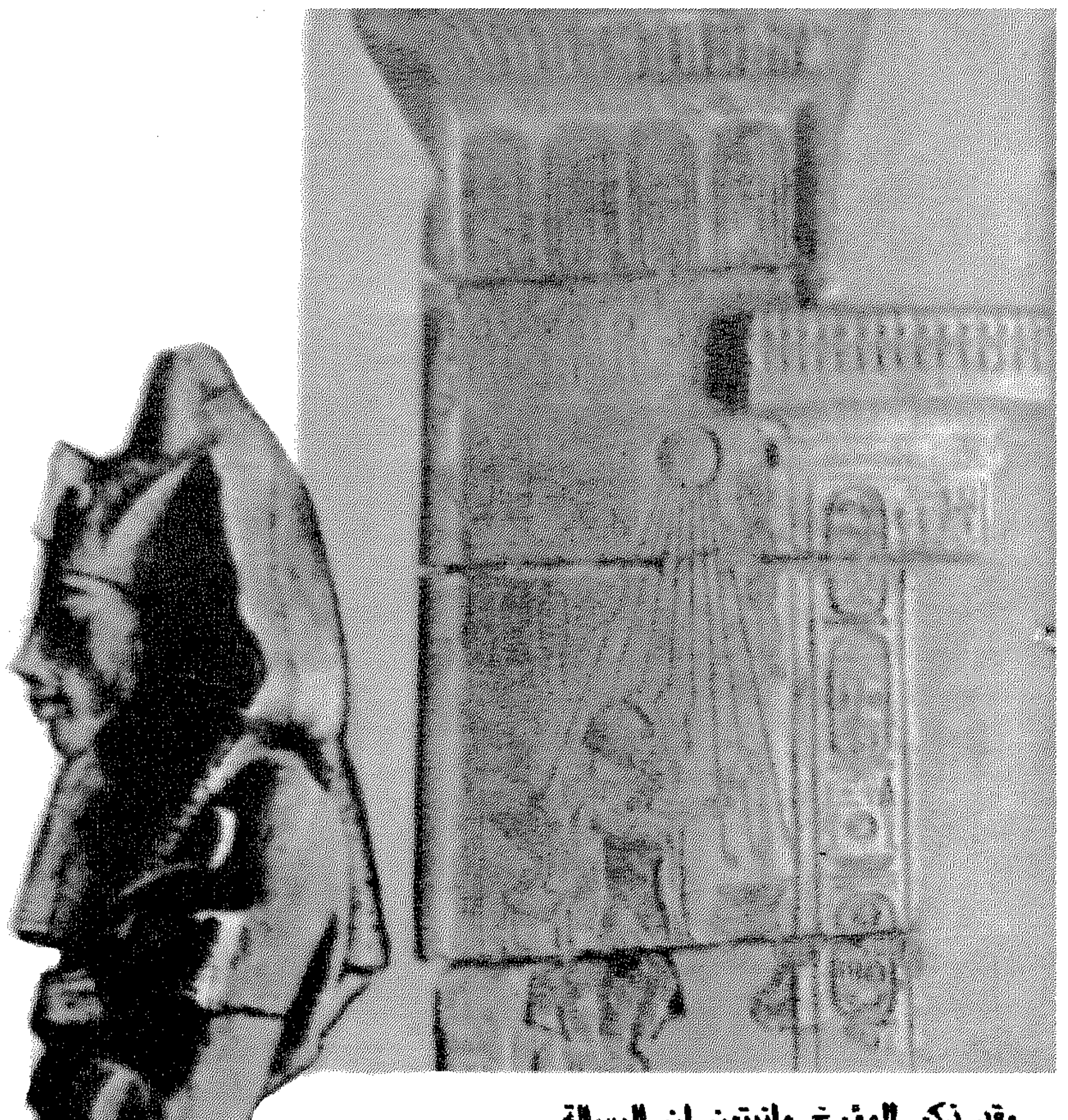


لوحة نعرمر "مينا"
وحد القطرين
بتوحيد العقيدة

إيمحوتب ٢٩٠٠ ق.م
عقيدة التوحيد ـ
عصر الأهرامات

ورد فى قوائم مانيتون فعادت الالهة والمعبودات تحتل مكانتها فى المعابد. وتعددت المذاهب والعقائد وما ارتبط بها من أساطير وطقوس للعبادة انفرد بها كل معبد وقد ظهر ذلك واضحا فى برديات الموتى ومتون العقيدة التى وجدت فى مقابر ذلك العصر.

ومع بداية الأسرة الثالثة ظهرت محاولة ثانية لتوحيد العقيدة بالرسالة التى حملها الحكيم "ايمحوتب" مستشار الملك زوسر ومن ألقابه المتعددة المهندس الأكبر والطبيب والفنان والقاضى وكاهن المعرفة المقدسة المطلع علّى اسرار الوجود بعد دراسته لعلوم المعرفة بمعبد أون "حصن عقيدة اوزوريس" وكان يحمل لقب احد كهنتها المبجلين



وقد ذكر المؤرخ مانيتون ان الرسالة التى قام بها ايمحوتب فى مختلف عناصر المعرفة من اللاهوت الى العلوم والطب والهندسة وفن البناء والتى كان ينسبها الى تشاريع رب السماء هى التى جعلت المصريين يؤلهونه بعد وفاته بعدة قرون واطلقوا عليه فى الأسرة ٢٦ بعد الفى سنة من وفاته لقب (بن بتاح) اى ابن اله الخلق والتكوين واتخذ منه الاغريق الها للطب واطلقوا عليه اسم "اسكليبيوس"

● عقيدة التوحيد .. شعار الدولـــــة

لقد وصف المصريون عقيدة التوحيد التى نادى بها ايمحوتب والتى اصبحت



اطلق الفراعنة على معبد أوزوريس "كعبة البعث" وبوابة العالم الآخر

شعارا للدولة بأنها النظام الادارى الخلقى العظيم الذى يعمل بتشاريع السماء واتخذ ايمحوتب من البناء الهرمى رمزا لاله الخلق فاقام أول هرم مدرج وهو هرم سقارة الذى تعبر درجاته السبع عن السماوات السبع وايام الخلق الستة التى جلس الاله على عرشه فى اليوم السابع وقد نقل ايمحوتب فكرة الاهرام كرمز لاله التوحيد من معبد أون الذى كان يحتفظ بهرم يعلو قمة مرصد المعبد وصفه كتاب الاغريق بانه كان مكسوا بمعدن خاص يعكس اشعة الشمس مع دورانها طوال النهار ويشع نورها طوال الليل .

كما أضاف بعض المؤرخين أن هرم اون المضىء الذى كان يمثل عرش الاله كان يوضع فوق درجات الهرم الست فى مناسبات الأعياد الدينية ولذا فقد وصفه البعض بأنه يرمز الى سلم الصعود الى عرش الاله . ووضع ايمحوتب شعارا لتوحيد الاله رع نقله عن كهنة اون وهو وضع هرم مصغر على قائم مرتفع والذى اطلق عليه الكتاب والمؤرخون اسم المسلة أى الابرة والتى اطلق عليها الفراعنة اسم اصبع العقيدة التى تشير الى عرش الاله فى السماء .

وقد استمرت رسالة توحيد ايمحوتب

فى الازدهار والانتشار ولا تختلف فى مضمونها عن عقيدة "ونعريص" من يعتبرها بعض علماء الكهنوت امتدادا لها كما بدا شأن الاله رع يرتفع سياسيا مع بداية الاسرة الرابعة حتى اصبح الاله الرسمى للدولة واضاف كل من ملوكها اسم "رع" الى اسمه المقدس وقد استمرت عقيدة توحيد الاله رع التى حمل رسالتها ايمحوتب حتى نهاية الاسرة السادسة . اى مايقرب من تسعمائة عام وفقا لقوائم المؤرخ المصرى مانيتون والتى انتهت بقيام الثورة الشيوعية الاولى التى منعت العبادات وحطمت المعابد وحرقت المقدسات.

● رسالة التوحيد

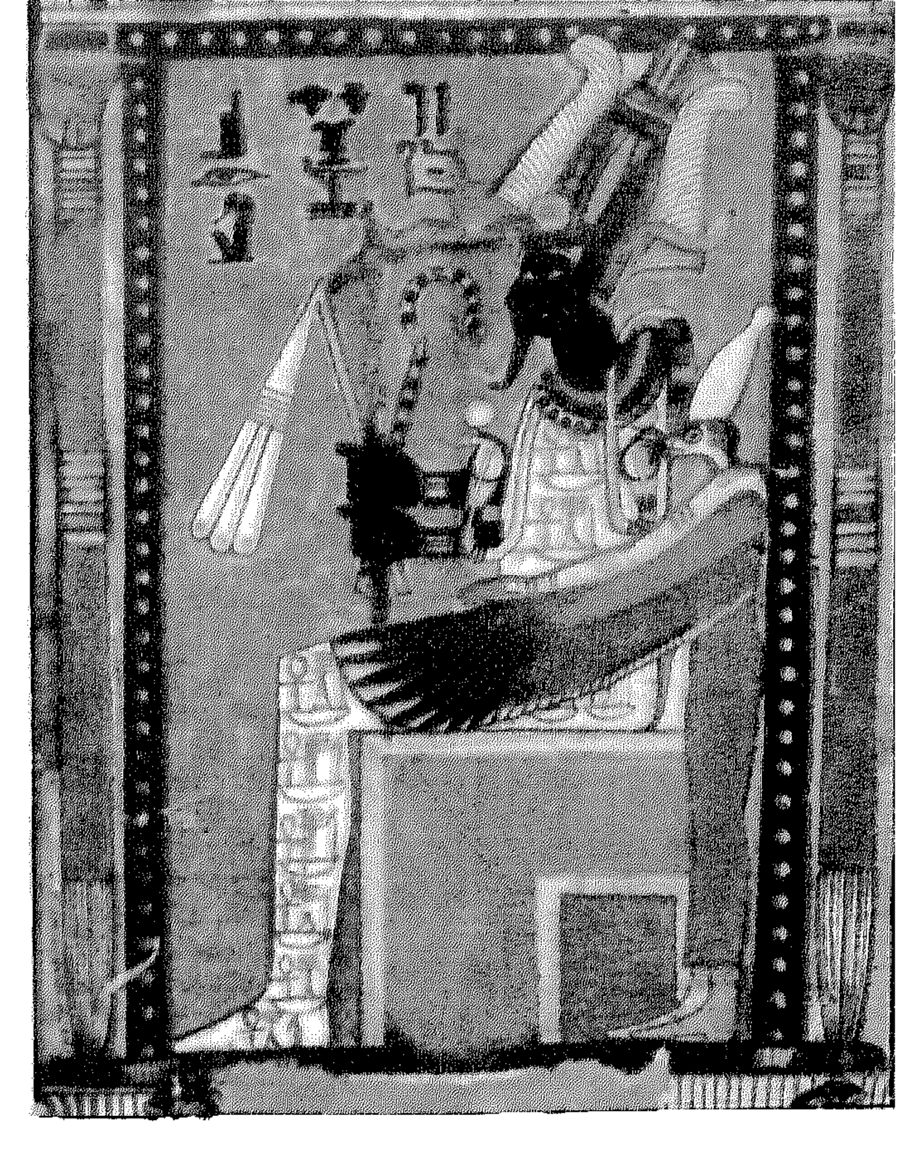
بدأت العقيدة تسير مع بداية عصر التحرير فى الاسرة الثانية عشرة ولكنها تعثرت وواجهها العديد من العقبات السياسية وتعدد نفوذ المعابد وتعددت صور الآلهة والمعبودات وفى مقدمتها نفوذ معابد امون وكانت عقيدة التوحيد تراوح فى السر خلال حكم امنحتب الثانى واستمرت حتى قيام دعوة التوحيد التى نادى بها امنحتب الرابع واصراره على الدعوة الى عبادة اله الشمس "الاله الواحد الذى لا شريك له" ويرمز له بقرص الشمس الذى اطلق عليه اسم اتون بدلا من رع ليعبر عنه بالقوة الكامنة خلف قرص الشمس لا الشمس نفسها فقرص الشمس ماهو الا رمز للاله وليس الاله نفسه الذى لا تدركه الابصار كما غير اسمه الى اخناتون اى حبيب الاله وعد الذى فكر بدين الاله اختاره ...

وقام اخناتون فى نشر رسالته على طول البلاد وعرضها معلنا بانها رسالة منزلة من اله التوحيد الى البشر وماهو الا رسول يحمل رسالة اله السماء الى الارض والتى تنادى بتوحيد الاله وتمجيد ذاته

وقام كمن سبقوه من رسل العقيدة بتحطيم تماثيل الآلهة وخاصة تماثيل آمون ايضا وحدث خاصة عندما حول كهنة آمون اسم امون الى امون رع حتى يكون ربا للارباب ومن بينهم رع وعمل على محو اسماء الالهة والمعبودات . ولفظة الالهة بصيغة الجمع من كل المعابد حتى يؤكد وحدانية الاله "اتون" وكانت التطرية التى تبناها اخناتون فى تحطيم تماثيل المعبودات هى القضاء على كيانها فى عالم الوجود وذلك كما تشير اليه الوثائق القديمة فى عالم السحر ، بان محو صورة الانسان تعنى القضاء عليه . وذلك ينطبق كذلك على الالهة لانها ليست الهة وليست لها حصانة من ربه الخلق وليست لها القدرة على الدفاع حتى عن نفسها .

وهو ماوصفه سيدنا ابراهيم عند تحطيمه تماثيل الكعبة وماقام به ايضا محمد عند زحفه المقدس . لقد استمر نزول رسالات التوحيد والكتب السماوية التى تدعو اليها والتى تتفق جميعها فى توحيد الاله الواحد خالق الكون ومتنادى به الرسالات جميعها بالبعث والحساب والخلود والعالم الاخر . ويحمل كلا منها رسول او نبى

ان اول رسالة او كتاب سماوى نزل بعد اخناتون كانت توراة سيدنا موسى والتى كشف بعض المؤرخين ان بعض صفحاتها تشترك فى الصيغة والمضمون مع رسائل اخناتون ، كما ان مزامير داود ثبت انها نسخة طبق



أوزوريس (أوزير) جالسا على عرش العالم الآخر تحميه أجنحة نخبت راعية الوجه القبلى (برديات كتاب الموتى) الاسرة ١٩ - ١٣٥٠ ق م (متحف اللوفر)

الأصل من اناشيد اخناتون وهو ما ادى بفرويد الى الادعاء بأن اخناتون ماهو الا موسى عليه السلام رغم أن موسى قد ولد بعد موت اخناتون بمائة وستين عاما .

وتوالى نزول الكتب السماوية فنزل الانجيل على سيدنا عيسى ثم القرآن الكريم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء .

إن جميع الكتب السماوية التى ظهرت منذ بدء الخليقة وفجر الزمان والتى تنادى بالتوحيد وتزويد البشرية بالتشاريع التى تحدد علاقة المخلوق بالخالق لا يختلف احدها عن الآخر الا فى علاقتها بالزمان والمكان .

ان اسباب تكرار او عودة نزول رسالة التوحيد وكتبها السماوية الى البشر من أوزوريس الى نعرمر الى ايمحوتب وانتهاء باخناتون وهو ليس أول من نادى بالتوحيد كما يصفه بالخطأ كثير من الكتاب والمؤرخين بل هو رابع من حمل الرسالة من قدماء المصريين - هى نفس الأسباب التى دعت الى تتابع نزولها بعد رسالة اخناتون من التوراة الى الانجيل الى القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية والتى حمل كلا منها رسول أو نبى .

وقد اشار الله عز وجل الى حاملى رسالة التوحيد من غير الرسل والانبياء الذين ورد ذكر اسمائهم فى الكتب السماوية بقوله :



فى الصورة العليا . البعث
والحساب وفى الصورة السفلى
صورة الكاهن انى ناسخ
رسالة بردية "كتاب الموتى"
كما صورته فى البردية ،
وهو يتقدم للدخول
إلى "محكمة الآخرة"

● **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان الله عزيزا حكيما » (النساء)**

● **« ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا بإذن الله » (غافر)**

● كتاب الموتى ورسالات العقيدة

- عندما بدأ مؤرخو الاديان دراسة أصول العقيدة عند قدماء المصريين والبحث عن جذور نشأتها لتتبع سيرة رسل العقيدة ورسالات التوحيد التى تقدموا بها والتى تأكد ، بالنسبة الى الفترة الزمنية التى نزلت فيها ، انها فوق تفكير البشر والمستوى الاجتماعى والثقافى والتى كانت تلك الرسالات أو كتب العقيدة نواة بناء حضارتها الانسانية . بدأ خيط البحث بالرجوع الى برديات النصوص الدينية التى اعتاد المصريون القدماء أن يزودوا بها موتاهم ، والتى كانت تكتب تارة على أوراق البردى ، وتارة أخرى على الرق كانت هذه البرديات توضع فى بعض الأحيان فى صندوق مخصص لها ، وأحيانا توضع مع الميت فى تابوته . وأحيانا توضع بين اللفائف التى تغطى الجثة المحنطة . كما وجدت لفائف تشكل كتابا او رسالة كاملة وضعت فى صندوق خشبى يستخدم ركيزة لتمثال أوزوريس الذى تمسه اليه الرسالة او الأب الروحى لرسالات التوحيد » . وفى بعض المقابر كانت النصوص والمتون تنقش على حوائط المقبرة نفسها أو تزين بها توابيت الموتى .

وكان اكتشاف اصول كتب العقيدة ومتونها بين برديات مقابر الموتى سببا فى اجماع علماء الآثار والحفريات ومؤرخى العقيدة على اطلاق اسم "كتاب الموتى" على كل كتاب أو رسالة أو بردية من برديات العقيدة . كما امكن الوصول لكثير من البرديات والنصوص لكتاب الموتى التى تعود معظمها الى رسالة دعوة ايمحوتب فى عصر الاهرامات ، فى كل من اهرامات أوناس وبيبى الأول ومنتى ام سانى . كما وجدت بعض النصوص فى تابوت الملك منقرع وهى البرديات التى اطلق عليها اسم "متون الاهرام" التى جمعها كل من ماسبيرو وماربيت عام ١٨٨٠ م . كما تم اكتشاف برديتين أخريين يرجع تاريخهما الى الدولة القديمة وهما برديتا هونيفر وثيبستى وقد ألقت كل منهما ضوءا على رسالة التوحيد التى بدأت فى الاسرة الأولى .

وفى سنة ١٨٨٨ اكتشفت بعثة المعهد البريطانى ضمن حفريات معبد ابيدوس نسخة كاملة لكتاب الموتى وهى البردية المشهورة باسم بردية آنى Papyrus Of Ani . وهى بردية واحدة طولها ٢٥ مترا وعرضها ٤٠ سم مدونة بالخط الهيروغليفى ومفسرة بالنقوش والرسوم المختلفة الالوان . ولم يتمكن علماء الآثار من تحديد تاريخ نزولها فنسبوا تاريخها الى عصر الحفريات التى وجدت بها اى عام ١٤٥٠ ق . م وهو الخطأ الذى وقع فيه علماء



العقيدة عند تحديد التاريخ الزمنى الفعلى "لكتب الموتى" . فوجود الكتاب الدينى أو برديات نصوص العقيدة فى أى مقبرة من المقابر كوجود القرآن والكتب السماوية الأخرى فى قبور موتى العصر الحديث . لا يعتبر تاريخ نزولها منتميا الى تاريخ المقابر التى وجدت بها ويجب العودة الى تاريخ صدورها أو نزولها وعلاقاتها بالتطورات أو الانقلابات السياسية والدينية التى تمخضت عن ظهورها ومن قاموا بحمل رسالتها والتى قد تسبق التاريخ المعاصر لمكان وجودها بآلاف السنين .

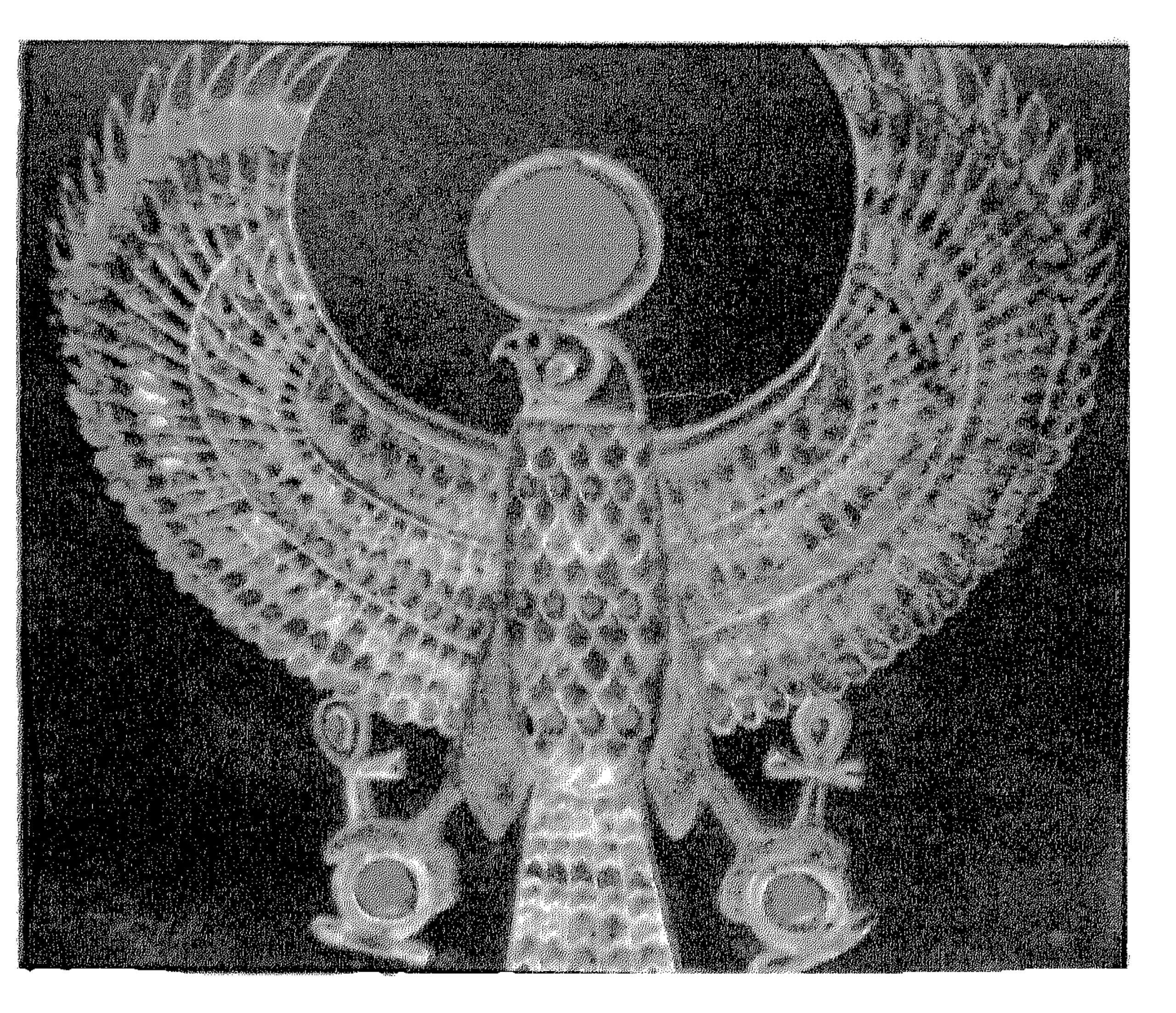
كما أن شخصية الحكيم آنى الذى ذكر ضمن ألقابه انه كاتب الملك ومستشاره ، ولم يذكر اسم الملك نفسه الذى سجلت البردية فى عهده . هو مايؤكد أن آنى ليس بحامل الرسالة بل انه الكاتب الذى نسخها ورسمها .

وتحمل كتب الموتى اكثر من اسم بعيد عن اسم كتاب الموتى الذى أطلقه عليها الكتاب والمؤرخون ، منها كتاب المجيء الى وضح النهار وطريق النور ورحلة الروح الى العالم الآخر . وكتاب الطريقين وخلود الروح .

وكتاب المجيء الى وضح النهار كان الغرض منه كما وصفه كاتبه ، تسهيل مرور المتوفى الى العالم الآخر وضمان راحته وسعادته .

ويشمل كتاب الموتى وصفا كاملا لرحلة الروح فى العالم الآخر بعد تعريف البشر بالإله الواحد خالق الكون ـ كيف خلق نفسه بنفسه وخلق الكون والكائنات ولم يكن بجواره أحد ـ يعرف المخلوق بالخالق ويعرف المخلوق بنفسه ـ يشرح الكيان الانسانى وعلاقة الروح بالنفس والجسد كما ينتقل الكتاب الى وصف كامل لرحلة الروح الى العالم الاخر وهى الرحلة التى سجلها حامل الرسالة على شكل تجربة شخصية وواقعية كرحلة الاسراء والمعراج التى مارسها بنفسه على انه قد مات فعلا وانتقلت روحه الى العالم الآخر ليقوم برحلة القدر والمصير ابتداء من مفارقتها للعالم الأرضى حتى وصولها الى عالم الخلود .

تبدأ الرحلة فى مرحلتها الأولى بعد انتقال الروح فى سفينة الشمس عبر الفضاء الأزلى بدخول آنى الى قاعة



صور رمز التوحيد
اتخذ الملك مينا الصقر (حورس) رمزا لإله التوحيد فى الأسرة الأولى عندما قام بتوحيد البلاد وبتوحيد العقيدة

التحضير والرؤيا وفيها تواجه الروح قضاة التطهير فى قاعة الأبواب الاثنى عشر التى تمثل البروج السماوية التى ينتمى الناس الى كل واحدة منها قبل نزوله الى الأرض وينتقل منها الى محكمة الآخرة مرورا بالسماوات السبع وطبقات الجنة والجحيم التى صورها كتاب الموتى تصويرا تعبيريا دقيقا سنأتى على شرحه وتقديمه مع الدراسة التحليلية المقارنة لوصف كل منها فى مختلف الكتب السماوية .

ويختتم كاتب الرسالة رسالته بأن الاله الاعظم بعد أن اطلعه على اسرار الوجود والعالم الآخر وحقيقة البعث والحساب بعثه مرة أخرى وارسله الى الأرض ليسجل رسالة الاله للبشر بعدما زوده بجميع التشاريع والنصائح التى يجب أن يعمل بها فى الدنيا حتى يضمن لروحه الخلود فى العالم الآخر ، لذا فقد أطلق على الرسالة اسم "طريق الخلود وتسهيل مرور المتوفى الى العالم الآخر"



سرّ النّار

شعر : عبد الوهاب البياتى



فى آخر يوم قبّلتُ يديّها
عينيها / شفتيها
قلت لها : أنت الآنْ
ناضجة مثل التفاحة
نصفك : أمرأة
والنصف الآخر، ليس له وصف
فالكلمات
تهرب منى
وأنا أهرب منها
وكلانا ينهار
لطفولة هذا الوجه القمحى
وهذا الجسد المشتعل الريان
ابتهل ، الآن
وَأقرب وجهى
من هذا النبع الدافق ، ظمآن .
فى آخر يوم ، قلت لها :
أنت حريق الغابات
وماء النهر
وسر النار
نصفك ليس له وصف
والنصف الآخر : كاهنة فى معبد عشتارْ

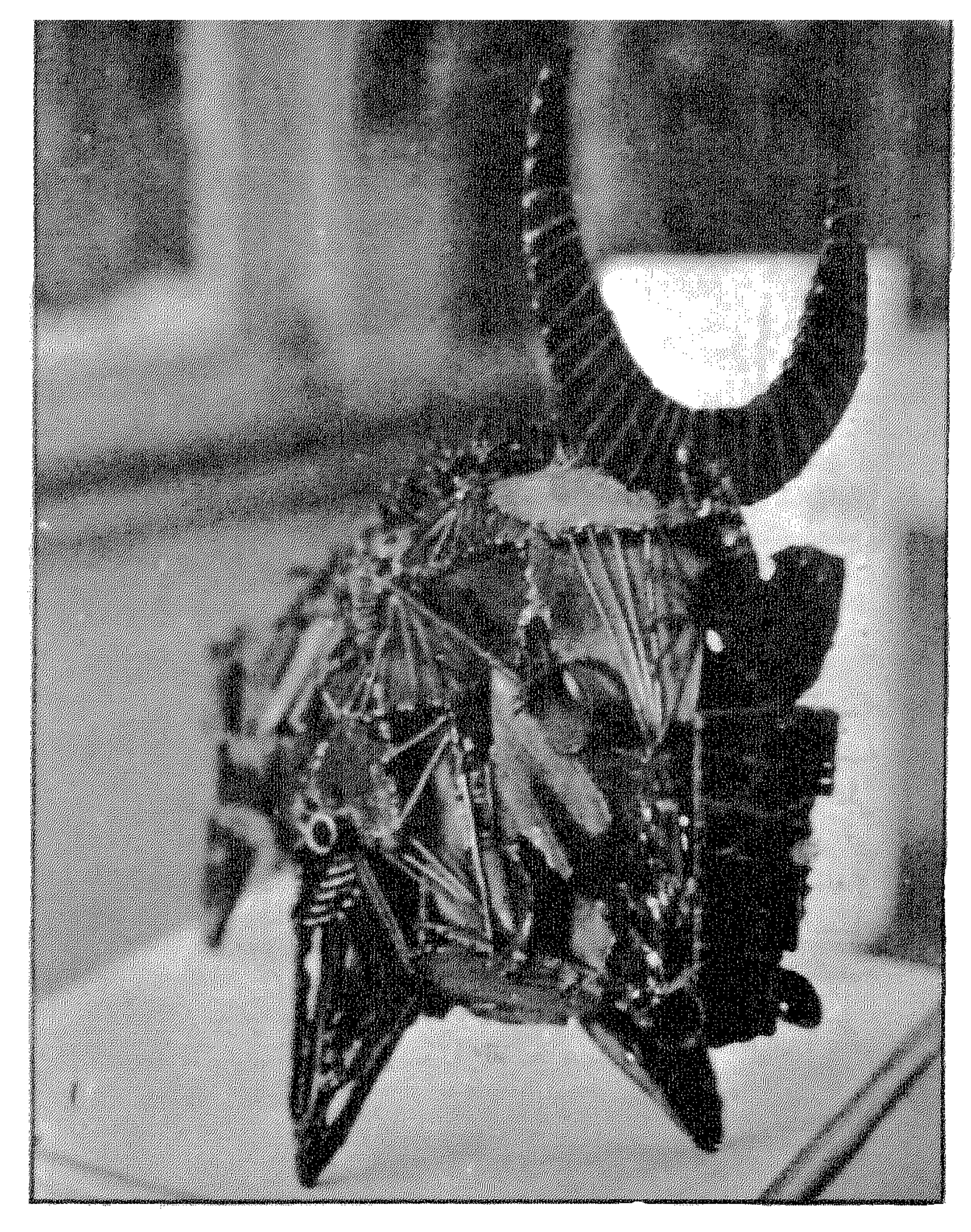
المعرض العام السابع عشر
للفنون التشكيلية

الخروج من الدائرة المغلقة

بقلم : عز الدين نجيب

للعام السابع عشر على التوالى ، اقيم المعرض العام السنوى للفنون التشكيلية خلال الشهر الماضى بقاعة النيل بالجزيرة ، وضم اكثر ٦٠٠ عمل فني لما يزيد على ٣٠٠ فنان . ولاول مرة منذ سنوات عديدة يعطينا المعرض مذاقا وحيوية ، ويكسر الى حد ما الخمول الابداعى الذى التصق به طويلا ، وجعل من هذا المعرض حتى العام الماضى شاهدا على اضمحلال الخلاقية فى الحركة التشكيلية فى مصر ، بوقوعها اسيرة للانماط الثابتة ، سواء لاصحابها من الفنانين ، او للاتجاهات الفنية المعاصرة فى الغرب .

وربما كان احد اسباب هذه الحيوية التى نشهدها كثيرة ما تعرض له المعرض العام فى دوراته السابقة من نقد حاد ، سواء باقلام النقاد او فى الندوات التى اقيمت حوله ، انصب غالبا على انه اصبح تجميعا للراكد من انتاج الفنانين والمعاد عرضه فى معارضهم ، سعيا الى بيعه للدولة - من خلال لجنة المقتنيات - ولو باسعار زهيدة مما جعل المستوى المقدم على قدر المقابل المادى ، خاصة بعد ان الغيت المسابقة التى كانت تقام خلال المعرض العام وكانت تشكل حافزا ماديا وأدبيا للفنانين ، نتيجة لضمور الدافعية الذاتية للابداع لديهم دون ارتباط بالمقابل ، وهو الامر الذى يتسق مع المتغيرات القيمية فى المجتمع



تمثال من الحديد الخردة للفنان صلاح عبد الكريم

اخيرا حتى فرضت على الفن قوانين السوق !

● الفنانون الشباب يزحفون

ويمكن ايضا رصد سبب اخر لهذا الابداع المتجدد ، فى دخول عدد غير قليل من الفنانين الشباب الى معترك الحركة الفنية، ليس من خلال المعارضة الجماعية فحسب ، بل كذلك من خلال المعارضه الفردية ، التى اصبح تزاحمها الشديد فى الساحة ظاهرة لافتة للنظر خلال السنوات الماضية الى حد يصعب ملاحقته ، وقد صار عدد هؤلاء الفنانين الشباب يمثل اغلبية بين عدد العارضين سواء فى المعارضة الفردية أو الجماعية ٠ ورغم ما يبدو على سطح الحركة الفنية من سيادة دافع الربح المادى

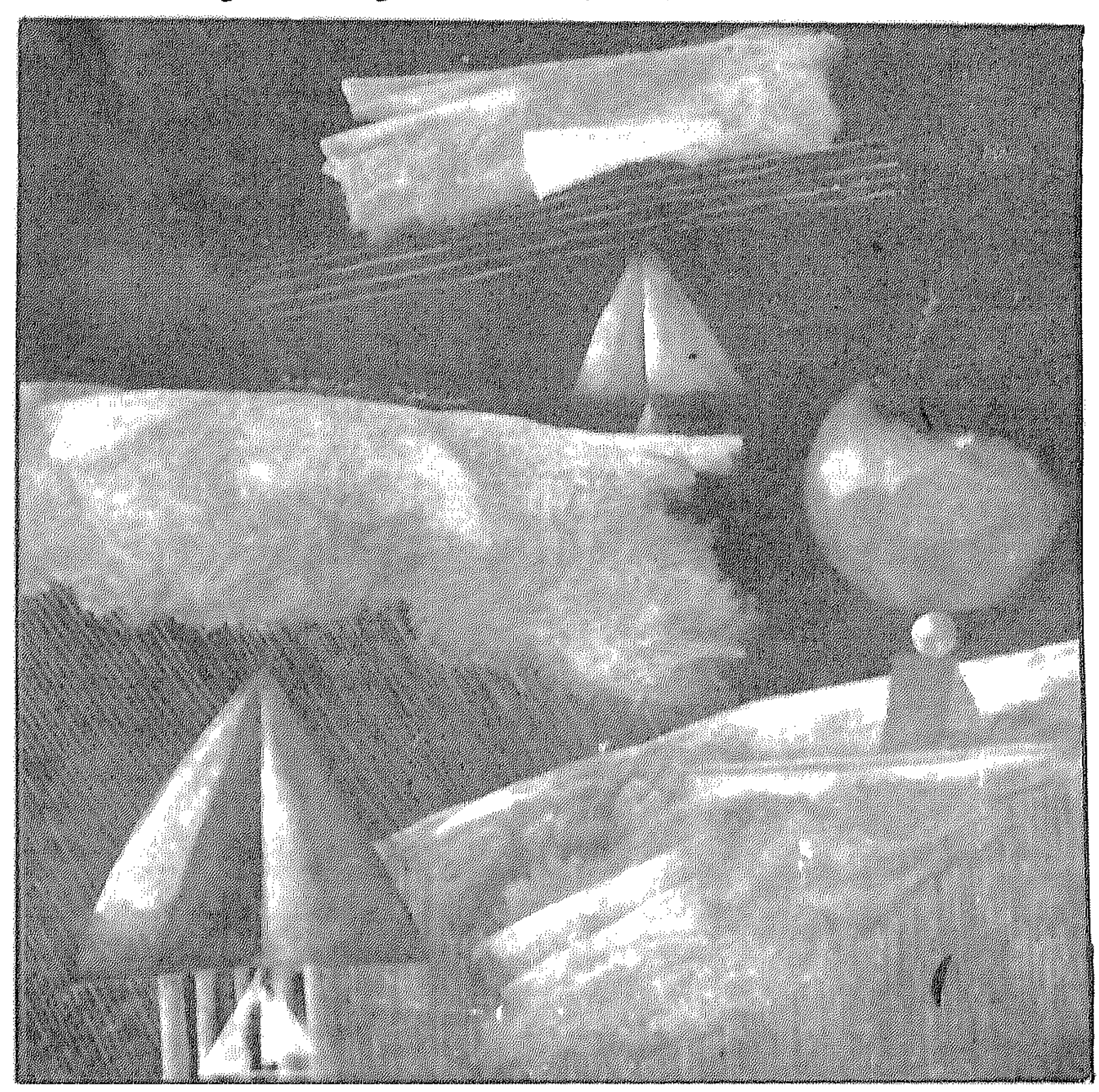
المعرض العام السابع عشر للفنون التشكيلية

على انتاج الفنانين ، بما يجعلهم يحرصون على تلبية ما يتطلبه قانون العرض والطلب ، فلا شك ان الفنانين الشباب مازالوا يملكون حافزا معنويا اكبر — للتواجد الفنى بين العمالقة والمخضرمين — يفوق حافز التسويق ، ويتمثل في البحث عن خصوصية جمالية مستقلة عن الاساليب الشائعة وهو ما انعكس بالتالى على اعمال الفنانين الكبار — ضمن مسايرتهم لحركة التطور عامة — لتجديد الدماء فى أساليبهم .

● الاسماء اللامعة .. والتجديد

وقد اتخذ هذا التجديد الاسلوبى اشكالا متنوعة لدى الاسماء اللامعة من الفنانين .. فنجده عند الفنانين عز الدين حموده وابو خليل لطفى يميل الى التجريدية التعبيرية فى

حوار الاشكال الهندسية بحس شعرى ـ لوحة للفنان مصطفى عبد المعطى



اتجاه روحانى ، ونجد الفنـــــان يوسف سيده يعـود الى التشخيصية بحس شاعرى مرهف يتحـــــاور مع الارقام المجردة ، ونجد الفنان صـالح رضا يبتعد عن السيمترية العربيـــة فى منحوتاته الخشبية متجهــــا الى التجريبية الموحية بكائنات عضــوية مفرغة داخل سبائك المعدن فى تنغيم متصاعد كنمو النبات . ونجد الفنـان صلاح عبد الكريم يتخلى عن مخلفـات الخردة التى كان يشكل بها منحوتاته القديمة ليقيم بناء عماريا مسطحايعطى مذاق العمارة الاسلامية ، ونجـــــد الفنان مصطفى عبد المعطى يتحـــرر قليلا من اطاراته الزخرفية الصارمة ، ليضيف عنصرا تعبيريا غنائيا حاليـا يتمثل فى الاشكال المجنحة والبنـــورة المسحورة والتشخيص المخفى والالوان الشفيفة ، ونجد المثال احمدعبدالوهاب يضفى على منحوتته البارزة رشـاقة موسيقية ودندشة لونية ناعمة ، وعند المصورة جاذبية سرى يصبح البحـــر منبعا للالهام والاسرار،وتنقسم اللوحة الى مساحات هندسية منفصلة بخطوط غليظة ، فى مغازلة للتجريد من بعيد وعند الفنان زكريا الزينى نجده يعود بنا الى مراحله القديمة التى تسودها التشخيصية التعبيرية مع اســـتخدام الاطارات التى تحبس الوجوه بداخلها، وعند المصور أحمد نوار نجده يواصل توغله داخل هندسيته العقلانية المحملة بدلالات عصر التكنولوجيا والكمبيوتر، وعند المصور عدلى رزق الله نجــــده يقترب من الميثولوجيا المشـــــــبعة بدراما مكتومة على عــــــكس ما كان يسود اعماله السابقة ، أما الفنـــــان عصمت داوستاشى فقد ازداد اقترابـا من الحس الاسلامى متخذا من الترديد الزخرفى وسيطا لتحقيــــق نوع من الترنيم الدينى ، وكذلك تبدو اعمـــال النحات محمد سيد توفيق الخشـــبية فى اقترابها من الترديد الـــــزخرفى العربى ، وتمثال الفنان محمود شكرى الذى يمتلىء بالقوة والدلالة الرمزية كعملاق متآكل الجـــوانب » كمـــــا تشد الانتباه لوحة فنان الديكور نهاد بهجت باختزالها الدرامى على خلفية بيضاء كصفعة ضوئية مفاجئة .

● أساليب مستقرة

هذا فى الوقت الذى حافظ فيـــــه العديد من الفنـــانين المعروفين على عزف نفس ألحــــانهم القديمة بنفس الاساليب التى استقروا عليها منــــذ فترة ، وقد تعلو حرارته أو تهبـــــط وفقا لقوة الشحنة الابداعية لديهم . واسوق فيما يلى بعض النمـــــاذج السريعة على سبيل المثـــــال وليس الحصر .

فمازال الفنان حامد ندا يعزف على طرفى معادلته المعتـادة (الجنس ــ الموسيقى) من خلال انماطه البدائيـــة والفنانتان انجى افلاطـــــون وزينب عبد الحميد تستلهمان الطبيعة بخطوط أشبه بخيوط حريرية ملونة على خلفية بيضاء ، ويثير رمزى مصطفى كعادته الانتباه بأعماله الطريفة المرحـة التى يحاكى بها نماذج الحياة الشعبيـــــة والفلكلور والمصور احمـــد عـــزمى بتجريداته الهندسية الشبيهة بزخـارف الكليم الشعبى ، وعبد الســـلام عيد بحوار الملامس فى المسطحات المجردة بين الرقة والعنف ، ومصطفى الرزاز بأشكاله الاسطوانية المنفلتة من قانون الجاذبية الارضية بنظــــام جبرى ، وصبرى منصور برؤاه الاســـطوانية المتشحة بطابع فرعونى وهى تســـبح فى ضوء قمرى ، وسيد عبد الرسول بغنائياته الرشيقـــــة عن الخيــــول والفرسان ، وعبد العزيز البحيـــرى بمحنوتاته الخشبية الانسيابيــــــة المنطوية على رموز ، وسيد سعد الدين بعالمه الاثيرى الحالم حتى ولو كانت

مادته هي الكادحين من اجل الرزق ، وزكريا الخنانى بمجسماته الزجاجية التى تموج بالرؤى السحرية ، وفتحى أحمد بمطبوعاته الجرافيكية على الخشب بلون اسود وحيد وحس رمزى مغلف بالتجريد ، وعلى نبيل وهبة برؤاه الدرامية عن واقع مصرى معاصر بلغة تزاوج بين التجريد والتشخيص وتقوم على الصراع والجدل بين العناصر وفرغلى عبد الحفيظ بعرائسه الهندسية المجسمة امام خلفيات الطبيعة المجردة، ورضا عبد السلام بزحام مشخصاته المجردة فى تتابع افقى يهمهم بواقع اجتماعى ، ورباب نمر بوجوهها الكرتونية المقصوصة فى علاقة رمزية مأساوية ، وحسن غنيم بتسابيحه الصوفية من خلال عناصر الخرط العربى فى ضوء كانبثاق الفجر ، وزهران سلامة بمشخصاته الملصقة بالواقع ورؤيته الامينة مع الطبيعة الحية، ومحمود بقشيش بحوار الضوء على كثبانه الرملية اللامتناهية بايقاع موسيقى وئيد يدفع الى التامل ويحاصر الانسان بالعزلة • ومحمد عثمان بمنحوتاته المصرية الرشيقة ، وصبرى ناشد بمعزوفته الخشبية المناسبة فى الفضاء كالطيف •

● نحو رؤى جديدة

غير ان هناك العديد من الرؤى المثيرة للاهتمام من عدد قليل من الفنانين اقلهم من جيل الستينيات واغلبهم من جيلى السبعينيات والثمانينيات ، بحثا عن لغة جديدة مازالت فى بداية الطريق الى تحقيق دلالات تعبيرية •

من هذه الرؤى ما يقدمه المصور محمد عبلة بأسلوب تنقيطى مرقش بخطوط ملتوية تبدو كالرموز البدائية، والمصور رضوان حجازى بمحاولته تحريك العناصر الحروفية نحو آفاق تعبيرية متفجرة » والمصور شاكر المعداوى بمعزوفته الدرامية الضخمة عن عالم يبدأ من الطبيعة ليصل الى مجال الحلم الكابوسى ، والمصور الواعد عبد الخالق حسن بتوليفه بين عناصر الخط والمشخصات المجسدة ، والنحاتون المتميزون بجرأة فى تحطيم الكتلة واعادة تشكيلها بحس تعبيرى او رمزى مثل طارق زبادى ، محمد عبد الحميد ، محمد العلاوى ، شريف عبد البديع ، جمال عبد الناصر ، فاطمة مدكور ، محمود العطار ، سامى عبد ومنصور المنسى • والفنانة ليليان كرنوك بمعلقاتها الشاهقة الارتفاع والمثيرة للانتباه بضخامة الريش التى شكلت منها والمصورة الصاعدة ايفلين عشم الله بتفجيرها للمخزون النفسى والاجتماعى للشعب من خلال شخصيات طوطمية ذات حس فطرى ، والفنانان السيد القماش ومحمد عبد السلام بلوحات الرسم بالحبر ذات النسيج المحكم والرؤى المجنحة بالخيال والفنانان يحيى رمضان ومحمد صفوت بعالمهما المستوحى من الوجدان الشعبى والمصور محمود عبد العاطى بتصميمه الاسلامى وحواره الهندسى بين العناصر المتابعة والمصورة نازلى مدكور بتوليفاتها الرقيقة بين الطبيعة والمسطحات الفضائية ، والمصور الشوربجى متولى بتفاعل اشكاله البيضاوية الصارمة مع الاشكال العضوية ، والمصور عبد الفتاح البدرى بحواريته الطريفة بين البشر وظلالهم على مقهى شعبى ، والمصورة سلمى عبد العزيز بطلاقة فرشاتها

الشاعرية فوق البيوت الشعبية . والمصوره سوسن ابو النجا ببيوتها المتصاعدة المشعة بالضياء .

● بعيداً عن فن العاصمة

وهناك ظاهرة برزت فى هذا المعرض اكثر من المعارض السابقة ، وهى التواجد الايجابى للفنانين الذين يعيشون فى الاقاليم ، وكانت مركزية النشاطين الفنى والثقافى بالعاصمة تحول عادة دون تواجدهم ، حتى نشأ نوع من الطبقية البغيضة التى لاتقوم على تكافؤ الفرص فى الحركة الفنية. فى هذا المعرض اثبت فنانونا بالاقاليم ندية كاملة مع اقرانهم بالعاصمة ، وجدية فى البحث ، مع معايشة حميمة لجذور الاصالة المصرية :اذكر منهم على سبيل المثال : النحات يوسف عبد الله والمصور بدوى سعفان (من الدقهلية) والمصور مصطفى مشعل (من الغربية) والنحات السدد عبده والمصور عبد الوهاب عبد المحسن (من كفر الشيخ) ..

اما اعمال الخزف فهى كالعادة محدودة العدد والاجتهاد، تميزت بينها اعمال محمد منـدور ذات الرصانة المزاهدة فى الالوان البراقة حتى توحى بالوقار وتثير الخيال ، واعمال جمال عبود ببساطتها ومصريتها الصميمة ، واعمال سمير الجندى بخطوطها وفراغاتها المستوحاة من التراث الاسلامى والشعبى ، واعمال فاطمة عباس التى تزاوج بين الخزف والنحت بملامس سطوحها المتنوعة .، ومحمد عثمان ،بسمكته الخزفية المتحفزة للقفز بما يجعلها عملا نحتيا جيدا .

وكانت اعمال الجرافيك والباتيك اقل من مستواها فى الاعوام السابقة ، فلم يلفت الانتباه منها الا اعمال قليلة لعدد اقل من الفنانين مثل عوض الشيمى وسهير ابو شادى وهدى عبد الرحمن وعلى دسوقى وسهير عثمان وعبد الناصر شيحة وغيرهم.. واغلبها استمرار لاساليب اصحابها ورؤاهم الفنية خلال الاعوام الماضية، فيما عدا عبد الناصر شيحة ، الذى يبزغ نجمه كفنان تلقائى صادق الحس متفتح الموهبة .

● بحثاً عن الخلاص من الحصار

لكن علينا فى النهاية أن نوضح أن هذه الرؤى الطازجة التى بدت فى المعرض العام لم تتخط فى اغلبها اطار المفردات التشكيلية بتنويعاتها العريضة ، ولم تنجح بعد فى الوصول الى دلالات فكرية أو تعبيرية لهذه اللغة التشكيلية الا فى القليل ، الامر الذى يشير الى أن الفنان المصرى لا يزال أسير الاسلوب والتقنية ، وحتى وهو يحاول الخروج من أسر«الاسلبة» فانه لا يجتازها بالفكر الذى يستوعب الحياة والوجود وقضايا الانسان المصرى ، بل يجتازها « بأسلبة »جديدة وهى الدائرة المغلقة التى فرضتها علينا وعلى الفن العربى المعاصر جميعه تبعيتنا للفنون الاوربية ، وخلو حركتنا الفنية من التيارات الفكرية المتحاورة ، حتى صارت جزيرةمعزولة وسط المجتمع لا يكاد يشعر بوجودها.

ولعل ما يعزينا عن ذلك ، هو اقتراب جانب هام من هذه الاجتهادات الاسلوبية من روى البيئة ومؤثراتها الحضارية ، وتنامى الحس التعبيرى والرمزى بينها ، وأفول بعض التيارات الهاربة من اى قضية مثل تيار التجريدية الحروفية ، بما يوحىببداية انشغال الفنان المصرى بالبحث عن طريق للخروج من الدائرة المغلقة .

حكاية شعبية مغربية

كانوا ثلاثة

بقلم: د. الطاهر أحمد مكى

● سمعت هذه الحكايه فى مقهى فى طنجة ، الحى العربى منها ، أو فى القصبة كما يسمونها هناك ، عام ١٩٦٠ ●

يحكى ، والله العلى القدير أعلم ، أن بغالا اسمه أحمد كان يعيش فى زمن مضى فى مدينة تطوان ، وكان الناس ينادونه فى لحظات الصفو تدليلا : حميدة ، مستخدمين صيغة التصغير تهوينا لشأنه ، واستهانة بأمره .

ولم يكن أحد يثق فى حميدة فهو أكسل خلق الله ، وفوق ذلك كله كان مسرفا مبذرا باع ما يملك بثمن بخس ، وقضى على ثروته كلها ، وترك بيته نظيفا من أى شىء ، فأصبح خاليا مثل كف اليد

فإذا أقبل الليل مضى إلى حقل قريب ، يرفع قدما ويحط أخرى ، وآوى إلى غرفة جميلة ، فى سعة الحقل كله ، سقفها السماء ، ومصابيحها النجوم ، وسريره الأرض الطيبة ، خالية أو غنية بأعشابها .. وفوق هذا السرير الألهى استسلم للنوم فى اطمئنان عميق ، خلىّ البال من أى شىء ، إذ ليس معه ما يفقده أو يخاف عليه ، إلى أن تطلع الشمس ، فتغطى أشعتها الجميلة قمم الجبال ، وأعالى البيوت ، مؤذنة ببدء يوم جديد

وحين غمرته الشمس الوليدة من كل جانب بدأ يفتح عينين متثاقلتين ومنطفئتين ، ثم أنفتحتا فجأة بقوة ، واتسعتا رعبا ، فقد اقترب منه ، وهو فى حال بين اليقظة والنوم ، شخصان عابران ، يلفهما الحزن ، وتعكس نظراتهما قلقا ، وحركاتهما حيرة ، وتفرّساه جيدا فى فضول زائد ، وأخيرا بادره أحدهما ·

ـ من أنت ؟

ومع أن حميدة لايمكن أن يوصف بالبطولة ، أو الشجاعة ، أو الجرأة ، فهو لايملك من وسائلها قليلا أو كثيرا ، لكنه حاز المكر كله ، بأكمله ، حتى ليمكن أن يقال إنه الخبيث الأكثر

استفادة على وجه الأرض من هذه الخصلة ، فتجمد في مكانه كما لو كان ينتظر يوم القيامة ، وفي هدوء رد عليهما بسؤال آخر مثله :

- وأنتما .. من تكونان ؟

- نحن عرّافان

- لايبدو هذا على وجهيكما .. ما علينا ، طيب ، وأنا عرّاف أيضا !

- وأين تذهب ؟

- وأنتما - من أين قدمتما ؟

- نحن ذاهبان إلى مدينة فاس .

وأحس السائلان بشيء من الخيبة فتوقفا عن الحديث ، وأخذوا يتبادلون النظر ، كما لو كان كل واحد منهم يتفرس الآخر ويدرس قوته ، ومدى ما يمكن أن يفيد منه .. وعندما استنتج القادمان أن الثالث ليس هينا ، إذا أحسنا توجيهه ، ويمكن أن يكون مفيدا ، ضماه إليهما ، على أن يتقاسم ثلاثتهم الأرباح فيما بينهم ، وأن يتعاونوا على الخير بدل أن يتنافسوا فيه ، فيؤذي بعضهم بعضا .

وذلك ما كان حميدة يريده ويرغب فيه



حكاية شعبية مغربية

كانوا ثلاثة

أتفقوا ، وتعاهدوا على الوفاء ، ولعنة الله على من يخون ، أو يعمل لحسابه من وراء ظهر زميليه ، وشد كل واحد على يد الآخر تأكيدا للاتفاق واحتفاء به ، ثم أخذوا طريقهم نحو فاس ، أغنياء بالأحلام والأمال ، وأن أكياسهم سوف تمتلىء بالأموال .

ولم يحدث لهم فى الطريق ما يستحق أن يروى .

عبروا فى رحلتهم مدنا وقرى ، وفيها كلها حاولوا أن يشيروا إلى مهنتهم ، وأن يظهروا براعتهم ، وفى يوم مبارك وجدوا أنفسهم فى عاصمة الأمبراطورية المغربية ، سادة لعبة يمكن أن تدر على صاحبها الذهب أو أن تذهب به إلى السجن ، وراجعوا أنفسهم ، ووازنوا بينهم وبين غيرهم ، واعتقدوا أنهم أفضل الجميع ، وأن بوسعهم أن يتقدموا إلى القصر الملكى لكى يقدموا خير ما عندهم ..

وأمضوا أول الليل يسمعون الحكايا عن الأعطيات والطرف التى يهبها السلطان لمن يصدق ويحسن ويعرف ، وقضوا بقيته يحلمون بما يتوقعون منها ، وأخذوا يفكرون بعضهم بعضا بالأتفاق الذى أمضوه ، وتعاهدوا عليه عندما التقوا للمرة الأولى ، وفى الصباح بدأوا مغامرتهم ، وهم يستمطرون اللعنة على من يخون

ووصلوا القصر الملكى ، ودخل أولهم إلى مجلس السلطان ، وبدون مقدمات بدأت المحاورة ، إذا أصاب نال مكافأة سخية من الذهب الخالص ، وإذا فشل فجزاؤه مائة جلدة كاملة ، وكان عليه أن يجيب فى الحال عن هذا السؤال ،

ـ كم نجمة تلمع فى السماء ، وعلى كم كوب من الماء يحتوى البحر ، وكم شعرة فى حصان السلطان المحبب إليه ؟

ولأن التنفيذ يتم فورا كان يقف على جانبى العرش اثنان من العبيد ، الذى على اليمين يحمل صرر الذهب مكافأة للفائزين ، والذى على الشمال يحمل عصا كبيرة ، يحركها مزمجرا ، ويلوح بها متوعدا .

ورغم الجهد المضنى الذى بذله العراف التعس لم يجب بشىء ولم يتوصل إلى جواب ، ولا عرف كيف ينجو بنفسه ، فاقتيد إلى غرفة مجاورة ، وتلقى « علقة » ساخنة ، ثم تركوه يستجمع قواه ، ويلملم أعصابه ، ونهض مغيظا ، ومضى محنقا ، كاتما غيظه ، مصطنعا البهجة والفوز ، وحريصا على تنفيذ الاتفاق ، وأراد أن يشرك رفاقه فى هذا الفوز العظيم ، وعندما سألاه أجابهما ماكرا بهما :

ـ مائة فقط ، بلا زيادة ولا نقصان !

وهمهم الثانى :

ـ مائة ! .. سبحان الله ، كم هو سخى سلطاننا ، وسوف يكون شيئا رديئا ألا أحصل أنا أيضا على مثلها .

وأخذ طريقه إلى قاعة العرش

يتقدمه أحد الخدم ، ودار بخاطره وهو فى الطريق هاجس أن « المائة » التى أشار إليها رفيقه ، جاءت مبهمة ، وفيها تورية ، ولكن زمن التراجع فات ، فلم يكن بد من أن يتقدم ..

وفى المجلس تلقى الأسئلة نفسها ، وعجز عن الأجابة عنها ، وتلقى مائة جلدة كاملة . وخرج بعدها كسيرا يسب فى أعماقه مكر رفيقه وخبثه ، وأقسم أن يتلقاها منه فى قادم الأيام مضاعفة . ومع ذلك كتم سره ، فهناك حميدة ، لم يواجه الموقف بعد ، وليس عدلا أن يمضى دون أن يأخذ حظه من الجزاء ، ولهذا عندما سأله رفيقاه عما لقى ، أجاب فى ابتسامة مغتصبة .

- أنا أيضا أعطونى مائة !

* * *

ثم توجه إلى حميدة .

- والآن ، اذهب أنت ، وهناك من المكافآت ما يكفى الجميع !

وتردد حميدة قليلا ، متطلعا إلى رفيقيه ، فرأى على وجهيهما سحابة ، من غضب وسخرية ، وفى عيونهم شىء من حرص وترقب ، فهاب الموقف ، وبدأ يدعو سيدى عبد القادر الجيلالى حامى « الغلابا » والمساكين ، ثم تقدم واثقا من ذكائه ، الذى أنقذه من قبل فى ضائقات كثيرة ، ووقف إلى جواره فى صعاب أكثر خطرا مما يعرض له اليوم ..

فى حضرة السلطان قدم المزيد من التوقير والأجلال والتحايا ، وتلقى أسئلة السلطان ، نفس الأسئلة التى قدمها إلى زميليه من قبل ، سمعها هادئا ، وفى ثقة واطمئنان طلب ورقا وأقلاما ، وبدأ يمارس جملة من حسابات معقدة غامضة لا تنتهى ، ورأى أنها تعينه على الأقل فى أن يربح الوقت ، ويدبر الأمر على مهل ويفكر دون عجلة فى خطة ينجو بها من هذا الفخ ، وفجأة ترك الركن الذى كان قد انزوى فيه وحيدا وقال :

- ياسلطان الزمان ، سيدنا وتاج رءوسنا ، لقد قمت بالحساب ، ولكن حتى أكون متأكدا مما انتهيت إليه ، يحتاج الأمر أن تحضروا لى حصانكم المفضل هذا .

وأمر السلطان فأحضروا الحصان !

وطلب حميدة مقصا ، وما أن جاءوا به ، حتى أسرع به ، يحاول أن يقص ذيل الحصان ، طويلا وجميلا وناعما كالحرير ، وصاح السلطان محذرا :

- ماذا تفعل ، أمسك .. أى جنون هذا ؟

- ليس جنونا ياسيدى ، سوف تكون حساباتى أكثر انضباطا اذا كان حصانك أبتر ، إذ أن شعر الذيل هذا شوش على ، وأفسد تناسق معلوماتى ، فإذا أردت الحصان كما هو ، ولم تشأ أن تضحى بجمال ذيله ، فعليك أن تعرف أيها السلطان أن مزاجك هذا أفسد على مهمتى .. وآذانى فى مهنتى ، ويجب أن تعطينى مكافأتى كاملة أطال الله عمرك !

- لتكن لك المكافأة كاملة ، ومعها خروف لقاء ظرفك ولطفك ، ولكن الحصان يجب أن يبقى كما هو لايمس ..

* * *

حكاية شعبية مغربية

كانوا ثلاثة

كان رفيقاه فى الخارج يضربان أخماسا فى أسداس ، وتزداد سعادتهما عندما يتخيلانه يتلقى المائة التى تلقياها قبله ، وعندما ظهر حميدة ، أخذ يلوح بيده سعيدا ، ويصيح :

- مائة وخروف

ورد رفيقاه :

- تستطيع أن تبقى مع المائة ، لأننا حصلنا على مثلها ، ولكن الخروف كما تعرف ، وكما اتفقنا ، لابد أن يكون قسمة بيننا نحن الثلاثة .

لم يدعا لحميدة فرصة يفكر فيها ، واشتبكوا بالأيدى ، وتحول نزاعهم حول الخروف إلى مشاجرة ، ثم اتفقوا على أن يذهبوا إلى القاضى ليحكم بينهم .

كان القاضى رجلا تقيا يخاف الله ، ودعاه أن يعينه على حل هذه المشكلة ، ولمّا غم عليه الأمر ، وحار فيما يفعل ، استخار الله فى حيلة ، وأفاد المتخاصمين بأنه سوف يعطى الخروف لمن يستطيع خلال الليل أن يحلم بأشد المغامرات سعادة ، وأمرهم بأن يعودوا إليه فى الصباح .

وعاد الجميع حيث ينزلون .

وبينما الأتنان يغطان فى النوم ، يحاولان أن يحلما بأعظم المغامرات سعادة ، كان حميدة يتسلل خفيفا ، ويذهب لكى يفترس الخروف ، يذبحه .. ويطبخه ، ويسحقه بين فكيه القويين عظما ولحما ، ويفعل ذلك . فى هدوء عجيب حتى لايوقظ رفيقيه النائمين اللذين وثقا فيه .

وبعد ذلك استلقى على فراشه مطمئنا ، ونام عميقا ..

فى الصباح الباكر تقدم الثلاثة إلى المحكمة ، خلعوا أحذيتهم إجلالا ، وانحنوا أمام القاضى تقديرا ، وقال أحد الثلاثة :

- يافخر القضاة ، وموضع اعتزاز كل المسلمين ، أنا حلمت أنى أعبر ميدان حرب على ظهر حصان ، فى لحظة أوشك المسلمون فيها أن يستسلموا لأعدائهم ، فسللت سيفى ، وقاتلت ضد الكفار ، وقطعت رءوس كثيرين منهم ، وانتصر المؤمنون بفضل الله ، فحمدا دائما لله العلى ، رب الجلال والأكرام ..

وتأثر القاضى أكيدا لرؤياه ، فالجهاد من أكبر القربات إلى الله تعالى ، وقد وعد الرسول صلى الله عليه وسلم الشهداء الذين يسقطون قتلى مناضلين عن عقيدتهم بالجنة وما فيها من حور عين ، وأنهم يبعثون يوم القيامة ودماؤهم لها لون الدم ورائحة العطر وهمهم فى دخيلة نفسه

- سيكون الأمر للمحارب ، حتى ولو كان فى الحلم ..

ومع هذا ، فلنر ماذا كان الحال مع الأخرين ..

وقص العراف الثانى حلمه :

- يا أبا الحكمة والعدل .. لقد حلمت بأنى أبحر فى سفينة قرصنة ، ووجدت نفسى أمام سفينة كبيرة ، يملكها كافر عظيم ، وأنها تضم عددا من البحارة والمسافرين ، والمغلوبين على

أمرهم ، فبدأت أبشر بينهم بالدين القويم ، وجعلتهم يعترفون بأن الدين عند الله الاسلام ، وأن ديننا هو الحق ..

وعلت القاضى إشعاعة رضى ، وهنا الرجل الحالم ، فما من شىء يجعل المرء أقرب إلى الله مثل هداية الضالين .

ثم سأل حميدة .

ـ وأنت بماذا حلمت ؟

ـ أنا سيدى ، ياحامى العدل وكنف الأمان ، هاجمنى كابوس حقيقى ، وظهر لى شيطان ـ أعمى الله عينيه !

وهددنى بقتلى ، وزجى فى جهنم إذا لم آكل الخروف فى الحال ، وحاولت جاهدا أن أقنعه بأن الأمر يتوقف على عدالة حكمكم ، ولكنه لم يرد أن يفهم أسبابى أو يقتنع بوجهة نظرى ، وبدأ يضربنى بقسوة ، وبدأت ياسيدى حينئذ أطلب العون والمساعدة ممن حولى . ولكن .. من الذى سيلبى ندائى ؟ .

أول رفيقىّ كان كما سمعت يقاتل الكفار ، والثانى يبحر عبر بحار بعيدة ، مشغولا بهداية الكافرين إلى الاسلام . فماذا يستطيع أن يصنع غلبان ضعيف مثلى ياسيدى القاضى ؟

ـ مكرها أكلت الخروف ، أكلته والله العظيم ياسيدى !

.. ..

.. ..

واقتربت الشمس من الغروب ..

وبدأ السامعون واحدا إثر الآخر ينصرفون إلى المسجد القريب ، فقد كان المؤذن من أعلى منارة المسجد يدعو الناس إلى الصلاة ..

وانتعل الراوى خفه ، وأخذ عصاه ، وترك بقية الحكايات ليوم آخر ، وضاع بين غمار السائرين

● كتاب فى القضاء ●

كتب عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) إلى معاوية كتابا فى القضاء [illegible]

الكلمات المتقاطعة

قصـــة

بقلم : شمس الدين موسى

عندما ولج الى داخل البيت لم يجد سوى الجدة .. رحبت بقدومه بكلمات ودود .. لم يفهم من ملامح وجهها المغضن المحايد ذلك الشيء الذى كان يتوجسه فى الايام الاخيرة . تحسس بعينيه جميع الموجودات التى عرفها جيدا قبلما يبدأ تجنيده ويحتجزونه طوال فترة التدريب . تذكر ان احدا لم يرد على خطاباته المتوالية .. ارسل موعد اجازته مرتين . فى المرة الاولى لم يحصل على الاجازة . قال انهم سوف ينتظرونه كما فعلوا من قبل . عندما حضر فى المرة السابقة لم ير فتاته التى كان يحصى ساعات بعاده عنها . حاول ان يعرف اثر وجوده من ملامح الجدة العجوز .. لم يتوقف كثيرا امام فقدها القدرة على التركيز .. نسى انها تخلط بين الافراد وتروى الاحداث متداخلة ومتكسرة . سالها عن الفتاة التى اشتاق كثيرا لرؤيتها .. عندما لم تجبه كرر سؤاله مرة ومرة .. اجابته بكلمات مهشمة بينما اصابعها تتشاغل كعادتها فى تحريك حبات المسبحة القاتمة . لم يفهم منها غير كلمات محددة كانت تكررها من قبل ..

— انهم بخير .. بورسعيد ليست بعيدة . المقابر القديمة .. الطائرات .. السفن الحربية .. القطار عاد من حيث اتى .. اهلا .. وسهلا .. اين كنت ؟؟

هل انتهت الحرب كما يقولون ؟؟؟

لم يبق على انتهاء اجازته سوى ساعات قليلة . لم ير الفتاة منذ اكثر من شهرين .. قالوا انها سافرت الى بور سعيد . لم تكن الام موجودة .. ستحضر فى الساعات الاولى للصباح . فهم من شقيقها الاصغر ان الام صحبت فتاته فى تلك المرحلة .. ضاعت الاجازة السابقة دون ان يراها ، لم يكن سهلا ان يمد اجازته يوما اخر .. سيصل الى وحدته فى الساعات الاولى من النهار .. تلمس لها الاعذار رغما عنه .. استذكر طوفان الوساوس التى كادت تطيح برأسه .. كان يعرف ان لهم اقارب يعيشون فى بور سعيد .



ريشة : محمود الشيخ

كلمته عنهم من قبل ..
اصحاب اعمال كبيرة.
راى احدهم اثنــــاء
احدى اجازاته .. دعاه
لزيادته فى بلده..قدمته
الام كاحد اعيــــان
بورســـعيد وانه ابن
عمها .

قالت عنه الفتاة ..
ـ كان جارا لنا قبل
حرب ١٩٦٧ .
لم يجد لديه دوافـع
لتوثيق العلاقة معه ..
لم يره سوى مرتين ..
تردد اســـمه كثيرا فى
الفترة الاخيرة . دعاه

للمصاحبة والسـهر فى
احد اماكن اللهـــــو
الليلية لكنه اعتذر كلما
ذكروا اسمه كان يحس
بدوائر من الصــداع
تحيط براسه . لم يسأل
الفتاة ـ لم قالت امها
انه قريبها ؟؟ ـ خشى

الكلمات المتقاطعة

جرح شعورها اذا عرفت انه ادرك أكاذيب امها ٠ اعلن لها انه يبغض وجود ذلك الشخص ، شاركته النفور منه أخبرته أنه انفصل عن زوجته الدورسعيدية ٠٠ لم يؤد للزوجة ما عليه لها ٠ كانت الام تدافع عنه عندما تاتي سيرة زوجته ٠ تعرف على زوجته اثناء زياراته للفتاة ٠ لم تقل الام عنها شيئا ٠٠ همست له الفتاة بان تلك السيدة قريبة لامها ، وحضرت لتاخذ الام للشهادة ضد الاخر فى المحكمة ٠ رفضت الام الادلاء بشهادتها رغم محاولات الاقتناع التى توالت عليها من الجميع ٠

تضاعف احساسه بالتوجس من الاخر ٠٠ انتابه الكثير من المشاعر الغامضة تجاهه ٠ انشغل بتتبع كل ما يخص الاخر ٠ كلما حضر كان يسأل عن الاخر متتبعا اثاره ٠ لم يفكر فى تتبعه عن طريق الام ، ولم يسالها عنه ٠

— هل هو موجود ؟ او حضر اثناء انقطاعه عنهم ؟ ومتى سيحضر؟

كانت الفتاة تلقى امامه باخبار الاخر التى تتلقاها عن طريق الام ٠٠ تحول الحديث عنه الى لازمة اساسية ٠ كان لابد ان يوجد حتى لو لم يتحدثوا عنه مباشرة ٠٠ لم يكن يسترد انفاسه قبل ان يعرف انه لم يحضر ٠٠ كثيرا ما قيل له انه كان هنا بالامس ٠٠ او انه لن يحضر اليوم ٠٠ او ان هذا الشيء له وسيرسل من ياخذه فى الاسبوع القادم ٠٠ او انه لم يحضر منذ فترة ٠٠ او انه موجود لكنه في زيارة لطبيب معين ٠٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠

وفى كل الاحوال كان يتجنب اظهار رغبته في تتبعه بطريقة مباشرة ، خاصة امام الام ٠ لكن اسمه سرعان ما يتناثر خلال حديثهما في اى موضوع ٠ كانت تتفاخر بمقدار الثراء الذى وصل اليه ، وعدد البلدان التى زارها ٠٠ واحدث السيارات التي يقتنيها ، وحجم اعماله ٠٠ تحول الى مثال ورمز يجب الاقتداء به٠ وسط كل ذلك كانت عينا الجدة العجوز دائمة الحركة مع اصابعها بطريقة الية ، بينما لا يصدر عنها سوى عبارة واحدة تحمل الكثير من السخرية ٠ فى البداية لم يكن سهلا عليه ان يفهم مقاطع عبارات العجوز ٠٠ كانت تتداخل في راسه مثل الكلمات المتقاطعة، تتكسر دائما ، ولاتوصل اليه معنى محورا ٠ بعد فترة استطاع تدريجيا ان يدرك عابرات الجدة ومدلولها ٠٠ بدت واضحة فى اذنيه ٠٠٠ كانت تبدو عوجاء متقاطعة ٠٠ تتعثر فوق ثنيات الشفتين اللتين تكرمشتا بفعل الزمن ٠ كانت تقول :

— الله ٠٠٠ يرحم ابوه ٠٠٠ سارق الاكفان ٠٠٠ من ٠٠٠٠ من المقا ٠٠٠ بر ٠

لا تعلق الام بشيء كي لا تثير مناقشات مع العجوز ، وحتى لايتحول ما تقوله الجده الى موضوع ٠ وكلما اثارتها الفتاة للكلام كانت ترفض ناهرة اياها ٠٠ ورغم ذلك لم تسلم العجوز من مناوشات الفتاة التى كانت تلبى استجابة لديها ٠٠ كان نفورها منه يتزايد منذ طلب من الام ضرورة التفرغ للعمل فى مشروعاته المتعددة ٠ اعلنت انها لا تطيق وجوده ٠٠بدات تتشاجر مع الام بسببه

كانت امها موافقة على ان تعدل معــــه ، كي تشاركه اعماله ..

احس انهم يتنفسون وجوده في احاديثهــــم الخاصة . مما حصــر نقدهما الدائم حـــول تصرفاته الخشنة ، رغم تــــرحيب الام بــــه واشادتها بمـــآثره ، وتحويل جميع تصرفاته محل النقد الى مزايـــا خاصـــة ... ذلك كان السبب في سؤاله الدائم عنه كلمــــا حضر في اجازاته ... هل هـــو موجود ؟ وهل سيحضر؟ عبــارات ثابتـــة كانت تتردد بداخله قبلمـــا ينطق بها لسانه امـــام الفتاة او شــــقيقها الصغير ، ولا تهدأ نفسه الا عندما يعلم انه لـــم يحضر طوال فتــــرة انقطاعه عنهم .

تذكر كل هذا اثناء جلوسه في مواجهة الجدة التي لم تقدر على تركيز وعيهــا وتجيبه على سؤاله . كان قلقا لعدم الرد على خطاباته استعاد توجســـاته من الامارات الجديدة التي بدت بطـــريقة غيـــر محسوسة . استرجع كلمـــات فتاته له في الفترات الاخيرة . لم تكن مهتمة بالتعبير عن نفورها من الاخر ، ولم تكن تعلق على كلمـــات العجوز المتقاطعـة التي ســــاعدته على فـك رموزها .. تحـــول موقفها من الاخــر الى نوع من الحيـــاد . لم تكرر اراءهــــا التي شاركته في اتخاذها . تذكر ان الاحاديث عن الثروة قد بدات تتسرب الى مفرداتها . ارجــع ذلك الى امهــا و نـه لا يمكث معهـــا فترات طويلة بسبب تجنيده وسرعان ما تتوحد اراؤه مع فتاته . كان لا يهمه اثناء الاجازات القصيرة وفي الســاعات القليلة التي يقضيها معهـــا ان يثيــــر المناقشــات ، لم يكتشف التغيـــرات بوضوح كان وجودهـــا الذي يحبه يملأ حيـاته طمانينة وسعادة لم يــ. غير تلك السعادة التي لا يريد لهـــا ان تتاثر باي عوامل اخــرى . تداعى كل ذلك داخـله بينما كان يعيد وضـــع كلمات العجوز المتقاطعة بجــوار بعضـــها لكي يســـتنتج شـيئا ما . احس بنمو وظهـــور اشياء جـديدة لم تكن موجودة . شــعر بها كنباتات شيطانية بدات تطبق على نفسه .. لم يعرف مصدر الدوافع الغريبة التي بدا اريجها ينتشر . عنــدما راى الشقيق الاصغر ، تلمس معه نوعا من الاستئناس داخل دائرة الوحشــة التي وجد نفسه داخلها .. كاد يساله كما كان يسأل الفتاة ..

- هل هو موجود ؟

حبس عباراته داخل نفســـه .. شعر انهـا لا تحمل اية مدلولات ، لكنها كانت تتحرك قلقا بداخله ولا تسـتقر في مكان .. سالة :

لم لم تصـــل ردود على خطــــاباتي ؟ ؟

اجابه الشقيق بكلمات لم يتبين منها شيئا .. لكنه اخبره انهم كانوا في بورســعيد طـوال الاسبوع الماضي .. وان فتاته في احسن حال ، وتتعلم قيادة السيارات والام لا تـــزال في بورسعيد ولم تعد ، وان شقيقته الفتاة - نالت اجـازة بدون مرتب من عملها ..

كاد سؤاله المعتـاد عن الاخــر يتبلور على شفتيه . كانت اجـابة السؤال نصف واضحة ونصف غامضة . شعر بالحــروف تتلاشى فوق طرف لســانه .. بدا المعنى واضـحا شـيئا فشـــيئا لكن الكلمات ظلت معلقة في اعمــاق عقله . كلما حــاول استخراج واحدة تاهت الاخـرى . حالة من الشـــك كانت تؤكدها الفتاة تعبر عنها كلمات

الكلمات المتقاطعة

صغيرة والفاظ مبتورة مهشمة كانت تتناثر ولا يستطيع وضعها بجوار بعضها .. تداخل الشك والتوجس وسط طوفان كلمات العجوز المتقاطعة .. قاطعه الشقيق قائلا ..

– ان شقيقته سافرت الى .. . ...

لم يستطع سماع كلمات شقيق فتاته – ساله :

– هل حضر ؟ ..
متى – هل – ستحضر ؟؟
متى – هل – ستحضر؟؟

لم يحصل على اجابات محددة على سؤاله ، تضاعف القلق داخله لعدم توصله الى الحقيقة . لم تكن موجودة حتى يفهم منها ما تريد قوله . لم تكن حواراته معها تعتمد على الحروف والكلمات .. وكثيرا ما تمت عبر نظرات العيون ، ودرجات لمعانها ، وتلون البشرة عند التعبير عن شيء معين ، وربما من حركة الأصابع بطريقة معينة.

حاول ان يطرح اسئلته مرة ثانية .. احتبست الحروف ولم تصدر الحنجرة شيئا .. تلاشت نبرات صوته .. ماتت فوق طرف لسانه ما كان يتوجس منه ظهر فجأة بدت له صورة قديمة أحبها وعرفها جيدا . عندما دقق فيها احس بالدوار .. لم تكن ذات الصورة .. كان عليها الكثير من الرتوش .. بدت مختلفة لحد كبير .. ربما ازدادت نحولا ، او ازدادت طولا .. او .. او .. او ..

حاول استعادة الماضى ومكوناته التى تبعثرت فى انحاء عقله .. حملت اليه نظرات باردة مجوفة.. توارى الشقيق .. تشاغلت العجوز باحصاء حبيبات المسبحة .. اتت الفتاة فى صحبة الاخر .. كان يرفل فى ملابسه اللامعة ، وصوته الاجش ، ونظراته الجسور .

سرعان ما تجسدت الصورة فوق كل ماكان يراه من قبل . كانت معلقة فوق الجدار، على نواصى الشوارع او فوق لوحات الاعلانات .. كانت صورة جديدة عليه .. انطبقت تماما على جميع ما يدور حوله . بددت مجسدة فوق وجه الشقيق الاصغر ، وبرزت من ثنايا كلماته المتقاطعة بينما يبذل اكبر جهد .

– انها بخير ،ولكنها لن تحضر . لقد سافرت الى بورسعيد .. ستمكث هناك !!

لم يصل الى اذنيه سوى صوت القدمين يدقان الاسفلت بشده بينما السكون مطبق حوله ، ووجوده الذى تضاءل متداخل فى ذاته ، جسده الذى أصيب بالرعشة الباردة بعد ان ماتت جميع الاسئلة .. لم يصله الا صوت العجوز يحكى بكلمات متدسرة عن سارق الاكفان من القبور ، ويتهم الجميع بانهم سياوون الى النار التى اعدها الله للكافرين . كانت تخط أمامهم كلماتها المتقاطعة وتداعياتها من اعماقها بكلماتها المهشمة المكسرة عن الحرب التى انتهت كما يقولون، وبورسعيد التى لم تعد بعيدة . والقطار الذى عاد من حيث اتى ، والذين تخصصوا فى سرقة الاكفان ، والذين ذهبوا ولم يعودوا ثانية .

■ أنا من إمبابة .. إذن فأنا موجود

إطلالة على عالم إبراهيم أصلان

بقلم : فريده مرعى

كلما قرأت إبراهيم أصلان تطفو على سطح الذاكرة صيحة مصطفى كامل الشهيرة : « لو لم أكن مصريا لوددت ان أكون مصريا » واشعر بابراهيم اصلان يطل علينا من خلال سطوره معلنا انتماءه الى امبابة بنفس القوة والوضوح والحسم . فقلائل هم الكتاب الذين يرتبطون بالمكان ارتباطا عضويا فلا وجود لهم الا من خلال هذا المكان حيث يصل الارتباط الى درجة التوحد وتبدو امبابة عند ابراهيم اصلان وكأنها حدود العالم وبؤرته ، هى الشهيق وهى الزفير ، منها يغضب وعليها يخاف ، منها يهرب والى حضنها يلجأ ، هى الاول وهى الاخر ، منها المبتدى واليها المنتهى .

وعالم امبابة كما نراه فى رواية مالك الحزين ، وفى المجموعة القصصية بحيرة المساء عالم زاخر ، متنوع شديد الثراء فهو تارة واسع رحب ممتد عبر الزمان وتارة ضحل ، ضيق ، محدود يكتم الانفاس ، انه عالم يثير دهشتك وحيرتك ، استياءك وتفهمك ، حزنك وابتسامتك ، انه يداعبك مرة ويستفزك مرات ، ولكنه فى النهاية ينجح فى استدراجك ويداهمك ويمسك بتلابيبك ويجبرك على الانصات والتساؤل والمشاركة .

وأول مايلفت النظر فى عالم إبراهيم أصلان هو كثرة الشخصيات العليلة التى تعانى من امراض جسمانية . شخصيات طحنها المرض وهدها الالم حتى تبدو وكأنها اكبر من سنها وكثيرا مايستخدم الفاظا مثل ضئيل الحجم ، نحيل ، ضامر ، ضعيف ، واهن ، شاحب . ففى قصة الملهى القديم يقول تقدم الرجل الضئيل الحجم داخل الميدان .. كان وجهه ضامرا ... وشعره فى لون الملح وفى مكان اخر يقول تقلص وجهه . صدرت عنه آهة

إبراهيم آصلان

رقيقة وهم بالقيام - العواسير . البواسير تؤلمنى جدا .. مضت فترة اخرى من الصمت .. خلالها كانت ملامح الرجل الضئيل الحجم قد اصبحت متغيرة وفى نفس القصة يدور الحديث بين الرحل الضئيل وبائع السجائر عن امرأة عجوز مريضة تنام على الشاطىء « تضع بعض الاقفاص وتنام تحتها بجوار الماء ، فوق الزبالة » وترفض ان تعيش مع ابنائها فى منازلهم لانها « تحب اولادها وتخشى ان تعديهم »

وفى قصة البحث عن عنوان كان هناك رجل نحيل يسير فى خطوات مستقيمة على طوار الشارع ... مسح العرق عن وجهه ومقدمة رأسه وزفر فى ضعف يقابله صدفة زميل دراسة قديم ويفاجئه بالسؤال ولكن كيف ظهر عليك الكبر هكذا ؟ ويجيب الرحل النحيل فى استكانة · والله الظروف . وما ان يفجر زميل الدراسة الذكريات القديمة وامجاد وشقاوة الرجل النحيل حتى يستسلم الرجلان للضحك « بكل مايملكان من قوة راحا يضحكان » ولكن الرجل النحيل لايتحمل هذا الحهد فتنتابه نوبة شديدة من السعال ويقول فى صوت واهن . آه . اتعبتنى يارجل .

أما فى قصة بحيرة المساء التى تحمل المجموعة القصصية عنوانها يقول ابراهيم اصلان واصفا إحدى شخصيات القصة كان صدره ضيقا كصدر امرأة . اما نصفه الاسفل فقد كان منتفخا بشكل مرضى . وشعره ابيض تماما مع انه لم يكن قد تخطى مرحلة الشباب بعد وبدت عيناه مرهقتين وفيهما انكسار غريب .. لاحظت انه كان يبتسم فى وجهى فقط عندما انظر اليه . ولكنه ما ان يشرع فى الحديث حتى تتهدل ملامح وجهه وتكسوها مسحة من الجد الممزوج بالطيبة المهمومة .

والى جانب الشخصيات العليلة التى يعتصرها الالم فيغير ملامحها كما فى قصة الملهى القديم ، او يزيدها ادراكا ووعيا بتجربة الالم الانسانى كما فى لانهم يرثون الارض ، والتى هى عموما شخصيات مهمومة قد « تهدلت » ملامحها ، و« تغضنت » وجوهها وشاخت قبل الاوان هناك ايضا الشخصيات العاجزة تماما مثل الكسيح فى البحث عن عنوان ، والمشلول فى الحرح ، اما الضرير فقد حاز على النصيب الاوفر فى عالم ابراهيم اصلان مثل قصة فى « جوار رجل ضرير » و« المستأجر » ، ثم رواية « مالك الحزين » التى تزخر بالكثير من العميان

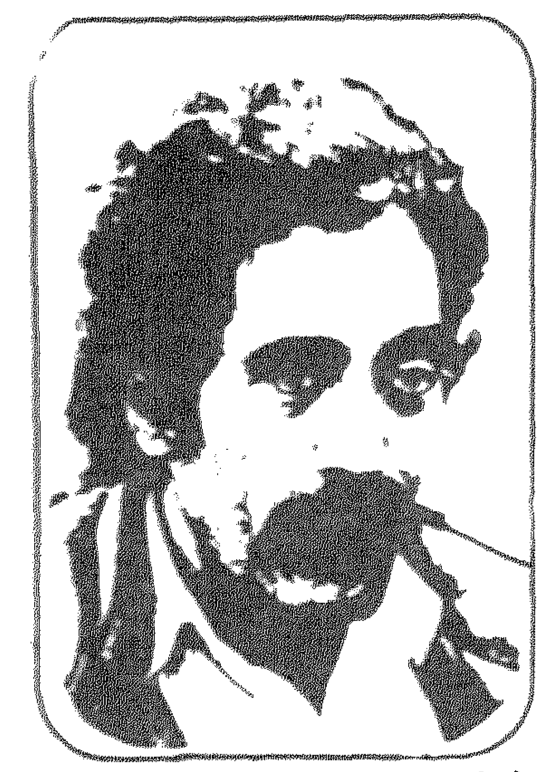
□ شخصيات يقتلها الإحساس بالوحدة

ومعظم شخصيات ابراهيم اصلان تعانى من احساس حاد وحزين بالوحدة وتتلهف للاحتكاك والتواصل مع الاخرين فالرجل الضئيل الحجم فى الملهى القديم والذى ماتت ابنته وهى اخر من تبقى من الاسرة ، يتسكع كل ليلة فى خطوات قصيرة متمهلة فى ميدان الكيت كات ولايغادره الا فى الفجر . انه يقيم حوارا مع بائع السجائر ويتحدث معه لمجرد الحديث حتى انه يسأله نفس الاسئلة دون ان يدرى ، ويطلب منه رغم انهما يتعارفان لاول مرة ان يزوره فى غرفته بالنهار لانه يعيش بمفرده فى حجرة على السطح . وفى البحث عن عنوان يقف الرجل النحيل حزينا بعد ان فقد همزة الوصل التى تصله بالحياة حين اختفى صديق الدراسة فجأة بعد ان اضاف بعض الحرارة الى حياته الخاوية . وحين يتبين انه لاسبيل للحصول على عنوانه الذى هو الجسر الذى سيتواصل عن طريقه بالآخرين ، يقف وقد تغضن وجهه عن ذى قبل ويتراجع الى الوراء فى خطوات آلية متثاقلة . وتتضح المأساة اكثر فى بحيرة المساء حين يستبد الحنين بالاشخاص الى الزواج والدفء العائلى والبيت والابناء ، والزواج هنا تواصل وهدم للوحدة ، والزواج معناه ان تعود الى

المنزل فتجده عامرا بالزوجة والاولاد ، معناه ان تجد من يسأل عنك ويهتم بأمرك « اما انت فما عليك الا الجلوس هكذا طوال الليل على قارعة الطريق يامبجل لو تغيبت سنة ماوجدت من يسأل عنك » وفى نفس القصة نجد الشخص « ذا الشعر الابيض » والذى ماتت كل عائلته ، ونجده يتحدث الى الاخرين بحذر وكأنه يخشى ان ينصرفوا عنه فتضيع فرصته الاخيرة فى التواصل معهم . اما فى « وقت الكلام » فنحن امام حالة من حالات حنين الانسان الدائم والابدى الى الاليف فالمرأة العجوز جدا تنتظر كل يوم فى نفس المكان ونفس الزمان حبيبها الذى يأتى متكئا على عصاه ليجلسا على نفس المنضدة التى لم يغيراها منذ سنوات طويلة ويحتسيان معا شراب الليمون ويعلق احد شخصيات القصة « لو مات احدهما لعاش الاخر فى مأساة حقيقية » أما فى رائحة المطر فيلخص ابراهيم اصلان الموقف على لسان احد أبطاله حين يقول معلقا على الشاب الأبله الذى يعترض الناس فى الطريق ويحتضنهم ويقبل أكتافهم ثم يريح رأسه على صدورهم قبل ان يتركهم ، ويقول مفسرا « واحد استبد به الشوق لبنى الانسان ويريد ان يعبر عن ذلك تعبيرا لاشك فيه » .

□ نموذج المثقف المحبط

ويحتل المثقف مساحة لابأس بها فى عالم ابراهيم اصلان ولكنه نموذج معين ومحدد الملامح فهو دائما المثقف الصامت الذى فقد الرغبة فى عمل اى شىء وكف بالفعل عن عمل اى شىء . كما فى « وقت للكلام » المثقف الذى لايخرج من البيت ولا ينام ويفكر بشكل مستمر لانه يعانى من حالة حزن دائم كما فى « التحرر من العطش » انه المثقف الذى يبدو مثل الغريب فى الوطن مع انه احد ابنائه انه قادر « على ان يسترخى على مقعده ويظل صامتا طول الوقت وهو ينظر الى اى شىء دون ان يقول كلمة واحدة .. اما اذا تحدث فان



ابراهيم اصلان

صوته الخفيض يبحث عن الكلمات التى يقولها كلمة كلمة فى جهد واهتمام وشىء من الضيق انه المثقف الدى يتصرف بغرابة تثير الاهتمام فى البداية ولكن يعتادها الجميع مع مرور الوقت . المثقف الذى لايعرف حقيقة الامور لانه يتعامل مع الكتب ولايتعامل مع الواقع . وحين تسنح له الفرصة لكى يرى الواقع الاليم على حقيقته لايملك الشجاعة على تغيير هذا الواقع ، ويشعر بالغضب يجتاحه لهذا العجز ويرفع صوته لاعنا نفسه ثم تعود الامور الى طبيعتها بعد زوال تأثير الخمر كما فى مالك الحزين

□ نموذج المرأة الانثى

واذا مااقترب المرء اكثر من عالم ابراهيم اصلان باحثا عن موقع المرأة وسط هذا الزحام يفاجأ بالحيز الضئيل الذى تشغله المرأة رغم تنوع هذا العالم وثرائه واحتوائه على الكثير جدا من النماذج البشرية المختلفة وحتى هذه المساحة الصغيرة التى تحتلها قد حجمها الكاتب وحددها بجانب واحد هو جانب الانثى فيها . فكل الشخصيات تتعامل معها من هذا المنطلق . وتنظر اليها وتقيمها من هذا الجانب . ففى بحيرة المساء ، يمر رجل وزوجته

إبراهيم أصلان

الشابة من امام المقهى فى طريق عودتهما الى المنزل ، فيعلق الشاب النحيل ياروحى ، اما ذو الشعر الخشن · طبعا ، سهرة ممتعة ، ثم الذهاب الى البيت .. والزوجة اللينة ويعلن الثالث عن رغبته فى الزواج من اى واحدة « على شرط ان تكون حلوة » .

وفى الرغبة فى البكاء يعلق الصديق القديم الذى هو فى زيارة لصديقه ويتعرف بالزوجة لاول مرة « مدت لى كفا صغيرة دافئة » و« لاحظت ان الزواج لم يذبل ثدييها » أما زوجها فانه يلتفت الى صديقه ويغمز بعينه اليست حلوة ؟ وفى « وقت للكلام » يطلب الصديق من حبيبة صديقه ان تقابله فى المقهى حتى يطمئن منها على احوال صديقه الغريبة . ورغم قلقه واهتمامه الشديد باحوال صديقه فإنه يلاحظ انها حين اعتدلت فى مقعدها «وضمت ذراعيها العاريتين على صدرها فتكور نهداها» وفى التحرر من العطش تعود المخطوبة من اجازتها السنوية التى تقضيها مع اسرتها فى قليوب . تذهب لزيارة خاطبها سيد ولكنها لاتجد الا صديقه الذى يعيش معه فى نفس الشقة . يختفى الصديق فى حجرة جانبية لارتداء بيجامته وعندما يعود يجد ان الفتاة جالسة على الكنبة بجوار المكتب وقد وضعت كفها بين ركبتيها العاريتين . اما فى الجرح فرغم ان الرجل الغريب قد ذهب مع الفتاة فى مهمة انسانية وهى معاونتها فى تنظيف «وتحميم» والدها المشلول ، فإنه طوال الوقت يقيمها كانثى فصدر التوب مطرز بشريط اخضر يبدأ من عند الكتفين ويلتقى بين نهديها الممتلئين وعندما تمسك بثوبها المسدل وترفعه عن الارض وتدور من حوله ، يشعر بنهدها وهو يلامس مرفقه فى بطء . وحين تضطر الفتاة لخلع ثوبها حتى لايبتل وهى تقوم بتحميم والدها لايفوته ان يلاحظ ان جلدها الناعم كان متغير اللون من اثر الضوء الازرق الفاتح ، وان جسدها المبتل قد اصبح الان بارز القسمات . اما فى الثلاث قصص فى جوار رجل ضرير ، المستأجر ، واللعب الصغير ، فان المرأة لها وظيفة واحدة ومحددة هى اشباع الرجل جسديا

والحصيلة أربع عشرة قصة قصيرة هى كل مجموعة بحيرة المساء ، ست لا تلعب المرأة فيها اى دور ، وثمانٍ لا وجود للمرأة فيها الا كأنثى

فاذا ما انتقلنا الى رواية « مالك الحزين » فسنواجه بنفس الرؤية فهناك فاطمة الشخصية النسائية الرئيسية فى الرواية . وحين يصف الكاتب اول ظهور لها على مسرح الاحداث يقول من قطر الندى جاءت فاطمة تخطو على مهلها الى فضل الله عثمان كانت تلم اطراف الملاءة الحريرية تحت ابطها الايسر . ويدها العارية تروح وتجيء بغوايش الذهب مع حركتها الكسولة الواثقة وامام الدكان تركت الملاءة تنزلق من على رأسها واظهرت شعرها الكثيف وابتسمت لهما ومن خلف ، رأى سمانة ساقها اليمنى تضوى تحت هذه الملاءة الحريرية السوداء . ولايتحمل فاروق كل هذه الانوثة الصارخة فيعلق وهو يتابعها بعينيه « ربنا يهد القوى » اما يوسف النجار فحين يعرف ان زوجها تركها وعاد الى بلاده يفكر كيف يستفيد من الموقف لان « الامر يبدو مختلفا الان لانها لم تعد بنتا بل اصبحت امرأة » اما صديقه مجيد فيشجعه على خوض التجربة « انها تجربة ظريفة وخصوصا انها بنت بلد . ولان هذا النوع من التجارب غير متوافر لمن كانوا مثلنا وأن بوسعه ان يتركها عندما يريد ، ووعده بان يعطيه مفتاح شقته فى اى وقت يطلبه »

□ موت الفقراء ليس موتا ولكنه اغتيال

وعالم امبابة ليس مثل اى عالم . انه عالم

الناس «الغلابة» الناس التى لاتجد ماتستر به نفسها سوى جلباب قديم ممزق وحذاء مقطوع واعلى درجات التمدن عندها هو ان تلبس البيجامة انه عالم الحوارى الضيقة ، والازقة التى يتبول فيها الكبير والصغير عالم الاعرج والاعمى وبائع الفول وماسح الاحدية والقهوجى وموزع البريد وبائع السجائر وبائعة البرتقال والحلاق واللبان وبائع السمين والحانوتى . ولان هؤلاء الناس الغلابة يعلمون تماما ان احدا لم يهتم بهم فى السابق وانه لم يجد جديد حتى يهتم بهم احد فى الحاضر فلقد صنعوا عالمهم الخاص بهم واسسوا علاقاتهم الخاصة وقوانينهم غير المكتوبة ولانهم من المعدمين فقد عاش بعضهم على صيد السمك من النيل واحضاره الى الاسرة كل يوم وعاش البعض الاخر على الحداقة والشطارة والفهلوة كى يهبشوا قروشا من هنا وقروشا من هناك كما فعل فاروق وشوقى والشيخ حسنى وعبد الله القهوجى ولكنها فى النهاية قروش قليلة لاتكفى لشراء جلباب او لرتق حذاء متقوب وبالكاد تكفى لحق الدخان ومشروبات القهوة .

□ موقف إبراهيم أصلان من القضايا الوطنية

لم يمسك ابراهيم اصلان العصا من الوسط ولم يحاور او يناور او يتلاعب بالكلمات ، بل اعلنها واضحة ، صريحة ، ومحددة ، لقد عبر عن رأيه ورأى جيل الستينيات فيما حدث فى مصر فى السبعينيات وتنبأ وحذر مما سيحدث فى الثمانينيات نتيجة لسياسة الانفتاح الاقتصادى وفتح الباب على مصراعيه للغرب وللوجود الاجنبى .

وفى قصة « إنهم يرثون الارض » عبر عن رأيه فى نظرة الاجنبى الى شعوب العالم الثالث واحتقارهم وحرصه على بنى جنسه واعتبارهم من جنس ارقى وانهم احق الناس بوراثة الارض ومن عليها يسأل العم عمران الكابتن الانجليزى ايام الحرب العالمية الثانية لماذا تضعون الجيش المصرى فى الامام ، وتضعون الجيش السودانى وراءه ، والجيش الاسترالى وراءهما ، والجيش الانجليزى فى الخلف ؟ ويرد الكابتن الانجليزى اذا خاننا الجيش المصرى يضربه السودانى واذا اتفق المصرى مع السودانى يضربهما الاسترالى ، واذا اتفق المصرى والسودانى والاسترالى يضربهم الجيش الانجليزى .

وفى مالك الحزين سارت قضية ضياع القهوة على ايدى الطبقة الطفيلية التى افرزها الانفتاح والتى تشعبت وتغلغلت مثل السرطان سارت جنبا الى جنب مع قضية الوجود الاجنبى وتغلغل نفوذه فى مصر متمثلا فى الخواجة الايطالى الذى يدعى ملكية حى الكيت كات وانه اذا كسب القضية « قول على البيوت والقهاوى وبتوع اللبن والبرتقال والحديد السلام . كله كله . مش حيخلى حاجة ابدا ، الله ؟ ارضه بقى يبنيها ، يهدها يعملها خرابة ، يفرقها ، هو حر » وهكذا يصبح الاجنبى فى مصر هو صاحب الحق وصاحب الارض وعلى يديه يتحول المواطن المصرى الى مواطن من الدرجة الثانية ، يتحول الى غريب فى وطنه

وبسبب الانفتاح الاقتصادى والوجود الأجنبى فى مصر تحولت مصر الى مجتمع خدمات بناسها وطوبها وشجرها للقادرين والطامعين من كل مكان . وتنتاب ابراهيم اصلان الحيرة ولايعرف كيف يتصرف ازاء هذه الهجمة الشرسة ، فهو يرى ان الوطن يتحول ، وان المصريين الشرفاء سيكونون اخر الورثة فينصح « ان اهم شىء الان هو ان نكون حريصين على ما بأيدينا ولا تضيعه ابدا حتى يظل الوطن دائما وطنا » ولكنه فى لحظة اخرى ينتابه الخوف والقلق ولايستطيع ان يكبح غضبه فيقول مخاطبا اهل الحى على لسان عم قاسم ان كل هذا يحدث لكم وامام اعينكم وانتم لاتفعلون شيئا سوى ان تجلسوا مثل « صينية القلل » .

نحو مدرسة مصرية في التربية

بقلم : د. شبل بدران

« نحن نعتقد أن علما تربويا وطنيا لايمكن له أن ينشأ على اكتاف المؤسسة الأكاديمية الأمريكية ورجالها فى الخارج والداخل . لقد آن الآوان لصحوة فكرية وعلمية تغزو الأوساط البحثية الوطنية ، وتدعو رجال التربية الى إعمال عقولهم واذهانهم للتفكير فى قضايا التربية عن طريق بحث علمى وطنى نضع له معاييره وقواعده ونستخلص منه نظرياتنا المناسبة باغين هدفا أوحدا لا بديل له : إقامة نظام تعليمى يسعى لتحرير الانسان من كافة صنوف القهر والتسلط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية .

إن الاصلاحات التربوية الجزئية أو الكلية لن تدعم فعالية النظام التعليمى لكى يحقق الاهداف الملقاة عليه إن هذه الاصلاحات لاتغنى عن ضرورة وأهمية التغييرات الجذرية فى بنية المجتمع اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، وذلك لأن حل مشكلات التعليم تكمن خارجه فى بنية المجتمع ، ان النظام التعليمى أحد الأدوات الايديولوجية للأنظمة السياسية ، ومن هنا فان رجال التربية وحدهم لن يستطيعوا حل مشكلات التعليم فى غياب المشكلات المجتمعية الأخرى .. والتعليم المصرى والفكر التربوى السائد فى مصر الآن ، ومنذ اكثر من قرن من الزمان يعانى من مشكلات جوهرية تعوق حركته وفعاليته ، منها .

الأمية : التى مازالت تنهش فى طموحات الجماهير فى العلم والمعرفة ، والتى تزداد نسبتها عاما بعد عام ، فهى تصل إلى حوالى ٨٠ ٪ كنسبة عامة ، وتصل الى حوالى ٦٥ ٪ فى المدينة وحوالى ٧٥ ٪ فى الريف ، وترتفع نسبتها بين الإناث عن الذكور ، وبين جموع الفقراء والمحرومين



من أبسط احتياجاتهم الانسانية ، وتعود هذه المشكلة الى أن نسبة التسرب من المراحل الدراسية تصل الى حوالى ٢٠ ٪ ، وان النظام التعليمى يساعد على طرد المتعلمين خارجه إما بالقسوة التى يتصف بها ، واما لاحتياجهم إلى العمل فى سن مبكرة ، وكذلك فان الجهود التى تبذل فى هذا المجال هى جهود بيروقراطية وشكلية ، وليس هناك توجه عام وقومى نحو حل المشكلة حلا سياسيا ولذلك فان شعار زيادة الانتاج يصطدم بصخرة ارتفاع هذه النسبة ، فكيف يستطيع المواطنون العمل على زيادة الانتاج فى ظل حرمانهم من كافة الاحتياجات الثقافية والتعليمية ، ناهيك عن الاحتياجات المادية الضرورية ...

الاستيعاب : كانت الخطة الخمسية الثانية (٦٥ - ١٩٧٠) تطمح إلى تحقيق استيعاب ١٠٠ ٪ لجميع الأطفال الذين يقعون فى سن الالزام (ست سنوات) ولم تحقق هذه الخطة ذلك لأسباب منها انهيار النظام السياسى بعد يونيو ١٩٦٧ ، بل قبلها بقليل ، ومنذ ذلك التاريخ لم يتحقق الاستيعاب الكامل أو شبه الكامل ، حيث بلغت النسبة بإحصائيات عام ١٩٨١ حوالى ٨١ ٪ فى المدن الكبرى وحوالى ٧٠ ٪ فى الريف المصرى ، وهذا يعنى أن الطموح الذى طرح عام ١٩٦٥ لم يتحقق حتى عام ١٩٨٦ .. ولا شك أن ذلك يلقى بظلال الفشل والاخفاق للنظام السياسى ويدفع بغالبية الذين لم يلتحقوا بالمدارس الى الذهاب مبكرا الى سوق العمل ويقعون تحت قسوة شروط أصحاب رأس المال الخاص ،

والى الانضمام الى جيش الامية الزاحف .

المدرسة الموازية : يحاول الفكر التربوى السائد فى مصر تبرير مشكلة الدروس الخصوصية بارجاعها الى مجانية التعليم ، مما يكتشف عن الهدف الايديولوجى الذى يكمن خلف هذا التفسير ، عندما يطالب بإلغاء المجانية أو ترشيدها .. ولا شك أن هذه المشكلة تعود بشكل رئيسى الى خلل بنيوى فى النظام التعليمى ، حيث يعتبر مجموع الدرجات هو المعيار المؤهل للانتقال من مرحلة دراسية الى أخرى .

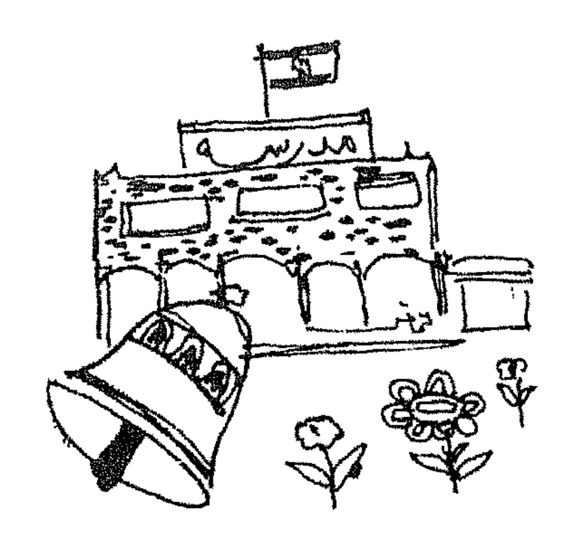
الانحياز الايديولوجى للمناهج : ان المعارف المقدمة للطلاب تعلن انحيازها لثقافة الطبقة الحاكمة ، وتكرسها وتدعمها ، من نمط القيم السائد والعادات والتقاليد والطموحات . فالمحتوى الدراسى للمناهج (المعارف المقدمة) لاتبث أى قيم عن العمل والانتاج واحترام الانسان وتدعيم القيم الديمقراطية ، ولكنها فى مجملها تدعم قيما ومعارف فردية أتت من الاطار المرجعى والمعرفى للثقافة الغربية . ولقد لعبت الايديولوجيا دورا بارزا بعد زيارة القدس (١٩٧٧) عندما تم تعديل مقررات المواد الاجتماعية ، ولم يعد هناك ذكر لاسرائيل **وأصبح الحديث عن القضية الفلسطينية غير وارد بالمرة ، بل أن الخرائط التى أتت للتعليم الاساسى من " المعونة الامريكية " لم يكن بها مكان لفلسطين . ولذلك فان المناهج تساعد على خلق أجيال مستسلمة وضائعة يدعمها فى ذلك طرق التدريس التقليدية والادارة المدرسية التسلطية . كل ذلك يتم على اعتبار ان المناهج الدراسية فى مصر تتصف بمايلى :**

أ - إن محتواها الدراسى ليس محايدا كما يعتقد رجال التربية التقليديون ، بل مثقل بالمعانى الاجتماعية والسياسية . فلا مغزى البتة للتميز بين المعرفة المدرسية والمحتوى الايديولوجى لها . وعلى ذلك فليس من المنطقى تقويم هذه المعرفة بالاعتماد على مجرد المعايير المحايدة من وجهة نظر أصحابها كالامتحانات والاختبارات المدرسية .

ب - يشير التحليل الاجتماعى والسياسى للمعانى المتضمنة فى المعرفة المدرسية إلى قيام الفئات الاجتماعية صاحبة الثروة والسلطة بإضفاء الشرعية على وجهات نظرها ومبادئها . ويعنى ذلك تعرض الطلاب لأفكار تخدم فى أضفاء الشرعية على النظام الاجتماعى السياسى الحالى .

جـ - تعمل المناهج على دعم التقسيم الاجتماعى للعمل وتعزيزه ، وتؤدى بذلك دورا تربويا هاما فى توليد الظروف الموائمة لاستمرار عدم التكافؤ الاجتماعى . وأكثر من ذلك ، فهى تلعب دورا هاما فى حرمان الفئات المقهورة من أنواع الوعى اللازمة للكشف عن طبيعة النظام الاجتماعى .

فقدان العلاقة بين ما يطرحه التعليم من شعارات والواقع الاجتماعى : يشيع فى المدرسة جو المعرفة والعلم والمنهج



العلمى فى التفكير ، واحترام المتعلمين وتحوى الكتب الدراسية العديد من القيم التى تدعم المنهج العلمى ، ولكن حينما يخرج الطالب الى الحياة ، إلى واقعه المعاش يصطدم بغياب وفقدان ماسمع وقرأ وعرف ، ومن هنا فان الانفصال بين المدرسة والواقع عامل يساعد على عدم جدوى التعليم ، وعدم أهمية المدرسة أصلا ، فى تدبير شئون الحياة ، ويفقد التعليم دوره وأهميته فى العملية الانتاجية ، ويقلل الاعتماد عليه فى احداث التنمية أو تحقيق الاحلام . ويدعم ذلك فى ذات الوقت محاولات الدولة رفع يدها عن تعيين الخريجين بحجة زيادة أعدادهم عن احتياجات سوق العمل ، **ولا تعترف أن الفشل ليس فى زيادة أعداد المتعلمين ، ولكن فى عدم قدرة المجتمع عن توفير فرص العمل والحياة لأبنائه**

ازدواجية النظام التعليمى : يعانى النظام التعليمى المصرى الحديث منذ نشأته فى مطلع القرن التاسع عشر ازدواجية كرسها ودعمها المستعمر الاجنبى (تعليم عام ، تعليم فنى ، تعليم أزهرى ـ دينى ـ تعليم أجنبى ، تعليم لغات . الخ) وكلها أنواع متباينة ومتناقضة مع طموحات الدولة الوطنية والقومية ، ولكنها أنواع تسد احتياجات الفئات الاجتماعية المتباينة ، وتدعم الهرمية والطبقية الاجتماعية ، حيث يدخل التعليم العام والاجنبى واللغات أبناء الفئات الاجتماعية الميسورة (النخبة) ويدخل أبناء الفئات والطبقات الفقيرة والمحرومة التعليم الفنى والدينى ، ذلك لما لكل نوع من هذه الأنواع من احترام وتقدير من المجتمع وثقافته السائدة التى هى ثقافة الطبقة المسيطرة طبعا . ولذلك فليس بغريب علينا أن تمهد جريدة الاهرام وتدعم ذلك من تصّريحات لرؤساء الجامعات من تقليل أعداد الطلاب الملتحقين بالتعليم العام والجامعى ، وزيادة أعدادهؤلاء الذين سوف ينخرطون فى التعليم الفنى والمهنى ، ومن **هنا فنحن نقول أن الفكر التربوى السائد فى مصر مازال يقف عند الحدود التى رسمها أفلاطون من أن أبناء الحكام والصفوة يشتغلون بالعمل العقلى الذهنى الذى يؤهل له التعليم العام والجامعى وأبناء الرعاع يشتغلون بالاعمال اليدوية**

● الدور التبعى للتعليم المصرى

التعليم المصرى منذ أن آستقدمه محمد على فى مطلع القرن التاسع عشر ، تعليم منقول ، وهو صورة مشوهة من صورة التعليم فى المجتمع الاوروبى ،

نحو مدرسة مصرية فى التربية

فالتعليم فى أوروبا فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، كان يحقق أهداف وطموحات المجتمع الصناعى الرأسمالى المتقدم ، من ضرورة تعليم وتدريب المواطنين لكى يكونوا قادرين على زيادة الانتاج وتقبل التقدم الصناعى فى الانتاج وكان فى مصر أشبه بنتوء خارج حركة التطور الاجتماعى ، فلم يكن نابعا منها ،

ولا مواكبا لها ، **وظل هكذا حتى بعد يوليو ١٩٥٢ .**

● ملامح المدرســـة المصرية فى التربية

لقد آن الاوان أن يصبح تحرير الانسان المصرى الواعى الحر هو الهدف الرئيسى والعاجل الذى يجب أن تنجزه التربية فى مصر ، والذى يهتم به ويدور حول محوره الفكر والممارسة التربوية فى مجتمعنا ، إن أشكال الفكر والممارسات التربوية القديمة والسائدة تعجز - كما عجزت بالفعل - عن إنجاز هذا الهدف

ومن ثم فلابد من التفكير فى مدرسة مصرية للتربية جديدة تأخذ مكانها فى مجال التربية ، كما يجب أن تأخذ مكانها فى كل مجال من مجالات المجتمع .

إن الفكر التربوى السائد فى مصر الآن والذى يحكم حركة التربية لن يستطيع انجاز هذا الهدف العاجل والملح

فالاهتمام الحقيقى للفكر التربوى السائد هو ربط التعليم فى مصر ليس بقضية تحرير الإنسان المصرى واطلاق طاقاته الانسانية الخلاقة والمبدعة ، بل ربط التعليم بالانتاج من خلال مفهوم اقتصادى ضيّق يحقق فقط مصلحة القلة المسيطرة فى المجتمع .

وباتت القضايا المحورية فى هذا الفكر تدور حول مسائل فنية فى وسائل التعليم وطرائق التدريس ، وبدت المعرفة التى تقدمها المناهج فى هذا الاطار الفكرى وكأنها شيئا طبيعيا ومحايدا لايناقش بنيتها ولا أسس توزيعها وكل ما يسمح به هذا الفكر هو تقديم تعديلات جزئية فى المناهج الدراسية القائمة بالفعل فى إطار الفكر السائد ، وغدت المسألة فى التعليم وبصرف النظر عن فشل الممارسة التربوية الحالية فى مدارسنا من تحقيق ذلك وكأنها تكمن فى حزق وبراعة المعلم وفاعلية الطرائق التربوية الحالية فى الفصل الدراسى ، مما أدى الى ظهور أعراض مرضية متعددة منها : الدروس الخصوصية ، والاقتصار على التعليم اللفظى ، والامتحانات وقياسها لبعد واحد هو الذاكرة الصماء ، وليست الذاكرة المبدعة ، وتفاقم مشكلة الامية والتى تعد فى مجملها نتاجا للقوى الاجتماعية المسيطرة .. والتى تحجم عن التصدى لهذه المشكلة باعتبار أن ذلك يهدد مصالحها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولقد أغفل الفكر التربوى

السائد دراسة البنية الاجتماعية للمدرسة التى تتم من خلالها العملية التربوية ، وأضحت لديه هذه البنية وكأنها - أيضا - شيئا طبيعيا قطعيا ، ومعزولة عن بنية المجتمع السياسية .

إن الفكر التربوى السائد على سبيل المثال لم يتطرق من قريب أو بعيد الى دراسة نمط العلاقات الاجتماعية فى المدرسة المصرية وتاثير هذه العلاقات فى تكوين وتشكيل شخصية المواطن المصرى من جهة ودورها فى تعزيز بنية المجتمع القديم الذى نتطلع نحو تغييره الى مجتمع انسانى أرحب من جهة ثانية .

ان المدرسة المصرية فى التربية التى نتطلع اليها تطالب - ضمن ما تطالب - بجعل تحرير الانسان فى مصر من عوامل السيطرة والقهر التاريخية وتمكينه من بناء مجتمع انسانى أرحب ، هو الهدف الذى ينبغى أن تدور حوله الجهود فى مجال الفكر والممارسة فى حقل التربية . ومن تم تصبح دراسة العلاقة بين بنية التنظيم الاجتماعى والتربوى من جهة وبنية المجتمع الاكبر من جهة أخرى ، تعنى الموضوع الدراسى الأول الذى يجب أن تهتم به الدراسات والابحاث والاصلاحات فى مجال التربية . ومن هنا فان مهمة وضع ملامح وأطر لهذه المدرسة المنشودة ، ليست مهمة فرد بعينه أو جماعة بعينها ، ولكنها مهمة مجتمعية فى الأساس ، تساهم فيها كافة القوى والأحزاب السياسية والنقابات والهيئات والمنظمات التى تنشغل بهموم الوطن والمواطن ، الا إننا نطرح فى هذا التصور المبدئى أربعة ملامح يمكن أن يدور حولها النقاش والحوار الذى يجب أن يفتح أمام الجميع للمساهمة والمشاركة فيه . وهذه الملامح العامة هى

١ - أن تهتم المدرسة المصرية فى التربية بدراسة العلاقات الاجتماعية داخل المدرسة وتاثيرها فى تشكيل السمات الشخصية للانسان فى المجتمع المصرى .

٢ - أن تهتم بدراسة المعرفة ومحتوى المناهج الدراسية من حيث كونها نتاجا اجتماعيا يعكس البنية السياسية والاجتماعية للمجتمع المصرى .

٣ - ان تهتم بدراسة العلاقة التفاعلية القائمة بين العلاقات المدرسية ومايدور خلالها من عملية تربوية وبين بنية العلاقات السياسية الاجتماعية فى المجتمع من جهة أخرى .

٤ - ان تعنى بدراسة المشكلات التربوية باعتبارها مشكلات تربوية اجتماعية وسياسية وليست مشكلات تربوية منعزلة عن الواقع الاجتماعى المعاش .

ولاشك ان دراسة مثل هذه المجالات سوف تعمق وتؤصل الفكر التربوى المصرى المناط به احداث تغيير فى بنية النظام التعليمى ، لكى يكون أكثر عدلا وأكثر تحريرا للانسان المصرى من كافة صنوف القهر الواقعة عليه .

د . شبل بدران يعمل بكلية التربية جامعة طنطا



● رداً على مقال د . محمد حرب ●

بقلم : د. سعيد اسماعيل على

"ما هكذا ينقد التاريخ العثمانى"

كم يشعر المسلم بكثير من الزهو والفخار ، اذ يقرأ فى تراث تاريخ الدولة الاسلامية الاولى فى المدينة المنورة ، كيف وقف واحد من جماهير المسلمين يقول فى وجه الخليفة العادل ، انهم لو وجدوا فيه اعوجاجا لقوموه ولو بحد السيف، وكان لهذا الخليفة العظيم ماله من مكانة فى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون ان يغضب من القائل وينزل به العقاب ، وانما على العكس ، يظهر ارتياحا وطمانينة لتوفر الوعى بين جماهير المسلمين ، والجراة فى التصريح بالحق امام اعلى المقامات دون وجل او تردد حيث ان الساكت عن الحق ((شيطان اخرس)) .

وكم يشعر المسلم بقدر غير قليل من الأسى ، حين يرى بعضا منا - ربما بحسن نية - يضفون هالات التقديس على نظام حكم اقامة بشر وأداروه بعد ذلك بقرون عدة ، وبعد ان تعددت الآراء واختلف الاجتهادات وتباينت المذاهب والاتجاهات ، وصار كل منها يتصور انه وحده المبصر بالحق، وان غيره منحرفون عنه .. حتى اذا حاول باحث ان يكشف عن أخطاء هذا النظام الحاكم ، هب هذا البعض غاضبين ، دون ان يدروا ان غضبتهم تلك انما تعنى مطابقة لديهم بين نظام الحكم هذا وبين رابطة العقيدة الاسلامية !

ولقد حرصت على أن أحدد بوضوح كامل المنطلق الفكرى الذى تصدر كتابتى عنه فى مقالى عن موقف السلطان عبد الحميد من الثورة العرابية (الهلال، فبراير ١٩٨٧) ، ومع ذلك فقد هب د. محمد حرب ناقدا (الهلال ، مايو ١٩٨٧) .

وعلى الرغم من حرصى الغالب على عدم الرد على ما قد يثار نقدا لبعض ما أكتب ، لما يشوب الكثرة الغالبة من الكتابات النقدية عندنا من انحراف عن (الموضوع) الى هجوم على (الشخص)، لكننى ليوم اتخلى عن المعزوف عن الرد، لاننى حقيقة لست فى نقد د. حرب حرصه ان يحصر نفسه فى (الموضوع) بنسبة اكبر ، معبرا عن روح تتسم بالتهذيب وعفة القلم .

وأرجو الا يقدح فى وصفى هذا ، الاشارة الى ان هذا النقد لم يخل من

شائبة (شخصية) بدت من خلال بعض ظلال حامت اطيافها علي « أهلية » كاتب هذه السطور في الكتابة التاريخية، وفي المقابل ، قدر قليل من روح «التعالي»

ولا أريد أن اقف عند هذه القضية طويلا .. فقط أريد أن اطمئن د. حرب بان درجة الدكتوراه التي يحملها كاتب هذه السطور ، هي في تاريخ الفكر التربوي في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ، وبالتالي ، فقد كانت علاقة مصر بالدولة العثمانية ، أحد الاركان الهامة في الدراسة . ومقالي اليوم سأقصره على بعض النقاط التي وردت بمقال الدكتور حرب عن الدولةالعثمانية فقط ، اما علاقتها بالثورة العرابية ، فقد نفرد لها مقالا آخر .

وأول النقاط التي أثارها الدكتور حرب ، هي ما يتصل ببعض المصادر التي استعنت بها ونقص بعض بياناتها . وأود أن ألفت النظر هنا الى ان حجم المقالات التي نكتبها للهلال ، فضلا عن طبيعتها كمجلة ثقافية موجهة لمختلف شرائح المثقفين وتخصصاتهم ،تغل القلم عن ان يسترسل ويفيض في ذكر المصادر كلها وما يتصل بها من تقاليد معروفة في عمليات « التهميش » و « الاحالة » ومن ثم نحاول ان نحصر انفسنا في « نماذج » و « امثلة » من المصادر .

واكاد اعجب لدهشة الدكتور حرب من استعانتي بكتاب الدكتور أبو الفتوح رضوان المنشور عام ١٩٦٨ ، على أساس أننا الآن في سنة ١٩٨٧ ، اذ لا أظن ــ وهو الباحث التاريخي المدقق ــ يغفل عن ان قدم المصدر ، لا يقلل من قيمته ، وفي كثير من الاحوال ، قد يكون القدم ميزة ، على عكس الامر في كثير من ابحاث العلوم الاخرى .

ولا أدري كيف يقلل الدكتور حرب من قيمة مرجع كبير موضوعه كله هو (القومية العربية) ، وبالتالي ، كان من الضروري ان تكون الدولة العثمانية و (الجامعة الاسلامية) ركنا أساسيا فيه ، فتتوفر فرصة الوقوف على الرأي (المغاير) . ونضيف الى ذلك ان مؤلف الكتاب ، متخرج في قسم التاريخ بآداب القاهرة في اوائل الثلاثينيات، وحصل على درجتين للماجيستير ، أولاهما في (تدريس التاريخ) ، والثانية عن (تاريخ مطبعة بولاق) ، وهي رسالة ضخمه في موضوع وعن معظم مصادرها، عن عهد الدولة العثمانية ، ورسالته للدكتوراه كانت بعنوان
New Farces In Egyptian Education old and.
وهي دراسة تاريخية تمت في جامعة كولومبيا بنيويورك ، وصدرت في كتاب معروف ومتداول هناك .

أما كتاب الدكتور محمد أنيس عن الدولة العثمانية والشرق العربي ، فعدم ذكر تاريخ طبعته ليس سهوا ، لانه بالفعل (بدون تاريخ) . وللدكتور حرب أن يشكك في قيمة هذا المصدر لهذا المؤرخ الكبير ، أما كاتب هذه السطور ، فيحمل له ــ الدكتور أنيس ــ الكثير من التقدير والاحترام ، وهذه قضية أخرى .

واذ نقول « لولا الازهر ، لاصيبت اللغة العربية والعلوم الدينية بأضرار، ولغلبت اللغة التركية » ، يبادر الدكتور حرب بأن هذه مقولة ، « مجافية تماما لتاريخ التربية والتعليم » ، ومعذرة اذ نستخدم نفس أسلوب الدكتور لنقول بتأكيد هذه المقولة من منطلق تخصصنا في تاريخ التربية والتعليم ، ونحيله الى كتابينا « تاريخ التربية والتعليم في مصر ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ » و « دور الازهر في السياسة المصرية ، كتاب الهلال ، نوفمبر ١٩٨٦ » .

وندهش لتساؤل الدكتور : « من قال ان العثمانيين تدخلوا في مقررات الازهر ولا في دراساته ؟ » .. بل اننا نكرر معه هذا التساؤل ، لاننا لم نقل بتدخلهم في الازهر ، ولكن مقولتنا ان النظام الحاكم ، اذا كانت لغته مغايرة للغة المحكومين ، كما هو الحال بالنسبة للدولة العثمانية ، فانه ، حتى ولو لم يقصد ، من الناحية العملية ، يؤدي ، بالتعامل معه ، الى « تسييد » لغته هو ، فتضعف بالتبعية لغة المحكومين المغايرة .

وبغض النظر عما قاله الدكتور حرب فاننا نحيله الى دراسات اساتذة اللغة العربية وآدابها ليقولوا هم كيف ان اللغة العربية وآدابها في مصر لم تشهد تدهورا مثل ذلك الذى شهدته ابان الحكم العثماني ، فهذا محمد عبد الغني حسن، في كتابه عن حسن العطار (دار المعارف، ١٩٦٨ ، ص ١٦) يقول ان اللغة التركية في العهد العثماني « استطاعت ان تفسد ملكة اللسان العربي عند اصحابه .. فقد رأينا ملكة التعبير هبطت عند كثير من الادباء والمؤلفين ، كما رأينا الاصالة الفكرية قد استحالت الى ضحالة ، ورأينا القرائح العربية قد جمدت ولم يعد لها ذلك الخصب الذى عهدناه في عهود القوة العربية ، وهبط مستوى التاليف الخالق المبتكر الى درك من الجدل العقيم والتعليق السقيم والحواشي المرذولةالتي لا ترتفع الى مستوى الاصالة في التفكير » .

أما الدكتور شوقي ضيف في كتابه (الادب العربي المعاصر في مصر) ـ « كان الحاكم يقدم عليها (العربية) اللغة التركية في دواوينه ومنشوراته وما يطبع من كتب وآثار في مطبعة بولاق ، بل لقد كان التحدث بها من مثالب المدارس معيبة حتى عهد عباس الاول ، فالشيخ المهدى يقول في (مذكرات الادب) التي طبعها لتلامذة القضاء الشرعي في مطلع هذا القرن ، كانت اللغة العربية مضطهدة في عهد عباس الاول الى حد ان من يتكلم بها من طلبة المدارس الحربية ، توضع فيه العقلة التي توضع في فم الحمار حين يقص ، ويبقى كذلك نهارا كاملا عقوبة له على تحريك لسانه بلغة القرآن في اثناء فسحته » .

وفي دراسة علمية هامة لعبد السميع الهراوى بعنوان (لغة الادارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر) نشرها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٦١، (ص٨٠) « عانت اللغة العربية محنة قاسية تخرمتها بالاعياء والوهن، فانحط اسلوبها وزاحمتها اللغة التركية في دواوين الحكومة بوصفها اللغة الرسمية الاولى، بل انها زاحمت العربية في المعاملات العامة كذلك ، بحكم الغلبة والسلطان ، والناس على دين ملوكهم .

ولقد عمد الاتراك الى وأد اللغة العربية في دواوين الحكومة الرئيسيه بالغاء ديوان الانشاء الذى كان قائما منذ عهد احمد بن طولون ، وكان اذ ذاك مثابة تستقيم فيها اللغة الديوانية ، ومدرسة يتخرج فيها جهابذة الادباء وحذاق كتاب الدواوين ، فكان الغاؤه جناية على العربية ، ومحنة قاصمة حزبتها وصوحت عن نضرتها .. » .

ويقول نفس الباحث (ص ١٢٠) ان الدولة العثمانية أضفت على الادارة المصرية صبغتها التركية « اداتها ولغتها، فارست قواعدها على اسس تركية ، وفرضت التركية لغة لها ، واستبقت العربية ـ اللغة القومية ـ رسميا فيما له اتصال مباشر بافراد الرعية ، وفي شئون الضرائب خاصة تيسيرا

لجبايتها وضبط حسابها ... » .
وهناك شواهد أخرى كثيرة ، نحن على استعداد للمزيد منها لمن أراد .

● شعارات للنفاق

أما ما اورده الدكتور حرب عن الجامعة الاسلامية ، فلن اقف عنده طويلا. فقط أرجو ان يعيد قراءة الفقرات الاولى من مقالي السابق ليتأكد ان كاتب هذه السطور يضع الرابطة الدينية في المقام الاول ، ومن ثم فان ما نسوقه من نقد ، انما هو « لممارسات » هذا النظام السياسي أو ذاك ، واننا لنعيد الى الاذهان كيف رفع حاكم مثل (جعفر نميرى) فى السودان الشعار الدينى نفاقا وكذبا ، ومارس من وراء ستاره ابشع أساليب الاستبداد والفساد والاستغلال .

واذا كان كاتب هذه السطور يحتفى فى سطوره (بالعروبة) ، فلانه يتعامل معها كحضارة وثقافة ، لا كجنس وعرق، وبالتالى ، فلا يراها دائرة تقع خارج الدائرة الاسلامية ، وانما هى ركن أساسى فيها . وكذلك اذا كنا نفخر (بالوطنية) ، فليس باعتبارها أيضا بديلا أو مقابلا للاسلام أو العروبة وانما هى ايضا دائرة أصغر تقع داخل دائرة العروبة .

اننا لا نستطيع ان ننكر الدور التاريخى الكبير الذى قامت به الدولة العثمانية فى جانبين :

الاول : جمعها البلدان الاسلامية فى وحدة سياسية استمرت عدة قرون .

الثانى: وقوفها بالمرصاد ضد محاولات الاستعمار الغربى .

لكن هذا لا يجعلنا أيضا ننسى ان مثل ذلك انما كان حتى نهاية القرن الثامن عشر ، اما فى القرن التاسع عشر ، واوائل العشرين ، فقد كانت تلك الدولة تعانى من أمراض الشيخوخة الحضارية، شأنها فى ذلك شأن كثير من الامبراطوريات الكبرى طوال التاريخ وكما ساعدت قوتها ووحدتها على حماية العالم الاسلامى من الوقوع تحت سيطرة الغرب الاستعمارى ، اذ يضعفها وشيخوختها يمكنانه في القرن التاسع عشر ان (يأكل) معظم العالم العربى تحت سمع وبصر سلاطينها وخلفائها .

كذلك فاننا نعترف بموقف عبد الحميد المشرف من محاولات اقامة الدولة الصهيونية فى فلسطين ، لكننا نرجو ان ننبه الى انه اذا كان قد رفض فكرة الدولة للوطن القومى، الا ان الصهاينة فى ظل حكمه أيضا قد اقاموا العديد من المستوطنات وبذروا العديد من البذور التى جعلت قيام هذه الدولة فيما بعد مسألة وقت ومسألة اجراءات .

● عداء العثمانيين لمصر

ثم نأتى لمسألة (تهجير) السلطان سليم لكم ضخم من أحسن الكفاءات العلمية والعملية المصرية الى العاصمة العثمانية من مصر ، ومحاولة الدكتور حرب التهوين من آثار ذلك على الطاقة الانتاجية لمصر، حيث ذكر انهم عادوا الى مصر بعد ثلاث سنوات فقط ، فحتى اذا سلمنا بذلك ، فهناك مما لا يمكن ان يعاد الى شعب مصر ، فها هو ابن اياس في مؤلفه المعروف (بدائع الزهور)، طبعة الشعب ، ص ١١١١ يقول :

« ان ابن عثمان هتك حريم مصر ، وما خرج منها حتى غنم اموالها وقتل ابطالها ويتم اطفالها ، وأسر رجالها ، وبدد أحوالها ، وأظهر أهوالها ، فلم يدخل اليها أحد .. ولا ملكها قط أحد ، ولاجرى مثل ما جرى عليها من ابن عثمان الا ان كان فى زمان بختنصر البابلى ».. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم» .. وقال أيضا :

« ان ابن عثمان خرج من مصر ومعه

الف جمل ، ما بين ذهب وفضة ، هذا خارجا عما غنمه من التحف والسلاح الصينى والنحاس ·· والخيول والبغال والصينى والنحاس·· والخيول والبغال الرخام الفاخر ، وأخذ منها من كل شيء أحسنه ، مما لم يفرح به اباؤه ولااجداده من قبله ابدا ، وكذلك ما غنمه وزراؤه من الاموال الجزيلة ، وكذلك عسكره، فانهم غنموا من النهب ما لا يحصى وصار اقل ما فيهم ، اعظم من أمير مائة ومقدم الف مما غنمه من مال وسلاح وخيول وغير ذلك ·· **فما رحلوا من الديار المصرية الا والناس فى غاية البلية** ·

وفى مدة اقامة ابن عثمان بالقاهرة، حصل لاهلها الضرر الشامل وبطل منها نحو خمسين صنعة ·، وتعطلت منهـا اصحابها » ··

ترى ، اكان ابن اياس هو الاخر متاثرا فى ذلك بكتابات الغربيين لانه انتقد الدولة العثمانية ؟

ويسجل على مبارك فى الجزء الاول من الخطط التوفيقية قوله : « ابتداء من القرن الثانى عشر ، يعنى مدة ثلاثة قرون ، قد اهمل أمر المدارس ، وامتدت ايدى الاطماع الى اوقافها ، وتصرف فيها النظار على خلاف شروط وقفها ، وامتنع الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة ، فأخذوا فى مقارنتها ، وصار ذلك يزيد كل سنة عما قبلها لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد ، حتى انقطع التدريس فيها بالكلية ، وبيعت كتبها وانتهبت ، ثم اخذت تتشعث وتتخرب من عدم الالتفات الى عمارتها ومرمتها ، فامتدت ايدى الناس والظلمة الى بيع رخامها وابوابها وشبابيكها حتى آل بعض تلك المدارس الفخمة والمبانى الجليلة الى زاوية صغيرة ، تراها مغلقة فى اغلب الايام ،وبعضها زال بالكلية وصار زريبة او حوشا و غير ذلك ، ولله عاقبة الامور » ·

وهذا هو الشيخ السادات يكتب عام ١٨٠٠ الى عثمان كتخدا الدولة يقول : « ·· الزمتم الغنى والفقير اطعام عسكركم الذى اوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ فى النهب والفساد غاية الغايات ، فكان جهادكم فى أماكن الموبقات والملاهى حتى نزل المسلمين اعظم المصائب والدواهى فاستحكم الدمار والخراب ، ومنعت الاقوات وانقطعت الاسباب ، فبذلك كان عسكركم مخذولا ، وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا » ، ص ٣٦٠ ·

·· هكذا خربوا مصر وامتصوا دماء شعبها وأذلوا أهلها وافقروا جيوبهم ·· جفت الاوراق وسالت أنهر البؤس فى كل مكان ·· وصارت مصر بذلك (صيدا) جاهزا ·· فريسة سهلة لافاعى الاستعمار الجديد الآتية من الغرب الراسمالى !!

ومعذرة للقارىء حيث اتخمناه بهذه النصوص ، وما فعلنا ذلك الا ليعلم من لا يعلم أن المسالة ليست رأيا لنا أو لغيرنا ابتدعناه ، وليس الرأى دائما فيه متابعة وترديد لما يقوله الغربيون ، فنحن نعى تماما العداء التاريخى الغربى للدولة الاسلامية ، ولكن : هل يدعونا هذا ان نغمض العينين عما فى (ممارسات) النظام الحاكم لهذه الدولة من سيئات ؟ وهل يمكن أن نصدق حكاما هذه حال مصر فى عهودهم ، انهم يعملون لصالح الاسلام ؟ أليس صالح المسلمين من صالح الاسلام ؟ فاذا كان هذا هو ما آل اليه حال مسلمى مصر (وغيرها مثلها بطبيعة الحال ، ولكننا نقصر الكلام على مصر التى

تخصصنا فى دراسة تاريخها) فهل يمكن ان نثق بالشعار المرفوع ؟ .

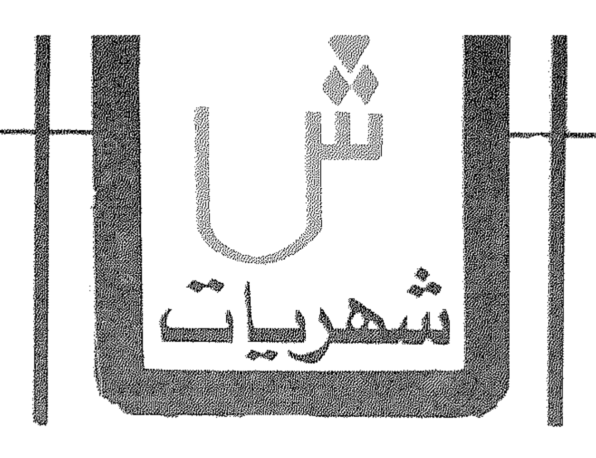
• سيادة الجنس التركى

ونأتى اخيرا الى قضية وصفنا للدولة العثمانية بأنها (تركية) ، اذ ينكر الدكتور حرب علينا ذلك ويرى ان دولة المماليك هى فقط الدولة التركية .. وليس ذلك حقيقا كل الدقة ، وها هو الدكتور محمود رزق سليم فى الجزء الاول من موسوعته التاريخية الضخمة عن عصر سلاطين المماليك (ص ١٧) يقول : « ويظن المرء لاول وهلة ان مماليك مصر هؤلاء كلهم من الجنس التركى أو الجركسى ، والواقع ان فيهم من اجناس أخرى عددا » ، ومن الامثلة التى يبرهن بها على ذلك ان منهم التركى كالظاهر بيبرس والجركسى كالاشرف قايتباى ، والتترى كالعادل كتبغا ، والقبجاقى ، كالمنصور قلاوون والهندى كالامير جوهر التركمانى اليشبكى ، والرومى كالظاهر تمربغا ، ولكن الجنسين التركى والجركسى كانا غالبين .. كان للجنس التركى السيادة فى الدولة الاولى (الدولة البحرية) ، وللجنس الجركسى السيادة فى الدولة الثانية (الدولة البرجية) أو الجركسية .. وكان من الاجناس الاخرى طائفة من المغول استقدمها الى مصر العادل كتبغا المنصورى ، وكان منها طوائف من التركمان والكرد واللاظ والأرمن ، وكثرت انواعهم وتعددت فى الجزء الاخير من الدولة الجركسية .

وتتعدد أقوال المؤرخين فى الاصول الجنسية للعثمانيين ، وتحيط بعض الروايات الاساطير ، ولا ندعى قولا فصلا فى هذا الموضوع ، ولكن المتواتر أن العثمانيين منتسبون الى احدى قبائل الغز التركية التى دفعها تقدم المغول فى أوائل القرن الثالث عشر الى الهرب غربا صوب الاناضول تحت قيادة أرطغرل .وانتساب الدولة الى عثمان راجع الى كونه قد أكد استقلاله التام على أثر انهيار دولة سلاجقة الروم . ومن ناحية أخرى فهى دولة تركية بشكل ما ، وليس بصفة مطلقة ، فالاسرة الحاكمة انما هى أسرة تركية تدعى الانتساب الى قبيلة أوغوز التى انتسب اليها السلاجقة ، وكان بامكانها ان تستثير التضامن الجنسى لدى رجال القبائل الاتراك (احمد عبد الرحيم مصطفى: فى اصول التاريخ العثمانى ، دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ٣١) .

وهكذا لم يكن لاصطلاح (عثمانى) مدلول قومى ، بل انه يرتبط بأسرة حاكمة مثله فى ذلك مثل مصطلحات (الامويين) و (العباسيين) و (السلاجقة) ... الخ .

ان الكتابة التاريخية بحاجة الى حذر شديد من تغلب ما تثيره العقيدة الدينية من عواطف ، قد تحيد بالباحث عن رؤية الاخطاء الناتجة عن الممارسات والتطبيق ، وهما منه ان الحديث عن هذه الاخطاء فيه مساس بهذه العقيدة ، فيخلط بذلك بين « الالهى » و « البشرى » ، بين (المطلق) و (النسبى) .. ونحن لا ندعى لانفسنا العصمة تماما من مثل هذا الخطأ المنهجى ، وانما يكفينا الوعى بهذه الحقيقة مما لا يجعلنا نتهم الاخرين ونبرىء انفسنا ، اذ لا نملك ان نقول الا ما قاله احد تلاميذ ابى حنيفة عندما لوحظ اختلاف بعض ارائه عن رأى استاذه ، فلما سئل عن ذلك ، كان رده : « ان أبا حنيفة قد أوتى لم تؤت ، فأدرك فهمه ما لم ندركه ، ونحن لم نؤت من الفهم الا ما آوتينا ، ولا يسعنا أن نفتى بقول ما لم نفهم من أين قال » .



رأى فى الثقافة الإعلان وسيله ثقافية ايضا

● فى بلاد الدنيا التى تعرضت للمشكله الاعلانيه التى تعانيها ، ومن اجل الصالح العام ، تدارسوا الوضع . ووضعوا له الحلول .

فالإعلان أصبح الآن ، ليس فقط الوسيلة الأخطر لترويج السلع الاستهلاكيه وغير الاستهلاكية . لكنه ايضا وسيله لتوصل ثقافة يراد لها ان تسود وتنتشر مع السلعة ، وبقدر حاجة الناس لها

فالامريكيون مثلا يريدون لثقافتهم « الوسترن » ان تسود وتنتشر فوضعوا « قانون الحياة للأقوى والاغنى والاكثر اثارة » فى « موضوع » و« رسم » الاعلان . ليغزوا به . ليس فقط السوق الداخليه الرهيبة ، بل اسواق البلدان التى تتيح لهم أن يصولوا ويجولوا فى عقول ابنائها

وفى فرنسا ، مثلا ، تتدخل وزارة الثقافه والبلديات فى « رسم » و« تصميم » الاعلان كما فى « مضمونه » وهناك قوانين صارمه من اجل الحفاظ على الطابع الفرنسى والثقافه الفرنسيه ، ومستوى الذوق الذى تنقله هذه الوسيلة الخطيرة المؤثرة على ذوق وثقافة الناس

واذا كان الانسان البالغ يعانى من تاثير شكل وتصميم ومضمون اعلاناتنا المتخلفة ، التى هى فى الأغلب الأعم بلا شخصيه ولا طعم ولا رائحه ، الا فى القليل النادر حيث يفاجئنا بعض مصممى ومخرجى الاعلانات باشكال مصرية ذات طابع عربى ترتاح له النفس ، وتتفاعل معه القلوب والابصار . نقول فما بال الأجيال الصاعدة ؟

لمن يتوجه المواطن المتأذى من الكم الاكبر من شكل وذوق هذا السيل من الاعلانات التى هى على الجدران ، وفى الصحف والمجلات وعلى ظهور الاتوبيسات والقطارات ، وليس فقط فى الراديو والشاشه الصغيرة التى اصبحت اعلاناتها مادة يرددها الصبية والبنات مع بريلا بريلا بريليلة وهم يلعبون ؟

هل من حقنا ان نسال عن دور اللجنة الثقافية فى مجلس الشعب ، أم عن دور نقابة الفنون الجميله ، ام نتوجه بالسؤال الى وزارة الثقافة ؟

إن لدينا مصممين وفنانين كبارا تستعين بهم المؤسسات العربية والعالمية . لماذا لاتستعين بهم وباستشاراتهم المؤسسات العاملة فى هذا الحقل ؟

عبده جبير

راديو

ثلاثون عاما على البرنامج الثانى

● البرنامج الثانى الذى ظل واحة صغيرة فى حياتنا الثقافيه ، لها طعم ورائحة ولون ، على الرغم من تقليص عدد ساعاته أحيانا ، وبعض النبات الشيطانى الذى يعشش فيه لأسباب خارجة ، وفى ظروف خاصة ، احتفل الشهر الماضى (مايو) بمرور ثلاثين عاما على انشائه ، واحتفاله كان من داخله بتجويد ماقدم ، وتكرار ذكريات واعادة لاذاعة ماعد بارزا من أعماله .. لكن صحافتنا الغراء ، تجاهلت المناسبة ، أو ذكرتها على الماشى .

أنشىء البرنامج الثانى فى مايو ١٩٥٧ ليكون منبرا للثقافة الجادة التى تتعامل مع روح الناس ووجدانهم الحق ، لا مع غرائزهم الحيوانية ، وعندما انتشرت الخفة فى ظروف بعينها ، تقلص دوره ، ولم يعد اهتمام الناس به مستمعين أو مثقفين كما كان فى أول عهده . واجهة للابداع الأدبى والفنى والفكرى .

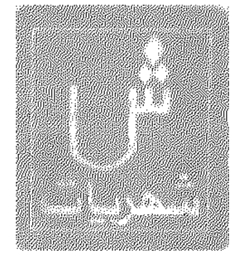
لقد استطاع البرنامج الثانى ، على أية حال ، خلال هذه المسيرة الطويلة ، أن يقدم عددا كبيرا من ألمع الشعراء والقصاصين والنقاد وكتاب المسرح ، والمعدين الجادين والمذيعين .. رجالا ونساء .. من المستوى الرفيع فى كل هذه الفنون .. وكان لبرامجه النقدية أثر كبير فى التعريف بالأعمال الأدبية ، وأنواعها المختلفة ، وأسماء مبدعيها وحوادث حياتهم التى أثرت فى ابداعهم .

لقد كان فى وقت من الأوقات ، هو الجامعة الوحيدة المتاحة لأبناء الريف الذين يعيشون بعيدا عن العاصمة ، ليسمعوا الموسيقى الكلاسيك الرفيعة مع شرحها ، ويعرفوا المصطلحات الأدبية والفنية والفكرية وطريقة نطقها الصحيحة ، كما أسماء الكتب ، والمجلات غير المتاحة لهم ، وماتنقله لهم هذه الاذاعة الثرية من ثقافات الشعوب الأخرى بلغات العالم المختلفة

لقد اعتلى منبر البرنامج الثانى عدد هائل من أدباء مصر والعرب من كل الأجيال ، اذا ذكرنا منهم طه حسين والعقاد .. فلابد أن نذكر سلسلة هائلة من الأسماء التى قد لاتنتهى . لكن لابد أن نذكر أولئك الذين وقفوا خلف فترات ازدهاره ، مديرين أو معدين مذيعين أو مخرجين ، سعد لبيب ، وفؤاد كامل وبهاء طاهر والشريف خاطر وليلى مندور وشوقى فهيم وغيرهم وغيرهم .. رجالا ونساء ، قدموا برامج عديدة لابد أن نذكر منها « مع النقاد » . و« مع الأدباء » و« فى رحاب الجامعة » و« ألوان من الشعر » و« المسرح العالمى » و« القصة القصيرة » و« عالم الآداب الأجنبية » علاوة على فقراته الموسيقية الرفيعة ، وعشرات البرامج الخاصة حول الشخصيات الأدبية والفنية المتميزة فى حياتنا وفى العالم

ولابد أن نقول أن الأمل الآن معقود على تفتح السيدة ليلى الكردانى ، التى تعمل على تطوير برامجه بتعاونها مع العاملين فيه ، ليعود برنامجا ثقافيا حقا حرا يفتح الشبابيك والأبواب والشرفات للضوء والهواء فى جو خانق بالعوادم والقاذورات والأذواق الرديئة .. والقيم الرديئة

واذا كان لابد لنا أن نتوقف امام احد البرامج الهامة التى قدمها البرنامج الثانى فى اطار احتفاله ، غير الاحتفالى ، بل العملى ، فان الحلقة الأخيرة من برنامج « حدائق الأوراق » الذى يعده ويقدمه الشاعر محمد ابراهيم ابوسنة لتدعونا ، بما



لها من أهمية فى أيامنا هذه ، للوقوف أمامها قليلا .

فالحلقة خصصت لعرض موضوع « علاقة المصادر الأجنبية بالابداع العربى ، وألقى الضوء على علاقة التراث العربى منذ العصر العباسى بالتراث الانسانى فى الفكر والأدب . ومرحلة الازدهار فى الأندلس . وكيف أسهمت هذه المرحلة فى نشوء ظواهر ومذاهب أدبية فى أوربا ، ومن هنا كان الاسهام العربى فى الحضارة الانسانية مبررا لاقتسام حظها ايضا من التراث الانسانى فى العصر الحديث .

واذا ألقينا نظرة للأنواع الأدبية التى أصبحت شائعة الآن فى لغتنا العربية فى القرن العشرين ، مثل الرواية والقصة والمسرحية وجدنا هذا الإبداع ذا صلة قوية بالمصادر الأجنبية ، دون أن يعنى ذلك الوقوع فى أى لون من ألوان الدونية الأدبية ، فقد استطاعت هذه الأشكال ان تقدم مضمونا قوميا ووطنيا هائلا على الرغم من أنها ذات أصل أجنبى .

وقد تعرضت الحلقة بالتفصيل لعدد كبير من الظواهر الأدبية والأمثلة ، وكلها تؤكد ان الارث الانسانى فى الآداب والفنون هو حق وضرورة فى نفس الوقت لكل الآداب ، ولاشك ان تصحيح العلاقه بين الأدب القومى والعالمى فى اطار الندية ، والتفاعل ، والتأثير ، هو العامل الأهم فى معرفة أين نقف بأقدامنا ، كما هو الدافع الأهم لتطوير أدواتنا وتجديدها وتأثيرها فى الثقافات الأخرى ... وهذا مفهوم جدير بالبرنامج الثانى .. هذه النافذة المفتوحة على كل ماهو جاد وأصيل وحقيقى فى اى مكان من العالم .

تليفزيون

حلقة جاك ليمون من برنامج « ستار »

● البرنامج الجديد الذى يقدمه المذيع النشط يوسف شريف رزق الله على القناة الثانية ، برنامج « ستار » .. قدم حلقه لاتنسى مع الممثل والفنان الكبير جاك ليمون .. ستبقى ، هذه الحلقة ، وربما حلقات أخرى من هذا البرنامج الثقافى الهام ، علامة مميزة ، ضمن بعض البرامج النادرة ، التى يقدمها لنا التليفزيون ، الذى يأكل وقتنا وعمرنا .

وهذا البرنامج دليل قاطع على أن التعاون بين الأجهزة الفنية والثقافيه . اذا ما أحسنت ادارتها ، يمكن ان يكون مثمرا الى حد كبير ، فالادارة الاعلامية فى السفارة المصرية فى واشنطن قامت بدور هام فى الاعداد لهذا البرنامج ، وليس سهلا ان يقتطع احد من نجم يحسب وقته بالدقائق والثوانى ، مثل جاك ليمون ، وبلا مقابل ، ليتحدث الى مستمعين ، لا أظن انه يعرف ما اذا كان له جمهور بينهم وتوضيح أهمية ان يتعامل مع برنامج للتليفزيون المصرى . وأن يتكلم مع نقاد مصريين ، ولمشاهدين مصريين هو الدور الأكبر الذى قامت به الدائرة الاعلاميه التى تستحق كل الشكر .

من جهة ثانية كان اختيار الناقد سمير فريد ، والمخرج أشرف فهمى ومقدم البرنامج لمجموعة الاسئلة التى وجهت الى النجم العالمى اختيارا موفقا حيا ، ودليلا قاطعا على أنه اذا اتيحت الفرصة للحوار الجاد المثمر فإن الفائدة تصبح بلا نهاية .

ان هذا البرنامج يذكرنا بالبرامج الثقافية

رفيعة المستوى التى يقدمها الـ بى بى سى . التليفزيون البريطانى ، وهذا التشبيه الذى تردد بين أوساط المثقفين ، هو شهادة له ، والأمر كله الأن بين يديه ، لمزيد من التطوير والاجادة .

ملاحظة وحيدة لابد من ذكرها هى التى عابت ، أو ، لنقل ، شابت البرنامج ، هى عنوانه ، فلماذا هو « ستار » ولماذا لايكون « نجم » أو « نجوم » أو اى كلمة عربية اخرى ، حتى يتذوقه الناس ويتفاعلوا معه ، وحتى يكون الاسم اكثر تداولا .

مؤتمرات

المؤتمر الثالث للمعماريين المصريين عن إيواء من لا مأوى لهم



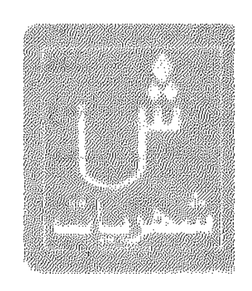
سوسن السيوى وهانى المنياوى ومنى زكريا فى المؤتمر

● فى الفترة مابين السادس والعشرين الى الثامن والعشرين من ابريل الماضى عقد بقاعة المركز المصرى الدولى للزراعة بالدقى المؤتمر الثالث للمعماريين المصريين تحت شعار « ايواء من لامأوى لهم » وهو الشعار الذى رفعته الأمم المتحدة باعتبار العام الحالى (١٩٨٧) عاما دوليا لايواء من لامأوى لهم .

قدمت فى المؤتمر عدة بحوث توزعت على ثلاثة أيام ، وفى أعقاب كل بحث كانت تتم مناقشته من مجموع الحاضرين ، ويمكن الاشارة الى أن المؤتمر قد تميز بالحضور الكثيف من مجموع المهتمين بقضية الاسكان ، وان كانت السلبية قد بدت واضحة عليهم بامتناعهم عن المشاركة فى المناقشات ، ماعدا المشاركين فى المؤتمر الذين اضفوا حيوية نسبية على المناقشات .

لكن يمكن القول من الزاوية الأهم ، ان هذا المؤتمر قد تميز بميزة أساسية وهى أنه ولأول مرة تناقش بهذه الدرجة من الوضوح قضية القضايا العمارية ، قضية هى من داخل الأزمة ، تضرب فى لب المشكلة ، من ناحية تعرضها للسياسات المتبعة ، والأساليب التى فشلت فى معالجة المشكلة ، وتلك النماذج التى حققت بعض الحلول .

وقد استقر رأى المشاركين فى المؤتمر على تعريف من لامأوى لهم ، من زاويه الشرائح الاجتماعية التى ينتمون لها بأنهم ·



١ ـ سكان المقابر والمساجد والأماكن الأثرية .

٢ ـ العائلات التى تشارك بعضها البعض فى وحدة سكنية واحدة .

٣ ـ الأسر الناشئة .

٤ ـ العائلات التى تسكن فى أماكن دون المستوى اللائق انسانيا .

٥ ـ العائلات التى تسكن الخيام وماشابهها نتيجة الاخلاء الادارى .

وقد تعرضت البحوث ، بشكل عام ، الى ثلاثة مجالات اساسية ·

١ ـ مجال السياسات وتشتمل على سياسة ادارة الاسكان وسياسة التمويل والدعم والاقراض وسياسة الأراضى .

٢ ـ مجال المشاركة الذاتية والشعبية .

٣ ـ مجال الأنماط التخطيطية والتعميمية الملائمة لايواء من لا مأوى لهم .

وقد شملت قائمة البحوث . بحثا للدكتور اسماعيل صبرى عبدالله « الايواء فى اطار التنمية والتخطيط الاقليمى » .. وبحث المستشار عادل عبدالباقى عن سياسة التمويل والاقراض والدعم للاسكان وبحث الدكتورة منى زكريا المشاركة الشعبية فى اسكان من لاسكن له (وقد سبق عرض هذا البحث فيلمان عن الاسكان العشوائى والايواء من عمل طلبة المعهد العالى للسينما) وبحث الأستاذ هانى المنياوى « دور المخطط والعمارى المصرى فى توجيه المشاركة الشعبية فى مشروعات ايواء من لامأوى لهم وغيرها من البحوث .

هذا ويمكن القول ان هذه البحوث قد تمحورت حول ثلاث نقاط أساسية : اتجهت مجموعة الى كل منها ·

١ ـ اتجاه مثله بعض كبار العماريين الاستشاريين ، وهؤلاء اتجهوا ناحية المعانى العامة ، والتعاريف ، وتوقفوا طويلا أمام مقولة أن الدولة تعالج هذه المشكلة بلا تخطيط ، كما لاحظوا تضارب القوانين والقرارات ، لكنهم لم يقدموا حلولا عملية ، بعيدا عن الدولة ، بل كانت مناقشاتهم وبحوثهم تتجه الى الدولة لتحل المشكلة .

٢ ـ اتجاه ثان (وربما كان اسماعيل صبرى عبدالله أهم ممثليه) يتجه الى تعريف الأزمة ، وتبيان ملامحها بأبعادها المتعددة ، وملامح هذا التيار تتسم برحابة الفكر ، ولكن حلوله مطروحة على المستوى الاستراتيجى ، استراتيجية الحلول التى يتبناها اتجاه يطالب بسياسة بديلة تجاه العالم الثالث ، من منطلق المطالبة باقتصاديات بديلة ، لكنه يظل فى الاطار النظرى .

٣ ـ أما الاتجاه الثالث فيمكن القول عنه بأنه اتجاه العماريين الشبان فهم يطرحون



المشكلة فى خصوصيتها المصرية من الواقع العيان الموجود كما يحاولون تقديم الحلول من هذا الواقع ، وتتسم نظرتهم بالمنهج النقدى ، وتبنى التجارب الهامة التى تمت فى بلدان العالم الثالث ، ويرون المهمة اليوم ، بالنسبة لاسكان محدودى الدخل ، وايواء من لا مأوى لهم ، يجب ان تتجه فى إطار تخطيطى باتجاه موضوعين اساسيين

١ ـ التطوير للأحياء القديمة .

٢ ـ التفاعل مع آليات وطاقة البناء لدى السكان فى الأحياء (أى الاسكان اللارسمى) وتوجيه الناس فى المجتمعات العمرانية الجديدة عن طريق منهج خدمات فنية للانسان المصرى فى موقع البناء ، بامداده بهذه الخدمات الفنية وهو فى موقعه ، بالاضافة الى امداده بقطع أراضى بناء صغيرة ، واقناعه بالدور الفعال للمعمارى والمخطط حتى نتجنب العشوائية ، خاصة العمارى الذى يقدم حلولا واقعية من خلال النماذج التى قدمها عماريو العالم المسمى بالثالث .

واذا كان لابد من الاشارة الى أهم مايمكن ان يكون قد انجزه هذا المؤتمر ، علاوة على تناوله للقضايا الأساسية للمشكلة فهو انه قد أوصى باستمرار اجتماعات العماريين الذين قدموا طروحات عمارية تحتاج الى نقاش ، وكأنه فتح الباب لأن يكون مؤتمرا منعقدا بشكل دائم .

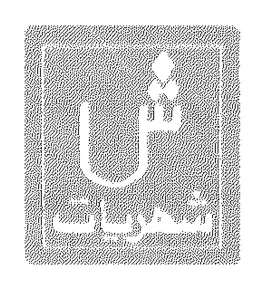
مهرجان

الماستر فى أزمة .. والمهرجانات الأدبية فى ازدهار

هذا هو الانطباع الأول الذى أحسست به وانا اشاهد افتتاح مهرجان الربيع الأدبى بمدينة مرسى مطروح الذى عقد فى الفترة من ٢٣ الى ٢٦ ابريل ١٩٨٧ . فالمهرجان يفتتحه المحافظ وتحضره نخبة كبيرة من رؤساء القبائل والمسئولين . بل ان هذه النخبة تواظب على حضور الأمسيات التى أقيمت على شرف الشعر والشعراء طوال يومين .. مجموعة كبيرة من الشعراء يلقون بقصائدهم فى المساء .. ومجموعة من الباحثين يقدمون بحوثا جادة فى الصباح . ثم ينفض المولد . يعود كل منا الى منزله .. لايحمل سوى الذكرى .. عن لحظات وساعات ساد فيها الدفء . وتسرب بعض الشعر الجميل الى شراييننا فذاب فيها واعطى لدمائنا مذاق السكر

اما الماستر فهو فى أزمة لان قانونا صدر بتحريمه .. ولان ابناء هذه المحافظات البعيدة الذين يرتضون بتسمية أنفسهم بأدباء الأقاليم لايجدون سوى الماستر سبيلا للوصول الى القارىء فى كتيبات هزيلة الطباعة غالبا ، هزيلة المادة الأدبية فى أغلب الأحيان .. ولأن الغربة والاغتراب عن الحركة الثقافية تنتحران فى هؤلاء الرابضين بالأقاليم .. فان المهرجانات الأدبية تلعب دورا فى عملية الاتصال بين أصحاب القلم من الشلال الى السلوم .. وبالفعل ففى المهرجان الذى حضرته جاء شعراء من أقاصى الصعيد ومن أقاصى الوجه البحرى . وانسكبت اشعارهم مع اشعار البدو فى مرسى مطروح رغم اختلاف المستويات الفنية لكل منها .

واذا كان الماستر فى طريقه الى الزوال سواء بتشريع قانونى او من خلال التطورات الطبيعية لبقاء الأصلح فالسؤال الآن : هل عملت المحافظات المختلفة بمسئوليها واجهزتها على صناعة البديل ؟ لقد فوجئنا مثلا ان معظم شعراء مطروح



الجادين لم يصدر لهم ديوان واحد عدا اسماعيل عقاب الذى نظم « مهرجان الربيع الأدبى الأول » . من هؤلاء الشعراء مثلا ابراهيم عبدالسميع احد أبلغ شعراء عصره والذى تجاوز الخمسين بسنوات وهو « صداح الشاطىء » اللازوردى الصافى . وقد فوجئت ان هناك محاولة لنشر ديوانه الأول فى سلسلة اشراقات ادبية التى من المفروض ان تقدم للشباب .

هل حاولت مطروح مثلا تكريم هذا الشاعر بطبع ديوانه فى كتاب يليق بعطائه وليس لدسه مع المبتدئين من الكتاب مهما كانت جودتهم " .

ذلك هو مايمكن ان نتعلمه من دائرة المهرجانات الأدبية التى لاتنتهى .. انه لو قامت المحافظات بتخصيص جزء من أموال هذه المهرجانات لطبع ابداع ابنائها ... او إصدار مطبوعة ثقافية باقية لكان أجدى ... حتى لو أضطر الأمر الى الغاء المهرجانات الثقافية لفترة عام كى يجىء المبدعون فى العام التالى حاملين ابداعاتهم يتناقشون فيها . ويتبادلون قراءتها . . وهنا تتحول ظاهرة المهرجانات بالفعل الى ظاهرة ثقافية فضلا عن بعض ايجابياتها الحالية .

رسائل جامعية

الروائية المصرية وصوت المرأة

فى جامعة المنيا وبكلية الدراسات العربية نوقشت رسالة الماجستير المقدمة



من سوسن ناجى رضوان عن موضوع « الروائية المصرية وصوت المرأة فى الفترة الممتدة مابين ١٨٨٨ و١٩٨٥ وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكتور عبدالحميد ابراهيم مشرفا والدكتورين الطاهر أحمد مكى ، وصلاح فضل مشرفين .

وقد بدأت المناقشة بحديث الدكتور صلاح فضل الذى بدأ حديثه بالثناء على الترابط الحقيقى بين فصول الرسالة التى تبلغ أربعة عشر فصلا بالاضافة الى مدخل وفاتحة وملحق هام شمل ببلوجرافيا عن « جميع » الروايات النسائية التى صدرت فى الفترة المذكورة فى مصر .

واوضح الدكتور فضل أن هذه الفترة كانت طويلة جدا على البحث مما أرهق الباحثة دون جدوى حيث ـ كما يرى ـ أن النتاج الفنى الحقيقى للرواية النسائية المصرية لم يبدأ الا مع ثورة يوليو ١٩٥٢ ، أو بعده بسنوات ، بكتابات « أمينة السعيد » وجاذبية صدقى ، ولطيفة الزيات ، وسعاد زهير ، وهدى جاد ...

لكن اعجاب الدكتور فضل بالمنهج التكاملى الذى استخدمته الباحثة فى دراستها كان واضحا فقال ان هذا المنهج قد استطاع أن يفى بحاجة بحث يتناول قضية المرأة وصورتها الى جانب الملامح الفنية التى تتميز بها الرواية النسائية ... لكنه ، عاب على الباحثة اقحام مدخل وفاتحة على

كل فصل مما جعلها تبتعد بالبحث الى مجالات اخرى كعلم النفس أو الاجتماع . وكانت الخاتمة التى تلت كل بحث - وحدها - كفيلة بارهاق الباحثه واستنفاد طاقتها دون جدوى ، وقال ان الحس النقدى الذى تتمتع به يثير الاعجاب ، بالاضافة الى المامها بأهم المراجع والمصادر التى نوعت البحث ودعمت الدراسة ، ومما عابه عليها عدم دقة استخدامها للمصطلحات بالاضافة الى انها لم تتعرض لنقطة هامة وضرورية لمثل هذا البحث هى تبيان مزايا أو عيوب الكتابة النسائية بملامحها المحددة ، بالاضافة الى انه كان يرى ضرورة دراسة مقارنة بين الكتابه الرجالية والكتابة النسائية خاصة من حيث تناول كل طرف لقضية المرأة وصورتها الفنيه مما كان من شانه ان يمنح النتائج ثقة وعمقا ووضوحا .

أما الدكتور الطاهر مكى فقال بعد ديباجه الثناء على الباحثه والمشرف أن هذه الدراسة تعد رائدة فى مجال الدراسات التى تبحث فى أدب المرأة او الرواية النسائية .. وأن خلوها من الاخطاء النحوية واللغوية يستحق الثناء ، كما نوه بالحس النقدى الذى تميز به نقد الباحثه للأعمال الفنية والذى - كما قال - يعكس روحا أدبية تمثلت مافرأته مما يدل على انها احبت البحث عن ايمان بقضية المرأة وأهمية الارتقاء بها فى المجتمع

ومما عابه على الباحثة خلو البحث من التعريف بالكاتبات ، وأعمالهن فى الحياة ، مما من شأنه أن يساعد القارىء ، خاصة فى حالة نشر الرسالة ، على معرفة الكثير عن اتجاهات هؤلاء الكاتبات وانتماءاتهن الاجتماعية والفكرية

وقد فاجأ الدكتور مكى حضور المناقشة واللجنة والباحثة ، بأنها قد أوردت اسم « هدى عبدالمحسن صالح الرشيدى » باعتبارها كاتبة مصرية ، وهى فى الحقيقة من احدى البلاد العربية الأخرى والبحث قد حدد نفسه فى اطار الكاتبات المصريات

أما الدكتور عبدالحميد ابراهيم فقال ان هذا البحث ليس فقط دراسة نقدية للروايات النسائية التى تعرض لها بل هو أيضا تاريخ للأدب النسائى فى مصر استقر حديثا .

وقال انه من الواضح ان الباحثة قد تعاملت بحب ليس فقط مع موضوعها لكن أيضا مع بعض أعمال كاتبات بعينهن ، الأمر الذى وان كان من شأنه ان يبتعد بالطالبة عن مجال الحيدة العلمية الا انه بنى نسيجا حيا وعبر عن حس نقدى ساهم فى خلق ناقدة وفنانة فى ان واحد

أما عن البيلوجرافيا الملحقة فقد اعتبرها الدكتور عبدالحميد انجازا هاما يساهم فى خدمة الدارسين الآخرين لا فى مصر فقط بل فى كل معاهد البحث المهتمة بالموضوع .

وبعد المداولة منحت الطالبة درجة الماجستير بتقدير امتياز مع التوصية بطبعها وتبادلها مع الجامعات الأخرى

ومن الجدير بالذكر أن الدراسة تناولت أعمال الكثير من الكاتبات وضمت القائمة علاوة على أسماء من ذكرنا ، نوال السعداوى ، وإقبال بركة ، وزينب صادق ، ووفية خيرى ، وعائشة أبوالنور وغيرهن

اشارات ثقافية

مذكرات سيد عويس تترجم الى الفرنسية

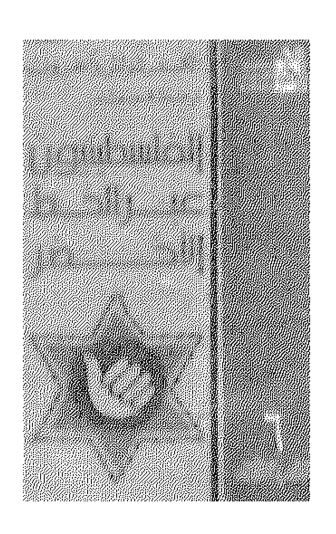
● المذكرات الشائقة التى كتبها الدكتور سيد عويس الباحث الاجتماعى المعروف ،

والتى نشرتها سلسلة كتاب الهلال فى جزءين بعنوان « التاريخ الذى أحمله على ظهرى » أوشكت ترجمتها الفرنسية الكاملة على الانتهاء ، وهى ستكون جاهزة تماما فى أغسطس القادم .

اشترك فى الترجمة كل من آلان روسيون ، وهو مترجم يعمل فى مركز الترجمة التابع للمركز الثقافى الفرنسى (السيداج) بالقاهرة ، ونشوى الأزهرى المترجمة بالادارة الفرنسية بجامعة الدول العربية .

من المنتظر أن تنشر المذكرات فى طبعة مصرية بالفرنسية عن السيداج ، كما يقوم المترجمان بالتفاوض مع دار نشر لاتيس الباريسية لنشرها فى طبعة دولية

كتب الهلال



الكتاب : الفلسطينيون عبر الخط الأخضر
تأليف : اكسندرشولش وآخرون
ترجمة : محمد هشام
الناشر : كتاب الفكر ، ٢٩٦ ص ، ٣٠٠ ق . م

فى هذا الكتاب ستة بحوث مختلفة تتناول على المستويين النظرى والعملى التطبيقى دراسة موقف الفرق المختلفة فى الحركة الصهيونية تجاه « المسألة العربية » فى فلسطين ، بالاضافة الى تلمس الأشكال المختلفة لتطور العلاقة بين ما اصطلح على تسميتهم بفلسطينيّ ١٩٤٨ ، وفلسطينيّ ١٩٦٧ ، أى الفلسطينيين الذين ظلوا فى أجزاء فلسطين التى أقيمت عليها الدولة الصهيونية ، والفلسطينيين الذين يعيشون فى الأراضى التى ضمتها تلك الدولة أثناء حرب ١٩٦٧ .

ويستعرض الكسندر شولش مقدم الكتاب وأستاذ التاريخ بجامعة ايسن المناهج المختلفة لدراسة الصراع العربى الصهيونى مشيرا الى المشاكل التى تعترض تطبيق مفهوم الاستعمار على حالة الحركة الصهيونية ، كغياب الوطن الأم المحدد وتباين هدف الحركة الصهيونية المتمثل فى تجريد الفلسطينيين من ممتلكاتهم وتهجيرهم واقتلاعهم من أرضهم عن هدف الاستعمار التقليدى المتمثل فى إخضاع المستعمرين واستقلالهم اقتصاديا . فضلا ـ كما يرى شولش ـ ان تطبيق هذا المنهج قد يقود الى افتراض حل تبسيطى للصراع باقتراح تصفية الاستعمار واعادة المستعمرين الى بلادهم .

وكتب رينار فايمر عن الصهيونية والعرب بعد قيام دولة اسرائيل ، وكمال عبدالفتاح عن التوزيع الجغرافى للفلسطينيين على جانبى خط الهدنة لعام ١٩٤٩ وابراهيم الدقاق عن استبيان حول مواقف الفلسطينيين الأجراء على جانبى خط الهدنة ، وإميل ساحلية عن المواقف

السياسية للفلسطينيين فى الضفة الغربية واسرائيل ، والكسندرفلورس عن التاثيرات السياسية عبر الخط الأخضر

الكتاب : الشعر ، غاياته ووسائله
تاليف : عبدالقادر المازنى
تحقيق : د مدحت الجيار
ناشر : دار الصحوة
١٠٦ ص ، ٢ ج م

طبع هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩١٥ ، وقصد به المازنى صياغة نص نقدى نظرى عن الشعر يقف فى مواجهة النصوص السلفية التقليدية ، من زاوية التطوير ، ليوصل بين القديم والجديد ، وكان الكتاب حدثا فريدا عندما ظهر ، اذ طبع مسلسلا ، تم جمع فى كتاب ، ونفدت طبعته لكنه ـ لأسباب لايعلمها الا الله ـ لم يطبع مرة اخرى لذا فقد احس الباحث مدحت الجيار باعادة نشر الكتاب حتى يتمكن الباحثون وجمهور القراء من معرفة افكار المازنى الخاصة ، ومدى تاثيرها فى مجموعة الديوان ، اذ سيكتشف انها كانت ذات التاثير الاقوى

الكتاب : جياد النهر
تاليف : فوزية مهران
الناشر الكتاب الذهبى ١١٤ ص ، ١٠٠ ق م

باسلوب شاعرى تكتب فوزية مهران هذا النص



الذى يتراوح بين النص الشعرى والعمل الروائى . اذ تحلق كاتبته عن طريق اللغة المتدفقة واللمحات السريعة الموحية . بين أحلام الانسان المتشوق الى الذهاب بعيدا عبر البحار الى الأفق المتجدد . وبين الواقع الذى يجرى امام عينها فى مسرحية الحياة . دون ان يكون هناك « موضوع » محدد . فالموضوع هنا هو هذه المفارقة بين الواقع والحلم ، بين المشاعر الخاصة ، والمشكلات العامة ، بين الجزئى والكلى ، حتى لتصبح السباحة فى هذه المنطقة اشبه بالخوض فى المتاهة ، متاهة الحياة التى تغرقنا بهمومها الانسانية

والحقيقة ان اسلوب الكاتبة يحتاج الى دراسة نقدية تتبع اسباب لجوء كاتباتنا الى تدفق المشاعر الأنثوية كنوع من الهرب من البناء الدرامى الحى ، وكنوع من التعويض عن افتقاد الدفء فى هذا العالم البارد ، وهو ماندعو نقادنا الى الاهتمام به

بنات كارل ماركس

بقلم : د. أحمد أبو زيد

قليلون جدا في العالم العربي هم الذين يعرفون شيئا ذا بال عن بنات كارل ماركس أو حتى سمعوا بأنه كان لماركس ثلاث بنات أتيح لواحدة منهن على الأقل أن تلعب دورا مهما في نشر أفكاره والدعوة لها وأن تحظى بقدر لا بأس به من الشهرة بحيث ظهر عنها بعض الكتابات التي تؤرخ لحياتها وتلق من خلال ذلك بعض الأضواء على الجوانب الخفية من حياة كارل ماركس نفسه العائلية والخاصة ، ومن الطبيعي ان يطغى اسم ماركس على بقية أفراد عائلته ..

فلا يكاد يلتفت أحد اليهم أو يهتم بمعرفة قدراتهم وجهودهم الخاصة فيتراجعون الى زوايا الاهمال .. وهذا ثمن فادح يدفعه في العادة الأبناء الذين يولدون لآباء مشهورين في مجال الأدب أو الفكر أو الفن أو السياسة ، ولم يكد يفلت من ذلك المصير سوى أفراد قليلين أفلحوا في اثبات وجودهم والصمود أمام شهرة آبائهم وتمكنوا بفضل نبوغهم وعبقريتهم وجهودهم الخارقة من توطيد أقدامهم ومكانتهم الى جانب آبائهم إن لم يتفوقوا عليهم .. وأغلب الظن أن الناس في الخارج لم يكونوا ليهتموا بأولاد كارل ماركس ـ أو على الاصح ببناته الثلاث ، فقد مات أولاده الذكور في سن مبكرة ـ لولا أن ظهر منذ سنوات قليلة كتاب يضم عددا من الرسائل المتبادلة بين هؤلاء البنات الثلاث .. وقد أثار ظهور هذه الرسائل اهتمام الكتاب والأوساط الثقافية في الخارج بوجه عام بالدور الذي لعبته الفتيات في حياة الأب ونشر الفكر الماركسي والظروف التي عاش فيها ماركس وعائلته والصعوبات والمتاعب التي احاطت به وبهم والمأساة الخاصة

التى عاشتها كل واحدة من هؤلاء البنات على حدة ..

خلافات حول ماركس

ولم تختلف الآراء حول أى من المفكرين الكبار مثلما اختلفت حول كارل ماركس ، ولم تثر آراء وأفكار أى من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين من النقاش والجدل والخلاف مثلما أثارته أراء ماركس وأفكاره وكتاباته .. وبينما نجد أستاذا مثل كريستوفرهيل العميد السابق لكلية باليول بجامعة أكسفورد يعتبر ماركس مؤرخا أقتصاديا عظيما وأن كتاباته مليئة بالأفكار والنظرات واللمحات الثاقبة العميقة وان كان يصعب اعتبارها كتابات أكاديمية بالمعنى الدقيق للكلمة ، نجد كاتبة شهيرة مثل هورتنس واكيت تقول فى شىء من السخرية والاستخفاف



جينى ولورا واليانور
بنات كارل ماركس

بنات كارل ماركس

الذى لايخلو من مرارة إن هناك « فكرة راسخة وثابتة عندنا نحن الانجليز الذين آوينا ماركس » من أنه كان إنسانا يثير الاشمئزاز والتقزز وأنه كان متعصبا لأفكاره ويؤمن إيمانا أعمى بنظرياته دون أن يعير ادنى اهتمام « لنوع الأذى أو الضرر الذى تسببه هذه النظريات » للناس والمجتمع على السواء .

وجانب كبير من هذه المرارة التى يشعر بها الانجليز إزاء كارل ماركس يرجع بغير شك الى احتفاظه بالكثير من مقومات شخصيته الألمانية الأصلية على الرغم من أنه عاش الجانب الأكبر من حياته فى انجلترا ، وذلك بعد ان جاء اليها عام ١٨٤٩ وهو فى الحادية والثلاثين من عمره ، والانجليز يعترفون بأنه لم يصبح (انجليزيا) قط وذلك على عكس صديقه الشهير فريدريش انجلز الذى أصبح من رجال الصناعة المرموقين فى مانشستر فمقاومة ماركس للطباع الانجليزية كانت ولاتزال تثير حفيظة الانجليز عليه وكريستوفرهيل الذى يبدو متعاطفا معه فى كثير من الأحيان يقول فى مقال نشره بجريدة الجارديان الاسبوعية (٢٠ مارس ١٩٨٣) انه يشك فى أن ماركس ظل ألمانيا فى أعماقه طيلة حياته على الرغم من أنه كان يعتبر نفسه مواطنا عالميا ، ويظهر تمسك ماركس بمقوماته الشخصية الالمانية فى لهجته وفى كثير من عاداته وتصرفاته ومظاهره وسلوكه ، وعلى الرغم من أنه كان يقلد الانجلير فى بعض عاداتهم وتقاليدهم فإن ذلك لم يتجاوز بعض المظاهر السطحية .. مثل استخدام اسماء التدليل فى الحديث مع أصدقائه أو الخروج يوم الأحد الى حدائق لندن لجمع الزهور البرية وتناول طعام الغداء فى أحد (البارات) كما يفعل الانجليز ، ولاينسى كثير من الكتاب أن يلاحظوا فى هذا الصدد ـ وفى غير قليل من السخرية أيضا ـ أن كارل ماركس أقام من نفسه مدافعا عن بريطانيا عام ١٨٥٥ ضد انتقادات المهاجرين الذين رحلوا الى انجلترا بعده ، كما أنه كثيرا ماكان يصف اللغة الانجليزية بأنها اغنى اللغات وأكثرها ثراء سواء فى مصطلحات وألفاظ السخرية والتهكم أو السب والشتم .

وعلى أية حال فإن معظم الكتاب الانجليز يدركون فى الوقت ذاته أن ماركس لم يكن يتاح له أن يصبح ما أصبح عليه الا فى انجلترا بالذات ، فلقد كانت المانيا فى ذلك الحين متخلفة نسبيا فى المجالين الاقتصادى والسياسى عن بريطانيا وبذلك لم يكن فى امكان ماركس أن يصل الى ذلك التحليل للانتاج الرأسمالى ونقد الاقتصاد السياسى التقليدى لو أنه ظل فى المانيا ولم يرحل الى انجلترا ، وعلى الرغم من كل ما أتاحته انجلترا من فرص وامكانيات وحرية تفكير وكلام وتعبير وكتابة فانه كان يرى أصبع بريطانيا وراء كثير من أحداث العالم لدرجة انه كان يرد فشل ثورة ١٨٤٨ فى فرنسا والمانيا ـ وهى الثورة التى عاصرها قبل هروبه الى انجلترا ـ الى الدبلوماسية البريطانية .. وكان ماركس

يأمل فى ان تقوم الطبقة العاملة فى بريطانيا ، والتى كان يسميها الابناء الأوائل للصناعة الحديثة ، بمؤازرة الثورة الاجتماعية التى ترتبت على هذه الصناعة وهى ثورة من شأنها أن تقود فى رأيه الى تحرير الطبقة العاملة فى كل انحاء العالم .. ولكنه سرعان ماخاب أمله وأدرك مدى استحالة تحقق ذلك الامل وقيام مثل تلك الثورة فى بريطانيا فى ظل الظروف التى كانت سائدة هناك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

ولم تكن حياة ماركس فى بريطانيا حياة سعيدة تماما ، اذ كانت أوضاع العائلة ككل تكتنفها المشاكل والمتاعب من كل جانب ..

كانت هناك أولاً حياة النفى والتشرد والمشكلات النفسية المتعلقة بها ، فقد ترك ألمانيا عام ١٨٤٩ ، ولكن رغم ذلك أصدر البوليس البروسى عام ١٨٥٣ نشرة رسمية تطالب بالقبض عليه وجاء فيها .

مطلوب للقبض عليه · كارل ماركس
الأوصاف الخاصة ·
السن : ٣٥ سنة
ارتفاع القامة : ٥ أقدام و١٠ ـ ١١ بوصة
الهيئة العامة : قصير وممتلىء الجسم
الشعر : أسود مجعد
الجبهة . بيضاوية
لون الحاجبين : أسود
لون العينين : بنى غامق منطفىء
الأنف : أفطس
الفم : متوسط
اللحية : سوداء
الذقن . مستدير
الوجة · يميل الى الاستدارة
لون البشرة متورد صحى
يتكلم اللغة الالمانية بلكنة الراين كما يتكلم اللغة الفرنسية
علامات مميزة : (أ) طريقة النطق والهيئة العامة تدلان على أصل يهودى
(ب) مراوغ وبارد وحازم

وكان هناك ثانيا ، الفقر الذى لازمه فى المنفى على الأقل قبل أن يغدق عليه انجلز من مساعداته ، وقد بلغ به الأمر الى حد طرده من مسكنه عام ١٨٥٠ لعجزه عن دفع ايجار البيت الذى كان يسكنه فى حى تشلسى والذى لم يكن يكلفه أكثر من ستة جنيهات شهريا ، وقد كتبت زوجته خطابا الى بعض أهلها فى المانيا يوم طرده من المنزل ـ وكانت قد وصفت طفلها الرابع قبل ذلك بأسابيع قليلة وذكرت فى ذلك الخطاب أنه قد تجمع حول البيت حوالى ٢٠٠ الى ٣٠٠ شخص يتسكعون فى الشارع لكى يتفرجوا على العائلة وهى تطرد من مسكنها .. ومن السخرية أن ذلك الجمع كان أكبر بكثير جدا من مجموع الذين جاءوا لتشييع جثمان (أبو الشيوعية) يوم وفاته عام ١٨٨٣ بعد أن عاش فى انجلترا أربعة وثلاثين عاما ، اذ لم يصاحب الجسد أكثر من عشرين شخصا ، وقفوا يستمعون الى انجلز وهو يرثيه بقوله « لقد توقف عن التفكير أعظم المفكرين الأحياء » .

وكان هناك ، ثالثا ، المرض الطويل الذى لازمه بقية حياته منذ سن

الأربعين وقد قاسى ماركس بوجه خاص من آلام البثور التى كانت تظهر بكثرة على ظهره وتجعل من الصعب عليه ان يجلس الى مكتبه لمدة طويلة وكانت تسبب له كثيرا جدا من الألم أثناء تأليفه كتابه الشهير « رأس المال » ويقال إن ماركس كتب ذلك الكتاب وهو واقع تحت تأثير تلك الآلام المبرحة وأنه أراد بكتابه أن يجعل البرجوازية تحس وتشعر بل وتتذكر دائما ماكان يعانيه من متاعب جسدية أثناء الكتابة والتأليف .. وقد جمع ماركس الى جانب الألم الفيزيقى كثيرا من الآلام والمتاعب السيكولوجية التى كان يعانى منها نتيجة لوفاة ثلاثة من أطفاله الستة وهم الأطفال الذكور الذين ماتوا صغارا .. فقد توفى ابنه الأول أدجار خلال السنة الأولى من حياة المنفى فى انجلترا ، ومات الطفلان الآخران بعد ولادتهما بقليل ، ثم جاء موت أحفاده من ابنته الثانية لورا .. ثم وفاة زوجته هر نتيجة لسرطان الكبد ، ثم اخيرا موت ابنته الكبرى جيمى قبل وفاته هو نفسه بشهرين اثنين فقط .. فكأنه فقد أربعة من أولاده الستة أثناء حياته ولم يعش بعده سوى ابنتين فقط من بناته الثلاث .

وليس من شك فى ان ماركس عانى الكثير جدا من جراء هذه المصائب والويلات ولذا فإن الكثيرين من الكتاب الذين عرضوا لحياته يبدون استغرابهم من أنه لم يكن أكثر تشاؤما وحزنا ويأسا وأنه كان قليل الشكوى الى حد يثير الدهشة والاعجاب على السواء .

□ □ □

ولكن رغم ذلك كله فإن العائلة كانت تحظى بقدر من السعادة فى الظاهر على الأقل ، كما أن العلاقات داخل الاسرة كانت بعيدة كل البعد عن الرسميات التى كانت تعتبر من أهم المظاهر الأساسية فى الحياة العائلية فى القرن الماضى ، ويظهر ذلك من أسماء التدليل أو أسماء (الدلع) التى كان أفراد العائلة يطلقونها بعضهم على بعض بما فى ذلك الصديق القديم الحميم فريدريش انجلز الذى كان ينادى دائما على أية حال باسم (فريد) فحسب .. بل ان ماركس نفسه لم يسلم من ذلك . فقد كانوا ينادونه باسم تشارلى أو الرئيس او القاطرة البخارية وغير ذلك من الأسماء .. وكانت جينى كبرى البنات الثلاث معروفة باسم داى أو الامبراطور أو امبرطور الصين أو امبراطور ماركس . وكانت لورا الابنة الوسطى تعرف باسم لولو أو كاكادو أو لوراى أوتيلور .. بينما كانت الينور صغرى البنات وأكثرهن جدية واخلاصا لمبادىء أبيها تنادى باسم هتنتوت (اسم قبيلة فى جنوب افريقيا) أو كوكو أو تاسى وما الى ذلك . وتسخر هورتنس واكيت فى مقال لها بمجلة The Listene (بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٨٢) من ذلك كله ، وتخشى أن يكون فى الأمر نوع من اللبس والخلط بين أسماء أفراد

العائلة وأسماء القطط والكلاب التى كانت العائلة تحتفظ بها وهو خطأ كثيرا مايقع فيه ـ حسب رأيها ـ الأغراب والأجانب الذين لم يتعودوا فى بلادهم وثقافاتهم على اطلاق اسماء التدليل على البشر .

وأيا ماتكون من سخرية واكبته فالواقع أن كارل ماركس كان يعطى قدرا كبيرا من اهتمامه وعنايته لأطفاله وأنه كان يسعد بصحبتهم وباللعب معهم . وحتى حين مات ابنه ادجار ـ وكان ذلك بمثابة لطمة قاسية ـ فإنه كان يجد السلوى والعزاء فى اللعب مع بقية أطفاله ومشاركتهم العابهم مما استرعى انظار الآخرين لدرجة ان احد الجواسيس البروسيين كتب يقول انه أصابته الدهشة حين شاهد ذلك (الثورى المخيف) يجلس الى مكتبه وقد وضع اللجام فى فمه لكى يقوم بدور الحصان لاحدى بناته .. لقد كان ماركس يؤدى دور رب العائلة بالمعنى التقليدى بالنسبة لأولاده أوعلى الأصح بالنسبة لبناته .

□ □ □

ولقد أنجب كارل ماركس ستة أطفال من زوجته الى جانب ابن غير شرعي من خادمته هيلين ديموث . وقد اضطر ماركس الى أن ينكر انتساب ذلك الابن اليه وأن ينسبه الى انجلز الذى رأى أن من (واجبه) أن يعترف بأبوته لذلك الأبن (فريدى ديموث) حتى ينقذ عائلة صديقه من العار والدمار .

وتعكس البنات الثلاث شخصيات ثلاث ، مختلفة احداها عن الأخرى كل الاختلاف ، ولكنهن يشتركن جميعا فى النهاية المأساوية التى انتهت بها حياة كل منهن .

كانت جينى هى كبرى البنات ، ويبدو أن ماركس كان يميل اليها ميلا شديدا ، وقد تزوجت من الاشتراكى الفرنسى شارل لونجيه ، ولكنها لم تكن سعيدة بالحياة معه فى فرنسا ، وانما كانت تحن دائما الى حياة لندن .. كذلك لم تكن جينى سعيدة بمتاعب أولادها خاصة أن زوجها كان كثير التغيب ، بل ولم تكن سعيدة أيضا بأعمال البيت الروتينية القاتلة ولكنها مع ذلك لم تكن كثيرة الشكوى .. وقد ماتت وهى فى الثانية والثلاثين من عمرها من سرطان الأمعاء ، وكانت تظن أن الآلام المبرحة التى كانت تشعر بها انما كانت نتيجة ولادتها لطفلها الاخير ، ولقد أضنتها متاعب الحمل والولادة ست مرات ، كما اضناها موت اثنين من اولادها وحتى بعد ان ماتت لم يحسن الزوج معاملة الأبناء وانما كان يقابلهم بكثير من الجفاء والاهمال .

وكانت لورا ـ الابنة الثانية ـ أصغر من جينى بسنة واحدة وقد عاشت بعد موت أبيها ولكنها فقدت هى ايضا اولادها الثلاثة أثناء حياتها ، وكانت لورا تتمتع بشخصية مختلفة عن الأختين الأخريين .. فقد كان ينقصها ذكاء ولماحية الاثنتين كما أنها كانت شديدة الاعتداد بنفسها ومحبة للظهور والتفاخر والتظاهر .. وقد تزوجت واحدا من الثوريين (الممارسين) وهو الفرنسى بول لافارج وعاشت معه أيضا فى فرنسا ، ولكنها كانت عديمة

بنات كارل ماركس

الاكتراث بأحوال أختيها ولم تكن تهتم حتى بالرد على رسائل أختها الصغرى الينور التى كانت تتمتع على أية حال بقدر كبير جـدا من التسـامـح والسماحة . ويبدو أنها هى الأخرى لم تكن سعيدة بزوجها كما أضناها موت اولادها الثلاثة واستبد بها الحزن والأسى والضياع فوضعت حدا لحياتها بيدها وماتت منتحرة .

وعلى العكس من ذلك تماما كانت الينور صغرى البنات وأكثرهن حيوية وجدية ونشاطا وتمسكا بأفكار الأب ودفاعا عنها ودعوة اليها . ولقد تزوجت الينور من الكاتب المسرحى الاشتراكى البريطانى ادوارد ايفلنج الذى كثيرا ما كان يكتب منشورات عن الاشتراكية ولكنه كان فى الوقت ذاته مخادعا ومخاتلا ولايجد بأسا او حرجا فى أن يتعيش على حب زوجته وعلى ماتكسبه من مال تحصل عليه بالتعب والكد .. فقد كانت تعمل وتكسب عيشها من الترجمة والكتابة أحيانا لبعض الصحف والقاء المحاضرات عن نظرية أبيها وأفكاره وكذلك بالكتابة على الآلة الكاتبة .. وقد أعطت كثيرا من وقتها وجهدها وتفكيـرها لمشكلـة صراع العمال ، وكانت تحمل نفسها مالا تطيق فى الاجتماعات والمحاضرات الى جانب العناية بزوجها وبخاصة أثناء مرضه .

ولقد عرفت الينور بحقيقة أخيها غير الشرعى أثناء احتضار أبيها وأخذت المسألة بكثير من الاهتمام وعملت لذلك على تقوية علاقتها به حتى أصبح فريدى ديموث (الذى يحمل لقب عائلة أمه) من أقرب الناس اليها ومن أقوى أصدقائها بحيث كانت تأتمنه على أسرارها وتشكو اليه همومها كما يظهر بوضوح فى رسائلها اليه فى الفترة الاخيرة من حياتها ، وقد كتبت عنه ذات مرة لأختها لورا تقول وهى تشير اليه : « انه ليس مما يسعد المرء حين ينظر الى الأمور بصراحة أن يكتشف أننا نادرا ما نقدم فى الحقيقة للآخرين كل الأشياء الجميلة التى نتكلم عنها ونتادى بها » .. والغريب ان مثل هذه الشخصية القوية النشيطة المتفتحة المتسامحة تلقى أسوأ الجزاء من زوجها ادوارد ايفلنج الذى كان يخدعها مع ممثلة أصغر منه سنا ولم يلبث ان هجر زوجته من أجلها .. وقد كتبت عن ذلك لفريدى ديموث قبل أن تنتحر ، وكان خطابها اليه مليئا باليأس والرقة معاً وفيه تقول « احضر هذا المساء ان استطعت اننى فى أشد الخجل لأننى أثقل عليك ، ولكننى اشعر بوحدة قاتلة .. انه أمر مخيف للغاية ، وأسوأ بكثير من أى شىء كنت أنا نفسى أتصوره .. احضر ياعزيزى فريدى فان قلبى ملىء باليأس والاسى »

وهكذا كانت الينور ثانية اثنتين من بنات كارل ماركس تنتزع حياتها بيدها بعد أختها التى تكبرها مباشرة .. والظاهر ان ماركس كان يتوقع شيئا من هذا المصير لبناته وكان يخشاه طيلة الوقت ، فقد كتب ذات مرة الى بول

لافارج زوج لورا يقول « انك تعرف كيف أننى ضحيت بكل ما أملك من أجل قضية الصراع الثورى ولست نادما على ذلك قط . بل اننى على العكس من ذلك تماما على استعداد لأن أفعل الشيء ذاته لو أن حياتى بدأت من جديد ، ولكننى لم أكن لأتزوج ابدا . وسوف أعمل كل مافى وسعى لكى أنقذ ابنتى (يقصد لورا) من أن ترتطم حياتها بالصخور التى ارتطمت عليها حياة أمها وتحطمت .. »

وكان ماركس يعنى بذلك صخور المنفى والتشرد والفقر والمرض والضنى . ولكنه لم يفلح مع ذلك فى انقاذ حياة بناته من الارتطام بصخور الحياة . فقد كانت حياتهن تعكس جانبا من الأوضاع العامة السائدة فى القرن التاسع عشر والتى كانت تعانى منها المرأة فى العصر الفيكتورى بوجه عام بكل مافيه من تحامل على المرأة واهمال لشأنها وانكار لحقوقها ، وبكل ما كانت المرأة ذاتها تتحمله من متاعب العمل فى البيت ومتاعب الحمل والولادة الى جانب القيود والضغوط النفسية الرهيبة المفروضة عليها من المجتمع .

وهكذا كانت حياة كل واحدة من بنات ماركس الثلاث تمثل مأساة مفجعة تدعونا الى أن ننظر بشيء من التعاطف ليس فقط مع كارل ماركس وانما مع غيره أيضا من عظام الرجال والمفكرين والأدباء والفنانين وأن نأخذ فى الاعتبار الجانب الانسانى الخفى من حياتهم . وهو جانب كثيرا ما يتضمن عناصر قوية من الألم الدفين والضعف الانسانى النبيل الذى يستتر وراء بريق الآراء والأفكار والنظريات .

● نأخذ ما أعطينا ●

كان لأبى حمزة الاعرابى زوجتان . فولدت احداهما ابنة فعز عليه ذلك ، واجتنبها مدة وصار فى بيت ضرتها الى جنبها . فاحست به يوما فى بيت صاحبتها ، فجعلت ترقص ابنتها الطفلة وتقول :

ما لأبى حمزة لا يأتينا
يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان الا نلد البنينا
تالله ما ذلك فى أيدينا
بل نحن كالارض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا
وانما نأخذ ما اعطينا

فعرف ابو حمزة ما فعل ، وراجع امرأته



الانتحار
فى آسيا والشرق الأدنى

تحقيق : لى أ. هيدلى ● عرض : د. أمين العيوطى

الانتحار عادة فعل يائس يأتيه شخص يعانى من ضغوط داخلية وخارجية ، وتتدخل فيه عوامل اقتصادية واجتماعية وعاطفية ومدى الارتباط بالعائلة والتعاليم الدينية . وقد تزايد الاهتمام بظاهرة الانتحار فى العقدين الأخيرين بحيث أنشئت فى أمريكا وأوربا واليابان والهند مراكز تؤدى خدمات علاجية لأصحاب الميول الانتحارية . وقد أثبتت الأبحاث التى قامت بها هذه المراكز تزايد حالات الانتحار بين المسنين والعزاب والمطلقين والأرامل الذين يجدون صعوبة فى التلاؤم مع أنفسهم أو مجتمعهم . وهذا كتاب يتناول أسباب الانتحار وأنماطه فى أقطار آسيا والشرق الأدنى .

على عكس مايحدث فى الغرب ، يبدو الانتحار أكثر شيوعا فى بلدان آسيا بين الشباب عنه بين كبار السن ، كما يشكل انتحار النساء نسبة أكبر من مثيلتها فى الغرب . فعدد عمليات الانتحار كبير بين الشباب تحت عمر الثلاثين ، خاصة بين مجموعتى أعمار ١٥ ـ ٢٤ ، ٢٠ ـ ٢٩ . بل تصل نسبة الانتحار بين مجموعة عمر ١٠ ـ ١٩ الى ٣٩ر٦٪ فى الأردن ، ١٥ر٣٪ فى الهند ، ٣٠٪ فى سريلانكا ، ١٨ر٤٪ فى اليابان وتايوان وتايلاند

غير أن هناك بضعة استثناءات حيث تصل عمليات الانتحار الى قمة عالية فى اليابان وتايلاند بعد عمر الستين وتعادل عمليات الانتحار فى سن الثلاثين . ويرجع انتحار هؤلاء إلى التغيرات الاجتماعية والثقافية فى اليابان . فمع تفتت الأسرة الموسعة الى وحدات صغيرة قلت رعاية المسنين . نفس الشىء ينطبق على المناطق المدنية فى تايلاند حيث يشعر المسنون بانعدام الأمان وسط الاتجاه الى التحديث . أما فى سريلانكا ، حيث مازالت الروابط الأسرية قوية ، فيرجع الانتحار بين المسنين الى الأمراض العضوية ، وادمان الخمر ، والمشكلات الاقتصادية .

أما معدلات الانتحار بين الشباب فترجع إلى سيطرة الكبار فى أمور اختيار الزوج أو الزوجة أو اختيار المسكن أو العمل ضد رغبة الشباب الذى لا يستطيع تأكيد شخصيته والاعتراف به كهوية مستقلة وتأكيد مكانته فى العائلة والمجتمع . ولهذا تنمو العدوانية والحاجة الى التعبير عن الذات فى المراهق أو الشاب المتمرد . وقد تتجه هذه العدوانية ، حين تسد منافذ التلاؤم ، الى الذات كعقاب لرموز السلطة ، أو كمحاولة للحصول على التعاطف والقبول .

● النسب بين الجنسين

على الرغم من آن نسبة انتحار الذكور تفوق نسبة أنتحار الاناث ، فإن معدلات انتحار الذكور والأناث تكاد تكون متقاربة فى مصر وباكستان وسوريا واليابان وسنغافورة . أما فى الكويت وسريلانكا فإن نسبة انتحار الذكور تتفوق . **وربما تميل بعض بلدان الشرق الأوسط الى اخفاء انتحار الاناث حتى لا تتأثر مكانة العائلة** . ويرجع ازدياد معدلات انتحار الاناث فى آسيا الى مكانة المرأة التى لا تتمتع بنفس حرية الرجل قانونيا واجتماعيا وثقافيا . والمشكلات الأساسية التى تواجه النساء تتركز فى الزواج والطلاق والاحتكاكات الزوجية وخيبة الأمل فى الحب ، والعقم الذى يرتبط فى البلاد العربية بالطلاق . فالزيجات يقوم الآباء بترتيبها على أساس اقتصادى لا على أساس الاختيار الشخصى ، خاصة بالنسبة للمرأة مما يزيد من حدة ميلها الى الانتحار بحيث يأتى أنتحارها احتجاجا على زواج لا ترغبه . ويأخذ هذا الاحتجاج شكل الموت حرقا فى الهند وسوريا والعراق والاردن . كما تؤدى خيانة الزوج لزوجته أو سوء معاملته لها أو انتقادات الحماة أو المشاحنات الزوجية الى الانتحار بالسم .

وقد تستطيع المرأة آن تحصل على الطلاق ، لكنه مرهون بارادة الزوج .

الانتحار

ونسبة كبيرة من النساء فى البلاد العربية يقف القانون أو نقص البدائل بالنسبة لمستقبلهن أو خوفهن من ترك أطفالهن للأزواج دون طلاقهن . ولهذا غالبا ما تلجأ النساء التعيسات فى زواجهن الى الانتحار . وفى آسيا يكون الطلاق صعبا بالنسبة للمرأة التى تواجه مشكلات مالية خاصة اذا احتفظت بأطفالها . ولذلك يبقى الانتحار بالنسبة للمرأة التى تجد نفسها غير قادرة على الخلاص من الزواج المهرب الوحيد المتاح لها .

غير أن الشبان الآسيويين أيضا يعانون من سيطرة كبار العائلة فى ظل النظام الأبوى . ففى اليابان مثلا لا يستطيع الشاب أن يبدى روح التمرد أو أن يواجه موقفا بشكل فردى . وفى كثير من الثقافات الآسيوية لا يمكن للشاب أن يتحدى رغبات الكبار فى مجالات اختياره لمهنته أو زواجه أو محل إقامته أو أن يبدى رأيه فى الأمور العائلية والاقتصادية . وقد اضطر كثيرون الى التخلى عن مشروعاتهم للدراسة أو العمل لتولى مسئوليات الأسرة بعد وفاة عائلها ، وربما مسئوليات الأقارب أيضا . وهكذا يأتى الانتحار أو محاولات الانتحار بالنسبة للشباب الأسيوى معيارا للصراعات الموجودة فى الأنظمة الاجتماعية فى البلدان الشرقية .

ومن الناحية النفسية فإن الحاجة الإنسانية الأساسية هى تأسيس الهوية الشخصية التى يحترمها أفراد الأسرة والآخرون ، وكذلك الاحساس بسيطرة المرء على حياته وقدره . والأنظمة الاجتماعية الأبوية تمارس ضغطا شديدا ولا تسمح بهذا التفرد . وهكذا تأتي الاحتكاكات العائلية حافزا للانتحار حيث لا يستطيع الشبان والشابات تأكيد ذواتهم وتحديد مستقبلهم . وقد لا يكون الانتحار عدوانا موجها للذات فحسب ، بل عدوانا موجها للسلطة المتحكمة . ومن أجل الحيلولة دون الانتحار لابد أن تحدث تغيرات اجتماعية توفر بدائل للشباب من الجنسين فى مجال تأكيد الذات .

● وسائل الانتحار

الوسائل الأساسية للانتحار فى البلدان الآسيوية هى تناول جرعات كبيرة من العقاقير أو السموم خاصة المبيدات الحشرية والزراعية ، كما فى تايوان وتايلاند ، نظرا لرخصها وسهولة الحصول عليها . أما فى اليابان فالوسائل المفضلة هى الشنق والغرق واستخدام الغاز . وأكثر الوسائل المستخدمة فى سنغافورة هى القفز من أماكن مرتفعة ، يليها الشنق فاستخدام السم فالغرق . وفى تايلاند تستخدم الأسلحة النارية دون كل بلدان جنوب شرق آسيا ، وفى آسيا الوسطى - سريلانكا ، الهند ، ايران ، باكستان ، يستخدم المنتحرون العقاقير والسموم . ويلى هذه الوسيلة الانتحار شنقا فى سريلانكا وغرقا فى الهند ، والموت حرقا فى سريلانكا وباكستان والهند .

أما فى الشرق الأوسط فتأتى الحبوب والسموم فى المقام الأول . كما

فى مصر وسوريا والأردن والكويت . وهى وسائل تأتى فى المقام الثانى فى العراق . ففى العراق والأردن يستخدم المنتحرون غالبا الأسلحة النارية ، وحرق الذات - خاصة بين النساء - يحدث فى الأردن وسوريا والعراق .

وربما كان الموت عن طريق استخدام المبيدات الحشرية أو احراق الذات مؤلما ، لكن المنتحرين والمنتحرات بهذه الوسائل لا يدركـون احتمال الألم . والوسيلة الأخيرة غالبا ما تستخدمها النساء الأميات واللاتى ينتمين الى الطبقات الدنيا . وربما كان فى استخدام هذه الوسيلة عنصر تقليدى ليس له معنى واضح يستطيع أى بحث أن يصل اليه ، إذ إن أقل القليل ممن يستخدمن هذه الوسيلة يبقين على قيد الحياة .

ولما كانت الأسلحة النارية موجودة فى العراق والأردن بنفس القدر الذى توجد به فى أقطار الشرق الأوسط ، فإن السبب فى استخدامها غير واضح ، والرجال وحدهم هم من يستخدمونها لأن النساء يفضلن وسائل أقل عنفا لقتل أنفسهن .

واستخدام جرعات كبيرة من العقاقير والسموم هى الوسائل المفضلة فى محاولات الانتحار . والذين يحاولـون الانتحار قادرون على تقدير مدى فعالية هذه السموم . وهم عموما يستخدمون وسائل أقل فعالية ويميلون الى القيام بمحاولتهم فى ظروف تسمح باكتشافهم فى الوقت المناسب .

● أسباب الانتحار

لعـل أهم أسبـاب الانتحـار هى المشكلات بين المنتحر والآخرين ، كما فى المشكلات العائلية والاحتكاكات بين الأزواج ، والخلافات بين الأبناء والآباء ، او بين الزوجات والحموات . فالمشكلات العائلية تأتى فى المقام الأول فى حالات انتحار النساء أو محاولات انتحارهن ويتفق هذا مع وضع النساء الآسيويات . وحتى فى البلدان التى تعمل فيها النساء بأعداد كبيرة ، كما فى اليابان وتايوان وسنغافورة والعراق ، تشكل الخلافات العائلية سببا أساسيا للانتحار . لكن العامل الأساسى فى آسيا هو عدم مرونة الأنظمة الاجتماعية التى لا توفر بدائل للتخفيف من وطأة الحياة . بل ان نفس القوانين الصارمة تؤثر بنفس القدر فى عمليات انتحار الذكور .

يلى ذلك الاخفاق فى الحب خاصة بين الشباب ، بل حتى بين كبار السن فى العديد من البلدان . ولعل العلاقات الغرامية الفاشلة تجتذب الانتباه أكثر من اللازم ، فالكثير من الاحتكاكات التى نعزوها الى الحب قد تكون مشكلات بين الأبناء والآباء ، فيما عدا حالات الهجر والرفض . وعمليات الانتحار المتعلقة بزيجات مرفوضة تختلف قليلا عن تلك المتعلقة بعلاقات غرامية ، إذ أن المشكلة الحقيقية هى القدرة على اختيار المرء لمصيره أو عدم قدرته على ذلك .

والـرسوب فى الامتحـانات أحـد الأسباب ، لأن مثل هذا الرسوب اما أن يشكل ضربة للعلاقات العائلية أو فقدانا لميزة اقتصادية ومالية . وهو مشكلة خطيرة تؤثر فى السلوك الانتحارى فى اليابان ، لكنها أيضا ترتبط بالعلاقات

الانتحار

العائلية ، خاصة مع الأم . فرسوب الطلبة فى اليابان ذو أهمية أكبر عما فى عداها من البلدان ، لأنه على الرغم من كونه من بين أسباب الانتحار فى الهند وسوريا ومصر ، مثلا ، فإنه يحتل مرتبة أقل فى هذه البلدان عنه فى اليابان .

ويشكل الفقر والفشل الاقتصادى عاملا هاما فى السلوك الانتحارى . ففى اليابان ترتفع معدلات الانتحار بين من يعانون من البطالة أو المشكلات الاقتصادية ، وكذلك فى الهند وسنغافورة وسوريا والأردن . غير أن الأسيوى لا يتشبث بالحياة على الرغم من فقره المدقع بل ينتحر بسببه . بل غالبا ما يكون الفقر سببا لعمليات انتحار متعددة فى اليابان والهند وايران .

ويميل الأطباء النفسيون الى أن يضعوا الاضطرابات العقلية والعصبية والاكتئاب على قائمة أسباب الانتحار . غير أن هذا لا يوضح الأسباب الشخصية للمنتحر . فمسألة ما إذا كانت الاضطرابات العقلية لها أصولها العضوية أو البيئية مسألة معقدة . ومن المفيد ، من منظور أوسع أن ننظر الى المنتحر بصفته شخصا يستجيب لعوامل شخصية خاصة به ، بما فى ذلك تكوين بنيته ، وعلاقاته الشخصية والأسرية ، والمؤثرات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية الأوسع . فهذه العناصر تتحد لتحدد ما أذا كان الفرد يستطيع أن يجد حلا لأزمته أم لا .

ومن المؤشرات على دلالة العوامل المالية المستوى التعليمى لمن يقدمون على الانتحار فقليل من المهنيين أو أصحاب المهارات العالية أو من يشغلون مناصب ادارية يقدمون على الانتحار . ومعظم المنتحرين ممن حصلوا على تعليم ابتدائى أو ثانوى ، لكن أعدادا كبيرة منهم تأتى من صفوف الأميين .

وتلعب الظروف الاجتماعية دورا هاما فى تزايد معدلات الانتحار . ففى تايوان ارتفعت هذه المعدلات بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة نتيجة للهجرة الجماعية من الصين ، والتغيرات التى أدت اليها هذه الهجرة ، وعدم تكافؤ الفرص بين المواطنين والمهاجرين . غير أن توطين موجات الهجرة ، واعادة تنظيم المجتمع على أساس حديث يقوم على المساواة بين المهاجرين والمواطنين ، وتطور نظام قيم ثابتة متماسكة أدى الى استقرار انخفضت معه معدلات الانتحار .

وعلى الرغم من أن هونج كونج مركز تجارى مزدهر اقتصاديا ، فإن غالبية السكان فقراء ، مهاجرون من الصين ، أعدادهم كبيرة ، أميون وغير مدربين وقد كان معظمهم مزارعين شبانا اجتذبتهم قصص الثراء . غير أنهم وجدوا أنفسهم عمالة رخيصة . وأدى التضخم الى أزمة أسكانية وارتفاع تكاليف المعيشة بحيث لم يكن كثير منهم قادرا على دفع ثمن المأوى ، مما كان سببا فى ارتفاع معدلات الانتحار .

وفى تاريخ الهند هناك نوعان معروفان من الانتحار : الانتحار الجماعى الذى كانت النساء يقمن به لتجنب الاذلال على أيدى جيوش غازية ، والاضراب عن ·



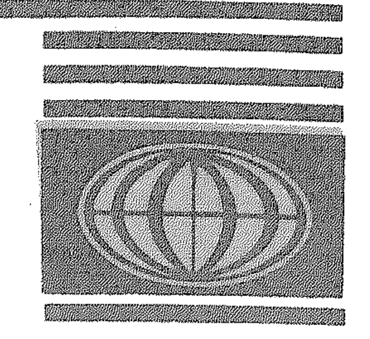
الطعام احتجاجا على الحكم الأجنبى مثلما كان غاندى يفعل أو احتجاجا على اجراءات حكومية . كذلك كانت هناك انتحارات جماعية لأزواج أو عشاق أو أخوات أو أحداث اما بسبب الفقر أو الديون أو الكوارث المالية أو ما الى ذلك .

● مراكز الوقاية فى الانتحار

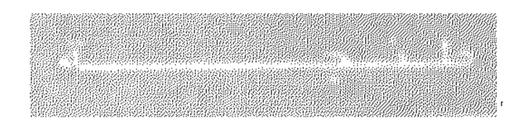
تشير احصائيات مراكز الوقاية من الانتحار إلى أن الكثير ممن يعانون من ضغوط عاطفية شباب، فى مجموعة عمر ١٥ ـ ٢٩ ، بينهم نسبة كبيرة من الفتيات.. وتقل نسبة الانتحار بين متوسطى العمر ، وتزيد فى بعض المجتمعات التى تتغير بسرعة مثل اليابان بين المسنين الذين لا يجدون الأمان وسط التقاليد المتغيرة .

ولهذا يجب أن تتجه الجهود الرامية الى تقليص عمليات الانتحار الى الشباب أساسا ، وينبغى أن تبدأ الاجراءات الوقائية فى المدارس الابتدائية والثانوية وتستمر فى الجامعة . فتغيير المواقف من الانتحار يعنى أن يتعلم المرء كيف يتعامل بشكل ايجابى مع المواقف التى تنطوى على صراع ، وهى عملية تتطلب تضافر جهود الآباء والمدرسة . وفى مدارس الولايات المتحدة الأمريكية الابتدائية والثانوية أدخلت خدمات لتقديم المشورة للطلبة الذين يعانون من الاكتئاب أو من مشكلات عائلية . وتتضمن هذه المشورة الآباء لتذليل الصعاب ، ولتحسين قدرتهم على التعاون البناء فى مواقفهم وسلوكهم .

ولما كانت امكانية الاقدام على الانتحار أكثر ارتفاعا بين الفئات التى تتمتع بأقل القليل فى الامتيازات ـ مثل الشباب والفقراء والنساء ـ فإن دور الحكومات أساسى لتوفير الخدمات العلاجية . وعلى الأخص فإن محنة الفقراء ، وخاصة المسنين منهم ، هى مجال تحرك الحكومات الى حد كبير . فالتعساء والمحرومون يهددون استقرار الحكومات ويؤثرون فى انتاجية الأمة ككل . ويجب على السلطات الحاكمة أن تتحمل مسئولية اصدار قوانين لمنع أشكال الظلم الواقع على مجموعات بعينها ، وأن توفر الفرص المتكافئة ، فى حدود الامكان ، للشباب والنساء .



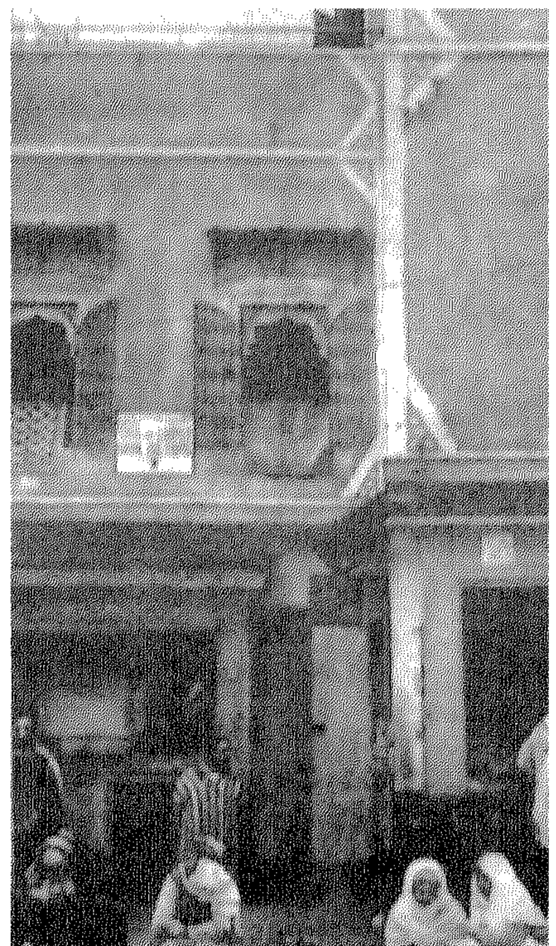
العالم في سطور



● طنجة .. جنة الادباء

أصبحت مدينة طنجة المغربية محط أنظار العالم فى الشهر الماضى .. من خلال صدور بضعة كتب فى أدب الرحلات وعرض فيلم سينمائى يعرض الان فى أوروبا بنجاح ملحوظ ..

طنجة .. صورة عصرية



الفيلم هو « الصيف الاخير فى طنجة » من اخراج الكسندر أركادى وبطولة روجيه حنان وأنا كارينا وتدور أحداثه عام ١٩٥٦ فى المدينة المغربية ، حيث يجد رجل شرطة نفسه يجىء اليها بدلا من الرحيل الى الولايات المتحدة الامريكية ٠ ويجد المغامرات متلاحقة من خلال شابة ايطالية ذات ماض غامض تضعه فى مواجهة الاسرة التى تسيطر على المدينة ٠

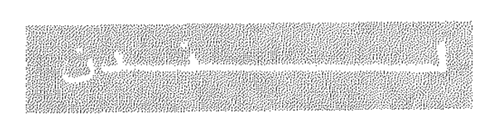
لم تتغير طنجة كثيرا منذ عام ١٩٥٦ وحتى الان ، حسبما يقول الصحافى دانييل روندو صاحب كتاب « طنجة » الذى صدر بالفرنسية فى مايو الماضى ، يقول الكاتب ان طنجة بالنسبة له ليست بطاقة معايدة عليها صورة تذكارية ، ولكنها ذكريات تتدفق ٠ وقد كانت المدينة ملتقى للعديد من الادباء ، فقد بهر بها كل من بول موران واندريه مالرو كما اعتبرها الامريكى بول بولز مجالا خصبا لصناعة نموذج أدبى مثالى ٠ وقد بهر هؤلاء الكتاب بالليل الرخيم الذى يسود المدينة العربية فاصبحت جنة الادباء ٠

وكما كانت المدينة جنة للكتاب فان بناتها وشوارعها العامرة بالمارة كانت مصدر الهام لفنانين تشكيليين مثل ماتيس الذى قام بتعرية بناتها فى صدر لوحاته ٠

ويقول روندو «اننا نذهب الى طنجة كى ننتظر قدوم أحسن أيامنا » كما أكد ان الرحيل الى هذه المدينة مبعثه الهروب من اختناق الاجواء

الفرنسية ، حيث المطـــر والغبـــار والانتخابات التى لا تنتهى • لذا فان ناقد مجلة لوبوان يؤكد فى العـــدد الصادر فى ٤ مايو الماضى ان روندو يحب طنجة لانه يريد أن ينسى باريس •• وهو يبحث فى المدينه عن الادباء الراحلين كى ينسى الاحياء منهم •• ولذا فانه يبدو كأنه يقوم بتصحير فرنسا •

والقارىء يجد نفســه يرحل الى طنجة مرتين •• الاولى فوق صفحات كتاب روندو ، ثم فى رحـــلة مفتش الشرطة الى المدينة مع روجين حنان الذى وجد فى المدينة مهربا اخر من رحلته الى الولايات المتحدة ••



● هولمز •• لماذا

هل من الغريب أنيكون أرثر كونان دويل هو رجل عام ١٩٨٧ فىالصحافة الأدبية العـــالمية •• الامر لم يبـــد غريبا بالمرة رغم وجود مناسبة معينة تدعو للاحتفال بالرجل •• لكن المتتبع لهذه الصحافة بشتى اللغات سيفاجأ أن السيد دويل قد أصبح الكاتبالمدلل فى كل المجلات العـــالمية • فقـــد خصصت مجلة « ليتربر فرانسيه » عدد خاصا عن أدبه وشخصياته •• وهى المجلة المعروفة بجديتها الشديدة •• كما أقامتمجلة « يوليس ٢٠٠٠ » التى تصدر بالايطالية ملفا كبيرا عنه فى عدد شهر أبريل الماضى • وذكرت مجلة بومبير الفرنسية فى عـــددها الاخير أن شخصية شرلوك هولمز التى ابتدعها دويل تعـــد أبرز شخصية سينمائية على الاطلاق وقد أنتج عنها ١٨٦ فيلما وبذلك تكون اكثر شخصية



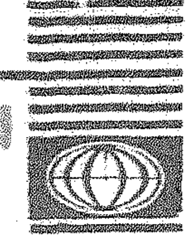
شرلوك هولمز

صورت عنها السينما مجمـــوعة من الافلام •

عاش دويل فى الفتـــرة من ١٨٥٩ الى ١٩٣٠ وكانت حياته خصبة الانتاج شأن أغلب أدباء الرواية البوليســية مثل موريس لبلان واجاثا كريستى وجورج سيمنون • ابتـدع شخصية المفتش هولـــز البالغ الذكـــاء ذا القبعة الانجليـــزية والغليـــون •• والمعطف الطويل •• وهى الشخصية التى خرج من جعبتهـا أغلب مفتشى السينما والأدب مثل ميجريه وكولومبو •• كما ابتدع دويل ايضا شـــخصية مقابلة هى الدكتور واطسن صـــديق هولمز الذى يساعده فى الكثيـــر من تحرياته •

أما أهم الروايات التى ظهرت فيها هاتان الشـــخصيتان فهى « عـــلامة الاربعة » عام ١٨٩٠ ، و « مذكرات شرلوك هولـــز » ١٨٩٤ و « عودة شرلوك هولمز » ١٩٠٥ و « عقـــدته الاخيرة » عام ١٩١٧ •• و « قضية شرلوك هولمز » عام ١٩٢٧ •

وقد أصبحت لشخصية هولمز مجلة رسوم متحركة متخصصة كانت تصدر أسبوعيا باللغة الانجليـــزية بعنوان « ستراند ماجازين » •



العالم في سطور

لم يتوقف كونان دويل ـ مثل اغلب كتاب الرواية البوليسية ـ عند صديقه هولمز بل كتب مجموعة روايات تنتمى الى أدب الخيال العلمى منها « عصر الفضاء » و « الرجل المخفى » وفى آخر حياته اهتم بشكل مكثف بالمغيبيات فأصدر كتابا يحمل عنوان « تاريخ مذهب تحضير الارواح » ·· كما كتب المسرحية والقصيدة · ومن أهم مسرحياته « قصة ووتر لو » ·

● عين الفن .. زانية

هو عنوان الكتاب الذى يثير اكبر فضيحة فى ايطاليا منذ صدوره فى أبريل الماضى ، ليس كتابا سياسيا ، ولا هو بالوثيقة العسكرية الخطيرة ، ولا بالمذكرات الهامة · ولكنه عبارة من ذكريات روتها امرأة لصحافيين ايطاليين عن أدق التفاصيل فى علاقتها بزوجها ·

المرأة هى مارتا مارتسوتو ، التى تزوجت الفنان التشكيلى الايطالى ريناتو جوتوسو وتركت له جسدها ليصوره كما يشاء فى لوحات فنية راقية · ولم يقتصر الامر على تصويره لهذا الجسد عاريا · فقد سبق للعديد من الفنانين التشكيليين أن رسموا زوجاتهم عرايا · بل ان جوتوسو راح الى ما هو أبعد ·· فقد صور زوجته فى أوضاع جنسية بالغة الجرأة مثلما يحدث فى الافلام المكشوفة ·

وتجىء أهمية هذا الكتاب من أن جوتوسو هو أحد الرسامين المرموقين فى الفن التشكيلى الحديث · وهو صاحب فكر ، كما أنه عضو فى الحزب الشيوعى الايطالى · وهو أب لاسرة سعيدة ، جمع ثروة كبيرة من فنه لم يجمعها بيكاسو فى حياته ·

وقد اهتم المؤلفان بالتركيز على ابعاد العلاقة التى ربطت بين ريناتو وزوجته ، ذكرى اللقاء الاول ، وحلاوة الكلمة الاولى ، وحسسية الاتصال الجسدى وقال المؤلفان ان الرجل كان يحب الحياة والفن ، وأنه آمن أن الجنس اشد لحظات الانسان انفعالا · لذا لم يسع الى تصوير امرأته باردة الحس كما فعل عشرات الفنانين من قبله · وهو يرى أن لوحاته عبارة عن فن خالص لا علاقة لها بالاخلاق والتربية ، واذا نظرت اليها المعيون نظرة زانية ، فالعين اذن هى الخاطئة وليست اللوحة · وكأنه بذلك يعيد قول مايكل انجلو « رسمتهم عرايا كما خلقهم الله » ·

مارتا مارتسوتو فى احدى لوحات جوتوسو



نيودلهى

● رحلة فى قطار الهند السريع

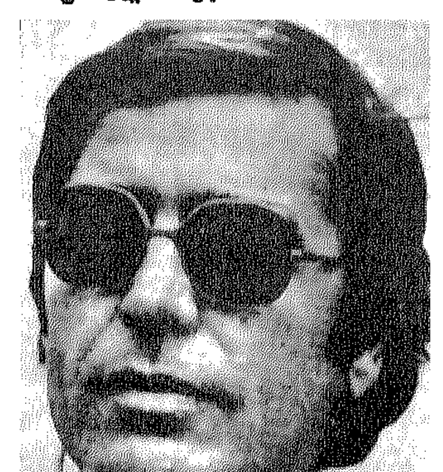
يرى الكثير من أدباء العالم الثالث أن عليهم عبور قنطرة محددة للوصول الى العالمية من خلال هجرتهم الى بعض المدن الاوروبية ـ خاصة لندن ـ والكتابة عن بلادهم باللغة الانجليزية . من أشهر هذه الاسماء الكاتبان الهنديان نايبول وبول ثيروكس ـ لاحظ اسمه الانجليزى ـ الذى صدرت له فى الشهر الماضى روايه « بازار السكة الحديد » .. كما عرض فيلم « ساحل البعوض » من اخراج بيتر فير وبطولة هاريسون فورد وهو الفيلم المأخوذ عن رواية له بنفس الاسم .

فى روايته الاخيرة « بازار السكة الحديد » يتحدث الكاتب عن تجربة خاصة مر بها فى عام ١٩٧٤ حين **اصابه روماتيزم فاقترحت عليه زوجته** أن يسافر الى موطنه اسيا ، فاستقل القطارات التى انتقلت به من لندن الى باريس وسيبيريا وطوكيو حتى حطت به فى الهند : « وفى القطار كان يدون انطباعاته حول الناس والمدن » . وقد بدا مشدوها فى هذه الرحلة بشمس تركيا الشاحبة ومياه مدراس المنعشة وحب الايرانيين للمال وعشق الهنود للابقار .

يقول فى كتابه متسائلا : ترى هل السفر عمل خيالى أم واقعى . هل هو حلم أم روايه . لقد أمسكت القارة الهندية بمخيلتى فلم أستطع الهروب منها . وجعلتنى مدينة نيودلهى جملة داخل جملة لذا فأنا الرجل الذى يبحث دوما عن القطارات التى تدب فوق قضبان بيضاء تعبر البلدان حاملة مئات الانفس . وفى الهند تجد فى نفس القطار أكثر الناس ثراء يجلس الى جوار هندى من السيخ يتحدثان بمودة .. لكن من الصعب أن تسمع لصوتيهما صدى . لان دبيب عجلات القطار هو الاعلى صوتا .

من أهم روايات ثيروكس المولود عام ١٩٤١ هناك « المتآمرون » ، و « جاك الرائع » و « قصر الصور » و « رحلة عبر المملكة المتحدة فى السكك الحديدية » .

بول ثيروكس



لايبزج

● حياة عاصفة

لم يختلف الناس على رجل من أساطين النغم كما اختلفت اراؤهم فى « ويلهلم ريتشارد فاجنر » (٢٢ مايو عام ١٨١٣) .

تغالى البعض فى تقديره حتى زعم أنه استوعب فيما أبدع من أعمال أوبرالية كل من سبقوه وعاصروه .



واشتط الاخرون فى كراهيته حتى لقد اتهموه بتمهيد الطريق بموسيقاه وأفكاره فى الاشتراكية والانسان الكامل الى النازية ·

ومهما يكن من أمر هذه الاحكام المتناقضة ، فلو جرى رسم صورة لفاجنر بفرشاة واقعية لا تجنح للتزييف ، لكان لنا بفضل ذلك دراسة شائقة فى التباين العنيف ·· دراسة تحكى قصة شخصية قبيحة أبدعت موسيقى جميلة ·

فمنذ طفولته ، وهو ظاهر الثقة بنفسه ، غير مكترثبالاخرين ، منطلق الموهبة فى الشعر والموسيقى

فما كان يبلغ الثالثة عشر ، حتى كان قد ترجم فى أوقات الفراغ الاثنى عشر كتابا الاولى من ملحمة « الاوديسة » ، قرأ شكسبير فى ترجماته الالمانية ، حفظ أوبرا « فرايشوتز » للموسيقار « كارل ماريا ويبر » عن ظهر قلب ·

وفى عام ١٨٢٨ عكف على دراسة أعمال بيتهوفن ، ثم عقد العزم على التاليف الموسيقى ، فأمضى ستة شهور يتعلم فيها أصوله ونظرياته ، وكان ذلك هو كل ما تلقاه من تعليم منظم·

فاذا ما اقترب من العشرين ، ادمن التردد على أوكار القمار فى « ليبزيج » ، حتى انه خاطر ذات مرة بكل معاش امه فى رهان واحد ، غير أنه كتب له ، ولحسن حظه ان يكسب الرهان ·

فى هذه الاثناء شغل وظيفة قيادة المجموعة الغنائية للفرقة الاوبرالية « بووزربرج » حيث الف عمله الاوبرالى الاول « المجنيات » (١٨٣٣)

ثم الف خلال العام التالى أوبرا اخرى أسماها « ممنوع الحب » ·

وطبعا كان هو أول المتمردين على هذا المنع ، اذ سرعان ما وقع فى حب الممثلة « مينا بلانر » التى عقد قرانه عليها فى ٢٤ (نوفمبر) عام ١٨٣٦ ، ذلك اليوم الذى كان لا مفر من أن يتحول الى ذكرى سنويةلبداية موعد « مينا » مع الشقاء ، فما أتعس أولئك الذين تربطهم الاقدار بعجلة العبقرية واقتحاماتها الجسور·

وعلى كل ، فقد أبدع خلال الاعوام الاولى من هذا الزواج غير السعيد أربعة أعمال اوبرالية « رينزى » ، و « المهولندى الطائر » ، و «تانهاوزر» و « لوهنجرين » ·

ولكن أيا منها لم يلق قبولا عند الجمهور الذى لم يستطع أن يتذوق لغتها الجديدة ·

وهاهو ذا « فاجنر » ، يعانى ·· يعطى العالم جمالا ، وفى المقابل لا يعطيه العالم سوى الاحتقار ·

وما أن انتهى من تاليف أوبرا « لوهنجرين » ، حتى انغمس فى أحداث ثورة ١٨٤٨ ·

فاذا ما فشلت الثورة فى «درسدن» حيث صدر أمر بالقبض عليه ، فر منها هاربا الى « فايمار » حيث كان يقيم صديقه وقدوته « فرانز ليست » ، ومنها الى سويسرا حيث أخذ معه أثناء رحلة العذاب قلب الشابة الحسناء « جيسى » امرأة تاجر النبيذ الفرنسى « اوجين لوسو » ·

ولقد ظل فاجنر اثنى عشر عاما فى منفاه حيث عكف على كتابة

أشعار لاعمال أوبرالية مستوحاة من أساطير الفايكنج ، كان من بينهـــا القصيدة التى اقام عليهـــا رباعيته الاوبراليـــة « ذهـب الـرايـن » ، « فالكور » ، « سيجفريد » و « غروب شمس الالهة » والمعروفة تحت اسم « حلقة النيبولنج » ٠

وفى أثناء ذلك نشر كتابات أوضح فيها اراءه فيما يجب أن تكون عليه الاوبرا أو الدراماالموسيقية « الكلمات هى الجذور والموسيقى هى الزهرة »

ومع عام ١٨٥٣ بدأ فى كتـــابة الموسيقى الخاصة بتلك الرباعيـــة ، غير أنهسرعان ماتوقف عن اتمامها ، متنقلا منها الى تأليف عمله الاوبرالى الشهير « تريستان وايزولد »

وبعد كثير من الفشـــل وتراكم الديون ، بدأ الحظ فى الابتسام ٠

فها هو ذا « لودفيج » الثانى ملك بافاريا الشاب يسدد ما عليـــه من ديون ، ويهبه قصرا فى ميونيـــخ ومعاشا سخيا أتاح له فرصة القيـام بنفسه باخراج أعماله ٠

وقد كان من نتـــائج ذلك أن لقى عمله الاوبرالى « أساطين الغنـاء فى نورنبرج » (١٨٦٨) نجاحا كبيـرا ، غير أنه ازاء انكشـاف علاقتـــه « بكوزيما » ابنة « ليست » وزوجة رئيس فرقته الموسيقية « هانز فـون بولو » اضطر الاثنان ، تحت ضـغط الفضيحة الى أن يغادرا « ميونيخ »

وفيما بعد تزوجا ، وكان زواجهمـــا سعيدا لاتفاقهما فى الهدف المشترك ، فكلاهما كان لا يعبد سوى « ريتشارد فاجنر » !!

ومن أجل « كوزيما » (١٨٣٧ ـ ١٩٣٠) ـ وبمناسبة عيد ميلادها ـ أبدع لها « غزلية سيجفريد » التى



ريتشارد فاجنر

تعد من أجمـــل ما ألف من القطع الموسيقية القصيرة ٠

فى ذلك الوقت كان قد أوشك على اتمام « حلقة نيبولنج » فصمم على أن يبنى مسرحا خصيصا لها ٠

وبفضل حمـاسه تمسـكن فى ١٣ (أغسطس) عام ١٨٧٦ من افتتاح مسرح « بيـــت المهـــرجان » فى « بايرويت » حيثعرضت الحلقةكاملة غير مفتوحـــة على امتـــداد أربع ليال ٠

بعد هذا الحدث الذى يعتبر نقطة تحـــول فى تاريخ الموسيقى عاش « فاجنر » خمسة أعوام ونصفا أبدع خلالهـــا عمـله الاوبرالى الاخيـر « بارسيفال » (١٨٨٢) ٠

وفى ١٣ (فبراير) عام ١٨٨٣ جاءه الموت بالسكتة القلبية ٠

وبه اختفت من مسرح الحيـــاة شخصية فريدة أورثت الانسانية بناء شامخا منالدراما الموسيقية أو بمعنى اصح السيمفونيات الدرامية ٠

عالم ارسكين كالدويل

ملامح أدب الجنوب الأمريكى

بقلم : محمود قاسم

ترى هل هناك علاقة بين رحيل الكاتب الامريكى ارسكين كالدويل وبين مؤشرات الحياة الثقافية فى مصر .

قد يبدو السؤال غريبا لكن اجابته واقع ملموس عما تسير عليه حياتنا الثقافية التى انعزلت تماما عن كل ما يحدث فى العالم من تيارات فكرية ومايصدر من ابداع جديد .

فعندما مات كالدويل فى الاسبوع الثانى من ابريل الماضى لم ينشر عن وفاته خبر واحد . بينما بدت المجلات الثقافية والصفحات المفروض انها ادبية غافلة تماما عن هذا الحدث الثقافى الهام . وكأن كالدويل نكرة .. وكأنه لم يقدم ستين رواية ترجمت افضلها الى اللغة العربية وقرأناها ايام ازدهار حركة الترجمة وكأن انفصالا شبكيا حادا اصاب العين العربية المثقفة فلم تعد تلتفت حولها واخذت تعوم فى دياجير العتمة التى صنعتها لنفسها .

لو فتحت الملف الخاص بكالدويل فى ارشيف دار الهلال ـ مثلا ـ لوجدته عامرا بمقالات كتبت منذ اكثر من عشرين عاما نشرت فى «المجلة» و« الكاتب » ثم تكتشف فجأة ان الصلة انقطعت بعد ذلك بالكاتب وبالطبع بغيره من الكتاب رغم عطائه الذى لم يتوقف حيث صدر له قبل وفاته باسبوعين كتاب جديد حمل العديد من ذكرياته وسيرته الذاتية .

تنبع اهمية كالدويل فى انتمائه الى بيئة افرزت اسماء عديدة فى الادب وكانت محط الانظار بالحروب الاهلية التى اجتازتها فى القرن الماضى .. فالبيئة شبه مغلقة ، اقرب الى صعيد مصر . تعتمد على الزراعة التى اثرت بدورها فى سلوك ابنائها . وقد اهتم ادباء الجنوب الامريكى بتصوير مايعانيه المواطن العادى فى هذه المنطقة من شقاء وتعاسة ومايسقط فيه من كوارث وسلوك غير اخلاقى . حيث تدفع قسوة الحياة أبناءها الى السقوط فى هوات عميقة لاخروج ابدا منها .. وحول

هذا العالم قرأنا ادب ويليام فوكنر ووليام ستايرون وجيمس بولدوين وجون دوس باسوس وشسترهايمز وترومان كابوت وفلانرى أوكنور وكارسون ماكللورز وآخرين .

● ارض الله الصغيرة

فى هذا المكان بمدينة كوينا الصغيرة الواقعة فى ولاية جورجيا ولد ارسكين كالدويل فى السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٠٣ لاب يعمل قسا متواضع الحال .. وقد دفعته ظروفه الاجتماعية الى الاندماج مع الفقراء من البيض والزنوج كما قام بممارسة بعض الاعمال البسيطة وهو فى سن مبكرة مثل بيع الصحف وتوزيعها على المشتركين وعندما بلغ السابعة عشرة انتقل الى مدينة جيفرسون كى يلتحق بالمدرسة العليا بها . يقول كالدويل ـ نقلا « عن المجلة » فى سبتمبر ١٩٦٤ ـ « لم يكن يحدث شىء فى البلدة أو فى الضواحى المجاورة الا ويعرفه كل منا بتفاصيله داخل المعصرة . كنا نتناقش اثناء الليل بحرية وبصراحة فى كل شىء .. المنازعات العائلية ميلاد الاطفال غير الشرعيين . حوادث الموت الغامضة ، المشاجرات العنيفة .. اخبار الهجرة والخيانات وفضائح العلاقات الغرامية . وكان يشترك فى المنافشة البيض والزنوج على السواء . كنا نعمل جنبا الى جنب ونتناول وجبة العشاء معا فى الصباح الباكر على جانب شريط السكة الحديدية عندما يكون يوم الخميس رائعا . او فى حجرة الغلايات فى الليالى المطيرة . ومن هنا لم يكن ثمة مجال للتفرقة العنصرية فى هذه المعصرة . كان كل واحد منا ، سواء أكان أبيض أو أسود ، يعبر عن رأيه وعما يحبه او يكرهه ، فى اى موضوع كما يشاء ..

عندما تخرج كالدويل فى المدرسة العليا اشتغل بالصحافة والكتابة للسينما . ونجح فى هذه الميادين لما اتسم به من قوة ملاحظة وقدرة شديدة على رصد مايدور امامه . وقد بدا هذا فى روايته الأولى « ابن الحرام » التى نشرت عام ١٩٢٩ ثم نشر روايتيه الكبيرتين « طريق التبغ » عام ١٩٣٢ و« ارض الله الصغيرة » عام ١٩٣٣ . وهما اهم رواياته على الاطلاق ـ ترجمتا الى اللغة العربية ـ ويقال ان كل روايات الكاتب الباقية كانت ظلا باهتا من هاتين الروايتين . من هذه الروايات « رفيق الرحلة » ١٩٣٥ «يد الله القوية» .. ١٩٤٧ ، « مصباح لسقوط الليل » ١٩٥٢ ، « حب ومال » ١٩٥٥ ـ ترجمها لويس جريس فى الكتاب الذهبى ثم « حى ميدورا » عام ١٩٧٣

وقد ارتبط اسم كالدويل بعالم السينما مثل الكثير من اقرانه الذين

ارسكين كالدويل



عالم ارسكين كالدويل

لمعوا فى الثلاثينيات وعلى رأسهم ارنست هيمنجواى ، ليليان هيلمان ، ويليام فوكنر وجون شتاينبك . وقد قام بنفسه عام ١٩٤١ بكتابة سيناريو فيلم « طريق التبغ » الذى اخرجه جون فورد وقامت ببطولته جين تيرنى . وقد قدمت بعض رواياته الاخرى للسينما مثل « المعسكر الصغير » التى اخرجها انتونى مان عام ١٩٥٨ بطولة روبرت ريان . وقد عرف عن كالدويل ان رواياته تحقق اعلى المبيعات حيث بيع من « لنسمها تجربة » .. مائة مليون نسخة فى كل انحاء العالم .

● وحاكموا الأدب .. لأنه واقع

يقول الناقد الفرنسى كليبر هيرن ان كالدويل اجاد فن القص الى ابعد حد فاستطاع ان يختلق شخصيات حية ارتبطت بالاماكن التى عاشت فوقها ..

ففى روايته الأولى « ابن الحرام » يتحدث عن قرية صغيرة فى الجنوب تسكنها قرابة الفى نسمة . الاقلية فيها بيضاء (٣٠٠ نسمة) اما البطل فهو جين مورجان أمه داعرة . وهو امى زنجى يعمل فى ورشة نجارة يمتلكها البيض . متعته الوحيدة هى اللهو وتناول الطعام وممارسة الحب . انسان بلا غد ولايفكر فى اللحظة القادمة . لذا فانه لايتوانى عن اغواء امراة عجوز من اجل بضعة دريهمات . كما انه يغتصب امراة متزوجة . ويسقط اخيرا فى هوى اخته غير الشقيقة فتنجب منه سفاحا أو « ابن حرام » هذه العلاقة الجريئة اثارت الكثير ضد الكاتب . رغم ان مثلها موجود فى « الصخب والعنف » لفوكنر التى تدور احداثها فى الجنوب ايضا . فقد اقيمت ضد كالدويل عدة قضايا اتهم فيها بالاباحية والانحلال الا انه خرج منها منتصرا بعد ان اثبت للجميع أنه يصور الواقع الذى يعيش فيه . ويسعى الى تنفير الناس من هذه النماذج العنيفة الخارجة على الناموس الأنسانى ..

اما رواية « طريق التبغ » فتتحدث عن الفلاح جيز ليستر الفقير الذى لايمكنه زراعة أرضه لاملاقه الشديد . ورغم ولائه للأرض فإنه لايستطيع ان ينشر الخضرة فوق الأديم . يتأمل البوار يزحف الى ارضه والحشائش تغزوها انه لايستطيع الافلات من القدر المحتوم الذى يحوطه . فكل شىء الى بوار . الام العجوز التى على وشك الموت . والزوجة المريضة : حتى ابنائه الثلاثة يعانون من اثر الفقر خاصة أبنه ديوك البالغ من العمر ستة عشر ربيعا ، والذى يجد نفسه ينساق وراء أرملة تسعى للزواج منه . تغدق عليه المال والهدايا . وكعادة نهايات روايات الكاتب فانها تصطبغ بمأساوية شديدة . فديوك يقتل جدته . اما اخته بيرل التى تزوجت فى سن مبكرة فانها تهرب من المدينة التى تعيش فيها . بينما تأتى النيران على الأب ليستر وزوجته فى الكوخ الذى يقيمان به .

نفس هذه الاجواء تتواجد فى روايته « حب ومال » حيث يصاب احد الفنانين بصدمة عاطفية ونفسية مما يهدده بالعقم الفنى وبالعجز التام عن الكتابة . لقد احب فتاة لم تبادله مشاعره . ظل يجرى وراءها خلف سراب بعيد لايقترب ابدا . واذا اقترب منه انسال بين ناظريه فلا يرى سوى رمال جرداء خاوية من الحياة . لقد

هربت منه فتاته . فاصبحت الحياة بالنسبة له خاوية المعنى . فهجر الفن بعد ان فقد بريقه وخبت جذوة عطائه الملتهبة . لقد غدت هذه العلاقة الفاشلة كارثة بالنسبة للفنان استطاعت ان تذيل منابعه المتدفقة فيتحول الى شخص يائس عدوانى لاامل منه ولارجاء .

● المرأة التى أفسدت حيــا بأكملــــه

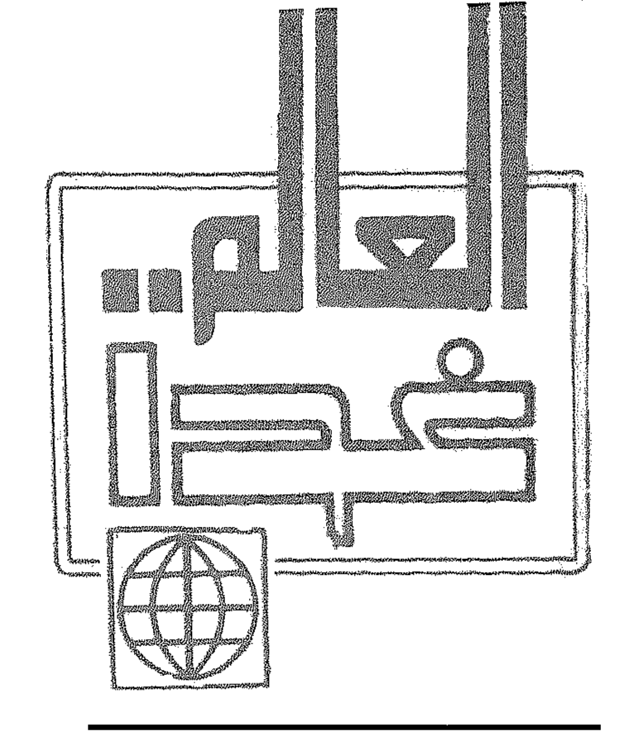
وحول هذه الحالة تحدث كالدويل قائلا : « حالة العقل هذه ـ كما سميتها ـ هى فى الاغلب رغبة حارة لايمكن السيطرة عليها ، تبحث عن الاشباع باى ثمن . انها اشتهاء لايمكن انكاره انها عند بعض الناس تشبه الحاجة العـاطفيـة الى البحث عن الحب والصداقة . وتبلغ حدتها وضراوتها عند آخرين ضرورة الحاجة المادية للطعام والشراب .

اما آخر رواياته « حى ميدورا » فانها تدور ايضا فى نفس الاجواء . فى شارع ابرجرين » احـد شوارع الجنـوب الامريكى المعروفة . وجد الكاتب ان هذا الشارع الضخم يكاد ان يفقد جزءا كبيرا من هويته بسبب التصرفات المتحررة التى تسلكها امرأة تسكنه تدعى ميدورا آرنشو . فى الخمسين من عمرها . تنتمى الى البيوريتانيـة جاءت يوما من قريتها الفقيرة كى تتزوج من فرانك القروى الذى اجتاح المدينة فملكها واصبح تاجرا مرموقا بها .. فاستطاع ان يحقق ثروة كبيرة من تجارة الحلويات . هذه المرأة لاتميل الى جاراتها اللاتى يلوكن سيرتها دوما .. خاصة بعد ان مات زوجها فى حادث سيارة .

فرغم وجود ابنة لها من فرانك فإن ميدورا تحس بالعزلة التى ضربتها ألسنة الآخرين حولها . ولأن الوحدة قاسية ولانها امراة سمراء اقل جمالا . تحاول الهروب . من لونها . فانها لاتحتمل العزلة اكثر من سبعة اشهر وتقرر ان تهجر عالم الترمل وتتزوج من موظف بسيط يعمل فى محكمة المدينة . رجل فقير بدا كأنه باع نفسه لامرأة اكثر ثراء . هذه الحكاية تزيد من لهيب الألسنة الذى يتردد فى الشارع عن حياتها . قيل إنها فقدت اتزانها . وقيل لها انها تعامل زوجها الجديد باحتقار خاصة انها لاتزال تحمل اسم زوجها السابق وقيل كلام كثير فى حقها .. مما دفعها يوما الى اهدائه سيارة كاديلاك .

ورغم كل هذه المحاولات فإن زوجها الجديد لايشعر بالرضا . فتبدو العلاقة متوترة ويزداد الطين بلة . عندما تلعب ابنتها ايرمجان دورا فى افساد الكثير من العلاقات فى هذا الشارع الكبير . انها فتاة ناهدة فى التاسعة عشرة من العمر . اغوت الكثير من الرجال وخاصة استاذها فى الجامعة . هذا السلوك يجعل الأم فى وضع لاتحسد عليه . فالفضائح لاتجىء فرادى . واصبح الشارع بمثابة هاوية بالنسبة للاسرة وعلى افرادها سرعة مغادرته .

هذا هو بعض من عالم الكاتب الامريكى ارسكين كالدويل .. آخر جيل العمالقة فى الرواية الامريكية التى وجدت فرسانها العظام طوال الخمسين عاما الماضية ..



• مصرى يفوز بجائزة الزراعة بدون تربة •

مع امتداد فترات التحليقات المدارية فى الفضاء صارت مشكلة التموين من اكبر المشكلات التى تواجه تنظيم مثل هذه التحليقات ، الامر الذى دفع الى التفكير فى اتمام بعض العمليات الانتاجية ، على متن المحطات المدارية ذاتها وهكذا تواصلت تجارب شتى تدرس امكانية القيام ببعض العمليات الزراعية فى الفضاء .

وكان قد جرى منذ بدأ الانسان فى ممارسة الزراعة على استحالة ذلك مالم تتوفر التربة التى تتعلق بها جذور النباتات . لكن صعوبة وتكاليف نقل التربة الى الفضاء دفعت بالتجارب الى دروب شتى سرعان ما كشف احدها عن امكانية زراعة النباتات ، وعلى نطاق واسع ، فى محالدل مشبعة بالاسمدة والاكسجين دون حاجة الى التربة .

ولم يبق الاسلوب الزراعى الجديد حكرا على الانشطة الفضائية اذ سرعان ما اهتمت اليابان بماهو معروف عنها من دينامية ابداعية بزراعة المحاصيل دون تربة ذلك ان الاسلوب الجديد يعدها بتحقيق انجازات زراعية بارزة ، بعد أن سلمت أجيال من اليابانيين باستحالة تحقيق مثل هذه الانجازات نتيجة للافتقار الى الارض .

وهكذا تكدح اليابان اليوم فى الاعداد لثورة تقلب اوضاع الزراعة التقليدية مع بداية القرن القادم اعتمادا على اسلوب الزراعة بدون تربة التى لا يعدم رواده سلبيات الزراعة التقليدية تعزز منحاهم ، وتدور حول تدهور خصوبة التربة (وبالتالى انتاجيتها) على الرغم من الجهود الضخمة التى تبذل لرفد هذه الخصوبة بالاسمدة الكيماوية .

وخلال السنوات الخمس الاخيرة ازداد عدد نظم الزراعة بدون تربة فى اليابان حتى ناهز عشرين نظاما ، وبينت انه يلائم على نحو اكبر الزراعات التى تجرى فى صوبات من البلاستيك ، يجرى التحكم فى درجة وكثافة محاليل الاسمدة فيها عن طريق انواع صغيرة من الحاسبات الالكترونية .

الزراعة على سطح بدون تربه



وجدير بالذكر ان العالم المصرى صلاح البربرى حصل على الميدالية الذهبية الخاصة بمعرض الابتكار الدولى الخامس عشر الذى شهدته مدينة جنيف اخيرا ، وذلك عن ابتكار مادة « بربرى بلانت » التى تستخدم فى زراعة جميع انواع النباتات بدون تربة هذا وقد منحته المنظمة العالمية للملكية الفكرية الميدالية الذهبية المخصصة لافضل عارضى العالم الثالث .. فهل يجد الاسلوب الزراعى الجديد طريقه (الى الحلول المختلفة)لمواجهة المشكلات الزراعية ، ومشكلة توفير الغذاء فى مصر ؟

● عقد ايجار الرحم

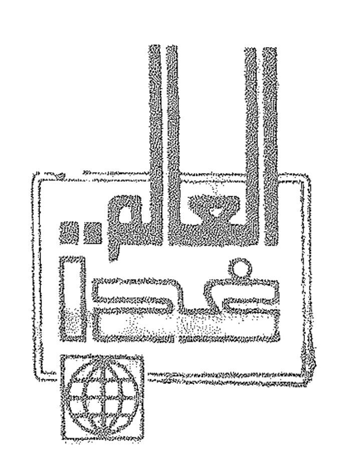
هل يمكن النظر الى الرحم على انه حيز قابل للتأجير ؟ وهل يمكن النظر الى عقد ايجار مثل هذا الحيز على أنه واجب التنفيذ ؟ .. هذه عينه من الاسئلة التى تناقش على نطاق واسع فى الولايات المتحدة الامريكية اليوم . بعد ان حكم احد القضاه بتنفيذ واحد من هذه العقود كان الخلاف حوله قد آثار اكبر ضجة اعلامية حول قضية الامومة بالوكالة (انظر « الهلال » مارس ـ ٨٧)

وترجع حملة التساؤلات الراهنة الى عدم وجود تشريعات تنظيم عملية تأجير الارحام ، على الرغم من ولادة ما يقرب من مائة طفل سنويا بهذه الطريقة . والعقد النمطى الذى يستخدم فى مثل هذه الممارسات لا يهتم باى حقوق للام بالوكالة (الو لدة) قدر ما يهتم بالقيود الواجب ان تراعيها مثل الامتناع عن اللقاءات الزوجية حول فترة الاخصاب ، والامتناع عن التدخين ، وعن تناول الكحول والعقاقير . هذا كما يحظر (العقد) على المرأة اجراء عملية اجهاض دون موافقة الاب ، الا فى حالات نادرة ، ويتجاهل المشكلات المعنوية التى يمكن أن تعانيها «الام» والتى اكدتها شكاوى بعض الامهات اللاتى مررن بهذه التجربة ، والتى تدور حول اكتشافهن ـ بعد الوضع ـ ان عاطفة الامومة لا تقدر بثمن ، وانهن غير قادرات على تحمل فراق اولادهن ..

وتختلف وجهات النظر كثيرا حول القضية المطروحة .. فيرى البعض ضرورة فرض حظر على هذه الممارسة الشاذة،التى تحول شيئا خاصاجداالى تجارة ، ناهيك عن كونها مجال خصب للاستغلال والاسى والاحزان . وهؤلاء يستندون فى مواقفهم الى مبررات اهمها ان التلقيح الصناعى خارج الزواج هو خرق للرابطة المعنوية والبيولوجية للاسرة ، وان الامومة بالوكالة تعامل الطفل كسلعة والمرأة كمصنع للاطفال . وموافقة الام على دور المصنع لا تبرر اخلاقيا اعتبار الاطفال سلعا يمكن التصرف فيها بالبيع والشراء ..

ويعارض هؤلاء تقنين ممارسة تأجير الارحام لانه سيكون بمثابة اعتراف بكونها ممارسة صحيحة وبمشروعية بيع الانسان بالقطاعى ذلك الى ان هذه الممارسة تثير اشكاليات عويصة ، ليس اهونها رغبة العزاب فى « امتلاك » اطفال ، والازواج الاثرياء فى تأجير ارحام نساء فقيرات لتجنيب نسائهن متاعب الحمل او الانقطاع عن ممارسة المهن التى يمارسنها .

وعلى الجانب الاخر يقف من يرون ضرورة تقنين الامومة بالتبنى ، لان خطرها لن يؤدى الا الى ازدهار ممارستها فى « السوق السوداء » بالاضافة الى انه لا ينبغى سد طاقة



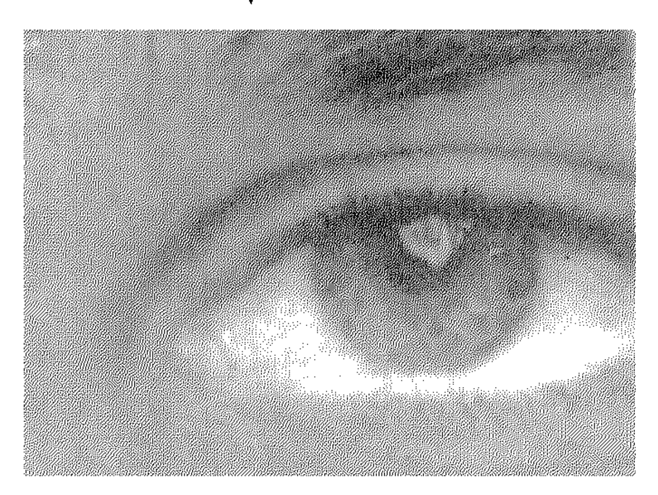
الامل التى انفتحت امام ١٥٪ من الامريكيين الذين يعانون مشاكل فى الانجاب ..

• لحام شبكية العين بالصمغ •

تمكن فريق من الاطباء الامريكيين برئاسة البروفيسور بروكس ماكوين استاذ امراض العيون فى جامعة ديول ، من التوصل الى طريقة جديدة لرتق الانفصال فى شبكية العين ..

والمعروف أن انفصال الشبكية هو احد الاسباب الشائعة لفقدان البصر، لان الشبكية تمثل مجموعة الخلايا الحساسة للضوء فى مؤخرة العين ·

وتتلخص الطريقة الجديدة فى لصق الشبكية بالصمغ العادى ، وتستخدم فى ذلك أداة تشبه القلم الحبر الذى



يعبأ الصمغ فى خزانته حتى لايتعرض للبلل قبل أن يوضع خلف الشبكية للصقها · ويخلط الصمغ المستخدم بمادة تبطىء عمله قليلا ، حتى يتمكن الجراح من ابعاد الاداة قبل ان يجف الصمغ ، ويلتصق طرفها بالعين ·

وقد بينت النتائج تفوق هذا الاسلوب فى لصق الشبكية على الاساليب الاخرى التى تستخدم تكنولوجيا الليزر والتجميد · ولا تستغرق العملية اكثر من ثوان وليس لها أى آثار جانبية ·

واستخدم الصمغ بالفعل فى علاج شبكية عشرات الاشخاص الذين لم تستجب حالاتهم للاساليب الاخرى (كالليزر والتجميد) وبينهم عدد ممن فقدوا الابصار باحدى العينين · ولولا نجاح عملية لصق الشبكية بالصمغ لفقد الابصار بالعين الثانية·

• سراب الطائرات الكونية البيضاء •

منذ ايام الحرب العالمية الثانية والحديث عن الاطباق الطائرة لا يخبو فترة الا ليعود من جديد .. وبعد ان هدأت الانباء التى تواترت حول ظهور مثل هذه الاطباق فى منطقة الخليج (ابان تزايد النشاط العسكرى فيها) تصاعد الحديث عن هذه الاجسام الغريبة اخيرا ، بعد رصد افراد طاقم احدى طائرات الشحن اليابانية لما ظنوه بمجموعة من الاطباق الطائرة ..

كانت الطائرة اليابانية تقوم برحلة اعتيادية بين ريكيافيك (ايسلندا) وانكوراج (الاسكا) حينما اقترب منها جسم غريب يناهز حجمه ضعف حجم طائرة الجامبو .. وظل الجسم يتابع الطائرة ما يقرب من نصف ساعة ، يصحبه جسمان اصغر،

تنبعث منهما أضواء مختلفة الالوان ، كما هي الحال مع الجسم الكبير ..

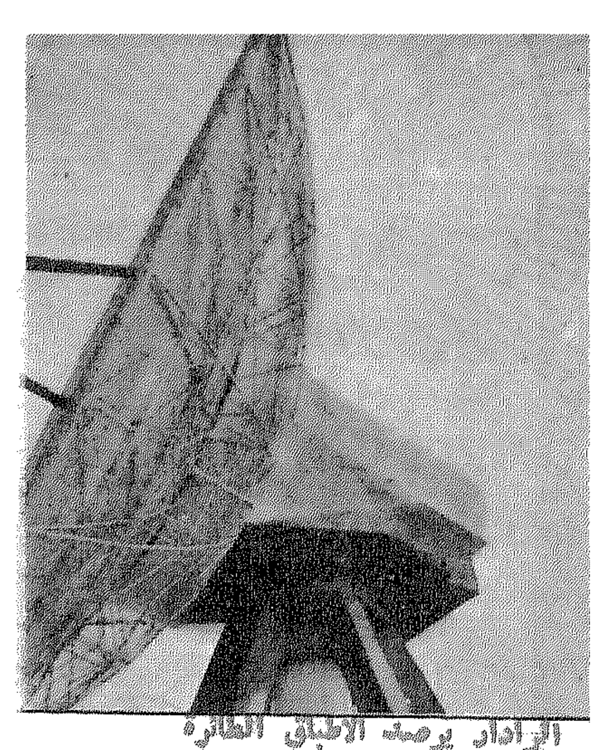
وقد اتاحت هذه المتابعة الطويلة لطاقم الطائرة فرصة ابلاغ محطة المراقبة الارضية ، التي أيدت ماشاهده الطاقم ، بل وابلغت قائد الطائرة بأن الاجسام التي يذكرها تظهر على شاشة الر دار ايضا ، واستجابت لطلب طاقم الطائرة تغيير ارتفاع التحليق ، في محاولة للابتعاد عن هذه الاجسام ، التي غيرت ارتفاعها في اثرهم ..

وجاءت نهاية هذه المطاردة المثيرة عندما شرعت الطائرة في الهبوط حين بلغت انكوراج ، اذا اختفت الاجسام الغريبة بسرعة مذهلة .

وعند مراجعة اشرطة الرادار ، التي تسجل كل ما يظهر على شاشتها، اتضح انها لم تسجل شيئا عن هذه الاجسام . هذا كما اثبتت الفحوص الطبية والنفسية التي اجريت لطاقم الطائرة ان افراده يتمتعون بكامل وعيهم وصحتهم ، ناهيك عن خلو تاريخ خدمتهم من ادنى تعلق بالغرائب .

ويربط الناس عادة بين مثل هذه المشاهدات وبين وجود عوالم وحضارات كونية اخرى ، نجحت في صناعتها وارسالها الى مجموعتنا الشمسية على بعد مئات والاف من السنين الضوئية ، وبالتالي لابد وان تكون اكثر تقدما بما لا يقاس مقارنة بحضارتنا الارضية ، التي لم تفلح في حمل الانسان بعد ، الى ما هو ابعد من القمر (اقل من ثانيتين ضوئيتين) .

لكن على الرغم من الاثارة التي ينطوي عليها التفكير فيما تمارسه الحضارات الكونية الاخرى من انشطة «ومغامرات» فان الثابت علميا حتى الان ، بعد دراسات أمبيريقية مسهبة لكل الحالات التي دار الحديث حولها واشرفت عليها جهات علمية وعسكرية



الرادار يرصد الاطباق الطائرة

مسئولة في عدد من الدول المتقدمة تكنولوجيا انما يبدو اجساما غريبة ليس سوى ظواهر ضوئية تحدث في طبقات الجو العليا ، يتوهم من يراها انها اجسام حقيقية ، على غرار ما يبدو للانسان من سراب في الصحراء .

ويعزز ذلك في الحالة التي فصل الحديث عنها طاقم طائرة الشحن اليابانية ان الرحلة كانت تجسري بالقرب من الدائرة القطبية الشمالية، بما هو معروف عنها من ظواهر ضوئية فريدة مثل الشفق القطبي . ولا يغير ظهور هذه « الاجسام » على شبكات الرادار من الامر فليست هذه بالمرة الاولى التي ترصد فيها هذه الشبكات بعض « الاوهام » والظواهر البصرية ..

وذلك كله لا ينفي بالطبع امكان وجود حضارات كونية اخرى اكثر تقدما من حضارتنا الارضية ، تسعى الى اللقاء معنا ، كما نحاول ، نحن ان نفعل

رسالة سويسرا

بقلم : جميل عطيه ابراهيم

على مائدة الهندسة الوراثية

اليمين الرجعى واليسار التقدمى ضد أطفال الأنابيب والعبث بالانسان والبيئة

فى مدينة بازل السويسرية والتى تعتبر معقل الصناعات الكيميائية والادوية في وسط اوربا ــ عقد مؤتمر نسائى لمناقشة معطيات الهندسة الوراثية والنتائج المترتبة عليها وتاثيراتها على المراة خاصة فيما يتعلق بزرع الاجنة خارج الرحم وتاجيره للاغراب والتوسع فيما عرف باطفال الانابيب .

وبعد هذا المؤتمر باقل من ثلاثة اسابيع قدمت مبادرة شعبية الى الحكومة الفيدرالية فى برن وقعت من ١٣٠ الف مواطن ومواطنة لتعديل الدستور ووضع قيود على مجالات البحث العلمى والتوسع فى انتاج اطفال الانابيب .

الهندسة الوراثية ثورة علمية عمرها حديث نسبيا ولا يتعدى عقدين من الزمان ولكن معطياتها على أرض الواقع بعيدا عن المعامل اصبحت تشغل قطاعات عريضة من الرأى العام ومن السيدات على وجه الخصوص بالاضافة الى رجال الاجتماع والدين والسياسة وذلك الى جانب أصحاب الشأن أنفسهم من العلماء ومراكز الابحاث ــ ومن نافلة القول هنا الاشارة الى الاطماع التى ترقب بها الشركات الموقف لتغرق العالم بأنواع جديدة من البذور والشتلات النباتية المحسنة وكذلك بانواع جديدة من الحيوانات تقاوم كل الامراض حتى اذا سارت الفانتازيا الى مداها وقبل اسدال الستار وعدت الشركات بانتاج اصناف محسنة من أطفال الانابيب خالية من الامراض الوراثية والعاهات وتتميز بصفات « السوبرمان »،

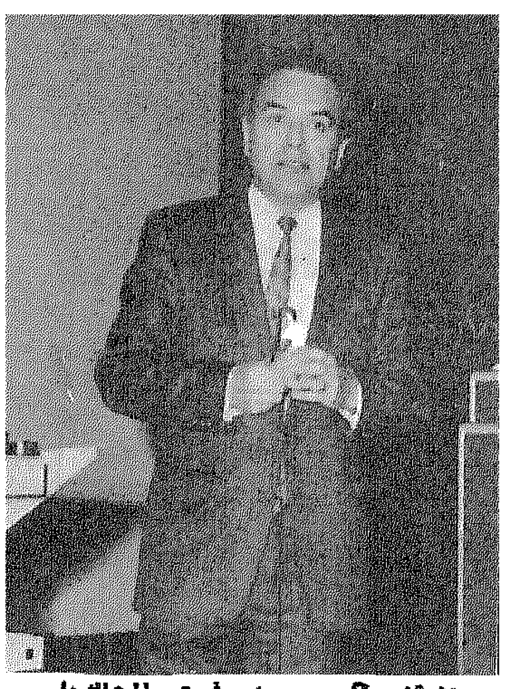
وهكذا تختلط الحقائق بالاماني والاوهام في مجال الهندسة الوراثية مع الاعتراف بأن معطيات هذا العلم قد أدت الى ثورة على أرض الواقع ـ ثورة بكل المعايير ليس في مجال المضادات الحيوية التي تقضي على البكتريا ولكن يكفي أن نسمع ان سيدة عرضت تطوعا تأجير رحمها لابنتها العاقر وزوجها لزرع جنين من صلبهما يكبر في بطنها وعند ولادته تسلمه لابنتها من المتلهفة على الانجاب وقد حرمتها الطبيعة من هذا الحق الانثوي لعلة ما .

ولخطورة القضية وللتفرقة بين الحقائق والاحلام ـ اجتمعت ٨٠٠ سيدة للاستماع الى محاضرات من رجال العلم والفلسفة والاخلاق والاطباء في مدينة بازل حول الجوانب المختلفة للموضوع ـ **وكان في مقدمة المتحدثين العالم السويسري فيرنر اربر وهو حاصل على جائزة نوبل في موضوع الهندسة الوراثية وله انجازات في هذا المجال دفعت بهذا العلم الى الامام خطوات في اقل من ١٥ سنة لم يكن يتوقعها أو تخطر على باله عند انجاز مكتشفاته حول الجينات .**

● التفرقة بين الحيوان والبكتريا

شرح العالم السويسري بطريقة مبسطة معطيات الهندسة الوراثية في مجال البكتريا وتلك الكائنات وحيدة الخلية التي تتضمن عددا محدودا من الجينات وبين انه أمكن ادخال تعديلات على الجين الواحد في الخلية فتتبدلت أحوال الخلية كما انه أمكن في حالات أخرى ادخال جينات غريبة على الخلية في مجال البكتريا وقد أجريت تجارب مماثلة على الفئران ـ والجين هو الذي يحدد مجموعة من الوظائف تقوم بها الخلية في كل ظرف على حدة بطريقة تلقائية كما أن بعض الجينات تحمل العوامل الوراثية . وادخال جين جديد على خلية يعني خلق نوع آخر لم يكن معروفا .

وقد أوضح الاستاذ فيرنر آربر انه لاسباب تقنية بحتة فليس من المحتمل أو المقدر اجراء مثل هذه التجارب على الانسان وذلك لصعوبة التحكم في النتائج



العالم السويسري فيرنر الحائز على جائزة نوبل في الهندسة الوراثية

كما أن الانسان وبقية الحيوانات الثديية العليا تتضمن خلاياها العديد من الجينات وليس معروفا على وجه الدقة مواضع تكوينها ـ وأي هجوم على الجينات يعني السير في طريق غير مأمون العواقب وهو ادخال تطور على الانسان وهو طريق لا تحمد عواقبه فما لا نعرفه يقل كثيرا عن المعطيات المتوفرة حاليا .

ويبقى السؤال معلقا بالنسبة الى المستقبل واذا تجاوز العلماء هذه الصعوبات ، ويقول الاستاذ فيرنر آربر وهو واحد من الذين يحق لهم القول في هذا المجال : **انه يجب سن التشريعات لتحديد المجالات العلمية التي يجوز التوسع فيها وتلك التي يجب عدم التعرض اليها البتة ومنها ما يتعلق بخلايا الاخصاب في الانسان ، لان هذا العبث يترتب عليه ادخال تغييرات جوهرية على الجنس البشري فالجينات هي ثروة الانسان من الازمنة الماضية السحيقة وهي التي تمكنه من العبور الى المستقبل .**

ويؤكد الاستاذ فيرنر آربر أن مواجهة الامراض الوراثية والعاهات من الاهداف النبيلة ولكن تحقيق ذلك ليس متيسرا

رسالة سويسرا

لاسباب تقنية والتقدم فى هذا المجال سوف يظل محدودا لعقود كثيرة مقبلة .

ولكن أخطر النتـــائج التى يمكن استخلاصها من كلمات العالم السويسرى انه من الناحية العلمية البحتة أصبح من المتيسر حاليا تغيير جين او عدة جينات فى بويضة أو خلية مخصبة لانسان أو ادخال جين غريب عليها واذا كان ليس من المقدر التنبؤ بالنتـــائج او حصر الاضرار فان امكانات القيام بالتجربة موجودة ومتيسرة وهذا هو الجانب السوداوى فى هذه الفنتازيا أو الكوميديا السوداء واذا كان العالم السويسرى قد أعلن فى محاضرته عدة مرات ان هذا ليس مسموحا به من الناحية الاخلاقية وان اما لن تسمح باجراء تجربة نتيجتها أقل من واحد فى المائة فان هذه المحاذير كلها ليست لها قيمة فى عالمنا ففى أماكن عديدة تحت الارض وفى بلدان بعيدة يمـــكن اجراء مثل هذه التجارب على سبيل ارضاء شهوة البحث ولذة الاكتشاف وذلك اذا أهملنا النزعات العنصرية التى تبيح اجراء تجارب على أجناس أخرى .

ويقول الاستاذ فيرنر آربر أن الانسان عرف تحسين أنواع النباتات وعمليـــات التهجين منذ آلاف السنين نتيجة لمراقبته للطبيعة وهذه العمليات يخرجها من نطاق علم الهندسة الوراثية فهى لا تعدو عملية تزاوج كالتى تحدث بين أنواع مختلفة من البشر فاذا تزوج ابيض من بيضاء ربما أنجب منها طفلا بنى اللون وهكذا ـ أما الهندسة الوراثية فتختص بادخال تعديل على جين واحد فى الخلية واذا كان الغرض ادخال عدة تعديلات على جينـــات مختلفة خرجت التجارب الى علوم أخرى تتعلق بالكيمياء الحيوية وغيرها .

● والنتيجة اعداد تشريعات صارمة

ويرى الاستـــاذ فيرنر آربر أنه توجد ضرورة حاليا لوضع تشريعات تحدد المجالات التى يسمح بالبحث فيها وتلك التى توصد امام مراكز الابحاث ويفسر عدم وجـــود تشريعات فى هذا الخصوص حتى الان بانه لم تكن هنـــاك حاجة فى الماضى لهــذه التشريعات .

ولنتقل خطوة أخرى لمناقشة الموضــوع من وجهة نظر استاذةلعلم الاخلاق فى جامعة بازل ـ فالاستاذة آنا مارى بيبر أصرت على الحديث بصفتها استاذة لعلم الاخلاق وليس بصفتها استاذا لعلم الاخلاق فاكثرت من قولها نحن النساء الذين يقع علينـــا الغرم فى قضية اطفـــال الانابيب وتاجير الرحم وحرمان المرأة من الانجاب وسعيها للحصول على طفل بكل الوسائل .

وقد أفاضت الاستاذة آنا مارى بيبر فى شرح العنصر الاول المتعلـــق بالنســـــاء ووضحت أنه من وجهة نظـــر المرأة التى ليس فى مقدورها الحمل لاسباب جسمانية طبيعية توجد مقولتان لهما ثقـــل اخلاقى بارز ولا يمكن تجاهلهما :

المقولة الاولى :

تقرر انه يجب عدم وقوع ظلم على احد لاسباب طبيعية فامرأة ليس فى مقدورها الانجاب لاسباب جسمانية يقع عليها ظلم لعدم مساواتهـــا بالاخـــريات اللاتى فى مقدولهن الانجاب ـ فحق الانجاب حق مقرر للمرأة ولا يجوز حرمانها من هذا الحق ـ ووفقا لهذه المقولة فانه من حق المرأة اللجوء الى كافة الوســـائل المشروعة لازالة الظلم عنها ومساواتها بالاخريات والحصـــول على طفل من صلبها .

وهكذا تحقق الوســـائل الحديثة مثل اطفال الانابيب او تاجير الرحم وســـيلة لازالة الظلم عن امرأة محرومة من الانجاب لاسباب خلقية .

المقولة الثانية :

ان هذه الوسائل الحديثة تحقق العدالة

اما العنصر الثانى من المشــكلة وهو الرجال فقد اكتفت الاستاذة آنا مارى بيبر بحصرهم فى الزوج أو الصديق أو شخص مجهول ورأت ان هؤلاء جميعا فى مقدورهم الدفاع عن حقوقهم اما العنصر الثالث وهو الجنين فقررت انه يجب الحفاظ على حقوق الجنين لانه ليس فى وضع يتيح له الحفاظ على حقوقه وهذه قضيةاخلاقية يجب دراستها

اما العنصر الرابع وهم الاطباء فاشارت

الى انه وفقا لقسم الاطباء فانه يتعين عليهم تقديم العون والمساعدة لكل محتاج وفي هذه الحالة المرأة التى فى حاجة الى طفل يتعين على الاطباء تقديم العون لها .

أما بالنسبة لعنصرى التقنيات السابقة والتقنيات المستخدمة فانهـا أوردت عـدة مبادىء هامة منها انه وفقا لحـرية البحث العلمى فانه يمكن دراسة مجالات بعيـدة تماما عن المشـاكل الاجتماعية أو البيئية أو تلبية مصالح الجماهير ولكن عندما يتم فى المعامل تقطيع أوصـال الاجنة للقيام بالتجارب النظرية فان هذا سوف يعيد الى الاذهان قضايا العصور الوسطى .

والمبدأ الاخر بشأن التقنيـات تورد الدكتورة آنا مارى بيبر انه لا توجد تقنية لم تستخدم ضد الانسـانية فى لحظة ما فجميع التقنيات المفيدة استخدمت ضـد الانسانية وسوف تستخدم ضدها أيضـا مستقبلا .

وتشير الى العلاقة بين الابحاث كوسيلة لممارسة السلطة والقوة فى المجتمع وتقول ان التحريم لن يؤدى الى نتائج فى غيبة المعرفة والمسئولية فالعقوبات لن تمنع اساءة استخدام النتائج .

وننتقل خطوة اخرى لنستمع الى طبيبة مارست العمل فى هذا المجال ـ وتذكرنا الطبيبة السويسرية باربارا ماسيتي بان أول طفل أنابيب ولد فى انجلترا سنة ١٩٧٨ وبعدها انتشرت هذه العمليات وانتقلت الى البلدان المختلفة .

وتوضح هذه الطبيبة من واقع تجربتها ان هذه العمليات مرهقة جدا للمـرأة وليست سهلة كما يتصور البعض والسيدة التى تقبل عليها فى حاجة الى تدريب واعداد نفسى لمواجهة كل خطوة جديدة وفى حاجه الى الاستعانة باخصائى نفسى .

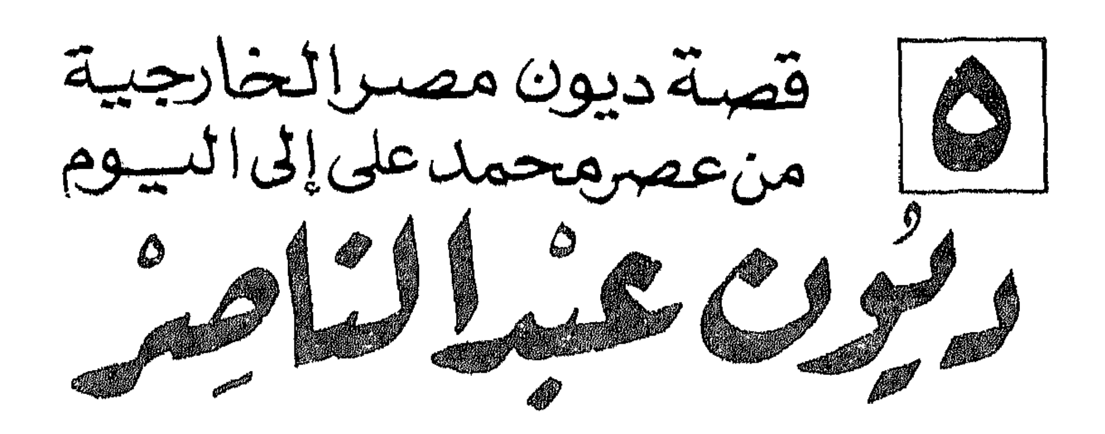
واذا انتقلنا الى وجهـات نظر علمـاء الاجتماع والساسه فنجد وجهات نظـر أخرى فى القضية وانه من نافلة القـول الاشارة الى أن الحصول على طفـل مرتبط بعلاقة جسدية وعاطفية بين شخصين وتقطيع أوصال العلاقة لن يؤدى الى سعادة حقيقية .

كما ان هناك علاقة خفية لم يكشف النقاب عنها بين الطفل ورحم أمه ولا يمكن الاخذ بمقولة استئجار رحم غريب على لقطعة من ارض فضاء ـ كما ان رحم المرأة تحول على أيدى العلماء الى حقل تجارب لاجراء تجارب على الجينات لتحقيق نجاحات علمية ويتعين على المرأة ان توقف هذا الاتجاه الضار .

وقد ألقت مجموعة من المتحدثات اللوم على المجتمع الذى ينظر نظرة غير عادله للمرأة المحـرومة من الانجـاب وحذرت اخريات من الحرب الكيميائيه التى تهدد سلامة العالم نتيجه لتطور الابحاث على الجينات وكذلك من المصالح الماليه للشركة الصناعية التى تسعى لاستثمار نتـائج هذه الابحاث .

ونتيجة لكل هذه التخوفات فقـد نجحت مجلة « المراقب » الصادرة فى سويسرا الالمانية من صياغة مبـادرة شعبيه لادخال تعديلات على الدسـتور الفيدرالى وقدمت الى السلطات الفيدراليه فى برن فى ١٣ أبريل الحالى بعد ان وقع عليها حوالى ١٣٠ الف مواطـن ومواطنة لطرحتها فى استفتاء عام لوضـع حد فى مجال زراعه الاجنه وتحـديد مجالات البحث فى علوم الهندسه الوراثية خاصة فيما يتعلق بخلايا الاخصـاب فى البشر غير انه من جانب اخـر فقـد وجهت انتقادات لهذه المبادرة بدعوى انها جاءت عامة جدا فى المواد التى تطلب ادخالها على الدستور وانها ليست كافية لمواجهة هذه الاخطار .

ووفقا للنظم المعمـول بها فى سويسرا فقد فتحت هذه المبادرة الباب واسـعا للتقدم بمبادرات شعبية اخرى معارضـة او مطالبه بادخال تعديلات عليها ـ ومن الناحية العملية لن يتم البت فيها قبل أربع أو خمس سنوات تعرض فيها القضية على اوسع نطاق على اليمين واليسـار ويمين اليسار ويسار اليمين ورجال الدين والاجتماع ورجال الصناعة والعلماء حتى تقتل بحثا قبل البت فيها ـ وبذلك تكون المبادرة قد ادت الوظيفه الاخلاقيه لها بنقل التخوفات الى جمهور عريض فى مقدوره وضع حد لتجاوزات محتمله مستقبلا وادانة اولئك الذين يسـعون للعبث بالجنس البشرى وذلك على الاقل من الناحيه النظرية .



بقلم : د. جلال أمين

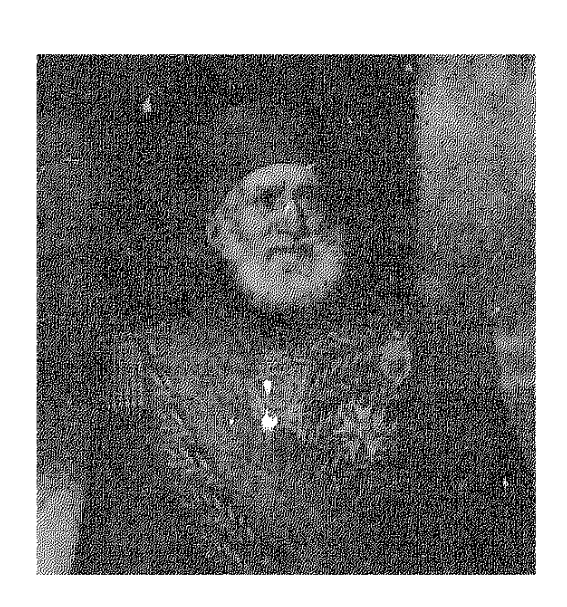
لايعرف التاريخ الاقتصادى نفس الانكسارات الحادة التى يعرفها التاريخ السياسى ، فقد تقوم ثورة تقلب نظام الحكم بين يوم وليلة ويستمر مع ذلك التطور الاقتصادى ، لعدة سنوات بعدها ، بنفس النمط الذى ساد قبلها . وينطبق هذا القول على انفجار ثورة ١٩٥٢ . فتطور مصر الاقتصادى لم يشهد انكسارا فى ١٩٥٢ كالذى شهده النظام السياسى ، بل استمر لنحو أربع سنوات (حتى ١٩٥٦) ، بنفس الملامح الأساسية التى اتسم بها التطور الاقتصادى فى العقد السابق على الثورة .

كذلك فإن تغير شخصية الحاكم لايتطابق دائما مع التغير فى النظام الاقتصادى أو السياسة الاقتصادية . وكثيرا ما يوقعنا هذا فى الخطأ ونحن بصدد تقييم تجربة تاريخية معينة ، وقد وقع فيه كثيرون وهم بصدد تقييم التجربة الناصرية ، على الأقل فيما يتعلق بأدائها الاقتصادى ذلك انه حتى إذا جاز اعتبار الحقبة الناصرية من الناحية السياسية ، هى تلك التى بدات بقيام ثورة ١٩٥٢ وانتهت بوفاة عبد الناصر فى ١٩٧٠ ، فإن النظام الاقتصادى الناصرى كان فى الواقع اقصر عمرا بكثير . فاهم الملامح المميزة للناصرية من الناحية الاقتصادية لم تسد فى الواقع إلا فى الفترة الواقعة بين حرب السويس فى ١٩٥٦ وانتهاء الخطة

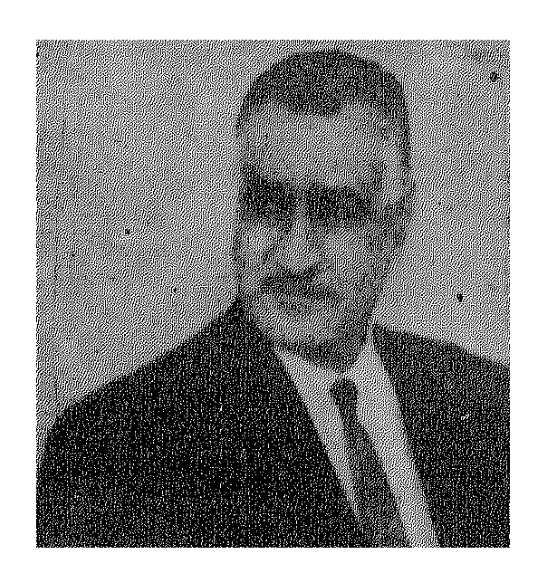
الخمسية الأولى فى ١٩٦٥ ، أى لفترة لاتزيد على عشر سنوات سبقتها فترة ليست فى الحقيقة إلا امتدادا لسنوات مابعد الحرب العالمية الثانية ، وأعقبتها فترة أصيبت خلالها السياسة الاقتصادية بما يشبه الشلل ، واستمرت كذلك حتى الى مابعد وفاة عبد الناصر ببضع سنوات . والوضع هنا يشبه الى حد كبير تجربة النصف الأول من القرن التاسع عشر . فعلى الرغم من أن محمد على قد حكم مصر لفترة تقرب من نصف قرن (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨) فإن أهم الملامح الاقتصادية المميزة لعهد محمد على عما سبقه وما لحقه ، لم تسد فى الواقع اكثر من ربع قرن (١٨١٦ - ١٨٤٠) وهى الفترة التى بدأت ببداية إصلاحاته لنظام الرى وفرض نظام الاحتكار فى الصناعة ، وانتهت بمعاهدة لندن التى اجبرته على التخلى عن نظام الاحتكار .. وكما أن محمد على ظل يعتلى عرش مصر لمدة ثمانى سنوات بعد انكسار تجربته ، فإن عبد الناصر ظل أيضا حاكما لمصر حتى نهاية الستينيات ولكن تجربته الحقيقية كانت قد انتهت قبل ذلك بثلاث سنوات على الأقل .

سبع سنوات بلا ديون :

سبق أن رأينا أن سنة ١٩٤٣ شهدت إسدال الستار على الفصل الأول من قصة مديونية مصر الخارجية ، وهو الفصل الذى بدأ فى مطلع الستينيات من القرن الماضى وانتهى بتحويل الديون الخارجية الى دين محلى .



محمد على



جمال عبد الناصر

استمرت مصر لفترة خمسة عشر عاما أخرى ، تشمل السنوات السبع الأولى من الثورة ، فى غنى عن الديون الخارجية فحتى نهاية ١٩٥٨ ظلت مصر غير مدينة للخارج بشىء ، لقد تلقت مصر خلال هذه السنوات السبع بعض المنح والقروض الخارجية ، ولكنها كانت ضئيلة للغاية ولم تترتب عليها أية التزامات ذات شأن بالدفع بالعملات

الأجنبية . فالمساعدات الأمريكية لمصر خلال سنوات الثورة الأولى كانت إما معونات فنية فى صورة منح لاترد (برنامج النقطة الرابعة) ، أو معونات غذائية طبقا للقانون الأمريكى المعروف برقم ٤٨٠ ، وهذه كانت تقدم فى صورة قروض تسدد بالعملة المصرية ، ومن ثم لم تترتب أية التزامات على مصر بالعملات الأجنبية . وعلى أية حال فإن مصر لم تتلق من هذه المعونات الغذائية خلال تلك الفترة الا ما قيمته ١٧ مليون دولار وفى سنة واحدة هى ١٩٥٦/٥٥ ، ولم تستأنف بعد ذلك الا فى ١٩٥٩/٥٨[1] وفيما عدا هذا عقدت مصر خلال هذه الفترة قرضين مع الاتحاد السوفييتى لتمويل السد العالى (قيمتهما ١٧٠ ، و٩٧ مليون دولار على التوالى) واتفاقا مع المانيا الغربية للتعاون الاقتصادى قيمته ١٢٤ مليون دولار ، ولكن لم تسحب مصر أى مبلغ طبقا لهذه الاتفاقيات الثلاث حتى أخر ١٩٥٨[2] .

ليس من الصعب تفسير استغناء مصر عن الاستدانة خلال السنوات السبع الأولى للثورة . فمن ناحية كانت لاتزال لدى مصر أرصدتها الاسترلينية المستحقة على بريطانيا ، فضلا عما كانت قد تلقته مصر منها قبيل الثورة ولم تنفقه فاضافته الى احتياطياتها . ومن ناحية اخرى كانت جهود التنمية فى ذلك الوقت متواضعة للغاية إذ كانت حكومة الثورة مازالت منشغلة بتثبيت أسس النظام الجديد وتقليم أظافر القوى السياسية القديمة فضلا عن تحقيق الجلاء ، كما كانت لاتزال تؤمن بإمكان الاعتماد على الاستثمارات الخاصة ، الوطنية والأجنبية ، لتحقيق التنمية ، فلم يشكل الاستثمار العام عبئا ملحوظا على ميزان المدفوعات فى الوقت الذى أحجم فيه رأس المال الوطنى والأجنبى عن الاستثمار حتى تتبين له اتجاهات السياسة الاقتصادية للنظام الجديد ، فلم يشكل الاستثمار الخاص بدوره عبئا على موارد مصر من العملات الأجنبية وهكذا نجد أن إجمالى قيمة الواردات السلفية لم يزد خلال هذه الفترة إلا زيادة طفيفة للغاية (بما لايزيد على ٥٪ فيما بين ٥٢ , ١٩٥٨) وأن متوسط العجز فى ميزان المعاملات الجارية فى ٥٧ - ١٩٥٨ كان أقل مما كان فى ٥١ - ١٩٥٢[3] .

● وسبع سنوات من التنمية :

على أن صورة ميزان المدفوعات المصرى ومديونية مصر الخارجية تغيرتا تغيرا شاملا خلال السنوات السبع التالية (٥٩ - ١٩٦٥) وهى كما ذكرنا أكثر سنوات الثورة تمثيلا للنظام الاقتصادى الناصرى ، إن أغلب ما يقترن فى أذهاننا بالانجازات الناصرية فى المجال الاقتصادى إنما يعود الى هذه الفترة . فهذه هى سنوات التنمية بالغة الطموح ، والارتفاع الملحوظ فى معدلات الاستثمار ، وفى متوسط الدخل على الرغم من الزيادة السريعة فى السكان ، والتغير الواضح فى هيكل الاقتصاد ومعدل التصنيع . وهى أيضا

الفترة التى شهدت تجربة مصر الوحيدة فى التخطيط الشامل وفى التدخل الجدى لاعادة توزيع الدخل ففى هذه الفترة ارتفع معدل الاستثمار من ١٢,٥٪ من الناتج المحلى الاجمالى (٦٠/٥٩) الى ١٧,٨٪ (١٩٦٥/٦٤) ومن ثم حقق الاقتصاد القومى نموا حقيقيا زاد على ٦٪ وارتفع مستوى الدخل الحقيقى للفرد بأكثر من ٣٪ سنويا ، بعد ركود فى متوسط الدخل استمر ، كما سبق أن أشرنا ، أكثر من أربعين عاما . وقد حظيت الصناعة والكهرباء بأكبر نصيب فى الاستثمارات (نحو الثلث) فنما الناتج الصناعى بمعدل ٨,٥٪ سنويا والكهرباء بمعدل ١٩٪ . ومع ذلك فاق معدل نمو الزراعة أيضا (٣,٣٪) بدرجة ملحوظة ، ومعدل النمو فى السكان (٢,٨٪)(٤) .

أدى ذلك الى أن أصبحت صورة الهيكل الاقتصادى فى نهاية سنوات الخطة مختلفة بشكل ملحوظ عما كانت فى بدايتها ، فارتفع نصيب الصناعة والكهرباءفى الناتج المحلى الاجمالى من ١٧٪ فى ١٩٥٨ الى ٢٣٪ فى ١٩٦٥ ، وزاد نصيب الصناعة فى الصادرات من ١٨٪ الى ٢٥٪(٥) . وإذا كان نصيب الصناعة فى إجمالى العمالة لم يرتفع بنفس الدرجة فإن العمالة الصناعية قد زادت خلال هذه الفترة بأكثر من ضعف الزيادة فى إجمالى القوة العاملة (٦) ، وهو مالم يعرفه الاقتصاد المصرى منذ أيام محمد على .

واقترن كل ذلك بتحسن ملحوظ فى نمط توزيع الدخل ، فارتفع نصيب الأجور الزراعية فى اجمالى الدخل الزراعى من ٢٥٪ فى بداية الخطة الى ٣٢٪ فى نهايتها ، ونصيب الأجور الصناعية فى إجمالى الدخل الصناعى من ٢٧,٥٪ الى ٣٣,٤٪ ، وزاد متوسط الأجر الحقيقى فى الزراعة والصناعة بنسبة ٣٤٪ و ١٢٪ على التوالى خلال نفس الفترة(٧)

● زيادة العبء على ميزان المدفوعات

لم يكن غريبا أن يترتب على كل هذا أن يزيد العبء الملقى على ميزان المدفوعات وأن تظهر الحاجة الى الاستدانة ، بل الغريب أن يكون قد تم إنجاز كل ذلك دون تدهور اكبر بكثير مما حدث بالفعل فى ميزان المدفوعات ، ودون تورط اكبر بكثير فى الديون . كان من الطبيعى أن تؤدى هذه القفزة الكبيرة فى معدل الاستثمار الى زيادة الواردات من السلع الرأسمالية والوسيطة زيادة كبيرة وأن تؤدى إعادة توزيع الدخل إلى زيادة كبيرة أيضا فى استيراد السلع الاستهلاكية فأذا أضفنا الى ذلك الزيادة الملحوظة فى الانفاق الحكومى ، وفى الانفاق العسكرى بوجه خاص لتمويل حرب اليمن ، كان علينا أن نتوقع زيادة ملحوظة فى عجز ميزان المدفوعات . وبالفعل ، بعد ما اتسمت به قيمة الواردات السلعية من ثبات فى السنوات السبع الأولى للثورة ، قفز المتوسط السنوى لاجمالى الواردات السلفية من ٥٥٨ مليون دولار فى تلك الفترة الى ٨٢٤ مليون دولار فى الفترة

٥٩ - ١٩٦٦ ، أى بزيادة قدرها ٤٨٪ وعلى الرغم من الزيادة الملحوظة فى انصادرات السلفية وفى إيرادات مصر من قناة السويس بعد تأميمها لم تستطع ايرادات مصر من العملات الأجنبية أن تواجه هذه الزيادة الكبيرة فى الاستيراد فزاد عجز ميزان المعاملات الجارية بحيث أصبح (فى ٥٩ - ١٩٦٦) نحو ثلاثة أمثال ماكان عليه (فى ٥٢ - ١٩٥٨)(٨) .

● دولار الأرصدة الاسترلينية

كان لايزال لدى مصر فى بداية هذه الفترة من الأرصدة الاسترلينية ما تستطيع استخدامه فى مواجهة هذا العجز ، إذ كانت بريطانيا لاتزال مدينة لمصر فى مطلع ١٩٥٩ بمبلغ ٨٠ مليون جنيه استرلينى ، ولكن هذا كان أقل بكثير مما كانت مصر فى حاجة اليه لتمويل استثمارات الخطة والزيادة فى الاستهلاك الخاص والحكومى ، فضلا عما كان على مصر مواجهته من أعباء إضافية خلال تلك الفترة أهمها ما كان عليه دفعه من تعويضات لحملة أسهم قناة السويس المؤممة وغيرها من الممتلكات الأجنبية التى جرى تاميمها فى أعقاب حرب ١٩٥٦ ، فضلا عن التعويضات المستحقة للسودان بسبب إغراق بعض أراضيها الذى ترتب على بناء السد العالى . هذه التعويضات بلغت نحو ٦٧,٥ مليون جنيه استرلينى (٢٧,٥ مليون لمساهمى شركة قناة السويس و ٢٥ مليونا للبريطانيين الذين أممت ممتلكاتهم و ١٥ مليونا للسودان) وذلك دون حساب مادفع من تعويض لرعايا اليونان وفرنسا ولبنان وايطاليا وسويسرا عن ممتلكاتهم المؤممة(٩) فإذا أضفنا الى هذا المبلغ ماقدمته مصر من قروض ومساعدات لبعض الدول العربية والأفريقية خلال هذه الفترة (منها ١٠ ملايين جنيه للجزائر و ٦ ملايين لمالى) نجد أنه لاصحة للقول بأن الأرصدة الاسترلينية المتوافرة لمصر خففت عن مصر عبء التنمية بدرجة ملحوظة فالحقيقة أنها لم تساهم فى ذلك الا مساهمة محدودة للغاية إذا أخذنا فى الأعتبار ماكان على مصر دفعه من تعويضات ، وأن إجمالى المتوافر منها فى بداية الخطة كان اقل من نصف حجم الاستثمارات المنفذة فى السنة الأولى وحدها من سنوات الخطة

● كم كان عبء الديون ؟

لم يكن هناك إذن مفر لمصر من أن تلجأ فى هذه الفترة الى الأقتراض . ويقدر الدكتور الجريتلى ما تلقته مصر بالفعل من مساعدات وقروض خلال الفترة الممتدة من يونية ١٩٥٨ الى يونية ١٩٦٥ بما يعادل ٨٠٠ مليون جنيه مصرى منها ؛ ٣٠٠ مليون قيمة المساعدات الغذائية المقدمة من الولايات المتحدة و ٥٠٠ مليون من الاتحاد السوفييتى وغيرها من دول الكتلة الشرقية وبعض الدول الغربية والمؤسسات الدولية(١٠) . بمقارنة هذه الأرقام بارقام الناتج المحلى وارقام الاستثمار نجد أن ما حصلت عليه مصر من قروض خلال هذه الفترة كان يمثل

نحو ٥٪ من الناتج المحلى الاجمالى وأنها اعتمدت على الاقتراض فى تمويل نحو ٣٠٪ من إجمالى الاستثمارات . كانت هذه الأرقام تبدو للباحثين فى الأقتصاد المصرى فى منتصف الستينيات أرقاما مزعجة ومدعاة للقلق[11] ، كما تميل كتابات أكثر حداثة الى الايحاء بأن مصر قد بدأت تتورط فى الديون تورطا خطيرا منذ سنوات الخطة الأولى فيقتطف خالد اكرام فى كتابه الصادر عن البنك الدولى فى ١٩٨٠ عبارة لهانسن تشير الى تزايد التجاء مصر منذ ١٩٦٥/٦٤ الى الأقتراض قصير الأجل بأسعار فائدة باهظة « كان من شأنها أن تصيب بالدهشة الخديو اسماعيل نفسه »[12] ولكن الحقيقة تبدو لنا الآن عكس ذلك تماما . فالذى يبدو لنا الآن ، ونحن ننظر الى تجربة هذه الحقبة من أواخر الثمانينيات ، هو أن لجوء مصر الى الاقتراض فى ذلك الوقت كان مبررا تماما ، ولم يخلق لمصر من الأعباء ماكان يصعب عليها النهوض به مع الاستمرار فى التنمية ، وأن الذى أوقف مسيرة التنمية منذ منتصف الستينيات ليس أعباء المرحلة السابقة ولا أعباء زيادة الاستثمار أو الاستهلاك ، ولا حتى أعباء الانفاق العسكرى ، بل الذى أوقفها هو ما تعرضت له مصر من ضغوط خارجية بدأت منذ السنة الأخيرة للخطة ، وبلغت قمتها بحرب ١٩٦٧ وما ترتب عليها من آثار

ذلك أن معيار الحكم بما إذا كان الاقتراض مبررا أو غير مبرر وما اذا كانت درجة الاستدانة خطيرة أو غير خطيرة ، لايختلف كثيرا فى حالة الدولة عنه فى حالة الفرد . فالعبرة ليست بالضبط بنسبة الأقتراض الى الدخل وإنما هى فى الأساس بمدى القدرة على الوفاء بالدين ، فى فترة معينة معقولة

● استخدامات القروض

فمن ناحية استخدامات القروض لا أظن أن أحدا يمكن أن يجادل فى أن قروض عبد الناصر المدنية قد وجهت بكاملها تقريبا لزيادة قدرة مصر الانتاجية . فقروضه من الكتلة الشرقية ذهبت إما لتمويل مشروعات صناعية أو لتمويل السد العالى . إن الجدل مازال يحتدم بالطبع عما إذا كان نظام عبد الناصر قد « بدد » جزءا كبيرا من الموارد الذاتية والخارجية على صناعات قليلة الكفاءة ، وعما إذا كان مشروع السد العالى قد ولد من الأعباء ماقلل كثيرا من منافعه الصافية . على أن القضية التى نحن بصددها الآن تختلف عن ذلك . فالقضية التى تواجهنا هنا ليست هى ما إذا كانت القروض قد استخدمت أفضل استخدام ممكن ، بفرض أن تحقيق ذلك كان متاحا أصلا حتى فى أحسن الظروف الداخلية والخارجية ، وإنما هى ما إذا كان العائد الذى تحقق من القروض يفوق تكاليفها . فأذا طرح الأمر على هذا النحو لبدا لنا من شبه المؤكد أن تجربة عبد الناصر فى الالتجاء الى الاقتراض لتمويل التنمية كانت مبررة تماما ، حتى لو ثبت لدينا أن أخطاء معينة قد أرتكبت فى توزيع الاستثمارات . والعبرة على كل حال فى تقييم تجربة ما ليست هى فى القدرة على الدفاع عن كل مشروع استثمارى

على حدة وإثبات كفاءته الاقتصادية ، بل هى النظر الى توجه الاستثمارات بوجه عام ومدى مساهمتها جملة فى قدرة الدولة الانتاجية بحيث تتمكن الدولة فى فترة زمنية معقولة من سداد ديونها وقد آشرنا منذ قليل الى التغير فى هيكل الاقتصاد القومى الذى آحرزته التجربة الناصرية فى فترة وجيزة نسبيا ، سواء بزيادة نصيب الصناعه فى الناتج القومى او فى الصادرات ، وهو تغير عجزت مصر عن إحداثه طوال الفترة التالية لعهد محمد على ، وكذلك طوال الفترة التى انقضت منذ انتهاء الخطة الأولى فى ١٩٦٥ وحتى اليوم .

بل ليس من التعسف القول بأنه حتى التجاء عبد الناصر الى الولايات المتحدة للحصول على معونات غذائية كبيرة كان الى حد كبير اقتراضا انتاجيا وليس اقتراضا استهلاكيا . فمن المتفق عليه آنه حتى المواد الغذائية يمكن ان تعتبر سلعا انتاجية إذا استخدمت لتشغيل آعداد آكبر من العمال فى آعمال منتجة ولم تستخدم فى مجرد رفع مستوى الاستهلاك للعمال المشتغلين بالفعل . وهذا هو بالضبط ماحدث فى الفترة التى نحن بصددها ، فقد زاد عدد المشتغلين فى هذه الفترة (٥٩/٦٠ - ١٩٦٥/٦٤) بمعدل يفوق بنحو ٥٠٪ معدل الزيادة فى القوة العاملة ، وكانت اكبر معدلات النمو فى العمالة من نصيب قطاعات التشييد فالكهرباء فالصناعة .

● شروط [illegible]

أما من حيث شروط الاقتراض فقد كانت فى جملتها من آفضل ما حصلت عليه مصر من شروط فى تاريخ مديونيتها الخارجية ، إن لم تكن آفضلها على الاطلاق فمن ناحية القيود السياسية المرتبطة بالقروض ، كانت هذه الفترة بما اتسمت به من ظروف تـوازن القـوى بين المعسكـرين الرآسمالى والاشتراكى ، هى الفترة الذهبية بالنسبة لمصر ، والعالم الثالث عموما ، من حيث القدرة على الاقتراض من كلا المعسكرين بأقل قدر من التضحية بحريتها فى التصرف . كانت هذه الفترة من الفترات النادرة ، التى تذكرنا مرة اخرى بالفترة الذهبية من حكم محمد على ، التى قنعت فيها كل من الدولتين العظميين بان تكون الدولة الصغيرة غير خاضعة للقوة العظمى الأخرى ، دون آن تشترط خضوعها لسيطرتها هى . كان من الممكن إذن لدولة كمصر ان تتلقى معونات اقتصادية كبيرة من كلا المعسكرين بمجرد إثبات استقلالها عن المعسكر الأخر ، فتتلقى المعونات الغذائية من الولايات المتحدة وهى فى قمة تطبيقها للإجراءات الاشتراكية ، وتتلقى معونات الاتحاد السوفييتى لبناء السد العالى والمشروعات الصناعية والماركسيون المصريون قابعون فى المعتقلات .

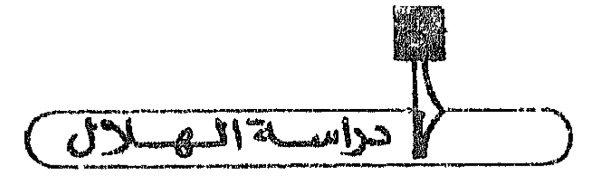
وأما الشروط الاقتصادية فكانت بالغة اليسر سواء من حيث فترة

السداد أو سعر الفائدة فالقروض السوفييتية كانت تقدم لفترة اثنى عشر عاما وبسعر فائدة لايتجاوز ٢,٥٪ ومعونات الغذاء الأمريكية كانت تقدم في صورة قروض مستحقة الوفاء بالعملة المصرية وعبر فترة ثلاثين عاما ، وبسعر فائدة ٤٪ أما ما يشير إليه خالد إكرام من أسعار الفائدة الباهظة التى اقترضت بها مصر . فهى لاتتعلق إلا بالسنة الأخيرة من سنوات الخطة (١٩٦٥/٦٤) والسنوات الثلاث التالية لها ، ولم تضطر مصر اليها إلا بسبب القطع المفاجىء من جانب الولايات المتحدة لمعوناتها الغذاتيه ، وفي وقت كانت مصر فيه تعاني من تعاقب موسمين سيئين من الانتاج الزراعى المنخفض .

إن من الممكن بالطبع أن نعتبر أن مجرد التجاء عبد الناصر للاعتماد على المعونات الغذائية الأمريكية كان موقفا يتسم بقصر النظر والبعد عن الحكمة ، على أساس أن هذه المعونة كان لابد من اعتبارها من أول الأمر أمرا غير مضمون الاستمرار ، ومرهونا بموقف الولايات المتحدة السياسى من النظام الناصرى ، وأن من قبيل التهور رسم خطة للتنمية على افتراض استمرار هذه المعونة ، هذا النقد ، وإن كان لايخلو من الصحة ، فإنه أقرب الى ذلك النوع من الانتقادات الذى يسهل توجيهه ممن ينظر الى التجربة برمتها بعد انتهائها ، وممن يعرف نهاية القصة ، دون أن يقع عليه عبء المرور بالتجربة نفسها . لم يكن من السهل ، فى اعتقادنا ، أن يتنبأ المرء فى ٥٨ أو ١٩٥٩ ، حينما كان النظام الناصرى يتمتع فى الواقع بتأييد الولايات المتحدة . وحينما بدت الظروف الدولية مواتية للغاية لتدشين تجربة طموح فى التنمية ، بأن توازن القوى الدولية فى منتصف الستينيات سوف يؤدى بالولايات المتحدة الى اتخاذ موقف عدائى تماما من التجربة الناصرية ، ويقترن فى نفس الوقت بأحجام الاتحاد السوفييتى عن تقديم يد العون لمصر بالدرجة المطلوبة لتعويضها عن إيقاف المعونة الأمريكية .

● معادلة عبد الناصر الصعبة

كان من الممكن بالطبع تجنب انتكاس تجربة التنمية . الذى حدث منذ منتصف الستينيات ، لو استمع عبد الناصر لرأى فريق من الاقتصاديين المصريين فى نهاية الخمسينيات الذين كانوا يعتبرون أهداف الخطة مفرطة فى طموحها ، فقبل معدلا للتنمية اكثر تواضعا وأقل اعتمادا على الموارد الخارجية ، أو لو أنه على العكس اختار طريقا أشد تقشفا فلم يسمح بزيادة معدل الاستهلاكين الفردى والحكومى واعتمد على المدخرات المحلية فى تمويل متطلبات الخطة كان الطريق الثالث الذى اختاره عبد الناصر هو التمسك بمعدل طموح للتنمية مع السماح فى نفس الوقت ببعض الزيادة فى مستويات الاستهلاك ، وهو ما سماه فى ذلك الوقت « بالمعادلة الصعبة » من حيث أنه لم يكن فى الواقع يريد التضحية بشىء لابمستوى الاستثمار المرتفع ولا بمستويات الاستهلاك . لا



بالجيل الحاضر ولا بالمستقبل . كان حل المعادلة يكمن فيما توفر لعبد الناصر من موارد خارجية ، وهو حل كان لايخلو بالطبع من مخاطرة ، ولكنها مخاطرة بدت وقت اتخاذ القرار مبررة بسبب توافر الظروف الدولية المواتية . إن من السهل علينا الآن أن نقول إنه كان على عبد الناصر أن يكون في نهاية الخمسينيات أقل مغامرة واكثر واقعية ، ولكن الواقع هو أننا ، على الرغم من كل ما تعرضت له مصر من مصاعب بعد منتصف الستينيات ، مازلنا حتى اليوم نجنى بعض ثمرات مغامرة عبد الناصر وجسارته ، وأن ماتعرض له الاقتصاد المصرى من مصاعب منذ ذلك الوقت لم يكن بالضبط من اثار المغامرة ، بل كان من آثار توقفها ، وأن هذا التوقف لم يكن فى الأساس بسبب قطع المعونات الأمريكية ، التى كان باستطاعة مصر بسهولة التغلب على آثارها ، وإنما كان في الأساس بسبب حرب ١٩٦٧ التى فرضت على مصر فرضا .

هوامش الدراسه

(1) Amin,G . : Food supply and Economic Development, Cass, London, 1966, p.90

(2) Ikram,K. : Egypt : Economic Management in aPeriod of Transition, John Hopkins University Press, Baltimore, 1980, PP. 343-4

(3) Honsen, B.& Marzouk, G. : Development and Economic Policy in the UAR (Egypt), North- Holland, Amsterdam, 1965,PP. 174& 186-7

(4) Hansen,B. : Planning and Economic Growth in the U.A.R., 1960-5, in Vatikiotis,p (ed.) : Egypt since the revolution, Allenx Unwin, london,1968, pp.31-6.

(5) Mabro,R, : The Egyptian Economy, 1952 - 72, Clarendon Press, Oxford, 1974, pp. 180 & 189

(٦) هانسن ، المرجع السابق ، ص ٣١

(7) Mabro, R. & Radwan, S. : The Industrialization of Egypt, 1939 - 73, Clarendon Press Oxford, p. 179

(٨) خالد إكرام ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢

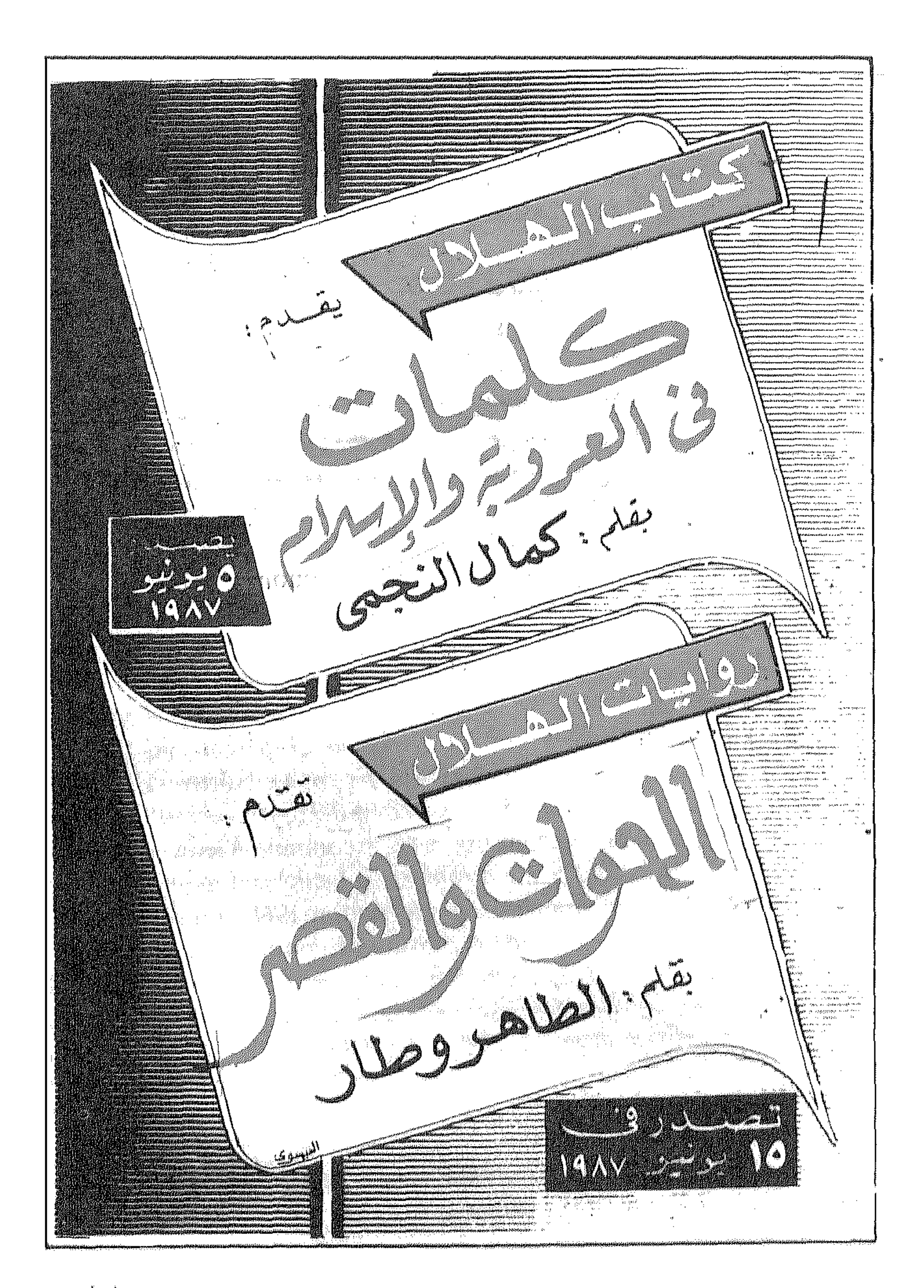
(٩) د . على الجريتلى . التاريخ الاقتصادى للثورة ، ٥٢ ـ ١٩٦٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٨

(١٠) الجريتلى ، نفس المرجع ، ص ١٣٤ .

(١١) انظر مثلا هانسن ، المرجع السابق ، ص ٣٦ ـ ٩ .

(١٢) خالد إكرام ، المرجع السابق ، ص ٣٤٤




كتاب الهلال
يقدم:
كلمات
فى العروبة والإسلام
بقلم: كمال النجمى
يصدر
٥ يونيو
١٩٨٧
روايات الهلال
تقدم:
الحوات والقصر
بقلم: الطاهر وطار
تصدر فى
١٥ يونيو ١٩٨٧



● رفاعة الطهطاوى وبعثته ●

● لفت نظرى فى مقال « الشيخ فى باريس » للأستاذ على الشوباشى ، الذى نشر فى عدد ابريل الماضى من « الهلال » انه ردد القول الشائع عن الرائد العظيم رفاعة رافع الطهطاوى ، من أنه لم يسافر من مصر الى فرنسا فى الأصل بوصفه عضوا فى البعثة ، وانما بوصفه اماما لطلابها ، يعظهم ويرشدهم ويؤمهم فى الصلاة ... وانه ازاء رغبته فى التعلم واجتهاده ، تقرر ضمه الى البعثة !.

وهكذا ردد الكاتب ما ذكره معظم من كتبوا عن رفاعة كأنه مسلمة من المسلمات . وهو كلام لا سند له مطلقا من الوثائق التاريخية لعصر محمد على، فضلا عن أنه يتنافى ومنطق الاحداث .

وحقيقة ما حدث ان رفاعة عين بالفعل اماما للبعثة العلمية الثانية الى باريس ، بناء على ترشيح أستاذه الشيخ حسن العطار ، ولكنه كان فى الوقت نفسه عضوا دارسا بهذه البعثة .

ان رفاعة نفسه ، وكتاب « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » هو أول المراجع فى هذا الصدد ، يقول فى مستهله : ان خير الامور العلم ، وانه اهم من كل مهم ... سهل لى الدخول فى خدمة صاحب السعادة أولا فى وظيفة واعظ فى العساكر الجهادية .ثم منها الى رتبة مبعوث الى باريس فى صحبة الافندية المبعوثين لتعلم العلوم والفنون ... » .

وهو يؤكد فى الكتاب ذاته بعد ذلك ان « رؤســـاء » البعثة ، الذين صحبوها الى باريس ليتولوا شئونها الادارية ، كانوا فى الوقت نفسه يدرسون كسائر الطلاب ، ولم يذكر رفاعة فى كتاب رحلتـــه كلمة واحدة عن عمله فى فى الامامة والوعظ ، مما يؤكد ان ذلك لم يكن سوى مهمة ثانوية . أما مهمته الاولى فكانت الدراسة التى تحدث عنها تفصيلا . وكذلك لم يشر مطلقا الى « تحوله » من امام للبعثة الى واحد من طلابها بقرار من حكومة مصر . مع أن هذه الواقعة اذا صحت لكانت اجدر بالتسجيل من كثير مما أورده فى فى كتابه من دقائق التفصيلات .

ثم ان بدء رفاعة فى تعلم مبادىء اللغة الفرنسية فى مرسيليا مع سائر زملائه لم يكن ـ كما وهم بعض المؤرخين ـ مبادرة شخصية منه ، وانما كان جزءا من الخطة الموضوعة لكل أعضاء البعثة . ويؤكد رفاعة هذا اذ يقول : « ولما كانت آمال الوالى متعلقة بتعلمنا عاجلا ورجوعنا الى أوطاننا ابتدأنا فى مرسيليا قبل وصولنا الى باريس وتعلمنا فى نحو ثلاثين يوما التهجى » .

وما كتبه صالح مجدى ، أول مؤرخ لسيرة رفاعة ، يؤكد ـ على الاقل أن باب الدراسة في البعثة كان مفتوحا امام كل الملتحقين بها والعاملين فيها ، وان علم رفاعة بذلك قبل سفره هو الذى أغراه بقبول ترشيحه · فهو يقول ان رفاعه كان « رئيس من تعين من افاضل العلماء لوعظ هؤلاء الانجاب ··· وما اختارت نفسه النفيسة البعد عن الاوطان ··· الا لعلمه انه مع القيام بوظيفة الوعظ اذا اجتهد في الاستحصال على اللغة الفرنساوية ووصل الي درجة مترجم يبرز فيها جلائل الكتب الي اللغة العربية كان في ذلك النفع للاوطان طول المدى » ·

وتضم القائمة التي اثبتها الامير عمر طوسون نقلا عن الوثائق الرسمية أسماء جميع أعضاء هذه البعثة من المسئولين والدارسين ، وأمام اسم كل عضو « العلم المرسل له » · وتوضح هذه القائمة أن رفاعة أرسل ليتخصص في الترجمة · بل ان القائمة توضح كذلك أن الازهريين الآخرين الذين صحبوا البعثة ، والذين كان المفروض ان يشاركوا رفاعة في مهمة الوعظ والامامة ، قد خصصت لهم بعض المواد لدراستها ·

ويؤكد تلك الحقيقة تقرير مسيو جومار عن الحالة العلمية لاعضاء البعثة ، الذى كتبه عام ١٨٢٨ · فقد جاء بـه : « وممن امتازوا من بين هؤلاء الشبان الشيخ رفاعة الذى أرسل ليحرز فن الترجمة ، وأعد لهذه الوظيفة في بلاده ، حتى اذا رجع اليها أطلع بترجماته الجمهور المصرى على تاليفنا العلمية ، وأدنى منه ثمرات آدابنا وعلومنا · وقد ابتدأ هذا الشيخ يقوم بتحقيق مقاصد حكومته فترجم عن الفرنسية ·· » ·

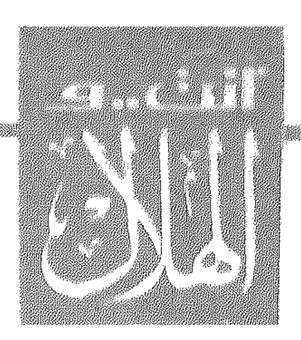
ومنطق الاحداث يستبعد ـ من ناحية أخرى ـ ان يكون الشيخ حسن العطار قد اختار رفاعة وزكاه لمحمد علي ، لمجرد ان يتولى وظيفة لا تتفق وآمال الاستاذ العريضة في تلميذه النابغة ، ولا ترضى كذلك طموح هذا الشاب وتطلعاته ، بعد ان طالت صحبته لشيخه المتفتح ، وتأثر الى حد بعيد بأفقه الواسع وأفكاره المتقدمة · ان الاقرب الى المنطق ان العطار ، وهو الشيخ الذى كان يدرك انه لن يستطيع ان يحمل اعباء رسالة التغيير الثقافى المأمول (لبلوغه سن الستين فى ذلك الوقت) ، قد اختار رفاعة لكى يتعلم الفرنسية ويقرأ علوم الغرب وينقل منها الى العربية ، حتى يسهم بذلك فى قيادة حركة التنوير ·

ولقد صدقت فراسة الاستاذ الشيخ ، وحقق تلميذه الفتى آماله فيه ، ربما بأكبر مما كان يتوقع ·

د· أحمد حسين الصاوى

● قرية الشاعر الجرنوسى ●

● أبعث بتحياتى وتقديرى واعجابى بالجهد الخارق الذى تبذلونه فى الرد على بريد الهلال ، ولقد حدث خطأ مطبعى فى مقال خالد الجرنوسى المنشور في عدد شهر مايو ١٩٨٦ وهو عن محل ميلاد الشاعر ، فقد ذكر أنه ولد في



قرية الجرنوس مركز بنى مزار محافظة المنيا ، والصحيح انه ولد فى قرية الجرنوس مركز مغاغة ـ المنيا ٠

رجب عبد الحكيم بيومى
كلية دار العلوم

● فراق ●

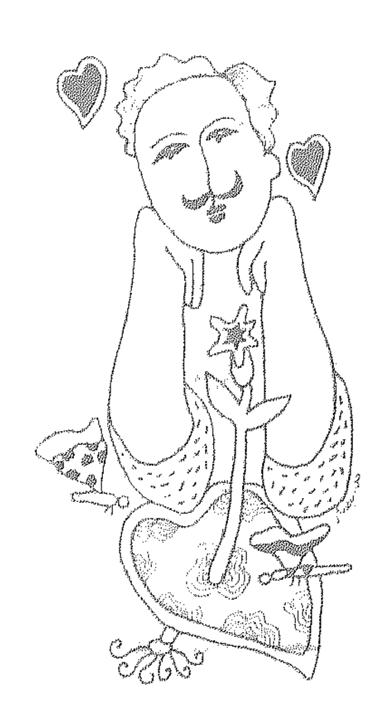
أعند الفجر تنتحر الأماني
وبين الزهر تنتحب الأغاني
دعاني للهوى همس رقيق
ولبيت الندا لما دعاني
أتاني بهجة ملأت حياتي
ومن أيك المحبة كم حباني
تدنت لي به دنيا خيالي
وأبرا لي جراحي بالحنان
وقال لنبعق هذا العهد سرا
فما أفشى به يوما لساني
وفيت بما أراد وصنت عهدي
فما ذنبي إذن لما سلاني
حسن علي محمد جابر ـ الاسكندرية

● قالوا .. ●

قالوا : تغنى بأشعار منمقة
ومد للحب آمالا الى الابد
ولم يكن خاض للأحكام تجربة
قلت : اسمعوا ٠٠ ان قلبي للهوى ويدى
كتمته عنكم والله يعلمه
وعشت أشدو ونار الشوق في كبدى
عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ـ سوهاج

● شجاع ●

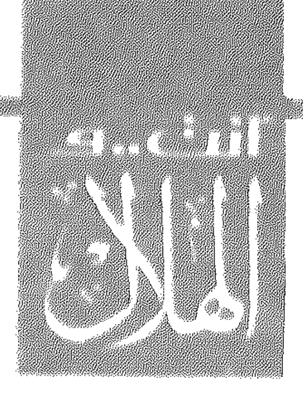
يخيــــل لي
أن حبك نهـر صـغير يصب مبـاشرة
فى وريـــــدى
وأنـك عاليـــــة القـــــــدر
مثــل الســـــحاب
ومشـكلتى أننى لا أجيــد التســـلق
فــوق الرعـــــود
وكنت أرى
أن أول طفـل وليـد سـيدخل قلبــك
بعــد مكالمتى
هــو أن تفهمى
غــير أنـك خيبت ظنى وظـــن وليـدى
فما كان منـا ســوى أن نطــارد حلمـــا جميلا
نمـا مثــل كل البشــائر
فـــوق دمـــاء الوجــود



محمــد ســعد
قصر ثقـافة أسيوط

● مصادفة غريبة ●

● فى اليوم الأربعين لوفاة الامام محمد عبده وقف ستة من كبار الادباء على قبره يرثونه ، ومرت الايام بعــد هذا الحدث وبدأ الموت يتخطف هـؤلاء الادباء واحدا واحدا وكان من بينهم المرحومان حفنى ناصف وحافظ ابـراهيم وقد مرض المرحوم حفنى بعــد فترة من التأبين وطاف بذهنه وهو على فراش المرض خاطر غريب : ذلك أنه تأمل الوفيات التى حدثت لهؤلاء الاعلام الادبـاء فوجدهم قد توفوا على حسب ترتيب القائهم لقصائدهم فمات أول الراثين ثم تلاه التالى فى الترتيب وهكذا دونما خلل فى هذه القاعدة ، وقد كان ترتيب المرحوم حفنى الخامس ، أما السادس فكان المرحوم حافظ ابراهيم ، فكتب حفنى الى حافظ أبياتا ضمنها هذه الملحوظة ، وعلى الرغم من أن موضوع الرســالة لم يكن بهيجا فان الابيــات لم تخل من خفة روح الشــاعر الكبير ، وبـقى أن نعرف بالاربعة الاخرين السابقين فهم : الشيخ أبو خطوة عضو المحكمة العليـا الشرعية ، فحسن باشا عاصم ، فحسن باشا عبد الرازق ، فقاسم أمين المستشار



وصاحب كتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » واليكم الان تلك الابيات وما بعدها ·· قال حفنى ناصف يخاطب حافظ ابراهيم :

اتـــذكر اذ كنـــا عـلى القبـر ستة
نعدد اثـــار الامـــام ونندب ·· ؟
وقفنـا بترتيـــب ، وقـــد دب بيننـــا
ممـــات علي وفـق الرئـــاء مرتـب
« ابـو خطوة » ولى ، وقفـــاه « عاصم »
وجـاء لعبـد الرازق المـــوت يطـلب
فلبي ، وغابـت بعده شـمس « قاسـم »
وعمـا قليـــل نجـم محيـــاى يغـــرب
فلا تخش ملـكا ما حييـت ، وان امـت
فمـــا انـــت الا خـــائف تترقـــب
فخـاطر وقـع تحـت « الترام » ولا تخف
ونـم تحـت بيـت الوقـف وهو مخـرب
وخض لجـج الهيجـــــاء اعزل آمنـــا
فـان المنـــايا منـــك تعـدو وتهـــرب

وقد استوعب « حافظ » هذا المعنى فلما دعى لالقاء قصيدة فى حفل تكريم للمرحوم حفنى بمناسبة نقله من « القضاء العالى » الى « المعارف » قال ضمن تلك القصيدة :

وان دعـــوت لحسبي
يومـــا فايـــاك اعـــني
مصـــرى بمصـــره رهـــن
فعـــش اعش الـف قـــرن

وحين وافت المنية المرحوم حفنى – دون خرق للقاعدة – ايقن المرحوم حافظ أن دوره قد حل فهتف قائلا :

اذنت شمس حيـاتى بالمغيـــب
ودنـــا المنهـــل يانفس فطيبى

رحم الله الجميع ونفعنـــا بما خلفوه من آثار نافعـــة ··

احمد قاسـم احمد
قنـــا

● تعليق :

● ورد اسم الاستاذ احمد قاسم احمد في كلمة سابقة له بالهلال عن حفني ناصف ، منسوبا الى « امين » لا الى « أحمد » فصار حانه حفيد المرحوم قاسم أمين « محرر المرأة » ‥ فنعتذر الى الاستاذ أحمد قاسم احمد من الخطأ المطبعي الذى جعل اسمه في بطاقته الادبية : أحمد قاسم امين وان كان أحمد هو الامين ، والامين هو أحمد !‥

● البداية ●

صحا القلب عن ليلى وافكارها الخضر
وتبدلت سحب الحداثة بالفكر

بالنور بالأمل المكلل جبهتى ‥
بالسحر ، بالالهام في رقة الفجر

فهمنا بوديان التصافي والرضا
قلبا الى قلب يحن ولا يدرى

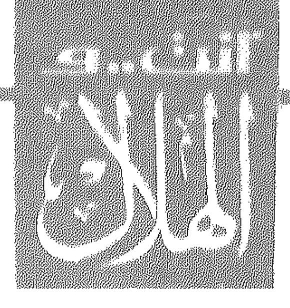
تخليت عن اسمى ورسمى وهياتى
ولم أعترف الا بالحافلها السمر

أبو بكر محمد محمد حسانين

مدرس اللغة الانجليزية بمدرسة أبو تشت الاعدادية

● تعليق :

ـ اجتزأنا من قصيدتك التى تبلغ اثنى عشر بيتا هذه الأبيات الاربعة التي تدل على سائر ابيات القصيدة ‥ والواضح انك أردت أن تنظم قصيدة غزل من بحر الطويل ولكن لم يسعفك الوزن الا في الشطرة الاولى من البيت الاول ، ثم في البيت الرابع ، ثم في ثلاثة ابيات لم نذكرها هنا ، فمجموع ابياتك الموزونة أربعة أبيات ونصف بيت من الابيات الاثنى عشر · وليس هذا بالقليل وانت مدرس لغة انجليزية لا عربية ، وقد رأينا بعض مدرسى اللغة العربية في أيامنا لا يقيمون الكلام المنثور بنحوه وصرفه ، أما المنظوم فلا شان لهم به ‥ نرجو ان تستمر في النظم حتى تستقيم أوزانك ‥



• الاصباغ •

طوفت في الآفـاق التمس الكرائم في الحصـون
اجرى وابحث خلف أهـداب العيـون عن العيون
وأمام أصباغ الوجوه تدافعـت حـولي الفلنون
فتشت في الاثـواب والالوان عـن قلب حنـون
عن جوهر الانسان يلمع تحـت اقنعـة الدهون
عن حلوة الاعمـاق لا تطوى محاسـنها السـنون
فازيـد في عمري بهـا عمرا ، وتمتـد الغصون
عن ابنـة الخنسـاء شامخة عـلى فرس حـرون
لكنني ان عــدت مخـذولا ، ومحتقـن الجفـون
لن أسـتنيم ففي يـدى وعـد تعـززه القـرون

محيي الدين عطية ـ الكويت

• مع الاصدقاء •

● علي زكي نـاصر ـ لبنـان :

ـــ نشكركم على هذا الكشكول من الملاحظات والنقدات والاشعار الـذى أرسلته الينا ، الا أن كثيرا من « الاغـلاط » التى ذكرتموها هى اغلاط مطبعيـة يعرفها القارىء بفطنته ولكنكم أمسكتم بها وأسهبتم فى نقدها ‥ وبخـاصة الاغلاط المطبعية فى القصائد ‥ ونحيى فيك كفاحك فأنت ـ كما تقول ـ تعمـل نجار أسمنت فى النهار وطالبا فى الليل ‧ وتقول انك دخلت الجامعة لتتعـلم طريقة كتابة البحث الادبى ، ولو كان البحث الادبى يتعلمونه حقا فى الجامعة ، لكان عندنا في مصر الآن مائة الف اديب وباحث أدبى تخرجوا فى الكليات ‥ وأما شروحك الطويلة فى العروض والقافية فقد استمتعنا بقراءتها الا أنها عندنا تحصيل حاصل ، أما المقال الافتتاحى فى الهلال فليس وقفـا على احـد ، بـل يجىء على حسب المناسبات ‥ ولسنا معك فى ضيقك بمقالات الموسيقى والغناء، فهى ليست عن الغناء والموسيقى فقط ، بل عن الادب والتاريخ والسياسة ايضا ، وواضح أنك لم تستطع أن تستوعب منها هذا المعنى ، ويدهشنا أن تكتب الينـا هذه الكمية الهائلة من الصفحات !‥ من أين جئت بالوقت وأنت فى الصـبح نجار ، وبعد الظهر ، الى منتصف الليل ، تلميذ ؟!‥

- **محمود أحمـد المصلى ـ شربين :**

ـــ زجلكم لا بأس به ولكنا ننشر الشعر الفصيح فقط ، وقد نبهنا الى ذلك مرارا وتكرارا ٠

- **خالد سعد الدين محمد الصغير ـ بولاق الدكرور :**

ـــ سبق أن نبهنا الى أن كلمة « الراسل » خطأ وأن الصواب « المرسل » فلا تكتبها مرة أخرى ، أما شعركم فلا ينقصـه الوزن ، ولكن لغتـه تحتـاج الى مراجعـة ٠٠

- **محمد ناصر بوحجام ـ القوارة ـ الجزائر :**

ـــ نشكركم على حسن ظنكم ، ونعتـــذر اليكم من عدم استطاعتنا نشر مقالكم لضيق المقام ٠٠

- **رجب عبد الحكيم بيومي الخولي ـ كلية دار العلوم :**

ـــ كلمتكم عن نزار قبانى لا جديد فيها ٠٠ حاول أن تنبش عـن الادبـاء والشعراء الذين لم ينالوا حقهم من التعريف ٠٠

- **طارق صلاح الدين بندارى ـ مساكن الاميرية القديمة ـ القاهرة :**

ـــ قصيدتك التي أولها : « يا يوم القاها تعال ففى فؤادى عاصف » لا ينقضها الوزن ، ولكن فيها بعض الهنات النحوية واللغـوية ٠ نتمنى لكم مزيدا من التقدم ٠٠

- **حسن عثمـان هلال ـ الخرطوم :**

ـــ تقول فى مطلع قصيدتك : « فى داخل قلب نشوان ، ينام حبيبين غريبان » ٠٠ وهذا مطلع غير صحيح اللغـة مع الاسف ، فان حبيبين صـحتها « حبيبان » لانها « فاعل » ٠٠ وهذا شيء يعرفه أبناؤنا فى المدارس الابتدائية٠٠ وبقية قصيدتك تجرى هذا المجـرى من الخطأ اللغـوى والنحوى ، فضلا عـن الاوزان التي يصعب العثور على شيء صحيح منها فى قصيدتك التى هى فى الواقع نثر ! ٠٠

- **السادة : موسى محمد هلفو ٠٠ محمد جمـال شحاته ٠٠ السيد سـعد الجزايرلى :**

ـــ قصائدكم ينقصها الوزن ، وليس معنى ذلك أنها مختلة الاوزان من الفها الى يائها ، ولكن الاوزان المكسورة غالبـة عليها مع الأسف ٠٠!

- **السادة : سعيد بكر ٠٠ عبد المطلب عامر على ٠٠ محمد محمود بخيت :**

ـ قصصكم جهد مشكور فى فن القصة ، ونعتذر من عدم تمكننا مـن النشر لضيق المجال كما ترون ٠٠!

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية ستة جنيهات فقط بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

اسعار البيع للعدد العادى

سوريا	١٧٥٠	ق . س	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
لبنان	١٧٥٠	ق . ل	الخليج	٨٠٠	فلس
الاردن	٣٥٠	فلسا	غزة والضفه	٥٠	سنتا
الكويت	٣٠٠	فلس	داكار	٦٠٠	فرنك
العراق	١٣٠٠	فلس	لندن	١٢٠	بنسا
السعودية	٥	ريالات	ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	البرازيل	٥٠٠	سنت
تونس	١٢٥٠	مليما			